



المملكة العربية السّعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة و أصول الدين

قسم الكتاب و السنة

التيسير في عِلم التّفسير

للإمام عبد الكريم بن هوازن القُشَيري (٣٧٦ - ٤٦٥هـ)

من أوّل الكتاب إلى نهاية سورة البقرة

دراسةً و تحقيقاً

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الكتاب و السنّة

إعداد

عبد الله بن علي الميموني المطيري

إشراف

فضيلة الدكتور/ يحيى محمد زمزمي

(المجلد الأول)

١٤٢٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرّسالة:

الحمد لله ربّ العالمين و الصلاة و السلام على خاتم المرسلين و على آله و أصحابه و التابعين بإحسانٍ إلى يوم الدّين أمّا بعد

فعنوان هذا البحث: ((التيسير في علم التيسير للإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري . من أول الكتاب إلى نهاية سورة البقرة دراسة و تحقيقاً))

و هو من كتب التفسير المبسوطة. وقد بلغ القسم المحقّق منه :(١٦٠ لوحة). و صاحبه علمٌ مشهور، وتكمُن أهمية الكتاب في أمور منها:

١ – ثناء العلماء عليه، حيث وصفه بعضهم بأنه من أحسنِ التفاسير، و من العلماء الذين وصفوه بذلك ابن خلكان، و تاج الدين السّبكي و السيوطي، و صاحب كشف الظنون .

٢ – اشتماله على نقول كثيرة مفيدةٍ عن الصّحابة و التابعين و من بعدهم من مشهوري المفسّرين، ونقله عن كتب مهمّة مفقودة في التفسير فحفظ لنا بعض الفوائد النفيسة عنها و بعض هذه النقول مما لم نستطِع العثور عليه فيما بين أيدينا من التفاسير، كمثل نقله عن تفسير الإمام الحسين بن الفضل النيسابوري (ت: ٢٨٢هـ) و تفسير القفال الكبير (ت: ٣٦٥هـ) و غيرهما.

٣ – تقدّم تاريخ تصنيفه فقد انتهى مؤلِّفه من تصنيفه قبل سنة (٤١٠هـ).

٤ – أنه يتضمّن مقدّمة مهمة ومفيدة في علوم القرآن ، تضاف إلى غيرها من مؤلفاتِ العلماء في علوم القرآن. و الكتاب من الكتب المبسوطة في التفسير، و يتضمّن بعض اختيارات مصنفه . ولكثرة النقول فيه فسيكون الكتاب -إن شاء الله – رافداً جديداً للباحثين في عزو الأقوال المأثورة عن السلف ، وفي نسبة أقوال بعض علماء التفسير و علماء العربية و غيرهم يضاف لما سبقه .

أسألُ الله تعالى أنْ يكونَ ما بذلتُهُ في هذا البحثِ مفيداً و نافعاً في الدّارين.

ABSTRACT

Thanks for God , the lord of all , peace and praise be upon his prophet Mohammed ,his relatives and companions and who follow them …………… after that

<u>The title :-</u> " facilitating in facilitation science for the chief Abdul Kareem Bin Hawaen Al qshire – from the book beginning till the end of Al badarah sourah , studying and achievement "

It is one of simple well known books , the achieved section of it has reached (160 boards) . it's owner is a famous distinguished personality , the important of the book refers to several matter as the following : -

1- **it is one from explanations that were described with best by some scientists as Bin Khalkan and the owner of recovering doubts .**
2- **it involved a lot of useful transcriptions about the Holy companions and who flowed them from an important and lost books in explanation so , it saved some of it's psychological benefits and some of these transcriptions of what we can get easily from explanations , as his transcription from explanation of the chief Al Hussain Bin Al Fadl Al Nisavoori (died in 282H) and others .**
3- **his earliest classification , his volume of classification was finished before (410H).**
4- **It involved a useful and important introduction in Quaranic sciences that can be added to other scientists volumes in Quran .the book is one of the simplest books in explanation , it involves some of classified choices . the book will be good source .**

For researchers in relating proverbs that we hired from previous generations , in relating scientists speech of explanation and scientists of Arabic language to the previous scientists .

I ask my God to make this work for my benefit in both life and last day.

Both life and last day .

نموذج من المخطوطة

نموذج من المخطوطة ورقة 2

يظهر في النموذج مقدمة المصنف و بعض العناوين البارزة بالحمرة

نموذج رقم: ٢: من المخطوطة:

يظهر في النموذج (٢) بداية تفسير سورة البقرة

في دعواه وقوله قل الله متصل بما قبله ففي الآية تسمية الله تعالى بانه شيء لانه لما قال
قل الله وذكر في ابتداء الآية قل اي شيء اكبر شهادة علم انه شيء الا ترى انه لا يحسن
ان تقول اي الناس احب اليك ثم تقول بعده قل الاسد بل انما يحسن ان تقول
زيد او عمرو ومعنى الشيء الموجود الكائن وقوله واوحي الي هذا القرآن وقرئ واوحى
الي هذا القرآن بالنصب في قراءة ابي اي اوحى الله الي هذا القرآن ومن قرأ اوحي فعلى ما لم يسم
فاعله لانذركم به بالقرآن يعني اهل مكة ومن بلغ اي ولانذر من بلغه ممن عداكم فحذف
الهاء من بلغ وبلغ من صلة من ومثله في الكلام جائز تقول الذي اكرمت ابوك معناه
الذي اكرمته ابوك ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى فان [illegible]
وقل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون من عبادة الاصنام تجعلونها شركاء في الالهية
وقال آلهة اخرى ولم يقل آخر قال الفراء لان الالهة جمع والجمع يقع عليه التأنيث كما
قال ولله الاسماء الحسنى وقال فما بال القرون الاولى ولم يقل الاول ولا الاولين فالآية
تدل على ان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الكافة لقوله ومن بلغ فكل من بلغته دعوته
فهو صلى الله عليه وسلم مبعوث اليه قوله الذين آتيناهم الكتاب الآية يريد اليهود
يعرفونه قيل الكناية راجعة الى الكتاب يعرفونه انه حق وعلى هذا في ارادة قيل اراد التوراة
والانجيل لان اهل الكتاب عرفوا بكتابهم صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعرفونه
اراد به القرآن اي يعرفون ان هذا الكتاب حق لما يجدونه في التوراة واكثر المفسرين
على ان الكناية في قوله يعرفونه تعود الى النبي صلى الله عليه وسلم معناه يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم
كما يعرفون ابناءهم روي ان عمر بن الخطاب سأل عبد الله بن سلام عن هذه المعرفة فقال
اني اعرفه انه رسول الله ولا اشك فيه لما اجده في التوراة الذي اعلم صحته يقينا ولا اشك
في انه نبي واما الابن فلا ادري ما احدثت النساء فقال عمر رضي الله عنه وفقك الله يا ابن سلام
وقوله الذين خسروا انفسهم رفع على نعت الذين آتيناهم الكتاب وجائز ان يكون رفعا
على الابتداء يتلوه جلد الثاني

يظهر في النموذج (٣) آخر المخطوطة مكتوباً عليه يتلو جلد ثاني.

و هو في أوائل سورة الأنعام عند الآية (٢٠).

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمّ إني أَحْمَدكَ بالمحامدِ التي حمِدكَ بها أنبياؤُكَ المرسلون وملائكتُك المقرَّبون ، و عبادُكَ الصالحون وبكل حمدٍ يليقُ بكمالك و جلالِك ، وأحمدُكَ اللهمّ بالمحامد التي تحبها وترضاها ملء سماواتك و ملء أرضك ، وملء كل شيء، وعدد كل شيء حمداً لا ينقضي أبداً و لا ينتهي سرمداً ، و أصلي وأسلّم على نبيك الذي أرسلتَه بالكتاب المبين، و الهدي القويم، محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدّين .

أما بعد

فإنّ علم التفسير أعظم العلوم أثراً و أجلّها خطراً لأنه يشتمل على بيان معاني كلام الحي القيوم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، كيف لا و هو العلم الذي يُفسّرُ فيه أحسنُ الحديث وأصدقُه و أفضلُ الكلِم وأعذبُه.

و لأجل ذلكم كان صرفُ العناية إليه، و تحريكُ الهِمم في تعلُّمه، و تعليمه من أنفع الأمور للمسلمين عامة، و لطالبي علوم الشريعة خاصة.

و تفاسير علمائنا –رحمهم الله– أعظمُ مدخلٍ لفهم مراد الله تعالى، و بيان معاني كتابه وتوضيح الشّرع الشريف من خلاله ، هذا مع ما تنطوي عليه مصنفاتهم الكثيرة في التفسير من علوم أخرى جليلة منها: ذكرهم فيها لكثير من الأحاديث النبوية، و تخريجهم لطرقها.

و منها: ذكرهم الآثار الكثيرة في أحكام و حِكَم الشريعة عن أئمة الهدى و مصابيح الدّجى من سلف الأمة الصالحين من أصحاب النبي ﷺ و من بعدهم .

ومنها: ما يذكرونه فيها من عبارات الترغيب و الترهيب و من أحكام الفقه الكثيرة .

و منها: بسطهم لمعاني القصص القرآني التي فيها العبرة بسطاً ينفع المتأمّلين، و يذكر بأيام الله وسننه .

و على كلٍّ فتفاسيرهم قد اشتملتْ على فوائدَ تجلّ عن الحصر في مختلف علومِ التفسير والحديث وعلوم العربية.

و هذا كتاب تشرئبّ إليه أعناق المستزيدين و تتطلع لما فيه همة المستفيدين . تهتز أعطافه بما حواهُ من فوائدِ علم التفسير . و هو من كتُب التفسير التي وقع عليها الثناء من العارفين .

فقد قال فيه القاضي ابن خِلِّكان [(١)] (وهو من أجودِ التفاسير)اهـ. و كذلك قال السبكي وغيره. و قد انتهى منه مصنفه قبل سنة (٤١٠هـ) في وقتٍ كانت فيه تصانيف الأئمة من الحفاظ و المحدّثين و العلماء في التفسير متوافرة.

و قد حوى هذا التفسير بين دفتيه نقولا كثيرة متنوعة تزيد من أهميته، و بعض هذه النقول عن تفاسير مفقودة ذات أهمية و مكانة ، هذا مع كون مصنفه عَلَماً مشهوراً .

فأحمدُ الله تعالى أنْ وفّقني للتقدُّم به لرسالة الدّكتوراه في تخصص الكتاب والسنة.

و قد بذلتُ وسعي في تحقيق هذا القسم البالغ (١٦٠ورقة) من الكتاب فما كان منه صواباً فمن توفيق الله و تيسيره، وماكان منه اجتهاداً خاطئا فأستغفر الله تعالى منه.

أسباب اختياري للموضوع

من أسباب اختياري للموضوع ما يلي:

١ - أنّ هذا الكتابَ مع قيمته العلمية، و الثناء عليه من العلماء ، لم يطبع و لم يسبق أنْ تقدّم به أحد لرسالة عليمة، فأردتُ أن أشرف بتحقيق قسمٍ منه.

٢ – أهمية تحقيق كتب التفسير و بخاصةٍ ما كان منها لمتقدّمي العلماء و مشهوريهم لما فيها من العلوم النافعة للمحقِّق و للمسلمين.

٣ – رغبتي في الاستزادة أكثر من علوم التفسير و دقائقه بتحقيق كتابٍ من الكتب المبسوطة في علم التفسير يكون مشتملاً على نفائس من فوائده و فرائد من دُرَره، فوجدتُ هذا الكتاب من

---

(١)وفيات الأعيان: ٣/ ٢٠٦

الكتب التي تحقّق لي هذه الرَّغبة الشريفة. فالحمد لله أولا و آخراً و ظاهراً وباطناً حمداً لا ينقضي أبداً.

شكر و عرفان

و حقٌّ علي في هذا المقام بعدَ حمدِ الله تعالى أنْ أدعو الله تعالى لوالدي بالمغفرة والرحمة و أن يسكنهما الله فسيح جناته ، وأن أشكر والدتي فلها الفضل الأول -بعد الله- في توجيهي ودراستي، حيث هيئت الأسباب ، وبذلت ما بوسعها، ربّ اغفر لي لوالديّ وارحمهما كما ربياني صغيراً .

ثم أتوجّه بجزيل الشّكر لفضيلة الشيخ الدّكتور : يحيى محمد زمزمي على تفضّله بالإشراف على هذه الرسالة مع كثرة التزاماته و مشاغله، فأسأل الله تعالى أن يثيبه عما قدّمه لي من نصحٍ و إرشاد و توجيه ومتابعةٍ حيث لم أر منه إلا اللين والتواضع و المودة ، فجزاهُ الله تعالى عني خيراً،و أسعده في الدّارين.

والشكر موصولٌ للمشايخ الفضلاء في كلية الدعوة و أصول الدّين ممثلةً في عميدها د/ عبد الله الدميجي وو كلائه ، و لقسم الكتاب و السنة على كلّ ما قدّموه لي و لزملائي .

و أختم بالدعاء و بالشكر لكلّ من أعانني .

خطة البحث

و

منهجي فيه

خطة البحث:

قسّمت البحث في هذه الرّسالة إلى قسمين :

القسم الأوّل الدِّراسة: و يشتمل على دراسةِ المؤلف وكتابه، و تحته فصلان:

الفصل الأول:

ترجمة أبي القاسم عبد الكريم بن هَوَازِنَ القُشَيري تشملُ سبعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وولادته و وفاته وأسرته.

و تحته مطلبان :

المطلب الأول: مصادر ترجمته و اسمه ونسبه وولادته و وفاته

المطلب الثاني: أسرته

المبحث الثاني: مكانته و الثناء عليه.

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه

المبحث الرابع: عقيدته

المبحث الخامس: أخباره

المبحث السادس : مصنفاته.

المبحث السابع: شعره

الفصل الثاني: دراسة التفسير الكبير لأبي القاسم القُشَيريّ :

((التيسير في علم التفسير))

و تتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسم الكتاب و نسبته لمؤلفه .

المبحث الثاني : منهج المؤلف في تفسيره .

و سيكونُ من خلالِ العناوينِ التالية:

١- تفسير القرآن بالقرآن .

٢- تفسير القرآن بالسنة.

٣- القراءات

٤- أسباب النّزول

٥- الناسخ و المنسوخ

٦- **الإسرائيليات**

٧- **عنايته بعلم الوقف و الابتداء**

٨- **مسائل الفقه في تفسيره**

٩ – **الجانب اللغوي**

المبحث الثالثُ: مزايا الكتابِ و المآخذُ عليه.

المبحث الرابع: مصادِرُهُ.

المبحث الخامس: نُسخ الكتاب المخطوطة و أَماكنُ وجودها.

القسم الثاني: النصّ المحقق :

((من أول الكتاب إلى نهاية سورة البقرة))

و قد كان عملي فيه على المنهج التالي:

١ – نسخ النصّ من المخطوطة والتحرِّي في إخراجِ نصِّ الكتاب ، و تصحيح ما حرّفه الناسخ أو صحّفه مع بيان ذلك و توضيحه.

٢ – إضافة علامات الوقف من النّقط و الفواصل .

٣ – تخريج و عزوُ الآياتِ إلى مواضِعِها مع إضافة رقم الآية و اسم السورة بين قوسين بعد الآيات مباشرةً تسهيلاً على الناظر و تخفيفاً من الهوامش.

٤ – تخريجُ الأحاديثِ وعَزوها إلى من أَخرجها من أصحاب الكتب المسندة وغيرهم من أصحاب المسانيد و السنن ، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما لم أتعرّض للحكم عليه اكتفاء بتصحيح صاحبي الصحيحين.

وإن كان في غيرها فأجتهد في الحكم على أسانيدِها بقدر الوسع معتمداً على كلام المخرّجين للأحاديث من الحفاظ متقدّميهم و متأخريهم و مقدّماً كلام الحفاظ المتقدّمين متى ما عثرتُ عليه كأحمد و ابن المديني ثم البخاري و مسلم و أبي حاتم و أبي زرعة و أضرابهم ، و قد أكتفي في بعض الحالات بتخريج الحديث وبيان ثقةِ أو ضعفِ بعض رجاله الذين يدورُ عليهم السند لمعنى يعرض لي ولاجتهادٍ ينقدح في ذهني .

٥ – وثّقتُ ما ينقلُهُ المصنِّف عن كُتُب المفسّرين كالطبري و غيره و ما ينقله عن علماء معاني القرآن كالزجاج و ابن النحاس بعزوه إلى مواضعه من كتبهم؛ واجتهدتُ في توثيق نقولُ الكتابِ عامّةً عمّن يسمِّيهم من السلف و العلماء.

٦ – علّقت على الكتاب في كثيرٍ من المواطن مرجِّحا أو معلِّلا أو موضِّحا؛ ومبيّنا غُموض عبارة أو وهاء قول، أو مقارناً بين نقل المصنف و نقل غيره.

٧ – شرحتُ غريب ألفاظَ الكتاب .

٨ – عزوتُ القراءات إلى كتب القراءات المعتمدة و المشهورة ،و قد أكتفي في القراءت الخارجة عن القراءات الأربعة عشر وبخاصة المروية عن الصحابة والتابعين بالعزو إلى مشهور كتب التفسير وعلوم القرآن مقدِّما كتب التفسير المسندة.

١٠ – عزوتُ الأشعارَ إلى دواوين الشعراء وكتب اللغة و الأدب المعتمدة، وشرحت ماتيسر مع ضبط المُشْكل بالشكل.

١١ – عرّفت بمن أرى أنه يحتاج إلى تعريفٍ به من الأعلام من العلماء وغيرهم ،و تركتُ ما أرى أنه لا يحتاج لتعريفٍ به تخفيفاً من الهوامش و تقليلاً من حجم الكتاب.

١٢ – أشرت إلى أرقام لوحات المخطوطة ، و جعلتها بين قوسين (٦٠ و) أو [و ٦٠].

و جعلت للبحث فهارس منوّعة مساعدة للباحثين.

- **فهرس الآيات القرآنية**
- **فهرس الأحاديث النبوية**
- **فهرس الآثار**
- **فهرس أسباب النزول**
- **فهرس الأشعار**
- **فهرس الأعلام**
- **فهرس الكلمات الغريبة المفسّرة**
- **فهرس المصادر و المراجع**
- **فهرس المحتويات**

القسم الأول: الدّراسة

و يشتمل على دراسةِ المؤلف وكتابِه

الفصل الأول:

ترجمة أبي القاسم عبد الكريم بن هَوَازِنَ القُشَيري

الفصل الأول:

ترجمة أبي القاسم عبد الكريم بن هَوَازِنَ القُشَيري وتشملُ سبعة مباحث:

- المبحث الأول:

اسمه، ونسبه ، وولادته ،و وفاته، وأسرته.

و تحته مطلبان :

– المطلب الأول: مصادر ترجمته، و اسمه، ونسبه، وولادته، و وفاته .

– المطلب الثاني: أسرته.

المبحث الثاني:

مكانته و الثناء عليه.

المبحث الثالث:

شيوخه ، وتلاميذه.

المبحث الرابع:

عقيدته .

المبحث الخامس:

أخباره.

المبحث السادس :

مصنفاته: المطبوعة ، و المخطوطة ، و المفقودة.

المبحث السابع:

شعره.

المبحث الأوّل

المطلب الأول : مصادر ترجمته، واسمه، ونسبه، و ولادته، ووفاته

ترجمة المصنف:

مصادر ترجمته:

تاريخ بغداد(١١/ ٨٣) ، دمية القصر(٢/ ٩٩٣-٩٩٨) ، كشف المحجوب: صـ ٣٨٢ وهـو لعثمان الغزنوي الهجـويري الـصوفي المتـوفى سـنة (٤٦٥ هــ) ، الـسِّياق في تـاريخ نيسابور للحـافظ عبـد الغـافر الفـارسي حفيـد المـصنف ورقـة:(٤٩ب - ٥١ ب) ، الأنـساب للـسمعاني(١٠/ ١٥٦) ، تبيـين كـذب المفـتري (٢٧١-٢٧٦) ، المنـتظم (٨/ ٢٨٠) ، الكامل(٨/ ١١٨) ، اللُّباب(٣/ ٣٨) في (قشيري) ، إنباه الرواة (٢/ ١٩٣) ، منتخب الـسياق للـصريفيني(٣٣٤ – ٣٣٥ :ترجمـة :١١٠٤) ، التقييـد لابـن نقطـة(ترجمـة:٤٦٨) ، وفيـات الأعيان(٣/ ٢٠٥-٢٠٨) ، طبقات الشافعية لابن الـصلاح (٢/ ٥٦٢) ، التـدوين في أخبـار قزوين للرافعي: ٣/ ٢١٠- ٢١٢ ، تاريخ الإسلام للذّهبي: ٣١/ ١٧٠ ، و في طبعة د/ بشار عواد لتاريخ الإسلام: ١٠ / ٢١٧ – ٢٢٠ ، سير أعلام النُّبلاء للذهبي(١٨/ ٢٢٧-٢٣٣) ، العبر(٣/ ٢٥٩) له أيضا ، تاريخ ابن الوردي: ٢/ ٥٢٤ ، دول الإسلام(١/ ٢٧٤) ، تلخيص ابن مكتوم(١١٤) ، مسالك الأبصار(٥/ ١/ ٨٩-٩١) ، مرآة الجنان(٣/ ٩١-٩٣) ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي(٥/ ١٥٣- ١٦٢) ، طبقات الشافعية للإسنوي(٢/ ٣١٣-٣١٥) ، البداية(١٢/ ١٠٧) ، عيون التواريخ وفيات سنة٤٦٥ هـ، فواتُ الوفيات(٢/ ٣٧١) ، طبقات الأولياء لابن الملقن(٢٥٧-٢٦١) ، طبقات الشافعية لابـن قـاضي شـهبه(١/ ٢٧٣-٢٧٤) ، النجوم الزاهرة (٥/ ٩١-٩٢) طبقات المفسرين للداوودي(١/ ٣٣٨-٣٤٦) ، مفتاح السَّعادة لطــاش كــبري (١/ ٤٣٩ و٢/ ١٨٦) شــذرات الــذهب(٣/ ٣١٩-٣٢٢) ، كــشف الظنـون(١٥٥١،١٢٦٠،٥٢٠) ، هديـة العـارفين(١/ ٦٠٧-٦٠٨) ، معجـم المطبوعـات لسركيس : (١ / صـ ١٥١٤) ،(١ / الرسالة المستطرفة(١٦٦) ، الأعلام للزركلي(٤/ ٥٧).

المصادر التي ترجمت للإمام أبي القاسم عبد الكَريم بنُ هَوَزِانَ القُشَيريّ كثيرةٌ ولكنّ أهمها:

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: (ت: ٤٦٣هـ). و دمية القصر للباخرزيّ، والسياق - ذيل تاريخ نيسابور -للحافظ عبد الغافر الفارسي حفيد المصنف – و هو من أجلاء المؤرخين وهو أهمّ كتابٍ ترجمَ لأبي القاسم، و تكمُن أهميته في أمورٍ منها :

١- أنه حفيدُ المصنِّف، و قد أدركه، و تتلمذ عليه كما سيأتي في ترجمته في مبحث أسرة المصنف.فهو أخبر من غيره بأحوال جدّه لأمّه، و قد طالتْ صحبتُه بعدَ و فاةِ جدِّه لأخواله أبناء أبي القاسم القشيريّ و هم من العلماء المشهورين، و ستأتي تراجمهم إن شاء الله.

وكان قد أدرك أيضا جدّته لأمّه زوجة أبي القاسم الشيخة المسنِدة فاطمة (١) (ت: ٤٨٠هـ) بنت الأستاذ الإمام الحسن بن علي بن محمد بن الدّقّاق الآتية ترجمتها وروى عنها كثيراً.

٢- شهرة مصنفه و جلالتة و كونه من كبار المؤرخين المعروفين و من ثقات المحدثين.

٣- شهرة و أهمية الكتابِ و بخاصّة بالنّسبة لمن أدركهم أو عاصرهم.

و لهذا اعتمد الحفاظ عليه في ترجمة أبي القاسم، فنقل منه الحافظ ابن عساكر ترجمة أبي القاسم القشيري، و كذلك من بعده كابن الصّلاح في طبقات الشافعية ، و ابن خلكان ثم إلى الحافظ الذهبي، و تاج الدِّين السبكي، وغيرهم ممن ترجم للمصنِّف.

و قد بقيت لنا ترجمة المصنّف فيما بقي من كتاب السِّياق، و أهمّ كتابٍ لدينا بعد كتاب السياق طبقات الشافعية لابن الصلاح ثم تاريخ الإسلام للذهبي ثمّ طبقات الشافعية لابن السبكي.

اسمُه و لقَبُه و كُنيتُه:

---

(١) ترجمتها في: المنتخب : (رقم: ١٤٣١) ، التقييد لابن نقطة: ٢/ ٣٢١ ، تاريخ الإسلام: ٣٢/ ٩٦ ،سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٤٧٩ ، العبر: ٣/ ٢٩٦

هو زينُ الإسلامِ أبو القاسِم عبد الكَريم بنُ هَوَزِانَ بن عبدِ الملِك بنِ طلْحةُ بن محمد القُشَيريّ، الفقيه، الأصوليّ، الواعظُ المشهور، النَّيسَابُوريّ، الشَّافعي. (٣٧٦ – ٤٦٥ هـ).

نسبه:

أصله من ناحية أُستُوا [1] من أعمال نَيسابور من العرب الذين، وردوا خراسان وسكنوا النواحي ، وهو قُشَيري [2] الأب، سُلمي الأم، وخاله أبو عقيل السلمي من وجوه ناحية أُستُوا، توفي أبوه وهو طِفل [3] .

مولده:

اتفقوا على أنّ مولده كان سنة : ٣٧٦هـ. قال الخطيب : (سَألتُ القُشَيري عن مولده فقال: في ربيع الأول من سنة ستٍّ وسبعين وثلاثمائة) . [4]

وقال الذهبي في السِّير: ولد سنة خمسٍ وسبعين وثلاث مئة.

و الخطب في هذا يسير، لكنّ الراجِح القول الأوَّل لأنّ الخطيب قد بيّن أنه سأله عن تاريخ ولادته فأخبره به ، و لأنه قولُ حفيده صاحب السّياق في تاريخ نيسابور.

---

(1) قال ابن خلكان : (أُستُوا: بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضمِّ التاء المثنَّاة من فوقها أو فتحِها وبعدَها واوٌ ثمّ ألف، وهي ناحيةٌ بنيسابورَ كثيرةُ القُرى، خرج منها جماعة من العلماء)اهـ. ٣/ ٢٠٨ و معجم البلدان: ١ / ٢٤٣، و مراصد الاطلاع: ١/ ٧١ ، و فيهما الاقتصار على الضمّ.

(2) بضم القاف وفتح الشين المعجمة وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين وفي آخرها الرَّاء، هذه النّسبة إلى بني قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، قبيلةٌ من العرب ينتسب إليها كثير من المشاهير منهم الإمام مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح : الإكمال لابن ماكولا: ١/ ٤٣٩، والأنساب ٤ / ١١١ ، اللباب: ٢/ ١١٣، مفتاح السعادة: ٢/ ٨٩ .

(3) ذكر هذا كله حفيده في السياق: ورقة ٥٠ و نقله الصَّريفيني في المنتخب، و هو في كثير من مصادر ترجمته المبينة.

(4) تاريخ بغداد:١١ / ٨٣

وفاته: اتفقوا على أنه توفي سنة (٤٦٥هـ) رحمه الله .فعاش على هذا تسعاً و ثمانين سنة، وقال الإمام الذَّهبيّ : (عاش تسعين سنة (١))اهـ. و هذا بناء على ما ذكره هو من أنّ مولده سنة ٣٧٥هـ. كما تقدّم.

خبر غريب ذكروه في ترجمَتِهِ:

ذكر حفيدُهُ الحافظُ عبدُ الغافر (٢) و ابن الجوزي (٣) والذهبي وغيرهم قالوا : ومن عجيب ما وقع أنّ الفرس التي كان يركبُها كانت قد أُهدِيتْ إليه، فركِبها عشرينَ سنةً لم يَركَبْ غيرها، فذُكِر أنها لم تعتلِف بعد وفاته، وتلِفَتْ بعد أسبوعٍ.

قلتُ:وهذه القصة ذكرها جماعة من العلماء في ترجمته فرأيتُ أنْ لا أدع ذكرها ، فإنها ممكنة فالوفاء في بعض الحيوانات ممكنٌ و قد بين من ذكرها أنها قصة عجيبة و مثل هذه القصص العجيبة، لا أرى أن تحذف لمجرّد ما فيها من خبر مستغرب عجيب ما لم يلزم منها ما لا يجوز شرعاً.

المطلب الثاني: أسرته:

منّ الله على أبي القاسم القُشَيريّ ببيئة علمية صالحة ، فزوجته من الصّالحات المشهورات من حفظة القرآن ، ووالدها شيخ مشهور بالفضل، و الصلاح، و العلم، ثمّ رزقه الله بأبناءَ نجباء من أهل العلم و الصلاح ستأتي تراجمهم . و كان لأهل بيت القُشَيريّ منزلة كبيرة في عصرهم، و قد نبغ فيهم جماعة من العلماء المذكورين، و من المسنِدين المعمّرين المشهورين .

فحين نطالِع كتب التراجم نجدُ في أبناءِ أبي القاسم القشيري و في أحفاده جماعةً من المشهورين ، و من أراد استيعابهم فعليه بمشيخات القرن الخامس و السادس، فسيرى جمعاً منهم في التحبير للسمعاني، وفي شيوخ الحافظ ابن عساكر وغيرهم. وسأجملُ القول في تراجم أبنائه ، و بعض المعروفين من أقاربه .

---

(٢) سير النبلاء: ١٨/ ٢٣٢

(٢) طبقات ابن الصلاح: ٢/ ٥٦٨ .

(٣) المنتظم: ٨/ ٢٨٠

و قد ذكر الحافظ ابن السَّمعاني (١) أنّ بيتَ أبي القاسم القشيري بيتُ العلم، والحديث، والتصوّف. و السَّمعاني من العارفين بهم لقرب عهده بهم و لأنّ بعضهم من شيوخه ،وستأتي عبارته قريبا في ذلك .

زوجته: أمّ البنين الشيخة المسنِدة فاطمة (٢) بنت الأستاذ الإمام الحسن بن علي بن محمد بن الدّقّاق (٣) ، نَشَأَتْ في بيتِ علمٍ و عبادة ، وكانت عابدةً، قانتة، متهجّدة، متبتّلة.

ولدت سنة: ٣٩١ هـ و توفيت: سنة ٤٨٠هـ. في ثالث عشر ذي القعدة، و أنجبت منه ستة أولادٍ أربعةً من الذكور وابنتينِ، قال حفيدها ابن ابنتها الحافظ عبد الغافر الفارسي (٤) :

(لم يُرَ نظيرُها في سيرتها من العهود السالفة الماضية ... ورُزِقت الأولاد الستة من الذكور والإناث أفرادَ عصرهم ... عاشت في الطّاعة تسعين سنة)اهـ. باختصار .

و قد قيل في وصفها و الثناء عليها عبارات منها قولهم :

كانت فخرَ نساءِ عصرها، ولم يُر نظيرها في سيرتها، وكانت عالمة بكتاب الله، فاضلة.سمعت من أبي نُعيم الإسفراييني ، و الحاكم أبي عبد الله الحافظ وغيرهم ، وخُرِّجت لها الفوائد وقرئ عليها الكثير. و ممن أثنى عليها الحافظُ عبد الغافر الفارسي و الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام و في سير النبلاء و أثنى عليها غيرهم.

أولاده:

قال ابن السّمعاني (٥) : (وأولاده: أبو سعد عبد الله، وأبو سعيد عبد الواحد، وأبو منصور عبد الرحمن، وأبو نَصْر عبد الرحيم، وأبو الفتح عبيدالله، وأبو المظفر عبد المنعم، حدّثوا جميعاً

---

(١)التحبير للسمعاني: ١/ ٥١

(٢) ترجمتها في: المنتخب : (رقم: ١٤٣١) ، التقييد لابن نقطة: ٢/ ٣٢١ ، تاريخ الإسلام: ٣٢/ ٩٦ ،سير النبلاء: ١٨/ ٤٧٩ ، العبر: ٣/ ٢٩٦

(٣) الحسن بن علي بن محمد الأستاذ أبو علي الدّقّاق النيسابوري توفي سنة سنة: خمس وأربعمائة. و ستأتي : صـ ٤٠ في شيوخ المصنف .

(٤) المنتخب من السياق : (رقم: ١٤٣١).

(٥) الأنساب: ٤/ ٥٠٣

بالكثير.روى لي عن الأستاذ قريبٌ من خمسة عشر نفساً، وعن أولاده الثلاثة الأُوَل جماعة كثيرة، وأدركتُ أبا المظفَّر، وقرأتُ عليه الكثير)اهـ. و هذه عبارة مهمة من الحافظ السمعاني.

و هذه تراجم أبناء المصنف على وجه الإيجاز:

١- **عبد الله بن عبد الكريم أبو سعد** -بلا ياء - و هو أكبر إخوته الذّكور مولداً

(٤١٤- ٤٧٧ هـ) (١) عـاش بعد أبيه ثلاث عشرة سنةً، وعاشت أمُّـه فاطمة بنت الشيخ أبي علـي الدقّـاق بعدهُ أربعةَ أعوامٍ، و توفّي وعُمْره أربعٌ وستُّونَ سنة . قالوا : وكان والـده يعامله معاملة الأقران ، ويحترمه لِما يراه عليه مِن الطريقة الصالحة. و هو إمام كبير أثنوا عليه عِلماً وخُلقاً وديانةً، و وصفوه بالفقه ، سمِعَ أبا بكر الحِيرِي، وأبا سعيد الصَّيرفي، وطائفة، وببغداد من القاضي أبي الطّيب، والجوهري و غيرهم.

قال ابن أختِه الحافظ عبد الغافر الفارسي (٢) : (كان رضيعَ أبيه في الطَّريقة، وفخرَ ذويه وأهله على الحقيقة، وأكبرَ أولادِ زين الإسلام المذكور من لا ترى العُيون مثلَه في الدُّهور ذو حظٍّ وافر من العربية، كان يذكرُ دروساً من الأصول، والتّفسير بعبارة مهذَّبة)اهـ.

لم يذكر مترجموه أنّ له كتباً، و كلام المؤرخين الذي اطلعت عليه في ترجمتهم له منقولٌ في غالبه من كلام الحافظ عبد الغافر الفارسيّ.

٢ - **عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن القُشَيريّ** أبو سعيد بالياء(٣) (٤١٨- ٤٩٤ هـ) ،وهو ثاني إخوته الذّكور مولداً، نشأ في العلم والعبادة و كان مقتدراً على النظم والنثر بليغاً ،

---

(١)ترجمته في: السياق لابن أخته الحافظ عبد الغافر الفارسي: ٥٢أ- ب، منتخبه: (رقم: ٩٣٤) ، سير النبلاء: ١٨/ ٥٦٢،و السُّبكي: ٧/ ١٢٥ ،و الإسنوي: ٢/ ٣١٦ ، و العبر ٣ / ٢٨٧،و شذرات الذهب ٣ / ٣٥٤.

(٢): السياق: ٥٢أ- ب، ومنتخبه: (رقم: ٩٣٤).

(٣) السياق: ورقة: ٥٢ في الطبقة الثالثة، أنساب السمعاني: ١٠/ ١٥٦ ، منتخب السياق: (١١١٩)، ذيل تاريخ بغداد: ١/ ١٤٧ (مج١٦ من المطبوع مع تاريخ بغداد)،طبقات الشافعية لابن الصلاح: (رقم: ٢١٧) و العبر: ٣/ ٣٣٩ ، السبكي: ٥/ ٢٢٥ –٢٢٨ ، الإسنوي: ٢/ ٣١٧–٣١٨ وترجمته هنا مأخوذةٌ من السِّياق و منتخبه.

خطب قريباً من خمسة عشر سنةً ينشأ في كلّ جمعةٍ خطبةً جديدة جامعة للفوائد لا يكرّر منها شيئاً (١) . قال عبد الغافر: (أوحد عصرهِ فضلاً ، و نفساً و حالاً) (٢) اهـ.

وذكروا أنه كان قويّ الحفظ جداً و أنّه قد أخذ من الأدبِ بحظٍّ وافر، ثم اقتبسَ من فوائد والدِه واقتدى بحركاته وسكَناته، وحفِظَ كتابَ الله تعالى، وكان يتلوهُ دائما، وصار في آخر عمره سيد عشيرته . حكى ابن السمعاني أبو سعد عن أبيه الإمامِ أبي بكر أنّه قال فيه: (شيخُ نيسابورَ علماً، وزُهداً، وورعاً، وصيانةً، لا بل شيخُ خراسانَ، وهو فاضلٌ مِلْءَ ثوبه، وورعٌ مِلْءَ قلبِه، لم أرَ في مشايخي أَورعَ منهُ وأشدَّ اجتهاداً)اهـ. (٣)

٣ - **أبو منصور عبد الرَّحمنِ بن عبد الكريم** (٤٢٠ - ٤٨٢ هـ) (٤) ، و هو ثالثُ أبنائه الثلاثة من ابنة شيخه الإمام الحسن بن علي الدّقاق الآتي ذكره، يقول ابن أخته الحافظ عبد الغافر الفارسي : إنه كان ليلاً و نهاراً مع إخوته منذ صغرهم منَصْرفين إلى الإقبال على العلم و الاشتغالِ بالعبادة، كما يصفه بأنه كان عفيف النفس قصيرَ اليدِ عما تغلب عليه الشّبهُ محتاطاً في المطعم و المشرب (٥) قال أبو سعد السّمعاني (٦) : (كان حسن السيرة ، فاضلاً ورعا، عفيفا، محتاطا في مطعمِه وملبسِه ، مستوعِبَ الوَقتِ بالخَلوةِ، و العِبادةِ، مستغرِقَ الأوقاتِ بالخلوة، وكتب الكثيرَ)اهـ. باختصار.

ومضى إلى مكة وجاور بها وبها مات.

---

(١)السياق: ورقة: ٥٢ .

(٢) السياق: ورقة: (٥٢).

(٣) طبقات الفقهاء الشافعية للإمام تقي الدين ابن الصلاح: ٢/ ٥٧٧.

(٤) السياق: ورقة: ٤٤ ، منتخب السياق: (ت: ١٠٤١)،طبقات ابن الصلاح: ١/ ٥٣٣ (١٩٨) ، السُّبكي: ٥/ ١٠٥- ١٠٦ ، الإسنوي: ٢/ ٣١٦ ، العقد الثمين: ٥/ ٣٧٩

(٥) السياق: ورقة: ٤٤ أ.

(٦) طبقات ابن الصلاح: ١/ ٥٣٣

٤- **أبو نَصْر عبد الرَّحيم بن عبد الكريم** [(١)] و هو الرابع من أولادِه، وأشبهُهُم بـه خَلْقـاً وأشهرُهُم وأكثرُهم تصانيفَ، و من كتبه تفسيره الذي ينقلُ منه الإمـام القرطبـي في مواضـع كثيرة، و سيأتي ذكر تفسيره هذا في وصف مخطوطاتِ تفسير والده أبي القاسم القشيري .

قال الإمام ابن الصَّلاح : (أَعلى أولادُ الأستاذِ أبي القاسـم القُـشَيريّ في العِلـم محـلاّ ، و إنْ لم يكن أكبرهم سنا)اهـً.

و ذكروا أنّه كان من كبارِ أصحاب أبي المعالي الجوينيّ.

قال الذّهبي:(الشيخ الإمام، المفسر العلامة، أبو نَصْر عبدالرحيم بن الإمام شيخ الصوفية أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القُشَيريّ النيسابوري، النحوي المتكلم، وهو الولد الرابـع مـن أولاد الشيخ.اعتنى به أبوه، وأسمعه، وأقرأه حتى بـرع في العربيـة والـنظم والنثـر والتأويـل، وكتب الكثير بأسرع خطّ، وكان أحدَ الاذكياء، لازم إمام الحـرمين، وحـصَّل طريقـة المـذهب والخلاف، وساد، وعظم قدره، واشتهر ذكرُهُ)اهـ. (٢)

قال عبد الغافر في " سياقه "(٣) : (هو زين الإسلام أبو نَصْر عبدالرحيم، إمام الائمة، وحـبر الأُمَّة، وبحر العلوم، وصدر القُروم، أشبههم بأبيه خَلقا، حتى كأنـه شُـقَّ منـه شـقًّا، كمُـل في النظم والنثر، وحاز فيهما قصب السّبق، ثم لـزم إمـام الحـرمين، فـأحكم المـذَهب والأصـول

---

(١)ترجمته في السياق: الورقة: ٤٦ ، منتخب السياق: (رقم: ١٠٦٩)، الأنساب: ١٠ / ١٥٦، تبيين كـذب المفتري: ٣٠٨، المنتظم: ٩ / ٢٢٠ - ٢٢١، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للدمياطي: ١/ ١١٩ تـاريخ ابـن الأثير: ١٠ / ٥٨٧، طبقات ابن الصلاح: ١ / ٥٤٦ (رقم: ٢٠٤) ، وفيات الأعيـان: ٣/ ٢٠٧ - ٢٠٨ مع ترجمة أبيه، سير النبلاء: ١٩ / ٤٢٤ ، العبر: ٤ / ٣٣، المستفاد من ذيـل تـاريخ بغـداد للـدمياطي : ٢ / ١١٩ ، تتمة المختصر: ٢ / ٤٥، فوات الوفيات: ٢ / ٣١٠ - ٣١٢، عيون التواريخ: ١٣ / الورقة: ٣٨٧ - ٣٨٩، مرآة الجنان: ٣ / ٢١٠، طبقات السبكي: ٧ / ١٥٩ - ١٦٦، طبقات الإسنوي: ٢ / ٣٠٢ - ٣٠٣، فوات الوفيات: ٢/ ٣١٠ ، طبقات ابـن قـاضي شـهبة: ٣٠ / ١، طبقـات المفـسرين للـسيوطي: ١٨- ١٩ ،طبقات المفسرين للداوودي:١ / ١٥٦ ، طبقات ابن هداية الله: ٧٣، شـذرات الـذهب: ٤ / ٤٥، إيـضاح المكنون: ٢ / ٦٠٦، هدية العارفين: ١ / ٥٥٩.

(٢) سير النبلاء: ١٩/ ٤٢٤

(٣) السياق: الورقة: ٤٥ ب و منتخب السياق: (١٠٦٩ صـ ٣٢٤)

والخلاف، ولازمه يقتدي به، ثم خرج حاجّا، ورأى أهـل بغـداد فـضله وكمالـه، ووجـد مـن القبول ما لم يُعهد لأحد، وحضر مجلسَه الخواصُّ، وأطبقوا على أنهم ما رأوا مثله في تبحُّره)اهـ. باختصار .

وسمع أباه، وأبا عثمان الصّابوني، وأبا الحسين الفارسي، وأبا حفص بـن مـسْرور، وأبـا سـعد الكنجروذي، وأبا بكر البيهقي الحافظ، وأبا الحسين بن النَّقُور، وأبا القاسم الزَّنجاني، وغيرهم بخراسان والعراق والحجاز، وحدَّث بالكثير .

روى عنه سبطه أبو سعد عبد الله بن عمر الصفَّار ، وأبو الفتوح الطائي، وخطيب الموصل أبو الفضل الطوسي، وغيرهم، وأبو سعد الصفار آخر من حدَّث عنه.

ولأبي نَصْر فتنة مع الحنابلة في بغداد ، فإنه كان له مكانة كبيرة ، و كان واعظاً له أتباعـه و كـان متعصّباً للأشاعرة.

قال ابن خلكان (١) : (وجرى له مع الحنابلـةِ خـصامٌ بـسبب الاعتقـادِ لأنـه تعـصَّبَ للأشـاعرة، وانتهى الأمر إلى فتنةٍ قُتِل فيها جماعة من الفريقين، وركِب أحدُ أولاد نِظَام الملك حتـى سـكَّنها،وبلغ الخبرُ نِظام الملك وهو بأصبهان، فسيَّر إليه و استدعاهُ فلمَّا حضر عنده زاد في إكرامـه ، ثـم جهَـزه إلى نيسابور فلمَّا وصلها لازم الـدرس والـوعظ إلى أن قـارب انتهاء أمره)اهـ. و قال الذهبي: (وحـجّ، فوعظ ببغداد، وبالغ في التعصُّب للأشاعرة ، والغضّ مـن الحنابلـة)اهــ. (٢) ولـيس هـذا البحـثُ بحاجةٍ للدُّخول في تفاصيلها، فإنها طويلة ولا تعلّق لها بترجمة والده.و إنما ذكرتها لأنّها فتنة مـشهورة و من يسمع بها فقد يظنها مع والده أبي القاسم القشيري، و إنما وقعـت هـذه الفتنـة بعـد وفـاة أبي القاسم بزمانٍ مع ابنه أبي نصر هذا (٣). نـسأل الله أن يغفـر لنـا ولـمـن سـبقنا بـالإيمان مـن إخواننـا المسلمين .

---

(١) وفيات الأعيان: ٣/ ٢٠٨

(٢)سير أعلام النّبلاء: ١٩/ ٤٢٤

(٣)ينظر تفصيل ذلك في: تاريخ ابن الأثير: حوادث سنة: (٤٦٩هـ) ٨/ ١٢٤ و " ذيل طبقات الحنابلـة " ١ / ١٩ - ٢٢، و " طبقات " السبكي ٣ / ٣٨٩ وما بعدها.

توفي أبو نَصْر في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وخمس مئة .

٥- عبيد الله بن عبد الكريم بن هوازن أبو الفتح القُشَيريّ النيسابوري (٤٤٤- ٥٢١ هـ) . (١) ذكروا أنّه كان فاضلاً مشتغلاً بالعبادة و العلم ، كثير المحفوظ، له مصنفات في الطريقة و مجموعات ،وسكن إسفرايين إلى حين وفاته.

نقل ابن النجار (٢) و ابن الصلاح (٣)عن بعض المؤرّخين قوله في الثناء عليه و تقريظه: (خامس الإخوة وأحسنهم خُلقا وأظرفهم شمائل وأكثرهم مخالطة مع الصوفية والترسم برسمهم والتحقق في صفاتهم والتخلق بأخلاقهم تحقيقا لا ترسماً ومجازاً)اهـ.

وقال ابن السمعاني (٤) : (من بيت العلم، والحديث، والتصوف، عمّر العمر الطويل، وحدَّثَ بالكثير) اهـ . و قد سمع الحديث من والده، وأبي عثمان سعيد بن محمد البحِيري ، وأبي حفص بن مسرور وغيرهم . توفي سنة إحدى وعشرين وخمسمائة .

٦ – عبد المنعم بن عبد الكريم أبو المظفّر (٤٤٥ – ٥٣٢ هـ)، أصغر أولاد أبي القاسم القُشَيريّ ، إمام، مسند ، ظريفٌ ، مرضي السيرة (٥) . و هو عالي السند من المعمّرين فقد بّكر به أبوه و أخوه أبو نصر في سماع الحديث و طلب العلم و الرحلة ثم عمّر العمر الطويل و لهذا قال الإمام ابن الصّلاح (٦) : (هذا أصغرهم سنّاً ، و آخرهم موتاً، و أبقاهم في رواية الحديث ذكراً)اهـ. سمع أباه، وأبا

(١) ترجمته في: التحبير للسمعاني: (رقم: ٣٤٠) ، طبقات الشافعية لابن الصلاح: ٢/ ٥٨٥،منتخب السياق: (رقم: ٩٨٩) و ذيل تاريخ بغداد: ٢/ ٥٣ – ٥٤ و السبكي: ٧/ ٢٠٧ .

(٢) ذيل تاريخ بغداد: ٢/ ٥٤

(٣) طبقات الشافعية لابن الصلاح: ٢/ ٥٨٥

(٤)التحبير للسمعاني: ١/ ٥١

(٥) ترجمته في: السياق: ٥٨ ب ، و منتخبه (رقم: ١٢١٢) ، الأنساب: ١٠ / ١٥٦، المنتظم: ١٠ / ٧٥، التقييد: ٢/ ١٤٩ (٤٨٤)، طبقات الشافعية لابن الصلاح: ٢/ ٥٧٣ (رقم: ٢١٤)، ذيل تاريخ بغداد لابن النجّار– في آخر تاريخ بغداد –: ١٦/ ٩٢ ، سير النبلاء: ١٩/ ٦٢٣ – ٦٢٥ ، العبر: ٤ / ٨٨، طبقات السبكي: ٧ / ١٩٢ – ١٩٣، طبقات الإسنوي: ٢ / ٣١٨ – ٣١٩، البداية والنهاية: ١٢ / ٢١٣، شذرات الذهب: ٤ / ٩٩.

(٦) طبقات الشافعية لابن الصلاح: ٢/ ٥٧٣ (رقم: ٢١٤)

عثمان سعيد بن محمد السُّميري، وأبا سعد محمد بـن عبـد الـرحمن الكنجـروذي، وأحمـد ابـن إبراهيم المقرئ، وأحمد بن منصور بن خلف المغربي، وأحمـد بـن الحـسين بـن عـلي البيهقـي و غيرهم. وحجّ بعد وفاة والده. وسمع ببغداد من أحمد بن محمد بن النَّقُّـور، وعبـد البـاقي بـن محمد بن غالب العطّار وعبد العزيز بن علي الأَنماطي وغيرِهِمْ وحدّث ببغـداد بـالكثير، وعـاد إلى نَيْسابور، وبقي يحدِّث بها أكثر من عشرين سنة.

قال ابن النجّار [١]عن أبي سعْد السّمعاني: (نَشَأَ طِفلاً في حِجرِ أخيه أبي نَـصْر ، منظـوراً مـن والدِه بالاهتمام ، ثمّ خرجَ بعد وفاة أبيه للحـجّ مـع أخيـه أبي نَـصْر ، ولـزِمَ البيـت، واشـتغل بالعِبادة، وكتابة المصاحف، وكان لطيفَ المعاشرة ظريفاً كريماً ، خرّج له أخوهُ أبو نَـصْر فوائـد في عشرةِ أجزاء عن أربعين شيخاً، سُمِعتْ منهُ)اهـ.

توفي- رحمه الله- سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة.

و من أحفاد أبي القاسم القشيري:

الحافظ أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي (٤٥١ – ٥٢٩هـ)

وهو ابن ابنة الإمام أبي القاسم القُشَيريّ فقد كان لأبي القاسم بناتٌ مـنهنّ ابنتـه أَمَـة الـرحيم والدةُ الحافظ أبي الحسَن عبد الغافر الفـارسي، ورد لهـا ذكـرٌ في ترجمـة ابنهـا، فقـد قـرأ عليهـا وعَدّوها في شيوخه . فأولاً من هو الحافظ الأديب البارع عبد الغـافر الفـارسي الـذي اعتمـد عليه الأئمة في ترجمة جدّه القُشَيريّ و أخواله آل القُشَيريّ اعتماداً كبيراً ؟

لقد اعتمدوا على كلامه لقرابته منهم، و لمعرفته بـأحوالهم، و لجلالتـه، و لمنزلـة تاريخـه الـذي جعله ذيلا لتاريخ نيسابور للحاكم.

(١) ذيل تاريخ بغداد لابن النجّار- في آخر تاريخ بغداد -: ١٦/ ٩٢ و ذكر بعضه الذهبي في سير النبلاء: ١٩/ ٦٢٤ .

إنه لحريٌّ بنا و نحن نذكر أسرة القُشَيريّ أنه نخصّه بترجمةٍ لأنّه من أعلام تلك الأسرة العريقة المشهورة، ثمّ هو أيضاً من تلاميذ أبي القاسم القُشَيريّ ،أدرك مِن حياة جدّه زمناً ، وهو شابٌّ مميزٌ مجدٌّ في طلب العلم فقد كان له من السنّ يوم توفّي جده قرابة (١٤ عاماً) .

و هذه ترجمة الحافظ عبد الغافر الفارسي حفيد المصنِّف (١).

اسمه : أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد بن محمد بن سعيد الفارسي .

و هو أيضاً فقيه عالم ؛ وقال ابن خلكان : كان إماماً في الحديث والعربية (٢)، ووصفه الإمام الذهبي: بالإمام البارع الحافظ ، وبأنه كان فقيها محقّقا، وفصيحاً مفوَّها، ومحدِّثا مجوِّدا، وأديباً كاملا (٣).

و قد احتاج الحفاظ المتقدّمون إلى تاريخه فنقل منه الحافظ ابن عساكر و هو يقول كتب إليّ (٤) و نقل منه من دونه كابن خِلّكان فأكثر النقل منه، و نقل منه غيره و هكذا إلى عصر الحافظ الذهبي .

قرأ رحمه الله القرآن الكريم، ثم تفقّه على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني ولازمه مدّةَ أربع سنين – وسمع عليه الحديث الكثير، وعلى جدته فاطمة بنت أبي علي الدّقاق وخاليهِ أبي سعد وأبي سعيد ولدي أبي القاسم القُشَيريّ، ووالده الحافظ أبي عبد الله إسماعيل بن عبد الغافر ،ووالدته أَمَة الرحيم ابنة أبي القاسم القُشَيريّ وجماعة كثيرة سواهم.

---

(١)ترجمته في: التحبير ١ / ٥٠٧ – ٥٠٩، آخر منتخب الصريفيني: (١٦٧٨) ،وفيات الأعيان ٣ / ٢٢٥، سير النبلاء: ٢٠/ ١٦ ، العبر ٤ / ٧٩، تذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٧٥، طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي: ٤/ ٤٧ ،مرآة الجنان ٣ / ٢٥٩، طبقات السبكي ٧ / ١٧١ – ١٧٣، طبقات الإسنوي ٢ / ٢٧٥، ٢٧٦، كشف الظنون: ٣٠٨، ١٦٠٢، شذرات الذهب ٤ / ٩٣، هدية العارفين ١ / ٥٨٧، تاريخ بروكلمان ٦ / ٢٤٥، ٢٤٦ (النسخة العربية).

(٢) وفيات الأعيان: ٣/ ٢٢٥

(٣) سير النبلاء: ٢٠ / ١٧

(٤) ينظر على سبيل المثال فقط: تبيين كذب المفتري: صـ ٢٥٨

ثم خرج من نيسابور إلى خوارزم ، ثـم خـرج إلى غزنـة ومنهـا إلى الهنـد، وروى الأحاديـث، وقرئ عليه كتاب جدِّهِ :لطائف الإشارات بتلك النّواحي، ثم رجع إلى نيسابور وولي الخطابـة بها، وأملى بها في مسجد عقيل أعصار يوم الاثنين سنين، ثم صنف كتباً عديـدة منهـا " المفهـم لشرح غريب صحيح مسلم " و " السياق لتاريخ نيسابور " وفرغ منـه في أواخـر ذي القَعْـدة سنة ثماني عشرة وخمسمائة، وكتاب " مجمـعِ الغرائـبِ " في غريـبِ الحـديث، وغـيرِ ذلـك مـن الكُتُب المفيدة.

وكانت ولادته في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، وتوفي في سنة تسع وعشرين وخمسمائة بنيسابور، رحمه الله تعالى. (١)

خال المصنف أبو عَقيل السُّلمي:

- ومن قرابات الإمام أبي القاسم القُشيريّ خاله: أبو عَقيل السُّلمي. واسمُهُ عبد الرحمن بـن محمد بن سليمان بن أحمد،الأُستُوائي (٢) . ويعرف بالمائقي. أفاد عبد الغافر الفـارسي(٣) أنـه نبيلٌ مشهورٌ ثقة ، أصيلٌ. من العرب الذين سكنوا النواحي ، وأَصلُه من بني سُلَيم روى عن: الأصمّ، وأقرانه. روى عنه: ابن أخته زين الإسلام أبو القاسم القُشَيريّ، (ت: ٤١٤هـ).

و من أحفاد الإمام القُشَيريّ المشهورين:

هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن هـوازن بـن محمـد بـن عبـد الملـك بـن طلحـة القُـشَيريّ، أبـو الأسـعد القُـشَيريّ النّيـسابوري (٤٦٠ – ٥٤٦ هــ)(٤)، خطيـب نيـسابور

(١)ما ذكرته هنا فمن وفيات الأعيان و سير أعلام النبلاء.

(٢) تقدّم الكلام على هذه النسبة في ترجمة المصنف.

(٣) المنتخب من السياق: (ت: ٩٩٦) .

(٤) التحبير : (ترجمة: ١٠٩١) ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: ١/ ٢٩٢ ، العبر: في حـوادث: سـنة سـت وأربعين وخمس مئة، لسان الميزان: ٧/ ٢٥٢ قلت: و ذكره الحافظ ابن حجر و ليس في أصله أعني الميـزان و لم يذكر فيه جرحاً سوى قول أبي سعد السمعاني : (قيل إنه ادعـى سـماع الرّسـالة مـن جـده، و غيرهـا مـن تصانيفه)اهـ. و ليس هذا بجزم من ابن السمعاني فأول كلامه فيه الثناء عليه ، السبكي: ٧/ ٣٢٩.

ومسنِدها ، حضر على جدِّه ، وسمع أباه، وعمّيه أبا سعد عبد الله، وأبـا منـصور عبـد الـرحمن ومن جدّته فاطمة بنت الدقّاق، ويعقوب بن أحمد الصيرفي وطائفة.

وروى الكتب الكبار " كالبخاري " و " مسند أبي عوانة " . وتوفي في شوال سنة ست وأربعين وخمس مئة عن سبع وثمانين سنة، و مولده في العشرين من جمادي الأولى سنة ستين وأربعمائة.

المبحث الثاني: مكانته و الثّناء عليه:

كان لأبي القاسم في عصره منزلة كبيرة ، وكان قد صَحِبَ بعض كبار علماء الشافعية في عصره و تتلمذ عليهم كما سيأتي، و توثقت صلته ببعض المشهورين منهم ممن كان لهم منزلة رفيعة و مكانة عند العامة و الخاصة مرموقة كأبي عبد الرحمن السلمي صاحب طبقات الصوفية و أحد تلاميذ الدارقطني (ت: ٤١٢هـ) و أبي بكر بن فورك (ت: ٤٠٦هـ) وأبي إسحاق الإسفراييني إبراهيم بن محمد (ت: ٤١٨هـ) وغيرهم.

و كان من أسبابِ شُهرتهِ كونه من كبار علماء الشافعية و من فقهائهم و أهل الأصول منهم، كما أنّه كان معروفاً بإمامة الصّوفية في بلده، و لاشتهاره بالوعظ و التذكير علاقة في بروز ه و اشتهاره أيضا .

و عبارات الثّناء الكثيرِ على أبي القاسم من جلَّةٍ من العلماءِ ممّن عاصرَهُ وممن جاء بعده فيها بيانٌ لمنزلته، و مكانته الكبيرة ،فمن عبارات العلماء في مدحه و الثناء عليه و توثيقه:

قول الحافظ الخطيب البغدادي : (حدَّث ببغداد وكتبنا عنهُ وكانَ ثقةً، وكانَ يعِظُ وكانَ حَسَنَ المواعِظِ مليحَ الإشَارةِ، وكان يعرِف الأُصولَ على مذهَبِ الأشعريّ، والفُروعَ على مذهبِ الشَّافعِي) اهـ. [١]

و قال الهجويري [٢]علي بن عثمان الغزنوي المتوفى سنة (٤٦٥ هـ.) و هو معاصرٌ لأبي القاسم: (الأُستاذ الإمام و زينُ الإسلام ، البديع في زمانه، و الرَّفيع في قدرِه. و منزلتُهُ كبيرةٌ و معلومةٌ لأهل زمانه ، و له من أحوالِهِ و أنواعِ فضله لطائف كثيرةٌ في كلِّ فنّ، و تصانيف نفيسةٌ كلّها محققةٌ ، و قد حفظَ الله تعالى حاله و لسانه من الحشو)اهـ.

---

(١)تاريخ بغداد(١١/ ٨٣)

(٢) كشف المحجوب: للهجويري الصوفي : صـ ٣٨٢. ينظر ترجمته في مقدمة تحقيق كتابه " طبعة دار النهضة العربية و كشف الظنون(١٤٩٤)،هدية العارفين (١/ ٦٩١) ،معجم المؤلفين (٢/ ٤٧٥).

وقال الحافظُ عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي : (الإمام الفقيه المتكلِّم الأُصولي المفسِّر الأديبُ النّحوي الكاتب الشّاعر، لسانُ عصره، وسيّد وقته ....شيخ المشايخ و أستاذ الجماعة....جمع بين علم الشريعة والحقيقة (١)وشرحَ أحسنَ الشَّرح أصولَ الطريقة) *اهـ باختصار.* (٢)

وقال أيضا : (لم يرَ مثلَ نفسِه ولا رأى الرَّاؤون مثله في كمالِهِ وبراعَتِهِ جمع بين الشّريعة و علمِ الحَقيقة) اهـ . (٣)

و نحو ذلك قال ابن السمعاني. (٤) قال ابن الصّلاح : (الفقيه الصوفيُّ، المفتنُّ في العلوم)اهـ. (٥)

وقال ابن خِلّكان: (كان علّامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف جمع بين الشريعة والحقيقة أصله من ناحية أُستُوا من العرب الذين قدموا خراسان توفي أبوه وهو صغيرٌ، وقرأ الأدب) (٦).

و قال ابن السمعاني (٧) : (أحد مشاهير الدنيا بالفضل والعلم والزهد)اهـ.

و قال أبو سعد السّمعاني أيضا: (كلّ من أتى بعده بنكتةٍ أو أعجوبةٍ في علمِ التصوّف فهو مسروقٌ من كلامه ، يوجد متفرّقاً في أطرافِ كلامهِ (٨))اهـ.

وقال الذهبي : (الإمام الزّاهد القدوة الأستاذ) (١) و قال أيضا: (كان عديمَ النظير في السلوك والتذكير، لطيف العبارة، طيّبَ الأَخلاق، غوّاصاً على المعاني (٢))اهـ.

---

(١) يعرّف أبو القاسم القشيري الشريعة بأنها أمرٌ بالتزام العبودية، قال : (و الحقيقة : مشاهدة الربوبية. ثمّ قال: و كلّ حقيقة غير مقيدةٍ بالشريعة فغير مقبول)اهـ. الرسالة القشيرية: صـ ١١٨ .و يقصدون بالحقيقة هنا معرفة علوم الصوفية و اصطلاحاتهم.

(٢) السياق: ورقة: ٤٩ ، منتخبه للصريفيني : منتخب السياق للصيرفي(ت :١١٠٤).

(٣) السياق: ورقة: ٥٠ .

(٤)نقله الإمام الذهبي في التاريخ و السير الموضع السابق و السبكي في طبقاته و غيرهما عنه.

(٥)طبقات ابن الصلاح: ٢/ ٥٦٢

(٦)وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان :٣ / ٢٠٥

(٧)الأنساب: ٤/ ٥٠٣

(٨) طبقات الشافعية لابن الصلاح: ٢/ ٥٦٥

و ذكره علي بن الحسن في دمية القصر و قال: (جامعٌ لأنواعِ المحاسِنِ، تنقـاد لـه صِـعابها ذُلَـلَ المَراسِنِ. فلو قُرِعَ الصَّخر بسوط تحذيره لذاب، ولو ارتبط إبليس في مجلس تذكيره لتاب. ولـه فصل الخطاب في فضل النُّطق المستطاب. ماهر في التكلُّم عـلى مـذهب الأشـعري، ... كلِماتـه كلُّها- رضي الله عنه- للمستفدينَ فوائدُ وفرائدُ، وعتباتُ منبرِهِ للعارفين وسائدُ. ثـم إذا عقـد بين مشايخ الصوفية حبوتَـهُ ورأوا قربتـه مـن الحـقّ وخطوتـه تـضاءلوا بـين يديـه، وتلاشَـوا بالإضافة إليه. وطواهُمْ بِساطُه في حَوَاشيه، وانقسَموا بين النَّظر إليه والتفكِير فيه)اهـ. (٣)

هذه بعض أقوال مشاهير العلماء في الثناء على المصنف، و فيها بيانٌ لمنزلته في عصره، ولمكانتـه عند العلماء.

و ذكر الإمام ابن السّمعاني خبراَ عن بعضِ شُيوخه فيـه: (أنـه حـضرَ الأُسـتاذ أبـو القاسـمِ مجلِس بعضِ الأئمة الكبار وكان قاضياً بمرو ،فلمّا دخل الأُستاذ قام القاضي على رأس الـسرير وأخذ مِخدَّة كان يستنِد عليها على السّرير، وقال لبعض من كان قاعداً احملها إلى الأستاذ الإمام ليقعُد عليها ، ثمّ قال أيها الناس حججتُ سنةً من السّنين، وكان قد اتفق أنْ حجّ تلـك الـسنة هذا الإمامُ الكبيرُ، وأشار إلى الأستاذ، وكان يُقال لتلك السَّنة سـنة القـضاةِ وكـان حـجّ تلـك السنة أربعمائة نفسٍ من قضاةِ المسلمين وأئمّتهم من أقطارِ البلدانِ وأقاصي الأرض وأرادوا أن يتكلّم واحدٌ منهم في حَرَمِ الله سبحانه وتعالى فاتّفق الكلُّ على الأستاذ أبي القاسم فـتكلَّم هـو باتِّفاقٍ منهم)اهـ.

فهذه قصة عجيبة نقلها ابن السبكي (٤)عن الحافظ ابن السمعاني ، و فيهـا دلالـة عـلى عِظَـم مكانة أبي القاسم في عصرِهِ.

---

(١)سير أعلام النُّبلاء :١٨ / ٢٢٧

(٢) سير النبلاء: ١٨/ ٢٢٩

(٣)دمية القصر(٢/ ٩٩٣-٩٩٨)

(٤) طبقات الشافعية للسبكي: ٥/ ١٥٨

و مجموعُ أخباره و أحواله و ثناءِ العلماء عليه دالٌّ على تبوُّء أبي القاسم منزلة رفيعة مرموقـةٍ في عصرهِ.

المبحث الثالث: شيوخه وتلاميذه

شيوخه:

شيوخ أبي القاسم كثيرون، وسأذكر جماعة من أبرزشيوخه ثمّ أخصّ بعضَ مشاهير شيوخه ممن لهم أثر بينٌ في حياته بترجمة مستقلة. و لم أسعَ لمحاولة حصر شيوخه لأنّ أبا القاسم القشيري من المكثرين من الشيوخ و التلاميذ. وهذا سيطيل الرسالة أكثر مما هي عليه، ولأنه قد كتبت عن أبي القاسم و كتبه رسائل علمية سيأتي ذكرها (١)فخشيتُ أن يتكرّر الجهد.

سمِع الحافظ أبا عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن البيِّع الحاكم(٣٢١ – ٤٠٥هـ) (٢)وأبا عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلمي صاحب طبقات الصوفية وسترد ترجمته قريباً،و سمع من أبي الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر الزاهد أبو الحسين الخفّاف النّيسابوري الزاهد العابد مسند خراسان (ت: ٣٩٥هـ) (٣)، ومن مسنِد خراسان أبي نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن إسحاق الأزهري الإسفراييني (٤) (ت: ٤٠٠هـ)، و من المسند الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم المزكِّي (ت: ٣٩٧هـ)(٥) وأبي بكر ابن فُورَك و سترد ترجمته ، و أبي الحسن

---

(١) ينظر: صـ ٨١ من هذه الدراسة.

(٢) ترجمته في : تاريخ بغداد ٥ / ٤٧٣، الأنساب ٢ / ٣٧٠ - ٣٧٢ (البيـع)، تبـيـ كـذب ا فتـري ٢٢٧– ٢٣١، المنتظم ٧ / ٢٧٤– ٢٧٥، اللباب ١ / ١٩٨– ١٩٩، وفيات الأعيان ٤ / ٢٨٠، ٢٨١، سير النبلاء: ١٧/ ١٦٢ ،تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٣٩ – ١٠٤٥، ميزان الاعتدال ٣ / ٦٠٨، الوافي بالوفيات ٣ / ٣٢٠، ٣٢١، البداية والنهاية ١١ / ٣٥٥، طبقات السبكي ٤ / ١٥٥ – ١٧١، غاية النهاية لابن الجزري ٢ / ١٨٤، ١٨٥، لسان الميزان ٥ / ٢٣٢، ٢٣٣، النجوم الزاهرة ٤ / ٢٣٨، طبقات الحفاظ ٤٠٩ – ٤١١، طبقات ابن هداية الله ١٢٣ – ١٢٥، شذرات الذهب ٣ / ١٧٦، كشف الظنون ٢ / ١٦٧٢، هدية العارفين ٢ / ٥٩

(٣) ترجمته في: الإكمال: ٣/ ٢٩٥ و الأنساب: ٥ / ١٥٦ – ١٥٧، التقييد لابن نقطة: ١/ ١٩٨ ،سير النبلاء: ١٦ / ٤٨١ ،العبر: ٣ / ٥٨، شذرات الذهب: ٣/ ١٤٥

(٤) الأنساب ١ / ٢٣٦،سير النبلاء: ١٧ : ٧١ ،العبر ٣ / ٧٣، تذكرة الحفاظ: ٣/ ٢ ، شذرات الذهب ٣/ ١٥٩

(٥)تاريخ بغداد: ١٠ / ٣٠٢، سير النبلاء: ١٦ / ٤٩٨ ،طبقات السبكي: ٣ / ٣٢٣

علي بن الحافظ أحمد بن عبدان بن محمد بن الفرج الأهوازي (١) قال الـذهبي: (ثقـة مـشهور عـالي الإسناد (٢))اهـ. (ت: ٤١٥هـ).

وسمع أبو القاسم القشيريّ أيضا من شيخ الصوفية المحدّث أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عبيدالله بن باكويه، الشيرازي (ت: ٤٢٨هـ) (٣). و شيوخه في الحديث كثيرون .

وتفقّه أبو القاسم على فقيه الشافعية في عصره و مدرّسهم أبي بكر محمد بن أبي بكر الطُّوسـي الآتيـة ترجمته، كما تفقه على الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني و أبي بكر بن فورك الآتية ترجمتهما.

وهذه تراجم موجزة لخمسة من مشاهيرِ شيوخِه الذين كان لـه بهـم علاقـة و طيـدةٌ وأثـر في حياتـه وعلمه رأيت أن أذكرها مفردةً لأهميتها في فهم بعض جوانب حياته و شخصيته :

- الحسن بن علي بن محمد بن إسحاق بن عبد الرّحيم بن أحمد الأستاذ أبو عـلي الـدّقّاق النيـسابوري (٤) (ت: ٤٠٥هـ)شيخ الأُستاذ أبي القاسم القشَيري الذي أرشده و هذّبه و أثّر فيه سـلوكَ طريـق المتصوِّفة و أشار عليه بالازديادِ من العلم (٥)، و هو زاهدٌ من كبار شيوخ الـصُّوفية . يـصفه الإمـام عبد الغافر الفارسي: بالأستاذِ الشّهيد (٦) .

---

(١)تاريخ جرجان: صـ٥٠٣ ، تاريخ بغداد: ١١/ ٣٢٩ ، سير النبلاء: ١٧/ ٣٩٨

(٢) سير النبلاء: ١٧/ ٣٩٨

(٣)الأنـساب ٢ / ٥٤، اللبـاب ١ / ١١٣، سـير النـبلاء: ١٧/ ٥٤٤ ، المـشتبه ١ / ٤٤، العـبر ٣ / ١٦٧ الوافي بالوفيات ٣ / ٣٢٢، شذرات الذّهب ٣ / ٢٤٢، هدية العارفين ٢ / ٦٥.

(٤)المنتخب من السياق: ترجمة: ٤٨١ ، تبيين كذب المفتري: صـ٢٢٦ ، العبر: ٣/ ٩٣ ، طبقات السبكي الكبرى: ٤/ ٣٢٩ ، (٤/ ٣٢٩)، الطبقات الوسطى: ورقة: ١٤٨ و شذَراتُ الـذهب: ٣/ ١٨٠ .

(٥) السياق: ورقة (٥٠).

(٦)المنتخب من السياق: صـ١٧٩(ترجمة: ٤٨١)

طلب أبو علي الدّقّاق العلم وبرع في الفقه ، ثم سلك طريق الصوفية وصحب الأستاذ أَبا القاسم النّصْرَأباذِيّ [١]، وأخذ الطريقة عنه قالوا: وزاد عليه حالاً ومقالاً، واشتهر ذكره في الآفاق.

و طالت صحبة أبي القاسم عبد الكريم القشيري له ، وحكى عنه أحوالا وكرامات ، وهو يذكره كثيراً في رسالته إلى الصوفية -الرسالة القشيرية – و يحكي عنه فوائد وأخباراً تتعلق بتراجم الزهاد كالجنيد و من دونه و يبجِّله و يصفه بالأستاذ .

و قد تقدّم أنه زوّجه ابنته فاطمة أمّ البنين المسندة المعروفة بالصلاح التي أنجبت له أولئك الأبناء النجباء المتقدّم ذكرهم و ذكر و الدتهم رحمهم الله.

ومن كلامه ما حكاه أبو القاسم القُشَيري قال : سمعت الأستاذ أبا علي الدّقّاق يقول: (من استهان بأدبٍ من آدابِ الإسلام عُوقبَ بحرمان السُّنّة، ومن ترك سنَّةً عُوقب بحرمانِ الفَريضةِ ومن استهانَ بالفرائضِ قيَّضَ الله لهُ مبتدِعاً يذكر عنده باطلاً فيوقِعُ في قلبهِ شُبهةً)اهـ. [٢] مات في ذي الحِجّة سنة سنة خمس وأربعمائة. و بينٌ من كلام أبي القاسم القشيري شدة تأثره به، و شدة تبجيله له .

---

(١) النَّصر أباذي نسبة إلى نَصْر أباذ وهي اسم محلتين إحداهما بنيسابور والثانية محلة بالري يُقال لها نَصر أباذ: (اللباب ٢/ ٣٩٧) وهو أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمويه النصر أباذي، شيخ وقته بخراسان ، الإمام المحدث، القدوة الواعظ، من مشاهير شيوخ الصوفية، سافر إلى العراق و الشام ومصر، سمع أبا بكر بن خزيمة و أبا العباس السراج و عبد الرحمن بن أبي حاتم وغيرهم من شيوخ العراق و الجزيرة و الشام و مصر ، روى عنه الحاكم أبو عبد الله و أبو عبد الرحمن السلمي وغيرهما وسافر إلى مكة فأقامَ بها إلى أن توفي سنة ٣٦٩هـطبقات الصوفية: ٤٨٤ – ٤٨٨، تاريخ بغداد: ٦ / ١٦٩ – ١٧٠، الرسالة القشيرية: ٣٠، المنتظم: ٧ / ٨٩، اللباب: ٢/ ٣٩٧، سير النبلاء: ١٦/ ٢٦٣ ، العبر: ٢ / ٣٤٣، الوافي بالوفيات: ٦ / ١١٧ – ١١٨، شذرات الذهب:٣ / ٥٨ – ٥٩

(٢)رواه السبكي طبقاته: ٤/ ٣٣٠

- أبو بكر محمد بن الحسن[١] ابن فُوْرَك [٢] (ت: ٤٠٦هـ) : **المتكلّم الأصولي الأديب النحوي الواعظ.** ترجمه الحاكم في تاريخ نيسابور وهو -عصريُّه- ونقل ابن الصلاح قول الحاكم: (الأديب المتكلِّم، الأصولي، الواعظ ، النحويّ ...فأحيى الله به في بلدنا أنواعاً من العلوم وظهرت بركته على جماعة من المتفقِّهة)اهـ. [٣] باختصارٍ ثمّ أطال الحاكم في الثناء عليه. و ذكر له عبد الغافر في ذيل تاريخ نيسابور – السياق- ترجمة موجزةً اعتماداً على كون مترجماً في تاريخ نيسابور لكنّ الحاكم لم يذكُر وفاته لكون الحاكم توفي سنة (٤٠٥هـ) قبل ابن فورك بسنة . و ذكر عبد الغافر أنّه لم يخلِّف أبناءً و أنه بقي له أعقابٌ من جهة البناتِ .

قال الذهبي: (الإمام العلامة الصالح، شيخ المتكلِّمين)اهـ. [٤] وقال أيضا: (كان أشعريّاً، رأساً في فنّ الكلام، أخذ عن أبي الحسن الباهلي [٥]صاحبِ الأشعري)اهـ. و ابن فُوْرَك إمام في معرفة مذاهب أبي الحسن الأشعري و أقواله ، و قد أخذ عن أبي الحسن الباهلي تلميذ الأشعري ، و لكنّه كثير اللُّجوء إلى التأويل للأحاديث المتعلقة بالصِّفات الإلهيةِ فِرَاراً -كما

([١])السياق: ورقة: ٢ ،الأنساب للسمعاني: ١٠/ ٢٥٧ ، تبيين كذب المفتري ٢٣٢، تكملة الإكمال لابن نقطة: ٤/ ٥١١ ، منتخب السياق: (ت: ١) ، إنباه الرواة ٣/ ١١٠، ١١١، طبقات ابن الصلاح : ١/ ١٣٦ (ترجمة: ١٨) ، اللباب لابن الأثير: ٢/ ٢٢٦ وفيات الأعيان ٤ / ٢٧٢، ٢٧٣، سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢١٤ – ٢١٦ ، العبر ١ / ٩٥، الوافي بالوفيات ٢ / ٣٤٤، مرآة الجنان ٣ / ١٧، ١٨، طبقات السُّبكي ٤ / ١٢٧– ١٣٥ طبقات الإسنوي ٢ / ٢٦٦، ٢٦٧، النجوم الزاهرة ٤ / ٢٤٠، تاج التراجم ٤٦، شذرات الذهب ٣ / ١٨١، ١٨٢، تاج العروس ٧ / ١٦٧، إيضاح المكنون ١ / ٤٧٥ و ٢ / ٤٨٩، هدية العارفين ٢ / ٦٠ و مقدِّمة الشيخ محمد السليماني لكتاب ابن فورك : الحدود في الأصول: صـ ١٥و مما يزاد عليها. السياق: ورقة: ٢.

([٢])فُوْرَك وهو اسم عَلَم :ضبطها الحافظ ابن نقطة والسمعاني وابن الأثير وابن خلكان والصّفدي وابن العماد بضم الفاء وسكون الواو وفتح الراء وبعدها كاف، وضبطها الزّبيدي بضمِّ الفاء وفتحِها و المعتمَد قول السمعاني و ابن نُقْطة و من معهم.

(٣) طبقات ابن الصلاح: ١/ ١٣٦ و السبكي: ٤/ ١٢٨

(٤) سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٢١٦

(٥) ترجمته في: تبيين كذب المفتري: ص ١٧٨، سير النبلاء: ١٦/ ٣٠٤، الوافي بالوفيات: ١٢ / ٣١٢.

يظنّ مما يُوهِم تشبيهاً و لأنه مولعٌ بالردّ على الكرّامية المشبهة ، وله كتاب في التأويل مشهور: اسمه مشكل الحديث و بيانه (١) . و قد اختلفَ اجتهاده في بعضِ المسائل العَقَدية المشهورة، (٢) . كان لابن فُوَرك في عصره منزلة كبيرة و بخاصةٍ عند محدّثي الشافعية وفقهائهم وعند كثيرٍ من شيوخ الصوفيّة في عصره، قال أبو القاسم القُشَيري في الرِّسالة (٣) سمعت أبا علي الدقَّاق يقول: (دخلتُ على أبي بكر ابن فُورَك عائداً فلما رآني دمعت عيناه، فقلتُ له: إنَّ الله سبحانه يعافيك ويشفيك، فقال لي: تراني أخافُ من الموت، إنّما أخافُ ممّا وراء الموت)اهـ.

و لأبي القاسم القشيري علاقة وطيدةٌ به حتى قال تاج الدين السُّبكي في مَعرِضِ دِفاعه عن ابن فُوْرَك في بعض ما نُسِب إليه : إنّ أبا القاسم القُشيري كان أخصّ الناس بابن فُورك، فهل نقل هذه الواقعة؟ (٤) . وقد بلغت مصنفاته قريبا من مئة مصنَّف أو أكثر. (٥) .

و يذكر بعضهم أيضاً أنّ لهُ أكثرَ من مائةٍ وعشرين تصنيفاً (٦) .

و قد حدّث عنه: أبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشيري، وغيرهم وهو عالي السند وبخاصة في مسندِ أبي داود الطيالسي.

---

(١) ينظر: عن طبعات الكتاب: مقدمة الباحث محمد السليماني: للحدود و الأصول لابن فُوْرَك : صـ١٨- ٢٠

(٢)ينظر: الفتاوى: ١٦/ ٩٠ – ٩١ و مقدِّمة الباحث محمد السليماني: للحدود و الأصول لابن فُوْرَك : صـ ١٨ – ٢٠ و فيه نقلٌ مفيد عن بعض كتبه المخطوطة توضح اتجاهه العقدي أكثر و موقف ابن تيمية من الأشاعرة: ٢/ ٥٥٨ – ٥٦٩

(٣) الرسالة القشيرية: صـ ١٦٤ في باب الخوف.

(٤)طبقات السبكي: ٤/ ١٣٢

(٥)ينظر: السياق: روقة: ٢ و مصادر ترجمته الماضية و منها منتخب السياق: (ت: ١) وطبقات ابن الصلاح و سير الذهبي و طبقات السبكي و ينظر: في إحصائها و بيان ما طبع منها مقدمة الشيخ محمد السليماني: للحدود و الأصول لابن فُوْرَك : صـ ١٨ – ٣٤

(٦) التبصير في أصول الدين لأبي طاهر الإسفراييني : صـ١٩٤ .

وقد دُعِيَ إلى مدينة غَزْنة، وجَرَت له بها مناظرات، وكان شديد الرَّدِّ على أصحاب أبي عبد الله ابن كرَّام، ثم عاد إلى نيسابور، فسُمَّ في الطريق فمات هناك ونُقِل إلى نَيسابور ، وكانت وفاته سنة ستٍّ وأربعمائة.

-أبو عبد الرحمن السُّلَمي النيسابوري الصوفي (١) (٣٢٥و قيل٣٣٠- ٤١٢هـ) و القول بأنّ ولادته سنة (٣٣٠هـ) قال به عبد الغافر الفارسي (٢).

و اسمه محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم بن زاوية بن سعيد بن قبيصة ، الأزديّ أباً ، السُّلَمي من جهة الأمّ، لأنه سِبطُ أبي عمرو إسماعيل بن بُجَير بن أحمد بن يوسف السُّلمي النيسابوري.من كبار شيوخ المصنف و هو كثير الرِّواية عنه و يروي عنه في الرسالة القشيرية في مواضع كثيرة جدّا . و هو إمام محدِّث، كان من مشاهير شيوخ خراسان وكان ذا عناية تامّة بأخبار الصوفية، صنف لهم سُنناً وتفسيراً وتاريخاً وغير ذلك.

قال عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في " سياق التاريخ (٣) ": (أبو عبد الرحمن شيخ الطريقة في وقته، الموفق في جميع علوم الحقائق، ومعرفة طريق التصوف، وصاحب التصانيف المشهورة العجيبة، ورِث التّصوف من أبيه وجدِّه، وجمعَ من الكتُب ما لم يُسبق إلى ترتيبه حتى بلغ فهرس كتبه المئة أو أكثر، حدّث أكثر من أربعين سنة قراءة وإملاء، وكتبَ الحديث بنيسابور ومرو والعراق والحجاز، وانتخب عليه الحفاظ الكبار)اهـ.

---

(١)تاريخ بغداد ٢ / ٢٤٨، ٢٤٩، السياق: ورقة: ٣ ، المنتخب من السياق: (ت: ٤) ،الأنساب ٧ / ١١٣، المنتظم ٨ / ٦، الكامل في التاريخ ٩ / ٣٢٦، اللباب ٢ / ١٢٩، المختصر في أخبار البشر ٢ / ١٦٠، سير النبلاء: ١٧ / ٢٤٧ ، العبر ٣ / ١٠٩، ميزان الاعتدال ٣ / ٥٢٣، ٥٢٤، دول الاسلام ١ / ٢٤٦، تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٤٦، ١٠٤٧، عيون التواريخ ١٢ / ١٤٧ / ١، الوافي بالوفيات ٢ / ٣٨٠، ٣٨١، مرآة الجنان ٣ / ٢٦، مختصر دول الاسلام ١ / ١٩٠، طبقات السبكي ٤ / ١٤٣ – ١٤٧، البداية والنهاية ١٢ / ١٢، ١٣، طبقات الاولياء ٣١٣ – ٣١٥، النجوم الزاهرة ٤ / ٢٥٦، لسان الميزان ٥ / ١٤٠، ١٤١، ، طبقات المفسرين للسيوطي ٣١، شذرات الذهب ٣ / ١٩٦، ١٩٧، كشف الظنون ٢ / ١١٠٤، هدية العارفين ٢ / ٦١.

(٢)السياق: : ورقة: ٣ أ.

(٣) السياق: : ورقة: ٣ و المنتخب من السياق: (ت: ٤) و نقله جميعه في سير النبلاء.

و شيوخه كثيرون منهم محمد بن أحمد بن سعيد الرازي صاحب ابن وَراة، وأبي ظُهير عبد الله بن فارس العُمري البلخي، ومحمد بن المؤمل الماسرجسي، والحافظ أبي علي الحسين بن محمد النيسابوري، وسعيد بن القاسم البردعي، وأحمد بن محمد بن رُميح النسوي، وجده أبو عمرو و الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، صاحب حلية الأولياء و غيرهم.

و ممن روى عنه مع أبي القاسم القُشيري : أبو بكر البيهقي و غيره.

و من تصانيفه طبقاتُ الصُّوفية مطبوعٌ بتحقيقِ نورِ الدِّين شريبة.

قال الذهبي: (وما هو بالقوي في الحديث.ذكره الخطيب (١) ، فقال: محله كبير، وكان مع ذلك صاحبَ حديث، مجوِّدا، جمع شيوخاً وتراجم وأبوابا، وعمل دُويرةً للصوفية، وصنَّف سننا وتفسيرا)اهـ.

و قد عِيب على أبي عبد الرحمن الّسلمي كتابه في حقائق التفسير و الكلام عليه يطول (٢) قال الإمام الذهبي حين قال : (وللسُّلمي سؤالاتٌ للدَّارقطني عن أحوال المشايخ الرُواة سؤالَ عارفٍ، وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديثُ وحكاياتٌ موضوعة، وفي " حقائق تفسيره " أشياءُ لا تسوغ أصلا، عدَّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية، وعدّها بعضهم عرفاناً وحقيقة، نعوذ بالله من الضّلال ومن الكلام بهوى، فإنّ الخير كلَّ الخير في متابعة السنة والتمسك بهدي الصحابة والتابعين رضي الله عنهم)اهـ. (٣)

-الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني الشافعي. (٤) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الملقَّب بركن الدين. و هو الإمام الفقيه الأصولي الزاهد،يعدّ من المجتهدين في عصره.

---

(١)تاريخ بغداد : ٢ / ٢٤٨.

(٢) ينظر: تلبيس إبليس : صـ٢٠٣ و الفتاوى: ١١/ ٤١ و مفتاح دار السعادة : ٢/ ٧٨ و فيه فوائد ومقدمة نور الدين شريبة لطبقات الصوفية: صـ ٤٤

(٣) سير النبلاء: ١٧/ ٢٥٧

(٤)طبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٦، الأنساب ١ / ٢٣٧، تبيين كذب المفتري ٢٤٣، ٢٤٤، منتخب السِّياق: (ت: ٢٦٩) ،معجم البلدان ١ / ١٧٨، اللباب ١ / ٥٥، طبقات ابن الصلاح : ١/ ٣١٢(ت: ٨٧)، تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ١٦٩، ١٧٠، وفيات الأعيان ١ / ٢٨، سير

وهو صاحب المصنفات الباهِرة. و ذكروا أنه كان من المجتهدين في العبادة، المعروفين بـالوَرَع ، انتخب عليه الحاكم عشرة أجزاء، وذكره في " تاريخه " لجلالته، وانتقى له الحـافظ أحمـد بـن علي الرازي ألف حديث، وعُقد له مجلس الإملاء.

وكان ثقة ثبتا في الحديث حدّث عنه: أبو بكر البيهقي وأكثر الرواية عنه في تـصانيفه ، وأبـو القاسم القشيري، وأبو الطّيب الطبري و غيرهم.

قـال الإمـام الـذهبي: ((الإمـام العلامـة الأوحـد، أحـد المجتهـدين في عـصره، و صـاحب التصانيف الباهرة [(١)])) اهـ.

توفي بنيسابور يوم عاشوراء من سنة ثماني عشرة وأربع مئة.

– محمد بن بكر أبو بكر [(٢)] النَّوْقاني [(٣)] الطُّـوسي(... – ٤٢٠هــ) الإمـام ، الفقيـه، شـيخ الشافعية ومدرِّسهم و مفتيهم بنيسابور [(٤)]. تفقَّه عليه: أبو القاسم القُشيري –و هو من أوائل

النبلاء: ١٧/ ٣٥٣ ، العبر ٣ / ١٢٨، الـوافي بالوفيـات ٦ / ١٠٤، ١٠٥، مـرآة الجنـان ٣ / ٣١، طبقات السبكي ٤ / ٢٥٦ – ٢٦٢، طبقات الإسنوي ١ / ٥٩، ٦٠، البدايـة والنهايـة ١٢ / ٢٤، كشف الظُّنون ١ / ٥٣٩، شذرات الذهب ٣ / ٢٠٩، ٢١٠، هدية العارفين ١ / ٨

(١) سير النبلاء: ١٧/ ٣٥٣

(٢)ترجمتـــه في: منتخـــب الـــسياق: مخطـــوط ورقـــة (٣) ، منتخـــب الـــسياق مطبـــوع: (ت: ١١) ، طبقات الشافعية لابن الـصلاح: ١/ ١٠٤ ، يـاقوت: في معجـم البلـدان: ٤/ ٨٢٤ والوافي: ٢/ ١٦٠ ،طبقات السبكي: ٤/ ١٢١ .

(٣) من نُوقان بضمّ النون و قيل بفتح النون ثم واو ساكنة ثم قاف يليهـا ألـف ثـم نـون إحـدى مـدائن طوس: فالضمّ في النون قول ابن الصلاح: طبقات الشافعية: ١/ ١٠٤ و ياقوت: معجم البلـدان: ٤/ ٨٢٤ و الفتح في النون : نصّ عليه الـسمعاني : ١٣/ ٢٠٦ و تابعـه في اللبـاب: ٣/ وطبقـات السبكي: ٤/ ١٢١

(٤)منخب السياق: المخطوط. ورقة: ٣ . و منتخب السياق المطبوع: (ت: ١١).

شيوخه المؤثِّرين فيه-، و قرأ عليه جماعة كثيرة من الشافعية. وكان أبو بكر الطّوسي هذا مع فضائله و فقهه ورعاً صالحاً خاشعاً.

و ذكروا أنّ الشيخ المشهور أبا عبد الرحمن السُّلمي -صاحب طبقاتِ الصُّوفية الذي تقدّمت ترجمته في شيوخ المصنِّف قريباً- قال لبعض أصحابه : تعالَ حتى أُرِيكَ شابًّا ليس في جملة الصُّوفية، ولا المتفقِّهة أحسنُ طريقةً ولا أكملُ أدباً منه. قال فأَراني أبا بكر الطُّوسي. وتوفي بنوقان: سنة عشرين وأربعمائة ،رحمه الله.

تلاميذه:

كان لأبي القاسم القُشَيريّ رحمه الله تلاميذُ كثيرون في نيسابور و في غيرها من البلدان التي أقام فيها كبغداد، و قد عاش عُمراً مديداً (٣٧٦ – ٤٦٥ هـ) و اجتمع له علوّ الإسناد عن أئمة الحديث و علوّ الشأن عند الصُّوفية -و لهم مكانة كبيرة في ذلك العصر- ، وكان مع ذلك أصوليا وفقيها شافعياً مرموقاً و مقدّما عند علماء عصره كما كان واعظاً مذكوراً فلا شكّ يعسر إحصاء تلاميذه لهذه الأسباب كلِّها .

و قد روى عنه من الأئمة الكبار أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد كثيراً و في غيره من كتبه، و ممن صحبه و قرأ عليه الأصول الإمام الهذلي[1] يوسف بن علي صاحب الكامل في القراءات،وكان أبو القشيري يراجعه في مسائل النحو، و ممن روى عنه أبناؤه أبو سعد عبد الله، وأبو سعيد عبد الواحد، وأبو منصور عبد الرحمن، وأبو نصر عبد الرحيم، وأبو الفتح عبيدالله، وأبو المظفر عبد المنعم وقد مضت تراجمهم في أسرته و الحافظ عبد الغافر الفارسي صاحب ذيل تاريخ نيسابور المسمّى بالسياق تقدّمت ترجمته ، و خلق غيرهم.

---

(١) توفي سنة: ٤٦٥هـ له ترجمة في كثير من الكتب منها: الإكمال:١/ ٤٥٨ -٤٥٩ و معرفة القراء للذهبي: ١/ ٨١٥ . و فيه ذكر استفادة أبي القاسم منه في مسائل النحو و قراءة الهذلي عليه في الأصول.

و من تلاميذه المشهورين: ١ - الوزير العادل العالم المعروف بنِظام الملك (١) ، الحسن بن علي بن إسحق بن العباس أبو علي الطُّوسي (٤٠٨ – ٤٨٥هـ) ويعرف بخواجا بَزْرُك (٢) ، وخَواجا بالفارسية الوزير، وبزْرُك العظيم (٣) ، كان ممن أكثر من القراءة على القشيري قال ابن السمعاني: (الوزير المشهور في الشرق والغرب صاحب المدارس والخيرات من المساجد والرّباطات أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي الوزير المعروف بنظام الملك صارت أيامه تاريخاً للمكارم وأيام الخير سمع الحديث الكثير من أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري)اهـ. (٤)

اشتغل بالكتابة في الدِّيوان، وخدم بغَزْنة، وتنقَّلت به الأحوال إلى أنْ وَزَرَ للسلطان العادل ألْب أرسلان ، وقدِم معه حلب في سنة ثلاث وستين وأربعمائة حين قدمها محاصراً لها. ثم وَزَرَ بعده لولده السلطان ملَكشاه أبي الفتح، وقدم معه حلب سنة تسع وسبعين وأربعمائة . خفّف المظالم، ورفق بالرعايا، وبنى الوقوف، وهاجرتْ الكبار إلى جنابه، وازدادت رفعته، سمع الحديث فأكثر ، قال ابن الصلاح (٥) : (ذكره غير واحد من رواة الحديث : ابن ماكولا، و أبو شجاع بن شيرويه، و أبو سعد عبد الكريم الحافظ)اهـ. قرأ عليه الحافظ ابن

(١)الإكمال:١/ ٢٦٨ (بَزْرُك) ،الأنساب: ٦ / ٣٧ ذكره في الرَّاذكاني، و ١٢/ ٢٦٢ ، المنتظم: ٩ / ٦٤ – ٦٨، معجم البلدان: ٣ / ١٣ و ٤ / ٥٠، المتخب: ، الكامل في التاريخ: ١٠ / ٢٠٤ – ٢٠٦، الروضتين: ١ / ٢٥ – ٢٦، طبقات ابن الصلاح: ١/ ٤٤٦ ، وفيات الاعيان: ٢ / ١٢٨ – ١٣١، ابن العبري: ١٩٢ – ١٩٥، دول الاسلام: ٢ / ١٣، العبر: ٣ / ٣٠٧ – ٣٠٨، الوافي بالوفيات: ١٢ / ١٢٣ – ١٢٧، طبقات السبكي: ٤ / ٣٠٩ – ٣٢٩، البداية: ١٢ / ١٤٠ – ١٤١، تاريخ ابن خلدون: ٥ / ١١ – ١٣، النجوم الزاهرة: ٥ / ١٣٦، شذرات الذهب: ٣ / ٣٧٣ – ٣٧٥

(٢)قال في الإكمال:١/ ٢٦٨ (بَزْرُك بفتح الباء، وبعدها زاي مضمومة، ثم راء ساكنة).

(٣)الإكمال:١/ ٢٦٨

(٤) الأنساب: ٥/ ٥٩٩.

(٥) طبقات ابن الصّلاح: ١/ ٤٤٦

ماكولا وقال : (كان ثقةً ثبتاً متحرّياً عالماً)اهـ. (١) واستمرّ والياً مدّةً طويلة منها عشرين سنة وزيراً لـلمكشاه (٢) .

وكان فيه خير وتقوى، وميل إلى الصالحين، وخضوع لموعظتهم، يعجبه من يبين له عيوب نفسه، فينكسِرُ ويبكي (٣) .

مولده في سنة ثمان وأربع مئة، وقتل صائما في رمضان، أتاه باطني في هيئة صوفي يناوله ورقةً، فأخذها منه، فضربه بالسِّكِّين في فؤاده، فتلف، وقتلوا قاتله، وذلك ليلة جمعة سنة خمس وثمانين وأربع مئة، بقرب نهاوند، وكان آخر قوله: لا تقتلوا قاتلي، قد عفوتُ ، لا إله إلا الله. (٤) وقيل إنّ السلطان هو الذي دسّ عليه من قتله لأسباب ذكروها ،فلم يمهل بعده إلا نحو شهر (٥) .

٢ - الإمام، العلامة القدوة الحافظ، شيخ الإسلام، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفرّاء البغوي الشافعي : (ت: ٥١٦هـ) (٦)و هو صاحب التفسير وشرح السنة وغيرها يروي عنه كثيرا في تفسيره.

٣ – الإمام، الفقيه المفتي، مسند خراسان، فقيه الحرم، أبو عبدالله محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أبي العباس الصاعدي الفَرَاوي (١)النيسابوري الشافعي (٢): أكثروا من الثناء عليه، وقال

(١) الإكمال: ١/ ٢٦٨ في :(بزرك).
(٢)طبقات ابن الصّلاح: ١/ ٤٤٧
(٣) سير النبلاء: ١٩/ ٩٥
(٤)المنتظم: ٩ / ٦٦ – ٦٧، و وفيات الأعيان: ٢ / ١٣٠ و سير النبلاء: ٩/ ٩٥
(٥)المنتظم: ٩ / ٦٧ و سير النبلاء: ١٩/ ٩٦ و الطبقات للسبكي: ٤/ ٣٢٣ – ٣٢٦
(٦) وفيات الأعيان ٢: ١٣٦ ، العبر: ٤/ ٣٧ ، تذكرة الحفاظ: ٤/ ١٢٥٧سير النبلاء: ١٩/ ٤٣٩ ، الوافي بالوفيات: ١٣ / ٢٦، عيون التواريخ: ١٣ / ٣٢٧ – ٣٢٨، مرآة الجنان: ٣ / ٢١٣، طبقات السبكي: ٧ / ٧٥ – ٨٠، طبقات الاسنوي: ١ / ٢٠٥ – ٢٠٦، البداية: ١٢ / ١٩٣، النجوم الزاهرة: ٥ / ٢٢٣، ٢٢٤، مفتاح السعادة: ١ / ٤٣٥، ٢ / ١٨

الحافظ ابن عساكر: (إلى الفَراوي كانت رحلتي الثانية، وكان يُقصَد من النواحي لما اجتمع فيه من علوّ الإسناد، ووفور العلم، وصحة الاعتقاد، وحسن الخلق، والإقبال بكليته على الطالب، فأقمت في صحبته سنة كاملة، وغنمتُ من مسموعاته فوائدَ حسنة طائلة)اهـ. (ت: ٥٣٠هـ) رحمه الله.

٤- وجيه بن طاهر ابن محمد بن محمد بن أحمد، العالم العدل، مسند خراسان، أبو بكر، الشّحامي (٣) النيسابوري، من بيت العدالة والرواية (٥٤١هـ)(٤).

و غيرهم كثير ، و لجلالة أبي القاسم القشيري و علوّ سنده فقد روى عنه الحميدي في جذوة المقتبس بالإجازة فقال: (أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري في إجازة وصلت إلينا منه، وقرأتُه بخط أبي بكر أحمد بن علي الحافظ، فيما حدّث به عنه)اهـ. ذكر ذلك في ترجمة بقي بن مخلد.

---

(١) قال ابن ناصر الدين في " توضيح المشتبه ": ٢ / ١٩٣: (جزم بالضم ابن السمعاني وغيره، وبالفتح آخرون، وهو الأكثر) اهـ. وفي " تبصير المنتبه ": ٣ / ١١٠٠: اختلف في ضم الفاء وفتحها، قال ابن نقطة: الفتح أكثر وأشهر.قلتُ: و الضمّ في الأنساب، واللباب، ووفيات الأعيان.

(٢) تبيين كذب المفتري: ٣٢٢، المنتظم: ٩ / ٦٥، معجم البلدان: ٤ / ٢٤٥، الكامل في التاريخ: ١١ / ٤٦، ،وفيات الاعيان: ٤ / ٢٩٠ - ٢٩١، ، سير النبلاء: ١٩/ ٦١٥ ،دول الإسلام: ٢ / ٥٢، العبر: ٤ / ٨٣، الوافي بالوفيات: ٤ / ٤٢٣، مرآة الزمان: ٨ / ٩٧ - ٩٨، طبقات السبكي: ٦ / ١٦٦ - ١٧٠، طبقات الإسنوي: ٢ / ٢٧٦، البداية والنهاية: ١٢ / ٢١١

(٣) نسبة إلى بيع الشحم ينسب إليها جماعات: لب اللباب: ٢/ ١٥

(٤) المنتظم ١٠ / ١٢٤، سير النبلاء: ٢٠ / ١٠٩ ، العبر ٤ / ١١٣، البداية والنهاية ١٢ / ٢٢٢، النجوم الزاهرة ٥ / ٢٨٠، شذرات الذهب ٤ / ١٣٠.

المبحث الرابع: عقيدته

الإمام أبو القاسِم القُشَيري من مشاهير أتباعِ أبي الحسن الأشعري (١)، وقد تتلمذَ على بعضِ كبار علماءِ الأشاعرة في عصره، و أشهر شيخين له في علم الكلام و في أصول الفقه هما : أبو بكر محمد بن الحسن ابن فُوْرَك (٢) (ت: ٤٠٦هـ)وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الملقَّب بركن الدين الإسفراييني (: ٤١٨هـ) .

و أبو القاسم أيضا صاحب : ((شكاية أهلِ السُّنَّة بحكايةِ ما نالهم من المِحنة)) ، وهي رسالتُهُ المشهورة في الدِّفاع عن الإمام أبي الحسن الأشعريّ، و سيأتي الكلامُ عليها في مصنَّفاته، و أشهر و أهمّ كتاب في الدّفاع عن أبي الحسن الأشعري هو كتاب الحافظ ابن عساكر : تبيين كذب المفتري ، و قد أسند هذه الرسالة و ذَكَرَ كثيراً منها .

و لأجلِ اتّباعِ أبي القاسم القُشَيري لأبي الحسنِ الأشعريّ نراهُ يصفُه بشيخِنا وهو لم يدركهُ ، فهو يقول مثلاً : (و قال شيخنا أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه: أقلُّ ما هو معجزةٍ سورة سواء كانت قصيرة أو طويلة) اهـ. (ورقة ٨). و بعضُ الأشاعرةِ يقولون شيخَنا للأشعريّ و إنْ لم يدركوه يعنون في الطريقة، قال التّاج السبكي(٣): (يقول متقدِّم الأشاعرة ومتأخِّرُهم شيخنا أبو الحسن ويعْنونَ شيخَ الطريقة)اهـ.

---

(١) قال الإمام الذهبي: (رأيتُ لأبي الحسن الأشعري أربعةَ تواليفَ في الأُصول يذكرُ فيها قواعد مذهبِ السَّلف في الصِّفات، وقال فيها: تُمَرُّ كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقولُ، وبه أدينُ، ولا تؤَوَّل)اهـ. سير النبلاء: ١٥/ ٨٦ . قلت: و كذلك ذكر في كتابه الإبانة و مقالات الإسلاميين و هو المذهب الذي نقله عنه الإمام القشيري في رسالته : شكاية أهل السنة ، ونقله ابن عساكر في تبيين كذب المفتري، لكن أبا الحسن الأشعري كثير التصانيف و في بعضها ما يخالف مذهب السلف و أهل الحديث. و تلك قضية يطول الكلام عليها جداً .

(٢)تقدّمت ترجمته في مبحثِ شيوخ المصنّف .

(٣)طبقات الشافعية الكبرى:٧ / ٢٩٢

و قد وصفه الخطيب البغدادي الحافظ بأنه يعرف الأصول على مذهب الأشعريّ فإنه قال: في ترجمته من تاريخ بغداد: (حدَّث ببغداد وكتبنا عنهُ وكانَ ثقةً، وكانَ يعِظُ وكانَ حَسَنَ المـواعِظِ مليحَ الإشَارةِ، وكان يعرِف الأُصولَ على مذهَبِ الأشعريّ، والفُروعَ عـلى مـذهبِ الـشَّافعِي)اهـ. (١)

و في الإكمال : (عبد الكريم بن هَوَازن أبو القاسمُ القُشيري الواعظُ أحدُ المتكلِّمين على مذهبِ الأشعريّ، وله تصانيفُ حدَّث عن أصحاب أبي العباس السرَّاج وغيرهم)اهـ. (٢)

و هو ينقلُ في كتبه كثيراً عن شيخه المعروف بأبي بكر محمد بن الحسن بـن فُـورَك الأصـبهاني متكلّم الأشاعرة ويصِفه بالإمام، و لا يختصّ نقله عنه في مسائل الاعتقاد بل قد ينقل عنـه في غيرِهِ كمثل نقله عنه في تفسير: فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ [الأنعام: من الآية ١٠] فقال قال الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله (حاق بمعنى فحقَّ بهم المكـروه ... الخ)اهـ. ورقة: ٣١١ ،و قد تقدّمت ترجمة ابن فورك في شيوخ المـصنّف و فيهـا بيـان توثّـق العلاقة بين أبي القاسم القُشيري رحمه الله و بين شيخه أبي بكر ابنِ فُورك.

و لا يشكّ في كون أبي القاسم القُشيري من مشاهيرِ أتباع أبي الحسن الأشعري المنافحين عنـه، و لكنه -في نظري -ليس من المعدودين في متكلّميهم المشهورين لأنـه ممـن لم يغلـب عليـه في تصانيفه و أقواله طريقة المتكلمين.

و من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية قوله : (فصلٌ فيما ذَكَرَه الـشيخ أبـو القاسـم القُـشَيرى في رسالته المشهورة من اعتقادِ مشايخ الصّوفية فإنه ذكر من متفرِّقات كلامهم ما يُستدَلُّ بـه عـلى أَنّهم كانوا يوافقون اعتقاد كثير من المتكلّمين الأشعرية، وذلك هـو اعتقـاد أبي القاسـم الـذي تلقاه عن أبي بكر بن فُورَك وأبي إسحاق الإسفراييني، وهذا الاعتقـاد غالبُـه موافـقٌ لأصـول السلف وأهل السنة والجماعة لكنّه مقصِّرٌ عـن ذلـك ومتـضمِّنٌ تـرْكَ بعـضَ مـا كـانوا عليـه،

(١)تاريخ بغداد(١١/ ٨٣)

(٢)الإكمال لابن ماكولا: ١/ ٤٣٩

وزيادةٍ تخالِفُ ما كانوا عليه، والثابت الصحيح عن أكابر المشايخ يوافقُ ما كان عليـه الـسّلف (١))اهـ.

وقد اختارَ الإمام الذّهبي (٢) في العلو للعليّ الغفار أنْ ينقل بعضَ كلامه في وصف مذهب أبي الحسن الأشعري فقال : (قال الأستاذ أبو القاسم القشيري- رحمه الله- في شِكايةِ أهلِ السنَّة : ما نقموا من أبي الحسن الأشعريِّ إلا أنّه قال بإثباتِ القَدَرِ وإثباتِ صفاتِ الجلال لله من قُدرته وعِلمِـــهِ وحياتِـــهِ وســـمعِهِ وبَـــصَرِهِ ووجِهِـــهِ ويِـــدِه، وأنَّ القـــرآن كلامُـــه غـــيرُ مخلوقٍ (٣))اهـ. و إنما اختارأن ينقلَ ذلك لعلمه بمعرفة أبي القاسم القـشيري بـأبي الحـسن الأشعري عن طريق تلقّيه عن شيوخه العارفين بمذهب الأشعري ثم اطّلاعه عـلى كثـيرٍ مـن كتب أبي الحسن الأشعريِّ هذا معَ شُهرةِ طَريقةِ الأشعريّ و كثرة أتباعه في زمان القشيري، وقول القشيري في هذه الصفات هنا قد جرى فيه على مذهب السلف، و كذلك أثبت رحمه الله كثيراً من الصفات فيما وقفتُ عليه من تفسيره، و سأذكر قوله في بعض هـذه الـصفات،ولكنه خالف في مواضعَ من كتبه، و من تفسيره بعض هذا المنهج -كما سيأتي- فقدّم القولَ بالتأويـل في مواضع. و رسالته شكاية أهل السنة متأخرة في التصنيف عن تفسيره و عن كثـيرٍ مـن كتبـه كما سيتبين من تاريخ تصنيفها .

و قد ذكر مسائل من الاعتقاد في الرسالة القشيرية، و هي من كتبه المهمة ، و ذكر اعتقاد القوم يعني الصّوفية، و قد قال شيخ الإسلام ابن تيمية عمّا ذكره القشيري من الاعتقـاد في الرسـالة إنّ غالبه موافقٌ لأصولِ السلف وأهل السنة والجماعة لكنه مقصّر عن ذلك. كما تقدّم قريباً.

و قال أيضا: (وما ذَكَرَهُ أبو القاسِم في رسالته من اعتقادهم وأخلاقِهم وطريقتهم فيه من الخير والحقِّ والدِّين أشياءُ كثيرة، ولكنَّ فيه نقصاً عن طرَيقة أكثر أولياء الله الكـاملين ،وهـم نَقَـاوة

---

(١) الاستقامة: صـ ٨٤

(٢) العلو للعلي الغفار: صـ ٢٢٠

(٣)شكاية أهل السنة ،ضمن الرسائل القشيرية: صـ ٩ .و نقلها ابن عساكر في تبيين كذب المفـتري: صـــ ١١١ .

القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم، ولم يذكر في كتابه أئمة المشايخ من القرون الثلاثة، ومع ما في كتابه من الفوائد في المقولات والمنقولات ففيه أحاديث ضعيفة بل باطلةٌ وفيه كلماتٌ مجملة تحتمل الحق والباطل روايةً ورأياً، وفيه كلماتٌ باطلةٌ في الرّأي والرواية، وقد جعل الله لكل شئ قدرا (١))اهـ.

و قد تتبّع شيخ الإسلام في كتابه : الاستقامة مواطنَ كثيرةً مما في الرسالة لأبي القاسم القُشيري و بيَّن ما يراه حقّا و صوابا و ما يراه مخالفاً أو مقصّرا فمرة يتعقبه و مرة يقول هذا صحيح و مرة يقول و هذا حسن إلى غير ذلك، فمن أراد الاستزادة من ذلك فعليه به، ففيه فوائد كثيرةٌ .

و المصنف -رحمه الله- قد ساهم كثيراً في كبح جِماحِ منحرفي الصُّوفية في مسائل عظيمة من تعظيم حرمة الشريعة و القيام بأوامر الشرع و نواهيه، و الإنكار على القائلين بالحلول وغيره، و لذا فيتشهد بكلامه في الردّ على شطحات بعض المنتسبين للصوفية و القائلين بالاتحاد و الحلول و غير ذلك ، و لأجل ذلك يستشهد البِقاعيِ في تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي بكلام أبي القاسم القشيري في الردّ على أولئك المنحرفين (٢) ، و مع هذا فانتقد عليه الإمام ابن الجوزي و غيره ما هو ظاهرٌ في مواطن من الرسالة القشيرية من الاصطلاحات و الحكايات العجيبة، مع أنه قد وقع فيها غيره ممن صنف في هذا الباب (٣). و الإنصاف يقتضي أن يُتكلّم في عقائد العلماء المعروفين باتباع السنة و بتعظيم حرمة الشريعة على منهجٍ معتدلٍ لا غلو فيه في إبراز أخطائهم ولا تفريط فيه و قد ذكر الإمام الذهبي في ترجمة أبي بكر القفال الشاشي الكبير و اسمه محمد بن علي (ت: ٣٦٥هـ) كلاما مفيداً حول هذا فقال حكاية عن (أبي سهل الصعلوكي، وقد سُئِلَ عن تفسيرِ أبي بكر القفّال، فقال: قدّسه من وجهٍ، ودنّسَهُ من وجه، أي: دنّسه من جهة نصرِهِ للاعتزال.قلتُ: الكمال

---

(١) الاستقامة: صـ ٨٩ طبعة دار الفضيلة.

(٢) ينظر:تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي : صـ ٢٤٠.

(٣) ينظر: الكلام على : ((الرسالة القشيرية)) في مصنفات المؤلف من هذه الدراسة.

عزيز، وإنما يُمْدَحُ العالم بكثرةِ مَا لَهُ من الفضائل، فلا تُدفَنُ المحاسنُ لوَرْطةٍ، ولعلّه رجعَ عنها. وقد يغفَرُ له باستفراغه الوُسْع في طلبِ الحق ولا قوة إلا بالله (١))اهـ.

و قال شيخُ الإسلام ابن تيمية في هذا المعنى- في معرِضِ كلامٍ له ذَكَرَ فيهِ جماعةً من مشاهِير عُلماء الأَشَاعِرة مِنْهُم:الإِمَامُ أبو الوَليد البَاجِيّ والإِمَامُ أبو المَعالي والإِمَامُ أبو بكر بن العَرَبِي - :

(ثُمَّ إِنَّهُ مَا مِنْ هؤلاء إلاَّ مَنْ لَهُ في الإِسلامِ مَساعٍ مَشْكُورةٌ وَحسناتٍ مَبْرورَة ولَهُ في الرَّدِ على كثيرٍ مِنْ أهلِ الإلحَادِ والبِدَعِ والاِنتِصَارِ لِكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ السُّنة والدِّينِ ما لا يَخْفَى عَلى مَنْ عَرَفَ أَحْوَالَهُم وتَكَلَّمَ فِيهم بِعلمٍ وصِدقٍ وعَدْلٍ وإِنْصَافٍ لكن لَمَّا التَبَسَ عليهم هذا الأَصْلِ المَأْخُوذِ اِبْتِداءً عَنْ المُعْتَزِلة، وَهُمْ فُضَلاء عُقَلاء، اِحْتَاجُوا إِلى طَرْدِهِ والتِزَامِ لَوازِمِهِ فَلَزِمَهُمْ بِسَبب ذَلِك مِنْ الأَقْوَالِ ما أَنْكَرَهُ المُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ العِلم والدِّين وصَارَ النَّاس بِسَبب ذَلِك : مِنْهُم مَنْ يُعَظِّمهم لِمَا لَهُم مِنْ المَحَاسِن والفَضَائِل ومِنْهُم مَنْ يَذُمُّهم لِمَا وَقَعَ فِي كَلامهم مِنْ البِدَع والبَاطِل وخِيَار الأُمُورِ أَوسَطُهَا، وهذا ليس مَخْصُوصاً بِهؤلاءِ بَلْ مِثل هَذا وَقَع لِطَوائِفَ مِنْ أَهْلِ العِلم والدِّين، والله تَعالى يَتَقبل مِنْ جَمِيع عِبَادِهِ المُؤمِنِين الحَسَنات ويَتَجاوزُ لهم عَنْ السَّيئات ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠]

ولا رَيب أَنَّ مَنْ اِجْتَهَد فِي طَلَبِ الحَق والدِّين مِنْ جِهة الرَّسُول ﷺ وَأَخْطَأَ فِي بَعْضِ ذلك فالله يَغْفِر لَهُ خَطَأَه تَحْقِيقاً لِلدُّعاءِ الذِي اِسْتَجَابه الله لِنَبِيه ولِلمُؤمِنين حَيْثُ قَالوا: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا ﴾ [البقرة :٢٨٦]) اهـ .(٢)

(١) سير النبلاء: ١٦/ ٢٨٥

(٢)دَرء تَعارُض العَقل والنَّقل ١/ ٢٨٣.

و من المعلوم أننا حين نتكلَّم في اعتقاد علم كبير و إمام مشهور له قَدَم في العلوم الشرعية ومحافظة على فرائض الإسلام الظاهرة ، و عنده تعظيم للكتاب و السنة، فلا يصلح أنْ نترقّى للقدح في شخصه فنعمّم الكلام لأمورٍ منها أنّنا لا نعلم خواتيمُ الخلق فقد يتغير اجتهاد العالم و يضطرب اختياره و هذا في مسائل الاعتقاد كثير و فيما دقَّ منها أكثر كما حصل لأبي بكر بن فورك و أبي المعالي الجويني [1] و غيرهم وقد ألمحتُ إلى هذا في ترجمة أبي بَكر ابن فُورَك شيخ المصنّف، و بخاصة إنْ كان ممن طال به العُمر كأبي القاسم القشيري وكثُرت تصانيفه فألّفَ و هو ابن ثلاثين عاماً ثم صنّف و هو ابن سبعينَ عاماً.

و منها : أنّ ذلك قد يُفسِد على بعض الناس الانتفاع بما أصاب فيه العالم في تآليفه الكثيرة ، فيكون سببا للزهد في معرفة الحقَّ البيّن الذي قد ينتفع به الإنسان و يقع بسبب ذلك أن يحتقِر بعض الناس المفيد النافع من كلام من تُكُلِّم فيهم، هذا مع أنّه لا بدّ من بيان الحقّ والسنة بالحكمة لئلا يضلّ الخلق و للتبين للجاهلِ و المتردِّد الحقائقِ ولتقوم الحجّة على المعاند.

ثم من المعلوم أنّه يُوجَدُ في كثيرٍ من العلماء المشهورين المنتسِبين للأشاعرة من له مع فضائلِه اجتهادات خاطئة ، وذلك يقع أحياناً فيما يتعلّق بتأويل بعض الصفات أو الجنوح إلى طريقة المتكلمين من الأشاعرة،أو الماتريدية، أو الاضطراب في هذا الباب، و اختلاف الاجتهاد، فيقع في كلامهم من اتباع ظواهر النصوص وأئمة السلف ما يقعُ، ثمّ يُوجَدُ في كلامهم انتصارٌ لطريقة كلاميَّة تخالف طريقة السّلف، فالعَدْلُ فيهم أنْ يُوزَنَ جميع كلامهم بالحقّ ولا يُنظَر إليهم بعَينٍ واحدٍ ترى خطأهم و تُغمِضُ عمّا لهم من المساعِ المشكُورة والفضائلِ الجمّة، ولا يعزبنّ عنا تأثير البيئة و التأثُّر بالشُّيوخ و الأقرانِ، فإنّ ذلك من أسباب الزّلل و من أقوى أسباب غلبة الهوى، و الله المستعان.

و لست أريد الإطالة في هذا لأنه باب كبير يحتاج لتطويل و تفصيل ، و المقصود أنّ أبا القاسم صحِب جماعة من المتقدّمين مما تأثروا بمنهج أبي الحسن الأشعري و تلاميذه إمّا

---

(١) ينظر مثلاً:مقدمة تحقيق : إيضاح المحصول من برهان الأصول للمازري: صـ٣٨ – ٤٥.

صحبة تتلمذ كحاله مع شيخه أبي بكر بن فورك و الإمام أبي إسحاق الإسفراييني أو صحبة تآخٍ و تعاون في رحلةٍ كصحبته مع الإمام البيهقي في حجّهما و قراءتهما على الشيوخ كما سيأتي(١).

وأمّا عقيدة المصنف من خلال تفسيره فيكفي لإبرازها أنْ نذكر نماذجَ من ذلك تكونُ على قسمين:

قسم في بيان اتباعه للسلف في كثيرٍ من الصفات الخبرية مع ذكر نماذج من جهود المصنف في الردّ على المبتدعة.

و قسم في ما تأوّله المصنف في تفسيره مما يخالف مذهب السلف.

ومنهج المصنف في الأسماء و الصفات فيما عثرتُ عليه من تفسيره أنه يثبت الصفات الخبرية كالوجه و اليد و غيرها. فمن الصفات الخبرية التي أثبتها و ردّ على من تأولها صفة اليد:

فقد ردّ على المعتزلة تأويلهم لقوله تعالى : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)(المائدة: من الآية٦٤) بأنّ اليد هنا النعمة ،و بيَّنَ أنها صفة ثابتةٌ لله تعالى على ما يليق به تعالى . وردّ عليهم قائلاً إنّ نعم الله لا تحصى ولا تنحصر باثنتين (ورقة: ٢٩٠ ب).

و تفسير المصنف في هذا النوع أبعد عن التأويل الباطل من كثير متأخِّري الأشاعرة، و من بعض التفاسير المشهورة كتفسير الراغب الأصفهاني و تفسير أبي محمد ابن عطية: المحرر الوجيز (٢)وغيرها فهو متفوّق عليها بتركه هذا النوع من التأويل الذي فشى في متأخِّري الأشاعرة.

- ردّ المصنف على الفرق الضالّة في تفسيره:

---

(١)ينظر: ما سيرد صـ ٧٥ و ينظر أيضا في عقيدة القشيري: موقف الأشاعرة: ٢/ ٥٩٢.

(٢) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني من أول سورة آل عمران و حتى نهاية الآية: ١١٣ من سورة النساء. رسالة دكتوراه: للدكتور: عادل الشدي. ط. مدار الوطن. ففيها مقارنة موجزة بين تفسير الراغب و ابن عطية. صـ ٣٤٧ – ٣٥١ و ينظر: تفسير ابن عطية: ٥/ ١٤٩

ردّه على القدرية:

- قال: في تفسير البسملة. :(وفي قوله تعالى﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ردٌّ على القدرية لأنَّ الله سبحانه أدَّب عباده و أمرهم أن يبدأوا في كلِّ أمر بهذه الآية، وقد ذكرنا أنّ معناه بالله أفعل أي بتيسيره و قدرته و إرادته و مشيئته و القدرية تزعم أنها تُوجِد أفعالها بقدرتهم على الأفعال مستبدّين بها) اهـ. (١)

- و من ذلك أيضا ردّه عليهم في قولهم ((إنّ معنى الإضلاِل الحكمُ بالضّلالِ) فالمعتزلة تتأول هذه الآيات و نحوها بأنّ معنى أضلّه سمّاه ضالا أو حكم بضلاله وهذا باطلٌ معنى وفاسد لغة .

فإنّه قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ : (وأما الضّلال فهو الذّهاب عن الحقّ والزيغ عن الرُّشد ومنه ضَلَّ الماء في اللّبن (٢) وقوله:﴿ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة:١٠]. والإضلالُ الإذهاب عن الحقّ والدِّين والله يُضِلّ الكفار بأن يخلق ضلالتَهم، وليس قول القدرية أنّ معنى الإضلالِ: الحكمُ بالضّلالِ بشيءٍ، وليس إذا قيل في اللغة أكفَرَهُ بمعنى سمّاه كافرا مما يجوّزُ أن يقال أضَلَّهُ أي سماه ضالاً لأنّ اللغة لا تُؤخذُ قياساً. ثم لو كان هذا صحيحاً لكان إبليس مضِلّا للأنبياءِ والمؤمنينَ جميعاً لأنّه سمّاهم ضالين ويجب أنْ يكون أحدُنا إذا سمَّى الكفَّار ضُلالا مضِلا لهم عن الدِّين ولا يجوزُ أنْ يكون معنى

---

(١) ينظر: ١/ ٣٢٦ من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة : مادة (ضلل) ولسان العرب: ١١ / ٣٩٥ ضلل وغيرها. وتفسير القرطبي: ١ / ١٥١ و الدر المصون: ١ / ٨٦.

أضلّه وجده ضالًّا، كما يُقال: بلوتُه فأحمدتُه أي وجدتُه محموداً لأنّه يوجِب أنْ يكون المسلم مُضِلًّا للكافر إذا وجده ضالا [(١)])اهـ.

و قال أيضا يردّ على القَدَرية و الجَبْرية:

(و قيل : ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ [البقرة: الآية: ٣٨] أي هدايةٌ يُهتدَى بها فتكونُ الآية ردّا على القدرية حيث أخبر أنّ الهداية تكون من الله .و الهداية إيمان العبد و معرفته

و قوله ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ أي اهتدى بهداي و أطاعني في أمري فيكون في الآية ردٌّ على الجبرية حيث قال: ﴿تَبِعَ هُدَايَ﴾. [(٢)])اهـ.

وقال أيضاً يردّ على المعتزِلةِ زعمهم أنّ الحرام ليس برزق[(٣)] :

(قال الحسين بن الفضل قوله: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: آية:٥٧]يعني الحلال من ذلك. وفي الآية ردٌّ على القدرية حيث أخبر أنّ الرزق منقسِمٌ إلى

([١])ينظر: الوسيط: ١ / ١٠٩ و تفسير العلامة نجم الدين عمر النسفي :(ت: ٥٣٧هـ) التيسير في التفسير: (ورقة ٦٨) . مخطوط . و فيهما الرد على المعتزلة. وينظر: مادة : (ضلّ) في تهذيب اللغة للأزهري رحمه الله.

(٢) ينظر أيضا: ما ذكره المصنّف عند قوله تعالى: في سورة الفاتحة ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

([٣])ينظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار: صـ ٧٨٧ و الكشاف: ١ / ١٥٥، قال الإمام أبو عبد الله القرطبي: (والرزق عند أهل السنة ما صحَّ الانتفاع به حلالا كان أو حراما خلافاً للمعتزلة في قولهم إنّ الحرام ليس برزق لأنه لا يصحُّ تملكه وإن الله لا يرزق الحرام وإنما يرزق الحلال ...)اهـ. :تفسير القرطبي :١/ ١٧٧ وينظر: تفسير أحمد الهكاري: (ت: ٧٦٣هـ) : صـ ٢٥٥ رسالة دكتوراه.

و في فتح القدير للشوكاني: (و الرزق عند الجمهور ما صلح للانتفاع به خلافا للمعتزلة)اهـ. ١ / ٣٦ كما ينظر: التعليق على الآية في موضعها من التحقيق: صـ٦٧٠ .

حلال و حرام ولولا ذلك لم يكن لتقييد الكلام بقوله: ﴿ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ معنىً)اهـ. فهذا نقلٌ عزيز و مفيد. ذكر ذلك عند تفسير هذه الآية من البقرة.

وقال في هذا أيضا : (قوله ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: آية: ٣] أي أعطيناهم وحقيقة الرّزق ما هيّئ للانتفاع به من ولد ومال و غيره [١] ،و لمّا مدحهم بإنفاقهم ما رُزِقوا عُلِم أنه أراد به بعضَ ما رُزقوا وهو ما يكون حلالا لأنَّ الرزق منقسم إلى حلال و حرام ويرجع التحريم والتحليل إلى تصرفهم فيما مكّنهم منه و إنما مدحهم بإنفاقهم ما رزقهم)اهـ.

وقال أيضاً يرد على القدرية عند قوله تعالى: ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥]: (و ليسَ في الآية دَلالةٌ على أنّ المؤمن إذا لم يكن له أعمالٌ صالحةٌ ليس له نصيبٌ في الجنة لأنّه يريدُ به أنّ هذه الجنّة المخصوصة التي صفتها هذا لمن عمِل الصّالحاتِ، و هو مؤمنٌ فأمّا من قصَّر في الأعمال الصالحات، فله درجة في الجنة دون هذا وفي الآية دلالةٌ على فساد قول القَدَريّة في أنَّ الفسّاق في النار مخلَّدون لا يدخلون الجنة لأن لهم أعمالا صالحة أيضا و إيمانا وإن كانوا فسَّاقا)اهـ.

ومن أصولِ أهل السنة و الجماعة التي خالفوها فيها الخوارج و المعتزلة قولهمْ بأنّ عصاةَ الموحّدين الذين يدخلون النّار يخرجون من النار بمشيئة الله تعالى، و من أصولهم أنهم لا يكفِّرون المسلمين بارتكابِ الكبائر التي هي دون الشّرك بالله تعالى [٢] .

---

[١] تفسير الثّعلبي: ١ / ١٤٨ و تفسير القرطبي:١/ ١٧٧ و التفسير الكبير للرازي: ٢ / ٢٨ وفتح القدير للشوكاني: ١ / ٣٦

[٢] ينظر مثلا: العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز الحنفي: ص ٤١٦ – ٤١٧ و الاعتقاد للبيهقي: ص ٢٣٨ – ٢٤٦ و الحجة في بيان المحجة للإمام اسماعيل التيمي الحنبلي : ٢/ ٢٨٠ و غيرها كثير.

نماذج أُخرى من رُدوده على تأويلاتِ المبتدِعة من المعتزلة و غيرهم:

في هذا الكتاب نفائس في الرد على المعتزلة و غيرهم فمن ذلك ردّه تأويلاتهم في قوله: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ الآية [٧] و قد أطال المصنف هناك و علقت هناك بما تيسّر فمما قاله : (و تأوَّلت القدرية الآية على أنّه بمعنى حكم الله تعالى بكفرهم و هذا باطل، [١] و ذلك أنْ يحكم بكفر الكافر، قال: يختم الله على قلوبهم في تلك الحالة بأنْ يمنعهم عن الإيمانِ عقوبةً لهم على ما سلف من كفرهم في حال التكليف ثم أخبر أنّ لهم عذاباً عظيماً في الآخرة. و هذا الذي قاله باطلٌ لوجوه منها:

أنَّ قوله ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ ﴾ خبرٌ يقتضي حصولَ المخبر عنه والذي قاله أمرٌ منتظَر يحصل في حال النزع، ولأن الكافر في وقت النزع يؤمن و يندم فلا ينفعه ذلك و قد قال الله تعالى ﴿ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَـٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا ﴾ [غافر:٨٥]. [٣٧و] فكيف يصحّ أن يقال ختم على قلبه في ذلك الوقت.

وتأوَّله بعضُهم على أنه توسُّعٌ و معناه أنه ذمَّ قلوبهم وقال كأنها مختوم عليها حيث لا يدخل فيها إيمان ولا يخرج منها كفرٌ و هو كقول الشاعر:

لقد أسمعتَ {أو} ناديتَ حيَّاً   و لكن لا حياةَ لمن تنادي [٢]

---

[١] تأويل ختم بمعنى كفر خروجٌ عن اللفظ البيّن إلى معنى متوهّم فهو باطل كما قال المصنّف رحمه الله وكذلك ما ذكره الزمخشري من تأويلاتِ أحسنُ التأتي لها لبراعته في علوم البيان و تقدّمه في علوم اللغة هي باطلة أيضا، و قد رد الإمام الطيبي على الزمخشري ردا قويّا مفيدا مقنِعا لمن وفقه الله. الكشاف مع حاشيته : ١/ ١٦٥ – ١٦٦.

[٢] في المصادر: لقد أسمعتَ لو ناديتَ حياً ......والبيت من المتنازع فيه، فيُروى من قصيدة لكثيّر عزة في ديوانه : أولها:

شَجا أَظعانُ غاضِرَةَ الغوادي   بِغَيرِ مَشورَةٍ عَرَضًا فُؤادي

و هي في الأغاني بطولها لكن ليس فيها هذا البيت: ينظر: الهامش هناك في قسم التحقيق: صـ ٤٢١.

أيْ كأنّهُ لا حياةَ به و هذا باطلٌ لأنه صَرَفَ الكلام عن حقيقته إلى المجاز من غير دليلٍ)اهـ.
ثم ذكر الأحاديث في الختم على القلب فينظر هناك.

وقال أيضا: عند قوله : ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ..... ﴾ (آية: ٣٦ من سورة البقرة) (ورقة: ٦٠) صـ ٥٧٩ من القسم المحقّق.

(و بعض القدرية ينكرُ كون آدم في الجنة و قالوا إنه خُلق من الأرض، و كان في الأرض في جنَّة منها، و إنه عصى في الأرضِ و فيها وسوس إليه إبليسُ، و هذا القول باطلٌ بإجماع المفسّرين على خلافه و بقوله: (اهبطوا) و الهُبوط لا يكون إلا من عُلْوٍ إلى أسفل)اهـ.

وقال عند قوله ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾(سورة المائدة: من الآية ٤٨) (ورقة: ٢٨٦).

(و الآية حجّة على المعتزِلة لأنّهم قالوا قد شاء الله أنْ يجمعهم كلّهم على الهدى وهمْ بأنفسهم اختلفوا .

وقيل في التَّفسير :ولو شاء الله لجعلكم أنتم و أهلُ الكتاب على ملة الإسلام ولكن ليبلوكم فيما أعطاكم من الكتاب و السنة مَن الذي يطيعه ومَن الذي يَعصيه)اهـ .

و ردوده على المعتزلة كثيرة.

ردّه على الجهمية و من وافقهم: قال (ورقة:٥٩ أ) : (و في الآية دليلٌ على أنّ الجنة مخلوقةٌ ردّا على الجهميّة ولا معنى لقولهم: إنّه أسكنه جنة أخرى غير تلك الجنة التي وُعِد المتقون بها لأنّ الألف واللام فيه للعهد..) اهـ. ذكر ذلك في تفسيرقوله: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ الآية [٣٥]. [١]

ردّه على المجسمة:

مِن رُدوده عليهم ما قاله عند قوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ في سورة الفاتحة.

---

[١] ينظر قسم التحقيق عند تفسير المصنف للآية في موضعها:صـ٥٧٠.

(و فيه ردٌ على المجسِّمة لأنهم إذا قالوا إنّ العالم على الحقيقة ليس بمقدورٍ له فكيف يكون مالكها و سيِّدها، و إذا وَصَفُوه بأوصاف الخَلْقِ و العَالَم، بُيِّن قيام الحوادث بذاته واختصاصه ببعض الجهات فكيف يكون أولى بالحدوث من العالَمِ و كيف يكون أولى بأن يكون مالكا من أن يكون مملوكا، و لولا أنْ يكون شرطنا الاختصارُ لبسطنا الكلام فيه، و كشفنا عن عَوارِ مذهبهم و أظهرنا مباينة مقالاتهم في أكثر مسائلهم لآيات القرآن وسندلُّ على بعضها بقدرِ ما يحتمله الكتاب إنْ شاء الله)اهـ.

ردّه على الرافضة و دفاعه عن الصحابة:

و من كلامه الحسن و فيه ردٌّ على الرافضة ما ذكره عند قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة: آية:٥٤].

قال :(فهذه الآية من أعظمِ الدَّلالة على خِلافة أبي بكر لأنَّ الخليفة لا يكونُ إلَّا مَن يُحِبُّ الله و يُحبُّهُ. وبعضهم قال ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ﴾ إحالةٌ على قومٍ لم يكونوا موجودين في تلك الحال، وهذا لا يضرُّنا فيما ذَكرناهُ لأنهم و إنْ أتوا فيما بعدُ فقد جاهدوا بأمرِ أبي بكر فلولا أنه محقٌّ و إلا لم يكن الجهاد بأمره حقّاً)اهـ. (ورقة ٢٨٨) الوجه الأول.

ردّه على من خالف ظواهر الكتاب و السنة:

قال عند قوله : ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ : (أي دائمون مؤبَّدُون. و الآيةُ ردٌّ على القائلين بفناء الجنة و النّار، و الخلود في اللغة هو الدَّوام). (الورقة: ٥٠ ب).

- ردُّه على القائلين بالصّرفة:

قال المصنف رحمه الله - ردّاً على من قال :وجهُ الإعجاز في القرآن الصّرفة يعني أنَّ جنسه كان مقدوراً لهم، و لكنّ الله صرف دواعيهم عن الإتيان بمثله، و صرف دواعيهم عن ذلك هو المعجزة لا ما اشتمل عليه القرآن ... قال: (و هذا باطلٌ (١) لأنّه لو كان الأمر على ما قالوه

(١) إعجاز القرآن كما دلت الآيات وقع بالقرآن نفسه لا بأمر خارج عنه، عند أهل السنة و عند محققي

لكان ذلك بأركِّ كلامٍ و أوضعِ عبارةٍ لأنّ العجز عن مثل ذلك أبينُ و أدلّ على صحة التحدِّي به إن كان على ما قالوه، و بعض النّاس قال الإعجاز لم يتعلق بنظم القرآن و إنما تعلَّقَ بـما أُودِعَ فيه من الإخبار عن الغائباتِ و الصحيح من القول أنّ الإعجاز في القرآن من أربعة أوجه الـخ)اهـ. (ورقة: ٩).

و كلام المصنف -رحمه الله- في وجوه الإعجاز من أحسنِ ما قاله المتقدّمون في هذه القضية، و هو موافق للقول الصحيح بأنّ إعجاز القرآن وَ قَع بجميع ذلك و بغيره (١).

تأويل المصنّف لبعض الصفات:

و منها: صفةَ الرّحمة، و الغضب، و المحبّة .

قال في قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنِ﴾[الفاتحة: ١] (فإذا ثبتَ أنّه اسمٌ عربيٌّ و أنّه مـشتقٌّ مـن الرَّحمـة فعندنا رحمته من صفاتِ ذاته لم يزل بها موصوفا ولا يزال بها موصـوفا، و هـي إرادة الإنعـام على من أراد أن ينعم عليه)اهـ.

فهذا التأويل للرحمة بإرادة الإنعام إنّما يقول به من يقول به من متقدّمي الأشاعرة ومتـأخريهم و هـو موجودٌ في تفـسير الثعلبـي (ت: ٤٢٩هــ) و غـيره و موجـود لجماعـة مـن متـأخريهم(٢)، و لكـن

العلماء ، وذهب بعض المعتزلة إلى وجهٍ آخر شاذٍّ فجعلوا الإعجاز أمراً خارجاً عن جـوهر القـرآن بعيـداً عن ذاته، وإنما هو لعجز أحدثه الله في أنفس العرب والنّاس جميعاً، ومنعهم دون القيام بمعارضـته قهـراً. قال ذلك أبو إسحاق النَّظَّام من المعتزلة فقد قال : (الآية و الأعجوبة في القرآن ما فيه مـن الإخبـار عـن الغيوب فأما التأليف و النظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد ، لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم) اهـ. نقله أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين : ١ / ٢٩٧ و غيره . ينظر التعليق على هـذا في القسم المحقق في مقدِّمة الكتاب من هذه الرسالة.

(١) ينظر: الحاشية على هذا الموضع في القسم المحقَّق من مقدّمة المصنّف.

(٢) تفسير الثعلبي: ١/ ٩٩ وتفسير أبي العباس أحمد الكواشي (ت: ٦٨٠هـ.) (تبصرة المتذكر وتـذكرة المتبصر) ص٣٢٤ رسالة دكتوراه وينظر: الفتاوى: ٢ / ٣٥٤ و ٦/ ١١٧ ومختصر الصواعق المرسـلة: ١ / ٢٣ ومحاسن التأويل للقاسمي: ٦ / ٢٥٣ وموقف شيخ الإسلام من الأشاعرة: ٣/ ١٢٢٣ .

الصوابَ ترك التأويلِ و الإيمان بها صفة للباري على ما يليق به تعالى و تقدس، و قد خلا من هذا التأويل تفسير إمام المفسرين الطبري و البغوي و السمعاني و ابن كثير و غيرهم ممن اتبع طريقة سلف الأمة من الصحابة و التابعين و تابعيهم.

ثمّ استرسلَ المصنّف في ذكر أقوال أهل الكلام في معنى الرّحمة، وذَكَرَ قولَ من قال إِنّها ترك العقوبة، و ذكر قول المعتزلة إنّ الرّحمة النّعمة [1]و قول غيرهم و ردّها، فينظرْ في موضعه ، من هذه الرسالة.

- مثال آخر :

تأويله لصفةِ الغضب للباري تعالى و تقدّس: قال عند قوله تعالى: ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ : (وأما معنى الغضب فهو إرادة العقوبة)اهـ.

وهذا تأويلٌ قد حكى الطبري نحوه عن قوم لم يُسمِّهم [2]لكنه ذكر آخِراً ما يوافق مذهب أئمة السلف ، و أما البغوي فقال - على غير عادته-: (الغضب إرادة الانتقام من العصاة)اهـ. [3]وكأنه نقله عن: أبي إسحاق الثعلبي فقد ذكره في تفسيره الكشف و البيان [4] ، والصواب في مثل هذه الصفات للباري تعالى إثباتها كما وردتْ من غير تكييفٍ و لا تمثيلٍ ولا تشبيه ولا تأويلٍ إثباتا مبنيّاً على التنزيه التامّ لله تعالى عن مشابهة الخلق مع قطع النظر واليأس بالكلية عن إدراك الكيفية. قال الطحاوي في عقيدته المشهورة: (و الله يغضب ويرضى لا كأحدٍ من الورى [5])اهـ .

مثال آخر : صفة المحبة:

---

(١) الكشاف: ١/ ١١٠ مع حاشيته للطيبي. و ينظر: صـ ٣٢٠ من قسم التحقيق.

(٢) تفسير الطبري: ١/ ١٨٩

(٣)تفسير البغوي: ١/ ٥٥

(٤)تفسير الثعلبي: ١/ ١٢٣

(٥) ينظر: تعليق ابن أبي العز عليه: شرح العقيدة الطحاوية: ص٥٢٤ و الفتاوى: ٣/ ١٧ و ٦/ ١١٩ الرسالة الأكملية و درء التعارض : ٤/ ٩٢ ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم: ١/ ١٣ .

قال المصنف في تفسير سورة آل عمران ما نصه:

(و محبة العبد لله تعالى طاعته له ورضاه بما أمره به، و محبة الله للعبد رحمتهُ و فضلُهُ عندهُ، وثناؤه عليه)اهـ. (روقة: ١٦٨أ).فهذا أيضا تأويل لصفة المحبة للباري تعالى برحمته و ثنائه على العبد، وصفات ربنا الذي هوخالق كلّ شيء لا تقاس على شيء فالله تعالى يحب من شاء من عباده كما يبغض من شاء والأمر في صفة المحبة و الغضب و الرحمة واحدٌ. و هذا التأويل وافقه فيه بعض مفسري الأشاعرة [(١)].

وقد ذكر المصنف عند قوله : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ (البقرة: آية: ٢٩) مذاهب أهل السنة في تفسيرها، و لكنه ذكر ما لا يصحّ من التأويلات من غير تضعيف له فكان ينبغي أن يضعفه عند ذكره أولا يذكره فقد قال بعد حكاية اختلاف أهل السنة في معناها من جهة اللغة أهو قصد أو علا الخ . ثم قال بعد كلامٍ : (و قيل تَحَوَّل فعله إلى السّماء كما يُقال كان الأمير يدبِّر أهل الشام ثم استوى إلى أهل الحجاز أي تحوّل فعلُهُ و تدبيره) اهـ. وهذا الذي ذكره إنما هو قول الأخفش [(٢)]، و هو تأويل معتزليّ و قد بيّنتُ هذا في التهميش هناك.

المبحث الخامس: أخباره [(٣)]

(١) ينظر: مثلا ابن ظفر الصقلي و منهجه التفسـ من خلال كتابه ينبوع الـ ياة – رسـالة مـا جستـ إعداد: صا الفايز.

(٢) معاني القرآن للأخفش : صـ ٥١ و الوسيط للواحدي: ١ / ١١٢ .

(٣) ما أنقله هنا من أخباره فهو عن حفيده من كتابه السياق في تاريخ نيسابور و منتخبه للصريفيني مطبوعٌ. و قد نقل كثيرا من كلامه ابن عساكر و ابن الصلاح و ابن خلكان والذهبي و السبكي وغيرهم في المصادر المشار إليها في ترجمته ، و ما لم يكن فيه فسأشير إلى مصدره.

نشأ أبو القاسم يتيماً فقد توفِّي أبوهُ وهو طفلٌ. فوقَعَ إلى بعض أهل العلم ببلده يقال له أبو القاسم الأَليماني [(١)] الأديب فقرأ الأدب والعربية عليه بسبب اتصاله بهم وقرأ على غيره. قال ابن خلكان [(٢)] : (قرأ الأدب في صباه)اهـ.

و من أخباره أنه كانت له ضيعةٌ ورثها عن أبيه ثقيلة الخراج بناحية أُسْتُوا، فرأى في عنفوانِ شبابِهِ من الرّأي أن يتعلَّم طرفاً من صناعةِ " الاستيفاء " ، و يتقلّد العمل لعله يصونُ بذلك ضيعتهُ، ويدفع عنها ما يتوجَّه عليها من مطالبات الدولة. فدخل نيسابور بعدما أُونس رشدُهُ على هذه العزيمة، فاتَّفق حضُورُه مجلسَ الأستاذ أبي علي الدقَّاق، وكان واعظ وقته كما تقدّم ، فاستحلى كلامه، فوقع في شبكة الدقّاق، و إذا به قد أراد أمراً و أراد الله غيره. [(٣)]

انعطاف كبير في حياة القُشَيري

إنّ صحبة القُشَيري و تتلمذه على أبي علي الدَّقاق غيّر مجرى حياته و اتجه به في طريق جديد، وقد صحبه القشيري و تتلمذ عليه في وقتٍ مبكّر بلا شكّ ،لكننا لا نقف على تحديد دقيق لابتداء وقت هذه الصحبة، و إن كنا نعلم أنه صحبه يقينا قبل بلوغه سنّ الثلاثين بسنوات أي قبل وفاة أبي علي الدَّقاق المتوفي : (٤٠٥هـ) – الذي سبقت ترجمته في شيوخ المصنّف- .

([١])لم أعثُر على ترجمته. و وقع في السِّيَر للذهبي: (دُفع إلى الأديب أبي القاسم اليمني ،فقرأ عليه الآداب) قال محقِّقوه: كذا في الأصل، وفي " تبيين كذب المفتري "، و " طبقات " السبكي والإسنوي، و " طبقات " الداوودي: " الأليماني " ولم نجد ترجمة هذه النسبة)اهـ. قلت: وكذلك وقع " الأليماني " في مخطوطة السياق ورقة: ٥٠، و في طبقات ابن الصّلاح: ٢/ ٥٦٣ ووقع في تاريخ الإسلام للذهبي في طبعة عمر عبد السلام : اليماني. ٣١/ ١٧٠ و كذلك في طبعة د/ بشار: ١٧/ ٢١٧ وينظر: كلام الدكتور : قاسم السامرائي في: مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ١٧/ ٢٦٤ ،بغداد ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

(٢) وفيات الأعيان: ٣/ ٢٠٦

(٣) طبقات ابن الصلاح: ٢/ ٥٦٣

ويرى الدكتور :قاسم السامرائي أنه اتصل به عندما كان عمره : ١٨ عاماً أو قبلها بقليـل [١] و هو قول قويٌّ له وجه ،و لكنّ الجزم بسنٍّ معينة لابتداء تلك العلاقة لا دليل عليه.

ولقـد كـان لـشيخه أبي عـلي الـدَّقاق هـذا تـأثيرٌ واضـح في اتجاهتـه الزُّهديـة ، و منهَجـه في التَّصوّف،كما كان له تأثير كبير في حياتِهِ العلمية، فهو الذي أشارَ عليه بطلب العِلـم ، فخـرج إلى دَرْس الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن بكـر الطـوسي الـشافعي –الـذي تقـدمت ترجمتـه في شيوخ المصنف– ، وشَرع في دراسة الفقه حتى فَرَغ، ثم اختلف إلى الأُستاذ الإمام أبي بكر بـن فُورَك الذي تقدّمت أيضاً ترجمته ، فقرأَ عليه الأُصولَ الكلامية حتى حصَّلها وبَرَعَ فيها، وصارَ من أوجه تلامذته وأشدِّهم تحقيقا وضبطاً، وقرأ عليه أيضاً أُصولَ الفِقه ، وبعد وفـاة الأسـتاذ أبي بكر بن فُورَك اختَلَفَ إلى الأُستاذ أبي إسحاق الإِسفراييني.

ذكاء أبي القاسم القُشَيري

حضر القُشَيري درسَ شيخه الأُستاذ أبي إسحاق الإِسـفراييني – المتقـدّم ذكـرُهُ في شـيوخه – وقعد يسمع جميع درسه أياماً فقال لهُ الأستاذ:

هذا العلمُ لا يحصل بالسّماع. وما توهّم فيه ضبطَ ما يسمعُ ، فأعاد عليه ما سمعه منـه وقـرَّره أحسن تقريرٍ من غيرِ إخلالٍ بشيءٍ فتعجَّب منه وعرف محلَّه فأكرمهُ، وقال ما كنتُ أدري أنّـك بلغتَ هذا المحلّ فلستَ تحتاج إلى درسي يكفيكَ أنْ تطـالعَ مـصنفاتي وتنظـر في طريقتـي وإنْ أشكل عليك شيء طالعتنَي به، ففعل ذلك، وجمع بين طريقته، وطريقة ابن فورك [٢] .

---

(١): مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ١٧/ ٢٦٥ ،بغداد ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

(٢)طبقات ابن الصلاح: ٢/ ٥٦٤ و طبقات الشافعية للسبكي: ٥/ ١٥٥

شرح المحنة الكبيرة التي تعرّض لها:

سُنَّة الله في المُؤمنِين أنْ يَبْتَليهم وَيُمَحِّصهم بِأَنواع الإبتلاءات ، ولأهلِ الإيمان و العِلم نَصِيبٌ من هذه الإِبتلاءات، ومِمَّا قَصَّته التَواريخ مِنْ المَصَائِب والمِحن التي أُصِيب بها أبو القاسم القشيري مِحْنته التي أدّت إلى سجنه، ثمّ غربته عن أوطانه و بعده عن أحبابه وخِلانهِ، إنها المِحنة التي سيردُ شرحها.

قال حفيدُهُ الإمامُ الحافظُ الفقيهُ الثِقة عبدُ الغافِرُ الفارسيّ: (ومن جملة أحوالِ أبي القاسم ما خُصَّ به من المحنة في الدِّين، وظهور التعصُّب بين الفريقين في عشر سنة أربعين وأربع مئة إلى سنة خمس وخمسين، وميلِ بعضِ الوُلاة إلى الأهواء، وسعيِ بعض الرؤساء إليه بالتخليطِ، حتى أدَّى ذلك إلى رفعِ المجالس، وتفرُّق شملِ الأصحابِ، وكان هو المقصود من بينهم حسدا، حتى اضطرَّ إلى مفارقة الوطن ... الخ)اهـ. (١)

و هي فتنة عظيمة، تطاولت فيها المعتزلة و الشيعة و تفصيل أحداثها يطول و أخبار هذه الفتنة مذكورة عند طائفة من المؤرِّخين في حوادثِ سنة خمس وأربعين وأربعمائة (٢).

و قد لخّص شيخ المؤرخين الإمام الذهبي أحداثَ هذه الفتنة في ترجمة بعضِ أئمّة الشافعية، و أنا أسوقُ عبارته بألفاظها ثمّ أزيد عليها من غيره.

قال الإمام الذهبي -رحمه الله – في ترجمة إمام الشافعية في عَصْرِهِ أبي سَهْل بن الموفّق محمد بن هبة الله بن محمد بن الحسين البِسطاميّ ثم النَّيسابوري المتوفى سنة: (٤٥٦هـ) (٣) : (وظَهَر له خُصُومٌ وحسَّاد، وحرّفوا عنه ونِيلَ من الأشعريَّة، ومُنعوا من الوَعظ، وعُزلوا من خَطَابة

(١) تبيين كذب المفتري: صـ ٢٧٤ ، وسير أعلام النبلاء: ١٨/ ٢٣١ ، طبقات الشافعية للسبكي: ٥/ ١٥٧

(٢) المنتظم: ٤/ ٤٠٦ و الكامل: ٨/ ٩٧ و تاريخ ابن خلدون: ٣/ ٤٦٨ والبداية: ١٢/ ٨١ مع ما سأذكُرُه من المصادر الآتية.

(٣)المنتخب من السياق: (ت: ١٥٤) وتاريخ الإسلام للذهبي: حوادث : ٤٥٦هـ. و سير النبلاء: ١٨/ ١٤٢ وطبقات الشافعية: ٤/ ٢٠٨ – ٢١٠ و الإسنوي: ١/ ٢٢٦

نَيْسابور، وقَوِيت المعتزلةُ والشِّيعة، وآلَ الأمر إلى توظيفِ الّلعن في الجُمَع، ثم تعدّى الّلعن إلى طوائف، وهاجت فتنةٌ بخراسان حتى سُجِن القشيري، والرئيس الفُرَاتي (١) ، وإمامِ الحرمين، وأبو سَهْل هذا، وأُمِر بنفيهم، فاختفى الجُوَينيّ، وفرَّ إلى الحِجازِ من طريق كِرْمان، فتهيأ أبو سَهْل، وجمع أعوانا ومقاتلة، والتقى في البلد هو وأمير البلد، فانتصر أبو سهل، وجُرِح الأمير، وعظُمَت المِحنة، وبادَرَ أبو سَهْل إلى السلطان، فأُخِذَ، وحُبِسَ أشهراً، وصُودِرَ، وأُخذَت ضِياعه، ثم أُطلق، فحجَّ، ثم عظُم بعْدُ عند ألبْ آرسلان ، وهمَّ بأنْ يستوزره، فقُصِد واغْتيل إلى رحمة الله في سنة ستٍّ وخمسين، وأظهر عليه أهل نيسابور من الجزع ما لا يعبَّر عنه، وندبته النوائح مدّةً، وأُنشَدتْ مراثيه في الأسواق)اهـ. (٢)

و المقصود أنه وَقَعَ الَّلعنُ في الجُمَعِ على المنابر لأبي الحسن الأشعريّ و غيره ، في دولة السُّلطان طُغْرُلْبك (٣) ووزارة أبي نَصْر الكُنْدُريّ (٤) وكان السلطان حنفيا سنّياً وكان وزيره معتزليّا

(١)الرئيس المحدِّث الجليل أبو الفضل أحمد بن محمد بن أبي عمرو بن أبي الفُراتي النيسابوري،حجّ ودخل الشام ومصر، وطوّف، ووَرد إلى بغداد فأكرم في دار الخلافة إكراماً لم تجرِ العادة بمثلِه، ولُقِّب برئيس الرؤساء. (ت:٤٤٦هـ): المنتخب: (ترجمة: ٢١٨) ،تاريخ الإسلام للذهبي: وفيات(ت:٤٤٦هـ): ٣٠/ ١٢٣ ،سير النبلاء: ١٧/ ٦٦٧.

(٢) سير النبلاء: ١٨/ ١٤٢- ١٤٣

(٣)طُغْرُلْبَك (٣٨٥ - ٤٥٥ هـ) محمد بن مِيكائيل بن سَلْجُوق، أبو طالب، الملقّب ركن الدين طغرل بك: أول ملوك الدولة السلجوقية. و في وفيات الأعيان:(طغرلبك: بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وضمِّ الراءِ وسكونِ الَّلام وفتحِ الباءِ الموحَّدة، وهو اسمُ علَم تركيّ مركّب من طغرل وبك). طوّل ابن خلكان في ذكرقصته: وفيات الأعيان: ٥/ ٦٣ و المتنظم ٨: ٢٣٣ والكامل: ٨/ ٩٤ حوادث سنة(٤٥٥ هـ) والوافي ٥: ٢٥ وعبر الذهبي ٣: ٢٣٥ والشذرات ٣: ٢٩٤و الأعلام: ٧/ ١٢٠

(٤)الوزير الكبير، عميد الملك، أبو نصر، محمد بن منصور بن محمد الكندري، وزير السلطان طغرلبك ثم وزير ابن أخيه : ألْب أرسلان.كان أحد رجال الدّهر سؤدداً وجودا وشهامة وكتابةً وكان معتزليا، مدحه كثيرٌ من الشعراء ، و قيل اسمه منصور بن محمد قتل سنة (٤٥٦هـ) وله اثنتان وأربعون سنة: دمية القصر ٢ / ٧٩٦ - ٨١٣، الأنساب: ١ / ٤٨٣ - ٤٨٤، المنتظم ٨ / ٢٣٤، ٢٣٥، اللباب ٣ / ١١٤، الكامل لابن الأثير ١٠ / ٣١ - ٣٤ ، وفيات الأعيان ٥ / ١٣٨ - ١٤٣، سير النبلاء: ١٨/ ١١٣ ،العبر٣ / ٢٤٠ - ٢٤١، الوافي بالوفيات ٥ / ٧١ - ٧٤، البداية والنهاية ١٢ / ٩٠، النجوم الزاهرة: ٥ / ٧٦، شذرات

رافضيّاً فلمّا أمر السلطان بلعْنِ المبتدِعةِ على المنابِرِ في الجُمَع قَرَنَ الكُندُريّ للتسلّي والتشفّي اسمَ الأشعريَّة بأسماءِ أرْبابِ البِدَعِ (١).

قال ابن عساكر (٢) : (وامتحنَ الأئمة الأماثل وقصدَ الصُّدور الأفاضلَ وعزلَ أبا عثمان الصّابوني عن الخطابة بنيسابور وفوَّضها إلى بعض الحنفية)اهـ.

و معنى ما ذكره ابن عساكر و السبكي و غيرهما أنّ الإمام أبا سهل هذا قام في الدِّفاع والنّصرةِ قياماً -كما يحكون- مؤزّرا و اجتهد في ذلك لمنزلته و لكونه قد نصّبوه إماماً للشافعية خلفا لأبيه ، وكان مع ذلك كثير المال جواداً ، قالوا:

فتردّد إلى العسكر في ذلك ولم يُفِد تردّده و لم ينجَح سعيه، بل جاء الأمر من قبل السلطان طُغرُلْبَك بالقبض على الرئيس الفُراتي والأستاذِ أبي القاسم القُشيري وإمام الحرمين وأبي سَهل بن الموفَّق ونفيِهم ومنعهم عن المحافل وكان أبو سَهل غائبا في بعض النَّواحي فلما قُرىء الكتاب بنفيهم أُغرِي بهم الغوغاء والأَوباش وأخذوا بالأستاذ أبي القاسم القُشيري والفُرَاتيّ يجرُّونهما ويستخفُّونَ بهما وحُبِسَا بالقَهَنْدَز و هو حصن في وسط البلد (٣).

وأما إمامُ الحرمين فإنه كان أحسَّ بالأمر فاختفى وخَرج على طريق كِرْمان إلى الحِجاز. و أمّا أبو القاسم القُشَيري و الفُرَاتي فبقيا في السِّجن أكثرَ من شهر ، وهذه لا شكّ مدةٌ طويلةٌ في ذنبٍ لم يقترفه أبو القاسم القُشَيري رحمه الله ، و محنة عظيمة فيها أنواعُ الأذى بالسّبّ والسجن .

قالوا : فتهيأ أبو سهل ابن الموفّق إمام الشافعية -المتقدّم ذكرُه- من ناحية باخَرْز وجمع من أعوانه رجالا عارفين بالحرْب وأتى باب البلد وطلب إخراج الفُراتي و القُشَيري فما أُجيب بل

الذهب ٣/ ٣٠١ - ٣٠٤ و الكُنْدُريّ نسبة إلى كُندُر قرية بنيسابور ضبطها ابن خلكان بضمّ الكاف و سكون النون و ضمّ الدال .

(١) تبيين كذب المفتري: صـ١١٠ و الكامل: ٨/ ٩٧ و الطبقات للسبكي: ٣/ ٣٨٩

(٢)تبيين كذب المفتري: صـ١١٠

(٣)و هو في مواضع كثيرة ، بسمرقند و بخارى و بلخ ومَرْو و نيسابور: معجم البلدان: ٤/ ٢١٠

هُدِّد بالقبض عليهِ، و لكنه لم يلتفت وعَزَمَ على دخول البلد ليلاً والاشتغال بإخراجهما مجاهرةً، وكان متولي البلد قد تهيَّأ للحرب فزَحف أبو سهل ليلا إلى قرية له على باب البلد ودخل البلد ، فلمّا أصبحوا تردَّدت الرُّسل والنُّصحاء في الصلح وأشاروا على الأمير بإطلاق الأستاذ القُشَيري والرئيس الفُراتي فأبى و نشب قتالٌ بين الفريقين انتصر فيه أصحاب أبي سهل بن الموفق وجرحوا أمير البلد وهمُّو بأَسره ثم توسَّط الناس ودخلوا على أبى سَهْل فى تسكينِ الفتنة وإطفاء الثَّائرة وأتوا بالأستاذ والرئيس إلى دارِهِ وقالوا قد حصل القَصد و قد أُخْرِجَ هذانِ من الحَبْسِ ، فلمّا انتصر أبو سهل وتمَّ له ما ابتغى من إخراجهما تشاوَرَ هو وأصحابه فيما بينهم وعلِموا أن مخالفة السلطان لها تَبِعةٌ ،فاتفقوا على مهاجَرة البلد ... وانتهى إلى السلطان ما جرى فقُبِضَ على أبى سَهل وحُبِسَ فى بعض القِلاع وأُخِذت أموالُه وبيعت ضياعُهُ ثم أُفرِج عنه وخَرَج وحجّ.

سبب آخر لابتداء هذه الفتنة :

قيل في سبب ذلك ما تقدّم شرحه و قيل أيضا :إنه قد نُقل إلى الملك طغرلبك- المتقدّم ذكره- أنّ الشيخ أبا الحسن الأشعري يقول بكذا وكذا، وذُكِرَ بشئ من الأمور التي لا تليق بالدّين والسنّة، فأَمَرَ بلعنه، وصرّح بعض أهل نيسابور بتكفير من يقول ذلك، فضجَّ أبو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن من ذلك، وصنف رسالة في شكاية أهل السنة لما نالهم من المحنة، واستدعى السلطان جماعة من رؤوس الأشاعرة منهم القُشَيري فسألهم عما أنهي إليه من ذلك،فأنكروا ذلك، ونفوا أنْ يكون الأشعريُّ قال ذلك، فقال السلطان: نحن إنما لعنّا من يقولُ هذا (١).

(١)تاريخ الإسلام: ٣٠ / ١٣ ، البداية و النهاية: ١٢/ ٨١ حوادث سنة خمس وأربعين وأربعمائة. مع المصادر المتقدمة ،وينظر: ما سأذكره في مصنفات القشيري عند رسالته: شكاية أهل السنة.

و في ترجمة القشيري في كثيرٍ من المصادر منها :السياق [١] و المنتظم و طبقات ابن الصلاح و تاريخ الذهبي و طبقات السبكي : أنه خرج إلى الحجّ في رفقة فيها أبو المعالي الجويني، وأبو بكر البيهقي، فسمع معهم الحديث ببغداد والحجاز من مشايخ عصره.

قلت: و هذه صحبةٌ مفيدة في العلم و كلهم من كبار العلماء و بخاصة الإمام البيهقي.

قالوا: و كان له رحمه الله في الفروسية واستعمال السلاح معرفة كبيرة فقيل: كان في علم الفروسية واستعمال السلاح وما يتعلق به من أفراد العصر وله في ذلك الفن دقائق وعلوم انفرد بها [٢] .

إملاؤه الحديث:

عقد لنفسه مجلس الإملاء في الحديث سنة سبع وثلاثين وأربعمائة وكان يملي إلى سنة خمس وستين يذنِّب أماليه بأبياته وربما كان يتكلّم على الحديث بإشاراته ولطائفه[٣].

ما لقي من القبول في بغداد

وَرَدَ أبو القاسم بعد خروجه من نيسابور إلى بغداد و هناك سمع منه الخطيب البغدادي وغيره ولقيَ قبولا، وعُقِد له المجلس و حضره الخليفة العباسي القائم بأمر الله، ، وخرج الأمر بإعزازه وإكرامه، فعاد إلى نيسابور، وكان يختلف منها إلى طُوس بأهله، وبقي عشر سنين في آخر حياته محترما مطاعا معظّماً [٤] .

---

(١) السياق: ورقة: ٥٠ .

(٢)السياتق: ورقة: ٥٠ و طبقات ابن الصلاح: ٢/ ٥٦٤

(٣) طبقات ابن الصلاح: ٢/ ٥٦٥ و طبقات السبكي: ٥/ ١٥٦ .

(٤) السياق: ورقة: ٥٠ ب- أ، وتبيين كذب المفتري " ٢٧٤ - ٢٧٥، و سير النبلاء: ١٨/ ٢٣٣ ، طبقات السبكي: ٥/ ١٥٧ .

المبحث السادس : مصنفاته

الإمام أبو القاسم القُشَيري من المكثِرين من التصنيف و تصانيفه في علومٍ شتى، و مصنفاته قد سارت شرقا و غرباً في حياته (١).

قال الإمام ابن الصّلاح(٢) : (له تصانيفُ كثيرةٌ في فنونٍ)اهـ.

و إذا علمنا أنّ الإمام أبا القاسم مكثرٌ من التصنيف و قد عاش أيضا عمراً مديداً فيعسُر إحصاءُ كتبه إحصاء دقيقاً، لكني سأجتهدُ في تتبع مصنفاته بحسب ما يتيسر لي ، و أحسنُ من رأيتُه كَتب عن تصانيفه هو الدّكتور: قاسم السامرّائي و قد كان لاهتمامه بذلك علاقةٌ بأطروحته للدّكتوراه، في بعض مباحثها و رسالته هي : ((مسألة العُرُوج في الكتابات الصوفية)) و كتب بعد ذلك عنه ترجمةً في مجلّة المجمع العلمي العراقيّ و نشر بعض رسائله المخطوطة (٣)، وسيأتي ذكرها .

و ممن كتَب عن القشيري : الدكتور علي حسن عبد القادر في مقدمة تحقيقه لكتاب المعراج للقشيري : ١٩٦٤م . قال الدكتور : قاسم السّامرائي عن هذا الكتاب : (تحقيق سقيم ومقدمة أسقم (٤))اهـ. قلتُ: و قد نظرت فيه و تأملته فوجدته كما قال الدكتور: قاسم السامرائي.

و قد أَحصى لهُ الدّكتور بسيوني في رسالته للدكتوراة عنه ـ خمسةً و عشرين كتاباً (٥)وقد يسّر الله تعالى فوقفتُ على زياداتٍ كثيرةٍ لم يذكُرها الدّكتور : بسيوني ، وعمله مع هذا فيها

---

(١) السياق: ورقة: ٥٠أ.

(٢) طبقات الشافعية: ٢/ ٥٦٨ - ٥٦٩

(٣) مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ١٧/ ٢٥٩- ٢٧٥ ،بغداد ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

(٤)مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ١٧/ ٢٦١.

(٥) ينظر: القشيري –سيرته – آثاره – مذهبه في التّصوّف للدكتور بسيوني: صـ ٤٥ .

مشكور لأنّ رسالته في الدّكتوراة كُتبت في فترةٍ متقدِّمة بعضَ الشيء بالنسبة لتيسُّر كثيرٍ من الفهارس و كتابُ الدُّكتور بسيوني كان قد طُبع سنة ١٣٩٢هـ .

كما أحصى لهُ الدّكتور محمد حسن فير: ثلاثين كتاباً منها ديوان شعره و لم يفصِّل فيها بل ذكر الأسماء مجرّدة، ونقل أربعة عشر اسماً من أسماء كتبه عن طريق موظف صديق له في الجمارك كما يقول.و قد انتقده في بعضها الدّكتور: قاسم السامرائي (١).

و أمّا قول الإمام ابن الصلاح عن أبي القاسم القُشيريّ بعد ثنائه الكثير عليه: (و لا يخلو كلامُه نظماً و نثراً من عُجْمةٍ ظاهرة (٢))اهـ.

فأنا أستغربُ ذلك وأستبعده ، ولم أقف على من وصفه بذلك، بل وُصِف بضدّ ذلك ، وهذا صاحب دمية القصر الأديب الباخرزي معاصرٌ له سمع كلامه و فهم خطابه في وعظه و دروسه ، وقد بالغ في الثناء عليه بما تقدّم ذكره.

و لم ينقل أحد من العلماء الذين ترجموا له هذه العبارة عن ابن الصلاح، والعلماء قد و صفوا أبا القاسم بأنه نحوي أديب و نعتوه بحسن البيان، و قد ذكرت بعض عباراتهم في ذلك في مبحث الثناء عليه ، و تصانيفه التي اطلعت عليها يتبين منها اقتداره على البيان لكنني وجدتُ في مواضع من تفسيره و في بعض المواطن من رسائله عباراتٍ تحيّرتُ فيها لأنّ فيها جملاً لا ترتقى لما كان يوصف به من البلاغة، و ظنّي أن بعضها من سَقَم النُّسَخ، و بعضها قد يكون من رداءة الطباعة ، و منها ما لعله من عجمة النسّاخ فإنه كان في بلاد أكثر أهلها من الأعاجم، فقد عاش في نيسابور و نواحيها، و لكن قد يَرِدُ على ذلك أنه كان بها حين ذاك أيضاً الجمّ الغفير من العلماء المجتهدين و الأدباء البارعين و الشعراء المفلِقِين.

كثرة تصانيفه و تبكيره في التّصنيف

---

(١)مقدمة الرسائل القشيرية صـ ٢٥ – ٢٦ و مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ١٧/ ٢٦١ .

(٢) طبقات الشافعية: ٢/ ٥٦٨ - ٥٦٩

صنّف الإمام أبو القاسم القُشيري –رحمه الله في فترة مبكّرةٍ، و من الثابت أنه صنف قبل العشرِ و أربعِ مئة تفسيره الكبير (التيسير في التفسير)

قال حفيده الحافظ عبد الغافر في ذيل تاريخ نيسابور : (صنف : (التفسيرَ الكبير المعروف) (١) اهـ .و بعده في الموجود من مخطوطة السِّياق كلمة غير واضحة. ووَقَع في منتخَب السياق (٢): (صنّف : ((التفسيرَ الكبير)) قبل العشرِ و أربعِ مئة) اهـ. و هكذا نقل ابن الصلاح عن عبد الغافر الفارسي: قال: (صنّف : ((التفسيرَ الكبير)) قبل العشرِ و أربعِ مئة (٣))اهـ.

و مولده سنة: (٣٧٦هـ.) فيكون ابتداءُ تصنيفِهِ لهُ قبلَ أن يبلغَ سِنّه أربعةً وثلاثين عاماً.

كتبه المطبوعة:

١- لطائف الإشارات في التفسير:

وهو تفسير إشاريّ و عظي ، وهذا التفسير - بلا اختلافٍ عند العلماءِ المترجِمينَ له- غيرُ كتابه التيسير في التفسير ((تفسير الكبير)) الذي أحقِّق بعضه في هذه الرِّسالة، فكتابه التيسير هو الذي مدحه جمعٌ من العلماء و خصّوه بالثناء و سيأتي الكلام مفصّلا عليه.

و أمّا لطائف الإشارات فغالبه تفسير إشاري وفيه أيضا تفسير تحليليّ في مواضع بأسلوبٍ سهل كما سيأتي: حقَّقه الدُّكتور : إبراهيم بسيوني . وكُتِبتْ عنه أربع رسائل أكاديمية سيأتي ذكرُها ؟ و قد كان هذا الكتابُ مشهوراً ذائعَ الصِّيتِ في عصرِ المصنّف و بعده ففي ترجمة الحافظ عبد الغافِر الفارسي صاحب السِّياق: أنه قُرِئ عليه لطائف الإشارات ببلاد الهند ثمّ رجع إلى نيسابور(٤)ووفاة عبد الغافر كانتْ :سنةَ تسع و عشرين وخمسمِائة. و المصنف عبد الكريم القشيري جدُّه لأمِّه.كما تقدّم في مبحث أسرة القُشَيري.

---

(١) السياق: ورقة: ٥٠.

(٢) منتخب السياق: صـ ٣٣٥ و طبقات ابن الصّلاح: ٢/ ٥٦٤

(٣) طبقات ابن الصلاح: ٢/ ٥٦٤

(٤)المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور :صـ ٥٤٢ في ترجمة عبد الغافر الفارسي و و فيات الأعيان: ٣/ ٢٢٥ .

طبعاته:

طبع في المدينة المنورة : المكتبة السلفية؛ تحـ.ابراهيم بسيوني: و بتصدير: حسن عباس زكي.

و طبع بتحقيق: د: إبراهيم بسيوني. - ط.٣. - القاهرة، مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

و صدرت له طبعةٌ بتحقيق: سعيد قطيفة وتقديم: د/ منيع عبد الحليم محمود. - ط.١. - القاهرة، مصر : المكتبة التوفيقية، ٢٠٠١. –في ٣مج مكونة من ٦ أجزاء. وهي طبعة كثيرةُ الأغلاطِ في أولها، هذا مع كونهم اعتمدوا على طبعة الدكتور بسيوني و صرّحوا بذلك.

و طبعته دار الكتب العلمية سنة : ٢٠٠٠م. ط١ .

و نشرته دار الكاتب العربى بالقاهرة ، تاريخ نشرها لم أجده على النسخة.

بعض ما قيل في لطائف الإشارات :

قال الإمام القاضي أبو بكر ابن العربي: (و من علم الباطن أن تستدلّ من مدلول اللفظ على نظير المعنى، و هذا باب جرى في كتب التفسير كثيراً، و أحسن ما ألف فيه ((اللطائف والإشارات للقشيري)) رضي الله عنه ، و إنّ فيه لتكلّفاً أوقعَهُ فيه ما سلكهُ من مقاصد الصوفية، فخذوا ما تعلمون و قفوا دون ما تجهلون (١)) اهـ.

و ما من شكّ أن فيه فوائد ، و فيه مع ذلك ما فيه نظرٌ ظاهرٌ، و تكلّف و غير ذلك، وهو أكثر اعتدالا من غيره كما سيأتي ، و من أراد الاستزادة من دراسة الكلام حول لطائف الإشارت فلينظر كتاب الدكتور إبراهيم بسيوني فهو أول من حققه كاملاً ووضع له دراسة قبل أن يطبع (٢)ثمّ بعد طبعه في مقدمة تحقيقه له.و كلمة الإمام أبي بكر بن العربي مهمة و لم أر الدكتور بسيوني ذكرها ، وقد كتبت عنه ثلاث رسائل أكاديمية ، و الرسائل الأكاديمية هي:

١) - المنهجُ الإشاريّ في تفسير الإمام القشيري اسم الباحث: رانيا محمد عزيز نظمي.

---

(١) قاون التأويل: صـ ٥٢٦.

(٢)القشيري سيرته و آثاره: صـ ٥٠ – ٦٠

الجامعة جامعة الاسكندرية: الكلية الآداب القسم :اللغة العربية واللغات الشرقية وآدابها : مستوى الرسالة ماجستير،تاريخ المناقشة١٩٩٣م.اسم المشرف على الرسالة :مصطفى الصّاوي الجويني.

٢) – رسالة محمد محمود يوسف أبوزور، عنوان الرسالة: منهج القشيري في كتابه لطائف الإشارات . الجامعة المانحة للدرجة الجامعة الأردنية ، ١٩٩٣ م .ماجستير: اسم المشرف على الرسالة:عبدالجليل عبدالرحيم

٣) – رسالة : محمد سعيد محمد عطية عرام.

عنوان الرسالة: الإمام القشيري وكتابه لطائف الإشارات في التفسير

الجامعة الأزهر: الكلية أصول الدين : مستوى الرسالة :دكتوراه

تاريخ المناقشة١٩٨١م . اسم المشرف على الرسالة: عبدالغني عوض الراجحي.

و أقدم هذه الثلاث الرسالة الأخيرة لمحمد سعيد عرام.

و هي من جامعات مختلفة فلعل الباحثين فيها لم يعلم بعضهم ببحث الآخر.

و في هذه الدراسات كفايةٌ . لكنني أذكرُ نماذج موجزة من هذا التفسير:

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة: آية (٥)) معناه نعبدك وتستعين بك . والابتداءُ بذكر المعبود أتمُّ من الابتداء بذكر صفته – التي هي عبادته واستعانته ، وهذه الصيغة أجزل في اللّفظ ، وأعذبُ في السّمع . والعبادة الإتيان بغاية ما في (بابها) من الخضوع ، ويكون ذلك بموافقة الأمر ، والوقوف حيثما وقف الشرع .

والاستعانة طلب الإعانة من الحق .والعبادة تشير إلى بذل الجهد والمُنَّة ، والاستعانة تخبر عن استجلاب الطول والمِنَّة ، فبالعبادة يظهر شرف العبد ، وبالاستعانة يحصل اللطف للعبد ...

إلى أنْ يقول: العبادةُ نزهةُ القاصدين ، ومستروَحُ المرِيدِين ، ومَرْبَع الأنس للمحبّين ، ومرتع البهجة للعارفين . بها قُرَّةُ أعينهم ، وفيها مسرّةُ قلوبهم ، ومنها راحةُ أرواحِهِم (١))اهـ.

و قال في تفسير قوله تعالى:﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: [آية٤] : (إيمانهم بالغيبِ اقتضى إيمانَهم بالقرآن ، وبما أنزَلَ الله من الكُتُب قبل القرآن ، ولكنه أعاد ذكر الإيمان ها هنا على جهة التخصيص والتأكيد ، وتصديق الواسطة صلى الله عليه وسلم في بعض ما أخبر يوجب تصديقه في جميع ما أخبر ، فإن دلالة صِدْقه تشهد على الإطلاق دون التخصيص ... (٢).)اهـ.

نموذج آخر من تفسيره لطائف الإشارات:

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ قال:

(الرِّزق ما تمكَّنَ الإنسان من الانتفاعِ به ، وعلى لسان التفسير أنهم ينفقون أموالهم إمَّا نَفْلاً وإما فرضاً على موجب تفصيل العلم . وبيان الإشارة أنهم لا يدّخِرون عن الله سبحانه وتعالى شيئاً من ميسورهم؛ فينفقون نفوسهم في آداب العبودية ، وينفقون قلوبهم على دوام مشاهدة الربوبية . فإنفاق أصحاب الشريعة من حيث الأموال ، وإنفاق أرباب الحقيقة من حيث الأحوال (٣))اهـ.

وقال في قوله جلّ ذكره : ﴿ إنَّ الدّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾ (آل عمران: آية: ١٩).(الدِّينُ الذي يرتضيه ، والذي حَكَمَ لصاحبه بأنّه يجازيه ويعليه ، وبالفضل يُلَقِّيه – هو الإِسلام .والإسلام هو الإخلاص والاستسلام ، وما سواه فمردودٌ، وطريق النّجاة على صاحبِهِ مسدود(٤))اهـ .

(١) اللطائف و الإشارات: ١/ ٢١

(٢) اللطائف و الإشارات: ١/ ٣٤

(٣)اللطائف و الإشارات:١/ ٣٣

(٤) اللطائف : ١/ ٢١٣

نموذج آخر من تفسيره لطائف الإشارات:

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا .. ﴾[النمل: آية: ١٨ –١٩] .

(التبسُّمُ من الملوكِ يندر لمراعاتهم حُكْمَ السياسة ، وذلك يدلُّ على رضاهم واستحسانهم لما منه يحصل التبسُّم ، فلقد استحسن سليمان من كبير النمل حُسْنَ سياسته لرعيته .

وفي القصة أنه استعرض جُنْدَه ليراهم كم هم ، فَعَرَضَهم عليه ، وكانوا يـأتون فوجـاً فوجـاً ، حتى مضى شَهْرٌ وسليمان واقفٌ ينظر إليهم مُعْتَبِراً فلم ينتهوا ، ومَرَّ سليمانُ عليه السلام .

وفي القصة : أن عظيم النمل كان مثل البغل في عِظَمِ الجثة ، وله خرطوم . والله أعلم

قوله جلّ ذكره : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضاهُ ﴾.

في ذلك دليلٌ على أن نَظَرَه إليهم كان نَظَرَ اعتبارٍ ، وأنه رأى تعريفَ الله إياه ذلك ، وتنبيهُه عليه من جملة نِعَمِه التي يجب عليها الشكرُ .

وفي قوله : ﴿ وَعَلَى وَالِدَىَّ ﴾دليلٌ على أَنَّ شُكْرَ الشاكر لله لا يختص بما أَنْعَمَ به عليه على الخصوص ، بل يجب على العبد أن يشكر الله على ما خَصَّ وَعَمَّ من نِعَمِه .

قوله جلّ ذكره : ﴿ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ .سأل حُسْنَ العاقبة . لأنَّ الصالحَ من عباده مَنْ هو مختوم له بالسعادة . [١])اهـ.

فقد يفسر المصنّف الآيات على طريقة أهل التفسير ثم يذكُر بعد ذلك إشارات الصوفية وربما ترك ذكر الإشارات الصوفية في بعض الآيات و اقتصر على التفسير السهل الواضح، – كما هنا –وفي آخر تفسيره فنراه يقتصِر على ذكر الإشارات في بعضها دون بعضٍ .

بل رأيتُهُ ترك ذكر التفسير الإشاري في بعض السور القصيرة و اقتصر على التفسير التحليلي بأسلوب سهل موجزٍ كما صنع في تفسير سورة الزلزلة و سورة التكاثر و الكوثر.

نموذج غريب من كلامه الإشاريّ في تفسيره:

قال : في قوله تعالى : (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلّشَيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) زَيَّنَ السماءَ بالكواكب والنجوم ، وزَيَّنَ قلوبَ أوليائه بأنواعٍ من الأنوار والنجوم؛ فالمؤمنون قلوبُهم مُزَيَّنةٌ بالتصديق والإيمان ثم بالتحقيق بتأَمُّل بالبرهان ، ثم بالتوفيق لطلب البيان . والعارفون قلوبهم مُزَيَّنةٌ بشمسِ التوحيد ، وأرواحُهم مُزَيَّنةٌ بأنوار التفريد ، وأسرارُهم مزينةٌ بآثارِ التجريد . . . وعلى القياس : « لكلِّ طائفةٍ أنوارٌ » .

وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينَ : فمن النجوم ما هو للشياطين رجوم ، ومنها ما هو للإهتداء به معلوم . . . فأخبر أن هذا القَدْرَ من العقوبة بواسطة الرجوم لا يكفي ، وإنما يُعَذِّبهم مؤبَّدين في السعير [٢])اهـ. فهذا لا شك فيه تكلّفٌ ظاهر.

---

(١) لطائف الإشارات: ٥/ ٣٥

(٢) لطائف الإشارات: ٦/ ١٧٥- ١٧٦

٢- شِكايةُ أهلِ السنَّة بحكاية ما نالهمْ من المِحْنةِ: رسالة مشهورةٌ أرسلها أبو القاسم إلى علماء المسلمين في عصره بعد لعن أبي الحسن الأشعري رحمه الله و بعد محنته التي تقدّم شرحها .

و قد طبعت مع ثلاث رسائل للقُشَيري باسم الرسائل القشيرية حقّقها الدّكتور: فير محمد حسن، و نشرَها المعهد المركزيّ للأبحاث الإسلاميّة. من الصفحة: ١ – ٢٩ . وروى مقدِّمتها الحافظُ ابن عساكر في تبيينِ كَذِبِ المفتري و بينه و بين مصنِّفها شيخٌ واحدٌ فقط (١)

و ذكرَها بطولها السُّبكي في الطَّبقات(٢) خشيةً عليها -كما يقول من الضّياع-. قال الإمام ابن الجَوزيّ في المنتظِم: في حوادث سنة: (٤٤٥هـ) و هي السنة التي أُعلِنَ فيها لعنُ أبي الحسن الأَشَعَري بنيسابورَ- قال بعد ذكره تصنيف أبي القاسم القشيريّ لهذه الرسالة :(لو أنّ القشيري لم يعمَل في هذا رسالةً كانَ أسترَ للحال لأنه إنما ذَكَر فيها أنّه وقع الّلعن وأنه سُئل السلطان أنْ يتقدَّم بترْكِ ذلك فلم يجِبْ ثمّ لم يذكر حجَّة لهُ ولا دَفَعَ شبهة للخَصْم وذِكْرُ مثلِ هذا نوعُ تغفيلٍ)اهـ.

قلتُ : ذكر أبو القاسم القُشيري حجّته و بيّنها و الرِّسالة موجودة بين أيدينا، و قد أثّرت رسالته في عصريه الإمام البيهقي فكتب هو الآخر بعد القشيري رسالة ذكرها بطولها الحافظ ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (٣) و ساق السبكي بعضها في الموضع السابق (٤).

كما كتب جماعة غيرهما، و قد ذكرهم التاج السبكي.

و مما جاء في مقدّمة هذه الرسالة قول القُشَيري : (هذه قصّة سمّيناها: ((شِكايةَ أهلِ السنَّة بحاكيةِ ما نالهم من المحنة)) تُخبِرُ عن بثّة مكروبٍ، ونَفْثَةِ مغلوبٍ، وشَرْحِ مُلِمٍّ مؤلمٍ، وذِكْرِ مُهِمٍّ

---

(١) تبيين كذب المفتري: صـ ١١٠.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى: ٣/ ٤٠٠ -٤٢٣

(٣) تبيين كذب المفتري: صـ١٠٠

(٤) طبقات الشافعية: ٣/ ٣٩٥-٣٩٩

مُوهِمٍ، وبيانِ خَطْبٍ فادحٍ ... رفعَها عبدُ الكـريم بـن هـوَازِانَ القُـشَيري إلى العُلَـماء الأعـلامِ بجميعِ بلاد الإِسلام.

أمّا بعد :

فإنَّ الله إذا أراد أمراً قدَّرهُ، فمنَ ذا الذي أمسك ما سيَّرهُ أو قـدَّم مـا أخّـره أو عـارَضَ حكمـه فغيَّرهُ، أو غلبه على أمرهِ فقهَرُهُ، كلّا بل هو الله الواحد القهّار الماجِـدُ الجبَّـار، وممـا ظهـر ببلـد نَيسابورَ من قضايا التَّقديرِ في مفتَتَحِ سنة: خمس وأربعين وأربعمائةٍ مـن الهِجـرة مـا دعـا أهـل الدّين إلى شقِّ صِدارِ (١) صبرهم وكشف قِناعِ ضُرِّهِم ..... ذلك مما أُحْـدِث مِـنْ لعـنِ إمـامِ الدِّين ... محيي السُّنة وقامِعِ البدعة وناصرِ الحـقِّ وناصـحِ الخَلـقِ الزَّكـي الـرَّضي أبي الحسن الأشعريّ – قدس الله روحه وسقى بماء الرحمة ضريحه– وهو الذي ذبَّ عـن الـدِّين بأوضـحِ حُجَجٍ وسلك في قمع المعتزلة وسائر أَنواعِ المبتدِعة أبينَ منهَجٍ..)اهـ. بنوع اختصار يـسير(٢)

و من نسخها المخطوطة: نسخة بمكتبة القسطموني بتركيا برقم: ٢٧١٣ . في مجموع تبـدأ مـن الورقة: ١٦٥ . ومنها مصوّرةٌ في مكتبة الملك فهد: (٧ق).

٣- كتاب السماع : رسالة موجزة طُبعت مع ثلاث رسائل للقـشيري حقّقهـا الـدّكتور: فـير محمد حسن، و نشرَها المعهد المركزيّ للأبحاث الإسلاميّة . من الصفحة ٥٠ – ٦٥ . و ذكر لها الدكتور :قاسم السامرائي : نسخة مخطوطة أخرى موجودة في استانبول .

و تشتمل الرسائل القشيرية التي نشرها د/ محمد فير أيضا على :

٤- رسالة ترتيبُ السّلوك في الطريق إلى الله تعـالى (٣): رسـالة مـوجزة طُبعـت مـع ثـلاث رسائل باسم الرَّسائل القشيرية من : صـ ٦٦ –٨٠. أولها : (يجب أن يكـون العبـد مجـرّداً عـن

---

(١) في التبيين و الطبقات: صدُورِ. و المثبت من رسالة شكاية أهل السنة ضمن مجموع ثلاث رسائل: صـ ٢. و الصِّدَارُ: ثَوْبٌ رأْسه كالـمِقْنَعَةِ وأَسـفلُه يُغَـشِّي الـصَّدْرَ والـمَنْكِبَـيْنِ تلبَـسُه الـمرأَة؛ قـال الأَزهري: وكانت الـمرأَة الثَّكْلَـى إِذا فقدت حميمها فأَحَدّتْ علـيه لبست صِدَاراً مـن صُوف: تهذيب اللغة و لسان العرب : (صدر).

(٢) شكاية أهل السنة:صـ ٢– ٣ وتبيين كذب المفتري: صـ ١١٠ و الطبقات:٣/ ٤٠٠– ٤٠١

(٣) ينظر لنسخها المخطوطة: بروكلمان: ٤/ ٣٢٦

الدنيا لا يملك شيئاً و يكون علماً بما يلزمه من فرائض الحق سبحانه و تعالى توحيداً و شريعةً)اهـ. وقال الدكتور : قاسم السامرائي: (إنه حققها سنة: (١٩٦٢)م ، وجعلها ملحقاً لأحد فصول أطروحته للدكتوراه، و أنها ظهرت قبل المناقشة بتحقيق: المستشرق: (فرتز ماير) قال :و في سنة (١٩٦٣م) ظهرت في كتاب الرسائل القشيرية في باكستان ، و مع ظهور التحقيقين فقد نشرتها في كتاب((مسألة العروج)) حيث وضحت النقوص الكثيرة فيهما (١))اهـ..

٥- التّحبير في علم التذكير في معاني أسماء الله تعالى أو شرح أسماء الله الحسنى، ذكره كلّ من ترجم للقشيري، (٢): و هو مطبوع .

شَرَح فيه معاني أَسماء الله الحُسنى مع فوائد و مواعظ زهدية و عبارات صوفية : ويقول في مقدمته: إنّه قد كثُر سؤال الراغبين في علم التذكيرِ إملاء كتابٍ يشتمل على أبوابٍ في هذا الفنّ . و قد أسنده الإمام أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي في فهرست ما رواه عن شيوخه وذكر سنده إليه (٣).

وقد عمل دراسة عنه قبل أن يطبع الدكتور: إبراهيم بسيوني في كتابه عن القشيري (٤) .

و نشرته دار الكاتب العربى بالقاهره : سنة: ١٩٦٨م . و حققه : د/ إبراهيم بسيوني: ١٣٨٨هـ. كما نشرته: مكتبة عالم الفكر بالقاهره. و نشرته أيضاً دار الكتب العلمية، عدد الاجزاء: ١، سنة النشر: ١٩٩٩، الطبعة رقم: ١.

و نشره : أحمد عبد المنعم حلواني باسم : شرح أسماء الله الحسنى. و يوجد منه مخطوطة بعنوان: النُّخبة في علم التذكير في مركز الملك فيصل برقم: (٩٨٣١ / ١). و قد قارنتُ بين هذه المخطوطة و بين بعض المطبوع من شرح أسماء الله الحسنى ،طبعة أحمد عبد المنعِم حلواني- المشار إليها آنفاً- فوجدتُها هي نفسها فلا أدري لمَ سمّيت في هذا المخطوط بالنخبة في علم

---

(١) مجلة المجمع العلمي: ١٨/ ٢٦٢

(٢) كشف الظنون:١/ ٣٥٤ و هدية العارفين: ١/ ٣٢١ و بروكلمان: ٤/ ٣٢٦ وفيه عدد من نسخه المخطوطة.

(٣) فهرست ابن خير: صـ ٢٩٦

(٤) الإمام القشيري : سيرته – آثاره – مذهبه في التصوف صـ ٦٨ و ما بعدها

التذكير. و إنّما نبهتُ على ذلك لئلا يغترّ أحدٌ فيظنّها كتابا للمصنف آخر كما تبادر إلى ذهني أول الأمر.

٦- الفصول في الأصول(١):و هي رسالة للقشيري في مسائل من الاعتقاد حققها د: محمود سعد الطبلاوي ضمن ثلاث رسائل: و طبعت بمطبعة الأمانة بالقاهرة : ، ١٤٠٩هـ. في : ٧٩صفحة. طبعت مع اللّمع في الاعتقاد و بلغة المقاصد و سأذكرها متتالية. و جميعها ضمن مجموع مخطوط، بدار الكتب المصرية، تحت رقم: ٦٦ مجاميع منسوخ كلّه بخط واحد سنة: تسع و سبعين و سبع مائة (٧٧٩هـ .)وبتاريخ: ٧٨٠هـ.

٧-بُلغة المقاصد – في التّصوف: حققها: د/ محمود سعد الطبلاوي ضمن الثلاث رسائل السابقة.

٨- الّلمع في الاعتقاد: و هي رسالة له مختصرة في مسائل من الاعتقاد: حققها: د/ محمود سعد الطبلاوي ضمن الثلاث رسائل السابقة.

٩-المعراج: أخرجه وحقّقه علي حسن عبدالقادر :القاهرة: دار الكتب الحديثة؛ ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤ م. عن نسخة مصورة من مخطوطة بمكتبة بانكيبور بالهند ،و لم يذكرها الدكتور: إبراهيم بسيوني في رسالته للدكتوراة عن القشيري: ((سيرته و آثاره و مذهبه في التصوف)). فهي مما يستدرَك عليه. وله نسخة أخرى لم يطلع عليها المحقِّق موجودة ضمن مجموع في مكتبةِ الملك فهد: وهو من ضمن مجموعة مخطوطات أهداها إليهم سعادة الدكتور: قاسم السامرائي جزاه الله خيراً(٥٠ق) وقد قال الدّكتور : قاسم السامرائي: (حققته و سأنشره قريبا (٢))اهـ. و لم أقف على نشرتِهِ له.

(١) إيضاح المكنون: ٢/ ١٩٤

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي ١٨/ ٢٤٣

١٠- نحوُ القلوب الصغير: قدّم له وحقّقه: د:أحمد علم الدين الجندي،طبع في : ليبيا/ : الدار العربية للكتاب، ١٣٩٧هـ. ١٩٧٧ م في ٢٥٣ صفحة.وله: نحوُ القلوب الكبير سيأتي في قسم :المخطوط و المفقود من كتبه.

١١ - عباراتُ الصّوفية و معانيها: حقّقها الدكتور: قاسم السامرائي و نشرها في مجلة المجمع العلمي العراقي (١). تحتوي الرِّسالة على ثمانٍ و تسعينَ اصطلاحاً صوفيّاً. و تقع تسع ورقاتٍ و المخطوط محفوظٌ في مكتبة توبنكن – ألمانيا برقم: (٨٥٠) . تقع ضمن مجموعة من رسائل في التصوف تبدأ من الورقة: ٦١ أ- ٦٨ أ . منه مصورة في مكتبة الملك فهد (٣٧ ق).

١٢ - منثور الخطاب في مشهور الألباب : حقّقها د/ قاسم السّامرائي و نشرها في مجلة المجمع العلمي العراقي (٢)، و هي كالتّعريفات و الشّرح لبعض الألفاظ الزّهدية والصوفية ونحوها و أولها : (هذه ألفاظٌ تخبرُ عن أوصافِ أهلِ الصّفوة و بالله الحول و القوّة)اهـ. و مما جاء فيها: (باب التوبة : التوبةُ : النّدم على ما اجترمَ ، الأسفَ على ما سلف الخ...)اهـ. وهكذا ذَكَر باب الإنابة، والقَناعة، و الزُّهد، و التوكُّل إلى: باب الفِراق وباب الوصال.

١٣- القصيدة الصُّوفية وهي في العقيدة: تقعُ في ورقتين، و عدّة أبياتها تسعةٌ و ثلاثون بيتاً حققها د/ قاسم السامرائي وشرحها في مجلة المجمع العلمي العراقي (٣) ، و قد ذَكَرَ لها بروكلمان عدّةَ نُسَخٍ (٤) و ذكر لها الدّكتور: قاسم السامرائي نسخاً أخرى . ومنها نسخةٌ مصوّرة في (٣٧ ق) من ضمن مجموع و (ق) يعني في مجموعة الدكتور : قاسم السامرائي المهداة إلى مكتبة الملك فهد.

و مطلعها:

(١)مجلة المجمع العلمي العراقي: ١٨/ ٢٤٢ ، ١٣٨٩هـ. – ١٩٦٩م.

(٢)مجلّة المجمع العلمي العراقي: ١٨/ ٢٧٣ - ٢٨٣

(٣)مجلة المجمع العلمي العراقي: ١٨/ ٢٤٨

(٤) تاريخ الأدب العربي: ٤/ ٣٢٧

بحمدِ الله أفتَتِحُ المقالا   و قد جلّتْ أياديهِ تعالى

١٤-مختصر التوبة: رسالة في سبعِ ورقاتٍ من الحجم المتوسّط، حققها الدكتور: قاسم السامرائي و نشرها في مجلة المجمع العلمي العراقي (١) . و أصلها في مجموعٍ في مكتبةِ شهيد علي بتركيا تحت رقم: (١٣٩٣) كما أفاد الدكتور : قاسم السّامرائي ،و عنها نسخةٌ مصورة في مكتبة الملك فهد(٧٠ ق).

١٥ - الرسالة القُشيرية: الذائعة الصّيت. أشهر كتبه مع كونها ليست بأكبرها و لا أجلِّها من الناحية العلمية ، و قد ألفها سنة: ٤٣٧هـ. كما جاء في مقدمتها (٢) و أرسلها إلى جماعة الصّوفية في بلدان الإسلام . و هي رسالة مشهورة أثنى عليها جمع من العلماء، قال ابن الصّلاح: (صاحب الرسالة إلى الصوفيَّة، السائرة في أقطار الأرض)اهـ. (٣) قال الغزي : (الرسالة المباركة)اهـ. (٤)قال التاج السبكي: (صاحب الرسالة التي سارت مغرباً ومشرقا وقال: (والرسالة المشهورة المباركة التي قيل ما تكون في بيتٍ ويُنكَبُ)اهـ.

و قد أسندها أيضا جماعة إلى مصنفها، و ذكرها الإمام أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي في فهرست ما رواه عن شيوخه و ذكر سندها إليها (٥).

و قد تُرجِمت إلى عدة لغات منها التركية، الفارسية ، الألمانية ، الإنجليزية و الفرنسية... الخ .

قال في كشف الظنون : (وهي عمدةٌ في هذا الفنّ (٦))اهـ.

و سأذكر و صفا لمحتوياتها فيما يأتي بإيجاز إن شاء الله تعالى.

---

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي: ١٧/ ٢٧٨ - ٢٨٣

(٢) الرسالة القُشَيريّة :مقدِّمة المصنف: صـ ٣٦ .

(٣) طبقات ابن الصلاح: ٢/ ٥٦٢

(٤)ديوان الإسلام(١/ ٧٤) .

(٥) فهرست ابن خير: صـ ٢٩٦

(٦)كشف الظنون ١ / ٨٨٢

و من أسباب تأليفه لها نفيُ البَدع و الانحرافات التي لحقت بالتصوف و محاولة ربطه بالدليل، و الدّفاع عنه عند الفقهاء و المحدثين المناوئين له.

و من كلامه في مقدِّمتها : (و قد حصل الضّعف في هذه الطريقة ، لا بل اندرستْ و قد مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداءٌ ، و قلّ الشباب الذين كان لهم بسِيَرهم و سنّتهم اقتداء، وزال الورع و طُوِي بساطه ، و اشتدّ الطمع و قوي رباطه، و ابتعدت عن القلوب حرمة الشريعة ، فعدُّوا قلّة المبالاةِ بالدّين أوثق ذريعةٍ، و رفضوا التمييز بين الحلال و الحرامِ. كما استخفوا بأداء العباداتِ الخ [١]) اهـ.

وهي مقسمة على أربعة فصول يسبقها مقدِّمة للمصنف في أصول التوحيد عند الصوفية.

وتناول في الفصل الأول التعريف بأكثر من أربعين مصطلحاً من مصطلحات الصوفيه، كالوقت و المقام و الحال و القبض والبسط، والصحو والسكر، والجمع والفرق و الوارد الخ. مقسّمة على سبعة و عشرين عنواناً.

وعرّف في الفصل الثاني، بزهاء (٥٠) مقاماً من مقامات أو مدارج أرباب السلوك، كالتوبة و المجاهدة و التقوى و الورع و التوكّل و اليقين و الصمت والمراقبة والحرّية والفتوة والفراسة وحفظ قلوب المشايخ، مع ذكر ما أُثِر عن أعلام المتصوفة من الأقوال فيها. يبدأ بذكر آية أو حديث بسنده العالي، وهذا الفصل أطولُ فصول الكتاب، و أنفعها في نظري مع ما في بعضه مما فيه نظرٌ كثير من القصص و الحكايات لكنّ في غيرها أيضا مما صنف في معناها من ذلك قريب مما فيها.

وتناول في الفصل الثالث خصائص الأولياء وكراماتهم، وختمه بوصايا للمريدين. أمّا الفصل الرابع، فترجم فيه لـ(٨٣) من أعلام الزهاد المتأخرين و الصوفية مثل رويم بن أحمد و إبراهيم بن أدهم و حاتم الأصمّ، و بشر الحافي و داوود الطائي والسري السقطي

(١) الرسالة القشيرية: صـ ٣٧ .

و الفضيل بن عياض و الجنيد و غيره مع ذكر نبذٍ من كلماتهم و حِكمهم و فيه فوائد في تراجمهم و أقوالهم احتاج إليها من بعده من العلماء فعزاها إليه أو أسندها من طريقه.

قال ابن الجوزي : (وجاء أبو نُعيم الأصبهاني فصنَّف لهم كتاب الحلية وذكر في حدود التصوُّف أشياءُ منكَرةٌ قبيحةٌ ،ولم يستحي أنْ يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وسادات الصحابة رضي الله عنهم، فذَكَرَ عنهم فيه العجب، وذكر منهم شُريحا القاضي والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل.

وكذلك ذكر السلمي في طبقات الصوفية: الفضيل وابراهيم بن أدهم ومعروفاً الكَرْخي وجعلهم من الصوفية بأنْ أشار إلى أنهم من الزهَّاد، فالتصوّف مذهب معروفٌ يزيد على الزّهد ، ويدلّ على الفرق بينهما أنّ الزهد لم يذمّه أحدٌ، وقد ذموا التصوُّف على ما سيأتي ذكره.

وصنف لهم عبد الكريم بن هوزان القشيري كتاب الرّسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء والبقاء والقبض والبسط والوقت والحال والوجد والوجود والجمع والتفرقة والصحو والسُّكر والذوق والشرب والمحو والإثبات والتجلي والمحاضرة والمكاشفة واللوائح والطوالع واللوامع والتكوين والتمكين والشريعة والحقيقة إلى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيءٍ وتفسيره أعجب منه)اهـ. (١)

فهذا كلام الإمام ابن الجوزي و فيه نقدٌ واضح لبعض كتب مشاهير علماء الصوفية.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وما ذَكَرَهُ أبو القاسم في رسالته من اعتقادهم وأخلاقهم وطريقتهم فيه من الخير والحق والدين أشياءُ كثيرة، ولكنَّ فيه نقصاً عن طريقة أكثر أولياء الله الكاملين ،وهم نَقَاوة القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم، ولم يذكر في كتابه أئمة المشايخ من القرون الثلاثة، ومع ما في كتابه من الفوائد في المقولات والمنقولات ففيه أحاديث ضعيفة بل باطلةٌ وفيه كلماتٌ مجملة تحتمل الحق والباطل رواية ورأيا وفيه كلمات

---

(١) تلبيس إبليس: صـ ٢٠٥.

باطلة في الرأي والرواية، وقد جعل الله لكل شئ قدرا (١))اهـ.

و قال أيضا: (والمقصودُ هنا أنّ ما يُوجَدُ في الرّسالة وأمثالها من كتب الفقه والتصوف والحديث من المنقولات عن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من السلف فيه الصّحيح وفيه الضعيف وفيه الموضوع، فالصحيح الذي قامت الدّلالة على صدقه، والموضوع الذي قامت الدّلالة على كَذبه .و الضعيف:الذي رواه من لم يُعلم صدقه ، إمّا لسوء حفظه ، و إمّا لاتهامه و لكن يمكن أن يكون صادقاً فيه فيه فإن الفاسق قد يصدق والغالط قد يحفظُ. وغالبُ أبوابِ الرّسالة فيه الأقسام الثلاثة (٢))اهـ.

و قد اعتنى شيخُ الإسلامِ ابن تيمية بنقلِ مواضع من كلام أبي القاسم في الرّسالة القشيرية في كتبه و خصَّها بكثير من العناية في كتابه الاستقامة، فكان أكثرُ كلامه في كتابه الاستقامة موجّها لتصحيح منهجٍ فيها أو بيانِ موافقة ما فيها للحقّ أو التنكيت عليها أو التعقّب لما فيها، و لأهمية ذلك فقد أوردت بعضه في عقيدة المصنّف (٣). و قد كتب عنها الدكتور: إبراهيم بسيوني في رسالته للدكتوراة عن القشيري و آثاره (٤)، كلاما مفيداً و لكنه لم يذكر شيئا من اهتمام شيخ الإسلام بها في كتابه الاستقامة و لذا نقلت ما تقدّم لأهميته و أحلتُ على باقيه.

وطبعاتها كثيرة :

فقد طبعت في المطبعة الخديوية ببولاق مصر، ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م ، عدد صفحاتها: ٢٤٢ صفحة .

و منها طبعة المطبعة العامرة العثمانية في مصر ١٣١٤هـ. في مجلد وسط.

طبعة القاهرة : مكتبة مصطفى البابي الحلبي؛ ١٣٧٩هـ، ١٩٥٩م.

---

(١) الاستقامة: صـ ٨٩ .

(٢) الاستقامة: صـ ٣٧٠

(٣) ينظر: مثلاً: الاستقامة: صـ ٨٤ و صـ ٣٣٩ ففيهما تعقيب مفيد.

(٤)القشيري: سيرته – آثاره_ صـ ٦٠

وطبعت في جزئين بتحقيق : عبد الحليم محمود و محمود ابن الشريف بدار الكتب الحديثة في القاهرة عام: ١٣٨٨ هـ، ١٩٦٦ م.

ثم ظهرت الطبعة الثانية بتحقيقهما في القاهرة عن الدار نفسها عام ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م .

و طبعت بدار الخير. ببيروت.١٤١٣هـ. و هي طبعة رديئة و أسوأ ما فيها أنهم حذفوا الأسانيد من الأحاديث و كثير من الأخبار و الحكايات بلا تنبيهٍ فسيغترّ بها من لا يعلم- إن لم يكن عنده طبعة غيرها- هذا مع كونهم زعموا أنهم سيعتمدون على بعض المخطوطات التي ذكروها في المقدمة؟!.

وطبعت أيضا في : بيروت : دار الخير ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧م .

و طبعت :سنة ٢٠٠١، الطبعة رقم: ١، الناشر: المكتبة العصرية- عدد الاجزاء: ١، وغيرها و طبعاتها كثيرة[١] و نسخها المخطوطة أيضا كثيرة فلها في مكتبة الأسد وحدها بدمشق تسع نسخ خطية لكنّ غالبها نسخ متأخرة عن القرن العاشر (٢).

ومن شروحها: الدلالة في فوائد الرسالة القشيرية، شرح الشيخ : سديد الدِّين عبد المعطي اللخمي : (٥٦٣ - ٦٣٨ هـ) و اسمه : عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي بن عبد الخالق. أبو محمد، الإسكندراني، اللخمي، المالكي، الضّرير، الرجل الصّالح. قال الذّهبي : الرجل الصالح ، عاش خمساً وسبعين سنة (٣).

(١) ينظر أيضا لطبعات أخرى لها : معجم المطبوعات العربية لسركيس . ١ / صـ ١٥١٤ و تاريخ الأدب العربي بروكلمان: القسم الرابع: صـ ٣٢٤

(٢) مقدمة تحقيقها طبعة دار الخير: ١٤١٣هـ. وينظر: تاريخ الأدب العربي بروكلمان: القسم الرابع: صـ ٣٢٤

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي: في وفيات: سنة ثمان وثلاثين وستمائة.و الأعلام: ٤/ ١٥٥و كشف الظنون: ٨٨٢ - ٨٨٣ وهدية العارفين ١: ٦٢٢

وشرح الشيخ زكريا الأنصاري: (أحكام الدلالة على تحرير الرّسالة) (١) وعلى هذا الشرح وضع الشيخ: مصطفى محمد العروسى حاشيته (نتائج الأفكار القُدسية فى بيان معانى شرح الرسالة القُشَيرية) ، ط، ١٢٩٠هـ. في مج٢.

و من مختصراتها المعاصرة مختصر الشيخ: أسعد الصاغرجي: الجِدّ في السلوك إلى ملك الملـوك. طبعت: ١٤٢٢هـ. – ٢٠٠١م . طبع دار الكَلِم الطيب – دمشق.

كتبه المخطوطة و المفقودة:

١٦- التفسير الكبير أو (التيسير في التفسير) و هو الكتاب الذي قمـتُ بتحقيـق قـسم منـه في هذه الرسالة، و هو أهم و أكبر كتُبِه و أجلّها ، كما أنه المخصوص من بين ُكتبه بأكثر الثناء. و سيأتي الكلام عليه مفصّلاً.

١٧- كتاب في علم ناسخ الحديث و منسوخه (٢).

١٨- كنز اليواقيت في الوعظِ و التذكير و الزّهد : منه نسخةٌ في المكتبة البريطانية (١١٤٤٠) و عنها ميكرو فيلم في مركز الملك فيصل : الفيلم: ج ٢/ ٣٠٢ . هكـذا رقمـه عنـدهم. جـاء في أولها ما يلي: (الحمد لله الذي لا بداية لقدمه و لا نهاية لبقائه ...)اهـ.

و مما جاء فيها: ما الحكمة في أنّه ليس لصلاة الجنازة سجدةٌ ؟ و في آخرهـا أنهـا كتبـت سـنة: ٧٤٦هـ. و هذا لم يذكره أحد ممن كتبوا عن تآليف القشيري فيما أعلم.

١٩- مدارج الإخلاص ذكره في كشف الظنون (٣) .

٢٠ - فَصْلُ الخطاب في فضل النطق المستطاب: ذكره الباخرزي و حاجي خليفة(١) .

---

(١) ينظر في شروحها: كشف الظنون ١ / ٨٨ و تاريخ بروكلمان : ٤/ ٣٢٥ والقشيري : سيرته، للدكتور بسيوني: صـ ٦١- ٦٢

(٢)كشف الظنون: ٢/ ١٩٢٠

(٣)كشف الظنون:٢ / ١٦٤٠

٢١- الجواهر : ذكره بهذا الذهبي (٢)و السبكي (٣) و في تاريخ بروكلمان : عقد الجواهر ونور البصائر في فضيلة ذكر الذاكر (٤) فلعله هو.

٢٢-كتاب المناجاة:ذكره الذهبي (٥) و السبكي (٦).

٢٣ - المنتهى في نُكت أولي النُّهى: ذَكَرَهُ أيضا الذّهبي و السّبكي

٢٤- عيون الأجوبة في فنون الأسئلة: ذكره أيضا الذهبي (٧)و السبكي (٨) .

٢٥- المقامات الثلاثة. ذكرها بروكلمان (٩)و قال: عمومية: ٣٥٥١ (ريتر). و قال الدكتور: بسيوني (١٠): (و هو مقيّد بفهرس مكتبة جامعة القاهرة ، و لكنّ بعض الناس – للأسف الشديدِ استعارَه و لم يردّه)اهـ. و ذكر لها الدكتور : قاسم السامرائي نسخة في استانبول ، وقال إنه سيحققها و ينشرها(١١). و لا أدري أفعل أم لا.

٢٦-أربعون حديثا : قال عنها الذهبي (١٢): (ولأبي القاسم أربعون حديثا من تخريجه سمعناها عالية)اهـ. و قال السبكي (١٣): (وقع لنا بالسماع المتصل)اهـ. و ذكرها صاحب كشف الظنون (١٤) و لها نسخ مخطوطة منها في مكتبة جاريت : ١٤١٩(١). و عندي منها

(١) دمية القصر: ٣/ ٩٩٣ و كشف الظنون: ٢/ ١٢٦٠

(٢) سير النبلاء: ١٨/ ٢٢٩

(٣)الطبقات: ٥/ ١٥٩

(٤) تاريخ الأدب العربي: ٤/ ٣٢٧

(٥)سير النبلاء: ١٨/ ٢٢٩

(٦) الطبقات: ٥/ ١٥٩

(٧)سير النبلاء: ١٨/ ٢٢٩

(٨)الطبقات: ٥/ ١٥٩

(٩)تاريخ الأدب العربي: ٤/ ٣٢٨

(١٠) القشيري : سيرته: صـ ٤٥- ٤٦

(١١)مجلة المجمع العلمي العراقي: ١٨/ ٢٤٥ لكنه وهم في قوله : لم يذكرها أحد فقد ذكرها بروكلمان كما بينت.

(١٢)سير أعلام النبلاء:١٨ / ٢٣٣

(١٣) الطبقات: ٥/ ١٥٩

(١٤)كشف الظنون: ١/ ٥٨

نسخة مصورةٌ من الجامعة الإسلامية و هي فهرس الجامعة برقم: ١٥٤٦ عن مجموع في الظاهرية برقم: ١١٣ . تبدأ من الورقة: ١٥٠ أ- ١٥٩ أ. و قد ذكرتُ سابقاً أنّ أسانيد المصنف عالية .

٢٧- الأمالي لعبد الكريم بن هوازن : من مجموع في الظاهرية برقم : ٣٧٧ (حديث : ٤٤٣) من الورقة : (١٠٧ – ١١٨). (٢) لم أطلع على من ذكره.

٢٨-آداب الصوفية : نسبه له الذهبي (٣)و السبكي (٤) و غيرهما.

٢٩- حياة الأرواح والدليل إلى طريق الصّلاح (٥)، منه نسخة في مكتبة الأسكوريال ثان: ٧١٠ (٦).

٣٠- مختصرُ نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول للحكيم الترمذي ، ذكر ها حاجي خليفة في كشف الظنون ، و نقلها عنه الدكتور : قاسم السامرائي(٧).

٣١- مجالس أبي علي الدّقاق، انفرد بذكره الدكتور : قاسم السامرائي و لم يذكر عن مكان وجوده ونسخه شيئا (٨) .

٣٢- التوحيد النبوي: ذكره الدكتور : بسيوني في كتابه عن القشيري ، و الدكتور: عبد الحليم محمود و الأستاذ : محمود الشريف في مقدمة تحقيقهما للرسالة القشيرية و لم يزيدا على القول بأنه مخطوط في القاهرة. و نقله الدُّكتور قاسم السامرائي عنهما، و لعلّمهما أخذاه من الدكتور بسيوني.

---

(١)ينظر: نسخها في بروكلمان القسم الرابع (ترجمة القشيري): / ٣٢٦

(٢) الفهرس الشامل: ١/ ٢٤٤

(٣) سير النبلاء:١٨ / ٢٣٣

(٤) الطبقات الكبرى: ٥/ ١٥٩

(٥) إيضاح المكنون: ١/ ٤٢٤ و هدية العارفين: ١/ ٣٢٠

(٦)بروكلمان: القسم الرابع / ٣٢٧

(٧)مجلة المجمع العلمي العراقي: ١٨/ ٢٤٥

(٨) مجلة المجمع العلمي العراقي: ١٨/ ٢٤٤

٣٣- نحو القلوب الكبير : ذكره السُّبكي في الطبقاتِ الكبرى (١) و أمّا نحو القلوب الصغير فمطبوع تقدّم.

٣٤- استفادات المرادات في أسماءِ الله تعالى (٢) .

له نُسَخ مخطوطة ذكرها بروكلمان(٣) .

٣٥- الفتوة: ذكره الدكتور : إبراهيم بسيوني هكذا بلا أي نسبة أو إيضاح.

٣٦- مفاتيح الحِجج ، في الكلام. ذكره الإمام ابن الصلاح(٤).

٣٧- مختصر جامعِ النُّكت ،في الكَلام. ذكره الإمام ابن الصلاح.

٣٨ - كتاب ((الواسطة)) في أصولِ الفقه: ذكر هذه الثلاث الإمام ابن الصّلاح. و هذه الكتب من ضمن ما زدتُهُ على من سبقني في الكتابة عن مؤلفات القشيري فلم أقف على من ذكرها من المعاصِرين.

٣٩- فتوى أوردها السُّبْكِي بكاملها(٥) و ابن عَسَاكر (٦) تتعلّق بالدفاع عن أبي الحسن الأشعر ي بعد أن وقع لعنه على المنابر.

و أمّا : ديوان شعره: فلم أطّلع على من ذكره ممن يعتدّ بنقله، و يقول الدكتور : قاسم السامرائي: إن عنده نسخة من ديوان ابنه أبي نَصْر عبد الرّحيم و قال إنه سينشره(٧)و قال: إنه ليس لأبي القاسم بل لابنه أبي نصر.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٥/ ١٥٩

(٢)هدية العارفين: ١/ ٣٢٠ و فيه استفاضة المرادات.

(٣) تاريخ بروكلمان: ٤/ ٣٢٦

(٤) طبقات الشافعية لابن الصلاح : ٢/ ٥٦٨ - ٥٦٩

(٥) الطبقات الكبرى: ٣/ ٣٧٤

(٦) تبيين كذب المفتري: صـ١١٣

(٧) مجلة مجمع اللغة العربية: ١٨/ ٢٤٤

المبحث السابع: شعره

لأبي القاسم قصائد ومقطوعاتٌ شعرية ، و شعره فيما ظهر لي مما يدخل في بابةِ شعر العلماء الذين لم يبرعوا في الشعر كبراعة المجيدين من الشعراء، و يوجد في أشعارهم معانٍ مستملحة، وحكمٍ و فوائد.

فمن شعره قوله (١) :

جَنبِّانِي المُدَامَ يَا صَاحِبَيّا وَاتْلُوا سُورَةَ الصَّلاحِ عَلَيّا
اسْتَجَبْنَا لِزَاجِرِ الشَّرْعِ طَوْعَا وَتَرَكْنَا حَدِيْثَ سَلْمَى وَ رَيّا
وأَتَحْنَا لِموجِبِ الشَّرْعِ نَشْرَا وَ مَنَحْنَا لُموجِبِ اللّهوِ طَيَّا
وَ وَجَدنَا إِلَى القَنَاعَةِ بَابَا فَوضَعْنَا عَلَى المَطَامِعِ كَيَّا
إن مَنْ مَاتَ نَفْسَهُ عَنْ هَواهَا أَصْبحَ القَلْبُ مِنهُ بِالله حَيّا
نِلتُ رَوحَ الحَيَاةِ بَعدَ زَمَانٍ قَدْ تَعَنَّيتُ بِالَّتِي وَ اللَّتَيَّا
كُنْتُ فِي حَرٍّ وَحشَتِي لاختِيَارِي فَتعَوَّضتُ بِالرِّضى مِنهُ فَيَّا
وَ تَحَرَّرتُ بَعدَ رِقٍّ وَذُلٍّ حِيْنَ لَمْ أَدَّخِر لِنَفسِيَ شَيَّا
سَمَحَ الوقْتُ بِالَّذِي رُمتُ مِنهُ بَعدَمَا قَدْ أَطَالَ مَطلاً وَلَيَّا
فَالَّذي يَهتَدِي لِقَطعِ هَواهُ فَهوَ فِي العِزِّ حَازَ حَدَّ الثُّرَيَّا
وَ الَّذينَ ارتَووا بِكَأسِ مُنَاهُم فِعلةَ العَبدِ سَوفَ يلقَونَ غَيَّا

وقال حفيده عبد الغافر الفارسي(٢):

---

(١) السياق: ورقة (٥١ أ) وطبقات الشافعية لابن الصلاح: ٢/ ٥٦٧ – ٥٦٨

(٢)السياق: ورقة (٥١ ب).

وأنشدَنا في آخِرِ مجلسٍ جرى لهُ في المدرسة كالوداع، وتوفّي بعد ذلك بأيامٍ قلائلَ :

يا غريباً وجـدتَ مِنّا نسيـماً ... حـانَ أنْ تُلْقي العَصا و تُقِيـما

فَـارِقِ السّـفرَ و الصِّـحابَ ... وعَرِّج عندنا الآن واتخذنا نديـما

واشرب الخمرَ حيثُ نَسقِيكَ ... صِرْفاً واحتسِبْ ذاك جنَّة ونعيما

نحنُ نُصفـيكَ سامعاً و مُطيعاً ... و نواليـكَ جانبـاً ومُلـيما

و إذا مـا اجتهدتموا لثـوابٍ ... أو خشـيتم جهنّـما و جحيـما

فابتغوا عنديَ الوسيلة صدقاً ... و اتخـذوني لكم و دوداً رحيـما

قلتُ : و لا أدري أأنشدها تمثّلا أم هي له.

و له(١):

سقى الله وقتاً كنتُ أخلو بوجهِكم ... وثغرُ الهوى في روضةِ الأنسِ ضاحكُ

أقمنا زمـانـاً والعيـونُ قريـرةٌ ... وأصبحتُ يومـاً والجفونُ سوافكُ

و له :(٢)

البدر من وجهك مخلوقُ ... والسِّحر من طرفك مسروقُ

يـا سيداً يُتمنى حـبُّه ... عبدُك من صدِّك مرزوقُ

و له (٣) :

إذا ساعدتْك الحالُ فارقبْ زوالها ... فما هيَ إلا مثلُ حَلْبَةِ أشطُرِ

وإنْ قَصَدتْك الحادثاتُ ببؤسِها ... فَوسِّعْ لها ذرْعَ التجلُّدِ واصبرِ

(١)وفيات الأعيان: ٣/ ٢٠٧ و نقلها الذهبي في سير النبلاء: ١٨/ ٢٣٢ وتاريخ الإسلام في ترجمته: ٣١/ ١٧١.

(٢) ذكرها الذّهبي في سير النبلاء: ١٨/ ٢٣٢ و تاريخ الإسلام بسنده عن القُشَيري.

(٣) المختصر في أخبارِ البشر لأبي الفِدَاء: ٢/ ١٩٠

و له: (١)

إنْ نابك الدّهر بمكروه *** فقل بتهوين تخاويفه
فعن قريب ينجلي غمُّه *** وتنقضي كلُّ تصارِيفِه

و في التدوين في تاريخ قزوين للرافعي (٢) : (رأيتُ بخط عبد الملك بن المعافي أنشدني الأستاذ أبو القاسم القشيري بظاهر قزوين، سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وكان في صحبة السلطان طغرلبك:

الدهر ساوَمني عُمري فقلتُ له لا بِعْتُ عمري بالدُّنيا وما فيها
ثم اشتراه تفاريقاً بلا ثمن تبّت يداً صفقة قد خاب شاريها)اهـ.

و له (٣):

(يا مَن تقاصرَ شُكْري عن أَياديهِ وكلَّ كلُّ لسانٍ عن معاليهِ)
(وُجُودُهُ لم يزل فرْداً بلا شَبَهٍ عَلا عَن الوَقْتِ ماضيهِ وآتيهِ)
(لا دَهْرَ يُخْلِقُهُ لا قهرَ يَلْحَقُهُ لا كشْفَ يُظْهِرُهُ لا سِتْرَ يُخْفِيهِ)
(لا عدّ يجمعُهُ لا ضِدَّ يمنعُهُ لا حدَّ يقطعُهُ لا قِطْرَ يحويهِ)
(لا كونَ يحصُرُهُ لا عونَ ينصرُهُ وليسَ في الوَهْمِ معلومٌ يضاهِيهِ)
(جَلاله أزليٌّ لا زوالَ لهُ وملكه دائمٌ لا شيء يفنِيهِ)

---

(١) النجوم الزاهرة: ٥/ ٩١

(٢) التدوين في أخبار قزوين للرافعي: ٣/ ٢١١ في ترجمة القشيري.

(٣) طبقات الشافعية للسبكي: ٥/ ١٦١

الفصل الثاني:

دراسة تفسير أبي القاسم القُشَيريّ

((التّيسير في علم التّفسير))

الفصل الثاني: دراسة تفسير أبي القاسم القُشَيريّ : ((التيسير في علم التفسير))

و تتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول:

اسم الكتاب و نسبته لمؤلفه .

المبحث الثاني:

منهج المؤلف في تفسيره .

و سيكونُ من خلالِ العناوينِ التالية:

١- تفسير القرآن بالقرآن .

٢- تفسير القرآن بالسنة.

٣- القراءات

٤- أسباب النّزول

٥- الناسخ و المنسوخ

٦- الإسرائيليات

٧- عنايته بعلم الوقف و الابتداء

٨- مسائل الفقه في تفسيره

٩ - الجانب اللغوي

و أمّا ما يتعلّق بتقريره لمسائلِ الاعتقادِ في تفسيرِهِ، فقد ناقشته في عقيدة المصنِّف.

المبحث الثالثُ:

مزايا الكتابِ و المآخذُ عليه

المبحث الرابع:

مصادِرُهُ.

المبحث الخامس: نُسخ الكتاب المخطوطة و أَماكنُ وجودها:



اسم الكتاب و نسبته لمؤلفه

لا يختلفُ العلماءُ المترجمون لأبي القاسم القُشيريّ في إثبات تفسيرينَ مختلفين له أحدهما :

١- **لطائف الإشارات** – و هو مطبوع- تقدّم التعريف به في كتب أبي القاسم القشيري . وهو بلا أدنى شكّ و بلا اختلافٍ عند العلماء غير تفسيره الكبير الآتي.

٢- **التيسير في التفسير ويسمّونه أيضا بالتفسير الكبير** ، و هذا هو التفسير الذي أحقِّق قسماً من أوله إلى نهاية سورة البقرة في هذه الرسالة. و هذا التفسير هو الذي أثنوا عليه الثناء الكثير، فوصفه بعضُهم بأنه من أحسن التفاسير و ووصفه آخرون بأنه من أجود التفاسير.

و هذه عباراتهم في نسبة هذا التفسير و في اسمه و في الثناء عليه.

قال حفيدُ المصنف الحافظ عبد الغافر الفارسي (ت: ٥٢٩هـ) في ذيل تاريخ نيسابور : (صنّف : ((التفسيرَ الكبير المعروف))) [(١)] اهـ. و بعده في الموجود من مخطوط السياق كلمة غير واضحة، وو قع في منتخب السياق [(٢)]: (صنّف : ((التفسيرَ الكبير)) قبل العشرِ و أربعِ مئة) اهـ. و هكذا نقل الحافظ ابن عساكر في تبيين كذب المفتري [(٣)] و ابن الصلاح [(٤)] عن عبد الغافر الفارسي أنّه قال: (صنّف : ((التفسيرَ الكبير)) قبل العشرِ و أربعِ مئة)اهـ.

---

(١) السياق: ورقة: ٥٠.

(٢) منتخب السياق: صـ ٣٣٥ .

(٣) تبيين كذب المفتري: صـ ٢٧٢

(٤) طبقات ابن الصلاح: ٢/ ٥٦٤

وقال الإمام ابن الجَوزي (١) : (وصنّف التفسير الكبير)اهـ. وقال القاضي ابن خِلِّكان (٢) : (وأخذ في التصنيف، فصنف التفسير الكبير قبل سنة عشر وأربعمائة، وسماه " التيسير في علم التفسير " وهو من أجودِ التفاسير)اهـ. و نقل عنه الإمام الذهبي هذه العبارة أعني: قوله: (صنّف التفسير الكبير وهو من أجودِ التّفاسير)اهـ. (٣) وقال السبكي (٤): (ومن تصانيف الأستاذ:التفسير الكبير وهو من أجودِ التفاسير وأوضحِها)اهـ. وقال طاش كبري زاده (٥): (وصنف التفسير الكبير وسمّاه : ((كتاب التيسير في علم التفسير)) وهو من أجود التفاسيرِ)اهـ.

و في كشف الظنون (٦) : (التيسير في التفسير للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الشافعي المتوفى سنة ٤٦٥ خمس وستين وأربعمائة وهو من أجود التفاسير)اهـ.

وعبارة الداودي: (وصنّف التفسير الكبير وسمّاه كتاب التيسير في علم التفسير، وهو من أجود التفاسيرِ، وكتاب لطائف الإشارات وهو مؤلَّفٌ كبيرٌ في التفسير جليل القدر والشأن) اهـ (٧) و قلده الأَدْنويّ في طبقات المفسّرين (٨) .

و في طبقات المفسرين للسيوطي (١): (وصنّف التفسير الكبير وهو من أجود التفاسير)اهـ. فلم يسمِّه بالتيسير. فهذه عباراتهم بألفاظها.

---

(١)المنتظم: ٨/ ٢٨٠

(٢)وفيات الأعيان: ٣/ ٢٠٦

(٣)تاريخ الإسلام: ٣١/ ١٧٤ سير النبلاء: ١٨/ ٢٢٨

(٤) طبقات الشافعية: ٥/ ١٦٠

(٥) مفتاح السعادة: ٢/ ٩٦

(٦) كشف الظنون: ١/ ٥١٩

(٧)طبقات المفسرين للداودي:١ / ١٢٦

(٨)طبقات المفسّرين : ١٢٦

و كذلك قال الزركلي [٢]: (من كتبه (التيسير في التفسير -مخطوط) ، ويقال له التفسير الكبير)اهـ و يستفاد من ذلك أنّ عبد الغافر الفارسي أخبر – وهو أعلم بجدّه مع كونه أيضا قد أدركه و تتلمذ عليه –أقول أخبر بأنه صنّف : ((التفسيرَ الكبير)) قبل العشرِ و أربعِ مئة. و هكذا نقل عنه ابن عساكر والصريفيني و ابن الصلاح و غيرهم .

و أمّا ابن الجوزي فلم يَزِدْ على القول بأنه صنف التفسير الكبير و لم يذكر اسمه ولا تاريخ تصنيفه. و كذلك وصفه بالتفسير الكبير ابن خلكان والذهبي والسبكي وطاش كبري والسيوطي والدّاوودي و غيرهم.

و أوّل من رأيته سمّاه بالتّيسير في التفسير هو القاضي ابن خلكان فقد وصفه بالتفسير الكبير ثمّ بيّن أنّ اسمه: ((التيسير في التفسير)) كما تقدّم ، و نقل الإمام الذهبي عبارته فاختصرها بهذا اللفظ: (صنّف التفسير الكبير وهو من أجودِ التفاسير)اهـ. كما تقدّم. ثمّ جاء طاش كبري و صاحب كشف الظنون و الداووديّ ثمّ الزركلي و صاحب تذكرة النوادر [٣]فنقلوا أنه صنّف: التفسير الكبير وسمّاه بـ((التيسير في التفسير)) .

فاسم الكتاب : ((التيسير في التفسير)) و قد يسمونه بـ((التفسير الكبير)).

و يُستفاد من عبارة ابن خلكان و السُّبكي أنهم اطّلعوا على هذا التفسير لأنّهم مدحوه بأنّه من أجودِ التفاسير، زاد السبكي في مدحه فوصفه بأنه من أجود التفاسير و أوضحها. كما تقدّم.

و كذلك و صفه بكونه من أجود التفاسير و أحسنِها : السُّيوطي و الدّاودي و حاجي خليفة في كشف الظّنون.

تاريخُ تصنيفه:

---

(١)طبقات المفسرين للسيوطي ٧٣-٧٤

(٢) الأعلام: ٤/ ٥٧

(٣) تذكرة النوادر: صـ ٢٣ .

صنّف : ((التفسيرَ الكبير)) قبل العشرِ و أربعِ مئة. كما تقدّم عن حفيده المؤرخ عبد الغافر ونقله ابن عساكر و ابن خلكان وابن الصلاح و ابن العماد في شذرات الذهب. أي أنّه كان ابن أربع و ثلاثين عاماً حين انتهائه منه.

و قد وهم صاحب كشف الظّنون فذكر عند كتابه الآخر : لطائف الإشارات أنه صنفه قبل العشر و أربعِ مئة [١]. و هذا لبسٌ حَصَلَ لهُ. فكتاب لطائف الإشارات لم يصنّفه في هذا الوقت بل بعد ذلك، و الصوابُ كما تقدّم أنه صنف التفسير الكبير قبل سنة عشر و أربعِ مئة.

(١) كشف الظنون: ٢/ ١٥٥١

إثبات نسبة الكتاب:

١- هذا الكتاب لا يشكّ في نسبته إليه و هو كما وصفوا كبير. وعبارات هؤلاء العلماء الكبار تفيدُ اطّلاعهم عليه و على الأقلّ نقطع باطّلاع بعضهم عليه وعبارة حفيده وابن خلكان و غيرهم صريحة في هذا.

فعبارة ابن خلكان كما تقدّم : ((وسماه " التيسير في علم التفسير " وهو من أجودِ التفاسير)اهـ. وقال السبكي – كما تقدّم قريبا-: (ومن تصانيف الأستاذ:التفسير الكبير وهو من أجودِ التفاسير وأوضحِها)اهـ.

وقال طاش كبري زاده- كما تقدّم أيضا- (١): (وصنف التفسير الكبير وسمّاه : ((كتاب التيسير في علم التفسير)) وهو من أجود التفاسيرِ)اهـ.

٢ –العبارة على وجه المخطوط من النّاسخ بينةٌ في هذا و فيها: (قال الإِمام الأُستاذُ زينُ الإسلام أبو القاسم عبدُ الكَريم بنِ هَوَازِنَ القُشَيريّ)اهـ.

٣ - أنّ الإمام القرطبي نقل نقولاً مهمّةً و فريدة عن تفسير القشيري وهي موجودةٌ في تفسير أبي القاسم القُشيريّ - أعني المصنِّف- و في تفسير ابنه أبي نصر و هي تُثبِتُ صحّة نسبة الكتابين معاً.

و أنبّه هنا إلى أنّ ما رأيناه من هذه النقول التي نقلها القرطبي عن تفسير القشيري موجوداً أيضا في تفسير ابنه أبي نصر القشيريّ .فيمكن أن نجعل هذه النقول التي وجدناها في التفسيرين تفسير أبي القاسم وتفسير ابنه أبي نصر توثيقا للتفسيرين جميعاً ، وذلك لأننا نستدلّ بذلك على أنّ ابنه أبا نصر عبد الرحيم نقل بعض ذلك من كتاب أبيه القاسم لأنه وبلا شكّ سيكون قد أفاد من تفسير والده و برهان صحة ذلك : أنّ التفسيرين المخطوطين لدينا –أعني ما بقي من تفسير الأب و ما بقي من تفسير الابن- والمخطوطتان مختلفتان اختلافاً بيّنا عن بعضهما مضموناً وأسلوباً بحيث لا يُرتاب أنهما كتابان في التفسير مختلفان. ولكنّ التشابه بينهما

(١) مفتاح السعادة: ٢/ ٩٦

في ما يوردانه من الأحاديث و الآثار و غيرها كبيرٌ ، و الذي أجزم بـه بعـد النظـر و المقارنـة بينهما أنّ أبا نصر عبد الرحيم قد أفاد من تفسير والـده أبي القاسـم وشرح ذلـك عـلى وجهـه يطول .

و تلخيص ذلك أنّا عند تأمُّلنا نجد أنّ الإمام القرطبي نقل عشرات النقول مصرّحاً فيها باسـم أبي نصر القشيري الابن ثمّ نقل نقولاً قال فيها قال : القشيريّ و لم يزدْ على وصـفه بالقـشيريّ فاحتمل الكلام أن يكون مقصوداً به أبو القاسم القشيري و أن يكون مقصوداً به ابنه أبو نـصر فاحتجنا إلى مراجعة التفسيرين جميعاً لنقارنَ تلك النقول و نتبين أيهما المقصود بذلك.

و قد تتبعتُ كلام القرطبي في كلّ ما قال فيه قال القُشيريّ فطال عليّ و أجهدني تتبعه لكثرتـه واستلزم ذلك منّي مقارنته بالتفسيرين مع كونهما مخطوطين و ناقصين غـير أنّ القـدرّ الموجـود منهما كبير –و لله الحمد – فتوصلتُ إلى النتائج الآتية:

١ – لم يبقَ عندي شكٌّ في أنّ الكتابَ الذي حققتُ بعضه هو تفـسير أبي القاسـم عبـد الكـريم القشيريّ و أنّ ابنه أبا نصر عبد الرحيم ينقل منه كثيراً.

٢ – ثبت لديّ صحة نسبة المخطوطة التي بحوزتي مـن تفـسير ابـن المـصنف أبي نـصر عبـد الرحيم –و هي التي أشرتُ إليها في مخطوطات الكتاب – فكثرةُ نقولِ القرطبي و التي طابقت قسماً كبيراً منها مع المخطوط تُثبتُ أنها صحيحة النِّسبة إلى أبي نصر عبد الرحيم ، هـذا مـع مـا جاء في المخطوط، و مع أمورٍ ليس هذا محلّ تفصيلها تتعلق بتفسير الابن أبي نَصْرالقشيري ، و بنقول العلماء منه .

و لأنّ الكلام الآن هو عن نسبة تفسير أبي القاسم القشيري إليه لا عن إثبات نسبة تفسير ابنه أبي نصر القشيري .

٣ – ما صرّح فيه القُرطبي بالنّقل من القُشيري فهو على قسمين كما قدّمت قـسمٌ يـصرّح فيـه باسم أبي نصر عبد الرحيم ابن المصنف و أجده في تفسيره و قد أجده أيضا في تفسير والده أبي القاسم عبد الكريم، و قسمٌ يبهمه فيقول قال القشيريّ فهـذا أحيانـاً في تفـسير الأب والابـن معاً، و أحياناً في تفسير الابن و سأمثل لذلك.

و هنا وقفة فإمّا أن يكون القرطبي قد نقل عن التفسيرين جميعاً و هو ما أرجّحه ،و إما أنْ يكون قد نقل عن تفسير أبي نصر القشيري وحده لكنه كان يصرّح مرة بها يُزيل الاشتباه ومرة يترك ذلك سهواً أو لغير ذلك .و إنها رجحت الاحتمال الأول لأنّ قول القرطبي قال القشيري -بلا تفصيلٍ – مع علمه فيما يظهر بأن للأب و الابن تفسيرين مستقلين هو أليق بإمامٍ محقق في النقل عن المفسّرين مثلِ القرطبي. و لأنني عثرتُ على ما يقول فيه قال القشيري و يبهمه في تفسير أبي القاسم القشيري.

أمثلة:

قال الإمام القرطبي: (وهو قول الحُسين بن الفضل، من أمّ إذا قصد، أي نحن قاصدون نحوك، ومنه قوله: ﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ [المائدة: ٢].حكاه أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري[١])اهـ. و هو موجود بلفظه في تفسير أبي نصر عبد الرحيم القشيري ابن المصنف (ورقة: ٨ أ). من المخطوط الذي لديّ .

و موجود في تفسير المصنف أبي القاسم في القسم المحقَّق لدي و لكن بلفظٍ مختلفٍ اختلافاً يسيراً جدّا يدلّ على أنّ أبا نصر قد يكون نقله من تفسير والده و هذا لفظ تفسير أبي القاسم القشيري الأب: (و قال الحُسين بن الفضل : إنها هو (آمِّين) بالتشديد أيْ قَصَدْناكَ بهذا الدّعاء فأجِبْ لنا وهو كقوله تعالى : ﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ [المائدة:٢] أي قاصِدين)اهـ. في آخر الفاتحة.

مثالٌ آخر:

قال القرطبي: (رُوِيَ أنَّه ما شربه أحد إلا جنّ، حكاه القشيري [٢]) اهـ.

---

(١)تفسير القرطبي: ١/ ١٢٩

(٢)تفسير القرطبي: ٢ / ٣٢

قلتُ :و هو موجود في القسم المحقّق من هذا التفسير تفسير أبي القاسم القشيريّ و نصُّ كلامه: (و قيل لمّا سُحِق العجل و ذُرِيَ في الماء ما شرب من ذلك الماء أحدٌ إلا جنّ)اهـ . عند تفسير قوله:﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ الآية: (٩٣ من سورة البقرة).

و قد نقله عن القشيري الحافظ ابن كثير في تفسيره : ١/ ٣٣٤ بواسطة النقل عن القرطبي.

و موجود أيضاً في تفسير أبي نصر عبد الرحيم ابن المصنف: (ورقة: ٥١).

مثالٌ آخر:

قال القرطبي: (قال القشيري: وقرئ " يعقوب " بالنصب عطفا على " بنيه " وهو بعيد، لأنّ يعقوبَ لم يكن فيها بين أولاد إبراهيم لما وصَّاهم، ولم يُنقَل أنَّ يعقوب أدركَ جدَّهُ إبراهيم [(١)])اهـ. فهنا أبهم القرطبي القشيريّ و لم يبينه و هذا النص ليس موجوداً في تفسير أبي القاسم الأب و الذي في تفسيره عند هذه الآية قوله: (والقراءة على رفعِ ﴿يَعْقُوبُ﴾ أي ووَصَّى يعقوب كما وصَّى إبراهيم وقُرئ في الشواذِّ -وهو جائز في العربية- (ويعقوبَ) نَسْقاً على بنيه)اهـ. [(٢)].قاله عند قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوب﴾ الآية [١٣٢ من البقرة].

و لكنه موجودٌ في تفسير أبي نصر عبد الرحيم القشيريّ ورقة: (٦٦ أ). فالقول بأنّ القرطبي إذا أطلق النقل عن القشيريّ فهو يعني به الأب غير صحيح بل لا بدّ من الفحص

---

(١) القرطبي: ٢/ ١٣٦

(٢)القراءة بنصب (يعقوبَ) شاذة نسبها ابن خالويه: (مختصر في الشواذ: صـ ٩) : إلى عمرو بن فائد و طلحة، و كذلك نسبها ابن عطية في المحرر: ١/ ٢١٣ إلى: عمرو بن فائد الأسواري و لم يذكر طلحة وزاد القرطبي: ٢/ ١٣٥ و أبو حيان في البحر: ١/ ٣٩٩ نسبتها إلى (اسماعيل بن عبد الله المكي).

و النظر [١]. و هنا يرد استشكالٌ و هو أنّا قد علمنا أهمية الكتابِ و عرفنا كثرة الثناء عليه فما هو إذاً سبب عدم توافر النقل عنه مع أهميته و جلالةِ و شهرة مصنفه.

فالجواب من وجوهٍ:

١-كم من كتابٍ جليل كثُر الثناء عليه ، و إذا بحثنا أعوزنا التصريح بالنقل منه فيما بين أيـدينا من المصادر، و الأمثلة على هذا فيما يتعلّق بكتب التفسير كثيرةٌ، و من نظـر في تـراجم العلـماء المصنفين في التفسير في طبقات المفسرين للـسيوطي و للـداودي و نظـر في مفتـاح الـسعادة و مصباح السيادة و كشف الظنون ثم في التراجم العامة في التواريخ فسيجد من ذلك كثـيراً ، و من أمثلة ذلك :

- التفسير الكبير للإمام أبي حفص، عمر بن أحمـد بـن عـثمان ابـن شـاهين(ت: ٣٨٥هــ) ، الحافظ العالم، شيخ العراق، وصاحب التصانيف المعروفـة في الحـديث [٢].وفي ترجمتـه قـول الحافظ الخطيب: كان ثقة أميناً.و قال الخطيب البغدادي أيضاً: (وصنف ثلاث مئـة مـصنف، أحدها " التفسير " ألف جزء، و " المسند " ألف وثلاث مئة جزء)اهـ.

([١]) و للفائدة فقد اعترض الحافظ ابن كثير كلام القشيري فقال : (وقد ادَّعى القشيريّ، فيما حكاهُ القرطبي عنه أنَّ يعقوب إنما وُلِدَ بعد وفاة إبراهيم، ويحتـاج مثـل هـذا إلى دليـلٍ صـحيح؛ والظـاهر، والله أعلـم، أنّ إسحاق وُلِد له يعقوبُ في حياة الخليل وسارة [١])اهـ. كلام الحافظ ابن كثير. قلتُ: القراءة شاذةٌ جدّاً فـلا تعويل عليها في مثل هذا و قراءة الجمهور بالرفع لا إشكال فيها و تفيد أنّ يعقوب وصّى بها بنيـه كـما وصّى إبراهيم بنيه .

و أمّا كلام أبي نصر القشيري فهو إنما قال: -لأنّ يعقوبَ لم يكن فيما بين أولاد إبراهيم لما وصَّاهم، وقال: (ولم يُنقَل أنَّ يعقوب أدركَ جدَّهُ إبراهيم) و هذا صحيح فلم ينقل نقلاً صحيحا أنّ يعقوب كان بينهم ، و كذلك لم يثبت أنّه لم يكن بينهم فكلا الأمرين محتملٌ. فلا جزمَ بأحدهما لموضع الاحتمال.

(٢) ينظر: على سبيل المثال في ترجمته و ذكر تفسيره: تاريخ بغداد: ١١ / ٢٦٥ - ٢٦٨ ، المنتظم: ٧ / ١٨٢ - ١٨٣، سير النبلاء: ١٦ / ٤٣١ ، تذكرة الحفاظ: ٣ / ٩٨٧ - ٩٩٠.

فإن قيل لعله فُقِد قديماً كبعض تصانيفِ الإمام ابن حبّان (ت: ٣٥٤هـ) صاحب الصّحيح فيقال قد قال الإمام الذهبي [(١)]: (قلتُ: وتفسيرهُ موجود بمدينة واسطَ اليوم)اهـ.

و الحافظ الذهبي ت: ٧٤٨هـ .

- مثالٌ آخر لمن هو من علماء الشافعية المشهورين المعاصرين لأبي القاسم القشيريّ:

التفسير الكبير لأبي محمد، عبدالله بن يوسف الجويني و الد إمام الحرمين (ت: ٤٣٨هـ)[(٢)].و هو تفسير كبير يشتمل على عشرة أنواع في كلّ آية [(٣)] .

وقال ابن خلكان [(٤)]: (صنف التفسير الكبير المشتمل على أنواع العلوم)اهـ.

و يوجد من كتابه هذا قطعة في مكتبة جامعة إسلامبول، رقم (٣٥٧/ a/ ١٨١٠) تقع في ٢٣٤ورقة، كتبت سنة: ٥٤٨هـ. [(٥)] فأين كثرة النقل منه مع شهرة مصنفه و تقدم و فاته.

-مثال آخر:

التفسير الكبير: للإمام محمد بن الخضر بن محمد بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحراني، الفقيه المفسر، الخطيب الواعظ، فخر الدين، أبو عبد الله (٥٤٢- ٦٢٢هـ) له تفسير كبير أثنوا عليه.[(٦)]

---

(١)سير النبلاء: ١٦ / ٤٣٤

(٢)تبيين كذب المفتري ٢٥٧، ٢٥٨، المنتظم ٨ / ١٣٠، ١٣١، معجم البلدان ٢ / ١٩٣، سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٦١٧ ، طبقات السبكي ٥ / ٧٣ – ٩٣، شذرات الذّهب: ٣/ ٢٦١

(٣) الطبقات للسبكي: ٥/ ٧٦

(٤) وفيات الأعيان: ٣/ ٤٧

(٥) الفهرس الشامل: – التفسير– : ١/ ١٧١ و استدراكات على تاريخ التراث العربي : ٢/ ٤٢٩- ٤٣٠

(٦) ترجمته وذكر تفسيره و الثناء عليه في: وفيات الأعيان: ٤/ ٣٨٦ ، سير النبلاء: ٢٢/ ٢٨٨ ، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: ٢/ ١٥١- ١٦٢ ، طبقات المفسرين للداودي:٢/ ١٣٩ ،الأعلام: ٦/

فهذا غيضٌ يسير من فيضٍ كثير. و يدخل في هذا المعنى الذي ذكرتُ : التفسير الكبير لبقي بن مخلد و غيره.

و التفاسير التي ذكرها الثعلبي: (ت: ٤٢٧هـ) في مقدِّمة تفسيره و فيها تفاسير جليلة لبعض الحفاظ و قد وصف بعضها الثعلبي بالطُّول وذكر سنده إليها .. إلى غير ذلك، فإن تفاسير علمائنا بحرٌ خِضَمّ.

٢ –ومن أسبابِ عدمِ شهرة النّقل عنه كونه من المطوّلات فإن هذا الكتاب لاتساعه في نقله –و بخاصة في أوائله– لم يكتب له من الشُّيوع و الذيوع في بعض العصور ما يليق بقدره و منزلته و كذلك شأن الكتب الكبيرة ربما تقاصرت الهمم دون نقلها والاعتماد عليها في العزو و بخاصة أن المصنفات في التفسير كثيرة جدّاً ، و يجتهد العلماء في كلّ عصرٍ في تصنيفٍ جديد.

٣ – مزاحمة تفسيرين لهذا التفسير الكبير الأول منهما تفسير المصنِّف نفسه في لطائف الإشارات الصوفية و قد تقدّم ذكره في تصانيفه. فإن كتابه ذلك لكونه سلك فيه مسلكا يغاير الشائع المعروف و المهيع (١)المتّبع الصحيح كثر الاقتباس منه، هذا مع كون كتابه اللطائف أسهل كما اشتمل على نكاتٍ و عبارات حسنة تجذب إليه المطالعين فهذا من أسباب ذيوع النقل عن اللطائف بخلاف التفسير الكبير.

و الكتاب الثاني الذي زاحمه كتاب ابنه أبي نَصْر فإنه كتب تفسيراً سمّاه بالتيسير في التفسير وأجاد فيه و استفاد من كتاب و الدِهِ و من غيره ،كما تقدّم عند بيان الفروق بين تفسيري الأب و الابن.

٤ – أنّ الاقتباس من المصنفين في كتب التفسير من التفاسير التي صنّفت قبلهم من دون تصريح بالعزو إليها كثيرٌ لاتفاقهم في الأخذ عن أصول واحدة، هذا ما لم تدع الحاجة إلى

١١٣، و قد ذكر تفسيره الدكتور: سعود الفنيسان في : آثار الحنابلة في علوم القرآن: صـ ١٠٤.

(١) المنهج و الطريق.

التصريح. فقد يكون بعض المفسرين اقتبس فوائد منه و لم يعزُها إليه لكونه رآها من الأمور المشتركة بين كتب التفسير، و المصنف نفسه يطيل الكلام على المعاني و يبين الخلاف و يعزو ، و ربما لم يعز ما ينقله إلى تفسير بعينه.

٥- أن الذي و صلنا من التفاسير الكبيرة في جنب ما لم يصلنا قليلٌ، و الذي طبع من التفاسير الكبيرة أيضا قليل ، وكم من تفسير علميٍّ جيد قد حقِّق في رسائل علمية و لم ينشر كتفسير البسيط للواحدي و غيره.

و قد طُبِعت كتبٌ مهمّةٌ على نسخةٍ فريدةٍ يتيمة ككتاب أحكام القرآن للطحاوي (ت: ٣٢١ هـ) طُبِعَ ما عثر عليه منه في مجلّدين في تركيا عام : ١٤١٦هـ. بتحقيق: (د/ سعد الدين أونال) ، فوقع عند أهلِ العلم ممّن اطَّلعَ عليه موقعاً حسناً. فتحقيقُ الكتاب على نسخةٍ وحيدةٍ خيرٌ من إبقائه مخطوطاً بعيداً عن أنظارِ أهل العلم و عن استفادة عامّةِ الباحثين، و بخاصةٍ إذا كانت النّسخة جيدةً مثل هذه النّسخة ، و أمّا إذا كان الكتاب مهمّاً فتحقيقه على النسخة الموجودة منه -و إنْ كان فيها نوع رداءة -خير من إبقائه حبيس أرفف المكتبات القديمة إذا أمكن تلافي قصور النسخة عن طريق مقارنة ما فيها من النقول بما يتيسّر من المصادر.

المبحث الثاني : منهج المؤلف في تفسيره

مَزَجَ المصنّف -رحمه الله -في تفسيره بين التّفسير بالأَثر و الرّأي المُحمودِ فاشتملَ كتابُه على كثيرٍ من الأحاديث المرفوعة ، كما ذَكَرَ أقوالَ الصّحابة و التابعين و أَتباعهم ثمّ أقوالَ أئمّة التفسير و جهابذة علماء العربية.

و اشتملَ كتابُهُ على نُقُولٍ جَمّة عن علماء العربية المبرِّزين، و أئمة النحاة المشهورين واجتهدَ في جمع ما يتعلّق بالآياتِ من معان و أحكام و أسبابٍ ولغة و غيرِ ذلك اجتهاداً دلّ على سعة اطلاعه و تفنُّنه.

ملامحُ عامّة في و صفِ الكتاب:

ابتدأ المصنف كتابه بمقدّمة مفيدةٍ أفاد فيها من كتاب الإمام الحُسين بن الفضل البَجَلي (ت:٢٨٢هـ) ومن تفسير الطبري و تفسير أبي بكر محمد بن علي القفَّال الشاشي الكبير : (ت: ٣٦٥هـ) و من كُتُب الباقلاني: (ت: ٤٠٣هـ) كالانتصار للقرآن ثم نقل عنه بواسطة أبي بكر ابن فُورك -و هو من أشهر شيوخ المصنّف -كما أفاد من تفسير الثعلبي،و من غيره من التفاسير ، و من كتبٍ أخرى.وهو كثير النقل من كتب علماء العربية المصنفين في معاني القرآن فينقل من أبي عبيدة معمر بن المثنى والفرّاء و الأَخفش و الزّجّاج و غيرِهم ممّن سيأتي ذكرهم .

وصف مقدّمة الكتاب

لقد جمع المصنفُ رحمه الله في هذه المقدِّمة مسائل وقضايا من مهمّات عُلُومِ القرآن، فتكلّم فيها على معنى التفسير والتأويل و الفرق بينهما بإسهابٍ، ثم ذَكَرَ أسماءَ القرآن بتفصيل وبيّن أدلتها وتكلّم على معنى السورة و الآية و معنى الأحرف السبعة، و بين الاختلاف في ذلك ،و تكلَّم على أول القرآن نزولا و آخره نزولا و ذكر الاختلاف، كما سرد أسماء السور بحسب ما قيل في ترتيب نزولها كما تكلَّم على المكي و المدني، وذكر قضية جمع القرآن وأجاب على بعض

الشُّبه المتعلقة بجمعِهِ، و تكلَّم على ما ورد من اختلاف مصحف ابن مسعود وغيره، كما تكلم على مسألة إعجاز القرآن.

و مما عنون لهُ في المقدّمة و أتى فيه بفوائد كثيرة :

قوله : (القول في جواز تفسير القرآن ومن الذي يجوز له ذلك، و على أيِّ شرطٍ يصح ومن الذي يجوِّز ذلك)اهـ. ثَمّ سَرَدَ أسماء جماعةٍ ممّن اشتَهَرُوا بعِلْـمِ التّفسير، و ذَكَرَ عددَ آيات القرآن، و تقسيمه إلى أنصافٍ و أثلاثٍ و أرباع الخ .

كما بسط القولَ في اختلاف عدد آيات القرآن في كلّ سور القرآن سورةً سورة بحيث يصلُحُ هذا المبحثُ أنْ يكونَ كتاباً مستقلاًّ برأسِهِ في عدّ الآي.ثمّ تكلّمَ على سَجَداتِ القرآن.

و المصنّف يبتدأُ الكلامَ على السُّورة بذكر أسمائها و ببيان كونها مدنية أو مكية و يبيِّن الاختلاف في ذلك إنْ وُجِدَ لكنه لم يلتزم ذلك في بعض السور لكونه ذكر ذلك في مقدمة كتابه. و هو شديدُ الاعتناءِ بالقراءات فيبينها و يَذكرُ توجيهها و لا يكتفي بالقراءات العشر بل يذكر الشواذّ و غرائبَ الشّواذّ.

و هو كثيرُ الاعتناءِ ببيان آياتِ الأحكامِ و ينسب الخلاف بين العلماء على وجه التوسُّط غالباً. و يذكر أسباب النّزول و يبيّن الاختلاف فيها، و يشرح الناسخ والمنسوخ مبيّنا الأقوال المختلفة و مرجِّحا في أحيانٍ كثيرة.

كما أنه يعتني في تفسيره ببيان الوجوه الإعرابية في الكلمات المشكلة ذاكراً أقوال النّحاة وربما ذكر ما لا يشكل إعرابه ، و هو رحمه الله يطيل في سرد أقوال النُّحاة في الوجوه الإعرابية والصرفية ناسبا كلّ قول لمن قال به .

و هو كثير الاعتماد و النقل من تفسير إمام المفسرين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وهذا من مزايا تفسيره.

و هو أيضا ينقل عن الكلبي، و عن مقاتل بن سليمان ، فينقلُ عنهما بعض ما يتعلّق بأسباب النزول و بتفصيل بعض القصص و غيرِ ذلك.

كما أنه يستنبط فوائد في الردّ على الفرق المنحرفة كالقدرية و غيرهم و قد ضربتُ لذلك أمثلة عديدة عند الكلام على عقيدة المصنّف رحمه الله.

و المصنف دقيقٌ في عزوه و نقله لحظتُ ذلك كثيراً في كتابه و هو مما يُضاف لفضائل كتابه ومزاياه. هذه ملامح عامة في وصف الكتاب.

و سأتكلَّم على منهجِ المصنِّف بتفصيلٍ أكثر من خلال العناوين التالية على وجه الإيجاز:

- تفسير القرآن بالقرآن :

اعتمد المصنف على المنهج الصحيح من تفسير القرآن بالقرآن ثمّ بالسنة ثم بأقوال الصحابة ثم بأقوال التابعين و تابعيهم بإحسانٍ ثمّ بما تقتضيه اللغة.

فأمّا تفسيره للقرآن بالقرآن فلا يحتاج لشدّة ظهوره، و كثرة تكرّره إلى تطويلٍ في التمثيل وطريقته في ذلك أن يوضّح المجمل بالمبيّن، و يجمع ما يوهم تناقضاً أو اختلافاً، و يوضح تفسير الآية بذكر نظائرها، و ببيان معنى تلك النظائر.

و أمثلة كلّ ذلك كثيرة فمن أمثلة بيانه للنظائر في تفسيره ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ من سورة الفاتحة . و كذلك تفسير ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة: آية: ١٤٣]. فقد بيّن معنى الوسط في القرآن بياناً مفيداً . و الأمثلة كثيرة جدّاً.

تفسير القرآن بالسنة:

أكثر المصنف من الاستشهاد بالحديث إمّا بيانا لمعنى الآية أو زيادةً في توضيح معناها أو لبيانِ معنىً يتعلق بما هو مستنبطٌ منها، و هو خلالِ ذلك يذكر الأحاديث بلا عزو لمن أخرجها من الأئمة و من غير إسنادٍ منه إلى رواتها، و المصنف ذو أسانيد عاليه شارك البيهقي في كثيرٍ من شيوخه كشيخه أبي عبد الله الحاكم و غيره ،و أخذ معه في الرّحلة عن جماعة من المسندين المشهورين ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في ترجمة المصنف، و له أربعين حديثا بإسناده سمعها المحدثون معروفة تقدّم ذكرها في كتبه و هو يسند الأحاديث أحيانا في بعض كتبه كالرِّسالة و

شكاية أهل السنة و غيرها. و لكنه مع ذلك لم يُسند في هذا الكتاب – فيما وقفتُ عليه – حديثاً واحداً ، وقد يكون ذلك لأنه ارتضى لنفسه فيه منهجاً معيّناً سار عليه هذا مع كون هذا الكتاب من أوائل مصنفاته.

و المصنف حين يذكر الحديث ولا يسنده ولا يعزوه لكتاب معروفٍ يكون قد ابتعد عن طريقة أهل الحديث، و قد أورد خلال تفسيره أحاديث كثيرة اختلط فيها الصحيح والحسن بالضعيف و المعلول ، و هو عند ذكرها لا يزيدُ على عَزوِها إلى راويها من الصَّحابة.

و مع هذا فالمصنف قد أحسن الاستشهاد بها في مواضعها من تفسيره، و إن كان ذكرها بلا عزوٍ ، ثم إنه قد يذكر نادراً طرفا من أسانيدها فيقول مثلا: (وروى ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة ...) و إن كان هذا نادراً.

و من الأحاديث المنكرة الضعيفة التي ذكرها قوله : (وقرأها – يعني سورة المائدة – النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم حجة الوداع وقال : (يا أيها النّاس إنّ آخر القرآن نزولاً سورة المائدة فأحلُّوا حلالها وحرِّموا حَرامَها)اهـ. و هو خبرٌ منكرٌ و سنده ضعيف جداً ، رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (١).

---

(١) فضائل القرآن: (صـ٢٣٩) من طريق أبي اليمان عن أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس به وليس فيه ذكر لحجّة الوداع. وذكره في الدر المنثور: ٢ / ٢٥٢ في أول سورة المائدة،و سنده ضعيف فيه علتان أنه مرسل ،و لضعف أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي: (ت: ١٥٦) . ترجمته في تهذيب الكمال: ٣٣ / ١٤١ .

و قع في المطبوع من فضائل القرآن خطأٌ فقد وقع فيه: ضمرة بن حبيب عن عطية بن قيس. و هو خطأ صححته من الدر المنثور: ٢ / ٢٥٢ و من ترجمة رجال السند،و قد قال الزيلعي لم أجده مرفوعا: و إنما و جدته موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص و على عائشة : ثم خرجها من الترمذي و مستدرك الحاكم بلفظ: إنّ آخرَ سورةٍ نزلت سورةُ المائدة. (تخريج الأحاديث و الآثار الواقعة في تفسير الكشاف: ١ / ٣٧٧). و هو في فضائل القرآن الموضع السابق.

- و قد يورد المصنف أحاديثَ شديدةَ الضّعف و قد يُوجدُ خلال ذلك ما حُكِمَ عليه بالوضع، كما بينتُه في المآخذ على الكتاب .
و الأمثلة عديدة على كلّ ما ذكرته تركتها مراعاةً لجانب الإيجاز.

القراءات في تفسيره:

كتابنا هذا يهتمّ كثيراً بالقراءاتِ متواترِها و شاذِّها عزواً وتوجيهاً ، و ينقل الاختلاف المرويّ في حروف القرآن عن الصحابة كعمر و ابن مسعود و ابن عباس رضي الله عنهم و من بعدهم من التابعين المشهورين كمجاهد و الحسن و أبي العالية و غيرهم ، و لكنه لا يُشيرِ إلى مصادره فيها و بالتتبّع وجدته ينقل كثيراً من القراءات عن بعض التفاسير المشهورة كتفسير الطبري: (ت: ٣١٠هـ) جامع البيان و كتفسير الإمام الثعلبي : (ت: ٤٢٧هـ) :الكشف و البيان و غيرها، كما أنه ينقل عن كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلاّم (ت: ٢٢٤هـ). وغيره.
كما أنّه ينقل عن علماء العربية اختياراتهم و ترجيحاتهم للقراءات على وجه البسط و ينقل عنهم القراءات الشاذّة كبعضِ قراءاتِ الصّحابة و التابعين و غيرهم، فيكثر مثلاً من النقل عن مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت: ٢٠٩هـ) ومعاني القرآن للفرّاء يحيى بن زياد: (ت: ٢٠٧هـ) و عن معاني القرآن للزّجّاج: (ت: ٣١٠هـ) و عن معاني القرآن، لقطرب محمد بن المستنير بن أحمد أبو علي النحوي، و معاني القرآن و إعرابه كلاهما لأبي جعفر : أحمد بن محمد النحاس المتوفى : سنة ٣٣٨هـ ، و هذه الكتب كلها مطبوعة غير كتاب قطرب في معاني القرآن فإنه أفاد من قطرب فقد يكون نقل ذلك من كتابه في معاني القرآن، و قد يكون نقل منه بواسطةٍ . و الذي يدلّ على أنه نقل منه بواسطة أنه صرح بما يفيد ذلك على الأقل في بعض المواضع . فإنّه قال:

(و حُكِي عن قُطْرُب أنه قال ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة:١، ٢] هو كقولك : أَلاَ إنك ذاهب فتدخل أَلاَ تستفتح بها)اهـ.

فقد يكون نقل هذا بواسطةٍ و نقل غيره مباشرة من كتب قطرب التي منها معاني القرآن. وقد أشرت إلى هذا في مصادر المصنف بأوسع مما هنا.

و قد نقل عن الكتاب لسيبويه في مواضعَ . و كلّ هذه الكتب فيها توجيه كثيرٌ للقراءات وبخاصةٍ كتب الفراء و الزجاج و ابن النحاس ، كما ينقل عن مصادِرَ أُخرى كثيرة لكن لا يمكن الجزم ببعضها لاحتمال النّقلِ عنهُ بواسطةٍ أو لاحتمالِ التّواردِ في نقلِ معلوماتٍ متّفقٍ عليها بين كثير من كتب القراءات.

و قد سلك القشيري فيما يتعلّق بالقراءات المنهج التالي:

- عدمُ الاكتفاءِ بذِكرِ القِراءات بل كان يوجّهها و يبيّن عللها و يبسط النقل عن الأئمة في توجيهها و يذكر قولَ من يختارُ من أئمة العربية و غيرهم قراءةً من القراءات، و يسوقُ بعبارته أدلتهم بحيث يصلُح أن يكون كتابه مصدراً ثريّا للقراءات و توجيهها.

و من الأمثلة الكثيرة على ذلك ما ذكره في تفسير : قوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ فإنه قال : (صحَّت الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ ﴿ملك يوم﴾ بلا أَلِف وأنّه قرأ : ﴿مالك ﴾ بالأَلِفِ فكلا القراءتين صحيحتان منزَّلتان، و إنما الاختلاف في أحسنهما ...) اهـ.

ثم أطالَ في بيان معناهما و توجِيهِهما بما هو مفيدٌ.

و هكذا وفي كلّ آية فيها قراءة يبيّن المصنف القراءات موضّحاً للاختلاف بين القرّاء و مبيّنا لوجوهها و معانيها بياناً جليّا .

- الإكثار من الاستشهادِ بالشّعر على القراءات عند الحاجة إلى ذلك .

- التنصيصُ كثيراً على اختياراتِ أبي عُبيد القاسم بن سلّام و أبي حاتِم و الحسين بن الفضل والطبري و غيرهم.

و من أمثلة ذلك قال عند قوله : ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية [٩] قرأ الكوفيون و ابن عامر ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ : (وقرأ أبو عمرو و نافع وابن كثير (و ما يخادعون إلا أنفسهم) بإثبات الألف ، و الوجه فيه كأنه لم يُعتدّ بخداعهم للمؤمنين و هذا كما تقول فلان يَهزأُ من فلان و ما يهزأ إلا من نفسه أي لا أثر لاستهزائه به وأنه لا خطر لفعله، و هذه القِرَاءة اختيار الحسين بن الفضل قال : (إنما القوم كما خادعوا الله و المؤمنين بإظهار خلاف ما في قلوبهم كانوا يخادعون أنفسهم بالتَّسويف والتشكيك إذا نازعتهم دواعي الإيمان و دَعَتهُم خواطرُ الحقّ فكانوا يقابلون ذلك بالجَحْد والتكذيب و تَرك النظر و القبول. و الأول اختيارُ محمّد بنِ جرير (١))اهـ.

- العناية بشرح الوجوه النحوية و الصرفية المتعلقة بتوجيه القراءات: و من أمثلة ذلك الكثيرة قوله : (و في ﴿فِيهِ هُدًى﴾ أربعة أوجه من القِرَاءات ..)اهـ. ثم بينها و شرح وجهها من جهة النحو و الصرف.

- الإطالة أحيانا في توجيه شاذ القراءات و نقلِ عباراتٍ مطوّلة من كتب علماء معاني القرآن والنحو.

و قد كنتُ أريدُ التّمثيل لهذا كلّه بعدد من الأمثلة فرأيتُ أنّ الإطالة فيه مع شدّة ظهوره وكثرة تكراره في الكتاب مدعاةٌ لتضييع الوقت بما هو متكرّر متقرّر، مما يخشى معه من وقوع الإملال لما يقتضيه الحال من تنويع الأمثلة ،فرأيت الاقتصار على أمثلة تكون عنواناً لغيرها من الأمثلة .

أسباب النزول:

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٨٥

يسوق المصنف الروايات في سبب النزول من غير إسنادٍ ، و لا عزو لكتابٍ مشهورٍ، و يكثر من الاعتماد على ما في تفسير الطبري و غيره من التفاسير المسنَدة، و ينقل اختلافهم في نزول الآية، و قد يرجّح ولكنه في الغالب لا يجزم بترجيحٍ.

و المصنف يخلط أحيانا الروايات الصحيحة بالواهية ، و ينقل من تفسير مقاتل بن سليمان وغيره ما لا يجده في الطبري و نحوه.

فمن أمثلة جمعه للرِّوايات من غير تمييزٍ للصّحيح منها من غيره أنه:

ذَكَرَ عندَ قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية : [١٤٢]

الرَوايات المعروفة في سببِ نزولها ثمّ ذَكَر روايةً غريبة و سياقاً آخر فيه ما نصه :

(فقال صلى الله عليه و سلّم : لجبريلَ وَدِدتُ أنّ ربي صَرَفَني عن قبلةِ اليهود إلى غيرِها فقال جبريل إنّما أنا مَلَكٌ عبدٌ لا أملك شيئاً فسلْ ربّك فصعَد جبريل إلى السماء وخرج رسول الله ﷺ إلى الصحراء نحوَ أحدٍ يُصلي ههُنا ركعتين و ههُنا ركعتين و يدعو الله أنْ يَخيرَ له في ذلك فلم يَزَلْ كذلك يُديمُ النّظر إلى السماء حتى دخل ناحيةَ أحد، فأنزل الله تعالى في رجب بعد زوال الشمس قبل الظهر : ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ ﴾ [١٤٤])اهـ .

فهذا السياق بعضه في تفسير مقاتل بن سليمان (١)و بعضه في غيره.

و ليس فيها كلّها قوله: (خرج رسول الله صلى الله عليه و سلّم إلى الصحراء نحوَ أحدٍ يُصلي ههُنا ركعتين و ههُنا ركعتين و يدعو الله أنْ يَخيرَ له في ذلك فلم يزل كذلك)اهـ.

و فيها ما قبله و ما بعده. و لكنّي عثرتُ عليه بهذا السياق الذي ذكره المصنّف في تفسير العلامة نجم الدين عمر النسفي الحنفي :(ت: ٥٣٧هـ) التيسير في التفسير (١)ذكره بطوله وبأتمَّ مما هنا. وقد صرّح بنقله عن مقاتل بن حيّان.

---

(١) تفسير مقاتل: ١/ ٨٢ و تفسير السمرقندي: ١/ ١٢٧ و مختصر تفسير يحي بن سلام لابن أبي زَمِنِين: ١/ ١٨٥ و صرّح الأخير بنقله عن تفسير الكلبي و أسباب النزول للواحدي بنحوه مختصرا :صـ ٧٧ و الروض الأنف: ١/ ٢١٧ و العجاب للحافظ ابن حجر: صـ٢١٢.

وقد يذكر المصنّف من الأسباب ما يشتدّ ضعفه كما يصنع الواحدي في أسباب النزول وقبلهما الثعلبي و غيره. و من أمثلة ذلك ما ذكره عند قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [الآية: ١٤] فقد ذكر قصة مطولة خرجتها هناك من أسباب النزول للواحدي و غيره و هي من طريق محمّد بن مروان السُّدّي الصغير عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس. و ذكرتُ هناك قول الحافظ ابن حجر (٢) :

(و آثار الوضع لائحة على هذا الكلام)اهـ .

و يعتمد على تفسير أبي إسحاق الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) الكشف و البيان و قد يكون مصدرهما واحداً ، و مما استدللتُ به على نقله عن الثعلبي أنّه يذكر القصة أحياناً بسياق الثعلبي وباختصار الثعلبيّ أو يقلّده في جمعه لعدةٍ قصص و من أمثلة ذلك ما يلي:

(قوله : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّ ﴾ الآية [٢٢١] نزلت في مَرْثد بن أبي مَرْثد الغَنَويّ (٣) وكان شُجاعاً بعَثهُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم إلى مكة سِرّاً لِيُخرج أُناساً من المسلمين فلمّا قدِمها سمعت امرأةٌ يقال لها عَنَاقٌ و كانت خَليلةً في الجاهلية فأَتَتْهُ وقالتْ : ألا نخْلُوا فقال: إنّ الإسلام قد حالَ بيننا و بينَ ذلك و لكنْ إنْ شئتِ تزوَّجتِك إذا رجعتُ إلى رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فاستغاثت عليه فضربوهُ ضرْباً شديداً ثم خَلَّوه فانصرف إلى رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم وقال أيحلُّ لي تزوُّجها ؟ فنزلتْ الآية) .

---

(١) التيسير في التفسير : للحافظ عمر النسفي(ورقة ١٣٧من مخطوطة المحمودية).

(٢) العجاب: ص٧٧.

(٣) مَرْثد بن أبي مَرْثد واسمه كَنّازُ بن الحُصَين الغَنَويّ له ولأبيه صحبة وشهدا بدرا وأحداً وكانا حليفينِ لحمزة بن عبد المطلب وقُتِل مرثد في حياة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : تاريخ خليفة: صـ٨ والآحاد و المثاني لابن أبي عاصم : ١/ ٢٤٤ و المعجم الكبير للطبراني: ٢٠ / ٣٢٧ و الإكمال لابن ماكولا: ٧/ ١٣٩ و أسد الغابة: ٦/ ٢٨٢ وتهذيب الكمال: ٢٧ / ٣٥٩ و الإصابة: ٦/ ٧٠

و هو بهذا السياق في تفسير الثعلبي (١).و ذكره الواحدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : أسباب النزول: صـ ١٨٨ ، و قد أسنده ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٩٨(٢١٠٠) ثم الواحدي عن مقاتل بن حيّان: ١٨٧ مختصراً و هو في تفسير مقاتل بن سليمان : ١/ ١١٧ وقد بينت تخريجه في موضعه.

و المقصود أنّ هذا الكتاب يضيف فوائد في أسباب النزول، و يكثر من ذكر الاختلاف فيها فيحتاج إليه في العزو و سيكون مفيداً كثيراً للباحثين في هذا النّوع من علوم القرآن .

الناسخ و المنسوخ:

بيان منسوخ القرآن و تحديد ناسخه من أهمّ علوم القرآن، لما ينبني على ذلكَ من العمل بالقرآن، و معلومٌ شدة اعتناء العلماء ببيان ناسخ القرآن و منسوخه، و حضهم على تعلّم ذلك، و ذلك مبيّن في كتب علوم القرآن و في بعض مقدمات كتب العلماء في الناسخ والمنسوخ و مقدّمات بعض التفاسير و غير ذلك.

و هذا التفسير اعتنى فيه مصنفه – رحمه الله – ببيان الناسخ و ذكر الخلاف فيه بين السلف، وهو لا يكتفي بهذا بل يرجّح أحياناً ، و قد يكتفي بذكر الأقوال فمن المواضع التي رجح فيها ترجيحا موفّقاً.

قال في قوله في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] النَّهيُ وَقَعَ على الموتِ ومعناه اِسْتَدِيمُوا الإسلام حتى إذا صَادَفكم الموتُ كنتم على الإسلام وهذا كما يقال لا رأيتُك ههنا ومعناه لا تكُنْ ههنا فَتُوقِعُ النهي على الرؤية والمعنى لِمَا ذكرنا.......... وزَعَم قومٌ أنَّه منسوخ بقوله ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦] وذلك منسوخٌ بقوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ

(١) تفسير الثعلبي : ٢/ ١٥٤

ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦] والأولى ما ذكرناه وأنَّه غير منسوخ لأنّ من اتقى جميع المعاصي فقد اتَّقَاهُ حَقَّ تُقَاتِهِ وذلك واجبٌ لا يجوز نَسْخُهُ وهو قول ابن عباس (١) وطاووس (٢))اهـ. (ورقة: ١٨٤). فهذا من المصنف ترجيحٌ في محلّه فقد رجّح كون الآية غير منسوخةٍ بمرجّحٍ واضح فالقول بأنّ الآية غير منسوخةٍ هو الصّحيح، كما بينه ابن النحاس (٣) وابن الجوزي (٤).

و من كلام المصنّف المفيد في هذا قوله: (ورُوي عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس (٥) : -في بعض الروايات عنه أنه- كان يرى أن هذه الآية منسوخة ،و أنّ هذه الآية كانت تقتضي أن من مات على اليهودية والنصرانية عاملاً مُجتهداً فله الجنة فنُسِخَ بقوله: (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه)، وهذا تأويلٌ ضعيف لأنّ النَّسخ في الأخبار لا يجوز إلا إذا كان بمعنى الأمر والنهي)اهـ. قاله عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ...﴾ [البقرة:آية ٦٢] وينظر: الكلام على الآية في موضعِها من قِسمِ التّحقيق في هذا التّفسير.

الإسرائيليات فيه:

أطالَ المصنف بذكر الأخبار الإسرائيليات و سرد في بعض ذلك قصصا غريبة، و عامّة هذه القصص لم تخلُ منها كثير من أمّهات كتب التفسير، و أجلّ التفاسير تفسير الطبري، و هو

(١) تفسير الطبري: ٧/ ٦٧، ٦٨ و رواه ابن النحاس في الناسخ والمنسوخ:صـ ٨٨

(٢) تفسير الطبري: ٧/ ٦٨

(٣)الناسخ والمنسوخ:صـ ٨٨، ٨٩

(٤) نواسخ القرآن: صـ ١٠٩ .

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٢٦ (٦٣٥)

مشحونٌ بذكر كثيرٍ من القصص عنهم من طريق وهب بن منبه و كعب الأحبار و محمد بن إسحاق و السدّي الكبير وغيرهم؛ ولكنّ الأمر في مثل تفسير الطبري أهون لأنه رحمه الله يُسنِد تلك الأخبار عمّن نقلها و يذكر اختلاف المختلفين في تلك القصص على وجهه فيتخيّر الناظر أو يتحيّر.

و بالإسناد يتميَّز المنقول عنهم من طريق ابن عباس و غيره من الصحابة وعلماء التابعين المعروفين من المنقول من طريق واهية أو ساقطة تجمع بين ضعف السّند إلى ناقلها نكارةَ محتواها و غرابة ما فيها كما يتميّز المنقول عن المكثرين من النَّقل عن أهل الكتاب كوهبِ بن منبّه ثمّ ابن إسحاق و غيرهم ممن لا يكثر عنهم و يكون من أجلاء علماء التابعين.

ثمّ إنّ مجرّد ذِكرِ هذه القصص للاعتبار أو لبيان مبهمٍ في قصةٍ أو لتفصيل مجملٍ مذكور في آية من غير اعتمادٍ عليها و بناء على ما فيها لا بأس به لأنّ الشرع قد أباحه و قد فعله بعض علماء الصحابة رضي الله عنهم و التابعين .

قد كان النّاس في العصور الماضية يولعون أكثر بالأخبار و القصص ، و قد يكون بعضها مفيداً لكنَّ المذموم هو ذكر غرائب القصص التي تستنكرها العقول بداهةً و أشدّ من ذلك ذمّا هو ذكرُ ما فيه انتقاصٌ لنبيٍّ من أنبياء الله الكرام من غير بيانٍ و لا تنبيه.

و من عبارات العلماء المفيدة في التوقّي من القصص الإسرائيلية قول الإمام ابن كثيرٍ رحمه الله: عند تفسير الآيات (٥١-٥٦) من سورة الأنبياء، قال: (وما يُذكَر من الأخبارِ عنه في إدخال أبيه له في السِّرب، وهو رضيعٌ، وأنّه خرج به بعد أيام، فنظر إلى الكوكب والمخلوقات، فتبصّر فيها ،وما قَصَّه كثيرٌ من المفسّرين وغيرهم، فعَامّتُها أحاديثُ بني إسرائيل. فما وافقَ منها الحقّ مما بأيدينا عن المعصوم قَبِلْناه، لموافقته الصحيح، وما خالف منها شيئًا من ذلك ردَدْناه، وما ليس فيه موافقةٌ ولا مخالفةٌ، لا نصدّقه ولا نكذّبه، بل نجعله وَقْفًا. وما كان من هذا الضَّرْبِ منها فقد رخَّصَ كثيرٌ من السّلف في روايته. وكثيرٌ من ذلك مما لا فائدة فيه، ولا حاصلَ له مما يُنْتَفَع به في الدِّين. ولو كانت فائدتُه تعود على المكلَّفين في دينهم لبيَّنَتْه هذه الشريعةُ الكاملةُ الشاملةُ. والذي نَسْلُكُه في هذا التفسير الإعراضُ عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية، لما فيها

من تضييع الزمان، ولما اشتَمل عليه كثيرٌ منها من الكذب المُرَوَّج عليهم. فإنهم لا تَفْرِقَةَ عندهم بين صحيحها وسقيمها. كما حَرّره الأئمةُ الحُفّاظ المُتْقِنُون من هذه الأمّة (١))اهـ.

وقال الإمام أبو حيان (٢): (و قد نقل المفسرون عن ابن عباس و السدي وغيرهما قصصا كثيرا مختلفا في سبب اتخاذ العجل و كيفية اتخاذه و انجر مع ذلك أخبار كثيرة الله أعلم بصحتها إذ لم يشهد بصحتها كتاب و لا حديث صحيح)اهـ.

و تفصيل القول فيما يقبح أو يذمّ ذكره منها وما يتعلّق بذلك، ليس هذا موضع تفصيله لأنّ المقصود إنما هو ذكر منهج المصنف رحمه الله في ذلك (٣).

و منهج المصنف فيها أنه يذكرها بلا سندٍ و قد ينسبها لراويها من الصحابة والتابعين و من بعدهم، كما أنّه يطيل في ذكر بعض الغرائب المنقولة عنهم.

و هو أيضا كثير الاقتباس فيما يتعلّق بالقصص من تفسير الطبري و تفسير الثعلبي تبين لي ذلك في مواضع كثيرة بالمقارنة بين عباراتهم، و ذلك مبين في حواشي القصص . و من الأمثلة التي تبين منهجه في التساهل في نقل الأخبار الإسرائيلية ما يلي:

- و هذا المثال من أعجب ما وجدته في هذا التفسير النافع :

فقد نقل رحمه الله خلال قصة ذبح إبراهيم للطّير عند الآية:(٢٦٠ من سورة البقرة). ورقة:(١٥٣) ما يلي: (وقيل كان بالشَّام قبل نزول الوَحي عليه يعني إبراهيم عليه السّلام ، وكان ابنَ خمسة وسبعين سنةً يومئذٍ)اهـ.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥/ ٣٤٧ - ٣٤٨

(٢)البحر: ١/ ٢٠١

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي عند الآية: ٧٨ من سورة الأنبياء وفيه فائدة و تفصيل مهمّ ، ومنهاج السنة: ٤/ ٨٤ و فتح الباري: ٨/ ٤١٥ والإسرائليات و الموضوعات للدكتور : أبو شهبة: صـ ١٤٧ و ما بعدها.

و هذا من الأساطير التي لا تثبُت و ليس عليها دليل، و يبعدُ جدّا أنْ يشِيخَ إبـراهيم و لم يأتـه الوحي ؟! بل هذا باطلٌ لا شك في بطلانه ، فمجموع قصّته وأخباره في القـرآن تكـذّب هـذا الزَّعم . و ليتَ المصنّف لم ينقل هذا فقد أعرض عنه كثير من المفسّرين فأحـسنوا، و إنـما نقـل مقاتل بن سليمان في تفسيره ما يلي: (وكان أمرُ الطّير قبل أنْ يكون له ولدٌ ، وقبل أن تنزل عليه الصّحف ، وهو ابن خمس وسبعين سنة)اهـ . (١)، و لم يسنده مقاتل لأحد. و يظهر أنّه لم يرد بذلك ما فهمه المصنف من أنّ ذلك قبل نزول الوحي بـل قـصد قبـل نـزول الـصّحف عليـه فالمعنى : يصلح فيه أنْ يقال نزل الوحي عليه ثم لبث زماناً و نزلت عليه الصّحف.و على كلٍّ فالخبرُ باطلٌ.

- مثالٌ آخر:

قال في قصة داود و جالوت من سورة البقرة : (فلمَّا التَقَى الجَمعان خرج داودُ لجَالوتَ فَـسَخِرَ منهُ لأنَّه كانَ مِنْ قومِ عَادٍ وكان ظلَّهُ مِيلاً وعلى رأسِهِ بَيْضةٌ فيها ثلاثُ مائة رَطْلٍ (٢))اهـ.

و هذه من أساطير بني إسرائيل نقلها من نقلها من المفسرين .

وقد قال الدكتور:محمد بن محمد أبو شهبة رحمه الله : ((البيضة ما يلبسه المحارب على رأسه، و هذا من أكاذيبهم ، و تخريفـاتهم ، ولا أدري و لا أيّ عاقـلٍ يـدري كيـف يمكـن لجـالوتَ أنْ يحاربَ و على رأسه هذا القدر من الحديد؟. أي نحو مائة وخمسين كيلو جراماً من الحديد ... و مما ذكروه أن ظله كان ميلاً ، وهذا ولا شكّ خرافة (٣))اهـ.

---

(١) تفسير مقاتل: ١/ ١٤١ .

(٢) ينظر: قسم التحقيق: صـ ١١٧٩ و تفسير مقاتل: ١/ ١٣٣ و تفـسير الثّعلبـي: ٢/ ١١٩ . و ينظـر: تفسير ابن كثير: ١/ ٣٠٣ و البحر: ٢/ ٢٦٨ . و في تفسير الطبري : ٤/ ٥٠٨ عن السدّي :
(و كان جالوت من أجسم النّاس و أشدّهم)اهـ. فهذا التعبـير لا غرابـة فيـه و هـو أحـسن مـن تلـك الغرائب و العجائب التي لا برهان على صحتها.

(٣)الإسرائيليات في كتب التفسير: صـ ١٧٦

مثال آخر:

وقال: (وقيل قُتِلَ مع جالوت ثلاثون ألفاً بذلك الحجر)اهـ .

و لعله محرّف عن ثلاثين رجلاً ففي تفسير الثعلبي ،و قتل من ورائه – يعني جالوت- ثلاثين رجلاً (١)

وهذا أيضا من الخرافات التي يتعجّب من نقل المصنف أوغيره لها ؟ مع سكوتهم عليها، ولكن قد كان فاشياً في عصرهم الاستكثارُ من ذكر القصص لشغَفَ الناس بها في تلك العصور.

و الذي أقوله بعد ترداد النظر في عدد من كتب التفسير التي تكثر من نقل الأخبار الإسرائيلية و بعد إجالة الفكر أنّه لا يلزمُ أنّ يكون المصنف أو غيره من كبار العلماء يقبلون تلك الأخبار أو يبنون عليها حكماً، لكنّهم يذكرونها و يدعون للناظر التعجّب منها و الحكم عليها ...ثم ما يُستغرَبُ منها قد ذكره المصنّف بصيغة التمريض : (قيل). ومع هذا فكان الأولى التنبيه على بعض ما ذكرتُ نصحا للطالبين، و إفادة للناظرين .

عنايته بعلم الوقفِ و الابتداء:

المصنف رحمه الله يذكرُ فوائد في بيان الوقوف من غير إكثارٍ و يوجَدُ في كتابه فوائدُ متناثرة في علم الوقف و الابتداء و هذه نماذجُ منها:

قال : (وقوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة:٧] الواوُ فيه واوُ العطفِ و معناهُ و خَتَمَ على سمعهم، هاهنا وقفٌ ثم استأنفَ وقال: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾)اهـ. ثم قال : (و من النّاس من وقف على قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ثم قال ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾ و الصحيح ما ذكرنا قبلُ)اهـ.

---

(١) تفسير الثعلبي: ٢/ ٢١٩.

و الوقف على: ﴿سَمۡعِهِمۡۖ﴾ كافٍ عند ابن الأنباري و الدّاني و قِيلَ تـامّ (١) و الـراجح أنـه كاف.

موضعٌ آخر.

قال : (و الأصحّ أن يكون قوله ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ [البقرة:٢٦] ابتداء كلامٍ من قبـل الله سبحانه و أن الوقف يتمّ على قوله ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلاً ﴾ فيستأنف الله الكلام فيقول: ﴿ يُـضِلُّ بِـهِ كَثِـيراً ﴾ ،نظـيره قولـه: في[المـدّثر:٣١] ﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلاًۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾)اهـ.

قلـت: و الوقـف هنـا عـلى قولـه: ﴿ بِهَـٰذَا مَثَلاً ﴾ كـاف إن قـدرتَ قولـه﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ جملة مستأنفة جوابا من الله تعالى للكفار و المنافقين كما رجّحه المصنّفُ والطـبري

---

(١) (الإيضاح لابـن الأنبـاري: ١ / ٤٩٥ و القطـع ص١١٦ -١١٧ و المكتفـى في الوقـف و الابتـداء: ص١٥٩) . و ينظر: معاني القرآن للزّجـاج: ١ / ٨١ و إعـراب القـرآن لابـن النحـاس: ١ / ١٨٦ و الحجة لأبي علي الفارسي: ١/ ١٨٧ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٥١ و زاد المسير: ١ / ٢٨ و البيان في غريب إعراب القرآن: ١ / ٥٢ و الاقتداء في الوقف و الابتداء للنكزاوي: ١ / ٢٣٨ تحـ. مسعود إلياس رسالة دكتوراة بالجامعة الإسلامية ١٤١٣هـ. ، و إملاء ما مـن بـه الـرحمن: ١/ ١٥ و البحـر: ١ / ٤٩ و الـدر المصون: ١/ ١٠٦

و كثيرٌ من المحققين، وإنْ قدرتَ قوله: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ من تمام كلام الكفار و متصل بقولهم: مَاذَآ﴿ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلاً ﴾فلا تقف عليه (١).

موضعٌ آخر:

قال: (و من النّاس من وقفَ على قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا ﴾ [البقرة:٢٦] ثم يستأنف فيقول ﴿بَعُوضَةً ﴾ فيجعلُ ﴿ما﴾ صلةً، فأمّا من يجعل ﴿ ما﴾ بمعنى الذي فلا يجوِّز الوقف عليه)اهـ. (٢) يعني يجعل ﴿ما﴾صلةً مؤكّدة.

قلت: و الرّاجح أنّ الوقفَ على ﴿ما﴾ غيرُ قويّ لأنّ ﴿بَعُوضَةً ﴾ بدلٌ من قوله : ﴿ مَثَلا ﴾ فلا يصلحُ أنْ يُقطعَ منه (٣) وهذا على جميعِ التقديرات الصحيحة.

---

(١) ينظر في هذا الوقف : جامع البيان للطبري: ١ / ٤٣٣ و القطع لابن النحاس: ١٢٧ – ١٢٨ والمكتفى: ١٦٢ و المقصد في اختصار المرشد: ص٣٦ و الاقتداء للنكزاوي: ١ / ٢٥٠ و ما بعدها.

(٢) الإيضاح في الوقف لابن الأنباري: ١ / ٥٠٨ والقطع لابن النحاس: ١٢٧ – ١٢٨ و المكتفى: ١٦٢ و المقصد في اختصار المرشد: ص٣٦ و الاقتداء للنكزاوي: ١ / ٢٥٠ - ٢٥٢

(٣) قسم التحقيق:صـ ٥٢٠ وفيه تفصيل ذلك . و ينظر:الإيضاح في الوقف لابن الأنباري: ١ / ٥٠٨ والقطع لابن النحاس: ١٢٧ – ١٢٨ و المكتفى: ١٦٢ و المقصد في اختصار المرشد: ص٣٦ والاقتداء للنكزاوي: ١ / ٢٥٠ - ٢٥٢ .

مسائل الفقه فيه:

و يدخل في ذلك الاستنباطاتُ الأصوليّة.

هذا الكتابُ سيكون – إن شاء الله –مفيداً في هذا الجانب لأنـه متقـدّم الطبقـة بالنـسبة لأكثـر التفاسير التي يتداولها الناس في عصرنا، و تنبعُ أهمية هذا الجانب أيضا لكون المصنف معـدوداً في علماء الفقه و الأصول، معروفاً بكونه من علماء الفقه على مذهب الـشافعي، فترجيحاتـه و نقوله لا شكّ مفيدة .

و أمّا طريقة المصنف في ذكره لمسائل الفقه و شرحه لما يستنبط من الآيات من أحكام الفقه فهي طريقة يغلب عليها التوسّط .

و هذه أمثلة يسيرة لذلك:

- قال عند قوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ الآيـة: [٢٩ مـن سورة البقرة] : (ولا تدلّ الآية على قول من قال إنّ الأشياء على الإباحة في الأصل لأنّه قال لنـا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ لأنّـه أراد بالإضـافة (١) مـا ذكرنا من الاعتبار، و لأنّه قال في آياتٍ أُخر ما أوجب التحريم و الحظْر (٢) بقوله:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ [الأعـراف:٣٣] وقولـه: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الانعام:١٥١] و غير ذلك)اهـ.

و قال أيضا في هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾

---

(١) أي في قوله: (خلق لكم).

(٢) في النسخة (ل) : الخطر.

[البقرة: آية:٢٢] ما نصه : (وليس في الآية متعلَّقٌ لمن زعم أن الأشياء في الأصل على الإباحة (١) لقوله تعالى : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ لأنا إنما عَلِمْنا هذا بالشرع و وُرُودِ الخبر دون مجرّد العقل)اهـ.

و مما ينبّه الناظر إلى كون هذا التفسير يسلك منهجاً وسطاً في بيان الاختلاف الفقهيّ و أنّه قد يميل للإيجاز ما يلي: قوله : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [٢١٩] اختلفوا (و١٣٥) في الخمر فمنهم من((قال)) (٢) هو نبيذ العِنب فقط، ومنهم من ألحقَ بهِ كلَّ مسكرٍ بالقياس وأَطلقَ اسمَ الخمر على كلِّ مسكر حقيقة ومنهم من يقول الخمر هو نبيذُ العنب و ما عداه محرَّم قياساً عليه)اهـ .

فهذه المسألة فيها اختلاف مشهور بين الجمهور و أصحاب الرأيّ، لخصته هناك في قسم التحقيق ، و مع شهرة الخلاف و كثرة ما قيل فيه، لم يطل المصنف النفس في هذا بل ارتضى الميل للإيجاز أو التوسط هنا.

و من أمثلة ترجيحه لمذهب الشافعي و مذهب من وافقه بعبارةٍ سهلة:

قوله في قوله تعالى : ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ (المائدة: من الآية٦) : (قال بعضهم الباء دخلت لتعميم وجوب المسحِ، وليس كما قاله بل إنّما دخلتْ للتبعيض لأنَّ مَن مسحَ على جزء من رأسه فقد مسحَ رأسه ومسحَ برأسه)اهـ. المائدة (ورقة ٢٧٣).

---

(١) تفسير القرطبي: ١ / ٢٥١ و المحرر: ١/ ١١٥ وهذه المسألة من مسائل الأصول: ينظر فيها: التبصرة لأبي إسحاق الشيرازي: ص٥٣٥ و العدة للقاضي أبي يعلى: ٤ / ١٢٣٨ و التمهيد لأبي الخطاب: ٤ / ٢٦٩ و روضة الناظر: ١/ ١١٧ و البحر المحيط للزركشي: ١ / ٣٧١ و التحبير للمرداوي: ٢ / ٧٦٥ و شرح الكوكب المنير: ١ / ٣٢٢ .

(٢) سقطت قال من الأصل.

و قد يتابع المصنفُ غيره أو يجتهد في استنباطٍ و لا يكون صواباً فمن ذلك أنه قال عند قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ [البقرة: آية:٢٢] :(في الآية دليلٌ على أن الأرض مبسوطةٌ و ليست على هيئة الكرة ....) اهـ.و ذكر كلاماً يستدلّ به على ذلك فقال: (و يدل عليه من جهة العقلِ أيضا أنه لو كانت الأرض على هيئة الكرة لم يستقِرَّ ماء البحر على ما هو عليه لأنه يكون كالإناء المقبَّبِ يفيض الماء من جوانبه ولا يستمسك فيه ..)اهـ.

و قد بيّنتُ هناك أنّ الصواب أنّ الأرض كرويةٌ، و أنّ البراهين تدلّ عليه و أنه ليس في القرآن أيّ دلالة صحيحة على نفي كرويتها.

و بيّنتُ بعضَ من قال به من علمائنا المتقدّمين و منْ جاء بعدهم، و ذكرتُ بعض من جزم بكونها كروية:كابن حزم: الفصل: ٢ / ٧٨ وشيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٥ / ١٩٦ و ٦ / ٥٨٨ والبيضاوي في تفسيره: (١ / ١٦) و غيرهم.

الجانب اللغوي :

و هو يمثّل شدة اعتناء المصنف بعلوم اللغة وعنايته باللغة في كتابه تشملُ :

أ -عنايته بذكر الشَّواهد الشِّعرية

أكثر المصنف من الاستشهاد بالشعر و الرجز عند الحاجة إليه، و كان يورد البيت بتمامه حيناً، و يقتصرُ على عجُزه حيناً ، و صدره حيناً، و ربما كرّر ذكره في موضعٍ آخر حيناً.

و قد ينسبُ البيتَ لقائلهِ فيقولُ قال : لبيد أو حسان مثلاً و قد يقول قال الشاعر بلا نسبةٍ.

فمن أمثلة ذكره لصدرِ البيت: ما ذكره عند قوله تعالى : ﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ ﴾ [البقرة: آية: ٢٣٥] فإنه قال : (أي لا تعزِموا على عُقْدَةِ النّكاح فحُذف (على)كما يقال ضُرِب زيدٌ الظهرَ والبطنَ أيْ على الظّهر والبطن (١) .وأنشد (٢) :

ولقد أبيتُ على الطّوَى وأَظَلّه . أي أظَلُّ عليه)اهـ.

و قد يستشهدُ بأبياتٍ مختلَفٍ في نسبتها و يعزُوها لبعضٍ من نُسبتْ إليه من غير تنبيه على الاختلاف و هو في هذا كأكثر المفسرين. فمن أمثلة ذلك قوله: (و قيل في قوله : ﴿ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: ٤٦]اللّقاء يحتمل و جوها يحتمل لقاء العيان منه قول أمير المؤمنين (٣) :

دليلك أنّ الفقرَ خيرٌ من الغِنى و أنّ قليلَ المال خيرٌ من المثرِي

لقاؤكَ مخلوقاً عصى الله للغِنَى و لم ترَ مخلوقا عَصى الله للفقرِ

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٧٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٨ و القرطبي: ٣/ ١٩٢

(٢) شطر بيت لعنترة و بعده: حتى أنالَ به كريم المأكلِ . و هو في ديوانه: صـ٣٨٨ (ضمن الدواوين الموجودة في مختارات الشعر الجاهلي تحقيق السقا) و هو في كثير من المصادر منها: الجليس الصالح: ٣/ ١٨٩ و لسان العرب(ظلل). و نسبه الثعلبي: ٢/ ١٨٨ لعنترة وذكره كما في اللسان إلا أنه قال : المطعم بدل المأكل. ورواية المطعم ذكرها أبو زيد القرشي في جمهرة أشعار العرب ضمن معلقة عنترة.

(٣) البيتان ينسبان لعلي رضي الله عنه و ينسبان إلى عبد الله بن المقفّع ينظر: قسم التحقيق [سورة البقرة: الآية: ٤٦].

فهذا مثال يبيِّنُ اعتناء المصنف بالاستشهاد بالشعر في مواطنه اللائقة، و فيه أيضاً عدم التثبت من نسبة هذا البيت إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

و قد يذكر البيت لا على جهة الاستشهاد به لغةً و لكن للتّمثيل به، و هو قليل في كتابه و من أمثلته: قوله : (وكلُّ مشكلٍ عند العرب فهو مُعْضِل ومنه قول الشافعي (١) :

إِذا المعضِلاتُ تَصَدَّين لي كَشَفْتُ حقائقَها بالنّظَر)اهـ . قاله عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾ [البقرة: آية: ٢٣٢].

ب – عنايته بالمباحثِ النّحوية والإعرابِ:

المصنف كثير الاعتناء بمسائل النّحو و الكتاب يفيضُ بهذا ، و ربّما استرسل في بيانِ العلل النحوية و أطال في ذلك . فمن أمثلة ذلك قوله في بيان أصل قبل و بعدُ :

(و الأصل في: قَبْلُ القِبَل و هو الاستقبال كلّمته من ذي قِبَلٍ أي استقبلت له الكلام فقَبْلُ نقيض بعدُ لأنه تقدَّم الجائي، (٢)و بَعْدُ من البُعد لأنّه لم يكن فقَبْلُ مستقبلٌ بوجوده، و إذا أُطلق قبل و لم يُضف إلى وقتٍ انتظم السبق بلا مدةٍ و لم يزل الله قبلُ أي لا ابتداء له و لا يقتضي قبلُ شيئاً تقدَّم عليه إذا لم يُضَف إلى شيء)اهـ.

ذكر هذا عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾[البقرة: آية: ٤] فبيانُ أصل ((قبل)) و((بعد)) الظرفيتين مما لا يحتاج إلى ذكره في التفسير و لكن المصنف ارتضى أنْ يذكر مثل هذه العلل النحوية في تفسيره أحياناً.

---

(١) البيت من ضمن سبعة أبيات رواها البيهقي للإمام الشافعي في مناقب الشافعي: ٢/ ٦١ و بعضها في تاريخ دمشق: ٥١/ ٣٧٧ وفيها : المشكلات بدل المعضلات، و في القرطبي: ٣/ ١٥٩: المعضلات . و ذُكِرتْ الأبيات في عددٍ من المصادر منها : معجم الأدباء : ١٧/ ٣٠٩

(٢) لسان العرب: قبل: ١١ / ٥٣٧ و الهمع : ٢ / ١٤٣

- و قد تكلّم على مسائل و علل نحوية فأفاض في بيانها و من أمثلة ذلك كلامه في بناء ((الذين)) فقد قال في ذلك: (و (الذين) مبنيّ (١) لا يَظهرُ فيه الإعراب تقول جاءني الذين ومررت بالذين و كذلك الذي لا يتبين فيه الإعراب و إنما منع الإعراب لأن الإعراب إنما يكون في أواخر الأسماء والذي والذين مبهمات لا تتم إلا بصلاتها، (٢) و أصل الذي لذٍ على وزن عَمٍ عن الزَّجَّاج وحكاه عن الخليل و الأَخْفَش وسيبويه (٣) الخ)اهـ. ثمّ استرسل في هذا.

و المصنف يسوق فوائد نفسية و تفصيلاتٍ مفيدة في تفسيره في هذا الجانب المهمّ لولا أنه ربما أطال في هذا.

- و لا يقتصِر في ذكره للإعراب على وجهٍ بل يجمع و جوهاً، و يذكر أقوال أئمة النّحو المشهورين إذا كان بينهم اختلافٌ في إعرابها ، فيذكرُ مثلاً قول الفراء والأخفش و غيرهما .

و يتابع الزجّاج في كثيرٍ مما يوردُه بحيث لا يكاد يخلو موضع فيه اختلافٌ معروف من الاقتباس منه تصريحاً أو ضمناً، وينقل عن ابن النّحّاس و غيره، وبأدنى تقليبٍ في صفحات الكتاب يتضح ذلك.

- وقد يشرحُ خلالِ الإعراب قاعدةٍ أو مسألة نحويّة إذا قادهُ الكلام إلى ذلك.

فيقول مثلاً: (و دخول الّلام في ذلك لأجلِ التأكيد، و الاسم (ذا)و الكاف للمخاطبة ولاحظّ لها في الإعراب ألا ترى أنك تقول ذانك فلو كان للكاف حظٌّ من الأعراب لكان خفضا بالإضافة وكان لا يثبت النون في ذانك لأن نون التثنية لا يثبت في الإضافة بل يسقط، و كان

---

(١) في النسخة (ل) : هنا (على النّصب) و لا موضع لها.

(٢) منقول عن معاني القرآن للزجاج: ١ / ٧٠

(٣) و تمام كلامه: (و كذلك قال الخليل و الأَخْفَش و سيبويه و جميع من يُوثق بعلمه)اهـ. معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٧١ و الأصل في الذي: لَذِي على و زن فَعِل مثل عمي و شجي و مثلها التي الأصل فيها: لَتِي ؛ ينظر: الكتاب لسيبويه: ٣/ ٢٨١ و شرح جمل الزّجّاجي: ١ / ١٠٩ و ما بعدها والإنصاف: ١ / ٦٧٠ و همع الهوامع: ١ / ٢٦٧

الأصل في هذه اللام التي في ذلك السكون إلا أنه كُسِرت لالتقائها مع ألف ذا وهي ساكنة ويجوز أن يثبت ها مع ذاك فتقول : هذاك ولا يجوز أن تثبتها مع ذلك فلا يحسن أنْ يقول: هذلك لأنّ اللام أَغنتْ في باب التأكيد عن ها)اهـ. (١)

فهذا مثالٌ على ما يوليه المصنف من عناية للمباحث النحوية و أنه قد يشرح خلال ذلك قاعدة أو مسألة نحوية.

و قال أيضا : (وإنما يكون (غير) في كلامهم على ثلاثة أوجه:

بمعنى سوى و بمعنى الجحد و بمعنى الاستثناء، (٢))اهـ.

قاله في سورة الفاتحة عند قوله تعالى ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ . فقد استرسل في بيان معاني ((غير)) .و الأمثلة على هذا في الكتاب كثيرة.

- و هو في كلّ ذلك متابعٌ لمن قبله وناقلٌ عنهم فيذكر اختلافهم مصرّحا بأسماء أئمة العربية المشهورين.

ج- عنايته بالمباحث الصّرْفيّة:

قال رحمه الله عند قوله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٨] (الأصلُ في النّاس: أناسٌ فأُدخِلَتْ فيه لامُ التّعريف فقِيلَ الأناسُ ثم أُسقطت الهمزة لكثرة الاستعمال ثم أُدغِمَت لام التعريف في النون فصار النّاس)اهـ.

---

(١) معاني الزّجّاج: ١/ ٦٨ وشرح الكافية الشافيةلابن مالك: ١ / ٣١٧ و إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري(التبيان) ١ / ١٠ و البحر المحيط: ١ / ٣٢ و همع الهوامع للسيوطي: ١ / ٢٤٦

(٢) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني: ٢ / ٧١٠ ونظم الفرائد و حصر الشرائد للإمام مهلب المهلّبي: ص ١٧٤ و مغني اللبيب لابن هشام: ١ / ١٣٦ و الدر المصون : ١ / ٨٣ و الأصل في غير أن تكون صفة . و في كتاب المهلبي : أنها تجيء ظَرفا كقولك: رأيت زيدا غير مرةٍ.

وقال في قوله :﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة:٣] (و ضُمَّت الياءُ من يُقيمون لأنّ ما كـان ماضيه على أربعةِ أحرف ضُمَّتِ (١) الياء من مستقبله فصلاً (٣٤ و) بينه وبين ما كـان مـن ذواتِ الثلاثة نحو: يضرب من ضرب و يدحرج من دَحرجَ و الأصل في يقيم يُؤقْيِم وكـذلك الأصل في الإخبار عن نفسك أَنا أُؤَكرِم و أُؤَحسِن ولكن استثقلوا اجتماع الهمـزتين فحُـذِفت الهمزة التي هي فاء الفعل ثم تَبِع سائر الفعل في وجوه تصرّفه باب الهمزة فقالوا أقام يُقيم كـما أن باب يَعِدُ أصله يوعد فاستثقلوا وقوع الواو بين الياء و الكسرة فحـذفوها فقـالوا يعِـد ثـم أتبعوا جميع أفعاله حكم يعد فقالوا نعد و أَعِدُ)اهـ.

فهذا من أمثلة ما يذكره المصنف من التفاصيل في علم الصّرف، و هو يكـرر ذلـك في مواضـع كثيرة، و إذا توسع الطبري أو الزجاج فيها ذكرها هو أيضا على وجه البسط غالباً.

د – عنايته ببيان معاني المفردات القرآنية:

المصنف يعتني بشرح غريبِ الكلمات و يعتني ببيان المفردات القرآنية و يهـتمّ بإيـضاح وجـوه المفردات الغريبة عند تفسير الآية و ربما استطرد في بيان معانٍ أخرى لتلك الكلمات.

و ربما أشار إلى اشـتقاقها و بعـض اسـتعمالاتها كمثـل كلمـة : (ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ) في الفاتحة فقد قال: (وأصله – أي الغضب- في اللغة(٢) هو الشّدة، ومنه يقال للصَّخرةِ الصُّلبةِ الشديدة: الغَضْبة ورجل غَضُوبٌ شديد الغضب والغَضُوبُ الحيَّة الخبيثة لشدتها والغضوب

---

(١) في النسخة ل : ضمة. خطأ

(٢) ينظر: العين: (غضب): ٤/ ٣٦٩ ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس: مادة غضب، و لسان العـرب: ١ : ٦٥٠ مادة: غ ض ب و مفردات القرآن للراغب: مادة : (غ ض ب) و تاج العروس: (غضب).

الناقة العَبُوسُ لشدةٍ وَدعَارةٍ في خُلقها، والغضبة (١) قطعة من جلد البعير يُطوَى بعضها على بعض ويُجعل شبيهاً بالدَّرَقَة (٢) لشدّتها)اهـ.

و بيان المصنف لمعاني المفردات القرآنية على هذا الشكل مفيدٌ جداً، و قد جمع فيه فوائد حسنة، و لكنه قد يخرج إلى معاني أخرى أو صيغٍ أخرى للكلمة و هذا كثير ومن أمثلة ذلك قوله : (قال قطرب (٣) :يقال رجل أَلَدُّ و أَلندَدٌ و يَلَنددٌ)اهـ. قاله في تفسير قوله تعالى ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: الآية: ٢٠٤] .

و قوله أيضا: (والعَضْل المنعُ والحبسُ والتضييقُ يقال عَضَّلَتِ الشَّاة إذا أُنشِبَ ولدُها في بطنها وعَضّلَتْ الدّجاجةُ فهي مُعْضِلٌ إذا احتبسَ البيضُ في جوفها(٤) ، وأعْضَلَ الأمرُ إذا اشتدَّ، وكلُّ مشكلٍ عند العرب فهو مُعْضِل)اهـ. قاله عند تفسير قوله تعالى:

﴿ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ ﴾ [البقرة: الآية: ٢٣٢]

---

(١) الغَضْبةُ: الصَّخرةُ الصُّلْبةُ الـمُرَكَّبةُ في الـجَبلِ، الـمُخالِفَةُ له ...و الغَضْبَةُ: الأَكَمة؛ و الغَضْبَة: قِطْعَةٌ من جِلْدِ البعير، يُطْوَى بعضُها إِلى بعض، وتُـجْعَلُ شبـيهاً بالدَّرَقة: ينظر مثلا: لسان العرب: ١ / ٦٥٠ مادة: غضب

(٢) الدَّرَقة الـحَجَفة وهي تُرْس من جلود: لسان العرب : ١٠ / ٩٥ و مختار الصحاح : در ق و غيرهما.

(٣) لم أعثر عليه، و ما قاله صحيح لغة مذكور كما قاله في المعاجم و منها : تهذيب اللغة و اللسان والقاموس و شرحه تاج العروس مادة(لدد). يقولون: الأَلَنْدَدُ واليَلَنْدَد كالأَلَدِّ أَي الشديد الخصومة.

(٤) ويقال: (عَضَلَ الرَّجُلُ أَيِّمَه يَعْضُلها و يَعْضِلُها من باب نصَر و ضرب عَضْلاً و عضَّلها: مَنَعَها الزَّوْج ظُلْماً) ينظر: لسان العرب و القاموس: (عضل). و ينظر: الطبري: ٤/ ١٩٤ و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٦٦ و أحكام القرآن للجصّاص: ٢/ ١٠٠

هـ- النّواحي البلاغيّة

اهتمّ أبو القاسم القشيريّ بالبلاغة القرآنية في تفسيره ، ففيه من الإشارات لعلم البيان والمعانٍ و من النقول المتعلّقة ببيان بعض الجوانب البلاغية ما يفيد الناظر، و إن كان لم يكثر من ذلك، و لم يكثر أبو القاسم من ذكر اصطلاحات البلاغييّن ، كمثل الطبري والثعلبي وغيرهم لأنه هذا قد يخرج المفسّر عن المقصد الأصليّ من التفسير لكلام الله تعالى على وجهٍ يعين على الفهم للقرآن و العمل بما فيه من الهدى.

و من الأمثلةِ في هذا الجانب:

١- بيانه للالتفات بتوجيهه لانتقال المتكلّم من الخطاب إلى الغيبة فإنّ للالتفات فوائد منها تنبيه السامع [١] و هو نوعٌ من التحسين يرجع للمعنى [٢].

فقد قال : (قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ فيه وجه آخر: و هو أنه من باب التصرُّف في الكلام كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ [يونس:٢٢])اهـ. [٣]

٢- الجواب عن وجه التكرير في بعض الآيات كمثل قوله عند قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة:١٤١] فقد قال: (و إنما حسُن تكريرُ هذه الآية بعد ما ذكرها فيما قبل لأنَّ الحِجَاجَ إذا اختلفت مواطنُه حسُنَ تَكْرَارُهُ للتَّذكِيرِ بِهِ)اهـ.

وقال في هذا المعنى أيضاً : (و إنّما قال : ﴿كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ ﴾[البقرة:٣٩] وإنْ كانَ كلُّ كافرٍ مكذِّبا لأنّ الكُفْرَ يُستعمَلُ في كُفْرانِ النِّعمة فأزالَ الاحتمالَ إِذ المسلِمُ لم يَكفُرِ النّعمة.

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي: صـ ٦٦٨ ، والمجيد في إعجاز القرآن لكمال الدين عبد الواحد ابن الزملكاني: صـ١٨٨ .

(٢) التبيان في علم المعاني و البديع و البيان للإمام الطيبي: صـ ٢٨٤

(٣) فرجوعه من الغيبة إلى الخطاب من باب تنويع الخطاب و تلوينه و هو من الالفتات في علوم البلاغة: ينظر مثلا: تفسير القرطبي: ١ / ١٤٥ و البرهان: ٣ / ٣٨٧ والدر المصون: ١ / ٧٥

و يحتمَل أنّه كرَّره تأكيداً على طريقِ المبالغةِ كما يُقال: أحسنَ فلانٌ و أجملَ، و له في الّلسان وجهٌ، و إنّما يكون العيُّ لو كَرّر اللفظتين المتّفقين في الصّورة من غير زيادةِ فائدة)اهـ.

٣ – بيانه للاستعارة قال :(وقوله : ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمۡ﴾ [البقرة:١٦] أي ما ربِحوا في تجارتهم، و لكنّه أضاف الربح إلى التجارة على مذهبِ العربِ في قولهم : ليلُك نائمٌ ونهارُكَ صائمٌ و حَسُنَ سعيُكَ وخاب سعيُك و خسِرتْ صفقتُك، و قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [محمّد:٢١] و إنما العزيمة للعازم دون الأمر ...)اهـ . فهذا بيانٌ منه للاستعارة و إن لم يصرّح بلفظها (١).

٤ – بيانه للتشبيه : و من أمثلة ذلك قوله : (ووجه تشبيه حال المنافق بحال المستوقد على ما مضى هو أن أيمانهم لا ينفعهم بعد نفاقهم كما أن المستوقد لا ينتفع بناره بعد انطفائها أحوج ما كان إليها.

و الثاني: أنّ حال الذي طَفئت ناره عند الحاجة في الحيرة و الشدّة أشد من حال من لم يزل في ظلمةٍ كحسرة من ذهب ما في يدِه من المال أكثر من حيرةِ من لم يكن له مال قطّ. قال فكذلك المنافق إذا عُوقِب في الآخرة فهو أشدّ تحسّرا من الذي لم ينافق و المرتدّ أعظم حسرة من الذي لم يؤمن أصلا و الظلمةُ بعد النور أوحشُ لذلك الكفر بعد الإيمان أقبح)اهـ.

قاله عند قوله تعالى:﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]فإنه قد أطال القول فيها، و هذا بعضُ كلامه .

٥– المجاز العقلي (بحذف المضافِ) و من أمثلته في كتابه قوله: (ومعنى الآية أو كمثل أصحاب صيّبٍ فحذف أصحاب لدلالة الحال عليه، ويدل عليه قوله تعالى بعده :

---

(١) ينظر مثلا: التبيان للطيبي: ٢٤٨

﴿ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ ﴾ وقوله : ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم ﴾ [٢٠] فذكره بلفظ الجمع)اهـ. عند قوله ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية [١٩]. و في الآية مبحث في التشبيه أيضاً (١).

وقال أيضا في هذا المعنى : (... قال بعضهم: معنى الآية مثلهم كمثل أتباع الذي استوقد ناراً ،فيكون من باب سُئِل القرية في حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مقامه) (٢). قاله عند قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا﴾ [البقرة: ١٧]مع أنّ هذا التقدير فيه نظرٌ و قد أخره المصنف (٣) .

و من كلامه المفيد في هذا المعنى قوله عند تفسير قوله تعالى :

﴿ هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٣]

(وقوله ﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ﴾ مجازٌ وهو أحسن في هذا الموضع من أنْ لو قال (لهم درجات) فإنّ المجاز في موضعِهِ أحسن من الحقيقة، لِما فيه من الإيجاز من غير إخلالٍ ومن المبالغة بالاستعارة التي لا ينوب منابها الحقيقةـ وكما أنَّ قولَ القائل: هو الشّمس ضياءً أبلغ في النفس من قوله: هو كالشّمس) اهـ. (ورقة ٢٠٢).

---

(١)التبيان في علم المعاني لشرف الدين الطيبي: ص٢١٣

(٢)ينظر: التبيان في علم المعاني لشرف الدين الطيبي: صـ١٩٢.

(٣) تقدير ذلك على حذف مضاف كمثل أصحاب أو أتباع الذي استوقد لا حاجة إليه و لا دليل عليه. ينظر: البحر: ١ / ٧٨

المبحث الثالثُ: مزايا الكتابِ و المآخذُ عليه

ما أذكره من مزايا هذا السفر تبيّن أهميته، و سأذكرها على وجه الإيجاز.

١- من مزايا هذا السفر العظيم أنّ فيه أقوالا و نقولا يعزّ وجودها -مع أهميتها- في غيره، ومنها ما لم أقف عليها في غيره كمثل نقله عن تفاسير لم تصلنا كتفسير الإمام الحسين بن الفضل بن عُمير البجلي النيسابوري : (١٧٦ - ٢٨٢هـ) (١) و هو إمامٌ جليل ومفسّر مشهور وواعظ معمَّر ، كان آية في معاني القرآن، صاحب فنون وتعبد.

قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢) : (العلامة، المفسر، الإمام، الُّلغوي، المحدِّث، أبو علي البجلي الكوفي، ثم النيسابوري، عالم عصره)اهـ.

فالحاجةُ لما فيه من الفوائد و النقول كبيرةٌ فقد حفِظ لنا أقوالاً ومذاهب عن أئمة اللغة و عن بعض التفاسير التي تعتبر في حكم المفقودة ، وبعض ما نقله قد نجده عند مفسّرٍ متأخر الطبقة بالنسبة إلى المصنّف، و لا ريب أنّ العزوُ إلى المتقدّمين أحلى وأعلى في العِلم سنداً ومحلاّ ، و إنْ كان النزول من طريق العلماء الثقات غير ضائرٍ لكنّ الأولى في العزو تقديم المتقدّمين. فسيكونُ – إن شاء الله – تفسيره مصدراً مهمّا و ثريّاً للباحثين فيما يتعلّق بتوثيق أقوال المفسرين و علماء العربية و بعض القراءات المروية عن السلف.

٢- حِرْصُه على النقل عن كثيرٍ من المعروفين عند أهل العلم بالإمامة في التفسير و في معاني القرآن ، فهو كثير الاعتماد و النّقل من تفسير إمام المفسرين أبي جعفر محمد بن جرير الطبري حتى لكأنّه و ضعه حين تصنيفه لكتابه بين يديه طوال تلك الأيام التي جمعَ فيها كتابه النّافع، و لهذا نراه ينقلُ نصوصاً طويلةً من تفسير الطَّبري و يلخِّص عباراته مع عزوِها في الغالب إليه، و هذا – لاشكّ – من مزايا تفسيرِه.

---

(١)ستأتي ترجمته في مصادر المصنف:صـ ١٦٠.

(٢)سير النبلاء: ١٣ / ٤١٤

٣ –سيجد أهل العلم والباحثون في مخبوءِ نفائِسه و مكنوزِ دُرره ما يثلِج صدورهم وسيطّلعون من ذلك على فوائد زوائد ، فلقد رأيت بعض جهابذة العلماء النقلة المطّلعين على تصانيف العلماء المتبحِّرين في معرفة الأخبار ينقلون و يعزون إلى تفاسيرَ أُلِّفَتْ بعدَ هذا التَّفسير بزمَنٍ و بعضُ ما يعزُون إليه يكون مصنفه أقلّ شهرةً و جلالة عند العلماء من المصنف فلقد رأيت مثلاً القرطبي و ابن كثير و الحافظ ابن حجر والسيوطي ينقلون أقوالاً ويعزُون أخباراً تتعلَّق بالتفسير وبأسباب النُّزول و غيرها إلى مَنْ هم دون أبي القاسم القُشَيري في الطبقة من جهة الوفاة، ودونه في الجلالة والشُّهْرة، و هي مواطن غير قليلة وقد رأيت الحافظ ابن كثير ينقل عن القرطبي ما نقله القرطبي من تفسير ابن المصنف (١) فيكون بين الحافظ ابن كثير و بين المصنف تفسيران تفسير القرطبي و تفسير ابن المصنف والأمثلة كثيرة . سأكتفي منها بضربِ مثال واحد، و سبرُ الكِتاب يُغني عن الإطالةِ بذكر باقيها.

قال رحمه الله في مقدِّمة الكتاب -: (فإنْ قِيلَ فما الفائدة في تفصِيل (٢) القرآن على السُّور قِيلَ فيه فوائد كثيرة منها :

أنّ القارئ إذا خرج من فنٍّ إلى فنٍّ كان أنشط لقراءته و أحلى في نفسه، و منها أنه جُعِل كل نوعٍ منها مع شكله، و ما هو أولى به و منها اختصاص كل سورة بوزنٍ مخصوص، و هو كاختصاص القصائد كل واحدة بوزن مخصوص، و ذلك أبلغُ في الفصاحة و أتمّ في البلاغة. و منها أن الإنسان قد يضعُف عن حفظ الجميع فيحفظ سورةً تامّة و ربما كان سببا يدعوه إلى غيره)اهـ. كلام أبي القاسم القشيريّ ، و قد ذكر الزمخشري نحوهذا في كشافه (٣) ونقله الزركشي (٤)و السيوطي (١) و غيرهما (٢) عن الزمخشري. و كلامُ المصنف هنا أحسن منه،

---

(١)تفسير ابن كثير: ١/ ٣٣٤ ، و تفسير القرطبي :٢/ ٣٢

(٢) في النسخة (ل) : تفصل.

(٣)تفسير الكشاف: ١/ ١٢٨

(٤) البرهان: ١/ ٢٦٥

هذا مع كون المصنف أقدَم من جميع شيوخ الزمخشري و أولى أيضا من الزمخشري. فتقدّم وفاة المصنّفين مهمٌّ في الفنون الشرعية هذا مع قلة التفاسير المبسوطة التي لدينا ممن عاش في زمن المصنّف فهو من جهة التاريخ من طبقة الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) والبيهقي (ت: ٤٥٨هـ) و ابن عبد البرّ (ت: ٤٦٣هـ).بل هو أسنّ من الخطيب والبيهقي

٤- أمانته و دِقَّته في النَّقل، فلقد أبانَ أبو القاسِم القُشَيريّ - رحمه الله- في تفسيره عن أمانةٍ في النّقل و دِقّةٍ في عَزْوِ الأقوالِ و القراءات ، و مذاهب النُّحاة لحظتُ ذلك كثيراً في كتابه.

٥- و من المزايا كثرة تتبعه و جمعه للأقوال مع حسن إيضاحه لها غالباً .

٦- جودة مقدِّمته و كونها تضيفُ لعلوم القرآن فائدةً أخرى على الموجود من كتُب علوم القرآن ومقدِّمات التفاسير و قد استغرقت قرابة:(١٦) لوحة من المخطوط.

٧- اعتمادُه على المنهج الصحيح من تفسير القرآن بالقرآن ثمّ بالسنة ثمّ باللغة العربية وبأقوال الصحابة ثم بأقوال التابعين و تابعيهم بإحسانٍ .

٨- جمعه لجملة كبيرةٍ جدّاً من أقوال الصحابة و التابعين و تابعيهم، و هو و إن كان لا يُسند تلك الأخبار و يرشد إلى مصدره في جمعِ تلك الأقوال إلا أنه مفيد كثيراً لمعرفة الأقوال فكما يحتاج الباحثون إلى تفسير أبي الحسن عليّ الماوردي (ت: ٣٦٤-٤٥٠ هـ) المسمى بالنكت و العيون في عزو الأقوال فسيفيدون من تفسير المصنف فالمصنف معاصرٌ للماوردي و كتابه أجمع مع كونه مبرّأ من شبهة الاعتزال التي رُمي بها تفسير النكت و العيون لأبي الحسن الماوردي رحمهما الله.

٩- احتواءُ هذا التفسير الكبير على عدد وافرٍ من القراءات المتواترة و من الشواذّ المنقولة عن مشاهير الصحابة و التابعين و غيرهم.

---

(١)الإتقان: ١ / ١٨٠

(٢)تفسير النسفي: ١/ ٢٨

١٠ – احتواء هذا التفسير على توجيه القراءات و إكثاره من ذلك بحيث سيكون مرجعا مهمّا و غنيّاً بهذا النوع.

١١- عنايته بذِكرِ الاختلاف في أسباب النزول ونسبته الأقوال لأصحابها.

المآخذ

ما من كتاب ألفه بشرٌ إلا و فيه مدخلٌ لمنتقدٍ أو منتقِصٍ ، فضلاً عما يوجد من الاختلاف في الاجتهاد في مسائل كثيرةٍ، بل المصنف الواحد يكتب اليوم شيئاً ثم نراه بعد زمن و قد تغيّر اجتهاده و اختلف ترجيحه.

و إذا كان الكتاب كبيراً و متشعّب الأغراض فمظاهر النقص للمدقق أظهر ، و مداخل النقد عليه أكثر، و الكتاب الذي بين أيدينا لا يخرج عن هذا، و الإنصاف يقتضي التغاضي عن بعض ما يزلّ فيه فضلاء المصنفين إذا كثر صوابهم لأنّ الإنسان محلّ النقص و النسيان، فمن ذا الذي ما ساء قطّ و من له الحسنى فقط؟ . قال تعالى: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) (سورة النساء: ٨٢). فإذا كان الأئمة الكبار قد انتُقِدوا ووُهّموا و جرى التنكيت على جليل مصنفاتهم حتى دخل في هذا الإمام البخاري و أَضرابه ، فمن بعدمهم أولى ثمّ أولى .

و الله يحبّ الإنصاف و لا شكّ فهذا الكتابُ مع جلالتِه و مزاياهُ عليه بعض المآخذ ، و لكنّ بعض تلك المآخذ يحتاج لتفصيلٍ و ليست صفةً له انفرد بها بل هي قضيةٌ اجتهادية شُورِكَ فيها من كثيرٍ من المفسِّرين من قبله و من بعده كقضية إكثاره من الإسرائيليات، و ذكرِهِ أحياناً غرائب من تلك الحكايات عن أولئك القوم الذي أُمرنا بتركِ تصديقهم و الوقوف عن الجزم بتكذيبهم ما لم تكذّبهم الدلائل الشرعية أو العقلية.

و سأسوق بعضَ المآخذ التي ظهرت لي انقياداً لما يوجبه العلم و تقتضيه الدِّراسة.

مؤكّدا على ما هو معلوم من أنّ مثل هذه الكتب النّبيلة الجليلة لا يذهبُ بشريفِ منزلتها وجميلِ الثّناء عليها ما يستدرَكُ عليها أو ينتقدُ منها،فضلاً عمّا يختلف الاجتهاد فيه.

فمن المآخذ:

١ – أنّه ذكر في مواضع من تفسيره بعضَ الأقوالِ الغريبة المستضعَفةَ بجانب الأقوال الصحيحة و المشهورة ثمّ ترك بيان الرّاجح كمثل ما ذكره في قوله تعالى : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ (البقرة: آية: ٢٣٥).فإنه قال: (أيْ فاحذروا الله، وقيل الهاء عائدةٌ على النَّهي)اهـ. و لم يرجّح رحمه الله – وعودُ الضَّمير على الله تعالى هو الصَّحيح لأنه أقربُ مذكورٍ و لأنّ المعنى يدلّ عليه و إليه يتبادر الذهن، ولا موجِبَ للخروج عن الظَّاهر هنا. و عليه اقتصر الطبري و الثعلبي و البغوي و ابن الجوزي والقرطبي وغيرهم كما بينته في التعليق هناك. فمثل هذا القول كان ينبغي التنبيه على ضعفه أو على الأقلّ بيان رجحان القول الأوّل كما يصنع الطبري مثلاً و كما يصنعُ المصنف أحياناً.

مثالٌ آخر :

قال : (ويعقوب اسم أعجميّ، وقيل سُمِّي لأنه خرج من بطْنِ أمِّهِ آخِذاً بِعَقِبِ عِـيْصٍ (١)، وقيل لكثرة عَقِبِه (٢))اهـ. فذكر أولاً أنه اسمٌ أعجميٌّ و هذا هو الصحيح ، ثمّ ذكر تعليلاً غريباً لا يستقيم مع القول بأنّه ممنوع من الصرف للعلمية و العُجمة كما هو الحال. و لذا ردّه القرطبي :٢/ ١٣٦ قائلا: (وفي ذلك نظر لأن هذا اشتقاق عربي و يعقوب اسمٌ أعجميّ)اهـ. وقال أبو حيان: (قول فاسد لأنه لو كان كذلك لكان له اشتقاق عربي فكان يكون مصروفاً)اهـ. البحر: ١/ ٣٩٧.

و الأمثلة عديدة .

---

(١) قيل إنه كان هو و أخوه العِيص توأمين فتقدّم العيص في الخروج و خرج يعقوبُ على إثره الخ .. (تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٨٠ و تفسير القرطبي: ٢/ ١٣٦).

(٢) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٨٠ و تفسير القرطبي: ٢/ ١٣٦

و المقصود أنّ المصنف رحمه الله ذكر في بعض المواضع من كتابه أقوالا شاذّة ومنكرة و ربما تركها من غير تنبيهٍ على مبلغ سقوطها أو شدّة شذوذها وظهور مخالفتها للظّاهر.

هذا و بعضها مما قد كان ينبغي لمثل الإمام أبي القاسم القشيريّ أنْ لا يهمل التنبيه على ضعفها لئلا يغترّ بها الناظرون و لئلا يستملحها المطالعون لكنّ انسياق المصنف – و معه بعض علماء التفسير المكثرين – وراءَ تتبُّع الأقوالِ ربما شغله و شغلهم عن ذلك.

ثمّ إنّ المصنف لم يهمل التنبيه على بعضها بل قد أتبع بعضها بالتضعيف أو التزييفِ أو ببيان القول الصحيح أو الرّاجح.

٢- أطال في تتبع أقوال النحاة و أئمّة العربية حيناً، و في توجيه شاذّ القراءات حيناً، وخرج إلى دقائق النحو، و لعلّ هذا لا يكون مأخذاً على المصنّف عند بعض من يُولَع بالنّحو ومسائله، و على كلٍّ فالأمرُ فيه سهلٌ لولا أنّ المصنف وصفَ كتابه في أول مقدّمته بالإيجاز كما تقدّم. فقد قال – رحمه الله –: (وكتابنا هذا يشتمِلُ على جملٍ من تفسير القرآن و تأويلِه، وصدْرٍ من إعرابه، وما يتعلَّق بقَصَصِهِ و نزوله، سلَكنا فيهِ طريقَ الإيجازِ و الإقلالِ تجنُّبا من الإطالة و الإملالِ)اهـ.

و من أمثلة إسهابه في بعض المسائل النحوية:ما ذكره عند قوله تعالى:﴿إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: الآيةُ ٢٤٦].فإنه أطال في بيان مسائل من النحو ، و لو تصفّح الناظر البحر لأبي حيان و الدر المصون و قبلهما إعراب القرآن لابن النحاس مثلاً – مع اختصاصهم بهذا الباب – لم يجدهم أطالوا في هذا الموضع كما أطالَ المصنف رحمه الله.

و من ذلك ما ذكره من النُّقول المطوّلة من كتاب معاني القرآن للفراء و الزّجّاج فإن بعضها قد لخّصه المصنف فأجاد و بعضها نقله بعباراتهم و ألفاظهم حتى و إن كانت طويلة تقرُب من صفحة كاملة.

٣- ذكر المصنّف الأحاديث بلا عزوٍ إلى مصادرِها، أو إسنادها مع كونه عـالي الأسـانيد ،و في جملة ما ذكره أحاديث شديدة الضَّعف و بعضُها موضوعٌ فمن أمثلةِ ذلك :

ما ذكره عند الآية: (١٨٥ من سورة البقرة: الورقة: ١٢١) فإنـه قـال : (ورُوِي عـن النّبـي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذاتَ يوم لأصحابه: (أتدرون لم سمِّي شـعبان قـالوا الله ورسـوله أعلم قال لأنه يتشعّبُ فيه خيرٌ كثير لرمضان أتدرون لم سُمِّيَ رمضان قالوا الله ورسوله أعلـم قال: لأنه يُرَمِّضُ الذنوب)اهـ. فهذا خبرٌ مكذوب و في سنده كذابٌ (١).

٤ – ومن ذلك تطويل المصنف بسرد بعض غرائب القصص الإسرائيلية وقد تكلّمت عليـه في منهجه .

و على كلٍّ فالكتابُ كبيرُ القَدرِ عَظيمُ الخَطَر مشحونٌ بالنُّقول و الفوائـد . و قـد اسـتحقّ ثنـاءَ العلماء العارفين الذين تقدّم ذكرُهُم وغيرهم.

---

(١) خبر موضوع في إسناده زياد بن ميمون كذابٌ: الفوائد المجموعة:صـ ٩١ وكنز العمال: ٨ / ٩٦٧ و تذكرة الموضوعات: ١/ ٤٩٧ و السلسلة الضعيفة: ٧ / ٢٢٤وعزاه السيوطي إلى محمد بن منصور السمعاني وأبو زكريا يحيى بن منده في أماليهماعن أنس كما في كنز العمال : ٨ / ٩٦٧ وشطره الأخير وهو قوله: (أتدرون لم سُمِّيَ رمضان قالوا الله ورسـوله أعلـم قـال لأنـه يُـرَمِّضُ الـذنوب) عـزاه السيوطي أيضا في الدر إلى ابن مردويه والأصبهاني في الترغيب. الدر:١/ ١٨٣

المبحث الرابع: مصادِرُهُ:

تشعب مصادر المصنف و كثرتها

المصادر التي ينقل منها المصنف كثيرة ، و إنْ كان لا يسمّيها في أحيانٍ كثيرة ، و هـذا التنـوع في المصادر يثري المادة العلمية لأيِّ كتابٍ و يزيد من قيمته و أهميته، و لاشك أنّ مناهج المصنفين تتأثّر و تختلف باختلاف ما يستعينونَ به من المصادر.

قال الشيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله –: (إنّ المناهج في التفسير تختلف باختلاف ما يستعين به المفسّر من مصادر التفسير(١))اهـ. و يعسر إحصاء المصادر التي رجع إليها المصنف، لأنه لا يُصرّح باسم الكتاب الذي ينقل منه، و إن كان قد يقول أحيانا كلاماً يُستدلّ بـه عـلى مـصدره فيقول مثلاً: قال ابن جرير الطبري ثم يسوق عبارات موجودة في تفسيره ،و يقول قال الحسين بن الفضل البجلي وهكذا .فبإيجاز نستطيعُ أنْ نقولَ إنه أفاد من هذه الكتب التـي سـأذكرها و من كتب غيرها كثيرة، فما أذكره إنما يمثل بعض مصادر المصنف لا جميعها:

فمن كتب التفسير التي أفاد منها:

١- تفسير الكلبي : لأبي نصر مُحَمّد بن السائب بن بشر الكلبي (ت:١٤٦هـ) نقل منه في ما يتعلّق بمعاني القرآن و أسباب النزول و غير ذلك (٢).

٢- تفسير مقاتل بن حيان : لأبي بسطام مقاتل بن حيان النبطي البلخي المتوفى في حدود سنة (١٥٠هـ). نقل منه في مواطن .

٣- تفسير مقاتل بن سليمان : لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني البلخي (ت: ١٥٠هـ). مطبوع نقل منه في مواطن كثيرة.

---

(١)المعجزة الكبرى (القرآن الكريم): صـ٥٧٦

(٢) ينظر: على سبيل المثال: صـ ٣٧٩

٤- اعتمد على تفسير الإمام الحسين بن الفضل بن عُمير البجلي النيسابوري : (١٧٦ - ٢٨٢هـ) (١) و هو إمام جليل ومفسر مشهور وواعظ معمَّر ، قال الذهبي في العبر : (وكان آية في معاني القرآن، صاحب فنون وتعبد، قيل إنه كان يصلي في اليوم والليلة ستمائة ركعة، وعاش مائة وأربع سنين، روى عن يزيد بن هارون والكبار)اهـ.

و قال في سير النبلاء : (العلامة، المفسر، الإمام، اللُّغوي، المحدِّث، أبو علي البجلي الكوفي، ثم النيسابوري، عالم عصره)اهـ.

و نقل الإمام الذهبي قول الحاكم فيه في تاريخ نيسابور: (إمام عصره في معاني القرآن، أقدمه ابن طاهر معه نيسابور وابتاع له دار عزرة، فسكنها، وهذا في سنة سبع عشرة ومئتين،فبقي يعلّم الناس، ويفتي في تلك الدّار إلى أن توفي، ودُفن في مقبرة الحسين بن معاذ، في سنة اثنتين وثمانين ومئتين، وهو ابن مئة وأربع سنين، وقبره مشهور يزار، وشيعه خلق عظيم.وسمعت محمد بن أبي القاسم المذكّر يقول: سمعت أبي يقول: لو كان الحسين بن الفضل في بني إسرائيل لكان ممن يُذكَر في عجائبهم.

وسمعت محمد بن يعقوب الحافظ يقول: ما رأيت أفصح لسانا من الحسين بن الفضل (٢))اهـ.

وقال الإمام الذهبي: (ثم إنّ الحاكم ساق في ترجمته بضعة عشر حديثا غرائب (٣))اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر : (و ما كان لذكر هذا في هذا الكتاب معنى فإنه من كبار أهل العلم والفضل (٤))اهـ.

---

(١)الأنساب للسمعاني: (في البجلي) : ١/ ٢٨٥ مختصراً ، و سير النبلاء: ١٣ / ٤١٤ و العبر للذهبي: ٢ / ٤٠٦ و لسان الميزان : ٢ / ٣٠٧ ذكره ليدافع عنه لقول الذهبي المتقدّم و طبقات المفسرين للسيوطي : ترجمة: (٣٣): ١ / ١٥٦ و شذرات الذهب: ٢ / ١٧٨ و الأعلام للزركلي: ٢/ ٢٥١

(٢) سير النبلاء: ١٣/ ٤١٤

(٣) سير النبلاء: ١٣/ ٤١٦

(٤)لسان الميزان : ٢ / ٣٠٧

وكتابه في التفسير مفقود. وقد نقل عنه نقولا عديدة مفيدةً، و ذكر جملة من ترجيحاته في مقدّمة الكتاب وفي تفسير سورة الفاتحة وفي سورة البقرة وفي غيرِها.

٥- جامع البيان للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: المتوفى سنة (٣١٠ هـ). و هو أجلّ التفاسير . أفاد المصنف من تفسير الطبري كثيراً و نقل منه الروايات في التفسير عن الصحابة و التابعين و من بعدهم ، و أفاد منه في جميع مناحي التفسير و أكثر من النقل عنه، و هذا منتشرٌ في كل كتابه بحيث لا يبقى للتمثيل به فائدة فبأدنى نظرٍ إلى الكتاب و الحواشي في كلّ صفحة من التحقيق يتبيّن نقله من الطبري هذا عدا عما يصرّح به في مواضع كثيرة من النقل عنه و هو يكثر من بيان ترجيحات الطبري ، كما أنه يقلد الطبري في ألفاظ الروايات كثيرا.

٦- و اعتمد في النّقل عن الصحابة رضي الله عنهم على كتبٍ أخرى غير تفسير الطبري منها تفسير أبي مُحَمَّد عَبْد الرحمان بن مُحَمَّد بن إدريس الحنظلي التميمي الرَّازِي ، الحافظ ابن الحافظ (ت ٣٢٧هـ) (طبع) قسم كبيرٌ منه. أكثر المصنف من النقل عنه بلا تصريح.

٧ – و أرجّح أنه اعتمد على تفسير أبي الشَّيْخ: و هو تفسير أبي مُحَمَّد عَبْد الله بن مُحَمَّد بن جعفر بن حيان الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ). لشهرته،و لأنه قريبُ العهد بعصره، و مصره.

٨ - التفسير الكبير للقفال الكبير (١): ومؤلفه هو أبو بكر محمد بن علي القفَّال الشاشي الكبير الشافعي كان إمام عصره بما وراء النهر و هو محدّث و مفسّر و أصولي فقيه سمع من ابن خزيمة و ابن جرير و غيرهم و هو أول من صنّف في الجدل و من تصانيفه شرح رسالة الشافعي وكتاب دلائلِ النّبوة و محاسن الشريعة و الفتاوى، (ت: ٣٦٥هـ) وقيل توفّي: (٣٣٦هـ) و هو وهم كما قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء . قال الحاكم (٢) : (كان أعلمَ أهلِ ما وراءَ النهر بالأصول، وأكثرَهم رحلةً في طلب الحديث)اهـ.

---

(١)طبقات الفقهاء للشيرازي: ص١١٢ و الأنساب للسمعاني: ٧ / ٢٤٤ وتهذيب الأسماء و اللغات: ٢ / ٢٨٢ -٢٨٣ و وفيات الأعيان: ٤ / ٢٠٠ – ٢٠١ وسير أعلام النبلاء : ١٦ / ٢٨٣ – ٢٨٥ وطبقات الشافعية للسبكي: ٣ / ٢٠٠ – ٢٢٢ و الأعلام للزركلي: ٧ / ١٥٩ و معجم المؤلفين: ٣ / ٤٩٨

(٢) سير النبلاء: ١٦/ ٢٨٣

و قد ذكروا كتابه في التفسير في ترجمته ، و ممن ذكره الذهبي [١] و السيوطي (٢) و الداودي (٣) . و من المواضع التي صرح بالنقل عنه فيها مقدِّمة الكتاب عند بيان معنى التفسير والتأويل. ص: ١٨٣ ، و ٢٩٣ و غيرها.

٩ - كما اعتمد على التنبيه على فضل علوم القرآن للإمام أبي القاسم بن حبيب (ت: ٤٠٦هـ) و هي رسالة محققة في مجلة المورد العراقية: ١٧ / ٣٠٨ .و اسمه في المخطوطة المحقق عنها:التنزيل و ترتيبه. نقل منه من غير تصريح في المقدمة فيما يتعلّق بترتيبِ نزولِ سور القرآن و آخر ما نزل. و صاحبه هو : الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب،النيسابوري، المفسر الواعظ، صاحبُ كتاب: " عقلاء المجانين " المطبوعٌ [٤].

١٠ - و قد يكون اعتمد على تفسير أبي القاسم بن حبيب هذا فإن له تفسيراً [٥] فقد رأيت المصنف نقل أقوالاً لم أجدها، و بعد البحث و الاستقصاء رأيتها منسوبة لتفسير أبي القاسم ابن حبيب هذا وقد علّقت عليها في مواطنها.

١١ - نقله من تفسير الثعلبي :

نقل المصنف من تفسير الإمام أبي إسحاق الثعلبي(ت: ٤٢٧هـ) المسمّى بالكشف و البيان و هو محقق كاملاً رسائل علمية بجامعة أمّ القرى.

---

(١) سير النبلاء: ١٦/ ٢٨٣

(٢) طبقات المفسرين: ص١٠٦

(٣) طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٩٧

(٤)ترجمته في: تاريخ جرجان: صـ ٩٠ ، سير النبلاء: ١٧/ ٢٣٧ – ٢٣٨ ،العبر ٣ / ٩٣، الوافي بالوفيات ١٢ / ٢٣٩، ٢٤٠ ، طبقات المفسرين للسيوطي ١١، ١٢، بغية الوعاة ١ / ٥١٩، طبقات المفسرين للداوودي ١ / ١٤٤، كشف الظنون ١ / ٤٦٠، شذرات الذهب ٣ / ١٨١، هدية العارفين ١ / ٢٧٤ ، الأعلام: ٩/ ١٧٥.

(٥)طبقات المفسرين للداوودي ١ / ١٤٦

و قدطبعته دارُ إحياء التراث العربي في : [١٠مج]، كما طبعتـه دار الكتـب العلميـة، وهمـا طبعتان رديئتان.

و المصنف ينقل منه و إن لم يصرّح باسمه، و من المواضع التي يتبيّن فيه اعتماده عليه ما يلي:

قال : (قال الزّجّاج (١) : قال (كذلك) وهو يخاطبُ الجماعـة لأنَّ الجماعـة بمنزلـة القبيلـةِ ، فكأنّه قال : كذلك أيُّها القبيلة ، و جائز أنْ يكون الكاف للنبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أي كـذلك يا محمد يُبيِّنُ الله لكم الآيات)اهـ. .

فقد نقله المصنّف بالمعنى لا بلفظ الزجاج ، و كذلك صَنَعَ الثّعلبي (٢)ويظهر أنّ المصنف نقله من الثعلبي لأنه يوافق أكثر عباراته حتى بتقديمها و بتأخِيرها.

مثالٌ آخر:

قـال في تفـسير قولـه تعـالى﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾[البقـرة آيـة: ٢٢٢]

(وقال الفراء (٣) : هو مثلُ ذلك أتيتُهُ من مأْتاهُ أي من الوجه الذي يُؤتى منه)اهـ.

فقد نقلهُ المصنّف بالمعنى لا بلفظ الفرّاء –و ذلك جائزٌ –و لكنه نقل أدّى إلى إبهام في الكلامِ و هو يوافق عبارة الثعلبي و لم يصرّح المصنف بالنقل عن الثعلبي و لكن يدلّ اتفاقهما في نقل عبارة الفراء على هذا الوجه من الاختصار إلى أنّ المصنف ناقل عن الثعلبي، وعبارة الفـراء أوضح فإنه قال: (و لم يقل في حيث ، و هو الفرج . و إنما قال :من حيثُ كما تقولُ للرّجل : إيتِ زيداً من مأتاه أي من الوجه الذي يُؤتى منهُ، فلو ظَهَر الفرج و لم يُكْنَ عنـه قلـتَ – في الكلام – إيتِ المرأة في فرجها)اهـ.

و هناك أمثلة أخرى ذكرتُها في مواضعها من التحقيق.

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٥٢ .

(٢)تفسير الثعلبي: ٢/ ١٥٣ طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٣) معاني القرآن للفراء: ١/ ١١٠ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٦٠

فهذه بعض كتب التفسير التي أفاد منها ولا ريب كما قلتُ سابقاً أنه نقل من غيرها مما كان معروفا و مشهوراً في عصرهم من التفاسير الجليلة، لكن لمّا كانت هذه التفاسير مفقودة أو في حكم المفقود لم أرَ الجزم بنقله المباشر عنها، اتقاءً للقول بمجرد الظنّ المبني على احتمال، غير أنني أجزم بنقله من تفاسير بعض شيوخه و شيوخ شيوخه التي لم تصلنا أو و صلنا بعضها.

و قد يكون في الغالب نقل من بعض تفاسير المعتزلة فإنه يردّ عليهم كثيراً في كتابه كما أشرت إلى ذلك في اعتقاد المصنف رحمه الله . و من تفاسيرهم تفسير الجبّائي (ت: ٣٠٣هـ) و هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو علي. شيخ المعتزلة (١).

و هناك تفاسير لم يصرّح بالنقل منها لكن لدى المصنف أسانيد إليها و هو من جهة الإسناد أعلى سنداً من الواحدي و هو مشارك للإمام البيهقي في كثيرٍ من شيوخه كأبي عبد الله الحاكم و ابن فورك و غيرهم، كما تقدّم في شيوخ المصنّف. فمن هذه التفاسير:

١٢ -تفسير السدي ، للإمام أبي مُحَمّد إِسْمَاعِيل بن عَبْد الرحمان بن أبي كريمة الحجازي ثم الكوفي ، المشهور بالسدي الكبير (ت: ١٢٧هـ) .

١٣ -تفسير الربيع بن أنس : للإمام الربيع بن أنس البكري البصري الخراساني (ت١٣٩:هـ)

١٤ -تفسير عَبْد الرزاق : لأبي بكر عَبْد الرزاق بن همام الحميري الصنعاني (ت ٢١١ هـ).

و غيرها مما لا أجزم بكونه نقل عنها مباشرةً، و إن كنت أرجّح أنه ربما نقل عنها من غير واسطةٍ، لعلوّ سنده ، وأخذه عن جلةٍ من الحفاظ أسانيد تلكَ الكتب.

---

(١)الأنساب ٣: ١٨٦ ،المنتظم ٦: ١٣٧، وفيات الأعيان: ٤/ ٢٦٧ ، الشذرات ٢: ٢٤١.

و أمّا كتب الحَدِيْث : فقد قلتُ سابقا إن له مشايخ كثيرين في الحديث و يكفي أنّ الخطيب البغدادي عصريّه يروي عنه في التاريخ، و قد رحل للحج في رفقةٍ فيها البيهقي و غيره فسمعوا من الحفاظ و المحدثين و المسندين.

لكنه لم يسنِد لنا في تفسيره، كما يصنع في الرسالة و غيرها، فلا نتجرّأ على القول بل نغلق باب القول من وجه، و نفتح باب الاحتمال من الوجه الآخر.

و أمّا مصادره من كتب علماء العربية في معاني القرآن و إعرابه فكثيرة و منها:

١٤ - مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت: ٢٠٩هـ) . أكثر المصنف من العزو إليه و النقل عنه في مواضع كثيرةً و قد وثقتُ تلك النقول من مجاز القرآن، و بعضها كان بالمعنى و هو يصرح باسمه فيقول قال أبو عبيدة ، لكنه نقل عنه أبياتاً و أشياء لم أجدها في المطبوعِ منه.

١٥ -معاني القرآن للفرّاء يحيى بن زياد: (ت: ٢٠٧هـ) . كتاب مشهورٌ له مطبوعٌ . و قد نقل منه كثيراً جداً.

١٦- معاني القرآن للأخفش سعيد بن مسعدة : (ت: ٢١٥هـ) . نقل منه المصنف كثيراً وصرح باسمه مراراً كثيرة. ينظر: مثلا: صـ ٣٧١، ٣٨٥، ٣٩٤ ، ٤٠٤ ، ٤٣٨. و غيرها.

١٧ - معاني القرآن للزّجّاج إبراهيم السّريّ بن سهل : (ت: ٣١١ و قيل ٣١٠هـ) تلميذ المبرّد.أكثر المصنف من الاقتباس منه و نقل منه نقولاً كثيرة مصرّحا باسم الزجاج، و ربما أطال المصنف النقل عنه فنقل عبارتٍ مطوّلة منه. و يذكر اختياراته في المعاني و ترجيحاته فيها و في الإعراب و غير ذلك. و هو من أهمّ و أجلِّ المصنفات في معاني القرآن.

و لا تكاد تخلو آية من النقل عن الزّجاج ؛ و قد صرح المصنف بالنقل عنه في تفسير الحروف المقطعة وحدها أكثر من خمس مراتٍ في الصفحات: ٣٧٣، ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٣٨٢.

١٨- معاني القرآنِ لقُطرب محمد بن المستنير بن أحمد أبو علي النحوي، تلميذ سيبويه (ت: ٢٠٦هـ) ، (١) و هو ممن تكلّم فيه الإمام الأزهري في مقدّمة تهذيب اللغة، وقال: إنه متّهم في

(١)ترجمته في: إنباه الرواة ٣: ٢١٩ للقفطي، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار: ٤/ ٦٣ ، وفيات الأعيان: ٤/

رأيه وروايته عن العرب (١) . وقد يكون نقلُه منه بواسطة أو مباشراً ،و قد يكون نقل من بعض كتبه مباشرة و نقل من بعضها بواسطة، و الذي يدلّ على أنه نقل منه أحياناً بواسطة أنه صرح بما يفيد ذلك قال:

(و حُكِي عن قُطْرُب أنه قال ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة:١، ٢] هو كقولك : أَلاَ إنك ذاهب فتدخل أَلاَ تستفتح بها)اهـ. صـ ٢٧٢.

و قال أيضا: (و حكى الزَّجَّاج (٢) وغيره عن قُطْرُب: أنه قال﴿ الٓمٓ﴾ و ﴿ الٓمٓصٓ﴾و ﴿ كٓهيعٓصٓ﴾ و غيرها حروف المعجم ذُكِرتْ لتدلّ أنّ هذا القرآن المؤلّف من هذه الحروف المقطعة التي هي حروفُ (ا ب ت ث) جاء بعضها مقطَّعا و بعضها مؤلَّفا ليدلّ القوم أنهُ بحروفهم التي يعقلونها..)اهـ. فهذان الموضعان صرّح فيهما بنقله عنه بواسطةٍ. وعليه فقد يكون بعض النقول كهذه المواضع بواسطةٍ و في غيرها نقل من كتب قطرب مباشرة.

١٩ - معاني القرآن لأبي جعفر : أحمد بن محمد النحاس المتوفى : سنة ٣٣٨هـ، طبع أكثره بتحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني الأستاذ بجامعة أم القرى ، طبع معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الاسلامي. في (٦مج). نقل المصنف عنه في مواضع من كتابه و لم يصرّح باسم كتابه.

٢٠ – إعراب القرآن لأبي جعفر ابن النحاس السابق. صاحب معاني القرآن السابق و القطع و الائتناف و الناسخ و المنسوخ و غيرها. نقل منه كثيراً من كتابه إعراب القرآن. وقد أحلت على المطبوع منه في مواضع كثيرة، و اعتمدت على طبعة: د/ زهيرزاهد ، ط، عالم الكتب : ١٤٠٩هـ. في ٥مج.

---

٣١٢ ، لسان الميزان: ٥/ ٣٧٥ ،الأعلام: ٧/ ١٥٩

(١) تهذيب اللغة للأزهري: ١/ ٣٠

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٥٩

و من العلماء الذين نقل عنهم عبارات و ترجيحات تتعلّق بالقراءات و النّحو:

٢١ - أبو معاذ النّحوي وهو الفضلُ بن خالد المَروزي مولى باهلة (ت:٢١١هـ). يَروى عن ابن المبارك وعبيد بن سليمان روى عنه محمد بن على بن الحسن بن شقيق و غيره، وقد ذكره ابن أبي حاتم و لم يذكر فيه جرحاً و لا تعديلاً و ذكره ابن حبان في الثقات (١). توفي سنة إحدى عشرة ومائتين . ونقل عنه الأزهريّ في تهذيب اللغة كثيراً . و ذكر ياقوت الحمويّ أنّ الحاكم تَرجم له. و قد ذَكَرُوا أنّ لـه كتاباً حَسَنا في القراءات.

٢٢ – تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: (ت: ٢٧٦هـ). مطبوعٌ حققه د/ سيد صقر. يظهر لي أنه أفاد منه في بعض التأويلات منها في قوله : ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ﴾ [البقرة آية ١٥] .

٢٣ – غريب القرآن لابن قُتيبة : (ت: ٢٧٦هـ). مطبوعٌ أيضاً . يظهر لي أنّه أَفاد منه في مواضع تتعلَّق بغريب القرآن منها: في معنى (آمِين) في آخر الفاتحة فقد قال : (و قال القُتَبيّ (٢): (آمِين) اسم من أسماء الله ....)اه.

و من المواضع التي أفاد منه فيها في معنى قوله :﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣] . في معنى (يُقِيمُون) من جهة اللغة. و منها في مقدِّمة الكتاب عند ذكره لأسماء القرآن. في بيان معنى :الفرقان لغة ،و في بيان معنى: المثاني. و في غيرها.

---

(١)الكنى لمسلم: ص٧٧٧ والجرح و التعديل: ٧/ ٦١ و الثقات لابن حبان: ٩/ ٥ و بغية الوعاة: ص٣٧٣ و معجم الأدباء: ١٦/ ٢١٤ و كشف الظنون: ٢/ ١٤٤٩ و هدية العارفين: ١/ ٤٣٥ ومعجم المؤلفين: ٢/ ٦٢٢ .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة: ص١٢ و ينظر : قسم التحقيق.

و أمّا نقله من كتب أئمة اللغة فكثير و ممن صرّح بالنقل عنه:

٢٤ - الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٥هـ). في مواضِعَ عديدةً منها على سبيل المثال في تفسير مادّةِ ((رَضَع)) لغةً. و في تفسير : كلمة العُرْوةُ من قوله : ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: آية:٢٥٦]. و نقَلَ مِنه و عزى إليه مواضع في المعاني وغيرِها. فمن ذلك قوله – أعني المصنف: (وعن الخليل (١) : يأتينك وأنت تَسْعَى سَعْياً)اهـ. في تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: آية: ٢٦٠] و كتابُ العِينِ للخليل هو أوّل معجم في العربية، طبع في : (٨مج).

٢٥ –و ممن نقل المصنف عنهم من أئمة العربية ولستُ أجزم بكونه ناقلاً عنه من كتابه أو بواسطة الخارْزَنجيّ وهو أبو حامد أحمد بن محمد البُشّي الخارزنجي؛ منسوب إلى خارزنج قرية بنواحي نبسابور من ناحية بشت إمام أهل الأدب بخراسان في عصره. له كتاب يعرف بالتكملة في اللغة و (شرح أبيات أدب الكاتب). نسبته إلى بُشْتْ من نواحي نيسابور: (ت: ٣٤٨هـ). (٢) فقد نقل عنه ما يلي: (قوله: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة:١٩٥] التَّهلُكة مصدر الهلاك قال الخارزنجي: لا أعرف في كلام العرب مصدراً على تفعُلةٍ بضمّ العين إلا هذا و العرب لا تقولُ ألقى بيده إلا في الشرّ)اهـ. و قد أسنده

(١)تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٥٧ و ينظر: البحر: ٢/ ٣٠٠

(٢)كان في الأصل (الخازرنجي) بتقديم الزاي . و التصويب من مصادر الترجمة و منها اللباب .

ترجمته في: مقدّمة تهذيب اللغة للأزهري : ١/ ٣٣ فإنه ذكره و عرّف به ،و تكلّم على كتابه في اللغة ، وذمّه بكثرة التصحيف ، ثم أورد أمثلةً عديدةً من تصحيفه ، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير:١/ ٢٧٧ و معجم الأدباء لياقوت: ٤/ ٢٠٣ – ٢٠٨ و إنباه الرواة: ١/ ١٠٧ و بغية الوعاة: صـ ١٦٩ و الأعلام: ١/ ٢٠٨ ومعجم المؤلفين: ١/ ٢٥٣

الثعلبي عن أبي حامد الخارزنجي [١]. و ذكرتُ هناك ما يستدرك على هذا الحصر. فيمكن أن يكون المصنف نقله من الثعلبي.

تنبيه:

هذا الذي ذكرتُهُ من مصادر المصنّف هو كالمثال لِمَا وراءه، و الذي حملني على الاقتصار عليها أمورٌ منها: ١ - أنّ المصنِّف لا يكادُ يصرّحُ باسمِ المصدرِ الذي ينقلُ عنه، و إنّما يقول قال: فلانٌ و يكون هذا الكلام موجوداً أحيانا في عدد من الكتب قبله منها بعض التفاسير التي صُنّفت قبله.

٢ - ثمّ إن موارد الكتب الكبيرة و مصادرها ككتابنا هذا تحتاج إلى تأنٍّ و طول مقارنة واستقراءٍ تامّ للكتاب كلِّه لا لبعضِهِ حتى يكونَ الحكمُ صحيحا أو في حُكْمِ المقبول على أنّ بعض ذلك تكتنفه الظنون و تتجاذبه الاحتمالات.

٣- الرّغبة في أن يكون العمل متقناً و صحيحاً.

---

(١) تفسير الثعلبي: ٢/ ٩٠

المبحث الخامس: نُسَخ الكتاب المخطوطة و أَماكنُ وجودها:

كنتُ في البداية قد اتّبعتُ ما في بعض الفهارس كالفهرس الشامل لآل البيت من ذكرِ عددٍ من نسخ الكتاب، ولكني بعد التقصّي و الاطِّلاع تبيّن لي وجود أخطاء كبيرة في عزوِ بعض مخطوطات التفسير إليه. و لكني سأبدأ بالكلام أوّلاً على النّسخة المعتمدة في التحقيق ثمّ على بقية النُّسخ.

وصف النّسخة المخطوطة المعتمدة في التحقيق:

هذه نسخةٌ فريدة نادرةٌ من كتاب ((التيسير في التفسير)).

و قد اعتمدتُ في التحقيق عليها لأنّه بعد البحث و التقصّي وسؤال المراكز العلمية والبحثية كمركز الملك فيصل للبحوث و كمركز جمعة الماجد للتراث بدبيّ، و سؤال المهتمّين، و النظر في الفهارس المتنوّعة لم أجد نسخةً أخرى لهذا القسم المهمّ من الكتاب.

تحتفظ بأصل هذه النسخة مكتبة لا لي باساتنبول بتركيا و تحمل الرّقم:

(١٩٨).وتقع هذه النسخة في : ((٣١٣)) ورقة . و تبدأُ من أَوّلِ الكتاب بما في ذلك مقدّمة المصنّف في علوم القرآن ثم تفسير الفاتحة إلى بعض سورة الأنعام عند آية :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: الآية:٢٠).

ومنها مصورة في ميكرو فيلم في مجموعة الشيخ قاسم السامرائي في مكتبة الملك فهد الوطنية: (٨٦ / ق).و عندي منها صورة ورقية . و قد استطعتُ بعد جهدٍ أن أحصل منها على صورةٍ أوضح على قرص ((cd)). حصلتُ عليها من تركيا عن طريق بعض الباحثين.

و صف هذه النسخة:

تقع في ((٣١٣)) ورقة و الورقة الأخيرة تشتمل على وجهٍ واحد ، و لذا قد توصف في

بعض الفهارس بأنّها تتكون من ((٣١٢)) ورقة ، تتكون كلّ ورقة من وجهـين (أ ، ب) و عدّة الأسطر في كلّ وجهٍ لا تزيد على: (٢١) سطراً.

و يبدأُ الجزءُ الذي أقوم بتحقيقِهِ من أوّل النسخة حتى بداية الوجه الثـاني مـن الورقـة(١٦٠). كُتِبتْ الآياتُ بالحُمْرة في القسم الأول من النسخة إلى الورقـة (٢١٢) فقـد تـرك الناسخ كتابةَ الآيات بالحمرة و استمرّ يكتب بالحمرة كلمة :

(قوله) التي قبل الآية بالحمرة. كما كُتِبتْ بعضُ العنـاوين بـالحمرة أيـضاً. و في آخـرِ النسخة عبارة: (يتلو جلد الثّاني)اهـ.

و ليس عليها في أوّلها تاريخُ نسخٍ، ويظهر أنّ اسم النّاسخ و تاريخ النسخ كان مثبتاً على المجلد الذي فيه آخر النسخة و هو المجلد المفقود، ولعلّ الناسخ رأى الاقتصار على كتابته في آخر النسخة. فهذه النسخة هي المجلد الأوّل من الكتاب.و قد كُتِبتْ النُّسخة جميعهـا بخـطٍّ واحد.

و يدلّ على مراجعة النسخة أنّ الناسخ يكتب لحقا بالهامش لما سَقَطَ من الكلام ويختمـه بـ(صحّ).

و النّسخة بشكلٍ عامّ تامّةٌ لا مظاهرَ للطّمسِ أو للسّقط فيها .

صعوبات واجهتني في قراءة المخطوط:

لقد عانيتُ كثيراً من قراءة بعض الكلمات في النّسخة لأنّ هذه النسخة كانـت نـسخةً فريدة لا ثاني لها حتى أقابل الكلام عليها فاضطررتُ للوقوف عند بعضِ العبارات المستغلقة أياماً أحاول أن أتبيّن بالسياق و الّلحاقِ وجه تلـك العبـارة فـربّما لم ينكـشف لي وجههـا إلا بمراجعة عشرات التفاسير أو كثير من مظانّ الحديث و الأثر و كتب اللغـة والأدب. و ربـما استعصَتْ عليّ حتى أَجدها في تفسير مخطوط.

و بعض ذلك كان يعود لكثرة نقول المصنف و اتساع دائرة معلومات الكتاب بما يشمله ذلك من خبرٍ غريبٍ أو بيتٍ نادر ، أوقول غير معروفٍ في المصادر المتوافرة لديّ .

و بعضُ ذلك الاستبهامِ كانَ سببُهُ عائداً لأخطاء النّاسخ تحريفا أو تصحيفاً فاجتهـدتُ

و بذلتُ ما في الوسع الضعيف حتى يسّر الله تعالى فأسفر صبح الكلمة بعض إظلامه، و تبين وجه الكلام بعد استغلاقه.

و قد رمزتُ للنّسخة في البداية بـ ((ل)) يعني الأصل رجاء أنْ أقف -و لو بعد الانتهاء من التحقيق -على نسخةٍ أخرى، و لأنّ الأمل في الله تعالى لم ينقطع أنْ ييسّر نسخة أخرى، و قد أكتفي في أكثر المواضع بقولي : في الأصل ولا أذكرُ رمز ((ل)).

٢- فيض الله أفندي ٥ (٨٩)-ج ١ (٢٣١و) – ٥٤٢هـ - من سورة الفاتحة إلى المائدة (١). هذه النسخة هي المجلد الأول من النسخة التالية، و حصلتُ على صورةٍ منها عن طريق المراسلة مع بعض من يعمل ببيع صور المخطوطات.

و هي قطعاً ليست للمصنف أبي القاسم بل لابنه أبي نصر القشيري عبد الرحيم القشيريّ. و لا أدري لمَ غلط فيها المفهرسون للمكتبة مع أنّه كتب في أولها بخطٍّ واضحٍ أنّها كتاب: التيسير لزين الإسلام أبي نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوزان القُشيريّ، ولعلّ السبب يعود إلى هذا اللّقب ((زين الإسلام))فإن المشهور أنه لقب أبي القاسم الأب لا الابن. وزيادةً في الاطمئنان قارنت بين النقول التي ينقلها القرطبي وينصّ على أنها من تفسير أبي نصر القشيري ووجدتها موجودة في القسم الموجود من هذا التفسير.

و هذه النسخة فيها آثار رطوبة بيّنة و طمس في بعض المواضع لكنّ عنوانها ومقدمتها واضحة.

٣- نسخة فيض الله أفندي ٥ (٨٧) –ج ٢ (٢٠٨و)- ٥٤٢هـ تبدأ بسورة المائدة (٢). قلتُ: و تنتهي بنهاية سورة الكهف. و هي المجلد الثاني من النسخة السابقة من تفسير أبي نصر القشيري ابن المصنّف. ينظر و صفها في النسخة السابقة.

---

(١) الفهرس الشامل: مخطوطات التفسير : صـ ١٠١ – ١٠٢

(٢) الفهرس الشامل: مخطوطات التفسير : صـ ١٠١ – ١٠٢ و (المورد ٧/ ١ -٢(١٩٧٨) / ٣١٥)

٤- نسخة جامعة ليدن ٣٥٨(في ٢٩٤ ورقة) – ٥٣٥هـ - من الآية٢١ من الحديد إلى سورة التحريم. (١) لكنها أيضا ليست للمصنّف .قال الدكتور قاسم السامرائي (٢):

((و عندي صورة من نسخة لا يدن ، و قد قرأتها بإمعانٍ فوجدتُ أنّ هذا التفسير لا يمكن أن يكون للقشيريّ أبي القاسم بل لابنه أبي نصر عبد الرحيم))اهـ.

٥ – نسخة في جامعة استنبول : ١ / ١٦٠ (٣٢٢٨ a٣٦٧) ج١ (٢٠٣) ورقة – ٨٦٦هـ من أول القرآن إلى سورة السجدة . وهو في الفهرس بعنوان : التفسير المختصر من التفسير البسيط . (٣) وفي الفهرس الشامل ذكروها للقشيري ثم أعادوا ذكرها لابنه أبي نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم المتوفي : (٥١٤هـ). (٤)

و قد تبيّن لي بعد الاطّلاع عليها أنّها ليست لأبي القاسم القشيري .

٦ – نسخة من سورة الأحزاب إلى آخرِ القُرآن مكتوبةٌ سنة (٦٧٩هـ) . موجودة في خزانة رامفور بالهند : الفهرس: ١/ ٢٦ على ما في تذكِرة النّوادر من المخطوطات العربية. (٥) قال في تذكرة النوادر: إنها نسخة مكتوبة سنة ٦٧٩هـ. بخطّ جعفر بن عمر الحدادي من سورة الأحزاب إلى آخر القرآن ثم نقل منها أنموذجا يسيرا من أول سورة الأحزاب. وهذا الأنموذج الذي نقله :

(بسم الله الذي أعدّ للكافِرين عذابا أليما – الرَّحمن- الذي و عد المؤمنين أجراً كريما، (الرحيم)الذي قال: (و من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزا عظيما). ....و انتظام أوّل هذه السورة بآخر سورة السجدة : أنه أمر رسوله ثَم بالإعراض عن الكافرين ، ونهاه .. عن طاعة

---

(١) تذكرة النوادر لهاشم الندوي: صـ٢٤ والفهرس الشامل: مخطوطات التفسير : صـ ١٠١ – ١٠٢

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي : (١٨/ ٢٤٤).

(٣) الفهرس الشامل: مخطوطات التفسير : صـ ١٠١ – ١٠٢

(٤) الفهرس الشامل: ١ / صـ ١٣١

(٥) ينظر: تذكرة النوادر: صـ ٢٣- ٢٤ والأعلام للزركلي : الاعلام(٤/ ٥٧) و القشيري و آثاره للدُّكتور بسيوني: صـ ٤٨.

الكافرين و المنافقين ، و انتظامُ السورتين : أنّ تلك السورة في محاجة المشركين ، والصبر على أذى المؤذين ، فقد قال لما صبروا وقال - فأعرض عنهم ، وهذه السوره في تعداد ضروب أذى ناله من الكفار والمنافقين ، وبعض المؤمنين ، من طعنهم عليه في زيد ، وتزوج امرأته ، والاستكثار من النساء ، و التوسع في المناكح) اهـ. مأخوذ من الأصل عن نسخة بالخزانة الرامفورية مكتوبة سنة ٦٧٩هـ بخط جعفر بن عمر الحدادي) اهـ . ما في تذكرة النوادر ببعض اختصارٍ[١] .

قال الدّكتور بسيوني - بعد نقله هذا -: (وهذه الفقرة توجد بذاتها في النسخة الطشقندية)[٢].

وقد أضاف الدكتور بسيوني في أول الكلام: (وسورة الأحزاب مدنية ، وهي ثلاث وسبعون آية ، وألف ومائتان وتسع وثمانون كلمة ، وخمسمائة ألف وسبعمائة وسبعة وأربعون حرفاً) وهذا الأخير منقول عن النسخة الطشقندية الآتية قريباً لأنّه ليس في تذكرة النّوادر.

و تطابق ما في النسخة الرامفورية و النسخة الطشقندية مهمٌّ جداً في تثبيت صحة النسختين

و أنبّه على أنّي طالعتُ فهارس المكتبة الرامفورية و لم أجد إشارة إلى هذه النّسخة للأسف وطلبت من الشيخ محمد عزير شمس بحكم خبرته في المخطوطات الهندية، مساعدتي في ذلك فاطّلع هو أيضا على الفهارس و لم يجد أيّ ذكرٍ لها ؟!

علماً أنّ الفهارس كُتبتْ بعد كتابِ تذكرة النوادر . و لا أدري أهناك خطأ في الفهارس مع أنها متقنة كما يقولون أم أنّ النسخة أخِذت من المكتبة. كما حصل مع مكتباتٍ أخرى في كتبٍ مهمة كانت موجودةً ثمّ ذهبتْ ؟ .

و المقصود أنني قد حاولتُ الحصول على نسخةٍ من هذه المخطوطة المهمة و التي تشكل قرابة النصف الثاني من الكتاب، و لم تنجح محاولاتي وسأبذلُ جهدي إنْ شاء الله تعالى

---

(١) تذكرة النوادر: ص٢٤

(٢) الإمام القشيري سيرته وآثاره (٤٨-٤٩)

وأرجو من الله تعالى أنْ أوفّق . مع العلم أنّ هذا القسم من الكتاب لا علاقة له مباشرة بأول الكتاب و هو القسم الذي أحققه .

٧ – نسخة في أكاديمية العلوم بمدينة طشقند ، عاصِمةُ أوزبكستان تحت رقم: (٥٢٦٥) وهي المجلد الخامس من الكتاب و تبدأ من سورة النحل و تنتهي بـ سورة محمد صلى الله عليه وسلم. وهي في : ٢٤٣ورقة. وقد ذكرها الدُّكتور بسيوني و لم يذكرها غيرُهُ، و قد اطّلعَ عليها، ونقل فقراتٍ يسيرة منها ووصفها. (١)

و قد حاولت جهدي الحصول على نسخةٍ منها فلم أفلح ، و لازالت المحاولات جاريةً. وهي نسخةٌ مهمة و لو اجتلبت من هناك صورة لها فسيكون لها أثر طيّب ، و قد أخبرني بعض المسؤولين عن المخطوطات في مركز جمعة الماجد بدبي حين طلبتُ منهم مساعدتي في الحصول على نسخةٍ منها أنّ لديهم بعثةً ستذهب هناك لتصوير بعض المخطوطاتِ لديهم، ولكن يظهر أنهم لم يصوروها .

٨ – نسخة مكتبة جاريت –هولندا ٣٨٦-٣٨٧ ((643 / h)) ج٥ (في ٢٠٣) ورقة. و تبدأ من سورة الإسراء إلى سورة المؤمنون. ومنها مصورة في مكتبة الملك فهد الوطنية: (٦٤٣/ h) هكذا هي عندهم بهذا الرمز أيضا. مكتوبة سنة: ٨٦٤هـ. كما في آخرها.

وقد نُسِبت في فهرس مكتبة جاريت لابن المؤلف ،وهو زين الدين أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري،و هي نسبةٌ صحيحة، فهذه النسخة قطعاً ليست للقُشَيريّ أبي القاسم الأبّ بل هي لابنه أبي نصر عبد الرحيم القشيري ، كما ثبت أيضا ذلك بخطّ ناسخها . و قد اطلعتُ عليها و تبيّن لي ذلك.

و خلاصة القول أنّ الذي ثبت لديّ أنه من تفسير أبي القاسم القُشيريّ ثلاثة نُسخٍ:

---

(١) القشيري و آثاره:صـ ٥١

الأولى منها : هي النسخة التي حقّقت عليها القسم الذي عندي من الكتابِ .

و هي نسخة مكتبة لا لي باساتنبول بتركيا و تحمل الرّقم: (١٩٨).وتقع هذه النسخة في : ((٣١٣)) ورقة . و تبدأُ كما تقدّم من أَوّلِ الكتاب بما في ذلك مقدّمة المصنّف ثم تفسير الفاتحة إلى بعض سورة الأنعام عند الآية : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: الآية:٢٠).

و الثانية: موجودة في خزانة رامفور بالهند : الفهرس: ١/ ٢٦ على ما في تذكِرة النّوادر من المخطوطات العربية. و هي من سورة الأحزاب إلى آخر القرآن.

و الثالثة: نسخة في أكاديمية العلوم بمدينة طشقند ، عاصِمةُ أوزبكستان تحت رقم: (٥٢٦٥) وهي المجلد الخامس من الكتاب و تبدأ من سورة النحل و تنتهي بـ سورة محمد صلى الله عليه وسلم. وهي في : ٢٤٣ورقة.

ثانياً: قسم النصّ المحقق

التيسير في عِلم التّفسير

للإمام عبد الكريم بن هَوَازِنَ القُشَيريّ (٣٧٦ - ٤٦٥هـ)

من أول الكتاب إلى نهاية سورة البقرة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

قال الإمام الأُستاذُ زينُ الإسلام أبو القاسم عبدُ الكَريم بنِ هَوَازِنَ القُشَيريّ.

الحمدُ لله ناصرِ الحقِّ بواضحِ أَعلامِهِ، و فاطرِ الخلقِ على مَا أراد مِن أَحكامِهِ المبتدئ لأوليائه بجميع إنعامه، المنتصر من أعدائه بشديد انتقامه، الذي أرسل الرُّسل وأوضح السُّبل و نصب البرهان و أنزل الفرقان، وخصَّ محمَّدا صلى الله عليه وسلم بأعلى المراتب، وأَكرَمه بأسنى المناقبِ، وأزالَ بنوره الشكَّ ومحا بظهوره الإفكَ، و أَيَّدَهُ بكتابه المنزَّل وسدَّده بخطابه المفصَّل، وبعثه إلى أمته يطهِّرُهم ويزكِّيهم ونصرَهُ بحُجَجٍ قويَّة ليَدعوهم إلى دينه و ليهديهم، وجعَل معجزتَهُ كتاباً أعجزَ الفصحاءَ نِظَامُه ونَصَرَ العقلاءُ أَعلامَه.

فقام لدِينِ الله ناصحاً ولمعالم الشِّرك فاضِحاً و للحقِّ نصيراً وللباطل مبيراً و للكفر خافضاً، وللشكِّ ماحياً ، وللشرِّ قالياً وللأحكامِ شارعاً وللأصنامِ قاطعَاً ؛و مضى بالفضائل موسُوماً، وعن الرّذائل معصُوماً مؤيَّداً رشيداً محمداً حميداً، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الذين هداهم وأصحابه الذين اجتباهم وسلَّم تسليماً أمّا بعد

فإن أولى ما يـ ـصرف إليه الفِكرُ وتُوقَفُ عليه الهِمّةُ تدبُّرُ معاني كتابِ الله العزيزِ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديهِ ولا مِن خَلْفه، لِمَا أودع الله سبحانه فيه مِن علومٍ لا تنتهي بدائِعُها، وحِكَمٍ لا تنقضي روائِعُها.

وكتابنا هذا يشتمِلُ على جُمَلٍ من تفسير القرآن و تأويله، وصَدْرٍ من إعرابه، وما يتعلَّق بقَصَصِهِ و نزوله. سلَكنا فيهِ طريقَ الإيجازِ و الإقلالِ تجنُّبا من الإطالة و الإملالِ (١) ، وبالله

---

(١) كذا وصف رحمه الله كتابه ،و لكن الكتاب يعدّ في الكتب المبسوطة في التفسير و قد أطال المصنف في بعض مسائل النّحو، ومسائل الصّرف التي تطرّق إليها و أسهب في ذكر خلافات النُّحاة و أقوالهم وأدلتهم في مواطن كثيرة من كتابه، وهو أيضا يبسط الخلاف بين المفسِّرين في غالب ما يذكره من تفسير الآيات، كما هو ظاهر من تفسيره ، و لذا وصفه غيرُ واحد من العلماء بالتفسير الكبير كما تقدّم في قِسم الدراسة .

نستعينُ في بيان ذلك ونستوفِقُهُ (١) ونبرأ إليه من الحول والقوّة ونستعصِمُه إنه قريبٌ مُجيب.

ذكرُ معنى التّفسيرِ والتّأويل والفَرْق بينهما (٢):

اعلم أنّه لابد لمن أراد هذا العلم من الوُقوف على ذلِكَ ليعلمَ ما معنى تفسيرِ كلامِ الله وما معنى تأويلِ القرآن لذلك قَدَّمنا القول فيه.

والفَسْر إبداءُ الشّيء وإظهاره وكشفُ ما عليه من الغطاء حتى يظهر ما تحته والتفسير على الكثرة والمبالغة، و التَّفْسِرة اسمٌ للدّليل الذي ينظر إليه الأطبّاء ويستدلُّون به على المرض (١) ويقال فَسَرتُ الفرس أَفسُرُه فَسْراً إذا عَدَّيتَه (٢) لينطلق حُصْرُه(٣).

---

(١)اسْتَوْفَقَ الله: سأله التوفيق. ينظر:مختار الصحاح و لسان العرب: (وفق).

(٢)ينظر للاستزادة في معنى التفسير و التأويل و الفرق بينهما المصادر الآتية:
الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ٤٣ وتهذيب اللغة : ١٥ / ٤٥٩ومجمل اللغة لابن فارس: ١ / ١٠٧ و تفسير الثعلبي الكشف و البيان: ١ / ٤١١ -رسالة دكتوراه- بجامعة أم القرى- تحـ-خالد العنزي ١ / ٤١٤ و تفسير الثعلبي المطبوع: ١/ ٨٧ ،و الغريبين لأبي عبيد الهروي ١/ ١٢١ و ٥/ ١٤٤٧ و التيسير في التفسير للحافظ نجم الدين النسفي عمر بن محمد : ورقة ٢ ، ومقدِّمة تفسير ابن عطية المسمى بـ"المحرر الوجيز"١ / ٢٧_٨٢ ، وفنون الأفنان لابن الجوزي ص٣٧٣ و مقدمة تفسيره "زاد المسير" ١/ ٤ و المفردات للرّاغب: ص٣١ ومقدمة تفسير القرطبي المسمى بالجامع لأحكام القرآن ١/ ٣_٨٦ ومفتاح السعادة لطاش كبري ٢/ ٥٣٠ _ ٥٤٦ ،و التعريفات: ٢٨، والتوقيف على مهمات التعاريف: ٨٩، والكليات:٢/ ١٥، وكشاف اصطلاحات الفنون: ١/ ١٢٨، ومعجم لغة الفقهاء : ١١٩ و درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام بن تيمية١ / ١٤ و البحر المحيط : ٣/ ٤٣٧_ ٤٥٣، وإعلام الموقعين: ٤/ ٣٤٥، و روح المعاني " ١/ ٢_٣٣ والبرهان ٢ / ٢٧٧ تحقيق د/ المرعشلي ومن معه، والإتقان للسيوطي٢ / ١١٨٩ و تاج العروس للزبيدي: ٧ / ٢١٥ ومقدمة قانون التأويل : ٢٣٠_ ٢٤٣و علم معرفة تفسير القرآن وبيان شرفه والتفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل لحامد العمادي مخطوط بدار الكتب المصرية : ٣٤٤٤ مجاميع و الهامش الأتي: صـ ١٨٥.

وقيل إنه من المقلوب من قولهم: سَفَر والسَّفْر الكشف يقال: سفرتِ المرأة عن وجهها، وسافر فلان إذا انكشف عن الأبنيه وخرج إلى الصّحراء، وأسفر الصُّبحُ إذا أضاءَ وسَفَرت الرِّيح التُّراب عن وجه الأرضِ، وسفرتُ البيتَ كنستُه والمِسفَرُ هو المِكنَسُ (٤) فيكون سَفَرَ وفَسَرَ مثلُ جَذَبَ وجَبَذَ واضمَحَلّ وامضَحَلَّ، فتفسيرُ كلامِ الله تعالى: كشف المنغلِق من المراد بلفظِهِ وإطلاقِ المحتبسِ عن الفَهْمِ منه.

وفي الحقيقة يعودُ التّفسير إلى العبارة و التّلاوة الدالّة على عينِ الكلام التي وردتْ بلغة العرب فيُفهَمُ (٥) عند شَرْحِهِ معاني خِطَابِه سبْحانه من أمره ونهيه و خَبَره و استخبارِهِ.

و أمّا التّأويل فمشتقٌّ من قولهم آلَ الأمر إلى كذا أي صار إليه فأوَّلتُه (٦) إذا أَصرْتُه إليهِ و عاقبةُ الشّيء سُمِّي تأويلاً قال الله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾[الأعراف: من الآية٥٣] أي يوم يأتي عاقبتهُ و مستقرّه و منه قوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء:٥٩] ،فإذا قيل

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري : ١٥ / ٤٥٩ (فسر) ومجمل اللغة لابن فارس : ١ / ١٠٧ (فسر) و تفسير الثعلبي –رسالة دكتوراه– ١ / ٤١٤ و من المطبوع: ١/ ٨٧ و البرهان : ١ / ٦٣

(٢) يعني :ركضته. و ينظر المصادر الآتية.

(٣) تفسير الثّعلبي المطبوع: ١/ ٨٦ و البرهان : ٢ / ٢٨٣ وروح المعاني: ١/ ٤ . و الحُصْر: اعتقال البطن: العين: ٣/ ١١٣ و مختار الصحاح و لسان العرب: (حصر).

(٤) المسفرة: المِكنسة: النهاية لابن الأثير و لسان العرب: (سفر).

(٥) في النسخة (ل) و هي الأصل: فيهم.

(٦) هنا حاشية في المخطوطة في الكلام على معنى التفسير و التأويل هذا نصُّها : (قالوا التفسير في الأصل هو الكشف و الإظهار وحدُّه : توضيح معنى الآية و شأنها و قصتها و السبب الذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة و التأويل في الأصلِ: الترجيح، و حدُّه: صرفُ الآية عن معناها الظاهر إلى معنى يحتمِله إذا كان المحتمَل الذي يراه موافقا بالكتاب و السنة) اهـ. و ينظر المصادر السابقة عند ذكر المصنّف للفرْق بين التفسير و التأويل و التعليق الآتي : صـ ١٨٥.

ما تأويلُ هذا الكلام ؟ فمعناه إلى ماذا تؤُول العاقبة في المرادِ بهِ و على ماذا يستقرُّ ومعنى تأويلِ القرآن: أنّ الناظرَ تأمَّله و نظر في معانيه فرجع به إلى ما هو أَولى به (١) .

و فرّق أبو بكر القفَّال (٢) بين التفسير و التأويل بأنّ التفسير: ما يُعلم من الّلفظ فيكشِفُ ما كان مستُورا في الّلفظ، و التأويل ما يُرجَع في كشفه إلى معنى الكلمة (٣) فمثال التفسير إذا تكلّمنا في قوله : ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

فإذا قيل كيف قال : ﴿ لَا رَيۡبَ﴾ و قد ارتابَ فيه كثيرٌ من الخلق ؟

فإذا أجبنا عنه بأنّ معناهُ أنه حقٌّ في نفسه صِدقٌ و أنَّ من نَظَر فيه و تدبّر معانيه عَلِم صدقه وانتفى عنه الرَّيب هذا تأويلٌ و هو كما قال الشاعر :

ليس في الحق يا أميمةُ ريبٌ   إنّما الرَّيبُ ما يقول الكَذوب (٤)

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ١٨٤ و تهذيب اللغة للأزهري : ١٥ / ٤٥٩ ((أول)) و لسان العرب لابن منظور ١ : / ٢٦٤ مادة : أول.

(٢) أبو بكر محمد بن علي القفَّال الشاشي الكبير الشافعي، كان إمام عصره بما وراء النهر و هو محدث ومفسر و أصولي فقيه سمع من ابن خزيمة، و ابن جرير و غيرهم، و هو أوّل من صنّف في الجدل و من تصانيفه شرح رسالة الشافعي وكتاب دلائل النبوة و محاسن الشريعة و الفتاوى، (ت: ٣٦٥هـ) وقيل توفّي: (٣٣٦هـ) و هو وهم كما قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : طبقات الفقهاء للشيرازي: ص١١٢ والأنساب للسمعاني: ٧ / ٢٤٤ وتهذيب الأسماء و اللغات: ٢ / ٢٨٢ -٢٨٣ و وفيات الأعيان: ٤ / ٢٠٠ – ٢٠١ وسير أعلام النبلاء : ١٦ / ٢٨٣ – ٢٨٥ و طبقات الشافعية للسبكي: ٣ / ٢٠٠ – ٢٢٢ و الأعلام للزركلي: ٧ / ١٥٩ و معجم المؤلفين: ٣ / ٤٩٨

(٣) ينظر: معاني القرآن للنحاس: ١/ ٣٥١ و تفسير الثعلبي ١/ ٤١١ رسالة دكتوراه .

(٤) البيت في مسائل نافع بن الأزرق في الدُّرّ المنثور منسوبا إلى ابن الزّبعرى : ١ / ٣٤ و في الوسيط للواحدي: ١ / ٧٨ و تفسير القرطبي: ١ / ١٥٩ وفيه قال عبد الله بن الزبعرى و البحر المحيط لأبي حيان: ١ / ٣٣

(١) و أشار الحُسين بن الفضل البَجَلي (٢)رحمه الله في الفرق بينهما فقال: التفسير ما يتعلَّق بالرواية و التأويل ما يتعلق بالدِّراية.

وبعضُ أهل اللغة (٣)قال التأويل: هو من الإِيَالة ، و هي السِّياسة تقول العربُ التأويلُ علينا أي سـ ـ ـسنا و سَاسَنا (٤)غيرنا فكأنّ المأوِّل سائسٌ و واضعٌ المعنى

فيه موضعه (٥). ويرجع معنى التفسير و التأويل إلى الحروف والعبارة فيُفهَم عند ذلك معنى الكلام و مضمونُ الخِطاب(١).

---

(١) _وقع في صلب المخطوطة هنا : ((و إلى قريب من هذا : فرض عليك القرآن (١) الآية . فإنها نزلت بالجحفة ثمّ بني إسرائيل غير قوله : ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الإسراء:٧٦] وقوله : ﴿ رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٍ﴾ [الإسراء:٨٠] ثمّ يونس إلى قوله)) هكذا هذه العبارة في الأصل: ((ل)) و ردت هنا مقحَمة ولا معنى لها هنا. و لذا و ضعتها في الهامش منبّها عليها.

(٢) الحسين بن الفضل بن عمير البجلي النيسابوري : (١٧٦ - ٢٨٢هـ) . إمام جليل ومفسر مشهور وواعظ معمَّر ، تقدمت ترجمة في قسم الدراسة في مصادر المصنف. وفيها ثناء العلماء عليه . و سيأتي النقل عنه في هذا الكتاب في مواضع عديدة .

(٣) ممن قال ذلك النَّضرُ بن شُمَيلٍ الإمام الُّلغوي المحدِّث، وقد أسنده عنه الثعلبي في تفسيره : ١ / ٤١٤ رسالة دكتوراه و من المطبوع : ١/ ٨٧ . و نقله عنه أيضا: الحافظ نجم الدين النَّسفي عمر بن محمد : في تفسيره: التيسير في التفسير: ورقة ٢.

كما نقله أيضا عن النضر بن شميل : أحمد بن أحمد الهكَّاري في تفسيره: صـ ١٧٢ رسالة دكتوراه، بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٣هـ.

(٤) رسمت في النسخة (ل) : سسنا.

(٥) وفي المثل: (قد أُلْنا و إِيلَ علينا، يقول: ولينا وَوُلي علينا): لسان العرب: ١١ / ٣٦ . ويقال: فلان حَسن الإِيَالة وسَيّىء الإيالة يعني السياسة: النهاية: ١ / ٨٥.

(١) التأويــل لغــةً : (تفــسير الكــلام الــذي تختلِــف معانيــه ، ولا يــصحُّ إلا ببيــان غــيرِ لفظــه) كما في كتاب العين : للخليل : ٨/ ٣٦٩ ، و قد ذكره الإمام الأزهري: تهـذيب اللغـة للأزهـري : ١٥ / ٤٥٩ وبدأ به و نقله ابن منظور في لسان العرب ١: / ٢٦٤ في مادة : (أول).

و قيل : التأويل نَقْلُ الظّاهرِ عَن وضعه الأصلي إِلى ما يُحتاج في إِثباته إِلى دليلٍ لولاه ما تُرِك ظاهرُ اللفـظ : غريب الحديث لابن الجـوزي: ١/ ٣٧ و النهايـة لابـن الأثـير: (أول).١/ ١٩٢ وفي كتـاب الحـدود في الأصول للأستاذ أبي بكر محمد بن الحسن الأصبهاني ابن فُورك شيخ المصنف: صـ١٤٦ . (صَرف الكلام عن ظاهره إلى وجهٍ يحتمله)اهـ.

وقيل في الفرق بينهما : أن التفسير هو الإخبار عن أفراد آحاد الجملة و التأويـل الإخبـار بمعنـى الكـلام. ذكره أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية: ٤٣ و فيه غموضٌ،و من أهل اللغة من لا يرى فَرْقا بين معنى التفسير و التأويل ويقول هما بمعنى واحد وبه قال أبو عُبيدة و ابن الأعرابي وثعلب:لسان العـرب : ٥ / ٥٥ والقامُوس المحيط: (أول) و تاج العروس: (أول) و فتح الباري: ٨/ ١٥٥ قال الطبري: ((معنـى التّأويل في كلامِ العرب :التفسير والمرجِع والمَصِير))اهـ. ٣/ ١٨٤ . فالتأويـل يُـستعمل بمعنـى مرجـع الشيء و مصيره، و يستعمل بمعنى: صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه. و كثيراً ما يـستعمل المتقـدّمون من العلماء التأويل بمعنى التفسير : كمِثل الإمام أبي عبيد القاسم بن سلّام في غريب الحديث في مـواطن كثيرة، و كمِثلِ ابن قُتَيبة في غريب الحديث في مواطن كثيرة، منها: في المجلد الأول منه: ١/ ٢١٠، ٢٩٠ ، ٣٠٣ و غيرها، و ممن شحن كتابه بذلك إمام المفسرين الطبري في تفـسيره، وقـد سـمّى الطـبري كتابـه : (جامع البيان عن تأويل القرآن).

ذِكْرُ أسماءِ القرآن (١)

لا بدّ من معرفتها، فمن ذلك الكتابُ و قد سمَّى الله سبحانه القرآن كتابا فقال : ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ وقال: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ ﴾ [الزخرف] وقال: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴾ [الزمر:٢٣] . والكتابُ في الُّلغة (٢)مصدرُ الكتابة يقال: كتبتُ كتابا كما تقول: قمتُ قِيامَا وحسبتُ الشيء حِسَابا، و الكتابة لتوحيد الفعل كما تقول : قَعَدَ قعْدَةً و جلس جَلسةً، وقيل سُمّي كتابا لأنّه جمَعَ الحروف على وجهٍ مخصوصٍ وإثبات (٣) الخطوط على نظْمٍ معلوم.

ويقال كتبتُ السقاء إذا خَرَزْتُهُ و ضممتُ بعضه إلى بعض، و منه قيل للعسكر كتيبة وتكتَّب بنو فلان إذا اجتمعوا، و المَكْتَبُ اسمٌ للمكان الذي يجتمع فيه المتعلّمون من الصبيان؛ و كتبتَ

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ١ / ٨٩ و مقدمة تفسير الماوردي: ١ / ٢٣ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – الأندلسي : ١/ ٥٦ و تفسير العز بن عبد السلام(مختصر من تفسير الماوردي): ١/ ٨١ والبرهان للزركشي النوع الخامس عشر: ١ / ٢٧٣ والإتقان للسيوطي : النوع السابع عشر: ١ / ١٥٩ قال الزركشي في البرهان: (وقد صنّف فى ذلك الحرالّي جزءا وأنهى أساميه إلى نيف وتسعين، وقال القاضى أبو المعالى عزيزى بن عبد الملك رحمه الله: اعلم أنّ الله تعالى سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما)اهـ. و الهدى و البيان في أسماء القرآن للشيخ صالح البليهي: ط، جامعة الإمام: ١٣٩٧هـ.

(٢) ينظر:إصلاح المنطق لابن السكيت: صـ٢٥٦ وتهذيب اللغة للأزهري: ١٠ / ١٥٠ (كتب) والنهاية : ٤ / ١٤٩: (كتب) ولسان العرب : ١ / ٧٠١: (كتب) وتاج العروس: (كتب) و يقال: تَكَتَّبَت الخيلُ أَي تَجَمَّعَتْ.

(٣)كذا في الأصل؟ . و لو قال : (و أثبتَ) لكان مناسبا لسياق الكلام.

الناقة إذا سَدَدْتَ منخريها لئلا تشُمَّ البَوّ (١) ، و كتبتَ حياءَ البغلة إذا جمعتَ بين شَفريها بحلقةٍ لكي لا تُوطأ.

ثم يُسمّى المكتوبُ كتاباً كما يسمى المشروبُ شراباً و الشّراب مصدرٌ و تسمية الشيء باسم المصدر في كلامهم كثير فلمّا كان كلام الله سبحانه و تعالى مكتوباً في اللوح المحفوظ، وفي المصاحف سُمي كتابا ثم سُمي محلُّ الكتابة أيضا كتاباً قال الله تعالى:

﴿ فِى كِتَـٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴾ [الواقعة:٧٨] يريد به الّلوح المحفوظ .

و الكتابة حركاتٌ تقوم بمحلِّ قدرة الكاتب منا فيَحْدُثُ في الرَّقّ (٢) عقيبهُ خطوطٌ مجتمعة تدلُّ على المعنى تارة وقد لا تدلّ فلا يقال لها في الحقيقة كتابة (٣)، ثم يكون الكتاب بمعنى القضاء في القرآن قال الله تعالى:﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ [المجادله:٢١]وقال : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة:٥١]

---

(١) البَوّ : ولدُ الناقة (الحوار) و قيل: جلدُهُ يُحْشَى تِبْناً أَو ثُماماً أَو حشيشاً لتَعْطِف عليه الناقة إِذا مات ولدها، ثم يُقَرَّبُ إِلى أُم الفصيل لتَرْأَمَهُ فتَدِرَّ عليه . العين : ٢/ ٢٠٨ ، و تهذيب اللغة: (بو) ، و لسان العرب:١٤ / ١١ (بوا).

(٢) الرَّقّ بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق .ينظر على سبيل المثال: مختار الصِّحاح : ١ / ١٠٦ ولسان العرب: (رقق).

(٣) قال ابن فُورَك شيخ المصنف في كتاب الحدود في الأصول: (حدّ الكتابة: ترجع إلى حركات الكاتب، وإنما يُحدث الربّ تعالى عند حركات الكاتب الحروف، وتسمّى تلك الحروف كلاما تجوّزا و توسُّعاً)اهـ. (الحدود : ص١٣٢) و ينظر: الكليات: ٤ / ١١٨

و يكون بمعنى الفرض﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة:١٨٣] أي فُرِض ويكون بمعنى الجعل والخلق كقوله:﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ [المجادله:٢٢]. (١)

و من ذلك القرآنُ وقد سَمَّى الله كلامه قرآناً فقال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف:٣] وقال ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف:٣] وقد اختلفوا في معناه فمنهم من قال:

إنّه اسمٌ لكلام الله سبحانه غيرُ مشتقٍّ من معنى سمَّى الله تعالى به كلامه وهذا كما قالوا في اسمه الله على طريقة بعضهم إنه غير مشتقٍّ من معنى و منهم من قال إنه مشتق من قَرَن ثم الاسم القُرَانُ (٢) غير مهموز كما يقال خَرَج و الاسم خُرَاجٌ فيكونُ هذا اسماً لقراءة القرآن وتلاوة هذه العبارة سُمي قرآنا لأنه قُرِن بعضه إلى بعض، و منه القِرانُ في الحجِّ، و هذا باطل لأنّ عينَ كلامِ الله تعالى لا يوصَفُ بالاقترانِ (٣) و لأنّه ليس كلُّ ما قُرِن بعضه ببعض قرآناً

---

(١) ذكر الحسين بن محمد الدّامغاني في الوجوه و النظائر لـ(كتب) أربعة معان في القرآن" فرض و جعل وقضى و أمر: ص٣٩٩ .

(٢) في النسخة (ل) : القرآن . خطأ.

(٣) الكلام في كلام الله تعالى بنفي الاقترانِ أو عدمه مما لم يرد عن النبي ﷺ و أصحابه و التابعين فالسكوت عنه طريقة السلف مع الإيمان بأنّ القرآن كلام الله تعالى على الحقيقة، و نقلُ المصنف بعض المسائل الكلامية عن الأشعرية إلى التفسير نقل غير مصيبٍ، و ينظر ما سيأتي : صـ١٨٩ و رحم الله الإمام أحمد حين قال: (لستُ بصاحب كلام ، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله ، أو في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن أصحابه أو عن التابعين . فأما غير ذلك ، فإن الكلام فيه غير محمود) اهـ . من رسالته المشهورة الصحيحة إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل حين كتب إليه بأمر أمير المؤمنين المتوكل يسأله عن القرآن لا مسألة امتحان بل مسألة معرفة وبصيرة، مسائل صالح ابن الإمام أحمد:٢ / ٤١٩ – ٤٣٠ وكتابُ السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ص ٢١ باب قول العلماء في القرآن ومن حفظ لنا عنه أنه قال كلام الله ليس بمخلوق ، وفي كتاب الخلال (السنة) ٦ / ١٠١ رقم ١٩٤٨ ورواها

وحَكَى الإمامُ أبو بكرِ بن فُورَك رحمه الله (١) عن شيخِنا أبي الحسن (٢) الأَشعريّ رَضِيَ الله عنه أنّه قال : (يُسمَّى كلامُ الله قرآنا لأنّ العِبارةَ عنه قَرَنَ بعضَه إلى بعض) . ذكره أبو الحسن في بعض كتبه(٣).

أبونعيم في الحلية ٩ / ٢١٩ عن الطبراني عن عبد الله بن الإمام أحمد وذكرها الإمام الذهبي في السير وعقّب عليها بقوله : (هذه الرّسالة إسنادها كالشمس فانظر إلى هذا النَّفَس النَّوراني) اهـ . سير النبلاء ١١ / ٢٨٦ ورواها أيضا عبد الرحمن بن أبي حاتم كما في الحجة للإمام سماعيل التيمي الأصبهاني١ /٢٠٨ وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ١ / ٢٠٨

و ينظر بخصوصِ ما ذكره المصنف: الحدود في الأصول لابن فورك الأشعري ص١٣٣ و العدة للقاضي أبي يعلى الحنبلي١/ ٢١٤ ودرء تعارض العقل و النقل ٢ / ١٠٩ و فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية :١٢/ ٥٧٧ و المعيار المعرب للونشريسي: ١٢ / ١٥٢ و التحبير شرح التحرير في أصول الفقه لأبي الحسن علاء الدين المرداوي الحنبلي : ٣ / ١٢٥٤ و ما بعدها، –وفيه بسط الكلام في هذه المسألة بنقل كلام الأئمة والعلماء مع نقل ترجيح أئمة أهل السنة كشيخ الإسلام ابن تيمية –وشرح نونية ابن القيم : ١/ ٢٨٨ لأحمد بن إبراهيم بن عيسى ومعارج القبول للحكمي: ١/ ٣٨١ .

(١) شيخ المصنف أبو بكر محمد بن الحسن ابن فورك (ت: ٤٠٦هـ)مشهور تقدّمت ترجمته في شيوخ المصنف : صـ ٤٠.

(٢) في النسخة (ل) : أبو الحسن .

(٣) القرآن كلامُ الله تعالى لا عبارة عن كلامه .و ينظر: الحاشية السابقة : في صـ ١٨٨ و الآتية صـ٢٠٩ وأبو الحسن الأشعري يظهر أنّه رجع عن كثير مما قاله مما يخالف مذهب السلف –و كتابه الإبانة وهو صحيح عنه– يدلّ على رجوعه إلى مذهب السلف في مسألة الكلام: الإبانة: صـ ٣٢ و كتاب الإبانة هو الذي اعتمد عليه الحافظ ابن عساكر في الدفاع عن الأشعري في كتابه تبيين كذب المفتري. و قد قال بمذهب السلف في مقالات الإسلاميين فقال : هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث و أهل السنة ثم ساق اعقاداتهم الصحيحة : ١ / ٣٤٥- ٣٥٠ ثم قال: (و بكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، و إليه نذهب) الخ. وقال الإمام الذهبي: (رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات، و قال فيها تمرّ كما جاءت، ثم قال:

وقيل سُمِّي كلام الله قرآنا لأنه مقروء سُمِّي باسم المصدر، و القرآن مصدر القراءة يقال قرأ قرآنا كما يقال: غَفَرَ غُفْرانا و كَفَر كُفْرانا و خَسِر خُسْرانا و أنشد :

ضَحّوا بأشمطَ عُنوان السُّجود به يقطِّع اللّيلَ تسبيحاً و قرآنا (١)

أي قراءةً و تسميةُ الشيء باسم المصدر صحيحٌ كما ذكرناه من تسميتهم المشروب شرابا .

و يقال : هذا الدِّرهم ضَرْبُ الأمير أي مضروبه. و هذا هو الصحيح. (٢)

و قيل إنما سمي قرآنا لأنه جُمِع بعضه إلى بعض و أُلِّفَ بينهما من قولهم قرأ يقرأ إذا جمع تقول العرب ما قَرَأتْ هذه الناقة في رحمها سَلَاءً قطّ أي ما ضمَّت رحمها على ولد قال عمرو بن كلثوم:

تُرِيكَ إذا دخلتَ على خَلاءٍ وقد أَمِنتْ عيون الكاشِحينا

ذِراَعَي عَيطَلٍ أَدْمَاءَ بِكْرٍ هِجانِ اللونِ لم تَقْرأْ جنينا (٣)

وقيل لما جَمَعَ القرآنُ هذه السّور و الآيات سُمّي قرآنا، و قيل هو من قريتُ الماء في الحوض أي جمعته و المِقراة الحوض، و القِرى الضيافة لأنها مجمع النّاس وأقراء المرأة أطهارها لأنّ الدم يجتمع في ذلك الزمان في الرّحم و لا تُرْخي.

(و بذلك أقول، وبه أدين و لا تؤوّل)اهـ. بحروفه. سير أعلام النبلاء في ترجمة علي بن اسماعيل أبي الحسن الأشعري: ١٥/ ٨٦

(١) البيت لحسان رضي الله عنه: في ديوانه: صـ ٢١٦ و تفسير الطبري: ١ / ٩٣ و العقد الفريد: ٣ / ٨١ و المحرر الوجيز لابن عطية : ١ / ٥٦ و اللسان مادة (ع ن ن) و نسب أيضا لأوس بن مغراء : خزانة الأدب ٩ / ٤١٨ و بلا نسبة في: غريب القرآن لابن قتيبة: ص٣٤ و ينظر: خزانة الأدب: ٤ / ١١٨

(٢) هذا أرجح فهو ظاهر لا تكلف فيه و ممن رجح ما رجحه المؤلف من أن القرآن مشتق من قرأ : أبو عبيدة في مجاز القرآن: ١/ ١– ٣ وإمام المفسرين الطبري : ١ / ٩٠ و ابن عطية في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :١/ ٥٦

(٣) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم: شرح المعلقات لابن الأنباري ص ٣١٩ و شرح القصائد العشر للتبريزي: ص ٢٤٤ ووقع في بعض الروايات في الشطر الثاني: تربعت الأجارع و المتونا.

وهذه الأقاويل (١) و إن صحَّت من حيث الاشتقاق وتناسبِ الألفاظ ففي تسمية كلام الله سبحانه و تعالى لا تصحّ على الحقيقة لامتناع كلامه عن قبول الجمع و الضمِّ اللهم إلا أن يحمل على العبارة فيكون تسميةُ الكلامِ مجازا. (٢) وضَعَّف محمد بن جرير هذا القول بأن قال: لو كان هذا صحيحاً وجب أن يكون ما نزل من القرآن أوَّلاً لا يكون قرآنا ما لم ينزل غيره فيُقرَنَ به و يضمَّ إليه و يجمع بينهما قال وتأويل قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة:١٨] أي اعمل بما بيناه لك بالقراءة، و هذا قول ابن عبَّاس، و أَبَى أن يكون معنى ﴿ قَرَأْنَـٰهُ ﴾ جمعناه قال و معنى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة:١٧] أي بيانه (٣) .

فإن قيل فإذا كان المختار من هذه الأقاويل عندكم أنّ كلام الله يسمى قرآنا لأنه مقروء تسميةً باسم المصدر الذي هو قرآنٌ فعلى هذا تسميته بالقرآن مجاز، وحقيقة القرآن أداء القراءة فإذا قال القائل: القرآن مخلوق فهو حقيقة، و قول من قال القرآن غير مخلوق (٤) مجاز؟! قيل ليس الأمر كما قلتَ لأنه و إن كان أصله فيه ما قلنا فقد قُرِنَ به كثرة الاستعمال حتى صار كالحقيقة فيه حتى لا يُعلم منه عند الإطلاق غيره، فالقرآن و إن كان حقيقته القراءة فقد كثر استعماله في تسمية كلام الله تعالى حتى صار كأنه حقيقة في ذلك دون أصله ، وهذا كقولهم رفع

---

(١) هذه الأقوال التي ذكرها المصنف ترجع إلى ثلاثة أقوال: القول الأول :أنّ القرآن غير مشتق. والثاني: أنه مشتقٌّ لكن من معنى القراءة و التلاوة . و الثالث: أنه مشتقٌّ من معنى الجمع سواء كان من قرن أو قرأتُ الماء في الحوض أي جمعته. و ينظر أيضا: تفسير الطبري : ١ / ٩٠ و جمال القراء للسخاوي: ١ / ٢٣ و التفسير الكبير للفخر الرازي: ١ / ١٤

(٢) ينظر ما تقدّم قريبا عند نفي المؤلف للاقتران في كلام الباري تعالى.

(٣) الطبري: ١ / ٩٢

(٤) في النسخة (ل) : مخلق. خطأ.

فلان عَقِيرَتَهُ (١) يعْنون صوته. و العَقِيرة في الأصل الرِّجل المقطوعة، و مثله التيمم و الاستنجاء و غيره.

ثم المصحف يقال له قرآنٌ مجازاً لأنّ كلام الله سبحانه مكتوبٌ فيه على الحقيقة بمعنى وجود كتابة فيه دالَّة على عينِ المكتوب.

و قوله : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [القيامة] ، أي لا تستعجل في التلقُّف من جبريل إنّ علينا جمعه في قلبك حفظاً، و جمعه في لسانك تلاوةً ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾ [القيامة:١٨] جمعناه في قلبك في قول قتادة(٢)، و بيَّناه في قول ابن عبَّاس (٣) ،﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ بيانه و جمعَه.

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص:٨٥]

قيل معناه قراءة القرآن فتكون القراءة مضمَرة فيه وقيل معناه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ﴾ القراءة . (٤) وقوله : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء:٧٨].

---

(١) عَقِيرةُ الرجل: صوتُه إِذا غَنَّى أَو قَرَأَ أَو بَكى .لسان العرب : ٤ / ٥٩٣ (عقر).
وقيل لكُلِّ رافع صَوْته : رَفَع عقِيرَته . والعَقِيرَة : فَعيلة بمعنى مفعولة: النهاية : ٣ / ٢٧٥

(٢) قال قتادة قي قوله:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ حفظه و تأليفه: تفسير عبد الرزاق: ٢/ ٣٣٤ والطبري: ٢٣/ ٥٠١ و الدر: ٦/ ٢٨٩ و ينظر: زاد المسير: ٨/ ٤٢١

(٣) تفسير الطبري: ٢٣/ ٥٠٣ من طريق علي بن أبي طلحة.

(٤) ينظر في مسألة اشتقاق القرآن مع ما تقدم: جمال القراء للسخاوي: ١ / ٢٣ و المسائل الحلبيات لأبي علي الفارسي: ٢٣٩

قيل معناه : أقم قراءة الفجر أي القـراءة في صـلاة الفجـر، و قيـل ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ أي صلاة الفجر سَمّى الصلاة قرآنا لأنها محلُّ القرآن (١) كـما سُـمِّيت القـراءة صـلاة في قولـه : (قسَمتُ الصلاة بيني و بين عبدي نِصْفينِ (٢)). يعني القراءة في الصلاة.

وقوله : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ [الأعلى:٦] أي سنجمعُ حفظَه في قلبك و قيل سنبيِّنُه لك.

و اعلم أنّ للقرآن أسماءً كثيرة يعود معناها إلى العبارة و التّلاوة المخصوصة الواردة بلغة العرب فسُمّي هذا النظم المخصوص بأَسامٍ و إنْ قيل إنّ التَّسميات تعودُ إلى عين الكلام لأن معانيه تعود و توجد في العبارة لكان وجها صحيحاً فمن ذلك الهدى قال الله تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ معناه أنه بيان ودلالة في نفسه فمن تأمَّله و اتَّقى تَرْكَ النظرِ فيه اهتدى في دينه لما أودع الله فيه من دلائله و أعلامه.

و منه الفرقان(١)قال تبارك و تعالى : ﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ [الفرقان:١] والفرقان مصدر فَرَقْتُ الشيء و فَرَقْتُ بين الشيئين أَفرق فَرْقا و فُرقانا فالقرآن

---

(١) تفسير الطبري: ١٥ / ٣٣ وتفسير البغوي: ٣ / ٢٢٨ و المحرر الوجيز لابن عطية: ٣ / ٤٧٨ وتفسير القرطبي: ١٠ / ٣٠٦

(٢) رواه أبو هريرة و جابر عن النبي صلى الله عليه و سلّم فأما حديث أبي هريرة رضي الله عنـه فمـن طريـق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عند مسلم: في كتاب الصلاة ، باب: وجوب قـراءة الفاتحـة في كلِّ ركعة وأنه إذا لم يحسِن الفاتحة ولا أمكنهُ تعلُّمها قرأ ما تيسَّر له من غيرها (ح٣٩٥) من طرق عنه، وأبي داوود في :كتاب الصلاة، (١٣٧ باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب) : ١ / ٢١٦ و ابن ماجه : في (٣٣ كتاب الأدب في باب ثـواب القـرآن(٥٢)) (ح ٣٧٨٤)، و الترمـذي: ٥ / ٢٠١ (٤٨ في كتـاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه و سلّم باب: (٢ باب ومن سورة فاتحة الكتاب): وأحمد : ١٣ / ٢٣٣ و البخاري في جزء القراءة خلـف الإمـام : (٧٣) و الطـبري: ١ / ٢٠٢ و ابـن خزيمـة : ١ / ٢٥٢ وابن حبان:٣ / ٥٤ وغيرهم. و أما حديث جابر فعند: الطبري: ١ / ٢٠٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٨.

فرقان لأنه يفرق بين الحق و الباطل و يفرق بين الحلال و الحرام و يفرق بين المؤمن و الكافر بما أُودع فيه من آياته، و قال ابن عبَّاس : الفرقان هو المخرج (٢) ، وبه قال مجاهد (٣) و قال عكرمة: (٤) هو النجاة في قوله (و يجعل له فرقانا) و أنشد أبو عبيدة:

بادرَ الّليل أنْ يَبِيتَ فلما   أظلمَ الّليلُ لم يجد فرقاناً (٥)

أي مخلصاً ونجاةً، و الألفاظُ في هذا متقاربةُ المعاني (٦) فقد تبيّن أنَّ القرآنَ سُمي فُرقاناً لفصله بحُجَجه و أدلته بين المحقِّ و المبطِل و فرقانه بينهما (٧).

فأما قوله : ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ﴾ [البقرة:٥٣] فقال بعضهم: فرقُ ما بين الحلال والحرام، وقال بعضهم: فَرْقُ البحر و فَلْقه (٨).

---

(١) ينظر: مجاز القرآن: ١/ ٣ ، و غريب القرآن لابن قتيبة: ١/ ٢٤١ ،والزاهر في معاني كلمات النّاس للإمام ابن الأنباري: ١ / ٧٥ ، و تهذيب اللغة: (فرق) : ٩ / ١٠٥ ، و وجوه القرآن لأبي عبد الرحمن اسماعيل بن أحمد الضرير النيسابوري: (ت: ٤٣١هـ) رسالة ماجستير:٤٠٩ ، ومقدمة تفسير الماوردي: ١ / ٢٤ وإصلاح الوجوه و النظائر للدامغاني: صـ ٣٥٧ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:١/ ٥٦ و البرهان للزركشي النوع الخامس عشر: ١ / ٢٧٣ واللسان : (فرق) و تاج العروس شرح القاموس للزَّبيدي: مادة: (فرق): ٧ / ٤٥ و ما سيأتي: صـ٦٥٧.

(٢) رواه الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس: جامع البيان: ١ / ٩٤

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٩٤

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ٩٤

(٥) جمال القراء: ١/ ٢٨ و لم أقف عليه في غيره.

(٦) و كذلك قال الطبري و بين وجه اتفاقها: جامع البيان : ١ / ٩٤

(٧) قال السمعاني: سُمّى القرآنُ فرقاناً لمعنيين أحدهما لأنه يفرِّق بين الحق والباطل والآخر أن فيه بيان الحلال والحرام: تفسير السمعاني ٤/ ٥ و ينظر: تفسير القرطبي: ١٣ / ٢.

(٨) ينظر: المصادر السابقة مع كتاب :وجوه القرآن لأبي عبد الرحمن اسماعيل بن أحمد الضرير

و من ذلك المتشابهُ قال الله تعالى : ﴿ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ [الزمر:٢٣] قيل معناه متماثلا في حسنه و بيانه و حكمته ونظمه و إعجازه غير مختلف في شيء من معانيه يصدِّق بعضه بعضاً كما قالَ الله تعالى : ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

من ذلك المثاني (١): قال الله تعالى : ﴿ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾ [الزمر:٢٣] لأنها تثنى المئين فتليها فكأنّ المِئين لها أوائل و المثاني لها ثوان،و قيل سُمّيت بذلك لتثنيةِ الله سبحانه فيها

الأمثال و الخبر و العِبَر (٢)، و هو قول ابن عبَّاس رواه ابن جرير (٣).

وقال سعيد بن جبير: سُمّيت مثاني لأنها ثُنِّيَت فيها الفرائضُ و الحدود. (٤)

وقيل المثاني :هو جميع القرآن. (٥)

وقيل هي فاتحة الكتاب لأنها (تُثنَّى) (٦) قراءتها في كلِّ صلاة، و قيل سميت المثاني لتثنية الله تعالى فيها مدحَ الله و حسنَ الثّناءِ عليه. (١)

النيسابوري: (ت: ٤٣١هـ) :صـ ٤٠٩ رسالة ما جستير.

(١)مجاز القرآن: ١/ ٦ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص٣٥ و جامع البيان للطبري: ١ / ١٠٠ ومعاني القرآن لابن النحاس: ١ / ٤٧ ومقدمة تفسير الماوردي: ١ / ٢٦ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – الأندلسي :١/ ٥٨ و البرهان للزركشي النوع الخامس عشر: ١ / ٢٧٣

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ١٠٠ و معاني القرآن لابن النحاس: ١ / ٤٧

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ١٠٠

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ١٠٠

(٥) مجاز القرآن: ١/ ٦ وغريب القرآن لابن قتيبة: ص٣٥

(٦) في النسخة (ل) : تتثنَّى.

ومن ذلك الذِّكر: قال الله تعالى﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]
معناه أنه إذكار من الله ووعظ و تحذير.

و الذِّكر مصدرُ ذكرتُ ذكراً، و يجوز أن يسمى المذكور ذكراً، و قيل سمّاهُ ذكراً لأنه شَرَفٌ وفخر لمن آمن به و صدَّق كما قال : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف:٤٤]أي شرفٌ . (٢)

و من ذلك البيان :قال الله تعالى ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١٣٨] وسماه ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل:٨٩] و إنما سُمّي بذلك لظهوره بما ظهر به من أنواع الحق و لوضوح ذلك به يقال بان الصبح إذا ظهر ضياؤه،و البيان اسم من تبين الشيء إذا ظهر يقال بان الشيء بيانا فهو بين و أبان فهو مبين و تبين فهو متبيِّن و استبان فهو مستبين .

ومن ذلك الموعظة : قال الله تعالى : ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ ﴾ [آل عمران:١٣٩] وسماه بذلك لما فيه من العظة والتحذير.

و من ذلك الحديث : قال الله تعالى :﴿ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر:٢٣]

و قال : ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴾ [النجم:٥٩]

و الحديثُ هو الكلام و الخطابُ و الخبر.

و من ذلك مُبين : قال الله تعالى : ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [يوسف:١]

سماه بذلك لأنه موضِحٌ و قيل المبين المفرِّق بين الحقّ و الباطل من قولهم أبنته إذا قطعتُه، و قيل هو القاطع لعذر الخلائق بما فيه من الحِجَج. (١)

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة: ص٣٥ ومقدمة تفسير الماوردي: ١ / ٢٦ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الأندلسي ج١/ ٥٨ و البرهان للزركشي النوع الخامس عشر: ١ / ٢٧٣

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ١٠٠

وسماه بشيرا (٢): قال الله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا ﴾ [فصلت:٣، ٤] أي مُبَشِّرا. و معنى البَشِيرِ الإتيانُ بالخبرِ الذي تنشَطُ لسَماعِهِ بشرة الوجه.

و سماه نذيراً: بقوله : ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [فصلت:٣، ٤] و معناه أنه يخوّف الكفار يُفزّع من عصاه يقال أنذر ينذر إنذارا فهو منذر إذا خوَّفَ و أفزع، و المنذِرُ في الحقيقةِ الله والنّذير في معنى المُنذِرِ كالأليم بمعنى المؤلم(٣).

و سمّاه عزيزا : فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾ [فصلت:٤١]

و معناهُ أنه ممتنعٌ على من أراد إبطالَهُ لما في ذلك من دلائِل الصحّة، و قيل عزيزٌ لا مثل له لأنه لا يقدِرُ أحدٌ أن يأتي بمثله، وقيل عزيز بمعنى غالب الكفرة بحججه و آياته، وقيل عزيز

(١) تفسير الطبري: ١٢ / ١٤٩ وتفسير السّمعاني: ٣ / ٦ و وزاد المسير: ٤ / ١٧٦ وتفسير القرطبي: ٩ / ١١٨ و ١٣ / ٢٤٧ وتفسير البيضاوي: ٣ / ٢٧١ و تفسير النسفي: ٢ / ١٧٧ وتفسير ابن كثير : ٣ / ٣٨٠

(٢) الهدى و البيان في أسماء القرآن للشيخ صالح البليهي: صـ ٢٣٨ .

(٣) تفسير الطبري: ١ / ٢٩١ والمحرر الوجيز: ١ / ٩٢ عند قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٠]. والفَعِيل لهُ معانٍ كثيرة: فقد يكون بمعنى الفاعل كالسّميع بمعنى السامع والعليم بمعنى العالم، وقد يكونُ بمعنى المفعول كالجَرِيح والقَتيلِ بمعنى المجروحِ والمقتولِ وقد يكون بمعنى المفعِل كالبصير بمعنى المبصِر والأليمِ بمعنى المؤلم، و يكون بمعنى أفعل كشميط بمعنى أشمط. ينظر على سبيل المثال: غريب القرآن لابن قتيبة: ص ١٦ – ١٧ و التفسير الكبير – الرازي ٥/ ٢٤ و لسان العرب: مادة سمع: ٨/ ١٦٤ و البحر المحيط: ١ / ٤٦ والدر المصون: ١ / ١٠٩ عند قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: الآية٧].

بمعنـى نفـيِ الذِّلـة و المهانـة عنـه أي هـو عنـد الله مكـينٌ كـريمٌ، و كـذلك عنـد المـؤمنين ، و قيل تفسيره ما ذُكِـر بعـده مـن قولـه : ﴿لا يَأْتِيـهِ الْبَاطِـلُ مِـنْ بَـيْنِ يَدَيْـهِ وَلا مِـنْ خَلْفِـهِ﴾ [فصلت:٤٢] (١) .

و سماه وَحْياً: بقوله: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِ ﴾ [الأنبياء: ٤٥]

و هو الموحَى به سَمّاه باسم المصدر يقال أوحى يوحِي إيحاءً، و وَحَى يَحِي وَحْياً؛ و الوَحْيُ تعريف الشيء في خفاء عن غير الموحَى إليه بكلام كان أو إلهام أو إشارةٍ. (٢)

و سماه حَكِيما بقوله : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [لقمان:٢] و معناه أنّ آياته أُحكمت بالحلال و الحرام و أحكمت عن الإبطال، و قيل حكيمٌ لِمَا أودعَ الله فيه من الحكمة، و قيل حكيم لأنه يمنع العالم به ويردعه عن الفواحش (٣)، يقال أحكمتُ الرجل عن الشيء إذا منعته و منه حَكَمَةُ اللجام (٤) . و سمّاه مصدِّقا و مهيمِناً بقوله:

﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا ﴾ [المائدة : ٤٨]، و معنى ذلك أنه يوافق (٥) ما تقدَّمه من الكتب لا يناقضه، و المهيمِن الشاهد على الكتبِ بأنها من عند الله وذلك أن هذا الكتاب معجز في نفسه، فيُعلَم بإعجازه صدقه ثم فيه أن ما تقدمه من الكتب حق فهو شاهد على الكتب بالصدق . (٦)

---

(١) تفسير السمرقندي: ٣ / ٢١٨ وجمال القراء: ١ / ٣٣

(٢) الحدود لابن فُورَك: ١٢٩ و مفردات الراغب: ٥٥٢ و جمال القراء: ١ / ٣١ و البرهان: ١ / ٢٨٠

(٣) والحكيم المحكم حتى لا يتعرض لبطلان وتناقض. تفسير القرطبي:١٥/ ٥

(٤) حَكَمَةُ اللجام: ما أَحاط بحَنَكَي الدابة: لسان العرب: ١٢ / ١٤٤ و ينظر: الزاهر في معاني كلمات النّاس لابن الأنباري: ١ / ١٠٩ وجمال القراء: ١ / ٣٣

(٥) تكررت كلمة : يوافق هنا في : لـ : مرتين.

(٦) جامع البيان للطبري: ٦ / ١٦٧ و المحرر الوجيز: ٢ / ١٩٩ والتفسير الكبير للرازي: ١١ / ١٢

و سماه نوراً :بقوله : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١٧٤] شبّهه بالضياء الذي يستعان به على إدراك الأشياءِ على مجرى العادة .

وسماه بلاغاً (١): فقال: ﴿ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم:٥٢]

لأنه الكافي عن غيره من الكتب ، و يكون بمعنى الإعلام من قولهم أبلغه الخبر إذا أعلمه إياه وأنهاه إليه فكأنه أدّى إلى النّاس و أبلغهم ما فيه من الأنباء.

و سمّاه شفاءً ورحمةً: بقوله: ﴿ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [يونس:٥٧]لأنه يحصل بالإيمان به الشفاء من سقم الجهل و الانتفاء (٢) من العمى والضلال.

و سماه رحمةً لأنّ من آمن به وصل إلى رحمته و نجا من عذابه، و سماه قصصاً كقوله: ﴿ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف:٣] لأنه خبر عن الكائنات التي سبقت يقال قصصته أي تبعتُ أثره فكأنه يتبع آثارهم حيث أخبر عن ذلك.

و سماه مجيدا فقال : ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ [ق:١] و المَجيد في الُّلغة الشريفُ وشرف الكتاب أنه عبارة عن كلام الله. (٥و) و أنه محفوظٌ من التبديل وأنه معجز في نفسه وأنه كريم عند الله و أنّ من آمنَ به شرُفَ قدرُهُ (٣) ، وقيل أصله من أمجدتُ الدابة علفاً أي أكثرتُ علفها وطيّبت علفها. (٤)

(١) قيل((**بلاغٌ**)) **أي: تبليغٌ وموعظةٌ** : تفسير البغوي: ٤/ ٣٦٣ و ينظر: الطبري: ١٧/ ٥٧

(٢) في النسخة (ل): الانتفىء. خطأ.

(٣) جامع البيان للطبري: ٣٠ / ١٤٠ و تفسير القرطبي :١٧ / ٣

(٤)الأَصمعي: أَمـجَدْتُ الدابةَ علَفاً أَكثرت لها ذلك : لسان العرب وفيه: (قال ابن الأَعرابـي: مَـجَدَتِ الإِبل إذا وقعت فـي مَرْعًى كثـير واسع؛ و أَمـجَدَها الراعي و أَمـجَدْتُها أَنا . وقال ابن شميل: إذا شبعت الغنم مَـجُدَت الإِبل تَمـجُد، و الـمـجد نَـحْوٌ من نصف الشبع؛ وقال أَبو حيـة يـصف امـرأَة: ولَـيْـسَت

وسماه تنزيلاً بقوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:١٩٢]

وهو مصدر نزَّل ومعناه أنه منزَّل من قبل الله أي الملك في عُلوٍ فأدَّاه في سُفل، والتنزيل تكثير الإنزال ويجوز تسمية الشيء باسم المصدر كما بيناه من قبل.

وسمّاه بصائر فقال ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ ﴾ [الجاثية:٢٠]

قيل شُهداء ، والبصيرة قطعة من الدّم يشهد ويدُلُّ على الرميَّة، (١) قال تعالى:

﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ [القيامة : ١٤]وقيل بصائر جمع بصيرةٍ، وهي البيانُ يقال أنا على بصيرة من أمري أي بيان، وقيل البصائر الرُّقباء والبصيرة الرقيب. (٢)

ثم للقرآن أسماء سمَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، روى واثلةُ بن الأسقع أنّ النبي عليه السلام قال: (أعطيتُ مكانَ التوراةِ السبعَ الطُوَل وأعطيتُ مكان الزَّبُورِ المئِينَ وأعطيتُ مكان الإنجيلِ المثاني وفُضِّلتُ بالمفصَّل). (٣)

بماجِدةٍ للطعامِ ولا الشراب أي ليست بكثيرة الطعام ولا الشراب) اهـ. لسان العرب : ٣/ ٣٩٦ مادة (مجد) و ينظر: المفردات للراغب: ٤٦٣ و تاج العروس: (م ج د)

(١) تهذيب اللغة: (بصر) ١٢ / ١٤٠ ولسان العرب: ٤ / ٦٨ (ب ص ر) .

(٢) المفردات للراغب: ١ / ٤٩ و الكشاف للزمخشري: ٤ / ٢٩٣ و التفسير الكبير للرازي: ٢٤ / ٢١٨ وتفسير النسفي: ٤ / ٣١ .

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي: (١١٠٥) ، و من طريقه أحمد (٢٨ / ١٨٨) و الطبري في تفسيره: ١ / ٩٦ [طبعة دار هجر] و الطحاوي في المشكل: (١٣٧٩) و ابن النحاس في القطع والائتناف: صـ٨١ والبيهقي في الدلائل: ٥ / ٤٧٥ و البيهقي في الشعب (٢٤٨٤ و ٢٤٨٥) و الطبراني: ٢٢ / ٧٥ و أبو عبيد في فضائل القرآن صـ ١١٩ من طريق أبي العوام عمران القطان و من طريق سعيد بن بَشِير كلاهما عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة رضي الله عنه به، و ذكره ابن كثير في تفسيره: (وقال هذا حديث غريب و سعيد بن بَشِير فيه لين). ١ / ٣٦ و قال الزركشي في البرهان في علوم القرآن: (حديث غريب وسعيد بن بشير فيه لين) : ١/ ٢٤٤

فأما السّبع الطُوَل (١) فآخرها سورة براءة (٢) وكانوا يَعُدُّون براءة و الأنفال سورةً واحدةً لأنهما نزلتا في مغازي رسول صلى الله عليه وسلم.

ورُوي عن ابن عبَّاس أنه قال قلتُ لعثمان رضي الله عنهما:

(ما حملكم على أن عَمَدتُّم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءةَ وهي من المئينِ فقرَنتُمْ بينهُما،ولم تكتبوا سطرَ بسم الله الرّحمن الرّحيم، ووضعتموها في السبع الطُوَل ما حملكم على

و رواية عمران بن دَوَار القطّان تعضُد رواية سعيد بن بشير فإن عِمران القطّان مُختَلَفٌ فيه و قد قال الإمامُ أحمد بن حنبل: أرجو أن يكون صالح الحديث، وقال ابن عدي يكتب حديثه وقال النسائي ضعيف الحديث : و ترجمته في تهذيب الكمال و فروعه ينظر تهذيب الكمال : ٢٢ / ٣٢٨ وسير أعلام النبلاء:٧ / ٢٨٠ وفي التقريب صدوق يَهِم ورمي برأي الخوارج (٥١٥٤). و أما سعيد بن بشير الأزدي مولاهم و يقال الشامي (ت: ١٦٩هـ) فمتكلَّمٌ فيه من جهة حفظه و قد قال شعبة فيه: صدوق الحديث، و قال أبو زرعة و أبو حاتم محلّه الصدق و تكلم فيه بعض الحفاظ منهم أحمد وابن معين، وقال في تقريب التهذيب : ضعيف (٢٢٧٦) ومثله يعتبر بحديثه، و لكن يخشى من تدليس قتادة و للحديث شواهد يتقوّى بها منها: ما رواه أبو عبيد في فضائل القرآن: عن عبد الله بن صالح عن الليث عن سعيد بن أبي هلال قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه و سلّم قال فذكره و منها رواية أبي قلابة التابعي مرسلة: عند الطبري(١ / ٩٧) وابن الضُّريس في فضائل القرآن: برقم ١٥٨ بسند صحيح بنحوه مع اختلاف يسير .

(١) الطُّول بضم الطاء جمع طُولى كالكُبَر جمع كُبْرى قال أبو حيان التّوحيدى وكسر الطاء مرذول: (البرهان في علوم القرآن للزركشي :١/ ٢٤٤ و جمال القراء: ١ / ٣٥)

(٢) السبع الطول في قول ابن عبَّاس وسعيد بن جبير :البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس . جامع البيان للطبري: ١ / ٩٨ و تفسير ابن كثير: ٢ / ٥٥٨، وجمال القراء: ١/ ٣٥ واختلافهم إنما هو في السابعة قال القرطبي ١/ ١١٤ : (واختلفوا في السابعة فقيل يونس وقيل الأنفال والتوبة). ففي السابعة ثلاثة أقوال: أحدها أنها يونس و هو الصحيح كما هو قول ابن عبَّاس و سعيد بن جبير، والثاني: براءة قاله أبو مالك، والثالث: الأنفال و براءة جميعا رواه سفيان عن مسعر عن بعض أهل العلم ينظر: النكت و العيون للماوردي:١ / ٢٦ وزاد المسير – لابن الجوزي:٤/ ٤١٤

ذلك ؟قال: عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمانُ وهو ينزِلُ عليه السُّورُ ذواتُ العدَدِ، فكان إذا نزل عليه شيءٌ دعا ببعضِ من كان يكتُبُ فيقول:

ضَعُوا هؤلاء الآياتِ في السّورة التي يُذكَرُ فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفالُ من أوائلِ ما نزلَ بالمدينة وكانت براءةُ من آخرِ القرآن، وكانت قصّتُها شبيهة بقصّتِها فظننتُ أنّها منها فقُبِضَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ولم يتبيّن لنا أنها منها فمِن أجل ذلك قرنتُ بينهما ولم أكتب بينهما سطرَ بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطُوَل). (١)

وأما المئين فهي مما يلي السبع الطُّوَل مما يزيد آياته على مئة أو يقارِبُها (٢).

---

(١) أخرجه الترمذي: في كتاب تفسير القرآن : باب (١٠ و من سورة التوبة) (٣٠٨٦) وقال : (حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عبَّاس و قد روى عن ابن عبَّاس غيرَ حديث و يقال هو يزيد بن هرمز)، وأبو داود في الصلاة : باب من جهر بها – أي البسملة– (٧٨٦، ٧٨٧) و النسائي في الكبرى : فضائل القرآن باب كتابة القرآن(ح٨٠٠٧) ، وأحمد ١/ ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، وعمر بن شبة في تاريخ المدينة ٣/ ١٠١٥ ، و الطبري: (١ / ٩٨) ، وابن حبان (٤٣)، والحاكم ٢/ ٢٤١ و ٣٦٠وقال: على شرط الشيخين و لم يخرجاه و سكت الذهبي.

وأبو عبيد في فضائل القرآن ص١٥٢، وابن أبي داود في المصاحف(رقم ٩٩) والبزار في مسنده(ح ٣٤٤) و البغوي في تفسيره: ج:٢ ص:٢٦٥. و قد رواه جماعة من الثقات المشهورين عن عوف الأعرابي قال حدثني يزيد الفارسي قال حدثني ابن عبَّاس به. و في سنده يزيد الفارسي: قال فيه أبو حاتم لا بأس به، وفي التقريب مقبول: (٢ / ٣٧٣). تهذيب الكمال: ٣٢ / ٢٨٧ و تهذيب التهذيب: ١١ / ٣٤٧

قلت :وحديثه هذا حسنٌ، و قد جعله الشيخ أحمد شاكر منكَرا (المسند ١ / ٣٣٠) و ادّعاءُ النّكارة فيه غير قويّ إذ مجرَّد التفرّد لا يدلّ عليه، و لذا صحّحه الترمذيّ و لكنه غريبٌ لم يروه عن ابن عبَّاس إلا يزيد الفارسي كما قال الترمذي و البزّار. و ينظر: الدر المنثور – السيوطي:٤ / ١١٩ و تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي: ١٢ / ٤٧ وتفسير القرطبي ٨ / ٦٢ وروح المعاني للآلوسي :٩ / ١٥٨و النّاسخ والمنسوخ لابن النحاس ١ / ٤٧٧ .

(٢) النكت و العيون: ١ / ٢٦

و المثاني ما ولى المئين (١) ، كأنّ المئين مبادٍ وهي مثانٍ، وقد مضى القول فيه.

وأما المفصّل فهي قصار السور سُمِّيت مفصّلاً لكثرة الفُصُول التي بين سورها بـ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ (٢) .

وكان ابن عمر: يكره أن يُسمِّي السور القِصار مُفصَّلة، ويقول جميع القرآن مُفصَّل مُبِينٌ (٣) قال الله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [فصلت:٣]

وخالفه الباقون كابن مسعود وغيره وقالوا: يجوز أن يكون الجميع مُفصَّلاً ثم يُسمَّى بعضه بهذا الاسم كما أنّ جميعه محكَمٌ ثم يُسمَّى بعضه محكماً قال الله تعالى: ﴿ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ ﴾ [آل عمران:٧] وقد قال ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ [هود:١]

معنى السورة (٤): ثم القرآن سُورٌ يقال سُورةٌ وسُوَر كخُطْبَةٍ وخُطَبٍ وغُرفةٍ وغُرَفٍ وصورة وصورٍ، وسورة بغير همز المنزلة من منازل الارتفاع منه سور المدينة وهو الحائط الذي يحويها

---

(١) النكت و العيون: ١ / ٢٦ والبرهان في علوم القرآن - الزركشي ج١/ ص٢٤٤ و الفاتحة تسمّى بالمثاني أيضا كما سيأتي في أسماء الفاتحة.

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة: ص٣٦ و جامع البيان للطبري: ١ / ١٠٤ و اللسان: ١٤ / ٣٩ . واختلفوا من أين يبدأ المفصّل فمنهم من قال: المفصل من سورة محمد إلى آخر القرآن و عزاه الماوردي للأكثرين (النكت و العيون: ١ / ٢٦) وقيل إنّ الأكثرين على أن المفصل من سورة الحجرات. قاله السمعاني: تفسير السمعاني: ٥ / ٢١٢ وقيل من سورة ق إلى آخر القرآن، و قيل من الضحى. جمال القراء: ١ / ٣٥ فهذه أشهر الأقوال. و أما أصحها فالقول بأنها من محمد أو من الحجرات، و قد أوصل السيوطي الأقوال في ذلك إلى اثني عشر قولا لكن بعضها ليس له مستند عن السلف: الإتقان: ١ / ١٩٨

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة : ٦ / ١٣٦ و عزاه السيوطي إلى ابن أبي داوود في المصاحف الإتقان ١ / ٢٠٠

(٤) ذكر أبو بكر ابن الأنباري أربعة أقوال في سبب تسمية السورة من القرآن سورةً، ذكر منها المصنّف هنا ثلاثة أقوال مفرقة، وقيل و هو القول الرابع: سميت سورة لكبرها و تمامها على حيالها فتكون مأخوذة من

سُمي بذلك لارتفاعه عن ما يحويه ولم يُسمع في جمع (١) سُوْرةٍ من البناء سُوَرٌ و إنما هو سُوْرٌ بسكون الواو (٢) ، ويقال للقطعة من القرآن سُورة من سور البناء وهو أعلى طبقة منه على ما ذكرنا من ارتفاعه كذلك هي في نفسها لها منزلة عليَّةٌ وشرف ظاهر واستعمال لفظ السورة في الشرف ظاهر ومنه قول الشاعر :

ألم ترَ أن الله أعطاك سُورةً ترى كلَّ مَلْكٍ دونها يتذَبْذَبُ (٣)

وخُصّ هذا القدر من القرآن بتسمية سُورة لأنه أقلُّ ما وقع به التحدي فهي شرفٌ للنبي صلى الله عليه وسلم من حيث أنها معجزته ، وقيل سميت سُورة لأن من حفظها وعَلِمَها حصل لهُ شرف ، وقيل سُؤرة بالهمزة (٤) حكاه أبو عبيد عن بعض العرب ومعناه القِطعة من قولهم أسأرتُ في الإناء سُؤراً أي أبقيت منه فضلاً ولا يكون سُؤراً إلا بأن يُسأرَ فيه مكان فيه هذا القَدْرِ كالمنقطع منه وأنشد:

فبانت وقد أَسأرتْ في الفؤاد صَدْعاً على نأيها مستطيراً (٥)

قول العرب: عنده سُور من الإبل أي أقرامٌ كرام: الزاهر لابن الأنباري: ١ / ٧٥ و الجمهرة لابن دريد: ٢ / ٣٣٨ .وينظر في معنى السورة: جامع البيان للطبري: ١ / ١٠٣ و الزاهر لابن الأنباري: ١ / ٧٥ وتهذيب اللغة: ١٣ / ٤٨١ و البيان في عد آي القرآن للداني: صـ ١٢٥ و جمال القراء : ١ / ٣٩ و لسان العرب : مادة سور: ٦/ ٥٢ و البرهان: ١ / ٢٦٣ و الإتقان : ١ / ١٦٥ و غيرها كمقدمات عدد من التفاسير منها تفسير ابن عطية: ١/ ٥٦ وغيره.

(١) في النسخة (ل) : جميع.

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ١٠١

(٣) البيت لنابغة بني ذبيان : ديوانه: ص ٧٨ و مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١ / ٤ وتفسير الطبري: ١ / ١٠٣ والزاهر لابن الأنباري: ١ / ٧٥

(٤) و على هذا تكون قد خُفِّفتْ فأبدلت واواً لانضمام ما قبلها: البيان في عد آي القرآن للداني: صـ ١٢٥

(٥) البيت للأعشى: ديوانه: صـ ٩٣ و تفسير الطبري: ١ / ١٠٣

معنى الآية: (١) قيل الآية العلامة منه قوله تعالى ﴿أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَ﴾ [المائدة:١١٤] أي علامةً منك لإجابتك دعاءَنا، وإعطائك إيانا سؤلنا وعلامةً لنا نعرفُ بها الحقَّ ونطمئنُّ إليها، فكلُّ آية من الكتاب علامة ودلالة على المضمون فيها، وقيل هي علامة يُعلَم بها تمام ما قبلها وابتداؤها ، وقيل الآية الجماعة يقال خرج القوم بـآيتِهِمْ أي بجماعتهم، فالآية جمع حروف دالة على معنىً مخصوص ويُرجع في تعيينها إلى التوقيف لأنها شرعية وكان يجوز على هذا القول أن يسمَّى أقلَّ من الآية آية ولكنَّ التوقيف بها ورد كما هي الآن معدودة آيات ، وقيل الآية الرسالة و الإخبار وأنشد للنابغة الذبياني:

من مُبْلِغٍ عمرو بن هند آيةً ومن النصيحة كثرة الإنذار (٢)

أراد رسالة ، وقيل الآية العجب من قولهم فلان آية العلم و الجمال (٣) وقال الشاعر :

آيةٌ في الجَمالِ ليس لهُ في الحُسْنِ ثانٍ وماله من نظيرِ (٤)

فكل آية عجبٌ في نظمها والمعاني المودعة فيها.

معنى الكلمة: (١) وسُمّيت القِطْعَةُ من الآية كلمةً إذا أفادت شيئاً، وجمع الكلمة كَلِمات وكَلِمٌ وأهلُ اللغة قالوا:

---

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: صـ ٣٤ و جامع البيان للطبري: ١ / ١٠٤ و الزاهر لابن الأنباري : ١ / ٦٧ البيان للداني: ١٢٥ و تفسير البغوي ج:١ ص:١١٦ وجمال القراء:١ / ٤٠ و المحرر الوجيز: ١ / ٥٦ و لسان العرب: مادة أيا : ١٤ / ٦٢ وتفسير القرطبي: ١ / ٦٦ و البرهان للزركشي: ١/ ٢٦٦ وروح المعاني – الآلوسي:١ / ٢٤٠

(٢) ديوان النابغة الذبياني: ص١٦٨ و يروى بدل الإنذار: الإعذار أيضا.

(٣) الزاهر لابن الأنباري: ١ / ٧٧

(٤) لم أعثر عليه

أوَّل الكلمة حرفانِ أو حرفٌ جاء لمعنى، وذلك لإجماعهم على أن الكَلِم: اسمٌ و فعلٌ وحرفٌ جاء لمعنىً (٢) ثم يقال للدَّعوة كلمةٌ قال الله تعالى﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱلله مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم:٢٤].

ويقال للخطبة الواحدة و القصيدة الواحدة كلمة ثم يقال للوعيد والوعد و الجملة من الكلام أيضاً كلمة قال الله تعالى : ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقًا وَعَدۡلاً ﴾ [الأنعام:١١٥]. (٣)

معنى الحروف:(٤) ثم يقال لبعض الكلمة حرف وحرف الشيء طرفُه وحدُّه ومنه حدُّ الوادي وقيل هو الشِّقُّ والجانبُ ومنه قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٍ﴾ [الحج: ١١] وقيل سمي الحرف من الكلمة حرفاً لانحرافه عن مخرج إلى مخرج آخر في اللفظ وعن صورة إلى صورة أخرى (٦و) في الخط ، وقيل سميت بذلك تشبيهاً بحبل الجبل وغيره.

أسماء كُتُب الله ماعدا القرآن:

---

(١) البيان للداني: ١٢٦ و تفسير القرطبي: ١ / ٦٧

(٢) شرح جمل الزّجّاجي : ١ / ٢٠ و التصريح شرح التوضيح لخالد الأزهري: ١ / ٢٥

(٣) لسان العرب: (كلم): ١٢ / ٥٤٢ و التصريح شرح التوضيح لخالد الأزهري: ١ / ٢٥

(٤) البيان للداني: ١٢٦ و شرح جمل الزّجّاجي لابن عصفور: ١ / ١٧ وتفسير القرطبي: ١ / ٦٧ واللسان مادة (ح ر ف) و شرح قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) لابن هشام: البيت: ٢٠ : حرف أخوها أبوها من مهجَّنة الخ.

التوراة (١) جاء في التفسير أنها الضّياء والنُّور، وقيل هي مأخوذةٌ من أوريتُ الزَّند إذا قدحتَ منها النّار و اختلفوا في أصله كيفَ كانَ فقال البصريون: وَوْرَاةٌ ثم قلبت الواو الأولى تاء كما قالوا تِجاهٌ و وِجاهٌ (٢) ، و قال الكوفيون أصله تَوْرِيَةٌ على وزن تَفْعِلَةٌ إلا أن الياء قُلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، و قيل أصله تَورِيَةُ على وزن تَفعِلة بكسر الراء ثم فُتحت الراء وقلبت الياء ألفاً كما قالوا في جَارِيةٍ جَاراةٌ وفي نَاصية نَاصاةٌ وهذه لغة طيّ (٣).

وقيل هي مشتقّة من أوْرَيتهُ الشيء إذا أظهرتُهُ له ليبصِره، فتكون التوراة نورا مُستضَاءً به أخرجه الله من الّلوح المحفوظ فرأوا به ما احتاجوا إليه في أمر دينهم. ومن النّاس من قال إنه اسمٌ لكلام الله سبحانه وتعالى بالسِّريانية وهو غير مشتقٍّ و كذلك الإنجيل و الزَّبور (٤).

فإن قيل أفتقولون إنّ التوراة و الإنجيل و الزَّبور مخلوق قيل إن أردتَ به عين كلام الله فلا، وإن أردتم العبارة بلغة السّريانية و العِبرية على الوجه المسموع من أجلنا فنعم (١).

---

(١) كتبت في النسخة (ل) : التورية في جميع المواضع، و كأن ذلك على قراءة الإمالة التي سيأتي بيانها في موطنها من هذا التفسير.

(٢) فعلى هذا هو من ورِي يرِي ووزنه فوعَلةٌ و هو اختيار الفارسي لقلة وزن تفعلة في الأسماء و كثرة فوعلة كجوهر و حوصلة: ينظر: الزاهر: ١ / ٧٢ و معاني القرآن للزجاج: ١ / ٣٧٥ و الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمداني: ١ / ٥٣٨ و تفسير القرطبي:٤ / :٥ و شرح الشافية للرضي: ٣ / ٨١ و ٢٢٠ و البحر المحيط: ٢ / ٣٧ ولسان العرب: (وري) مع ما سيرد قريبا في تفسير معنى الإنجيل. وقد عاد المصنّف ففصل القول في اشتقاقها في أول سورة آل عمران: ورقة(١٦١).

(٣) في لغة طيِّء يقولون في التَّوْصِية تَوْصاةٌ وللجارية جاراةٌ وللناصِيةِ ناصاةٌ: لسان العرب ج ١٥ ص ٣٨٩

(٤) القول بأن التوراة و الإنجيل مشتقة فيه تكلُّفٌ- كما قال الزمخشري -لأن ذلك إنما يصحُّ بعد كونهما عربيين : الكشاف: ١ / ٤١٠ و الفريد للمنتجب الهمداني: ١ / ٥٣٩. و قد حكى الواحدي إنكار الاشتقاق فيها قبل الزمخشري عن جماعة لم يسمهم الوسيط: ١ / ٤٤٨. و هو الراجح.

الإنجيل هو: إفعيل من النَّجْل وهو الأصل فكأنه أصلُ العلوم و الحِكَم، وقيل هو من نَجَلَ الرَّجل إذا وَلَدَ كأنَّ الله سبحانه وتعالى وَلَّدَ هذا الكتاب يعني من اللوح المحفوظ بما أودع فيه من الحكم ، و يقال استنجلتَ الأرض إذا أمعنتَ في حفرها حتى تستنقِعَ ، و النَّجل المُستنقَعُ الواحدُ منها وجمعه مناجلٌ ونِجالٌ وعلى هذا فمعناه أنه مُستنقَعٌ للحكمة ومنبعٌ ، ويقال نَجَلتُ الشيء أظهرته واستخرجته فكأنَّ الله تعالى ظَهَرَ به (٢).

الزَّبور من زَبَرتُ أَزبُره و أَزبِرُهُ بمعنىً، زَبْراً إذا كتبته فيكون فعول بمعنى مفعول كحَلُوبٍ ورَكُوبٍ بمعنى محلُوب و مركُوب (٣). الصَحِيفة هي الكتاب يقال صَحفتُه و أصحفتُه إذا كتبته و قيل الصحيفة (٤) و السِّجل ما أُدْرِجَ من الكُتُب و أمكن فيه ذلك و جمع الصحيفة صُحُف قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۞ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى:١٧/ ١٨]

معنى إنْزال القرآن :

---

(١) كلام الله تعالى صفة من صفاته لا تقاس على شيء ،و قول ابن كلاب و الأشعري إنّ كلام الله تعالى معنى واحد قائم بذات الباري وهو الأمر والنهي والخبر، فإنْ عُبِّرَ عَنْهُ بِالعربية كان قرآناً، وإنْ عُبِّرَ عَنْهُ بِالعِبْرية كان تَوْرَاةً، وإِنْ عُبِّرَ عَنْهُ بِالسّرْيَانِيَّة كان إِنْجِيلاً، خلاف قول السلف فلا يلتفت إلى خلافهم فيه ينظر: الفتاوى: ٦/ ٦٢٩ ، و ٦٤٦ و درء تعارض العقل ٢/ ٢٧٢ وما تقدّم عند كلام المصنف على أسماء القرآن: صـ١٨٨ و ١٨٩ .

(٢) الزاهر: ١ / ٧٣ ومعاني القرآن للزجاج: ١ / ٣٧٥ و الوسيط للواحدي: ١ / ٤٤٧ و الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمداني: ١ / ٥٣٨ و زاد المسير لابن الجوزي :١ / ٣٤٩ وتفسير القرطبي:٤ / ٥: و البحر المحيط: ٢ / ٣٧ و اللسان: مادة (ن ج ل) .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة: ص٣٧ و الزاهر: ١ / ٧٤ وتفسير الطبري: ٦ / ٢٨ والمحرر الوجيز: ١ / ٥٢٥ و اللسان: ٢ / ١٩٥ و التاج و القاموس مادة (زبر).

(٤) وقع هنا في النسخة: ل: (هي الكتاب) خطأ وتنبه النّاسخ فوضع عليها شطبا.

اعلم أن كلام الله سبحانه و تعالى على الحقيقة منزَّلٌ و معناه أن جبريل عليه السلام سمعه في السماء ثم نزل إلى الأرض و أدَّى ما سمعه، ومنه قولهم نزلت رسالة الأمير من القصر، و لا يقتضي نزول الكلام انتقالا من عُلْوٍ إلى سفْل (١) لأن ذلك في صفة الكلام أصلاً مُحالٌ لكونه صفةً ثم في صفة كلام الله سبحانه أشد استحالة لكونه قديما (٢) ، وامتناع القديم من التغيرِ من صفة إلى صفة واستحال أن يباين الكلام المتكلِّم به إلا أنه يقال نزل الكلام بالمعنى الذي قلناه كما يقال لمن سمع كلاماً في مستو من الأرض و أدَّاه في مثله إنه نقل الكلام و الحديث من فلانٍ إلى فلانٍ (٣).

ويقال مَنزُولٌ به في معنى المُنزَل ويقال القرآن مُنزَّل لأن الله فَرَّقَ إنزاله فنزلت آية بعد آية وسورة بعد سورة في مدة طويلة ولا يقال للتوراة مُنزَّلة ويقال لها مُنزَلة لأنها نزلت من السماء دفعة واحدة.

---

(١) تكررت في النسخة (ل) : (إلى سفل) مرتين خطأً.

(٢) حد القديم: هو المتقدم في الوجود على غيره بشرط المبالغه. الحدود في الأصول لابن فُورَك ص ٨٣

(٣) إنكار المصنف لنزول كلام الله تعالى مبنيٌّ على مسألة كلامية عند الأشاعرة في قدم الكلام و هو خطأ غير مقبول ينظر: صـ٢٠٩ ، و كلام الله صفة من صفات الله تعالى و صفات الله تعالى لا تكييف فيها و لا تمثيل و لا ينبغي التكلّف عند الكلام فيها ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] .و قد ثبت بلا شك أنّ جبريل ينزل بكلام الله تعالى و يلقِّنه لنبينا صلى الله عليه و سلّم كما قد ذكره المصنف رحمه الله، و ما وراء ذلك من التدقيق الذي لم يرد عن النبي صلى الله عليه و سلّم و لا صحابته و لا التابعين و أتباعهم بإحسان لا ينبغي الدخول فيه. و شيخ المصنف- الذي يعتمد عليه كثيراً في علم الكلام أبو بكر بن فُورك أحد كبار أئمة الأشعرية -يقول : (أفتقولون لكلام الله مسموعٌ مفهوم؟ قيل له: نعم، و كذلك نقول إنه مكتوبٌ محفوظ، و مقروء على الحقيقة بقراءة تُوجَدُ في القارئ، وبكتابة توجد في الكتاب...) الخ عن المعيار المعرب: للونشريسي: ١٢/ ١٥٢ . والتطويل في مثل هذا لا يصلح في كتب التفسير.

وجاء في بعض الرّوايات أنّ القرآن نزلَ مرّة واحدةٍ إلى سماء الدنيا ثم كان جبريل يأتي به على التفصيل على ما كان يُؤمر به في مدّة حياة الرّسول صلى الله عليه وسلم (١) ، وقيل كان ينزِل كلُّ سنة قَدر َما عَلِمَ الله إنزاله في السنة (٢) ، وقيل كان يخلق الله سبحانه لجبريل أسماعاً لعين كلامه القديم يخلق في قلبه ولسانه هذا النظم المخصوص، وقيل يحتمل أن يكون خَلَق هذه العبارة في محلٍّ ثم أسمعها جبريل حتى حفظها وأداها إذا سمعها على لسان ملك آخر أو كان يخلق في قلبه ابتداءً فهماً لذلك من غير أن يسمع أو كان يقرأ من اللوح المحفوظ بإذن الله (٣).

---

(١) أخرج الطبري: ٢ / ١٤٤ و ٣ / ١٨٨ و ١٩١ والحاكم(٢ / ٥٧٨) و البيهقي: ٦ / ٥١٩ وغيرهما من طريق سعيد بن جبير عن ابن عبَّاس قال: (أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسول الله صلى الله عليه و سلّم بعضه في أثر بعض). و سنده صحيح وصححه السيوطي : الإتقان : ١ / ١٣٠ و قد وردت بمعناه آثار عن ابن عبَّاس من طريق عكرمة وسعيد بن جبير و من كلام سعيد بن جبير و السدي و غيرهم رواها الطبري و غيره و ذكرها جملة منها السيوطي في الإتقان وقال كلها صحيحة. و ينظر: المصنف لابن أبي شيبة: ١٠/ ٥٣٣ و النسائي في الكبرى: (٧٩٩١) ومعجم الطبراني: ١٢٣٨١ و ١٢٣٨٢وتفسير الطبري: ٢ / ١٤٤ –١٤٥ و ١٥ / ١٧٨ و ٢٧ / ٢٠٣و تفسير ابن أبي حاتم : ٨ / ٢٦٨٩ و مسند الربيع بن حبيب: ١ / ٢٨ و الإيمان لابن منده: ٢ / ٧٠٤ – ٧٠٥ و التمهيد لابن عبد البر: ١٧ / ٥١ و فتح الباري: ٩ / ٤ .

(٢) هذا هو القول الثاني في كيفية نزول القرآن،و هو أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل السنة ثم نزل بعد ذلك منجَّماً (مفرّقا) في جميع السنة. و القول الأول أنه نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا هو الصحيح المعتمد كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ٩ / ٤ قلت:و لأنه ثابت عن الصحابي الجليل ابن عبَّاس رضي الله عنه من و جوه. قال الزركشي: (والقول الأول أشهر وأصح وإليه ذهب الأكثرون)اهـ. البرهان: ١ / ٢٢٨ والقول الثالث: أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات وبه قال الشعبي: تفسير الطبري: ٢ / ١٤٥ . وينظر: جمال القراء: ١ / ٢٠ والبرهان: ١ / ٢٢٨ والإتقان: ١ / ١٣١

(٣) تقدّم قبل قليل التنبيه على مذهب السلف في مثل هذا و قد قال الزركشي: (اعلم أنه اتفق أهل السنة على أن كلام الله منزَّل واختلفوا في معنى الإنزال فقيل معناه إظهار القرآن وقيل إن الله أفهم كلامه جبريل

وروت عائشة رضي الله تعالى عنها: أنّ الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي فقال: (أحياناً يأتيني في مثل صَلصَلة (١) الجرس وهو أشد علي فيفـصِمُ عني وقد وعيتُ وأحياناً يتمثَّل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي) (٢).

وفُرّق نزول القرآن تشريفاً للنبي صلى الله عليه وسلم ليدوم إليه اختلافُ جبريل عليه السلام.

ترتيب النزول (٣):

وهو في السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته ثم جبريل أداه في الأرض وهو يهبط في المكان)اهـ البرهان في علوم القرآن – الزركشي ١/ ٢٢٩ قلتُ: و إذا ثبت أنه منزل و آمنا بذلك و آمنا أنه كلام الله حقا فنسكت عما وراء ذلك اتباعا و اقتداء بالصحابة و التابعين وتابعيهم بإحسان فليس هذا مما كلّف الله العباد أن يبحثوه.

(١) الصَّلْصَلة : صَوتُ الحَدِيد إذا حُرِّك يقال صَلَّ الحديدُ (النهاية : ٣/ ٤٦) و ومختار الصحاح ج ١ / ١٥٤ ويقال صَلّ اللجام إذا توهمت في صوته حكاية صوت صَلْ فإن توهمت ترجيعا قلت صَلْصَلَ و تَصَلْصلَ الحلي صوَّت: لسان العرب : ١١ / ٣٨٢).

(٢) متفق عليه: أخرجه مالك في موطأه : باب ما جاء في القرآن : ١ / ٢٠٢والبخاري في بدأ الوحي باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلّم رقم (٢) و مسلم في الفضائل باب : طيب عرق النبي صلى الله عليه و سلّم في البرد و حين يأتيه الوحي رقم: ٢٣٣٣ وينظر: شرح ابن بطال لصحيح البخاري: ١ / ٣٣ وفتح الباري: ١/ ٣٠ وتفسير ابن كثير: ٤ / ١٠٧

(٣) ينظر: الفهرست لابن النديم: ص٣٧ والبيان للدَّاني وفيه رواية جابر بن زيد التابعي و هي كما هنا مع اختلاف يسيرصـ ١٣٥– ١٣٦ وفضائل القرآن لابن الضُّريس صـ٧٣ رواية عطاء الخراساني عن ابن عبَّاس، و رسالة الإمام أبي القاسم بن حبيب (ت: ٤٠٦هـ)، (التنزيل و ترتيبه) المطبوعة في مجلة المورد العراقية باسم: التنبيه على فضل علوم القرآن: ١٧ / صـ ٣٠٧ –٣٠٨و جمال القراء: ١ / ٧ –٩ والنّاسخ

أولُ ما نزل بمكّة من القرآن بلا اختلاف: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ثم ﴿ نْ وَالْقَلَمِ ﴾ ثم ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ ثم ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ثم ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ ثم ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ثم ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ثم ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ ثم ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ ثم ﴿ وَالضُّحَى﴾ ثـم ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ ثم ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ ثم ﴿وَالْعَادِيَات﴾ ثم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَـاكَ ﴾ ثـم ﴿ أَلْهَـاكُمُ ﴾ ثـم ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي ﴾ ثم ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ثم سورة ﴿ الْفِيل﴾ ثم ﴿ الْفَلَق﴾ ثم ﴿ قُـلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس ﴾ ثم ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد﴾ثم ﴿ وَالنَّجْم ﴾ إلى قوله ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴾ ثم ﴿ (عَبَسَ وَتَـوَلَّى ﴾ ثـم﴿ إِنَّـا أَنْزَلْنَـاهُ فِي لَيْلَـةِ الْقَـدْرِ﴾ ثـم ﴿ وَالـشَّمْسِ وَضُـحَاهَا ﴾ ثـم ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوج ﴾ ثم ﴿ وَالتِّين ﴾ ثم ﴿ لِإِيلافِ قُرَيْش ﴾ ثم ﴿ الْقَارِعَـة﴾ ثـم ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَة ﴾ ثم ﴿ الهمزة ﴾ ثم ﴿ وَالْمُرْسَلات ﴾ ثم ﴿ ق ﴾ ثم ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَـذَا الْبَلَـدِ ﴾ ثم ﴿ وَالطَّارِق﴾ ثم﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ ثم ﴿ص ﴾ ثم ﴿ الْأَعْرَاف ﴾ ثم ﴿ الْجِن ﴾ ثـم ﴿ يس﴾ ثم ﴿ الْفُرْقَان ﴾ ثم ﴿ الْمَلائِكَة ﴾ (١) ثم ﴿ مَرْيَم ﴾ ثم ﴿ طه ﴾ ثم ﴿ الْوَاقِعَـة ﴾ ثم ﴿ الشعراء ﴾ ثم ﴿ النَّمْل ﴾ ثم ﴿ الْقَصَصُ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُـرْآنَ ﴾ الآية فإنها نزلت بالجحفة ثم ﴿ بَنِي إِسْرائيل ﴾ (٢) غير قوله : ﴿ وَإِنْ كَـادُوا لَيَـسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْض﴾ وقوله : ﴿ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ ثم ﴿ يُونُس ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ ثم ﴿ هُود ﴾ ثم﴿ يُوسُف﴾ ثم ﴿ الحجر ﴾ ثم ﴿ الْأَنْعَـام ﴾ إلا قولـه: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَّ حَقَّ قَـدْرِهِ ﴾[الأنعـام: آيـة:٩١] نزلـت في مالـك بـن الـصيف اليهـودي (٣)ثـم ﴿والصافات﴾ ثم ﴿ لُقْمَانَ ﴾ ثم ﴿ سَبَأ ﴾ ثم ﴿ الزمر﴾ غير قوله : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّـذِينَ أَسْرَفُـوا

و المنسوخ لمرعي الكرمي الحنبلي: ١ / ٢٢٩و البرهـان: ١ / ١٩٤ و فـتح البـاري: ٩ / ٤١ والإتقـان في النوع الأول : ١ / ٢٥ -٣٤ و ٥١ و بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي: ١/ ٩٩

(١) و هي فاطر.

(٢) و هي الإسراء.

(٣) هذا قول سعيد بن جبـ : تفسـ الطـ ي: ٧/ ٢٦٧، و تفسـ ابن أ حا : (٧٥٩٧) وأسباب الـ ول للواحدي: صـ ٣٧٥ و الدر: ٣/ ٣١٤

﴾ [٧و] ثم ﴿حم﴾ المؤمن (١) ، ثم ﴿حم﴾ السجدة ، ثم ﴿حم عسق﴾ ، ثم ﴿ زخرف ﴾ ، ثم ﴿ دخان﴾ ثم ﴿ الجاثية﴾ ثم ﴿الأحقاف﴾ إلى قوله ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ ﴾ ثم ﴿و الذاريات﴾ ثم ﴿الغاشية﴾ ثم ﴿الكهف﴾ غير قوله ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ ثم ﴿النحل ﴾ غير قوله ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ ﴾ ثم ﴿ نوح ﴾ ثم﴿ إبراهيم﴾ ثم ﴿ الأنبياء﴾ ثم ﴿المؤمنون﴾ ثم ﴿ الم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ﴾ ثم ﴿ والطور﴾ ثم ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ ثم ﴿ الحاقه﴾ ثم ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ ثم ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ثم ﴿ والنازعة﴾ ثم ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ ثم ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ ثم ﴿ الروم ﴾ فهذه خمس وثمانون سوره.

اختلفوا في آخر ما نزل بمكة:

قال ابن عبَّاس (٢): ﴿العنكبوت﴾ ، وقال الضحاك (٣)وعطاء (٤): ﴿المؤمنون﴾، وقال مجاهد :

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ (٥). فأول ما نزل بالمدينة﴿البقرة﴾ ثم ﴿ الأنفال ﴾ إلا قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ ﴾ ثم ﴿آل عمران ﴾ ثم ﴿ الأحزاب ﴾ ثم ﴿ الممتحنة﴾ ثم ﴿ النساء﴾ ثم﴿ إذا زلزلت﴾ ثم ﴿الحديد﴾ ثم سورة ﴿محمد﴾ ثم ﴿ الرعد﴾ ثم ﴿الرحمن ﴾ ثم ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ ثم ﴿الطلاق﴾ ثم ﴿لم يكن﴾ ثم ﴿ الحشر﴾ ثم ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ ﴾ ثم ﴿الحج﴾ غير قوله ﴿ وَمَا

(١) وتسمى أيضا غافر.

(٢) (التنزيل و ترتيبه) المطبوعة في مجلة المورد العراقية باسم: التنبيه على فضل علوم القرآن للإمام أبي القاسم بن حبيب (ت: ٤٠٦هـ): ١٧ / ٣٠٨ و ما سيأ .

(٣) ا صدر السابق.

(٤)التنبيه على فضل علوم القرآن لا بن حبيب مجلة المورد العراقية: ١٧ / ٣٠٨

(٥)التنبيه على فضل علوم القرآن للإمام أبي القاسم بن حبيب (ت: ٤٠٦هـ) مجلة المورد العراقية: ١٧ / ٣٠٨ وزاد المسير: ٩ / ٥١ والبرهان: ١ / ١٩٤ و الإتقان: ١ / ٨٩ و الدر المنثور: ٨ / ٤٤١ ، و النّاسخ و المنسوخ لمرعي الكرمي: ١ / ٢٢٨ وفتح القدير للشوكاني : ٥ / ٣٩٧

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ﴾ إلى قوله ﴿ عَقِيم ﴾ ثـم ﴿المنـافقون﴾غير قولـه ﴿ لَـئِنْ رَجَعْنَـا إِلَى الْمَدِينَة ﴾ ثم ﴿ المجادلة﴾ ثم ﴿ الحجرات﴾ ثم ﴿لم تحرم ﴾ ثـم ﴿الـصف ﴾ ثـم ﴿ الجمعـة﴾ ثـم ﴿التغابن ﴾ ثم ﴿ الفتح ﴾ ثم ﴿ التوبة﴾ ثم﴿ المائدة﴾، ومنهم من يقدِّم المائدة على التوبة. (١)

وقرأها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم حجة الوداع وقال :

(يا أيها النّاس إنّ آخر القرآن نزولاً سورة المائدة فأحلُّوا حلالها وحرِّموا حَرامَها) (٢).

واختلفوا في ﴿ويلٌ للمطففين﴾ فقال ابن عبَّاس: هي مدنيه (٣) ، وقال عطاء هـي آخـرِ مـا نزل بمكة (٤) ، وقال قتادة (٥) : سورة ﴿ الْمُزَّمِّل﴾ مدنية، وقال البـاقون هـي مكيـه(١) .

---

(١) ينظر المصادر المذكورة قريباً في أول ما نزل من القرآن .

(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن: (صـ٢٣٩) من طريق أبي اليمان عن أبي بكر بن أبي مريم عن ضـمرة ابن حبيب و عطية بن قيس به. وليس فيه ذكر لحجّة الوداع. والدر المنثور: ٢ / ٢٥٢ و هو مرسلٌ وسنده ضعيف ففي سنده أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الشامي: (ت: ١٥٦) ضعيف الحديث، و قد قال فيه أبو زرعة الرازي: (ضعيفٌ منكـر الحـديث)اهــ : الجـرح و التعـديل: ٢/ (الترجمـة: ١٥٩٠) وتهذيب الكمال: ٣٣ / ١٠٨ .

وقد و قع في المطبوع من فضائل القرآن خطأ ففيه: ضمرة بن حبيب عن عطية بن قـيس. و صـححته مـن الدر المنثور: ٢ / ٢٥٢ ،و من ترجمة رجال السند. قال الزيلعي لم أجده مرفوعا: و إنما وجدته موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص و على عائشة ، ثم خرّجها من الترمـذي و مـستدرك الحـاكم بلفـظ:إن آخـر سورة نزلت سورة المائدة.: تخريج الأحاديث و الآثار الواقعة في تفسير الكشاف:١ / ٣٧٧ . وقد عثـرتُ على الرواية المرفوعة من طريق أبي عبيد في فضائل القرآن مرسلةً .

(٣)التنبيه على فضل علوم القرآن للإمام أبي القاسم بن حبيب : ضـمن مجلـة المـورد العراقيـة: ١٧ / ٣٠٨ وعزاه السيوطي لابن النحاس و ابن مردويه: الدر المنثور: ٦ / ٣٢٣

(٤)التنبيه على فضل علوم القرآن لـ: ابن حبيب : مجلة المورد العراقية: ١٧ / ٣٠٨ ويـروى هـذا عـن ابـن عبَّـاس أيـضا: زاد المـسير: ٩ / ٥١ و المحـرر الـوجيز: ١٦ / ٢٤٩ و الجـامع للقرطبـي: ١٩ / ٢٥٠ والإتقان: ١ / ٣٩ و محاسن التأويل للقاسمي: ١٧ / ٦٠٩١

(٥)التنبيه على فضل علوم القرآن لأبي القاسم بن حبيب : ضمن مجلة المورد العراقية: ١٧ / ٣٠٨ .

فهذه تسع وعشرون سوره. و أكثرهم على أنّ فاتحة الكتاب نَزَلتْ بمكة وأنّها من أوائل ما نَزَلَ إلا مجاهداً وغيره قالوا إنها نزلت بالمدينة. (٢)

وما في القرآن: (يا أيها النّاس) و (يا بني آدم) نزل بمكة، وما في القرآن : (يا أيها الذين آمنوا) نزل بالمدينة (٣) ، روى هشام بن عروة عن أبيه : (أنّ ما كان من هلاك الأُمم والقرون و الأمثال نَزَلت بمكة وما كان في الحروب و السّير نَزَلت بالمدينة) (١).

---

(١) الصحيح أن المزمّل مكية، وذكر الدّاني أن ابن عبَّاس و عطاء استثنيا آية من آخرها و هي ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ ﴾ [المزمل:٢٠] إلى آخر السورة وقالوا إنّها نزلت بالمدينة. ينظر: البيان للداني: ص٢٥٧ و الكشف و البيان (تفسير الثعلبي) : ١٠ / ٥٨ و فيه استثناء الآية المذكورة قبل قليل و لم يعز ذلك لأحد و الجامع للقرطبي: ١٩ / ٣١ و فتح الباري: ٣ / ٢٢ و قال ابن الجوزي: (هي مكية كلها بإجماع إلا أنه قد روي عن ابن عبَّاس أنه قال : سوى آيتين منها قوله تعالى :﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ [المزمل:١٠] والتي بعدها وقال ابن يسار فيها آية مدنية ، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ ﴾[المزمل:٢٠])اهـ. زاد المسير: ٨ / ٣٨٧

(٢) الأكثرون على أن الفاتحة مكية، و قد عَزَى الإمام الداني القول بأنها مدنية إلى: أبي هريرة و مجاهد و عطاء بن يسار . البيان للداني: ص ١٣٩ و تفسير الثعلبي: ١ / ٩٠ ، و الراجح أنها مكيةٌ وممن قال إنها مكية ابن عبَّاس و قتادة و أبي العالية: تفسير الثعلبي: ١ / ٨٩ والبيان: ١٣٩ و المحرر الوجيز : ١ / ٦٥ و الجامع للقرطبي : ١ / ١١٥ والإتقان: ١ / ٣٤. و ممن رجّح أنها مكية الحسين بن الفضل البَجَلي وجعل قول مجاهد إنها مدنية هفوةً منه منكَرَة قال: و العلماء على خلافه: (تفسير الثعلبي: ١ / ٩٠ و أسباب النزول للواحدي : صـ ١١٨) و رجحه أيضا ابن عطية و القرطبي، و يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾ [الحجر:٨٧] و الحجر مكّيَّة بإجماع ،و لأن فرض الصلاة كان بمكة و لم يحفظ أنّ صلاة كانت في الإسلام بغير سورة الحمد.

(٣) رُوي هذا عن جماعة من السلف و اعترض عليه الزركشي: ١ / ١٨٩ و الذي يظهر أنّ ذلك حكم أغلبيّ.

ذكر كيفية جمع القرآن :

إنّ الله تعالى أنزل كتابه على رسوله صلى الله عليه وسلم وضَمِنَ حفظَهُ على أمّته فقال ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة:١٧] الآية فكان الرّسول صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه آيةٌ أو سورة قرأها على الصحابة، وكان يأمر بكتابتها. ومن المقطوع به أنَّ له كتبةً مُعَدُّون فكان إذا أتمَّ سورةً يخبرُهم بذلك وما كان يكتم شيئاً مما يُوحَى إليه في حَضَرٍ ولا سفرٍ ولا سِرٍّ ولا علانية كان يحثّهم على حفظ القرآن وتعلمه و تعليمه في قوله صلى الله عليه وسلم (خيرُكم مَنْ تعلَّم القرآن وعلَّمَهُ) (٣) وغير ذلك.

فأول جمعٍ للقرآن ما جَمَعَ الله سبحانه لنبيِّه صلى الله عليه وسلم ثم كانت الأُمّة تتعلَّم ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال عليه السلام : (من أراد أن يسمعَ القرآن غضّاً طريّاً فليقرأ بقراءة ابن أمِّ عَبْد). (٤) يعني ابن مسعود.

---

(١) رواه أبو عبيد بنحوه: فضائل القرآن: ص٣٦٧ و ينظر: البرهان: ١/ ١٨٩ و الإتقان: ١/ ٤٧

(٢) الحجر آية ٩.

(٣) أخرجه البخاري: في فضائل القرآن (٩ / ٦٦ ، ٦٧) و الترمذي في ثواب القرآن :(٢٩٠٩ و ٢٩١٠) و أبوداود في الصلاة(١٤٥٢)و أبو عبيد في فضائل القرآن: ص ٤٣ و الدارمي: (٣٣٨١) والفريابي في فضائل القرآن: (برقم ١٠).

(٤) رواه عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلّم و سنده صحيح: أخرجه أحمد : (٤ / ٢٧٨ – ٢٧٩) و أبو عبيد في فضائل القرآن صـ ٣٧١ و ابن عساكر من طرق في تاريخ دمشق في ترجمة عبد الله بن مسعود(٣٩/ ١٠ و ١١ و ٤٧ و ٤٩ و غيرها). وله طرق يطول ذكرها. و ينظر : سير أعلام النبلاء : (١ / ٤٨١ و ٥٠٠).

وروي عن عبد الله بن عمرو: أنه أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنْ يقرأ القرآن في أربعين فاستزادهُ حتى بلَغ إلى سبعةِ أيام). (١) فلولا أنّ عبد الله بن عمرو كان يحفظُ القرآن وإلا لم يكن لأمرِهِ بذلك معنىً.

وعن الشعبي أنه قال: لم يجمعِ القرآن على عهدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ستة من الأنصار(٢).

وروى شعبة عن قتادة عن أنس قال:(قرأ القرآنَ على عهد رسول الله ﷺ من الأنصار أُبيّ بن كعب و معاذ بن جبل وأبو زيدٍ قال: قلتُ ومن أبو زيد قال: أحدُ عُمومتي) (٣).

ثم لما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه القرآن بين الدّفَّتينِ.

وذلك ما رُوي عن زيد بن ثابت قال: (أرسل إليَّ أبو بكر رضي الله عنه مقتلَ أهلِ اليمامة فأتيتُهُ وعنده عمرُ بن الخطّاب فقال أبو بكر :إنَّ عمر أتاني وقال:إنَّ القتل قد استحرَّ (١) يوم

---

(١) الحديث ورد من طرق عن عبد الله بن عمرو، وأصله في الصحيح وفي ألفاظه اختلافٌ و اللفظ الذي ذكر ه المصنِّف أخرجه أبوداود عن سماك بنِ الفضل عن وهب بن منبِّه عن عبد الله بن عمرو أنه سأل النبي صلى الله عليه و سلّم في كم يقرأ القرآن قال:(في أربعين يوما ثم قال في شهر ثم قال في عشرين ثم قال في خمس عشرة ثم قال في عشر ثم قال في سبع لم ينزل من سبع سنين) .سنن أبي داود : باب تحزيب القرآن(١٣٩٠)، و رواه الترمذي مختصرا: (تحفة الأحوذي ٤ / ٦٤) ، وقال: (هذا حديث حسن غريب وقد روى بعضهم عن معمر عن سماك بن الفضل عن وهب بن منبه: أن النبي صلى الله عليه وسلّم أمر عبد الله بن عمرو أن يقرأ القرآن في أربعين)اهـ ويَنظر: صحيح ابن حبان: ٧٥٦ و سنن الدارمي: (٣٥٢ و ٣٥٣٠).

(٢) ينظر: فتح الباري: ٩ / ٥١

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن : باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلّم (ح ٥٠٠٣) و مسلم : في فضائل الصحابة: باب فضائل أبيّ (ح ٦٢٩٠ ، ٦٢٩١) ١٥/ ٢٣٧ .

اليمامة بقُرّاء القرآن وإني أرى أنْ تأمُرَ بجَمعِ القرآنِ قال فقلتُ: كيف أفعل شيئاً لم يفعلهُ رسولُ الله ﷺ فقال عمر: هو والله خيرٌ فلم يزَلَ يُراجِعُني حتى شَرَحَ الله صدري للذي شَرَحَ له صدرَ عمر. قال :إنك غلام شابٌّ عاقلٌ لا نتّهمك قد كنتَ تكتبُ الوحي لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم فتتبَّعِ القرآن فاجمعْهُ قال : فقلتُ كيف تفعلانِ شيئاً لم يفعَلْهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكرٍ: هو والله خيرٌ فلم يَزَلْ يُراجِعُني حتى شَرَحَ الله صَدري للذي شرحَ له صدْرَ أبي بكْرٍ (٢) وعُمر. والله لو كلَّفاني نقلَ جبلٍ من الجبال ما كان أثقل عليَّ من الذي كلَّفاني ، قال فتتبَّعْتُ القرآن أجمَعُهُ من العُسُبِ (٣) والرِّقاع و صدور الرّجال قال: فكتبتُهُ فكانت الصُّحف عند أبي بكر حياتَهُ وعند عمرَ حياتَهُ ثم عندَ حفصةَ بنتِ عُمر) (٤) .

ثم الجمعُ الثالثُ: جمعُ عثمانَ أميرِ المؤمنين رضي الله تعالى عنه، وذلك أنه قُتِل جماعة من الصحابة من حفّاظ القرآن وتَدَاعَى النّاس القرآنَ فقال عليّ يا أميرَ المؤمنين: أَدرِك هذه الأُمّة قبل أن يختلفوا في الكتابِ كما اختلفتْ اليهودُ و النّصارى.

---

(١) قوْله : (قَدْ اِسْتَحَرَّ) : بِسِينٍ مُهْمَلَة سَاكِنَة وَمُثَنَّاة مَفْتُوحَة بَعْدهَا حَاء مُهْمَلَة مَفْتُوحَة ثُمَّ رَاء ثَقِيلَة ، أَيْ اِشْتَدَّ وَكَثُرَ ، وَهُوَ اِسْتَفْعَلَ مِنْ الْحَرّ لِأَنَّ الْمَكْرُوه غَالِبًا يُضَاف إِلَى الْحَرّ ، كَمَا أَنَّ الْمَحْبُوب يُضَاف إِلَى الْبَرْد يَقُولُونَ : أَسْخَنَ اللهُ عَيْنه وَأَقَرَّ عَيْنه. : أعلام الحديث شرح صحيح البخاري للخطابي : ٢ / ١٨٥١ وفتح الباري : ٩/ ١٠

(٢) في النسخة (ل) : أبو بكر.

(٣) العُسُب جمع عسيب ، جَمْع عَسِيب وَهُوَ جَرِيد النَّخْل ، كَانُوا يَكْشِطُونَ الْخُوص وَيَكْتُبُونَ فِي الطَّرَف الْعَرِيض . وَقِيلَ الْعَسِيب طَرَف الْجَرِيدَة الْعَرِيض الَّذِي لَمْ يَنْبُت عَلَيْهِ الْخُوص ، وَالَّذِي يَنْبُت عَلَيْهِ الْخُوص هُوَ السَّعَف : شرح ابن بطال على البخاري : ١٠ / ٢٢٠ والنهاية : ٢ / ٢٣٤ ولسان العرب:٥ / ٣٨٨ وفتح الباري ٩/ ١١

(٤) صحيح البخاري في مواضع منها ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن فتح الباري : ٩/ ١٠ و ١ / ٤٠٤ والترمذي و قال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ: أبواب تفسير القرآن ، ٤ / ٣٤٦ و ٣٤٧ والسنن الكبرى للنسائي بر قم : (٧٩٩٥) وأحمد: المسند : ١ / ١٣ و أبو عبيد في فضائل القرآن : ص ٢١٤وابن أبي داوود في المصاحف : ١ / ١٥٨ رقم (٢٤ و ٢٥)

فأرسلَ عثمانُ إلى حفصة وقال: أرسلي إلينا بالصُّحُف ننسخُها في المصاحف ثـم نردُّهـا إليـكِ فأرسلتْ الصُّحف إليه فأمر زيداً وعبد الله بن الزبير وسعيدَ بن العاصِ وعبدَ الرحمن (١) بـن الحارث بنِ هشامٍ أن ينسخُوا الصُّحُف في المصاحف فإن اختلفـوا في شيء مـن القـرآن كتبـوه بلسان قريش فإنّ القرآن نزلَ بلسانهم ففعلوا ذلك. فردَّ عثمان الصحف إلى حفصةَ واتخـذ منـه أربع مصاحفَ هي الأئمة أحدُها: لليمن، والثاني للشّام، والثالثُ للعراق، والرابع لخراسان. و أَمر بإحراق ما سواها من المصاحف وكتَبَ بذلك إلى البلاد يأمرُهُم بمحوِ ما سـواها). (٢) وحصل عليه الإجماع.

و فيما ذكرنا دلالة على انتساخ هذه المصاحف مما اتفق عليه أهل العـصر و جميـع الـصحابة في زمان أبي بكر رضي الله عنه حيثُ أجمعوا أنّ ما بين الدّفتينِ قرآنٌ وقيل كان مصحف أبيّ و ابـنِ مسعود مستوراً في وقته كما هو الآن لا يُعمل بهما.

فإن قيل كيف يكون الاعتمادُ على هذه المـصاحف، و الـصحابةُ قـد اختلفـوا كـاختلاف ابـن مسعود وأُبَيّ و عثمان ؟ .

قيل: إنّ الاختلاف فيه في مواضع معدودةٍ، و لكـلٍّ وجـهٌ فيوجـد معنـاه في تأويـل قولـه ﷺ ((أنزل القرآن على سبعة أحرف)) و سنبين معناه -إن شاء الله- فيما بعدُ.

و مثال الاختلاف بين مصحف ابن مـسعود و عـثمان مـا رُوي أن { في } (٣) مـصحف ابـن مسعود: (إن شجرة الزقُّوم طعام الفاجر) (١).

---

(١) كتبت خطأً في الأصل : عبد الله ثم صححها النّاسخ عبد الرحمن.

(٢) ينظر:صحيح البخاري في مواضع منها ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القـرآن ، : ٩ / ١١ و سـنن الترمذي : أبواب تفسير القرآن : ٤ / ٣٤٧ – ٣٤٨ و ابن حبان في صحيحه : الإحسان : ٧ / ١٨ و أحمد : ٢٠٦٥٣ و وابـن أبي داوود في المـصاحف : ١ / ١٩٦ و ينظـر: فـضائل القـرآن لأبي عبيـد: ٢٨٠ والانتصار للقاضي أبي بكر بن البـاقلاني : ١ / ٤٣ و ٥٦ و المرشـد الـوجيز لأبي شـامة: ص٣٨ و جمـال القراء : ١ / ٨٦ و فتح الباري : ٩ / ١٤

(٣) سقطت من النسخة (ل) .

و هذا يجوز أن يكون روايةً فيه عن النبي قد سمعها ابن مسعود، و الذي في الإمام أيضا قرآنٌ.

وقيل إنّ رجلا كان يقرأ عند ابن مسعود (الأتيم) بالتاء بنقطتين قال ابن مسعود الأثيم بالثاء فلم يفهم فقال ابن مسعود: طعام الفاجر ليفهم القارئ أنه بالثاء. (٢)

فإن قيل أليس قد روي أن ابن مسعود كان يمحو المعوذتين من المصحف (٣) قيل ذلك محمول منه على أنهما كانتا عنده من القرآن الذي نُسِخَ رسمه و بقي حكمُهُ كآية الرجم ثم كان قولُ الجمهور أصحّ. و أما أُبيّ فكان في مصحفه: (اللهم اهدنا فيمن هديت) سورةً و (اللهم إنا نستعينك) سورةً و كان يسمّيه الخَلْع و الحُفُود (٤) وهذا إن صح منه فمحمولٌ على أنه كان من القرآن فنسخ رسمه و ذهب على أُبَيٍّ ذلك.

---

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد: ص ٣١٢ عن: عون بن عبد الله أن ابن مسعود أقرأ رجلا: ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ﴾ فقال الرجل طعام اليتيم فرددها عليه فلم يستقم بها لسانه فقال: أتستطيع أن تقول طعام الفاجر قال نعم قال فافعل). و الدر المنثور: ٧ / ٤١٨ و أخرج الطبري ٢١ / ٥٤ و الحاكم : ٢ / ٤٨٩ نحوه عن أبي الدرداء بسند صحيح. وينظر: التمهيد: ٨ / ٢٩٢

(٢) ينظر الحاشية السابقة.

(٣) قال ابن سيرين : كتب أبي بن كعب في مصحفه فاتحة الكتاب و المعوذتين و تركهن ابن مسعود (فضائل القرآن لأبي عبيد(ص ٣١٨). وصحَّ عنه حكُّ المعوذتين من المصحف لكن أجاب الأئمة عنه، قال السيوطي: (أخرج أحمد والبزار والطبراني وابن مردويه من طرق صحيحة عن ابن مسعود أنه كان يحك المعوذتين من المصحف) . وقال البزار :لم يتابع ابن مسعود أحد من الصحابة وقد صح عن النبي صلى الله عليه و سلّم أنه قرأ بهما في الصلاة وأثبتتا في المصحف)اهـ: الدر المنثور – السيوطي ٨/ ٦٨٣ قلت: و قد خالفه جمهور الصحابة فأثبتوها قرآناً عن علمٍ و معرفة و تلقٍّ و أجمعت الأمة على ذلك كما أشار الأئمة إلى معنى ذلك وينظر: الانتصار للقاضي أبي بكر بن الباقلاني : ١ / ٢٦٧، ٢٧٤ و قواطع الأدلة للسمعاني: ١/ ٤١٥ و فتح الباري: ٨/ ٦١٥ و تفسير ابن كثير: ٤ / ٥٧٢ و الإتقان: ١ / ٢١٣.

(٤) رواهما أبو عبيد : صـ ٣١٨ – ٣١٩ و ابن الضريس في فضائل القرآن: ١٥٧ بسند صحيح عن ابن سيرين قال أبو عبيد: حدثنا اسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن ابن سيرين و بسند آخر صحيح عن

و كان أُبيّ -فيما قيل- لا يكتب فاتحة الكتاب في مصحفه، فإن صحَ عنه ذلك فيحتمل أنه اعتقد أن الكتابة لما يُخَاف دُرُوسَه و هذه السورة لكثرة تكرُّرِ قراءتها في الصلاة لا يخاف عليها الدُّروس فلذلك لم تكتب في مصحفه (١).

و لقد بلغَ من حفظ الصحابة للقرآن وشدة عنايتهم بِهِ أن يَفصِلوا بين مكيه و مدنيه و محكمه ومتشابهه و مجمله و مفسَّره و أحكامه وقصصه، و أمثاله وخاصه وعامه و مقدَّمِهِ، و مؤَخَّرِهِ، وحروفه حتى حفظوا الإمالة و التفخيم في حروفه و الإشمام، و غير ذلك مما يدلُّ و يُوجب الاعتماد على ذلك، [ويوجب] (٢) القطعَ بأنه الذي أُنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، وتَحدّى به الخلائق.

ثم هو في نفسه معجزٌ، و في عَدَمِ ما ينقضُه على مضيِّ الأزمان، وفقدان ما يماثله مع كثرة أعداء الدّين وشدة حرصهم على ذلك، أَدلَّ دليل وأتمُّ بيان، و الحمد لله.

سليمان التيمي عن عزرة، و رواه عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران من التابعين . وينظر: الدر المنثور: ٦ / ٤٢٠ و البرهان: ٢ / ٣٧ و الإتقان: ٣ / ٧٥

(١) قد صح عن ابن سيرين الإمام التابعي الكبير أن أُبيّ كان يكتب الفاتحة و المعوّذتين في مصحفه : فضائل القرآن لأبي عبيد: ص٣١٨ و قد ذكرت قريبا سنده. و ينظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ٤٣ و الانتصار للباقلاني: ١/ ٢٦٧ – ٢٧٤ و قواطع الأدلة للسمعاني: ١/ ٤١٥ و فتح الباري: ٨/ ٦١٥

(٢) الأصل: ووجوب.

الكلام في كون الكلام معجزة للنبي عليه السلام (١):

المعجزة: خصلةٌ تدلُّ على صدْقٍ من ظَهَرت على يده في دعوى الرسالة يَستَدِلُّ بها المستدِلُّ على أنه صادق في دعواه. (٢) و المعجز في الحقيقة هو الله سبحانه لأنه فاعل العجز إلا أنه يقال لهذه الخصلة التي يظهر عند وجودها عجز من تحدي بالإتيان بمثلها معجزة مجازاً.

و من شرائط المعجزة أن تكون خصلة ناقضة للعادة خارجةً عن طوق البشر توجَدُ في زمان التّكليف مع اقتران التحدِّي بها في دعوى النّبوة على جهةِ الابتداءِ (٣).

فإذا اجتمعتْ هذه الخصالُ فيها فهيَ معجزةٌ دالَّةٌ على صِدقٍ من ظَهَرَتْ على يدِهِ فيمن تتضمّن دعواه، و معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة. و الاعتماد على القرآن فإنه المعجزة التي يُقطَع بصحَّتها و يوجب بانفراده العلم بصحة الرسول صلى الله عليه وسلم، و صدقه في

(١) ينظر في موضوع إعجاز القرآن : رسالة في إعجاز القرآن للخطابي صـ ١٩ -و هي من أجود ما كتب في إعجاز القرآن -و معها رسالتان في إعجاز القرآن للرماني و الجرجاني ، و إعجاز القرآن للباقلاني صـ٧٦ وأصول السرخسي : ١ / ٢٨٢ و العدة شرح العمدة للقاضي أبي يعلى : ٣ / ٧٩٢ والواضح في أصول الفقه لابن عقيل: ١ / ١٤٩ و المحرر الوجيز لابن عطية: ١ / ٧١ و جمال القراء: ١ / ٤٣ و تفسير القرطبي : ١ / ١٧٥ و الموافقات: ٤ / ١٤٤ و مجموع الفتاوى: ١٣ / ٣٣٢ و ١٩ / ٧٦ و البرهان: ٢ / ٢١٨ و البحر المحيط للزركشي: ٢ / ١٠٨ و البداية والنهاية لابن كثير: ٤ / ٦٧ ، و التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن للزملكاني (ت: ٦٥١ هـ) ، و التحبير شرح التحرير للمرداوي: صـ ١٣٥٤ وشرح الكوكب المنير: ٢ / ١١٥ و من الكتب المفردة في ذلك كتاب السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن.

(٢) تعريف المعجزة في:الحدود لابن فُورَك: ص١٣٠ و الرسالة القشيرية للمصنف: ص٣٧٨ في باب كرامات الأولياء والتعريفات: ١١٥ و كشاف اصطلاح الفنون: ٥: ١٢٦٦ والتحرير للمرادوي: ٣ / ١٣٥٤ والإتقان : ١ / ١٠٠١ و مفتاح السعادة لطاش كبري زاده : ٢ / ٤٨٢

(٣) نقل المصنف في الرِّسالة القشيرية جملة مفيدة في الفرق بين المعجزة و الكرامة: ص٣٧٨ – ٣٧٩ في باب كرامات الأولياء.

دعوى الرسالة، و ما عدا القرآنِ فإنه يوجب التَّأنيسَ و لا توجب شيئاً بانفرادها لنا العلمَ، وإن كان فيها ما يوجب العلم الكسبيّ أيضا مما طريقُهُ الاستفاضةُ، كما رُوِيَ أنه أشبع الخلق الكثير من الطعام اليسير و أنه ينبعُ الماء من بين أصابعه و حنينُ الجذع و غير ذلك.

و قيل إن مجموع هذه الأشياء أخبارٌ توجب العلم بصدقه، و إن كان كل واحد منها بانفراده لا يوجب العلم كما نعلم أن حاتماً جوادٌ بما نقل إلينا من أخباره ثم كل واحد مما نُقلَ إلينا من أخباره لا يوجب العلم و مجموعه يوجب العلم حتى أنه لا يشكُّ من سمع الأخبار أنّ حاتما كان سخياً.

ووجه الإعجاز في القرآن أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم أتى بهذه القراءة على طريق الاستئناف لا على الحكاية و التلقُّف عن أحد من الخلق فتحدّاهم عليه السلام أن يأتوا بمثله على غاية الفصاحة في النظم و الإعجاز مرتفعا عن حدّ الرَّكَاكَةِ (١) و الرَّذالة منحطّاً عن رتبة .... (٢) خارجاً عن حدّ التكليف تحدَّاهم بمثله فعجزوا عن ذلك.

ثم رجع إلى أن يأتوا بعشر سورٍ مثله فعجزوا ثم رجع إلى سورة واحدة فعجزوا، بدليل أنهم عدلوا عن مجاراته إلى محاربته، و لم يأتوا بما طالبهم به مع شدّة حرصهم على تكذيبه و فرط تقصّيهم و حميتهم فدل ذلك على صدقه وعجزهم و لو عُورض النبي صلى الله عليه وسلم فيما أتى به لنقل أعداؤه مع كثرتهم ولم يبق على مرّ الزمان مكتوما كما نُقِل ما عورض به مما يوجب

---

(١) الرّكَاكة لغةً: الضعف و الرَكِيكُ هو الضَّعِيفُ: لسان العرب: ركك.: ١٠ / ٤٣٢ و تاج العروس : (ركك). وقال الأديب أسامة بن منقذ: (اعلم أنّ الرَّكَاكة هي أن يكون اللفظ متناوَلاً والمعنى متداوَلاً كالكلمات المستعملة،والألفاظ المهملة، فيكون الشعر رَكِيكَاً والنَّسْجُ ضعيفاً ..)اهـ. البديع في نقد الشعر: باب القوة و الرّكاكة.

(٢) وقع هنا في النسخة (ل) : كلمتان غير واضحتين.

العلم بسخافة قائله و قلة تحصيله كما قالوا: قد أفلح من هينمَ (١) في صلاته و أطعم المسكين من مخلاته و أخرج الزكاة من إبله وشاته، و كقول مسيلمة:

و الزارعات زرعاً و الحاصدات و الطاحنات طحناً و الخابزات خبزا فالثاردات ثرداً (٢) يا ضِفدِعَ بنت ضفدع إلى كم تنقّين لا الماء تكدرين و لا الشُّرب تمنعين . (٣) فهذا و أشباهه يدل على قلة تحصيل قائله.

و اعلم أنّ قراءة النبي صلى الله عليه وسلم هي المعجزة فأمّا عين كلام الله سبحانه فلا يقال له معجزة ولا دلالة. وقد ذكر بعض المحققين أنّ عين الكلام معجزة حكاه الإمام ابن فُورَك رحمه الله عن القاضي أبي بكر الأشعري أنه ذكرهُ في كتاب الانتصار ثم قال: إنه لا يصحُّ ذلك لأن عين كلامه قديمٌ، والقديمُ لا يختصُّ به أحدٌ دون أحدٍ، ولا يجوز أنْ يكون عينُ كلامه دِلالة لأنّ الدلالة (و٩) تكون بالمواضعة و الاصطلاح أو التوقيف أو الفعل كدلالة الفعل على الفاعل و صفاته و هذه المعاني في كلام الله سبحانه معدومة. (٤)

---

(١) الهَينم و الهينمة و الهينام و الهينوم و الهينمان كله الكلام الخفي: لسان العرب – ابن منظور (هنم):١٢/ ٦٢٤ و تاج العروس (هنم). و في حديث إسلام عمر ما هذه الهَيْنمة و هي الكلام الخَفِي الذي لا يُفهم : النهاية : ٥ / ٢٨٩

(٢)ثَرَدَ الخُبْزَ : فَتَّه ثم بَلَّه بمَرَقٍ (تاج العروس ((ثرد))).

(٣) الحيوان للجاحظ مع بعض اختلاف عما هنا: و تاريخ الطبري: ٢ / ٢٧٦ والأوائل لأبي هلال العسكري: ص٢٧٤ (أول أمرأة تنبّأت) والإعجاز للباقلاني ص ١٥٧.

(٤) كان ينبغي للمصنف تنزيه تفسير كلام الله تعالى عن شغب المتكلمين و ليته فعل لكان ذلك أورع وأتبع ، و قد أقلّ كثيراً من ذكر هذه القضايا الكلامية في خلال تفسيره، و أكثر منها في مقدّمة الكتاب. وقد كان عصره طافحاً بالكلام في هذا و كان المعتزلة و غيرهم من الفرق الضالة لهم سوقٌ رائجة فكانت الردود و القال و القيل و الله المستعان. و كلام الله تعالى حيث تصرّف هو كلامه وهو معجزة . و قد تقدّم التعليق على مثل هذا صـ ١٨٨، وصـ ٢٠٩ و ٢١٠ ، و ٢١٢ و بالنسبة لهذه المسألة فينظر: الملل و النحل للشهرستاني: ١ / ٩٦ عند كلامه عن الأشعرية.

و اختلفوا في أقلِّ ما هو معجز فمن النّاس من قال جميع القرآن معجزة واحدة لأن التحدي حصل بجميعه في قوله : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ الآية [الإسراء:٨٨] . و منهم من قال أقل ما هو معجزةٌ عشر سور طوال (١) و قال شيخنا أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه: أقل ما هو معجزة سورة سواء كانت قصيرة أو طويلة و أقصر السور سورة الكوثر و فيه معجزتان للنبي صلَّى الله عليه وسلَّم إحداهما:

من طريق الخبر حيث قال : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر:٣]

فمات العاصِ بن وائل أبترَ.

و الثاني: أن هذه السورة مع قصرها اجتمع فيها جزالة اللفظ و رصانة المعنى و الإنباء عن جملة العبادة بقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر:٢] لأنه نبَّهَ على العبادة البدنية بقوله : ﴿ فَصَلِّ ﴾ والعبادات المالية بقوله ﴿ وَٱنْحَرْ ﴾ .

وأمَّا وجهُ الإعجاز في القرآن فقد اختلفوا فيه فقال بعضهم: إنَّ جنسه كان مقدوراً لهم، و لكنّ الله صرف دواعيهم عن الإتيان بمثله و كان صرف دواعيهم عن ذلك معجزةً، و هذا كما يقول الرجل علامة صدقي أن أقوم الساعة و أنتم قادرون متمكّنون من القيام فلا يستطيع أحد منكم أن يقوم فإذا قام هو، و عجِزوا دلّ على صدقه قالوا :و لو أنهم قدروا بعد دعواه على القيام كان ذلك أدل على صدقه فكذلك لا ينكر أن يؤتى بمثل القرآن بعد الرسول فلا يدلُّ على فساد القرآن بل يدل ذلك على صدقه لأنهم كانوا عاجزين في وقت التحدِّي و هذا

---

(١) هذان القولان لا يلتفت إليهما و الإعجاز ثابت و لو في سورة قصيرة و مما يدل على ذلك قوله تعالى: (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ) { الطور: ٣٤ } فعمَّ و لم يخصّ و كان ينبغي للمصنف أن يكرّ عليهما بالتوهية والتضعيف ففيهما تقليل من إعجاز القرآن، و يلزم منهما قدحٌ فيه، لكن لعلّه ترك ذلك لوضوح وهائها. وينظر: إعجاز القرآن للباقلاني: صـ ٢٥٤ و البرهان: ٢ / ٢٣٨ و التحرير للمرداوي: ١٣٥٦ مع ما تقدّم.

باطلٌ (١) لأنّه لو كان الأمر على ما قالوه لكان ذلك بأركِّ كلامٍ و أوضعِ عبارةٍ لأن العجز عن مثل ذلك أبينُ و أدلّ على صحة التحدِّي به إن كان على ما قالوه و بعض النّاس قال الإعجاز لم

(١) إعجاز القرآن كما دلت الآيات وقع بالقرآن نفسه لا بأمر خارج عنه، عند عامة علماء أهل السنة و عند محققي العلماء ، وذهب بعض المعتزلة إلى وجهٍ آخر شاذٍّ فجعلوا الإعجاز أمراً خارجاً عن جوهر القرآن بعيداً عن ذاته، وإنما هو لعجز أحدثه الله في أنفس العرب والنّاس جميعاً، ومنعهم من القيام بمعارضته قهراً. قال ذلك أبو إسحاق النَّظَّام من المعتزلة فقد قال : (الآية و الأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب فأما التأليف و النظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد ، لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم) اهـ. نقله أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين : ١ / ٢٩٧ و غيره و ينظر: مداخل إعجاز القرآن للشيخ محمود محمد شاكر: ص٤٩ و ٥٧ . وقد ردّ العلماء قول النظّام المعتزلي كما رده الشيخ ههنا و بينوا بطلانه و ردّه صاحب النظام الجاحظ و هو معتزلي مثله: ينظر في تفصيل ذلك رسالة الشيخ محمود شاكر المتقدمة: ص٥٧ و ما بعدها. قال الإمام أحمد : (القرآن معجز بنفسه فمن قال القرآن مقدور على مثله – ولكن منع الله قدرتهم – كفر ، بل هو معجز بنفسه ، والعجز شمل الخلق) اهـ . : طبقات الحنابلة : ٢ / ٣٠٢ والجواب الصحيح : ٤ / ٧٥ و الفروع لابن مفلح : ١ / ٤١٨ و شرح الكوكب المنير لابن النجار الفتوحي : ٢ / ١١٥ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : (ومن أضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام إنه معجز بصَرف الدواعي مع تمام الموجب لها أو بسلب القدرة التامة أو بسلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبا عاما) اهـ .
من الجواب الصحيح : ٥ / ٤٢٩ .

ويقول الرافعي : (وعلى الجملة فإن القول بالصَّرْفَة لا يختلف عن قول العرب فيه : ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ [المدثر:٢٤] .. اهـ. إعجاز القرآن : صـ ٤٧ و للمصنف كلام متين في إعجاز القرآن سيأتي عند قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٣].

وينظر: رسالة إعجاز القرآن للخطابي: صـ ٢٠ –٢١ و رسالة إعجاز القرآن لعبد القاهر الجرجاني صـ ١٣٦و تفسير القرطبي: ١ / ١٧٥ و البرهان : ٢ / ٢٢٧ و الإتقان: ١ / ١٠٠٦ .

يتعلق بنظم القرآن و إنما تعلَّقَ بما أودع فيه من الإخبار عن الغائبات و الصحيح من القول أن الإعجاز في القرآن من أربعة أوجه:

أحدها: النَّظمُ البارع .

و الثاني: إخباره عن القرون الماضية و الأيام السالفة من غير أنْ عُلِّم عليه السلام برواية الأحاديث و قراءة الكتب و تعلُّم السير.

و الثالث: إخباره عما يكون في المستقبل فكان الوجهُ الذي قاله قطعا.

و الرابع: أن العادة جَرَتْ بأنَّ الكلام الواحد إذا تكرر على الأسماع مجّته الآذان، و ملَّته القلوب، و القرآن يزداد بكثرة تكرُّرِه على الأسماع طلاوة في النفوس و حلاوة في القلوب حتى أقر بذلك الجاحد و الملحد. (١)

---

(١) كلام المصنف رحمه الله في وجوه الإعجاز من أحسن ما قاله المتقدّمون في هذه القضية ،و هو موافق للقول الصحيح بأن إعجاز القرآن و قع بجميع ذلك بل و بغيره كما هو قول أهل التحقيق كما قال الزركشي: البرهان: ٢ / ٣٣٧ و قال شيخ الإسلام ابن تيمية :(وكل ما ذكره النّاس من الوجوه في إعجاز القرآن، هو حجة على إعجازه ولا تناقض في ذلك بل كل قوم تنبَّهوا لما تنبهوا له)اهـ. الجواب الصحيح : ٥ / ٤٢٩ وقال السرخسي:(قال كثير من مشايخنا إن إعجاز القرآن في النظم وفي المعنى جميعا) : أصول السرخسي : ١ / ٢٨٢ .و قد جعل الماوردي إعجازه من ثمانية و جوهٍ : النكت و العيون للماوردي: ١ / ٣٣ و ينظر: بدائع الفوائد لابن القيم : ٤ / ٩٤٦

فصل

في أنّ القرآن نزل بلغة العرب قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف:٣] وقال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٥] فأخبر أنّ القرآن نزلَ بلغة العرب فالله تعالى وصفه (١) بأنه بيِّنٌ ظاهر مبينٌ لأحكامه، و لأنه جعلَ هذا الكتاب في الرّتبة العليا في البلاغة، و بذلك أعجز الخلق عن معارضته و الإتيان بمثله، و أنزله بلغة العرب وتحدّاهم بالإتيان بمثل هذا النظم الذي يوجَدُ جنسه في لغتهم، فلو كان في القرآن ما ليس بلغتهم لقالوا أنه ليس بلساننا فكيف طالبنا بالإتيان بمثله. (٢)

---

(١) في النسخة (ل) : قال الله تعالى ووصفه. فصححتها كما دل عليه سياق الكلام.

(٢) القول بأنه ليس في القرآن شيء من غير لسان العرب هو الأرجح لعموم الآيات التي وصفت الكتاب الحكيم بأنه بلسان عربي مبينٌ، وهو قول جمهور العلماء وممن رجَّح هذا الشافعى و أبو عبيدة ومحمد بن جرير الطبرى -و أطال في مقدمة تفسير في تقريره و الجواب عن ضده- والقاضى أبو بكر بن الطيب الباقلاني في كتابه الانتصار وأبو الحسين بن فارس اللغوى وغيرهم .

وينظر في هذه المسألة : جامع البيان للطبري: ١ / ١٥ – ٢٠ و غريب الحديث لأبي عبيد: ٤ / ٢٤٢ والعدة للقاضي أبي يعلى: ٣ / ٧٠٧ و المحرر الوجيز: ١ / ٥١ و البرهان في علوم القرآن للزركشي ١ / ٢٨٧ و فتح الباري ٨ / ٢٥٢ وعمدة القاري:١٨ / ١٧٥ و التَّحبير للمرداوي: ٢ / ٤٦٦ و الإتقان : ١ / ٤٢٧ .

فإن قيل فما تقولون فيما روي عن أبي موسى أنه قال :﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ [الحديد:٢٨] و الكفلان ضعفان بلغةالحبشة (١).

و ما رُوي عن ابن عبَّاس قال :(ناشئة الليل) قال بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل قالوا نشأ (٢)، و ما روى أبو ميسرة في قوله ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ ﴾ [سبأ:١٠] قال سبحي بلسان الحبشة (٣).

ورُوي عن ابن عبَّاس أنه سئل عن قوله : (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) (المدثر:٥١)، قال هو بالعربية هو الأسد وبالفارسية : شِيَر(٤)وبالحبشة قسورة. (٥)

---

(١) رواه الطبري : ١/ ١٣ و ٢٧ / ٢٤٣ و ابن أبي شيبة: في المصنف: (١٠ / ٤٧١) و وكيع في تفسيره كما في المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب للسيوطي: ص١٣٧ و من طريقه الحافظ ابن حجر في موافقة الخُبْرِ الخَبَر في تخريج أحاديث المختصر -لابن الجاجب-: (١ / ٢٧) و عزاه السيوطي: إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم: الدر المنثور: ٨ / ٦٧

(٢) رواه الطبري : ١/ ١٣ و البيهقي في الكبرى: ٣ / ٢٠ و علقه البخاري في باب قيام الليل من كتاب الصلاة : (الفتح: ٣ / ٢٣ و ووصله الحافظ ابن حجر تغليق التعليق: ٢ / ٤٢٩ و في موافقة الخُبْرِ الخَبَر في تخريج أحاديث المختصر لابن الجاجب: ١ / ٢٦) و سنده صحيح فإنه قد صح من طريق أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عبَّاس.

(٣) رواه الطبري : ١/ ١٣.

(٤) في الطبري : ١/ ١٤ شار و في اللغة الفارسية : شير: المعجم الذهبي : صـ ٣٨١

(٥) المهذب فيما وقع في القرآن من المُعَرَّب للسِّيوطي ص ١٢٦ و تفسير الطبري: ١ / ١٤ و ينظر : الطبري : ٢٣ / ٤٥٦ و الوسيط للواحدي: ٤ / ٣٨٨ و قد ذكر أبو عبيد في لغات قبائل العرب أن قسورة من أسماء الأسد بلغة قريش: ص٣١ من الجزء الأول من مجموعةالرسائل الكمالية .

و ما رُوي عن سعيد بن جبير (١) في قوله : (سِجّيل) أنه فارسية أُعربت سَنْك وكِلْ (٢) .

وما روي عن أبي ميسرة أنه قال : في القرآن من كل لسان. (٣)

و ما أشبه ذلك مما كثُرتْ الرواية به (٤) قيل:

إنّ ذلك وفاقٌ حصل بين اللغتين ومثله جائزٌ. و الدليل على ما قلنا أنَّ من قال: إنّ أصل هذه الحروف من لغاتِ غير العربِ وَقَعَت إليهم فأعربوها لا ينفصلُ ممن قال بل هي في الأصل من كلام العرب وَقَعَت إلى غيرهم فأعربوها.

ثم إنّما يُوجب إثباتَ الحكم للشيء نفيُ غيره إذا كان المعنيانِ متنافيينِ، كما تقول فلان قائمٌ تنفي بقولك هذا القُعُود عنه، فأمّا إذا لم يكن بين الأمرين تضادٌّ و تنافٍ لم يوجب إثبات أحدهما نفي الآخر كما تقول: رجلٌ قائمٌ لا تنفي بإثبات هذا الوصفِ له الكلام عنه لجواز أنْ يكونَ قائماً و متكلِّما.

كذلك إذا قيلَ هذه الحروف بلسانِ الحبشة أو بلسان الرُّوم فليس في ذلك أنها ليست بلغة العرب يجوزُ اجتماع الّلغتين فيها و هذا بيّن –و الحمد لله –. (١)

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ١٤

(٢) قال ابن قتيبة بالفارسية: ((سَنْك وكِل)) أي حجارة وطين : أدب الكاتب : صـ ٣٨٤ و قال ابن قتيبة أيضا كما في القرطين لابن مطرّف (الجمع بين مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة): ١ / ٢١٢ : (سجّيل يذهب بعض المفسرين إلى أنها سَنْك كِلْ بالفارسية) اهـ. و قد ذكرها الخفاجي في شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل: صـ ١٧٣ و المهذب: ص٩٦ و الإتقان: ١ / ٤٣٥

(٣) مصنف ابن أبي شيبة : ١٠ / ٤٦٩ و جامع البيان للطبري: : ١ / ١٥ . قال الطبري: حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة: به. ورجاله من رجال الصحيحين المشهورين. و قد ذكر الحافظ ابن حجر بعضا من الآثار عن الصحابة و التابعين ثم قال و أسانيد الجميع صحيحة. (موافقة الخُبْرِ الخَبَر في تخريج أحاديث المختصر: ١/ ٢٨).

(٤) جمع التاج السبكي ما وقع في القرآن من المعرب في نظم ذكره الحافظ ابن حجر ، و نظم ما زاد عليه ينظر : فتح الباري:٨ / ٢٥٢.

فإن قيل فإذا كانت هذه الحروفُ من كلام العرب و هي أيضا من كلام غيرهم فهـل يجـوز أنْ يقال في القرآن فارسيٌّ و حبشيٌّ قيل:

لا يجوز إطلاقه لأنه يُوهِمُ أنَّ فيه شيئاً ليس بلغة العرب و أنه مختصٌّ بلغة غيرهم فلو أنّ قـائلا قاله على التفسير الذي جوَّزنا بها لا يوجب الإيهام لا يمنع من ذلك بأنْ يقول القرآن كله عربيٌّ و في ألفاظه ما يوافق ألفاظ الحبشة أو الفرس. (٢)

---

(١) و هذا ما رجحه الطبري أيضا و دلل عليه بها يشبه ما ذكره المصنف : تفسير الطـبري : جـامع البيـان للطبري: ١ / ١٥ – ٢٠ و ينظر: الإتقان : ١ / ٤٢٧ و المصادر المتقدمة.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١ / ٥١

ذكرُ ما رُوي عن النبي صلَّى الله عليه و سلَّم أنه قال : (أنزل القرآن على سبعةِ أحرف المِـراء في القرآن كفرٌ – ثلاثَ مرّات –فما عَرَفتُم منه فاعملوا به و ما جهلتم فردوه إلى عالمه). (١)

ورَوى ابن مسعُود عن النبي صلَّى الله عليه و سلَّم أنه قال: (أُنزِل القـرآن عـلى سـبعةِ أحـرف لكل حرف منها ظَهْرٌ و بطنٌ، و لكل حرفٍ حدٌّ و لكل حدٍّ مطّلَعٌ (٢)) (٣) .

---

(١) أخرجه أحمد ١٣/ ٣٦٩ (٧٩٨٩)، والنسائي في الكبرى (٨٠٩٣)، وأبو يعلى (٦٠١٦)، وابن حبان (٧٤) والطبري : (١ / ٢٢) من حديث أنس بن عياض عن أبي حازم عن أبي سلمة قال لا أعلمه إلا عن أبي هريرة: ١ / ٢١ وسنده صحيح قال ابن كثير: (وهذا إسناد صحيح ولكن فيه علة بسبب قول الراوي لا أعلمه إلا عن أبي هريرة)اهـ. تفسيره: ١ / ٣٤٨ .

و إنزال القرآن على سبعة أحرف ثابت في الصحيحين و غيرها عن عدد من الصحابة، و أما قوله : (مراء في القرآن كفر) فله شواهد يصحُّ بها منها: ما أخرجه أحمد ٢/ ٢٨٦ و٣٠٠ و٤٢٤ ٤٧٥ و٥٠٣ و٥٢٨ ،وأبو داود(٣٩٨٧) في السنة: باب النهي عن الجدال في القرآن من طريق محمد بن عمرو الليثي عن أبي سلمة عن أبي هريرة ومن طريق أبي حازم عن أبي سلمة به ، وصححه ابن حبان (٧٣) والحاكم ٢/ ٢٢٣ ووافقه الذهبي. ومنها حديث أبي جُهيم : عند أحمد ٤/ ١٧٠ و في فضائل القرآن لأبي عبيد: صـ٣٥٤ ومنها حديث عمرو بن العاص : بلفظ : لا تماروا في القرآن فإن مراء فيه كفر. أخرجه أحمد: ٤ / ٢٠٥ و أبو عبيد في فضائل القرآن : ص٣٥٣ وينظر: مجمع الزوائد :٧ / :١٥٠.

(٢) سيأتي تفسير ألفاظ الرواية للمصنف بعد الانتهاء من الكلام على الأحرف السبعة و سيرد التعليق عليها هناك .

(٣) أخرجه أبو يعلى (٥١٤٩)، والطحاوي في المشكل(٣٠٩٥)، والطبراني في الكبير(١٠١٠٧)، وفي الأوسط(٧٧٣)، و ابن خالويه في إعراب السبع : ١ / ٢٠ وابن عساكر : ٣٠/ ٢٣٥ و ٢٣٦ من طرق والبغوي في تفسيره ٤٦/١ و في بعض ألفاظ الحديث: (لو كنتُ متّخذا أحدا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكنّ صاحبكم خليل الله وإنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف ولكن لكلِّ آية منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع). كلُّهم من طريق جرير عن المغيرة بن مِقسَم الضَّبِّي عن واصل بن حيّان عن ابن أبي الهُذَيل عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود به، وقد رواه مسلم من هذا الوجه واختصره مقتصرا على ما فيه من ذكر فضل أبي بكر الصديق و لذا ساقه ابن عساكر من طريق

إسحاق بن إبراهيم عن جرير التي عند مسلم ثم قال أخرجه مسلم مع كون مسلم لم يخرج قوله: (لكل آية ظهر و بطن). (ينظر : صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب فضل الصديق (ح ٦١٢٥)
وله طريق أخرى : فقد رواه البزار من طريق سليمان بن بلال عن محمد بن عجلان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بزيادة في آخره في النهي عن أن يستلقي الرجل في المسجد و يضع إحدى رجليه على الأخرى وقال : (هذا الحديث لا نعلمه يروى إلا من حديث الهَجَريّ - يعني أبا إسحاق الذي في سنده جعله الهجري - عن أبي الأحوص عن عبد الله و لا نعلم أنّ ابن عجلان روى عن الهجري غير هذا الحديث)اهـ. مسند البزار: (ح ٢٨٠٨١) و من طريق سليمان بن بلال هذهِ رواه أبو يعلى مختصرا (ح ٥٤٠٣) و الطحاوي: ٤ / ١٧٢ و الطبراني في الكبير : ١٠ / ١٢٥
و ابن حبان في صحيحه: (ح٧٥) . ورواه الطبري: ١ / ٢٢ و الخطيب في الموضح : ١ / ٣٨١ من طريق سفيان عن إبراهيم الهجري و هو أبو إسحاق لكن الهجري ضعيفٌ ضعفه ابن معين و النسائي و أبو حاتم (تهذيب الكمال: ٢ / ٢٠٣ و ميزان الاعتدال: ١ / ٦٥ وتهذيب التهذيب : ١ / ١٦٤).
ولكن قد تقوّى بالطريق السابقة و صحَّ أيضا مرسلا من حديث الحسن البصري رواه ابن المبارك: ١ / ٢٣ و عبد الرزاق في مصنفه : ٣/ ٣٥٨ (ح٥٦٥ ٩) و أبو عبيد في فضائل القرآن: صـ٩٧ ، ٩٨ و ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام : ٣/ ٢٨١.
و صحّ أيضا موقوفا على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أخرجه الطبراني في الكبير: (٨٦٦٧ و ٨٦٦٨) من طريق شعبة و من طريق سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفا بلفظ: إن القرآن ليس منه حرف إلا له حد ولكل حد مطلع. و أما قول الإمام ابن حزم – رحمه الله -: (إنها مرسلاتٌ لا تقوم بها حجة)اهـ. فيُقال قد ثبت أيضاً موقوفا فيتقوّى به المرفوع مع المرسل. وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (١٣٣٨). و لكنّ الحديث صحيح لهذه الشواهد. و لأنّ أصله في صحيحِ مسلم و رجاله في الطريق الأولى على شرط الصحيح، و إنْ كان مسلم رحمه الله اختصره إما لاقتصاره على موضع الشاهد منه، و هو فضل أبي بكر رضي الله عنه.
و إما لغرابة تلك الألفاظ، فإن المرفوع منه فيه غرابة لكن لا يلزم منها ضعفه فليس كلُّ غريب ضعيفا وعليه فالحديث صحيح وله وجه صحيح عند أئمة أهل السنة كالذي و جهه به ابن المبارك وأبي عبيد و الطبري و البغوي وغيرهم ممن سيأتي ذكرهم عند شَرْح المصنف لمعناه و هو توجيه يخالف تلاعب الباطنية و لا يستفيد منه المبتدعة في نصرة بدعهم.و إنما أطلتُ في تخريجه لأنّني رأيت عددا من الباحثين وهم

ورُوِيَ عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (سمعتُ هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة الرسول صلَّى الله عليه و سلَّم فاستمعت (١٠و) قراءته فإذا هو يقرأ بها على حروف كثيرة لم يُقرأنيها رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم كذلك فتصبَّرتُ حتى سلَّم فلما سلَّمَ لبَّبْتُهُ بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ فقال أقرأنيها رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم قال فقلت كذبتَ فوالله إن رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم لهو أقرأني هذه السورة { التي } (١) سمعتك تقرأُها فانطلقتُ به أَقوده إلى رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم فقلت يا رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرأنِيها فقال أرسله يا عمر اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها فقال رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم هكذا أنزلت ثم قال يا عمر اقرأ فقرأت فقال هكذا أنزلت ثم قال إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منها). (٢)

وفي رواية قال عمر: (فوقَعَ في صدري شيءٌ فعرف النبي صلَّى الله عليه و سلَّم في وجهي فضرب صدري وقال أبعد شيطانا قالها ثلاثا ثم قال يا عمر إن القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذابا و عذابا رحمة) . (٣)

وروي عن أُبيّ بنِ كعب قال: (كنتُ في المسجد فدخلَ رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل رجل آخر فقرأ قراءةً غير قراءة صاحبه فدخلنا جميعا على النبي صلَّى الله عليه و سلَّم فأمرهما النبي صلَّى الله عليه و سلَّم فقرآ فحسَّن رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم شأنهما.

في تخريجه و اقتصر على بعض طرقه الضعيفة كما صنع محققوا تفسير البغوي و محقق الموافقات الشيخ مشهور سلمان وغيرهم:(شرح السنة للبغوي: ١ / ٢٦٢ و الموافقات للشاطبي: ٤ / ٢٠٨) و لكونه من أحاديث علوم القرآن المشهورة .و الله الموفق.

(١) سقطت من النسخة (ل) .

(٢) أخرجه البخاري في الخصومات و في فضائل القرآن و غيرها:(٢٤١٩،٤٩٩٢،٥٠٤١)، ومسلم في صلاة المسافرين: (٨١٨)، والترمذي (٢٩٤٣)، والنسائي(٩٣٧) وغيرهم.

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٥ و المسند: ٢٦ / ٢٨٥

فوقع في نفسي شيء من التكذيب ولا إذ كنتُ في الجاهلية، فلما رأى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ما غشِيَني ضربَ في صدري ففِضتُ عرقا كأنما أنظر إلى الله فَرَقَاً ، فقال يا أُبي: إني أُرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرفٍ فرددتُ عليه أن هوِّن على أمتي فردّ عليّ في الثانية أن اقرأه على حرف فرددت عليه أن هوِّن على أمتي فرد علي في الثالثة أنْ اقرأه على سبعة أحرف و لك بكل ردَّةٍ رَددتُّكَهَا مسألةٌ تسألنيها فقلتُ: اللهم اغفر لأمتي و أَخَّرتُ الثالثة ليوم يرغبُ إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم) (١).

و في رواية أنه قال: (فضربَ بيده في صَدْري ثم قال اللهم أذهِب عن أبيٍّ الشكّ). و في رواية أنه قال: (اللهمّ اخسأ الشيطانَ عنه) (٢) .

و رُوِي عن النبي صلَّى الله عليه و سلَّم أنه قال: (قال لي جبريل عليه السلام: اقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل: استزِدْه فقال: على حرفين حتى بلغَ سبعة أحرف كلُّها شافٍ) (٣).

ورُوِي عن النّبي صلَّى الله عليه و سلَّم أنه قال: (نزل القرآن من سبعةٍ أبواب على سبعةِ أحرفٍ نهيٌ و أمرٌ و حلالٌ وحرامٌ و محكَمٌ و متشابهٌ و أمثالٌ، فأحِلُّوا حلاله وحرِّموا حرامه وافعلوا ما أُمِرتُم به و انتهوا عما نهيتم عنه، و اعتبروا بمُحكمه و آمنوا بمُتشابهه و قولوا آمنا به كلٌّ من عند ربِّنا) (٤).

---

(١) هذا حديث صحيح مشهور من حديث أبي له ألفاظ و طرق منها ما في صحيح مسلم (٨٢٠) والمسند: ٥ / ١٢٧ و ابن أبي شيبة : ١٠ / ٥١٦ وجامع البيان للطبري: ١ / ٣٢

(٢) ينظر ما سبق و فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٢٠٢ ، و عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ٥/ ١٢٤ (الميمنة) و تفسير الطبري ج / ١ ص٣٠ التمهيد لابن عبد البر ٨/ ٢٨٥

(٣) يشبه اللفظ الذي ذكره المصنف حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال جبريل : اقرءوا القرآن على حرف..). أخرجه أحمد ٥/ ٤١، ٥١(الميمنة) و الطبري :١ / ٣٨والطحاوي في المشكل (٣١١٨) ، وعزاه الهيثمي في المجمع ٧/ ١٥١إلى الطبراني .

(٤) له طرق منها: عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (كان الكتاب الأول نَزَل من بابٍ واحد، وعلى حرفٍ واحدٍ ونزل القرآن من سبعة

وقــد اختلــف النّــاس في معنـــى هـــذه الأخبـــار و مـــا المـــراد بهـــذه الـــسبعة الأحرف (١) فقال محمد بن جرير الطبري : (معنى ذلك أنّ القرآن نَزَل بسبعِ لغاتٍ من لغةِ العَربِ

أبواب وعلى سبعة أحرف .....) وإسناده ضعيفٌ لأنه منقطِع فأبو سلمة لم يلق ابن مسعود أخرجه من هذه الطريق : الطبري: ج / ١ ص ٦٢-٦٣وابن حبان: (٧٤٥) و الحاكم : ١ / ٧٣٩ و ٢ / ٧١٣ والطحاوي في المشكل: (٣١٠٢) وابن عبد البر في التمهيد : ٨ / ٢٧٥ .

وقد ضعفه الطحاوي و ابن عبد البر و غيرهما ورُوى موقوفاً على ابن مسعود ، قال ابن كثير: (هـو أشـبه)، فضائل القرآن ص ٦٦، و الفتح ٩/ ٢٩. قال ابن عبد البر: (وهذا حديث عند أهـل العلـم لا يثبـت لأنـه يرويه حيوة عن عقيل عن سلمة هكذا ويرويه الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سلمة بن أبي سلمة عـن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا. وأبو سلمة لم يلق ابن مسعود، وابنه سلمة لـيس ممـن يحـتج بـه وهذا الحديث مجتمع على ضعفه من جهة إسناده)اهـ. . التمهيد لابن عبد البر ج٨/ ص٢٧٥

ورواه أبو قلابة التابعي مرسلا: أخرجه الطبري بسند صحيح عنه. جامع البيان للطبري: ١ / ٦٣ .

و منها : ما هو موقوف على عبد الله بن مسعود . فعن القاسم بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن مسعود قـال : إن الله أنزل القرآن على خمسة أحرف ، حلال و حرام) الخ.

أخرجه ابن الضُّريس في فضائل القـرآن (١٢٩) مـن طريـق ابـن إدريـس عـن الأحـوص عـن القاسـم بـه والطبري: ج / ١ ص ٦٤ من طريق أبي كريب عن المحاربي عن الأحوص بن حكيم عن ضمرة بـن حبيـب عن القاسم بن عبد الرحمن به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٦ إلى ابن المنذر . والقاسـم لم يـدرك ابـن مسعود .

و قال أبو عبيد في (فضائل القرآن ص ١٠٠)حدثنا حجاج ، عن الليث بـن سـعد ، عـن عُقيـل ، عـن ابـن شهاب ، عن سلمة بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قـال : (نـزل القـرآن عـلى سـبع الخ) . و ينظر توجيه الطبري لمعنى الحديث: ١ / ٦٤ و الدر المنثور: ٢/ ١٤٩

وأخرج النسائي في فضائل القرآن : ١ / ٦٢ من حديث فلفلة الجعفي عن عبد الله بن مسعود موقوفا (قال نزل القرآن على سبعة أحرف من سبعة أبواب و نزلت الكتـب مـن مـن بـاب واحـد عـلى حـرف واحـد) وأخرجه أحمد في العلل ومعرفة الرجال:٢ / ٥٧٥ والبيهقي في السنن الكبرى : ٥/ ٤ وذكره الـدارقطني في العلـل: ٥ / ٢٣٦ وينظر: الأحرف السبعة – للداني :١ /٥٨ و فتح الباري :٩/ ٢٩ .

وترجمة فلفلة الجعفي في تهذيب الكمال ٢٣/ ٣١٦

(١) اشتهر الاختلاف في معنى نزول القرآن على سبعة أحرف و هو موضـوع طويـل ينظـر : فـضائل القـرآن لأبي

و ذلك أنَّ لغاتِ العرب كثيرةٌ فأنزل الله كتابه بسبع لغات توسِعةً على المسلمين حتى لا يشقَّ على من نشأ على لغة فاعتادها أن يتركَ لغته، و يتكلّف غيرَها فربّما ينسى ذلك فيصحّف لغةً أخرى قال: وهذه الُّلغات السبعة تجتمعُ في الكلِمة الواحدة كقولهم: تعالَ و أقبل وهلمَّ وإلي وقصدي و نحوي و قُربي، و نحوَ ذلك، و كذلك رُوي في بعضِ الأخبار، و ذلك مثلُ قولك: هَلُمَّ وتعال). (١)

وروى الأعمش عن أنس(٢) : أنه قرأ :(إنّ ناشئة الليل هي أشد وطأً و أصوبُ قيلاً) فقال له بعض القوم يا أبا حمزة إنما هي أقوم فقال: ((أقومُ))و ((أهيأُ)) و ((أصوبُ)) واحد) (٣). وكذلك في قراءة ابن مسعود: (إن كانت إلا زَقْيةً واحدة) (٤) وفي قراءة الجميع: ﴿(إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [يس: من الآية ٢٩] ،وفي قراءته: (طعامُ الفاجر)

عبيد: صـ ٣٣٤ و جامع البيان للطبري: ١ / ٢٠ – ٦٤ –طبعة دار هجر– و الأحرف السبعة – للدَّاني:١ / ٢٥ و معتصر المختصر:٢ / ١٨٦ و إعراب القراءات السبع لابن خالويه : ١ / ٢٣ والتمهيد ٨/ ٢٧٤ – ٢٩٦ وفيه تقرير حسن للخلاف مع الترجيح، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ١ / ٤٥ و جمال القراء: صـ ٥٠٦ وتفسير القرطبي :١ / ٤١ و المرشد الوجيز: صـ٧٧ والفتاوى لابن تيمية :١٣ / ٣٩١ و تفسير ابن كثير: ١ / ٧٧ ، والبرهان في علوم القرآن :١ / ٢١١ و الإتقان في علوم القرآن – السيوطي :١ / ١٣٠ ومناهل العرفان في علوم القرآن – الزرقاني:١ / ١٠٨ وغيرها. ومن البحوث الحديثة بحث بعنوان : (حديث الأحرف السبعة دراسة لإسناده ومتنه ، واختلاف العلماء في معناه ، وصلته بالقراءات القرآنية) للدكتور عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارئ . و ستأتي الإشارة إلى مصادر أخرى.

(١) أطال الطبري رحمه الله في بيان معنى الحديث: ١ / ٤٣ – ٥٣ و المصنف نقله بالمعنى.

(٢) رواه أبو يعلى : (ح ٤٠٢٢) ٧/ ٨٨ و الطبري ١/ ٤٧ –طبعة دار هجر– عن الأعمش، قال : قرأ أنس .. الخ والأعمش لم يسمع من أنس بل لم يسمع من أحد من الصحابة : كما في جامع التحصيل للعلائي (٢٥٧) ص ١٨٨ و غيره. فالحديث ضعيفٌ لانقطاعه.

(٣) وقع في حكاية كلام أنس في النسخة (ل): خطأ صححته من مصادر الحديث.

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد: ص٣١٠ و جامع البيان للطبري: ١ / ٤٨

وفي قراءة الجميع : ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾[الدخان: ٤٤] (١) ، وفي قراءة عمر: (فامضوا إلى ذكر الله) وفي قراءة الجميع: ﴿ فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِّ ﴾ [الجمعة: من الآية ٩] (٢).

قال رخَّص الله سبحانه وتعالى للمؤمنين في هذه اللغات السبعِ أنْ يقرأوا بها القرآن ثم اليوم لا يقرأ إلا بواحدة منها لأنه لا يوجد في القرآن في الكلمة الواحدة مما يقرأ بسبعة أوجه لأنّ الستة بطلت أو ضُيِّعت أو نُسِخَت و لكنها كانت رخصة للمسلمين فرأى عثمان رضي الله تعالى عنه نوعاً من الرأي أن يجمع النّاس على قراءة واحدة.

وكان حُذيفة بن اليمانِ لما قدِم من غزوةٍ غزاها لم يدخُل بيته حتى أتى عثمان بن عفان فقال: يا أمير المؤمنين أدرِكِ النّاس فقال عثمان و ما ذاك ؟.

فقال غزوتُ فَرْجَ أرمينية فحضر بها أهل العراق، و أهل الشام فإذا أهلُ الشام يقرؤون بقراءة أُبيّ بن كعب فيأتون بما لم يَسمع أهلُ العراق فيكفِّرُهم أهل العراق و إذا أهل العراق يقرأون بقراءة ابن مسعود فيكَفِّرُهم أهل الشام فأمر عثمان حتى جُمِع القرآن في مصحف و عُرض عليه و قابله بالصحيفة التي كانت عند حفصة فوافقها فسر بذلك وردَّ الصحيفة على حفصة (٣) .

ثم لما مات أُمِرت بغسلها و جمع النّاس على ذلك المصحف و أمر بغسل ما سواه ، لا أنّه كان باطلا أو القراءة بها لم تكن صحيحة بل جميع ذلك كان حقّا منزولا به، و لكنْ رأى نوعاً من الرّأي شفقة لأمّته و منعاً لهم من تخطئة بعضِهم بعضاً، و ظنَّ بعض الجهّال أنّ ذلك لاختلافٍ من ذاتِ أنفسهم فأمر الأمة بالاجتماعِ على هذا المصحف الواحدِ غيرَ منكرٍ لصحّة ما عداه.

---

(١) تقدمت هذه القراءة و الكلام عليها عند كلام المصنف في جمع القرآن.

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد: ص٣١٤ و التمهيد: ٨ / ٢٩٢ وتفسير القرطبي: ١٨ / ١٠٢

(٣) صحيح البخاري في مواضع منها ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، : ٩ / ١١ و سنن الترمذي : أبواب تفسير القرآن : ٤ / ٣٤٧ – ٣٤٨ و ابن حبان في صحيحه : ٧ / ١٨ و أحمد : ٢٠٦٥٣ و ابن أبي داوود في المصاحف : ١ / ١٩٦

و لهذا كان أبو العالية إذا سمع من يقرأ بخلاف قراءته قال(١): أمَّا أنا فأقرأ بخلافه.

و لم يقل إنه ليس كذلك. و في رواية أنّ المعلِّم كان يعلم الصبي بقراءة و الآخر بقراءة أخرى، و كان يختلف الصبيان (١١و) فجمعهم عثمان على مصحف - على ما قلنا -و كتب به إلى الأمصار فأطاعوه لِمَا كان في ذلك من الصّلاح.

فإن قيل فهل يجوز الآن أنْ يُقرأ بما عدا هذا الحرف ؟ .

قيل لا يجوز لأنّ تلك الوجوه قد خَفِيت و ليس لنا سبيل إلى القطع بأنها التي نزلت و{جازت} (٢) في وقت الصحابة وهذا الذي بين أيدينا نعلَم أنه أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم قطعاً.

و من النّاس من حمل الخبر على أنه سبعة أحرف أي على سبعة أوجه كما في الخبر: أمرٌ و نهيٌ وحلالٌ وحرامٌ و محكَمٌ و متشابهٌ و أمثالٌ.

قال ابن جرير(٣): و هذا لا يصحُّ لأنه في هذه الأخبار أنّ الصحابة اختلفوا في ذلك حتى حكَّمُوا النبي صلى الله عليه وسلم فصوَّب جميعهم حتى دخل قلبَ بعضهم شكٌّ فلو كان هذا أمراً و نهياً ووعداً ووعيداً لما اختلفوا فيه لأنهم علموا أنّ ذلك مضمون الكتاب، قال: و كونُ الكتاب مشتملا على هذه الأقسام لا يمنعُ صحَّة ما ذكرنا من التأويل فكأنه قال : نزل القرآن على سبعة أحرف، و تمَّ الكلام، ثم قال: أمر و نهيٌ و وعدٌ ووعيدٌ كقوله:﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ﴾ [آل عمران:١٣] ثم استأنف الخطاب فقال:﴿ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ [آل عمران:١٣]وقال: ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد:٢٠].فتمَّ الكلام ثم قال : ﴿ طَاعَةٌ

---

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد: ص٣٥٥ و جامع البيان للطبري: ١ / ٤٨ و المرشد الوجيز: ١٣٦

(٢) في الأصل (ل) : و جاز.

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٣

﴿وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد:٢١] أي الواجبُ عليهم طاعة وقول معروف كذلك قال في الخبر: (أنزل القرآن على سبعة أحرف) ثم قال: أمر و نهيٌ أي القرآن منقسِم في نفسه إلى هذه الأقسام.

و قال بعضهم: إنّ القرآن نزل بسبع لغات هي متفرِّقة في جميع الكتابِ جاء بعضُ حروفه بلغة أخرى، و هذا يجوز أنْ يكون، و لكنَّ معنى هذه الأخبار ليس كذلك لأنا ذكرنا { أنهم } (١)اختلفوا في ذلك حتى تمارَوا و لأنّ في بعضَ الأخبار أنه قال: وذلك مثلُ هلمّ و تعالَ، وعلى التأويل { المذكور } (٢)لا يكونُ خِلافا.

قال ابن جرير: ((ولا يجوزُ أنْ تكونَ هذه الوجوهُ في الأَحكامِ حتى أنّ الشيء الواحد فيه سبعةُ أحكامٍ مختلفةٍ لأنّ ذلكَ خلافُ الدِّين و لم يحكُم النبي صلى الله عليه وسلم في الشيء الواحد في وقتٍ واحد بأحكام متضادّة و لا أقرّ أمَّتهُ على ذلك)) . (٣)

و قيل هذه اللغات السبع: خمسةٌ لعجُزِ هوازن (٤) سَعد بن بكر و جُشَم ابن بَكْر و نَصْرِ (٥) بن معاوية و ثِقيف و اثنانِ لقريش. وقيل(١) نزل بلسان الكَعبين(٢) كعب ابن عمرو وكعب بن لؤي . (٣)

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) في النسخة ((ل)) الأصل: (الذي)بدلا من (المذكور) . فصوبتها: المذكور.

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٣

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد: صـ٣٤٠ و جامع البيان للطبري: ١ / ٦١ و التمهيد ٨/ ٢٧٤ - ٢٩٦ و التحرير و التنوير: ١ / ٣١ . وفي لسان العرب :٥/ ٣٧٢ (عجز هوازن بنو نصر بن معاوية وبنو جشم بن بكر كأنه آخرهم) . وفي تاج العروس للزبيدي (١٥/ ٢١٢-٢١٣ عجز): (وعجز هوازن) كعضُدٍ : (بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، ومنهم بنو دُهمان و بنو نسَّان وبنو جشم بن بكر بن هوازن كأنهم آخرهم) وينظر فضائل القرآن لابن كثير ص(٥٦).

(٥) كان في في النسخة (ل) : نضر: وصوابه نصر بن معاوية بصاد مهملة كما تقدّم في الحاشية السابقة وكما في كتب الأنساب و منها جمهرة أنساب العرب للكلبي: ص٣٨٠

وقال بعضهم (٤) الاختلاف الواقعُ في القرآن يجمعُه سبعةُ أوجه:
و هي المراد في الخبر أولها : اختلافٌ في الإعرابِ أو في حركاتِ بنائها بما لا يزيلها عن صورتِها في الكتاب و لا يغيِّر معنىً نحو: قوله تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ ﴾ [هود:٧٨] بالرفع و(أطهرَ لكم) بالنصب [هود : ٧٨]. (٥)

---

(١) تحديد هذه اللغات لا حاجة بنا إلى معرفته اليوم كما قال إمام المفسرين الطبري قال: لأنا لو عرفناها لم نقرأ بها اليوم ، ثم لم يثبت تحديدها كما بين ذلك أيضا الطبري: ١ / ٦١ و ينظر: البرهان: ١ / ٢٨٤

(٢) المراد بالكعبين : كعب بن لؤي جدّ قريش وكعب بن عمرو جدُّ خزاعة: التمهيد: ٨ / ٢٧٥. المرشد الوجيز ص ٢٤٦ و البرهان: ١ / ٢٨٣ و في نسب كعب بن لؤي بن غالب ينظر:جمهرة النسب لابن الكلبي: ص٢٣ .

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد: ص٣٤٠ و جامع البيان للطبري: ١ / ٦١ والمرشد الوجيز (١٠٢و ١٣٠) وفضائل القرآن لابن كثير ص (٥٦) ، و الإتقان (١/ ١٣٥) . و كعب بن لؤي بن غالب: جمهرة النسب لابن الكلبي: ص٢٣

(٤) هو ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٦ – ٣٨ وقال ابن عبد البر: ٨ / ٢٩٥ قال بعض المتأخرين فذكره. و نقله ابن الجزري منسوبا إليه : النشر: ١ / ٣٧ ، و ذكر ابن خالويه: أوجها أخرى بعضها قريب مما هنا: إعراب القراءات السبع: ١/ ٢٣ و ذكر ابن الجزري أوجها سبعةً: النشر: ١ / ٣٦ وما ذكروه إنما هو اجتهاد في تنزيل معنى الحديث على ما يظهر لهم من اختلاف القراءات وهو استقراء ناقص ، وممن ضعَّف ذلك من الأئمة المتقدّمين الإمام القاسم بن ثابت السرقسطي في كتاب الدلائل:(ت: ٣٠٢هـ) قال (.....لأنّ الرّخصة كانت من رسول الله صلى الله عليه و سلّم ، والعرب ليس لهم يومئذ كتابٌ يعتبرونه ولا رسم يتعارفونه ، ولا يقف أكثرهم من الحروف على كتبة ، ولا يرجعون منها إلى صورة ، وإنما كانوا يعرفون الألفاظ بجرسها أي بصوتها ، ويجدونها بمخارجها ، ولم يدخل عليهم يومئذ من اتفاق الحروف ما دخل بعدهم على الكاتبين من اشتباه الصور)اهـ. عن المرشد الوجيز ص ١٣٢ .

(٥) بالرفع قراءة العشرة المشهورين و(أطهرَ) بالنصب قراءة سعيد بن جبير و عيسى بن عمر وغيرهم: (مختصر في شواذ القراءات لابن خالويه: ص ٦٠ و المحتسب: ١ / ٣٢٥)

(و هل يُجازَى إلا الكفورُ) ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧] بالنصب (١) وقوله: ﴿ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ﴾ [النساء : ٣٧ ، الحديد : ٢٤] بضم الباء و (البَخَل) بفتحها (٢) قوله : ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [البقرة : ٢٨٠]بفتح السين

و(ميسُرة) بضمها. (٣). و الوجه الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيِّر معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب مثل قوله:

(ربنا بَاعَدَ بين أسفارنا) وقوله: ﴿ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ الأول على الخبر و الثاني على الدعاء (٤).

---

(١) قراءة ابن كثير و نافع و أبو عمرو و ابن عامر و أبو بكر عن عاصم: بالياء و برفع الكفور و الباقون بالنون و بالنصب في الكفورَ: معاني القراءات للأزهري: ص٣٩٢ و غاية الاختصار لأبي العلاء: ١/ ٦٢٣ و النشر: ٢/ ٣٥٠

(٢) بالفتح: البَخَل: قراءة حمزة و الكسائي و خلف و الباقون بالضم في الباء و إسكان الخاء: غاية الاختصار: ١ / ٤٦٣ و إعراب القراءات لابن خالويه: ١ / ١٣٣

(٣) قرأ نافعٌ وحده بضم السين و قرأ الباقون بفتحها: معاني القراءات للأزهري: ص٩٠ و غاية الاختصار: ٢ / ٤٤٢ و ستأتي القراءة في البقرة و يأتي التعليق عليها إن شاء الله.

(٤) في تأويل مشكل القرآن: ص٣٦ و التمهيد: ٨ / ٢٩٥ و المرشد الوجيز: ١١٣ والنشر: ١ / ٣٧ : ﴿ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ [سبأ : ١٩] و(باعَدَ بين أسفارنا).

و أما القراءات فيها: فقراءة (ربّنا) بالرفع في الباء و (باعَدَ) بوزن فاعل ماضٍ قراءة يعقوب الحضرمي و بالنصب : فعل أمرٍ هي قراءة الجمهور، و (بعِّد) مضعّفا قراءة ابن كثير و أبي عمرو و هشام (السبعة: ٥٢٩ وغاية الاختصار: ٢ / ٦٢٤ و النشر: ٢ / ٣٥٠).

و ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ و (تَلِقُونه) [النور : ١٥] ، وقوله: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ ﴾ بالتشديد و(تَلِقونه) بكسر اللام، [النور : ١٥] (١) و﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ بضم الهمزة و (بعد أَمَهٍ) بفتحها [يوسف : ٤٥] (٢) .

و الوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها مما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ [البقرة : ٢٥٩] بالزاء المعجمة و(نُنشِرُها) بالراء غير معجمة (٣) . وقوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ [سبأ : ٢٣] بالزاء المعجمة و بالراء غير معجمة. (٤)

---

(١) قراءة :(تَلِقونه). قراءة شاذة تروى عن عائشة: جامع البيان للطبري: ١٧ / ٢١٦ – ٢١٦ ومختصر في شواذ القرآن: ١٠٠

(٢) قال الطبري: (﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ بضم الألف و تشديد الميم هي قراءة القَرَأَة في أمصار الإسلام ؛ وقد روي عن جماعة من المتقدّمين أنهم قرأوا ذلك (بعد أَمَهٍ) بفتح الألف وتخفيف الميم و فتحها، بمعنى: بعد نسيانٍ)... ثم أسند الطبري القراءة بذلك عن ابن عبَّاس و عكرمة و مجاهد ثم أسند من وجه آخر عن مجاهد أنه قرأها كذلك لكن مع إسكان الميم(أَمْهٍ) : جامع البيان للطبري: ١٣ / ١٨٤ – ١٨٦ و ذكر ابن خالويه قراءة ابن عبَّاس و قراءات أخرى شاذّة فيها: ص٦٤ و البحر المحيط: ٥ / ٣١٤ و اتحاف فضلاء البشر: ص١٦٠

(٣) قرأ عاصم وحمزة و الكسائي بالزاي من الإنشاز وهو الرفع، وقرأ الباقون بالراء ينظر: معاني القراءات للأزهري ص٨٥ ، و السبعة ص ١٨٩ ، و النشر ٢/ ٢٣١ ، و الوسيط للواحدي ١/ ٣٧٤

(٤) القراءة بالراء شاذةٌ و بالزاي فيها قراءتان سبعيّتان ، الأولى هي بفتح الفاء و الزاي :(حَتَّى إِذَا فَزَّعَ عَن قُلُوبِهِمْ) و هي قراءة ابن عامر ويعقوب، و قرأ الباقون بضم الفاء و كسر الزّاي: السبعة: ص٥٢٨ والنشر: ٢ / ٣٥١ . و أمّا{ فُرِّغَ } بالراء فشاذّة : وتروى عن الحسن و قتادة و أبو المتوكّل لكن اختلف في ضبطها عنهم ينظر تفصيل ذلك في : المحتسب لابن جنّي: ٢ / ١٩٢ و البحر: ٧ / ٢٧٨ والدر المصون: ٥ / ٤٤٤

و الوجه الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب و لا يغير معناها كقوله: (إن كانت إلا زقيةً و احدةً) (١) و ﴿ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [يس : ٢٩] وكالصوف المنفوش و العِهْن المنفوش (٢).

و الوجه الخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها و معناها نحو قوله : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ [الواقعة : ٢٩] و (طَلعٍ مَنضودٍ) (٣).

و الوجه السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير كقوله : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾ [ق : ١٩] و (سَكرةُ الحَقِّ بالموتِ). (٤)

و الوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقص كقوله:﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ [يس : ٣٥] ، ونحو قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [لقمان : ٢٦] و (إن الله الغني الحميد) (١) .

---

(١) قراءة ابن مسعود و قد تقدمت: فضائل القرآن لأبي عبيد: ص٣١٠ و جامع البيان للطبري: ١ / ٤٨ و مختصر في شواذ القرآن: ١٢٥

(٢) هي قراءة سعيد بن جبير جاءت عنه من طرق شتى كما قال الإمام ابن عبد البر و أسندها: ٨ / ٢٩٦ – ٢٩٧ وعبد الله بن مسعود : مختصر في شواذ القراءات ص ١٧٨ و المرشد الوجيز ص ١٤٧

(٣) بالحاءِ قراءة القراء العشرة و غيرهم كما رُسِمت في المصاحف، و بالعين شاذة تروى عن علي رضي الله عنه : جامع البيان للطبري: ٢٧ / ١٨٠ و مختصر في شواذ القراءات : ١٥١ و نسبها ابن عبد البر إلى جعفر بن محمد و علي و قال :رُويت عن علي رضي الله عنه من وجوه صحاح متواترة: ٨ / ٢٩٧

(٤) قراءة شاذة تروى عن أبي بكر الصدِّيق و سعيد بن جبير و طلحة بن مُصرِّف و علي بن الحسين وجعفر بن محمد : التمهيد: ٨/ ٢٩٧ وعزاها لأبي بكر في : جامع البيان للطبري: ٢٦ / ١٦٠

وقال بعضهم (٢) الاختلاف الواقع في القرآن يجمعه سبعة أوجه:

منها ما يكون بتغيّر اللفظ، و منها ما يكون التغير بلواحقها ،وهي من ستة أوجه:

الجمع والتوحيد و التذكير و التأنيث و التصريف و الإعراب، واختلاف الأدوات واختلاف اللغات فأما التغيُّر فيما يَلحَق نفس الحرف ويزيلها إلى لفظة أخرى كقوله : (و انظر إلى العظام كيف ننشرها) بالراء غير معجمة و بالزاء معجمة. (٣) و الوجه الأول: من الوجوه الستة الجمع والتوحيد كقوله : ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾ [التحريم:١٢] و(كتابه) (٤) وكقوله: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[الأنبياء:١٠٤] و(الكتاب) (٥).

---

(١) قراءة أهل الكوفة و البصرة من العشرة(هو الغنيّ) لأنها ثبتت في مصاحفهم، وقراءة (إن الله الغني ..) بحذف هو قراءة أهل المدينة و الشام لأنها كذلك في مصاحفهم: المصاحف: ١ /٢٤٨ و ٢٥٠ والمقنع: ١١٢ و النشر: ٢ / ٣٨٤

(٢) هو أبو علي الأهوازي المقرئ: (ت: ٤٤٦هـ) ذكر ذلك عنه الإمام أبو شامة في المرشد الوجيز: ص ١١٦

(٣) تقدّم ذكر هذه القراءة قريبا.

(٤) القراءة بلفظ الجمع – من غير ألف– قراءة أبي عمرو البصريّ و يعقوب و حفص و أما القراءة بلفظ الإفراد (كتابه) فقراءة الباقين. : المبسوط: ٤٤٠ ، الروضة: ٢/ ٩٥٦ ،و النشر: ٢/ ٣٨٩

(٥) قراءة : ﴿ لِلْكُتُبِ﴾ على لفظ الجمع هي قراءة الكوفيين إلا أبا بكر شعبة و الباقون بلفظ التوحيد للكتاب أو يقال: قرأ بالجمع حمزة و الكسائي و حفص . الروضة: ٢/ ٧٩٤ ،والنشر: ٢/ ٣٢٥ و الاتحاف: صـ ٣١٢

و الوجه الثاني: وهو التذكير و التأنيث : كقوله : ﴿ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾ [الأنبياء:٨٠] بالتاء المعجمة من فوقها و (لِيُحصِنكُم) بالياء (١).

والوجه الثالث : وهو التصرُّف كقوله: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦ ﴾ [الحجر:٥٦] بفتح النون و (يقنِط) بكسرها (٢).

و الوجه الرابع : وهو الإعراب كقوله: (ذو العرش المجيدِ) [البروج:١٥] و (المجيدُ) برفعها (٣).

و الوجه الخامس: وهو اختلاف الأدوات كقوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ ﴾ [البقرة:١٠٢] بتشديد النّون و (لكن) بتخفيفها (٤)، وقوله : (لَمَا عليها حافظ) و (لَمَّا) بالتخفيف والتشديد (٥). و الوجه السادس : وهو اختلاف اللغة كقوله :﴿ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ [المائدة:٦٩]

(١) قراءة (لِتُحْصِنَكُم) بالتاء الفوقية هي قراءة ابن عامر و حفص و أبو جعفر يزيد بن القعقاع و قرأ أبو بكر شعبة و رويس – في رواية- بالنون و الباقون بالياء: الروضة: ٢/ ٧٩٢، غاية الاختصار: ٢/ ٥٧٥ ، النشر: ٢/ ٣٢٤

(٢)قراءة (يقنِط) بكسر النون قرأ بها : أبو عمرو البصري و الكسائي و خلف في اختياره و قرأ الباقون بفتحها: المبسوط: ٢٦٠ ،الرّوضة: ٢/ ٧٣٤ ، إرشاد المبتدي: ٣٩٨ ، النشر: ٢/ ٣٠٢

(٣) قراءة الخفض قرأ بها حمزة، و الكسائي في غير رواية قتيبة، و خلف في اختياره، و قرأ الباقون بالرفع: السبعة: ٦٧٨ و المبسوط: ٤٦٦ و الروضة: ٩٨٨ و النشر:٢/ ٣٩٩

(٤) قراءة (لكن) بتخفيف النون و كسرها في الوصل قرأ بها ابن عامر و حمزة و الكسائي و خلف في اختياره، وأما بتشديد النون فقراءة الباقين.: المبسوط: ١٣٤ والروضة: ٢/ ٥٤٣ و الاتحاف: ٥٤٣.

(٥)قراءة (لَمَّا) بتشديد الميم هي قراءة : ابن عامر و عاصم و حمز ة و قرأ الباقون بالتخفيف: الروضة: ٢/ ٧١٤، النشر: ٢/ ٢٩١ ، الاتحاف: ٢٦٠

و(الصابون) بالهمزة و إسكانها [(١)] و كقوله :﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ [الشمس:١] بالإمالة والتفخيم [(٢)] . فأما ما رُوى ابن مسعود عن النبي صلَّى الله عليه و سلَّم أنه قال:

(كان الكتاب الأوَّل نَزَلَ من بابٍ واحدٍ على حرفٍ واحدٍ، و نزل القرآن من سبعةِ أبوابٍ على سبعةِ أحرف). (٣)

قيل أراد بالكتاب الأوَّل صحفَ إبراهيم لم يكن فيها غيرُ الدُّعاء و توحيدُ الله و خلعُ الأنداد يدل عليه قوله: ﴿ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ ﴾ الآية [الأنعام:٧٩] وقال : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٢] .

وقيل: أراد به زَبُور داودَ لأنه تذكيرٌ و مواعظُ ليس فيه غيرُهُ، و قيل أراد به الإنجيلَ لأنّه أوّلُ {هذه الكتب} (٤)، و إنّما هو تمجيدٌ و محامدُ و حضٌّ على الصَّفح و الإعراضِ دون غيرها من الأحكامِ و الشّرائع. (٥)

وقوله: (و نزلَ القرآن من سبعةِ أبوابٍ على سبعةِ أحرف) قد مضى معنى الحرف [(٦)].

فأمّا قوله من سبعة أبواب فهو ما تضمَّنه الخبرُ من قوله : (زجرٌ و أمرٌ، و في رواية أخرى زاجرٌ و آمِر وحلالٌ و حرامٌ و محكَمٌ و متشابِهٌ و أمثال).

---

(١) قراءة نافع و أبي جعفر بنقل حركة الهمزة إلى الباء قبلها و يحذفون الهمزة و قرأ الباقون بإثبات الهمزة مضمومة: البدور الزاهرة: ص٩٣.

(٢) يعني بإمالة﴿ ضُحَىٰهَا ﴾ و بترك الإمالة فالإمالة فيها قراءة حمزة و الكسائي و خلف في اختياره و التقليل و هو بين بين قراءة أبي عمرو و الباقون و منهم حفص بالفتح الخالص : الروضة: ١/ ٣٤٢ ، الاتحاف: ٧٥ – ٧٦، البدور الزاهرة: ٣٤٢.

(٣) تقدّم تخريج الحديث عند ذكر المصنف للأحاديث في الحروف السبعة قريباً: صـ ٢٣٧.

(٤) في النسخة (ل) : (هذا الكتاب) ووجه العبارة ما أثبته.

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ٦٥

(٦) ينظر: صـ ٢٠٧

و يكونُ معناه أيضا أنّ أهلَ الكتاب الأوّل كانوا يستوجِبونَ الجنّة بوجهٍ واحدٍ إذا فعلوا ما في كتابهم، و هذه الأُمّة لها سبعة أوجهٍ تُدرِكُ بها رضا الله و جنّته فإذا قام بأمر الله وانتهى عما نهى الله و أحلَّ ما حلّله و حرّم ما حرَّمه و آمن بمحكمه و سلَّم لمتشابهه واعتبر بأمثاله فقد استوجبَ بكلِّ خصلةٍ منها باباً من أبواب الجنة . وقيل تلك الوجوه التي يستوجِب بها أبوابَ الجنة اشتمالُ الكتاب على التوحيد و صدق الرسالة و أمره و نهيه ووعده ووعيده و إخباره عما كان و يكون و أمثاله المضروبة فيه وتقريعه و تبكيتُهُ لمن تحدّاهم بالإتيان بمثلِهِ و إظهارُ عجزهم عن ذلك بقوله:﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾[الإسراء:٨٨] و ما أشبهه فمن علِم بهذه الوجوه استحقَّ الجنة وهذه المعاني غير موجودةٍ جملةً في الكُتُب المتقدِّمة. (١)

و أما قوله: (لكلِّ حرفٍ منها ظَهْرٌ و بطْنٌ). فظهره الظَّاهر من تلاوته و بطنه الباطنُ من تأويله. (٢)

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٦٦

(٢)وبهذا قال الطبري ولفظه: (فظهره الظاهر في التلاوة و بطنه ما بطن من تأويله) اهـ. جامع البيان للطبري: ١ / ٦٧ طبعة دار هجر ،وفي طبعة الحلبي: ١/ ٣٢ و تفسير البغوي: ١ / ٤٦ . و في النهاية: (ظهر) ٣/ ١٦٦ قيل : ظهرُها: لفظُها، و بطنُها : معناها. ثمّ ذَكَرَ أقوالاً أخرى.

وهذا القول بمعنى قول الطبري و عزاه الماوردي إلى الجاحظ: ١/ ٤١ و ذكر ثلاثة أقوال في تفسيرها ستردُ كلُّها.

وقال الإمام ابن المبارك: (سمعتُ غيرَ واحد يقول في معنى في هذا الحديث ما في كتاب الله آية إلا ولها ظَهْر وبطْنٌ يقول: لها ظاهرٌ وتفسيرٌ خفي): الزهد لابن المبارك :١/ ٢٣ و هو بمعنى قول الطبري.

و أشبهُ الأقاويل بالصّواب عند الإمام أبي عُبيد القاسم بن سلام : (أنّ الله عز وجل قد قص عليك من نبأ عاد وثمود وغيرهما من القرون الظالمة لأنفسها فأخبر بذنوبهم وما عاقبهم بها فهذا هو الظاهر إنما هو حديث حدَّثك به عن قوم فهو في الظاهر خبر وأما الباطن منه فكأنّه صيّر ذلك الخبر عظةً لك وتنبيها وتحذيراً أنْ تفعل فعلهم فيحلَّ بك ما حلَّ بهم من عقوبته...)اهـ. غريب الحديث لابن سلّام :٢/ ١٣

ومعنى ذلك أنّ القصص ظاهرها الإخبار بهلاك الأوّلين وباطنها عظة للآخرين .

و قوله: (لكل حرف حدٌّ) يعني لكل وجه من هذه الأوجه السبعة حدٌّ حدَّه الله سبحانه لا يجوز لأحد أن يتجاوزه(١).

و قوله : لكل حدٍّ من ذلك مُطَّلَعٌ أي لكلِّ حدٍّ حدَّهُ في كتابه من الحلال و الحرام والشرائع و الأحكام مقدارٌ من الثواب و العقاب علّقه على فعلِه و تركِهِ يُعايِنُهُ صاحبُه {في } (٢) الآخرة ويطَّلع عليه و يلاقيه في القيامة كما قال عُمر بن الخطّاب : (لو أنّ لي ملأُ الأرضِ من صفراءَ أو

و هذا أيضا تفسير صحيح من إمام جليل و قدر رجحه الزركشي: ٢/ ٤٨٦ و السيوطي: ٢/ ١٦٩ .

وقيل تفسيره : أنه ما من آية إلا عمل بها قوم ولها قوم سيعملون بها يروى ذلك عن ابن مسعود. ذكره الزّركشي و السّيوطي.

و ينظر: تفسير أبي عبيد لمعناها : فضائل القرآن: ٩٨ و فهم القرآن للحارث المحاسبي: ص٣٢٨ وقانون التأويل لابن العربي : ١٩٦ و شرح السنة للبغوي: ١ / ٢٦٢ ومجموع الفتاوى: ١٣ / ٢٣١ و ما بعدها والموافقات للشاطبي: ٤ / ٢٠٨ ،والبرهان: ٢ / ١٦٩ و الإتقان: ٢/ ٤٨٦ – ٤٨٧ .

و من المعلوم أنّه لا يمكن أنْ يكونُ الظاهر من الأدلّة الشرعية مناقضاً للباطن بمعنى أنْ ينهى الله تعالى عن الزّنى مثلاً فيكونُ ظاهر النهي التحريم و باطنه الإباحة لبعض الخلقِ، أو يأمر بالنفقة والصدقة ويكون باطنه الحضّ على الإمساك هذا ما لا يقبله عقلٌ و لا يصحُّ في لغةٍ، و لا يدَّعيه من عنده مُسكةُ فهم أو ذرّة دينٍ إنّما قد يقول بعض هذه التخريفاتُ من لا خلاق له و لا دين من كفرة الباطنية ليموِّهوا بها على جهلة أتباعهم مع علمهم بوضوح بطلانها و شدّة ضلالها، فلا شكّ أنّ هذا نوعٌ من الهذيان والسفسطة ليس يأبه له العقلاءُ و لا يلتفتُ إليه العلماء.

(١) ينظر : تفسير الطبري ١ / ٦٧ و في تفسير الماوردي: أن له تأويلان: ١- أنّ معناه لكل لفظٍ منتهى، فيما أراده الله من عباده. ٢- أن لكلِّ حكمٍ مقداراً من الثواب و العقاب.

(٢) في النسخة (ل) : على. و لا يستقيم بها الكلام.

بيضاءَ لافتديتُ به مِن هَوْلِ المُطَّلَع). (١) يعني ما يَطَّلِعُ عليه ويَهْجُمُ عليه من أمرِ الله تعالى بعدَ وفاته . (٢)

و يحتمَل أن يكون قوله: (سبعةُ أحرفٍ) أراد به سبعَ لغاتٍ هي اليوم متفرِّقة في الكتاب إنما تجتمع في الكلمة الواحدة و اثنتان أو ثلاثة فصاعداً و إنْ لم يُوجد إلا في سبعة كقراءة من قرأ :

(١) أخرجه أبو يعلى (٢٧٣١) ، وعنه ابن حبان (٦٩٠٥) وينظر طبقات ابن سعد ٣/ ٣٥٤-٣٥٥ ، وذكره الطبري في تفسيره بلا سند: ١/ ٦٧

(٢) هذا التفسير الذي ذكره المصنِّف هو نفسُ ما فسّربه الإمام الطبري فقد فسّر: المطّلع : بأنه مقدارٌ من ثواب الله يعاينه ويطّلع عليه في الآخرة(تفسير الطبري: ١ / ٦٦ – ٦٧) . و هو تفسير فيه وضوح ولكن كونه مراداً هنا مجرّد احتمالٍ لأنّ اللفظ فيه إبهامٌ يدخلُ منه أكثر من تفسير محتمل، و قد فسَّرهُ الإمام أبو عُبيد بأنّه هو المأتي الذي يُؤتَى منه حتى يعلَمَ علمَ القرآن من كلّ ذلك المأتي والمصعد : غريب الحديث :٢/ ١٢٠. وقيل أراد له حدٌّ في التلاوة و التفسير لا يجاوز: تفسير البغوي: ١ / ٤٦ .وقال الإمام ابن المبارك:(ولكل حد مطَّلَعٌ قال يطَّلع عليه قوم فيستعملونه على تلك المعاني ثم يذهبُ ذلك القرن فيجيء قرن آخرُ يتطلعون منها على معنى آخر ...... فلا يزال النّاس على ذلك إلى يوم القيامة يقول ينهى عن ذلك ولكن تفسّره السنة)اهـ. الزهد لابن المبارك ١/ ٢٣ وهو من زيادات نعيم بن حماد عن ابن المبارك. وقال ابن الجوزي : (لكلّ حرفٍ حدّ)أي منتهى : غريب الحديث لابن الجوزي :١/ ١٩٦ .و قال الطبري: الحدّ ما لا يجوز لأحد أنْ يتجاوزه (جامع البيان : ١ / ٦٦) .

وقيل : لكل حدّ مَصْعد يُصْعد إليه من معرفة علمه ، يقال مَطلَعُ هذا الجبل من مكان كذا أي مأتاه ومصعَدُه : ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (طلع) و ابن الأثير في النهاية٣/ ١٣٢ ، وقيل معناه: إن لكلّ حدٍّ منتهَكًا ينتهِكُه مرتكبه أي أنّ الله عز وجل لم يحرِّم حرمة إلا عَلِمَ أنْ سَيَطَّلِعُها مُسْتَطْلِعٌ، ويجوزُ أن يكون [لكل حدٍّ مَطْلَع] بوزن مَصْعَدٍ وبمعناه: النهاية:٣/ ١٣٢ و في لسان العرب في تفسير هذا الحديث :(قيل أراد لكلّ منتهىً نهاية، ومنتهى كل شيء حدُّه)اهـ. لسان العرب ٣/ ١٤٠ و ينظر أيضا : تفسير الماوردي: ١/ ٤٢ والبرهان: ٢ / ١٦٩ و الإتقان: ٢/ ٤٨٦ – ٤٨٧

ميـــسَرة و ميـــسُرة و يقـــنَط و يقـــنِط و زَقيـــة و صـــيحة و الأثـــيم و الفـــاجر و ما أشبهه. (١)

القول في جواز تفسير القرآن و من الذي يجوز له ذلك و على أيِّ شرط يصح ومن الـذي يجـوِّز ذلك.

الصحيحُ أنَّ ما يتعلَّق بالرّواية و اللغة و النّزول ، و أنه أين نَزَلَ، و في أيِّ وقـتٍ نَـزَل وكـذلك القَصَصُ و أسامي الرّجال لا يجوز القول فيه إلا عن نقل صحيح و إسناد متصل يقطع العـذرَ إذ ليس للرأي فيه مجالٌ ولا للنّظر إلى استدراكِ معناه سبيلٌ فالوجهُ فيه الإتّباع و التّقليدُ.

و أمّا ما يتعلّق بالمعاني فيمكن انتزاعه بالاستنباطِ و إعمالِ الفكرِ فيه، فكلُّ مـن لـه آلـةُ النَّظـرِ، وكان عارفاً بأصولِ الدِّين، و مجاري خطابِ العرب فله تأويله، واستنباط معانيه فإنْ سُبِقَ إليه كان تأييداً له، و إنْ وقع له شيء لم يُسبَقْ إليه كان ابتداءَ فضلٍ من الله سبحانه معه، و لا يكـون فيه مخالفة للإجماعِ (٢)، و ذلك أنّ أحداً من الأمّة لم يحظُر على غيره أنْ يكـون القـولُ في الآيـة

(١) الراجح في معنى الأحرف السبعة قول أكثر المتقدّمين من العلماء -كابن وهب و ابن عيينة ثم الطـبري إمام المفسرين والطحاوي و ابن عبد البر وغيرهم وهو قول أكثر أهل العلم - أنّ ذلـك كـان رخـصة في صدر الإسلام، ثم جمع عثمان رضي الله عنه النّاس على حرفٍ واحد من السبعة وأنّ معنى السبعة الأحرف المذكورة في الحديث سبعة أوجه من الكلام المتّفق معناه ، المختلف لفظه ، نحو : (هلمّ ، وتعالَ ، وعجِّل ، وأسرع ، وانظر ، وأخر ، ونحو ذلك). و قد أطال الطبري وابن عبد البر و غيرهما الدلالة على ترجيح هذا القول و بيّنوا أنّ الروايات تدلّ عليه ونسبه ابن عبد الـبر لأكثـر أهـل العلـم: التمهيـد: ٨ / ٢٨٠ و قـد ذكرت المصادر سابقا. و ممن رجحه من المعاصرين الشيخ: أبو شهبة ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة ص ١٧٠ .و بسطُ الكلام في بيان رجحانه يطول و قد كثرت الأقاويل في توجيه معنى حـديث الأحرف السبعة، و هو حديث مشكلٌ، و اضطرب العلماء في تفسيره، و أنا أميلُ إلى هذا القول .

(٢) يعني بشرطِ أنْ لا يكون في هذا المعنى المستنبَطِ ما يُخالفُ الإجماع.

قولُهُ فقط بل كلُّهم و صفوا القرآن بأنّه العجيب الـذي لا تنقـضي عجائبـه، و المفيـد الـذي لا تنقطع فوائدُهُ .

و هذا قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لما سُئل هل خصّكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء فقال : (لا إلا من أُوتي فهماً في كتاب الله عزّ وجل (١)).

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : (إنك لن تفقه كلَّ الفقه حتى ترى للقرآن وُجُوها) (٢).

وقد وصف الله سبحانه كتابه بأنه تبيانٌ لكل شيء، وقال في صفة المؤمنين : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾ الآية [النساء:٨٣].

وقال: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٥٩] يعني إلى كتابه وتدبر معانيه و قال ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ ﴾ الآية [ص:٢٩]. وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ الآية [النساء:٨٢] وقال: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ الآية [الروم:٥٨]، ووصف الله كتابه بأنه بيان وشفاء لما في الصدور و إنما يكون ذلك كذلك عند

---

(١)جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع منها: في كتـاب العلـم بـاب كتابـة العلـم (ح ١١١) و في الجهاد باب فكاك الأسير:(ح ٢٨٨١) و في الديات ، باب العاقلة : (٢٥٠٧) وأحمد المسند:١ / ٢٣ والنسائي (المجتبى) في كتاب القسامة ، باب سقوط القود من المسلم للكـافر:٨ / ٣٩٢ (ح ٤٧٥٨) والترمذي في كتاب الدّيات ، باب : (لا يقتل مسلم بكافر) :٤ / ١٧ (ح ١٤١٢) و ابن ماجه :٢ / ٨٨٧ (ح ٢٦٥٨) وابن أبي شيبة: ٤ / ٥٠٩ والدارمي :٢ / ٢٤٩ وابن الجارود في المنتقى :١ / ٢٠٠

(٢)رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى:٢ / ٣٥٧ و ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق :٤٧/ ١٧٣من طريـق حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة أن أبا الدرداء قال :

(إنك لن تفقه كلَّ الفقه حتى تمقُتَ النّاس في جَنْب الله تعالى ثم ترجع إلى نفسك فتجدها أمقتَ عندك من سائر النّاس، وإنك لن تفقه كلَّ الفقه حتى ترى للقرآن وجوها،قال حماد فقلتُ لأيوب أرأيتَ قوله: حتى ترى للقرآن وجوها، قال فسكت هنيهةً قال فقلتُ: أَهوَ أنْ ترى له وجوهاً فتهابَ الإقـدام عليـه، فقـال: نعم، هذا هو).

تأمُّل معانيه و الوقوف على ما أُودع من العلوم فيه، و هذا ابن مسعود يقول : (من أراد العلم فليثوّر (١) القرآن فإن فيه علمَ الأولين و الآخرين) (٢) .

و قال : (ما من آية من القرآن إلا و أنا أعلمُ حيث نزلتْ و فيمَ أُنزلت و لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلُغُهُ الإبل لرحلتُ إليه) (٣).

و عن ابن مسعود أنه قال: (إذا سمعتَ الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا فأرْعِها سمعكَ فإنها خيرٌ يأمر به أو شرٌّ ينهى عنه) (٤). و دعا النبي ﷺ لابن عبَّاس فقال: (اللهم فَقِّهُ في الدين وعلِّمه التأويل) (٥).

---

(١) تثوير القرآن قراءته ومفاتشة العلماء به: لسان العرب : ٤ / ١١٠ و تفسير القرطبي :١/ ٤٤٦ وفي النهاية: ١ / ٢٢٩ أي : ليُنَقِّر عنه ويُفكّر في معانيه وتفسيرِه وقراءتِه .

(٢) أخرجه المحاسبي في فهم القرآن :ص٢٩١ و الطبراني في المعجم الكبير :٩ / ١٣٥ و البيهقي شعب الإيمان :٢ / ٣٣٢ . قال الهيثمي: (رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح)اهـ. مجمع الزوائد ٧/ ١٦٥ وينظر: فتح القدير للشوكاني ٣/ ١٨٩.

(٣) أخرجه : البخاري : (ح ٥٠٠٢) و مسلم : (ح ٢٤٣٦) والطبري: ١ / ٧٥ و غيرهم.

(٤) رواه سعيد بن منصور في سننه ٢ / ٢١١ :(قال نا سفيان عن مِسْعَر قال: أتى عبد الله رجلٌ فقال: أوصني فقال إذا سمعتَ الله عز وجل يقول في كتابه يا أيها الذين آمنوا فأصغ لها سمعك فإنه خير تُؤمَر به أو شرٌّ تُصرَف عنه)اهـ. وكرره سعيد بن منصور في تفسير سورة المائدة . و مسعر هو ابن كِدام و لم يدرك عبد الله بن مسعود. ورواه ابن أبي حاتم: عن مسعر حدثني معن و عون أو أحدهما بالشك: تفسير ابن أبي حاتم: ١ / ١٩٦ وذكره ابن كثير في تفسير سورة الأعراف (٢ / ٢٥٥) و لم يَعْزُه.

(٥) دعاء النبي صلى الله عليه و سلّم لابن عبَّاس بأنْ يفقه الله في الدين في الصحيحين : بلفظ: أن النبي صلى الله عليه و سلّم دخلَ الخلاء فوضعتُ له وضوءا قال من وضع هذا فأُخبِرَ : (فقال اللهم فقهه في الدين) و اللفظ للبخاري : (ح ١٤٣) و مسلم: (٢٤٧٧) .و أما لفظة (و عَلِّمه التأويل) فهي صحيحة لكن ليست في الصحيحين . ينظر: فتح الباري: ١/ ١٧٠ رواها الإمام أحمد: ١ / ٢٦٦ و ٣١٤ و ٣٢٨ و ٣٣٥ والفسوي في: المعرفة والتاريخ:١ ص: ٢٦والطبري في تهذيب الآثار في مسند علي من طرق :١ / ١٦٨ – ١٧١ و علَّق عليها بكلام مفيد. و رواه الطبراني في الكبير: (ح ١٠٥٨٧

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن). (١) و رُوي أن عليا رضي الله عنه ولّى ابن عبَّاس على الحج فخطب النّاس خطبة لو سمعها الترك و الروم لأسلموا ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسِّرها (٢).

و قال سعيد بن جبير: من قرأ القرآن ثم لم يفسِّره كان كالأعمى أو كالأعرابيّ (٣).

وقال عبد الله بن مسعود : نعم تُرْجمان القرآنِ ابن عبَّاس. (٤)

وعن سفيان الثوري أنه قال: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبُك به (٥).

و عن مجاهد: أنه كان يسأل ابن عبَّاس عن تفسيرِ القرآن و معه ألواحه (٦).

و ١٠٥٨٧) و ابن حبان ١٥/ ٥٢٩ و الحاكم: المستدرك ٣/ ٦١٧ وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) اهـ. و لهذا الحديث ألفاظ و هو حديث صحيح ، قال ابن عبد البر: (رُوِيَ عن النبى صلى الله عليه و سلّم من وجوه أنه قال لعبد الله بن عبَّاس اللهم علِّمه الحكمة وتأويل القرآن وفى بعض الروايات اللهم فقهه فى الدين علمه التأويل وفى حديث آخر اللهم بارك فيه وانشر منه، واجعله من عبادك الصالحين، وفى حديث آخر اللهم زده علما وفقها وهى كلها أحاديث صحاح)اهـ. الاستيعاب ٣/ ٩٣٥ و رواه الذهبي وسرد بعض الروايات الصحيحة و الضعيفة و علق عليها: سير أعلام النبلاء:٣/ ٣٣٧ و ما بعدها.

(١) رواه الطبري: ١ / ٧٤ بسند صحيح و ذكره بعد ذلك وصححه في: ١ / ٨٣ و ذكره ابن كثير في تفسيره عن الطبري: ١ / ٤

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٧٥ و الحاكم ٣ / ٥٣٧ و ينظر الإصابة: ٤ / ١٩٤

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٧٦ وفي بعض نسخه الأعجمي بدل الأعمى .

(٤) رواه الإمام أحمد في الفضائل(١٥٥٨ و ١٥٦٠) و الطبري في تفسيره: ١ / ٨١ و في تهذيب الآثار: من مسند ابن عبَّاس : صـ ١٧٣ و الحاكم وصححه على شرط الشيخين : ٣ / ٥٣٧ قال ابن كثير : (هذا إسناد صحيح إلى عبد الله بن مسعود)اهـ :١/ ١٣

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ٨٥

(٦) جامع البيان للطبري: ١ : ٨٥

وروي أنّ عمر بن الخطاب خرج إلى مكة فاستقبله أمير مكةَ نافعُ بن الحارث فقال له عمر : (من استخلفتَ عليها فقال عبد الرحمن بن أبزى قال و من ابن أبزى قال مولىً لنا فغضب عمر فقال: وجدته أقرأهم لكتاب الله و أعلمهم فقال عمر (١٣و) سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله ليرفع بهذا الدّين أقواماً و يضعُ به آخرين) (١).

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أعرِبُوا القرآنَ و التَمِسُوا غرائبهُ) (٢).

ورُوِيَ عن الثوري أنه قال: (أفنينا عمرنا في الإيلاء والظّهار و نبذنا كتاب الله وراء ظهورنا فماذا نقول لربِّنا في المعاد ؟) (٣).

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة (١/ ٥٥٨) باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلّمها ، وابن ماجة في المقدمة باب فضل من تعلم القرآن وعلمه حديث رقم (٢١٨) ورواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٣٥ و أخرجه الدارمي في فضائل القرآن ٢/ ٤٤٣، باب إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع آخرين (١٢٩)، ورواه أبو يعلى في مسنده ١/ ١٨٥ من طريق أُخرى.

(٢) أخرجهُ أحمد بن منيع وابن أبي شيبة في مسنديها كما في المطالب العالية: ١ / ٨٠ و أبو يعلى:١١:٤٣٦ و ابن الأنباري: في الإيضاح في الوقف و الابتداء :١ / ١٥ والحاكم في تفسير سورة السجدة: ٢ / ٤٧٧ وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد على مذهب جماعة من أئمتنا ولم يخرجاه)، والبيهقي في شعب الإيمان:٢ / ٤٢٧ والخطيب في تاريخ بغداد :٨ / ٧٧ كلُّهم من طريق عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن جده عن أبي هريرة مع اختلافٍ عليه في سنده بينه الدارقطني: العلل الواردة في الأحاديث النبوية: ١٠/ ٣٦٧ .

وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٦٣ إلى أبي يعلى وقال : (وفيه عبدالله بن سعيد بن أبي سعيد المقبُرِي وهو متروك) اهـ. و هو كما قال. و ذكره أبوحاتم و بين الاختلاف فيه على عبد الله المقبُرِي وقال : (والاختلاف من عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري وهو ضعيف ذاهب). وكذلك ضعفه البُوصيري : في مختصر اتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٨/ ٤٧٤). و ترجمة: عبد الله المقبُريّ في الميزان: ٣/ ١٤٣ و غيره.

(٣) ذكره الثعلبي قائلا: روى مؤمّل بن اسماعيل عن سفيان الثوري: ١ / ٨٦ في مقدمة تفسيره. و ذكره أحمد الهكاري في تفسيره: صـ ١٧٠ رسالة دكتوراه.

و عن أُبيّ بن كعب أنَّه قال: تعلَّموا العربية في القرآن كما تتعلمون حفظه (١).

و عن عِمرانَ قال: إعرابُ القرآنِ أَحبُّ إليَّ من إقامةِ حروفِهِ (٢).

وقد اشتهر بعلم التفسير جماعة من الصحابة ثم بعدهم من التابعين ثم أتباع التابعين ثم تبَّاع التابعين فمنهم: أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب، و أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعبد الله بن عبَّاس و ابن مسعود و أُبيّ بن كعب و زيد بن ثابت و ابن الزُّبير و أبو موسى رضي الله عنهم، ثم بعدهم أتى ابن المسيّب و القاسم بن محمد و عروة بن الزبير و عبيد الله بن عبد الله بن عتبة و أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف و أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وخارجة بن زيد (٣) و عطاء بن يسار، و زيد بن أسلم، و مجاهد، و عطاء بن أبي رباح، و سعيد بن جبير ،وعكرمة و الحسن و ابن سيرين و قتادة ومعاوية بن قرة و أبو العالية و الأسود و عَبِيدة السّلماني و السُّدِّيّ

(١) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن: ص٣٤٩ و ابن الأنباري : الإيضاح في الوقف و الابتداء: ١ / ٢٣ – ٢٤ و الأضداد: (٢٣٩) و عبد الواحد بن عمر النحوي في أخبار النحويين:١/ ٤٠ ، كلُّهم من طريق حماد بن زيد عن واصل مولى أبي عيينة عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبيّ بن كعب .

(٢) لم أعثُر عليه مسنداً عن عمران، و ينظر: تفسير القرطبي:١ / ٢٣

(٣) في الأصل (ل) : {و الحسن وزيد بن خارجة} و صوّبته: خارجة بن زيد لأن الحسن سيرد مع ابن سيرين قريبا، و لأنّ المصنف ذكر في سياق واحدٍ فقهاء المدينة السبعة و هو آخرهم هنا، و زيد بن خارجة بن زيد لم أجده.

و أما خارجة بن زيد فهو ابن الصحابي الجليل زيد بن ثابت الأنصاري يكنى خارجة بأبي زيد وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ثقة فقيه جليل روى عن أبيه و عن عمه وأسامة بن زيد و غيرهم وعنه الزهري وأبو الزناد و غيرهما قال ابن المديني مات سنة مائة وقيل قبلها بسنة قاله الفلاس ولما بلغ عمر بن عبد العزيز موته قال: ثلمة والله في الإسلام: (التاريخ الكبير: ٣ / ٢٠٤ و الجرح و التعديل: ٣ / ٣٧٤ والثقات: ٤ / ٢١١ وحلية الأولياء : ٢ / ١٨٩ و تهذيب الكمال : ٨ / ٨ و تهذيب التهذيب: ٣ / ٥٦ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ج١/ ٩٩)

و مكحـــول، وطـــاووس الـــيماني ،و عطـــاء الخراســـاني، و الـــضحَّاك بـــن مُـــزاحم و (عبـــد الله) بـــن زيـــد بـــن أســـلم، (١) و محمـــد بـــن الـــسّائب الكَلبـــي

(١) كذا في الأصل : (ل). و إنما المشهور بالتَّفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لا أخوه عبد الله بـن زيـد بن أسلم. وهم ثلاثة إخوة أقواهم في الحديث عند أحمد و من وافقه عبد الله، و أمّا أسـامة و عبـد الـرحمن ففيهما ضعف، و أبوهم من ثقات التابعين.

فأما عبد الله بن زيد بن أسلم المدني أبو محمد فروى له (البخاري في الأدب و الترمـذي والنـسائي) روى عن أبيه وعنه ابن المبارك وابن مهدي والقعنبي. وثَّقه أحمد وضعفه ابن معين قال ابن معين : وقـد وسـئل عن بني زيد بن أسلم: ليسوا بشيء ثلاثتُهم، يعني أسامة وعبد الله وعبد الرحمن، وقال الإمام أحمد: أسامة وعبد الرحمن متقاربان ضعفا وعبد الله ثقة، وقال أيضا: (عبد الله بن زيد بن أسلم أثبـت مـن عبـد الرحمن قلتُ – القائل عبد الله بن الإمام أحمد- أثبت قال نعم. فقلت فعبد الرحمن قـال: كـذا لـيس مثلـه .وضعَّف من أمره قليلا)اهــ. :(العلـل لأحمـد: ٢ / ٤٧٣و ضـعفاء العقـيلي:٢/ ٣٣١ و الكامـل في ضعفاء الرجـال ٤/ ١٨٥ وتهـذيب الكـمال :١٤ / ٥٣٥ وخلاصـة تـذهيب تهـذيب الكـمال ١/ ١٩٨ وميزان الاعتدال ٤/ ١٠٣). وأما ابن حبان فقال عن عبد الله: (كان شيخاً صالحا كثيرَ الخطـأ فـاحش الوهم يأتي بالأشياء عن الثقات التي إذا سمعها المبتدىء في هـذه الـصناعة شـهد عليهـا بالوضـع)اهــ.: المجروحين لابن حبان:٢/ ١٠ .

و أما عبد الرحمن بن زيد فهو المشهور بالتفسير يروي الطبري و ابـن أبي حـاتم و غيرهمـا عنـه كثـيرا مـن التفسير و هو مشهور في التفاسير و إذا قيل ابن زيد فإنما يعنونه: قال الحافظ ابن حجـر: (ولعبـد الـرحمن نسخة كبيرة يرويها عن أبيه و غيره و يرويها عنه ابن وهب و غيره و فيه أشياء كثيرة لا يسندها لأحد)اهـ. العجاب ص ٦٢

و عبد الرحمن روى له: (الترمذي و ابن ماجه) وروى عن أبيه وعنـه وكيـع وابـن وهـب وقتيبـة وخلـق وضعفه أحمد وابن المديني والنسائي وغيرهم كما تقدّم. و في التقريب: ضعيفٌ: (ترجمـة:٣٨٦٥)و مـات سنة اثنتين وثمانين ومائة. : (التاريخ الكبير: ٥ / ٢٨٤ والضعفاء الصغير للبخاري: ت: ٢٠٨ و ضـعفاء النسائي: رقم ٣٦٠ و الكامل لابن عـدي: ٤ / ٢٦٩ و المجـروحين: ٢ / ٥٧ و ميـزان الاعتـدال: ٤ / ٢٨٣ و خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/ ٢٢٧).

و مقاتل بن حيّان (١) و رجاء بن مصعب (٢) وغـيرهم ممـن يكثُـر ذكـرُهُم مـن أكـابر الأمّـة وعلمائها من السلف الذين عُرفوا بعلم التفسير، ثم إنهم كلهم سلكوا طريق الاستنباط، وقالوا أقاويلَ صحيحةً على أصول الدّين و إن لم يكن لهم نقلٌ متصلٌ، كيفَ وقد رُوي عن عائـشة رضي الله عنها أنها قالت : (ما كان النبي الله صلَّى الله عليه و سلَّم يفسِّر شيئاً من القرآن إلا آياً بعـدد علّمهنّ إياه جبريل) (٣).

---

(١) مقاتل بن حيّان أبو بسطام البلخي الخراز إمام مفسّر ومحدّثٌ ، كان صاحب سـنة و نـسك وفـضلٍ، حدث عن الشعبي و مجاهد و الضحّاك و عكرمة و غيرهم و حدّث عنه علقمة بن مرثد و هو من شيوخه وعبد الله بن المبارك و بكير بن معروف وغيرهم. له حديث واحد في صحيح مسلم، وروى له الأربعـة . و ثقه ابن معين و غيره ،و قال ابن خزيمة: لا أحتجّ به. قال الذّهبي توفي في حدود الخمسين و مئـة. سـير النبلاء: ٦/ ٣٤٠ و له ترجمة في : الجـرح و التعـديل: ٨/ ٣٥٣ و ميـزان الاعتـدال: ٤/ ١٧١ و تهـذيب التهذيب: ١٠/ ٢٧٧- ٢٧٩ و قد ذكر الثعلبي سنده إلى هذا التفسير: ١/ ٧٩

(٢) لم أعثر على ترجمته.

(٣) رواه أبو يعلى :مسند أبي يعلى٨/ ٢٣ و البزار : (٢١٨٥) والطبري : ١ / ٧٨ قال ابن كثـير: (حـديث منكر غريب). تفسير ابن كثير :١/ ٧ وقال الهيثمي: مجمع الزوائد :٦/ ٣٠٣

(رواه أبو يعلى والبزار بنحوه وفيه راوٍ لم يتحرر اسمه عند واحد منهما وبقية رجاله رجال الصحيح أما البزار فقال عن حفص أظنه ابن عبد الله عـن هـشام بـن عـروة وقـال أبـو يعـلى عـن فـلان بـن محمـد بـن خالـد عن هشام) اهـ. وسنده عند الطبري من طريق محمد بن خالد بن عَثْمَة حدثنا جعفر بن محمد بن الـزبيري حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به ، و من طريق أبي بكر محمد بن يزيد الطرسوسي عـن معـن بـن عيسى عن جعفر بن خالد عن هشام به. فتبيّن المبهم الذي لم يتحرّر في رواية أبي يعلى و البزار.

و سنده يدور على جعفر بن خالد الزُّبيري قال ابن كثير: (وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بـن العوام القرشي الزبيري قال البخاري لا يتابع في حديثه، وقال الحافظ أبـو الفـتح الأزدي منكـر الحـديث). وقد ضعّف الطبري الحديث أيضا وقال لا يجوز الاحتجاج به وقال عن جعفر هـذا : إنـه ممـن لا يعـرف في أهل الآثار. : في الطبري: ١ / ٨٣ و ترجمـة جعفرهـذا، وقـول البخـاري : لا يتـابع في حديثـه في (ميـزان الاعتدال: ١ / ٤١٦).

فإن قيل فما وجه هذا الخبر قيل ذكر محمد بن جرير أنّ في إسناد هذا الخبر ضعفاً لأن فيه رواية جعفر بن محمد الزُّبيري و هو مجهول (١).

ثم في تفسير الرسول عليه السلام لبعض الآيات دليل على جواز التفسير في الجملة وبذلك أمره الله تعالى حيث قال ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:٤٤] ثم قال: ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤] وقال ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ الآية [النحل:٦٤].

وفي القرآن ما لا سبيل إلى معرفته، و الوقوف عليه إلا من جهة الرسول عليه السلام، وهو بيان المجمل من الأحكام و تفصيل الشرائع التي لا مجال للعقول فيها ولا علم عند أحدٍ بها سوى ما يُؤخَذُ عن النبي صلَّى الله عليه و سلَّم ويرجع إليه فيه فالآيات التي فسّرها هي بيان المجملاتِ التي لا تُوجَد عند غيره ولا سبيل إليه إلا من قبله.

و أما الذي سكت عنها فلأنه وَكَلَها إلى الأمّة ليحصُل لهم علوّ الدّرجة، و كمال الرُّتبة فيه علماً منه صلَّى الله عليه و سلَّم أنهم يفسِّرونه بعده، و تنبيها منه بما فسّره على ما عداه.

فإن قيل فعلى ماذا تحملون قوله سبحانه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ [آل عمران:٧] إلى قوله ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ . قيل من النّاس من وقف على قوله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران:٧] ثم يبتدِئ فيقول: ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ فيكون صيغتة الاستقبال ومعناه الحال كأنه قال قائلين آمنا به كل من عند ربنا فعلى هذا لا كلامَ (٢)، و إن وقفتَ على قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾ فذلك

---

(١) ينظر ما سبق قريبا.

(٢) القول بأنّ الرسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه و أنّ الوقف على قوله ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ هو الـراجح، وهو مروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود وعائشة وعبد الله بن عبَّاس في رواية طاوس

عنه وهو الصحيح عنه وبه قال أكثر السلف ، منهم عمر بن عبد العزيز والحسن وعروة وقتادة والضحاك، قال ابن النحاس : (رويناه عن نيف وعشرين من الصحابة والتابعين والقراء والفقهاء وأهل اللغة). وإليه ذهب الإمام مالك، والفراء، وأبوعبيد القاسم بن سلام ،وابن الأنباري والزّجّاج والطبري و الخطابي والدَّانِي والسمعاني والبغوي وفخر الدين الرازي وأبو حيان والسيوطي والشوكاني و شهاب الدين الآلوسي، و اختاره أيضا القاضي أبو يعلى رحمه الله تعالى وقال : (إنه أشبه بأصولنا) اهـ .

وقال ابن النجار : (إنه الأصح المختار) وقال المرداوي : (وهو المختار وهو قول السلف) وقال الخطابي : (هو مذهب أكثر العلماء) . ينظر: تفسير الطبري ٣ / ١٧٥ ومعاني القرآن للفراء (١ / ١٩١)و الإيضاح في الوقف والابتداء لابن الأنباري: ٢ / ٥٦٨ والأضداد له: ص٤٢٧ و معاني القرآن للزجاج : ١ / ٣٧٨ وفيه : (فالوقف التام على قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أي لا يعلم أحد متى البعث إلا الله) اهـ . و معالم السنن للخطابي ٧ / ١٢٥ والمكتفى في الوقف والابتداء للداني: صـ ١٩٥ – ١٩٦ وتفسير السمعاني ١ / ٢٩٥ وتفسير البغوي ٢ / ١٠ والتفسير الكبير للرازي ٧ / ١٥٣ و البحر لأبي حيان ٢ / ٣٨٥ و الإتقان ٢ / ٣ و فتح القدير ١ / ٣١٧ و روح المعاني ٣ / ٨٧ والعدة في أصول الفقه لأبي يعلى٢ / ٦٩٠ و شرح الكوكب المنير ٢ / ١٥٠ لابن النجار محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي ، (ت :٩٧٢ هـ) والتحرير شرح التحبير للمرداوي: ٣ / ١٤٠٨

و مما يرجّح هذا القول: أنّ المعنى على الوقف على :﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أظهر إعرابا وأقيس في العربية: تفسير البغوي ٢ / ١٠ و البحر ٢ / ٣٨٤ و التحرير شرح التحبير للمرداوي ٣ / ١٤١٤ فـ ﴿ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ مبتدأ خبره :﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ . وهذا الإعراب هو الظاهر وأما على القول الثاني فتكون الواو عاطفة و:﴿ يَقُولُونَ ﴾ حال ، وقيل ﴿ يَقُولُونَ ﴾ خبر والمبتدأ محذوف. إعراب القرآن لابن النحاس ١ / ٣٥٦ والبحر لأبي حيان ٢ / ٣٨٤ . و مما يقوّيه سياق الكلام فإن في الآية قرائن تدل على أن الله سبحانه منفرد بعلم تأويل المتشابه منها : أنه تعالى ذم متبعي المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء معرفة تأويله، فلو كان ابتغاؤهم تأويله ممدوحا ما ذمهم بذلك ثم سكت عن التفصيل في موضع يحتاج الخلق فيه للبيان. ينظر: الروضة لابن قدامة صـ ٦٨

و من البراهين على قوة هذا القول: أنّ في قراءة أُبي بن كعب وابن مسعود وابن عبَّاس رضي الله عنهم ما يرجِّح ذلك ففي قراءة أُبي وعبد الله بن عبَّاس : (ويقول الراسخون في العلم آمنا به) . وفي قراءة ابن

صوابٌ (١) ويكون ذلك محمولاً على أوقات لا يعلمها إلا الله سبحانه مما لم يُطْلِعْ عليه غيرَهُ كوقت قيام الساعة ،و نفخ الصور، و طلوع الشمس من مغربها، و نزولِ عيسى و خروج

مسعود : (إن تأويله إلا عند الله). وهذه القراءات احتجّ بها العلماء لهذا القول وهو استدلال صحيح – وإن لم تكن متواترة – فإنها على أقل الأحوال كالتفسير الثابت عن كبار الصحابة ولذا قال الحافظ ابن حجر والسيوطي في قراءة ابن عبَّاس : (أقل درجاتها أن تكون خبرا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن فيُقدّم قوله في ذلك على من دونه) اهـ. فتح الباري ٨ / ٢١٠ و الإتقان ٢ / ٤ .

وقراءة ابن عبَّاس رواها عبد الرزاق في تفسيره ١ / ٣٨٣ رقم (٣٧٧) و الطبري ٣ / ١٨٢ –١٨٣ و ابن الأنباري: الأضداد: ص٤٢٦ و الحاكم ٢ / ٢٨٩ و الداني في المكتفى: ١٩٥–١٩٦ وسندها عن ابن عبَّاس على شرط الشيخين. فهي من طريق معمر عن ابن طاوس عن أبيه، ومعها قصة .

وهي أنه ذكر لابن عبَّاس الخوارج وما كان يصيبهم عند قراءة القرآن فقال : (يؤمنون بمحكمه ويهلكون عند متشابهه ، وقرأ (وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به) و زاد السيوطي نسبتها إلى عبد بن حميد: (الدر المنثور للسيوطي ٢ / ٦).

و أما قراءة أُبيّ رضي الله عنه فنقلها ابن جرير ٣ / ١٨٢ – ١٨٣ والبغوي٢ / ١٠ وابن الجوزي ١ / ١٨٧ وغيرهم.

و أما قراءة ابن مسعود رضي الله عنه فأخرجها ابن أبي داود في المصاحف صـ ٩٥ وذكرها ابن جرير على وجه الجزم : ٣ / ١٨٢.

(١) هذا قول طائفة يسيرة من متقدّمي أهل السنة وهو مرويٌ عن مجاهد ورواه عن ابن عبَّاس قال : ((أنا ممن يعلم تأويله)) تفسير الطبري ٢ / ٢٠٣ و الأضداد: ص٤٢٤ وقد طَعَن في صحته عن مجاهد أبو بكر ابنُ الأنباري: فقال (و الحديثان اللذان احتج بهما أصحاب القول الأول لا يصحَّحان ، لأن ابن أبي نَجِيح هو الراوي لهما عن مجاهد. وقد قال ابن عُيينة: لم يسمع ابن أبي نَجِيج التفسير عن مجاهد، والآثار كلها تُبطِلها) اهـ. الأضداد: ص٤٢٧ وزاد المسير ١ / ٣٥٤ .

و قد ذهب إليه محمد بن جعفر بن الزبير والربيع بن أنس و ابن قتيبة وعلي بن سليمان الأخفش وأبو سليمان الدمشقي والخطيب البغدادي في كتابه الفقيه والمتفقه وابن الحاجب والنووي و الزركشي.

ينظر: القطع والائتناف لابن النحاس ص٢١٣ و الفقيه والمتفقه ١ / ٦٣و زاد المسير ١ / ٣٥٤ و شرح صحيح مسلم ١٦ / ٤٣٤ ومجموع الرسائل الكبرى ٢ / ٩ والبحر ٢ / ٣٨٤ و الاقتداء في معرفة الوقف

الدجال و ما أشبه ذلك فإنّ ذلك لا يعلمهُ أحدٌ إلا الله تعالى، فأمّا ما عدا ذلك فالأمرُ فيه على ما ذكرناه من الآيات والأخبار و آثار السلف المختار.

فإن قيل فما تقولون فيما روي عن النبي صلَّى الله عليه و سلَّم أنه قال :(من قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعدهُ من النّار) (١).

قيل : إنما أراد بذلك إذا كان ظنا و تخمينا و حدسا و اجتهادا خطأ و الدليل عليه أنه قال في رواية أخرى : (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) (٢).

ثم هو محمولٌ على من قال برأيه فيما طريقُهُ السّماع كالنّزول (٣) و من نزل فيه، فإنّ من أَخذَ يقول في قوله : ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ [الأعراف:١٧٥] بأنّه فلان و فلان من غير سماعٍ لم يجز له ذلك.

والابتداء للنكزاوي : ٢ / ٤٥٥ و البرهان ٢ / ٢٠٢ والإتقان ٢ / ٢-٣ وتنبيه الغافلين للصافقسي ١٢٥ – ١٢٦ .

(١) سنده ضعيفٌ .أخرجه الترمذي (٢٩٥٠) و(٢٩٥١) في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه و سلّم :باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه وقال : حسن صحيح، و أبو داود في رواية ابن العبد كما في تحفة الأحوذي ٤/ ٤٢٣ والنسائي في الكبرى (٨٠٨٤ و ٨٠٨٥) وأحمد ٣/ ٤٩٦، ٤/ ٢٥٠ (٢٠٦٩،٢٤٢٩) و ٥/ ١٢٢، ١٥٥ (٣٠٢٤،٢٩٧٤)و ابن أبي شيبة: ٦ / ١٣٦ و أبو يعلى (٢٥٢٨) الطبري: ١/ ٧١ – ٧٢ والطحاوي في المشكل: (٣٩٢) و (٣٩٣) و الطبراني في الكبير (١٢٣٩٢) و الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي و آداب السامع : (١٥٨٤) والبغوي في شرح السنة (١١٨) ، كلهم من طرق عن عبد الأعلى الثعلبي عن سعيد بن جبير عن ابن عبَّاس عن النبي صلى الله عليه وسلم . وسنده يدور عندهم على عبد الأعلى بن عامر الثعلبي و هو ضعيف و ضعفه البيهقي. ينظر: تهذيب التهذيب ٦/ ٩٥ و عون المعبود: ٦ / ٦٢. و ذكره ابن كثير في تفسيره: ١ / ٦)

(٢) رواية في حديث عبد الأعلى الثعلبي عن سعيد بن جبير السابق ينظر ما سبق: صـ٢٦٥.

(٣) يعني كأسباب النزول.

و كذلك لو أنه قال : إنما يخرج الدجال في سنة كذا و ينزل عيسى و تقوم الساعة وقت كذا لم يصحّ له ذلك لأنه غير متحقق به و كذلك لو فَسَّرَ المجملات من الأحكام التي في القرآن برأيه مما لا سبيل للعقل إليه، { و } يحتاج فيه إلى نصٍّ (١) واردٍ لم يجُز له ذلك بالخبر المحمولِ على ما ذكرنا.

ثم إذا قال في القرآنِ بغير علمٍ كان مستحقّا للنّار، فإذا قال في القرآن بعلمٍ وجب أنْ يكون مستحقّا للجنة. و في بعض الأخبار من قال في القرآن برأيه فأصابَ فقد أخطأ في فعله بقيله فيه برأيه (٢)وإن وافق قيلُه ذلك عين الصواب عند الله (٣). و هو كالعامِّي إذا أفتى في أحكام الشريعة فوافق فتواه

---

(١) يعني مما يحتاج فيه الخ.

(٢) قال ابن جرير : (يعني صلى الله عليه وسلم أنه أخطأ في فعله بقيله فيه برأيه وإن وافق قيله ذلك عين الصواب عند الله ،لأن قيله فيه برأيه ليس بقيل عالم (أنّ الذي) قال فيه من قولٍ حقٌّ وصواب) اهـ. ١ / ٧٤

(٣) حديث جُندَب بن عبد الله قال قال: رسول الله صلى الله عليه و سلّم : (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ). أخرجه الترمذي (٢٩٥٢) وأبو داود (٣٦٥٢) و النسائي في الكبرى (٨٠٨٦) و أبو يعلى (١٥٢٠) و الطبراني في الكبير (١٦٧٢) وفي الأوسط (٥١٠١) وابن عدي في الكامل: ٣/ ٤٥٠، و البيهقي في الكبرى: ٥ / ٣١ وفي الشعب (٢٢٧٧) من طريق سهيل بن أبي حزم حدثنا أبو عمران الجوني عن جندب مرفوعا. وفي سنن الترمذي :٥/ ٢٠٠ :

(قال أبو عيسى هكذا رُوي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم أنهم شدّدوا في هذا في أن يفسر القرآن بغير علم، وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا أنهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم)اهـ. قلتُ: و سهيل بن مهران بن أبي حزم أخو حزم القُطَعيّ فيه ضعف أخرج له أصحاب السنن وفي التاريخ الكبير ج٤/ ص١٠٦ : (ليس بالقوي عندهم روى عنه ابن عيينة).

وذكره ابن عدي و ساق له أحاديث منها حديثه هذا و ذكر أنه له أفرادا ينفرد بها مع مع قلة ما روى(الكامل: ٣ / ٤٥٠) و ذكره الذهبي في (ذكر من تكلم فيه وهو موثق :١ / ٩٦) و قال : (صالح

الحق يكون آثما و لا ينفذ فتواه لأنه فيه غير مستبصر و لا متحقق فكذلك من فسر القرآن برأيه فيما طريقه النقل و خبر الصادق و ما لا سبيل إليه مثل وقت قيام الساعة و غير ذلك لم يقبل منه قوله وكان مستحقّاً للعقوبة.

فإن قيل فما تقولون فيما روي عن الصديق أنه سُئِل عن (الأبّ) فقال : أي سماء تظلُّني وأي أرض تُقِلُّني إذا قلتُ في آية من كتاب الله بغير علم ،و في رواية إذا قلتُ في كتاب الله برأيي (١).

الحديث) ثم ذكر عبارة البخاري في تضعيفه: و لكنه ذكره في الكاشف و قال: (قال أبو حاتم وجماعة ليس بالقوي). و ينظر: ترجمة سهيل بن أبي حزم في تهذيب الكمال: ١٢ / ٢١٧

وقال الطبراني: (لم يسند سهيل بن أبي حزم عن أبي عمران الجوني إلا هذا الحديث)اهـ.

المعجم الأوسط :٥/ ٢٠٨ وينظر: علل الحديث لابن أبي حاتم: ٢ / ٦٤

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد: ص٣٧٥ وجامع البيان للطبري: ١ / ٧٢ و جامع بيان العلم لابن عبد البر: (٢ / ٨٣٣) و الجامع لأخلاق الراوي و آداب السامع: (١٥٨٥) ورواه مسدد في مسنده كما المطالب العالية للحافظ ابن حجر (النسخة المسندة: ١ / ٨٢ كتاب التفسير). من طريق عبد الله بن مرة عن أبي معمر عن أبي بكر الصديق و من طريق إبراهيم التيمي عن أبي معمر و له طريق أخرى في سنن سعيد بن منصورمج٢/ ١ / ١٦٨ والمدخل للبيهقي: برقم (٧٩٢) من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن ابن أبي مليكة. و طريق ر ابعة في مصنف ابن أبي شيبة: ٦ / ١٣٦ عن الشعبي قال: (أدركت أصحاب عبد الله وأصحاب علي وليس هُمْ لِشيءٍ من العلم أكره منهم لتفسير القرآن، قال: وكان أبو بكر يقول أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم). وطريق الشعبي عن أبي بكر عند الخطيب في الجامع: (٢ / ١٩٣) وفي فتح الباري ٦/ ٢٩٦: (وروى ابن جرير من طريق إبراهيم التيمي أن أبا بكر الصديق سئل عن الأب فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله بغير علم وهذا منقطع)اهـ. و هذا وهمٌ وقع فيه غيره أيضا ، فإنه في الطبري من طريق التيمي عن أبي معمر لا عن التيمي نفسه، ثم تشهد له الطرق الماضية ولولا خشية الإطالة لبسطت القول في رجالها و هي طرق صحيحة و بعضها حسان وقد قال الحافظ في موضع آخر: فتح الباري :١٣/ ٢٧١(أخرج عبد بن حميد من وجه آخر عن إبراهيم النخعي قال قرأ أبو بكر الصديق وفاكهة وأبا فقيل ما الأب فقيل كذا وكذا فقال أبو بكر إنّ هذا لهو التكلُّف أي أرضٍ تقلُّني أو أي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله بما لا أعلم وهذا منقطع بين النخعي

و كذلك روي عن علي رضي الله عنه أنه قال مثل هذا (١). قيل هو محمول على ما يكون سبيله النقل لأن الأبَّ يُدرَك سمعا فلذلك لم يقل من قبل نفسه ألا ترى إلى ما رُوي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه سُئِل عن الكلالة فقال أقولُ فيها برأيي ولا آلو جَهدي (٢).

و هذا ابن عبَّاس مع اشتهاره بالتفسير يقول لا أدري ما الرَّقيم و لا الغِسلين و في رواية ولا الأَوّاه (٣).

و قيل إن أبا بكر سئل عن المُقيت في قوله: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء : ٨٥] فأجاب بمثل هذا الجواب (٤) ومعناه ما ذكرنا.

فإن قيل فما تقولون فيما رُوي عن {عبيد الله }(٥) بن عمر أنه قال : (لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظِّمون الأمر في التفسير منهم سالم و القاسم بن محمد وسعيد بن المسيَّب

والصديق وأخرج أيضا من طريق إبراهيم التيمي أن أبا بكر سُئل عن الأب ما هو فقال أي سماء تظلني فذكر مثله وهو منقطع أيضا لكن أحدهما يقوي الآخر)اهـ. ١٣ / ٢٧١ فهذه طرق أخرى تضاف لما تقدّم. و ينظر أيضا: تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي: ٤ / ١٥٨ ومجموع الفتاوى: ١٣ / ٣٧٢ فقد حكما بالانقطاع على طريق التيمي عن أبي بكر و هي كذلك لكن ثبت في رواية عن التيمي أنه عن أبي معمر عن أبي بكر. فصحّ و لله الحمد لأنه رواه عن أبي بكر الصديق الشعبيُّ و النخعي و التيمي و أبو معمر، و كلّهم من التابعين و معهم علي بن زيد بن جُدعان.

(١) لم أجده عن علي رضي الله عنه .

(٢) جامع البيان للطبري: ٤ / ٢٨٤ و عزاه المناوي في الفتح السماوي إلى ابن أبي شيبة والطبري وسعيد بن منصور : الفتح السماوي ٢/ ص٤٦٥

(٣) جامع البيان للطبري: ١٥ / ١٩٩ و غريب الحديث لابن سلام :٤ / ٤٠١و تفسير ابن كثير: ٣ / ١٩٩ و الدر المنثور: ٥ / ٣٦٢ .

(٤) لم أعثر عليه.

(٥) في النسخة (ل) : عبد الله خطأ.

ونافع) (١). قيل لا نشك أن السلف كانوا يعظِّمون التفسير وليس فيه أنه لا يجوز تفسيره فإن تفسير كتاب الله سبحانه أمر عظيم ليس بصغير فإن قيل فما تقولون فيما روي عن ابن سيرين أنه قال : سألت عَبِيدة السَّلماني عن آية فقال : (عليك بالسَّداد فقد ذهب الذين علموا فيما أُنزل القرآن). (٢)

وما روي عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن آية من القرآن فقال: لا أقول في القرآن شيئاً (٣)

وروي أن ابن المسيِّب كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن (٤) ، وروي أنه سئل عن تفسير آية فقال لا تسألني ولكن سل من يزعم أنه لا يخفى عليه شيء منه يعني عكرمة. (٥)

وما رُوِي عن الشِّعبي أنه قال : والله ما من آية إلا وقد سَئلتُ عنها ولكنها الرواية عن الله (٦) وما روي عن يزيد بن أبي يزيد قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام وكان أعلم النّاس فإذا سألناهُ في تفسير آيةٍ من القرآن سكتَ كأنْ لم يسمع (٧).

---

(١) الطبري: ١ / ٧٩ وذكره ابن كثير في تفسيره عنه :١/ ١٧

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٢٨ وسعيد بن منصور في سننه (٤٤- تفسير) وابن أبي شيبة ١٠/ ٥١١، و الطبري: ١ / ٨٠ والبيهقي في الشعب (٢٢٨٢) و الواحدي في أسباب النزول: ص٩ . وسنده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر: العجاب: ص٥٥

(٣) رواه أبي عبيد في فضائل القرآن ص٣٧٧، و ابن سعد: طبقات ابن سعد (٥/ ١٣٧)، و ذكره الذهبي في السير(٤/ ٢٤٢).

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد: ص٢٢٨ و جامع البيان للطبري: ١ / ٨٠ و سنده صحيح فإنه من طريق ابن وهب عن الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد الأنصاري.

(٥) رواه أبي عبيد في فضائل القرآن ص٣٧٧ .

(٦) الطبري : ١ / ٨١ و أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٢٥/ ٣٦٥

(٧) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٢٨ وابن أبي شيبة ١٠/ ٥١١ والطبري : ١ / ٨١ .

قيل هذه الأخبار لا تدلّ على أنهم نَهَوا عن علم التفسير أو أنكروا ذلك وإنما هو تحـرُّجٌ مـنهم وأخذٌ بالاحتياط حيثُ رأوا أنّ الأمرَ في ذلك لم يتعيَّن علـيهم وعلِمـوا أنّ في الأمـة مـن يقـوم بذلك فاحتاطوا لأنفسهم مخافةَ أنْ يقعَ منهم خطأٌ فلم يشرَعُوا فيه، و لم ينكِروهُ على المشتغِلين، و الشارعين فيه كسكوت كثيرٍ منهم عن الفتيا، و عن القضاء بين المسلمين لا أنّهم أنكروا ذلك فكيف يجوز إنكاره و عليه مدارُ الدين و به نظام الشريعة؟ لكنهم رأوا الاحتياط لأنفسهم أنْ لا يـسَّرعوا فيـه مخافـةَ الخطـأ و تعظـيما لـذلك الأمـر، لأنـه قـد قـام بذلك من الأمة من كان فيه الغَنَاءُ و الكِفايةُ فلو أنه تعيَّنَ عليهم الفرض فيه لما سكتوا عنه و لما تركوه، و لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سُئِل عن علـمٍ فكتمـه ألجَمَـهُ الله يـوم القيامة بلجامٍ من نارٍ). (١)

---

(١) حديث ضعيف، و قد صححه بمجموع طرقه بعض العلماء فإنّ طرقه كثيرة جدا و أبى صـحته آخـرون، وقد جاء عن ابن مسعود وابن عبَّاس وابن عمر وابن عمرو وأبي سعيد وجابر وأنس وعمرو بن عَبَسة وأبي هريرة وطلق بن علي و غيرهم ، أخرجه أبو داود في العلـم (٣/ ٣٢١)،و الترمـذي(٥/ ٢٩)، و ابـن ماجـه (١/ ٩٦)، و الطيالسي(١/ ٣٧) ، و أحمد: (٢/ ٢٦٣ـ٣٠٥ـ٣٤٤ـ٣٥٣ـ٤٩٥ـ٤٩٩ـ٥٠٨) وابـن حبـان (١/ ١٥٤) وابـن أبي شـيبة (٩/ ٥٥) و العقـيلي في الـضعفاء: ١ / ٧٤ و طبقـات المحـدثين بأصـبهان لأبي الـشيخ: ٣ / ١٤٧ والبغـوي (١/ ٣٠١) و ابـن عبـد الـبر في جـامع بيـان العلـم (١/ ٤ـ٥) وابـن عـدي (٤/ ١٤١٠) و الحاكم (١/ ١٨١ من طرق وقال: (هذا حديث تداوله النّاس بأسانيد كثيرة تجمع ويذاكر بها وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)اهـ. و ذكر أنه ذاكر أبا علي الحافظ فيه . والطـبراني في الـصغير (١/ ٦٠ـ١١٤ـ١٦٢) و الـدارقطني في العلـل: (ح ١٨٧٢) و البيهقـي في المـدخل: ١ / ٨٧ والخطيب في التاريخ (٢/ ٢٦٢) وابن الجوزي في العلل المتناهي: ١ / ٩٦ و ما بعدها .و أحسن طرقه طريق عطاء عن أبي هريرة مرفوعاً .. قال ابن كثير: (وقد ورد فى الحديث المسند من طرائق يشد بعضها بعضا)اهـ. ١/ ٢٠١. و ينظر: مجمع الزوائـد: ١ / ١٦٣ و تخـريج أحاديـث الكـشاف للزيلعـي: ١ / ٢٥٢ والفـتح السماوي ج:١ ص:٤٢٧ وما بعدها.

ذكر عدد آيات القرآن

في قول أهل المدينة ستة آلاف و مائتان و سبع عشرة آية، (١) وفي قول الشاميين ستة آلاف ومائتان و ست وعشرون آية. (٢) وفي قول الكوفيين ستة آلاف و مائتان و ستة و ثلاثون آية ، وفي قول اسماعيل بن جعفر ابن أبي كثير ستة آلاف ومائتان و أربع عشرة آية (٣) و في قول البصريين ستة آلاف و مائتان و أربع آيات. (٤)

عدد حروف القرآن ثلاث مئة ألف وإحدى و عشرون ألف حرف و مائتان وخمسون حرفاً (٥).

---

(١) و يسمونه المدني الأول : البيان في عد آي القرآن للدّاني : ص٧٩ وجمال القراء (١/ ١٨٩) و فنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٤٦ و الاقتداء في معرفة الوقف و الابتداء للنكزاوي : (ت: ٦٨٣هـ): ١ / ١٨٠ رسالة دكتوراة - تحـ - د/ مسعود إلياس بإشراف : د/ محمد سالم محيسن : عام ١٤١٣ هـ. والبرهان: ١ / ٢٤٩

(٢) البيان في عد آي القرآن للداني: ص٨١ - ٨٢ و الاقتداء في معرفة الوقف و الابتداء للنكزاوي : (ت: ٦٨٣هـ): ١ / ١٨٠ و نفائس البيان للقاضي عبد الفتاح : ص ٢٧ و في رواية عنهم ستة آلاف و مائتان وخمس وعشرون آية: المصادر السابقة.

(٣) و يسمُّونه المدني الأخير: البيان في عد آي القرآن للداني ص٨٠ و الاقتداء في معرفة الوقف و الابتداء للنكزاوي : (ت: ٦٨٣هـ): ١ / ١٨١

(٤) و هو الذي عليه مصاحفهم قال الإمام الداني: (و أما عدد عاصم الجحدري فهو وخمس آيات)اهـ. البيان في عد آي القرآن للداني ص٨٠ و الاقتداء في معرفة الوقف و الابتداء للنكزاوي : ١ / ١٨١

(٥) هذا مما اختلف فيه العادون مما لا يؤثر بحال في تواتر القرآن و قد ذكر الداني وغيره أقوالا أخرى مع هذا القول. و القول الذي ذكره المصنف رواه الداني عن يحي بن الحارث الذماري : البيان في عد أي القرآن ص ٧٣ وينظر في البيان ص ٧٧ توجيه سبب الاختلاف في عدد الكلمات و الحروف وينظر: جمال القراء ١/ ١٢٨ و الاقتداء للنكزاوي ١/ ١٨٢ و تفسير ابن كثير: ١ / ٨ و قد قال السخاوي :

قسْم (١) القرآن :

النِّصف الأوّل إلى الكهْف: ﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ ﴾ الآية [الكهف:٦٦](٢).
والنِّصف الثاني إلى آخرِ القرآن.

قسمُ الأثلاثُ : الثلث الأول إلى براءة إلى قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ﴾ [التوبة:٩٠].

و الثاني إلى عنكبوت إلى قوله: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الآية [العنكبوت:٤٦]
و الثالث إلى آخر القرآن. (٣)

قسم الأرباع : الربع الأول إلى قوله: ﴿ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف:٢]. من أول الأعراف الربع الثاني إلى الكهف حيثُ انتهى ، الربع الثالث إلى والصافات عند ﴿ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات:١٤٧] الرابع إلى آخر القرآن. (٤)

(وقد عدوا كلمات كل سورة وحروفها وما أعلم لذلك من فائدة ، ولأنّ ذلك إنْ أفاد فإنما يفيد في كتاب تمكن الزيادة و النقصان منه، و القرآن لا يمكن ذلك فيه ...الخ)اهـ. جمال القراء: ١ / ٢٣١

(١) يعني تقسيم القرآن.

(٢) هكذا عند المؤلف و هو منقولٌ فيما يظهر من رواية ابن أبي داوود في المصاحف: ٢ / ٤٦٧ والذي في البيان في عدّ آيِ القرآن إلى قوله : ﴿ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴾ [الكهف:٧٤] ص ٣٠٢ وكذا في : فنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٥٣ و البرهان: ١ / ٢٥٣ و الإتقان: ١ / ١٩٦

(٣) ينظر: المصاحف: ٢ / (ح ٣٥٣ و ٣٥٦ و ٣٦٣) و البيان : ٣٠٢ و فنون الأفنان: ٣٥٤ .

(٤) ينظر: المصاحف: ٢ / (ح ٣٥٣ و ٣٥٦ و ٣٦٣) و البيان : ٣٠٢ و فنون الأفنان: ٣٥٤ و جمال القراء: ١ / ١٢٧ .

قسم الأخماس : الخُمس الأول إلى المائدة عند قوله ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ [المائدة:٨٠]، الثاني إلى يوسف عند قوله ﴿ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [يوسف:٤٦] ، والثالث إلى الفرقان عند قوله ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [الفرقان:٢١]، الرابع إلى (حم)السّجدة (١) عِندَ قوله: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ﴾ [فصلت:٤٦] ، الخامس إلى آخر القرآن. (٢)

قسم الأسداس : الأول إلى سورة النساء ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [النساء:١٤٢]، الثاني إلى براءة حيث انتهى الثلث الأول. و الثالث إلى الكهف حيث انتهى النِّصف الأول . الرابع إلى العنكبوت حيث انتهى الثلثان . الخامس إلى الجاثية قوله ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا ﴾ [الجاثية:٣٥]

السادس إلى آخر القرآن .

قسم الأسباع : الأول في النساء ﴿ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء:٦١]

الثاني في الأعراف ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٠].

الثالث في إبراهيم ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [إبراهيم:٢٥].

الرابع في المؤمنين : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ ﴾ [المؤمنون:٥٥].

الخامس: في سبأ : ﴿ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ:٢٠].

---

(١) يعني سورة فصّلت. البيان للدّاني : صـ ٢٢٠ .

(٢) ينظر: المصاحف: ٢ / (ح ٣٥٣ و ٣٥٦ و ٣٦٣ و٣٥٧) و البيان : ٣٠٣ و فنون الأفنان: ٣٥٥ و جمال القراء: ١ / ١٢٧ .

السادس : خاتمة الفتح .السابع خاتمة القرآن.

قسم الأثمان : الثمن الأول إلى آل عمران : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾ [آل عمران:١٩٦].

الثاني: إلى الأعراف : حيث انتهى الربع الأول .

الثالث إلى هود: قوله : ﴿ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ [هود:٤٠] (١)

و الرابع: الكهف حيث انتهى النِّصف، الخامس: إلى الشّعراء عند آخرها ، السادِسُ: إلى و الصافات حيث انتهى ثلاثةُ أرباع القرآن ، السابع إلى النجم: عند قوله ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم:١٠] ، الثامن إلى آخر القرآن.

قسم الأتساع: التّسع الأول إلى آل عمران عند قوله﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ ﴾ [آل عمران:١٤٣] ، الثاني إلى الأنعام عند قوله: ﴿ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ [الأنعام:٥٣].

الثالث: براءة حيث الثلث الأول، الرابع إلى النحل : ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ ﴾ [النحل:١١].

الخامس: الحجّ عند قوله ﴿ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ ﴾ [الحج:٣٠].

السادس: العنكبوتُ حيث انتهى الثّلثان ، السابع: إلى المؤمن عند قوله :﴿ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ ﴾ [غافر:١٠].

---

(١) كان في الأصل: (فإذا) و الآية التي في سورة ((هود)) فيها: ﴿إِذَا جَآءَ﴾ بلا فاء وإنما وردتْ بالفاء في سورة المؤمنون الآية : ٢٧ فلهذا صوّبتها و قد يقع من هذا في المخطوطة أوهام تتعلق بفاء أو واو متروكة فلا أنبّه عليها لوضوحها .

الثامن: الواقعة عند قوله ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الواقعة:١٣]التاسع آخر القرآن.

قسم الأعشار : العشرُ الأَوّل آل عمران قوله ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾ [آل عمران:٩٢].

الثاني: المائدة حيث انتهى الخمس الأول. الثالث الأنفال ﴿ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً ﴾ [الأنفال:٣٢].

الرابع: يوسف حيث انتهى الخمسان. الخامس: الكهف حيث انتهى النصف.

السادس: الفرقان حيث انتهى ثلاثة أخماس القرآن، السابع: إلى الأحزاب عند قوله ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ ﴾ [الأحزاب:٣١]. الثامن إلى السجدة حيث انتهى أربعة أخماس القرآن. التاسع إلى الحديد ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الحديد:٢٦]. العاشر إلى آخر القرآن (١).

عددُ سُورِ القرآن مائةٌ وأربعةَ عشر سورةً بالمعّوذتين ولم يعدَّ ابن مسعود المعوذتين (٢).

سورة الفاتحة (٣) سبع آيات ليس في جملتها اختلاف (٤).

---

(١) ينظر في هذا كله: ينظر: المصاحف: ٢ / (ح ٣٥٣ و ٣٥٦ و ٣٦٣) و البيان : ٣٠٢ - ٣٠٥ وفنون الأفنان: ٣٥٤ و ما بعدها و جمال القراء: ١ / ١٢٧ - ١٣٣ .

(٢) ينظر ما تقدّم في توجيه ما روي من ترك ابن مسعود رضي الله عنه كتابة المعوّذتين في مصحفه: صـ٢٢٢.

(٣) سوف أقارن كلام المصنف إن شاء الله تعالى بكلام غيره من علماء العدد و أقدّم كتاب الإمام الداني – البيان في عد آي القرآن – لأنه أجلها و أقدُمها و أهمها؛ فإذا لم أجد اختلافاً عما هنا بنقص أو زيادة أو اختلاف تركت التعليق عليه تخفيفا من الهوامش.

(٤) الفاتحة سبع آيات بإجماع علماء العدد: البيان للداني: ١٣٩ وفيه حكاية الإجماع و الاستذكار: ٢ / ١٧٣ و جمال القراء: ١ / ١٩٠ و معالم اليسر:ص٦٥ و نفائس البيان: ص٢٧ و قد حكى غير واحد من

اختلفوا في آيتين [و١٥] عدَّ الكوفيون ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ آية (١) وعدَّ البصريون و المدنيَّان ﴿ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ آية (٢).

سورة البقرة مائتان وثمانون وستٌّ في الكوفي وسبع في البصري وخمس في المدنيَّيْن (٣) ، سورة آل عمران مائتا آية ليس في جملتها اختلاف ، النساء مائة وسبعون وست آيات في الكوفي وفي البصري ست وفي المدنيَّيْن سبعٌ (٤) (٥) الأعراف مائتان وست آيات في الكوفي والمدنيَّيْن (٦) وفي البصري خمس ، الأنفال سبعون وخمس آيات في الكوفي وفي البصري و المدنيَّيْن ست

الأئمة من غير علماء العدد الإجماع على ذلك منهم: (تفسير البغوي: ١ / ٣٧ والمحرر الوجيز: ١/ ٦٠ و تفسير السمعاني: ١/ ٣١ و أحكام القرآن لابن العربي: ١ / ١٠ والكشاف: ١ / ٤٥ و تفسير ابن كثير: ١ / ٩) و روي عن حسين الجعفي أنها ست، و عن الحسن البصري و عن عمرو بن عبيد أنها ثمان و هي أقوال شاذة: المحرر الوجيز: ١/ ٦٠ و تفسير السمعاني: ١/ ٣١ و تفسير القرطبي: ١ / ١٤٤ و قول الحسن البصري في تفسير نجم الدين عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٥) .

(١) عد الكوفي و المكّي البسملة آية و لم يعدّها الباقون: ينظر على سبيل المثال: (البيان للداني: ١٣٩ و الاستذكار: ٢ / ١٧٣ و جمال القراء: ١ / ١٩٠ و معالم اليسر:ص٦٥ و نفائس البيان: ص٢٧ و غيرها)

(٢) من عدّ البسملة لم يعُدَّ ﴿ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ و من عدّ ﴿ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ لم يعدّ البسملة.

(٣) و كذلك مع المدنييّن المكّي و الشامي يعدونها مئتان و خمس وثمانون آية: البيان: ١٤٠ و جمال القراء: ١ / ٢٠٠ والاقتداء: ١ / ٢١٩ و المصنف لا يذكر العدد المكّي والشامي فليتنبَّه لهذا.

(٤) هي في المدنيين و المكي و البصري مئة وسبعون وخمس آيات ، وست في الكوفي وسبع في الشامي البيان: ١٤٦ وجمال القراء: ١ / ٢٠١ والفرائد(٣٣) واختلافها آيتان .

(٥) لم يذكر المائدة و الأنعام فالمائدة في الكوفي مئة وعشرون، وفي المدنيين والمكي والشامي مئة و اثنان وعشرون ، وثلاث في البصري. و أما الانعام فمئة وخمس وستون في الكوفي، وست في البصري و الشامي ، وسبع في المدنيين و المكي . المصادر السابقة.

(٦) و المكي أيضاً يعدُّها كالمدنيين و الكوفي .

(١) ، براءة مائة وعشرون وتسع آيات في الكوفي وفي البصري والمدني ثلاثون آية ، يونس مئة وتسع آيات ليس في جملتها اختلاف (٢)ولا في شيء من أعدادها ، هود مئة وعشرون و ثلاثُ آيات في الكوفي وثنتان في المدني وآية في البصري ، يوسف مئة وإحدى عشرة ليس فيها اختلاف . الرعد أربعون و ثلاثٌ في الكوفي وأربع في المدني وخمس في البصري (٣) ، إبراهيم: خمسون واثنتان في الكوفي و أربع في المدنيَّيْن وآية في البصري (٤) ، الحجر: تسعون وتسع آيات ليس فيها اختلاف .

النحل: مئة و عشرون وثمان ليس فيها اختلاف ، بني إسرائيل:(٥) مئة وإحدى عشرة آية في الكوفي و عشر في البصري و المدنيَّيْن ، الكهف :مئة وعشر آيات في الكوفي وإحدى عشر في البصري وخمس في المدنيَّيْن (٦) ، مريم: تسعون وثمان في الكوفي والبصري و المدني وتسع في عدد إسماعيل (٧) ، طه: مئة وثلاثون وخمس آيات في الكوفي وأربع في المدنيَّيْن وآيتان في البصري (٨) ، سورة الأنبياء: مئة واثنتا عشرة آية في الكوفي وإحدى عشرة (١) في البصري و المدنيَّيْن ، الحج: سبعون وثمان في الكوفي وست في المدنيين وخمس في البصري (٢).

(١) و مع البصري والمدنيين يعدها المكي أيضاً ستاً وسبعين آيةً و أما الشامي فسبعٌ.

(٢) في عدد من المصادر ذكر اختلاف يسير فيها للشامي فقط و بيانه: أنها في جميع العدد إلا الشامي مئة وتسع آيات و هي عنده مائة وعشر. البيان للداني ص ١٦٣ وينظر: جمال القراء: ١ / ٢٠٣ و بصائر ذوي التمييز: ١ / ٢٤٦ و الفرائد الحسان للقاضي صـ ٣٨

(٣) و سبعٌ و أربعون في الشامي: البيان: ١٦٩

(٤) وفي الشامي خمس

(٥) وهي الإسراء

(٦) وست في الشامي والمكي خمس كالمدنيين : البيان ص١٧٩ و جمال القراء ١/ ٢٠٦

(٧) وهو المدني الأخير فهي تسعون وتسع في المدني الأخير و المكي، وثمان عند الباقين.

(٨) وفي الشامي مئة وأربعون :البيان صـ ١٨٣ و جمال القراء ١/ ٢٠٧ و الفرائد ٤٤

المؤمنون: مئة وثمان عشرة آية في الكوفي و تسع عشرة في البصري و المدنيَّيْن ، النور: ستون وأربع آيات في الكوفي و البصري واثنان في المدنيين ، الفرقان: سبعون وسبع ليس فيها اختلاف ، الشعراء: مئتان و عشرون و سبع في الكوفي و المدني وست في البصري وإسماعيل (٣)، النمل: تسعون و ثلاثٌ في الكوفيّ وأربع في البصري وخمس في المدنيين ، القصص: ثمانون و ثمان آيات ليس في جملتها اختلاف ، العنكبوت :ستون وتسع آيات ليس في جملتها اختلاف، الروم: ستون في الكوفي و البصري و المدني وتسع وخمسون في عدد اسماعيل ، لقمان: ثلاثون و أربع في الكوفي و البصري و ثلاث في المدنيَّيْن، السجدة: ثلاثون في الكوفي والمدنيَّين و تسع و عشرون في البصري ، الأحزاب: سبعون و ثلاث ليس فيها اختلاف.

سبأ: خمسون و أربع ليس فيها اختلاف (٤) ، الملائكة (٥) أربعون و خمس في الكوفي والبصري و المدني الأول و ستّ في عدد اسماعيل، يس: ثمانون و ثلاث في الكوفي و آيتان في البصري و المدنيَّين ، الصافات: مئة و ثمانون آيةً في الكوفي و المدنيَّين و آية في البصري، ص: ثمانون و ثمان آيات في الكوفي وخمس في البصري و ست في المدنيين، الزمر: سبعون و خمس في الكوفي و آيتان في البصري و المدنيين، المؤمن: (٦) ثمانون و خمس في الكوفي و آيتان في البصري و أربع في المدنيين، السجدة: (٧) خمسون و أربع آيات في الكوفي و ثلاث في المدنيين وآيتان في البصري، عسق: (٨) خمسون و ثلاث في الكوفي و خمسون في البصري و المدنيّين،

(١) في الأصل : إحدى عشر؛ والصواب إحدى عشرة.

(٢) وأربع في الشامي

(٣) يعني المدني الأخير

(٤) هي عند الشامي وحده خمس وخمسون ولكن المصنف لا يذكر العدد الشامي و المكي كما تقدّم.

(٥) و اسمها أيضا سورة فاطر .

(٦) و تسمّى أيضا سورة غافر.

(٧) و تسمّى أيضا سورة فصلت.

(٨) وهي الشورى

الزخرف: ثمانون و تسع ليس في جملتها اختلاف (١) ، الدخان: خمسون و تسع في الكوفي وسبع في البصري و ست في المدنيين، الشريعة (٢) {ثلاثون} (٣) وسبع في الكوفي و ست في البصري و المدنيين، الأحقاف: ثلاثون و خمس في الكوفي و أربع في البصري و المدنيين، سورة محمد: ثلاثون و ثمان في الكوفي و أربعون في البصري و تسع وثلاثون في المدنيين، الفتح :عشرون و تسع ليس فيها اختلاف، الحجرات :ثماني عشرة آية ليس فيها اختلاف، ق: أربعون و خمس ليس فيها اختلاف.

الذاريات: ستون ليس فيها اختلاف، الطور: أربعون و سبع في الكوفي و ثمان في البصري و تسع في المدنيين (٤)، النجم :ستون و آيتان في الكوفي و آية في البصري و المدنيين، القمر:خمسون و خمس ليس فيها اختلاف، الرحمن: ثمان و سبعون في الكوفي و ست في البصري و سبع في المدنيين ، الواقعة :تسعون و ست في الكوفي و سبع في البصري و تسع في المدنيين، الحديد: تسع وعشرون في الكوفي و البصري و في المدنيين ثمان، المجادِلة: عشرون وآيتان في الكوفي و البصري و المدني، واحد و عشرون (٥) في عدد اسماعيل ، الحشر: عشرون و أربع ليس فيها اختلاف، الممتحَنة: ثلاث عشرة ليس فيها اختلاف ، الصف: أربع عشرة ليس فيها اختلاف، الجمعة: إحدى عشرة ليس فيها اختلاف، المنافقون: إحدى عشرة ليس فيها اختلاف .

---

(١) لكنها في الشامي ثمان وثمانون.

(٢) و اسمها أيضا سورة الجاثية

(٣) سقطت من النسخة (ل) ، وفي البيان للداني: ثلاثون و سبع في الكوفي و ستٌ في عدد الباقين: صـ ٢٢٦

(٤) الذي في المصادر الأخرى أنها أربعون وسبع آيات في المدنيين و المكي وثمان في البصري و تسع في الكوفي و الشامي . البيان ص٢٣٣، و جمال القراء ١/ ٢١٨ ،و الفرائد ٦١ .

(٥) في النسخة (ل) : عشرين

التغابن: ثماني عشرة ليس فيها اختلاف، الطلاق: ثنتا عشرة آية في الكوفي و المدني و إحدى عشرة في البصري ، لِمَ تحرِّم: ثنتا عشرة ليس فيها اختلاف ، الملك :ثلاثون في الكوفي و البصري و المدني و في عدد اسماعيل إحدى وثلاثون آية، القلم: خمسون و آيتان ليس فيها اختلاف ،الحاقة: خمسون و آيتان في الكوفي و المدنيين و آية في البصري، سأل سائل :أربعون و أربع آيات بلا اختلاف (١) ، نوح: ثمان و عشرون آية في الكوفي و في البصري تسع و في المدنيين ثلاثون، الجن: ثمان و عشرون آية ليس في جملتها اختلاف، المزمل: عشرون في الكوفي و المدني ،و تسعة عشر في البصري و ثماني عشرة في عدد إسماعيل (٢)، المدثر: ست و خمسون في الكوفي و البصري و المدني، و في عدد إسماعيل خمس و خمسون.

القيامة: أربعون في الكوفي و تسع وثلاثون في البصري و المدنيين، الإنسان: ثلاثون وآية ليس فيها اختلاف، المرسلات خمسون آية ليس فيها اختلاف، عم يتساءلون أربعون آية في الكوفي والمدني، و في البصري إحدى و أربعون آية، و النازعة أربعون وست في الكوفي (٣)، و خمس في البصري و المدنيين.

عبس: اثنتان و أربعون في الكوفي و المدنيين و في البصري إحدى و أربعون، كورت: تسع و عشرون ليس فيها اختلاف (٤) .

انفطرت: تسع عشرة ليس فيها اختلاف، المطففين: ثلاثون و ست ليس فيها اختلاف ، انشقت: عشرون و خمس في الكوفي و المدنيين، وثلاث في البصري، البروج: عشرون و آيتان ليس فيها اختلاف، الطارق: سبع عشرة في الكوفي و البصري و إسماعيل، و ست عشرة في

---

(١) وعند الشامي وحده ثلاث و أربعون :البيان ص ٢٥٤ و جمال القراء ١/ ٢٢٢ والفرائد ٦٧

(٢) ينظر البيان ص ٢٥٧

(٣) وقعت هنا كلمة المدنيين خطأً في النسخة (ل) .

(٤) وكذلك حكى السخاوي : (جمال القراء ١/ ٢٢٥) و النكزاوي في الاقتداء٤/ ١٨٠٠ و أما الداني فبين أن العدد عند أبي جعفر وحده ثمان وعشرون : البيان ٢٦٥ و معالم اليسر :٢٠٨

المدني، الأعلى: تسع عشرة ليس فيها اختلاف، الغاشية: ست و عشرون ليس فيها اختلاف، الفجر: ثلاثون في الكوفي و تسع و عشرون في البصري و في المدنيين ثلاثون و آيتان، البلد: عشرون آية ليس فيها اختلاف، و الشمس خمس عشرة آية في الكوفي و البصري و إسماعيل وفي المدني (ست) (١) عشرة ،و الليل: إحدى وعشرون آية ليس فيها اختلاف، (٢) ألم نشرح ثمان آيات ليس فيها اختلاف، و التين ثمان آيات ليس فيها اختلاف .

اقرأ باسم ربك تسع عشرة آية في الكوفي و البصري و في المدنيين عشرون آية القدْر خمس آيات ليس فيها اختلاف (٣) ، لم يكن ثمان آيات في الكوفي و المدنيين وفي البصري تسع، إذا زلزلت ثمان آيات في الكوفي و المدني، و في البصري و في عدد اسماعيل تسعٌ .

والعاديات: (إحدى عشرة آية) (٤) ، (٥) التكاثر ثمان آيات ليس فيها اختلاف ، العصر ثلاث آيات ليس فيها اختلاف (٦) ، الهُمَزة تسع آيات ليس فيها اختلاف ، الفيل خمس آيات ليس فيها اختلاف، قريش: أربع آيات في الكوفي و البصري و في المدنيين خمس، أرأيت سبع آيات في الكوفي و البصري و في المدنيين ست، الكوثر ثلاث آيات ليس فيها اختلاف،

---

(١) سقطت من النسخة (ل)

(٢) سقطت سورة والضحى من النسخة ل .وعددها إحدى عشرة آية في جميع العدد. البيان ص ٢٧٧ .

(٣) هي ست آيات في المكي و الشامي وخمس عند الباقين لكن المصنف جرى على عادته في عدم ذكر المكي و الشامي.

(٤) ليس فيها اختلاف . و و قع في الأصل (ل) :(ثمان آيات) و هو فيما يظهر سبق نظر من النّاسخ.

(٥) سقطت القارعة أو لم يذكرها المصنف وعدد آياتها ثمان أيات في البصري و الشامي و عشر في المدنيين و المكّي و إحدى عشرة في الكوفيّ. : البيان: ٢٨٥

(٦) ليس في عدد آياتها اختلاف أنها ثلاث آياتٍ، و لكن اختلفوا فيها في موضعين فلم يعدّ المدني الأخير . ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴾ و عدها الباقون ثم عد المدني الأخير ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ [العصر:٣] و لم يعدّها غيره : البيان: ٢٨٧ و جمال القراء: ١ / ٢٢٩ و الفرائد: ٧٤ .

الكافرون ست آيات ليس فيها اختلاف، النصر: ثلاث آيات ليس فيها اختلاف، تبّتْ خمس آيات ليس فيها اختلاف، الإخلاص أربع آيات (١)ليس فيها اختلافٌ ، .. (٢) النّاس ستّ آياتٍ ليس فيها اختلافٌ (٣) . (٤).

سجدات القرآن

اختلفوا في ذلك فعند الشافعيّ - رضي الله عنه- في القرآن أربعُ عشرة سجدة في الأعراف والرعد و النحل و بني إسرائيل و مريم و سجدتان في الحج إحداهما عند قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج:١٨] و الثانية عند قوله: ﴿ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج:٧٧] في آخر السورة، و في سورة الفرقان و سورة النمل و سورة السجدة و حم السجدة و النجم و إذا انشقت و اقرأ باسم ربك.

و سجدة (ص) عند الشافعي -رضي الله عنه- ليس من العزائم و إنما هو سجدة شُكرٍ وعند أبي حنيفة- رضي الله عنه- هو من العزائم، و السجدة في الحج عند أبي حنيفة واحدة (٥)

---

(١) تقدّم مراراً أن المصنف جرى على عدم ذكر العدد المكي و الشامي. و هنا المكي و الشامي يعدون الإخلاص خمس آيات .

(٢) لم يذكر سورة الفلق، و عددها خمس عند الجميع.

(٣) لم يذكر العدد المكي و الشامي، و هنا المكي و الشاميّ يعدون سورة النّاس سبع آيات: البيان: ٢٩٨ وجمال القراء: ١ / ٣٠٠ و الفرائد: ٧٤

(٤) الاختلاف في العدد راجع إلى الاختلاف في النقل كما اختلفت القراءات .و ينظر في سبب ذلك وتوجيهه : البيان للداني: ١٠٩ – ١٢٠ ففيه توجيه طويل مفيد لذلك و جمال القراء: ١ / ٢٣٢ – ٢٣٣

(٥) اتفق أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله على أن سجدات القرآن أربع عشرة وإنما اختلفا في سجدة ص فهي عند أبي حنيفة سجدة تلاوة و هي عند الشافعي سجدة شكر، و اختلفا في سجدتي سورة الحج فعدَّ

قال : وعند مالِك –رضي الله عنه –ليس في المفصّل سجدة (١)، و إليه أومأ الشافعي رضي الله عنه في القديم، و هو قول أُبيّ بن كعب و زيد بن ثابت و ابن عبَّاس وخالفهم عمر وعثمان وعلي وابن مسعود و أبو موسى.

و سجدات التلاوة عند الشافعي سنةٌ غير واجبةٍ، و عند أبي حنيفة واجبةٌ (٢). و رُوى عن يحيى بن {أبي} (٣) كثير قال: (كان القرآن مُجَرَّداً في المصاحف فأولُ ما أحدَثُوا فيه النّقط على

الشافعي سجدتين في سورة الحج و أسقط أبو حنيفة الثانية من سورة الحج . وقال أحمد عدد سجدات القرآن خمس عشرة سجدة فعدّ سجدة ص فيها وهو قول ابن حبيب وابن وهب في رواية وإسحاق، وقال مالك في المشهور من مذهبه إحدى عشرة سجدة فأسقط سجدة ﴿ صٓ﴾ وسجدات المفصَّل وهو القول القديم للشافعي. لخصت هذا من كلام جماعة من الأئمة. ينظر: (الأم للشافعي: ١ / ١٣٧ و ٧ / ٢٠٢ والأوسط لابن المنذر:٥/ ٢٥٤-٢٧١ وشرح معاني الآثار للطحاوي: ١ / ٣٥٣ وأحكام القرآن – الجصاص ٥/ ٥٥ و التمهيد لابن عبد البر: ١٩ / ١١٩ و الاستذكار في مذاهب علماء الأمصار لابن عبد البر: ٢ / ٥٠٤ – ٥٠٨و ورؤوس المسائل لأبي جعفر الهاشمي الحنبلي: (ت: ٤٧٠هـ) : ١ / ١٦٠ – ١٦٢ و بداية المجتهد: ١ / ٣٠٥ و المغني لابن قدامه ١/ ٦١٦ الكافي لابن قدامة: ١ / ١٥٩ و فتح القدير لابن الهمام: ٢ / ١٣ و تفسير القرطبي: ٧ / ٣٥٧ وتنقيح تحقيق أحاديث التعليق لابن عبد الهادي:١ / ٤٥٦ وشرح الزركشي:١/ ٦٣٣

٦٨٩ و شرح الزرقاني على الموطأ : ٢ / ٣٠ و تحفة الأحوذي ٣ / ١٢٧).

(١) الموطأ: ١ / ٢٠٧ . قال أبو بكر الجصاص: (لم يختلف السلف وفقهاء الأمصار في السجدة الأولى من الحج أنها موضع سجود واختلفوا في الثانية منها وفي المفصل). أحكام القرآن : ٥/ ٥٥

(٢) أكثر العلماء على أن سجدة التلاوة ليست بواجبة و هو مذهب مالك و الشافعي و أحمد . ينظر المصادر السابقة : الاستذكار: ٢ / ٥٠٨ و رؤوس المسائل لأبي جعفر الهاشمي: ١/ ١٦٠ وأحكام القرآن – الجصاص :٥ / ٥٥

(٣) في النسخة (ل) : سقطت { أبي }.

الياء و التاء وقالوا لا بأس به و هو نور له ثم أحدثوا فيه نقطا عند منتهى الآي ثم أحدَثوا فيه الخواتيم و الفواتيح) (١).

القول في الاستعاذة عند قراءة القرآن

الاستعاذة بالله عند قراءة القرآن سنةٌ، و الدليل عليه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل:٩٨].

و معنى الاستعاذة الاستجارة فالقائل إذا قال أعوذ بالله فمعناه أستجير بالله و لفظ أعوذ و إن كان للخبر فهو بمعنى السؤال كما تقول: رَحِمَ الله فلاناً معناه اللهمّ ارحمه (٢).

و الشيطان في كلام العرب كلُّ متمرِّد من الجن و الإنس و الدواب و لذلك قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ [الأنعام:١١٢].

و رَكِبَ عمر بن الخطاب بِرْذَوناً فجعل يتبختر به وعمر يضربه فلا يزداد إلا تبختُراً فنزل عنه وقال ما حَملتموني إلا على شيطانٍ ما نزلتُ عنه حتى أَنكرتُ نفسي (٣). وسُمي شيطاناً لمقاربة أخلاقه في التمرُّد أخلاق أجناسِه و لبعده من الخير يقال شَطَنَتْ داري من دارك أي بعُدت

---

(١) البيان في عد آي القرآن: ص١٣٠ و المحكم في نقط المصاحف: ص١٧

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ١٠٩ و المحرر الوجيز: ١ / ٥٨ و تفسير القرطبي: ١ / ٨٩

(٣) رواه الطَّبري بسند صحيح من طريق ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه به. جامع البيان للطبري: ١ / ١٠٩ و تفسير ابن كثير: ١ / ٣١

فشيطان فيعال من شَطَنَ و النون فيه أصلية وقيل إنه من شَاطَ يشِيطُ فهو شيطان على وزن فَعْلانٌ. (١)

وذهب الحسن إلى أنّ نونه ليست بأصلية و كان يقرأ في مواضع الرفع: (الشياطون) (٢).

و أما معنى ﴿الرجيم﴾ فهو فَعِيل بمعنى مفعول كقولهم كفٌّ خَضِيب أي مخضوب وهو مرجوم أي مرمي بالشهب، و قيل مرمي باللعن و الطرد ، و قيل معنى رجيم مشئوم (٣).

وروى ابن عبَّاس :أنّ أولَ ما نزل جبريل عَزَمَ على محمد صلى الله عليه وسلم قال: يا محمد قلْ أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ثم قال: ﴿اقرأ باسم ربك ﴾ (٤).

---

(١) شاط يشِيط إذا احترق. لسان العرب: ٧ / ٣٣٧ وينظر على سبيل المثال في اشتقاق الشيطان: جامع البيان للطبري: ١ / ١١١ وإعراب القرآن لابن النحاس : ٢ / ٧٤ و الحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ٢٦٧ ومشكل إعراب القرآن لمكي : ١ / ١٤٠ و الكشاف : ١ / ١٨٤ والتبيان في إعراب القرآن للعكبري:١/ ٢ و تفسير القرطبي: ١ / ٩٠ ولسان العرب لابن منظور:١٣ / ٢٨٨ و التفسير الكبير للرازي: ١ / ٦١ و البحر المحيط: ١ / ٦٢

(٢) رواه محبوب عن عمرو عن الحسن . قاله ابن النحاس وقال : (وهو لحن)إعراب القرآن لابن النحاس : ٢ / ٧٤ وقال : أيضا: (و هو غلط عند جميع النحويين) : ٣ / ١٩٤. و في لسان العرب: ١٣ / ٢٣٨ قال ثعلب: (إن هذا غلط منه): قلتُ: الله أعلم بصحة ذلك عن الحس فإنه كان من العلماء المشهورين بالفصاحة، و في المحرر الوجيز: ج٤/ ص٢٤٥و تفسير القرطبي: (قال أبو حاتم هي غلط منه أو عليه): اتحاف فضلاء البشر: ١ / ١٨٨ و ٤٢٤ و الكشاف : ١ / ١٩٩ و المحرر : ١ / ١٨٥ وتفسيرالقرطبي: ٧ / ١٨ والبحر المحيط: ١ / ٦٢

(٣) معاني القرآن للنحاس: ٤ / ١٦ و المفردات في غريب القرآن : ١ / ١٩٠ و تفسير البغوي: ٣ / ٤٥ وغيرها.

(٤) جامع البيان للطبري:١/ ١١١ وتفسير ابن أبي حاتم:١/ ٢٥ والواحدي في أسباب النزول ص١٠ وهو أثر ضعيف ومنقطعٌ فإنه من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحّاك عن ابن عبَّاس. قال ابن كثير (تفسيره:١/ ٢٩):(وهذا الأثر غريب فإن في إسناده ضعفاً وإنقطاعا). قلتُ: و الضحاك ثقة مأمون

و معنى قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾ [النحل:٩٨]

أي فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله تعالى : ﴿ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾ [المائدة:٦] أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة (١).

وأكثر القرّاء يقولون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند افتتاح القراءة، (١).

كما قال الإمام أحمد، و الضعف من قبل بشر بن عمارة ، لكنّ الضحاك أيضا لم يسمع من ابن عبَّاس كما قال شعبة، و قال شعبة في رواية أخرى : (حدثني عبد الملك بن ميسرة قال الضحاك لم يلق ابن عبَّاس ، إنما لقي سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير)اهـ. طبقات ابن سعد: ٦ / ٣٠١ و علل الحديث لأحمد: ١ / ٤٣ و ١ / ٣٤٧ و الجرح و التعديل: ٤ / ت: ٢٠٢٤ و الثقات لابن حبان: ٦ / ٤٨٠ و الإرشاد للخليلي: ١ / ٣٨٩ و تهذيب الكمال: ١٣ / ٢٩١ و ميزان الاعتدال: ٢ / ت: ٣٩٤٢ والعجاب : ص٦٠ و الإتقان: ٤ / ٢٣٩ و بقية مصادر ترجمته في هامش تهذيب الكمال للمحقق .

و أبو رَوْق هو عطية بن الحارث الهَمْدانيّ روى عن الشعبى والضحاك روى عنه الثوري وشريك وعبد الواحد بن زياد وبشر بن عمارة وابنه يحيى . قال أحمد ليس به بأس: العلل: ١/ ٢٢٨ ، و قال ابن معين : صالحٌ أبو حاتم: صدوقٌ . و في التقريب : صدوقٌ: ينظر: الجرح و التعديل: ٦/ ت: ٢١٢٢ وتهذيب الكمال: ٢٠ / ١٤٣ و التقريب:٢/ ٢٤ .

و أمّا بشر بن عمارة فضعيف ضعفه النسائي و الدارقطني و العقيلي وغيرهم وقال البخاري: تعرف وتنكر و قوّى أمره ابن عدي: (التاريخ الكبير: ٢ / ١ / ٨٠ و الضعفاء له: ٢٥٤ و المجروحين: ١ / ١٨٨ و تهذيب الكمال: ٤ / ١٣٧ و جامع التحصيل للعلائي: ص١٩٩ وإكمال تهذيب الكمال لمغلطاي: ٢ / ٤٠٦ وتهذيب التهذيب: ١ / ٤٥٥). و ضعَّف الرواية ابن حجر قائلا: الراوي له عن أبي روق ضعيف ما ينبغي أن يحتج به- يعني بشر بن عمارة-: العجاب: ص٦٤

(١) جامع البيان للطبري: ١٤ / ١٧٣ و مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢ / ٩٠٢ وغيرها.

وروي عن حمزة بطريق خلف أعوذ بالله من الشيطان الرجيم و أستفتح الله وهو خير الفاتحين، (٢) وروى السوسي عن أبي عمرو في رواية أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم (٣).

---

(١) و قد حكى بعض القراء الإجماع على هذا اللفظ بعينه و لم يثبت الإجماع وأطال ابن الجزري في النشر النَّفَس في صيغة الاستعاذة فينظر فيه أقوال الأئمة و اختلاف القراء على وجه البسط فإنه مفيد: ١ / ٢٤٣ – ٢٥٣

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري : ١/ ٢٥١ و ينظر: اتحاف فضلاء البشر: ١ / ٢٩

(٣) النشر : ١/ ٢٥٠ وذكر ابن الجزري من قرأ به غيره أيضا و اختار هذه الصيغة الثوري و الأوزاعي وأحمد في رواية: (زاد المسير: ٤ / ٤٩٠ و التفسير الكبير للرازي: ١ / ٥٩ و تفسير القرطبي: ١ / ٨٩)

سورة الفاتحة

هذه السورة تسمى بعَشَرة أسماء فاتحة الكتاب (١) و سورة الحمد و أم الكتاب وأمّ القرآن والسبع المثاني و الوافية و الكافية و أساس القرآن و الصلاة و الشفاء، فأما تسميتها بفاتحة الكتاب، فروى سعيد المقبُريّ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (هي أم القرآن و هي فاتحة الكتاب و هي السبع المثاني) (٢).

و قيل سميت فاتحة الكتاب لأنها يفتتح بكتابتها المصاحف و بقراءتها في الصلاة فهي فاتحة لما يتلوها من سور القرآن كتابا و قراءة (٣).

وقيل سميت فاتحة الكتاب لأنها أول سورة نزلت من السماء فهي فاتحة لهذا الشأن.

و قد روى أبو ميسرة (٤) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:(أول ما لقيه جبريل قال قل أشهد أنْ لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده ورسوله الحمد لله رب العالمين إلى آخر

---

(١) ذكر الثعلبي لها عشرة أسماء: ١ / ١٢٦ وذكر القرطبي لها اثني عشر اسماً : تفسير القرطبي: ١ / ١١١ و ذكر السيوطي خمسة و عشرين اسما في بعضها نظر: الإتقان: ١ / ١٥٠ وينظر في أسمائها على سبيل المثال: جامع البيان للطبري: ١ / ١٠٥ و جمال القراء: ١ / ٣١ و الكشاف: ١ / ٩٩و التفسير الكبير للرازي: ١ / ١٤٦ و تفسير البيضاوي: ١ / ١٥ و غيرها.

(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير :باب و لقد آتيناك سبعا من المثاني و القرآن العظيم (ح ٤٤٢٧) وفتح الباري: ٨ / ١٥٥ و المسند : ٢ / ٤٨٤ و جامع البيان للطبري: ١ / ١٠٥ و ينظر: العلل للدارقطني : ٨ / ١٤٠ وتفسير ابن كثير: ١ / ١٠ و الدر المنثور: ١ / ١٢

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ١٠٥

(٤) عمرو بن شرحبيل الهمداني أبو ميسرة الكوفي أحد فضلاء التابعين وثقاتهم روى عن عمر وعلي وعنه أبو وائل والقاسم بن مخيمرة مات قديماً روى له: (خ م د ت س): ينظر: التاريخ الكبير ج:٦ ص:٣٤١ والجرح والتعديل: ٦ / ٢٣٧ و خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي: ١/ ٢٩٠

السورة(١)). و إنما سُمّيت سورةَ الحمدِ لأنّ الحمد مذكورٌ فيها، كما قيل سورة التوبة والأعراف و الأنفال. و في خبر :لا تقولوا سورة البقرة، ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة (٢).

وأما تسميتها بأم الكتاب و أمّ القرآن فقد ورد به الخبر قال رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم : (هي فاتحة الكتاب و هي أم القرآن) (٣) . وقال : (من صلى صلاة أو سبحة فليقرأ بأمّ القرآن) رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، (٤) و قيل إنما سميت أم الكتاب و أم

---

(١) هذا جزء من حديث مرسل رواه البيهقي في دلائل النبوة: ٢ / ١٥٨ و الواحدي في أسباب النزول ص١١ و في تفسيره الوسيط: ١ / ٥٧ و ٧١ و ابن عساكر: ٦٣ / ٧ و ذكر الحافظ ابن حجر أن رجاله ثقات. فتح الباري: ٨ / ٧١٤ في التفسير :تفسير سورة اقرأ و الإصابة : ٦ / ٦٠٨ والإتقان: ١ / ٧٩ والدر: ١ / ١٠ وقال ابن كثير : (هو مرسل و فيه غرابة)اهـ. البداية و النهاية: ٣ / ٩- ١٠ و نسبه السيوطي إلى ابن أبي شيبة في المصنف وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة والواحدي والثعلبي .

(٢) هذا الخبر ضعيف جداً و هو مروي من حديث أنس عند الطبراني في الأوسط: ٦ / ٤٧ و ابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان : ٢ / ٥١٩ و قال البيهقي بعد روايته هذا لا يصحّ و إنما يروى فيه عن ابن عمر من قوله ثمّ أسند عن ابن عمر من قوله النهي عن ذلك .قال ابن كثير : (هذا حديث غريب لا يصح رفعه)اهـ. و ينظر: تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي: ١ / ١٧٣

قلت :و قد ثبت في الصحيحين و غيرهما خلافه: ينظر تفسير ابن كثير: (١ / ٧٦ و الدر المنثور: ١ / ٤٦ وفتح القدير: ١ / ٢٨ و الإتقان: ١ / ١٤٨). قال النووي: (وهذا خطأ صريح والصواب جوازه فقد ثبت ذلك في الصحيح في أحاديث كثيرة من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والتابعين وغيرهم)اهـ. شرح النووي على صحيح مسلم: ٤ / ١٨٢

(٣) تقدّم قريبا.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ٢ / ١٣٣ بأطول مما هنا و ابن حبان في المجروحين: ٢ / ٧٣ والبيهقي في جزء القراءة خلف الإمام: ١ / ٧٩ و هو مروي من طُرُقٍ عن عمرو بن شعيب ومن يصحِّح حديث عمرو يصحِّح هذا و بخاصة لما لهذا الحديث من شواهد، و تحسين حديث عمرو بن شعيب هو الراجح، قال أحمد: (عمرو بن شعيب له أشياء مناكير و إنما يكتب حديثه يُعتبر به فأمّا أن يكون حجة فلا). (

القرآن لأن الأمَّ هو الأصل فأم الكتاب أقدم ما نزل منه، وقد ذُكِر أنه روي أن أول ما نزل من القرآن هذه السورة.(١)

و قيل سميت مكة أمّ القرى لأنها أول ما خُلِقت من بقاع الأرض، و قيل لأن الأرض دُحيت منها فهي كالوالدة التي هي الأمّ، (٢) و قيل معنى الكتاب في قوله أم الكتاب الكتُبُ المنزَّلة من السَّماء لأنه يصلح أنْ يكون اسم الكتاب ههنا للجنس فهذه السورة كالأمّ لجميع الكتب المنزَّلة أو لجميع القرآن لأنّ معانيَ جميع الكتب مودَعَةٌ في هذه السُّورة لأن جميع معاني القرآن إما صفة الربوبية وإقامة العبودية و هذه السورة تشتمل على الأمرين جميعا . ورُوي عن الحسن أنه قال: (من قرأ بفاتحة الكتاب فكأنما قرأ التوراة و الإنجيل و الزَّبور والفرقان) (٣).

وقيل سُمّيتْ أمَّ الكتاب و أمَّ القرآن لأنها إمام لجميع القرآن يقرأ بها في كل ركعة، وقيل سميت بذلك لأن العرب تسمي كلَّ جامعٍ أمرا أو مقدِّم لأمرٍ له توابع تتبعُهُ و هو لها إمام أُمّـَاً

تهذيب الكمال: ٢٢ / ٦٨)و قال الذهبي بعد أن ساق أقوال المعدلين و المجرحين لحديث عمروبن شعيب: (ولسنا نقول إن حديثه من أعلى أقسام الصحيح بل هو من قبيل الحسن)اهـ. ميزان الاعتدال في نقد الرجال ج٥/ ص٣٢٣ و مصادر ترجمته الباقية موجودة بهامش تهذيب الكمال. وينظر في شواهد الحديث: تنقيح التحقيق: ١/ ٣٧٠ – ٣٧٢ و نصب الراية: ١ / ٣٦٤ – ٣٦٧ .

تنبيه: استشهد المصنف بهذا الحديث على ما ورد من تسمية الفاتحة بأمّ القرآن و قد وردت أحاديث أخرى أصحّ منه منها حديث عبادة بن الصامت الذي أصله في الصحيحين فإن في بعض ألفاظه أم القرآن: ينظر في تخريجه و ألفاظه: التمهيد: ١١ / ٤٤ وتنقيح التحقيق لابن عبد الهادي: ١ / ٣٧٠ – ٣٨٠ و منها حديث أبي هريرة : (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خِدَاجٌ)عند مسلم (٣٩٥) وأصحاب السنن ينظر: في تخريج طرقه: موافقة الخُبر الخبر لابن حجر: ١ / ٤١٦

(١) ينظر : تفسير ابن كثير: ١ / ١٠ وفتح الباري: ٨ / ٧١٤ والإتقان: ١ / ٧٩

(٢) تفسير الثعلبي (الكشف و البيان): ١ / ١٢٧

(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن: ص٢٢١ و نسبه السيوطي إليه: الدر المنثور: ١ / ١٦

كأمّ الدماغ للجلدة التي تجمَعُه، و يقال أُمُّ الرأس أيضا و يُسمُّون لـواء الجـيش و الرايـة التـي يجتمعون تحتها أُمّاً (١).

فهذه السورة مفتَتَح القرآن و المبتدأ بإثباتها في المـصاحف و المبتـدأ بقراءتهـا في الـصلاة فلهـذا كانت أم القرآن (٢).

قال أبو بكر القفَّال: وقال قائلون اشـتقاقاً مـن هـذا المعنـى سـميت أم الكتـاب و أم القـرآن لانتظامها و اشتمالها على ما يشتمل عليه عامة الـسور في القـرآن في أصـول الـدين و إخـلاص العبادة الذي هو حقيقة الإسلام.

و أما تسميتها بـالسبع المثاني فقد روى أبو هريرة عن النبي صـلَّى الله عليـه و سـلَّم : (الـسبع المثاني أم القرآن) (٣). وليس إذا سمي هذه السورة بالمثاني ما يَمْنَعُ أن يُـسمّى مـا يـلي المئـين المثاني.

و اختلفوا في تسمية الحمد بالمثاني فقال قوم إنما سميت بذلك لأنها تثنَّـى في كـل صـلاة، (٤) وقيل لأن الله استثنى هذه السورة فادَّخرها لهـذه الأمـة و لم يعطهـا أحـدا قـبلهم (٥)، و قيـل سميت بذلك لأن الكلـمات مثنَّـاة فيهـا كـالرحمن الـرحيم و إيـاك و إيـاك و نعبـد و نـستعين والصّراط و صِراط و عليهم و عليهم.

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ١٠٥

(٢) تفسير الثعلبي: ١ / ١٢٧

(٣) حديث صحيح تقدّم تخريجه.

(٤) بهذا قال الحسن البصري و الطبري: جامع البيان للطبري: ١ / ١٠٧

(٥) تفسير السمعاني: ١ / ٣١ و تفسير القرطبي: ١ / ١١٢

وقيل إنما سُمّيت بذلك لأنها نزلت مرتين لشرفها مرة بمكة و مرة بالمدينة شيعها من الملائكة سبع مئة ألف، (١) و قال قوم سميت بذلك لأن أهل السموات يصلون بها كما نصلي بها أهل الأرض و قيل سميت بذلك لأن السورة نصفان نصف لله و نصف لعبيده على ما في الخبر من قوله : (قسمت الصلاة بيني و بين عبدي) (٢).

و أما قوله : (السبع المثاني) فلأنهم أجمعوا على أنها سبع آيات و إن اختلفوا في تعيين الآيات، وأما الوافية فليس فيها خبر مسندٌ، و لكن يُروى عن سفيان بن عُيينة أنه قال: فاتحة الكتاب تسمى الوافية لأنها لا تُتَنَصَّفُ ولا تجزئ الصلاة بنصفها، و ما من سورة إلا و يجوز قراءة نصفها في الصلاة إلا هذه (٣).

و أما الكافية فلأنها تكفي في الصلاة وحدها و لا يكفي غيرها، و أما الأساس فقيل إن رجلا أتى الشعبي فشكا و جع {الخاصرة } (٤) فقال عليك بأساس القرآن فقال و ما أساس القرآن قال فاتحة الكتاب : سمعت عبد الله بن عبَّاس غير مرة يقول : (لكل شيء أساس وأساس القرآن الفاتحة) (٥).

و أما الصلاة فروي في الخبر أن رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم قال: يقول الله تعالى: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين) أي الفاتحة.

---

(١) لم أجد أثرا بهذا المعنى و قد قال الحافظ السيوطي إنه لم يجد في ذلك حديثا و لا أثراً، قاله عند قول ابن حبيب عن الفاتحة إنه شيعها ثمانون ألف ملك : الإتقان: ١ / ١٢٢ في النوع الرابع عشر ما نزل مشيّعاً. وكذلك لم أجده في مظانه من كتب التفسير و فضائل القرآن.

(٢) رواه مسلم وغيره و تقدّم تخريجه في أول الكتاب و سيذكره المصنف بكماله فيما بعد.

(٣) رواه الثعلبي في تفسيره : ١ / ١٢٧ .

(٤) في النسخة (ل) : الحاضرة.

(٥) رواه الثعلبي في تفسيره مطولا في خبر هذا منه عن الشعبي: (١ / ١٢٨) و عزاه السيوطي إليه: الدر المنثور: ١ / ١٢ . و تابعه الشوكاني: فتح القدير: ١ / ١٦ و ذكر في تفسير هنجم الدين عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة ١٣) .

و أما الشِّفاء فروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم قال : (فاتحة الكتاب شفاء من كل سمّ). و في بعض الروايات: (من كل داء إلا السَّام وهو الموت) (١).

قوله: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ هذه آية من الفاتحة عندنا و من كل سورة افتتحت بها (٢) و لا خلاف بين العلماء في أنها منزَّلة و أنها قرآن في سورة النمل.

---

(١) تفسير الثعلبي: ١ / ١٢٨ من حديث أبي سعيد الخدري، ورواه الدارمي(ح ٣٤١٣) و البيهقي في الشعب: (ح ٢٣٧٠) عن عبد الملك بن عمير التابعي بسند صحيح لكنه مرسل، و يشهد لمعناه حديث أبي سعيد في قراءة الفاتحة على الملدوغ في البخاري و غيره. و ذكره القرطبي: تفسير القرطبي: ١ / ١١٢ وابن كثير: ١ / ٩ منسوبا إلى الدارمي من حديث أبي سعيد مرفوعا و لم أجده فيه فلعل هناك وهماً ما وقد نسبه السيوطي إلى الدِّارمي و البيهقي في شعب الإيمان. فائدة تتعلق بذلك: في الدر المنثور - للسيوطي ج١/ ص١٤: (وأخرج أحمد والبيهقي في شعب الإيمان بسند جيد عن عبد الله بن جابر أن رسول الله قال له ألا أخبرك بأخير سورة نزلت في القرآن قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب وأحسبه قال فيها شفاء من كل داء)اهـ.

(٢) الخلاف في البسملة بين العلماء في كونها آية من الفاتحة أم لا أو أنها آية مستقلة وفي الجهر بها و عدم الجهر خلاف طويل الذَّيل لا تحتمله مثل هذه الهوامش و قد أفردها بالتصنيف جماعة من العلماء الكبار والحفاظ منهم ابن خزيمة و الدارقطني و الخطيب البغدادي ،واختصر كتابه الحافظ الذهبي و طبع مع ست رسائل للذهبي، و ابن عبد البر في الإنصاف فيما في البسملة من الخلاف و أبو شامة المقدسي وغيرهم وأطال الكلام عليها جمع من العلماء في تصانيفهم و ينظر: الأم للإمام الشافعي١/ ١٠٨،١٠٧وسنن الترمذي :الصلاة ٢/ ٤٤،٤٣ و المصنف لعبدالرزاق ٢/ ٨٨-٩٣ وسنن الدار قطني١/ ٣١٤- ٣١٦ وأحكام القرآن لأبي بكر الرازي، الجصاص١/ ٨-١٧ والبيان لأبي عمرو الداني في : ص٥٠ -٥٧ و الاستذكار: ٢ / ١٦٣-١٨٣ و التمهيد: ١٩ / ٢١٨ وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢،٣ زاد المسير ١/ ٧،٨ وتفسير الرازي ١/ ٢٠٣-٢٠٨ وتفسير القرطبي ١/ ٩٣-٩٦ وأنوار التنزيل للبيضاوي ١/ ١٨،١٩والمغني لابن قدامة ٢/ ٢١٥-٢٢٩ وشرح النووي على مسلم ٤/ ١١١-١١٣ وابن تيمية في الفتاوى: ١٣ / ٤١٨ و فتح الباري: ٢/ ٢٢٧ - ٢٢٩ و النشر: ١ / ٢٥٩ وتنوير الحوالك على موطأ الإمام مالك للسيوطي ١/ ١٠٢-١٠٤ والبحرالزخار لابن المرتضى

و اختلفوا بعده فقال مالك: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ليس بقرآن إلا في سورة النمل و إنما دخل في كل سورة على جهة (١) التبرّك بها (٢) و ليس لأبي حنيفة فيه نصٌّ وحُكي أنّ مذهبه فيه كنحوِ مذهب مالك و المشهور من مذاهب أصحابه الذي (٣) يناظرون عليه أنه قرآنٌ، و لكن ليس من كل سورة و إنما دخل للفصل بين السورتين، (٤) و أجمعوا أن فاتحة الكتاب سبع آيات فمن عَدّ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ آية عدّ قولـه ﴿ صِرَٰطَ

١/ ٢٤٤-٢٤٧و نيل الأوطار للشوكاني٢/ ٢١٥-٢٢٩ وتفسير أبي السعود ١/ ٨،٩ والدر المنثور ١/ ٧-١١وفتح القدير ١/ ١٧وتفسير الآلوسي ١/ ٣٩-٤٧ وغيرها.

(١) في النسخة (ل) : كتب النّاسخ على سبيل التبرك ووضع كلمة : جهة فوق كلمة سبيل.

(٢) الصحيح الذي عليه أكثر العلماء منهم ابن عبَّاس في الصحيح عنه وعطاء و الشعبي و الزهري وأبو حنيفة والثوري ابن المبارك و الشافعي و أحمد وإسحاق و أبو عبيد و داود و محمد بن الحسن و هو قول أكثر القراء أنها آية من القرآن في غير سورة النمل. و ينظر: المصنف لعبد الرزاق: ٢ / ٩١ والأم للشافعي: ١ / ١٠٧ ومعاني القرآن لابن النحاس: ٣ / ١٧٩ و أحكام القرآن للجصاص: ١ / ١٣ و مختصر التبيين لهجاء التنزيل للإمام أبي داود سليمان بن نجاح: ١ / ١٥ ورؤوس المسائل لأبي جعفر الهاشمي: ١ / ١٢٨ و جمال القراء: ١ / ١٩١ وتفسير القرطبي: ٤ / ٦١ و المغني لابن قدامة: ٢ / ٢١٥ و التحبير للمرداوي: صـ ١٣٧٠ .

(٣) في النسخة (ل) : الذين.

(٤) قال الجصاص : (وليس عن أصحابنا رواية منصوصة في أنها آية منها إلا أن شيخنا أبا الحسن الكرخي حكى مذهبهم في ترك الجهر بها وهذا يدل على أنها ليست منها عندهم لأنها لو كانت آية منها عندهم لجهر بها كما جهر بسائر آي السور)اهـ. أحكام القرآن: ١ / ٨ و قال ابن رجب و هوالصحيح عن أبي حنيفة: يعني أنها آية مفردة للفصل بين السور و ليست بآية من الفاتحة: التحبير: ص١٣٧٤.

و قد ردّ السخاوي الشافعي صحة ذلك عن أبي حنيفة قائلاً: (و الإسرار بها لا يدل على ما قوّلوه بـه لأن جماعة من فقهاء الكوفة قد عدّوها منها و هم يسِرون بها) . ١ / ١٩٣ . قلت لكنَّ أصحابه أعلم بمذهبه: وينظر: أصول السرخسي: ١ / ٢٨٠ وشرح فتح القدير: ١ / ٢٥٣ وكشف الأسرار للبخاري : ١ / ٢٣

﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ إلى آخر السورة آية واحدة، و من لم يعد التسمية آية { عدّ } (١) ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ آية واحدة (٢).

و الحجة في أنها آية منزَّلة من الفاتحة و من كل سورة أثبتت فيها أنهم كتبوها بالقلم الذي كتبوا به المصحف على الوجه الذي كتبوا القرآن مع فصلهم بين القرآن، و إثبات عدد الآيات والعواشر، و الفواصل، دالة على أنّها ليست من القرآن مع ورود الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: (أول ما أنزل) في خبر ابن عبَّاس، (٣) و ليس هذا موضع بسط الكلام في هذه المسألة.

قوله: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ فمعناه أبدأُ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ أو بدأتُ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ (٤) و يجوز أن ينوي المضمر في أجزائها على معنى بسم الله أبدأ و استغنى عن إظهار المضمر في هذا الموضع لدلالة الحال عليه، و مثل هذا الإضمار كثير في كلامهم عند دفن الميت على اسم الله و على ملة رسول الله، و معناه أضعه في حفرته على اسم الله وتقول للرجل يستأذنك في الفعل على اسم الله أي افعل على اسم الله (١٨و)، ويقال سبحانك اللهمَّ وبحمدك، المعنى: و بحمدك كان ذلك.

و يقال في اليمين و القسم بالله أي أحلف وربَّما يُظهرون المُضْمَرَ كما قال الله تعالى:

---

(١) سقطت من النسخة (ل) ولا بد لسياق الكلام منها.

(٢) تقدّم الكلام على ذلك عند ذكر المصنف الاختلاف في عدد آي القرآن: صـ ٢٧٧.

(٣) تقدّم الكلام على اختلافهم في أول ما نزل من القرآن و على اختلافهم في الفاتحة و أمّا الخبر فقد تقدّم تخريجه في أسماء الفاتحة و هو خبر عن أبي ميسرة من التابعين: ينظر: صـ٢٩٠.

(٤) المحذوف عند البصريين اسم والتقدير ابتدائي بسم الله فموضع الجارو المجرور رفع و عند الكوفيين المحذوف فعل تقديره : ابتدأت أو أبدأ فموضع الجارو المجرور نصبٌ : إعراب القرآن لابن النحاس : ١ / ١٦٦ و الوسيط للواحدي: ١ / ٦٢ والكشاف: ١ / ١٠١ و التبيان: ١ / ٣ و البحر المحيط: ١ / ١٤

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ ﴾ [هود:٤١] (١) وفي الخبر أن النبي صلَّى الله عليه و سلَّم كان يقول عند نومه: باسمك اللهمّ وضعتُ جنبي فاغفِر لي ذنبي. (٢)

وقال الله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق:١].

ومعنى ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ في القرآن أي افتتحوا القراءة ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ ومعنى قول النّاس ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ عند قصدهم إلى الأكل والقعود وغير ذلك من الأفعال ما قد ذكرناه أي أبتدأ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ وهذا الباء تسمى باء الإلصاق لأنك إذا قلتَ كتبتُ بالقلم فمعناه أن الكتابة ملصقة بالقلم، (٣) وهي حرف جرٍّ وحروف الجر يقال لها الظروف والظرف يقتضي شيئاً يقع فيه فحرف الجر مع ما بعده يكون ظرفاً للفعل أو لمعنى الفعل، ويتنزَّل الجار إذا دخل على المجرور منزلة حرف منه وحكم هذه الباء أن تكون زائدة مجرورةً لأنها اختُصَّت بمعمول واحدٍ، وهو الجر فاختير لها أن تكون حركتها من جنس حركة معمولها فكسروها مخالفة بينها وبين أصولهم في ما عداها من الحروف، فإن عند النحويين ما كان على حرف واحد كان الأمر

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ١١٢ و الوسيط للواحدي: ١ / ٦٢ والكشاف: ١ / ١٠١ و البحر المحيط: ١ / ١٤

(٢) متفق عليه. رواه البخاري: في باب التعوذ والقراءة عند النوم: (ح ٥٩٦٠) و مسلم (ح ٢٧١٤).

(٣) معاني القرآن للزجاج: ١ / ٤٧ و الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس: ص ١٠٨ و معاني الحروف للرماني: ص٣٦ و المقتصد شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني: ٢ / ٨٢٥ والعدة لأبي يعلى: ١ / ٢٠٠ ومغني اللبيب لابن هشام : ١ / ١٠٣ و الغيث الهامع شرح جمع الجوامع لأبي زرعة: ١ / ٢١١ .
و منهم من يسميها باء الاعتمال كما قال ابن فارس و منهم من لا يفرِّق، و كثير من النحاة يقولون الباء في هذا المثال للاستعانة : شرح جمل الزّجّاجي لابن عصفور: ١ / ٥١٠ و ينظر: الجنى الداني ص٥٢ والدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ١ / ٥٠.

فيه الفتحة لأنها في نفسها ساكنة ولها صدور الكلام فاختير لها الفتح لخفته لما لم يمكنهم النّطق بالساكن. (١)

فأما لام الإضافة فإنما كسروها مخافة اللّبس بينها وبين لام التأكيد لهذا ردّوها إلى أصلها في الفتحة عند زوال اللبس في المضمرات، فقالوا المالُ لكَ لأنَّ لامَ التَّأكيد لا تدخلُ على الكاف وخَصُّوا لام الإضافة بالجرّ دون لام التأكيد لأنَّ معمولَ لامِ الإضافةِ الجرُّ، فأُجري عليها حكم معمولها و أمّا لام الأمر في قولك لِيفعَلْ فإنما كُسِرت ليكون فرقاً بينهما و بين لام التأكيد ثم إنه لم يقع اللبس بين {لام} الأمر و لام الإضافة لاختصاص هذه بالأفعال و تلك بالأسماء و بين الكسرة و الجزم مناسبة من حيث أنّ هذا في الأفعال بإزاء صاحبه في الأسماء فلِمَا بينهما من المناسبة خُصَّت لام الأمر بالكسر دون التأكيد لأنّ هذه المناسبة بين الكسرة و مقتضى لام التأكيد مفقودة. (٢)

و أما لام كي فهي لام الإضافة لأن قولك جئت لتقوم معناه جئت لقيامك. (٣)

و اختلفوا في اشتقاق الاسم فقال الكوفيون إنه مشتق من السِّمة يقال:

وَسَمهُ يسِمه وَسْما و سِمةً كقولهم، وعدا وعِدةً، قالوا: السمة العلامة فكأنّ الاسم علامة للمسمَّى به ليميَّز عن غيره، وقال البصريون: الاسم مشتق من السُّمُو وهو العلو فكأن الاسم

---

(١) معاني القرآن لابن النحاس: ١ / ١٦٦

(٢) الكتاب لسيبويه: ١ / ٣٨٩ و معاني القرآن للزجاج : ١ / ٤٨ إعراب القرآن لابن النحّاس: ١ / ١٧٠ و غيرها.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة: ص١١٦ وشرح جمل الزّجّاجي لابن عصفور: ١ / ٥٣٨ و مغني اللبيب: ١ / ٢٠٧ و التحرير للمرداوي: ٢ / ٦٥٠

يعلو المسمى وقيل جعل الاسم تنويها على الدلالة على المعنى لأنَّ المعنى تحت الاسم، و بعض النحويين قالوا إنما قيل اسم لرفع المصوّتِ بالكلمة للبيان عن المعنى. (١)

و من قال من المتكلمين إن الاسم {هو} (٢) المسمى قال أصله من العلو وكأن المُسمَّى لما سَمَا عن حدِّ العَدَم إلى الوجود قيل له اسم.

و قال البصريون : أصل اسم (سِموٌ) ثم قالوا في جمعه: أسماء كقنوٍ و أقناء و حِنْو و أحناء فإذا قيل لهم فإذا كان أصله سِمْو فلمَ حُذِفت الواو قيل استثقالا ولم يحذف من حنو وقنو لأن الاستعمال في الاسم أكثر منه في القِنو و الحِنو والجرو و ما أشبهها ثم سكنوا السين استخفافاً لكثرة ما يجري ذلك على لسانهم، و اجتُلِبتْ ألف الوصل لسكون السين لأن الابتداء بالساكن لا يمكن و ليكون (٣) عوضا مما ذهب منه فإذا قيل لهم فهلا تركوا السين متحركا حتى لا يحتاج إلى زيادة الألف لأن حركة الحرف أخف من زيادة حرف آخر قالوا ليس كذلك لأن ألف الوصل ههنا قد يسقط في الإدراج فكان إثبات الحرف الذي يسقط كثيرا أخف من حركة السين الذي يلزم أبداً، (٤) واحتج الزّجّاج (٥) على أن الاسم مشتق من السُّمُو بفصلين أحدهما:

أنه لو كان أصل اسمٌ سمة لقيل في تصغيره وُسَيمٌ كما قال في تصغير وعد وعيد و في تصغير وَصْل وُصيل فلما قالوا في التصغير سُمي علم أنّ أصله سِمْوٌ وكان الواجب أنْ يقال سُمْيوٌ إلا

---

(١) قال الواحدي الصحيح قول البصريين : (الوسيط للواحدي: ١ / ٦٣)و ينظر: معاني القرآن للزجاج: ١ / ٢ و المخصص لابن سيده: ١٧ / ١٣٤ و الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين لأبي البركات ابن الأنباري: ١ / ٦ و تفسير البغوي: ١ / ٥٠ و تفسير القرطبي: ١ / ١٠١ البحر : ١ / ١٤ و شرح الشافية للعلامة الجاربردي: ١ / ١٦٤ .

(٢) في النسخة ل : (و) بدلا من هو

(٣) في لـ : ليكن.

(٤) شرح الشافية للعلامة الجاربردي: ١ / ١٦٤ .

(٥)معاني القرآن للزجاج: ١ / ٤٦

أنهم استثقلوا الخروج من الياء التي هي أصل الكسرة إلى الواو التي هي أصلُ الضمة ألا ترى أنه لا يوجد في كلامهم فِعُلٌ.

و الثاني: قال إنا لم نجد ألف الوصل دخلت فيما يحذف فاء الفعل منه نحو عـدة و زنـة، و قـد اعترض عليه بعضهم فقال أصل اسم سِموٌ ثم قلب فقيل وِسمٌ ثم قلبت الواو ألفا فقالوا اسم و قلب الواو ألفا كثير في كلامهم كقولهم أُقِّت بمعنى وُقِّتَتْ و غير ذلك. (١) و حُكِيَ عـن ثعلب(٢) أنه ذكر في باب التصغير في كتاب له في النحو في تصغير صِلةٍ صُليَّة فهذا يـدل عـلى أنهم لا يردّون إلى الأصل في باب التصغير . و الله أعلم.

وفائدة قولُ القائل ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ أي أفتتح هذا باسمه على جهة التبرك بـذكره، و قـد يكـون الاسم بمعنى التسمية التي هي المصدر فكأنه يقول بتسمية الله أفتتح تيمنـا و تبركـا، و تـسمية الشيء باسم المصدر كثير في كلامهم كما يقولون عجبتُ من طعامك زيداً و من عطائك عمـراً يعني من إعطائك و إطعامك و أنشدوا:

لئن كان هذا البخلُ منك سجيَّة *** لقد كنتُ في طول رجاءك أَشعَبا (٣)

أي في إطالتي رجاءك، وهذا على قول من يقول إنّ الاسـم غـير المسمّى فيقـول معنـاه أفتـتح باسمه تبركا بذكره عند قصدي إلى هذا الأمر ، و من قال الاسم هو المسمى قـال معنـى قـول القائل ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ أي بالله أفعل أي بتوفيقه و تأييده وتيسيره و تسهيله و باختراعه يكـون

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج: ١ / ٤٦ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٩٢ -٩٣ والأنصاف لابن الأنباري: ١ / ٨ و المصادر المتقدمة.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) البيت في جامع البيان للطبري: ١/ ١١٤ غير منسوب.

هذا و بإنشائه و يكون الاسم هاهنا بمعنى المسمى و بعض أهل اللغة قال ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ مجازه بالله و هو قول أبي عبيدة (١) و يُستدلّ عليه بقول لبيد:

إلى الحولِ ثم اسمُ السلام عليكما *** و من يبكِ حولاً كاملا فقد اِعتذر (٢)

قال و اسم السلام هو السلام، (٣) و قد تأول من خالف (و١٩) هذا البيت على معنى الإغراء و إليه ذهب محمد بن جرير الطبري (٤) قال معنى اسم السلام عليكما أي عليكما أن تلزما اسم السلام أي اسم الله سبحانه فإذا مضى الحول فالزما ذكر الله سبحانه و عليكما باسمه و دعا ذكري فإني قد بُكِيتُ حولا فلم يَبْقَ علي شيء و استشهد في أنّ هذا بمعنى الإغراء بقول الشاعر :

يا أيها المائِحُ (٥) دلوي دونَكَا *** إني رأيت النّاس يحمدونكا (٦)

---

(١) مجاز القرآن : ١ / ١٦ و معنى ذلك أن اسم صلة زائدة ثم اختلف من قال بذلك في وجه زيادتها. و قد ردّ الطبري هذا القول كما سيأتي للمؤلف ذكره ، وممن قال بقول أبي عبيدة هذا الأخفش: معاني القرآن: صـ ١٥ و قطرب: النكت و العيون للماوردي: ١ / ٤٧ و الدر المصون: ١ / ٥٣ و هو مخالف لقول الجمهور و ينظر رد الطبري عليهم: جامع البيان : ١ / ١١٦ .

(٢) البيت للبيد في ديوانه: ص٢١٤ و هو في كثير من المصادر منها: غريب الحديث للحربي: ١ / ٢٧٤ والمنصف لابن جني : ٣ / ١٣٥ و المحرر الوجيز: ١ / ٦٢ و معجم البلدان: ٤ / ٦٩ و لسان العرب: ٤ / ٥٤٥ و غيرها كثير.

(٣) و تأوله ابن جنّي على معنى: ثم اسم معنى السلام عليكما . قال و اسم معنى السلام هو السلام فحذف المضاف: المنصف لابن جني: ٣ / ١٣٥

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ١١٦

(٥) الميح في الاستقاء أن ينزل الرجل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلو بيده يميح فيها بيده و يميح أصحابه والجمع ماحة: لسان العرب ج٢/ ص٦٠٨

(٦) الرجز في تفسير الطبري: ١ / ١١٩ و أمالي القالي: ٢ / ٤٤ و خزانة الأدب للبغدادي : ٦ / ٢٠٠ و الإصابة في تمييز الصحابة ج:٦ ص:٣٩٩

أي دونك دلوي (١) وقيل معنى البيت إلى الحول ثم اسم السلام عليكما كما يقول القائل اسم الله عليك على جهة الدعاء له.

وقال بعضهم: إنما قال ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ و لم يقل بالله و إن كان في معناه لئلا يشتبه هذا بالقَسَم (٢). و قيل دخل الاسم تعظيما و تفخيما للخطاب و إجلالا لاسمه الله (٣) ، و أما زنة الاسم فقد قيل فِعْلٌ أو فُعْلٌ لإنشادهم قول الشاعر:

---

(١) تفسير الطبري: ١ / ١١٩

(٢) النكت و العيون للماوردي : ١ / ٤٧ أي ليخرج به من حكم القسم إلى قصد التبرك.

(٣) أي و ليقع الفرق بين ذكره و بين ذكر غيره. النكت و العيون: ١ / ٤٧

بسم الله الذي في كل سورة سِمُه. (١)

ويروى سُمُه ولم يستحسنوا سَمَه بالفتح قالوا لأنه لو كان على وزن فَعَلٍ كان جمعه على أفْعُلٍ كدَلْوٍ و أَدْلٍ.

و اختلفوا في الاسم هل هو المُسمّى أم لا، (٢) فمنهم من قال الاسم غير المسمى وهو بمعنى التسمية ولا فصل بينه وبين الوصف و الصِفة وهذا قول المعتزلة.

---

(١) لرجل من كلب: النوادر لأبي زيد(١٦٦) و هو في معاني القرآن للزجاج ١ / ٤٥ والإنصاف لابن الأنباري: ١ / ١٠ و الدر المصون: ١ / ٥٤ و شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٢/ ٢٥٨ و شرح شواهد الشافية للبغدادي ص ١٧٦

(٢) هذه المسألة أطال فيها المصنف و قد أعرض الإمام الطبري عن ذكرها قائلاً : (و ليس هذا الموضع من مواضع الإكثار في الإبانة عن الاسم أهو المسمّى أم غيره؟ أم هو صفة له؟ فنطيل الكتاب بذكره)اهـ. ١ / ١١٧ وقال ابن سيده: (الاسْمُ كلمة تدلُّ على المسمى دلالةَ الاشارةُ دون الإفادةِ وذلك أنك إذا قلت زيد فكأنك قلت هذا وإذا قلت الرجل فكأنك قلتَ ذاك فأما دلالة الإفادة فهو ما كان الغرض أن تفيد السامع به معنى أو أخرجته ذلك المخرج كقولك قام وذهب فأما الأوَّل فإنما الغرض فيه أن تُشير إليه ليتنبه عليه أو تُخْرجه ذلك المخرج وأنا أكره أن أُطِيل الكتابَ بذكر ما قد أُولعَتْ به عامَّةُ المتكلمين من رسم الاسم أو حَدِّه والتكلم على المُسَميَّ هو الاسم أم غير الاسم)اهـ. المخصص: ١٧ / ١٣٤

و الصحيح فيها ترك الكلام فيها نفيا و إثباتا كما نقله إبراهيم الحربي و الطبري وغيره عن السلف و نقله شيخ الإسلام ابن تيمية مقرّا له و مؤيّدا و لم يقل أحمد رحمه الله الاسم هو المسمى و لا غيره، و قد رُويت عبارات عن الشافعي و غيره في النهي عن الكلام في ذلك، و مع هذا فقد اختار بعض متأخّري أئمة أهل السنة وغيرهم أنّ الاسم هو المسمى و ممن اختار ذلك الطبراني و اللالكائي و البغوي صاحب شرح السنة و هو أحد قولي أصحاب أبي الحسن الأشعري و اختاره ابن فورك و غيره من الأشاعرة.

و سيأتي عن القاضي عياض و النووي نسبة القولَ بذلك إلى مذهبِ أهل السنة وجماهير أهل اللغة في التعليق على نسبة المصنف ذلك لأهل السنة قريباً،و قال شيخ الإسلام : (الصّواب أن يُمنَع من كلا الإطلاقين ويقال كما قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف:١٨٠] وكما قال: إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة. والذين أطلقوا أنه المسمى كان أصل مقصودهم أن المراد به هو

ومنهم [من](١) قال ليس باسم، و في المعتزلة من يقول أسماء الله أغيار له إلا الله فإنه هُوَ هُوَ وهذا قول ضرار ابن عَمرو (٢) وقال المتقدمون من أهل السنة أن الاسم هو المسمى (٣).

وقال بعض المتأخرين إن الأسماء على ثلاثة أقسام:

المسمى وأنه إذا ذكر الاسم فالاشارة به إلى مسمَّاه وإذا قال العبد حمدتُ الله ودعوتُ الله وعبدت الله فهو لا يريد إلا أنه عبد المسمّى بهذا الاسم، والذين نفوا ذلك رأوا أن نفس اللفظ أو الخطّ ليس هو لأعيان المسمّاة بذلك وآخرون فرقوا بين التسمية والاسم فجعلوا الألفاظ هي التسمية وجعلوا الاسم هو الأعيان المسمَّاة بالألفاظ فخرجوا عن موجب اللغة المعروفة التى بها الكتاب والسنة)الخ. مجموع الفتاوى: ١٢ / ١٦٩ و المسألة طويلة و الكلام عليها طويل في بعض كتب أصول الفقه و بعض التفاسير و قد صنف فيها الغزالي و ابن السِّيد و السهيلي و غيرهم (البحر المحيط لأبي حيان: ١ / ١٦) و تعجب أبو حيان من اختلاف النّاس في ذلك. وينظر: المقالات للأشعري: ١٧٢ وتفسير الثعلبي: ١ / ٩٣ وشرح أصول اعتقاد أهل السّنّة: ٢/ ٢٠٤ وشرح السنة للبغوي: ٥/ ٢٩ و المحرر: ١/ ٦٣ وتفسير القرطبي: ١٧ / ١٩٣ و التفسير الكبير للرازي : ١ / ٦٥ و الفتاوى: ١٢ / ٣٧٣ و ٦ / ١٨٥ – ١٨٩ ولسان العرب: ١٤ / ٤٠٢

(١) ينبغي أن يكون هنا : من . ليستقيم الكلام لكن سقطت من الأصل، فأثبتها .

(٢) ضرار بن عمرو القاضي شيخ الضرارية من رؤوس المعتزلة و قد خالفهم في مسائل كبيرة وله مقالات سوء وله كتب كثيرة،شهد عليه الإمام أحمد عند بعض القضاة فأمر بضرب عنقه فهرب، قالوا أخفاه يحيى بن خالد حتى مات، قال الذهبي: فهذا يدل على موته في زمن الرشيد: (سير النبلاء: ١٠ / ٥٤٤) : ترجمة في الفهرست: ص٢١٤ و الفرق بين الفرق: ص٢٠١ وميزان العتدال: ٢ / ٢٣٨ و سير النبلاء: ١٠ / ٥٤٤ – ٥٤٦ و لسان الميزان: ٤ / ٢٠٤ و ينظر: لأقواله: مقالات الإسلاميين: ١ / ٣٣٩ و الملل و النحل : للشهرستاني: ١ / ٩٠

(٣) تقدّم أن ذلك مذهب طائفة من مشهوري علمائنا كالطبراني و البغوي وينسب بعض العلماء منهم القاضي عياض و النووي القولَ بذلك إلى مذهب أهل السنة وجماهير أهل اللغة و يقولون إنّ مذهب المعتزلة أنّه غيره و أن مذهب أهل الحق أن الاسم هو المسمى. و قد تقدّم أنّ الراجح الكفّ عن القول بإطلاق هذا من الجهتين و أنّ ذلك هو حقيقة مذهب السلف ينظر مع ما يتقدّم : إكمال المعلم للقاضي عياض: ٧ / ٤٤٧ و تهذيب الاسماء للنووي :٣/ ١٤٨ و الفتاوى ١٢ / ١٦٩ وفتح الباري:١١ / ٢٢١

منها ما هو المسمى كقولنا موجودٌ ومنها ما هو غير المسمّى كقولنا ضـاربٌ و قاتـل فإنـه يفيـد الضرب والقتل وهو غير الذات، ومنها ما لا يقال أنه المسمى ولا غيره كقولنا في صفة القـديم سبحانه إنه قادر و عالم لأنه يفيد العلم و القُدرة. وهذا القول حكـاه البَـاهلي عـن أبي الحـسن الأشعري رضي الله عنه. (١)

وحكى الإمام أبو بكر بن فُورَك رحمه الله عن أبي الحسن أنّ مذهبه أنّ الاسمَ و التـسمية عنـده واحدٌ وهو الوصفُ في الصفة.

ويخالف قولُه قولَ المعتزلة من وجهٍ وهو أن عندهم لا يكون الوصف و الاسم إلا قولاً وعند أبي الحسن يكون الصفة والاسم غير قول القائل ، قال: وقد ذكر أبو الحسن هذا في النقض على الجبّائي. (٢)

فعلى مذهب القدرية ليس لله سبحانه في أزله اسم ولا صفة لأن وجود القول في الأزل عندهم مُحال و إذا كان العالم و القادر والحي و الإله أغياراً لله لأنها أسماء فلا يكون العالم القادر الحي الإله على هذه القضية في الأزل ، وهذا ظاهر الفساد ولأنه لو كان الاسم غير المسمى وجب أن يكون قول القائل عبدتُ الله عابدا غير الله، و إذا قال الله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [من مواضعها:آل عمران:١٨٩،النور:٤٢]

وجب أن يكون ملك السموات والأرض لغير الله وهذا خروج من الدين ويجب أن يكون المُسبِّح و المتُبارك في قوله {﴿ تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٨٧].

---

(١) يقال إنّ هذا التفصيل هو المشهور عن أبي الحسن الأشعري: شعب الإيمان للبيهقي: ١/ ٣٣٦ و ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور: عبد الرحمن المحمود: ٣/ ١٠٤٣ .

(٢) في تبيين كذب المفتري لابن عساكر نقلا عن أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري :
(و ألفنا كتابا كبيرا ، نقضنا فيه الكتاب المعروف بالأصول على محمد بن عبد الوهاب الجبـائي) ص١٣٠ ونقله الذهبي مختصرا: سير النبلاء: ١٥/ ٨٧ و الكتاب مشهور عن أبي الحسن الأشعري .

و ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ﴾ [الأعلى:١] غير الله وهذا باطل ولأن الله سبحانه قال ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءً سَمَّيۡتُمُوهَآ ﴾ [يوسف:٤٠].

والقوم لم يعبدوا الأقوال وإنما عبدوا المسميات ولأن الله تعالى قال في قصة زكريا ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ ﴾ [مريم:٧] فأخبر أن اسمه يحي ثم خاطبه فقال يا يحي فلو كان الاسم غير المسمى وجب أن يكون المخاطب غير يحي ، وقد قال الله تعالى ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المائدة:٩٢، التغابن:١٢] فلو كان الاسم غير المسمى وجب أن يكون المأمور بطاعته غير الله وغير الرسول ولأن الرجل إذا قيل له ما اسمُ هذا فيقول زيد ثم يقول رأيت زيداً فلو كان الاسم غير المسمى وجب أن يكون رائياً غير زيدٍ ولأنه إذا قال زوَّجتُكَ فلانة أو بعتُكَ فلاناً فلو كان الاسم غير المسمى وجب أن لا يحل له وطئها لأنه زُوّج بغيرها ولم يحل له العبد لأنه اشترى غيره. (١)

وبعضهم قال وجدنا في اللغة ما كان على وزن فِعْل و استُعمل منه لفظ مُفعَلٍ كانا بمعنى واحد كجِنسٍ و مُجنَّسٍ و مِثلٍ و مُمثَّلٍ وضِعفٍ و مُضعَّفٍ و كذلك اسم و مُسمَّى.

وقد قال سيبويه في أول كتابه: الفِعلُ أمثلةٌ أُخذت من لفظ أحداث الأسماء. (٢) وإنما أراد به المسمَّيات لأن الأقوال لا أحداث لها و أبو عبيدة إمام في اللغة وقد بينا أنّ مذهبه كان أنَّ الاسم هو المُسمَّى وكان يستدل عليه بقول لبيد :

إلى الحول ثم اسم السلام عَلَيكُما (١).

---

(١) الاسم يقع أحيانا و المراد به التسمية عند أهل السنة و عند المعتزلة أيضا وسيذكر ذلك المصنف قريبا: إكمال المعلم للقاضي عياض: ٧ / ٤٤٧ .و لا يقول عاقل أن اللفظ المؤلف من الحروف هو المسمى : الفتاوى: ٦ / ١٨٨ .

(٢) الكتاب: ١ / ١٢

واعلم أنا لا ننكر أنْ يطلق الاسم و يكون المراد به التسمية مجازاً وعلى هذا يُحمل شَغَبُ المخالفين على هذه المسألة في تعلقهم بظواهر إطلاقات النّاس كما استدلوا به عند أنفسهم بقوله:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف:١٨٠] وقوله صلَّى الله عليه وسلَّم (إن لله تسعة وتسعين اسماً) (٢). وقوله: (لي خمسة أسماء). (٣) قالوا الواحد في نفسه لا يكون متعدِّداً ومعنى ذلك ما ذكرنا أنَّ المراد منه التَّسميات عُبِّر عنها بالأسماء.

ثم لو كان الاسم غير المسمَّى وجب أن تكون هذه الأسماء غير الله لأنه قال: (إن لله تسعة وتسعين اسماً)وقال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف:١٨٠] وكذلك قولهم أن يكون الشيء له أسماء كثيرة و الولد يولد و ليس له اسم و السيد يغير اسم عبده ، ومن قال النار لا يحترق لسانه وقد حصل اسمُهُ في فمه، و من قال العسل لم يجد الحلاوة في فمه، وقد وجد اسمه إن جميع ذلك محمولٌ على التسمية دون الاسم، وقد يجوز أن يذكر الاسم بمعنى التسمية مجازاً.

---

(١) شطر بيت للبيد تقدّم قريباً.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . أخرجه البخاري في كتاب الشروط : باب المكاتب وما لا يحل من الشروط التي تخالف كتاب الله برقم: (٢٧٣٦) مع فتح الباري ، و في الدعوات : (ح ٦٤١٠) و في التوحيد (٧٣٩٢) باب إن لله مائة اسم إلا واحدا مع فتح الباري و مسلم في الذكر: (ح ٢٦٧٧) . والترمذي: (٣٥٠٧) في الدعوات مع سرد الأسماء وابن ماجه : (٣٨٦٠)و (٣٨٦١ مع سرد الأسماء) وابن حبان: (ح ٨٠٧) و (ح ٨٠٨ مع سرد الأسماء) وعبد الرزاق: المصنف:١٠/ ٤٤٥ وغيرهم.

(٣) أخرجه مالك: ح ١٨٩٣ مع الاستذكار، والبخاري في المناقب، باب ١٧ (ما جاء في أسماء النبي صلى الله عليه و سلّم): ح ٣٥٣٢ و مع فتح الباري : ح ٣٣٣٩ ومسلم في الفضائل ، باب ٣٤ (في أسمائه صلى الله عليه و سلّم) (ح ١٢٤ ، ١٢٥) والدرامي : (ح ٢٧٧٥) و أحمد: ٤ / ٨٠ و ٨١ و ٨٤ والترمذي في الأدب: (ح ٢٨٤٠) و النسائي في الكبرى: (ح ١١٥٩٠) وغيرهم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه: وينظر: الاستذكار ج:٨ ص:٦٢٠

وقولهم لو كان الاسم هو المسمى لجاز أن يقال أكلت اسم العسل وبعت منك اسم الثوب وعبدت اسم الله ولأن الاسم يثنَّى و يجمع، وأنّ أهل اللغة قالوا الكلام ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف.

فالجواب عن جميعه أنّ إطلاق ذلك لا يجُوْزُ لأنه يُوهِم، فأمّا على التفسير بما يُزيل الإبهام فيجوز إطلاقه عند زوال اللبس و أهل اللغة إنما تكلموا في الألفاظ دون المعاني و الحقائق فكلامهم في تقسيم الأسماء و أنها تثنى و تجمع محمول على أن مرادهم التسمية عبروا عنها بالاسم مجازاً وقولهم إنه يقال رأيتُ زيداً ولا يقال رأيتُ اسمه ويقال: سمعتُ اسمه ولا يقال سمعتُ عينه وذاته فالجواب عنه:

أنّ هذا عُرْفَ النّاس اقترن به، فأوجب إطلاقه الإيهام، فأما عند التفسير فيجوز ذلك على الحقيقة ثم قولهم سمعتُ اسمه إنما يريدون التسمية و أما المعدوم فليس له اسم على الحقيقة وإن عُبِّر عنه بما يكون ذِكْراً وتسميةً له .وبالله التوفيق .

و روى ابن مسعود وعطية عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن عيسى ابن مريم أسلمته أمه إلى الكُتَّاب ليعلِّمه فقال له المعلم: اكتب بسم. فقال له عيسى ما بسم ؟ قال له المعلم: لا أدري، فقال له عيسى الباء بهاء الله والسين سناءه والميم مملكته). (١) فقال محمد بن جرير:

أخشى أن يكون هذا غلطا من المحدِّث فإن المعلِّم قال له اكتب باء سين ميم كما يُعلَّم الصبيان فغلط الراوي ووصله. (٢) ويكونُ معنى قولِ عيسى أنّ هذه الحروف التي تقول لي :اكتُبْ مفاتيح هذه الصفات لله.

---

(١) حديث موضوع أخرجه الطبري في جامع البيان: ١ / ١٢٠ و ١٢٣ و ابن عدي ١/ ٢٩٩ وابن حبان في المجروحين ١/ ١٢٦،١٢٧ و أبو نعيم في الحلية ٧/ ٢٥١ وابن عساكر في تاريخه ٤٧/ ٣٧٣ و ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٠٣ وينظر: تفسير ابن كثير ١/ ٣٣

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ١٢٠

فأما معنى قوله ﴿الله﴾ فقد اختلف النّاس في هذا الاسم هل هو مشتقٌّ من معنى أم لا (١) فمنهم من قال إنه ليس بمشتقٍّ وإنه اسمٌ تفرَّد به الباري سبحانه يجري في وصفه مجرى أسماء الأعلام في غيره فهو الاسم الجامع للأوصاف ، و النحويين يقولون لأسماء الأعلام الاسم

الجامع للأوصاف وهكذا حُكي عن الخليل و المبرد(٢) وغيره، و إليه مالَ أبو بكر القفال صاحب التفسير (٣) و به قال الحسين بن الفضل البجلي، (٤) قالوا:

لأنه لو كان مشتقاً من معنى وجب أن يجري ذلك في صفة غيره فإذا ثبتَ له معناه كالعالم لما كان مشتقاً من معنى وهو العلم أُجْرِيَ هذا الوصف على غيره لما ثبت له معناه الذي اشتُقَّ منه ذلك و إلى هذا القول ذهب ابن كيسان (٥) وجماعة من النّاس.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري: ٦ / ٤٣٢ و شأن الدعاء للخطابي: ص٣١ و تفسير الثعلبي: ١ / ٩٦ و المخصص لابن سيده: ١٧ / ١٣٤ والتحبير في التذكير للمصنف: (القشيري) صـ ٢٠ والوسيط للواحدي: ١ / ٦٣ و النكت و العيون للماوردي: ١ / ٥٠ و تفسير القرطبي: ١ / ١٠٢ و خزانة الأدب للبغدادي: عند الشاهد رقم: ٨٦٤

(٢) أما الخليل فعنه روايتان: أصحهما عنه رواية الليث أنه ليس بمشتقٍّ ينظر: الزّجّاج: ٥ / ١٢٢ وتهذيب اللغة للأزهري: ٦ / ٤٢٢ و شأن الدعاء للخطابي: ص٣١ و قد ردّ الفارسي القول بصحة ذلك عن الخليل ووهّم الزّجّاج في نقله: المخصص: ١٧ / ١٣٦ و خزانة الأدب للبغدادي: عند الشاهد رقم: ٨٦٤ لكن قد صح ذلك عن الخليل رواه الأزهري بسنده عنه كما في تهذيب اللغة .

(٣) تفسير السمعاني :١ / ٢٢

(٤) لم أقف عليه . والحسين بن الفضل بن عمير البجلي النيسابوري الإمام .تقدمت ترجمته في قسم الدراسة: صـ ١٦٠ .

(٥) تفسير السمعاني:١ / ٣٢

وقال الباقون (١) أنه مشتق من معنىً لأن أسماء الألقاب إنما جاز في صفة غيره لما لهم من الأمثال الذين يساوونهم في صفاتهم فلذلك أُحتُيج إلى لقب ينفرد به عمن يساويه وليس لله سبحانه مِثل يساويه حتى يكون له اسم لقب ولأنه ليس في العربية عندهم اسم لقب إلا منقولاً أو مشتقاً وهذا المعنى معدوم في هذا الموضع، ثم اختلف هؤلاء في أصل ما اشتقَّ منه هذا الاسم فمنهم من قال:

أنه مشتق من أَلِهَ يألَهُ فكأن خلقهُ يألهُهُ أي يعبده و استدلوا عليه بقراءة ابن عبَّاس و مجاهد: (وَيَذْرِكَ وإلاهتَكَ) (٢) .

وتفسيرهما له بالعبادة أي وعبادتك قالا وكان فرعون يُعبَدُ و لا يَعبُد قالوا فيقال أَلِهَ يألَهُ إلهةً كما يقال عَبَد يَعبُدُ عِبادة (٣) و عَبَرَ الرؤيا عِبَارةً ثم قالوا تألَّه على وزن تَفَعَّلَ من الإلهية التي هي العبادة و أنشدوا:

لله دَرُ الغانياتِ المدَّهِ ... سَبَّحن واسترجعنَ من تَألُّهِ (٤)

أي تنسُّكي و تعبدي، وهذا القول لا يصحّ لأن الوصف له بأنهُ إلهٌ من صفات ذاته وتقدير العبادة في الأزل مُحالٌ. (٥) و لأنه إله الجمادات و البهائم و الأعراض و المجانين و الأطفال

---

(١) و هو قول الأكثرين : تفسير الثعلبي: ١ / ٩٦ و الوسيط: ١ / ٦٤ والتحبير شرح التحرير للمرداودي: ١ / ٥٧ ونسبه ابن سيده –في المخصص: ١٧ / ١٣٥ – إلى حذاق النحويين.

(٢) قراءتها في جامع البيان للطبري: ١ / ١٢٢ و المحتسب: ١ / ٢٥٦ وتفسير القرطبي: ١ / ١٠٣ وتروى القراءة بذلك عن جماعة غيرهم ذكرهم ابن جني في المحتسب و لكن لم يذكر مجاهدا: ١ / ٢٥٦

(٣) الغريبين لأبي عبيد الهروي: ١ / ٩٥ و تاج العروس: مادة (أله) : ٩ : ٣٧٤

(٤) البيت لرؤبة : ديوانه: ص١٦٥ و جامع البيان للطبري: ١ / ١٢١ و الكامل للمبرد: ٨٧٣ و تاج العروس: ٩ / ٣٧٥

(٥) هكذا قال المصنف رحمه الله ؟ و قد يقالُ: لا مانع من ذلك باعتبار ما سيكون من الخلق، و علم الله أحاط بكل ما كان و ما سيكون. وقد ارتضى الطبري و غيره كونه مشتقّا من أَلِه إذا عبد و لم يروا حَرَجاً في

ولا تصح العبادة من هؤلاء، ومنهم من قال أنه مشتق من أَلِهَ بالمكان إذا أقام (١) ومنه قـول الشاعر:

أَلَهنا بدار ما تَبين رسومها **** كأن بقاياها وشامٌ على اليد (٢)

قالوا فلما كان الباري سبحانه باقياً أزلياً وجب أن يكون إلهاً، وهذا لا يصحّ لأنه لو كان مأخوذ من الإقامة و البقاء لوجب أن يكون كل من استَحَقَّ به الوصـف بـصحة الإقامـة يـسمى إلهـاً وهذا باطل وبمثل هذا بطل قول من قال من القدرية إن معناه القديم لأنه وجب أن يوصف به كلُّ من صح وصفه بالتقدم بقسط ما له من التقدم حتى يقال إله بغايـةٍ كـما يقـال قـديم بغايـةٍ ولقيام الأدلة على أن لله سبحانه صفات قديمة باقية أزلية دائمة الوجود قائمة بذاته ولا يقـال لها آلِهةٌ ومنهم من قال إنه مشتقٌّ من أَلِه إذا تحيَّر (٣) ومنه قول الشاعر:

و بيداءَ تِيهٍ تأْلَهُ العِينُ وسطها (٤) . أي تتحيَّر ،وتسمى الشمس إلهةً لأنَّ الأبصار تتحيَّر

هذا. ثم قد ذكر الماوردي أنهم اختلفوا هل هو مشتقٌّ من استحقاق العبادة أو مـن فعـل العبـادة: النكـت والعيون: ١ / ٥١ و أما ابن سِيده:

فقال:(وقيل الإله هو المستحق للعبادة وقيل هو القادر على ما تَحِقُّ به العبادةُ ومن زعم أن معنى إله معنى معبود فقد أخطأ وشهد بخطئه القرآنُ وشريعةُ الإسلام لأنّ جميع ذلك مُقِـرٌّ بـأنَّ لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك له ولا شك أن الأصنام كانت معبودةً في الجاهلية على الحقيقة إذ عبدوه وليس بالهٍ لهم فقد تبيَّن أن الإلهَ هو الذي تَحِقُّ له العبادةُ وتجب)اهـ. ١٧ / ١٣٥ و ينظر ما سيأتي صـ ٣١٧.

(١) أَلِه بالمكان كفرح إذا أقام : تاج العروس : ٩ / ٣٧٥ مادة أله.

(٢) تفسير الثعلبي: ١ / ٩٨ و تفسير نجم الدين عمر النسفي مخطـوط: التيـسير في التفـسير: (ورقـة ٥) وتاج العروس: ٩ / ٣٧٥ و في تاج العروس: (وشومٌ)

(٣) تاج العروس: ٩ / ٣٧٥

(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى و هو في ديوانه :

وَبَيداءَ تيهٍ تَحرَجُ العَينُ وَسطَها مُخَفَّقَةٍ غَبراءَ صَرماءَ سَملَقِ

في شعاعها (١) قالوا فلما كانت العقول تتحير في عظمته سمى إلهاً، وهذا لا يصح أيضاً لأن التحير في الأزل مُحال ولأنه إله ما ذكرنا من البهائم و الجمادات و سائر ما ذكرنا ولا يصح منها التحيُّر، ومنهم من قال إنه مشتق من لاه يلُوه لَوهاً و لَيَهاناً، واختلفوا في معنى لاه فمنهم من قال معناه عَلا يقال لاهت الشمس إذا عَلَت وبه سميت الشمس إلَهَةً (٢) وهذا لا يصح إلا أن يكون بمعنى علو الصفة لأن علو المكان في وصفه مُحال (٣) ثم غيره يوصف بأنه عالي القدر ولا يعطى له من الآلِهية اسم ، ومنهم من قال لاه بمعنى احتجب (٤) وكأن الله تعالى لما احتجب عن أبصار خلقه سمي إلهاً واستدلوا عليه بقول الشاعر :

لاهَ ربي عن الخلائق طُراً   خالق الخلق لا يُرى ويَرَى (٥)

ويقول آخر:

و شطره الأول في تفسير الثعلبي: ١ / ٩٧ و هو في تفسير نجم الدين عمر بن محمد النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٥) :بالرواية التي ذكرها المصنف . و في تفسير النسفي المذكور: مخلقة بدل مخفّقة. وللأخطل يصف جيشاً:

بِتِسعينَ أَلفاً تَأَلَهُ العَينُ وَسطَهُ   مَتى تَرَهُ عَينا الطُّرامَةِ تَدمَعا

و الطُّرامة من معانيها: الريق اليابس على الفم: اللسان: طرم.

(١) المخصص لابن سيده: ١٧ / ١٣٧ و لسان العرب: مادة (أله) ١ / ١٨٨

(٢) تاج العروس : مادة (لاه) : ٩ / ٤١٠

(٣) العلوّ لربنا من كلِّ وجهٍ يليق بكماله حقٌّ فهو عال بالقهر و الغلبة ، و عال أيضاً فوق عرشه علوّا لا يشبه علوّ المخلوقين ، و إثبات علو الله تعالى مذهب أهل السنَّة و الجماعة، و كلامهم فيه مشهور و ردّهم على من زلّ فتأوله معروف في محلّه . ينظر مثلاً: العلو للذهبي: صـ١٦ و ما بعدها .

(٤) في لسان العرب: لاه يَلِيه ليها : تستّر: مادة (لوه) : ١٣ / ٥٣٩ و مختار الصحاح: (ل ي ه) و تاج العروس: (لاه) : ٩ / ٤١٠ و في تفسير الثعلبي: لاهت العَرُوس تلوهُ لوها ، إذا حُجبت: ١ / ٩٨

(٥) لم أعثر عليه

لاهَت فما عُرِفتْ يوماً بخارجةٍ ** يا ليتها خرجت حتى رأيناها (١)

وهذا لا يصح أيضاً لأن الاحتجاب في وصفه مُحال، ولأنه إله الأعراضِ ويستحيل أنْ تكون الأعراض محجوبةً كما يستحيل أن تكون رائيةً ولأنه إذا تجلَّى لهم في الجنة وجب أن يخرج عن إلاهيته وهذا باطل ولأنه في الأزل إله ويستحيل الحجب و الاحتجاب في الأزل بالاتفاق. ومنهم من قال إنه مشتق من الوله وهو الطرب والطرب خفة تصيب الرجل لخوفٍ أو سرور (٢) فكأن العقول تولَهُ إليه ومنه قول القائل :

وَلِهَت نفسي الطروبُ إليكم *** ولهاً حال دون طَعْم الطعام (٣)

وهذا أيضاً باطل لأن الوله في الأزل مُحال ولأنه إله من لا يصحُّ منهم الوله كما ذكرنا من الأعراض و الجمادات وغير ذلك ، ومنهم من قال إنه مشتق من وَلِه إليه إذا فَزِع إليه فالإله هو الذي يُولَه إليه في الحوائج و يُفْزَعُ إليه في النوائب ، وأنشدوا:

ولهتُ إليكم في بلايا تنوبني *** فَألفيتُكُم فيها كريماً ممجّداً (٤)

وهذا أيضاً لا يصح لأن هذا المعنى في الأزل لا يصحّ، ولأنه إله من لا يصحُّ منهم الفزع كما ذكرنا، هؤلاء ؟ (٥).

---

(١) تفسير الثعلبي: ١ / ٩٨ و تفسير عمر النسفي مخطوط: التيسير في التفسير: (ورقة ٥) و معه بيت قبله فيه وتفسير القرطبي: ١٧ / ١٠١ .

(٢) تاج العروس: ٩ / ٤٣١ (ول هـ) .

(٣) البيت من قصيدة طويلة للكميت بن زيد : شرح هاشميات الكميت لأبي رياش : ص ٣٨ و فيه : (الطروب إليهم). و كذلك في : تفسير الثعلبي: ١ / ٩٨ و لسان العرب: ٥٣ / ٤٠٠ و تاج العروس: ٩ / ٤٢٣ و لكنه برواية (إليكم) في تفسير نجم الدين عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٥) .

(٤) تفسير نجم الدين عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٥) غير منسوب.

(٥) كذا في النسخة (ل) . و في الكلام سقط . و كأن المقصود قول من قال : هو مشتقّ من وَلَهَ لكون كل مخلوق والها نحوه : الدر المصون: ١ / ٥٧ كما قد دلّ على ذلك ما بعده.

فالإله الذي يُولَهُ إليه كالإمام الذي يؤتمُّ إليه واللِّحَاف الذي يُلتحفُ به قال فأصلهُ كان وِلاه ثم قلبت الهمزة فقيل إلهٌ كما قيل وشاح و إشاح و وكاف و إكاف. (١)

وقيل إنه في الأصل (إلها) (٢) بالسريانية وقد يزيدون في الألف في آخر الأسماء كما يقولون مشيحا و روحا، وهذا إن صح في لغتهم فهو اتفاق بين اللغتين ولا يجوز أن يكون هذا الاسم بالعبرية ولا بالسريانية.

وفي المتكلمين من قال إنه بمعنى المعبود و الذي يستحق العبادة أو من تَحُقُّ له العبادة أو الذي لا يجب العبادة إلا له وهذه الأقاويل فاسدةٌ لما ذكرنا من استحالة العبادة في الأزل واستحالة وجودها من هذه الأشياء التي ذكرناها. ولأنه صفة استحقها الباري سبحانه لا بفعل فاعل فلو كان بمعنى المعبود لكان العابد هو الذي جعله إلها بعبادته، و لَكَانَ لا يكون إله الكفار إذا لم يكن معبودا لهم، و لأنه لو لم يفعل الرحمة بهم لم يستحق عليهم العبادة و الشكر عندهم فإذاً عندهم لم يكن إلها وهذا باطل .

و بعضهم قال إنه بمعنى النُّور و ذلك أيضا باطل لأنه ليس على تصحيحه من اللغة و لا من المعقول شاهد.

وكذلك قول من قال إن معناه شيء لا كالأشياءِ. و بعض أهل السنة قالوا :معناه الذي له إلاهية و هو استحقاق أوصاف الكمال التي منها العلم المحيط و الإرادة الشاملة وله الخلق والأمر قال : و أصحّ ما قيل في معناه أنّ الإله من له الإلهيةُ و الإلهيةُ القدرةُ على اختراع

(١) تفسير الثّعلبي: ١ / ٩٧ و تفسير نجم الدين عمر النسفي الحنفي: التيسير في التفسير: (ورقة ٥) وتفسير البغوي: ١ / ٥٠

(٢)(لاها) كما في تفسير الثعلبي: ١ / ٩٦ و البحر المحيط: ١ / ١٥ و الدر المصون: ١ / ٥٩ و التحبير للمرداوي: ١ / ٥٥ وغيرها. و هو قول غريب و الله أعلم بصحته و قد استغربه أبو حيان و السّمين الحلبي.

الأعيان (١) فإن قيل فكيف اخترتم ذلك، وليس في اللغة له أصلٌ ؟ قيل إنّ اللغة تشهد لما قلناه و ذلك أنهم أَطلقوا هذه التّسمية على من اعتقدوا فيه صفةَ التّعظيم و استحقاق ذلك وأصابوا في الجملة و أخطأوا في التعيين (٢).

و يجوز أن يكون بمعنى الشيء اسم عندهم في الجملة و إن أخطأوا في تعيين ذلك الشيء كما أنهم يعرفون معنى الحسن والقبح في الجملة ، و لكن أخطأوا في تعيين بعض الأشياء بأنه حسنة و أنها قبيحة.

كذلك أخطأوا في تعيين المستحقِّ للتعظيم المستوجب لكمال الأوصاف فإذا ثبت معناه فنَظَرْنا في أوصافِ الباري سبحانه فلم يكن صفةٌ من صفات ذاته إلا و يجوزُ أن يكون لغيره ذلك إلا القدرة على الاختراع، فعلمنا أنه في الوصف الذي لا يليق بصفة غيره الذي به يُظهِر الحوادث و به يمكِّن من تنفيذ مراداته فقلنا الإلهية هي القدرة على اختراع الأعيان.

و اختلف النحويون في أصل هذه الكلمة.

فقال الكوفيون أصله (لاه)ثم أُدخل فيه الألف واللام للتعريف فاجتمعتْ لامانِ ثانيهما متحرِّكة فأُدغمت إحداهما في الأخرى فصارَ الله (٣).

وقال البصريون أصله: (إله) فأُدخل فيه الألف و الّلام للتّعريف فصار: (الإلاه)فاجتمع فيه همزتان بينهما ساكنٌ و الساكنُ عندهم لا يحجز حجزاً حصيناً، و من حكم الهمزتين إذا اجتمعتا حذفُ إحداهما أو تسكينُها فلم يُمكِنهم حذفُ الأولى ولا تسكينُها لأنها جُلِبت

---

(١) هذا قول أبي الحسن الأشعري و من وافقه : الملل و النحل للشهرستاني: ١/ ١٠٠. و ذكره البيهقي في الاعتقاد و لم ينسبه ص: ٤٩ . و الراجح أنّ الإله هو المستحق للعبادة: ينظر ما تقدّم: صـ ٣١٢ و ينظر: الردّ على قول الأشاعرة الذي ذكره المصنف في: درء تعارض العقل و النقل: ١/ ١٢٩ واقتضاء الصراط: ١/ ٤٦٠ و بيان تلبيس الجهمية: ١/ ٤٨٠ .

(٢) في الأصل: ل: التعين.

(٣) و على هذا القول فالألف في : الله :ألف و صل : إعراب القرآن لابن النحاس : ١ / ١٦٧ و ينظر: تهذيب اللغة للأزهري: ٦ / ٤٣٢ و شرح المفصل لابن يعيش: ١ / ٣ .

لسكون الّلام، و لم يُمكِنهم تسكينُ الثانية لأنه كان يؤدّي إلى توالي ثـلاثِ حركـاتٍ فحـذفوها أصلاً ثم أدغموا إحدى الّلامين في الأخرى ثم صار لام التعريف فيه بمنزلة جـزء مـن سِـنخِ (١) الكلمة و لزمته لزوما لا تفارقه و لهذا جاز أن يقال في النداء يا الله على { أن } ياء النـداء قد يدخل لام التعريف و من ذلك قول الشاعر :

مَنْ أجلِك يا التي تيَّمَت قلبي و أَنتِ بخيلةٌ بالوصل عنِّي (٢)

و من النّاس من قالَ الألف و الّلام في الله للتفخيم دون التعريف، و الـصحيح أنهـا للتعريـف فكأنك أفردتَ المعبود باستحقاق الإلهية دون غـيره مـن الأصـنام و الأوثـان التـي ادُّعِـى لهـا استحقاق العبادة.

و أما قوله: (اللَّهُمَّ) فمن النّاس من قـال معنـاه : يـا الله أُمَّنَـا بخـير أي اقـصِدنا بخـير، (٣) ومنهم من قال الميم زائدة في آخر الكلمة كما قالوا:

زُرْقُم (٤) و سُتْهُمٌ (٥) و قيل معناه يا الله فجعلت المـيم فيـه بـدلا مـن حـرف النـداء (٦) ولذلك لا تجتمعان و قيل في الشواذ يا اللهمّ و منه قول الشاعر:

و ما عليكِ أن تقولي كلَّما سبَّحتِ أو صلَّيتِ

يا اللهمّا اردد علينا شيخنا مسلَّما (١)

---

(١) أصل الكلمة و السّنخ الأصل. لسان العرب: مادة (سنخ)

(٢) لا يعرف قائله: (الكتاب: ٢ / ١٩٧ و شرح أبيات سيبويه لابن النحاس: (رقم ٤٤٤) و المفصل ابن يعيش: ٢ / ٨ و شرح الكافية الشافية لابن مالك: برقم (٨٩٢).

(٣) هو الفرّاء و قد ردّ عليه الزّجّاج: تهذيب اللغة للأزهري: ٦ / ٤٢٥

(٤) الشديد الزرقة: الصاحبي في فقه اللغة: ص١٠٢ و اللسان: زرق: ١٠ / ١٣٩

(٥) السُّتْهُمُ: الإسْتُ والـميم زائدة: لسان العرب: ستهم: ١٢ / ٢٨٠

(٦) لا تجتمع يا و الألف و اللام إلا في قولك : يا الله. و ما خالف ذلك فشاذ عند عامة النحاة كقـولهم: يـا اللهم. ينظر مثلا: شرح المفصل: ٢ / ٩ وشرح الكافية لابن مالـك: صــ١٣٠٧ ولـسان العـرب: ١٧ / ٣٩٢ .

قال الكوفيون فإذا قيل أصله : لاه فهو على وزن فَعَلٍ بفتح العين لأنّ الألفَ قطُّ لا تكون في كلامهم إلا منقلبة و مزيدةً، ولا يجوز أن تكون ههنا مزيدة لأنّ أقل الأسماء ثلاثة أحرف فلو كانت ألفه مزيدة لنقص حروف هذا الاسم في الأصل عن ثلاثة أحرف، و إذا كانت منقلبة فلا ينقلب إلا عن الواو و الياء إذا كانتا متحركتين و انفتح ما قبلهما فأما إذا كانت ساكنة فلا ينقلب كالمصطفَونَ و المصطفَين فإذا ثبت أنها تنقلبُ إذا كانت متحرِّكة فالحركة مقدَّرة في الألف لأنها لو سَقَطَتْ عادتْ إلى أصلها في أنْ لا تنقلبُ، فلهذا قالوا إنه على وزن فَعَلٍ بفتح العين، و الأشبه أن يقال إنّ الألفَ ها هنا قد انقلبتْ عن الياء على هذا القول كقولهم :

لهى أبوك أي لله أبوك. (٢)

قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ اختلف النّاس في ذلك فمنهم من قال إنه بالسّريانية رحماناً فنُقل إلى العربية فقيل الرّحمن و استدلُّوا بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ ﴾ (٣) الآية [الفرقان:٦٠] وهذا القول لا يصحّ و الصحيح انه اسم عربي مشتق من الرحمة يقال رَحِم يرحَم رُحْماً و رحمة فهو راحم ثم يقال في المبالغة رحمن و رحيم.

وقوله إنه في السريانية رحمانا (١) فيحتمل إن صحّ أن يكون وفاقا حصل بين اللّغتين وقوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ [الفرقان:٦٠] هذا سؤال عن

---

(١) رجز لا يعرف قائله: شرح جمل الزّجّاجي: لابن هشام : ص ٢٤٧ و خزانة الأدب: ١ / ٣٩٥ واللسان مادة (أله).

(٢) الحاصل من هذا أن أصله عند البصريين (لاه) على وزن فَعَلٍ أو فَعِل، وأصله عند الكوفيين (إله) على وزن : (فِعال) . : تفسير أسماء الله الحسنى – للزجاج :١ ص:٢٥ وشرح المفصل: ١ / ٣ و التحبير للمرداوي: ١ / ٦١

(٣) قيل هو اسم عبراني معرب يروى ذلك عن ثعلب و غيره، و لم يثبت ذلك: النكت و العيون: ١ / ٥٢ وشأن الدعاء للخطابي : ص٣٦ و تفسير نجم الدين عمر النسفي مخطوط: التيسير في التفسير: (ورقة ٩).

الصفة ولذلك قالوا و ما الرحمن و لم يقولوا و من الرحمن فالقوم جهلوا صفته فأما الاسم فكان معلوما لهم في الجملة (٢) و لهذا كانوا يسمون مسيلمة رحمن اليمامة و أنشد قائلهم :

ألا ضَرَبتْ تلك الفتاة هجينها ***ألا قطع الرحمن ربي يمينها (٣)

وقيل معنى قوله: ﴿ وَمَا ٱلرَّحۡمَـٰنُ ﴾ إنّما هو على جهة ترك التعظيم منهم أي من الرحمن حتى تأمرنا بذلك، و حتى يلزمنا أن نسجد له كما يقول القائل : إن زيدا ليأمرك أن تقوم فيقول: ومن زيدا حتى يأمرني بالقيام.

فإذا ثبت أنه اسم عربي و أنه مشتقٌّ من الرحمة فعندنا رحمته من صفات ذاته لم يزل بها موصوفاً ولا يزال بها موصوفاً، و هي إرادةُ الإنعام على من أراد أن يُنعِمَ عليه (٤).

---

(١) قيل إنه معرّب و أنه بالخاء المعجمة و ينظر: شأن الدعاء للخطابي : ص٣٦ و تفسير القرطبي: ١ / ١٠٦ والدر المصون: ١ / ٥٩ وأضواء البيان : ٤ / ١٤٨

(٢) نسب الطبري القول بأن العرب لم تكن تعرف الرحمن إلى بعض أهل الغباء، و بين أنه ليس بمستنكر أن يُنكر المشركون ما يعرفون صحته معاندةً: جامع البيان للطبري: ١ / ١٣٠ و القول بأنه عربي هو الصحيح الذي يدل عليه ظاهر كلام العرب و به يقول جماهير العلماء من أهل التفسير و العربية. و قد استُدِلَّ له بحديث : (أنا الرحمن و هي الرحم شققت لها من اسمي .. الحديث) رواه أبو داود (١٦٩٤) والترمذي: (١٩٠٧) و أحمد: ١ / ١٩١ ، ١٩٤ و غيرهم.: شأن الدعاء للخطابي : ص٣٦

(٣) نسبه الطبري: إلى بعض الجاهلية الجهلاء: ١ / ١٣٠ و نسبه الماوردي: ١ / ٥٢ إلى الشنفرى.

(٤) هذا التأويل لصفة الرحمة بإرادة الإنعام خطأٌ مخالف لطريقة أهل الحق من أهل السنة بإثبات الصفات مع التنزيه التام لله و الإمرار مع الإقرار و لم يقل به صحابي و لا تابعيّ و قد خلا من هذا التأويل تفسير إمام المفسرين الطبري و البغوي و السمعاني و ابن كثير و غيرهم ممن اتبع طريقة سلف الأمة من الصحابة و التابعين و تابعيهم ، و التأويل للرحمة بإرادة الإنعام يكثر في تفاسير من ينهج طريقة الأشاعرة و المصنّف منهم، و ممن أولها من المفسرين على هذا المنهج: الثعلبي: ١/ ٩٩ و الكواشي أبو العباس أحمد : ت: ٦٨٠هـ. في تفسيره (تبصرة المتذكر و تذكرة المتبصر) : ص٣٢٤ . و الصواب ترك التأويل و الإيمان بها

و من أصحابنا من قال رحمته نعمته و أنه من صفات فعله و الخلاف فيه يعود إلى اللفظ لاجتماعهم إلى قِدَمِ الإرادة (١).

و قالت المعتزلةُ الرَّحمة هي النعمة (٢) و هذا لا يَصِحُّ لأنّ الإنعام هو التمكينُ من المنافعِ وقد يمكِّن الإنسان غيرَهُ من ماله لينتفع به إذا أكرهه عليه سلطانٌ جائر و لا يقال إنه رحمه و قد يرى الضعيف فيرقَّ قلبه و يريد أنْ يحسِن إليه ولا يفعل فيقال رحمه و إن لم ينعم عليه فبطل ما قالوه طردا و عكسا.

ثم رحمة أحدنا تكون رقَّة القلب وشَفَقَته، و رحمة الباري سبحانه لا يكون كذلك كما أنّ علمنا يكون ضرورة و كسبا و علمه لا يكون كذلك ، و قال بعضهم الرحمة ترك العقوبة (٢٢و) المستحقة وهذا باطل لأن الله تعالى قد رحم الأنبياء و الأولياء و لم يستحقوا عقوبة فينزلها ، وقال النجَّار (٣) معنى الرحمة نفي القسوة، و هذا لا يصح لأن القسوة هي الصلابة و الجفاء

صفة للباري على ما يليق به تعالى و تقدس .ينظر: الحجة في بيان المحجة: ١/ ٤٢٣ والفتاوى: ٢ / ٣٥٤ ومختصر الصواعق المرسلة: ١ / ٢٣ ومحاسن التأويل للقاسمي: ٦ / ٢٥٣ .

(١) ينظر: تفسير الثّعلبي: ١/ ٩٩ و الصفدية لشيخ الإسلام : ٢/ ٨٨ و منهاج السنة النبوية: ٢ / ٣٧٧ و في الأخير الكلام على تقسيم الصفات إلى صفة ذات وصفة فعل و قد فرق بينهما ابن القيم فجعل الرحمن صفة ذات و الرحيم صفة فعل :شرح القصيدة النونية لابن القيم للهراس : ١/ ١٤ و ٢ / ٣٧ . والقول بأنها صفة ذات لا صفة فعل ممن رجحه السمين الحلبي و قال إنه هو الظاهر: الدر المصون: ١ / ٦٠. و الراجح أنها صفة فعل فإنه تعالى يرحم عباده متى شاء و كيف شاء و قد فصّل الشاطبي في هذه المسألة فينظر: الموافقات: ٢ / ١٩٤ – ١٩٥ .

(٢) الكشاف: ١/ ١١٠ مع حاشيته للطيبي.

(٣) حسين بن محمد بن عبد الله البغدادي النجار البغدادي أبو عبد الله إمام الطائفة النجارية ويقال لهم الحسينية قال الشهرستاني: (أكثر معتزلة الري و ما حواليها على مذهبه) الملل و النحل: (١ / ٨٨ ومقالات الإسلاميين: ١ / ٢٨٣) : له ترجمة مختصرة في: الفهرست: ١ / ١٧٩ و هدية العارفين: ١ / ٣٠٣ و معجم المؤلفين: ١ / ٦٣٩). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ليس هو من المعتزلة بل هو رأس مقالة وهو

يقال قسا العود إذا جف و صلب ثم يستعمل في القلب مجازا ثم إن كانت القسوة في الجملة معنى يضاهي الرحمة فإنما ينتفي ذلك عن الباري سبحانه و تعالى لوجود (١) ضده فإذاً الرحمن من له الرحمة بوجودها تنتفي القسوة.

و اختلفوا في الرحمن والرحيم أيهما أشد في اللغة فالصحيح أن لا فرق بينهما وهما بمعنى واحد كندمان و نديم و لهفان و لهيف (٢) (٣).

و قال بعضهم الرحمن أشدُّ مبالغة من الرحيم كالعلّام أشد مبالغة من العليم ولهذا قال : رحمن الدنيا و رحيم الآخرة لأن رحمته في الدنيا عمت الكافر والمؤمن في الرزق ورحمته في الآخرة اختصت بالمؤمنين.

و قال وكيع : الرحيم : أشد مبالغة لأنه يعم رحمة الدنيا و الآخرة جميعا ورحمة الرحمانية في الدنيا دون الآخرة (٤).

و عن ابن عبَّاس أنه قال: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ اسمان رقيقان أحدهما أرقُّ من الآخر (٥).

يخالف المعتزلة في القدر فيثبته وفي غير ذلك من أصول المعتزلة لكنه يوافقهم على نفي الصفات ويخالفهم أيضا في تماثل الأسماء والأحكام والوعيد): درء التعارض : ٤ / ١٧٨

(١) في النسخة : ل: يوجد.

(٢) اللهيف الحزين: اللسان: لهف.

(٣) التفريق بينهما أرجح لأنه يشتمل على زيادة في المعنى و هو اختيار ابن جرير (١ / ١٢٦)

(٤) ينظر:جامع البيان للطبري: ١ / ١٢٦ و تفسير ابن أبي حاتم: ١ / ١٢٨ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٩٩ والزاهر : ١ / ١٥٢ والوسيط : ١ / ٦٥ و الدر المصون: ١ / ٦٠

(٥) سنده ضعيف جدا رواه البيهقي في الأسماء و الصفات: ١ / (رقم ٨٢) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبَّاس . ونسبه إلى رواية الكلبي السمرقندي: (تفسير السمرقندي: ١ / ٤١ و نقله الخطابي و ابن النحاس في معاني القرآن : ١ / ٥٣ والبغوي: ١ / ٣٨ و السمعاني: ١ / ٣٣ والقرطبي: ١ / ١٠٦ و ابن كثير : ١ / ٢١ بلا سند).

و هو سند ضعيف جدا، فإن الكلبي اتهموه بالكذب، و قال أبو حاتم : النّاس مجمعون على ترك حديثه لا يشتغل به، هو ذاهب الحديث: الجرح و التعديل(٧ / ٢٧٠) و قد روى عنه التفسير من الثقات سفيان الثوري و غيره

وقال الحسين بن الفضل: (غلط الراوي لأن الرقة في صفات الباري سبحانه وتعالى لا تصحّ و إنما هو رفيقان أحدهما أرفق من الآخر (١) .

و الرفق من صفات الله و يدل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : (إن الله رفيقٌ يحبّ الرفق يُعطي على الرّفق ما لا يُعطِي على العُنفِ) (٢).

و إنما يصح هذا على قول من قال إنه من صفات فعله (٣). فأما إتباع قولـه: ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ﴾ بذكر اسمه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ فقد تكلّموا فيه فالصحيح أنه على جهة التأكيد (٤) كقـولهم فـلان جادّ مجدٌّ و قولهم فلان حُطَامٌ محطِّم حطَّام ولا يجري ذلك مجرى عطشان نَطْشان (٥) ، جـائع

وقوّى أمره في التفسير خاصّة ابن عدي لكن لا يعتمد عليه في ما يتعلق بالتفسير من الروايات و هذا منها، وقـال الذهبي : شيعي متروك الحـديث : التـاريخ الكبـير: ١ / ١٠١ و التـاريخ الـصغير للبخـاري: ٢/ ٥١ و الجـرح والتعديل(٧/ ٢٧٠) و المجروحين: ٢ / ١٥٣ والكامل لابن عدي : ٦ / ١٢٠ و تهـذيب الكـمال: (١١٩٩) وميـزان الاعتـدال : ٣ / ٥٥٦ – ٥٥٩ و سـير النـبلاء: ٦ / ٢٤٨ و تهـذيب التهـذيب : ٩ / ١٧٨ والعجـاب للحافظ ابن حجر: ص ٥٩ و طبقات المفسرين: ٢ / ١٤٤ ومحمد بن مروان السّدي الصغير الكوفي مثلـه أيـضا وربما سمى بعض العلـماء هـذه السلـسلة بسلـسلة الكـذب: (العجـاب: ص٥٩ و الإتقـان: ٢ / ٤٧١) قـال البخاري و أبوحاتم : لا يكتب حديثه البتة:تاريخ البخاري الكبير: ١ / ت: ٧٢٩ و الضعفاء الصغير له :ترجمـة: ٣٤٠ و أحوال الرجال للجوزجاني: ت: ٥٠ و الجرح و التعديل: ٨/ ت: ٣٦٤ و المجروحين لابـن حبـان: ٢ / ٢٨٦ وتاريخ بغداد: ٣ / ٩٢١ و تهذيب الكمال: ٥ / ٣٩٢ و ميزان الاعتدال: ٤ / ت: ٨١٥٤.

(١) و قال الخطابي : (هذا مشكلٌ لأن الرّقّة لا مدخل لها في شيء من صفات الله – سبحانه- و معنى الرقيق ههنـا اللطيف)اهـ شأن الدعاءص٣٩ و نقل القرطبي كلام الحسين بن الفضل : ١ / ١٠٦

(٢) أخرجه مسلم: في كتاب البر و لصلة : (ح ٢٥٩٣) و أحمد٤/ ٨٧، وأبو داود برقم ٤٨٠٧ في الأدب. و أولـه في الصحيحين.

(٣) البحر: ١/ ١٧

(٤) و قد اختار هذا القول ابن النحاس في معاني القرآن : ١ / ٥٣

(٥) نطشان اتباع لعطشان و لا يفرد: الأمالي لأبي علي القاي : ٢ / ١٠٩ وفيه الكلام على الإتباع في اللغة،و لسان العرب: مادة عفش: ٦ / ٣١٩ و ٣٥٥

نائع (١) ، لأن نائعاً و نطشان لا يُستعملون على الإنفراد وهاهنا كل واحد من الاسمين يستعمل على الإنفراد وقد يكرَّر المعنى بلفظينِ مختلفين أو متفقين للتأكيد كقوله تعالى ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ﴾ [الزخرف:٨٠].وقوله ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [طه:٧٨]. و قوله : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم:١٠].

وقول النّاس: آمرك بالصدق وأنهاك عن الكذب وعليك بالوفاء وإياك والغدر وأنشدوا :وألفا قولها كذباً و مَيْنا (٢). وأنشدوا:

متى أدنُ منه ينأَ عني و يبعُدِ (٣). فإن قيل فكيف قُدِّم الرحمن على الرحيم و إنما يقدَّم اسم الأخصُّ على الأعم ويؤخَّرُ الأعمّ كما يقولون فلانٌ عالمٌ عليمٌ ولا يقال عليمٌ عالمٌ قيل قد ذكرنا أن لا فضل بينهما وهما كندمان ونديم .

ثم من النّاس من قال إن الرحيم أعمّ من الرحمن (٤) لأن اسم الرحمن يختصُّ به الباري سبحانه على الإطلاق حتى لا يقال لغيره على الإطلاق رحمن، وإن قيل لمسيلمة على التقييد

---

(١) في لسان العرب ج ٨ ص ٣٦٥: (وقيل: جائِعٌ نائِعٌ أَي جائِعٌ، وقيل عطشانٌ، وقيل: إِتباع كقولك حَسَنٌ بَسَنٌ، قال ابن بري: وعلى هذا لا يكون من باب بُعْداً له وسُحقاً مما تَكَرَّرَ فيه اللفظانِ المختلفانِ بمعنى، قال: وذلك أَيضاً تقوية لمن يزعم أَنه إِتباع لأَن الإِتباع أَن يكون الثاني بمعنى الأَوَّل، ولو كان بمعنى العطش لم يكن إِتباعاً لأَنه ليس من معناه، قال: والصحيح أَنَّ هذا ليس إِتباعاً لأَن الإِتباع لا يكون بحرف العطف)اهـ.

(٢) المين الكذب و أوله: و قدَّدَتِ الأديمَ لِرَاهِشَيه . و البيت في لسان العرب (مين) منسوبا لعدي بن زيد: ١٣ / ٤٢٥ و في معاني القرآن للفراء: ١ / ٣٦ و شطره في إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٢٥

(٣) لسان العرب: ١٣ / ٤٢٦

(٤) في النسخة: ل: الرحيم خطأ.

والخطأ في المعنى رحمن اليمامة، فصار كاسمه الله لما كان لهُ على الخصوص قُدِّم على جميع الأسماء فكذلك ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ﴾ قدِّم على ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (١).

و قيل إنه خاطبَ ثلاثَ فرق عَبَدَة الأوثان وكانوا يعرفون الله وكانوا أقدم ثم اليهود وكانوا يعرفون اسمه الرحمن، بدليل أنه قال: عبد الله بن سَلَام لما أَسلم ما لنا لا نرى اسماً كنَّا نقرأهُ في التوراة الرحمن فأنزل الله تعالى ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَـٰنَ ﴾ [الإسراء:١١٠] والنصارى كانوا بعد اليهود وكانوا يعرفون الرحيم فرتَّب الله هذه الأسماء على ترتُّب هؤلاء الأصناف (٢) في الوجود. وعن الحسن أنه قال : (الرحمن اسم ممنوع). (٣)

أراد به لا يسمَّى غيره رحماناً وقال بعضهم : الرحمن خاصّ الاسم عامُّ المعنى، و الرّحيمُ عامُّ الاسم خاصُّ المعنى.

وقال بعضُ المفسرين : الرحمن العاطفُ على البَر و الفاجر بالرزق لهم لا يزيد في رزق التقي لتقواه ولا ينقص من رزق الفاجر لفجوره ،والرحيم بالمؤمنين خاصة (٤).

وقيل لم تجتمع هذه الأبنية الثلاثة في اسم واحد إلا في الرحمن و سلمان يقال راحم ورحمان ورحيم وسالم وسلمان وسليم، و قيل تقديرُ رحمن من الرحمة كتقدير شبعان من الشبع.

وفي قوله تعالى﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ردٌّ على القدرية لأنَّ الله سبحانه أدَّب عباده و أمرهم أن يبدأوا في كلِّ أمر بهذه الآية، وقد ذكرنا أنّ معناه بالله أفعل أي بتيسيره و قدرته وإرادته و مشيئته (١).

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ١٣٢ والكشاف : ١ / ١١٠ مع حاشيته للطيبي و البحر: ١ / ١٧ و الدر المصون: ١ / ٦١ و روح المعاني : ١ / ٦٤.

(٢) في النسخة : (ل) : الأصنام . وهو خطأ .

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ١٣٤ و عزاه إليه في الدر المنثور: ١ / ٢٤

(٤) تفسير الثّعلبي: ١ / ٩٨

و القدرية تزعم أنها تُوجد أفعالها بقدرتهم على الأفعال مستبدّين بها، ولهذا قال بعض أهل السنة إنّ الباء في بسم الله باء الحاجة، قال: ولا يصحّ ذلك على أصول الجِسمية أيضا لأنا ذكرنا أن معنى الإله من لَهُ الإلهية وهي القدرة على اختراع الأعيان (٢)ومذهبهم بأسرهم أنّ السموات و الأرضين و أنفسنا و جميع المخلوقات ليست بمقدورة لله تعالى على الحقيقة مع قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [من مواضعها المائدة:١٢٠،هود:٤] وزعموا أنّ مقدورات الباري على الحقيقة إنما هي أفعاله التي تحدُث عندهم في ذاته -تعالى الله عن قولهم- قالوا إنّ المعدوم في الحقيقة لا يجوز أن يكون مقدوراً و الموجودُ في الحقيقة لا يجوز أنْ يكون مقدورا و القسمة لا تعدو هذين الوجهين:

إمّا الوجود أو العدم فإذا لم يكن المعدوم مقدوراً ولا الموجود مقدوراً فليس للقدرة على الحقيقة مقدورٌ، و من منع أن يكون لله تعالى مقدورٌ مَنَعَ أن يكون قادراً، و من أنكر أن يكون قادرا مَنَعَ أن يكون إلهاً و من قال ذلك أنّى يصح له قول ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، و القدرية إذا قالوا إن المعدوم شيء و عين وذات و جوهرٌ (٣) و عَرَضٌ (١) و سواد وبياض

---

(١) ينظر: الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي: ١/ ٢٩١

(٢) ينظر: ما تقدّم عند ذكر المصنف لهذا في اشتقاق الاسم الكريم : (الله)صـ ٣١٧ .

(٣)جَوْهَرُ كلِّ شيء لغةً : ما خُلِقَتْ عليه جِبِلَّتُه: (لسان العرب ج ٤ ص ١٥٢) و المصباح المنير: ١ / ٢١٣ هذا من جهة اللغة. و أما حدُّه عند المتكلّمين و الفلاسفة: فاختلفوا في حدِّه و ينظر: اختلاف النّاس في تعريفه: في مقالات الإسلاميين: ٢/ ٨ وقال ابن السّيد البطليوسي: (لا نعلم بين المتقدمين والمتأخرين من أصحاب الكلام أن الجوهر يقوم بنفسه و العَرَضُ لا يقوم بنفسه ...قال و أقرب ما يمثل به للمبتدئ بالنظر أن يُقال إن الجوهر هو الجسم كالإنسان و الفرس و الحجر و نحو ذلك،

و مختلف و متفقٌ، فإن الفاعل لم يفعله عيناً و لا شيئاً و لا ذاتاً و لا جوهرا ولا عرضاً ولا سواداً و لا بياضاً فقد سلبوا القدرة حقَّها، و منعوا الألوهية و صفَها، و تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً.

قوله تعالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ الحمدُ في اللّغة له أربع معانٍ: يكون بمعنى المدح و الثناء ونقيضه الذمُّ، قال الله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدًا ﴾ [الإسراء:١١١] الآية و قال الشاعر:

بِحمدٍ من سنانك لا بذَمّ   أبا قُرّانَ مُتَّ على مِثالِ (٢)

أي على فراش. (٣) (٢٣ و) و يكون بمعنى الشكر و نقيضه الكفران والشكر في مقابلة النعمة و لهذا حدوه بأنه الاعتراف بنعمة المنعم على سبيل الخضوع، و الأصحّ أن يكون حدُّه

وأعراضه أحواله و صفاته المتعاقبة عليه كالألوان من بياض و سواد و حمرة وصفرة و الحركات المختلفات من قيام وقعود واضطجاع)اهـ. المقتضب شرح أدب الكاتب : ص١٨ وحدَّهُ ابن فُوْرَك شيخ المصنّف بقوله: هو ما يقبل من كلِّ جنس من أجناس الأعراض عرضاً واحداً ما لم يؤدّ إلى التضاد: الحدود: ص٨٦ وقيل في تعريفه: هو ما قام بنفسه، و يقابله العرض، و هو ما يقوم بغيره .: المعجم الوسيط: ١ / ١٤٨ و ينظر ما ذكر محقق الحدود لابن فورك من مصادر و يزاد عليه: مقالات الإسلاميين: ٢/ ٨ و المعجم الوسيط: ١ / ١٤٨ .

(١) عكس الجوهر ينظر تعريف الجوهر السابق. وقال ابن فورك: هو الذي يعرض في الجوهر و لايصحّ بقاؤه. ص٨٨ و التعريفات: ص٧١ .

(٢) البيت في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١ / ١١٧ و الفائق للزمخشري: ٢ / ٣٦ غير منسوب. وفي أخبار أبي تمام للصولي: : ص ١٤٠ منسوبا لسهم بن حنظلة.وروايته في الحماسة: بحمد من سنانك لا بذمّ بالباء الموحدة، و في أخبار أبي تمام : غير ذمّ.

(٣) المِثال الفراش: النهاية: ٤ / ٢٩٥ و اللسان مادة (مثل)

ما يكون به الشكر شاكراً ليدخل فيه شكر الله سبحانه لعبده و الثناء على المشكور له بذكر إحسانه (١).

و يقال حمدتُه على معروفه عندي أي شكرته فكلُّ شكرٍ حمد وليس كلُّ حمدٍ شُكراً لأنه قد يكون الحمدُ لا في مقابلة النِّعمة، (٢) و قد يكون الحمد في اللغة بمعنى الرضا يقال بلوتُ فلانا فحمدته أي اختبرته فارتضيته، و يكون الحمد بمعنى العاقبة يقال حُماد أمرك أي عاقبة أمرك (٣).

فمعنى قوله تعالى :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ يحتمل هذه الوجوه الأربعة أي الحمد لله و الشكر له والرضا له أي رضاه الذي هو صفتُة له استحقاقاً وصفةً، و رِضا العبد عنه إذا رضي بقضائه له قبولاً وحكماً بصحّته وأمراً به وخلقاً وتقديراً والعاقبة له لأنه هو الذي يختم لعباده بما يشاء ويرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وقال الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى:٥٣] .

---

(١) ينظر: الزاهر لابن الأنباري: ٢ / ٨٤ و جامع البيان للطبري: ١ / ١٣٧ و الحدود في الأصول لابن فورك: ١٢٤ و مفردات الراغب: ص١٣٠ والكليات: ٢ / ١٩٤ و التعريفات: ٤٩

(٢) الحمد و الشكر متقاربان و قد جعلهما بمعنى واحد الطبري و بعض أهل اللغة و استدلوا بقولهم: الحمد لله شكراً و قالوا الشكر قد يوضع موضع الحمد. والأرجح التفريق بينهما و إن كانا قد يجيئان بمعنى واحد، فالحمد ثناءٌ على المحمود بجميل صفاته و أفعاله و لا يشترط أن يكون في مقابلة نعمة والشكر الثناء عليه بإنعامه ، فكل شكر حمد لأنّ في الشكر ثناء و ليس كل حمد شكراً فالله يحمد نفسه ولا يقال يشكرها. و في ذلك كلام أكثر من هذا ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ١٣٧ والنكت و العيون: ١ / ٥٣ و الحدود في الأصول لابن فورك: ١٢٤ و مفردات الراغب: ص١٣٠ و الكشاف: ١ / ١١١ والبحر: ١/ ١٨ و لسان العرب مادة: حمد والدر المصون: ١ / ٦٣ والكليات: ٢ / ١٩٤ و التعريفات: ٤٩

(٣) حُماداك أَن تفعل كذا وكذا أَي غايتك وقصاراك: لسان العرب : ٣/ ١٥٧

قال: و الألف و الّلام في الحمدِ يحتمل أنْ تكون للجنس أي جميع المحامد لله لأنّ الموصوف بصفات الكمال هو في نعوته الحميدة و أفعاله الجميلة.

و يحتمل أن تكون للعهد أي الحمد لله الذي حَمِدَ به نفسه و حمد به أولياءه له استحقاقا و صفة و حُكماً بقبوله من العباد و خلقاً (١).

ولا يصحّ على أصول القدرية قولهم الحمد لله لأنه إن كان بمعنى الثناء فهم سلبوه أوصاف العزّ و الكمال بقولهم لا علم له و لا قدرة ولا عظمة ولا عزة و أنّ إرادته لا تنفذ في ملكه، وأنّ مرادَ عدوه يرتفعُ في سلطانه دونَ مرادِهِ فكذلك مِنهاجُهُم من المشبهة الجسمية في و صفهم المعبود بأنه محلُّ الحوادث غيرُ قادر على إعادة ما أعدمه من المخلوقات و أنه غير قادر على إعدام أفعاله. و كذلك إن قلنا الحمد بمعنى الشّكر فلا يصحّ ذلك على أصولِ القدرية و من شاركهم من المشبهة في القول في باب التعديل و التجويز لأنه إذا وجب على الله سبحانه فِعل ما فَعَل بهم من النِّعم لم يستحق عليهم الشكر لأن من فعل ما وجب عليه لم يستحق شكرا، إذا لم يفعل لم يكن حكيما.

ثم إذا قالوا إنّ العبد منفرد بفعله مخترع لإيمانه و طاعته فليس على هذه القضية لله تعالى عليهم نعمة دينية و كيف يستحق عليهم الشكر، و لو وجب أن يحمد لما مكنهم من الإيمان بإقداره إياهم على الكفر و تمكينهم من ذلك أن يذم و تعالى الله عن قولهم.

و إنْ كان الحمد بمعنى: الرضا فكيف يقولون له ذلك لأنهم على قضيتهم يفعلون ما يسخطونه من معاصيهم و كذلك عندهم العبد قادر على أن يختم لنفسه بالسعادة فلا يكون العاقبة لله تعالى.

---

(١) المحرر الوجيز: ١ / ٦٦ و البحر: ١/ ١٨ و الدر المصون: ١ / ٦٥ و قد اختار الزمخشري أنها للجنس و منع كونها للاستغراق: الكشاف: ١ / ١١٢ و اختار القرطبي أنها لاستغراق الجنس: تفسير القرطبي: ١ / ١٢٢ . و ينظر: التصريح شرح التوضيح لخالد الأزهري: ٢ / ١١١

فإن قيل نهانا عن الحمد و الثناء على أنفسنا وبدأ بالحمد على نفسه فقال لنا ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [النجم:٣٢] قيل إنه ليس كل ما نهينا عنه وجب أن لا يكون له لوصفنا له بأنه متكبِّر مع نهيه إيانا عن التكبُّر لأنه منا يكون جحد حق و منه علوَّ و صف و كما نعت كذلك علَّمنا كيف الحمدُ لله و مدح نفسه بما يليق بوصفه و أخبر عن تحميده و ثنائه على نفسه.

و جاء في التّفسير عن ابن عبَّاس أنّ معنى: الحمد: الشكر لله (١) و هو أنْ صنع [إلى] (٢)خلقه فحمدوه.

وجاءَ في التفسير أنه الشكر له و الاستخْذاءُ له، و هو الانقياد والإقرار بنعمته و هدايته والثّناء عليه (٣). و أما القراءة، فالذي عليه القرّاء، وهو الصحيح، ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ برفعِ الدّال على الابتداء و لله إخبار عن الحمد (٤).

وقيل يحتمل أن يكون الحمد رفعاً بخبر الصفة كأنه قال لله الحمد (٥).

و يجوز أن يكون رفعاً على معنى قولوا: الحمدُ لله، و هذا معناه لأنَّ معنى قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ (١). و الحذف في كلامهم كثير إذا كان في الكلام ما يدل عليه كقوله تعالى : ﴿ مَا

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ١٣٥

(٢) في الأصل : على.

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ١٣٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٤ عن ابن عبَّاس وذكره ابن كثير: ١ / ٢٤ والسيوطي: الدر: ١ / ٣٠

(٤) معاني القرآن للزجاج: ١ / ٥١ و تفسير الثعلبي: ١ / ١٠٩ والبحر: ١ / ١٨

(٥) الكسائي يسمّي حروف الجر صفات، قال الكسائي الحمد رفع بالضمير الذي في الصفة أي اللام فجعل اللام بمنزلة الفعل: إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٦٩

نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الزمر:٣] أي قالوا ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾.و قوله ﴿ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ ﴾ [التوبة:٣٥] أي يُقال لهم هذا ما كنزتم و يقال للمسافر إذا ودّعوه مصاحباً معافاً أي سِر مصاحباً معافاً (٢).

ويجوز في الكلام: الحمدَ لله بنصب الدال و معناه: أحمد الله الحمد فحُذِفَ أحمدُ اجتزاءً بالباقي وقيل معناه حمدا لله فأدخل عليه الألف و اللام (٣). وذكر الفراء (٤) أنه يجوز الحمدِ لله بكسر الدال ووجَّهَه أنها كلمة كثرت على اللسان فثَقُل عليهم في كلامهم ضمَّةٌ بعدها كسرة ووجدوا الكسرتين يجتمعان في الاسم الواحد مثل الإِبل و الإِطِل (٥) و مِنخِرٍ و مِنتِنٍ فكسروا الدال من الحمدِ ليكون على مثال أسمائهم. (٦)

و قيل معناه كلُّ الحمد فلما حُذِف كلّ بقي الحمدُ مكسوراً .

---

(١) كذا ؟ و إنما يكون مرفوعا بالابتداء ثم الخبر الجار و المجرور و هو لله كما ذكر المصنف أولاً ثـم الجـار والمجرور متعلقان باسمٍ على المختار أي مستقر لله أو بفعل أي استقر لله. (الكـشاف: ١ / ١١٢ والـدر المصون: ١ / ٦٤) لكن يظهر أن المصنف لا يقصد بذلك الإعراب بل المعنـى كـما سـيرد أو الرفـع عـلى الحكاية: تفسير الثّعلبي: ١ / ١٠٩.

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ١٣٩ – ١٤١

(٣) تتابع العلماء على إنكار القراءة بهذه القراءة الشاذة فقد جعل الطبري من يقرأ بالنصب مستحقّا للعقوبة إذا تعمّد ذلك و هو عالم بخطئه: ١ / ١٣٩ و أنكرها الزّجّاج: ١ / ٥١ و البحر: ١ / ١٨ و الدر المصون: ١ / ٦٥

(٤)معاني القرآن للفراء: ١ / ١١

(٥) الخاصرة و مابين الضلوع إلى آخر الورك و قد ورد في معلقة أمرئ القيس المشهورة: ينظـر عـلى سـبيل المثال : شرح المعلقات السبع لابن الأنباري: ص ١٠٨

(٦) إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٧٠

و بعضهم جوَّز ضم اللام من لله (١)على المثال الأكثر من أسماء العرب التي يجتمع فيه ضَمَّتان مثل الحُلُم و الرُّعُب و قوله: ﴿ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَـٰرِكُم ﴾ [النساء:٦٦] . و ضعَّف الزّجّاج هذين الوجهين أعني كسرة الدال من الحمد، و ضمّها مع ضمّةِ الّلام جداً وقال: ليس هذا بصحيحٍ في لُغَتهم (٢).

قوله ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الربُّ اسمٌ يشترك فيه صفة الذّات وصفةُ الفِعل فهو من الأوصافِ المحتمِلة للمعنيينِ جميعاً.

و تكلَّموا في معناه فقالوا الربُّ يكون بمعنى السيِّد قال الله تعالى : ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف:٤٢] جاء في التفسير عند سيدك و السيادة في اللغة التمكن من التصرُّف فيمن يسوده فيكون معناه راجعا إلى أنه قادر فيكون من صفات ذاته، (٣) وقيل السيادة بمعنى الملك و سيد العبد مالكه و قيل معنى السيادة السياسة و إصلاح الشئون و تدبُّر الأمور و ذلك يرجع إلى صفات الفعل، و قيل الرب هو المالك و منه رب الدار و رب الغلام و رب الضيعة و الله مالك العالمين أي قادر على اختراعهم وقيل أصله أربّ بالمكان أي أقام و في الدعاء :أعوذ بك من فقر مُرِبٍّ أي مقيم ورد في بعض الأخبار (٤).

فيكون ذلك إخبارا عن قدمه و بقائه و استحالة عدمه و فنائه و قيل هو مشتق من قولهم ربَّيت الأديم أربُّه ربّا فهو مربوبٌ فيسمى الفاعل باسم المصدر كما يسمّى المقبل إقبالا، وقيل هو

---

(١) نسبه ابن جني إلى قراءة أهل البادية: المحتسب:١ / ٣٧

(٢) الزّجّاج: ١ / ٥١ و إعراب القرآن للنّحاس : ١/ ١٧٠ و المحتسب:١ / ٣٧

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ١٤٢ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٠٩ و المخصص لابن سيده: ١٧ / ١٥٤ والوسيط: ١/ ٦٦ و الدر المصون: ١ / ٦٧ و غيرها.

(٤) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ١ / ٧ و غريب الحديث لابن الجوزي: ١ / ٣٧٢ والنهاية : ٢ / ١٨١ واللسان:مادة ربب. و يقال أربَّ بالمكان و ألبَّ إذا أقامَ به و لزمه فسِّر باللازق و يروى : ملبّ.

مشتقٌّ من التربية و هي تنشئة الشيء حالا بعد حال (و٢٤) يقال رَبَبتُه و رَبَّيته بمعنى واحد، و الرُّبَّى الشاة التي و لدت حديثا لأنها تربِّي المولود، (١) و منه ربَّ النعمة يربها ربّاً، وقال بعض فصحائهم لأَن يَرَبَّني رجل من قريش أحبُّ إلي من أن يربَّني رجل من هوازن (٢) وأنشد علقمةُ بن عَبْدَة :

و كنتُ امرأً أفضتْ إليكَ رِبَابَتي ** و قبلك ربَّتني- فضعتُ – رُبُوبُ (٣)

جمع ربّ أي الملوك الذين كانوا قبلك رَبَّوني فضيّعوني، و قد صارت الآن ربابتي إليك أي تدبير أمري و إصلاحهُ إليكَ، فإذا كان من التربية أو الإصلاح يكون من صفات الفعل فلا يقال لغير الله الربّ مع الإطلاق و إنما يقال ربُّ كذا على التقييد.

و ﴿ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ جمع عَالَمٍ يقال عَالَمٌ و عالَمون وقيل عوالمُ أيضاً كقالَبٍ و قوالِبَ (٤) والأكثرُ أن يُجمَع على عَالَمين قال وجوَّزوا جمعهُ على هذا الوصف و إن اندرج فيه ما لا يعقل كما جمعوا الأرض على أَرَضين تفخيماً {لشأن ما} (٥) كان اسماً شاملاً لأجناسٍ كثيرة.

واختلفوا في معنى العالَمَ فمن النّاس من قال إنه اسم لكل ما يَعلَمُ، فيختص عندهم هذا الاسم بالحيوانات، وقيل اشتقاقه من العَلَم وهو من الأَمارة فكلُّ مخلوق فيه علامةٌ و دلالة على صانعه و توحيده و إثبات صفاته فيكون الاسم عامّاً لجميع المخلوقات دون بعضٍ.

---

(١) لسان العرب: مادة: ربب : ١ / ٤٠٤ و الفرق لثابت بن أبي ثابت: ٥٩ .

(٢) المخصص: ١٧ / ١٥٤

(٣) ديوان علقمة: ص٤٣ و المخصص: ١٧ / ١٥٤ (ج٥) و جامع البيان للطبري: ١ / ١٤٣ و اللسان: (ر ب ب). و مفردات القرآن للراغب: ١ / ١٨٥ و في الديّوان: وأنتَ امرؤٌ أفضَتْ إليك أمانتي .....الخ

(٤) القالِبُ و القالَبُ: الشيءُ الذي تُفْرَغُ فيه الجواهِرُ، ليكون مِثالاً لما يُصاغُ منها، وكذلك قالِبُ الخُفِّ ونحوه: لسان العرب ج ١ ص ٦٨٩ و سيرد تفسيره للمصنف بعد أسطر.

(٥) في النسخة (ل) : لشأنها.

وهذا هو الصّحيحُ لأنهم يقولون العالم مُحدَث لا يريدون به بعض المخلوقات دون بعض وإنما يريدون جميعَهُ فالعالم على وزن فَاعَل كالقالَب اسمٌ للآلة التي يُقلَبُ عليها الخفُّ والطابَعُ اسمٌ للآلة التي يختم بها على الشيء كذلك العالمُ اسم للآلة التي يستعمل بها الشيء ويكون علماً ودلالةً على الشيء (١).

و لفظ العالم جمع لا واحد له من لفظه كرهطٍ ونفرٍ وجيشٍ و إبل و غير ذلك، (٢) والعالم على وزن فَاعَل كالقالب قال الزّجّاج وإنما لم يستعمل الواحد من لفظه لأن العالم جمع أشياء مختلفة فإن جُعِل لواحدٍ منها اسمٌ من لفظه لصار جمعا لأشياء متفقة (٣).

قال الحسين بن الفضل : العالمين هم النّاس دون غيرهم، فأهل كل عصر عالم و استدل بقوله ﴿ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٤٢] وقوله: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:١٦٥] (٤). ومن النّاس من قال هو اسمٌ للعقلاء من الحيوانات كالملائكة والجن و الإنس ولا يدخل فيها الإبل و البهائم و الذي جاء في التفسير عن ابن عبَّاس أنه الجنُّ و الإنس (٥) وبه قال سعيد بن جبير (٦) ومجاهد (٧).

---

(١) فالعالم كل موجود سوى الله تعالى. و هذا أصحُّ الأقوال لأنه شامل لكل مخلوق و موجود، و ممن رجحه الزّجّاج : ١ / ٥٢ و القرطبي: ١ / ١٣٩

(٢) ينظر مثلا: معاني القرآن للزجاج: ١/ ٥٢ و جامع البيان للطبري: ١ / ١٤٤

(٣) معاني القرآن للزجاج: ١/ ٥٢

(٤) تفسير نجم الدين عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة: ١٦) و تفسير القرطبي: ١ / ١٣٨

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ١٤٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٨ و الحاكم: ٢ / ٢٥٨

(٦) جامع البيان للطبري: ١ / ١٤٦

(٧) جامع البيان للطبري: ١ / ١٤٦

وعن أبي العالية: رب العالمين الجن و الإنس وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم أو أربعة عشر ألف عالم الشكّ منه قال كلّهم من الملائكة قال وللأرضِ أربعُ زوايا في كلّ زاوية ثلاثة (١) آلافِ عالم وخمسُ مئة عالمٍ خلقهم لعبادته.

وجاء في بعض التفاسير: أن وراء الأرض أرضا بيضاء كالرُّخـام (٢) عرضـها مـسيرةُ (٣) الـشمس أربعين يوماً وطولها لا يعلمه {إلا الله}(٤) مملوءةً ملائكة يقال لهم الروحانيون لهم زَجَلٌ بالتـسبيح و التهليل لو كُشِفَ عن صوتِ أحدهم لهلك أهل الأرض من هولِ صوته فهم العالمون (٥).

وقيل أهل كل عصر عالم على حيالهم و منه قوله: ﴿ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٤٢] أي عالمي زمانها و منه قول العجّاج :

و خِنْدِفٌ (٦) هامَةُ هذا العالم (٧)

---

(١) في النسخة (ل) : (ثلاثة عشر). و في المصادر عن أبي العالية: ثلاثة آلاف. جامع البيان للطـبري: ١ / ١٤٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٧ و أبو نعيم في الحلية: ٢ / ٢١٩ و ابن كثير: ١ / ٢٤ و الـدر المنثـور: ١ / ٣٤ .قال ابن كثير: (هذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح) اهـ

(٢) كتب تحتها في النسخة : لـ . مباشرة : مرمر . تفسيرا لمعناها .

(٣) كتب هنا في النسخة ل : شهر ثم شطب عليها شطبا يسيرا بخط واحد.

(٤) في النسخة (ل) : لا يعلمها.

(٥) خبر غريب عليه علامات الوضع رواه الثعلبي في تفسيره: ٢ / ٥٢١ -رسالة دكتوراه- من طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم الوضاع بسنده عن أبي بن كعب نحـوه مطـولا و عـزاه الـسيوطي إلى الثعلبـي : الدر: ١ / ٣٤ .

(٦) خِنْدِفُ امرأَة إِلْـياسَ بن مُضَر بن نِزارٍ واسمها لَـيْلـى، نُسِبَ وَلَدُ إِلْـياسَ إِلَــيها وهـي أُمّهـم : لـسان العرب: (خ ن دف) : ٩ / ٩٩

(٧) ديوان العجاج: ص٢٩٩ و مجاز القرآن: ١ / ٢٢ و جامع البيان للطبري: ١ / ١٤٤ و تفسير الثعلبي: ٢ / ٥٢٣

و القراءة بكسر الباء في قوله : ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ على النَّعت لله و يجوزُ في الُّلغة (ربَّ العالمين) بالفتح على المدح أي أعني ربَّ العالمين.

و قيل يجوز ذلك على ردِّ النعت إلى محل الاسم ومحل الاسم في لله نصبٌ لأن معناه أحمد الله وأنشدوا:

معاويَ إننا بشر فأسجِحْ ** فلسنا بالجبال و لا الحديدا (١)

و يجوز في العربية ربُّ على إضمار هو أي هو رب العالمين كما قرأ بعضهم (٢):

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ﴾ [الجمعة: ١] بالرفع، و نصب النون من رب العالمين لأنها نون جماعة (٣).

و في الآية ردٌّ على القدرية لأن السيد لا يكون سيداً إلا بانفراده بأوصاف الكمال التي لا تُوجد في غيره، و هم سلبوه وصفَ العِلم و القُدرة والعِزّة والعَظَمة و سَلْبُ الأوصاف يُحيل استحقاقَ الوصفِ بأنه عالمٌ قادرٌ عزيزٌ عظيمٌ، و ذلك يمنع من وصفِ السيادة، و كذلك إن قلنا إنه بمعنى المالك فالمالك هو القادِرُ على الإيجاد، و لا يكون قادراً إلا وله قدرةٌ، و هم منعوه ذلك و لأنهم إذا قالوا إنّ المعدوم شيء و عين و ذات و جوهر و عَرَض (٤) فلا يتحصَّلُ للحُدُوث عندهم معنى فكيف يكون ربها ؟.

و فيه ردٌ على المجسِّمة لأنهم إذا قالوا إنّ العالم على الحقيقة ليس بمقدورٍ له فكيف يكون مالكها و سيِّدها، و إذا وَصَفُوه بأوصاف الخَلْقِ و العَالَم، بُيِّن قيام الحوادث بذاته واختصاصه

(١) البيت من شواهد الكتاب وهو لعقبة بن هبيرة الأسدي: الكتاب: ١ / ٦٧ و معاني القرآن للفراء: ٢ / ٣٤٨ و شرح معاني أبيات الكتاب لسيبويه لابن النحاس: ص٨٦ برقم: ١٠٤ . و أسجِح يعني: ارفق بنا فلسنا بجبال ولا حديد. . و هو في كثير من كتب النحو.

(٢) الدر المصون: ٦ / ٦١٥ و هي قراءة رؤبة وغيره.

(٣) معاني القرآن لزجاج: ١ / ٥٢ و إعراب القرآن لابن النحاس : ١ / ١٧٠ والدر المصون: ١ / ٦٧

(٤) تقدّم تعريف الجوهر و العرض: صـ ٣٢٧.

ببعض الجهات فكيف يكون أولى بالحدوث من العالَمِ و كيف يكون أولى بأن يكون مالكا من أن يكون مملوكا.

و لولا أنْ يكون شرطنا الاختصارُ لبسطنا الكلام فيه، و كشفنا عن عَوارِ مذهبهم، و أظهرنا مباينة مقالاتهم في أكثرِ مسائلهم لآياتِ القرآن، وسندلُّ على بعضها بقدرِ ما يحتمله الكتاب إنْ شاء الله.

قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قد مضى الكلام في معنى ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ .

و فائدة تَكرارهما في هذا الموضع بعدما سبق ذكرُهما في آية البسملة التأكيدُ والتنبيهُ على كمالِ وصفِه بالرحمة و المبالغة في الثناء عليه بذلك، و تحقيق أطماعِ العبد لمّا ذكرَ الهيئةَ التي تُوجِبُ التهيُّب و الخوف ، و من المستحسن أن يَتَمدَّح (١) المتمدِّحُ بصفاتٍ مّا ذكرها ثم يُردِفها بمثل معانيها تأكيداً لذلك (٢).

و معناه: الحمدُ للرحمن الرحيم ربِّ العالمين هذا قولُ بعض النّاس وقال في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ ولا معنى لقول من قال إنّ (ربَّ العالمين) أَشكلُ مع ﴿ مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ (٣).

قوله: ﴿ مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ صحَّت الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ

(ملِكُ يومِ) بلا ألفٍ وأنه قرأ (مالك) بالألف فكلا القراءتين صحيحتان منزَّلتان(١)، و إنما الاختلاف في أحسنِها ومعنى المالك مَنْ له الملك، و المُلكُ مشتق من المِلكِ .

---

(١) في الأصل هنا: [به]. ولا موضع لها.

(٢) ينظر: البرهان في توجيه متشابه لمحمود بن حمزة الكرماني: صـ ١٣ .

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ١٤٨

وحقيقة المِلكِ عند المحققين هي القدرة على الاختراع ويختصُّ ذلك بوصف الله سبحانه و إذا أُطلِق في صفة غيره كان مجازاً أو يكون في صفة غيره بمعنى جواز التصرُّف (٢٥ و) على الإطلاق احترازاً عن الوكيل و الولي إذا تصرَّفا في مال غيره لأنه ليس على الإطلاق و اختلفوا في القراءتين أيهما أحسن، قال بعضهم:

القراءة بـ(ملكِ) أحسنُ و أتمُّ في المعنى، و إليه ذهب كثير من المفسرين وبه قال ابن جرير (٢) والحسين بن الفضل و غيرهم قالوا : لأنَّ القرآن بذلك ورد في قوله: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١- ٢] و قوله تعالى: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [طه:١١٤،المؤمنون:١١٦]، و قوله : ﴿ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ [الحشر:٢٣] وقال تعالى: متمدّحا : ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ [غافر:١٦] وقال ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك:١] و لم يُذكَرْ في القرآن و صفه بأنه مالك إلا مقيَّداً في قوله : ﴿ مَـٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ [آل عمران:٢٦] فقَرَنهُ بالملك.

قالوا :و لأنّ الملكَ أشملُ و أتمُّ لأنه يكون مالكاً و لا يقال له مَلِكٌ و لا يكون مَلِكاً إلا وهو ممن يصحُّ أن يكون له المُلكُ و لأنه لا يُقال مالكٌ على الإطلاقِ حتى يُضافَ إلى شيء فيقال مالك الدّارِ و غيرِها، و يقالُ الملِك على الإطلاق من غيرِ قرينةٍ و لأنّ الله وصفَ غيرَهُ بأنه

---

(١) قرأ عاصم و الكسائي و خلف في اختياره و الأعمش ويعقوب: (مالك) بالألف: وقرأ نافع و ابن كثير وأبو عمرو و ابن عامر و حمزة (ملك) بلا ألف. المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر بن مهران: ص ٨٦ و الروضة لأبي علي المالكي: ٢ / ٥١٧ و اتحاف فضلاء البشر: ٧٦

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ١٥١

مالك فقال :﴿ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [الزخرف:٧٧] و قال : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ (١).

وقال محمد بن جرير : إنّ الله نبَّه على أنه مالكهم بقوله : ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ فحَمْلُ قوله ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ على وصف زائد أحسن و أولى من حمله على ما تضمَّنه قوله: ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ مع قرب اتصاله به فعُلِم أن القراءة بملك يوم الدين أحسن لأنه إخبار عن ملكه و لم يدخل ذلك في معنى قوله: ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (٢).

وقرأ عاصم و الكسائي مالك بإثبات الألف، و قالوا إنَّ مالكا أجمعُ و أعمُّ وأمدح لأنه يقال مالِكُ كلِّ شيء ولا يقال مَلِكُ كلِّ شيء، و لأنه لا يقال مَلِكُ الطيور و البهائم وإنما يقال ملك النّاس أو الجن، و لأنه يقال ملك العرب و العجم و إنْ لم يملِكهم ولا يُقال مالكٌ إلا لما يملِكُه و لأنّ في (مالك) أمرا زائدا .

و في الخبر :من قرأ القرآن فله بكل حرفٍ عشرَ حسنات، و قيل هذا الخبر متروك بالإجماع لأنه لم يقدِّم أحدٌ قراءة من قرأ : (عينا حامِئةً) (٣) على قراءة من قرأ: (حمِئَة) (٤) بهذا المعنى

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ١٥٠ – ١٥٤ و الحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ٣١ و قد أطال القول فيها و تفسير نجم الدين عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة ١٧) وتفسير القرطبي: ١ / ١٤١ وفتح القدير: ١ / ٢٢ .

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ١٥٢

(٣) هي قراءة ابن عامر و أبي جعفر و أهل الكوفة إلا حفصاً (الروضة لأبي علي: صـ ٧٦٦ و الاتحاف: صـ ٢٩٤)

(٤) هي قراءة نافع وابن كثير و حفص و أبي عمرو. الروضة لأبي علي المالكي: ٧٦٦ و الاتحاف: ٢٩٤

وكذلك قراءة من قرأ ﴿ فَـرِهِينَ ﴾ [الشعراء : ١٤٩] على (فرهين) (١) و (عظاما ناخرة) على ﴿ نَّخِرَةً ﴾ (٢) (٣).

و أمّا ﴿ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ فقد قيل في التفسير إنّ الدِّين هاهنا بمعنى المجازاة والحساب قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴾ [الإنفطار:٩] أي بالجزاء وقوله : ﴿ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴾ [الواقعة:٨٦] أي غير مجزيين محاسبين و بهذا ورد التفسير عن أنس و ابن مسعود و ابن جُريج وغيرهم من الصحابة (٤) أن يوم الدّين هاهنا يوم الحساب، وخصَّ هذا اليوم بأنه مالكه و إن كان مالكا لجميع الأيام تعظيما لشأنه وتهويلا لأمره و هذا كما قال: ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرٌۢ ﴾ [العاديات:١١] وقال : ﴿ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ ﴾ [غافر:١٦] و في غير ذلك اليوم لا يخفى عليه شيء منهم و كذلك هو خبير بهم، ولكن خصَّ يوم القيامة به تهويلا لأمره، وقيل خصّه بالذِّكر لأنّ ذلك اليوم ينقطعُ الخلق عن أملاكهم فلا مالك من المخلوقات في ذلك اليوم ولهذا قال تعالى : ﴿ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾ [غافر:١٦].

---

(١) قراءة ابن عامر و أهل الكوفة بألف و غيرهم بلا ألف. (الروضة لأبي علي: ص ٨٣٠ و النشر:٢ / ٣٣٥)

(٢) قرأ أبو بكر بن عياش و حمزة و رويس عن يعقوب و خلف بالألف : (ناخرة). و قرأ الباقون من غير ألف: (نخرة). : السبعة لابن مجاهد: ٦٧١ و المبسوط: ٤٦٠ و الروضة لأبي علي: ص٩٧٩

(٣) تفسير القرطبي: ١ / ١٤١ قال القرطبي: (هذا نظرٌ إلى الصيغة لا إلى المعنى و قد ثبتت القراءة بـ﴿مَلك﴾ و فيه من المعنى ما ليس في ﴿مالك﴾)اهـ.

(٤) الضمير عائد على الصحابة وليس ابن جريج بصحابيّ، و الأثر عنه رواه الطبري: ١ / ١٥٩ و ينظر فيه وفي تفسير ابن أبي حاتم : ١ / ٢٩ الآثار عن الصحابة وغيرهم.

و اليوم في اللغة عبارةٌ عن وقت طلوع الفجر إلى وقت غروب الشمس فاستُعِيرَ إطلاقه في ابتداءِ القيامة إلى وقتِ استقرارِ أهلِ الجنة في الجنة و أهلِ النار في النار.

و الدين في اللغة يتصرَّف على وجوه منها (١) الطاعة لله سبحانه فقال بعضهم يوم الدين يوم لا ينفع فيه إلا الدين نظيره: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ الآية (٢) [الشعراء:٨٨] وقوله : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى ﴾ الآية [سبأ:٣٧].

وقيل الدين هاهنا الخضوع أي تَخضَعُ فيه الوجوه لله، قال الله :﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ ﴾ [طه:١١١] و ذُكِر ذلك عن مجاهد وقال الحسين بن الفضل: (و أنا ممن يميل إلى القول بأن الدين هاهنا الحساب).

ويكون الدين في اللغة بمعنى العادة و أنشد:

فهذا دينه أبدا و ديني (٣)

و يكون بمعنى الملة منه دين الإسلام، والديّن الطاعة ومنه: ﴿ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ ﴾ [يوسف:٧٦] والدين الانقياد يقال بنو فلان لا يدينون للملوك أي لا يستسلمون لأمرهم.

و اختلفوا في اشتقاقِ الملك فمنهم من يقولُ إنه مشتقٌّ من معنى الشَّدّ و الرَّبط لأنَّ الملك مرتبط بمالكه وهذا اختيار ابن السراج (١) وقيل من القوة (٢) وهو الأصحّ.

---

(١) وجوه القرآن لأبي عبد الرحمن اسماعيل بن أحمد الضرير النيسابوري و قد ذكر ثمانية أوجه، والمخصص لابن سيده: ١٧ / ١٥٥ (ج٥) والوجوه و النظائر للدّامغاني: ص١٧٨ .

(٢) كتب الناسخ الآية خطأ فزاد كلمة (فيه) في الآية وكتبها هكذا (يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون).

(٣) هو للـمُثَقِّب العَبديُّ أوله :

تَقولُ إِذا دَرَأْتُ لها وَضِينـي أَهذا دينه أَبداً ودِينِـي:

وهو في المفضليات: : رقم: ١١٩ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٥٣ و لسان العرب: وضن: ١٣ / ٤٥٠ و ١ / ٧٥ و جامع البيان للطبري: ١ / ٥١١ و ٤/ ١٦٩. والوَضِين الحبل يشدّ به الرحل و بِطَانٌ عريض منسوج من سيور أَو شعر.

يقال مَلكْتُ العجين إذا قوَّيتُه بجودة العجين (٣) قال الشاعر:

مَلَكْتُ بها كفِّي فأَنْهَرْتُ فَتقَها   يَرى قائمٌ من دونها ما ورائها (٤)

أي قَوَّيت بها كفِّي، و الآخرون قالوا شددتُ بها كفِّي و يجوز في اللغة (ملْك يوم الدين) بسكون اللام كما قالوا في فَخِذ فَخْذ و أنشد عمرو بن كلثوم:

إذا ما الملْك سامَ النّاس خسفاً   أبينا أن يُقَرَّ الخسف فينا (٥)

و القراءة (٦) (ملك يوم الدين) و ﴿ مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ بكسر الكاف على النعت .

ويجوز في الكلام بفتح الكاف بإضمار أعني أو على النداء بمعنى يا مالك يوم الدين إياك نعبد ويجوز

مالك بالرفع في الكلام أي هو مالك كما قلنا في (ربُّ العالمين) بالرفع (٧).

قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ أي لكَ نتذلَّل و نستكين و نخضع والعبادة (١)هي الطاعة مع الخضوع و التذلّل و منه طريق معبَّد إذا كان مذلَّلا لكثرة السَّابلة

---

(١) المخصص: ١٧ / ١٥٧ (ج٥)

(٢) المخصص: ١٧ / ١٥٧ (ج٥) وقال بدل القوة القدرة. و رجح أنه من معنى القدرة . أي والقوة .

(٣) في لسان العرب ج ١٠ ص ٤٩٥ و غيره: مَلَكَ العجينَ يَمْلِكُه مَلْكاً و أَمْلَكَه: عجنه فأَنْعَمَ عجنه وأَجاده.

(٤) لقيس بن الخطيم: في تهذيب اللغة: ٦ / ٢٧٧ و الحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ٣٤ ولسان العرب: مادة (ن ه ر) و المخصص: ١٧ / ١٥٧ بلا نسبة والمحرر الوجيز: ١ / ٦٨ و القرطبي: ١ / ٢٣٩

(٥) من معلقة عمرو بن كلثوم: شرح المعلقات لابن الأنباري: ٣٥١

(٦) في النسخة (ل) : القراء.

(٧) فصّل ابن النحاس هذه الوجوه و غيرها مما يحتمله الإعراب و اللغة في : (مالك) : إعراب القرآن: ١ / ١٧١

وبعير معبَّد إذا كان مطليّاً بالقَطِران، و لا يستعمل لفظ العبادة في طاعة غير الله سبحانه لأنّ المنع من ذلك ورد في الشرع.

و معنى ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي نسألُ المعونة، و أصل (نستعين) نستعوِن لأنه من المعونة والعون و لكنَّ الواو قلبت ياء استخفافاً للكلام ثم قلبت كسرتها إلى العين فقيل نستعين، (٢) و إنما رَجَعَ إلى المخاطبة بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ الكنايةُ على إضمارِ الأمر كأنّ معناه وقولوا : إياك نعبد وكذلك قيل في ابتداء السورة إنّ معناه قولوا: الحمد لله ربّ العالمين.

وفيه وجه آخر:و هو أنّه من بابِ التصرُّفِ في الكلام كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس:٢٢] (٣).

و موضع الكاف من (إياك) جرٌّ عند الخليل (٤) بإضافة إيَّا إليها و إيَّا عنده اسم للمضمر المنصوب يضاف إلى سائر المضمرات يقال إياك ضربتُ و إياه ضربتُ و إياي حدَّثتُ و قد أضيف (إيّا) إلى مُظهَرٍ في قولهم:

إذا بلغ الرجل السِّتين فإياه و إيَّا الشوابّ (١) .

---

(١) في هامش : النسخة : ل: (و نعبد معناه نطيع و العبادة الطاعة و التذلل و طريق معبّد إذا كان مذللا للسالكين و إياك نستعين أي نطلب العون و التأييد و التوفيق قال السلمي في حقائقه سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا حفص الفرغاني: ((يقول من أقرَّ بإياك نعبد و إياك نستعين فقد برئ من الجبر والقدر))) اهـ.: الوجه الثاني من الورقة: ٢٥ .

و ما نقله موجود بلفظه في تفسير القرطبي: ١ / ١٤٥ وينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ١٥٩

(٢) الوسيط: ١ / ٦٨ و المحرر الوجيز: ١ / ٧٣ والدر المصون: ١ / ٧٦

(٣) رجوعه من الغيبة إلى الخطاب من باب تنويع الخطاب و تلوينه، و هو من الالفتاتِ في علومِ البلاغة: ينظر مثلا: تفسير القرطبي: ١ / ١٤٥ و البرهان: ٣ / ٣٨٧ والدر المصون: ١ / ٧٥

(٤) الكتاب: ١ / ١٤١ و هي عند سيبويه حرفُ خطابٍ لا موضع لها. وينظر: إعراب القرآن: ١ / ١٧٣ و تفسير الثّعلبي: ١/ ١١٧ ومشكل إعراب القرآن لمكي: ١/ ٦٩ و التبيان للعكبري: ١/ ٧ والبحر المحيط: ١ / ٢٣ والفريد للمنتحب: ١ / ١٦٧

و قال الأخفش (٢) : لا موضعَ للكافِ لأنها حرفٌ للخِطابِ و هو اختيار ابن السّرّاج(٣).

فإن قيل لمَ كرَّر ﴿ إِيَّاكَ ﴾ في قوله ﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ ،و هلّا قال: إياك نعبد و نستعين، قيل لأنه لو قالَ إياك نعبدُ و نستعين احتمل و نستعين بغيرك فأزال هذا الإشكال و نفى هذا الوجه من الإيهام و الاحتمال فقال : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .(٤)

وقال محمد بن جرير: إنّ الكاف التي في﴿ إِيَّاكَ ﴾ هي التي كانت تتّصِلُ بالفعل في

قوله:(نعبدك) و هي كنايةُ اسم المخاطب المنصوبِ فلمّا قدَّموا هذه الكاف التي هي كناية اسمِ المخاطب على الفعل لم تستقلَّ بنفسها فقُدِّم عليها إيَّا فقالوا :

إياك و لهذا لم يجُز أن يُقال : نعبد إياك، لأنه إذا أُخِّرت الكافُ استُغنيَ عن ذكر (إيا) فلما كانت الكاف في (إِيَّاكَ) كالكاف التي في قولهم:(نعبدك) ثم كان حظُّها إذا كانت متأخرة أن يُعاد مع كلِّ فعلٍ اتصلت به فكذلك أُعيدت مع كلِّ فعل إذا تقدَّمت عليه، و ذلك أنهم يقولون اللهم: إنا نعبدك و نستعينك و نحمدك و نشكرك فيعيدون الكاف و يكون إعادة الكاف

---

(١) إضافة ((إيّا)) إلى الاسم الظاهر شاذ لا يقاس عليه عند محققي النحاة: معاني القرآن للزجاج: ١ / ٥٤ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٧٣ والبحر المحيط: ١ / ٢٣ والفريد : ١ / ١٦٧

(٢) ينظر: معاني القرآن للأخفش: صـ ٢٢

(٣) ينظر:معاني القرآن للزجاج: ١ / ٥٤ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٧٣ و تفسير الثّعلبي: ١/ ١١٧ ومشكل إعراب القرآن لمكي: ١/ ٦٩ والبحر المحيط: ١ / ٢٣ والفريد : ١ / ١٦٧ .

(٤) وقيل تكررت إيّا بحسب اختلاف الفعلين فاحتاج كل واحد منهما إلى تأكيد واهتمام .المحرر الوجيز: ١ / ٧٢ و اقتصر عليه ابن عطية، و الوجه الذي ذكره المصنف يضاف إلى ما ذكره ابن عطية و غيره فيكون التكرير لأجل ذلك كله و ينظر: البرهان: ٣ / ٧٩.

أحسن من أن يقولوا نعبدك و نستعين، كذلك قوله: إياك نعبد و إياك نستعين أحسنُ من قولهم: إياك نعبد و نستعين. (١)

فإن قيل فهلّا قال: نعبدك و نستعينك و ما فائدة ذكرِ إيّاكَ ؟ قيل:هذا أفصحُ في اللفظ و أجزل في المعنى، و لأنَّ التبدِيةَ بذكر المعبود أحسن من الابتداء بذكر نفسه و عبادته.

فإن قيل فكيف قدَّم العبادة على الاستعانة و العبادة لا تكون إلا بالمعونة، و هلّا قال: إياك نستعين و إياك نعبدُ ؟ قيل ليس في هذا تقديمٌ في المعنى لأنّ الواوَ للجمعِ و لا يوجب الترتيب وهذا كما تقول قضيتَ حاجتي فأحسنتَ إليَّ أو تقول أحسنت إليَّ فقضيتَ حاجتي لا فضل بين اللفظين. (٢)

وقيل لفظُ العبادة أشمل لأنَّ الاستعانة نوع من العبادة فقدَّم اللَّفظ الأشمل وأخَّر ما هو خاص في أحد المعنيين لأن كلَّ استعانة نوع عبادة، و ليس كلّ عبادة استعانةً.

و يجوز في اللغة: هِيَّاك بمعنى إيّاك فيقلبون الهمزة هاءً كما قالوا هِبْرِيَةٌ و إبريَةٌ (٣) و أنشدوا:

فهِيَّاك و الأمر الذي إن توسَّعتْ مداخلُه ضاقتْ عليك مصادره (٤)

قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١) الهداية في اللغة الإمالة يقال تهادى فلان في مشيه إذا تمايلَ و في الحديث (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلَّم في مرضه وهو يَتَهادى بين اثنين (٢)).

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ١٦٣ - ١٦٤ .

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ١٦٢

(٣) في لسان العرب : ٥ / ٢٤٨ :الهِبْرِيَة و الهُبارِية: ما طار من الريش ونحوه و الهِبْرِيَا والإِبْرِيَةُ والهُبارِيَةُ: ما تعلّق بأَسفل الشعر مثل النّخالة من وَسَخَ الرأْس.

(٤) البيت يُعزَى لطُفَيل الغَنَوِيّ وقيل لمضرِّس بن ربعي: الكشاف: ١ / ١١٨ و شرح شواهد الشافيةص٤٧٦ و بلا نسبة في غريب القرآن لابن قتيبة: ص١٢ و لسان العرب: ١٥ / ٢٧٦ (هوا) وتفسير القرطبي: ١ / ١٤٦ و الإنصاف: ١ / ٢١٥ و شرح الشافية للجاربردي: ٣ / ٢٢٣ و شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ص١١٥٢

وقوله: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف:١٥٦] أي مِلْنا، و هَدَيت إليه هدية أي أملتها وأزلتها عن ملكي بدفعها إليه و هديتُ العروس أملتها إلى بيت زوجها وسُمِّيَ الهدي هديا لأنه يساق إلى بيت الله و يمال إليه فمعنى: ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ أي مِلْ بقلوبنا إلى الحق. (٣)

و قيل إنه من التقديمِ و يقال للعُنقُ الهادي لتقدُّمِها على جميعِ البدن، فعلى هذا المعنى اهدنا أي قدِّمنا للحق (٤)و أرشدنا (٥).

و عن ابن عبَّاس (١): (ألهمنا الطريق الهادي). و جاء في التّفسير: أرْشدنا (٢)، و لا يكونُ ذلك إلا بخلقِ الهدايةِ فيكونُ هداية الله سبحانه للعبد اهتداء للعبد، وهذا هو المقصود بالسؤالِ في هذا الموضعِ و إن كانت الهداية قد تُذكرُ بمعنى الدّعوة إلى الحقّ و البيان للرُّشد.

---

(١) في النسخة : (ل) هنا حاشية نقلها النّاسخ وكتب في آخرها أنها منقولة من تفسير القرطبي في تفسير قوله تعالى : (اهدنا).

(٢) ينظر: نوادر الأصول للحكيم الترمذي: ١ / ٢٨٥ ومشارق الأنوار: ٢ / ٢٦٧ و لسان العرب: ٩ / ٢٥٠ و المفردات: ١ / ٥٤٢ و التفسير الكبير للرازي: ١٧ / ١٧٤

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ١٦٩ و الحجة لأبي علي الفارسي: ١/ ١٢٩ - ١٣٢ وتفسير القرطبي: ١ / ١٤٧

(٤) خَطَّأ الطَّبري هذا التفسير ورجّح أنّ المراد ثبِّتنا على الهدى فيما بقي من أعمارنا ووفقنا للثبات: جامع البيان للطبري: ١ / ١٦٦ و ١٦٨ .

(٥) الهداية ترد في اللغة و في القرآن لمعان ،تنظر في: جامع البيان للطبري: ١ / ١٦٦ و ١٦٨ و معاني القرآن لابن النحاس :١ / ٦٦ وتفسير السمعاني: ١ / ٣٨ و في المحرر الوجيز: ١ / ٧٣ وقد أجاد في تلخيصها، و المفردات: ١ / ٥٤٢ و فتاوى شيخ الإسلام: ١٥ / ٩٩ و ١٦ / ١٥٦ و التسهيل لابن جزي: ١ / ٢٨ و التفسير الكبير للرازي: ٢ / ١٩ وتفسير ابن كثير: ١ / ٤١ و لسان العرب: (هدى)وأضواء البيان للشنقيطي :٧ / ٢٠ وهي مضمّنة أيضا في كتب الوجوه و النظائر.

و قال الله تعالى في صفة نبيه محمد ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:٥٢] أي تدعو وشيخنا أبو الحسن رحمه الله يقول : (إنما تكون الهداية بمعنى الدعاء لمن قبِلهُ فأما من دُعي فلم يقبل لا يقال إنهُ هُدِي بوجه) (٣).

ويحمل قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ [فصلت:١٧] على أنه هَدَى قوماً منهم بخلق الإيمان و الهداية في قلوبهم فارتدُّوا عن الدين فذلك قوله: ﴿ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت:١٧] عنده (٤). و سؤال الهداية ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

على الابتداء بالهداية، و سؤال الثبات عليها، و الاستزادة منها، و في هذا الموضع محمولٌ على استدامةِ الهداية كأنَّ القائل يقول ثبِّتنا على الهداية.

و يجوز أن يكون محمولا على سؤال الهداية ابتداءً فيما يُستقبلُ من العُمْر لأنّ الهداية عَرَضٌ لا يبقى وقتين فهي مطلوبة في المستأنف بأنْ يخلق له أمثالها.

و يجوز أن يُحمل على الاستزادة أيضا، لأنّ ما استخلقَه في الثاني يكون زائدا على ما خلقه في الحال، وفي الماضي، فعلى هذه الوجوه يحمل قول من قال:اهدنا الصراط المستقيم من العبيد، و يقدَّر في هذا الأمر بطلب الهداية كأنه

قال قولوا اهدنا الصراط المستقيم كما ذكرنا في قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ أن معناه قولوا ذلك ويجوز أن يكون على جهة الإخبار عن المؤمنين و على جهة سؤالهم ذلك (١).

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ١٦٦ و ١٧٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٠ و في رواية عند الطبري بزيادة: (وهو دين الله الذي لا عوج له). و الرواية كلها من طريق أبي روق عن الضحاك عن ابن عبَّاس و سندها ضعيف ينظر ما تقدّم : صـ ٢٨٨ .

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١ / ٢٥ و ما سيرد للمصنف في قوله: (هدى للمتقين) .

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ١ / ١٠٩

(٤) إذا قيل إنّ قوله: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ معناه بيّنا لهم فلا إشكال، و لا يحتاج إلى القولِ بأنه محمولٌ على قومٍ هداهم ثم ارتدُّوا أو غير ذلك.

و معنى ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾: الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه (٢) و بهذا ورد التفسير و به شهدت اللغة و أنشدوا:

أميرُ المؤمنين على صراطٍ   إذا اعوجَّ المواردُ مستقيمُ (٣)

يريد على طريق الحق فاستعير لفظ الصراط في كل صفة مستقيمة لا اعوجاج فيها من كلّ قول أو عمل. و ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ هو دين الله القائم، و الإسلام و كتاب الله سبحانه وبذلك ورد التفسير عن علي رضي الله عنه (٤) و ابن عبَّاس رضي الله عنه (٥) و غيرهما.

و عن عاصم عن أبي العالية: أن الصراط المستقيم هو طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبي بكر و عمر قال عاصم ذكرتُ ذلك للحسن فقال صَدَقَ أبو العالية و نَصَحَ. (٦)

ولما كانت الطريق منقسمة إلى مستقيم و غير مستقيم مثل قوله : (ولا يهديهم طريقا إلا طريق جهنم) خصوا الصراط المستقيم بالطلب و توجيه الرغبة إليه فيه.

---

(١) اختار الطبري أن المراد سؤال الهداية فيما بقي من عمره لأن ما مضى لا حاجة للعبد إلى سؤاله فصار المراد ما يستقبل من العمر: ١ / ١٦٨ و ما قاله الطبري و غيره بين و سؤال التوفيق و التثبيت على الهداية شامل للحال و المستقبل.

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ١٧٠

(٣) البيت لجرير بن عطية الخَطَفِيّ: ديوانه: ١ / ٢٨٨ و جامع البيان للطبري: ١ / ١٧٠ و معاني القرآن للنحاس: ١ / ٦٥ و غيرها.

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ١٧٣ و تفسير ابن أبي حاتم:١ / ٣٠

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ١٧٤ و ١٧٥

(٦) جامع البيان للطبري: ١ / ١٧٥ و السنة للمروزي: (٢٧) و ابن أبي حاتم: (١ / ٣٠ و مستدرك الحاكم: ٢ / ٢٥٩ وابن عساكر في تاريخه: ١٨ / ١٧٠ من طريق عاصم الأحول.

و القراءة في (ٱلصِّرَٰط) على ثلاثة أوجه: (ٱلصِّرَٰط)بالصاد و هو الأشهر و (السِّراط) بالسين قراءة ابن كثير و قرأ حمزة بالسين بإشمام الزاي. (١) وقوله : ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ جزمٌ على الأمر و الصِّراط نصبٌ لأنه مفعول ثان والهداية تتعدى إلى مفعولين. (٢)

قوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ قال ابن عبَّاس: (طريق من أنعمت عليهم)، (٣) وقيل: (من أنعمت) يعني الأنبياء و المؤمنين، و قيل (من أنعمت عليهم) بمتابعة الرسول ﷺ لقوله عليه السلام : (أصحابي كالنُّجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم). (٤)

---

(١) السبعة لابن مجاهد: ١ / ١٠٥ و الروضة:١ / ٥١٧ و غاية الاختصار: ٢ / ٤٠٣ والنشر: ١ / ٢٧٢ و السراط بالسين لقنبل عن ابن كثير و أمّا إشمام الصاد صوت الزاي ففيه اختلاف عن أصحاب حمزة مفصَّل في كتب القراءات السابقة و غيرها . قال الشاطبي:

و الصاد زايا أشمها لدى خلف واشمم لخلادَ الأوَّلا

إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع لأبي شامة :١ / ٧١

وقال الإمام أبو علي المالكي: (ت: ٤٣٨ هـ) في الروضة: (تلخيص مذهب حمزة في الصراط و صراط أن تقول قرأ حمزة في غير رواية العجلي و الوزَّان : (الصراط) بإشمام الصاد الزاي، إذا كان بألف ولام في جميع القرآن استثنى الوزان (الصراط) في الحمد، فتابعهم على إشمام صاده الزاي... الخ): ١ / ٥١٩. و هي من لغات العرب و أفصحها بالصاد خالصة و هي قراءة العامة و عليها خط المصاحف و من قرأها بالسين فعلى الأصل: (معاني القراءات للأزهري: ص٢٨ و حجة القراءات لابن زنجلة: ١ / ٨٠ و التبيان للعكبري: ١ /٨ و الكشاف: ١ / ١٢١ و الدر المصون: ١ / ٧٨ و غيرها)

(٢) هدى يتعدّى بنفسه إلى المفعول الأول و إلى الثاني بحرف الجرّ -اللام أو إلى -: الكشاف: ١ / ١٢١ و الدر المصون: ١ / ٧٧ واللسان: (هدى) و المحرر الوجيز: ١ / ١٠٨.

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ١٧٧ و ابن أبي حاتم ١ / ٣١

(٤) حديث مشهور ولكنه ضعيف و له طرق عن جماعة من الصحابة، قال البزار : (منكر، ولا يصح عن رسول الله صلى الله عليه و سلّم) . نقله ابن الملقن في تذكرة المحتاج في تخريج أحاديث المنهاج: ١/ (ص٦٨) و ابن حجر في موافقة الخُبر الخَبر (١/ ١٤٥-١٤٨) وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية : (هذا

و قيل طريق أبي بكر و عمر فإن قيل كيف كرَّر ذكر الصراط و الصراط المستقيم لا يكـون إلا صراط من أنعم عليهم؟ قيل عنه جوابان أحدهما: أن يكون معناه: (١) صراط من أنعمت عليه بالصِّراط فيكون تخصيصا للنِّعمة بالهداية إلى الصراط المستقيم، و هذا على طريق من يَرَى نِعَم الله تعالى عامة على الكافرين و المؤمنين جميعا، و من قال نعمة الله سبحانه تختص بالمؤمنين قال قد يهديه إلى الصراط المستقيم ثم لا يثبّته عليه، و لكن لا ينعم عليه بالـصراط إلا و يثبتـه عليه و هذا بناء على أن النعمة إنما تكون نعمة إذا سلمت من التغيُّر و يقترن بهـا حـسن العقبـة فكأنّ الرغبة توجهت إليه في سؤال هداية تبقى معهم و لا تزول عنها خاتمتهم.

و لهذا قيل في التفاسير صراط الأنبياء و المؤمنين لأنَّ جملة (٢٧و) الأمة معصومةٌ من التبديل و الارتداد إذ الله تعالى عصم هذه الأمة عن الزيغ و التبديل لما خـتم النبـوة بمحمـد صـلى الله عليه وسلم.

وقال ابن جَرِير في الآية اختصارٌ: و معناه صراط الذين أنعمت علـيهم بالهدايـة إلى الـصراط والعرب قد تختصر الكلام إذا كان في الباقي من اللفظ دليل على ما حُذِفَ كما قال النابغة :

كأَنَّكَ منْ جِمالِ أبي أقيشٍ يُقَعقَعُ خلف رجليه بشنّ (٢)

لا يصح) ١/ ٢٨٣ وينظر: جامع بيـان العلـم لابـن عبـد الـبر (٢/ ٩٢٤) وتخـريج أحاديـث الكـشاف للزيلعي (٢/ ٢٣٢) و المعتبر للزركشي: ص٨٣ .

(١) اختار الزمخشري أن تكون فائدة ذلك التوكيد فقـال: (فائدتـه التوكيـد لمـا فيـه مـن التثنيـة والتكريـر والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفـسيره صراط المـسلمين ليكـون ذلـك شـهادة لـصراط المـسلمين بالاستقامة على أبلغِ وجهٍ وآكده، كما تقول: هل أدلك على أكرم النّاس وأفضلهم؟ فلان فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل لأنـك ثنَّيـت ذكـره مجمـلا أوّلا ومفصَّلا ثانيا)اهـ. الكشاف للزمخشري :١/ ١٢١

(٢) ديوان النابغة: ص١٩٨ و جامع البيان للطبري: ١ / ١٧٩ و إعراب القرآن لابن النحّاس: ١ / ٤٢٧ و في الديوان و الطبري واللسان وغيرها بني أقيشٍ). و هم حي من العرب: و الشنّ القربـة الباليـة: و في

يريد كأنك من جمال أبي أقيشٍ جَمَلٌ يُقَعْقَعُ خلف رجليه بشنٍّ فاكتفى بما ظهر من ذكر الجمال عن ذكر المحذوف منه.

و حقيقة النعمة عند من يراها عامة على الكفار و المؤمنين من أصحابنا على النفع و اللذّة و من قال إنها تختص بالمؤمنين قال النِّعمة هي النفع أو اللّذَّة التي تخلُصُ عن مشائب الضر عاجلا وآجلاً، و منهم من يزيد فيه و يقول و ما يؤدي إليه، يريد بذلك التوفيق للطاعات، فإنه و إن لم يكن في الحال لذة فهو يؤدي إليه.

و إذا قلت النَّفع استغنيت عنه لأن ذلك في الحال نفع وأصل النعمة في الاشتقاق من النَّعْمة وهي اللّين فالنِّعمة سميت نعمة لأنها لينُ العيش بالنفع و اللذة يقال نَعِمَ ينعَمُ نِعمةً فهو ناعم و النَّعيم لين العيش، و رَفَاهيته.

و النَّعَم الماشية من الإبل و البقر و الغنم سميت بذلك للين مشيها خلاف الحافر، و سُميت النَّعَامة نعامة للين مشيها و النُّعَامَى ريح الجنوب للينها. (١)

وانتصب الصراط على البدل من قوله الصراط المستقيم كقوله: ﴿ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ [العلق:١٥] و كقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾ [الشورى:٥٢، ٥٣] وقوله : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ ﴾[قريش:١، ٢] (٢).

و ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ ﴾ معرفة إلا أنه دون قوله: ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ لأن قوله: ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ معرفة باللام التي اتصلت من سِنْخِ (١) الكلمة و قوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ ﴾ معرفة بغيره.

المثل فلان لا يقعقع له بالشِّنان أي لا يخدع و لا يروّع. اللسان مادة (ق ع ع) و مادة (ش ن ن). و التقدير كأنك من جمال أبي أقيش (جملٌ). و قد ذكر المصنف التقدير.

(١) المفردات في غريب القرآن: (نعم) ص٤٩٩ و لسان العرب: مادة (نعم) و مختار الصحاح (نعم)

(٢) بدل كل من كل: إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٧٤ و الدر المصون: ١ / ٧٩

و في قوله ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ قراءات ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ بكسر الهاء و إسكان الميم (٢) و(عليهُمْ) بضمّ الهاء و إسكان الميم (٣) و عليهُمُ بضم الهاء و الميم (٤).

و يجوز في العربية (عليهِمُوا) بكسر الهاء و ضم الميم و عليهمِي بكسر الهاء و إلحاق الياء. (٥)

قال الزّجّاج: و الأصل في هذه الهاء في قولك ضربتُ هو يا فتى و مررت بهو يا فتى أن يتكلم بها في الوصل بالواو فإذا وقفتَ قلتَ ضربته و مررت به. (٦)

و زعم سيبويه أن الواو زيدت على الهاء في المذكَّر كما زيدت الألف في المؤنث في قولك ضربتها ليستوي المذكر و المؤنث في باب الزيادات قال (٧): و القول في هذا الواو عند

---

(١) الأصل و تقدم بيان معناها.

(٢) و هي قراءة الجمهور: السبعة: ص١٠٩ و الروضة: ١ / ٥١٩ و البدور الزاهرة للشيخ عبد الفتاح القاضي: ص١٤

(٣) و هي قراءة حمزة و يعقوب: السبعة: ص١٠٩ و الروضة: ١ / ٥١٩ و معاني القرءاءات للأزهري: ص٢٨ و البحر: ١ / ٢٦

(٤) هي قراءة ابن أبي إسحاق و في مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ص١ بضم الهاء و الميم و في إعراب القرآن لابن النحاس:١ / ١٧٥ بضم الهاء و إثبات الواو و ذكرها في المحتسب : ١ / ٤٤ وعزاها أيضا إلى مسلم بن جندب و الأعرج و عيسى الثقفي و عبد الله بن يزيد و في تفسير الثعلبي ١ / ١٢٣ : عيسى بن عمر و ابن أبي إسحاق بضم الهاء و الميم و إلحاق الواو. و أما قراءة ابن كثير و أبو جعفر و قالون بخلف عنه (فعليهِمُ)بكسر الهاء و ضم ميم الجمع حالة الوصل مع وصلها بواوٍ لفظا فكلٌّ منهم على أصله في كسر الهاء : الروضة: ١ / ٥٢٠ و البدور الزاهرة للقاضي: ص١٤

(٥) حكى اللغويون في عليهم عشر لغات: المحتسب لابن جني : ١/ ٤٣ و فيه توجيهها بالتفصيل وتفسير القرطبي: ١ / ١٤٨ و البحر: ١ / ٢٦

(٦) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٥٦

(٧) القائل الزّجّاج ولا زال الكلام له: ١/ ٥٥

أصحابِ سيبويهِ و الخليل أنّها إنما زِيدَت لخفاءِ الهاء، و ذلك أنّ الهاءَ تخرجُ من أقصى الحلق (١).

و الواو حرفُ مدّ و لين يخرجُ من طَرَفَ الشّفتين، فإذا زِيدَت الواوُ بعد الهاء أَخْرَجَتْها من الخفاء إلى الإبانة، فلهذا زِيدَتْ و تسقط في الوقف كما تسقط الضمة و الكسرة في قولك أتاني زيدْ و مررت بزيدْ و لأنها واو وصلٍ (٢) فلا يثبت لئلا يلتبس الوصل بالأصل فإذا قلتَ مررتُ بِهُوَ فإن شئتَ قلتَ بِهِيَ فقلبت الواو ياءً { بكسر الباء المنكسرة قبل الهاء } (٣) لأن الهاء ليست بحاجز حصينٍ و لذلك زِيدَت الواوُ عليها.

فأما جواز (عليهُمُوا)فلأنه على الأصلِ انضمَّت الهاءُ لسقوط الواو و ألحقت الواو بعد الميم للجمع و أما عليهِمِي فإنما جاز لأنَّ الخروج من الكسر إلى الضم ثقيل و لهذا لا يُوجَد فِعُلَ من الأبنية الثلاثية.

و أما (عليهِمُوا) بكسر الهاء فإنما تكسَرُ الهاء للياء التي قبلها و أما (عليهُمْ) بسكون الميم مع ضمة الهاء فإنما تحذف الواو و الضمة من آخرها تخفيفاً.

و (عليهِم) بكسر الهاء و سكون الميم فلأجل التخفيف، و هو أخفُّ القراءات من غير إخلال فصار هو المختار من غيره بعده عليهُمْ. (٤)

قال الزّجّاج و إنما يكثر في القرآن ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ و (عليهُمْ)و لم يكثر (عليهِ) معَ (عليهُ) (١) لأن الضمّة التي بعد الهاء من (عليهم) للميم فهو أقوى في الثبوت ألا ترى أن هذه الضمة تأتي

---

(١) إلى هنا انتهى نص كلام الزّجّاج، و ما بعده فمنقول بالمعنى من معاني القرآن للزّجاج أيضا: ١ / ٥٥

(٢) يعني زيدت وَ وُصِلَت بالكلمة و ليست بأصلية منها. و ينظر: إعراب القرآن لابن النحاس:١ / ١٧٥

(٣) في معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٥٥ (لانكسار ما قبلها) و هو أوضح. و المقصود أن كسرة الباء سوّغت قلب الواو في (بهو) ياءً لأنّ الهاءَ حاجزٌ غيرُ حصِين.

(٤) ينظر في توجيه القراءات في عليهم: المحتسب: ١ / ٤٤ – ٤٥ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٥٥

قبل الميم في كلّ ما { لحقَتهُ} (٢) الميمُ نحوُ عليكُم و بكُم و منكُم ولا يجوز في عليكُمْ عليكِمْ لأنَّ الكافَ حاجزٌ حَصِينٌ بين الياء و الميم، فلا تقلَب الضمة كسرةً، و قد روي عن بعض العرب (عليكِم) و (بكِم)بكسر الكاف و هو ضعيفٌ لا يُلتفت إليه (٣).

قوله: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ المغضوبُ عليهم صفةٌ عامة في جميع الكفار، و كذلك الضّالّين يتناول كل ضال عن الدِّين إلا أنه جاء في التفسير: أنّ المغضوب عليهم هاهنا اليهود، و المعنيّ بقوله هاهنا ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ النصارى.

و قد سمّى الله اليهود و النصارى في الكتاب بهذا الاسم ووصفهم بهذا الوصف حيث قال:

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقال: ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ [البقرة:٩٠]، وقال في صفة النصارى ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:٧٧] . وروى عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن المغضوب عليهم هم اليهود و إنَّ الضالّين هم النصارى). (٤)

---

(١) في معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٥٦ : (و لم يكثُر عليهِمي و عليهِمُو). و عندي أن الذي هنا أصحّ لأنّ معنى الكلام مقارنة كثرة ضمّة الهاء في(عليهُم)مقارنة مع (عليهُ).

(٢) في النسخة : (ل) : تخفيه وصححته من كتاب الزّجّاج .

(٣) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٥٧

(٤) صحيح بمجموع طرقه عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه و سلّم أخرجه الترمذي في التفسير : في تفسير الفاتحة: (٢٩٥٤) وأحمد (٤ / ٣٧٨) و الطبري: ١ / ١٨٦ و ١٩٤ و ابن أبي حاتم: (١ /

وروى عبد الله بن شقيق عمَّن سمع النبي صلى الله عليه وسلم: - و هو يحاصر وادي القُرَى - أن المغضوب عليهم اليهود، و أن الضالين النصارى. (١)

---

٣١) و ابن حبان: (٦٢٤٦ ، ٧٢٠٦) و الطبراني في الكبير: ١٧ / ٩٨ و تمام في الفوائد: (١٣٢٥) وابن النحاس في معاني القرآن: ١ / ٦٩.

وفي فتح الباري :٨/ ١٥٩: (وأخرجه بن مردويه بإسناد حسن عن أبي ذر)اهـ. وينظر: تفسير ابن كثير: ١ / ٣٠ و الدر المنثور:١ / ٤٢ .

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: (١ / ٣٧) وأبو عبيد في الأموال: (٧٦٥) و أحمد: ٥ / ٣٢ ، ٣٣ ، ٧٧ و الطبري: ١ / ١٨٧ و ١٨٨ و ١٩٥ و أبو يعلى: (٧١٧٩) و الطحاوي: (٣/ ١٠٣) و شعب الإيمان: (٤٣٢٩) و ينظر: تفسير ابن كثير: ١ / ٣٠ و قد صحح ابن كثير بعضَ أسانيده و ذكر الهيثمي أنّ رجالَه رجال الصحيح: ٦ / ٣١٠ .

وبهذا ورد التفسير (١) عن ابن عبَّاس وابن مسعود ومجاهد وابن زيد وغيرهم. (٢)

وإنما قال: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ بعد قوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، وإن كان صراطُ المنعَم عليهم غيرَ صراط المغضوبِ عليهم على جهة التأكيد والتَّحقيق للمطلوب في الدّعاء.

وأما معنى الغضب فهو إرادة العقوبة (٣) وتُسَمّى العقوبة غضباً على التوسُّع.

وأصله في اللغة(٤) هو الشّدة، ومنه يقال للصَّخرةِ الصُّلبةِ الشديدة: الغَضْبة ورجل غَضُوبٌ شديد الغضب والغَضُوبُ الحيَّة الخبيثة لشدتها والغضوب الناقة العَبُوسُ لشدَّةٍ وَدعَارةٍ في

---

(١) قد حكى ابن أبي حاتم: ١ / ٣٢ و أبو الليث السمرقندي إجماع المفسرين عليه: تفسير السمرقندي: ١ / ٣٣ و قد نقل ابن كثير: ١ / ٣٠ و السيوطي: مفحمات الأقران في مبهمات القرآن: ص١١: قول ابن أبي حاتم.

(٢) ينظر الرواية عنهم: جامع البيان للطبري: ١ / ١٨٨- ١٨٩

(٣) هذا تأويلٌ قد حكى الطبري نحوه عن قوم لم يُسمِّهم(١ / ١٨٩) ثم ذكر آخِراً ما يوافق مذهب أئمة السلف و أما البغوي فقال - على غير عادته-:(الغضب إرادة الانتقام من العصاة)اهـ. تفسير البغوي: ١ / ٥٥ و كأنه نقله عن: أبي إسحاق الثعلبي فقد ذكره في الكشف : ١ / ١٢٣ والصواب في مثل هذه الصفات للباري تعالى إثباتها كما وردتْ من غير تكييفٍ و لا تمثيلٍ و لا تشبيه ولا تأويلٍ إثباتا مبنيّاً على التنزيه التامّ لله تعالى عن مشابهة الخلق مع قطع النظر و اليأس بالكلية عن إدراك الكيفية.

قال الطحاوي في عقيدته المشهورة: (و الله يغضب و يرضى لا كأحدٍ من الورى) و ينظر: تعليق ابن أبي العز عليه: شرح العقيدة الطحاوية: ص٥٢٤ و الفتاوى: ٣ / ١٧ و ٦ / ١١٩ و درء التعارض : ٤/ ٩٢ ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم: ١/ ١٣ .

(٤) ينظر: العين: (غضب): ٤/ ٣٦٩ ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس: مادة (غضب)، و لسان العرب: ١ : ٦٥٠ و مفردات القرآن للراغب و تاج العروس : مادة: (غ ض ب) .

خُلقها، والغَضبة (١) قطعة من جلد البعير يُطوَى بعضها على بعض ويُجعل شبيهاً بالدَّرَقَة لشدّتها.

وأما الضّلال فهو الذّهابُ عن الحقّ والزيغ عن الرُّشدِ ومنه ضَلَّ الماء في اللّبن (٢) وقوله: ﴿ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة:١٠].

والإضلالُ الإذهاب عن الحقّ والدِّين والله يُضِلّ الكفار بأن يخلق ضلالتَهم وليس قول القدرية أنّ معنى الإضلالِ الحكمُ بالضّلالِ بشيءٍ وليس إذا قيل في اللغة أكفَرَهُ بمعنى سمّاه كافرا مما يجوّزُ أن يقال أَضَلَّهُ أي سماه ضالاً لأنّ اللغة لا تُؤخذُ قياساً. ثم لو كان هذا صحيحاً لكان إبليس مضِلّا للأنبياءِ والمؤمنينَ جميعاً لأنّه سمّاهم ضالين ويجب أنْ يكون أحدُنا إذا سمَّى الكفَّار ضُلالا مضِلا لهم عن الدِّين ولا يجوزُ أنْ يكون معنى أضلّه وجده ضالًّا، كما يُقال: بلوتُه فأحمدتُه أي وجدتُه محموداً لأنّه يوجِب أنْ يكون المسلم مُضِلًّا للكافر إذا وجده ضالا لأنَّ وجدان الله تعالى الكفار علمه بهم وقد علَّم الله الكفار أنهم يكفرون قبل كفرهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ ﴾ [الأنعام:٣٩]

ولا يقال من يشأ الله يَعْلَمْهُ كافراً ضالا لأنّ المشيئة لا تتعلَّق بالعِلمِ لأن العلم قديم والمشيئة تتعلق بالحوادث والإضلال من الشيطان هو الدعوة إلى الضلال وكذلك في قوله: ﴿ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴾ [طه:٨٥]. وقوله: ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴾ [طه:٧٩].

وعامة القراء على قراءة ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ بكسر الراء وله وجهان:

---

(١) الغَضْبةُ: الصَّخرةُ الصُّلْبةُ الـمُرَكَّبةُ في الـجَبلِ، الـمُخالِفَةُ له ...و الغَضْبَةُ: الأَكَمة؛ و الغَضْبَة: قِطْعَةٌ من جِلْدِ البعير، يُطْوَى بعضُها إِلى بعض، وتُـجْعَلُ شبـيهاً بالدَّرَقة: ينظر مثلا: لسان العرب : ١ / ٦٥٠ مادة: غضب

(٢) ينظر: تهذيب اللغة : مادة ضلل ولسان العرب: ١١ / ٣٩٥ ضلل وغيرها. و تفسير القرطبي: ١ / ١٥١ و الدر المصون: ١ / ٨٦.

أحدهما: على البدل من الّذين كأنه قال صراط غير المغضوب عليهم .

والثاني : أن يكون غير صفة الذين. (١) و إنما جاز أن يجعل غيرٌ (٢) وهو نكرةٌ صفةً للذين وهو معرفة لأن قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ليس بمعرفة مؤقّتةٍ.

و إنما لا يَجوزُ أن يُجعل (غير) نعتاً للمعرفة إذا كانت معرفة مؤقَّتة، يجوز أن يقول لا آمر إلا بالصادق غيرِ الكاذب كأنك تقول بمن يصدق ولا يكذب، (فالذين) ههنا ليس بمعمودٍ له ولا مقصود قصدهم (٣)و ما كان معرفةٍ مؤقتة لا يجوز أن يُنعت (بغير) لا يجوز أن تقول مررتُ بعبد الله غيرِ الطريق إلا على معنى البدل لأنّ إبدالَ النكرة من المعرفة يجوز .

و المعرفة المؤقَّتة هي كالإمارة بين النّاس مثل زيد و عمرو، و ما أشبهه و التي ليست بمؤقتة هي ما يجيء على طريق النقيض كالصادق و الكاذب و البر و الفاجر و غير ذلك.(٤)

و يجوز في اللغة (غيرَ المغضوب عليهم) بالنصب و قد قُرِئ به في الشّواذّ (١)

---

(١) إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٧٥ و معاني القرآن للزجاج: ١ / ٥٧

(٢) كتب فوقها في النسخة ل بالحمرة : لفظ (غير).

(٣) كذا في الأصل. و المصنف يريد أن يقول إن الذين ليس بمعرفةٍ مؤقتة مثل زيد و عمرو . وهذا الاصطلاح بناءً على المعنى الذي سيوضحه فيما بعد هنا .

(٤) الوجه الأول في إعراب ﴿ غَيۡرِ ﴾و هو أن تكون بدلا من (الذين)لا إشكال فيه ، و هو بدل نكرة من معرفة، ومع هذا فقد ضعفه أبو حيان وقال: لأن الأصل في غير أن توضع للوصف و البدل بالوصف ضعيفٌ.

و هناك إشكال في إعراب غير نعتاً للذين لأنّ الأصل في غير أنها نكرة و ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ معلوم أنها معرفة ولا تنعتُ المعرفة بالنكرة ولكن قد أجيب عن هذا الإشكال بأجوبة منها ما ذكره المصنف رحمه الله. و ينظر: إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٧٥ والحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ١٠٥ و مشكل إعراب القرآن لمكي :١ / ٧٢ و التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ١ / ١٠ والبحر لأبي حيان: ١ / ٢٩ و الدر المصون: ١ / ٨٣

وله و جهان: (٢)

أحدهما: أن يكون نصبا على الحال (٣) كأنك قلتَ صراط الذين أنعمت عليهم لا مغضوبا عليهم ولا الضالين.

و الثاني : أن يكون على معنى استثناء الشيء من غير جنسه فكأنك قلتَ إلا المغضوب عليهم و حقُّ غير في الاستثناء النصب إذا كان ما بعد إلا ،و هذا مذهب الزّجّاج (٤) و الأخفش (٥) و من تبعهما ووافقهما من نحويي البصرة.

فأما الفراء (٦) و من تبعه فإنهم أنكروا جواز أن يكون (غير) منصوبا على الاستثناء و قالوا لو كان (غير) هاهنا منصوبا على الاستثناء كان بمعنى: سوى و لم يجز أن يعطف عليه بقوله: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ لأنّ (لا) نفيٌ وجحد و لا يعطف بجحد إلا على جحدٍ، قالوا و لم نجدْ في كلامِ العربِ استثناءً يُعطَفُ عليه بجحدٍ، و إنما يعطفون بالاستثناء على الاستثناء و بالجحد على الجحد فيقولونَ قام القومُ إلا أخاك و إلا أباك، و في الجحد ما قام أخوك ولا أبوك فأما قام

---

(١) إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٧٦ و فيه :تروى عن ابن كثير، و الثعلبي: ١/ ١٢٣ وينظر: الحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ١٠٥ و مشكل إعراب القرآن لمكي:١ / ٧٢ وتفسير القرطبي: ١ / ١٥٠ والبحر لأبي حيّان: ١ / ٢٩

(٢) ينظر في توجيه نصب غير: جامع البيان للطبري: ١ / ١٩١ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٦٥ والحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ١٠٦ و مُشكِل إعراب القرآن لمكي:١ / ٧٢ و المحرر الوجيز: ١ / ٧٨ والكشاف : ١ / ١٣ و فتاوى العلامة تقي الدين السبكي والد تاج الدين: ١ / ١١ و تفسير القرطبي: ١ / ١٥١ و التبيان في إعراب القرآن للعكبَريّ: ١ / ١١ والبحر لأبي حيان: ١ / ٢٩ و الدر المصون: ١ / ٣

(٣) حال من الذين أو من الهاء و الميم في عليهم.

(٤)معاني القرآن للزجاج: ١ / ٥٧

(٥)معاني القرآن للأخفش: صـ ٢٣

(٦) معاني القرآن للفراء: ١ / ١٤ و ينظر ما تقدم قريباً و ما سيأتي في التعليق على آخر كلام المصنف.

القوم إلا أباك و أخوك فلا يجوز و قد أجاب عن هذا من جوّز أن يكون غير هاهنا نصبا على الاستثناء بأن قال لا في قوله ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ صلة و مثله يجوز في اللغة و أنشدوا بيت العجّاج :

في بئرِ لا حُورَ سرى و ما شَعَر (١)

قالوا معناه في بئر حور أي بئر هلكةٍ ولا هاهنا صلة، وقال أبو النجم :

فما ألوم البيض أنْ لا تَسخَرا لمّا رأينَ الشَّمَطَ القَفَنْدَرا (٢)

وهو يريد فما ألوم البيض أن تسخرا ، القفندَرا الرجل الضخم الكبير (٣)

وقال الأحوص :

و يَلْحِينَني في اللهو أن لا أحبَّه و للهوِ داعٍ دائبٌ غيرُ غافلِ (٤)

يريد و يلحينني أنْ أحبّه و ((لا)) صلة وقال الله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ ﴾ [الأعراف:١٢] يريد أن تسجد، قالوا فإذا ثبت هذا (٥) كان معنى الآية: (صراط الذين أنعمت عليهم الذين هم سوى المغضوب عليهم ولا الضالين)، و من سلك طريقة الفرَّاء أجاب عن هذا بأنْ قال:

---

(١) ديوان العجاج: ص١٤ و جامع البيان للطبري: ١ / ١٩٠ و اللسان: حور: ٣ / ٣٨٣

(٢) تفسير الطبري:١ / ١٩١ و الأضداد لابن الأنباري: ص١٨٥ و معاني القرآن للنحاس ج:٣ ص:١٤ ولسان العرب – ابن منظور :٥ / ١١٢ و الدُّر المصون: ١ / ٨٤

(٣) وقيل القَفَنْدَرُ: القبيح المَنْظَرِ؛ وقيل: القَفَنْدَرُ الصغير الرأْس، وقيل: الأبيض . و القَفَنْدَرُ أَيضاً: الضَّخْمُ الرِّجْل، وقيل: القصير الحادر، وقيل: القَفَنْدَرُ الضخم من الإِبل وقيل الضخم الرأْس . لسان العرب – ابن منظور ج:٥ ص:١١٢

(٤) تفسير الطبري:١ / ١٩١ و الكامل: ١ / ٤٩ و الأضداد: ص١٨٦ و البحر: ١/ ٢٩ و الدر المصون: ١ / ٨٤

(٥) كتب النّاسخ في النسخة ل : (هذا) بخط صغير تحتَ كلِمةَ كانَ.

إنّ مجيء ((لا))في الكلام بمعنى الصلة مبتدأً من غيرِ أنْ يتقدَّمه جحدٌ لا يجوز ولو جاز ذلك لجاز أن يقول القائل أردتُ أن لا أكرم أخاك يريد به أردت أن أكرم أخاك، وقـالوا إنّ (لا) في بيت العجّاج بمعنى الجحد و النفي و أنّ معناه في بئر ماءٍ لا يُحيرُ عليه شيئاً، و تقولُ العرب: طَحَنتْ الطّاحنةُ فما أَحارتْ شيئاً أي لم يتبيّن لها أثرُ عَمَلٍ (١) .

وقالوا في الأبيات الأخرى إنما كان (لا)هناك صلة لأنه قد تقدمها جحد ونفيٌ فـصار كقـول القائل :

ما كان يُرضِي رسولَ الله دينَهمُ　　　والطَّيِّبانِ أبو بكرٍ ولا عُمَرا (٢)

قالوا فثبتَ أنّ معنى الآية : لا المغضوب عليهم فلهذا صحَّ أنْ يُعطَف عليـه بـلا؛ وهـذا كـما تقول فلانٌ غيرُ محسِنٍ ولا مجمِلٍ. (٣)

وإنما يكون (غير) في كلامهم على ثلاثة أوجه:

بمعنى سوى و بمعنى الجحد و بمعنى الاستثناء، (٤) والفرْق بين (غـير) إذا كـان بمعنـى الاستثناء، وبينه إذا كان بمعنى الجحد جواز العطف على أحدهما بلا وامتناعه في الثاني، تقـول عبدي غيرُ عبدِ الله ولا زيد، ولا يجوز عبدي سوى عبد الله ولا زيدٍ والفرقُ بين (غير) إذا كان بمعنى الاستثناء وبينه إذا كان بمعنى الصِّفة أنّ الاستثناءَ إخراجُ بعضٍ من كلّ وليس كـذلك

---

(١) يقال : ما أَحارتْ شيئاً أَي ما رَدَّتْ شيئاً من الدقـيق: لسان العرب: حور.

(٢) البيت لجرير : ديوانه: ١ / ١٥٩ و جامع البيان للطبري: ١ / ١٩٣

(٣) ما ختم به المصنف من أنّ (غير) بمعنى (لا) هو اختيار الطبري و بسط القول في ترجيحـه: ١ / ١٩١-١٩٣

(٤) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القـاهر الجرجـاني: ٢ / ٧١٠ ونظـم الفرائـد و حـصر الـشرائد للإمام مهلب المهلّبي: ص ١٧٤ و مغني اللبيب : ١ / ١٣٦ و الدر المصون : ١ / ٨٣ والأصـل في غـير أن تكون صفة . و في كتاب المهلبي : أنها تجيء ظَرفا كقولك: رأيت زيدا غير مرةٍ.

الصِّفة كقولِكَ عندي درهمٌ غيرُ دانِقٍ كأنّكَ قلتَ إلا دانقاً، والصِّفة عندي درهم غيرُ زائف كأنك قلت درهمٌ جيدٌ.

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قرأ :

(غير المغضوب عليهم وغير الضالِّين). (١)

وقولُ القائلِ بعد الفَرَاغِ من قراءة هذه السُّورة ﴿ ءَآمِينَ ﴾ سنَّةٌ وجاء في الخبر عن النّبي صلى الله عليه وسلم (ما حَسَدَكُم اليهود على شيء ما حسَدوكم على (آمين) وتسليم بعضكم على بعض). (٢) وفيه لغات أَمينَ و آمين بالقصر و التطويل و أنشدوا :

---

(١) صحّت عن عمر لكن قيل إنها على وجه التفسير لا القراءة: فضائل القرآن لأبي عُبيد: صـ ٢٩٠ ، وابن أبي داود في المصاحف: ٦١ و الانتصار للباقلاني: ٢/ ٧ و تفسير ابن كثير: ١ / ٢٩ و صححها وفتح الباري: ٨ / ١٥٩ و صحح سندها. و تفسير الماوردي: ١ / ٦١ و تفسِير القرطبي: ١ / ١٥١ والبحر: ١ / ٢٩ و هي مرويّة أيضا عن أبيّ كما في المصادر السابقة إلا تفسير الماوردي.

(٢) حديث صحيح على شرط مسلم رواه ابن ماجه في الإقامة، باب الجهر بآمين : ١ / ٢٧٨ والبخاري في الأدب المفرد : رقم (٩٨٨) و إسحاق بن راهويه في مسند :٢/ ٥٤٠ (ح ١١٢٢) كلُّهم من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث نا حماد بن سلمة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن عائشة عن رسول الله ﷺ و ذكر الحديث ، ورجاله ثقات ورواه البخاري من طريق موسى حدثنا حماد به :
(التاريخ الكبير: ١ / ٢٢) و في حماد بن سلمة : كلام من جهة حفظه و الراجح توثيقه و قد يهمُ ، و هو إمام جليل و كذلك في سهيل كلام من جهة حفظه لا يضر إن شاء الله تعالى ، ولذا قال البوصيري:
(إسناده صحيح احتج مسلم بجميع رواته)اهـ. و ينظر: فتح القدير للشوكاني: ١ / ٢٦ .وتابع حمادَ بن سلمة خالدُ بن عبد الله عن سهيل به مع زيادة قصة في أوله فيها قول اليهود السام عليك يا محمد، عند ابن خزيمة (١ / ٢٨٨) الصلاة ، باب حسد اليهود المؤمنين على التأمين و صححه

محقِّقه ؛ وقد جاء من وجه آخر عن عائشة ما يقوّي رواية سهيل هذه فأخرجه أحمد: ٦ / ١٣٤ والبخاري: ١ / ٢٢ و البيهقي: من حديث محمد بن الأشعث عن عائشة نحوه و له شاهد عن ابن عبَّاس في الدر

تباعد مني فُطحُلٌ وابنُ أمّهِ　　　أَمِينَ فزاد الله ما بيننا بُعْدا (١)

وقال آخر :

يَــا ربِّ لا تــسلبنّي حُبّهــا أبــداً　　　و يــرحمُ الله عبــداً قــال آمينــا (٢)

قال الزّجّاج : ومعناها اللهم استجب وهما موضوعان في موضع [٢٩و] اسم الاستجابة كما أنَّ ((مَهْ)) موضوع موضعَ سكوت قال: وكان من حقِّهما الوقفُ في الإعراب لأنهما بمنزلة الأصوات إذ كانا غيرُ مشتقين إلا أنّ النُّون فُتِحت لالتقاء الساكنين. (٣)

قال الزّجّاج (٤): فإن قيل فهلا كسرت النون لالتقاء الساكنين قيل لأنّ الكسرة تثقل بعد الياء ألا ترى أن أين و كيف فتحتا لالتقاء الساكنين و لم تكسر لثقل الكسرة بعد الياء.

و قال القُتَبيّ (١): (آمِين) اسم من أسماء الله فكأنّه قال: بالله و أضمر فيه استجب لي لم يَحذِف حرفَ النّداء.

المنثور: ينظر: الدر المنثور: ١ / ٤٤ و يشهدُ له أيضا مرسلُ عطاء بن أبي رباحٍ عند عبد الرزاق في المصنف: ٢ / ١٩٨ و الثعلبي: ١ / ١٢٦ .

(١) البيت لجُبير بن الأَضبط في لسان العرب: (أمن) : ١٣ / ٢٧ و في : طحل : (١١ / ٥٢٨) و فُطحل اسم رجل، ذكره في اللسان في الموضع الأول بضم الفاء و الحاء ،و في الموضع الثاني بفتحهما عن الجوهري و إصلاح المنطق: ص١٧٩ و مقاييس اللغة: ١ / ١٣٥ و الدر المصون: ١ / ٨٧ و شرح الأشموني: ٣ / ١٩٧ وشطره في: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي للأزهري: صـ٩٥ و الكشاف: ١ / ١٢٤.

(٢) البيت للمجنون: ديوانه: ص٢١٩ و ينسب لعمر بن أبي ربيعة في لسان العرب: (أمن)و إصلاح المنطق: ص١٧٩ و في فصيح ثعلب: ص٨٧ منسوبا إلى المجنون و في معاني الزّجّاج: ١ / ٥٨ بلا نسبة ومقاييس اللغة: ١ / ١٣٥ و الدر المصون: ١ / ٨٧ و شرح الأشموني: ٣ / ١٩٧ وشطره في الكشاف: ١ / ١٢٤ و غيرها.

(٣) معاني الزّجّاج: ١ / ٥٨

(٤) المصدر السابق.

وقال بعضُهم: (آمين) بالتّطويل هو يا أمينُ فأخرجه مخرج قولهم أزيد أو خبيث يعنون يا زيد و يا خبيث، و قد قيل إنما طوّلوا ذلك لتطويل الصوت، و رفع النُّطق به كما قالوا أَوَّه ثم آوْهْ لتطويل الشكاية وقالوا: سقط على حَقِّ رأسه ثم قالوا على حَاقِّ رأسه (٢) و هذا اختيار القُتَيبي (٣) . وروى عن ابن عبَّاس أنه قال سألت النبي صلَّى الله عليه و سلَّم عن معنى (آمين) فقال ربِّ افعل. (٤)

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة: ص١٢ . و قد رُوِي القول بأنه اسم من أسماء الله عن جعفر بن محمد ومجاهد وهلال بن يساف: زاد المسير: ١ / ١٧ و المحرر الوجيز: ١/ ٧٩ و تفسير القرطبي: ١/ ١٢٨ وتهذيب الأسماء و اللغات للنووي:٣ / ١٢ .و قول هلال بن يساف أسنده الثعلبي: ١/ ١٢٥ وقول مجاهد ذكره ابن الأنباري في الزاهر : ١/ ٦٦ و الثعلبي . وقد ضعَّف أبو البقاء العكبري هذا القول من وجهين: الأول: أن أسماء الله تعالى لا تعرف إلا بالسمع ولم يرد .

الثاني: أنه لو كان كذلك لبني على الضم لأنه منادى معرفة. التبيان: ١/ ٨

(٢) في القاموس المحيط و شرحه تاج العروس :(حق) كما هنا : (سَقَطَ على حَقِّ رأسِه وحاقِّهِ : أي وَسَطِه).

(٣) لأنه قال بعد أن أورده و هذا أعجبُ إليّ: غريب القرآن لابن قتيبة: ص١٣

(٤) سنده واه .فقد رواه الثعلبي في تفسيره من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبَّاس به:١/ ١٢٥ وهذا السند ضعيف جدّاً لضعف الكلبي ولأجل الكلام في سماع أبي صالح من ابن عبَّاس وقد تقدم الكلام عليه : صـ ٣٢٣. ورواه جويبر عن الضحاك عن ابن عبَّاس ذكره ابن كثير: ١/ ٣٢ و السيوطي في الدر: ١/ ٤٢ . و الضحاك ثقة لكنه لم يسمع من ابن عبَّاس كما تقدّم.

وجويبر بن سعيد الأزدي البلخي ضعيف روى له ابن ماجه، و كان يحيى و عبد الرحمن لا يحدثان عنه وكان سفيان يحدِّث عنه و ضعّفه ابن معين و ابن المديني و النسائي و ابن حبان و ذكره يعقوب بن سفيان في باب من يُرغَبُ في الرواية عنهم وقال ابن عدي : (و الضعف على حديثه و رواياته بيّنٌ)اهـ. قلتُ: ومعَ ضَعْفه فهو من علماء التفسير فمثلُهُ يحمَلُ عنه التفسير لشُهرته به و لتقدُّمه في معرفته و لتقدّم شيوخه و غالب روايته عن الضحاك فقد كان مختصا به و قد روى عنه بعضُ الثِّقات من الأئمة كالثّوري و غيره.

و قال الحُسين بن الفضل : إنما هو (آمِّين) بالتشديد أيْ قَصَدْناكَ بهذا الدّعاء فأجِبْ لنا وهو كقوله تعالى : ﴿ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ [المائدة:٢] أي قاصِدين. (١)

و في الخبرِ عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى : (قَسَمتُ الصّلاة بيني وبين عبدي نِصفَين فإذا قال العبدُ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يقول الله حمدني عبدي و إذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال أثنى عليّ عبدي و إذا قال ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال مجَّدني عبدي قال فهذا لي فإذا قال:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ إلى أنْ يختم السُّورة فذاك له. (٢)

و قد حسّن حالَهُ في التفسير الحافظ أحمد ين سيَّار المروزي وليّنه في الرواية: كما في : إكمال تهذيب الكمال لمغلطاي: ٣ / ٢٥٧ .

وينظر في ترجمته: (تاريخ ابن معين برواية الدوري: ٢ / ٨٩ و الضعفاء الصغير للبخاري: ٥٨ وسؤلات أبي عبيد الآجري لأبي داود : ص٢٠٤ و الضعفاء للعقيلي: ١ / ٢٠٥ والمجروحين لابن حبان: ١ / ٢١٨ و تاريخ بغداد: ٧ / ٢٥٠ و الإكمال لابن ماكولا: ٢ / ١٦٤ و تهذيب الكمال: ٥ / ١٦٧ ميزان الاعتدال : ١ / ٤٢٧ و العجاب : ٦٠ / و الإتقان: ٢ / ٤٧٢).

(١) تفسير القرطبي: ١/ ١٢٩ وتهذيب الأسماء و اللغات: ٣ / ١٢

(٢) تقدم تخريجه

السّورة التي يُذكر فيها البقرة [١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله : ﴿ الٓمٓ ﴾ [البقرة:١] اختلَفَ النّاسُ في الكلام في هـذه الحـروفِ المقطّعـة وأشـباهِها [٢]

---

[١] هذا العنوان من المصنف و لم أتصرّف فيه.

(٢) أرجح الأقوال أنها من المتشابه الذي لا يعلَم تأويله إلا الله، قال أبو حاتم النحوي: (لم نجد الحـروف المقطعة في القرآن إلا في أوائل السور ولا ندري ما أراد الله تعالى بها) معاني القرآن لابن النحاس: ١ / ٧٨ و نُسب القول بهذا إلى الخلفاء الأربعة الراشدين و روي عن جماعة مـنهم الـشعبي في روايـة عنـه ، وأبـو صالح وعبد الرحمن بن زيد والربيع بن خيثم والإمام الثوري واختاره الحسين بن الفضل -كما سيأتي- و أبو حاتم بن حبّان وعُزي إلى جماعة من المحدثين. وممن رجَّح هذا القـول ابـن حـزم: في الإحكـام: ٤ / ٥٢١ وأبو حيان في البحر: ١ / ٣٥ والشاطبي في الموافقات: ٤ / ٢٣٥ والسيوطي في الإتقـان: ٢ / ٨ و الشوكاني في فتح القدير: ١ / ٣٠والآلوسي في تفسيره : ١ / ١٠٠. والأقوال المنسوبة لأبي بكـر و بقيـة الخلفاء قال: الطاهر ابن عاشور -رحمه الله- : (إنها روايات ضعيفةٌ): التحرير و التنـوير: ١ / ١٢١ . و لم أقف أنا على أسانيدها.

و أمّا عدد الأقوال في تفسير الحروف المقطعة فكثيرة قِيلَ ثلاثين قولا، و قِيلَ غير ذلك : ينظر مثلا:تفسير نجم الدين عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٢٨) .

وقال الطّاهر ابن عاشور أيضا: (والذي يـستخلَصُ مـن أقـوالِ العلـماء بعـد حـذف متداخِلـه وتوحيـد متشاكِله يؤول إلى واحدٍ وعشرينَ قولا)اهـ. ١ / ١٢١ ثم قسّمها إلى ثلاثة أقوال.

و الراجح أنها تعود في مجملها العامّ إلى قولين قولٍ بالبحث عن معانيها و المراد بهـا وقـولٍ بـالكفِّ عـن ذلك و أنّها من المتشابه أو سرّ من أسرار القرآن ثمّ تتفرع بعد ذلك الأقوال ولهذا قال الزركشي و غيره إنّ الاختلاف فيها على قولين: البرهان: ١/ ١٧٢ . ينظـر في أقـوال المفـسرين في تفـسير الحـروف المقطعـة: تفسير مقاتل: ١/ ٢٣ ومعاني القرآن للأخفش: صـ ٢٥- ٢٧ وجامع البيان للطبري: ١ / ٢١٠ وتفسير ابن أبي حاتم: ١ / ٣٢ ومعاني القرآن للزجاج: ١ / ٦٠ ومعاني القرآن لابن النحاس: ١ / ٧٧ والوسيط للواحـدي ١ / ٧٥ -٧٦ ، و تفـسير الـسمرقندي: ١ / ٤٧ و تفـسير الثّعلبـي (الكشف و البيان): ١/ ١٣٦ – ١٤٠ و النكـت والعيـون للـماوردي: ١ / ٦٣ وقـانونُ التأويـل لابـن

مثل ﴿ الٓر ﴾ و ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ و ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ و ﴿ طسٓ ﴾ و ﴿ حمٓ ﴾ و ما أشبهَ ذلك فذهب قومٌ إلى أنّها من المتشابه الذي لا يعلَم تأويله إلا الله، و أنّ الله تعالى لم يجعل لأَحدٍ سبيلا إلى استدراك معانيها و لا يجوز التكلُّمُ فيها ،و أنها مما استأثرَ الله سبحانه بعلمها وقد تعبَّد النّاس بالإيمان بأنها من عند الله تعالى على الجملة و الإقرارِ بظاهرها وإقرارها على وُجُوهها و وُكُول علمها إلى منزِلها. ورُوِي عن الشّعبي[١] أنه قال: في كلِّ كتاب سرّ و سرُّه في القرآن: ﴿ الٓمٓ ﴾ و﴿ الٓمٓصٓ ﴾. وكذلك سائر حروفِ الهجاء المذكورة في أوائل السور. و إلى هذا القول ذهب الحسين بن الفضل البَجَليّ [٢] من متأخّري أهل التفسير[٣]، وذهب أكثر

العربي: ٢٠٨ و تفسير العلامة نجم الدين عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة : ٢٨) ، وتفسير البغوي ١ /٥٨ و المحرر الوجيز: ١/ ٨٢ وقد ذكر اثني عشر قولاً، و غرائب التفسير و عجائب التأويل للكرماني : ١/ ١٠٧ – ١١٣ و زاد المسير ١ / ٢٠ وتفسير القرطبي: ١ / ١٥٤ و تفسير الرازي: ٢ / ١٣ و تفسير ابن كثير: ١/ ٣٦ والبرهان: ١ / ١٧٢ و فتح الباري: ٨/ ٥٥٤ والإتقان: ٢ / ٨ والدر المنثور: ١ / ٢٢ و التحرير و التنوير: ١/ ١٢١ وأضواءُ البيان: ٢ / ١٦٥ مع ما سيرد من المصادر.

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٢١٠ لكنه لم ينسبه للشعبي و لم يسنده بل نسبه إلى بعضهم، و هو في عدد من التفاسير منسوبا للشعبي غير مسند منها: معاني القرآن للزجاج: ١ / ٦٠ و معاني القرآن لابن النحاس: ١ / ٧٧ والوسيط للواحدي ١ / ٧٥ -٧٦ ، و تفسير السمرقندي: ١ / ٤٧ و النكت والعيون للماوردي: ١ / ٦٣ وقانون التأويل لابن العربي: ٢٠٨ و زاد المسير ١ / ٢٠ وتفسير البغوي ١ /٥٨ و المحرر الوجيز: ١/ ٨٢ وقد ذكر اثني عشر قولاً وتفسير القرطبي: ١ / ١٥٤ و تفسير الرازي: ٢ / ١٣ و البرهان: ١ / ١٧٢ و الإتقان: ٢ / ٨ وأضواءُ البيان: ٢ / ١٦٥ وغيرها. و قد نسبه السيوطي إلى تفسير ابن المنذر و أبي الشيخ : الدر المنثور ١ / ٢٣. و في رواية عن الشعبي أنها : من أسماء الله : تفسير ابن أبي حاتم: ١ / ٣٢ (٤٧) و الدر المنثور: ١ / ٢٢

[٢] الحسين بن الفضل البجلي النيسابوري . تقدمت ترجمته: صـ١٦٠ .

[٣] تفسير الشيخ نجم الدين عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٢٨) .

المفسِّرين من السلف والخلف إلى خلاف هذه الطريقة وتكلَّموا في معاني هذه الحروف واستنبطوا لها وجوها من التّأوِيل، وقالوا إن الله تعالى و صفَ القرآن بأنّه لسان عربيٍّ مبين، و إنَّ هذا القولَ يُوجِبُ إلغاء هذه الحروف و إخلاءها عن المعاني و كتاب الله سبحانه أولى بأنْ يُوصف بخلاف هذه الصّفة.

و لو كان المتشابه في القرآن مما لا يُوقف على معناه لم يكن للراسخ في العلم فضلٌ على المتقاصر فيه، و لم يكن للاستنباط وجه في معانيه بل المحكم من القرآن ما يعلم المراد منه بلفظ التنزيل و المتشابه ما يحتاج فيه إلى التدبر و التّأوِيل ثم اختلف هؤلاء في تأويل هذه الحروف، فالذي يروى عن ابن عبّاس فيه ثلاثة أوجه: [١]

أحدها:-

أنّ الله تعالى أقسمَ بهذه الحروف أن هذا الكتاب الذي أنزل على عبده محمّد ﷺ الكتاب الذي عند الله ألف لام ميم حم نون لا شك فيه [٢].

و الثاني: أنّها وإن كانت متفرِّقة في النزول فإذا أُلِّفت ضرباً من التأليف كانت اسماً لله تعالى، وإن كنا لا نقف على تأويلها فألف لام را حا ميم نون اسمه الرحمن و كذلك ما عداها و إنْ كنا لا نقف على تأليفها و كيفية نظمِها [٣].

و الثالث: ﴿ الٓمٓ ﴾ أنا الله أعلم و ﴿ الٓر ﴾ أنا الله أرى و ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ أنا الله أَعلم و أَفصِل، [١] وقال قَتَادَة [٢] و مُجاهد [٣] و ابن جُريج [٤]: ﴿ الٓمٓ ﴾ اسمٌ من أسماء القرآن. ويُروى عن الحسن [٥] و غيره من السّلف أنها اسمٌ للسورة [٦].

---

[١] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٦٠

[٢] رواه الطبري: ١ / ٢٠٧ و ابن النحاس: ١ / ٧٤

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٠٦ و ٢٠٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٢ و الحاكم في المستدرك: ٢ / ٢٦٠

و قال محمّد بن جرير [٧]: من قال ذلك فلقوله و جهان أحدهما: على معنى القسم كأنه قال: و القرآن هذا الكتاب لا ريب فيه.

و الثاني: أنّه اسم من أسماء السور يُعرف السّورة به كما يعرف سائر الأشياء بأسمائها، والقائل إذا قال قرأتُ اليوم ﴿ الٓمٓصٓ﴾ عَرَفَ السّامع أنه قرأ السّورة المخصوصة التي افتُتِحت بـ:المص كما أنه إذا قال: لقيتُ عَمراً عَلِمَ السامع أنه يُريد شخصاً معلوماً عنده.

ويجوز أنْ يكونُ ﴿ الٓمٓ ﴾ اسماً للسُّورة المُفتَتح بها ثمّ لا يعرفُ تلك السّورة بعينها ما لم يقرِن بـ ﴿ الٓمٓ ﴾ لفظاً آخرَ فيقال سورة: (الم) ذلك أو سورة (الم) الله لأنّه وقع الاشتراك ولا يمنع احتياجهم إلى ذِكْرٍ [٨] أنْ يكون ذلك اسماً له في الأصل ألا ترى أنّه إذا قال رأيتُ زيداً ، والسامع عرفَ رجلين

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٠٨ و ابن النحاس في القطع و الائتناف: ص١١١ و في معاني القرآن: ١ / ٧٣ و البيهقي في الأسماء و الصفات: ١٦٧

[٢] ألحقها في النسخة ل : في الهامش . و قوله رواه عبد الرزاق في تفسيره: ١ / ٢٥٨ و من طريقه الطبري: ١ / ٢٠٤ و ابن النحاس في القطع: ص١١١ و في معاني القرآن: ١ / ٧٥

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٠٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٣ و معاني القرآن لابن النحاس: ١ / ٧٥

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٠٤

[٥] في النسخة (ل) : الحسين، و صوبته الحسن يعني البصري كما في : تفسير ابن أبي حاتم: ١ / ٣٣ وهو في الوسيط: ١ / ٧٦ والبحر: ١ / ٣٤ و الدر المنثور: ١/ ٢٣ و نسبه لابن المنذر .

[٦] هو قول زيد بن أسلم رواه عنه ابنه عبد الرحمن: جامع البيان للطبري: ١ / ٢٠٦ ويروى عن عبد الرحمن بن زيد أيضاً.

[٧] تفسير الطبري : ١/ ٢١٣ – ٢١٤ و نقل معنى بقية الكلام منه .

[٨] كذا :و المعنى : احتياجهم إلى ذكرٍ يميّز هذا الحرف من غيره. و العامل في : أن يكون قوله: (ولا يمنع) . و سبب عدم الوضوح أنه المصنف لخّص كلام الطبري رحمهما الله و لم ينقل نصه.

اسمُهما زيدٌ فيقول: أيُّما زيدٌ فتقولُ: زيداً الأزدي أو زيدٌ اليمني، فلا يمنع هذا من أن يكون زيد اسماً في الأصل لذلك الشخص وإن لم يحصل به التمييز حتى ذكر معه النِّسبة عند وقوع الاشتراك. [١]

ويجوز أن يُسمَّى الشيء ببعضه أو بما هو من جملةِ معناه فـ ﴿ الٓمٓ ﴾ وإنْ كان بعض السّورة جاز أن يُسمّى به السّورة ألا ترى أنَّ تسمية الكلام والخبر هي كلام في نفسها وخبرٌ.

وروى ابن جُريج وابن أبي نَجِيحٍ عن مُجاهد أنه قال: ﴿ الٓمٓ ﴾ و ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ فواتحَ افتتح الله بها القرآن. [٢] وزعم الأَخْفَش [٣] أنّها افتتاح كلامٍ ودليلٌ على أنّ الكلام الذي ذُكِر قبل السّورة قد تمَّ.

ومن سلك هذه الطريقة قال مثل هذا معلومٌ في كلام العرب إذا أرادوا الخروج من كلام والابتداء بغيره أو أرادوا استفتاح خطبة أو شِعر قدَّموا على كلامَهم ما ليس بمقصود في نفسه كما حُكِي عنهم أنهم إذا أرادوا الابتداء في إنشاد قصيدة قالوا:

(بل): ما هاج أحزاناً وشَجْواً قد شجا [٤]

و(بل) ليستْ من البيت ولا داخلاً في وزنه ولكن ذَكَرُوهُ ليدلُّوا به على قطعِ كلامٍ وابتداءِ كلامٍ آخر. [٥]

---

[١] هنا انتهى ما نقله المصنف عن ابن جرير بالمعنى ملخصا: ١ / ٢١٤

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٠٥ و ابن أبي حاتم: ٥ / ١٤٣٧

[٣] معاني القرآن للأخفش: ص٢٦ و ينظر: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٥٩ ومعاني القرآن لابن النحاس: ١ / ٧٨

[٤] للعجاج ديوانه: ٣٤٨ و جامع البيان للطبري: ١ / ٢٣١ و معاني القرآن للأخفش:ص٢٦ ولسان العرب: ١١ / ٧٠ في بلل و في: ١٤ / ٨٩. و هي في جميعها : بل لا بلى و في المخطوطة: (بلى). والصواب بل كما في المصادر : و ينظر: الكتاب لسيبويه: ٤ / ٢٠٧ ففيه شطره الثاني، و ينظر في معاني : بل: مغني اللبيب: ١ / ١٠٣ و همع الهوامع: ٣ / ١٧٩.

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٢١٣

و قد اعترضوا على هذه الطّريقة بأنْ قالوا إنهم لم يكونوا يفتَتِحون كلامَهم بالحروف المتقطِّعة لا يقولون: ط ع س ما هَاجَ أحزانا و شجواً قد شجا و أمثال ذلك، و أنّ بلى لفظة تامّة (٣٠ و) ولإطلاق ذلك في ما بينهم عرفٌ معلوم وعادةٌ معهودة ولا يُقاس على ذلك، {و لا يُوجب [١] }إخلاء هذه الحروف عن فوائد تخصُّها [٢] .

و حُكِي عن قُطْرُب أنه قال ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة:١، ٢] هو كقولك : أَلاَ إنك ذاهب فتدخل أَلاَ تستفتح بها كقول الشاعر :

ألا يا صبا نجدٍ متى هِجتِ من نجدِ [٣]

و قد اعترِضَ عليه في استشهاده بذلك لأنّ (أَلاَ)لفظة تامّة يستفتِحُون بها خطابهم، و ليس كذلك هذه الحروف المقطَّعة ألا ترى أنّهم لا يقولون ﴿ كٓهيعٓصٓ﴾ إنك ذاهب بدل قولهم ألا إنَّك ذاهب.

و حكى الزَّجَّاج [٤] وغيره عن قُطْرُب: أنه قال ﴿ الٓمٓ ﴾ و ﴿ الٓمٓصٓ﴾ و ﴿ كٓهيعٓصٓ﴾ و غيرها حروف المعجم ذُكِرتْ لتدلّ أنّ هذا القرآن المؤلّف من هذه الحروف المقطعة التي هي حروفُ (ا ب ت ث) جاء بعضها مقطَّعا و بعضها مؤلَّفا ليدلّ القوم أنهُ بحروفهم التي يعقلونها، و المعنى في هذا على هذه الطريقة تعريفهم أن هذا الكتاب

---

[١] في النسخة (ل) : يوجد. خطأ.

[٢] كذا في في النسخة (ل) . و المعنى لا يوجب ذلك إخلاء هذه الحروف عن فوائد تخصها.

[٣] بعده: لَقَد زَادَنِى مَسرَاكَ وَجداً عَلَى وَجْدِى. و هو من قصيدة في حماسة أبي تمام: شرح المرزوقي على الحماسة: ٣ / ص ١٢٩٨ رقم: ٥٠٣ و الأغاني: ٥ / ٢٣٤ و هو في كثير من كتب الأدب وما يختار من الأشعار: ككتاب جمع الجواهر للحصري: ص٣٢٠

[٤] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٥٩

مركب مؤلّف منظوم من هذه الحروف المقدورة لكم في تخاطبكم فلولا أنه من عند الله نزل وأنه معجز في نفسه و إلا فهلا جئتم بمثله لأنكم متمكّنون من التخاطب بهذه الحروف.

و قال بعضهم: إنّ المشركين تواصَوا فيما بينهم بالإعراض عن القرآن، قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن و الغَوا فيه، فأنزل الله سبحانه هذه الحروف المقطّعة و لم تجرِ لهمُ العادة بسماع مثلها حتى إذا سكتوا و استمعوا إلى ذلك هَجَمَ القرآن أسماعَهم و قَرَع المعاني آذانَهم فيكون في إنزال هذه الحروف مقطعةً نوعاً من المبالغة في الدَّعوة و تأكيدا للحجة عليهم؛ و هذا أيضا قول قُطْرُب. [١]

و قال شعبة[٢] سألت السُّدّي عن ﴿ حمٓ ﴾ ﴿ طسٓ ﴾ و ﴿ الٓمٓ ﴾، فقال: قد قال ابن عبّاس : هو اسم الله الأعظم.

و قال بعضُهُم هي حروفٌ من حروف الجُمَّلِ [٣] و ليس هذا القولِ بالمرضيّ لبعد النبي صلَّى الله عليه و سلَّم من معرفة الحسابِ و الخطّ وما أشبهَ ذلك [١].

---

[١] المصدر السابق.

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٠٦ و سنده عن شعبة صحيح فهو من طريق شيخه- شيخ أصحاب الكتب الستة -محمّد بن المثنى عن عبد الرحمن بن مهدي الإمام عن شعبة ، و هو عند ابن أبي حاتم في تفسيره : ١ / ٣٢ (٤٤) من طريق يحى بن عبّاد عن شعبة.

(٣) هو بتشديد الميم و قِيلَ يجوز تخفيفها ففي القاموس: ((وكسُكَّرٍ : حِسابُ الجُمَّلِ وقد يُخَفَّفُ)) .و في اللسان: (جمل) ١١/ ١٢٣ : ((وحساب الجُمَّل بتشديد الميم الحروفُ المقطَّعة على أَبجد، قال ابن دُريد: لا أَحسبه عربيّاً ،وقال بعضهم: هو حساب الجُمَل بالتخفيف- قال ابن سِيدَه ولستُ منه على ثِقَة))اهـ.
يعني تخفيف الميم.

و ينظر في تفسيرها: تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ٢٣ ففيه بيان كيفية حساب الجمّل من جهة العدد أبجد ، هوز الخ .فالألف بواحد و الباء باثنين الخ.

و قد روى الإمام الدّاني في البيان تفسِيرها كذلك عن بعضِ السلف: صـ ٣٢٣ و استعمالها لضبط الوفيات والتواريخ اشتهر عند بعض المتأخرين في المنظومات العلمية، و أمّا الاعتماد عليها في استخراج المغيّبات من القرآن فغيرُ صحيح و لا يُلتفت إليه.

و قال بعضهم إنّ الله تعالى أقسم بهذه الحروف لشرفها و فضلها لأنّها مبادئ كتابه المنزَّل و بسائطُ الكلام المؤلّف كما أَقَسَم بالسماء و النّجم و الشمس والأرض وغير ذلك، فكأنه أقسم بهذه الحروف أنّ ذلك الكتاب لا شك فيه (٢).

و قال الفرّاء(٣): معنى﴿ الٓمٓ ﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾ و ﴿ الٓر﴾ و﴿ صٓ﴾ و﴿ كٓهيعٓصٓ﴾ و سائر أوائل السور التي هي على هذا النحو حروف اب ت ث بأسرها اقتُصِرَ بذكر بعضها عن ذكر سائرها أي هذه السور لا تخرج عن حروف العربية إلى غيرها من الحروف والمعنى في ذلك أن هذه الحروف ذلك الكتاب الذي و عدتك أن أنزله عليك قال:

لأن قوله (سنقرئك فلا تنسى) و عدٌ من الله تعالى أنْ ينزل عليه كتابا فلما أنزل عليه القرآن قال: الم ذلك الكتاب الذي وعدتك أنْ أقرِئكَهُ فلا تنسى، قال:-

و إنما اكتفى من حروف اب ت ث بالم و المص و أشباه ذلك لأن الحروف لما كانت موضوعة للكتاب معروفة بذلك كان الحرف منها فما فوقه يدل على الجميع قال: ألا ترى أنّ الرجل يقول: إني في (أَبي جَاد) و هو يريد بذلك سائر حروف الكتابة الموصولة فكذلك يقول إني في ا ب ت ث يريد الحروف المقطعة ولو قال إني في: (حطِّي و هوَّز) لجاز و كذلك لو قال إني في: (ط ، ظ) لكان جائزا و أنشد:

لما رأيت أمرها في حِطِّي   أخذت منها بقُرُونٍ شُمْطِ (٤)

---

(١) حكاه الطبري عن بعضهم و أعرض عن ذكر الذي حُكِي عنه ذلك لأن من رواه كما قال ممن لا يعتدّ بروايته و نقله وقال: و قد مضت الرواية بنظير ذلك عن الربيع بن أنس . تفسير الطبري: ١ / ٢١٠ و قول الربيع أخرجه الطبري: ١ / ٢٠٩ وسيرِد قريبا.

(٢) زاد المسير: ١/ ٢٠ و تفسير الرازي: ٢ / ٨

(٣) هو في جامع البيان للطبري: ١ / ٢١٠ منسوبا لبعض أهل العربية، و لم يقل الفرّاء، و لم أجده في معاني القرآن للفراء و ينظر ما سيأتي.

(٤) البيت مع أبيات أخرى في جامع البيان للطبري: ١ / ٢١١ منسوبا إلى بعض الرجاز من بني أسد، وفي تهذيب اللغة: ١٠ / ٢٨١ و اللسان : (ف ن ك)

أي لما رأيت أمرها في صبىً وضعف عقل. [١]

و أصحّ الأقاويل، و أولاها في هذا و الله أعلم أن كل حرف من هذه الحروف تدل على معان شتى أودع الله سبحانه تحتها معاني كثيرة، و لم يذكرها على التفصيل لأنه لو ذكرها على التفصيل لم يدلَّ لفظة واحدة إلا على معنى واحد فأراد الله تعالى جمع هذه المعاني التي قالها أهل التفسير و المعاني في هذه الحروف. [٢]

ويجوز أن يكون حرف واحد موضوعا لهذه المعاني كما جاز أن يكون لفظة واحدة مشتركة في معان كثيرة كلفظ العين يقع على معان كثيرة [٣] ، و كلفظ الأمّة يقع على جماعة من النّاس، و على حين من الزمان، و على الرجل المتعبد المطيع لله تعالى و على الدِّين و الملة، [٤] و كلفظ الدِّين يشترك في معان كثيرة[٥] و أمثالُ هذا كثيرة.

وليس كونُ هذه الحروف مفاتيح أسماء الله تعالى بمانعٍ أن يكون أسماءً للسور و لا أن يكون مما أقسم الله تعالى بها و لا أن يشير إلى مدة آجالٍ و آجال أناس عرّف الله سبحانه نبيه صلَّى الله عليه و سلَّم ذلك على الخصوص.

---

[١] قال الطبري: زعم أنه أراد بذلك الخبر عن المرأة أنها في ((أبي جاد)).

[٢] و هذا اختيار الطبري: ١ / ٢٢٩

[٣] ينظر على سبيل المثال: لسان العرب: ٩ / ٥٠٧ و مفردات الراغب: ١ / ٢٣

[٤] ينظر على سبيل المثال: تفسير الطبري: ١ / ٢٢٤ والوجوه و النظائر للدامغاني: ص٤٢ و مفردات الراغب: (أم): ١ / ٣٥٥ و تفسير القرطبي: ٢ / ١٢٢ و أضواء البيان: ٢ / ١٧٣

(5)جامع البيان للطبري: ١ / ٢٢٤ والوجوه و النظائر للدامغاني: ص١٧٨ و المخصص لابن سيده: ١٧ / ١٥٥ (ج٥).

و هذا القول اختيار محمّد بن جرير الطبري، و يوافقه مذهب ابن عبّاس و إلى قريب منه ذهب الزَّجَّاج (١) لأنه قال: و الذي أقوله من هذه الأقوال التي قِيلَت ما روي عن ابن عبّاس و هو أنَّ معنى ﴿ الٓمٓ ﴾ أنا الله أعلم و أنّ كلّ حرفٍ منها له تفسير .

و قد ذهب إلى هذه الطريقة جماعة من المفسرين كلُّ واحد قال تأويلا آخر لا تنافي بينهما كما روي عن بعضهم أنه قال: (الم) مفتاح اسمه الله ولام جبريل و ميم محمّد صلَّى الله عليه وسلَّم كأن الله أنزل هذا الكتاب على لسان جبريل على محمّد عليهما السلام .

وقال بعضهم (٢): ألف آلاء الله و لام لطفه و ميم مجده .

و رُوي عن الرّبيع بن أَنس في قوله: ﴿ الٓمٓ ﴾ قال:

(هذه الحروفُ من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن كلها، ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه، و ليس منها حرف إلا وهو في آلائه و بلائه، و ليس منها حرف إلا و هو في مدة قوم و آجالهم ، و قال عيسى بن مريم (٣)عجبٌ ينطِقون في أسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون، قال لأن الألف مفتاحُ اسمه الله و اللام مفتاح اسمه لطيف و الميم مفتاح اسمه مجيد الألف آلاء الله واللام لطفه و الميم مجده الألف سنة و اللام ثلاثون سنة و الميم أربعون سنة). (٤)

و هذه الطريقةُ معروفةٌ في كلامِ العرب أنْ يذكروا الحروف الواحد من الكلام دلالة على ما وراءها كقول الشّاعر:

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٦٣

(٢) ينظر: تفسير ابن المصنف : التيسير في التفسير: (ورقة: ٩)

(٣) لا زال الكلام متصلا عن قول الربيع بن أنس.

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٠٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٣ و ٢ / ٥٨٤ و ينظر الدر المنثور: ١ / ٢٢

فقلت لها قِفي فقالت قافْ   لا تحسبي أنّا نَسِينا الإيجافْ [١]

أراد وقفت .

و كقول الآخر [٢] :

بالخير خيراتٍ [٣] و إن شراً فا   ولا أريد الشر إلا أن تا

يريد و إن شرّا فشرا و لا أريد الشر إلا أن تشاء فاكتفى بالفاء على [٤] قوله فشرّا و عن تشاء بقوله تا.

وقال آخر:

نادوهم أن أَلجِموا ألا تا   قالوا جميعا كلُّهم ألا فا [١]

---

[١] الرجز للوليد بن عقبة: جامع البيان للطبري: ١ / ٢١٦ وهو فيه غير منسوب، و شرح شواهد الشافية: ٤ / ٢٧١ و الصاحبي: ص٩٤ و الخصائص لابن جني: ١ / ٣٠ و لسان العرب: وقف: ٩ / ٣٥٩ وتفسير الثّعلبي: ١ / ١٣٨ والمحرر الوجيز: ١ / ٨٢

[٢] البيت في الكتاب : ٣ / ٣٢١ و جامع البيان للطبري: ١ / ٢١٧ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢٤٣ غير منسوبٍ و معاني الزّجّاج: ١ / ٦٤ منسوبا للقيم بن أوس برواية : إلا أن تاءَ و للنحويين برواية أن تا .كذا فصّله الزّجّاج و هو في سر صناعة الإعراب غير منسوبٍ: ٢ / ٨٥ ورواه بالهمزة وبعدها ألف : فأا وتأا . و بيّن أن أبا علي – الفارسي – أنشده كذلك بالهمزة بأا و تأا و أنشده أيضا : فا و تا بألف و احدة، و نسبه البغدادي في شرح شواهد الشافية إلى لقيم بن أوس: ٤ / ٢٦٤ وقال – بعد أن أطال في نقل كلام النحاة الذين رووه كما ذكرته منهم سيبويه و غيره مع غيرهم من المفسرين – قال إنّ أبا زيد أنشده في نوادره : فذكره في أبياتٍ عينية آخرها عينٌ و بين أنَّ الرواية الصحيحة فيه: فأا و تأا بهمزة للتتناسب مع العين وبين أن ابن عصفور و أبا حيان في بعض كتبهم النحوية رروه على الصواب. وينظر لسان العرب: (معى): ١٥ / ٢٨٨

[٣] في النسخة ل : خيارات . خطأ

[٤] كذا في النسخة : (ل) : و لو قال عن لكان أوضح كمثل قوله : وَ عن تشا.

المعنى نادوهم أن ألجموا ألا تركبون قالوا ألا فاركبوا وقد افتتح الله كثيرا من السور بمدح نفسه كقوله : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [في عدة مواضع منها الأنعام:١] و ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ ﴾ [الإسراء:١] و افتتح كثيرا من السور بالقسم بأشياء فهذه السّورة من تلك الجملة يشير بهذه الحروف إلى القسم و إلى أسمائه و جميع ما قِيلَ فيه.

وروى الكلبي عن أبي صالح [٢] عن جابر بنِ عبد الله قال:

مرّ أبو ياسر بن أخطب برسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم و هو يتلو فاتحة سورة البقرة : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ﴾ فأتى أخاه حُييّ بن أخطب في رجالٍ من اليهود فقال تَعلمون و الله لقد سمعت محمّداً يتلو فيما أنزل عليه ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ فقالوا أنتَ سمعتَهُ؟ فقال: نعم. فمشى حُيَيّ بن أخطبَ في أولئك النفر من اليهود إلى رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم فقالوا يا محمّد، ألم يُذْكَرْ لنا أنّكَ تتلو فيما أنزل عليك ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ فقال رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم : ((بلى)) . فقالوا أجاءك به جبريلُ من عند الله فقالَ نعم. [٣]

فأقبل حُيَيّ على من كان معهُ فقال الألف واحدة و اللام ثلاثون، و الميم أربعونَ، فهذه إحدى وسبعون سنة أفتدخلون في دين نبيٍّ مدة ملكه و أَجَل أمته إحدى وسبعون سنة، ثم أقبل على رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم فقال يا محمّد، هل مع هذا غيره؟ قال: نعم.

---

[١] تفسير الثّعلبي: ١ / ١٣٨ ، و زاد المسير: ١ / ٢١ ،و شرح شواهد الشافية: ٤ / ٢٦٧ ،وتفسير القرطبي: ١ / ١٥٦ .

[٢] اختصر المصنف سنده ينظر: الصفحة الآتية.

[٣] في تفسير الطبري هنا زيادة و هي: (قالوا : لقد بعثَ الله قبلك أنبياء ما نعلمه بيّن لنبيٍّ منهم ما مدة ملكه، و ما أُكْلُ أمته- رزق – غيرك). تفسير الطبري: ١ / ٢٢١ .

قال: ماذا ؟قال: المص قال هذه أثقلُ و أطولُ، الألف واحد و اللام ثلاثون و الميم أربعـون والـصاد تسعون فهذه إحدى و ستون و مائة سنة.

فهل مع هذا يا محمّد غيره فقال نعم قال ماذا قال : ﴿ الٓر ﴾قال هذه أثقل و أطول الألـف واحـدة و اللام ثلاثون و الراء مائتان فهذه إحدى و ثلاثون ومائتا سنة فهل مع هذا يا محمّد غـيره قـال نعـم ﴿ الٓمٓر ﴾ [الرعد:١] قال فهذه أثقل و أطول الألف واحدة و الـلام ثلاثـون والمـيم أربعـون و الـراء مائتان فهذه إحدى وسبعون و مائتا سنة ثم قال يا محمّد لقد لُبّس علينا أمرُك حتى ما نـدري أقلـيلا أعطيتَ أم كثيرا ثم قاموا عنه.

فقال: أبو ياسر لأخيه و من معه ما يدريكم لعله قد جُمِعَ هذا لمحمّد كلـه فـذلك قولـه: سـبع مائـة و أربع و ثلاثون سنة [١]فقـالوا لقـد تـشابه علينـا أمـره فـأنزل الله تعـالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ ﴾ الآية [آل عمران:٧]. [٢]

وروي أنهم لما قالوا : (كيف ندخل في دين رجل منتهى أجل أمته إحدى وسبعون سنة قال عمر: و ما يدركم قالوا أخذنا من حساب الجمّل [٣] فضحك رسول الله ﷺ) [٤] .

فهذا يدل على أنّ هذه الحروفَ ليست من الجُمّل و أنّ اليهود أخطأوا في ذلك.

---

(١) في النسخة (ل) : سبع مئة و أربع سنين سنين. ثم ذكر في هامشها ما أثبتُّه و هـو موافـق لـما في تفـسير الطبري .

(٢) أخرجه من طريق محمّد بن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس عن جابر بن عبد الله بـن رئاب :البخاري معلقا من طريق ابن إسحاق: التـاريخ ٢ / ٢٠٨ و ابـن هـشام في الـسيرة: ١ / ٥٤٥ و الطبري : ١ / ٢٢١ – ٢٢٢ و الداني في البيان: ٣٣٠ و الـسيوطي في الـدر: ١ / ٥٧ و الكلبـي واهٍ كـما تقدّم. و قد ضعف ابن كثير الحديث: ١ / ٥٩

(٣) ينظر: ما تقدّم في بيان معنى حروف الجمّل: صـ ٣٧٤ .

(٤) ينظر ما سبق و تفسير نجم الدين عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٢٩) و تفسير أبو نـصر عبد الرحيم القشيري ابن المصنف: ورقة (٨).

وهذه الحروف أعني حروف الهجاء التي في القرآن مثل:

﴿ الٓمٓ ﴾ و﴿ الٓر ﴾ و﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ و ﴿ حمٓ ﴾ و غيرها الأصل فيها أنّها على الوقف، و كذلك الحروف المقطّعة إذا ذُكرت لم تجرِ مجرى الأسماء، و لم يسند إليها الحديث فهي على الوقف تقول: ألفْ با تا ثا كما تقول في العدد، واحدٌ ، اثنان، ثلاثة، أربعة، فإذا كان في الإدراج قلتَ ثلاثةٌ يا هذا و كذلك تقول في التسمية هذه كافْ حسنة يا هذا وتقول كاف حسنٌ يا هذا فمن أنَّثها فلمعنى الكلمة، و من ذكره فلمعنى الحرف و إنما بُنيت هذه الحروف على الوقف لأنها لا تُجري مجرى الأسماء المتمكّنة ولا مجرى الأفعال المضارعة، و إنما هي تقطيع الاسم المؤلف الذي لا يجب الإعراب إلا لكماله فإن أُجريت هذه الحروف مجرى الأسماء أُعربت كما قلنا هذه كافٌ حسنة ولامٌ حسنة. (١)

و قد أُعرِبتْ بعض هذه الحروف في أوائل السور كما يروى عن الحسن(٢) : أنه يقول:
(صادِ و القرآنِ)بكسر الدال فمن النّاس من قال إنه ليس بحرفٍ و إنه أمر من المصاداة أي اقصد القرآن بعلمك أي تعمّده.

قال الزَّجَّاج: يجوز أن يُكسر لالتقاء الساكنين و قرأ عبد الله بن أبي إسحاق (قاف) بالكسر و(صادِ) كسره لالتقاء السَّاكِنين، (٣)

و قرأ عيسى بن عمر (صادَ و القرآن) بالفتح و (نون و القلم) و (قافَ) بالفتحِ لالتقاء السَّاكنين. (٤)

---

(١) معاني القرآن للأخفش: ص٢٣ ومعاني الزّجّاج: ١ / ٦٠ و الكشاف: ١/ ١٢٨

(٢) معاني الزّجّاج: ١ / ٦٤ و فيه هذا التوجيه و قد نسب القراءة بذلك للحسن و لابن أبي إسحاق وقد نسبت أيضا إلى أبي بن كعب: المحتسب: ٢ / ٢٣٠ و فيه نسبتها للثلاثة. و في مختصر الشواذ لابن خالويه نسبتها للحسن و أبي السمّال و ابن أبي إسحاق: ص١٢٩

(٣) معاني الزّجّاج: ١ / ٦٤.

(٤) معاني الزّجّاج : ١ / ٦٥ و المحتسب: ٢ / ٢٣٠ و مختصر الشواذ لابن خالويه ص١٢٩

قال الزَّجّاج: و الفتح مختار مع الألف لالتقاء الساكنين لأن إتباع الفتحةِ الفتحةَ كإتباع الضمةِ الضمةَ. و قوله ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ لم تبيّن فيه النون أعني من العين فكذلك لم تبيّن النون من ﴿ حمٓ ۝ عٓسٓقٓ ﴾ [الشورى:١، ٢] لقرب مخرجها من السين و الصاد. [١]

و قُرئ (نون و القلم) بتبيين النون و إخفائها جميعا لأن النون بعدت عن الواو قليلا فلهذا جاز تبيينه. [٢]

و قوله ﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:١، ٢] فتحت الميم، و أصله الوقف [٣] .

و قد اختلفوا فيه فقال الفرّاء: [٤] إنما فُتِحتْ لأنه طُرِحت عليه ألفُ الوصْلِ منَ الله لما طُرِحتْ همزتُها. و حكى الفرّاء عن أبي جعفر الرُّؤاسي أنه قرأ ﴿ ألم الله ﴾ بقطع الهمزة و حكى عن عاصم أيضا أنه قرأ كذلك في بعض الرِّوايات عنه. [٥]

و قال الزَّجّاج إنما فُتحت الميم من قوله ﴿ الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ ﴾ لأنه اجتمع ثلاث سواكنَ و لم يمكن النطق بثلاث سواكن متواليات البتة و تلك السواكن الياء و الميم و لام الله ففتحوا الميم و إنما لم يكسروها لأن الساكن إذا حرك و قبلها ياء فإنما يُحرّك إلى الفتحة لاستثقالهم الكسرة

---

[١] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٦٥ – ٦٦

[٢] معاني القرآن للأخفش: ص٢٧ و الزّجّاج: ١ / ٦٦ و القراء مختلفون في إدغام النون في (نون و القلم) و الخلاف فيه كالخلاف في (يس و القرآن) فأدغم النون في الواو من (نون و القلم) الكسائي و يعقوب و خلف و اختلف عن ورش و عن عاصم و البزي و ابن ذكوان: النشر: ١ / ١٨ والحجة لأبي علي الفارسي: ٤ / ٥٦

[٣] أي الإسكان.

[٤] معاني القرآن للفراء: ١ / ١٧

[٥] معاني القرآن للفراء: ١ / ١٧ قال الزّجّاج و من رواه عن عاصم فليس بصحيح في الرواية: معاني القرآن : ١ / ٦٦

بعد الياء و ذلك في نحو كيف و أين و ما أشبهه و من الدليل على أن هذه الحروف على الوقف في قول الشاعر :

تخط رجلاي بخطٍّ مختلف   و تكتبان في الطريق لامَ أَلِفْ [١]

فإذا ثبت أنهم أجمعوا على أنها في الأصل على الوقف فقد اختلفوا في محلها من الإعراب، فقال الزَّجَّاج: ومن وافقه لا محل لها من الإعراب لأنها حكايات وُضِعت على هذه الحروفِ و لم تجر مجرى الأسماء المتمكنة و لا مجرى الأفعال المضارعة و إنما هي كقولهم : غاقٌ يا فتى إذا حكوا صوت الغراب فهذه الحروف و إن كانت إشارة إلى معان فلا موضع لها من الإعراب. [٢]

و من قال إنها أسماءٌ للسور و القرآن، قال محلها رفعٌ كأنه قِيلَ: هذه ﴿ الٓمٓ ﴾ كما تقولُ هذه سورةُ البقرة أو يكون رفعاً على الابتداء، و خبرُهُ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾[٢] كما تقولُ زيد ذلك الرجل، و يحتملُ أن يكون رفعاً على أنّه خبرٌ مقدَّم كأنه قال ذلك الكتاب الذي وعدتك أنْ أُنزِله إليك ﴿ الٓمٓ ﴾. [٣]

و قال محمّد بن جرير على قول من قال إن كل حرف منها موضوع لمعان كثيرة و إن الله تعالى (٣٢ و) افتتح السّورة بها و جعل تحت كل حرف معاني كثيرة فالألف و اللام و الميم في أماكن

---

[١] البيت لأبي النجم: في الموشح للمرزباني: ص ٢١١ ولسان العرب: ١ / ٦٨٩ (كتب) و ٧ / ٢٨٨ و ٩ / ٦٢ و خزانة الأدب : الشاهد السابع. و غير منسوب في معاني الزّجّاج: ١ / ٦١

[٢] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٦١

[٣] و تلخيص الأقوال فيها من جهة إعرابها: أنها ستة أقوال: وتلخيصها: أنها لا محل لها من الإعراب أو لها محلٌّ و هو إما الرفع بالابتداء أو بجعلها خبراً أو النصب بإضمار فعلٍ أو حذف حرف القسم أو الجر بإضمار حرف القسم: إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٧٧ و إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري(التبيان) ١ / ١٠ و الدر المصون: ١ / ٨٩ .

الرفـع مرفـوع بعـضها بـبعض ويكـون ذلـك الكتـاب خـبر مبتـدأ منقطعـا عــن معنــى ﴿ الٓمٓ ﴾ [١].

قوله:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ أكثر المفسرين عـلى أنّ معنـى ذلـك الكتـاب هـذا الكتـاب [٢] منهم ابن عبّاس [٣] ومُجاهد [٤] و عكرمة [٥] والسُّدّي [١] و ابن جُريج [٢] ومحمّد بن جرير الطبري [٣] و به قال أبو عُبيدة [٤] و الأَخْفَش [٥] قالوا:-

---

[١] و ههنا مقام آخر، و هو متعلّقٌ ببيان حكم الوقف عليها فإن ذلـك يَتْبَـعُ إعرابهـا و معناهـا، و لكـون المصنف أيضاً بسط القول في الحروف المقطّعة فالتنبيه على مسألة الوقف عليها مما يتمِّم مقصود المصنف فالإمام الداني رحمه الله تعالى يقول: (الوقف عليها تامٌّ إذا جعل اسما للسورة والتقدير ((اقرأ الم)) أو جعل على تأويل أنا الله أعلم وذلك الاختيار) اهـ. المكتفى في الوقف و الابتداء ص ١٥٨ و من قال إنها تنبيه مثل : (ألا) كما تقدّم حكايته أو هي قسمٌ فعندهم لا يوقف عليها لأنها متعلِّقة بما بعدها لحصول الفائدة فيه.: القطع و الائتناف ص ١١٠ و منهم من يجعل الوقف عليها كافيا ليس بتامّ فيقف على (الم) ويكون الوقف عليها كافيا وهذا قول أبي حاتم حكاه عنه ابن النحاس ، ودليله في ذلك أنه لا يدري ما معنى حروف المعجم فجعل الوقف كافيا ، لأن ما بعدها مفيد ، ولم يجعله تاماً لأنه إذا وقف عليه لم يعرف معناه وهذا قول قوي من جهة النظر لأنه نظر فيه إلى معناها في نفسها ومعنى ما بعدها فلما رأى ما بعدها لا يتوقَّفُ فهم معناه على هذه الأحرف جعل الوقف عليها كافيا، ولم يجعله تاما لأنها لا يُفهم منها عنده معنى واضح وقريب من هذا القول قول السجاوندي رحمه الله تعالى: (إن الوقف على ﴿ الٓمٓ ﴾ جائز قال : (للاختلاف) اهـ . يعني لاختلافهم في معناها وإعرابها. علل الوقوف : ١ / ١٧٣

[٢] نسبه الطبري إلى عامة المفسِّرين: جامع البيان للطبري: ١ / ٢٢٨ طبعة دار هجر، ونسبه الواحدي إلى كثير من أهل التفسير : الوسيط: ١ / ٧٦

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٢٩ و تفسير الثعلبي: ١ / ١٤١ و تفسير ابن كثير: ١ / ٦٠

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٢٨

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٢٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٣

إنَّ أهل اللغة يقولون ذلك ، و مرادُهُم هذا كما يقولون (هذا) و يعنون (ذلك) و إنما يجوز أن يوضَع ذلك موضع هذا لما مضى و قَرُب وقت تقضِّيه أو تقَضَّى ذكْرُهُ فأما الموجود الحاضرُ فلا يُقال فيه ذلك لا يقولُ من ذلك الذي عندك و أنتَ تراه بعينك، و قد قال بعض المحققين إن الأصل فيه أنّ ذلك لِمَا بعُد و هذا لما قرب وذاك لما بين القريب و البعيد[٦] فيصلح فيما تقضى مما قرب وقته: ذلك، و هذا ،فأما ذلك فلأنّه قد دخل بالتقضِّي في أبعد البعيد و أما هذا فلقرب وقته و كذلك يصلح في المنتظر: هذا و ذلك، أما (ذلك) فلبعده وأمّا (هذا) فلأنّ الموعود قريبٌ بالوعد لأن الوعد إذا كان صادقا و العلم إذا كان بالآتي متحقِّقَاً فكأنه آت.

و دخول الّلام في ذلك لأجلِ التأكيد، و الاسم (ذا)و الكاف للمخاطبة و لاحظّ لها في الإعراب ألا ترى أنك تقول ذانك فلو كان للكاف حظٌّ من الأعراب لكان خفضا بالإضافة

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٢٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٣ (٥٣)

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٢٩

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٢٩

[٤] مجاز القرآن: ١ / ٢٨

[٥] معاني القرآن للزجاج: ١ / ٦٧ . قلت: و بهذا قال أيضاً: سعيد ين جبير ومقاتل بن حيّان والكسائي: وهو في تفسير ابن أبي حاتم : ١ / ٣٣ عن سعيد و مقاتل بن حيّان و لم يسنده، وفي تفسير نجم الدين عمر النسفي التيسير في التفسير عن مقاتل بن حيان و عن الكسائي (ورقة ٣٠): و ينظر: زاد المسير: ١ / ٢٣ .

[٦] هذا للمنادى القريب و ذلك الأصل فيه أن يكون للمنادى البعيد و الغائب، وذلك لأن أسماء الإشارة منها ما وُضِع للقريب و منها ما وُضع للمتوسط و منها ما وُضع للبعيد و من النحاة طائفة يرجِّحون تقسيمها إلى مرتبتين: ما وُضع لقريب و بعيد فقط. و تفصيل هذا في كتب النحو و معاني الحروف ينظر: شرح جمل الزّجّاج لابن عصفور: ١ / ١٤٩ و البحر المحيط: ١ / ٣٢ و همع الهوامع للسيوطي: ١ / ٢٤٦

وكان لا يثبت النون في ذانك لأن نون التثنية لا يثبت في الإضافة بل يسقط، و كان الأصـل في هذه اللام التي في ذلك السكون إلا أنه كُسِرت لالتقائها مع ألـف ذا وهـي سـاكنة ويجـوز أن يثبت ها مع ذاك فتقول : هذاك ولا يجوز أن تثبتها مع ذلك فلا يحسن أنْ يقـول: هـذلك لأنّ اللام أغنت في باب التأكيد عن ها. (١)

و قد وُجِدَ في كلام العرب ذلك بمعنى هذا قال خُفاف السُّلمي :

أقولُ لَهُ و الرُّمحُ يأطِرُ بيننا   تأمّل خُفَافا إنني أنا ذلكا (٢)

يعني به نفسه أي تأمّلني و أنا هذا.

و قد وجـد في القـرآن ذلـك بمعنـى هـذا كقولـه: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ﴾ [النـساء:٢٥] يعنـي هـذا الحكـم في النـساء لمـن خـشي العنـت مـنكم ، وقولـه ﴿ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ﴾ [المجادلـة:٣] و﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى ﴾ [إبـراهيم:١٤] يعني هذا الوعد صحَّ عن الحسين بن الفضل(٣).

و قال محمّد بن جرير: إنما أشارَ بقوله (ذلك الكتاب) إلى ما تقدّمه و مضى من قولـه لأن كلَّ ما تقضّى و قرُب تقضِّيه من الأخبار فهو في حكم الحاضر كالرجل يُحدّث الرجل الحـديث فيقول السامع إن ذلك و الله لكما قلتَ و هذا والله كما قلتَ و هو و الله كما ذكرت و يخـبر مـرة

---

(١) معاني الزّجّاج: ١/ ٦٨ وشرح الكافيـة الـشافيةلابن مالـك: ١ / ٣١٧ و إمـلاء مـا مـنّ بـه الـرحمن للعكبري(التبيان) ١ / ١٠ و البحر المحيط: ١ / ٣٢ و همع الهوامع للسيوطي: ١ / ٢٤٦

(٢) البيت لخُفاف بن ندبة: الشعر و الشعراء لابن قتيبـة: ١ / ٣٤٢ والأغـاني: ٢ / ٣٢٩ و ١٣ / ١٣٤ و الإنـصاف: ٢ / ٧٢٠ و النكـت و العيـون للماوردي: ١ / ٦٧ و المنـصف: ٣ / ٤١ و خزانـة الأدب للبغدادي: ٥ / ٤٣٨. و شطره في همع الهوامع بلا نسبة: ١ / ٢٥٣ وروايته في عـدد مـن المـصادر: يـأطِرُ متنه. ومعنى يأطِرُ: يَثْنِي و يعطِف: لسان العرب: ((أطر)): ٤ / ٢٤ و القاموس المحيط: ((أطر)).

(٣) لم أهتد إلى من نقله عن هذا الإمام، و قد تقدمت ترجمته: صـ ١٦٠ .

عنه بمعنى الغائب إذا كان قد تقضَّى ومرة بالحاضر لقرب جوابه من كلامه كأنه غير متقضٍّ فكذلك لما ذكر الله سبحانه ﴿الٓمٓ﴾ التي ذكرنا تصرفها من المعاني على ما وصفنا قال يا محمّد هذا الذي ذكرتُه وبينته لك الكتاب فحسُن وضع ذلك في موضع هذا. (١)

وقال الزَّجَّاج: (٢) معناه القرآنُ ذلك الكتاب الذي وُعِدوا به على لسان موسى وعيسى عليهما السلام، و دليل ذلك قوله : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [البقرة:٨٩] وقال ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ الآية [البقرة:١٤٦، الأنعام:٢٠] فالمعنى هذا ذلك الكتاب قال و هذا كما تقول أنفقت ثلاثة و ثلاثة فذلك ستة و إن شئتَ قلتَ فهذا ستةٌ قال الله تعالى في قصة فرعون ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [النازعات:٢٥] ثم قال ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ [النازعات:٢٦] وقال في موضع آخر ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾ [الأنبياء:١٠٥] إلى قوله ﴿ عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٦]. (٣)

وقِيلَ ذلك الكتاب الذي أخبرتك أن أوحيه إليك (٤) أو ذلك الكتاب الذي وعدتك يوم الميثاق لا ريب فيه. (٥)

و قِيلَ أنزل الله سبحانه قبل سورة البقرة سوراً كثيرة من القرآن كذَّب بها المشركون فقال الله تعالى ذلك الكتاب الذي سبق إنزاله إنزال هذه السّورة لا ريب فيه أي ما مضى من القرآن

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٢٩

(٢) نسبه الزّجّاج إلى النحويين فقال قال غيرهما من النحويين – يعني الأَخْفَش و أبا عبيدة-: ١ / ٦٧

(٣) هنا انتهى كلام الزّجّاج و بعضه منقول بالمعنى : معاني القرآن: ١/ ٦٧

(٤) و بهذا قدّره في أحد الوجهين الفرّاء: ١/ ١٨

(٥) ينظر: تفسير نجم الدين عمر النسفي مخطوط: التيسير في التفسير: (ورقة ٣٠) .

نزوله. [١] و قِيلَ ذلك الكتاب يريد به التوراة [٢] والإنجيل لا شك في أنه منزّل من السماء [٣] و قال بعضهم يريد بالكتاب اللوح المحفوظ أي ما كُتِبَ فيه من الشقاوة و السعادة والكوائن لا شك في أنها كما كُتِبت . [٤]

وقال الزَّجَّاج: و موضع ذلك رفع لأنه خبر الابتداء على قول من قال معناه هذا القرآن ذلك الكتاب، و الكتاب رفعٌ يسميه النحويون عطف البيان نحو قولك هذا الرجل أخوك فالرجل عطف البيان أي مبيَّن بمن الذي أشرت إليه.

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٣٠ ذكره احتمالا و عزاه بعض المفسرين إلى ابن كيسان النحوي منهم : الثعلبي في تفسيره: ١ / ١٤١ و عزي أيضا إلى الأصم: النكت و العيون: ١ / ٦٧

[٢] كتبت في النسخة ل : التورية في جميع المواضع. و ذلك على قراءة الإمالة.

[٣] القول بأن الإشارة إلى التوراة و الإنجيل بعيد جداً بل الإشارة إلى القرآن و سياق الآية بيّن في هذا،و قد ضعّف ابن كثير هذا القول وبين أنه تكلّف من قائله و قول بلا علم: تفسير ابن كثير : ١ / ٦٧ .
و هو قول مروي عن بعض السلف: تفسير الثّعلبي: ١ / ١٤١ و تفسير نجم الدين عمر النسفي: التيسير في التفسير: (ورقة ٣٠) و قد نسبه الطبري إلى بعضهم:
جامع البيان للطبري: ١ / ٢٣١ و ذكره الماوردي بلا نسبةٍ: النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٦٧ وليس كلُّ ما روي يصح و لا كل ما قِيلَ يقبل هذا مع أنّ أكثر أقوال السلف على خلافه، و الراجح أنّ المقصود بالكتاب القرآن و قد نسبه نجم الدين النسفي إلى الجمهور وقال إنه هو الأشهر و الأظهر: تفسير نجم الدين عمر النسفي (ورقة ٣٠).

[٤] تفسير الثّعلبي: ١ / ١٤١ و تفسير نجم الدين عمر النسفي :(ورقة ٣٠) وتفسير القرطبي: ١ / ١٥٧ . و الخلاصة أن قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ إما أنْ يكون بمعنى هذا الكتاب فلا إشكال أو يكون ﴿ذَٰلِك﴾ إشارة إلى غائب ثم يرد الخلاف في توجيه المعنى إذا كان ﴿ ذَٰلِك﴾ للغائب فذكر المفسرون و جوها ذكر كثيرا منها المصنّف و ذكر طائفة منها الطبري و غيره ولخصها القرطبي في عشرة أوجه بعضها ذكره بلا عزو : تفسير القرطبي: ١ / ١٥٧

و من جعل ذلك خبرا عن﴿ الٓمٓ ﴾ قال موضعه رفع و ﴿ الٓمٓ ﴾ في محل الرفع على الابتـداء و ذلك في موضع الرفع على الخبر ومن قال ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ يعنـي الـذي مـضى قـال ﴿ذَٰلِكَ﴾ رفع على الابتداء و خبره في قوله : ﴿ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ ﴾. [١]

قوله: ﴿ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ ﴾ الريب الشكّ و معناه لا شكّ فيه [٢] أنه من عندي و قِيـلَ لا شـك فيه أنه هدى للمتقين و الريب مصدر رابني ريباً إذا علمـتُ منـه الريبـة و أرابنـي إذا أوهمنـي الريبة [٣] و قال الشاعر :

أخوك الذي إنْ رِبتَه قال إنّما ... أَرَبْتُ و إنْ عاتبتَه لان جانبه [٤]

فإن قِيلَ كيف قال: ﴿ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ ﴾ و قد ارتاب فيه المرتابون قِيلَ معناه إنه حقٌّ نفسه وإنـه صدق و إن ارتاب به المبطلون فالريب نُفِي عن الكتاب بمعنى أن العِوج والبطـول والكـذب منتف عنه وهذا كما قال القائل :

---

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٦٨ و إعراب القرآن لا بن النحاس: ١ / ١٧٨ و القطع له: ١ / ٣٢ والدر المصون: ١ / ٨٩

(٢)قال أبو محمّد ابن أبي حاتم : ١ / ٣٤ :(ولا أعلم في هذا الحرف اختلافا بين المفسرين منهم ابن عبّـاس ،وسعيد بن جبير ،وأبو مالك ونافع مولى ابن عمر،وعطاء بن أبي رباح ،وأبو العاليـة ،والربيـع بـن أنـس ،وقتادة ،ومقاتل بن حيان ،والسدى ،واسماعيل بن ابي خالد) اهـ.

(٣)معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٦٩ و الحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ١٢٧

(٤) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٦٩ و لم ينسبه و هو في دلائل الإعجاز للجرجاني غير منسوب: ١ / ١٤٨ و يروى لبشار من قـصيدة ذكرهـا ابـن المعتـز في طبقـات الـشعراء: صــ ٢٢٠ أو للمـتلمس الضبعي كما في اللسان: ج١/ ص٤٤٣ .ورُوِيَ : وَإِن لايَنتَهُ لانَ جانِبُه. وفي لسان العرب – ابـن منظـور ج١/ ص٤٤٣ : (والرواية الصحيحة في هذا البيت أَربتُ بضم التاء أي أخوك الذي إن ربته بريبة قال أنا الذي أربت أي أنا صاحب الريبة حتى تتوهم فيه الريبة)اهـ.

ليس في الحق يا أمامةُ ريبٌ   إنما الرَّيبُ ما يقول الكَذُوب [١]

فنفى الريب عن الحق و إنْ كان المتقاصِرُ في العِلمِ يرتاب فيه [٢] و قِيلَ إنّه خبر في معنى الأمر و معنـــاه لا ترتـــابوا [٣] كقولـــه: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٩٧]. وقِيلَ معناه لا ريب فيه أنه هدى للمتقين.

ونصب ﴿رَيْبَ﴾ بلا على التبرِئة والنفي وقال سيبويه (لا) تعمل فيما بعدها فتنصب بها بغير تنوين كما تعمل فيما بعدها (أنَّ) تنصب ما بعدها بالتنوين [٤]

و إنما شَبَّه ((لا)) بـ((أنّ)) في مقتضى النصب في ما بعدها لأنّ (أنّ) للتحقيق في الإثبات ولا في النفي فلما كان مقتضى (لا) نقيض مقتضى أنْ أجري مجراه في الإعمال و قِيلَ لا مع ما بعده يشبَّه بخمسة عشر كأنهم جعلوا لا مع ما بعده بمنزلة اسمين جعلا اسما واحدا ، ولذلك لم ينوَّن و بني على الفتحة. [٥]

---

[١] تقدم البيت في مقدمة الكتاب .

[٢] تفسير القرطبي: ١ / ١٥٧ و التفسير الكبير للرازي: ٢ / ١٨ و الكشاف: ١ / ٧٥ و تفسير أبي السعود: ١ / ٢٤ و روح المعاني: ١ / ١٠٦

[٣] تفسير الثّعلبي: ١ / ١٤٢ وتفسير السمعاني: ١ / ٤٢ و تفسير القرطبي: ١ / ١٥٧ والتفسير الكبير للرازي: ٢ / ١٨ و الكشاف: ١ / ٧٥ و تفسير البيضاوي: ١ / ٩٧ و تفسير أبي السعود: ١ / ٢٤ و روح المعاني: ١ / ١٠٦

و قِيلَ هو عموم يراد به الخصوص أي عند المؤمنين و ضعفه ابن عطية: ١ / ٨٣

[٤] عبارة سيبويه أوضح هنا فإنه قال: (((لا)) تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين، و نصبُها لما بعدها كنصب إنْ لما بعدها و ترك التنوين لما تعمل فيه لازمٌ)اهـ. الكتاب: ٢ / ٢٧٤ والزّجّاج نقله بأوضح مما نقلها المصنّف: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٦٩ و المقصود أن (لا) النافية للجنس تنصب مثل إنّ اسمها و ترفع الخبر لكنّ اسمها لا ينوّن. وينظر: على سبيل المثال: الدر المصون: ١ / ٨٩

[٥] الكتاب لسيبويه: ٢ / ٢٧٤ و مغني اللبيب: ١ / ١٩٤ و ما بعدها.

و في ﴿ فِيهِ هُدًى ﴾ أربعةُ أوجه من القِرَاءات في اللغة قرأَ بوجهين :

(فيهِ هُدى) و(فيهي هدىً) . و الوجهان الآخران من حيث اللغة: فيهُو هدىً و فيهُ هدىً بضم الهاء وحذف الواو. [١]

فأما (فيهو) فعلى الأصل. [٢] و أما (فيهي) بإثبات الياء فلأن الهاء كانت خفية فصارت بمنزلة ياء ساكنة بعدها واو فقلبت ياء على قياس سيّد و ميّت. [٣]

و أما (فيهُ) بضم الهاء مع حذف الواو فإنما حذفت الواو لسكونها و كون الياء قبلها و الهاء بينهما ليس بحاجز حصين، و أما فيهِ بكسر الهاء و حذف الياء و إنما حُذف الياء لمثل العلة في

---

[١] تابع المصنف الزّجّاج فقد ذكر في معاني القرآن: ١ / ٦٩ أربعة أوجه و لكنه لم يجز منها إلا الأوّل هنا، بخلاف المصنف. والقراءات في قوله: ﴿ فِيهِ هُدًى ﴾. قرأ ابن كثير و ابن محيصن بإثبات الياء بعد الهاء المكسورة إذا لقيت متحركا في الوصل كما هنا و مثلها: عليه و إليه و نظائرها في جميع القرآن ووافقه حفصٌ في آية واحدة: ﴿ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان: ٦٩] و قتيبة عن الكسائي في موضعين من القرآن ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر: ٢٦] و ﴿ فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا ﴾ [الانشقاق :٦ ، ٧] و الباقون بالاختلاس يعني بترك إشباع الكسرة أو الضمة كقراءة حفص في جميع الموضع غير الموضع المشار إليه ،وأدغم الهاء في الهاء أبو عمرو بخلف عنه و كذا يعقوب . السبعة: ١٣٠ و الروضة لأبي علي: ٢ / ٥٢٤ وغاية الاختصار لأبي العلاء الهمذاني: ١ / ٣٧٨ و اتحاف فضلاء البشر: ١٢٦

[٢] لأنّ الأصل في هاء الكناية الضم: معاني القرآن للزجاج ١/ ٥٦ عند كلامه على عليهم . و الحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ١٤٤ و الدر المصون: ١ / ٩٢

[٣] معاني القرآن للأخفش: ص٢٩ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٨٠ ومعاني القراءات للأزهري: ٣٦ والحجة لأبي علي : ١/ ١٤٤ و الكشف عن وجوه القراءات السبع. وهي لغة وجّهوها بما ذكره المصنف.

حذف الواو. [١] و أخفُّ الوجوه كسرُ الهاء وحذفُ الياء و ليس فيه إخلالٌ بالمعنى.[٢]
والقُرّاء على ذلك إلا قراءة ابن كثير (فِيهِي [٣]) .
فأما ﴿فِيهِ هُدًى﴾ بإدغامٍ فجائز من حيث إن الحرفين من جنس واحد إلا أنه رَديء لأنه مستثقلٌ و حُرُوفُ الحَلْقِ ليستْ بأصلٍ في باب الإدغام و لأنَّ الحرفين من كلمتين إلا أنّه في

القياس جائز وكذلك حكى الأَخْفَش [٤] أنّ ذلك قراءةٌ. [٥]
قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي بيان للمتقين و جاء في التفسير نورٌ و ضياء و رشدٌ [٦]
و الهدى مصدرُ هديته للطريق أي أرشدته. [٧]

---

[١] معاني القراءات للأزهري: ٣٦ والحجة لأبي علي : ١/ ١٤٢ و الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٤٢ والدر المصون: ١ / ٩٣

[٢] و هي قراءة أكثر القراء كما تقدم و كما أشار المصنف. و اختارها الزّجّاج : معاني القرآن: ١ / ٦٩ و الأزهري: معاني القراءات: ٣٧

[٣] تقدّم ذكر من قرأ بذلك غير ابن كثير كابن محيصن في الشواذ ومن وافقه في كلمة أو كلمات معدودة. و قد قال مكي أيضا هو مذهب كل القراء إلا ابن كثير : (الكشف ١/ ٤٢)

[٤] معاني القرآن للأخفش: ص٣٠

[٥] هذا كله كلام الزّجّاج: ١ / ١٤٣ و هي قراءة قرأ بها أبو عمرو البصري بخلف عنه و تقدّم ذكرها قريبا عند ذكر القراءات في (فيه هدى). و ينظر لتوجيهها: إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٧٩ والحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ١٤٥

[٦] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٣٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٤ و الدر المنثور: ١ / ٢٤ و تفسير ابن كثير: ١ / ٦١

[٧] ينظر ما تقدّم للمصنف مع التعليق عليه عند تفسير قوله تعالى : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة: ٦] مع تفسير القرطبي: ١ / ١٦٠ .

و الاتقاء في اللغة الحجز بين الشيئين يقال اتقاه بتُرسه أي جعل الترس حاجزا بينه و بينه واتّقاه بحقه إذا وَفَاه و أعطاه فجعل الإعطاء وقاية بينه وبين خصمه عن نيله إياه بيده أو بلسانه و منه التّقيّةُ في الدِّين يجعل ما يظهره حاجزا بينه و بين ما يخشاه من المكروه فالمتقي هو الذي يتحرز بطاعته عن العقوبة و يجعل تقواه و اجتنابه عما نهي عنه و فعله لما أمر به وقاية وحاجزا بينه و بين العقوبة التي تُوُعِّد به العصاة. (١)

و المراد بالتقوى هاهنا الاتقاء من الشرك (٢) كأنه قال إن القرآن بيانٌ و هدى لمن اتّقى الشرك (٣) فخصّ المؤمنين بأن الكتاب لهم هدى دون الكفار الذين لم يهتدوا بهذا الكتاب ومن لم يجتنب الكبائر فهو داخل في جملة المتقين لأنهم قد استبصروا بالكتاب من حيث الإحاطة بمضمونه والإيمان بموجبه.

و قِيلَ إنَّ الكتاب بيان في نفسه و دلالة على الحق و لكنه أضافه إلى المؤمنين خصوصا لانتفاعهم به دون أغيارهم فالكفار لو تأمّلوا الكتاب لوجدوه بيانا فهو في كونه بيان في نفسه لا يتخصص بقوم دون قوم ولكنه أضيف إلى المؤمنين على الخصوص لانتفاعهم به دون الكفار كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴾ [النازعات:٤٥] والنبي ﷺ كان

---

(١) تفسير الثّعلبي: ١ / ١٤٢ و تفسير نجم الدين عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٣٤) و تفسير القرطبي: ١ / ١٦١ والتفسير الكبير للرازي: ٢ / ٢٠

(٢) الوسيط: ١ / ٧٩ وقد ضعّف الطبري هذا القول و اختار أنّ المعنى عامٌّ و أنهم اتقوا ما نهاهم الله عنه و اتقوا الله فيما أمرهم به من فرائضه : جامع البيان للطبري: ١ / ٢٣٩ .و ما اختاره الطبري هو الراجح تعميما للفظ على ما تقتضيه اللغة و تدلّ عليه الأصول و يقتضيه سياق المدح و الثناء عليهم، و قد أيّد ابنُ كثير قول الطبري: ١ / ٤١

(٣) كون القرآن هدى للمتقين المؤمنين دون الكفار هو الصحيح ووقع مصرّحا به في آيات من القرآن الكريم، و لا يدل ذلك على تخصيص التقوى بنوع معيّن كما تقدّم قريبا. ينظر: مثلا: جامع البيان للطبري: ١ / ٢٣٤ و أضواء البيان: ١ / ١٠

منذرا لمن يخشى و لمن لا يخشى و تسمية الكتاب بأنه هدىً مجاز و توسع و لكن لما كان الاهتداء يقع عند تأمّله و معرفته سمي هدىً كما سمّاه رحمة و شفاء. [١]

و قِيلَ إنما خصَّ التقوى بالذكر لأنه صفة عامة في جميع الطاعات و ما من طاعة إلا ومن شرائطها [٢] التقوى من حيث إن صاحبها يتّقي بفعلها المعاصي و لو قال هدىً للمطيعين لم يفد هذه الفائدة لأن الطاعة فعل المأمور به و إن لم يقصد بفعله ذلك إلى التقوى الذي هو التّحرز و التخوف.

و موضع ﴿هُدًى﴾ نصب على الحال [٣] على وجهين، أحدهما:

أن يكون حالا من الكتاب كأنك قلتَ القرآنُ ذلك الكتاب هادياً أو الم ذلك الكتاب هاديا لأن هدى جاء بعد تمام الاسم.

و الثاني: أن يكون حالا من قولك ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ كأنك قلتَ لا شك فيه هاديا.

و يجوز أن يكون موضعه رفعا لوجوهٍ أحدها:

أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قال: هذا ذلك الكتاب هدىً أي قد جمع أنه الكتاب الموعود وأنه هدى كما تقول هذا حلوٌ حامض أي جمع الطعمين، و يجوز أن يكون رفعه على إضمار هو كأنه تم (الكلام) [٤] عند قوله ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ و استأنف و قال هو هدى.

و يجوز أن يكون الوقف على قوله : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي ذلك الكتاب لا ريب ولا شك وأنه حقٌّ ثم يقول فيه هدى و يجوز أن يكون رفعا على أنه خبر لذلك الكتاب فإنّ ﴿الٓمٓ﴾

---

[١] التفسير الكبير: ٢ / ٢١ و تفسير ابن عاشور: ١ / ١٣١ – ١٣٢

[٢] في النسخة ل في هامشها: من شريطة التقوى.

[٣] ينظر في إعراب (هدى): جامع البيان للطبري: ١ / ٢٣٥ ومعاني القرآن للزجاج: ١ / ٦٩ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٨٠ و البحر المحيط: ١ / ٣٧ والدر المصون: ١ / ٩٢

[٤] في النسخة ل : الكتاب ، خطأ.

كلام مكتفٍ فيكون ذلك الكتابُ مبتدأ و خبره: (للمتقين هدى) و على هذا القول يكون ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ في موضع نصب كأنك قلتَ ذلك الكتاب غير شك هدىً.

و هذا الوجه لم يذكره الزَّجّاج و ذكره غيرُهُ من النحويين. (١)

قوله : ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [٣] يؤمنون أي يُصدِّقُون، و الإيمان في اللغة التصديق و معنى التصديق اعتقاد السامع صدق المخبِر فيما يخبِرُ.

و يسمّي قول القائل صدقتَ فيما تقول تصديقاً مجازاً، كما يُسمّى الفعل أيضا تصديقاً مجازاً يقال صدّقَ فلان قوله بفعله و إن كان ذلك التصديق بمعنىً آخر. (٢)

---

(١) القطع لابن النحاس: ١ / ٣٣

(٢) أصل الإيمان في اللغة التصديق و قد حكاه كذلك جماعات كثيرة من العلماء بالعربية وغيرهم وحكى الإمام الأزهري في تهذيب اللغة إجماع علماء اللغة و غيرهم عليه: تهذيب اللغة: ١٥ / ٥١٣ ولسان العرب: ١٣ / ٢٣ مادة :(أمن) و ينظر: الزاهر لابن الأنباري: ١/ ١٠٥ وشأن الدعاء للخطابي: ص٤٥ و غيرها. وينظر: الحجة للفارسي: ١ / ١٤٧ – ١٥٣ .

و شيخ الإسلام ابن تيمية يرى أنّ تفسيره بالإقرار أدق من تفسيره بالتصديق: مجموع الفتاوى: ٧/ ٦٣٨ و شرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثمين رحمه الله: صـ ٥٧٣ و هو في الشّرع عند أهل السنة و الجماعة منهم: مالك و الشافعي وأحمد و جماهير أهل العلم و أهل الحديث : كلمة تجمعُ الإقرار بالله بالقلب و الِّلسان و عمل الجوارح: ينظر على سبيل المثال: جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤١ و السنة للخلال: ٣ / ٥٦٢ و شرح صحيح البخاري لابن بطال: ١ / ٥٦ و فيه أنه مذهب جماعة أهل السنة، و الاعتقاد للبيهقي: ص ٨٤ و الفتاوى: ٧ / ٤٠٣ و ٥٤٤ و جامع العلوم و الحكم شرح أربعين النووي لابن رجب: ص٢٣ و شرح العقيدة الطحاوية: ٢ / ٤٦٠ وفتح الباري: ١ / ٤٦ والتحبير للمرداوي: ٢ / ٥٠٢ و لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضيّة للسفّاريني: ١ / ٤٠٣ – ٤٢٦ و ينظر: كتاب الإيمان الكبير لشيخ الإسلام ابن تيمية و هو مطبوعٌ ضمن الفتوى و مستقل وينظر منه: ص٢٧٦ .و للأئمة تصانيف مسندة في الإيمان تسمى بكتب الإيمان ينظر مثلا في أسمائها مقدمة كتاب الإيمان لابن منده محمّد بن إسحاق: (ت – ٣٩٥ هـ) تحـ. د: علي بن محمّد الفقيهي .

و الغيب ما غاب عنك من شيء و هو مصدر غاب يغيب غيباً، و الأصل فيه خفاء الشيء عن الإنسان، و منه الغِيبة و هو الذكر القبيح بظهر الغيب، و الغيب هاهنا ما غاب علمه عن الحسّ و الضرورة مما يُدرك بالدّليل ، و لذلك استوجبوا حسنَ الثناء بالإيمان بالغيب لأنه تصديق بما أُخبروا مما لا يُعلم حسا و ضرورة و يكون العلم به مكتسبا و يدخل في جملة هذا ما أتى به الرسول صلَّى الله عليه و سلَّم من أمر الجنة و النار و الوعد و الوعيد وغير ذلك من العلوم الدينية. (١)

و جاء في التفسير أنّ الغيب هاهنا هو الله أي يؤمنون بالله (٢) وقِيلَ هو الوحي بقوله ﴿ **وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ** ﴾ [التكوير:٢٤] أي على الوحي بمتهم (٣). و قِيلَ ما أتى به الرسول جملة و تفصيلا. (٤)

قوله :﴿ **وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ**﴾ أي ويُتِمُّونها و يؤدّونها على حدودها و شروطها يقال أقام القوم سوقها إذا لم يعطّلوها من البيع و الشراء (٥) . وقِيلَ في التفسير إقامتها المداومة والمحافظة على أوقاتها (٦) و عن ابن عبّاس: إقامة الصّلاة إتمام الركوع و السجود و التّلاوة و

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤١ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٧١

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤١ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٤٧ و النكت و العيون للماوردي: ١ / ٦٩ و تفسير البغوي: ١ / ٦٢

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :ج١/ ٨٤ و تفسير القرطبي: ١ / ١٦٣

(٤) قال ابن عطية: (وهذه الأقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها)اهـ. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :ج١/ ٨٤

(٥) في النسخة (ل) : الشرى. و ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ص٣١ و جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤٧ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٤٨

(٦) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤٧ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٤٨ وتفسير البغوي: ١ / ٦٢

الخشوع و الإقبال عليها. [١] و الأصل فيه أداؤها على الاستقامة فيها من غير إخلالٍ بأركانها وشروطها و سننها و آدابها .

و ضمّت الياء من يُقيمون لأن ما كان ماضيه على أربعة أحرف ضُمَّتِ [٢] الياء من مستقبله فصلا (٣٤ و) بينه وبين ما كان من ذوات الثلاثة نحو يضرب من ضرب و يدحرج من دَحرجَ و الأصل في يقيم يُؤقْيِم و كذلك الأصل في الإخبار عن نفسك أَنا أُؤَكرِم و أُؤَحسِن ولكن استثقلوا اجتماع الهمزتين فحُذِفت الهمزة التي هي فاء الفعل ثم تَبِع سائر الفعل في وجوه تصرّفه باب الهمزة فقالوا أقام يُقيم كما أن باب يَعِدُ أصله يوعد فاستثقلوا وقوع الواو بين الياء و الكسرة فحذفوها فقالوا يعِد ثم أتبعوا جميع أفعاله حكم يعد فقالوا نعد و أعِدُ. [٣]

و أما الصّلاة فهي العبادة المعهودة في الشريعة المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم المشتملة على القِرَاءة و قِيلَ الأصل في الصّلاة الدُّعاء و منه قول الشاعر:

وقابلها الريحُ في دَنِّها   و صَلَّى على دَنِّها و اَرتَسَمْ [٤]

وقول الآخر:

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهرَ بيتَها   و إن ذُبحت صلّى عليها و زَمْزَمَا [٥]

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤٨ و ٢/ ١٩٨ من طبعة دار هجر. و في طبعة دار الفكر: ١/ ١٠٤ و ١/ ٣٩٢ و الدر: ١/ ٢٧ و عزاه للطبري. وهو من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس.

[٢] في النسخة ل : ضمة. خطأ

[٣] نقله المصنف من الزّجّاج: ١ / ٧٢ و همزة أفعل تحذف بعد حرف المضارعة : الدر المصون: ١ / ٩٦

[٤] البيت للأعشى: ديوانه: ٣٥ و جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤٨ و ارتسم: كبر و دعا (اللسان: (رس م)

[٥] ديوان الأعشى: ص٢٩٣ و جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤٨ و كثير من المصادر

يعني دعا لها.

فلما كانت الصّلاة و هي استنجاح الطِّلبة من الله اشتمالها على الدعاء كما أن الدعاء في نفسه استنجاح الطّلبة سمي الصّلاة دعاء و الصّلاة من الله دعاء للعبد بلطفه و حسن إنعامه. (١)

و من المفسرين من يقول إن الصّلاة من الله تعالى بمعنى الرحمة و إنما هي دعائه للعبد بالرحمة التي هي الإنعام و المنة.

وقال بعض أهل التحقيق إن الصّلاة في اللغة (٢) من اللزوم اشتقّ و منه قوله : ﴿ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية:٤] و المصدر منه الصُّليّ، و اصطلى بالنار إذا لزمها للتدفّي بها والمصَلّي الذي يجيء على أثر السابق من الخيل في الحلبة (٣)، وصِلْوَا الفرس العظمان اللذان من العجُز يكون عندهما رأس المصلّي (٤) سمّيا صِلْوين للزوم كل واحد منهما الآخر والواحد صِلْوٌ، و يقال للداعي صلّى لأنه لزم الدعاء لشدة الحاجة إلى الإجابة و الصّلاة عبادةٌ تلزم العبد حتى لا براح له عنها بحالٍ، و يلزم فيها أركانٌ مخصوصة وصلى الله على فلانٍ أي ألزمه بركات رحمته و فوائد نعمته وأوصل إليه خيراته.

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤٨

(٢) ينظر في اشتقاق الصّلاة لغة: جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤٩ والزاهر لابن الأنباري: ١ / ١٣١ (رقم : ٩٢)و تهذيب اللغة للأزهري: (صلا)و إعراب القرآن لابن النحاس : ٣ / ٣١٨ ولسان: العرب: صلا : ١٤ / ٤٥٦ و تفسير القرطبي: ١ / ١٦٨

(٣) تسمّي العرب العشرة الأولى من الخيل في السباق بأسماء ذكرها علماء العربية و نظمها بعضهم في أبياتٍ: فيقال للسابق من الخيل الأول المجلّي و للثاني المصلّي و للثالث المسلّي الخ: الزاهر لابن الأنباري: ١ / ١٣١ (رقم : ٩٢) و شرح مقامات الحريري للشريشي: ٣ / ١٣١ و المصباح المنير: ٢ / ٣٨٢ و ينظر نظمها بهامش الزاهر و بشرح الشريشي.

(٤) المصلّي و هو الثاني من الخيل يكون رأسه عند صِلْوَي المجلّي وهو الأول. ينظرما سبق قريبا.

قوله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي أعطيناهم و حقيقة الرزق ما هيّئ للانتفاع به من ولد ومال و غيره [١] و لمّا مدحهم بإنفاقهم ما رزقوا عُلم أنه أراد به بعض ما رُزقوا وهو ما يكون حلالا لأنَّ الرزق منقسم إلى حلال و حرام و يرجع التحريم والتحليل إلى تصرفهم فيما مكّنهم منه و إنما مدحهم بإنفاقهم ما رزقهم. [٢]

و معنى ﴿يُنفِقُون﴾ أي يؤدُّون و يصرفون الصدقة من أموالهم في الوجه الذي تعلّق به الأَمر فرضا و ندباً، وجاء في التفسير أنه الزكاة عن ابن عبّاس. [٣]

وقِيلَ هي نفقة الرجل على أهله و هذا قبل نزول فرض الزكاة عن ابن مسعود [١] ، وابن عبّاس و ابن مالك و غيرهم. [٢]

---

[١] تفسير الثّعلبي: ١ / ١٤٨ و تفسير القرطبي ج١/ ص١٧٧ و التفسير الكبير للرازي: ٢ / ٢٨ وفتح القدير للشوكاني: ١ / ٣٦

[٢] هذا التعريف احترازٌ من مذهب المعتزلة فإنهم يزعمون أنّ الحرام ليس برزق ينظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار: صـ ٧٨٧ و الكشاف: ١ / ١٥٥، قال الإمام القرطبي: (والرزق عند أهل السنة ما صحَّ الانتفاع به حلالا كان أو حراما خلافاً للمعتزلة في قولهم إنّ الحرام ليس برزق لأنه لا يصحُّ تملكه وإن الله لا يرزق الحرام وإنما يرزق الحلال ...)اهـ. :تفسير القرطبي :١/ ١٧٧ و ينظر: تفسير أحمد الهكاري: (ت: ٧٦٣هـ) : صـ ٢٥٥ . و في فتح القدير للشوكاني: (و الرزق عند الجمهور ما صلح للانتفاع به خلافا للمعتزلة)اهـ. ١ / ٣٦ و ينظر: ردّ الطيبي على الزمخشري في حاشيته عليه و توبيخه للمعتزلة القدرية في قولهم إنّ الله لا يرزق إلا الحلال و أمّا الحرام فالعبد يرزقُهُ لنفسه: الكشاف: ١ / ١٥٥ وينظر: في تفصيل أقوال المتكلمين التفسير الكبير للرازي: ٢ / ٢٨ و ما سيأتي: صـ ٦٧١ .

[٣] رواه الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عبّاس: جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤٩ و ورواه أيضا من طريق محمّد بن إسحاق عن محمّد بن أبي محمّد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عبّاس. و من هذه الطريق ذكره ابن هشام في السيرة: ١ / ٥٣٠ و رواه ابن أبي حاتم: ١ / ٣٧ (٧٧)

وقِيلَ: كانت النفقات قربانا يتقرَّبون بها إلى الله عز وجل على قدر ميسورهم قبل نزولِ فرضِ الزكاة عن الضَّحَّاك. [٣] و الآية عامة في إنفاقهم فيما يكون طاعة فرضا أو نفلا [٤]، وقِيلَ أصل الإنفاق في الاشتقاق من الخروج و أنفق المال إذا أخرجه عن ملكه و نفق البيع إذا كثر خروجه بكثرة المشتَرى و نفقت الدابة إذا خرجت روحها و {خرجت} [٥] بموتها عن ملك صاحبها، و النفق سَرَبٌ في الأرض يخرج إلى الجهة الأخرى منها ، و النَّافقاء من حجرة اليربوع [٦] إذا أُتي من جهة خرج من الجهة الأخرى، والمنافق سمي بذلك[٧] لأنه يخرج إلى المؤمن بما يُرى من الإيمان و إلى الكافر بما يُرى منه .

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٥٠ و نقله ابن العربي أحكام القرآن: ١ / ١٨ و ابن كثير : تفسير ابن كثير : ١ / ٦٥ و في طبعة السلامة: ١ / ١٦٩ و الدر المنثور: ١ / ٢٧

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٥٠ و الدر المنثور: ١ / ٢٧ و ينظر: ابن أبي حاتم: ١ / ٢٨

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤٩ و لفظه: (.... على قدر ميسورهم و جهدهم ، حتى نزلت فرائض الصدقات ، سبع آيات في سورة براءة ، مما يُذكر فيهن الصدقات هنّ المثبتات النّاسخاتُ)اهـ. من تفسير الطبري. و نقله في الدر المنثور : ١ / ٢٧منسوبا للطبري.

[٤] والعموم أولى لأنه لا دليل على التخصيص و الآية خرجت مخرج المدح وممن رجح ذلك الطبري: ١ / ٢٥٠ و القرطبي: ١ / ١٧٩

[٥] في النسخة (ل) : خرج.

[٦] حيوان طويل الرجلين قصيرُ اليدين جداً، و له ذنب كذنب الجُرَذ: حياة الحيوان للدّمِيريّ: ٢/ ٥٥٨ .قلت: و هو حيوانٌ صغير تسميه العامة في السعودية الجربوع بدلا من اليربوع. و لحجر اليربوع أسماء مذكورة في: غريب الحديث للحربي: ١ / ٢٤٨ والزاهر لابن الأنباري: ١/ ١٣٢ – ١٣٣ ولسان العرب: نفق : ١٠ / ٣٥٨

[٧]ينظر في معنى النفقة و اشتقاقها و في اشتقاق المنافق:
غريب الحديث لأبي عبيد ابن سلام : ٣ / ١٣ و غريب الحديث لابن قتيبة: ١ / ٢٤٩ وغريب القرآن له: ص٢٩ والزاهر لابن الأنباري: ١/ ١٣٢ – ١٣٣ و معاني القرآن لابن النحّاس: ٢ / ٢٢٤ وتفسير

و موضع ﴿ٱلَّذِين ﴾ جرٌّ تبعاً للمتّقِين و يجوز أن يكون على المدح كأنه قِيلَ من هم فقال هم الذين يؤمنون بالغيب و يجوز أن يكون نصبا على المدح كأنه قال اذكر الذين يؤمنون بالغيب.

[1] و الذين مبنيّ [2] لا يَظهرُ فيه الإعراب تقول جاءني الذين و مررت بالذين وكذلك الذي لا يتبين فيه الإعراب و إنما منع الإعراب لأن الإعراب إنما يكون في أواخر الأسماء والذي والذين مبهمات لا تتم إلا بصلاتها، [3] و أصل الذي لذٍ على وزن عَمٍ عن الزَّجَّاج وحكاه عن الخليل و الأَخْفَش وسيبويه [4].

قال الزَّجَّاج: فإن قِيلَ فما بالك تقول أتاني الَّلذانِ ورأيتُ الَّلـذَينِ في التثنية فتُعربهُ وكذلك تقولُ هذا و هؤلاء ثم تقولُ في التثنية هذان وهذين [5] قال:

الثّعلبي: ١ / ١٤٨ و زاد المسير: ١ / ٤٩٧ و التفسير الكبير للرازي: ٩ / ٦٩ وتفسير القرطبي: ١ / ١٧٩ و لسان العرب: نفق : ١٠ / ٣٨٥

[1] يحتمل موضع (الذين) الرفع و النصب و الجر وقد فصّلوا وجوهها وقد ذكر المصنف بعضها و اختار السمين الحلبي الجرَّ و قال إنه الظاهر: معاني القرآن للزجاج: ١/ ٧٠ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٨١ و البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات ابن الأنباري: ١ / ٤٦ و الدر المصون: ١/ ٩٥

[2] في النسخة (ل) : هنا (على النّصب) و لا موضع لها.

[3] منقول عن معاني القرآن للزجاج: ١ / ٧٠

[4] و تمام كلامه: (و كذلك قال الخليل و الأَخْفَش و سيبويه و جميع من يُوثق بعلمه)اهـ. معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٧١ و الأصل في الذي: لَذِي على و زن فَعِل مثل عمي و شجي و مثلها التي الأصل فيها: لَتِي ينظر: الكتاب لسيبويه: ٣/ ٢٨١ و شرح جمل الزّجّاجي: ١ / ١٠٩ و ما بعدها والإنصاف: ١ / ٦٧٠ و همع الهوامع: ١ / ٢٦٧

[5] نقل المصنف كلام الزّجّاج بالمعنى فاستبهم المعنى بعض الاستبهام و عبارة الزّجّاج: (فما بالك تقول: أتاني اللذان في الدار، و رأيت اللذين في الدار، فتعربُ كلّ ما لا يعرب في تثنيته نحو هذان وهذين و أنت لا تعرب هذا و لا هؤلاء؟)اهـ. معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٧١

فالجواب عنه أن جَمْعَ مَالاَ يُعربُ في الواحدِ مُشبّهٌ بالحرف الذي جاء لمعنى فإذا ثنَّيتَه فقد بطل شَبَهُ الحروف لأن حروف المعاني لا تثنّى قال: وإنما مُنع الإعراب في جمع الذي لأنه ليس على التثنية فهو كالواحد كقولك في جمع هؤلاء فتثنّيه و لا تعربه لأنه لم يُجمع على التثنية قال: و من جمع الذي على حدّ التثنية قال جاءني اللذون و رأيت اللذينَ فأعرب. [١]

و اختلفوا في أعيان من نَزَلَتْ فيهم هاتان الآيتانِ قال قومٌ إنهما نَزَلتا في مؤمني العرب ونزلت الآيتان بعدهما في مؤمِني أهل الكتاب، و إلى هذا ذهب ابن عبّاس في رواية أبي صالح [٢] وابن مسعود في رواية مرّة الهمذاني و السُّدّي عن أبي مالك [٣] قالوا: و الدّليل عليه أنّ الله تعالى ذكر الإيمان في هاتين الآيتين بالغيب و ذكر فيما بعدها الإيمان بما أنزل على محمّد صلَّى الله عليه و سلَّم و ما أنزل قبله و لم يكن للعَرَب كتابٌ كانوا مؤمنين به قبل محمّد ﷺ، [٤] وقال

---

[١] الذي مبني و يعرب فقط في التثنية لا في الجمع فالصحيح عند محققي النحاة و عند أكثرهم أنّ الذين ليس بجمع لـ(الذي) كما هو في زيد و زيدين، لأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون مُعربا، فيكون في الرفع بالواو والنون، و في الجر و النصب بالياء و النون، وليس كذلك، فهو إذا مبنيٌّ على صورة واحدة في الرفع و النصب و الجر و لا تخريج على لغة من قال : اللذون في الرفع و اللذين في الجر و النصب لقلتها وشذوذها و لم ترد هذه القراءة في القرآن و إن كانت لغة لطيِّئ و هذيل و عقِيلَ من العرب : البيان في غريب إعراب القرآن ١ / ٣٩ و المحرر الوجيز: ١ / ٧٥ و تفسير القرطبي: ١ / ١٤٨ و لسان العرب: ٣ / ٥٠٧ و همع الهوامع: ١ / ٢٦٩ و التصريح شرح التوضيح لخالد الأزهري: ١ / ١٣٣

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤٤ و ٢٥١ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٥، ٣٦

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤٤ و٢٤٢ و ٢٥١ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٥، ٣٦

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤٣

قومٌ بل نزلت هذه الآيات الأربعُ في مؤمني أهلِ الكتاب خاصّة لأنهم آمنوا بما أنزل على محمّد صلَّى الله عليه و سلَّم و ما أنزل قبل مبعثه [١].

وقال بعضهم بل الآياتُ الأربعُ من أوّل هذه السّورة نَزلَت في جميع المؤمنين سواءً كانوا من العرب أو من أهل الكتاب لأنّ مؤمني العرب لّما آمنوا بالنبي عليه السلام فقد آمنوا بما أُنزِل من قبله على موسى و عيسى لأنَّ الإيمان بمحمّد صلَّى الله عليه و سلَّم لا يصح إلا بالإيمان بمن قبله قالوا و الواو في قوله بعد هاتين الآيتين: (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ)(البقرة: من الآية٤) إنما هي لتعدِيدِ خصال المدح لهم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥] كما قال الشاعر :

إلى الملِك القَرمِ و ابن الهُمام و ليثِ الكتيبة في المُزدَحَم [٢]

لم يُرد به إلا شخصاً واحداً و إلى هذا ذهب مُجاهد رُوي عنه أنه قال: [٣] أربعُ آياتٍ من سورة البقرة في نعتِ المؤمنين و آيتان في نعت الكافرين و ثلاث عشرة في المنافقين. [٤]

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤٦ عن مجاهد و الربيع بن أنس و ينظر: القطع و الائتناف لابن النحاس: ص١١٥ و النُّكت والعيون للماوردي: ١ / ٧٠ و الدُّر: ١ / ٢٤

[٢] أنشده الفرّاء غير منسوبٍ مع بيت بعده : معاني القرآن: ١/ ٨٣ و هو غير منسوبٍ في جامع البيان للطبري: ٣ / ٨٤ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٩٧ و الكشاف: ١ / ١٥٥ و خزانة الأدب: ١ / ٤٥١ وسيعيد المصنف ذكره عند الآية : (٥٣) من هذه السّورة.

[٣] تفسير مجاهد: ص١٩٥ ورواه الطبري: ١ / ٢٤٦ و ابن النحاس: القطع: ١ / ٣٥ والواحدي في أسباب النزول: ص٥٧ و عزاه السيوطي إلى الفريابي و عبد بن حميد، و ابن جرير و ابن الضريس و ابن المنذر: الدر المنثور: ١ / ٢٣

[٤] قال ابن كثير هذا هو الظاهر. تفسير ابن كثير: ١ / ٤٤

و اختار محمّد بن جرير الطبري القـول الأول [١] قـال [٢] : لأنّ الله تعـالى جـنّس- بعـد مـا وصف المؤمنين- الكافرين فجعلهم صنفين كفـارا أصروا عـلى الكفـر و أظهـروه و منـافقين أسروا الكفر و أبطنوه فكذلك جنّس المؤمنين في أول السّورة مؤمني العرب الذين لم يكن لهـم قطّ كتابٌ و إيمانٌ و مؤمني أهل الكتاب الذين أضافوا إيمانهم بمحمّد صلَّى الله عليه وسـلَّم إلى إيمانٍ سالفٍ ثم ذكر لهم ما أعدّ لهم من الثواب و العقاب .

قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [٤] أيّ يـصدّقون بالـذي أنـزل إليـك يعنـي القرآن و قد مضى القول في إنزال القرآن. [٣]

قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ يعني بالذي أنزل على الأنبيـاء مـن قبلـك مـن الكتـب أي التوراة [٤] و الإنجيل و الزَّبور وغير ذلك ﴿ وَبِٱلْأَخِرَة ﴾ يعنـي بالنّـشأَةِ الآخـرة أو بكـون الدار الآخرة أو بالكرَّة الآخرة، و إنما اكتفى بالصفة عن الاسم لأنه معلومٌ أنَّ النبـي صـلَّى الله عليه و سلَّم كان يدعو إلى الإقرار بالآخرة، و سُمّيت الآخرة آخـرةً لتأخُّرهـا عـن الخلـق كـما سُمِّيَتْ الدُّنيا دنياً لدنوِّها من الخلق، وقِيلَ سميت آخرة لمصيرها آخرة لأولى كانت قبلهـا كـما

---

[١] و هو أن الموصوفين أوّلاً مؤمنوا العرب والموصوفين ثانيا أهل الكتاب. و قول الطبري له وجـهٌ ظـاهر و هو مروي كما تقدّم عن ابن عبّاس و ابن مسعود رضي الله عنهما. و ينظر: جامع البيـان للطـبري: ٣ / ٨٤ و المكتفى في الوقف و الابتداء للداني: ص١٥٩ و الكشاف: ١ / ١٥٥

[٢] نقله المصنف بالمعنى: جامع البيان للطبري: ١ / ٢٤٦ – ٢٤٧

[٣] ذكر ذلك المصنّف في مقدمة الكتاب: صـ ٢١٠.

[٤] كتبت في النسخة ل: التورية في جميع المواضع. و ذلك على قراءة الإمالة.

يقول الرجل أنعمتُ عليك مرة بعد أخرى فلم تشكُر الأولى و الآخرة و إنما صارت الآخِرةُ آخرةً للأولى لتقدُّم الدَّار الأولى أمامها. [١]

قوله: ﴿هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ أي يعلمون أن الدار الآخرة كائنة علما لا ريب لهم فيه ولا شك و اليقين هو العلم الذي معه ثَلَجُ [٢] الصدر و الشفاء عن حَزَازةِ الشك ولذلك لا يُوصف به الربّ. [٣]

وقِيلَ هو العلم الذي لا يُخَالِجُ صاحبه ريبٌ ولا يطلق في وصف الرَّب لعدم التوقيف ، قال الزَّجَّاج قوله : ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ إن شئت حققت الهمزة في أنزل وكذلك في أولئك وهو لغةُ غيرِ أهل الحجاز ،و إن شئتَ خفَّفْتَ الهمزة و هو لغة أهل الحجاز فإنهم يخفّفون الهمزة فيجعلون [٤] إليك الهمزةَ بين الياء و الهمزة و يجعلون همزة أُنزِل بين الواو و الهمزة [٥].

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٥١ و النكت العيون للماوردي: ١/ ٧١ و الكشاف: ١/ ١٥٧ و تفسير البيضاوي: ١/ ١٢٧

[٢] يقال: ثَلَجَتْ نفسي بالأَمر إِذا اطمأَنت إليه وسكنت وثبت فيها وَوَثِقَتْ به: لسان العرب: (ثلج) ٢/ ٢٢٢ و النهاية في غريب الحديث: ثلج و تهذيب اللغة: ثلج.

[٣] البحر المحيط: ١ / ٤٢ . و أسماء الباري تعالى وصفاته توقيفية على الصحيح والأمر فيها مبني على صحة النقل و لا تؤخذ بالقياس: ينظر على سبيل المثال: شأن الدعاء للخطابي: ص١١١ و أصول الدين لعبد القاهر البغدادي: ص ١١٩ و فتح الباري: ١١ / ٢٢٣ و النكت على ابن الصلاح لابن حجر: ١ / ٢٢٣

[٤] في النسخة (ل) : هنا: (أنزل إليك).

[٥] معاني القرآن للزجاج: ١ / ٧٢ . و عبارة الزّجّاج: (إن شئتَ حققت الهمزة في (أنزل) وكذلك في قوله: (أولئك) و هذه لغة غير أهل الحجاز، فأما أهل الحجاز، فيخففون الهمزة بين الواو والهمزة)اهـ.

قال سيبويه: و إنما فُعِل بـالهمزة دون سـائر الحـروف لأنهـا بعـد مخرجهـا و لأنهـا نَـبَرَةٌ [١] في الصدور و هي أبعد الحروف مخرجاً [٢]. قـال: [٣] وقولـك إليـك و إلـيهم وعليـك و علـيهم الأصل في هذا الباب إِلاكَ و عَلاَك و إلاهُم و علاهم بالألف كما تقول في اللفظ إلى زيدٍ وعلى عمروٍ [٤] إلا أنَّ الألف غُيِّرت ياءً مع المضمَرِ [٥] ليفصَل بين الألفِ في آخـر الاسـم المـتمكِّن عند الإضافة مثل قفا و أشباهه في قولك قفاك وبين الألف في أواخر غير المتمكن والدليل على أنَّ : (لدى [٦] وإلى و على) غير متمكِّنٍ أنّ الإضافة لازمةٌ لها ألا ترى أن إليَّ وعليَّ و لـديَّ لا ينفرد من الإضافة.

وينظر : الكتاب لسيبويه: ٣ / ٥٤٢ و معاني القرآن للزجاج: ١ / ٧٣ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٨٣ و همع الهوامع: ١ / ٢٤٧

[١] في النسخة (ل) : نبزة. خطأ.

[٢] هنا انتهى كلام سيبويه وقد نقله المصنف من الزّجّاج: ١ / ٧٣ لأنه فيه كما هنـا و هـو في الكتـاب مـع اختلاف يسير: ٣ / ٥٤٨و بعده: (فثقل عليهم ذلك لأنه كالتهوّع)اهـ.

و ينظر: صناعة الإعراب لابن جني: ٢ / ٧٤

[٣] القائل الزّجّاج.

[٤] في النسخة ل : وقع حرف واو زائـداً هنـا. و في معـاني القـرآن للزّجـاج: ١ / ٧٣ : (إلى زيـد وعـلى إخوتك) و به يتضح الكلام لأن المقصود الألف في على إذا جـاء بعـدها همـزة صـارت في اللفـظ كمثـل (إلاك) و هي لغة في إليك.

[٥] فتقول في : إلى : إليك و في على : عليك فتقلبها ياء لأن بعدها حرف مضمر و هـو الكـاف و لـو كـان بعدها اسم لقلتَ إلى فلان و على فلان.

[٦] سقطت من النسخة : لـ: (لدى). وهي في كتاب الزّجّاج و السياق يشير إليها.

و الأصل في:(قَبْلُ) القِبَل و هو الاستقبالُ كلّمته من ذي قِبَلٍ أي استقبلتُ له الكلام فَقبْـلُ نقيض بعدُ لأنه تقدَّم الجائي، [١]و (بَعْدُ) من البُعد لأنه لم يكن فقبـلُ مـستقبلٌ بوجـوده، و إذا أُطلِقَ (قبل) و لم يُضف إلى وقتٍ انتظم السبق بلا مدةٍ و لم يـزل الله قبـلُ أي لا ابتـداء لـه و لا يقتضي قبلُ شيئاً تقدَّم عليه إذا لم يُضَف إلى شيء.

و موضع قوله:﴿وَٱلَّذِين ﴾ في هذه الآية يحتَملُ أن يكون رفعاً و يحتملُ أن يكون خفـضاً أّمـا الرّفعُ فعلى الابتداء و يكون خـبره قولـه: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى ﴾ [٥] ويحتمـل أن يكـون رفعاً على العطف على قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ ﴾ على قول من قال محلةٌ رفع بالابتداء.

و أما الخفض فعلى العطف على (المتقين) ويكون ذلك على وجهـين أحـدهما أن تكـون هـذه الآية واردة في الذين بدل قوله :﴿ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

و الثاني: أن تكون هذه الآية في غير أولئك، ولكن يكون محل ﴿وَٱلَّذِين ﴾ خفضا على العطف على المتّقين على معنى ﴿ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ الذين صفتهم كذا و هـدى للـذين يؤمنـون بـما أنزل إليك فكأنه وصف أن الكتاب هدىً للفريقين جميعاً .[٢]

وقولـه ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ دخلـت ﴿هُمۡ﴾ توكيـدا يـسمّيه الكوفيـون عـماداً[٣] والبصريون فصلاً[١] و يختصُّ دخولُ هم للتّوكيد و الفصل بالمعرفة أو بما أشبه المعرفة.

---

[١] لسان العرب: قبل: ١١ / ٥٣٧ و الهمع : ٢ / ١٤٣

[٢]جامع البيان للطبري: ١ / ٢٥٤ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٨٢ و البيان لأبي البركات ابـن الأنباري: ١ / ٤٦ و الدر المصون: ٩٨ وتلخيص وجه الخفض: أنّ الجر على أنه صفة ﴿لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ أو على أنه بدل منه، وزادوا وجه النصب بتقدير أعني.

[٣] مجالس ثعلب ص٥٣ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٨٤ و ما سيأتي عند الآية: ٢٧.

قولـه: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [٥] أي عـلى بيانٍ من ربهم و استقامة و أولئك هم المفلحون الذين أدركوا البغية و ظفروا بالطِّلبة ووجـدوا البقاء في الدار الآخرة في النعيم المقيم.

و اختلفوا في المراد بقوله ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى ﴾ فقال بعضهم أراد به الصِّنفين المتقدّمين جميعا عن ابن عبّاس [٢] و ابن مسعود و جماعة من أصحاب النبي صلَّى الله عليه و سلَّم. [٣] وقِيلَ أراد به مؤمني أهل الكتاب، و الأول أحسن، و هو اختيار ابن جرير قـال لأن الله نَعَـت الفريقين بنعتهم المحمود ثم أثنى عليهم ولم يكن ليخصَّ أحد الفريقين بالثناء مـع تـساويهما في استحقاق ذلك. [٤]

و في ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ لغات [٥] : أُولئك و أُولاكَ [٦] و أُولالِكَ تدخل الـلام للتَّأكيـد فيقـال أُلا للتّعريف و (هؤلائك) [٧] للبعيد وألائـك للوسـط بيـنهما و كـسر الهمـزة في أُولئِـك لالتقـاء

---

[١] المقتضب للمبرد: ٤ / ١٠٣ و معاني الزّجّاج: ١ / ٧٣ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٨٤

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٥٣ و الدر: ١ / ٢٥

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٥٣ و الدر: ١ / ٢٥

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٥٥

[٥] الفريد للمنتجب الهمداني: ١/ ٢٠٨ وتفسير القرطبي: ١ / ١٨١ والدر المصون: ١ / ١٠١ والهمع: ١ / ٢٤٦ و التصريح لخالد الزهري: ١ / ١٢٧ – ١٢٩

[٦] أولاء يقصر عند تميم و يمد عند الحجازيين. التصريح: ١ / ١٢٨

[٧] في النسخة ل : كتبت هكذا :هاءُلائك. : و اجتماع اللام مع الهاء شاذّ: قال ابن مالك في الخلاصة (الألفية): و اللام إن قدّمتَ ها ممتنعة ينظر: التصريح لخالد الأزهري: ١ / ١٢٨

الساكنين [١] ، و موضع (أولئك) رفعٌ بالابتداء و خبره : على هدى من ربهم ولا يُعرب [٢] (أولئك) لأنه اسم للإشارة.

وقوله: ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ إن شئتَ قلتَ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ ابتداء و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ خبره و دخلت ﴿هُمْ﴾ فصلا للتّأكيد و إن شئتَ قلتَ ﴿هم﴾ تكريرُ الاسم كما تقولُ: زيدٌ هو العالمُ فيكون : ﴿ وأولئك ﴾مرفوع على الابتداء، و ﴿هم﴾ مرفوع لأنه ابتداءٌ ثانٍ و﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ خبرُ ﴿هُم﴾ و يكون ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ جميعا خبر ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الذي هو الابتداءُ الأول. [٣]

و الفلاح هو الفوز بالطّلبَة و الظفر بالبغية يقال لكلِّ من أدرك بُغيَتَهُ أفلح.

وقال لبيد بن ربيعة:

اعقلي إنْ كنتِ لمّا تعقلي و لقد أفلحَ من كان عَقَل [٤]

يعني بحاجته [٥] و أصاب أيضا و الفلاح أيضا (البقاء) [٦] و منه قول لبيد:

نحلُّ بلاداً كلُّها حُلَّ قبلنا و نرجو الفلاح بعد عاد و (جرهم) [٧]

---

[١] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٧٣

[٢] لأنه مبني و علامات الإعراب مقدّرة عليه.

[٣] هذا كلام الزّجّاج: ١ / ٧٣

[٤] للبيد من قصيدة له في مختار الشعر الجاهلي : ٢ / ٥٠٢ و في جامع البيان للطبري: ١ / ٢٥٧

[٥] في الطبري: ظفر بحاجته

[٦] سقطت كلمة: البقاء من الأصل : و السياق دلَّ عليها بوضوحٍ.

[٧] البيت للبيد في ديوانه: ص٥٧: لكنّ روايته فيه: بعد عاد و حميرِ وكذلك في جَامِعِ البيانِ للطبري: ١ / ٢٥٧ وفي تفسير الثّعلبي: ١ / ١٤٩ و زاد المسير: ١/ ٢٧ والدر المصون: ١ / ١٠٢ و غيرها. ووقع في جمهرة أشعار العرب لأبي زيدٍ القرشي: بعد عاد و حميرا. : ١ / ١٤ و الصَّوابُ بكسر الرَّاء وهو من

وقال الأعشى :

و لئن كنا كقومٍ هلكوا　　ما لحيٍّ يا لَقوم من فَلَح [١]

وقِيلَ في ملاعب الأسنة :

لو أن حيّاً مُدرِك الفلاحِ　　أدركه ملاعب الرماحِ [٢]

فمعنى أفلحَ الفَلاحَ الذي هو البقاء في دوام النعيم و الفوز بالبغيةِ [٣]. و معنى وصفِهِ إياهم بالفلاح و لم يصلوا بعدُ إلى الجنة أي سيصلون إلى البغية و البقاء بكونهم على الهدى. و الثاني كأنهم قد و صلوا بالثقة بالموعود لهم و قِيلَ: هم على هدى في الحال و هم المفلحون في المآل.

وقال بعض أهل اللغة: إنّ الأصل في الفلاّح القطع و منه الحديد بالحديد يُفلَح أي يُقطع والفلاّح الأكار لأنه يقطعُ الأرض بالشق و الفلاَّح المكاري لأنه يَقطَع بالسوق والمفلح قاطعٌ زمانه إلى الظفر بحاجته و بغيته وقاطعٌ زمانه إلى بُغيته من البقاء [٤].

قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ الآية [٦]. ﴿إِنَّ﴾ حرفٌ ينصب الاسم و يرفع الأخبار ويدخل في الكلام على جهة التوكيد، [٥] و إنما نَصب ورفع لأنه مشبَّهٌ بالفعل من

قصيدةٍ طويلة رائية مكسورة القافية. ووقع البيت في معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٧٤ : بعد عاد و تبّعا ؟.

[١] البيت للأعشى في مختار الشعر الجاهلي: ٢ / ٢٤١ و لسان العرب: فلح: ٢ / ٥٤٧ و روايتُهُ في ديوانه في مختار الشعر الجاهلي: أو لئن كنا.

[٢] البيت للبيد في ديوانه: ص٣٣٣ و لسان العرب: لعب: ١ / ٧٤١ و الدر المصون: ١/ ١٠٢

[٣] تفسير نجم الدين عمر النسفي مخطوط: التيسير في التفسير: (ورقة ٣٩) و قد بسط القول في معنى الفلاح و المراد به في الآية بما لم أره في غيره.

[٤] ينظر: الزاهر : ١ / ٣٨ و مفردات القرآن للراغب: ١ / ٣٨٥ و لسان العرب: فلح: ٢ / ٥٤٨ وتفسير البغوي: ١/ ٤٨ و التفسير الكبير للرازي : ١ /٤٨ و البحر لأبي حيان: ١ / ٤٣ .

[٥] ينظر: على سبيل المثال: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٧٥ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٨٥

حيث إنه يُذكر بعده [١] الاسم و الخبر كما يُذكر بعد الفعل الفاعل والمفعول و لأنه لا يلي الأعمال ولا يعملُ فيها إلا أنه قُدِّم النّصب على معموله على الرفع ليكون فرقا بين ما يُشبَّه و لفظه لفظةُ الفعل نحو كانَ و بعده بابه، و بين ما يُشبَّه بالفعل و لفظه غير لفظ الفعل نحو أن يقول: كان زيدٌ قائما و يقول إن زيداً قائم [٢]. و خبر﴿ إِنَّ﴾ ههنا قوله: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ و يحتمل أن يكون خبر ﴿ إِنَّ﴾ ههنا قوله: ﴿ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ و يكون قوله ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ كلام مُعترِض و يرفع قوله: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ على الابتداء وخبره ﴿ءَأَنذَرۡتَهُم ﴾ كأنك قلتَ سواء عليهم الإنذار و تركه. [٣]

و معنى الكفر في اللغة الستر و التغطية و سمّي الليل كافرا لأنه يستر الأشياء بظلمته وأنشد لبيد :

في ليلة كَفَرَ النجوم غَمامُها [٤].

أي ستر.

و يُسمى الزارع كافرا لأنه يستر الحبَّ بالتّراب و الكافر يُسمّى كافرا لأنّه يستر بجحده الحقّ كفرانُ النعمة سترُها بترك الشكر. [٥] و القِرَاءة في قوله: ﴿ ءَأَنذَرۡتَهُم ﴾ [١] بتحقيق الهمزتين من غير مدٍّ بينهما عن الكسائي وعاصم و حمزة و(آنذرتهم) بإثبات الهمزة الأولى و تحقيقها و تليين الثانية [٢]

---

[١] وقع هنا في النسخة ل : حرف (و) قبل الاسم خطأ.

[٢] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٧٥

[٣] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٧٥ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٨٤ و الحجة لأبي علي: ١ / ١٧٥ والبيان لأبي البركات ابن الأنباري: ١ / ٤٩ والبحر لأبي حيان: ١ / ٤٦

[٤] البيت من معلقة لبيد المشهورة: و هو في ديوانه: ص٣٠٩ و جامع البيان للطبري: ١ / ٢٦٢

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٦٢ و تفسير السمرقندي: ١ / ٥٠ وتفسير الثّعلبي: ١ / ١٤٩ و البحر لأبي حيان: ١ / ٤٤

و المدّ و به قرأ أبو عمرو و نافع [٣] و ابن كثير و يعقوب و أبو جعفر ، و (أأنذرتهم)بتحقيق الهمزتين والمدّ عن ابن عامر و غيره. [٤]

و معنى سواء عليهم أي معتدلٌ مأخوذ من التساوي كقولك متساوٍ هذان الأمران عندي، وكما تقول هما عندي سواء أي معتدلان، و منه قوله تعالى: ﴿ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الأنفال:٨٥] يعني أعلمهم و آذِنهم بالحربِ حتى يستوي علمُكَ و علمُهم بما عليه كلُّ فريق منهم للفريق الآخر كذلك: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي معتدلٌ عندهم أي الأمرين كان منك إليهم الإنذار أو ترك الإنذار لأنهم لا يؤمنون إذ قد ختمت على قلوبهم. و سواء الجحيم وسطه لاستواء مقادير

---

[١] ينظر: في ذكر القراءات فيها: إعراب القرآن لابن النحاس : ١ / ١٨٤ والمبسوط لابن مهران: ١٢٣ – ١٢٤ والروضة لأبي علي المالكي: ١ / ١٨٠ و التجريد في القراءات السبع لابن الفحام: ص١٢٠ و النشر: ١ / ٣٦٣ و البدور الزاهرة للشخ القاضي: ص١٨

[٢] تحقيق الهمزة : الإتيان بها من مخرجها مندفعة كاملة في صفاتها. وتليين الهمزة أو تسهيلها أن تنطق بالهمزة بينها و بين الحرف الذي منه حركتها فتجعل المفتوحة بين الهمزة المفتوحة و بين الألف ، و المكسورة بين الهمزة و الياء، و المضمومة بين الهمزة و الواو. و الأخذ عن الشيوخ يضبط هذا. ينظر: الرعاية لمكي: ص ١٤٧ والتمهيد لأبي العلاء الهمذاني الحافظ: ص٢٧٥ و التمهيد لابن الجزري: ص٧١. قال سيبويه:

(اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التحقيق ، و التخفيف و البدل... أما التخفيف فتُصيّر الهمزة فيه بَينَ بينَ)اهـ. الكتاب: ٣ / ٤٥١ و سر صناعة الإعراب لابن جني: ٢ / ٥٧ .

[٣] لورش عن نافع و جهان: الأول بتسهيل الثانية من غير إدخال ألف بينهما كقراءة ابن كثير ورويس عن يعقوب و الوجه الثاني: إبدال الهمزة الثانية ألفاً. ينظر المصادر السابقة في الحاشية: ٢.

[٤] ابن عامر بخلف عنه و أهل الكوفة – عاصم و حمزة و الكسائي- يحققون الهمزتين بلا إدخال ألف بينهما. ينظر المصادر السابقة في الحاشية: ٢.

نواحيه إليه. وقول القائل سوائك [١] أي من هو في مكانك بدلا منك لاستواءه في مكانه .[٢] و معنى قوله ﴿ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ خرج مخرج الاستفهامِ و معناه الخبرُ و دخل الألف و﴿ أَمۡ﴾ ههنا للتسوية كما تقول في الكلام ما تبالي قمتَ أو قعدتَ و أنتَ مخبرٌ لا مستخبرٌ لأنّ معناك فيه ما تبالي أي هذين كان منك و لم يجز أن يقول هاهنا (سواء عليهم أأنذرتهم أو لم تنذرهم) [٣] و ذلك لأن (أَمْ) مع الألف يدل على التسوية بين الشيئين في التجويز على ما ذكرنا و أَوْ إنما هي لأحد الشيئين فيجوز سواءً عليّ هذان و لا يجوز سواء علي أحدهما لأن سواء يطلب شيئين قد استويا في معنى [٤] قول الشاعر:

سواء علينا يا جرير بن معمرٍ إذا غبتَ بأساءُ الحروب و لينُها [٥]

وقال الحسين بن الفضل إنَّ الله أعطى نبيه أجر الإنذار حيث قال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ ﴾ و لم يقل سواء عليك فأَمَرَهُ بالإنذار و أوجب عليه ذلك وإن أخبر أنّ إنذاره لا ينفعهم .

---

[١] سواءك : بمعنى غيرك: لسان العرب: ١٤ / ٤١٦ (سوا)

[٢] ينظر في معانى سواء و تقديرها هنا: الحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ١٦٢ - ١٦٦ و قد فصّل القول فيها و تفسير القرطبي: ١ / ١٨٥ و البحر لأبي حيان: ١ / ٤٧ و لسان العرب: ١٤ / ٤١٣ و الدر المصون: ١/ ١٠٤

[٣] في النسخة (ل) : ﴿{أَمۡ}لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ بأم ومعنى الكلام يدل على أن المراد أو.

[٤] الحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ١٦٢ - ١٦٦ و البحر لأبي حيان: ١ / ٤٧ و لسان العرب: ١٤ / ٤١٣ و البيان لأبي البركات ابن الأنباري: ١ / ٤٩ والدر المصون: ١/ ١٠٤ و روح المعاني: ١ / ١٢٩

[٥] البيت لبثينة في جميل بن معمر مع قصة في الأغاني: ٨ / ١٣٣ و الشعر و الشعراء لابن قتيبة: ١/ ٤٤٢والأمالي لأبي علي القالي: ١ / ٢٠٢ و في وفيات الأعيان لابن خلكان في ترجمة جميل بن معمر. وروايته في المصادر: بأساء الحياة و لينها.

و معنى الإنذار الإعلام بموضع الخوف ليتَّقَي و نَذَر به ينذُر إذا علم بموضع الخوف منه وكل نبي نذيرٌ أي منذر لقومه .

و اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فروي عن ابن عبّاس أنه قال: (نزلت هذه الآية في اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة على عهد النبي صلَّى الله عليه و سلَّم توبيخا لهم في جحودهم نبوّة محمّد صلَّى الله عليه و سلَّم). (١)

و هذا اختيار محمّد بن جرير الطبري به قال: لأن الله تعالى إنما ذكر هؤلاء عقيب مؤمني أهل الكتاب فذكرَ بعدَ مؤمنيهم مشركيهم و كافريهم و كلهم من بني إسرائيل من أهل الكتاب و الكلام بعضه لبعضٍ تبعٌ إلى أن يأتي دلالة صارفةٌ قال و لأنه ذكر بعد انتهائه قصة المنافقين وبعده حديث آدم و إبليس و بعده ذكر بني إسرائيل فقال ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ ﴾ فهذا يدل على أنه أراد به هؤلاء. (٢)

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٥٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٤٠ و ينظر: أسباب النزول للواحدي: ص٢١ و بحر العلوم : ١/ ٩١ و زاد المسير: ١ / ٢٩ و الدر : ١/ ٢٩

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٦٠ بمعناه : وقال أيضا: (فإن الجنس يجمعُ جميعَهم بأنهم بنو إسرائيل)اهـ. ثم أطال ابن جرير القول و أطابه في ترجيح ذلك كعادته رحمه الله. و أمّا ابن كثير رحمه الله فاختار المروي عن ابن عبّاس من طريق علي بن أبي طلحة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يحرصُ أنْ يؤمن جميع النّاس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذِّكر الأوَّل ولايَضِل إلا من سبق له من الله الشقاوة في الذِّكر الأوّل). و قد رواه الطبري: ١ / ٢٥٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٤ / ١٢٨٤ و الطبراني في الكبير: (١٣٠٢٥) و البيهقي في الأسماء و الصفات (١٣٩) و هو عند البيهقي مطوّلا بذكر آيات أُخَر. وأرجح الأقوال أن المراد به من حقّت عليه كلمة العذاب من اليهود أو من غيرهم لدخولهم جميعا في مسمى الكفر، فمن مات على الكفر ممن ذُكِر سواء ممن ذكرهم الربيع أو من غيرهم داخل فيمن حقَّت عليه كلمة العذاب. فالذين كفروا لا يؤمنون يعني من حقت عليه الشقاوة

و يُروى عن الربيع بن أنس أنه قال: نزلت هذه الآية في قادة الأحزاب الذين قُتِلوا يوم بدر وكذلك الآية التي بعدها نزلت فيهم. (١) وقال من اختار هذا القول الذي يدلُّ على صحة هذا التّأوِيل أن الله تعالى أخبر عن هؤلاء أنهم لا يؤمنون وهؤلاء الذين ماتوا على الكفر فأما غيرهم فمنهم من آمن و منهم من كفر. (٢) و قِيلَ نزلت الآية في قوم من الأوس و الخزرج منافقين عَلِم الله سبحانه أنهم يموتون على الكفر فأخبر عن ذلك فكان كما أخبر (٣). وقِيلَ نزلت الآية في فريقٍ من الكفار علم الله سبحانه أنهم يموتون على الكفر. (٤)

قوله: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ [الآية: ٧] الختم في اللغة هو الطبع و الخاتَم هو الطَّابَعُ، وختمتُ الكتاب إذا طبعته.

و أصله في الاشتقاق من آخر الشيء، و منه ﴿ خِتَـٰمُهُۥ مِسۡكٌ ﴾ [المطففين:٢٦] أي آخره ومنه خاتم النبيّين أي آخرهم، و منه ختم القرآن لأنه حالُ الفراغ من قراءته عند انتهاء آخره، و منه

منهم فهو عام يراد به الخاص؛ قال القرطبي: (فقِيلَ هي عامة ومعناها الخصوص فيمن حقت عليه كلمة العذاب وسبق في علم الله أنه يموت على كفره أراد الله تعالى أن يعلم أن في النّاس من هذه حاله دون أن يعين أحدا ...إلى أن قال .. والأول أصح فإن من عيَّن أحدا فإنما مثَّلَ بمن كُشِف الغيب عنه بموته على الكفر وذلك داخل في ضمن قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾)اهـ. ١/ ١٨٤ و ينظر: معاني القرآن لابن النحاس: ١ / ٨٧ و فتاوى شيخ الإسلام: ١٦ / ٥٩١

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٦٠ و ٢٧٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ٤٠

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٦٠

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٥٨ و سيرة ابن هشام: ١ / ٥٣٠

(٤) هذا القول بمعنى قول الربيع بن أنس الماضي. و ينظر: تفسير مقاتل : ١ / ٣٢ وجامع البيان للطبري: ١ / ٢٥٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٤٠ و أسباب النزول للواحدي: ص٢١ والنكت للماوردي: ١ / ٧٢ و زاد المسير: ١ / ٢٧ و البحر: ١ / ٥٠ و المحرر: ١ / ٨٦ و العجاب للحافظ ابن حجر: ص٧١

خَتْمُ الكتاب عند طيّه و الفراغ منه والختم الوعاء و الظَّرف يمنع غيره أن يدخل فيه و يمنع ما فيه أن يخرج منه كذلك الختم على قلوب الكفار هو أن يمنع دخول الإيمان فيه و خروج الكفر منه و إنما يكون ذلك بأن يخلق الله الكفر فيه و يجدّد أمثاله حتى لا يدخل الإيمان في قلوبهم [١]
و كان الإمام ابن فُورَك رحمه الله يقول:
الختم إحداث أثر في المختوم عليه فالختم على القلب إحداث الكفر فيه، و تأوّلت القدرية الآية على أنّه بمعنى حكم الله تعالى بكفرهم و هذا باطل، [٢] و ذلك أن يحكم بكفر الكافر و لا

---

[١] غريب الحديث للحربي: ٢/ ٥٥٧ و لسان العرب: ٨/ ١٦٤ و ١٢ / ١٦٣ (ختم) و جامع البيان للطبري: ١ / ٢٦٥ - ٢٦٨ و معاني القرآن للزجاج ١ / ٨٠ وبحر العلوم : ١ / ٥١ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٥٠ و النكت العيون للماوردي: ١/ ٧٢ وتفسير البغوي: ١/ ٤٩ والمحرر لابن عطية: ١ / ٨٨ و تفسير السمعاني ج١/ ص٤٧ و زاد المسير: ١ / ٢٩ تفسير القرطبي: ١ / ١٨٤ وتفسير أبي السعود: ١ / ٣٧ و تفسير ابن كثير: ١ / ٤٦ و البيضاوي: ١ / ١٤٤ وتفسير الشوكاني: ١ / ١٣٩ وتفسير الثعالبي: ١ / ٣١ و أضواء البيان: ١/ ١٢

قال الطبري: (فأخبر أن الذُّنوب إذا تتابعت على القلوب أغلفتها – في نسخة(أغلقتها) وإذا أغلفتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع فلا يكون للإيمان إليها مسلك ولا للكفر منها مخلص فذلك هو الطبع والخَتْم الذي ذكره الله تبارك وتعالى في قوله : ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾. نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يُوصل إلى ما فيها إلا بفضِّ ذلك عنها ثم حلِّها، فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم إلا بعد فضِّه خاتمه وحله رباطه عنها)اهـ . ١ / ٢٦٧ و قال الإمام السمعاني: (والثاني وهو قول أهل السنة أي ختم على قلبهم بالكفر لما سبق من علمه الأزلي فيهم، وحكى – أي ابن كيسان – قولا ثالثا: أن معناه جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها وهذا تأويل أهل الاعتزال نبرأ إلى الله منه)اهـ. تفسير السمعاني :١/ ٤٧

[٢] تأويل ختم بمعنى حكم بكفرهم، خروجٌ عن اللفظ البيّن إلى معنى متوهّمٍ فهو باطل كما قال المصنّف وكذلك التأويل الذي مرّ قريبا ورده الإمام السمعاني وهو أن ختم – بمعنى جعل على قلوبهم علامة

يقال ختم على قلبه و ختم عليه بالكفر و حمله بعضهم على حال العيان و معاينة الملَك يعني بـه المحتضَر قال:

(يختم الله على قلوبهم في تلك الحالة بأنْ يمنعهم عن الإيمان عقوبـةً لهـم عـلى مـا سـلف مـن كفرهم في حال التكليف ثم أخبر أن لهم عذابا عظيما في الآخـرة). و هـذا الـذي قالـه باطـلٌ لوجوه منها:

أنَّ قوله ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ ﴾ خـبرٌ يقتـضي حـصول المخـبر عنـه والذي قاله أمرٌ منتظَر يحصل في حال النزع، ولأن الكافر في وقت النزع يؤمن و يندم فلا ينفعه ذلك و قد قال الله تعـالى ﴿ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَـٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا ﴾ [غـافر:٨٥]. (٣٧و) فكيف يصحّ أن يقال ختم على قلبه في ذلك الوقت، وتأوَّله بعضهم عـلى أنـه توسُّـعٌ و معناه أنه ذمَّ قلوبهم وقال كأنها مختوم عليها حيث لا يدخل فيها إيمان ولا يخرج منها كفرٌ و هو كقول الشاعر:

لقد أسمعتَ [أو] ناديتَ حيَّاً و لكن لا حياة لمن تنادي [١]

تعرفهم الملائكة بها- و كذلك ما ذكره الزمخشري من تأويلات أحسن التـأتي لهـا لبراعتـه في علـوم البيـان وتقدّمه في علوم اللغة هي باطلة أيضا، وقد رد الإمام الطيبي على الزمخشري ردا قويّا مقنِعا لمـن وفقـه الله. الكشاف مع حاشيته : ١/ ١٦٥ – ١٦٦. وقال ابن كثير: (ولو فهم – يعني الزمخشري – قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾ [الـصف:٥] وقولـه: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَـٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَـٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ [الأنعام:١١٠] وما أشبه ذلك من الآيـات الدالّة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاء وفاقا على تماديهم في الباطل وتـركهم الحق وهذا عدل منه تعالى حسن وليس بقبيح فلو أحاط علما بهذا لما قال ما قال)اهـ. تفسير ابن كثير ١/ ٤٧ وينظر: أيضا : شفاء العليل: لابن القيم: ص ٨٢ و ما بعدها.

[١] في المصادر: لقد أسمعتَ لو ......والبيت من المتنازع فيه فيُروى من قـصيدة لكثـير عـزة في ديوانـه أولها:

أي كأنه لا حياة به و هذا باطلٌ لأنه صرف الكلام عن حقيقته إلى المجاز من غير دليلٍ. وروى الأعمش و ابن جُريج عن مُجاهد [١] أنه قال:

إنّ القلب في مثل هذا يعني الكفّ فإذا أذنب العبد ذنباً ضُمَّ فيه، وقال بإصبعه الخنصر هكذا فإذا أذنب ضُمَّ، وقال بإصبعه الأخرى حتى ضمَّ أصابعه كلَّها قال ثم يُطبع عليه بطابعٍ قال مُجاهد: و كانوا يرون أن ذلك الرَّين وقال: مُجاهد الرَّان أيسرُ من الطبع و الطبع أيسرُ من الإقفال و الإقفال أشد ذلك كلّه.

وروى ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة : (قال قال: رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم إن المؤمنَ إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإنْ تاب ونزع واستغفر صُقِل قلبه و إن زاد زادت حتى { يَغلَقَ }[٢] قلبه فذلك الرَّان الذي قال الله تعالى : ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ [المطففين:١٤]. [٣]

شَجا أَظعانُ غاضِرَةَ الغوادي بِغَيرِ مَشورَةٍ عَرَضًا فُؤادي

و هي في الأغاني بطولها لكن ليس فيها هذا البيت: الأغاني: ١٢ / ١٧٧ بولاق و ١٢ / ٣٩٥ دار إحياء التراث العربي. و ينسب أيضا لدريد بن الصمة و لبشار بن برد و هو في ديوانه بيت مفرد : ص ٤٣٤ و ينسب أيضاً لعمرو بن معدي كرب الزبيدي.

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٦٦ و البيهقي في الشعب: (٧٢١٠)

[٢] في نسخة من الطبري: تُغلِق. و في أخرى : يغلق،و في أخرى يغلف. جامع البيان للطبري: ١ / ٢٦٧ في هامش طبعة دار هجر، و كذا في بعض مصادر الحديث. ينظر تخريجه الآتي.

[٣]أخرج أحمد في المسند: (٢ / ٢٩٧ والترمذي : ٥ / ٤٣٤ ، كتاب تفسير القرآن (٤٨) ، باب و من سورة ويل للمطففين (٧٥) (ح ٣٣٣٤) وقال : حسن صحيح، والنسائي: في عمل اليوم و الليلة: (ص١٣٧) وابن ماجه: ٢ / ١٤١٨ كتاب الزهد باب ،ذكر الذنوب، وابن جرير: ١ / ٢٦٧ و ٣٠ / ٦٢ وابن حبان: موارد الظمآن: ص٦٠٧ كتاب التوبة، باب ما جاء في الذنوب(١) والحاكم في المستدرك: ٢ / ٥١٧ و قال صحيح على شرط مسلم، و سكت الذهبي، و البيهقي في الكبرى: ١٠ / ١٨٨ و في شعب الإيمان: ٥ / ٤٤٠ .وزاد السيوطي: نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب

و معنى القلب في الاشتقاق من القَلْب الذي هو جعل الشيء على خلاف ما كان يقال قلبه يقلبه قلباً فالقلب يُسمى قلبا لكثرة تقلُّبه بالخواطر و المعاني [١] وأنشدوا:

ما سُمِّيَ القَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلُّبِه   و الرأي يُصرَف و الإنسانُ أطوارُ [٢]

و القليب البِئر لأنّ الماء ينقلِبُ إليها و ما به قَلَبَةٌ أي انقلابٌ عن حال الصحة.

وقوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ الواو فيه واو العطف و معناه و ختم على سمعهم، هاهنا وقف ثم استأنف، وقال: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾، [٣] و إنما قال: ﴿عَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ و لم يقل (على أسماعهم) لأن السمع في معنى المصدر كما تقول يُعجبني حديثكم و ضربكم و يحتمل أن يكون معناه

الإيمان : الدر المنثور: ٨ / ٤٤٥. و سنده يدور على محمّد بن عجلان رواه جماعة من الثقات عنه بالسند الذي ذكره المصنف. و سنده صحيح على شرط مسلم و صححه الترمذي وابن حبان و في محمّد بن عجلان القرشي مولاهم كلام لا يضر إن شاء الله، و هو من شيوخ مالك و من علماء المدينة وفقهائها: وثقه ابن عيينة و أحمد و أبو حاتم و النسائي ترجمته في: تاريخ الدوري عن ابن معين: ٢ / ٥٣٠ و تاريخ البخاري الكبير: ١ / ٦٠٣ و الجرح و التعديل: ٨ / ترجمة: ٢٢٨ و ثقات ابن حبان: ٧ / ٣٨٦ و الجمع لابن طاهر القيسراني: ٢ / ٤٧٥ و تهذيب الكمال: ٢٦ / ١٠١ وسير النبلاء: ٦ / ٣١٧ و ميزان الاعتدال: ٣/ ت: ٧٩٨٣ و تهذيب التهذيب: ٩ / ٣٤١ و التقريب: ٢ / ١٩٠

[١] تفسير القرطبي: ١ / ٦٨٧ و لسان العرب: قلب: ١ / ٦٨٧

[٢] هكذا البيت كما هنا في كتاب العين : ((قلب)) ٥/ ١٧١ و هو في تهذيب اللغة (قلب) و لسان العرب : (قلب) ١ / ٦٨٧ من غير نسبة لكنه فيهما بالنصب:.........والرَّأْيُ يَصْرِفَ بالإِنسانِ أَطْوارَا. و قافية القصيدة هنا و في كتاب العين بالرّفع. و شطرُهُ الأول وهو قوله : ما سُمِّيَ القَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلُّبِه .يروى في ضمن بيتٍ من قصيدة لعمر بن أبي ربيعة:

ما سُمِّيَ القَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلُّبِه   و لا الفؤاد فؤادا غير أنْ عقلا

ديوانه: ص٣٥٩ و الأغاني : ١ / ٢٤٥

[٣] الوقف على: ﴿سَمْعِهِمْ﴾ كاف عند ابن الأنباري و الداني و هو الراجح و قِيلَ تامٌّ (الإيضاح لابن الأنباري: ١ / ٤٩٥ و القطع ص١١٦ و المكتفى في الوقف و الابتداء: ص١٥٩)

على مواضع سمعهم فحذفت المواضع و دلَّ السمع عليها كما تقول قومٌ عدلٌ أي ذوو عدل و يجوز أن يكون كما أضاف السمع إلى جملتِهم أراد به أسماعهم [١] كقول الشاعر [٢] : في حَلقكم عَظْم وقد شَجينا [٣]

وقول الآخر : كلوا في نصف بطنكم [٤] تعيشوا . [٥]

يريد بطونكم و لمّا لم يستعملوا هذه الحواسّ استعمالاً لا يُجدي عليهم كانوا كمن لا يسمع ولا يُبصِر، وقِيلَ خَتَم على قلوبهم فلم يعقلوا الحقَّ وعلى أسماعهم فلم يسمعوا الحق و جعل على

---

[١] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٠ و الكشاف: ١ / ١٦٩ و زاد المسير: ١/ ٢٨ و تفسير القرطبي: ١ / ١٩٠ و إملاء ما من به الرحمن: ١/ ١٥ و البيان في غريب إعراب القرآن : ١/ ٥٢ و التفسير الكبير: ٢ / ٤٩

[٢] يُنسَب للمسيّب بن زيد بن مناة الغَنَوي :الكتاب لسيبويه: ١ / ١٠٧ و معاني القرآن للزجاج: ١ / ٨١ . و شطره في تفسير الطبري:٤ / ٢٤٤ و إعراب القرآن – للنحاس:٤ / ٣٠٢ و لسان العرب – لابن منظور٥ / ٢٣٧ و البيان لأبي البركات ابن الأنباري: ١ / ٥٢ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – لابن عطية:٢ / ٣٩٥

[٣] كلمة شجينا غير منقوطة في النسخة ل : وأول البيت :

لا تنكروا القتل وقد سُبينا   في حَلْقكُم عَظْم وقد شَجِينا .

و الشاهد أنه يريد في حلوقكم . و الشَّجَى ما يعترِضُ في الحلق من العَظْم ونحوه.

[٤] في النسخ: ل : وتعيشوا

[٥] تمامه: فإن زمانكم زمن خميصُ: و البيت غير معروف قائله و هو من أبيات الكتاب لسيبويه : ١ / ١٠٨ و هو في: جامع البيان للطبري: ١ / ٣٨٣ و الصاحبي: ص٢١٦ و المحتسب: ٢ / ٨٧ والخزانة: ٣ / ٣٧٩ و زاد المسير: ١ / ٢٨ و شطره في البيان في غريب إعراب القرآن: ١ / ٥٢.

و في رواية: تعفوا بدل تعيشوا: والشاهد فيه أنه وحّد البطن و المراد به البطون.

أبصارهم غشاوة فلم يستبصِروا في الحق [١]. و إنما خصَّ القلب والسمع و البصر لأن القلب هي المُضغة التي إذا صلحت صلح الجسد و إذا فسدت فَسَدَ الجسدُ و بمثله ورد الخبر.

وأما السّمع و البَصر فيختصّان بسماعِ الخِطاب و إدراكِ ما يقع به الاعتبار وما عداهما من الحواس لا يتعلق بها شيء من الأمور الدينية، وقِيلَ يحتمل أنْ يكون وصفه للسمع بالغشاوة و الختم توسُّعا لأنهم إذا منعوا عن الاستبصار في الحق و سماع الحق شبّهوا بمن كانت على أبصارهم و أسماعهم غشاوة لا يسمعون و لا يبصرون.

و من النّاس من وقف على قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ ثم قال ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٌ﴾ .

و الصحيح ما ذكرنا قبلُ لأنه لمّا قضى عمى الأبصار عن حكم القلوب و صله بقوله ﴿غِشَٰوَةٌۖ﴾ كما تقول: ضربتُ زيداً وعمرواً و بكراً كسوتُ ثوبا. [٢]

---

(١) تخصيص القلوبِ بالخَتْم لأنها محلّ العقلِ و الفهم: البحر: ١/ ٤٨ و قطفُ الأزهارِ في كَشْف الأسرار للسيوطي: ١/ ١٨٣

(٢) الختم متعلّقٌ بالسمع و القلب، و أمّا الغشاوة فمتعلقة بالبصر، و قد تقدّم الكلام قريبا على الوقف على: ﴿سَمۡعِهِمۡۖ﴾ و أنّه كاف و قِيلَ تام، و قوله: ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ الخ أي جعل على أبصارهم. فيه اسئناف هذا على قراءة الرفع في غشاوة وهي قراءة العشرة و فيها خلاف مذكورٌ في الشواذ عن عاصم بالنصب في ﴿ غِشَٰوَةٌۖ﴾ . ينظر: الإيضاح لابن الأنباري: ١ / ٤٩٥ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨١ و القطع: ص١١٧ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٨٦ والقراءات الشاذة لابن خالويه: ص٢ و الحجة لأبي علي الفارسي: ١/ ١٨٧ و المكتفى: ص١٦٠ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٥١ و زاد المسير: ١ / ٢٨ و البيان في غريب إعراب القرآن: ١ / ٥٢ و الاقتداء في الوقف والابتداء للنكزاوي: ١ / ٢٣٨ ، و إملاء ما من به الرحمن: ١/ ١٥ و البحر: ١ / ٤٩ و الدر المصون: ١/ ١٠٦

و الغِشاوة الغِطاء و منه غِشاوة الولدِ ما عليهِ من الجِلدة و أصله لُبسٌ رقيقٍ و منه غُشِيَ المريضُ إذا دِيرَ به لأَثر لَبِسه من حال المرضِ، و منه غاشية السرج. و في غِشاوةٍ ست لغـات غِـشَاوَةٌ و غَشَاوَةٌ و غُشَاوَةٌ و غَشْوَةٌ و غِشوَةٌ و غُشْوة و أجودها بكسر الغين قال الشاعر:

تبعتُكَ إذ عيني عليها غِشاوةٌ　　　　فلما انجلَت قطَّعتُ نفسي أَلُومُها [١]

لأنّ فِعالة للاشتمال كالعمامة و القِلادة و العِصابة. [٢]

و القِرَاءة في (غشاوة) بالرفع لأنه خبرُ (على)، و يجوز أن يرتفع بفعلٍ مضمرٍ أي وارتكب على أبصارهم غشاوة، قال الفرّاء و زعم المفضَّل أن عاصم بن أبي النَّجود كان ينصب غشاوة ههنا [٣] و إنما يجوز ذلك بإضمار الفعل أي و جعل على أبصارهم غـشاوة و قـد قـال الله تعـالى في موضع آخر ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً ﴾ [الجاثية:٢٣] [٤] .

و يجـوز أن يُنـصب بالحمـل عـلى موضـع ﴿سَمۡعِهِمۡۖ ﴾ و ﴿قُلُوبِهِم﴾ لأنَّ موضـع ذلـك النصب و الكلام يحمل على ما تقدَّم ويتبع بعضه بعضاً كقولك فـلان قـد أصـاب المـال فبنـى

---

[١] نسبه الطبري إلى الحارث بن خالد بن العاصِ وهو المخزومي: ١ / ٢٧١ ، و هو في لسان العـرب: (غشا) : ١٥ / ١٤٦ منسوبا إليه .و ينظر: المحرر الوجيز: ١ / ٨٨ . و هـو في روايـة الطـبري في هـذا الموضع تبعتك وفي أكثر المصادر: صحبتك بدل (تبعتك).

[٢] ينظر في معنى غشاوة و اللغات فيها و القراءات: مختصر مـن كتـاب ابـن خالويـه في الـشواذ: ص٢ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٨٦ و السبعة لابن مجاهد: ١/ ١٤١ والحجـة لأبي عـلي الفـارسي: ١/ ١٩٣ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٥١ و زاد المسير: ١ / ٢٨ و المحرر : ٥ / ١٨٧ و إمـلاء مـا مـن بـه الرحمن: ١/ ١٥ و الفريد للمنتجب الهمداني: ١ / ٢١٦ وتفسير القرطبي: ١ / ١٩٢ و لسان العـرب: (غشا) : ١٥ / ١٤٦ و البحر: ١ / ٤٩ و الدر المصون: ١/ ١٠٦

[٣] الفرّاء: ١ / ٢٠ و قد مضى الكلام عليها.

[٤] الآية: ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية : ٢٣].

الدور و العبيد والإماء و اللباس الحسن و اسم البناء لا يقع على هذه الأشياء و لكنه من صفات اليسار فحَسُن الإضمار لما عُرف .

و مثله في سورة الواقعة ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [الواقعة:١٧، ١٨] ثم قال: ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ [٢٠، ٢١، ٢٢] فخفض بعضهم[1] والحور العِين لايطاف بهنَّ إلا أنه أتبَعَ آخر الكلام أوّله.

وقال الشاعر:-

علَّفتُها تبناً و ماءً بارداً[2] و معلوم أن الماء يُشرَبُ ولا يُعلَفُ

وقال الآخر :

ورأيتِ شيخك في الوَغَى متقلِّداً سيفاً ورمحا[3]

---

[1] يعني قرأ بعضهم بالخفض في كلمة (حور) . و الحور العين لا يطاف بهن . و قد قالوا : أيضا إنّ الفاكهة و الّلحم لا يُطاف بها و إنما يُطاف بالخمر: الفرّاء: ١ / ٢٠ – ٢١ و جامع البيان للطبري: ١ / ٢٧٠ و الفريد للمنتجب الهمداني: ١ / ٢١٦ وتفسير القرطبي: ١ / ١٩٢ و لسان العرب: (غشا) : ١٥ / ١٤٦ و البحر: ١ / ٤٩ و الدر المصون: ١/ ١٠٦ .

[2] قال الفرّاء و أنشدني بعض بني أسد يصف فرسه: ١ / ٢٠ و جامع البيان للطبري: ١ / ٢٧٠ – ٢٧١ وينظر: خزانة الأدب: ١ / ٤٩٩ ففيها أنه لا يعرف قائله. و البيت من شواهد النحاة المشهورة. و عجزه: حتى شتتْ همّالة عيناها.

[3] ينسب لعبد الله بن الزبعرى السهمي القرشي: وهو في معاني القرآن للفرّاء: ٣/ ١٢٣ و الكامل للمبرد: ١ / ٣٤٤ ، ٣٧١ و تأويل مشكل القرآن: ص١٦٥ وجامع البيان للطبري: ١ / ١٤٠ و ٢٧١ و إعراب القرآن لابن النحاس: ٤ / ٣٢٨ و المخصّص: ٤ / ١٣٦ ولسان العرب: في مادة : ((زجج)) و في ((قلد)) و في ((عكف))، و تفسير القرطبي: ١ / ١٩١ ، و في بعض الروايات (زوجك) بدلا من شيخك ،و هو من شواهد النحويين المشهورة.

و الرمح لا يُتقلَّد و إنما يحمل. قوله: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني في الآخرة عقوبة لهم على كفرهم و إضافته [١] إليهم جائز و إن كان العذاب يضرُّهم كقوله: ﴿ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ ﴾ [غافر:٥٢] لأن هذه اللام لا تقتضي إلا النّسبة فقط تقول آلمني ضربُ زيدٍ فيَحتَمِلُ أن يكون آلم قلبك ما ضَرَب زيد.

و العذاب في الأصل من الاستمرار وعذّبه تعذيباً إذا استمرّ به الألم، و عذُب الماء عُذُوبةً إذا استمرّ في الحلق تقبّلُ النفس له؛ و حمار عاذب وعذوبٌ إذا استمرّ به العطش و لم يأكل من شدة العطش. [٢]

و وَصفُهُ العذاب بالعِظم هو المواصلة بين أجزاء الآلام بحيث لا يتخلَّلُها فُرجةٌ أو يُحدِث في كلِّ جزء ألما أو يخلق فيه ألماً أشد من ألمٍ عند من لا يرى الآلام جنساً واحدا.

و الأصل في العظيم هو العِظم و هو كثرة المقدار في الجثَّةِ و المساحة ثم استُعِير ذلك في الصفات فقِيلَ كلامٌ عظيمٌ و أمرٌ عظيم أي عظيم القدر يريدون به المبالغة في وصفه. [٣]

قوله:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الآية ٨] أجمعوا أنّ هذه الآية نزلت في المنافقين كانوا يُقرُّون أنا مؤمنون فأخبرَ الله سبحانه عنهم أنهم يقولون إنا مؤمنون ثم نفى عنهم الإيمان فقال : ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤] وهذا يدلُّ على فساد قول من قال إن الإيمان

---

[١] في النسخة (ل) : و إضافة.

[٢] البحر: ١ / ٤٦ ولسان العرب: عذب: ١/ ٥٨٤ و ينظر: تفسير الثّعلبي: ١ / ١٥١ والوسيط للواحدي: ١ / ٨٥ و الكشاف: ١/ ١٦٩

[٣] تفسير نجم الدين عمر النّسفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٤٣) و تفسير القرطبي: ١ / ١٩٢

[٤] سيرة ابن هشام: ١ / ٥٣١ و تفسير الطبري: ١ / ٢٧٥ – ٢٧٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ٤٢ و ٥٠ وأسباب النزول للواحدي: ص١٣ .و قد حكى الطبري إجماع أهل التأويل على أنها نزلت في قومٍ من المنافقين.

[أ/٣٨]

هو الإقرار الفردُ لأنّ الله تعالى أثبت لهم (١) الإقرار و نفى عنهم الإيمان فليس ما أَثبت عين ما نفى. (٢)

و دَخَلَتْ البَاء في قوله:﴿ بِمُؤْمِنِين ﴾ على جهة التّأكيد و لم يجز أن يدخُل مثله في الإثبات لا يجوز أن يَقُول: هم بمؤمنين وذلك أن النفي توسَّطَ بين حرف النفي وبين الفعل (٣)

فتراخى الخبر عن حرف النفي و ليس كذلك في الإثبات. (٤) و معنى قوله ﴿ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ يعني بالبعث و ما أعدَّ الله في يوم القيامة و يكون يوم القيامة و إنما سمّي يوم القيامة اليوم الآخر لأنه آخِر يوم قبله ليلٌ و العرب إنما تعرف اليوم إذا تقدّمه ليل فلا يومَ يتقدّمه ليل بعد اليوم الآخر فلهذا قال اليوم الآخر، وقِيلَ سمي اليوم الآخر لأنه أوّل يوم من أيام الآخرة و الأوّل أحسن(٥) .

و إنما جاز أن يقول ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ بعد قوله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ﴾ لأن من يصلح للجمع و التوحيد كما يصلح للمذكّر و المؤنَّث.

---

(١) كان في النسخة ل : أثبتهم.

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٧٩ وتفسير الشيخ نجم الدين عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٤٣) .

(٣) في النسخة (ل) : {شيء}.

(٤) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٢ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٨٧ و تفسير نجم الدين عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة) .

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٧٨ قال الطبري : (فلذلك وصفَه الله بالعُقم ووصفه بأنه يومٌ عقيم لأنه لا ليل بعده)اهـ. و ينظر: بحر العلوم للسمرقندي: ٢ / ٤٩٥

و الأصل في النّاس أناسٌ فأدخلت فيه لام التعريف فقِيلَ الأناسُ ثم أُسقطت الهمزة لكثرة الاستعمال ثم أدغمت لام التعريف في النون فصار النّاس و هذا كما قلنا في الله لاهْ وقد مضى القول فيه.

وقِيلَ إن النّاس لفظ وضع للجمع و لا واحد له من لفظه، و قد قال بعضهم في تصغيره نُويسٌ فلو كان أصله أناسٌ لكان تصغيره أنَيساً، وقال بعضهم اشتقاقه من النَّوَسِ يقال ناس ينوسُ نَوساً إذا تحرّك ،و منه نوسُ القرط في الأذن لكثرة حركتهِ فسمّي النّاس ناساً لأن من شأنهم الحركة على الاختيار العقلي، وقِيلَ سمي الإنس إنسا لظهوره للأبصار بخلاف الجن الذي سمي جناً لاجتنانه. (١)

و إنما فتحت النُّون في قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ لأنّ الأصل في مِن الوقف لأنّ (مِن) لا يكون اسماً تامّاً في الخبر إلا بصلةٍ فلا يكون الإعرابُ في بعض الاسم، ثم لما استقبلها حرف ساكن حرّكوها استثقالاً و من حقّ الساكن إذا حُرّك أن يتحرَّك إلى الكسر إلا أنّ الميم في (من) كانت مكسورة فلو كسرت النون أيضا أدَّى إلى توالي الكسرات و ذلك مستثقلٌ فلهذا فتحوها ألا ترى أنه يقال (عنِ الرجل) فيكسرون النّون على القياس لما كانت العين مِنْ (عن) مفتوحة. (٢)

قوله : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الآية: ٩].

---

(١) الكتاب لسيبويه: ١ / ٣٠٩ و هو يختار أن أصل النّاس أناس و جامع البيان للطبري: ١ / ٢٧٤ – ٢٧٥ و فيه هذه الأقوال في أصل النّاس ،و منها القول المنسوب هنا إلى بعضهم، وإعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ١٨٧ و مشكل إعراب القرآن لمكي: ١/ ٧٧ والبيان في غريب إعراب القرآن: ١/ ٥٣ – ٥٤ و الفريد: ١ / ٢١٦ و تفسير القرطبي: ١ / ١٩٢ و البحر : ١/ ٥٢

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٢ و عراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٨٧ والبيان لأبي البركات ابن الأنباري: ١ / ٥٣ و الفريد: ١ / ٢١٦

الخَدع في اللغة أخفاء الشيء لإبهامِ غيره، و منه المِخدع للبيت الذي يُخفى فيه الشيء والأخدعان عِرقان في العنق لأنهما خفيا فيه والحرب خَدْعةٌ [١] لإخفاء الشيء طلباً

للمكيدة [٢]. و معنى يخادعون أي يُظهرون غير ما في نفوسهم ليدرؤا عنهم أحكام الكافرين في ظاهر الشريعة من القتل و السبي و الجزية و غير ذلك و لمّا كان القوم عملوا عمل المخادع قال الله تعالى ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي يعملون عمل المخادع. [٣]

و قِيلَ ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أي يخادعون نبيه محمّدا عليه الصَّلاة و السلام عن الحسن [٤] وغيره.

---

[١] خَدْعة: بفتح الخاء و سكون الدال هي اللغة العالية و يجوز ضم الخاء: إصلاح غلط المحدثين للخطابي: ص٦٨ و تهذيب اللغة: ١ / ١٥٨ (خدع)

[٢] تهذيب اللغة: ١ / ١٥٨ (خدع)و مجمل اللغة لابن فارس: ٢ / ١٦٥ و الحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ٢٠٠ – ٢٠٢ و لسان العرب: ٨ / ٦٤ (خدع) و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٥٢ و تفسير البغوي: ١/ ١٤٦ و التفسير الكبير: ٢/ ٥٧

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٧٩ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٢ و الوسيط للواحدي: ١ / ٨٦ والنكت و العيون: ١/ ٣٧ تفسير البغوي: ١ / ٤٩

[٤] الوسيط: ١ / ٨٧ و تفسير البغوي: ١/ ٥٠ والمحرّر الوجيز: ١ / ٩٠ وتفسير القرطبي: ١ / ١٩٥ و البحر: ١/ ٥٦ عن الحسن البصري. قال السّمعاني : (قال الحسن البصري معناه يخادعون نبي الله،وقال غيره من المفسرين معناه يعاملون الله معاملة المخادعين)اهـ. تفسير السمعاني ١/ ٤٨. ورجح العلامة نجم الدين عمر النسفي قول الحسن البصري و بسطَ القولَ في ترجيحه : التيسير في التفسير: (ورقة ٤٤) .

و التّقيّة تُسمّى خِداعَاً فكأنهم لمّا أظهروا الإسلام للتّقية صارت تُقيتهم خِداعاً وكثيراً ما يقع من باب المفاعلة ما لا يقتضي اثنين كقولهم طارقتُ النّعل ،و عاقبتُ اللصّ و سافرتُ وظاهرتُ و غير ذلك (١).

و لم يخدعوا اللهَ على الحقيقة ولا المؤمنين لأنّ الله لا يخفى عليه شيء، و إنْ راموا عند أنفسهم الخِدَاع بل خَدَعُوا أنفسَهم ألا ترى أنّ الله تعالى قال : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ كما تقول: قاتلَ فلانٌ فلاناً فما قَتَلَ إلا نفسَه أي رام قتلَ صاحِبِه و لم يتمكَّن وعاد وبالُ فعلِهِ إليه، كذلك المنافقون عادَ وبالُ خِداعِهم إليهم و إلى أنفسهم؛ و هو معنى قوله: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ فالمُخادِعُ لا يعلم أنه مَخدوعٌ فالخادعُ و المخادعُ يجوز أنْ يكون عالماً بما يروم صاحبُه منه من مخادعته إياه.

و إنما حملهم على الخِداع التّقية لخوف القتل و لكي يُكْرَمُوا كما يُكرَم (٢) المؤمنون و لينالوا الغنائم و غيرها، وفيه معنى ثالث: أنهم نافقوا ليتمكَّنوا من أسرار المؤمنين فينقلوها إلى أعدائهم فهذه الوجوه و أمثالها هي التي حملتهم (٣) على النفاق. (١)

---

(١) الغالب في المفاعلة أن تكون من اثنين و لكن قد تكون من واحد كما في الأمثلة التي ذكرها المصنف رحمه الله فطارقتُ النعل يعني طرقتها و سافرت المقصود به واحد و هكذا بقيتها: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٣١ و معاني القرآن للأخفش: ص٣٩ وجامع البيان للطبري: ١ / ٢٨٢ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٢ الحجة للفارسي: ١ / ٢٠٢ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٥٣ و الكشف لمكي: ١/ ٢٢٥ و ٢٤٠ و زاد المسير: ١/ ٧٩ و البحر: ١ / ٥٦ . وقد رد الطبري القول بأن يفاعِلُ هنا وهو يخادح بمعنى يخدع، و بيّن أَن المفاعلة هنا على بابها، و هي من اثنين و الله تعالى و تقدّس خادع المنافق بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاته الخ.. ما أوضحه رحمه الله. قلتُ: و من جهة الجواز في اللغة فيجوز فيه المعنيان. و ينظر ما تقدم مع ما سيرد.

(٢) في النسخة (ل) : يُكرموا.

(٣) في النسخة (ل) : حملهم.

قرأ الكوفيون و ابن عامر ﴿ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ ﴾ وقرأ أبو عمرو و نافع وابن كثير (و ما يخادعون إلا أنفسهم) بإثبات الألف [٢] ، و الوجه فيه كأنه لم يُعتدّ بخداعهم للمؤمنين و هذا كما تقول فلان يَهزأُ من فلان و ما يهزأ إلا من نفسه أي لا أثر لاستهزائه به وأنه لا خطر لفعله و هذه القِرَاءة اختيار الحسين بن الفضل قال (٣) :

(إنما القوم كما خادعوا الله و المؤمنين بإظهار خلاف ما في قلوبهم كانوا يخادعون أنفسهم بالتَّسويف والتشكيك إذا نازعتهم دواعي الإيمان، و دعتهم خواطرُ الحق فكانوا يقابلون ذلك بالجحد والتكذيب و ترك النظر و القبول).

و الأول اختيار محمّد بن جرير [٤] لأن الله تعالى أثبت لهم مخادعة المؤمنين فلا يجوز أن يُنفى عنهم في آخر الآية ما أُثبِتَ في أوّلها فيقولُ يخادعون ثم يقول: و ما يخادعون إلا أنفسهم.

و قد أُجيب عن هذا بما ذكرناه: أنّ مثله سائغٌ في الكلام، وقد قال الله تعالى ﴿ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال:١٧] فنفى عنه ما أثبتَ، و معناه أنّ خالق الرمي الله و التبليغ كان منه، و إن كان منك القبضُ و الإرسالُ كسباً فلم يكن التأثير بما كان منك، وقِيلَ يخادعون الله و الذين آمنوا عند أنفسهم بظنهم أنهم إذا نافقوا تخلصوا من عذاب الله وعقوبته

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٨٠ - ٢٨٣ و تفسير السمرقندي بحر العلوم: ١/ ٥٢ وتفسير الثّعلبي: ١ / ١٥٣ والوسيط: ١ / ٨٧ و تفسير البغوي: ١/ ٥٠ والمحرر الوجيز: ١ / ٩٠ وتفسير القرطبي: ١ / ١٩٥ و البحر: ١/ ٥٦ و تفسير ابن كثير: ١ / ٥٢ و روح المعاني: ١/ ١٤٦

[٢] ينظر في هذه القراءة و توجيهها: السبعة لابن مجاهد: ١٣٩ و معاني القرآن لابن النحاس: ١/ ٨٩ و الحجة للفارسي: ١ / ٢٠٠ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٥٣ والكشف لمكي: ١ / ٢٤٤ و المحرر الوجيز: ١/ ٩٠ وتفسير العلامة نجم الدين عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٤٤) و البحر: ١/ ٥٧ النشر: ٢ / ٢٠٧

(٣) لم أعثر على قول هذا الإمام في غير هذا الكتاب.

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٨٥

في الدنيا و الآخرة كما يتخلصون عن إجراء أحكام الكفار عليهم في الدنيا إذا أظهروا الإسلام. (١)

قوله: ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ قِيلَ و ما يعلمون أنَّهم ضرّوا أنفسهم بنفاقهم و ما يعلمون أنّ وبال خداعهم يعود إليهم، و قِيلَ و ما يعلمون أن الله يُطلِع نبيه على نفاقهم حتى يفضحهم (٢)

وقوله : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾. دليلُ على أنهم جهّالٌ بالله و نبيه و أنّ المعرفة ليست بضرورة، فيه ردٌّ على من قال :(لا كافر إلا معاند). (٣)

و معنى ﴿يَشْعُرُون﴾ يدرون تقول شعرتُ بمعنى علمتُ، و بعض النّاس قال: الشعر العلم الحق الذي يستنبط من شِعار القلب و أصله شِعرة كفِطنةٍ و دِريةٍ ثم حذفوا الهاء و منه سمي الشاعر لرقَّة كلامه و خفائه عن كل أحد و لأنه يَفطِن ما يرقُّ من المعنى والوزن وسُمّي الشّعر [٣٩و]
شعراً لرقَّته. (٤) قوله: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية ١٠] جاء في التفسير ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي شك عن ابن عبّاس (٥).

(١) تفسير البغوي: ١ / ٥٠ و البيضاوي: ١/ ١٣٩ و الكشاف: ١/ ٩٦

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٢٨٦ و المحرر الوجيز: ١/ ٩٢ و زاد المسير: ١ / ٣٠ و البحر: ١/ ٥٨

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٠٥

(٤) أدب الكاتب لابن قتيبة: باب تأويل كلام من كلام النّاس مستعمل: ليت شعري: صـ٤٩ ومعجم مقاييس اللغة: مادة شعر، و لسان العرب: شعر: ٤ / ٤١٠ و مختار الصحاح: شعر: ١/ ١٤٣

(٥) سيرة ابن هشام: ١ / ٥٣١ و جامع البيان للطبري: ١ / ٢٨٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٤٣ (١١٢)

و عنه أنه بمعنى النفاق.[١] و أصل المرض هو الضّعف و فلان يُمرِّض القول أي يُضعِّفه و التمريض التَّضجيع في الأمور[٢] و ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي ضعفٌ عن ألم الحَيرة و المرض في القلب يمنع عن إدراك الحق كما أن المرض في البصر يمنع عن إدراك المبصَرَاتِ.

وقال محمّد بن جرير : في اعتقاداتهم مرضٌ أي شكٌّ و شبهةٌ ولكنّه استغنى بذكر القلب عن ذكر الاعتقادات لما كان معلوماً أنّ الاعتقاد في القلب و هو كقوله:

يا خيلَ الله اركبي. و معناه : يا أصحابَ خيل الله اركبوا، و نظائره في الكلام كثيرة.[٣]

قوله: ﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ أي شكا على شكٍّ وكفراً على كفرٍ، و هذا يدلّ على أنّ كفرهم كان مخلوقاً لله تعالى ولولا أنه أمرضهم أولاً لما زادهم المرضُ ثانيا ألا ترى أنه قال : ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود:٥٢] و كذلك قوله: ﴿ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً ﴾ [الأعراف:٦٩] فلما كان الأول فعله، و حصل بقدرته كانت الزيادة حصلت من قِبَلِه بقدرته. وقال بعضهم: فزادهم الله مرضا بأنْ زاد في إنزال القرآن و السور و الأحكام حتى ازدادوا شكّاً على شكّ، و مَرَضاً على مَرَضٍ كقوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٨٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ١ / ٤٣ (١١١) و النكت و العيون للماوردي: ١ / ٧٤

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٨٦ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٣ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٩١ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٥٤ و المحرّر: ١/ ٩٢ وتفسير نجم الدين عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٤٥)، والبحر لأبي حيان: ١ /٥٨ و لسان العرب: مرض: ٧ / ٢٣٢

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٨٧

﴿مَّرَضٌ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾ [التوبة:١٢٥] أي ازدادوا بكفرهم رجساً على رِجسِهم لا أن السّورة بنفسها زادت الرّجس [١].

وقِيلَ فزادهم مرضاً في قلوبهم بأن جعل فيها الغمّ بما زاد نبيه عليه السلام و ما زاد المؤمنين من النصرِ و القوة و الظفر و التمكين، ويقال إنَّ هذا على جهة الدعاء عليهم كما يقال قاتلهم الله، [٢] و كما قال الشاعر:

إنْ غضِبتْ قيسٌ فزِدْها غَضَباً [٣]

و الصحيحُ هو القول الأوّل بموافقته للظّاهر وقيام الدليل على صحَّته ولا يعدل عن الظاهر إلى غيرِه ما دام الظاهر مُحتملاً.

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾ أي موجِعٌ يخلص وجعه إلى قلوبهم. و فَعِيل بمعنى مُفعِل كثير في اللغة كبدِيع بمعنى مبدِع و وجِيعٌ بمعنى موجِع [٤] و غير ذلك. [٥]

قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ قرأ حمزة و عاصم و الكسائي بالتخفيف و قرأ الباقون

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٩٠ و بحر العلوم : ١ / ٥٣ و تفسير البغوي: ١/ ٥٠ و التفسير الكبير للرازي: ٢ / ٥٨ والبحر: ١ / ٥٩

[٢] تفسير القرطبي: ١ / ١٩٧ و ينظر: المصادر السابقة. قال الإمام السمعاني: (أراد بالمرض الشك والنفاق بإجماع المفسرين)اهـ. تفسير السمعاني ج١/ ص٤٨

[٣] أوله: يا مرسل الريح جنوبا و صَبَا. و هو للأخطل: ديوانه: ٣١٩ و التمثيل و المحاضرة للثعالبي: ص٧١ و نهاية الأرب للنويري: ٣ / ٧٤ و تفسير القرطبي: ١ / ١٩٧ و في تفسير نجم الدين عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٤٥) : إن غضبت زيدٌ ، و قال: إنه اسم قبيلة و هو موافق لما في ديوان الأخطل.

[٤] ينظر: ما سبق صـ١٩٨.

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٩١ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٣ و المحرر الوجيز: ١/ ٩٢ والبحر: ١/ ٥٩

بالتشديد (يُكذِّبون) من التكذيب [١] فمن قرأ يَكذِبون بالتخفيف قال كَذِبُهم قولهم للمؤمنين : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [٨] و إخبارهم أنهم مخلِصُون فيما يُظهرون ومن قرأ (يُكذّبون) أراد به تكذيبهم بالنّبي صلَّى الله عليه و سلَّم و بما جاء من قبل الله والتكذيب اعتقاد كَذِب المخبِرِ فيما يخبرُ و قد كان القوم كاذبين فيما أظهروه من الإسلام وكانوا أيضا مكذِّبين فيما اعتقدوه من كذبه فيما أخبر و كلا القِرَاءتين له وجه حسنٌ. [٢]

وقال الأَخْفَش: (كان) في قوله: ﴿يَكۡذِبُونَ﴾زائدةٌ، و معناه بما يكذبون أي بتكذيبهم. [٣]

وقال: الباقون إنّ (كان) ليس بصلة و معناه بالذي كانوا يكذّبون و هو الكذب أو التكذيب الذي وقع منهم، ولا يحكم على لفظ الكتاب بأنه صلة و زيادة إلا بدليل. [٤]

وقِيلَ إن تكذيبهم نسبتهم قول النبي صلَّى الله عليه و سلَّم إلى الكذب إذا خلا بعضهم مع بعضٍ على مذهب من يرى التكذيب باللسان حقيقة و الله أعلم.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية [١١]. أجمعوا أن هذه الآية نزلت في المنافقين أيضا الذين كانوا على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم [١] إلا سلمان

---

[١] السبعة لابن مجاهد: ص١٤٣ و الحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ٢٠٩ و النشر: ٢ / ٢٠٧ والإتحاف: ١٢٩

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٩٣ و الحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ٢٠٩ – ٢١٥ و تفسير السمرقندي: ١/ ٥٣ و الوسيط: ١/ ٨٨ و البحر: ١ / ٦٠ .

[٣] لم يصرّح الأَخْفَش بلفظ الزيادة لكنّه قدر المعنى بما يدل على ذلك فقدّره : بكذبهم أو تكذيبهم ثم قال: (و أدخل كان ليخبر أنه كان فيما مضى كما تقول: (ما أحسن ما كان عبد الله فأنت تتعجّبُ من عبد الله لا من كونه، و إنما وقع التعجّب في اللفظ على كونه) اهـ. ص٤٠ و ينظر الردُّ على قوله في الطبري: ١ / ٢٩٦

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٩٦ والفريد للمنتجِب الهمداني: ١ / ٢٢٢ و البحر: ١ / ٦٠

فإنه كان إذا قرأ الآية يقول :(ما جاء هؤلاء بعدُ) [٢] فمنهم من حمل ذلك من كلامه على أنه أخبر أنه يجيء قومٌ صفتهم ذلك في آخر الزمان لا أنّه أنكر أنّ قوما كانوا بهذه الصفة. [٣]

و الفساد هو التغيُّر [٤] عن استقامة الحال و الإفساد التغيير و كل معصية فساد وكان إفسادهم في الأرض كفرهم بالله تعالى و نفاقهم و مطابقتهم مع أعداء الدين و إرجافهم بجيوش المسلمين و سراياهم لِيُحزنوهم و دعوتهم النّاس في السرّ إلى التكذيب بالنبي ﷺ. [٥]

قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ يعني إذا قال أصحاب رسول الله ﷺ للمنافقين لا تفسدوا في الأرض على ما جَرَى ذكره قالوا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ أي نَروم الصَّلاح بين الفريقين المؤمنينَ و الكافرين مِن أهل الكتاب عن ابن عبّاس [٦] واعتقدوا أنهم بكفرهم و نفاقهم مصلحون و لم يعلموا أنهم غير مصلحين. و هذا يدل على أنهم كانوا على ظنٍّ و حسبانٍ و كانوا عند أنفسهم

---

[١] حكى جمعٌ من المفسّرين فيمن نزلت فيه الآية القولين الذين ذكرهما المصنف، القول الأول: أنها في المنافقين و هو الذي ذكره المصنّف و هو القول المشهور و إليه ذهب الجمهور كما قال ابن الجوزي: زاد المسير: ١ / ٣١ و حكى الطبري إجماع الحجة من أهل التأويل عليه ورجحه. و القول الثاني: القول المروي عن سلمان رضي الله عنه. لكنني رأيت بعض المفسرين حكى فيها قولا ثالثا: أنها في اليهود: تفسير نجم الدين عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٤٥)

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٩٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٤٥ و تفسير ابن كثير: ١ / ٥٠ والدر: ١ / ٣٠

[٣] نقله المصنف فيما يظهر من الطبري ١ / ٢٩٨ فإنه قال: (وقد يَحتمِلُ قول سلمان عند تلاوة هذه الآية: ما جاء هؤلاء بعدُ أنْ يكون قاله بعد فناء الذين كانوا بهذه الصفة على عهد رسول الله ﷺ ، خبرا منه عمّن جاء منهم بعدهم، ولما يجيء بعدُ لا أنّه عَنَى أنّه لم يمضِ ممن ذلك صفته أحد)اهـ.

[٤] في النسخة ل هنا : و كل معصية . ثم شطب عليها بخط.

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٢٩٩ و زاد المسير : ١/ ٣٢ و تفسير ابن كثير: ١ / ٥٠ – ٥١

[٦] سيرة ابن هشام : ١/ ٥٣١ وجامع البيان للطبري: ١ / ٣٠٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ٤٥ (١٢٤)

أنهــم مــصلحون فقــال: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [١٢] أي لا يعلمـــون أنهـــم مفـــسدون بـــل يحـــسبون أنهـــم مصلحون .[١]

وقِيلَ لا يعلمون ما عقوبة فعلهم و ما ينزل بهم و قِيلَ لا يعلمون متى ينزل بهم الموت فتحلُّ عليهم العقوبة التي تُوُعِّدوا بها.[٢]

و قرأ الكسائي ﴿قِيلَ﴾ بإشمام الضمة و كذلك في أمثاله مثل غِيض تنبيهاً على أنّ الأصل فيه الضمّة لأن أصل (قِيلَ)قُوِلَ [٣] و﴿قِيلَ﴾ أحسن بلا إشمامٍ لأنه أخف على اللسان والقِرَاءة به أكثر، و يجوز في العربية دون القِرَاءة[٤] . و قوله: ﴿نَحۡنُ﴾ مبنيٌّ على الضمة لأن (نحن) يدلُّ

---

[١]جامع البيان للطبري: ١ / ٣٠٠ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٤ و تفسير القرطبي: ١ / ١٧٠ وزاد المسير : ١/ ٣٢ و تفسير البيضاوي: ١ / ١٧٠ و تفسير أبي السعود: ١ / ٤٢. و قِيلَ : إن مرادهم أن هذا الذي يسمونه إفساداً هو عندنا إصلاح: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٤ و معاني القرآن للنحاس: ١ / ٩٢

[٢] تفسير البغوي: ١ / ٥٠ و المحرر الوجيز: ١ / ٩٣

[٣] معاني القرآن للزجاج: ١ / ٨٤ و السبعة لابن مجاهد: ١/ ١٧٨ و الحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ٢١٥ و الكشف لمكي: ١ / ٢٢٩ والتجريد في السبع لابن الفحام: ١ / ١٨٨ و النشر: ٢ / ٢٠٠ والدر المصون: ١ / ١١٩

[٤]يعني يجوز في العربية دون القراءة : قُولَ بإخلاص ضمة القاف و بالواو بلا إشمام : معاني القرآن للزجاج: ١ / ٨٤ وعبارة المصنف فيها غموضٌ، و ما قاله رحمه الله منقول من كلام الزّجّاج وغيره غير أن عبارة الزّجّاج واضحة. و المقصود أن قِيلَ و نحوها فيه ثلاث لغات، قِيلَ : بالياء و هي اللغة الفصيحة، و قِيلَ بالإشمام و هو جعل الضمة بين الضم و الكسر، و قول مثل بوع : (البحر لأبي حيان: ١ / ٦٠ – ٦١ والدر المصون: ١ / ١١٨)

على الجماعة و الضمة أخت الواو و قد يدلّ على جماعة المُضمَرين في قولهم فعلوا ،فلهذا خُصّ نحن بالضمة دون غيرها من الحركات. (١)

وقوله: ﴿أَلَا﴾ [من الآية:١٢] كلمة معناها التنبيه الذي يُستفتح بها الخطاب وأصله لا دخلت عليها ألف الاستفهام، (٢) و الألفُ إذا دخلتْ على الجحد أخرجته إلى الإيجاب نحو : ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة:٤٠] فليس للإيجاب لأنه لا يحسن إلا أن يقولوا بلى.

و قوله ﴿ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ ﴾ إن شئتَ قلتَ إنها فضلةٌ دخلتْ للتأكيد و إن شئتَ قلتَ إنه ابتداءٌ و خبرُه (ٱلْمُفْسِدُون) ثم الجميع خبرُ إنّهم. (٣)

وقوله ﴿ وَلَـٰكِن ﴾ إنما هي كلمة استدراكٍ بإيجاب بعد نفيٍ أو نفيٍ بعد إيجاب فإذا قِيلَ ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ سبق إلى الوهم أنهم يفعلون ذلك من حيث يَشعرون فقال: ﴿وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ وكذلك إذا قال [٤٠/ و] ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب:٤٠] أوهم ذلك استبهام صفاته فقال : ﴿ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ فهذا استدراك لإيجابٍ بعد نفي و الذي قبله استدراك لنفي بعد إيجاب. (٤)

---

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٥ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٨٩ و البيان لأبي البركات ابن الأنباري: ١/ ٥٦ – ٥٧ و البحر لأبي حيان: ١ / ٦١ والدر المصون: ١ / ١١٨

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٤ و البحر لأبي حيان: ١ / ٦١ والدر المصون: ١ / ١٢٠ و همع الهوامع: ٢ / ٤٨٦

(٣) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٤ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٨٩ – ١٩٠ و البيان لأبي البركات ابن الأنباري: ١ / ٥٧

(٤) البحر: ١ / ٦٢ و همع الهوامع: ٣ / ١٨٤

و معنى ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ المستقرّ للحيوان [١] ويقال لقوائمِ البعير أرضٌ لأنه يستقرّ عليها. [٢]

و معنى قوله ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾ و قد يُفسد غيرهم إنما هو على جهة التفحيش لفسادهم كأنه لا يعتدُّ بفساد غيرهم مع فسادهم أي كل فسادٍ يصغر إلى جنب فسادهم حتى كأن المفسد في الحقيقة هم دون غيرهم. [٣]

و يحتمل أن يكون اللام فيه لام التعريف دخلت على معهودٍ قد تقدّم ذكره أو عَلِمَ القوم ذلك من ظاهِرِ الحال. و إنما ضُمّت الميم من قوله ﴿هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾ وأمثاله و لم تُكْسَر ردّاً إلى الأصل لأنّ الأصلَ في (هُم) هُمُو.

قوله ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [آية: ١٣] يعني إذا قِيلَ للمنافقين الذين جرى ذكرهم ﴿ءَامِنُوا﴾ صدِّقوا بالنبي ﷺ وفيه قولان : أحدهما أنه أراد بالنّاس أصحاب محمّد ﷺ الذين آمنوا به.

و الثاني: أنه أراد (مؤمني) [٤] أهل الكتاب كعبد الله بن سلَام و أصحابه و الروايتان عن ابن عبّاس [٥] وغيره [٦] و الأُولى أحسن لأنه أجمع و أعم.

---

[١] في النسخة (ل) : المستقر الحيوان.

[٢] لسان العرب: أرض: ٧ / ١١٥

[٣] ينظر: تفسير السمرقندي: ١ / ٤٥ والدر المصون: ١ / ١٢١ و تفسير أبي السعود: ١ / ٤٤

[٤] كان في النسخة ل : (مؤمنوا)وصواب الكلام لغة: مؤمني. بالنصب لأنه مفعول .

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٠٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٤٥ (١٢٦ ، ١٢٧)

[٦] تفسير مقاتل: ١/ ٣٤ و السمرقندي: ١/ ٥٥ و زاد المسير: ١ / ٣٣ و قد ذكر ثلاثة أقوال وتفسير القرطبي: ١ / ٢٠٥

وقوله: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ أي كان من جوابهم أنصدّق كما صدّق السُّفَهَاء يعني الجهّال القليلي العقل و الحلم، و لكن لا يعلمون أنهم سفهاء، و هذا يدلُّ على فساد قول (مَنْ) [١] قال إنهم كانوا جاحدين لما عرفوه ضرورة إذ أخبر الله سبحانه أنهم جهّال و أنهم لا يدرون أنهم جُهّال. [٢]

و السُّفَهَاء جمع سفيه كعليم و علماء و السفه الجهل و ضعف الرأي و خِفَّة الحلم، و لذلك سمَّى الله سبحانه و تعالى الصبيان والنساء سفهاء فقال : ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ﴾ [النساء:٥] لجهلهم بمواضع الصلاح من أمورهم و لضعف آرائهم، [٣] وقِيلَ السفه في اللغة الخفة عن الزَّجَّاج، و ثوبٌ سفيه إذا كان رقيقاً بالياً [٤] .

و الألف واللام في قوله ﴿ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ وهم بعض النّاس لا جميعهم لأنهم كانوا معروفين عند الذين خوطبوا بهذه الآية بأعيانهم و إنما معناه آمنوا كما آمن النّاس الذين

---

[١] سقطت من النسخة ل .

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٠٥ و ينظر: معاني القرآن لابن النحاس: ١/ ٩٤ – ٩٥ و تفسير السمعاني: ١ / ٥٠

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٠٢ و تفسير السمرقندي: ١/ ٥٥ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٠٥ مع المصادر الآتية.

[٤] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٤ و ينظر في معنى السفه: جامع البيان للطبري: ١ / ٣٠٢ و الزاهر لابن الأنباري: ١ / ٤٩٩ و الوسيط للواحدي: ١ / ٨٩ و تفسير عمر بن محمّد النسفي الحافظ: ورقة: ٤٨ مخطوط. و المفردات للراغب: (سفه) ولسان العرب: سفه: ١٣ / ٤٩٩ و البحر: ١/ ٦٢

تعرفونهم من أهل اليقين و الإيمان و التصديق، و كذلك القولُ في الألف و اللام في قوله ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾. (١)

و دخل﴿ هُمُ﴾ في قوله ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ فصلاً يسمّيه الكوفيون عِماداً و إنْ شئتَ أنه ابتداءٌ ثانٍ و خبره﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ ثم الجملة خبر إنَّ في قوله﴿ إِنَّهُمۡ﴾. (٢)

و عَنَى المنافقون بالسُّفَهَاء أصحابَ محمّد ﷺ فوَصفَهم بأنهم ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ لأنَّ السفيه هو الذي يسيء إلى نفسه من حيث يظن أنه محسن وهو الذي كفر بربه من حيث يظنّ أنه محسِنٌ في فعله وذلك صفة المنافقين و كان المنافقون إذا قِيلَ لهم آمنوا قالوا في السِّر أنؤمنُ كما آمن سفيهُ بني فلان. (٣)

و معنى قوله: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ أي كإيمان النّاس لأنّ حرف الجرّ لا يدخل على الأفعال. (٤)

و ألف ﴿أَنُؤۡمِنُ﴾ ظاهره الاستفهام، و معناه التوبيخ و الإنكار. (٥)

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٠٢ و الكشاف: ١ / ١٨٢ و تفسير البيضاوي: ١ / ١٧٤ و الفريد: ١ / ٢٢٥ – ٢٢٦ ينظر: ما سبق قريبا عند تفسير المصنف لقوله: (كما آمن النّاس).

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٤ و إعرابها مثل إعراب: (إنهم هم المفسدون) فينظر ما قد تقدّم قريبا:صـ ٤٤١.

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٠٤ و الكشاف: ١ / ١٨٢ و التفسير الكبير: ٢ / ٦٢

(٤) إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٩٠ و الدر المصون: ١/ ١٢١ و البيان للأبي البركات ابن الأنباري: ١ / ٥٧ . فالكاف حرف جرّ دخل على ما المصدرية و هو أي الكاف في موضع نصب لأنها وصف لمصدر محذوف، وتقديره آمنوا إيمانا كإيمان النّاس.

(٥) الكشاف: ١ / ١٨٢ و تفسير البيضاوي: ١ / ١٧٤

و قِيلَ أرادوا بالسفهاء الأحداث نظيره قول قوم نوح ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾ [هود : ٢٧] . [١]

و للقُـرّاءِ في قوله ﴿ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ قراءتان قراءة من حقّق الهمزتين فقرأ : (السفهاءَ ألا) بتحقيق الهمزتين و هي قراءة عاصم و الكسائي و حمزة و ابن عامر وقراءة من خفف الهمزة فقرأ (السفهاءَ ألا) فيجعل الهمزة الثانية بين الواو و الهمزة و به قرأ أبو عمرو و ابن كثير و نافع في إحدى الروايتين. [٢]

و الفرق بين قوله: ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ و بين(إنْ) لو قال: فإنْ قِيلَ لهم، أنّ (إذا) تشير إلى أنَّ الأمر كان، و ليس كذلك (إنْ) لأنه تَعَلّق الفعل الثاني بالشرط على جهة الاستقبال الذي لم يقع بعدُ.

و موضع ﴿ إِذَا ﴾ نصبٌ و عامله ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ في قوله ﴿ أَنُؤْمِن ﴾ كأنه قِيلَ وقْت قِيلَ لهم ذلك ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ ﴾. [٣]

---

[١] هذا قول فيه غرابة -و إن كان السفيه لغة يشمل ذلك كما تقدّم- ، و أتباع النبي صلى الله عليه وسلّم كان معروفا لدى المنافقين أن فيهم شيوخا و كهولا و شبابا حدثاء أسنان و ينظر في معنى الآية: تفسير الثّعلبي: ٥ / ١٦٥ و زاد المسير: ٤ / ٩٥ .

[٢] إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٩٠ و المبسوط لابن مهران: ١٢٦ و الروضة لأبي علي المالكي: ١ / ٢١٠ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٥٥ و النشر: ١ / ٣٨٩ و ينظر ما تقدّم عند قوله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ [آية: ٦].

[٣] إعراب القرآن لابن النحاس: ١ /١٨٨ و البيان للأبي البركات ابن الأنباري: ١ / ٥٦

قولـه: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [الآيـة ١٤] نزلـت الآيـة في هَـؤلاءِ المنافقين الذين جرى ذكرهم كانوا إذا رأوا أصحاب محمّد صلَّى الله عليه و سلَّم قالوا لهم نحن مُؤمنون مثلكم و قد آمنا كما آمنتم و إذا خلوا بأصحابهم قالوا إنما قلنا ذلك استهزاءً وسُخريةً.

رُوي أن عبد الله بن أُبي [و أصحابه] (١) لقوا أبا بكرٍ و عمر و عليّاً فقال عبـد الله لأصـحابه انظُروا كيف أرُدّ هَؤلاءِ السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر فقال مرحباً بسيد بني تميم وثاني اثنين و صاحبه في الغار و صفيُّه من أمته الباذل نفسه و ماله لرسول الله، ثم أخذ بيد عمر، فقال: مرحبا بسيّد بني عَدِيّ بن كعب القوي في ديـن الله الـشديد الغـضب لله البـاذل نفـسه و مالَـهُ لرسول الله ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحباً بـسيِّد بنـي هاشـم مـا خـلا رسـول الله السابق إلى الهجرة الباذل نفسه، و أخي رسول الله فقالوا له:

اتق الله يا عبد الله فقـال و الله إني مـؤمن بـالله ورسـوله كـإيمانكم ثـم افترقـوا فقـال عبـد الله لأصحابه كيف رأيتم رَدّي هَؤلاءِ السفهاء عنكم فقالوا لا نزال بخير ما عشتَ فرجع أبو بكـر و عمر وعلي رضي الله عنهم إلى رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم فأخبروه بما قال عبد الله فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ ﴾.(٢)

---

(١) سقطت من الأصل .وليستقيم الكلام لا بد أن يكون هنا كلمة: (و أصحابه). و كذلك هو في مصادر التخريج الآتية.

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول من طريق محمّد بن مـروان الـسُّدّي الـصغير عـن الكلبـي، عـن أبي صالح، عن ابن عبّاس به ص٥٨و فيه في وصف علي رضي الله عنه: (وختنه) .

وعزاه السيوطي إلى الواحدي والثعلبي بسنده عن ابن عبّاس. الدر المنثور – الـسيوطي ج١/ ص٧٨ و الثعلبي لم يسنده لكن قال قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس: تفسير الثعلبي: ١ / ١٥٥ . وذكـره مقاتل في تفسيره بلا إسناد: ١/ ٣٣ . و سند الحديث ضعيف جدا فيه الكلبـي و الـسُّدّي الـصغير و قـد تقدّم وصف هذه السلسة بأنها من أوهى أسانيد التفسير ينظر: صـ ٣٢٣.

قال الحافظ ابن حجر: (و آثار الوضع لائحة على هذا الكلام)اهـ. العجاب: ص٧٧

ومعنى ﴿شَيَٰطِينِهِم﴾ مَرَدَتُهم، والشياطين كل ماردٍ عَاتٍ سواء كان من الجن و الأنس فقال الله تعالى ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ ﴾ [الأنعام:١١٢] ويريد بقوله ﴿شَيَٰطِينِهِم﴾ أصحابهم و المتمردين منهم و المُصرِّين على النِّفاق من أصحابهم والذين هم في الكفر إخوانُ الشياطين لعتوهم و استكبارهم وكفرهم وإصرارهم.[١]

و إنما قال: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ ولم يقل خلوا بشياطينهم لأن خلوت به مشترك في معنى خلوت به من الخلوة وفي معنى استهزأت وسخرتُ منه.[٢]

وقِيلَ معنى قوله ﴿خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ أي مع شياطينهم و ﴿إِلَى﴾ بمعنى مع كثير قال الله تعالى ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام:٥٢، الصف:١٤] أي مع الله وقال : ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ ﴾ [النساء:٢] أي مع أموالكم، و قِيلَ: معناه: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ ﴾ من لقاء المؤمنين﴿ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ ﴾ أي انقلبوا إلى شياطينهم.[٣]

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٠٦ وتفسير الثّعلبي: ١ / ١٥٦

[٢] اختلفوا لِمَ وَقَعَ التّعبِير بـ: ﴿خَلَوۡا إِلَى﴾ : مع أنّ الأكثر أنْ يقال: خلوت بفلان فيتعدّى بالباء فقِيلَ إنهما بمعنى واحد و اختاره الواحدي و شيخه الثّعلبيّ ، و قِيلَ غير ذلك، وذكروا و جوها ذكر كثيرا منها المصنف ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٤٤ و جامع البيان للطبري: ١ / ٣٠٩ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٥ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٥٥ – ١٥٦ و الوسيط: ١ / ٩٠ و النكت العيون للماوردي: ١/ ٧٦ والكشاف: ١/ ١٨٣ – ١٨٤ و المحرر : ١ / ٩٦ و لسان العرب: خلا: ١٤ / ٤٣٩ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٠٦ و الفريد: ١ / ٢٢٧ والبيضاوي: ١/ ١٧٦ والبحر: ١/٦٨ – ٦٩ و الدر المصون: ١ / ١٢٣

[٣] المصادر السابقة.

وجاء في التفسير عن ابن عبّاس أن شياطينهم رؤساؤهم و قادتهم في الكفر. [١]

وقِيلَ هم شياطين الجنّ يريد به الكهنة [٢] كانوا يخلون بشياطينهم فيكفرون في أنفسهم والأول أشبه و أصحّ.

قوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ أي قالوا إنما نسخَرُ من المؤمنين و نحن على ما فارقناكم عليه من أهل [٣] التكذيب.

قال الحسين بن الفضل [٤] : (إنَّ أسوأَ من هَؤلاءِ حالا و أقبحَ منهم مقالا قول من قال إن المنافق مؤمنٌ، و المنافقون لم يحكموا لأنفسهم بهذا الاسم بل حكموا بأنّ ذلك [٥] استهزاء والله تعالى قد نفى عنهم الإيمان وكيف يجوز أنْ يحكمَ لهم بالإيمان مع تبرّيهم عنه و مع نفيِ الله سبحانه حقيقةَ الإيمان عنهم).

وقِيلَ معنى ﴿خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ أي خلوا لهم يقال خلوت له و خلوت به وخلوت إليه قال الله تعالى : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [النساء:٨٧، الأنعام:١٢] أي يوم

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٠٧ و تفسير ابن كثير: ١ / ٧٧ و الدر: ١ / ٣١

[٢] زاد المسير: ١ / ٣٥ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٠٧

[٣] وقع في النسخة (ل) : هنا { أصل }.

[٤] لم أعثر على هذا الكلام النفيس للإمام المفسر الحُسَين بن الفضل البَجَلي.

[٥] تكرر في النسخة ل : بأن ذلك . خطأً.

القيامة، (١) . وفي ﴿خَلَوۡا﴾ قراءتان إن شئتَ حقَّقتَ الهمزة و أَسكنتَ الواو فقلتَ (خلوا إلى) بتحقيق الهمزة و إن شئتَ ألقيتَ الهمزة و كسرتَ فقلت خَلَوِ إلى. (٢)

وهي قراءة نافع (٣) و القِرَاءة (مستهزئون) بتحقيق الهمزة ....(٤) بين الياء و الهمزة ويجوز (مستهزِيُون) بقلب الهمزة ياءً و هذا أضعفه. (٥)

قوله : ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ﴾ الآية [١٥] قِيلَ الاستهزاء العيب و التّجهيل و الله يعيبهم ويُجهّلهم فهو على الحقيقة يستهزئ بهم. (٦) وقِيلَ الاستهزاء في اللغة طلب الهزأ بإيهام ما لا حقيقة له

---

(١) لسان العرب: خلا: ١٤ / ٤٣٩ و الكشّاف: ١/ ١٨٣ – ١٨٤ و المحرر : ١ / ٩٦ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٠٦ و الفريد: ١ / ٢٢٧ والبيضاوي: ١/ ١٧٦ والبحر: ١/٦٨ – ٦٩ و الدر المصون: ١ / ١٢٣

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٥

(٣) هي قراءة ورش عن نافع ينظر: التذكرة لأبي الحسن طاهر بن غلبون: ١ / ١٦٦ و الكشف لمكي: ١ / ٩٠ و البحر: ١/ ٦٨ والنشر: ١ / ٤٠٨ و تحبير التيسير: ص٥٧

(٤) هنا فيما يظهر سقط من النسخة الأصل. يظهر هذا مما سيرد في بيان الأوجه الجائزة في : مستهزئون.

(٥) مجموع ما ذكروه مما يجوز لغة في مستهزئون و نحوه خمسة أوجه: أشهرها ثلاثة :
تحقيق الهمزة ثم تخفيفها بَيْنَ بَيْنَ ثمّ قلبها ياءً خالصة، و هذا ضعّفه الزّجّاج: (و قال إنه لاوجه له إلا شاذاً) و الوجهان الآخران أشد ضعفا وهما : حذفها مع ضم الزاي و حذفها مع إبقاء الزاي على حركتها ، تنظر في: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٦ ذكر منها أربعة أوجه و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٩١ والحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ٢٢٢ والفريد: ١ / ٢٢٨ و البحر: ١ / ٦٩ والدر: ١/ ١٢٥

(٦) جامع البيان للطبري: ١ / ٣١٢ - ٣١٣ و تفسير السمعاني: ١/ ٥١ . و لأهمية هذه المسألة فسأنقل كلام الطبري فيها ملخصاً قدرَ المستطاعِ: (اختُلِفَ في صفةِ استهزاء الله تعالى ذكره الذي ذكر أنه فاعله بالمنافقين الذين وصف صفتهم) اهـ. إلى أن يقول:
(والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا أن معنى الاستهزاء في كلام العرب إظهار المستهزِئ للمستهزَأ به من القول والفعل ما يُرضيه ويوافقه ظاهراً وهو بذلك من قِيلَه وفعله به مورِثُه مساءةً (في

عند من يظنُّ به الغفلةَ و أنّ القوم راموا ذلك عند أنفسهم بالمؤمنين كما راموا ذلك عند أنفسهم أن يخادعوا المؤمنين ولكن وبال فعلهم عاد إليهم فلذلك قال يستهزئ بهم فَسمَّى جزاء الاستهزاء استهزاءً.

نسخة مساءته) باطنا، وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر وإذ كان ذلك كذلك. وكان الله جلّ ثناؤه قد جعل لأهل النفاق في الدنيا من الأحكام ....أحكام المسلمين المصدِّقين إقرارهم بألسنتهم بذلك بضمائر قلوبهم وصحائحِ عزائمهم وحميد أفعالهم المحقِّقةِ لهم صحة إيمانهم مع علم الله عز وجل بكذبهم واطِّلاعِهِ على خبث اعتقادهم وشكهم فيما ادعوا بألسنتهم أنهم مصدِّقون حتى ظنوا في الآخرة إذ حُشِروا في عداد من كانوا في عدادهم في الدنيا أنهم واردون موردهم، وداخلون مدخلهم والله جل جلاله -مع إظهاره ما قد أظهر لهم من الأحكام الملحِقَتِهم في عاجل الدنيا وآجل الآخرة إلى حال تمييزه بينهم وبين أوليائه، وتفريقه بينهم وبينهم- معِدٌّ لهم من أليم عقابه ونكال عذابه ما أعد منه لأعدى أعدائه وأشر عباده حتى ميّز بينهم وبين أوليائه فألحقهم من طبقات جحيمه بالدرك الأسفل - كان معلوما أنه جل ثناؤه بذلك من فعله بهم وإن كان جزاء لهم على أفعالهم وعدلا ما فعل من ذلك بهم لاستحقاقهم إياه منه بعصيانهم له كان بهم بما أظهر لهم من الأمور التي أظهرها لهم من إلحاقه أحكامهم في الدنيا بأحكام أوليائه وهم له أعداء وحشره إياهم في الآخرة مع المؤمنين وهم به من المكذبين إلى أن ميز بينهم وبينهم مستهزئا وساخرا ولهم خادعا وبهم ماكرا إذ كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة ما وصفنا قبل دون أن يكون ذلك معناه في حال فيها المستهزئ بصاحبه له ظالمٌ أو عليه فيها غيرُ عادل بل ذلك معناه في كل أحواله)اهـ.

فاختار الطبري -رحمه الله – القول بأنّ الله يفعل بهم ذلك يوم القيامة و قد فعله بهم في الدنيا مجازاة لهم على أفعالهم. و قال السمعاني: (قال أهل الرواية معناه الله يستهزىء بهم في الآخرة والاستهزاء بهم في الآخرة يحتمل وجهين أحدهما:

أن يضرب للمؤمنين على الصراط نورا يمشون به وإذا وصل المنافقون إليه حال بينهم وبين المؤمنين فذلك الاستهزاء بهم كما قال ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ ﴾ [الحديد:١٣]. والثاني أنه يقرّبهم من الجنة حتى إذا رأوا زهرتها وحسنها وبهجتها واستنشقوا رائحتها صرفهم عنها إلى النار فذلك الاستهزاء بهم)اهـ.
تفسير السمعاني: ١/ ٥١ و ما قاله الطبري و السمعاني هو الصواب و ينظر : ما سيأتي.

و هذا عامٌّ سائغٌ في لغة العرب يُسمّون الجزاء على الشيء باسم ذلك[١] كما قال سبحانه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشورى:٤٠] وقال تعالى : ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ ﴾ [النحل:١٢٦] وغير ذلك وقال: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة:١٩٤] وقال : ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ﴾ [التوبة:٦٧] وقال : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٥٤] وقال : ﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ ﴾ [التوبة:٧٩]. وقِيلَ: الاستهزاء إظهار أمرٍ و إبطان غيره فلمّا أظهروا الإقرار و أسروا الكفر أُمِر المسلمون بالكفّ عنهم في الظاهر و أُعِدّ لهم العذاب الأليم في الدّرك الأسفل من النار.

وقِيلَ إن الشيئين إذا كثر اقترانهما و اصطحابهما سمّي أحدهم باسم الآخر كالعُمَرين والقَمَرين و الأسودَينِ و غيرِ ذلك. وقِيلَ يستهزِئ بهم مثل ما يقال لأبي جهلٍ ذق إنك أنت العزيز الكريم، وقِيلَ من ذلك ما يقال لهم في الآخرة ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً[٢]

---

[١] يقول الزّجّاج: (إن هذا هو الوجه المختار عند أهل اللغة أن يكون معنى يستهزئ بهم يجازيهم على هزئهم بالعذاب الخ): معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٦ و هذا القول مذكور في : غريب القرآن لابن قتيبة: ص٤١ و قد اقتصر عليه، و تأويل مشكل القرآن له: ص٢١٥ و جامع البيان للطبري: ١ / ٣١٤ معاني القرآن للنحاس:١ / ٩٦ و تفسير السمرقندي: ١/ ٥٦ و الوسيط: ١ / ٩٠ – ٩٢ وتفسير السمعاني: ١/ ٥١ و تفسير البغوي: ١/ ٦٨ وزاد المسير: ١/ ٣٥ و لسان العرب: ١/ ١٨٣ و الفريد: ١ / ٢٢٨ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٠٨ والبرهان: ٣ / ٣٨١ و تفسير ابن كثير: ١/ ٥٢ وفتح القدير: ١/ ٤٤ و روح المعاني: ١/ ١٥٨

[٢] تفسير مجاهد: ٢ / ٦٥٧ وتفسير مقاتل: ١/ ٣٤ و الأسماء و الصفات للبيهقي: ٢ / ٤٣٦ و تفسير البغوي: ١/ ٦٨ وزاد المسير: ١ / ٣٥

وقِيلَ يستهزئ بهم يُحسّن في أعينهم قبح أعمالهم و قِيلَ يُفتح لهم بابٌ من الجنة و هم في النار فيُدعون إليها فإذا اقتربوا منها بعد مقاساةٍ شديدة رُدَّ الباب في وجوههم و ضُحِك منهم وذلك قوله : ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴾ [المطففين:٣٤]، وقِيلَ استهزاؤه بهم توبيخه إياهم على هزئهم و ذمه لهم. (١)

قال ابن جرير : الاستهزاء إظهار المستهزئ للمستَهزَئ به من القول أو الفعل ما يرضيه و يضمر له في السّر ما يورّطه و يهلكه، و قد جعل الله لأهل النفاق في الدنيا من الأحكام ما استدرجهم و غرهم حتى ظنوا أنهم تخلصوا من حكمه وأمره. (٢)

قوله : ﴿وَيَمُدُّهُمۡ﴾ أي يمهلهم و يملي لهم و يُطوّل أعمارهم و مُدّتهم في ظغيانهم، وقِيلَ مددته و مددت له واحد مثل كالُوهُم و كالُوا لَهُم ووَزنوهم و وزنوا لهم، وقِيلَ يقال في الخير

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٣١٤ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٥ ومعاني القرآن للنحاس:١ / ٩٦ و تفسير السمرقندي: ١/ ٥٦ و الوسيط: ١ / ٩٠ – ٩٢ و تفسير السمعاني: ١/ ٥١ و تفسير البغوي: ١/ ٦٨ و تفسير نجم الدين عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٤٩) . وفيه ثمانية أوجه. وزاد المسير: ١/ ٣٥ و لسان العرب: ١/ ١٨٣ و الفريد: ١ / ٢٢٨ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٠٨ والبرهان: ٣ / ٣٨١ و تفسير ابن كثير: ١/ ٥٢ و فتح القدير: ١/ ٤٤ و روح المعاني: ١/ ١٥٨ هذا مع ما في تفسير الزمخشري و البيضاوي و حواشيهما . وينظر: الأسماء والصفات للبيهقي: ٢ / ٤٣٨ والفتاوى لشيخ الإسلام: ٢٠ / ٢٥٦ و إعلام الموقعين لابن القيم: ٣/ ٢١٧ ومختصر الصواعق: ٢ / ٣٢ .

و المقصود أن إثبات هذه الصفة في و صف ربنا الباري بكونه عاملهم جزاء لعملهم بالاستهزاء على ما يليق بعظيم جلاله– تعالى و تقدّس– صحيح و إن اختلف السلف في حقيقة ما يفعله الله تعالى بهم مما يكون استهزاء بهم مما قد تقدّم التمثيل له من كلام الطبري مما قد نقله المصنف و غيره من المفسرين، ولكن لا يشتق لله تعالى صفة من ذلك فلا يقال: مستهزئ و نحوه فلله تعالى الأسماء و الصفات الحسنى و هو تعالى لا يقاس بشيء من خلقه: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ . ولولا كراهة الخروج عن القصد لبسطت القول أكثر في هذا.

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٣١٦ مع ما تقدّم.

أمددتُه و في الشرّ مددته و قِيلَ مَدّ النهر و أَمَدّه نهر آخر إذا طوّله و أَمَدَّ الجرح إذا صارت فيه المِدّة، و يقال أمددتُ الجيش و أمددته بالطّعام. (١)

و معنى الطغيان تجاوز الحدّ (٢) ، و العَمَهُ الحيرة يقال رجل عمِهٌ و عَامهٌ. (٣)

و معنى الآية يُطوّل مدّتهم فيتحيَّرون في طغيانهم و كفرهم و تجاوزهم عن حدود الشريعة مكراً بهم و استدراجاً لهم و هم يحسبون أن ذلك مسارعَةٌ لهم بالخيرات ولا يَشعرون أنه عقوبة لهم في الحقيقة و نعوذ بالله من الشكّ في الدين و العمه في الحق. وقِيلَ في طغيانهم يعمهون أي في ضلالتهم يتردَّدون وذلك بالتحير و التشكّك. والآية تدلُّ على قول أهل الحق لأنه لولا (أنه) (٤) لبَّس عليهم أمر دينهم و إلا لاستبصروا و أدركوا الحقَّ. (٥)

و يقال طُغيان و طِغيان بالكسر كعِصيانٍ (٦) و يجوز الإمالة في طُغيانهم على قراءة الكسائي في إحدى روايتيه (٧) و قرأ الباقون بالتفخيم.

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٣١٨ – ٣١٩ و تهذيب اللغة: ١٤ / ٨٥ و مختصر تفسير ابن سلام لا بن أبي زمنين: ١/ ١٢٤ و لسان العرب: (مَدّ) ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٦ والوسيط: ١ / ٩٢ وتفسير نجم الدين عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٤٩) و المحرر الوجيز: ١/ ٩٧ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٠٩ والبحر: ١/ ٧٠

(٢) يقال طغى فلانٌ طُغيانا إذا تجاوز في الأمر حدّه فبغى: جامع البيان للطبري: ١ / ٣٢٠ و شواهد ذلك في كتب اللغة وغيرها.

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٢٢ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٧ و معاني القرآن لابن النحاس: ١ / ٩٨ و تفسير القرطبي: ١ / ٢١٠

(٤) سقطت أنه من النسخة ل .

(٥) ينظر: البحر : ١/ ٧٠ و فيه رده على تأويل الزمخشري لمعنى قوله تعالى: ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾.

(٦) الفريد: ١ / ٢٢٩ و البحر: ١ / ٧٠

(٧) الحجة لأبي علي الفارسي: ١ / ٢٢٩ و المحرر : ١ / ٩٧ و البحر: ١/ ٧٠ و تحبير التيسير: ص٦٨

قوله: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [١٦] أي من تقدّم ذكرهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ واختلف المفسرون في معنى ﴿ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ فقال بعضهم: معناه استبدلوا الكفر بالإيمان الذي كان واجباً عليهم فعله، وفعلوا الكفر الذي كان واجبا عليهم تركه قالوا: وحقيقة الاشتراء في اللغة هو الاستبدال، وذلك أن المشتري يستبدل المبتاع بالثمن ثم استعملت هذه اللفظة في كلّ من ترك شيئاً وتمسَّك بغيره بدلا منه تشبيهاً بما ذكرنا من المشترى.

فهَؤلاءِ المنافقون لم يكونوا منافقين قط و لكنهم لمّا تركوا الواجب عليهم من الهدى واستبدلوا به الضلالة قال في وصفهم اشتروا الضلالة بالهدى، و هذا اختيار الزَّجَّاج [١] وابن جرير [٢] و من السلف ابن عبّاس [٣] و ابن مسعود و ناسٌ من الصحابة [٤] قالوا معناه أخذوا الضلالة و تركوا الهدى.

و من النّاس من قال: معناه : اختاروا الضلالة على الهدى، قالوا فالباء تكون بمعنى على كما يقال مررتُ به و مررتُ عليه و قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر:١٤] أي على المرصاد قال : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران:٧٥] أي على قنطار ويقال في اللغة اشتريتُ كذا على كذا أي اخترتُ عليه :

و منه قول الشاعر:

---

[١] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٨

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٢٩

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٢٥ و الدر: ١ / ٧٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٥٠

[٤] المصادر السابقة.

فقد أُخرِج الكاعِبَ {المشتراة} من خِدرها و أشيع القِمارا [١]

يعني المشتراة المختارة وافق هذا القول ما يُروى عن قَتَادَة [٢] [٤٢و] أنه قال: معناه استحبُّوا الـــضلالة عـــلى الهـــدى لأن معنـــى اســـتحبّوا و اختـــاروا متقـــارِبٌ و قـــد قـــال الله تعـالى: ﴿ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾ [فـصلت:١٧]. قـال ابـن جريـر :و هـذا التّأوِيل و إن صحّ في اللغة فإنه يُضعَّف لمكان قوله بعده ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ فدلَّ على أنه أراد به غير معنى الاختيار، و إنما أراد به الشّراء المعروف. [٣]

و من النّاس من قال: الآية على ظاهرها، و أنّ القوم آمنوا ثم كفروا فلما تركـوا إيمانهـم الـذي كانوا عليه و آثروا الكفر وُجد منهم معنى الاشتراء الذي هو الاعتياض و أخـذ شيء وإعطـاء شيء و قد وصفهم الله بأنهم آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا وقال في صفتهم بعد هذا ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ ﴾ [١٧] فأضاف إليهم نورا كانوا عليه ذهـب الله بـه و هـذا اختيار الحسين بن الفضل و استدلَّ عليه بما ذكرنا.

وروي عن مُجاهد أنه قال معناه آمنوا ثم كفروا [٤] ، و على هذا المعنى حُمل أيضا من وجهٍ آخر قِيلَ: معناه باعوا الذي كانوا فيـه مـن الإيـمان بمحمّـد صـلَّى الله عليـه و سـلَّم قبـل أن بُعِـث باليهودية التي دخلوا فيها و التكذيب بمحمّد صلَّى الله عليه و سلَّم بعد أن بُعِث فتكون الآيـة

---

[١] البيت للأعشى: ديوانه: ص٤٥ و صوابه: المستراة : بالسين المهملة أي المختارة: وهو على الصواب في جامع البيان للطبري: ١ / ٣٢٧ و شرح ما يقع فيه التـصحيف للإمـام أبي أحمـد العـسكري: ص٢٩٠ و روايته فيها كلها: و أشيع القمارا ، و كان في الأصل : و أسبغ القمارا.

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٢٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٤٩ (١٥٢) و الدر: ١ / ٣٢

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٢٨

[٤] تفسير مجاهد: ص١٩٧ و جامع البيان للطبري: ١ / ٣٢٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ٥٠ (١٥٤) والـدر: ١ / ٣٢

على هذا التّأوِيل في كفّار أهل الكتاب (١) و على ما سبق من الأقاويل تكون الآية في المنـافقين من جميع الكفار.

و موضع ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ رفعٌ بالابتداء و خبره ﴿ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾.(٢)

ولا يجوز أن يُهمز واوُ ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ﴾ ويجوز أن يُبدلَ من واو وُقّتت همزة فيقال أُقّتَتْ، و كذلك في دار أدؤُرٍ و ما أشبهها لأن ضمتها هناك لازمة و الضمة في الواو هاهنا طارئة. (٣) و إنما ضُمّت الواو هاهنـا لالتقـاء الـساكنين يعنـي سـكونَ الـواو و سـكون لام التعريـف في الضلالة فلـما احتـاجوا إلى حركتهـا اُختـير لهـا الـضمة لأنهـا أدلُّ عليهـا كـما قـالوا في قولـه ﴿ لَتُبۡلَوُنَّ ﴾ [آل عمران:١٨٦] لما احتاجوا فيه إلى حركة الواو ضَمُّوها لأن الضَّمَّة أدلُّ على الواو. (٤) وقوله : ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمۡ﴾ أي ما ربِحوا في تجارتهم، و لكنّـه أضـاف الربح إلى التجارة على مذهبِ العربِ في قولهم : ليلُك نائمٌ و نهـارُكَ صـائمٌ و حَـسُنَ سـعيُكَ وخاب سعيُك و خسِرتْ صفقتُك. (٥)

---

(١) تفسير العلامة نجم الدين عمر النسفي :(ت: ٥٣٧هـ) التيسير في التفسير: (ورقـة ٥٠) . مخطـوط و زاد المسير: ١ / ٣٧ – ٣٨.

(٢) إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٩٢ و الفريد: ١ / ٢٢٩

(٣) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٧ – ٨٨ و إعراب القرآن لابـن النحـاس: ١ / ١٩٢ و المحتـسب: ١ / ٥٥ وإملاء ما من به الرحمن: ١ / ٢٠

(٤) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٧ – ٨٨ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٩٢ والفريـد في إعـراب القرآن للمنتجب الهمداني: ١/ ٢٢٩ – ٢٣٠ و البحر: ١ / ٧١

(٥) معاني القرآن للفراء: ١ / ٢١ و جامع البيان للطبري: ١ / ٣٣١ ومعاني القرآن للزّجـاج: ١ / ٨٨ و بحر العلوم: ١ / ٥٦ و الوسيط: ١ / ٩٣ و الكشاف: ١/ ١٨٩

و قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [محمّد:٢١] و إنما العزيمة للعازم دون الأمر وقال ﴿ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [سبأ٣٣] أي مكرهم في الليل و النهار لأن الليل و النهار لا يمكران و إنما يُمْكَرُ فيهما فكأنه قال طلبوا الربح بفعلهم فما ربحوا بل خسروا أو خابوا [١] وقال رؤبة :

حارثُ قد فرّجت عني همّي   فنام ليلي و تجلى غمّـــي [٢]

وقوله : ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ أي لم يصيبوا الهدى في فعلهم ذلك في تجارتهم تلـك و لما كان التاجر قد يخسَر بأن لا يتفق له ربح من غير تقصير منه في التجارة بل بعد جهدٍ منه فـلا يُرزق فيكون معذوراً في أن لا أَرْبَحَ نفى الله عنهم ذلك و أخبر أنهـم غـير معـذورين في ذلـك فقال ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ أي لم يكونوا مهتدين في اجتهادهم في اشـتراء [٣] الـضلالة عـلى الهدى بل كانوا فيه مخطئين مذمومين فلذلك وصفهم بـأنهم غـير مهتـدين بعـد قولـه﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾. [٤]

قوله : ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا ﴾ [الآية: ١٧] نزلت الآية في المنافقين الـذين جـرى ذكرهم و معناها مَثَلُ هَؤلاءِ المنافقين في إظهارهم الإيمان، و رجوعهم بعده إلى الكفـر كمثـل الـذي استوقد ناراً فإذا أضاء ما حوله انطفأتْ نارُهُ و بَقِيَ في ظلمةٍ كذلك هَؤلاءِ يستضيئون بما يُظهرونه من

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٣١ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٨ و بحر العلوم: ١ / ٥٦ و الوسيط: ١ / ٩٣ و زاد المسير: ١/ ٣٨ والكشّاف: ١/ ١٨٩ و الفريد: ١/ ٢٣٠ وتفسير القرطبي: ١ / ٢١١ و البحر: ١ / ٧٢

[٢] ديوان رؤبة: ص١٤٢ و جامع البيان للطبري: ١ / ٣٣٠ و زاد المسير: ١ / ٣٨

[٣] في النسخة ل : الاشتراء

[٤] ينظر: معاني القرآن للنحاس: ١ / ٩٩ وبحر العلوم: ١/ ٥٦ و المحرر الوجيز: ١ / ٩٨ و زاد المسير: ١ / ٣٨ و البحر: ١/ ٧٣

كلمة الإيمان، ثم يبقونَ بنفاقهم في ظلمة الكفر فشبَّه حقنهم دِمائهم بإعلان الشهادة، و ما ثبتَ لهم من أحكام المسلمين في المناكحِ و التَّوارث والاختلاط بالمسلمين باستضاءة المستوقِدِ بناره، وشبّه رجوعهم إلى عقوبة الله و ما يستوجبونه في الآخرة من أليم عذابه بانطفاء نار المستوقِدِ وبقائه في الظُّلمة. و هذا معنى ما روي عن قَتَادَة (١) و الضحاك (٢) و بعض روايات ابن عبّاس (٣) وهو اختيار ابن جرير (٤) و غيره.

وفي روايةٍ أخرى عن ابن عبّاس: أنّ بقاءهم في الظلمات هو ما كانوا يرجعون إليه من الكفر و ما كانوا يُضمرونه من التكذيب رواه عنه سعيد بن جبيرٍ (٥)، و هكذا قال الرّبيع بن أنس (٦) : إن المنافق كلما تكلّم بكلمة الإخلاص في الظاهر أضاء له فإذا شكّ بقلبه، و قع في الظلمة.

وقال مُجاهد: أما إضاءَة النّار فإقبالهم إلى المؤمنينَ و الهدى و ذهابُ نورِهِم إقبالهم إلى الكفر و الضّلالة. (٧)

(١) تفسير عبد الرزاق: ١/ ٢٥٩ و جامع البيان للطبري: ١ / ٣٣٩ و الدرّ المنثور: ١ / ٣٣ و عزاه السيوطي إلى الطبري و عبد بن حميد

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٣٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٥١ ، ٥٢ (١٦٥، ١٦٩) ولفظ الضحاك عند الطبري: (أما النور فهو إيمانهم الذي يتكلمون به ، و أما الظلمات فهي ضلالتهم و كفرهم)اهـ.

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٣٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ٥٠ (١٥٨) و الدر: ١ / ٣٢ و هو من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عبّاس رضي الله عنه.

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٤١ - ٣٤٥

(٥) هو من طريق ابن إسحاق عن محمّد بن أبي محمّد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عبّاس : جامع البيان للطبري: ١ / ٣٣٦ – ٣٣٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ١ / ٥٢

(٦) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٤٠

(٧) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٤٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ٥١ (١٦١ ، ١٦٣) والدر المنثور: ١/ ٣٣

وروى السُّدّي في خَبَرٍ ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عبّاس و مرة الهمداني عن ابن مسعود و عن ناسٍ من أصحاب النبي ﷺ :

أنّ ناساً دخلوا في الإسلام مَقْدَمَ النّبي ﷺ على المدينة ثم إنّهم نافقوا، فكان مثَلَهُم كمثل رجلٍ كان في ظلمةٍ فأوقدَ ناراً فأضاءت لهُ ما حوله من قذىً و أذىً فأبصرَ حتى عَرَف ما يتّقي، فبينا هو كذلك إذ طفِئتْ نارُه، فأقبل لا يدري ما يتَّقي من أذىً و غيره، فكذلكَ المنافقُ كان في ظلمةِ الشِّرك فأسلمَ وعرف الحقّ من الباطل ثم لَّما نافقَ بقيَ في حيرةِ الكفر وظلمة الشّرك.(١)

فعلى قول هَؤلاءِ شبَّهَ إيمانهم الذي كانوا عليه في الأوَّل باستضاءة المستوقِدِ نارَهُ ثم شبَّه نفاقَهُم الذي صاروا إليه ببقاء المستوقِد في الظُّلمة بعد انطفاءِ ناره.(٢)

و هذا القولُ هو اختيارُ الحُسينُ بن الفضل البَجَليّ.(٣) وقال الزَّجّاج (٤) ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ إنما هو إطلاعُ الله المؤمنين على نفاقهم قال: ويجوز أن يكون ما قالَ الله خبراً

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٣٨ و ينظر: الدر: ١ ٣٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ١ / ٥١ (١٦٢)

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٣٤١ و معاني القرآن للنحاس: ١/ ١٠١ وبحر العلوم: ١ / ٥٧ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٦٠ – ١٦١ و الوسيط: ١/ ٩٤ والنُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٨٠ والمحرر: ١ / ١٠٠ و زاد المسير: ١ / ٤٠ و تفسير القرطبي: ١ / ١١٢ و الأمثال في القرآن لابن القيم: ص ٩ و تفسير البيضاوي: ١/ ٨٦ و تفسير ابن كثير: ١/ ٥٤

(٣) فعلى القول الأول- وهو رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عبّاس و به قال قتادة وغيره واختاره الطبري و غيره- أنه ضرب المثل بكلمة الإسلام التي يلفظون بها، ونورها صيانة نفوسهم وحقن دمائهم و ما ينالونه من العز و نحو ذلك فإذا ماتوا سلَبَهم الله ذلك كما سَلَبَ صاحب النار ضوءه. والقول الثاني: معناه: أنه ضُرِب لإقبالهم و دخولهم في الإسلام ظاهراً فهذا نورهم و ذهابه خروجهم منه بنفاقهم.: ينظر المصادر السابقة و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٨٠ و المحرر: ١ / ١٠٠ و زاد المسير: ١ / ٤٠

(٤) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٩

عنهم ﴿ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾ [الحديد:١٣] الآية .فالمؤمنُ يُعطى في القيامة النُّور و المنافق يُسلَب نورَهُ في القيامة.

وقِيلَ إنّ الآية نزلت في اليهود، قَدِمَ قريظةُ و النضير و بنو قينقاع من الشام إلى يثرِبَ حين انقطعت المِيرة من بني إسرائيل ينتظرون خروج محمّد صلى الله عليه و سلّم فكانوا في انتظارهم كالمستوقِد ناراً فلما أضاءَتْ ما حولَهُ بخروجِ محمّد صلى الله عليه و سلّم كفروا فذهب نورهم فصاروا كالمستوقِدِ إذا انطفِئَت ناره. [١]

و هذا التّأوِيل يبعد لأن ما قبلها نزل في المنافقين دون اليهود [٤٣و]إلا أن يُحمَل على منافقي أهل الكتابِ.

و إنما قال: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا﴾ فشبَّههم وهم جماعة بالذي استوقد ناراً وهو واحدٌ لأنه تشبيه الفعل بالفعل لا الذوات بالذوات [٢] كأنّهُ قال مثلَ استضاءتهم بما أظهروه بألسنتهم من الإقرار حتى جَرَى عليهم أحكامُ المؤمنين في الظّاهر كمثل استضاءة الموقِدِ النَّار بالنار، و هو كقوله تعالى : ﴿ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِى يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [الأحزاب:١٩] يعني كدَوَرانِ أعينِ الذي يُغشى عليه من الموت، و كقوله:

---

[١] بحر العلو للسمرقندي: ١ / ٥٧ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٦١ و تفسير البغوي: ١/ ٦٩ ، و تفسير نجم الدين عمر النّسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٥١) و البحر لأبي حيان: ١ / ٧٦ . وهو مروي عن ابن عبّاس في رواية و سعيد بن جبير و محمّد بن كعب و يمان بن رِئَاب، كما في تفسير الثعلبي و النسفي و مع هذا فلم يذكر الطبري و لا ابن أبي حاتم و لا ابن كثير هذا القول عند هذه الآية

وذكروا روايات كثيرة عن ابن عبّاس و عن جماعة من التابعين أنها في وصف المنافقين، و سياق الآية دلّ على أنها في المنافقين كما قال المصنّف، و إن كان الاختلاف واردا أيضا في بعض ما سبق من الآيات –مما قد تقدّم ذكر الاختلاف في من نزلت فيه : أهم اليهود أم المنافقون و تقدّم ترجيح الطبري و غيره من المحققين للقول بأنها نزلتْ في المنافقين.

[٢] و هذا معنى قول الطبري و يظهر أن المصنف نقل منه غالب ما سيأتي: ١ / ٣٣٢ – ٣٣٤

﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ ﴾ [لقمان:٢٨] يعني إلا كخلق نفسٍ واحدة و إلا كبعث نفسٍ واحدة، و لو أراد به تشبيه الذوات لقال كالذين كما قال خُشُبٌ مسنّدةٌ وقال ﴿ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴾ [الحاقة:٧] فجاء بالجمع لما أراد تشبيه ذواتهم بذوات هذه الأشياء إلا أنه حَذَفَ الفعل لدلالة اللّفظ عليه و هذا كما يُقال ما أفعالكم إلا كأفعال الكلب ثم يجوز أن يُحذف الفعل فيقول ما فعلك إلا كالكلب يعني بذلك إلا كفعل الكلب و أنشد نابغة الجعدي :

و كيف نواصل من أصبحت خِلالَتُه كأبي مَرْحَبِ [١]

يعني كخلالة [٢] أبي مرحب فحذف لما كان اللفظ يدل عليه و كذلك في الآية اختصارٌ وحذفٌ من وجه آخر وذلك أن معناه مثل استضاءتهم كمثل استضاءة الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله طَفِئت ناره فكذلك هَؤلاءِ المنافقون.

﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾ أي لا يعرفون الحق ولا يهتدون الطريق لبقائهم في ظلمات الكفر ولا يبصرون في الآخرة الطريق لأنّ أنوارهم سُلبت منهم فذلك معنى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ فالهاء و الميم في قوله بنورهم عائدة على الهاء و

---

[١] في النسخة (ل) : جلالته . و الصواب كما في المصادر خِلالتُه. و الخلال و المخالّة المصاحبة .

و البيت في الكتاب لسيبويه: ١/ ٢١٥: ط:عبد السلام هارون و تفسير الطبري: ١ / ٣٣٤ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٨ و أمالي القالي: ١/ ١٩٢ ولسان العرب: خلل: ١١ / ٢١٧ و ٤ / ٥٢ و ١ / ٤٩٢و ١ / ٤١٦ و دلائل الإعجاز: ١/ ٢٣٢ و تفسير السمعاني: ١/ ١١٠ و تفسير القرطبي: ٣/ ٢٦٦ . و أبو مرحب كنية الظل –وقِيلَ كنية عرقوب المضروب به المثل في قوله: مواعيد عرقوب–، والظِّل متنقّل لا يدوم، و معنى البيت: كيف نخالِلُ و نصاحب مَن خَلّتُه و صحبته متنقلة لا تدوم كما أن الظلّ لا يدوم.

[٢] في النسخة (ل) : كجلالة. خطأ. و ينظر ما تقدّم

الميم في قوله ﴿مَثَلُهُم﴾ و لفظ طفئت ناره مضمرٌ في الآية على ما ذكرنا و إنما حسن حذفه لدلالة الباقي عليه [١] كما قال أبو ذُؤَيب الهُذَلي:

عصيتُ [٢] إليها القلب إني لقولها سميعٌ فلا أدري أرشدٌ طِلابها [٣]

يعني فما أدري أرُشدٌ طلبها أم غيٌّ . فحذفَ إذْ كان في اللفظ ما يدلُّ عليه.

وقال بعضهم [٤] : إنّ قوله ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ أي كمثل الذين نظيره قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر:٣٣] ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ كما قال الشاعر :

إنّ الذي حانت بفَلَجٍ دماؤهم [هم] [٥] القوم كلَّ القوم يا أمَّ خالد [٦]

و إنما جاز أن يُوضَع الذي في موضع الذين لأنه مبهَمٌ يحتمل الوجوه و على هذا التّأوِيل فإنما وُحِّد لفظ الفعل في قوله ﴿ٱسْتَوْقَدَ﴾ لأن الذي و إن أريد به الجمع فهو يُشبِهِ الواحد. [١]

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٤٤

[٢] في النسخة (ل) : عصيته. خطأ.

[٣] ديوان الهذليين: ١ / ٧١ و جامع البيان للطبري: ١ / ٣٤٤ و زاد المسير: ١/ ٤٤٢

[٤] نسبه الطبري إلى بعض أهل العلم من أهل البصرة: ١ / ٣٣٥ و ينظر: معاني القرآن لابن النحاس: ٦ / ١٧٤ - ١٧٥ و البحر: ١ / ٧٦

[٥] في النسخة (ل) : (و القوم).

[٦] البيت للأشهب بن رُمَيلة في : الكتاب لسيبويه: ١ / ١٨٧ و جامع البيان للطبري: ١ / ٣٣٦ وإعراب القرآن لابن النحّاس: ١ / ١٨٢ و المنصف لابن جني: ١ / ٦٧ ومعجم ما استعجم للبكري: ٢ / ١٠٢٨ و خزانة الأدب: ٢ / ٥٠٧ . و فلْج: واد بين البصرة و حمى ضريّة، و حانت دماؤهم : يعني: لم يؤخذ لهم بدية و لا قصاص، و القوم كلّ القوم: أي القوم الكاملون.

و على هذا القول أصل اللَّذي الَّلذْ و التثنية اللّذَا و الجمع الـذي. [٢] وقـال بعـضهم: معنـى الآيـة مثلهم كمثل أتباع الذي استوقد ناراً ،فيكون من باب سُئِل القرية في حذف المضاف و إقامة المـضاف إليه مقامه. [٣] و معنى استوقد و أوقد واحد كما يقال استجاب وأجاب و أنشد:

وداعٍ دعا يا من يُجيب إلى النّدى فلم يستجبه عند ذاك مجيب [٤]

وقِيلَ معنى: ﴿ٱسۡتَوۡقَدَ﴾ طَلَبَ الوَقُود و الوَقود النّار [٥] و كلُّ شيء يتلألأ فهو يَقِد كوقـود النار.

ووجه تشبيه حال المنافق بحال المستوقِد على ما مضى، هو أنّ أيمانهم لا ينفعهم بعد نفاقهم كما أن المستوقد لا ينتفع بناره بعد انطفائها أَحوج ما كان إليها.

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٣٦ و فيـه بيـان وجـه ضـعف هـذا التوجيـه، و إعـراب القـرآن لابـن النحّاس: ١ / ١٨٢ و البحر: ١ / ٧٦ - ٧٧

[٢] إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٤٦٥ و البحر: ١ / ٧٤ و ٧٧ والدر المصون: ١ / ١٣٠ . وينظر: المنصف لابن جني: ١ / ٦٧ وتوجيه اللمع - لابن جني - لابن الخباز: ص٤٨٧ تحـ: الدكتور فـايز دياب .

[٣] تقدير ذلك على حذف مضاف كمثل أصحاب أو أتباع الذي استوقد لا حاجـة إليـه و لا دليـل عليـه. ينظر: البحر: ١ / ٧٨

[٤] هو كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه: و البيت في الأصمعيات: ص٩٦ و طبقات فحول الشعراء لابن سلام: ١ / ٢١٣ و جامع البيان للطبري: ١ / ٣٣٥ وأمالي القالي: ٢ / ١٥١ و الفريد في إعـراب القـرآن للمنتجب الهمداني: ١ / ٢٣١ و الخزانة: ٤ / ٣٥٧

[٥] معاني القرآن لابن النحاس: ١ / ١٠١ و غرائب التفسير و عجائب التأويل للكرمـاني: ١ / ١٢٢ و البحر: ١/ ٧٨ و قطف الأزهار في كشف الأسرار للسيوطي: ١/ ١٩٧

و الثاني: أنّ حال الذي طَفِئت نارُه عند الحاجة في الحيرة و الشدّة أشدّ من حال من لم يزل في ظلمةٍ كحسرة من ذهب ما في يدِه من المال أكثر من حيرةٍ من لم يكن له مال قطّ.

قال فكذلك المنافق إذا عُوقِب في الآخرة فهو أشدّ تحسّرا من الذي لم ينافق و المرتدّ أعظم حسرة من الذي لم يؤمن أصلا و الظلمةُ بعد النور أوحشُ لذلك الكفر بعد الإيمان أقبح.

و الأصل في المَثل المِثل و هو الشِّبه و منه مَثَلَ بين يديه مثُولاً إذا انتصبَ لأنه ينتصِبُ على مثل حاله المألوفة منه، و امتَثَل اِمتثَالا إذا فعل ما أُمر به، و تماثل من مرضه إذا تقارب من مثل حاله إلى الصحّة، و المُثلةُ تغيُّر حَالِ النّعمة إلى مثل حال النِّقمة.

و المَثَلُ في الكلام قولٌ سائر يشبَّه به حال الثاني بالأوّل. [1]

ويقال ضاءت النار وأضاءت إذا ظهر ضوئها وقِيلَ أضاءت متعدٍّ ،و معناه أضاءت النار ما حول المستوقِدِ يقال أضاء القمرُ الدارَ و أنشد بعضهم[2] :

أضاءت لهم أحسابُهُمْ وَوُجُوهُهُم دُجَى اللّيل حتى ينظِمَ الجَزْعَ [3] ثاقبُه

فيكون ما في موضع النصب في قوله: ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ وانتصب ﴿حَوْلَهُۥ﴾ على الظرف ومعنى ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ أي جوانبه وما يَكنُفه من جهاته، و هو من الحَوْلُ الذي هو الانقلاب. [4]

---

[1] لسان العرب: مثل: ١١ / ٦١٥ (مثل) و تفسير السمعاني: ١/ ٥٢ و المفردات للراغب: ١ / ٤٦٢ و الكشاف: ١ / ١٩١ و البرهان: ١ / ٤٨٦

[2] البيت لأبي الطمحان القيني من أبيات من جيد الشعر: في الحيوان للجاحظ: ٣ / ٩٣ و الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢ / ٧١١ و لكنهما قالا إنها للقيط بن زرارة و غيرهما ينسبها لأبي الطمحان القيني، ينظر:الكامل للمبرد: ٤٦ و لسان العرب: خضض: ٧ / ١٤٣ و زاد المسير: ١/ ٣٩ و الدُّر المصون: ١ / ١٣٢ و الإصابة لابن حجر: ٢ / ١٨٣ في ترجمة حنظلة بن الشرقي أبي الطّمْحان القيني و فيها كلُّها: نَظّم.

[3] الجَزْعُ: الخَرَز اليماني . ينظر: لسان العرب: (جزع) و مختار الصحاح. (جزع).

[4] الدر المصون: ١ / ١٣٢

قولـــــه : ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [١٨] أي ﴿صُمٌ﴾ عـــــن اســــتماع الحق﴿بُكۡم﴾ عن التكلُّم به ﴿عُمۡى﴾ عن الإبصار. و عن ابن عبّـاس: يقـول لا يـسمعون الهدى و لايبصرونه ولا يعقلونه. [١]

و قِيلَ أراد به التصامُم و التخارُس و التَّعامي عن الحق كما قال الشاعر:

أصمّ عما جاءه سميعُ [٢]

فجمع له الوصفين و قِيلَ أراد به نفي القبول عنهم فيما يسمعونه من الحق و نفي النُّطق بالحق، و نفي إدراك الحق بأبصار القلوب لاستيلاء خذلان الله عليهم وإعراضهم عن الحق و ما خلق فيهم من الكفر صاروا كالصمّ البكم العُمْي.

﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ يعني لا يرجعون إلى الإسلام قطّ، وفي هذا دِلالة للنبي صلَّى الله عليه وسلَّم معجزٌ حيث أخبر عن الغيب و عن أحوالهم و كان كما أخبر.

و عــن ابــن عبّــاس في روايــة : فهــم لا يرجعــون إلى الهــدى مــا دامــوا عــلى هــذه الصفة، [٣] و القول الأوّل أصحُّ لأنه ظاهر الخطاب. و الذي قاله ابن عبّاس فتأويل يخـالف الإطلاق ولا بدّ فيه من دليل. [٤]

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٤٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٥٢ (١٧٢) من طريق علي بن أبي طلحة.

[٢] في المصادر التي وقفت عليها: أصمّ عما ساءه سميعُ : الحجة في السبع لابن خالويه: ١ / ٢٧٤ ولسان العرب: (صمم) : ١٢ / ٣٤٤ و تفسير السمعاني: ١/ ٥٣ و المحرر الوجيز: ١/ ٢٣٨ والكشاف: ١ / ١٩٥ و تفسير القرطبي: ١ / ٢١٤ .

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٥٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ١ / ٥٣ (١٧٧)

[٤] و نحو هذا قال الطبري: ١ / ٣٥٠

و معنى ﴿صُمٌّ﴾ جمع أصمّ و ﴿بُكْمٌ﴾ جمع أبكم و ﴿عُمْيٌ﴾ جمع أعمى و يجوز في جمع أصمّ صُمَّان و في جمع أبكم بُكمان و كذلك في باب أفعل يجوز أن يجمع على فُعْلٍ وفُعْلان سواء كأسود يجمع على سود و سُودان عن الزَّجَّاج (١).

و أصل الصمم من السّدّ و الصمم آفة تسُدّ السمع فتمنع من الإدراك، و قناة صمّاءُ مكتنزة الجوف يَسُدّ جوفها بامتلائها، وحجرٌ أصمّ وفتنة صمّاء شديدة لسدّ الخِلَلِ و الفُرَجِ التي يُطمع في إزالتها. (٢)

و الأبكمُ الذي يُولَدُ أخرس، و الأبكم مسلوبُ الفؤادِ عن الزَّجَّاج (٣)، و لم يُرِدِ الله سبحانه نفيَ الجوارح عنهم التي فيها هذه الإدراكات المخصوصة، و إنما أراد بذلك تصاممهم عن الحقّ و تعاميهم عنه أو فقدَهم سمعَ القبولِ الذي هو قبول الحق، و عُدْمَهم بصيرةَ القلوب.

و القِرَاءة بالرّفع في قوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ﴾ على الاستئنافِ كأنه تمّ الكلام، قال ﴿صُمٌّ﴾ أي هم صمٌّ. (٤) وقال الزَّجَّاج: إنه رَفعٌ على خبرِ الابتداءِ كأنّه قِيلَ هَؤلاءِ الذين [٤٤ و] قصتهم (٥) ما مضى صمٌّ، و أنشد للنابغة:

توهَّمتُ آياتٍ لها فعرفتها　　　لستة أعوامٍ و ذا العام سابعُ (٦)

---

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٩ – ٩٠

(٢) لسان العرب: صمم (١٢ / ٣٤٣) و البحر: ١ / ٧٥

(٣) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٩ و البحر: ١ / ٧٥ و لسان العرب: (بكم)

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٤٥ – ٣٤٧ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٩

(٥) في النسخة ل : كلمة غير واضحة. وهي في معاني القرآن للزجاج: (قصتهم): ١ / ٨٩.

(٦) البيت للنابغة الذبياني : ديوانه: و لسان العرب: (عشر) ٤ / ٥٦٩ و غيره.

ثم استأنف وقال: رمادٌ كَكُحْلِ العين. وقال الله تعالى: ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ [النبأ:٣٦] ثم قال ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١) وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ﴾ [التوبة:١١١] ثم قال ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ﴾. وفي قراءة عبد الله: (صمّا بكما عميا) بالنصب. (٢) و ذلك على وجهين: أحدُهما على الذمّ و قد يفعلون كذلك.

و الثاني على الحال (٣) على معنى و تركهم صمّا بكما أو على الحال على معنى و تركهم في ظلمات لا يبصرون صماً بكماً عمياً . (٤)

وقال محمّد بن جرير: إنّ في الآية تقديما و تأخيرا و معناه :(فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ) (صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ) ثم قال ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ فعلى مذهبه يكون ﴿صُمٌّۢ﴾ رفعاً على الاسئناف على تكرير ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

---

(١) هذا على قراءة الرفع في (ربّ) .

(٢) تروى هذه عن عبد الله بن مسعود وحفصة رضي الله عنهما: إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٩٣ و بحر العلوم للسمرقندي: ١ / ٥٧ و المحرر الوجيز: ١/ ١٠١ و تفسير القرطبي: ١ / ٢١٤.

و هي شاذة و قد جعل الطبري و الزّجّاج القراءةَ بالنصب مخالفةً للمصحف غير جائزة، و لم يصرّحا بمن قرأها. جامع البيان للطبري: ١ / ٣٤٧ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٩

(٣) تكرّرت هذه الجملة مرتين في النسخة ل .

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٤٦ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٨٩ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٩٣ و بحر العلوم للسمرقندي: ١ / ٥٧ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٦١ و المحرر الوجيز: ١/ ١٠١ وتفسير القرطبي: ١ / ٢١٤.

ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ صُمٌّ بُكۡمٌ﴾ والنّصبُ على مذهبه على الحال من قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ لأنَّ الذي من ذكرهم معرِفةٌ و الصمُّ نكرة.[١]

وقال غيره: ليس في الآية تقديم ولا تأخير ،و إنما اعترض من قوله ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾ بين المثلين لأنّ معتمَدَ الكلام على ضَرْبِ المثل لهم في الدنيا في الانتفاع بإظهار الإيمان بقوله ﴿وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾ و إن كان في صفة الآخرة فجاز أن يَتْبَعه بقوله: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ﴾ وإن كان ذلك في الدنيا لأنّ في ذلك تحقيق صفتهم بما ذكر عنهم و ذلك حكمهم في الآخرة.

قوله ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية [١٩] اختلفوا في معنى قوله ﴿أَو كَصَيِّبٍ﴾ فقال بعضهم إن ﴿أَو﴾ ههنا بمعنى الواو كقوله : ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:١٤٧] و كما قال جرير:

نال الخلافة أو كانت له قَدَرا كما أتى ربَّه موسى على قَدَر[٢]

يعني و كانت الخلافة له قَدَراً و كما قال الآخر:[٣]

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٤٦

[٢] ديوان جرير : ١/ ٤١٦ و جامع البيان للطبري: ١ / ٣٥٥ و الجليس الصالح الكافي للمعافى النهرواني: ٤ / ١٧٥ و غيره.

[٣] هو متمم بن نويرة: (لسان العرب: عفق) و البيتان أيضا في الأضداد لابن الأنباري: ص٢٨٠ وجامع البيان للطبري: ١ / ٣٥٥ و الجليس الصالح الكافي للمعافى النهرواني: ٤ / ١٧٥ و أمالي المرتضى: ٢ / ٥٨ . وورد في الطبري : جبير كما هنا و غيره محققوه في طبعة دار هجر إلى بجير اعتماداً على ما في اللسان و غيره، و ليس بجيِّد، و هو في الأضداد واللسان و الجليس الصالح: بجير قال ابن بري كما في اللسان صوابه: بجير.

فلو كان يردُّ شيـــــــئا بكيت على جُبيرٍ أو عَقاقِ [١]

على المرأينِ إذ مضيا جميعاً لشأنِهما بحُـزنٍ و اشتيـاقِ

يريد على جبيرٍ و عَقاقٍ لأنه قال بعده على المرأين قالوا فمعنى الآية، و مثلهم كمثل صيِّبٍ إلا أنه حذف لفظة المثلِ اجتزاء بما دلَّ عليه الخطاب في قوله: (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) و هذا اختيار ابن جرير. [٢]

وقال آخرون إنّ أو ههنا للإباحة و هذا كما يقال: جالسوا الفقهاء أو أصحاب الحديث، وكما يقال جالس الحسن أو ابن سيرين يعني أنت مخيّر في مجالسة أيهما شئت أي إن جَالست [٣] هذا فلك ذلك و إن جالستَ الآخر فلك ذلك و إنْ جالستهما جميعا فلك ذلك،ومعنى الآية إن شئتم مثّلوهم بالذي استوقد نارا و إن شئتم مثلوهم بصيّبٍ صفته ما ذكره و إن شئتم مثّلوهم بهما جميعا.

وليست ﴿ أَو﴾ ههنا للشك البتة وهذا التّأوِيل اختيار الزَّجَّاج [٤] وغيره من

النحويين [١] . و الصيّب في اللغة: هو المطر و أصله صيْوبٌ من صاب يصوب صوباً إذا نزل وتحدّر، ولكن الواو لما سبقتها ياء ساكنة صُيّرتا جميعا مشدّدة كما يقال سيّد من ساد يسود و جيّد من جاد يجود و ميّت من مات يموت و ما شابهه و الصوب هو الجريُ من عُلوٍ [٢] .

---

[١] كذا في النسخة : ل. و في المصادر المتقدمة : عِفاق و يروى غفاق.و ينظر: خزانة الأدب عند الشاهد: رقم: ٥٢٠ .

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٥٦ و قد اعترض الإمام المعافى النهرواني: (٣٩٠ هـ) في كتابه الجليس على هذا بما سيأتي نقله في الهامش لنفاسته.

[٣] في النسخة (ل) : جلستَ في الموضعين.

[٤] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٩٢ وقال: يسميها الحذاق باللغة واو الإباحة .. الخ.

ومعنى الآية أو كمثل أصحاب صيّبٍ فحذف أصحاب لدلالة الحال عليه، ويدل عليه قوله تعالى بعده : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ ﴾، وقوله : ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم ﴾ [٢٠] فذَكَرَه بلفظ الجمع.

و السماء كلُّ ما علاك فأظلّك و أصله سَماوٌ، و هو من : سما يسمو إذا علا و ارتفع، و منه سُمّيت

السحابة سماءً و سُمّي السقف سَماءً ، و سماوةُ القمر شخصُه حتى يظهر مرتفعاً على الأُفق. [٣]

---

[١] قال الإمام المعافى النهرواني الجريري: (٣٩٠هـ): (وأبى محقّقة النحويين هذه الطريقة، وتأوّلوا كلَّ شيءٍ ممّا أتى هؤلاء به وتلوه واستشهدوا به ورووه على خلاف تأويلهم. وإنما أوقع الذين زعموا أن (أو) تكون بمعنى الواو فيما ذهبوا إليه – من خلاف القياس المميّز بين الألفاظ المختلفة المعاني في أصولها، وإن تقاربت في بعض وجوهها– وجودهم ألفاظاً اشتبهت عليهم لتقاربها، فخلطوا بعضها ببعض، ولم ينعِموا النظر فيها، فيحصّلوا تمييزها، ويقوا على ما يختصّ به كلُّ نوعٍ منها، ويتبيّنوا أوجه تقاربها وعلّة اشتراكها وتداخلها، وذلك كقولهم:

اجلس في السوق أو المسجد، وجالس الحسن أو ابن سيرين، وخالط الفقهاء أو النحويين، وكل اللحم أو الشحم، والتمر أو الزبيب، والرُّطب أو العنب. وهذا باب يسمّى باب الإباحة وليس من باب الشك وتخير أحد المذكورين وحظر الجمع بينهما ..)اهـ. الجليس الصالح: ٤ / ١٧٦

و ينظر: الأضداد: ص٢٨٠ و البحر: ١ / ٨٥ و قد اختار أنها هنا للتفصيل، و الدر المصون: ١ / ١٣٥ و معنى التفصيل: أن من نظر في حالهم منهم من يشبههم بحال المستوقد الذي هذه صفته، و منهم يشبهه بأصحاب صيب هذه صفته.

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٥٠ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٩٠ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٦٢ ولسان العرب: (صوب) و الدر المصون: ١/ ١٣٥

[٣] تفسير الثّعلبي: ١ / ١٦٢ و تفسير العلامة نجم الدين عمر النسفي :(ت: ٥٣٧هـ) التيسير في التفسير: (ورقة ٥٣) . مخطوط . و لسان العرب: ١٤ / ٣٩٨ و تفسير القرطبي: ١ / ٢١٥ و الدر المصون: ١/ ١٣٦

قوله: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾ يحتمل أن يعود الهاء في ﴿فِيهِ﴾ إلى الصيّب أو إلى الليل أو إلى السماء إذا حُمل على السحاب أو إلى السماء نفسها على مذهب من يُذكِّرها. [١]

و ﴿ظُلُمَٰت﴾ جمع ظلمة و ضمة اللام على الإتْباع و من قال ظُلَماتٍ بفتح اللام قال فإذا حرّكت اللام وجب أن تحرّك إلى أخف الحركات . [٢]

و أصل الرعدِ من الصوت. واختلف أهل التفسير فيه، فقال مُجاهد [٣] وابن عبّاس [٤] : إن الرعد ملكٌ يزجُر السحاب.

وقال شهر بن حوشب: الرعد ملك موكّلٌ بالسحاب يسوقه كما يسوق الحادي الإبل يسبّح، كلّما خالفت سحابةٌ صاح بها فإذا اشتدّ غضبه طارت النار من فيه فهي الصاعقة التي رأيتم. [٥]

فإن كان الأمر على ما قال ابن عبّاس و مُجاهد، فمعناه فيه ظلماتٌ و صوتُ رعدٍ لأن التخويف والفزع إنما يحصل بصوتِ الرعد، عندما يُسمعُ لا بكون الملك في السحاب ألا ترى أن مع كلّ قطرة من المطر مَلَكاً كما رُوي [٦] ، و لكن لا يقع بكونهم فزعٌ. فمعنى الآية فيه صوت رعدٍ الذي هو الملك.

---

[١] تفسير الثّعلبي: ١ / ١٦٢

[٢] تفسير الثّعلبي: ١ / ١٦٣ و لسان العرب: ظلم.

[٣] رواه عبد الرزاق في تفسيره : ٢ / ٣٣٣ والبغوي في الجعديات: (٢٥٥) و الطبري في جامع البيان: ١ / ٣٥٧ من طرقٍ و أبو نعيم في الحلية: ٣ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ و ينظر: الدر: ٤ / ٤٩ ، ٥١

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٥٨ و العظمة لأبي الشيخ: (٧٧٨)

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٥٧ و ٣٥٩ و أبو الشيخ في العظمة: (٧٧٧) و الدر: ٤ / ٥١

[٦] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٦٢ .و أما الأثر في ذلك فروي عن الحسن البصري نحو ذلك :

وقال بعضهم الرّعدُ ريحٌ يختنق تحت السحاب فتصاعد فيكون منه ذلك الصوت و إليه ذهب (أبو الجَلْد) [١] رجل من أهل هَجَر كتب إليه ابن عبّاس يسأله عن الرعد ،فكتب إليه إن الرعد ريحٌ. [٢]

وقِيلَ إنَّ الريح هو صوت اصطكاكِ أجرام السحاب. [٣]

وقال الخليل بن أحمد: الرعد اسم ملك سمّي الرعد الذي هو الصوت باسمه. [٤] و أما البرق فهو اللَّمْعُ و كل شيء يتلألأ لونه فهو بارقٌ، و يقال للسيوف بوارقُ لِلِمْعِها. [٥] و عن علي رضي الله عنه أنّ: البرق مخاريق الملائكة تسوق بها السحاب. [٦]

في العظمة لأبي الشيخ: ٤ / ١٢٧٤ و ذكره في الدر المنثور و نسبه لأبي الشيخ: ١ / ٨٧ عند قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢].

[١] في النسخة ل : أبو الخلد . و التصويب من تفسير الطبري: ١/ ٣٦١ ، و من تفسير ابن الجوزي: زاد المسير: ١ / ٤٣ . قال ابن الجوزي : (و اسم أبي الجلد جِيلان بن أبي فروة البصري و قد روى عنه قتادة) اهـ. و ترجمة أبي الجلد في تاريخ البخاري الكبير : ٢ / ٢٥١ و مؤتلف الدارقطني : ٢ / ٨٦٧ وتوضيحه المشتبه لابن ناصر الدين : ٣ / ٣٨٠ و الضبط منه حيث ضبطه بالكتابة : بفتح الجيم وإسكان اللام ثم دال مهملة.

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٦١ و قد فرقه الطبري في: ١ / ٣٦٣ و ١ / ٣٦٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٥٥ (١٨٧).

[٣] المحرر الوجيز: ١ / ١٠٢ و زاد المسير: ١/ ٤٣ و تفسير القرطبي: ١ / ٢١٧

[٤] النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٨٢ والبحر : ١ / ٨٣ .

[٥] لسان العرب: برق و النهاية: برق: ١/ ١٢٠

[٦] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٦٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٥٥ (١٩٠) و البيهقي: ٣ / ٣٦٣ و ينظر: العلل للدارقطني: ٣ / ٢٠٠ الدر: ٤ / ٤٩

و عن ابن عبّاس[١]: أنه سَوطٌ من نور يضرِبُ به الملك السحاب. وقال مُجاهد: هو مَصْعُ مَلَكٍ.[٢] و المَصْعُ من المِصاع و هو المجادلة بالسيوف إلا أنه لم يقل المصَاع لأن السحاب لا يُماصَعُ فيها ،الفعل من مَصَع يَمصَع إذا جلده الملك بسوطه.[٣] و هذه المعاني متقاربةٌ.[٤] و قِيلَ إن البرق هو ما ينقدحُ من الماء عند نزوله من السحاب إذا انعَصَرَ و بمثله ورد التفسير عن (أبي الجَلْد)[٥] لّما كتب إليه ابن عبّاس يسأله عن البرق فكتب إليه أنه الماء.[٦]

و ﴿ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ جمع صاعقةٍ وهي قطعة من نارٍ هائلة تقعُ بصكِّهِ و الصاعقة صيحة العذاب لأنها كتلك الصاعقة، وقال الخليل: الصَّعق هو أن يُغشى الإنسان من هول أو فزعٍ.[٧]

و انتصبَ قوله ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ﴾ لأنّه مفعولٌ له، المعنى يفعلون ذلك لحذر الموتِ.[٨]

و معنى قوله: ﴿مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يريد به إحاطة قَدَرَه بهم، و إحاطة علمه بهم لأنهم في مقدوره كالذي ضُرب حوله حائطٌ دائرٌ به لا بَرَاحَ لهم عنه و لا محيصَ لهم منه.

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٦٣ و عزاه السيوطي: في الدر المنثور: إلى الطبري و ابن مردويه: ٤ / ٥٠ و سنده واهٍ فهو من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عبّاس . و تقدم بيان ضعف سنده: صـ٢٨٧.

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٦٤ – ٣٦٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٥٦ (١٩٤) و الدر: ٤ / ٩٤

[٣] لسان العرب: مصع. (٨ / ٣٣٨) و جامع البيان للطبري: ١ / ٣٦٦

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٦٧

[٥] وقع في النُّسخة: ل : أبو الخلد ، و تقدّم وجه تصويبه في الصفحة الماضية.

[٦] تقدّم قريبا تخريج رواية أبي الجلد عند بيان المصنف لمعنى الرعد.

[٧] تهذيب اللغة: صعق: ١/ ١٧٧ – ١٧٨ و لسان العرب: مادة : صعق.

[٨] البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري: ١ / ٦١ و الفريد للهمداني: ١ / ٢٣٧

و جاء في التفسير ﴿مُحِيطٌۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي جامعهم في جهنَّم عن مُجاهد.[١]

وقال ابن عبّاس مُنزِلٌ ذلك بهم من النِّقمة.قوله: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ﴾ [٢٠] يقال كادَ إذا قَرُبَ من الفعل و لمّا يقع منه ذلك ولا مصدر له من فعله واسمِه. يقال كادَ يَفعَلُ و لا يقال كادَ أن يَفعَلَ لأنَّ في كادَ مبالغةٌ في القُرب فلا يُقرَنُ به أنْ لأنه للاستقبال وقد جاء نادراً [٢] في قول الشاعر :

قد كَادَ من طول البِلَى أن يَمصَحَا [٣]

وقال الحسين بن الفضل[٤]: كلُّ ما في القرآن من لفظ كَادَ في معنى الإثبات فإنَّ ذلك الفعلَ لم يَقَعْ نحوُ قوله تعالى : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾ [مريم:٩٠] ولم يتفطرن، وقوله : ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ﴾ ولم يخطف البرق بصراً قطّ، وكلُّ ما كان من

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٧٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٥٧ (٢٠٠ ، ٢٠١)

[٢] الكتاب لسيبويه: ٣ / ١٥٩ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٩٥ و شرح الكافية لابن مالك: ١ / ٤٦٦ – ٤٦٩ والبحر: ١ / ٨٨.

[٣] البيت لرؤبة: ديوانه: ١٧٢ و قبله: ((رسمٌ عفا من بعد ما قد انمحا)) و هو في: الكتاب: ٣ / ١٦٠ (ط:عبد السلام هارون) و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٩٥ و اللسان: (مصح)
و الخزانة: ٤ / ٩٠ و هو في وصف دار يصفها بالقدم ،و أنها من طول البلى كادت أن تمصح أي تذهب معالمها.

[٤] لم أجده عن الحسين بن الفضل –و هو من فوائد هذا التفسير و معنى كلامه هذا صحيح. وبالنسبة لخطف البرق البصر ينظر:
البرهان للزركشي: ٤ / ٨٢ و لسان العرب: خطف: ٩ / ٧٦ وفيه: سفيان عن عمرو : لم أسمع أحداً ذهب ببصره البرقُ لقول الله عز وجل: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ﴾.

لفظ كادَ في معنى النَّفي فإنَّ المعنى حصل منه كقوله : ﴿ وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة:٧١] في قصَّة البقرة وقد ذبحوها.

وقوله : ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾: الخطف اختلاس الشيء بسرعة ومنه الخبرُ أنه نهى عن الخَطْفة بعد النَّهبة، ومنه قِيلَ للخُطَّافِ الذي يُخرَجُ به الدلو من البئر خُطَّاف لاخِتِطَافه واستِلابِه ما عَلِقَ به.

وفيه لغتان خَطِفَ يَخطَفُ مثل سَمِعَ يَسمَعُ وخَطَفَ يَخطِفُ، واللغة العالِيَة ما عليه القرآن خَطِفَ بكسر الطاء يَخطَف بفتحها.[١]

و للقرَّاء في هذه اللفظة لُغاتٌ يُروى عن الحسن (يَخِطِّفُ) بكسر الخاء و الطاء وتشديد الطاء[٢] ، وعن غيره (يَخَطِّف) بفتح الياء و الخاء و كسر الطاء، و يُروى (يِخِطِّفُ) بكسر الياء والخاء و الطاء جميعاً، و يروى (يَخْطّف) بتسكين الخاء والطاء فيجمع بين ساكنين، و فيه صعوبة على اللفظ.[٣]

فأما من قرأ (يَخَطِّف) بفتح الياء و الخاء و كسر الطّاء فهو الأجود و أصله (يختطف) أدغمت التاء في الطاء و أُلقِيَت حركة التاء على الخاء.

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٧٩ و لسان العرب: (خطف): ٩ / ٧٦ و المفردات في غريب القرآن: ١/ ١٥٠ و النهاية: ٢ / ٤٩ والبحر لأبي حيان: ١ / ٨٨ و البرهان للزركشي: ٤ / ٨٢

[٢] إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٩٥ : و فيه أنها أيضا قراءة قتادة و عاصم الجحدري و أبو رجاء العطاردي ،و معاني القراءات للأزهري: ص٤٦ و المحرر الوجيز: ١/ ١٠٣ و التفسير الكبير: ٢/ ٧٢ و البحر: ١ / ٨٨

[٣] ينظر: في هذه القراءات: إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٩٥ و قد بسط القراءات فيها ومعاني القراءات للأزهري: ص٤٦ و المحتسب لابن جني: ١ / ٥٧ و المحرر الوجيز: ١/ ١٠٣ والتفسير الكبير: ٢/ ٧٢ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٢٣ والبحر: ١ / ٨٨ .

و من قرأ (يَخِطِّف) بكسر الخاء والطاء يقول لمّا سَكَنَتْ الخاء و {أسكن} [١] ما بعدها و هي الطاء الأولى كُسِرت الخاء لالتقاء الساكنين كما قالوا اضربِ الرَّجُل فكسروا الباء لما استقبلها لام ساكنةٌ و هي لام التعريف في الرّجل [٢].

قال الفرّاء [٣]: وهذا لا يجوز لأنه لو جاز ذلك لقالوا في يَعَضُّ يَعِضُّ و في يَمُدُّ يَمِدُّ، وذلك لأن الميم سكنت في يَمُدُّ و سكنت الأولى من الدالين و العين سَكَنتْ في يَعَضُّ و سَكَنَت الأولى من الضادين.

وقد أجاب الزَّجَّاج [٤] عن هذا بأن قال: إنّ هذا لا يلزم لأنه لو فعل ذلك كما قاله لالتبس ما أصله يَفعُل بما أصله يَفعِل و ليس كذلك يختطِف لأنه لا يكون مرة يَفْتَعِل و مرة يَفْتَعَل بل له أصلٌ واحدٌ. [٥]

و من قرأ (يَخِطِّف) بكسر الياء و الخاء و الطاء جميعا، فلأن الألف في اختطف مكسورة عن الفرّاء [٦] قال طَلَبَ كسرة الألف فيه لأنها كانت [٧] في ابتداء الحروف مكسورة.

قوله:﴿أَضَآءَ لَهُم﴾ يقال ضَاءَ وأَضاءَ بمعنى واحد، و أضاء أفصح كما يقال ظَلَمَ وأَظلم أفصح، و الاسم الضَّوء بالفتح و الضُّوءُ بالضم أيضا عن الفرّاء. [٨]

---

[١] في النسخة (ل) : (و أسكنت)

[٢] الكتاب لسيبويه: ١/ ٤١٠ ، ٤٢٥ بالإضافة إلى المصادر السابقة.

[٣] معاني القرآن: ١ / ٢٣

[٤] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٩١

[٥] فلو كسر: (يعَض و يمُدُّ) لالتبس ما أصله يفْعَل و يفْعُل بما أصله (يفعِلُ). : إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ١٩٥ و معاني القراءات للأزهري: ص٤٦ و المحرر الوجيز: ١/ ١٠٣ و التفسير الكبير: ٢/ ٧٢ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٢٣ والبحر: ١ / ٨٨

[٦] معاني القرآن: ١ / ٢٣

[٧] في النسخة ل : كان.

[٨] معاني القرآن: ١ / ٢٤ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٩١

و إنـما قـال: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ فوحَّـد الـسمع و جمـع الأبصار لأنه أراد بالسمع المصدر و قِيلَ أراد به الجمع و اكتفى بلفظِ السّمع كما قال القائل:

كُلُوا في نصفِ بَطْنكُمُ تَعِيشُوا. [1]

و معنى ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ﴾ أي أذهب سمعهم؛ و لو وحَّد الأبصارَ كما و حَّد الـسمع أو جمع السمع كما جمع الأبصار لكان ذلك جائزا. [2]

و معنى الحذر طلب السلامة من المضرّة.

فأما تأويل الآية فقد قِيلَ: شبَّه الله سبحانه نزولَ القرآن لما فيه من حياة القلوب بالمطر الذي فيه حياة الأرض و شبّه ذِكر الفتن و الأهوال التي في القرآن بما في المطر مـن الظلـمات، و شـبه مـا خوِّفوا به من الو عيد بما في المطر من الرعد و شبه حجج الدِّين التي في القرآن بما في المطـر مـن البرق و شبَّه جعل المنافقين أصابعهم في آذانهم لكي لا يسمعوا القرآن فيهْجُمَ قلوبهم أو كي لا يسمعوا ما ينزل من القرآن مما فيه افتضاحُهم بجَعْل الذي يجعل في هذا المطر أصـابعه في أذنـه. [3]

وقوله: ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ أي خوفاً مما يحلُّ بِهِ من عقوبة الله عاجلا و آجلاً شبه خوفهم من ذلك بحذرهم من الموت، نزلت الآية في اليهود. [4]

---

[1] تقدّم تخريجه: صـ٤٢٤ والشاهد فيه أنه وحّد البطن و المراد به البطون.

[2] تقدّم الكلام على مثل هذا عند قوله تعالى: (ختم الله على قلوبهم و على سمعهم ..). و ينظر: الطبري: ٣ / ٣٨٣

[3] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٧٣ - ٣٧٤ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٨٢ و تفسير البغوي: ١ / ٧٠ – ٧١ و المحرر الوجيز: ١ / ١٠٢ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٢٣ و البحر: ١ / ٨٧

[4] تقدّم ترجيح المصنّف و قبله الطبري و غيرهما نُزُولَ هذه الآيـات في المنـافقين: صــ ٤٦١ ، ثـم عـاد المصنف فذكر خلاف ما سبق له ترجيحه ؟ لكنه ذكره احتمالاً هنا و لم يرجّحه و سيعود بعد قليلٍ فيـذكر

وقوله : ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ ﴾ يعني كلما نُصِر محمّد صلَّى الله عليه و سلَّم رَغِبوا في الإسلام ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾ أي إذا نُكِبَ أو أصابته هزيمة أو محنة تحيّروا في أمره كالذي في حال المطر إذا أبصر البرق مشى و إذا أظلم عليه قام في حالته متحيّراً.

و قوله: ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ أي يكاد ما في القرآن من الحِجج يخطف قلوبهم من شدّة إزعاجها إلى النّظرِ في أمرِ دينهم.

و قِيلَ نزلت الآية في المنافقين شبَّه حالَ المنافقين في إظهارهم الإيمان بالصيّب الذي فيه الانتفاع و شبّه إسرارهم الكفر بما في الصيِّب من الظلمات و في الإيمان من الزجر عن الكفر شبّهه بما في الصيّب من الرعد، و قِيلَ شبّه خوفهم من القتل بما في الصيّب من الرعد، و شبّه الدلائِل التي تمرّ على القَلب بالبَرق. [1]

و قِيلَ: ﴿ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴾ أي أنهم يكادون [2] يتنفعون بإظهار الإيمان كما يكاد هَؤلاءِ ينتفعون بالبرق لشدة ضوءِهِ ثم يبقون في ظلمات شكّهم ونفاقهم ولا ينتفعون بإيمانهم كما يبقى أولئك في ظلماتهم بعد ما يمرُّ البرق.

القول الراجح و هو أن الآية في المنافقين . وينظر: المحرر الوجيز: ١ / ١٠٢ وتفسير القرطبي: ١ / ٢٢٣ والبحر: ١ / ٨٧

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٧٣ - ٣٧٤ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٨٢ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٦٥ وتفسير البغوي: ١ / ٧٠ – ٧١ و المحرر الوجيز: ١ / ١٠٢ و و التفسير الكبير: ٢ / ٧٠ وتفسير القرطبي: ١ / ٢٢٣ و البحر: ١ / ٨٧

(٢) في النسخة (ل) : كادوا.

و معنى قوله: ﴿يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾، يصِف المنافقين بالجُبْن و ضعف القلب و شدة الخوف و كراهية الموت كما قال: ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡ﴾ [المنافقون:٤] عن قَتَادَة [١] و ابن جُريج [٢].

و قال الحسن[٣]: آمنوا ظاهراً حذَراً على أنفسهم من المؤمنين أنْ يقتلوهُم و أَسرُّوا الكفر وبايعوا المشركين مخافة أنْ تكون الدائرة لهم فهم يحذرون الموت من كلِّ جهة.

و قال ابن جرير [٤] : ما كانوا يفعلون ذلك حذر الموت لأنه كان فيهم شُجعَانٌ كثيرة و لكن كانوا يفعلون ذلك حذرا أن يَحُلَّ بهم عقوبة الله عاجلاً و آجلاً. [٥]

و أُجيبَ عن هذا بأنهم و إن كان فيهم شُجعانٌ فهم كانوا يكرهون الموت لأنهم يَئسوا من الآخرة و كانوا يستحبون الحياة.

و قِيلَ إنما كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم مخافة أن يسمعوا ما كانوا يكرهونه مما في القرآن من الأوامر و الشدائد و لِمَا كانوا يكرهونه من نزول ما يفضحهم.

وروى بعضهم: أنّ النبي صلَّى الله عليه و سلَّم لمّا نُصِر ببدرٍ طَمِعَتْ اليهود قالوا هذا هو النبي الذي بَشّرَنا به موسى فلمّا نُكِب بأحدٍ شكُّوا وارتابوا فهذا معنى قوله :﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾.[١]

---

[١] تفسير عبد الرزاق: ١/ ٢٥٧ و جامع البيان للطبري: ١ / ٣٣٩ أخرج أوله فقط و ٣٧١ و ٣٧٧ وفيها ذكر قول قتادة و ابن جُريج بلا سند، و الدر : ١ / ٣٣ وعزاه لعبد بن حميد و ابن جرير.

[٢] رواه الطبري: ١ / ٣٧٣ ثم كرر معناه بلا سند: ١ / ٣٧٧

[٣] لم أجده.

[٤] في النسخة (ل) : ابن جُريج. و هو خطأ.

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٧٧

وقِيلَ: إنّ المنافقُ كان إذا أصابه خِصْبٌ و أَمنٌ قال ما أَصابني منذ دخلت في الإسلام إلا خـيرٌ [٤٦و] و كانوا يطمئنُّونَ إليه، و إذا أصابهم محنة قالوا هذا بشؤم محمّـد و متابعـة دينـه فـذلك قوله : ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ﴾.(٢)

و قِيلَ شبه الدّين بالمطر و ما فيه من الشدائد و الابتلاء بالظلمات التي في المطر و بالرعد الـذي فيه، وشبَّهَ الغنيمة بالبرق فكلما أضاء لهم أي كثُرَت الغنائم، و أصابوا الخير مشوا فيه ورضـوا به، و إذا أظلم عليهم قَلَّت الغنيمة ، و كانت بدلها الهزيمة قاموا أي اعتَلّوا، و قعدوا عن نصرة محمّد ﷺ. و قِيلَ كما أن المطر الذي فيـه حيـاة الأرض لا يُوصَـلُ إليـه إلا برعـد و ظلـمات و أهوالٍ فكذلك الدين الذي فيه حياة القلب لا يُوصل إليه إلا بـأهوال و بلايـا، فأمـا المؤمنـون فإنهم يصبرون عليه، و أما المنافقون فيجعلون أصابعهم في آذانهم هرباً منه و حذرا من المـوت لأنه لا حسبة (٣) لهم في القتل. (٤)

و قِيلَ: قوله: ﴿ فِيهِ ظُلُمَـٰتٌ﴾ أي معه ظلماتٌ، وروى السُّدّي في خبر ذَكَرَهُ عن أبي مالك و عن أبي صالح عن ابن عبّاس و عن مرة الهمذاني عن ابنِ مسعود عـن أنـاسٍ مـن أصـحاب النبي ﷺ : أنّ رجلين من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم إلى المشركين فأصابهما هذا المطر في الطريق ليلةً فجعلا يقولان ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمّداً فنـضع

---

(١) تفسير القرطبي: ١ / ٢٢٤ و ضعفه.

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٧١ و المحرر الوجيز: ١ / ١٠٤ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٢٣

(٣) كان في النسخة: ل . (لا خشية) و عندي أنها مصحفة من : لا حسبة لهم في القتل.

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٧١ و ٣٧٣ – ٣٧٤ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٨٢ و الوسيط: ١ / ٩٧ و تفسير نجم الدين عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقـة ٥٦) مـن مخطوطـة المحموديـة، و تفسير البغوي: ١ / ٧٠ – ٧١ و المحرر الـوجيز: ١ / ١٠٢ و تفـسير القرطبـي: ١ / ٢٢٣ و البحـر: ١ / ٨٧

أيدينا في يده فأصبحا فأتياه فأسلما ووضعا أيديهما في يده و حسن إسلامهما، فضرب الله شأنهما مثلا للمنافقين الذين كانوا بالمدينة [١].

و إنما قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ فخصَّ هاتين الجارحتين لَمّا جرى ذكرهما من قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ وقوله : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ يعني و لو شاء الله لذهب بسمعهم و أبصارهم [٢] ، عقوبة لهم على نفاقهم فليحذروا عاجل عقوبة الله تعالى و آجله، فإن الله على كل شيء قدير من ذلك.

و قِيلَ لَمّا تصامموا عن الحق وتعاموا عنه قال الله تعالى:﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ عقوبة لهم على تصاممهم وتعاميهم حتى لا يبصروا أصلاً و لا يسمعوا أصلاً

و قِيلَ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بصوت الرّعد و أبصارهم بالصواعق وقِيلَ إنهم كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم خوفا لئلا يسمعوا ما يفضحهم كمن يجعل أصابعه في أذنه خوفا من سماع الرعد و لو شاء الله لفضحهم كما لو شاء أن يذهب بسمعهم دون الرّعد لفعله و لو شاء أن يذهب ببصرهم دون البرق لفعله، و الله على كلّ شيء من إذهاب سمع ظواهرهم، و إذهاب بصرِ ظَواهرهم كما أذهب سمع قلوبهم، و أبصارهم وإبقاءِ سمع قلوبهم، و أبصارهم كما أبقى سمعَ ظواهرهم و أبصارَهم ﴿ قَدِير﴾. ومعنى قدير المبالغة في الوصف بالقدرة و قدير من قادرٍ كعليم من عالم و ما أشبهه.

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٦٨ و قد أخرجه مطولا و اختصر المصنف آخره والدر: ١ / ٣٢ منسوبا للطبري.

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٨١

قوله : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ الآية [٢١] (يا) حرف نداءٍ و أيُّ اسم مبهمٌ مبنيٌّ على الضمّ لأنه منادىً مفرَدٌ و جُعِل أي وُصْلةً إلى نداءِ ما فيه الألف و اللام و ها لازمةً له للتنبيه، و لا يجوز زوالها عن أيّ في هذه المواضع لأنه ناقص مبهَمٌ تقول يا أيها الرجل و لا يجوز يا الرجل أقبل لأن يا تنبيه فهو بمنزلة التعريف في الرجل فلا يُجمع بين يا و بين لام التعريف في الرجل ، و لمّا كان الأصل في أيّ أن يكون مضافا في الاستفهام، و في الخبر جميعا فتقول أيُّ الرجال أنتَ و أَعْطِ أيَّ واحدٍ شئتَ ألزم في هذا الموضع ها ليكون عوضا فيه من الإضافة في غير هذا الموضع فقالوا يا أيُّها.[١]

و أما قوله : ﴿ ٱلنَّاس﴾ فهو صفة لازمة لأيّ و قولك يا أيُّها الرجل فالمنادى في الحقيقة الرجل، و لكنّ أيّ صلة إليه، و قال الأَخْفَش بل المنادى في الحقيقة أيّ والرجل صلة له ولا يتابعه على هذا القول أحد من البصريين كذلك قال الزَّجَّاج.[٢] : ويقال يا أيّها الرجل فيُرفَعُ

الرجل، و أجاز المازني[٣] يا أيّها الرجلَ فتنصِبُ الرجلَ لأنّ موضع المنادى المفردِ نصبٌ فحَمَلَ صفته على موضعه كما تقول: يا زيد الظريفَ فتنصب الظريف كما ترفعُه، و لم يجوّز ذلك غيره، قالوا لأنّ يا و إن كان اسما مفرداً فهو ناقصٌ، و النَّصب بالحمل على الموضع إنما يجوز بعد تمام الاسم.

---

[١] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٩٣ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ١٩٧ و البحر لأبي حيان: ١ / ٩٢

[٢] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٩٣ و ينظر: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ١٩٧ و الفريد: ١/ ٢٤١ والبحر لأبي حيان: ١ / ٩٢

[٣] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٩٣ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ١٩٧

و إنما المخاطب بقوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ في هذا الموضع جميع المكلّفين الذين كانوا موجودين في زمان النبي و الذين يوجدون إلى يوم القيامة.

و معنى قوله: ﴿ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ أي اخضَعوا لله بالطاعة والتذلّل بالاستكانة [١] خضوعا يكون نهاية ما في بابه [٢] لأن العبادة هي الخضوع بالطّاعة و غاية التذلل بالاستكانة، و هي نهاية ما في بابه ولا يجوز ذلك إلا لِمالك الأعيان الذي له الأمر على الإطلاق.

و معنى قوله :﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [٣] ممن مضوا من الجن والإنس و معنى الخلق هو الإنشاء و الاختراعُ و الإبداء و الإبداعُ؛ و قد كان القوم مقرّين بأنَّ الله تعالى خالقهم فبيّن سبحانه أن عبادة الخالق أولى من عبادة المخلوقين من الأصنام، و نبّههم أنّ من خلقهم و له ملكهم فله أن يتعبّدهم و أن يأمرهم بعبادته بحق ملكه و بين أن استحقاق العبادة بحق أمره و إنما له أن يأمرهم لكونه مالكاً لهم على الإطلاق و جاء في التفسير عن ابن عبّاس أن معنى: ﴿ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ أي وحّدوه [٤] ، و معناه أفردوا الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه لا أنّه أراد أن معنى العبادة هو التوحيد.

و كذلك جاء في التفسير عن ابن عبّاس و ابن مسعود و ناسٍ من الصحابة أن معنى الآية خلقكم و خلق الذين من قبلكم. [٥]

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٨٤

(٢) في النسخة ل : (و لا يجوز) ثم شطب عليها بالحمرة.

(٣) في النسخة ل : و خلق . خطأ.

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٨٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٥٩ ، ٦٠

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٨٥ – ٣٨٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ٥٩ ، ٦٠

وقوله ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ قال بعضهم معناه لكي تتقوا و أنّ لعلّ يذكَر و المراد بـه لام كـي كما قال الشاعر:

و قلتُم لنا كفّوا الحروب لعـــلَّنا نكفُّ ووثّقتم لنا كلَّ موثِقِ [١]

فلمّا كففنا الحربَ كانتْ عهودكم كلمحِ سرابٍ في المَلا متألّقِ

يريد بذلك قلتم لنا كفّوا لنكفَّ لأنه لو كان لعلّ شكّا في هذا الموضع لم يكونوا وثّقوا لهـم كـل موثق. [٢] وقِيلَ إنّ (لعلّ) كلمة ترجيةٍ و تطميعٍ للمخاطبين [٣] أي كونوا على رجاءٍ وطمعٍ أن تتقوا بعبادتكم عقوبة الله أن تَحِلّ و غضبه أن ينزل عليكم و هذا معنى قوله:

﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ أي تتقون غضبه و أليم بأسه أن ينزل بكم.

وقال الزَّجَّاج: (٤) معناه اعبدوا الله خـالقكم لتكفـوا لـه عـما تأتونـه ممـا حُـرِّم علـيكم أي لتصيرُوا بعبادتكم متَّقِين فكأنه قال: إذا عبدتموني و أفردتمـوني بالطاعـة حـصلتم متقـين ألـيم بأسي و صرتم متعاطين لطاعتي مجتنبين الكفر و الإشراك بي.

و بعض القدرية يقول إن لعلّ تتصل بالخلق و معناه خلقكم و خلق الذين من قـبلكم لتتّقُـوا نظـيره قولـه: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الـذاريات:٥٦] ولـيس التّأوِيل عندنا كذلك لأنه لو خلقهم للتّقوى لما كانوا إلا المتقين، و لأنه قال في آية أخرى:

---

[١] البيتان في تفسير الطبري: ١ / ٣٨٧ و أمالي ابن الشجري : ١ / ٥١ غير منسوبين.

[٢] ذكره الطبري : ١ / ٣٨٧

[٣] ينظر: جـامع البيـان للطـبري: ١ / ٣٨٧ و معـاني القـرآن للزّجـاج: ١ / ٩٣ و الوسـيط : ١ / ٩٨ والمحرر الوجيز: ١ / ١٠٥ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٢٧ والبحر: ١ / ٩٣ و ٩٥

[٤] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٩٣

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [الأعراف:١٧٩] فدلَّ على أنه لم يخلقهم جميعا للتّقوى.[١] و (لعلَّ) في هذه الآية متصلٌ بالعبادة ومعناه اعبدوني للتّتَّقُوا عقوبتي وكذلك نقول إن من عبده اتقى عبادته وحصل له مطيعاً.

و قد رُوي عن مُجاهد أنه قال في معنى قوله﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي لعلكم تطيعونه[٢] ومعناه: لعلكم تتقون بطاعتكم إياه وإقلاعكم عن معاصيه أليم عقوبته[٣].

و قال محمّد بن جرير: الآية ردٌّ على القدرية في جواز تكليف ما لا يُطاق[٤] لأنه أَمر ههنا بالعبادة له و أراد به جميع من مضى ذكرهم و قد أخبر أنَّ منهم من هو صُمٌّ بكم عميٌ و أنهم لا

---

[١] ينظر: المحرر الوجيز: ١/ ١٠٥ فقد أجاز تعلقها بخلقكم قائلا: (أي لما و لد كل مولود على الفطرة فهو إن تأمله متأمل توقّع له ورجا أنْ يكون متقيا)اهـ. و القرطبي: ١ / ٢٢٦ و فيه المنع من تعلقها بـ ﴿ خَلَقَكُمْ﴾ للمعنى الذي ذكره المصنف. و البحر: ١/ ٩٥ و فيه ترجيح تعلقها بـ(اعبدوا). وهو أوجه.

[٢] تفسير الثوري: ص٤٢ و جامع البيان للطبري: ١ / ٣٨٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ٦٠ (٢٢٠) و الدر: ١ / ٣٤ رواه الإمام الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. و من طريقه الطبري وابن أبي حاتم.

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٨٦

[٤]مذهب أبي الحسن الأشعريّ و طائفة أنّ تكليف ما لا يُطاق جائز عقلاً ثم تردَّد القائلونَ بأن ذلك جائز عقلا: هل وردَ به الشّرعُ به أم لا ؟

ينظر: في مسألة تكليف ما لا يُطاق: أصول السرخسي الحنفي: ٢/ ٣٤٠ والبرهان للجويني: الفقرة :(٢٧) و المستصفى: ١ / ٨٦ و المحصول لابن العربي: ص ٢٤ و التحبير شرح التحرير للمرداوي: ٣ / ١١٣٠- ١١٤٣ و روضة الناظر: ص ٥٢ و البحر المحيط للزركشي: ٢ / ٨٠٢ و المسودة: ص٨٩ و شرح الكوكب المنير: ١ / ٤٨٤ و شرح مختصر الروضة للطوفي: ٢ / ٢٢٢ و الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام: ٨ / ٤٧٢ و شرح العقيدة الطحاوية: ص٤٤٤ . قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (هذه العبارة –

يرجعون عن كفرهم.[١] فأوجب عليهم العبادة التي لا تصحّ إلا بتقديمِ الإيمان، مع الإيمان و التصديق بخبره سبحانه عنهم أنهم لا يرجعون قطّ والجمع بينهما مما يستحيل و لا يصحّ البتة .[٢]

قوله : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ [٢٢] يعني اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذي جعل لكم الأرض فراشا يذكّرهم عظيم نعمته و ينبئهم[٣] على تعرُّف وحدانيته بالنّظر في آياته التي هي السماء و الأرض لما يحصل لهم من العلم عند التأمّل فيه.

و قوله: ﴿ فِرَٰشًا ﴾ جاء في التفسير عن ابن عبّاس[٤] و ابن مسعود[٥] و قَتَادَة[٦] والربيع بن أنسٍ[٧] : مهاداً. و أصله في اللغة من الفَرْش و هو البسط و الفراش الذي يطير لانبساطه بين

يعني تكليف ما لا يطاق- وإن كثر تنازع النّاس فيها نفيا وإثباتا فينبغي أن يعرف أن الخلاف المحقَّقَ فيها نوعان : أحدهما : ما اتفق النّاس على جوازه ووقوعه وإنما تنازعوا في إطلاق القول عليه بأنه لا يُطاقُ.
والثاني : ما اتفقوا على أنه لا يطاق لكن تنازعوا في جواز الأمر به ولم يتنازعوا في عدم وقوعه، فأمّا أنْ يكونَ أمرٌ اتفق أهل العلم والإيمان على أنه لا يُطاق وتنازعوا في وقوع الأمر به فليس كذلك ... إلى أن يقول ... فإطلاق القول بتكليف ما لا يطاق من البدع الحادثة في الإسلام كإطلاق القول بأن العِباد مجبورون على أفعالهم) اهـ. درء تعارض العقل و النقل: ١ / ٣٢ - ٣٧ ويظهر منْ كلام الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره أنّ مذهبه أنّ تكليف ما لا يُطاق جائزٌ. و قد تبيّن من كلام شيخ الإسلام أنّ إطلاق القول بذلك لا يصلح. و المقام لا يتسع لبسط كلام أهل الأصول و غيرهم في هذا.و الله أعلم.

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٨٦

[٢] يعني أنه يستحيل أنْ يعبدوه و قد أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون. فهذا من تكليف ما لا يطاق.

[٣] كذا و الأولى : أن يقول ينبههم.

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٨٨ و الدّر: ١ / ٣٤

[٥] المصادر السابقة.

[٦] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٨٨

[٧] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٨٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٦١ بعد الأثر: (٢٢٢)

السماء و الأرض في الهواء و الفَرَاشُ صِغار [١] النَّعَم لانفراشه و انبساطه على وجه الأرض. [٢] و جاء في المعاني جَعَلَ لكم الأرْضَ وِطاءً و لم يجعلها حَزْنةً غليظةً لا يمكن الاستقرار عليها. [٣]

﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ جاء في التفسير سقفاً، و كلُّ ما علا على الرجل فهو بناءٌ و الأصل في البناء الرفع و يُسمّى البناءُ بناءً لرفعه سَافاً بعد سافٍ [٤] فنبههم الله سبحانه على ما في افتراش الأرض و انبساطها و ابتناء السماء و ارتفاعها من العبر و الآيات الدالّة على حدوثها و اقتضائها محدِثاً قادراً عالماً حيّاً مختاراً .

و في الآية دليلٌ على أنّ الأرضَ مبسوطةٌ و ليست على هيئة الكُرَة. [٥]

---

[١] في النسخة ل : صِغر

[٢] لسان العرب: فرش : ٦ / ٣٢٦ و تاج العروس: مادة: فرش.

[٣] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٩٤

[٤] السافُ في البناء كلُّ صَفَ من اللَّبِن،و قِيلَ السافُ ما بين سافات البناء. : لسان العرب: ساف. : ٩ / ١٦٦

[٥] هكذا استنبط المصنف من الآية ذلك ؟! و قد ذكر هذا الاستنباط أيضا محمود بن حمزة الكرماني في – غرائب التفسير: ١ / ١٢٥ و ابن عطية: ٥ / ٣٧٥ و نقله السيوطي: في الإكليل: ١ / ٢٩٥ عن الكرماني. و الصحيح أنّ شكل الأرض كرويٌّ و قدأصبح في عصرنا من الظواهر الواضحة البينة التي لا لبس فيها بالأدلة العلمية اليقينية وبالتصوير من الفضاء بالأقمار الصناعية، و قد كان هذا أعني كونها كروية معلوما عند كثير من علماء المسلمين من المتقدّمين و ممنْ جاء بعدهم و ممن جزم بكونها كروية:

ابن حزم: الفصل: ٢ / ٧٨ وشيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٥ / ١٩٦ و ٦ / ٥٨٨ والبيضاوي في تفسيره: (/ ١٦) و ابن جزي في التسهيل : (٢ / ١٣٠) و الآلوسي: ٢٩ / ٧٦ و ٣٠ / ٥٩.

قال ابن حزم: (وجوابنا –وبالله تعالى التوفيق– أنّ أحداً من أئمة المسلمين المستحقّين لاسم الإمامة بالعلم رضي الله عنهم لم ينكروا تكوير الأرض ولا يُحفَظُ لأحد منهم في دفعه كلمةٌ بل البراهين من القرآن والسنّة قد جاءت بتكويرها قال الله عز وجل: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر : ٥]).

و جاء في التفسير عن ابن عبّاس و ابن مسعودٍ و ناس من الصحابة: أن بناء السماء على

الأرض كهيئة القبّة و هو سقفٌ على الأرض. (١) و يدُلُّ على ذلك ارتفاع الشمس إلى وسطِ السماء فيكون شعاعاً بحسب الارتفاع والانخفاض و يدل عليه من جهة العقلِ أيضا أنه لو كانت الأرض على هيئة الكرة لم يستقِرَّ ماء البحر على ما هو عليه لأنه يكون كالإناء المقبَّبِ يفيض الماء من جوانبه ولا يستمسك فيه. (٢)

وقوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يريد المطرَ وقِيلَ أراد به من السَّحاب سمّاه سماءً لعلوِّه، و قِيلَ معناه و أنزل من السماء ماء لأن بين السماء و المطر مسافةً إذ الماء إنما ينزل من

وهذا أوضح بيان في تكوير بعضها على بعض مأخوذ من كُوْر العمامة وهو إدارتها وهذا نصٌّ على تكوير الأرض ودوران الشمس كذلك وهي التي منها يكون ضوء النهار بإشراقها وظلمة الليل بمغيبها وهي آية النّهار)اهـ. الخ. الفصل: ٢ / ٧٨.

و قال الآلوسي: عند قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ [نوح: ١٩] تتقلبون عليها كالبساط وليس فيه دلالة على أن الأرض مبسوطة غير كروية كما في البحر وغيره لأنّ الكرة العظيمة يرى كلُّ من عليها ما يليه مسطَّحا ثم إن اعتقاد الكروية أو عدمها ليس بأمر لازم في الشريعة لكن كرويتها كالأمر اليقيني)اهـ.

و ينظر: تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: عند قوله تعالى﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية:٢٠] ص ٩٢٢ فهو مفيد.

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٨٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٦١ (٢٢٤) من طريق أسباط عن السُّدّي عن أبي مالك و عن أبي صالح عن ابن عبّاس، و عن مرة الهمداني عن ابن مسعود و ناس من الصحابة و عزاه في الدر المنثور إليهما: ١ / ٣٤ . لكن في المطبوع من ابن أبي حاتم روايته له من كلام السُّدّي.

(٢) ينظر ما تقدّم قريبا عند قول المصنف إن الأرض ليست كروية.

السحاب. [١] و أصل الماء مَوْهٌ و الدّليل عليه أنك تقول في الجمع أمـواهٌ و في التـصغير مُويـهٌ وماهت الرّكية تموهُ . [٢]

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾ أي بالمطر من الثَّمَرات يعني على مجرى العادة لا أنّ ذلك واجبٌ في خروج النبات. وقولـه ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ مـا تَتَغَـذّون بـه و تنتفعـون ممـا تنبتـه الأرض مـن الثمـرات والثمرات جمع الثَّمَرة، و هو حِمْل الشجرة في الأصل ثم يُستعمل فيما يُنتفـعُ بـه ويـستمتعُ كـما يقال للولد ثمرة القلب و يقال عقل مثمِرٌ و عقلٌ عقيم. [٣]

﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي أشكالاً و أمثالاً واحدها نِدٌّ و يقال هذا نِدّه و نديدُه أي مثله [٤] و قال جرير :

أتيماً تجعَلُون إليَّ ندّاً   و ما تيمٌ لذي حسبٍ نديدُ [٥]

وقال حسان يمدح النبي ﷺ و يهجو أبا سفيان :

أتهجوه و لستَ له بندٍّ   فشرُّكما لخيركما الفداءُ [٦]

يعني و لستَ له بمِثلٍ.

---

[١] المحرر الو جيز: ١ / ١٠٥ و التفسير الكبير: ٢ / ١٠٢ و البحر: ١ / ٩٨ و فيه تفصيل حسن.

[٢] لسان العرب: موه: ١٣ / ٥٤٣ و إعراب القرآن لابن النحاس: ٤ / ٢٨٩ و مشكل إعراب القرآن : ١ / ٣٩ و إملاء ما منّ به الرحمن: ١/ ٢٤

[٣] الوسيط: ١ / ٩٨ و لسان العرب: ثمر ،و تفسير القرطبي: ١ / ٢٢٩

[٤] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٩٤ و الوسيط: ١ / ٩٨ و البحر: ١ / ٩٣

[٥] ديوان جرير: ص ١٩٣ و الخزانة: ٣ / ٢٧ و البحر: ١ / ٩٣

[٦] ديوان حسان: ص٧٦ و فيه: بكفؤ و جامع البيان للطبري: ١ / ٣٩١ و الوسيط: ١ / ٩٩ وفيهما كما هنا: بندّ

و جاء في التفسير عن ابن عبّاس و ابن مسعود ،و ناس من أصحاب النبي ﷺ فيما ذكره السُّدّي ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا ﴾ :أكفاءَ من الرجال تطيعونهم في معصية الله. [١]

و قال ابن زيدٍ: الآلهة التي جعلوها معهُ [٢] .

وقال عكرمة: هو أن يقول لولا كلبُنا لدخلَ الّلصّ دارنا. [٣]

وقوله: ﴿ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ قال مُجاهد نزل في أهل الكتابين يعني و أنتم تعلمون أنَّ في التوراة و الإنجيل أن لا إله غيري و لا ندّ لي. [٤]

وقال ابن عبّاس [٥] و قَتَادَة [٦] : نزل في الفرقين من الكفّار و مشركي العرب و أهلِ الكتاب لأن الظّاهر يدل عليه والذي قاله [٧] تخصيصٌ بلا دليلٍ.

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٩١

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٩٢

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٩٢ وينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١ / ٦٢ (٢٢٩) و تفسير ابن كثير: ١ /٨٧

[٤] تفسير الثوري: ص٤٢ وجامع البيان للطبري: ١ / ٣٩٣ – ٣٩٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٦٢ (٢٣٢)

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٩٣

[٦] المصدر السابق.

[٧] يعني مجاهدا . و قد رجّح الطبري العموم و أنها شاملة للمشركين من أهل الكتاب و من العرب كما رجح المصنف.

و اختلفـوا في معنـى ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنـه لا ربَّ لكـم يـرزقكم غـيره عـن ابـن عبّاس [١] . و قِيلَ و قد علمتم أن الذي يدعوكم الرسول إليه هو الحقّ من توحيد الله تعـالى و أنه لا شريك له .

وقال قَتَـادَة : و أنـتم تعلمـون أنّ الله خلقَكُـم و خلـقَ الـسّموات و الأرضَ ثـم تجعلـون لـه أندادا. [٢]

و قِيلَ : و أنتم تعلمون أنه المحسِن إليكم و هو الخالق دون الذي تجعلونه من الأنداد، وقِيلَ: و أنتم تعلمون لو تدبَّرتم آياته التي ذكرها، و تفكّرتم فيما نبّهكم عليه أنه لا ينبغي أن يُجعَل معـه أنداداً [شُركاء] [٣]لأنّه واحدٌ فردٌ .

و قِيلَ جعل لكم الأرض فراشاً أي أباح لكم التصرُّف فيها، و لم يحظُر عليكم التنقّل من جهـة إلى جهةٍ، وليس في الآية متعلَّقٌ لمن زَعَمَ أنّ الأشياءَ في الأصل على الإباحة [٤] لقوله تعالى : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ لأنّا إنما عَلِمْنا هذا بالشرع، و وُرُود الخبر دون مجرّد العقل.

قوله ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا ﴾الآية [٢٣]. لمّا احتجّ الله علـيهم بما جرى في إثباتِ التوحيد، و قطعَ عذرهم احتجّ عليهم أيضا في إثبات نبـوّة المـصطفى عليـه السلام بعد إثبات التوحيد بما قطع عُـذْرَهُم، و أظهـر الدلالـة علـيهم فقـال: وإنْ كنـتُم أيّهـا

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٩٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ٦٢ (٢٣١)

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٣٩٣

(٣) في الأصل: شريكٌ

(٤) تفسير القرطبي: ١ / ٢٥١ و المحرر: ١/ ١١٥ وهذه المسألة من مسائل الأصول: ينظر فيها: التبـصرة لأبي إسحاق الشيرازي: ص٥٣٥ و العدة للقاضي أبي يعلى: ٤ / ١٢٣٨ و التمهيـد لأبي الخطـاب: ٤ / ٢٦٩ و روضة الناظر: ١/ ١١٧ و البحر المحيط للزركشي: ١ / ٣٧١ و التحبير للمرداوي: ٢ / ٧٦٥ و شرح الكوكب المنير: ١ / ٣٢٢ .

المخاطبونَ بخطابي في قوله: ﴿ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ ﴾ ولا تجعلوا لي أنـدادا ﴿فِى رَيۡبٍ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا ﴾ أي في شكٍّ من صدق هذا الكتاب الذي أنزلناه على محمّـد عبدِنا و ارتبتُم فيه، و قلتم [١] لا ندري هل هو من عند الله أم لا

﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ و أَتوا بقـرآنٍ مثلِـهِ، و اسـتعينوا بمـن قـدرتُم عليـه، و مـن يعاوِنُكم عليه ﴿ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ﴾ في أنَّ هذا الكتاب تقوّله محمّـد ﷺ و في قـولكم أنه ليس من عند الله، و في قولِكم [٢] لو أردنا لأتينا بمثلِه.

و قوله ﴿ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [٢٣] قِيلَ أرادَ به من مثلِ القرآن عن مُجاهد [٣] و قَتَادَة [٤] فالهـاء في ﴿مِّثۡلِهِۦ﴾ يعود إلى ما في قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِى رَيۡبٍ مِّمَّا نَزَّلۡنَا﴾ [٢٣] والدليل عليه قوله في موضعٍ آخـر: ﴿ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثۡلِهِۦٓ ﴾ [الطـور:٣٤]، وقـال: ﴿ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٍ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَـٰتٍ﴾ [هود:١٣] وقـال: ﴿ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨] كلُّ ذلك يريدُ به مثلَ القرآن كذلك ههنا [و٤٨] و[٥] معنى ذلك فأتوا بسورةٍ مثل ما أتى به محمّد ﷺ في الإعجاز، و حسن النّظم والإخبار عما كان و عـمّا يكون على جهة الابتداء دون الاحتذاء، و تعلّم الكتب، و دراسة الأخبار، والأخذِ عن غيرِه.

---

[١] في النسخة ل : هنا : ما . و لا موضع لها من جهة اللفظ و المعنى.

[٢] في النسخة ل : خلقكم بدل قولكم .

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٩٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ٦٣ (٢٣٧)

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٩٦ – ٣٩٧

[٥] القول الثاني الذي ذكره المفسرون و أشار إليه كلام المصنف: أن الضمير في قوله: ﴿مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ يعود إلى محمّد صلى الله عليه و سلّم يعني من مثل محمّد من البشر. و سيرد قريبا من كلام المصنف.

و تكون (مِنْ)للتَّبعيض ههنا لأنّ التّحدّي في هذه الآية و قع ببعض القرآن و هـو الـسّورة [١] و يحتمـل أن تكـون (مـن) للتّجنـيس أي مـن جِـنسٍ هـذا الكتـاب كـما قـال ﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [الحج:٣٠] أي اجتنبوا جنس الأوثان و قِيلَ إنّ مِـنْ صـلة في الكلام و معناه فأتوا بسورة مثل القرآن [٢].

و قِيلَ الهاء في قوله: ﴿ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ يعود إلى النبي صلَّى الله عليه و سلَّم، و معناه فأتوا بسورةٍ من بشرٍ أُمّي غيرِ معروفٍ بدراسة الكتب مثلِ محمّد صلَّى الله عليه و سـلَّم، و قِيـلَ المِثـل زائـدٌ ومعناه فأتوا بسورة من القرآن. [٣]

فإن قِيلَ فهل للقرآن مِثلٌ في الجملة حتى يقال آتِ بمثله ؟ قِيلَ في مقدور الله فَنَعَم و في مقدور البشر فلا، و لذلك صحَّ أنه معجزٌ و الذي و قع به التّحـدّي هـو هـذا الـنظم المخـصوص، و القِرَاءة المعهودة و هي مخلوقة و ما كان منظوما مؤلّفاً فمن الواجب أن يكـون لـه في قـدرة الله سبحانه أمثالٌ.

قوله: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فقال ابن عبّاس: يعني أعوانكم على ما أنتم

---

[١] ينظر في معاني من في هذا الموضع : الفريد للهمداني: ١/ ٢٤٧ و المحرر: ١ / ١٠٦ و زاد المسير: ١ / ٥٠ والبحر: ١ / ١٠٣ و قد منع كونها لتبعيض.

[٢] البيان لأبي البركات ابن الأنباري: ١ / ٦٤

[٣] ينظر: جـامع البيـان للطـبري: ١ / ٣٩٧ و معـاني القـرآن للزّجـاج: ١ / ٩٤ و الوسـيط: ١/ ١٠٢ وتفسير عمر النـسفي التيـسير في التفـسير: (ورقـة ٦٠) و المحـرر الـوجيز: ١/ ١٠٦ و البيـان لأبي البركات ابن الأنباري: ١ / ٦٤ والبحر: ١/ ١٠٥

عليه استعينوا بأعوانكم و أنصاركم و الذين يُشاهدونكم [١] على تكذيبكم ويعاونونكم. [٢]

و يقال دعوتُ فلاناً إذا استعنتُ بهِ و استنصرتُه كما قال الشاعر:

فلمّا التقتْ فرسانُنا و رجالهم دَعَوا يا لَكَعْبٍ و اعتزَينا بعامرِ [٣]

أي استنصروا كعباً و استعانوا بهم و الشهداء جمع شهيد، و يكون الشَّهيد بمعنى المُشاهد كالجليس بمعنى المُجَالِس، و لهذا سُمّيَ أعوانهم شهداء أي من يشاهدونكم و يعاونونكم. [٤]

قال الفرّاء [٥] : ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ أي آلهتكم أي استعينوا بآلهتكم التي جعلتموها معه حتى يعينوكم على الإتيان بمثل هذا القرآن.

و سَمّى آلهتهم شهداءهم لأنّهم كانوا يَحْضُرونهم و الشَّهيد الحاضر.

و قال مُجاهد [١] و ابن جُريج [٢] ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ أناساً يشهدون لكم على صدق ما قلتم و ما تأتون به من معارضة القرآن.

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ابن أبي حاتم: ١ / ٦٤ (٢٤٢)

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٩٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٦٣، ٦٤ (٢٤٠) و ليس فيهما قوله: يشهدون لكم عن ابن عباس و إنما هي فيهما عن مجاهد.

[٣] البيت للراعي النّميري : ديوانه : صـ ١٤٥ و الكتاب لسيبويه: ٢ / ٣٨٠ و تفسير الطبري : ١ / ٤٠٠ وفي لسان العرب: (ع ز و) وفي المصادر : لعامر. و في روايةٍ في كتاب سيبويه: قال الراعي:

فلما لحقنا و الجياد عشيةً دعوا يا لكعبٍ و اعتزينا لعامرِ

و قد ذكرها في لسان العرب أيضا بهذه الرواية الأخيرة: (عمر : ٤ / ٣٩٥).

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٠١

[٥] معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٥

وقال محمّد بن جرير [٣] : إنّ هـذا التّأوِيـل لا يـصحّ لأنَّ مـن المعلـوم أن المـؤمنين كـانوا لا يشهدون لهم لكونهم خُصمائهم فليسوا بمعنيّيّن في الآية و من عَدَاهم من الكفار والمنافقين فلا شكَّ أنهم كانوا يشهدون لهم بالصحّة، و أنه يمكنهم الإتيان بمثل هذا القرآن، و قد أُجيب عن هَذَا بأنَّ الكفّار ما كانوا يجتمعون على الخطأ في أنّ الذي يأتون به مثل القرآن لِمَا كـان فيـه مـن الافتضاح و لا يكاد يجتمع الخلق الكثير فيما يعلمون أنّ فيه افتضاحهم.

و الأولى في هذا أن يُقال لهذا التّأوِيل وجهٌ :-

و هو أنّ الله تعالى أعجزَ الخلق عن الإتيان بمثل هذا القرآن و صَرَفهم أيضا عن الـشهادة عـلى ما هو باطلٌ و فاسد بأنه مثل القرآن ألا ترى أنك لا ترى للقرآن معارضـةً بوجـهٍ سـواء كـان فصيحا أو ركيكاً إلا ما شهد الموافق و المخالف بركاكته و أنه موضـع الـسُّخرية مـن مثـل مـا يحكى عن مُسَيلمة و غـيره و قـد اعـترف الملحـد و الموحِّـدُ بفـصاحة القـرآن و لم يـدّع أحـد معارضته بوجهٍ.

وقال الحسين بن الفضل أراد بقوله : ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ أي إيتـوا بـما يـشهد لـصحّة قولكم كما يأتي به محمّد صلَّى الله عليه و سلَّم من الإخبار عـن الغيبيَّـات، و عـن الكائنـات في المستقبل فيكون كما أخبر و الإخبار عما تجنّه قلوبهم، و غير ذلك من الآيات الدالّة على صـدق القرآن التي أتى بها محمّد ﷺ.

و قوله: ﴿ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غير الله كما يقال ما دون الله مخلوقٌ .

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٣٩٩ – ٤٠٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ٦٤ (٢٤٢)

[٢] المصدرين السابقين.

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٠١ بمعناه

و قولـه: ﴿ إِن كُنتُمْ ﴾ الأصحّ أنـه عـلى الأصـل بمعنـى الـشرط، و قـال بعـضهم [١] ﴿ إِن ﴾ بمعنى إذ أي و إذ كنتم في ريبٍ كما قال ﴿ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٢٧٨] أي إذْ وقولـه: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الفتح:٢٧] أي إذ شاء الله ذلك لأن الله سبحانه قد علِم أنهم في شكٍّ.

و قد مضى في أول الكتاب معنى السّورة ، فإنْ قِيـلَ فـما الفائـدة في تفـصِيل [٢] القـرآن عـلى السّور قِيلَ فيه فوائد كثيرة منها [٣] :-

أن القارئ إذا خرج من فنٍّ إلى فنٍّ كان أنشط لقراءته و أحلى في نفسه، و منها أنه جُعِل كل نوعٍ منها مع شـكله، و مـا هـو أولى بـه و منهـا اختـصاص كـل سـورة بـوزنٍ مخـصوص، و هـو كاختصاص القصائد كلُّ واحدةٍ بوزنٍ مخصوص، و ذلك أبلغُ في الفصاحة و أتمّ في البلاغة.

و منها أن الإنسان قد يضعُف عن حفظِ الجميع فيحفظُ سورةً تامّة و ربما كان سبباً يـدعوه إلى غيره.

قوله : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ [الآية: ٢٤] يريد فـإن لم تـأتوا بـسورة مـن مثلـه، وقـد استعنتم بشركائكم و أمثالِكُم و لن تفعلوا ذلـك أبـدا ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ أي فتحـرّزوا أن تـصَلَوا النار بتكذيبكم ، صفتُها ما ذكره .

---

[١] لعله أبو إسحاق الثعلبي فإن الكلام في تفسيره غير منسوبٍ: تفسير الثّعلبي: ١ / ١٦٧ وينظر: تفسير عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٥٩).

[٢] في النسخة (ل) : تفصل.

[٣] تفـسير الكـشاف: ١/ ١٢٨ و البرهـان: ١/ ٢٦٥ و الإتقـان: ١ / ١٨٠ كلاهمـا أعنـي الزركـشي والسيوطي أورداه نقلا عن الزمخشري في كشافه. و كلامُ المصنف هنا أحسن . و المصنف أقـدم مـن الزمخشري.

و قوله ﴿ وَلَن تَفۡعَلُواْ ﴾ دليل على صدق الرسول حيث جزم القول بأنهم لا يأتون بمثله مع شدة إرادتهم للإتيان بمثله و توفُّر دواعيهم على ذلك و كان كما أخبر و لم يأتوا بمثله. [١]

و إنما اتَّصل قوله ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ ﴾ بقوله ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ ﴾ اتصال الاعتراض بين الابتداء و الخبر كقولك زيد -فافهم ما أقول-: رجل صِدقٍ ولا موضع له من الإعراب لأنه لم يقع موقعَ مفرد. [٢]

و قوله ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ ﴾ فالوَقُود بفتح الواو الحطب و ما يُوقد به النار، والوُقود بضمّ الواو مصدر وَقَدَتِ النار تقدُ وُقُوداً، و يجوز الفتح في المصدر أيضاً كما تقول قبلتُ قَبولا كذلك و قَدْتُ النار وَقَودا عن الزَّجّاج [٣] و غيره. [٤]

و قوله : ﴿ وَٱلۡحِجَارَةُۖ ﴾ جاء في التفسير عن ابن عبّاس [٥] و ابن جُريج [٦] وابن مسعود [٧] وغيرهم أنه حجارة الكِبريتِ، و أنه يكون أشدّها اتّقاداً، فيكون ذلك زيادةً في عقوبتهم.

وجاء في التفسير أنها تُجعل في أعناق الكفَّار إذا اشتعلت فيها النار. [٨]

---

[١] زاد المسير: ١ / ٥١

[٢] الكشاف: ١ / ١٣١ و البحر: ١/ ١٠٧

[٣] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٩٥

[٤] تفسير الثّعلبي: ١ / ١٦٩ و الوسيط: ١ / ١٠٣ والكشاف: ١ / ١٣٢

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٠٤

[٦] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٠٤

[٧] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٠٣ و ٤٠٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٦٤ (٢٤٤) و الطبراني: (٩٠٢٦) و الحاكم: ٢ / ٢٦١ و الدر: ١ / ٣٦ و ينظر: تفسير مقاتل: ١ / ٣٧

[٨] تفسير مقاتل: ١ / ٣٧ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٦٩ و ينظر: النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٨٤

و قِيلَ إنما قال: ﴿ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ تعظيماً لأمر النار لأنَّ النار لا تأكلُ الحجارة إلا إذا كانت عظيمة، و قِيلَ إنّ أجسادهم تبقى على النار بقاءَ الحجارة التي تُوقد بها النار بالقَدْحِ، و قِيلَ معناه اتّقوا النار التي تحرِقُ الحجارة، فكيف بالأجساد ؟ [١].

و قِيلَ لمّا نزل قوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ قالوا فما بال الحجارة [٢] فأنزل الله ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ يعني هذه الحجارة معدّة للكافرين. و معنى﴿أُعِدَّتۡ﴾ من الإعداد وهو اتّخاذ الشيء لأمرٍ تُعَدّ الأوقات إلى بلوغه.

و قوله ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ لا يدلُّ على قول المرجِئَةِ أنَّ العصاة لا يدخلون النار قطّ لأنه ذكرهم على سبيل تغليظ حالهم في العقوبة ثم مَنْ عداهم من العُصاة مثلهم أيضا، و هذا كما يقول أُعدّت هذه الدار للأمير فيدخل فيها حَشَمه و أهله أيضاً، و يكون معناه أن الكافر يُخَلّدُ في النّار، والعصاة من المؤمنين و إنْ دخلوا النّار فإنهم لا يُخلَّدون فصارت النار للكافرين.

و لم يُذكَر العُصاة من المؤمنين لأنّ التّخليد للكفّار فكأنّ النار ليست إلا لهم فلتخفيف أمرهم في جنب الخلود كأنه لم تُعَدّ النار لهم. [٣]

و يجوز أنْ تكون هذه الدَّرَكَة المخصوصة مُعَدّة للكافرين، و للعُصَاةِ الدّرَكة الأولى، وبذلك ورد الخبر [٤] فإن قِيلَ فهل في الآية دلالة على أنّ النار ليست بمخلوقة بعدُ لأنه قال: ﴿ وَقُودُهَا

---

(١) تفسير الثّعلبي: ١ / ١٦٩ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٣٥

(٢) تفسير مقاتل: ١ / ٣٧

(٣) كان في الأصل : (و لم يُذْكَر العصاة من المؤمنين و إنْ دخلوا النّار فإنهم لا يخلَّدون فيها فصارت النّارُ للكافرين). قبل قوله : (و لم يذكر العصاة) ،وفي هاتين الجملتين تكرير و الأخيرة فيها كفاية عن الأولى فأثبت الأولى في الهامش دون المتن.

(٤) ينظر: التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة للقرطبي: ص ٤٤٤- ٤٤٥ و تفسير القرطبي: ١٠ / ٣٠ و البدور السافرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة للسيوطي: ١ / ٤٣٤ و ما بعدها .

ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ ولا تَشتعِلُ النّار قبل الحطب و بالإجماع لا يدخل النّاس في النار قبل القيامة، قِيلَ ليس في الآية دليل على ذلك بل الآية تدل على أنَّ النّار مخلوقةٌ الآن لقوله : ﴿ أُعِدَّت﴾ ولا يكون المُعَدّ إلّا موجودا . [١]

وقوله : ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ ﴾ فإنه يجوز أن يكون وقت إدخالهم وقودها النّاس، و قبل ذلك تكون متّقدةً بغيرهم لأن تلك النار ليست مما ينطفئ أبداً فهي محتاجة إلى الوقود في المستقبل احتياجها إليه في ابتداء الاشتعال و التَّأَجُّج.

و لما أظهر لهم دلالة التوحيد و عقَّبه بصحة الرّسالة بما نصَبَ عليها من الدلالة خوّفهم أليم عقوبته بعد ما أزاح علّتهم، و حذّرهم مخالفةَ أمره. و لّما كان معلوماً له سبحانه أنّ منهم من يؤمن فلا يدخله النار و منهم من لا يؤمن قال: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ ولم يقل أعدت لكم .

قوله: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ الآية [٢٥]. يعني و أخبر الذين آمنوا و عملوا الصالحات و هم الذين مضى ذكرهم في أول السّورة و ذلك أن الله تعالى لّما أخبر عن عقوبة الكفار الذين لا يؤمنون بالله و الرّسول بقوله: النّار التي أعدّت للكافرين أخبر عمّا للمؤمنين فقال: أخبرهم أنّ لهم جناتٍ صفتُها ما ذكرها وأنهم [٢] يبقون فيها خالدين لا يخرجون منها لأنّ تمام النّعم كلها بالخلود كما أنّ التنغيصَ كلُّه بالزوال، ولهذا قِيلَ [٣] :

ليس فيما بدا لنا منكَ عيبٌ   و عابَهُ النّاسُ غيرَ أنّك فانِ

---

[١] تفسير الثّعلبي: ١ / ١٦٩ و تفسير السمعاني: ١ / ٥٩ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٣٦ – ٢٣٧ وحجج القرآن لأبي الفضائل الرازي: ١ / ٧٦

[٢] في النسخة (ل) : و أنتم.

[٣] نسبها في الأغاني: إلى موسى الشهوات: ٣ / ٣٥٧ و هما في البيان و التبيين للجاحظ: ٣ / ١٤٤ في قصة فيها تمثل جارية بها أمامه.

أنت خيرُ المتاع لو كنتَ تبقى غيـرَ أنْ لا بقـاءَ للإنسـان

وفي كلام النّاس :(ما أطيبَ هذا العيش و أحسنهُ لو دامَ).

وقوله: ﴿ وَبَشِّرِ﴾ أصله من البِشارة، و هي الخبر عما يُسَرّ المخبَرْ به حتى يظهَرَ أثـر الـسّرور في بَشَرته. [١]

و قوله ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي عملوا الخصال الـصالحات فلفـظ الـصالحات ههنـا نعت لمحذوفٍ لما دل عليه الخطاب [٢] .

و ليس في الآية دلالة على أنّ المؤمن إذا لم يكن له أعمال صالحة ليس له نـصيبٌ في الجنـة لأنـه يريد به أنّ هذه الجنة المخصوصة التي صفتها هذا لمن عمل الصالحات، و هو مـؤمن فأمّـا مـن قصَّر في الأعمال الصالحات، فله درجة في الجنة دون هـذا . وفي الآيـة دلالـةٌ عـلى فـساد قـول القَدَريّة في أنَّ الفسّاق في النار مخلَّدون [٣] لا يدخلون الجنة لأن لهم أعمالا صالحة أيضا وإيمانـا و إن كانوا فسَّاقا.

وقوله : ﴿ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٍ﴾ اختلفوا في موضـع (أنّ)مـن الإعـراب فقـال أكثـر النحـويين موضعها نصبٌ لأنه لما حُذِف الباء منه إذ كان أصله بشّر الذين آمنوا و عملوا الـصالحات بـأن

---

[١] تفسير الثّعلبي: ١ / ١٦٩ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٣٨ و غيرها.

[٢] تفسير الثّعلبي: ١ / ١٧٠

[٣] من أصولِ أهل السنة و الجماعة التي خالفوها فيها الخوارج و المعتزلـة قـولهمْ بـأنّ عـصاةَ الموحّـدين الذين يدخلون النّار يخرجون من النار بمشيئة الله تعالى و من أصولهم أنهم لا يكفِّرون المسلمين بارتكـابِ الكبائر التي هي دون الشّرك بالله تعالى: ينظر مثلا: العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العـز الحنفـي: ص ٤١٦ – ٤١٧ و الاعتقاد للبيهقي: ص ٢٣٨ – ٢٤٦ و الحجة في بيان المحجة للإمام اسماعيل التيمـي الحنبلي : ٢/ ٢٨٠ و غيرها كثير.

لهم جنات أفضى الفعل إلى أنّ فنصبها، قال الخليل و الكسائي موضعها خفض بالباء كأنه قِيلَ بشرهم بأن لهم جنات.

و انكسرت التاء من جنات لأنها تاء جماعة المؤنث في جمع السّلامة و هذه التاء تكسَر في النّصب و الخفض لأنها في مقابلة الياء في الخفض و النّصب في قولهم الزَّيدين في جمع السّلامة [١].

والجنات جمع جنّةٍ و الجنة البستان سمّيت جنّة لاجتنانها و استتارها بالأشجار وسُمّيت الجنّ جنّا لاستتارها عن الأبصار، و المِجنّ التّرْس لأنّه يُستَتَر به، و الجَنَن القبر لأنّ الميّت يُستر فيه، و الجنين الذي في البطن لاستتاره و الجنون الذي يغطّي العقل. [٢]

و قوله ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ قِيلَ أراد به تجري من تحت أشجارها الأنهار لأن الأنهار لو جرت تحت أراضيها لم يكن لهم بها استمتاعٌ فالأنهار تجري تحت قصورها وأشجارها و منازلها، و النهر لا يجري و إنما يجري الماء في النهر، ولكنه قال ذلك توسّعاً. [٣] وجاء في التفسير عن مسروق [٤] : أنّ أنهار الجنة تجري في غير أخاديد [١] فإن كان كذلك فالخطاب على ظاهره [٢].

---

[١] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٩٦ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٧٠ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢٠١ و الوسيط: ١/ ١٠٨

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٠٦ و الوسيط: ١/ ١٠٨ و لسان العرب:(جنن) و تفسير القرطبي: ١ / ٢٣٩

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٠٦ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٧٠ و الوسيط: ١/ ١٠٢ والمحرر الوجيز: ١ / ١٠٨ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٣٩

[٤] عبد الرزاق في تفسيره : ٣ / ٢٦٧ وجامع البيان للطبري: ١ / ٤٠٦- ٤٠٧ و ابن أبي الدنيا في صفة الجنة: (٤٩) و البيهقي في البعث و النشور: (٣٢٠) كلهم من طرق عن سفيان الثوري سمع عمرو بن مرة يحدث عن أبي عبيدة عن مسروق : و لفظه: (الجنّة نخلُها نضيدٌ منْ أصلها إلى فرعها وثمرها أمثالُ القِلالِ كلَّما نُزِعَتْ ثمرةٌ عادتْ مكانها أخرى وأنهارها في غير أخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا)اهـ. و لفظ :(والعنقود اثنا عشر ذراعا) ليس عند الطبري. و بنحوه رواه الطبري: ١ / ٤٠٧ و ابن أبي شيبة: من

و قِيلَ معناه أنها تجري بمرادهم و أمرهم كيف شاؤا كما قال في قصة فرعون ﴿ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى ﴾ [الزخرف:٥١] أي بأمري و إذني. (٣)

و الأنهار جمع نَهر يقال نَهْرٌ و نَهَرٌ و هو بفتح الهاء أفصح، و سمي بهذا لسعته ومنه سُمِّي النّهار نهارا لضيائه، و يقال أنهرتُ الفتقَ أي و سّعت الخرق. (٤)

و قوله:﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزۡقًا﴾ كلُّ حرفُ جملة ضُمّ إلى (ما (٥)) الجزاء فصار أداة للتّكرار، و هي منصوبة على الظرف و معناه: (متى ما)أي كلّما رُزِقَ هَؤلاءِ الذين في الجنة منها أي من الجنة. (٦) و قِيلَ من أشجارها لأنّ الثّمار إنما تكون من الأشجار. (٧)

و قوله: ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ قِيلَ ﴿من ﴾ صلةٌ أي ثمرةٌ وقِيلَ هي للتبعيض لأنهم يرزقون بعض ثمار الجنة (١) و ﴿رِّزۡقًا﴾ منصوبٌ لأنه مفعول ثان فيما لم يُسمّ فاعله. (٢)

طريق عن وكيع عن مسعر عن عمرو بن مرة به. (ح٣٣٩٥٩) ١٣ / ٩٧ و قد روي أيضا عن أبي عبيدة نفسه. جامع البيان للطبري: ١ / ٤٠٧ و ٤٠٩ و أبو نعيم في صفة الجنة: (٣١٥).

(١) في أكثر الروايات : في غير أخدود : و الأخاديد جمع أُخدود و الأخدود الشق في الأرض: غريب الحديث لابن قتيبة: ٢ / ٢٥و غريب الحديث لابن الجوزي: ١/ ٢٦٧ و النهاية : ٢ / ١٣

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٠٧ والبحر: ١ / ١١٢

(٣) تفسير الثّعلبي: ١ / ١٧٠

(٤) تفسير الثّعلبي: ١ / ١٧٠ و المحرر الوجيز: ١ / ١٠٨ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٣٩

(٥) في النسخة :ل : ماء

(٦) إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٠٢ و الوسيط: ١/ ١٠٤ و البحر: ١/ ١١٣

(٧) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٠٨

و قوله ﴿ قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ قال بعضهم معناه: قالوا هـذا الـذي رُزِقنـا من قبلُ على جهة الاستفهام لِمَا يلتبس علـيهم مـن الحـالِ كقولـه: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا ﴾ [الشعراء:٢٢] أي أَوَ تلك نعمةٌ تمنّها.

وقِيلَ قالوا في ظنّهم و حُسبانهم: ﴿ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ يعنـي الـذي رُزِقنـا في الدّنيا عن ابن عبّاس و ابن مسعود و ناس من الصحابة [٣] و عن قَتَـادَة [٤] و عـن مُجاهـد [٥] و ابن زيدٍ [٦] . و قال بعضهم معناه: هذا الذي رزقنا من قبل هـذا في الجنـة، و ذلـك أن ثـمار الجنة كلما نُزِع منها شيء عاد كما كان، و هذا قولُ يحيى بن أبي [٧] كِثِير [٨] و أبي عُبَيدَة [٩] .

---

[١] ينظر: في إعراب: (من ثمرة): الفريد: ١ / ٢٥٢ و التفسير الكبير للرازي: ٢ / ١١٩ و البحـر: ١ / ١١٤ وفيه الرد على الزمخشري

[٢] يجوز إعرابه: مفعولا ثانيا لرزقوا فيكون بمعنى مرزوقاً ، و يجوز إعرابه مصدراً من رزقـوا أي رزقـوا رزقا . الفريد: ١ / ٢٥٢ . و أعرابه مصدراً أي مفعولاً مطلقاً أوضح.

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٠٨ و تفسير ابن كثير: ١ / ٩٠ و الدر: ١ / ٣٨

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٠٨

[٥] تفسير مجاهد: ص١٩٨ و جامع البيان للطبري: ١ / ٤٠٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٦٦(٢٥٨)

[٦] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٠٩

[٧] سقطت كلمة : (أبي)من النسخة ل .

[٨] جامع البيان للطَّبريّ: ١ / ٤١٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ٦٧ (٢٦١) .

[٩] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٠٩ و هو نفسه خبر مسروق المتقدّم قريباً في وصف أنهار الجنة. لأنه رُوي عن أبي عبيدة عن مسروق و عن أبي عبيدة نفسه.

(و ٥٠) نخل الجنة نضيدٌ من أصلها إلى فرعها و ثمَرُها أمثالُ القِلال كلَّما نُزِعت ثمرةٌ عادت مكانها أُخرى. [١]

قالوا: و إنما يُشبَّه عليهم لأنه كلّما نُزِعَت عادتْ أُخرى مكانها.

وقال يحيى بن أبي كَثِير: يُؤتَى أحدُهم بالصّحفة فيأكلُ منها ثمّ يؤتَى بأُخرى فيقول: هذا الذي رُزِقنا مِن قبلُ أُتِينا من قبلُ ، فيقول الملِكُ كلْ فاللّون واحدٌ و الطّعم مختلفٌ. [٢]

و اختار محمّد بن جرير القولَ الأول قال: لأنّه قوله : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا ﴾ عامٌّ في جميع أحوالهم و في المرة الأولى إذا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل فإنما يصِح ذلك إذا أرادوا به ما رزقوا في الدنيا. [٣]

و قد أجيب عن هذا بأن هذا لا يلزم و هو بمنزلة قول القائل قُدّم إلى فلان طعام فكلَّما أكل لقمةً قال هذه أطيب من الأولى، فهو مقيّدٌ بدلالة الحال على أنّ الأولى لا تدخل فيه.

و أنكر بعضهم التّأويل الثاني لأنّه لا يشبّه الأعلى بالأدنى، و هذا أيضا لا يلزم لأنّه قد يُشبّه الجنس بالجنس، و إن كان فيها تفاضلٌ أي هذا من جنس ما رُزقنا في الدنيا ذاك على قدره وهذا على قدره.

و قوله ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ ﴾ لم يُرد به نفس ما أكلوه، و لكن أرادوا به هذا من نوع ما رزقنا من قبل كما يقول الرجل فلان قد أعدّ لك من الطبيخ والشِّوى، فيقول هذا طعامي في منزلي كلَّ يوم يعني هذا نوع طعامي، فكذلكَ ما في الآية. [١]

---

[١] تتمة خبر مسروق في وصف أنهار الجنة السابق.

[٢] تقدّم تخريجه من رواية مسروق قريباً .

[٣] يعني اختار أن المراد: من قبل : في الدنيا. جامع البيان للطبري: ١ / ٤١٠

﴿قَبْل﴾ مبنيٌّ على الضمّ لأنّه غايةٌ، و قِيلَ معنى الآية :

هذا الذي رُزِقنا من قبلُ أي هذا من فضل الله ونعمته كما كانت الأولى من فضله، ورزقه ونِعمته، و أُتوا به متشابهاً أي يُعطَونَ الرّزق.

و قوله ﴿مُتَشَـٰبِهًا﴾ أي يُشْبِه بعضه بعضاً، و هو من الشّبه و هو المثل يقال شِبهٌ وشَبَهٌ كما يقال مِثلٌ و مَثَلٌ و يسمّى الشَّبَه شَبَهاً (٢) لأنّه يُشبِه الذهب في البرِيق وهو فوق الصُّفر، وتسمّى الشبهة شبهة لإيهامها مماثلة الحجة. (٣)

و قد اختلفوا في معناه فقال بعضهم: خِيارٌ لارَذْلَ فيه عن الحسن (٤) و قَتَادَة (٥) و ابن جُريج (٦) . و قِيلَ متشابها في اللون و الصّورة مختلفا في الطّعم و ذلك أبلغ في باب الإعجاز و أدلُّ على الحكمة و أجمع في اللذات، و ذلك قول ابن عبّاس و ابن مسعود وناس

---

(١) ينظر: في تفسير قوله تعالى: (رزقنا من قبل): جامع البيان للطبري: ١ / ٤١٠ و الوسيط: ١ / ١٠٤ و تفسير عمر النسفي : التّيسير في التفسير: (ورقة ٦٤) و المحرر الوجيز: ١ / ١٠٩ وزاد المسير: ١ / ٥٢ و التفسير الكبير للرازي: ٢ / ١٢١ وتفسير القرطبي: ١ / ٢٤٠ و البحر: ١ / ١١٥

(٢) في هامش النسخة ل : و الشَّبَهُ ضرْب من النّحاس . قلتُ: و هوكذلك: لسان العرب و مختار الصحاح : (شبه)، و المفردات للرّاغب: ص٢٥٤ (شبه).

(٣) تفسير عمر النسفي الحنفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٦٤) و لسان العرب: (شبه)،والمفردات للراغب: ص٢٥٤ في : (شبه).

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ٤١٣ والدر ١/ ٣٨

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ٤١٣ و ابن أبي حاتم: ١ /٦٧(٢٦٣) والدر ١/ ٣٨

(٦) جامع البيان للطبري: ١ / ٤١٣

من الصحابة [١] ومُجاهد [٢] . و عن مُجاهد: أنه قال متشابها في اللون والطعم جميعاً [٣]، وقال قَتَادَة [٤] و عكرمة [٥] متشابها يشبه ثَمَر الدّنيا لكنه أطيب و أجود .

وعن ابن عبّاس في رواية أخرى: متشابهاً في الاسم فقط قال: لا يُشبِه ما في الجنّة ما في الدّنيا إلّا في الاسمِ فقط [٦] . وقال الأَخْفَش : متشابها في الفَضْل أي في كلِّ واحدٍ من الفضلِ ما في الآخَرِ. [٧] و هذا مثلُ قول من قال: خيارٌ لا رَذْلَ فيه. [٨]

و قِيلَ في الآية تقديم و تأخير في المعنى أي: و أتوا به متشابها فلما أُتوا به قالوا هذا الذي رزقنا من قبل.

و قِيلَ معناه أنهم يُؤتون ذلك على الدّوام غير مختلف ولا متفاوت أي لا يُنقص من الثواب ولا يُردّون من الأعلى إلى الأدنى.

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٤١٤ وابن كثير: ١/ ٩٩.

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٤١٤

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٤١٥ والدر: ١/ ٣٨

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٤١٥

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٤١٦ و تفسير ابن كثير: ١ / ٩٩

[٦] جامع البيان للطبري: ١ / ٤١٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ٦٦ (٢٦٠) والبيهقي في البعث والنشور (٣٦٨) والدر: ١/ ٣٨

[٧] معاني القرآن للأخفش ص٤٨ بمعناه. و قد ضعّفه الطبري: ١/ ٤١٨ و جعله قولا مخالفاً لأقوال أهلِ العلم.

[٨] ينظر: تفسير الشيخ عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٦٤- ٦٥) . مخطوط، و البحر: ١/ ١١٦

قولـه: ﴿ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ الأزواج جمع زوجٍ يقـال زوجٌ و زوجـةٌ و أصـله الشَّكل و كلُّ شكلٍ لشيء فهو زوجُه، و هو وشكلُهُ زوجانِ. [١] وارتفع قوله أزواجٌ بقوله: ﴿ وَلَهُمۡ ﴾.

و قوله : ﴿ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ جاء في التفسير أنهنّ طُهِّرن من كلّ أذىً ممـا في النِّساء مـن الحَيض و النّفاس و الغائط و البول و البصّاق و المنيّ و الوِلاد.

و قِيلَ مطهّرة من الأخلاق الدنيّة و من كل ريبة مما يكون في النساء ، و هو اختيار الحسين بن الفضل: قال لأنّ الرّجال أيضاً مطهّرون من الغائطِ و البول وغيرِ ذلك فهذا تخصيصٌ للنِّساء [٢] في التطهير لما في أكثرهنَّ في الدّنيا من الرِّيَب. [٣]

و قِيلَ طُهّرنَ من الآفات فلا يشِبن ولا يَهرَمْنَ، و لا يبلى شـبابهن و قِيـلَ أراد بـه زوجـاتهم في الدنيا من الآدميات و قِيلَ أراد به زوجاتهم من الحور العين. [٤]

وقوله : ﴿وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي دائمون مؤبَّدُون. و الآيةُ ردٌّ على القائلين بفناء الجنة و النّار، و الخُلود في اللّغة هو الدَّوام. [٥]

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٤١٩ و تفسير عمر النسفي المعروف بـ: التيسير في التفسير: (ورقة: ٦٥) ، و البحر: ١/ ١١٦

[٢] في النسخة (ل) : النساء.

[٣] كلام الإمام الحسين بن الفضل النيسابوري من فوائد هذا التفسير ولم أقف عليه في غيره.

[٤] ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٤١٩ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٩٧ و تفسير الثّعلبي: ١٧١ وتفسير الشيخ عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٦٥) ، والوسيط: ١/ ١٠٥ و المحرر : ١ / ١٠٩ – ١١٠ و زاد المسير: ١ / ٥٣ و التفسير الكبير: ٢ / ١٢١ وتفسير القرطبي: ١ / ٢٤١ و البحر: ١/ ١١٧

[٥] تفسير عمر النسفي : (ورقة ٦٥) و التفسير الكبير: ٢ / ١٢١ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٤١

قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا ﴾ [البقرة: ٢٦] قرأ ابن كَثِير [١] في رواية عنه (يستحي) بياء واحدةٍ، و قرأ الباقون: (يستحيي) بيائين على الأَصل و هو لغةُ قريش وأهلِ الحجاز و الياءُ الواحدة لغة بني تَميمٍ [٢] لأجلِ التَّخفيف و إثباتِ اليائين ههنا أحسنُ لما فيهِ من متابعة الأكثرينَ و لئلّا يجتمعَ في الكلمة الواحدة الحذْفُ و الإعلالُ[٣].

و معنى قوله: ﴿لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾ [٤] أي لا يحلّ في ضَرْب مَثَلٍ حقيرٍ لحقير محلَّ ما يُستحيى منه فيكونُ في الآية إيجازٌ. [٥] و قيل إنّ الذي يُستحيى منه ما يكون قبيحاً في ذاتِهِ فيكون

---

[١] قراءة شاذة : تُرْوَى عن ابنِ كثير في بعض الطرق عنه، و المعروف عن ابن كثير بيائين كالجماعة: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: صـ ٤ و إعراب القرآن لابن النّحّاس: ١/ ٢٠٣ و المحرر الوجيز: ١/ ١١٠ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٤٢ و البحر: ١/ ١٢١ و تُرْوَى هذه القراءة أيضاً عن ابن محيصِن و قد اقتصر الدمياطي في: اتحاف فضلاء البشر على عزوها لابن محيصن و لم يذكر قراءة ابن كثير: ص١٣١ .

[٢] إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٠٣ و شرح شافية ابن الحاجب للرضي: ٣/ ١١٩ و البحر: ١/ ١٢١

[٣] إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٠٣ و المحرر الوجيز: ١/ ١١٠ و الفريد: ١ / ٢٥٥ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٤٢ و البحر: ١/ ١٢١

[٤] ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٤٢٧ و ٤٢٨ و الوسيط: ١/ ١٠٧ و تفسير البغوي: ١/ ٧٦ وتفسير العلامة نجم الدين عمر النّسَفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٦٦) ، و المحرر الوجيز: ١/ ١١٠ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٤٢ والبحر: ١/ ١٢١

[٥] اختار الإمام الطبري أن معنى: ﴿لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾ : لا يخشى : جامع البيان للطبري: ١ / ٤٢٧ و ٤٢٨ كما سيرد نقله من المصنف. و اختار الإمام السمعاني أنّ معناه: لا يمتنع و لايترك (تفسير السمعاني: ١ / ٦١). و كذا فسّره : بالترْك الإمام مرعي الحنبلي في : أقاويل الثقات: صـ٧١ . وصفات

للفاعل عيبٌ في فعله أو يكون نقصاً في عينه فأخبر أنّ ضرْب المثل منه سبحانه ببعوضةٍ فما فوقها ليس بقبحٍ ولا نقصٍ ولا عيبٍ حتى ينبغي أنْ يُسْتحيَى منه.

و حقيقة الاستحياء في وصفه لا يجوز لأنه لا يخاف عيباً و يستحيلُ في وصفه أنْ يحذَرَ نقصا.

و قيل معنى ﴿لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾ لا يترُك، وأحدُنا إذا استحيى من شيء تركه، و معنى أنّ الله لا يتركُ ضَرْبَ مثلٍ ببعوضةٍ فما فوقها إذا علِمَ أنّ فيه عبرةً لمن اعتبره و حجة على من جحده وأنكره.

و قيل معنى قوله ﴿لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ﴾ أي لا يخشى و الاستحياء يكون بمعنى الخشية والخشية تكون بمعنى الاستحياء كما قال ﴿ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب:٣٧] أي تستحيي من الناس و الله أحق أن يستحيى منه ذكر هذا التأويل محمد بن جرير [١] و أشار أنّه مختارٌ عندَه.

و معنى ضَرْبِ المثل تشبيهُ الشيء بمثله و وصفه بوصف شكله. و المَثَلُ هو الشَّبه يقال مِثْلٌ و مَثَلٌ بمعنىً كما يقال شِبه و شَبَه وقال كَعبُ بن زهير:

كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مَثَلاً و ما مواعيدُها إلا الأباطيلُ [٢]

يعني شَبَهاً .

و قوله: ﴿ مَّا بَعُوضَةً﴾ يحتمل وجوها [١] أقواها: أنْ تكون ما صلةٌ مؤكِّدةٌ كأنه قال: إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلا بعوضة فتنتصب بعوضةً على هذا بـ(يضرب).

الله تعالى لا تقاس على صفات شيء من خلقه له المثل الأعلى في السموات و الأرض فالإمرار مع الإقرار طريقة السلف الصالحين، و لذلك لم يتعرّض البغوي و ابن كثير لتفسيرها .

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٢٧ و ٤٢٨

[٢] لكعب بن زهير من قصيدته المشهورة في مدح النبي صلى الله عليه و سلّم: ينظر: شرحها لابن هشام: صـ ٢٤ و ١٥٨

و قيل إنّ معنى ﴿ما﴾ هاهنا بمعنى اسمٍ نكرة فيكون المعنى إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلا شيئاً من الأشياء بعوضة فما فوقها، و يقال في الكلام: ((بما خيرٍ من ذلك)) .

و يحتمل أنْ يكون﴿ما﴾ بمعنى الذي كأنك قلتَ لا يستحيي [٥١و] أنْ يضرب مثلا الذي هو بعوضة فما فوقها، و على هذا التأويل فحق بعوضةٍ أن يكون رفعاً، و قد قُرِأ به في الشواذّ [٢]، و الذي عليه القرّاء نصبُ بعوضة.

وقال ابن جرير: (يصحّ نصب بعوضة على هذا التأويل أيضاً و إن كان حقُّه الرّفع و ذلك أنّ ما لّما كانت [٣] في محلّ النّصب على هذا التأويل بقوله: ﴿ يَضْرِب ﴾ و كانت البعوضة صلةَ ﴿ما﴾ عُرّبت البعوضة بتعريبها و أُلزمت إعرابها كما قال حسّان بن ثابت [٤] :

فكفى بنا فضلاً على مَنْ غيرِنا حُبُّ النّبي محمّدٍ إيّانا

---

[١] ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٤٢٨ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٩٧ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٠٣ والوسيط للواحدي: ١/ ١٠٨ و تفسير البغوي: ١/ ٧٦ و تفسير نجم الدين عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٦٦ – ٦٧)، و المحرر الوجيز: ١/ ١١١ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٤٢ – ٢٤٣ و الاقتداء في الوقف و الابتداء للنّكزاوي: ١ / ٢٤٩ – ٢٥١ و فيه تلخيص و جمع مفيد، والبحر: ١/ ١٢١.

[٢] تُنْسَب القراءة بها إلى: الضحّاك و إبراهيم بن أبي عَبلة و رؤبة بن العجاج: مختصر ابن خالويه: ص٤ و إعراب القرآن لابن النحّاس: ١/ ٢٠٤ و المحرر: ١/ ١١١ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٤٣ والبحر: ١/ ١٢٣

[٣] كتب هنا في الأصل : حقه الرّفع . ثم شَطَبَ عليها بالحمرة . ولا موضعَ لها هنا.

[٤] نسبه الفراء: ١/ ٢٦ و الطبري: ١ / ٤٢٩ و ابن عطية: ١/ ١١١ إلى حسان بن ثابت و هو في الكتاب لسيبويه منسوبا إلى الأنصاري بلا تحديد: ٢ / ١٠٥ و ينظر: الخزانة: ٢ / ١٢٢ . و الشاهد فيه هنا: (مَنْ غيرِنا) بجرّ غيرِ. فأعرب غير إعراب: مَنْ. أي أجراها مجراها في الإعراب . قال الفراء والطبري و غيرهما و العرب تفعل ذلك بـ مَن و بـِمَا تعرّبُ صلاتها مجراها. قال الفراء و يروى: من غيرُنا . أي برفع غير.

(١)فعرَّب (غيرنا) بإعراب مَن .

وقيل معناه: إنّ الله لا يستحيي أنْ يضرب مثلاً ما بينَ البعوضةِ إلى ما فوقها ثمّ حُذِفَ ذكرُ بين و إلى ونَصَبَ بعوضةً على إسقاط الخافض، و في كلام العرب:

مُطِرنا ما زبالةَ والثعلبيَّة . يعني ما بين زبالةَ إلى الثعلبيّة (٢)

و يقولون: له عشرون ما ناقةً فجملاً يعنون ما بين ناقةٍ و جملٍ، ويقال: هو أحسن الناس ما قَرْناً فَقَدَماً أي ما بين قَرْنِه إلى قَدَمِه. (٣)

و قيل نصب بعوضةً على تقدير إسقاط الباء كأنّه قال : لا يستحيي أن يضرب مثلاً ببعوضة فما فوقها، و تكون ﴿مَّا﴾ على هذا التأويل صلةً (٤) .

ويصحُّ أنْ يكونَ ﴿بَعُوضَةً﴾ رفعاً في العربية أيضاً من وجهٍ آخر على معنى وجه الجواب كأنه لمّا قيل يضرب مثلاً قيل ما هو فقيل بعوضةٌ فما فوقها.

و معنى ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ قيلَ فما هو أكبرُ منها لأنَّ البعوضة نهايةٌ في الصّغَر و الحَقَارة، وقيل ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ في الصغر لأنه يقال فلانٌ فوق فلان في الحَقَارة و الدّناءة.

---

(١) في الأصل هنا : (معناه). ولا موضع لها.

(٢) معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٦ و جامع البيان للطبري: ١ / ٤٢٩ و الأضداد لابن الأنباري: ص٢٥١ . و الثّعلبيّة: من منازل طريق مكة من أعمال المدينة، كانت قرية فخربت : معجم ما استعجم: ١ / ٣٤١ و معجم البلدان: ٢ / ٩١٢ و مراصد الاطلاع: ١/ ٢٩٦ و زُبالة: موضع من أعمال المدينة: ١ / ٦٩٣-٦٩٤

(٣) معاني القرآن للفراء: ١ / ٢٦ وجامع البيان للطبري: ١ / ٤٢٩ و الأضداد لابن الأنباري: ص٢٥١ مع المصادر المشار إليها أول هذه الوجوه.

(٤) يعني زائدة لتوكيد الكلام: مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١ / ٣٥ و تفسير الإمام ابن المنذر القطعة التي طبعتها دار المآثر بالمدينة عام: ١٤٢٣هـ. بتحقيق :د/ سعد السعد: صـ ٤٦٥ بسنده عن أبي عبيدة .

وقال بعضُ المفسّرين: ﴿فَمَا فَوۡقَهَا﴾ يعني فما دونها وفوقَ من أَسماءِ الأضدادِ. [١]

وقول أهلِ التحصيل ما ذُكِرَ قبل الوجهين.

و جاء في التفسير عن قتادة [٢] و ابن جريج [٣] أنّ البعوضة أضعفُ خلقِ الله. فهـذا يقـوِّي قول من قال فما فوقها يعني في العِظَم. [٤]

قوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي صدّقوا الله رسوله فيما يعلمون أنـه الحـق مـن ربهـم يعني أن هذا المثل هو الحقّ الصدق من ربهم و أنه حسنٌ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ جحـدوا ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ﴾ أيّ فائـدةً في ضرب المثـل بهـذا فـإنَّ جميـع الناس يعرفون هذا.

وقوله ﴿مَاذَا﴾ يحتمل أنْ يكون (مَا وَ ذَا) اسماً واحداً و يكون موضعُه النّصب المعنـى: أيّ شيء أرادَ الله بهذا مثلاً و يجوز أن يكون (ذا) بمنزلة الذي المعنى:-

ما الذي أراد الله بهذا مثلا و أيّ شيء الذي أراد الله بهذا مثلا فيكون ما على هذا التأويـل رفعـاً بالابتداء، و (ذا) بمعنى الذي و هو خبر الابتداء.

و أما النّصب في قوله: ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ﴾ فعلى وجوهٍ أحدُها:

الحالُ كأنه قيل ماذا أراد الله بهذا مثلاً.

---

[١] الأضداد لابن الأنباري: ص٢٥٠

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٢٦ و الدّر: ١ / ٤١ و قد عزاه إلى الطبري.

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٢٦

[٤] و هو اختيار الطبري و ضعّف القولَ بأن (فوق) هنا بمعنى دون: جـامع البيـان للطـبري: ١ / ٤٣٠ ٤٣١. و ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٣٥ و فيه تفسير (فـوق) بـــ: مـا دونهـا في الـصّغر ،و غريـب القرآن لابن قتيبة: ص٤٤ ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ٩٨ و الأضداد لابن الأنباري: ص٢٥١

و الثاني: التمييز للمُبهَم و هو هذا كأنه قيل ماذا أراد الله بهذا من الأمثال.

و الثالث: القطعُ كأنه قيل ماذا أراد الله بهذا المثل إلا أنّه (لمّا) [١] نكَّرهُ نُصِبَ على القطع عن اتباع المعرفة عن ثعلبٍ. [٢]

و دخلت الفاء في قوله:﴿ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ لأنّ أمّا يأتي بمعنى الشَّرط والجزاء كأنه إذا قال أمّا زيدٌ فقد آمن و أمّا عمروٌ فقد كفر يكون معناه مهما يكن من شيء فقد آمن زيدٌ و مهما يكن من شيء فقد كفر عمروٌ. [٣]

و قيل معنى الآية: ماذا أراد الله بهذا المثل مثلاً فـ(ذا) بمعنى الذي و أراد صلته، وهذا إشارةٌ إلى المثل، و نصب (مثلا) بأراد على الحال.

وقيل إنّ معنى: فأمّا: (أَنْ) المفتوحة ضمّ إليها (ما)الصِّلة فأجيبَ بالفاءِ لدخول معنى الجزاء فيه على ما ذكرنا.

قوله : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ أي يضلّ الله عن دينه بهذا المثل كثيرا من الخلق يعني به المنافقين و الكفّار، و يهدي بهذا المثل كثيرا من النّاس يعني به المؤمنين ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ أي و الذي يضلهم هم الفاسقون وبإضلالِه إياهم فَسَقوا.

ومعنى الإضلال : خلق الضَّلال، ومعنى الهداية: إمالة القلب إلى الحقِّ وخلق الإيمان فيه، ولا يجوز أن يكون الضَّلال هاهنا بمعنى الحكم والتسمية لأنَّ النبي ﷺ والملائكة كلُّهم يسمّونهم ضالّين، ولا يحكمون بضلالهم وليسوا لهم مضلِّين. [١] وفيه [٢] بيان فساد تأويل القَدَريّة.

---

[١] سقطت من الكلام و السياق يقتضيها.

[٢] إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٠٤ والفريد: ١/ ٢٥٩ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٤٤

[٣] ينظر مثلا: البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات ابن الأنباري: ١/ ٦٦

و معنى الفاسقين: هم الخارجون عن الطاعة ويريد به المنافقين والكافرين ههنا. [٣] وأصل الفسق الخروج و منه الفأرة تسمّى فُوَيسِقَة لخروجها عن جُحْرها و يقال: فَسَقَت الرُّطَبَةُ إذا خرجت عن قِشْرها. [٤]

و قال بعضهم إنّ قوله : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ من صلة كلام الكفّار كأنهم قالوا ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضلّ به كثيراً و يهدي به كثيراً فردّ الله عليهم جوابهم فقال و ما يضل به إلا الفاسقين. و الأصحّ أنْ يكونَ قولُهُ ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ ابتداءُ كلامٍ مِن قِبلِ الله سبحانه و أنّ الوقف يتمُّ على قوله ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاً ﴾ فيستأنف الله الكلام فيقول يضلّ به كثيرا نظيره قوله: في المدّثر ﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاًۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [المدثر: آية:٣١]. [٥]

---

[١] تتأول المعتزلة هذه الآيات و نحوها بأنّ معنى أضله سمّاه ضالا أو حكم بضلاله وهذا باطلٌ،و تقدّم الكلام على هذا فينظر: ما تقدّم في تفسير: قوله تعالى: ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾:صـ٣٥٨ مع ما سيرد أيضا قريبا صـ٥٢٣ نقلاً عن الإمام الحسين بن الفضل النيسابوري في تفسير الآية.

[٢] في الأصل : في .

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٣٥

[٤] غريب القرآن لابن قتيبة: ص٢٩ و جامع البيان للطبري: ١ / ٤٣٤ و الزاهر: ١ / ٢١٧ والوسيط: ١ / ١٠٩ و لسان العرب: (فسق) و تفسير القرطبي: ١ / ٢٤٥

[٥] ينظر في هذا الوقف : جامع البيان للطبري: ١ / ٤٣٣ و القطع لابن النحاس: ١٢٧ – ١٢٨ والمكتفى: ١٦٢ و المقصد في اختصار المرشد: ص٣٦ و الاقتداء للنكزاوي: ١ / ٢٥٠ و ما بعدها.

و من النّاس من وقف على قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا ﴾ ثمّ يستأنف فيقول ﴿بَعُوضَةً﴾ فيجعل (ما) صلةً، فأمّا من يجعل ﴿مَّا﴾ بمعنى الذي فلا يجوّز الوقف عليه. [1]

وسبب نزول الآية مختلفٌ فيهِ فروى السُّدِّيّ عن أبي مالكٍ و عن أبي صالحٍ عن ابن عبّاس وعن مرّة عن ابن مسعودٍ عن ناسٍ من أصحاب النّبي صلّى الله عليه و سلّم أنه لمّا ضرب الله هذين المثلين للمنافِقِين يعني قوله مثلهم: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [١٧] وقوله:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [١٩] قال المنافقون الله أعلى و أجل من أن يضرب هذه الأمثال فأنزل الله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ [2].

و الوقف هنا على قوله: ﴿ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ ﴾ كاف إن قدّرتَ قوله﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ جملة مستأنفة جوابا من الله تعالى للكفار و المنافقين كما رجّحه المصنّفُ و الطبري و كثيرٌ من المحققين، و إنْ قدرتَ قوله: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ من تمام كلام الكفار و متصل بقولهم: ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ ﴾فلا تقف عليه: ينظر المصادر السابقة.

[1] يعني يجعل ﴿ما﴾صلة مؤكدة، و الوقف على ﴿ما﴾على جميع التقديرات الصحيحة غير قويّ لأنّ ﴿بَعُوضَةً﴾ بدلٌ من قوله : ﴿ مَثَلا ﴾ فلا يقطع منه: الإيضاح في الوقف لابن الأنباري: ١ / ٥٠٨ والقطع لابن النحاس: ١٢٧ – ١٢٨ و المكتفى: ١٦٢ و المقصد في اختصار المرشد: ص٣٦ والاقتداء للنكزاوي: ١ / ٢٥٠ - ٢٥٢

[2] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٢٣ و الدّر: ١ / ٤١

وقال الحسن [١] وقتادة [٢] : لمّا ذكر الله الذُّباب و العنكبوت في كتابه و ضرب المشركون به المَثَل قالوا ما بال العنكبوت و الذباب يذكرانِ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا﴾ الآية.

وقال الربيع بن أنس [٣] : إنّ البعوضة إذا جاعَتْ فإنها تحيى و إذا شبِعَتْ ماتتْ كذلك هَـؤلاءِ القوم [و٥٢] الذين ضُرِب لهم المثل في القرآن إذا امتلأوا من الدّنيا رئاءً أخذهم الله عند ذلك بغتةً، ثم تلا عند ذلك قوله: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ ﴾ [الأنعام:٤٤].

و قيل معنى ﴿فَمَا فَوۡقَهَا﴾ يعني الفيل لأن الله سبحانه خلق للبعوضة من الأعضاء مثل ما خلَقَ للفيل على عِظَمِهِ و زاد للبعوضة جناحين [٤] ، ففي ضرب المثل به أعظم عبرةٍ وأتمُّ دلالةٍ على كمال قدرته و تمام حكمته و علمه في خلقه.

و إعراب ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ في هذه الآية نصبٌ كأنه قال: و ما يُضِلُّ به أحداً إلا الفاسقين. ويحكى في الشواذّ (و ما يُضَلُّ به إلا الفاسقين) [١] فإن صحّ فمعناه في الإعراب و ما يُضَلّ به إلا أفسق الفاسقين.

---

[١] ابن أبي حاتم: ١ / ٦٩ (بلا سند) و أسباب النزول للواحدي: ص٥٩ بلا سند.

[٢] رواه عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٤١ و الطبري: ٤٢٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٦٩ (٢٧٣) و ينظر: تفسير ابن كثير: ١ / ٩٢ و الدّر: ١ / ٤١

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٢١ و ٤٢٢ و أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الربيع عن أبي العالية: ١ / ٦٨ (٢٧٠) و ذكره ابن كثير عنهما: ١ / ٩٣

[٤] تفسير السمرقندي: ١/ ٦٤

و قيل أصل الاستحياء منَ الحياة فاستحياء الرّجل لقوّة الحياة فيه لشدة شعوره بمواقع العيب فالحياء من لطف الحسّ لقوة الحياة، و سمّيت الحية حيّة لطول حياتها، وقيل لأنها لا تموت حتف أنفها، و حيى الغيثُ مقصوراً لأن الأرض تحيى به، و الحي الجماعة من العرب لأنه يُحيَى بهم لعزّتهم. (٢)

و البعوض صِغار البقّ و الواحد بعوضة لأنها كبعض بقّة في الصغر. (٣)

و قيل قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ ﴾ خرج عن جواب لفظهم حيث قالوا إن الله لا يستحيي أن يضرب المثل بالذباب و العنكبوت كما قال ﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود:١٣] لما قالوا هم إنه سحرٌ مفترى (٤).

وقال الحسين بن الفضل في قوله (٥): ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(إنّ الله لم يقل و ما يُضِلّ إلا الفاسقين بل قال: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ يعني بهذا المثل فقد جعل هذا الإضلال المخصوص بهذا المثل جزاءً للفاسقين، و قد ذكر في غير موضعٍ أنه يضلّ من يشاء و يهدي من يشاء مبتدئاً بالإضلال لا مجازياً، قال : و يحتمل أن يكون سمّاهم فاسقين

---

(١) قراءة تُعْزَى لزيد بن علي كما في البحر لأبي حيان : ١ / ٢٦. و ذكرها في الدّر المصون: ١/ ١٦٧ ولم يعزها.

(٢) لسان العرب: (حيا) و تفسير العلامة نجم الدين عمر النسفي الحنفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٦٦) . مخطوط. ومفردات الراغب: ص١٣٨ - ١٤٠

(٣) حياة الحيوان للدَّمِيريّ: ١/ ١٨٤ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٤٣

(٤)ينظر: أسباب النزول للواحدي: صـ٥٩ و الدّر: ١ / ٤١ مع ما تقدّم عن الحسن وقتادة في سبب نزول الآية .

(٥) لم أقف عليه في غير هذا التفسير.و الحسين بن الفضل هو البجلي تقدّم مراراً.

لِفسقٍ عَلِم منهم أن يظهر في مستقبل أيامهم كما قال ﴿ لَا يَنَالُ عَهۡدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:١٢٤] فسمّاهم ظالمين بظلمٍ علم حصوله منهم في المستقبل، و كما قال: ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:٣٠] فسمّاه خليفةً قبل خلقه خليفة). فعلى هذا التأويل لا متعلّق للقدرية في قولهم إنه لا يضل الله أحداً عن دينه إلا بمعنى تسميته ضالاً. [(١)]

قوله:﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَـٰقِهِۦ ﴾ الآية [٢٧] ﴿ٱلَّذِينَ ﴾ في موضعِ نصبٍ على الصّفة للفاسقين و ذلك أنّ الله تعالى زاد في ذمّ الفاسقين الذين أخبر أنه يُضِلُّهم بضرب ما سبق ذكره من المثال فوصفهم بنقض العهد و قطعِ ما أمر الله بوصله.

و معنى ﴿يَنقُضُونَ﴾ أي ينكُثُون عهد الله، و العهد في هذا الموضع هو الأمرُ و الوصية فنقضهم عهد الله تركهم ما أمر الله به، و أوجب عليهم على لسان الرسل المؤيَّدين بالمعجزات و الحجج من المعرفة بالله و الإيمان به و برسله و العمل بطاعته و منه قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ ﴾ [آل عمران:١٨٣] أي أمرنا و منه قوله ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [يس :٦٠] أي لم آمركم.

و يقول النّاس: عهد الخليفة إلى فلانٍ حين ولّاه كذا أي أمره و يسمّى كتاب الوالي كتاب العهد لما فيه من الأوامر ، و يجوز أن يكون العهد الضّمان الذي يوجبه الضامن على نفسه [(٢)]

---

(١) تتأول المعتزلة هذه الآيات و نحوها بأنّ معنى أضله سمّاه ضالا أو حكم بضلاله وهذا باطلٌ معنى وفاسد لغة وقد تقدّم للمصنف رحمه الله ذكر ذلك قريبا وفي سورة الفاتحة. ينظر: الوسيط: ١ / ١٠٩ و تفسير العلامة نجم الدين عمر النسفي :(ت: ٥٣٧هـ) التيسير في التفسير: (ورقة ٦٨) . و فيهما الرد على المعتزلة. و ينظر: مادة : ضلّ في تهذيب اللغة للأزهري رحمه الله.

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٣٥ و الوسيط: ١ / ١٠٩ و تفسير البغوي: ١ / ٧٧ زاد المسير: ١ / ٥١

كما قال: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾ [التوبة:٧٥] وقال : ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً ﴾ (١) [الإسراء:٣٤] فعلى هذا نقضُهُم عهد الله نكثهم ما ضمنوه لله في حال ما أخذ الذرِّية من صلب آدم وقال : ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف:١٧٢] فلمّا جحدوا في حال كمال عقولهم و أنكروا ربوبيته فقد تركوا ما عهِدوا إليه و نكثوا عهدهم مع الله.

وقيل نقضُهُم عهدَ الله تركهم لما أخذَ الله على الأنبياء ، و من تبعهم من الأُمم من الإيمان بالله و برسله و ما أُخِذَ في التّوْراة عليهِم و في سائر كُتُب الله المنزّلة، و أضاف العهد إليهم لأنّه أوجب عليهم أيضاً ذلك كما أوجب على سلفهم، و من هذا قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ إلى قوله ﴿ مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران:٨١] و هَؤلاءِ دخلوا في حُكمهم. (٢)

و العهد في اللغة أيضاً (٣) يكون بمعنى المودّة و منه قولهم فلان حسن العهد، و العهد الزّمان و الوقت و منه قولهم كان هذا على عهد فلانٍ أي في وقته.

و العهد: الوجود يقال :عَهِدتُكَ كذا أي وجدتك على حُكْم كذا في وقت كذا .

وتأويل القدرية أنّ عهد الله ما أوجب عليهم في عقولهم في التّوحيد بحججٍ أظهرها و نهيهم عن الكُفْر و تَرْك الشكر. (٤)

وقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ ﴾ أي من بعد توكيده و تحقِيقِه و التوثُّق به. (١)

---

(١) في الأصل: ﴿أَوْفُوا﴾ .

(٢) كتبت غير واضحة في الأصل : و ألحقها في الهامش بوضوح.

(٣) تهذيب اللغة: (عهد) و تفسير نجم الدين عمر النسفي ، التيسير في التفسير: (ورقة ٦٨) والمفردات في غريب القرآن للراغب: عهد: ص٣٥٥ و البحر: ١/ ١١٩

(٤) ذكره الزمخشري المعتزلي في الكشاف: ١/ ٢٤٦ و هو تأويلٌ باطلٌ.

و الهاء في ﴿مِيثَـٰقِهِۦ﴾ يحتملُ أنْ يعودَ إلى اسمِ الله أيْ من بعدِ ميثاقِ الله ذلكَ العهدَ وتحقيقه إياه بما أكّد من إيجابه عليهم، و يحتملُ أن يكون الهاءُ عائدةً إلى العهدِ و معناه من بعد ميثاق العهد و توكّده و الميثاق مفعالٌ من الوثيقة و أصلُهُ مُوثاقٌ فقُلِبت الواو فيه ياءً لسكونها و انكسارِ ما قبلها كالميعادِ و الميقات.

و الأصلُ فيه الثّقة بالشيء و هو طمأنينةُ القلب و الوثيقة لما أُحكم فيه العقد على الثقة وأوثقه أي أحكمه على الثِّقة فيه، و الوثاق الرّباط والميثاق العقدُ على الثقة و الإحكام والأصل فيه إحكام العقد.

وقوله : ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ قيل هو الذي أمرهم الله سبحانه أنْ يصِلوه من الإيمان بالنبي صلَّى الله عليه و سلَّم و المؤمنين فقطَعُوهُ بقتالهم وكُفْرِهِم عن الحسن [٢].

و قال قتادة: -و مال إليه ابن جرير - أنّه ما أمرهم الله به من صلة الرّحم [٣] كما قال سبحانه ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾[الآية: محمد:٢٢]. و كان قريش مخصُوصين من بين الناس بالذم بهذا، و إن شاركهم في هذا جميع الكفّار لشدّة تعصّبهم و فرْطِ حميّتهم على الرسول صلَّى الله عليه و سلَّم و قطعِهِم رحِمَه.

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٣٩ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٧٣ و الوسيط: ١/ ١١٠ وتفسير العلامة نجم الدين عمر النسفي ، التيسير في التفسير: (ورقة ٦٨) و تفسير القرطبي: ١ / ٢٤٧ و البحر: ١/ ١٢٧

[٢] ينظر: الوسيط: ١ / ١١٠ و زاد المسير: ١/ ٥٧ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٤٧

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٤١ و الدّر: ١ / ٤٢

و قيـل إنّ الآيـة عامّـةٌ و الـذمّ بقطـعِ جميـع مـا أمـر الله بوصـله مـن الإيـمان و الـرحم و غير ذلك. [١]

و الجمعُ في الإيـمان بـين الرُّسـل [٢] حيـث قـال الله تعـالى : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٨٥] وما شاكله مـن الآي. و قـد ذمّ الله الكفـارَ في مواضـعَ مـن كتابـهِ بتفريقهم بين الأنبياء في الإيـمان بهـم كـما قـال : ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء:١٥٠].

وقوله: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي يعملـون بالمعـاصي و قيـلَ فـسادُهُم دعـاؤهم النّاس إلى الكفرِ، و منعهم النـاس مـن الإيـمان، و قيـل فـسادُهم كُفْـرُهُم بـربِّهم و إظهـارُهُم التكذيب و القول بأّن [له] [٣] شريكاً و حكمُهُم في الأمورِ بغيرِ ما أَمَرَ الله.

وقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ أي هم الذين خسروا باختيارهم عاجِلَ الـدّنيا على الآخرة { و } [٤] ما وُعِدُوا به من الثواب على الإيمان و الطاعة كما قال في آيـة أخـرى ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ [البقرة:١٦].

و أصلُ الخسرانِ في التِّجارة أنْ يبتاعَ الرّجل شيئاً فيوضَعَ من رأسِ مالِهِ، و هي الوَضِـيعة فيـه ثم قيل لكلّ من سعى في أمرٍ فأدّاه إلى مكروهٍ إنه خاسرٌ، و الخَسَارُ هو النّقص: فـالقوم نقـصوا لأنفسهم بكفرهم راحتها التي كانت لهم لو آمنوا بربهم. [١]

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٤١

(٢)المراد أنّ الجمع في الإيمان بين الرُّسل وارد في القرآن.

(٣) سقطت من الأصل.

(٤)سقطت من الأصل.

و قيل خسِروا دُوْرَهم و أهليهم و منازلهم التي خُلِقت باسمهم في الجنّة إذ ما من أحدٍ إلا وله في الجنّة أهلٌ و منزلٌ خُلِق ذلك باسمه فالمؤمنُ يرثُها من الكافرِ يخسَرُها و ذلك: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر: ١٥]. [٢]

و قيل خسرانُ النّفس هلاكُها التي هي أنفسُ رأسِ المال.

و أمّا موضع ﴿ أَن يُوصَلَ ﴾ فخفضٌ على البدل من الهاء في به [٣] كأنه قال أمر الله بأن يوصل. ويحتمل أن يكون موضع ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾ رفعاً على الاستئناف على الذمّ، و موضع ﴿أولئك ﴾رفعٌ بالابتداء و﴿ الخاسرون ﴾خبر الابتداء.

و ﴿هُم ﴾ بمعنى الفصل يُسمّيه الكوفيون العِمَاد [٤] و يحتمل أن يكون ﴿هُم ﴾ ابتداءً ثانياً و﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ خبره و ﴿هُم ﴾ و ﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ خبر الابتداء الأوّل – و هو ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [٥].

و بعض النحويين قال قوله : ﴿ٱلَّذِينَ﴾ رفعٌ على الذمّ وخبره قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾. و الوقف على قوله : ﴿أَن يُوصَلَ ﴾ وقف وافٍ، و الوقف التامّ على قوله : ﴿ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾. [١]

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٤٢ و الوسيط: ١/ ١١٠ و النُكت والعيون للماوردي: ١/ ٩٠ وتفسير القرطبي: ١ / ٢٤٧ والبحر: ١ / ١٢٩

(٢) التفسير الكبير للرازي: ١/ ١٣٧

(٣) الدّر المصون: ١/ ١٦٩ و الفريد: ١ / ١٦٠

(٤) تقدّم ذكر هذا عند قوله: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾[آية: ٤].

(٥) إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢٠٥ و البحر: ١/ ١٢٧ والدّر المصون: ١/ ١٦٩ و الفريد: ١ / ١٦٠

و دخول من { في } [٢] قوله﴿ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ صلة لأجل التأكيد. [٣]

قوله ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآية [٢٨] لفظ ﴿كَيۡفَ﴾ للاستفهام و معناه هاهنا التوبيخُ لهم و التعجيب لهم و معناه كيف يقعُ الكفر منكم بالله و لِمَ تكفرون به و كنتم أمواتاً فأحياكم نبَّهَهم بقدرته على الابتداء على قدرته على الإعادة و بيّن أن ما يدلّ على قدرته على خلقهم و إعادتهم من آياتِ و حدانيته، و دلالته يقطعُ عذرهم في جهلهم به، فكأنه قال:

وَيحَكُم كيف تكفرون بالله ؟ كما قال ﴿ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴾ [التكوير:٢٦].

و أما و جه التعجُّبِ فكأنه يقول: اعجبوا من هَؤلاءِ كيف يكفرون بالله و هو خالقهم والقادرُ على إماتَتِهم و إحيائِهم و قد ثبتت عليهم حجّة الله فهو لتعجيبِ الخلقِ لا لتعجيبِ الله سبحانه. [٤]

قوله﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتًا ﴾ قال الفراء [٥] و الزّجّاج [٦] إنّ هذه الواوَ واوُ حالٍ.

وفيه إضمار قد كأنه قال : (و قد كنتم أمواتاً)، و موضعه نصبٌ بتقدير كائنين أمواتاً نظيره: قوله: ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

---

(١) الإيضاح لابن الأنباري: ١ / ٥٠٨ و القطع : ص٤٨ و المكتفى للداني: ص١٦٢ و الاقتداء في الوقف للنكزاوي: ١ / ٢٥٤ و منار الهدى: ص٣٣ . و الوقف على (الخاسرون)تام عند جميعهم.

(٢) سقطت من الأصل و السياق يقتضيها .

(٣) من هنا الراجح أنها لابتداء الغاية لا صلة (أي زائدة): الفريد: ١/ ٢٦٠ والبحر: ١/ ١٢٧ والدّر المصون: ١ / ١٦٨

(٤) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٠ و المحرر: ١/ ١١٢ و البحر: ١/ ١٢٩

(٥) معاني القرآن: ١ / ٢٨

(٦) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٠

[يوسف:٢٧] أي فقد كذبت و قولـه: ﴿ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [النساء:٩٠] أي قد حَصِرت.

و اختلفوا في معنى قوله ﴿ وَكُنتُم أَمْوَٰتًا ﴾ فقال السُّدِّيّ عن أبي مالك [١] و ابن عبّـاس و ابن مسعود و ناسٍ من الصحابة لم تكونوا شيئا فخلَقَكُم ثم يميتكم ثمّ يحييكم يـوم القيامـة. [٢] و به قال مجاهدٌ [٣] و الربيع بن أنس [٤] . و نَصَرَ ابن جريرٍ [٥] هذا القولَ وقـال معنـاه: كنتُمْ خاملي الذِّكر لأنّ العرب تقولُ للشيءِ الدّارس الخامل [٦] الذّكر هذا شيء ميّـت، ويقـال في ضدِّه هذا أمرٌ حيٌّ أي أنه ليس بمندرِسٍ وله ذكرٌ و أنه متعالَمٌ في النّاس فمعنـى الآيـة كنـتُم خمولاً لا ذِكرَ لكـم ثـمّ خلقكـم بـشراً تُـذكَرون كـما قـال: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾ الآيـة [الإنسان:١] أي قد أتى على جسد آدم مدة من الزمانِ، ولم يكن لـه ذكـرٌ طـائرٌ وكـان خامـلَ الذِّكر حتى نُفِخ فيه الروح.

---

[١] اختصر المصنف سنده: و هو السند المعروف المشهور و تقدّم ذكره مرارا للمصنف وهو عن أبي مالك و عن أبي صالح عن ابن عبّاس، و عن مرة عن ابن مسعود و عن ناس من الصحابة.

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٤٣ و الدّر: ١ / ٤٢ .

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٤٤ و الدّر: ١ / ٤٢

[٤] رواه الطبري: ١ / ٤٤٤ – ٤٤٥ و ابن أبي حاتم: ١/ ٧٣ (٣٠٣) من طريق: الربيع بـن أنـس عـن أبي العالية.

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٤٧

[٦] في هـامش الأصـل هنـا : (((الخامـل الـساقط الـذي لا نباهـة لـه نَبُـه الرجـل بالـضمّ أي شرف و اشتهر))) اهـ. ينظر: (مختار الصحاح: درس: ١/ ٨٥ و لسان العرب: درس: ٦ / ٨٠)

ورُوي عن ابن عبّاس في قول الضحاك [١] أنَّ معناه كنتم تراباً ردّهم إلى أبيهم آدم فأحياكم بأنْ خلقكم بشراً و جعل فيكم الحياة .

وقال قتادة [٢] و الأخفش [٣] و غيرهما [٤] : ﴿ كُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا ﴾ أي نطفاً في أصلاب آبائكم فأحياكُم في رَحِمِ الأمَّهات.

وقوله: ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ﴾ وأجمعوا أنّ معناه الموتةُ في الدّنيا.

وقوله: ﴿ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ﴾ اختلَفوا فيه فقال بعضُهم: يعني في الحشْر في القيامة ،وقال بعضهم ثم يحييكم يعني في القبر. [٥]

﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ يعني في القيامة تُردُّون إلى الموضع الذي لا مُلك فيه لأحدٍ غير الله ولا أمرَ لأحدٍ غيرِه.

و قيل تَرجعون إلى حُكْمِهِ فيفعلُ بكم ما يشاءُ مما سَبَقَ به علمه و مشيئته و حكمه، و هذا التأويل أصحُّ لما يُثبِتُ من عذابِ القبر، و إيصالِ الرّحمة إلى المحسِن فيه كما ورد به الخبر،

---

[١] رواه الطبري: ١/ ٤٤٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٧٣ (٣٠١) من طريق بشر بن عمارة عن أبي رَوق عن الضحاك عن ابن عبّاس و تقدّم التنبيه على أنه سند واهٍ: صـ٢٨٧.

[٢] جامع البيان للطّبري: ١ / ٤٤٦

[٣] معاني القرآن للأخفش: ص٥٠

[٤] وبه قال الفراء : معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٨ و الزّجّاج: ١ / ١٠٠ ينظر: الوسيط: ١ / ١١١ والمحرر: ١/ ١١٤ و فيه ترجيح القول الأول قول ابن مسعود و ابن عبّاس و مجاهد و هو ترجيح الطبري: ١ / ٤٥٠ و ابن كثير: ١ / ٢١٥ و وزاد المسير: ١/ ٥٧ – ٥٨ و فيه ترجيح قول قتادة والفراء و الأخفش و الزّجّاج و غيرهم وتفسير القرطبي: ١ / ٢٤٩ و البحر: ١/ ١٣٠

[٥] ينظر: المصادر المتقدمة.

وذلك يوجب كونَ الأموات أحياءً في قبورهم بعد موتهم ليصحّ لهم التعذيب و التنعيم والسؤال. [١]

قوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ الآية [٢٩] ثم لمّا استكبر المشركون وأنكروا أمر الإعادة نبّههم على جوازها بما عرّفهم من خلق ما في الأرض و خلق السموات ليدلهم بذلك على أنّ إعادة الحياة فيهم– و قد خلقهم ابتداءً – ليس بأكثر ولا أكبر من خلقه السموات و الأَرَضين.

و عدّ عليهم نِعَمَه بتسخيره لهم ما في الأرضِ و نفعهِ إياهم فقال: (﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ فما في الأرض مخلوقٌ لهم بعضُها للانتفاع به، و بعضُها لاعتبارهم بما فيه من الآياتِ.

ولا تدلُّ الآية على قول من قال إنّ الأشياء على الإباحة في الأصل [٢] لأنّه قال لنا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ الآية: [٢٩ من سورة البقرة] لأنّه أراد بالإضافة [٣] ما ذكرنا من الاعتبار، و لأنه قال في آياتٍ أخَر ما أوجب التحريم و الحظْر [٤] بقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ [الأعراف:٣٣] وقوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الانعام:١٥١] و غير ذلك.

---

[١] البحر: ١/ ١٣١

[٢] تقدمت هذه المسألة الأصولية أي القول بأن الأشياء على الإباحة في الأصل عند قوله﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً﴾ (سورة البقرة: من الآية ٢٢)صـ ٤٩٥.

[٣] أي في قوله: ﴿ خَلَقَ لَكُم ﴾.

[٤] في الأصل(ل) : الخطر.

و ﴿مَّا﴾ في موضع النّصب لوقوع الخلق عليها [١] .

و جاء في الخبر [٢] أنّ الله خلق الأرض قبل خلق السّماء ثم خلق السّماء و سوّاها ثم دحا الأرض بعد ذلك، وجعل فيها أقواتها في أربعة أيامٍ كما قال: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت:٩] ثم قال: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾ فصلت:١٠] أي في أربعة أيامٍ مستوياتٍ من سأل عنه فالأمر فيه هكذا.

وقوله : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ قيل معناه قصد إلى خلق السّماء و إنشائه كما يقال فرغ الأمير من بلد كذا ثم استوى إلى بلد كذا معناه قصد بالاستواء إليه وهذا اختيار الزّجّاج فيه .[٣]

قال الفراء [٤] : لأنّ الرجل يقول تكلّم فلانٌ ثم استوى إلي يشتُمني.

أي قصد. [٥]

---

[١] في الأصل(ل) : عليه.

[٢] ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٤٦٠ - ٤٦٤

[٣] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٠ و الحجة في بيان المحجة لإسماعيل التيمي الأصبهاني الحافظ: ٢ / ٢٥٨

[٤] معاني القرآن للفراء: ١ / ٢٨ - ٢٩

[٥] قوله: (قصد) من كلام المصنِّف بيان لمعنى كلام الفراء، و كلام الفراء إنما يريد به معنى أقبل لا قصد و قد صرّح بذلك في معاني القرآن له . و أمّا استوى بمعنى قصد فصحيح في لغة العرب مذكور في التفاسير لكن ليس لهذا المثال، و ينظر ما ذكره المصنف بعده مباشرة. و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٠

وقال بعضهم: معناه أقبل إلى السّمَاء لأنه يقال كان فلانٌ مقبلا على فلان فاستوى إليَّ يـشتُمني أي أقبل. (١)

و قال ابن عبّاس: صَعِد أمره إلى السّمَاء. (٢)

وقيل ثم استوى تدبيرُهُ و أمرُه أي علا أمرُهُ و تدبيرُه إلى السّمَاء. (٣) و قيـل ثـمّ خلـق دخانـاً فعلا ذلك الدُّخان إلى السّمَاء فصيّره سماءً. (٤)

و السّمَاء ما علاك فأظلّك و قيل فَعَلَ فعلاً سمّاه اسـتواءً (١) ، قيـل ثـمّ صـار الـسّمَاء مـستوِياً عليـهِ كقوله: ﴿ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ ﴾ [محمد:٣١] أي تصيرون مجاهدين معلومـاً لنـا عـلى ذلـك

---

(١) هذا كلام الفراء: معاني القرآن للفراء: ١ / ٢٨ - ٢٩ و نقله الطبري و غـيره مقـرين بـصحته لغـة: جامع البيان للطـبري: ١ / ٤٥٧ و الوسـيط: ١/ ١١١ وتفـسير البغـوي: ١ / ٧٨ و البحـر: ١/ ١٣٤ وينظر: تفسير ابن كثير: ١ / ٢١٦

(٢) هكذا ذكره الفراء: ١/ ٢٩ و الزّجّاج: ١ / ١٠٠ و غيرهما و نقلهُ البيهقي عن الفراء ثم قال :
وأمّا ما حُكِي عن ابن عبّاس فإنما أخذه من تفسير الكلبي، و الكلبي ضعيفٌ، و الرواية عنه عندنا كما ذكر الفراء: ثم أسنده من طريق محمد بن مروان السدّي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عـن ابـن عبّـاس . الأسماء و الصفات: ٢ / ٣١٠ – ٣١١ و هو سند ضعيف جداً تقدّم الكلام عليه:صـ٣٢٣.

(٣) هذا من التأويل الذي لا دليل عليه – و إنْ ذكَرَه مَنْ ذكَرَهُ من المفسرين –وهو مثل نـسبة الاسـتواء إلى الدخان الذي سيرد حالا ، و السّلف الذين روي عنهم تفسير استوى هنـا بمعنـى (عـلا)و (ارتفـع) لم يقولوا ذلك : جامع البيان للطبري: ١ / ٤٥٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ٧٥ (٣٠٨) و الدّر: ١ / ٤٣

(٤) ذكره الطبري غير منسوبٍ و ضعفه: ١ / ٤٥٦ و كذلك ضعفه ابن عطية: ١/ ١١٥ .
و هو قول ضعيف منكر غريب إذ لم يجرِ للدّخان ذكرٌ، و فيه جرأة على تأويل كلام الله على غير ظاهره وقد بين الطبري ذلك.

الوصف لا أنّه يستفيد في حال جهادهم عِلْماً، فكذلِك الاستواءُ من صفاتِ ذاتِه، ومعنى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي ثم صار السّمَاءُ مستوياً عليه في حالِ كونها سماءً، و يكونُ استواءَ قهرٍ و قُدرَةٍ.

وقال ابن جرير [٢] : معناه ارتفع ارتفاع مُلكٍ و سُلطان لا ارتفاع انتقال وزوال. و إنما هو ارتفاعُ تدبيره و حكمه و سلطانه. [٣]

و قيل تَحوَّل فعله إلى السّمَاء كما يقال كان الأمير يدبِّر أهل الشام ثم استوى إلى أهل الحجاز أي تحوّل فعلُهُ و تدبيره[٤].

---

[١] هذا قول أبي الحسن الأشعري : الأسماء و الصفات للبيهقي: ١ / ٣٠٨ و ينظر: أحكام القرآن لابن الفَرَس عبد المنعم بن محمد : ت: ٥٩٧هـ. ١/ ١٦٣ رسالة ماجستير من الفاتحة إلى الآية: ٢١٠ من البقرة تحـ الطالب: عبد الله عبد الحميد ، إشراف د/ عبد العزيز الدّرديريّ : ١٤٠٤هـ. الجامعة الإسلامية.

[٢] في الأصل(ل) : جريج. خطأ. و هو لابن جرير في معرض ردِّه : جامع البيان للطبري: ١ / ٤٥٧ وعبارته: (وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾ علا عليهن وارتفع فدبَّرهن بقدرته وخلقهن سبع سماوات والعجبُ ممّن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ الذي هو بمعنى العلو والارتفاع هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه- إذا تأوّله بمعناه المفهوم كذلك- أنْ يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر ثم لم ينج مما هرب منه فيقال له: زعمتَ أن تأويل قوله ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ أقبل أفكان مدبِرا عن السّمَاء فأقبل إليها فإنْ زعم أن ذلك ليس بإقبال فعلٍ ولكنّه إقبال تدبير قيل له فكذلك فقل علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال ثم لنْ يقول في شيء من ذلك قولا إلا ألزم في الآخر مثله)اهـ.

[٣] قوله: و إنما ارتفع الخ ..ليس هذا من كلام الطبري . و حكم الله تعالى و سلطانه مرتفع أبداً والضمير راجع إلى الله تعالى و تقدّس لا إلى حكمه و سلطانه كما هو بيّن من سياق الآية.

[٤]هذا إنما يقوله الأخفش سعيد بن مسعدة .ينظر: معاني القرآن له : ص ٥١ و نقله عنه الواحدي في الوسيط: ١ / ١١٢ . قال الإمام السمعاني: (ت: ٤٨٩ هـ): ١ / ٦٣و البغوي:

و قوله : ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ أي هيأهنَّ و قوَّمهن و التسوية في كلام العرب التقويم و الإصلاحُ و التوطِئة. [١] و دلّت الآية على أنَّ خلقَ الأرضِ بعد خلقِ السّماء ثم جعل السّماء سَبعا [٢] بعد خلقِ الأرض فكأنّه خلق أوَّلاً دخانا، و جعل منه السّماء ثم خلق الأرض كما جاء في التفسير أَنها كانت في موضعِ بيتِ المقدِس كهيئة الفِهر [٣] و جعل فيها الأشياء في تمامِ أربعة أيامٍ ثم

(٥١٦هـ): ١ / ٧٨ (قال ابن عبّاس و أكثر المفسرين من السلف : أي ارتفع و علا إلى السّماء).

وينظر: اعتقاد أهل السنة و الجماعة للالكائي: ٣ / ٤٠٠ و العقيدة الأصفهانية: ١/ ٤٩ و درء تعارض العقل و النقل: ١ / ٢٧٩ و مجموع الفتاوى: ١٦ / ٤٢٣ وحاشية الإمام ابن القيم على سنن أبي داود: ١٣ / ١٧ و ما بعدها و الصواعق المرسلة: ١ / ١٩٥ .

تنبيه: سياق الآية هنا غير سياقها في قوله تعالى: (ثم استوى على العرش) فهنا عُدِّي استوى بإلى و هناك بـــ: على فبعضُ ما يجوز هنا من التفسير لا يجوز هناك. فتفسيرها هنا بمعنى قصد صحيحٌ بخلاف قوله تعالى: (استوى على العرش). فلا يصحّ تفسير (استوى على العرش) بمعنى قصد و أقبل و إن كان من معاني استوى أن تكون بمعنى قصد.

و تفصيل ذلك يطولُ. و أهلُ السنة مجمعون على و صف الله تعالى بصفة الاستواء على العرش بلا كيف و لا مثل و لا تحديد و قد صنّفوا فيها مصنفات مستقلة كالعلو للذهبي وبسطوا الكلام عليها ردا على المتأولين و غيرهم و في السنة للالكائي و التمهيد لابن عبد البر و في كتب شيخ الإسلام و تلميذه ابن القيم و غيرهم من ذلك كثير. و ليس هذا موضع الكلام على قوله تعالى: ﴿ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾[من مواضعها هذه الآية، يونس:٣].

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٥٩

[٢] كان في الأصل : (سبع) و الصواب فيه من جهة الإعراب : سبعاً فسبعا مفعول ثان لجعل.

[٣] يروى عن الحسن ولم أجده مسندا، و هو في : الكشاف: ١/ ٢٥١ و تفسير النّسفي: ١/ ٣٥ و أبو السعود : ٨ / ٦ و روح المعاني: ٢٤ / ١٠٧ عن الحسن ولفظه: (خلق الله الأرضَ في موضعِ بيتِ المقدس كهيئة الفهر ، عليها دخانٌ ملتزِق بها ، ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات ، وأمسك الفِهر في موضعها

استوى إلى السّماء و هي دخانٌ كما قال في قولـه : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا ﴾ الآية [فصلت:١١].

و قال الأخفش: هذا كما تقول اعمل هذا الثوب و إنما معك غزلٌ [١]، كذلك سَمّاه سماءً وهي بعدُ دخانٌ .

و إنما قال : ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ على الجمعِ و لفظ ﴿ٱلسَّمَآء﴾ على التوحيد لوجوهٍ منها: أن لفـظ ﴿ٱلسَّمَآء﴾ و إن كان للتوحيد فهو بمعنى الجمع على طريقة الجنس كقولهم: أهلـك النـاسَ الدّينارُ و الدّرهمُ. [٢]

و الثاني: أن السّمَاء جمعٌ و واحـدُها سـماوة و سـماءٌ. [٣] و قيـل هـو كقـولهم: ثـوبٌ أخـلاقٌ

وبسط منها الأرض ، فذلك قوله : ﴿ كَانَتَا رَتْقاً ﴾[الأنبياء : ٣٠] وهو الالتزاق)اهـ. قلت: وهـو غريـب ولا دليل على صحته.

[١] معاني القرآن للأخفش: ص٥٠

[٢] معاني القرآن للأخفش: ص٥١ و جامع البيان للطبري: ١ / معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠١

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٥٩ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠١ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٦١

و أسمالٌ [١] و بُرْمةٌ أعشارٌ [٢]، و أكسارٌ أي أنّ نواحيه و أجزاءه كذلك فهكذا قوله: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ أي سوّى أجزاء السّمَاء و نواحيها و جعل جملتها بسبعِ سماوات. [٣]

قوله : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي أنّ الذي خلقكم و خلق ما في السموات والأرض لا يخفى عليه شيءٌ من نفاقهم و كُفرهم، و ما كَتَمُوه مِن وَصفك يا محمد و ما أنكروه من ربوبيتنا و صحة نبوّتك؛ و يحتمل أنّ وجهَ اتصالِ الآية بقوله : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تنبيههم على الوصف الذي يصحّ به الاختراع و الفعل ، و به يتمّ الأمر المحكَم و الفعل المتقن و هو العلم (٤).

قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [٣٠] قال أبو عبيدة إنّ ﴿إِذْ﴾ في هذا الموضع زائدةٌ و ليس له معنى [٥] و أبى الزّجّاج [٦]

---

[١] خَلُق الثوب: بَلِيَ و أسمالٌ من : سَمَلَ الثوب سُمُولا أي خَلَقَ. والسَّمَلُ الخلق من الثياب و سَمَلَ الثوب من باب دخل و أسْمَلَ أي أَخْلَق (مختار الصحاح: خلق و سمل ولسان العرب: خلق، و سمل و تاج العروس: خلق و سمل)

[٢] يقال: قَدَحٌ أَعْشارٌ وقِدْرٌ أَعْشارٌ وقُدورٌ أَعاشِيرُ: مكسَّرة على عَشْرِ قطع. لسان العرب: عشر وتاج العروس: (ع ش ر)

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٦٠

(٤) هكذا في الأصل. و المعنى واضح ولكن في التعبير هنا تكراراً. و المقصود أنّ وجه التعقيب بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تنبيههم على الوصف الذي يصحّ به الاختراع و هو العلم.

(٥) مجاز القرآن: ١/ ٣٦ -٣٧ و تابعه ابن قتيبة: غريب القرآن: ص ٤٥ . و في المحرر: ١ / ١١٦ ردّ عليه – يعني أبا عبيدة – جميع المفسرين.

[٦] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠١

و ابن جرير [١] و غيرهما [٢] قولَهُ فيه، و قالوا: إنَّ الحرفَ إ ذا كان مفيداً معنى صحيحاً لم يجُز الإقدام على الحكم بأنه لغوٌ قالوا و ﴿ إِذ﴾ يدلّ على وقتٍ ماضٍ، و في الآية ههنا محذوفٌ و معناه في قول ابن جرير[٣]: إنّ الله سبحانه قال قبل هذه الآية موبِّخا لهم :

﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾ وقد خلقكم ثم ذكّرهم أيضا نِعَمَهُ بقوله : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم﴾، فكأنه قال: اذكروا النّعمة في [٤]﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ تعظيماً لأمرِ آدمَ بتقديمِ ذِكْرِهِ قبل خَلقِهِ ففي الآية إضمارُ الذِّكر و معناه: و اذْكرِ إذ قال ربّك للملائكة أي اذكروا النعمة عليكم و على آدم في ذلك.

و قال الزّجّاج [٥] : إنّ الله تعالى أخبر في هذه الآية عن ابتداءِ خلقهم فكأنَّ معنى الآية أنه قال: ابتداءُ خلقِكُم إذ قال ربّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفةً . و قال بعضُ المفسّرين كلُّ ما يشبه هذا في القرآن من قوله ﴿ وَإِذۡ﴾فالذِّكر فيه مضمرٌ كقوله: ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ ﴾ [الشعراء:١٠] وغيرِ ذلك معناه و اذكروا إذ كان كذا .

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٦٦

(٢) الوسيط: ١ / ١١٢ و تفسير نجم الدين عمر النسفي ، التيسير في التفسير: (ورقة ٧٢) .

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٦٩ – ٤٧٠

(٤) هكذا الأصل. و ليست العبارة الط ي. و لو قـال ا ـصنف: (... ... النّعمة . وفي ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ تعظيمٌ لأمرِ آدمَ بتقديمِ ذِكْرِهِ قبل خَلقِهِ ،وفي الآية إضمارُ الذِّكر). لكان ا ع متجهاً.

(٥) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠١

و قال الحسين بن الفضل [١]: إنّ كلَّ موضِعٍ يوجَدُ فيه (إذ) فإنه يوجد بعده ما يدلّ على معناه كما يقال: و إذْ كان كذا كانَ كذا ، و في هذا الموضع بيّنَ معناه بقولِ الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ كأنّه قال: وإذ قالَ ربّك لّما قالت الملائكة كذا؛ فعنده (إذ)وقتٌ لقول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فكأنه قال: و إذ قال ربك إني جاعلٌ في الأرض خليفة قالت الملائكة حينئذ و في ذلك الوقت أتجعل فيها من يفسد فيها [٢].

و الملائكة و احدها ملَكٌ و أصله ملأكٌ على وزن مَفعَلٌ أُلقِيت الهمزة منها استخفافاً وألقيت حركتها على ما قبلها ليدلّ على المحذوف ثم قالوا في الجمع ملائكة و ملائكٌ كما قالوا أشعثٌ وأشاعِثةٌ و في مِسمَعٍ مسامِعٌ و مَسامِعَةٌ. [٣]

و يقال في واحِدِهِ أيضاً مأَلَكٌ و جمعُه على هذا القول: مآلكٌ على القياس و يكون مألَكٌ وملأكٌ من المقلوب كقولهم: جذَبَ و جَبَذَ و شَامِلٌ و شَمالٌ.

و الأصل في مألَكٍ الرّسالة يقال أَلِكِني الرّسالة و يقال أَلِكْني أيْ أرْسِلْني، و يقال [٤] أَلَكْتُ [٥] إليه أَلِكُ مألَكةً و لأكتُ أَلِكُ و الأَلُوكُ الرِّسالة أيضا [٦].

و قال لَبِيدُ بن ربيعة :

---

(١) لم أهتدِ إليه في غيره. و هو من فوائد هذا التفسير .

(٢) تفسير نجم الدين عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٧٢) .

(٣) الكتاب لسيبويه: ٤ / ٣٨٠ و التّصريف لأبي عثمان المازني مع شرحه الموسوم بالمنصف لابن جني: ٢ / ١٠٢ – ١٠٤ وجامع البيان للطبري: ١ / ٤٧٢ و الوَسيط: ١/ ١١٣ البحر: ١ / ١٣٧ و الدّر المصون: ١/ ١٧٥ – ١٧٦

(٤) في الأصل : (يقال) بدون واو كالتي قبلها.

(٥) تكرّر في الأصل.

(٦) لسان العرب: ألك: ١٠ / ٣٩٢ و المنصف لابن جني: ٢ / ١٠٢ – ١٠٤ و جامع البيان للطبري: ١ / ٤٧٢– ٤٧٤ و الوسيط: ١/ ١١٣ و تفسير النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٧٢) . والبحر: ١ / ١٣٧ و الدّر المصون: ١/ ١٧٥ – ١٧٦

وغلامٍ أرسلته أمُّهُ   بأَلُوكٍ فبَذَلْنَا ما سَأَل [١]

وقوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ أي فاعلٌ في الأرض. [٢]

و الخليفة فعيلةٌ من قولك: خَلَفَ فلانٌ فلاناً في هذا الأمر أي قام مقامه و يقال للسلطان خليفة لأنه يقوم مقام من قبله، و الهاء في خليفة، قيل للمبالغَة و فعيلٌ بمعنى فاعل يجوز [٣] .

و التنوين في قوله ﴿جَاعِل﴾ يدلّ على الاستقبال.

و في الآية دليلٌ على نبوة المصطفى عليه السلام لأنّ ابتداء الخلق مما لا يُعلم بالعقل، و إنما يعرفُه من قَرأَ الكتب أو نزل عليه به الوحي فكونه أمّيّاً كان معلوما لهم فلمّا أخبرَ عن هذه القَّصة كما وجدوها في الكتب المنزّلة من السّماء قبلَهُ من غير أنْ قرأَ كتاباً دلّ على أنه عَلِمه من قبل الوحي.

و تأويلُ قولِهِ : ﴿خَلِيفَةً﴾ قيلَ أراد بِهِ آدمَ عليه السّلام جعله الله خليفةً لنفسِهِ يحكُمُ بالحق في أرضه إلا أنّ الله سبحانه أخبرَ الملائكة أنّه يخلقُ مِنْ ذُرِّيّته من يسفِكُ الدّماء، ويفسِدُ في الأرض، و يكونُ إخبارهُ عن مرادِهِ في الخَلق على جهة البِشارةِ لهم بمكانه كما جَرَت به سنّته في البشارة بالأنبياءِ قبلَ خَلْقِهِم، و قبل إرسالهم. فلا يكونُ ذلك على جهة المشاورة معهم لامتناع المشاورة في وصفه لوجوب كونه عالماً لا يخفى عليه شيء منفردا بتدبيره عن كلّ غَيرٍ.

---

[١] البيت في ديوانه: ص١٧٨ و جامع البيان للطبري: ١ / ٤٧٤ و المنصف لابن جني: ٢ / ١٠٤

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٧٥

(٣)الهاء في خليفة ليست للتأنيث، و لكنها للمبالغة، كالهاء في قولهم : علّامة و نسابة . ينظر:

جامع البيان للطبري: ١ / ٤٧٦ – ٤٧٧ والوسيط: ١/ ١١٣ و تفسير نجم الدين عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٧٢) و البحر: ١/ ١٣٨

و قيل تأويل قوله ﴿خَلِيفَةً﴾ أراد به آدم و ذريته جعلهم خلفاء عن الجنّ الـذي كـانوا في الأرض قبلهم، و قيل جعلهم خلفاء عن الملائكة الذين كانوا سكّان الأرضِ بعد الجنّ.[١]

و قيل أراد بقوله ﴿خَلِيفَةً﴾ أمماً يخلُف بعضهم بعضاً كلّما هلكتْ أُمّة خلَفَتْها أُخـرى، الأول عـن ابن عبّاس و ابن مسعود .[٢] و هو معنى قول ابن زيد[٣] والثاني: عن ابـن عبّـاس[٤] و الثالـث: عن الحسن[٥] .

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٧٨ و الوسيط: ١ / ١١٣ و تفسير السمعاني: ١ / ٦٣ و تفـسير القرطبـي: ١ / ٢٦٣ و البحر: ١/ ١٤٠

[٢] قول ابن عبّاس و ابن مسعود في الطبري: ١ / ٤٧٩ بمعناه عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عبّاس وعن مرة عن ا بن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي: (أنّ الله جل ثناؤه قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قالوا ربَّنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال يكون له ذرية يُفْسِدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا)اهـ .

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٧٩ : بلفظ: (قال الله للملائكة إنّي أريدُ أنْ أخلُقَ في الأرض خلقاً وأجعـل فيهـا خليفةً. وليس لله يومئذ خلقٌ إلا الملائكة، والأرضُ ليس فيها خلقٌ)اهـ.

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٨٢ و تاريخ الطبري : ١ / ٨٤ ، و ٩٢ من رواية بشر بـن عـمارة عـن أبي رَوْقٍ عن الضحاك عن ابن عبّاس. و هو سند واه كما تقدّم مراراً: صـ ٢٨٧ . و هو خبر طويل : فيه: (كان إبلـيس مـن حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة قال وكان اسمه الحـارث). و ينظـر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٠٨ .

[٥] يظهر أنّ المصنف يعني بالثالث : القولَ بأنّ المراد بـ (خليفة) أمماً يخلف بعضهم بعضا كلّما هلكتْ أمة خلفتها أخـــرى: جـــامع البيـــان للطـــبري: ١ / ٤٧٩ فيكـــون المـــراد بقولـــه: ﴿خَلِيفَةً﴾ أولاد آدم

و في النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٩٥ و تفسير عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٧٣) أنهـم أولاد آدم دون آدم . و نقل النسفي عن القفال الشاشي . و ينظـر: التفـسير الكبـير للـرازي: ٢ / ١٥٢ و تفسير ابن كثير: ١ / ٧٠.

قوله: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ يعني يعملُ بالمعاصِي و يحكم بغير الحق ويسفُك الدماء يعني يصيبها بغير حقٍّ ظلماً.

﴿ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ ﴾ أي نبرّيك من السوء، و قيل نرفع أصواتنا بالحمد لك أو نسبّح نتكلّم بالحمد لك و النطق بالحمد لله تسبيح له، و كلُّ من عمِلَ خيرا قَصَد به وجه الله فإنه يقال: سبّح لله يقال فرغتُ من سُبْحتي يعني مِنْ صَلاتي [١] .

و قيل في بعض التفاسير ﴿نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ ﴾ أي نصلّي لك بأمرِكَ. [٢]

و قيل معناه نعظِّمك [٣] بأنْ نحمدَ لكَ كما قال: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ ﴾ [الشورى:٥] وقال ﴿نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ ﴾ أي احمده على آلائه فيكون حمدك له على نعمه تسبيحاً منك له و تنزيهاً حيث أثنيتَ عليه فإن الحمد الثناء و الشكر الذي هو الاعتراف بانفراده فيما يُنعم.

و قال غيرُه سبحان الله معناه براءةُ الله من السُّوء و تنزيه الله من السّوء وقول الأعشى [٤]:

أقول لما جاءني فخرُه   سبحانَ من علقمةَ الفاخرِ

قيل معناه البراءة منه و من فخره، و قيل: معنى البيت سبحان الله من فَخْرِ علقمة أي تنزيها لله من فخر علقمة و ما أتى به من الافتخار على جهة التكبّر عليه لذلك.

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٥٠٤ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٧٦ و الوسيط: ١/ ١١٥ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٩٧

(٢) تفسير الثّعلبي: ١ / ١٧٦

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٥٠٥ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٩٧

(٤) البيت في ديوانه: ص١٤٣ و جامع البيان للطبري: ١ / ٥٠٤

و قيل أصلُ التّسبيح [١] من السَّبَح فكأنّ المسبِّحَ يجري في ثَنائه كما يَسبَحُ السّابحُ في الماء، وكثر لفظُ سبحان في كلامهم حتى استعملوه في كلِّ موضعٍ يتعجّب منه.

وبعضهم حملَ قولَ الأعشى على معنى التعجّب من فخر علقمة و أصلُه ما قلنا.

و معنى قوله: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أي نطهِّرك و ننزِّهك عما لا يليقُ بك من أوصاف النّقص والتّقْدِيس و القُدْس الطّهارة، و البيت المقدّس البيت المطهَّر من الشرك الذي يتطهر من الذنوب فيه، و القدّوس المستحيل عليه صفات النّقص المنزّه عن ذلك[٢]، و القَدَسُ[٣] السّطْل [٤] لأنه يُتطهَّر منه.

وجاء في التفسير: أنّ تقديسَ الملائكة صلاةٌ، و جاءَ نحمدك، و نعظّمك عن مجاهدٍ [٥] وغيره.

و قوله: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ قال ابن عبّاس: يعني من إضمار العزم على المعصية و ما اطَّلَع عليه من كِبْره [٦]، وقال ابن مسعود: ﴿ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ مما يؤلُ إليه أمرُ إبليس. [١]

---

[١] ينظر: الزاهر: ١ / ٥٠ و اللسان: (سبح)

[٢] مفردات القرآن للراغب: ص٣٩٦ و البحر: ١ / ١٤٣

[٣] جاء في لسان العرب: (قيل للسَّطْل القَدَس لأَنه يُتَقَدَّس منه أَي يُتَطَهَّر . و القَدَس، بالتحريك: السَّطْل بلغة أَهل الحجاز لأَنه يتطهر فيه)اهـ. (قدس) : ٦ / ١٦٩

[٤] السطل : الطاسة ، والسيطل الطُسيسة الصغيرةُ يقال إِنه على صفة تَوْرٍ له عُرْوَةٌ كعُرْوةِ المِرْجَل السَّطْلُ مثله : مختار الصحاح ولسان العرب: (سطل).

[٥] تفسير مجاهد: ص١٩٩ ، و جامع البيان للطبري: ١ / ٥٠٦ و ابن أبي حاتم: ص ١١٣ تحقيق د: أحمد الزهراني

[٦] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٠٧ – ٥٠٨

وقــال قتــادة: ﴿ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنــه يكــون مــن أولاد آدم مــن هــو أهــلٌ للطاعة.[٢] و قال الزّجّاج[٣] : معناه أبتلي من تظنُّون أنه مطيعٌ فيؤديه الابتلاء إلى المعصية و من تظنون أنه عاصٍ فيؤديه الابتلاء إلى الطاعة.

و قيل : ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من فضيلةِ آدم عليكم و ما أتعبّدكم[٤] بـه مـن السجود له و أفضِّله به عليكم من تعليم الأسماء.

و قيل ﴿ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من مغفرتي لمعاصيه (٥).

و اختلفوا في قـول الملائكـة : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقـرة: من الآية٣٠] على أي وجهٍ حصل منهم هذا الكلام، فروى الضحاك عـن ابـن عبّـاس[٦] أنـه قال: (كان إبليس من حيٍّ من أحياء الملائكة يقال لهم الجنّ [خُلِقوا من نار الـسَّموم مـن بـين

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٨٧ و ٥٠٨ بلفظ: ﴿ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من شأن إبليس. وتاريخ ابن عساكر: ٧ / ٣٧٧

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٥١٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ٧٩ (٣٣٥) و الـدّر: ١ / ٤٦ و تـاريخ ابـن عساكر: ٧ / ٣٩٩

[٣] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٢

[٤] في الأصل(ل) : تعبدكم. و صوّبتها من سياق الكلام ، و مما في غير هذا التفسير من ذكرٍ لهـذا القـول ينظر: الوسيط: ١ / ١١٦

(٥) وقال مجاهد: (علم من إبليس المعصية و خلقه لها): الطبري: ١/ ٥٠٨ ، ٥٠٩ و ابـن أبي حـاتم: ١/ ٧٩ (٣٣٤).

(٦) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٨٢ و تاريخ الطبري : ١ / ٨٤ و ٩٢ من رواية بشر بـن عـمارة عـن أبي روق عن الضحاك عن ابن عبّاس. و هو سند واه كما تقدّم مراراً ينظر: صـ٢٨٧. و ينظـر: تفسير ابـن كثير: ١/ ١٠٨ .

الملائكة، و كان اسمه الحارث و كان خازناً من خُزَّان الجنّة و خلقت الملائكة كلهم من نور غيرَ هذا الحيّ، و إن الله سبحانه أسكن الأرض قوماً يقال لهم الجنّ] (١) فاقتتلوا و أفسَدوا فيها فبعثَ اللهُ إبليسَ، و من كان معه من هذا الحيِّ من الملائكة إلى الجنّ الذين كانوا في الأرض فقتلهم إبليسُ حتى ألحَقَهم بجزائرِ البُحور و أطراف الجبال.

ثمّ إنّ إبليس أُعجب في نفسه بما صَنَعَه فاطّلع الله تعالى على ما انطوى عليه من الكِبر، فقال للملائكة الذين كانوا معه: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ فقال الملائكة مجيبينَ له: أتجعل فيها من يفسد فيها كما أفسدتَ الجنّ و إنما نحن نسبّح و نقدّس و نفعلُ فقال الله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من كبر إبليس و اغتراره بفعله.

ثم لما ظَهَرَ مِن أَمْرِ إبليسَ ما ظَهَرَ و عَجَزَت هَؤلاءِ الملائكةُ عن الإخبار عن أسماءِ الأشياءِ اعترفوا بالعَجز و أنَّ عَالمِ الغيبِ و الشهادة الله.

و هذا القول عن ابن عبّاس [فيه] (٢)تصريحٌ بأنّ قول الملائكة ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ كان ذلك هفوة منهم و رجماً بالغيب، و أنّ الله أَطلَعهم على مكروهِ ما قالوا (٣) ووفَّقَهُم حتى تابوا مما قالوا بقولهم: سبحانَكَ لا عِلْمَ لنا و غيرَ ذلك.

فعلى هذا التأويلِ الملائكة إنّما قالوا ذلك على نوعٍ من القياسِ لأحوالِ أولادِ آدم على الجنّ الذي كانوا قبلهم.

و روى السُّدِّيّ في خبرٍ ذَكَرَهُ عن أبي مالكٍ و عن أبي صالحٍ عن ابن عبّاس و عن مُرّة عن ابن مسعودٍ وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ (١) :

---

(١) ما بين القوسين ألحقه في هامش النسخة: ل . الأصل. ناسخها ووضع له علامةَ إلحاقٍ و ختمه بـ صح. و هو في تفسير الطبري في سياق هذه القصّة.

(٢) سقطت من الأصل.

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٤٨٦

أنّ الله سبحانه جعل إبليس على السّماء الدّنيا و كان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجنّ سُمّو جنّاً لأنهم كانوا خُزّانَ الجنّة، فوقع في صَدرِ إبليس أنّه ما جُعِل خازناً للجنة إلا لفضيلةٍ له [٢] فقال للملائكة ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ فقالوا ربّنا و ما يكون ذلك الخليفة فقال يكون له أولادٌ وذرِّيةٌ يفسدون في الأرض و يتحاسدون و يقتل بعضهم بعضاً فقالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ الآية فقال : ﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ من شأن إبليس.

فعلى هذه الرواية الملائكة قالوا ذلك لأنّ الله تعالى أعلمهم ذلك، ووَجهُ خَطَأهم [٣] أنهم حَكَموا على جميعهم بالمعاصي، و رأوا من أنفسهم ثقةً فحكموا بطاعتهم، و الله تعالى -و إنْ أخبر أنّ في ذريته من يعمل المعاصي- فلم يكن لهم أنْ يحكموا على جميعهم بالمعصية.

و قال الحسن [٤] و قتادة [٥] : إنّ الله تعالى أخبرَ الملائكة أنّه يريد أنْ يجعل في الأرض خليفةً وإنّ له ذريةً تعملُ بالمعاصي فقالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ عِلْماً منهم بأنه لا

---

[١] أخرجه الطبري في : جامع البيان للطبري: ١ / ٤٨٦ -٤٨٨ و في تاريخه مفرقا: ١ / ٨١ ، ٨٥ و ما بعدها و أخرج كثيرا منه البيهقي في الأسماء و الصفات: رقم (٧٧٣)

[٢] في جامع البيان للطبري: ١ / ٤٨٦ في نسخة: لمزية لي و كذا في تاريخه، و في نسخة من تفسيره : لمزيدٍ لي.

[٣] كتبها وضبطها في الأصل : خِطائِهم. فإن صحّ ضبطه فهو مصدر خَطِإَ لا أخطأ. لأنّ كثيراً من أهل اللغة يخصّون أخطأ بما لم يكن عن عمد، و خَطِأَ بما يفعله الإنسان عمداً . ينظر: في الفرق بين أخطأ وخطأ من جهة اللغة : تهذيب اللغة : ٧ / ٤٩٧ و لسان العرب(خطأ) و درة الغواص للحريري: ص ١١٣ .

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٩٢ – ٤٩٣ و أخرجه مختصرا في: ١ / ٤٧٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٧٧ (٣٢٣) مختصرا.

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٩١ و ابن أبي حاتم: ١ / ٧٨ (٣٢٦)

شيء أبغض إلى الله من القتل بغير حقٍّ و المعصية، و قالوا في أنفسهم لما رأوا جسد آدم ليَخلُق ربنا ما شاءَ فلا يخلق خلقاً أشرفَ منّا لأنا قبل كل أحدٍ و أكثرهم طاعة، ثمّ لما بين الله فضيلة آدم عليهم تابوا .

و قيل لمّا [رأوا] (١) جسد آدم فَزِعُوا منه، و هالهم أمرُهُ فكانوا يطوفون حوله و كان إبليس أشدُّهم رعباً منه فدخل في فيه، و خرج من أسفله، و كان يضرِبُ جسده فيصوّت ويُصلصِلُ (٢)كما يصوّت الفَخّار ثم إنه قال –إبليس – للملائكة إنه أجوف لا تخافوه، وقال في نفسه لئن سلطه الله علي لأعصينّه و لإنْ سلّطني عليه لأهلكنّه.

و قيل إنما شقّ على الملائكة خلقَ الخليفة، لأنهم لّما سكنوا الأرض خَفَّتْ عنهم العبادة لأنّ أهل السّماء الدّنيا أخفّ عبادة من الذين فوقهم و كذلك أهل كلّ سماء فخافوا أن يُردّوا إلى السّماء فيثقُل عليهم العبادة فلهذا شقَّ عليهم خلق آدم وذريته (٣)، فعلى قول هَؤلاءِ الألف في قوله: ﴿أَتَجْعَلُ﴾ ألف إيجابٍ كما قال الشّاعر:

ألستمُّ خيرَ من ركِبَ المطَايَا و أَندى العالمينَ بُطُونَ راحِ (٤)

واختار الزّجّاج (٥) و أبو عبيدة (١) هذا: أن يكون ألِفُه ألفُ إيجابٍ إلا أنّ الزّجّاج قال أيضاً: إنّ تأويل استخبارهم على جهة الاستعلام دون الإنكار كأنهم قالوا :

(١) سقطت من الأصل .

(٢)صَلْصَلَ صَلْصَلَةً صوّت: القاموس المحيط و لسان العرب: (صلصل)

(٣) هذا قول غريب و لا دليل عليه، و فيه نوعٌ من القدح في ملائكة الرحمن الذين لايفترون و لا يسأمون من عبادة الرحمن بأنهم قد طلبوا ما هو أخف عليهم في العبادة فلا يلتفت لمثل هذا إذ لا دليل عليه.

(٤) ديوان جرير: ص٩٧ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٢ و هو مشهورٌ في كثير من الكتب و ممن ذكره من المفسرين : زاد المسير: ١ / ٦٠ و تفسير نجم الدين عمر النّسَفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٧٣) . مخطوط . و غيرهم.

(٥) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٢

إنْ كان هذا كما ظننا فَعَرِّفنا وجه الحكمة فيه.

وقال الزّجّاج: حاكيا عن قومٍ إن معناه أتجعل فيها من يفعل كذا فأنت خلقتهم و من حقهم أن يطيعوا و يسبحوا بحمدك كما نطيعك نحن و نسبّح بحمدك على جهة التعجّب من أحوالهم و عصيانهم بعد ما عرّفهم الله أنهم يعصون.

فالملائكة لم ينكِروا على الله لكنهم تعجبوا من أولاد آدم و ذريته لمّا أخبر الله سبحانه عنهم أنهم يعصونه فقالوا :و هم يفعلون ذلك و أنتَ خالقهم ولا ينبغي لهم ذلك، فقال إني أعلم ما لا تَعلمون أي يكونُ منهم ما تتعجَّبون منه من عصيانهم فأنا أعلم منهم { من } المعاصي ما لا تعلمون.

و قيل معناه أنه لمّا قال: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ قالوا : ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها أو أتجعل فيها من لا يُفسِد كما نطيع نحن على جهة الاستفهام [٢] إلا أنّه حذف قوله: أَوْ تجعل من لا يفسد، لدلالة الحال عليه فقال الله تعالى إني أعلم مالا تعلمون لم يطلعهم على صفة ذرية آدم، و لم يبيّن لهم أنه يريد أنْ يَخلُق من يفسد أو من لا يفسدُ.

و قيل لمّا قال الله سبحانه ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ أشكل على الملائكة أن الخلية ممن يكون فقالوا يا ربّنا أتجعل في الأرض خليفة كما كان بنو الجانّ مفسِدين أم تجعل خليفة من الملائكة فإنا نسبِّح بحمدك فلم يطلعهم على ذلك فقال: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أي أنّ فيهم المطيع و العاصي جميعاً. [٣]

---

[١] مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٣٥ قال : (و الملائكة لم تستفهم ربّها و لكنّ معناها معنى الإيجاب)اهـ.

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٩٨ – ٤٩٩ و فيه: ترجيح أن ذلك استخبارٌ من الملائكة أي استفهامٌ ، و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٩٦ و المحرر: ١/ ١١٧ و زاد المسير: ١ / ٦٠ و البحر: ١ / ١٤١

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٠٠ و المحرر: ١/ ١١٧ و زاد المسير: ١ / ٦٠ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٧٤ والبحر: ١ / ١٤١

و قيل إنهـم استفظَعوا المعـصية و اسـتنكروها [١] فقـال الله ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ لأنكم تستفظِعُون أمراً و تتعجّبون منه، و أنا أعلم أنّ فيكم من يفعله و تستصِغِرون قوماً وأنـا أعلم أني جعلتُ فيهم أنبياءَ و صالحين. [٢]

و قيل معنى الآية إني جاعلٌ في الأرضِ خليفةً يكونُ من ولده مَنْ يـسفِك الـدِّماء و يُفـسِدُ في الأرض، { قالوا } أتجعلُ فيها من يفسِد فيها و يسفِك الدّماء ؟

تصديقاً له و استفهاماً من ربهم لا إنكاراً. و قيل كان هَؤلاءِ [٣] عشرة آلاف ملك فلـمّا قـالوا هذا الخطاب نزل نارٌ من السّماء فأحرقهم عن آخرهم. [٤]

و قيل إنَّ إبليس لم يكنْ من الملائكة و كان من الجنّ الذين فَسَدُوا في الأرض فاسـتوهبه ملَـكٌ من الله، و ارتفع به إلى السّماء فكان يَعبدُ مع الملائكة، و كان أشدّهم عبادة فلمّا خُلق جـسد آدم حسده و أضمر الإباء عليه.

و قيل كان يقول للملائكة لئن أمرتم بطاعة هذا ما كنتم تصنعون فكانوا يقولون نطيع ربنـا و يضمر هو المعصية. [٥] و استدلَّ من قال إنّه لم يكن مـن الملائكـة بقولـه تعـالى: ﴿وَكَانَ مِنَ

---

[١] في الأصل : استنكروه.

[٢] المحرر: ١/ ١١٧ و زاد المسير: ١ / ٦٠ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٧٤ والبحر: ١ / ١٤١ .

[٣] و قع في الأصل(ل) : (قيل هَؤلاءِ كان عشرة) وهو كلام غير مستقيم، لكنّ الناسخ كتب تحـت كـان حرفا صغيرا و هو (م) و تحت (هؤلاء) خ. و أظنه قصد ب(م) أن كلمة : كان هنا مقدّمة و قصد بـ(خ) أن كلمة هؤلاء مؤخرة. و ممكن أن يكون الكلام: كانوا عشرة آلاف ، و على كلٍّ فمعنى الكلام بيّنٌ .

[٤] ذكره ابن المصنف في تفسيره المسمى بالتيسير : ورقة: ٢٢ و قال : (و مثل هذا لا يستبعِده العقل ولكن يتوقّف على النقل الصحيح) اهـ . و قال الآلوسي بعد أن ذكره : (وعندي أنّ ذلك غـير صـحيح) : ١ / ٢٢١ . و ينظر: ما سيأتي: صـ ٥٦٥.

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٨٢ و ٥٣٥ و تفسير ابن كثير: ١/ ١١٠

﴿ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤] أي من جملة الجنّ الذين أُجْلُوا من الأرض، و لأنّ الملائكة لا نسلَ لهم و له نسلٌ قال الجنّ إن إبليس أبو الجنّ كما أنَّ آدم أبو الإنس [١] .

و قيل لمّا نفخ الله الروح في آدم وانتهى إلى وسطه استوى قاعداً فعَطَسَ فألهمه الله تعالى حتى قال الحمد لله، فقال الله تعالى: يرحمُك ربّك يا آدم. [٢]

ورُوِي عن سلمان أنّه قال:

لمّا خلق تعالى آدم بدأ بأعلاه قبل أسفله {قال} [٣] : ياربّ عجّل خلقي قبل الليل فذلك قوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧]. وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً﴾ [الإسراء:١١]. [٤] واختلفوا في آدم لمَ سُمّي آدمَ [٥] فقال

---

[١] ينظر: في قضية إبليس و الاختلاف في كونه من الجنّ أو من الملائكة: جامع البيان للطبري: ١ / ٥٣٥ و الأضداد لابن الأنباري: صـ٣٣٤ و ما بعدها و قد بسط القول في ذلك و الوسيط: ١/ ١٢٠ وتفسير السمعاني: ١/ ٦٥ وتفسير البغوي:١ / ٨١ و زاد المسير: ١/ ٦٥ والتفسير الكبير: ٢ / ١٩٥ – ١٩٧ وتفسير ابن كثير: ١/ ١١٠

[٢] ينظر فيما ورد من ذلك مرفوعا من حديث أبي هريرة و من كلام بعض السلف كعكرمة و سعيد بن جبير: سنن الترمذي: (ح ٣٣٦٨) و مسند أبي يعلى: ١١ / ٤٧٢ و ٥٠٥ و عمل اليوم و الليلة للنسائي: (ح ٢٢٠) و ابن خزيمة: في التوحيد:(١ / ١٦٠ ، ١٦١) والطبري في تاريخه: ١ / ٧٧ وابن حبان: ٨ / ١٥ و العظمة: ٥/ ١٥٦٦ و مستدرك الحاكم: (١ / ٦٤ و ٣٢٥)و حلية الأولياء: ٣ / ٣٣٧ و ٤/ ٢٨٦ عن سعيد بن جبير و السنن الكبرى للبيهقي: ٦ / ٦٣ و الأسماء و الصفات له : (٧٠٨) وتاريخ ابن عساكر: ٧ / ٣٨٥ و ٣٩٣ و فتح الباري: ٦ / ٣٦٤ و مجمع الزوائد: ٨ / ١٩٧ والدّر المنثور: ١ / ١١٨

[٣] سقطت من الأصل .

[٤] مصنف ابن أبي شيبة: ٧ / ٣٦٨ وجامع البيان للطبري: ١٥ / ٤٨ وتاريخ ابن عساكر: ٧ / ٣٨٤

[٥] ينظر: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٥ و الحجة للفارسي: ١/ ٢٦٠ وتفسير الثّعلبي: ١ / ١٨١

ابن عبّاس: سُمّي آدم لأنه خُلق من أديم الأرض [١] ، و قيل لأُدمةٍ كانت فيه ، وقيل كان أبيض اللون وناقةٌ أدماء إذا كانت بيضاء [٢] .

وقيل لمّا بعثَ جبريلَ إلى الأرضِ يأخذُ طينةَ آدم استعاذت الأرضُ بربِّها منه فانصرف فأرسل ميكائِيل فاستعاذَت منه فانصرفَ فأرسلَ ملكَ الموتِ فاستعاذتْ منه فلم يُعِذها وأخذ من كل صُقعٍ، فعجَنَ منها طينة آدم.

فلهذا اختلفت خِلقةُ أولادِه فأمر الله سبحانه حتى قبضُوا من الماء قبضةً من ملحِهِ و عذبه فبُلّ به طينةُ آدمَ عليه السلام، و لهذا تباينوا في الخلق. [٣]

قوله ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ الآية [٣١]. جهةُ تعليمِهِ آدمَ عليه السلام أنْ خلق في قلبه عِلْماً بالأسماء على سبيلِ الابتداءِ من غير نشوء و استمرار عادةٍ فألهمه ابتداءً العلم بالأسماء . [٤] و اختلفوا في الأسماء التي علّمها الله آدم فقال ابن عبّاس [٥] و مجاهد [٦]

وتفسير عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٧٥) ، وزاد المسير: ٢ / ٦٣ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٧٩

[١] ابن سعد في الطبقات: ١ / ٢٦ وجامع البيان للطبري: ١ / ٥١٢ و تاريخ الطبري: ١ / ٩١ و ابن عساكر: ٧ / ٣٨٦ – ٣٨٧

[٢] في هامش الأصل ((ل)) هنا: (الأدمة في الإبل البياض يقال بعير آدم و ناقة أدماء و الجمعُ أُدمٌ) . و ما نقله موجود في كتب اللغة ينظر: لسان العرب: (أدم) و النهاية: ١ / ٣٢

[٣] تاريخ الطبري: ١ / ٦٢ و جامع البيان للطبري: ١ / ٤٨٦ –٤٨٨ و أخرجه كثيرا منه البيهقي في الأسماء و الصفات: رقم (٧٧٣) وتقدّم تخريجه فإنه من خبر السدي الطويل في قصة خلق آدم.

[٤] الوسيط للواحدي: ١/ ١١٦

[٥] جاء عن ابن عبّاس من طرق: جامع البيان للطبري: ١ / ٥١٥ – ٥١٦ و تاريخ الطبري: ١ / ٩٧

[٦] جامع البيان للطبري: ١ / ٥١٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٨٢(٣٥١)

وسعيد بن جبير [١] و قَتَادة [٢] ، و أكثر أهل العلم إنه علّمـه أسـماء جميـع المخلوقـات حتـى القصعة والمِغْرَفة والحمام وغيرُ ذلك.

و بعض أهل التحقيق قال: علّمه الّلغات أجمعَ و علّمه أنّ المسمّيات لماذا يصلح و هذا الـشيء لماذا يصلح و أيش [٣] معناه لأنّ بهذا يتبيّن فضله.

و اللفظ يشهد لهذا حيث قال: ﴿ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ فظاهر اللفظ فيه للعموم. [٤]

و قال الرّبيع بنُ أنسٍ: علّمه أسماءَ الملائكة. [٥]

و قال ابن زيد: علَّمه أسماء ذرّيته. [٦]

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٥١٥ وتاريخ الطبري:١/ ٩٨ والدّر :١/ ٤٩

[٢] نفسير عبدالرزاق:١/ ٢٦٥ وجامع البيان للطبري: ١ / ٥١٦ وتاريخ الطبري:١/ ٩٨

[٣] أيش : اختصار لأي شيء و هي فصيحةٌ و توجد في كلام المتقدِّمين من العلماء كالشافعي و أحمـد وقـد بيّن علماء العربية أصلها و أنها صحيحة لغة، ففي أسرار العربية لأبي البركات ابـن الأنبـاري: ١/ ٢١١ : (حذَفوا بعضَ الكلام تخفيفاً كما قالوا أيشٍ والأصلُ أيّ شيء وقالوا ويلُمّه والأصل ويلُ أمِّه)اهـ. و في الإنصاف في مسائل الخلاف : ١ / ٣٤١ و ٢ / ٥٤١ . : (والحذف لكثرة الاستعمال كثـير في كلامهـم كقولهم أيش في أي شيء ...)اهـ.

[٤] قال ابن كثير: (الصحيح أنه علّمه أسماء الأشياء كلها : ذواتها و أفعالها) اهـ: ١/ ٢٢٦ .
و أما الطبري فاختار أنه علمه أسماء الملائكة و أسـماء ذريتـه، و قـد أبهـم الله الأسـماء مـع عمـوم قولـه: ﴿ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾. فهي تحتمل ما رجّحه الطبري و ما رجّحه ابن كثير . والقـدرة تـشمل ذلـك كلـه. والله أعلم .

[٥] تفسير الطبري: ١ / ٥١٧ و تاريخه: ١/ ٩٩

[٦] جامع البيان للطبري: ١ / ٥١٨ و تاريخ الطبري: ١ / ٩٩

وقوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ يعني ثمّ عرض المسمّيات على الملائكة أو ثم عرض ذوي الأسماء على الملائكة [١] .

و من النّاس من قال فيه دِلالةٌ على أنّ الاسمَ هو المسمّى [٢] لأنّ ظاهر الآية يدلّ على أنه عرض الأسماء على الملائكة، والأقوالُ لا يصحّ عرضها و إنما عرض المسمّيات.

فعلى قول ابن عبّاس و من وافقه معنى قوله ﴿عَرَضَهُم﴾: يعني المسمّيات و كنّي عنها بقوله (هم) لأنّ فيها ما يعقِل من الجنّ و الإنس و الملائكة ، و في قول الرّبيع و ابنِ زيد لا إشكال فيه.

و في قراءة أُبيّ : (ثم عرضها) [٣] و في قراءة عبد الله: (ثمّ عرضهنّ) [٤] و معنى ﴿عَرَضَهُم﴾ إظهارهم للملائكة، و العَرْض في اللغة هو الإظهار ، و منه عَرْض الجارية وعَرْضُ الجند، و أعرض بوجهه أزال و جهه عن جهة ظهوره، و عرّض الكلام حرّفه عن جهة الظهور، و اعترض بين الشيئين أقطعهما بظهوره بينهما ، وعَرِض عرضاً ظهر بخلاف الطّول ، و العرض ظهور الشيء عن قلّة اللُّبْث، و عُرُوض الشّعر مثال يظهر عليه وزنه. [٥]

---

[١] اختلفوا هل عرض على الملائكة أشخاص الأسماء أو عرض عليهم الأسماء دون الأشخاص؟ على قولين: ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٥١٩ – ٥٢٠ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٧٨ و النُّكت والعيون للماوردي: ١ / ٩٩ و المحرر : ١ / ١٢٠ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٨٣ و البحر: ١ / ١٤٦

[٢] تقدّم الكلام مفصّلاً على مسألة الاسم هل هو المسمى عند تفسير البسملة:صـ ٣٠٤.

[٣] ذكرها الفراء: ١ / ٢٩ والطبري: ١ / ٥١٩ و المحرر الوجيز: ١ / ١٢٠ و البحر: ١ / ١٤٦

[٤] معاني القرآن للفراء: ١ / ٢٩ و الطبري: ١ / ٥١٩ و المحرر الوجيز: ١ / ١٢٠ و البحر: ١ / ١٤٦

[٥] ينظر في معاني (عرض): لسان العرب: (عرض) و مفردات الراغب: عرض: صـ٣٣٠

وقوله: ﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي هَؤلاءِ المسمَّين ذكره بلفظ هَؤلاءِ كما ذكره بلفظ ﴿عَرَضَهُمۡ﴾، و هذا أمر تعجيزٍ عرّفهم بذلك عجزهم عن إنبائه عما لا علم لهم.

وقوله: ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ قال ابن عبّاس و ابن مسعود و ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلّم : (إن كنتم صادقين) أنّ بني آدم يُفسدون في الأرض و يسفكون الدماء. [١]

و قال الحسن وقتادة [٢] ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أني لم أجعل خلقاً، و لم أخلق أحداً إلا كنتم أكرمَ منه .

و المعنى في هذا أن المَلائِكة أَخبروا عن شيء لم يُخلَق لهم العلم بذلك، و قالوا شيئاً بظنٍّ منهم و حسبانٍ فخلق الله لآدم العلم بالأسماء دونهم، ثمّ لمّا استخبرهم عن ذلك فتنبّهوا عند ذلك على خطأهم فيما قالوا و علموا أنّ ما لم يُخلق لهم العلم بذلك فإنهم لا يعلمونه و لا يمكنهم الإخبار عنه فعند ذلك تابوا وقالوا:﴿ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ ﴾ [الآية: ٣٢] أي لم نقل ما قلنا في أولادِ آدمَ عن عِلْمٍ و تحقيقٍ.

وقيل معناه ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ وقد كانوا صادقين كقول الناس إن كنتَ [٣] إنساناً فافعل هكذا و إن كنتَ ابني فاعطف عليّ كذلك قال: ﴿ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فأنبئوني فلصدقهم قالوا: ﴿ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ ﴾. [١]

---

[١] جزء من خبر طويل تقدّم بعضه و قد رواه الطبري مختصرا كما هنا في : ١ / ٥٢٣ و بطوله في : ١ / ٤٨٨ و ذكره ابن كثير نقلا عن تفسير السدي به : ١ / ١٠٥

[٢] تقدّم تخريج خبر الحسن وقتادة: و قد كرره الطبري هنا أيضا بسنده: ١ / ٥٢٣

[٣] في الأصل ((ل)) هنا: كنتم.

وقيل معنى قوله ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أي إذ كنتُم، و أنكر الكسائي وغيره هذا التأويل وقالوا لو كان الأمر كذلك لقال أَنْ كنتم صادقين لأنّ (إذ) إذا تقدَّمها فِعلٌ مستقبلٌ صارتْ علّةً و تسبّبا للفعل كما تقول أقوم إذ قمتَ ، معناه: أقوم مِنْ أجلِ أنّك قمتَ.

فمعنى الكلام لو كان إنْ ههنا بمعنى: إذ أنبئوني بأسماء هَؤلاءِ من أجل أنكم صادقون، فلو كان كذلك لكان القراءة: أنْ كنتم بالفتح. [2]

قوله : ﴿ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ الآية سبحان مصدرٌ فلذلك انتصبَ [3] ومعناه نسبّحك تسبيحاً أي تنزيهاً لك و تعظِيماً عن أنْ يعلم الغيب أحدٌ سواك عن ابن عبّاس [4] .

و قيل إنهم قدَّموا الثناء على الله سبحانه على كلام أنفسهم ثم قالوا لا علم لنا إلا ما عَلّمتنا [5] ، و ذلك أنهم لمّا رأوا إخبار آدم بجميع الأسماء و تكلّمه بجميع اللّغات، و عجزَهم عن ذلك اعترفوا بأنْ لا عِلم لأحدٍ إلا بتعليم الله إياه فقالوا لا عِلمَ لنا بشيء إلّا ما علَّمتنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ يعني الذي هو عالمٌ غيرُ معلَّم.

و قيل:﴿ ٱلْعَلِيمِ﴾ لمن شئتَ من خلقك أي معلّمهم .

---

[1] ضعّف الطبري هذا التأويل: ١ / ٥٢٥ و بين وجه ضعفه. و ينظر: النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٠٠ و المحرر: ١/ ١٢١ و البحر: ١/ ١٤٧

[2] هذا كله من قوله : (أي إذ كنتم ...) الخ كلام الطبري، فقد حكى هذا عن بعض أهل التفسير، ثمّ رده بما ذكره المصنّف: جامع البيان للطبري: ١ / ٥٢٦

[3] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٢٨ و الزاهر لابن الأنباري: ١/ ١٤٥ و الوسيط: ١ / ١١٧ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٨٧ و قد تقدّم الكلام على معنى التسبيح قريبا عند قوله ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾.

[4] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٢٨

[5] تفسير نجم الدين عمر النسفي الحنفي التيسير في التفسير: (ورقة ٧٦) والبحر لأبي حيان: ١/ ١٤٨

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ المُحكِمُ لأفعالِك المصيبُ في خلقك الخليفةَ العالمَ بجميعِ الأسماء، لأنَّ الحكيم يجوز أن يكون بمعنى العليم و بمعنى المحكِم لأفعاله.

و قال بعضهم: إنَّ ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ بمعنى الحاكم كخبير بمعنى خابر ،و قدير بمعنى قادر [١] أي يحكم لمن يشاء بما يشاء كما يَشاء.

و قيل إنّ الله تعالى علّم آدم جميع اللغات، ثم إنّ أولادَه تكلّم كلٌّ منهم بلغةٍ أخرى فلـمّا تفرَّقوا في البلاد اُختُصّ كلُّ فرقةٍ منهم بلغةٍ استطابُوها، و لمّا تناسلوا لم يَعرِف الذين حدَثَوا غيرَ اللغة التي نشأوا عليها. [٢]

و قولهم: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ اعترافٌ منهم بالعجز عن عِلْمِ ما لم يُعَلَّموه [٣] ، وقيل: إنما هو تلطُّف في طلب علم ما لم يعلموه، وقيل هو على جهة التَّوبة عمّا قالوا: أتجعلُ فيها من غير علمٍ لهم بذلك فتابوا لما نبَّهَهُم بعجزهم عن أسماءِ الموجودات و عرّفهم أنّ منْ لم يعلَم أسماء الموجودات فهو أجهل بأحكام الغائبات فلا تحكُموا لأنفسكم في عاقبة أموركم بالطاعات فإنه لا علمَ لكم بالعواقبِ.

و الكاف في قوله:﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ في محلّ الخفض بالإضافة.

و قوله : ﴿مَا﴾ في هذه الآية في محلّ الرّفع لأنه مستثنىً من مجحودٍ كقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الصافات:٣٥، محمد:١٩]. [٤]

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٢٩ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٧٨ والوسيط: ١/ ١١٨ و المحرر: ١ / ١٢٣ و البحر: ١/ ١٤٨

[٢] الوسيط: ١ / ١١٦ و البحر: ١/ ١٤٥ و ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٢ / ١٦١

[٣] الوسيط: ١ / ١١٨ و البحر: ١ / ١٤٧

[٤] ينظر: إعراب القرآن لابن النحاس : ١/ ٢١١ و الفريد للهمداني: ١ / ٢٧٠ و البحر: ١ / ١٤٧ و الدّر: ١ / ١٨٣ .

و قيل: لأعرّفنهم جهلهم بعاقبةِ أحوالهم من حيثُ التنبيه على عجزهم عن عِلم أسماء الموجودات ، قال لهم : لا تدّعوا تسبيحَكُم و تقديسَكُم لأنّ ذلك إنّما يُقبلُ بشرطِ سلامةِ العاقبة، و ذلك أمرٌ مغيَّبٌ و ما يُدْريكم كيف أَحكامكُم.

قوله: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم﴾ [الآية:٣٣] أي أخبرهم ﴿بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ يعني المسمّيات التي مضى ذكرها فلمّا أنبأهم أخبرهم بأسمائهم أي بتسمياتهم.

﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ ﴾ قيل في الآية إضمارٌ و معناه: فلما أنبأهم بأسمائهم تحقَّقَ عندهم أنّه يعلم من العواقب ما لا يعلمون فلمّا علموا ذلك قال لهم: ﴿ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

قيل ﴿غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ من أحكامهم و أحوالهم كما قال : ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ [يوسف:٨٢] أي أهلَ القرية، و قيل: ألم أقلْ لكم إنّي أعلم بكلّ كائن و مكوَّنٍ في السموات و الأرض، و الغيب ما غاب عنهم عِلمُهُ[١] .

و قيل أراد به حُكْمُه[٢] : ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ [هود:١١٩، السجدة:١٣].

﴿أَلَم﴾ أصله ((لَمْ)) و هو حرفُ نفيٍ مبنيٌّ على السُّكون وُصِلَ بألفِ الاستفهام فصارَ بمعنى الإيجابِ و ما بعدهُ مجزومٌ و في هذا تنبيهٌ[١] ، و إنْ كان للاستفهام و إيجاب الأمر كما تقول أما ترى هذا اليوم ما أطيبهُ. [٢]

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٣٠ و الوسيط: ١/ ١١٨ و ينظر: ما تقدّم في أول هذه السورة في تفسير قوله تعالى: ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة:٣].

[٢] ينظر: تفسير الشيخ نجم الدين عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٧٧).

و قيل فيه معنى التوبيخ لهم على ما سلفَ من خَطَأهم عن ابن جرير [٣] .

قوله: ﴿أَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ أيْ أعلمُ سرَّكم و علانيتكم لا يخفى عليَّ شيء من أموركم.

وقال ابن عبّاس [٤] : ﴿مَا تُبۡدُونَ﴾ من قولكم ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ من إضمار إبليس الكفر. وعلى هذا التأويل إنما قال ﴿تَكۡتُمُونَ﴾ بلفظ الجمع و إن كان المراد به إبليس كقولهم: قُتِلَ الجيش و هُزِم الجيش [٥] ، و إن كان المقتول بعضهم أو أحدهم و قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات:٤] قيل إنّ الذين نادوا كان رجلاً واحداً من بني تميم [٦] .

وقال الحسن [٧] و قتادة [٨] معناه: ﴿مَا تُبۡدُونَ﴾ من قولكم ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا﴾ و﴿تَكۡتُمُونَ﴾ من قولكم ليخلق ربُّنا ما يشاء فلن يخلقَ خلقاً أكرمَ عليه ولا أطوعَ له منّا.

---

[١] تنبيه لهم لسماع الخطاب : البحر: ١ / ١٥٠

[٢] الوسيط: ١ / ١١٨ و البحر: ١ / ١٥٠

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٣٠

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٨٥ و ٥٣١

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٣٤

[٦] ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٥٣٤ و ٢٤ / ٣٤٦-٣٤٧

[٧] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٣٢ و ٤٩٣ الدّر: ١ / ٥٠

[٨] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٣٣ و ٤٩٣

و قيل: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ من إنكارهم خلقَ {بني } [١] آدمَ لأجلِ أنّهم يفسِدون في الأرض، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من حبّكم المُكْثَ في الأرضِ لأجلِ أنّ العبادة خَفَّت عنهم فيها. [٢]

قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾ الآية [٣٤]. ﴿إِذْ﴾ في موضع نصبٍ بإضمار الذِّكر و معناه اذكروا نعمتي عليكم في أنْ خلقتُ لكم ما في الأرض، و إذ قلتُ للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة ففضَّلتُ أباكم آدم و إذ قلتُ للملائكة اسجدوا فقوله: (إذ) ههنا عطف على إذ الأولى أي و اذكر إذ قال، و لا معنى لقول أبي عبيدة إنها صلةٌ لما ذكرناه قبل [٣] .

و القراءة في : (للملائكة اسجدوا) بكسر التّاءِ في الملائكةِ، و قرأ أبو جعفر[٤] الملائكةُ بضمّ التاء و خطّأه جميع النّحاة لأنّ الملائكةَ في موضعِ خفضٍ و لا يجوز رفع المخفوض. [٥]

---

[١] سقطت من الأصل.

[٢] تقدّم التنبيه على ضعف هذا القول قريباً.

[٣] عند قوله تعالى فيما سبق: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ ..﴾ (البقرة: الآية٣٠)صـ ٥٣٨

[٤] قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع في : المبسوط: ص١٢٩ و روضة أبي علي المالكي: ٢ / ٥٣٠ و غاية الاختصار لأبي العلاء: ٢ / ٤٠٧ و النشر: ٢ / ٢١٠

[٥] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٤ و فيه: (و أبو جعفر من جلة أهل المدينة و أهل الثبت في القراءة إلا أنه غلط في هذا الحرفِ لأنِ الملائكة في موضعِ خفضٍ فلا يجوز أن يُرفع المخفوض و لكنّه شبّه تاء التأنيث بكسر ألف الوصل لأنك إذا ابتدأتَ قلتَ : اُسجدوا و ليس ينبغي أن يُقرأ القرآن بتوهّم غير الصواب)اهـ. و من كلام أئمة النحو في ذلك قول ابن النحاس: ١ / ٢١٢ في إعراب القرآن : (و هذا لحن لا يجوز) اهـ. و في المحتسب لابن جني: ١ / ٧١ : (هذا ضعيف عندنا جداً)اهـ.

و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٨١ : (وهي قراءة ضعيفة جدّا و أجمع النحاة على تغليطه فيها)اهـ. و هكـذا في المحرر: ١/ ١٢٤ و إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري: ١/ ٣٠ والبحر: ١/ ١٥٢ .

قلتُ: و الراجح أنّ لهذه القراءة توجيهات ذكر بعضها الزّجّاج و ابن النحاس و الثعلبي ثمّ الزمخشري و أبو حيان و ابن الجزري و أبو السعود: ١/ ٨٧ و غيرهم و عليه فما دام لها وجهٌ فلتخرّج عليه و لذا قـال الزمخشري: (الكشاف:١/ ١٥٦): (وقرأ أبو جعفر :(للملائكة اسجدوا) بضم التاء للإتباع ولا يجـوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم : الحمدِ لله)اهـ.

يعني أنه أتبع ضم التاء لضمة الجيم في اسجدوا مثل قراءة : (الحمدِ لله) بكسر الدال إتباعا لحركة الـلام، و هذا أحد الوجوه القوية التي خرّجت عليها هذه القراءة. قال أبو حيان: (و إذا كان ذلك في لغة ضعيفة – و قد نقل أنها قراءة أزد شنوءة – فلا ينبغي أن يُخطّأ القارئ بها و لايُغلّط)اهـ.

و قد دافعَ ابن الجزري في النشر: ١ / ٢١٠ عن هذه القراءة وبين أنّ أبا جعفر لم ينفرد بها.

و في زاد المسير: (عامة القراء على كسر التاء من الملائكة وقرأ أبو جعفر والأعمش بضمِّها في الوصل قـال الكسائي هي لغة أزدشنوءة)اهـ. ١ / ٦٤ و قراءة الأعمش ذكرها أيـضا ابـن الجـزري في النـشر وأبـو جعفر نفسه عنه اختلافٌ في هذه القراءة بينه ابن الجزري و قبله أبو العلاء الهمذاني في غاية الاختصار ٢ / ٤٠٧.

وقال الطاهر ابن عاشور: (وإنما حملوا عليه هذه الحملة لأن قراءته معدودة في القراءات المتواترة فما كـان يحسن فيها مثل هذا الشّذوذ وإن كان شذوذا في وجوه الأداء لا يخالفُ رسم المصحف)اهـ.

التحرير: ١/ ٢٤١ و ينظر: ترجمة أبي جعفر و ثناء الأئمة عليه في: الجـرح و التعـديل: ٩ / ٢٨٥ و سـير النبلاء: ٥ / ٢٨٧ و معرفة القراء الكبار: ١ / ١٧٢ و في معرفة القـراء: ١ / ١٧٧ ذكـرُ الاخـتلاف في قراءة أبي جعفر –و هي من العشرة– هل هي من القراءات الشاذة أو المتواترة وصوّب الذهبي– و هو من العلماء بالقراءات المسندين لها مع كونه من حفاظ الحديث العارفين بالأسـانيد– أنهـا ليـست بـشاذة ولا متواترة بل هي من نقل العدل عن العدل و أنها متلقّاة بالقبول. و الخلاف في قـراءة أبي جعفـر دائـر عـلى الصواب بين كونها من المتواتر و بين كونها من قراءات الأئمة العـدول القريبـة مـن شرط التـواتر وبـسط الكلام في إسناد قراءة أبي جعفر يُخرِج عن المقصود. و الخلاصة أنّ قراءته صحيحة سنداً، ولهـذه القـراءة المروية عنه توجيه صحيح في اللغة .

قوله: ﴿ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ على جهة التّكريم لـه فكـانَ سُـجُودُهُم تكـريماً لآدمَ و طاعـةً لله سبحانه ولم تكن عبادةً لآدم، و في أمره سبحانه إيّاهم بالسّجُودِ لآدمَ فضيلةٌ لآدم عليه الـسلام و خـــصوصيّةٌ. و بعـــض النـــاس قـــال كـــان آدم قبلـــةً لهـــم في الـــسجود و ذلـــك لا يَصِحّ [١]لأنّه لو كانَ كذلِكَ لقـال(اسـجدوا إلى آدم)، و لم يقـل: ﴿ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ فلـمّا قال: ﴿ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾دلَّ على أن ذلك السجود كان له كما قال في إخوة يوسـف و خـرّوا له سجّداً.

و بعضُ النّاس قال: أمرهم بأنْ يسجدوا له سجود تحيّةٍ و ذلك غير بعيدٍ.

و السجود في اللغة هو الخضوعُ و منه السجّد مـن النّـساء للفـاتراتِ الأعـين لأنهـنّ يُطـرِقن إطراق الخاضِعِ و سجد يسجُد إذا وَضعَ جبهته على الأرض، و أَسجدَ يسجُدُ إذا خفضَ رأسه من غيرِ وضعٍ لجبهته على الأرضِ لأنّه يخضَعُ بذلك لصاحبِهِ.

وقال بعض النّاس: إنّما أَمَرَ الملائكة بأنْ يكونوا تحـتَ يـدِ آدمَ و تحـتَ أمـرِهِ أي اخـضَعُوا لـه وكونوا تحتَ أمره، فانقادوا إلى إبليس[٢]. و نُصِب قولـه:﴿لِأٓدَمَ ﴾ وحقّـه الخفـض لأنّـه لا ينصرفُ لأنه على وزن أفعل [٣] .

واختلفوا في المَلائِكة الذين أُمِرُوا بالسجود لآدم مَنْ هم ؟

---

[١] ينظـر معـاني القـرآن للزّجـاج: ١ / ١٠٥ و الزاهـر لابـن الأنبـاري: ١ / ١٤٢ و النُّكـت والعيـون للماوردي: ١/ ١٠٢ والوسيط للواحدي: ١ / ١١٩ – ١٢٠ و الـوجيز للواحـدي: ١/ ١٠٠ وتفـسير الـسَّمعاني: ١ / ٦٧ و تفـسير البغـوي: ١ / ٨١ والمحـرر: ١ / ١٢٤ و زاد المـسير: ١/ ٦٤ تفـسير القرطبي: ١ / ٢٩١ – ٢٩٢ و البحر: ١/ ١٥٢ و تفسير ابن كثير: ١ / ١١٢ .

[٢] هذا مخالف لظاهر النّص بأنهم أُمِروا بالسجود لآدم فسجدوا، و مع هذا فلا دليل عليه، ثمّ لا ضرورة تلجأ إليه.

[٣] ينظر مثلا: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٥ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢١٢

فقال بعضهم: هم الذين كانوا مع إبليس في الأرض. و قال بعضهم: هم جميع الملائكة حتى جبريلَ و ميكائيلَ لأنّ الله تعالى قال فسجَدَ الملائكة كلُّهم أجمعون.

و في هذا تأكيد للعموم و تحقيقٌ له.[١] و في روايةٍ عن ابن عبّاس: أنّ الله خلق صِنفا من الملائكة و قال لهم إني خالق بشراً من طينٍ فإذا سوّيته فاسجدوا له، فأبوا فبعثَ الله ناراً فأحرقَهُم ثمّ خَلَقَ صِنفا آخرَ فقالوا مثلَ ذلك فأحرَقَهُم ثم خلق صنفاً ثالثاً فهم الذين سجدوا[٢].

و كان إبليس من جملة الذين أبوا. و قال بعضهم: كان سجود المَلائِكة إشارة برؤوسهم كما يفعلُ الأعاجم؛ و الرواية تُكذّب هذا التّأويل، و كذلك اللغة لأنه كان يجب حينئذ أنْ {لا }يقال[٣] فاسجدوا.

و قوله : ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ اسمٌ أعجميٌ لا ينصرِفُ[٤]. و قال: بعضهم[١] إنه إفعيل من الإبلاس و هو الإياس من الخير و النّدم و الحزن، و إنّما سمّي إبليسُ لمّا أبلس من

---

[١] قال السمعاني في تفسيره:١ / ٦٦ (وهو الأصح)اهـ.

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٤١ من طريق : أبي عاصم عن شريك عن رجلٍ عن عكرمة عن ابن عبّاس. وفي سنده رجلٌ لم يُسمّ ولذا قال ابن كثير في تفسيره:١/ ١١١ (هذا غريب، ولا يكاد يصحّ إسناده فإنّ فيه رجلا مبهما، ومثله لا يُحتجّ به) اهـ. وقال ابن عطية : (و الإسناد في مثل هذا غير وثيق)اهـ. المحرر: ١/ ١٢٦ وأخرجه الطبري في تاريخه : ١/ ٨٧ عن محمد بن سنان عن أبي عاصم عن شبيب (بن بكر)عن عكرمة عن ابن عبّاس. ومن هذه الطريق أخرجه ابن الأنباري في الأضداد ص ٣٣٥ – ٣٣٦ و ينظر: ما تقدّم صـ ٥٥١

[٣] كان في الأصل هنا: يقال و صواب العبارة من جهة المعنى : أنْ لا يقال.

[٤] مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١ / ٣٨ وجامع البيان للطبري: ١ / ٥٤٣ - ٥٤٤ و الوسيط: ١/ ١٢٠ و المشكل لمكي: ١/ ٣٧ و أمالي ابن الشجري: ٣ / ١٦٧ و لسان العرب: (بلس) وزاد المسير ١/ ٦٥ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٩٥ و الدّر المصون: ١ / ١٨٧.

رحمة الله قال الله تعالى في صفة الكفّار : ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام:٤٤] يعني آيسون من الخير و أفعل فهو إفعيلٌ يجوز في اللغة كقولهم أجفل (٢) الظَّليمُ فهو إجفيلٌ، ويقال سيفٌ إصليتٌ (٣) أي ماضٍ، و ثوبٌ إضريج (٤) أي مشبع الصّبغ إلا أنّ إبليس لا ينصرف.

و هذا يقوّي قول من قال إنه أعجميٌ لأنّ ما كان من العربية على وزن إفعيلٍ فإنه ينصرف، قال ابن جرير: إنما مُنِعَ صرْفُهُ و إن كان عربياً لأنه لما قلّ نظيره في كلام العرب شبّهوه بالأسماء الأعجمية كإسحاق لم ينصرف، و هو من أسحقه الله أي أبعده و أيّوب فيعولٌ من آبَ يؤب نظير قيّوم من قام يقوم (٥) إلا أنّ هذا الذي قال ابن جرير يَبطُلُ بما ذكرنا من كلامهم مما هو على وزن إفعيل و قد صَرَفُوه (٦) واختلفوا في إبليس هل كان من المَلائِكة أم لا ؟. (٧)

فمنهم من قال: إنه كان من المَلائِكة و كان هذا استثناءً من جنس المستثنى منه، و أنّ الله سبحانه أمره بالسجود لآدم كما أمر المَلائِكة، و كان داخلاً في جملة الملائكة في باب الأمر وهذا

---

(١) العين للخليل: ٧/ ١٠٥ (صلت) و المشكل لمكي: ١/ ٣٧ و أمالي ابن الشجري: ٣ / ١٦٧.

(٢) في لسان العرب: جَفَلَت الإبل جُفُولاً إذا شَرَدَت نادَّة، و جَفَلَت النَّعامةُ . و الإِجْفِيل: الجَبان . وظليم إِجْفِيل: يَهْرُب من كل شيء. (جفل). و الظليم ذكر النعام.

(٣)العين للخليل: ٧/ ١٠٥ (صلت) وفي لسان العرب: سيفٌ صَلْتٌ، و مُنْصَلِتٌ، و إِصْلِيتٌ: مُنْجَرِدٌ، ماضٍ في الضَّريبة و فيه: و سيف إِصْلِيتٌ أَي صقِيلٌ، ويجوز أَن يكون في مَعْنى مُصْلَتٍ. (مادة: صلت)

(٤) في لسان العرب: ضَرَّجْت الثوب تَضْريجاً إِذا صَبَغْته بالحمرة، و فيه: الإِضْريجُ الخَزُّ الأَحمر. والإِضْرِيجُ: ضرب من الأَكسية أَصفر . (ضرج)

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ٥٤٤ و ينظر: أمالي ابن الشجري: ٣/ ١٦٧

(٦) فَعَلى هذا ليس بمشتقٍّ و المانع من صرفه علة العلمية و العجمة.

(٧) مضى ذكر المصنف للخلاف في إبليس: قريباً صـ ٥٥١.

قـــــول ابـــــن عبّـــــاس وابـــــن مـــــسعودٍ و نـــــاس مـــــن الـــــصحابة [١] [٢] و الضحاك [٣] و سعيد بن المسيّب [٤] وقتادة [٥] و إليه ذهب ابن جَرِير [٦] .

و قوله : ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الكهف:٥٠] أي الملائكة لأنّ الملائكة اجتَنّـوا عـن الأبـصار أيضا كما استتر الجنّ عن الأبصار و الجنّ سُمّوا جنّاً لاجتنانهم عن الأبصار فمـن شـاركهم في الاجتنان فهو أيضا جنٌّ [٧] .

و قيل ﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ أي كان ضالاًّ كما أنّ الجن كانوا ضالين عن الزّجّاج. [٨]

قال [٩] :وقوله : ﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ ﴾ [الأعراف:١٢، ص:٧٦] وأنه خلقه من مارجٍ من نار السّموم لا يمنعُ أن يكون مَلَكاً لأنه يجوز أنْ يخلق بعض الملائكة من النـار، وبعـضهم مـن الماء، و بعضهم مما يشاء.

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٣٧ و ٤٨٦

[٢] في الأصل ((ل)) هنا: ابن جرير مكرراً. خطأً و سيأتي ذكر ابن جرير .

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٣٥

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٣٨ والطبري في تاريخه: ١/ ٨٦ والدّر: ١/ ٥٠، ٤/ ٢٢٧

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٣٨

[٦] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٤٢

[٧] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٣٩ و الأضداد : ص٣٣٤ و لسان العرب: (جنن)

[٨] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٦ و الأضداد: صـ ٣٣٨

[٩] هذا كلام الطبري: ١ / ٥٤٢

و قال قومٌ إنه لم يكن من الملائكة و إنّه كان أَبا الجنّ و إنّ هذا استثناء منقطِعٌ لِما قال : ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمًا ﴾ [مريم:٦٢] وقوله: ﴿ فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٧٧] وغير ذلك .

و هذا مذهب الحسن [١] و شَهْر بن حوشبٍ [٢] وابن زيد [٣] .

و قال سعد بن مسعود :(إنّ إبليس سُبِيَ من الجنّ حين اقتتلوا فقاتلهم الملائكة، و كان صغيراً فتربّى بين الملائكة) [٤] .

و إلى هذا القول ذهب الحُسين بن الفَضل (٥) و إليه ذهبت القدرية أيضاً [٦] .

و قوله: ﴿أَبَىٰ﴾ قيل امتنعَ و الإباءُ في الّلغة هو الامتناعُ .

و قوله : ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ أي تعظّم [٧] عن الانقياد و تكبّر على الله بقوله: ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ [الاعراف:١٢] وقال بعضُهم : إنّ لقوله ﴿أَبَىٰ﴾ فائدةً أخرى و معناه أبى السجودَ

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٣٩ – ٥٤٠ و الأضداد: ص٥٤٠ .

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٤٠ و تاريخ الطبري: ١ / ٨٧ و الدّر: ٤ / ٢٢٧

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٤٠ و تفسير ابن كثير: ١ / ١١٠

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٤٠ – ٥٤١ و تاريخ الطبري: ١ / ٨٧

(٥) لم أقف على من نسبه إليه.

(٦) هو مذهب المعتزلة القدرية ينظر: التفسير الكبير للرازي: ١ / ١٩٥

[٧] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٤٤

بقلبه [١] واستكبرَ بظاهِرِهِ فالإباءُ كراهةُ القَلْب، فكأنّ إبليس كَرِه السُّجود بقلبه و امتنعَ عنه بظَاهِرِه فلهذا قال : ﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾.

و قال بعضهم: لا يجوز أنْ يكونَ الإباءُ بمعنى الكراهة و إنما هو الامتناعُ فمعناهُ امتنع من السُّجود و استكبر قاله على جهة التأكيد. و التحقيق أنّ ذلك الإباءَ كان استكباراً و ترفّعاً.

وقوله: ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قال: بعضُهم صار من الكافرين [٢]، و قيل كان في وقت إبائه من الكافرين، و قيل كان من جملة الكافرين يعني أولئك الجنّ الذين كانوا قبله على مذهب من يقول إنّه كان منهم، و قيل كان في سابق علمي من الكافرين [٣].

قوله: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ الآية [٣٥].

جاء في التفسيرِ أنَّ الله تعالى لما لعَنَ إبليس بإبائِهِ واستكبارِهِ عن السُّجود لآدمَ أخرجهُ من الجنّة، وقيل أخرجه من السّماء و أسكنَ آدم الجنّة [٤]. و اختلفوا في أنّ حَوّاء خُلِقَتْ في الجنّة أو قبلَ إِدخال آدمَ الجنّة؟. فقال ابن عبّاس و أبو مالك و ناس من الصحابة [٥] : إنها خُلِقتْ في الجنّة، و قال إنّ الله تعالى لّما ألقى على آدم نوماً وأخرج من ضِلَعِهِ [٥٩ و] القُصَيرَى من

---

[١] لطائف الإشارات للمصنف: ١/ ٥٩

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٤٦ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٨١ و الوسيط: ١ / ١٢٠ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٠٣ و تفسير القرطبي: ١ / ٢٩٧ و البحر: ١ / ١٥٤

[٣] عزاه الثعلبي و الواحدي: إلى أكثر المفسرين: تفسير الثّعلبي: ١ / ١٨١ و الوسيط: ١ / ١٢٠ وعزاه ابن عطية إلى جمهور المتأوّلين. المحرر: ١/ ١٢٦

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٤٧

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٤٧ و ٥٤٨ و ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١ / ٨٥ (٣٧٢) وتاريخ الطبري: ١ / ١٠٣ ، ١٠٤ و الأسماء و الصفات للبيهقي: (٨٢٠) و تاريخ ابن عساكر: ٧ / ٤٠٢

الجانب الأيسر فخُلِقت منها حَوّاء فلمّا انتبه سألتهُ الملائكة على جهة الامتناعِ لعلمِهِ بالأسماءِ ما اسمُ هذه يا آدم؟ فقال حَوّاء لأنها خُلِقَتْ من شيء حيّ .

وقال محمد بن إسحاق: إنها خُلِقَت قبلَ إدخالِ آدمَ الجنّة [١] .

وقوله : ﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [أي اتخذ الجنّة مسكناً و مأوى و قوله :] [٢] ﴿أَنتَ وَزَوۡجُكَ﴾ دخلَتْ ﴿أَنتَ﴾ على جهة التأكيد. [٣]

وقوله: ﴿وَزَوۡجُكَ﴾ يريد به حَوّاء ويقال للمرأة زوجة الرجل و زوجه، و قيل الزوجة أكثر في كلامهم و الزّوج أفصحُ لأنه أخفّ على اللسان، و الحال تدلّ عليه فتغني عن الهاء التي هي علامة التأنيث و هو على لغة أزد شنوءة [٤] .

و في الآية دليلٌ على أنّ الجنّة مخلوقةٌ [٥] ردّاً على الجهميّة، ولا معنى لقولهم: إنّه أسكنه جنةً أخرى غيرَ تلكَ الجنّة التي وُعِد المتّقون بها لأنّ الألفَ والّلام فيه للعهدِ، ولأنّه لما طَلَبَ الخلد فيها عُلِمَ أنها كانتْ على الجنّة التي هي دارُ الخُلْد.

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٤٩ و تاريخ الطبري: ١ / ١٠٤ و ذكره ابن كثير في تفسير: ١ / ١١٢

[٢] ما بين المعكوفتين من هامش الأصل فقد ألحقها هنا و كتب عليها صحّ.

[٣] إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢١٣ و الفريد: ١ / ٢٧٣

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٤٩ و الوسيط: ١ / ١٢١ و تفسير القرطبي: ١ / ٣٠١ ولسان العرب: (زوج) : ٦ / ١٠٨

[٥] ذهب المعتزلة إلى أنّ آدم لم يكن في جنة الخلد، و إنما كان في جنة بأرضٍ عدن و مذهبهم باطلٌ، قال أبو الحسن الأشعري: (قال أهل السنة والاستقامة هما أي الجنة و النار مخلوقتان. وقال كثير من أهل البدع: لم تُخلَقا)اهـ. مقالات الإسلاميين: ص١٦٨ قال النووي: (قالت المعتزلة وطائفة من المبتدعة أيضا وغيرهم إنها – أي الجنة– ليست موجودة وإنما تُوجَدُ بعد البعث في القيامة قالوا والجنة التي أُخرِجَ منها آدم غيرُها، وظواهر القرآن والسنة تدلّ لمذهب أهل الحق).اهـ. شرح النووي على صحيح مسلم: ١٣ / ٣١ و قد نسب فخر الدين الرازي: تفسيره : ٣ / ٤ و أبو حيان في البحر: ١ / ١٥٧ وغيرهما: القول

وابتداءُ الخلق في الجنّة كان جائزاً في وصفِهِ، أو سَبقت بـذلك أرادتُـهُ بخـلافِ قـولِ القدريـة وذلك لتمامِ ملكه على الإطلاقِ ويكونُ جميعُ ما يفعله حسناً منه.

وقوله ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ أي كُلا من الجنّة رزقاً رغداً ، وقيل معناه كُلا من نعيمها رزقاً رَغَداً أي واسعاً هنيئاً. (١)

يقال رغِدَ عيشُه و رَغَدَ رَغَادَةً فهو رَغْدٌ و رَغَدٌ، و رَغِيدٌ و أرْغدَ فلانٌ إذا أصـابَ واسـعاً مـن العيش. (٢)

و جاء في التفسير: رَغَدَاً هنيئاً (٣) عن ابن عبّاس (٤) وابن مـسعودٍ (٥) و قـال مجاهـدٌ (١) : رغـداً لا حِسَابَ عليهم.

بأنّ الجنة كانت في الأرض إلى أبي مسلم الأصفهاني و أبي القاسم البلخي، و نسبه القرطبـي إلى المعتزلـة و القدرية و هو قول الجهمية أيضاً وقد شذّ فيه بعض علماء أهل السنة فقال بقول المعتزلـة قـال ابـن حـزم: (كان القاضي منذِر بن سعيد يذهب إلى أن الجنة والنار مخلوقتان إلا أنه كان يقول إنها ليست التي كان فيها آدمُ عليه السلام)اهـ. الفصل: ٤ / ٦٨ ينظر: في مذهبهم جميعا و الردّ عليهم : التوحيد لابن خزيمة: ٢ / ٨٨١ والتبصير في الدين للإسفراييني: ص٧٦ و تفـسير الثّعلبـي: ١ / ١٨٢ و تفـسير القرطبـي: ١ / ٣٠٢ – ٣٠٣ والبحر: ١ / ١٥٧ و حادي الأرواح لابن القيم: صـ ٣٤ و ٢٥٦ و مفتاح دار السعادة له: ١ / ١٧ وشرح العقيـدة الطحاويـة: ١/ ٤٢٠ . و ينظر مـا سـيذكره المـصنف فـيما يـلي عنـد قولـه:﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ الآية: ٣٦ .

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٥٤٩ و الوسيط: ١/ ١٢١ و تفسير القرطبي: ١ / ٣٠٣

(٢) لسان العرب: رغد، و تفسير العلامة نجم الدين عمـر النـسفي : التيـسير في التفـسير: (ورقـة ٨٠) والبحر : ١ / ١٥٧

(٣) في الأصل ((ل)) هنا: (و). ولا مكان لها.

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ٥٥٠

(٥) جامع البيان للطبري: ١ / ٥٥٠

وقوله: ﴿حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ حيثُ ظرْفٌ من الزّمانِ و المكان مبنيٌّ على الضَمّ[٢]،و اختلفوا لِمَ بُنِيَ على الضَمّ فقال بعضهم: لأنه أشبهَ الغايةَ فبُنِيَ على الضَّمَّة نحوُ قبلُ و بعدُ.

و قال بعضهم: بُنِيَ على الضّمّة لتضمُّنِهِ معنى الجَمعِ كما بَنَوا ((نحنُ))على الضّمّة لهذا المعنى، وقال بعضهم: الأصل فيه حوثُ قُلِبَتْ الواوُ فيه ياءً و ضُمّت الثاء لتدُلّ على ذهابِ الواوِ وانقلابها.

قوله: ﴿ وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ قيل معناه : لا تقرباها بالأكل و إنما عصى آدم بالأكل منها لا بقربانها دون الأكل ، و قيل إنّ النهي عن الأكل كان داخلاً في قوله ﴿لَا تَقۡرَبَا ﴾ فورد النهي عنه بأبلغ لفظٍ يكونُ. [٣]

و قال الحسين بن الفضل: إنّ آدم نُهي عن أكلِ الشجرة فعصى بذَوقِها، و هو يسير الأكل منها ففيه دِلالة على أنَّ الذي نُهي عن شرب المسكِرِ يعصي بشُرب اليسيرِ منه[٤] .

و اختلفوا في الشّجرة التي نُهي عنها آدم فقال ابن عبّاس[٥] و أبو مالك[١] وعطية[٢] ووهب[٣] وقتادة إنها السّنبلة إلا أنّ و هباً قال: (كانت الحَبّة[٤] منها ككُلى البقرة، ألينُ من الزُّبد وأحلى من العسل). وقال ابن مسعود[٥] والسُّدِّيّ[٦] وجعدة بن هبيرة[٧] :

---

[١] تفسير مجاهد: ص٢٠٣ وجامع البيان للطبري: ١ / ٥٥٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ٨٦ (٣٧٤)

[٢] ينظر: في حيث معناها و إعرابها: إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢١٣ و لسان العرب: (حوث) و مغني اللبيب: ١/ ١٧٦ والدّر المصون: ١ / ١٩٠

[٣] الوسيط: ١ / ١٢١ و المحرر: ١/ ١٢٧ و تفسير القرطبي: ١ / ٣٠٤

[٤] هذا النقل عن الحسين بن الفضل البجلي من زوائد فوائدِ هذا التفسير ،و لم أقف عليه في شيء من المطبوع من التفاسير غيره .

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٥٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٨٦ (٣٧٧) من طريق النضر عن عكرمة عن ابن عبّاس به. و النّضر هذا هو ابن عبد الرحمن أبو عمرو الخزَّاز الكوفي يروي عن عِكرمة و هو متروكٌ مجمعٌ على ضعفِهِ. ينظر: التاريخ الأوسط: ٢ / ٨٨ و التاريخ الكبير: ٨ / ٩٠ و الميزان : ٤ / ٢٦٠ و

إنّها الكَرْمُ [٨] وهو إحدى الرّوايات عن ابن عبّاس. وقال ابن جريج [٩] : إنها التّين.
وقال الكلبي: إنها شجرة العِلم [١] . وفي بعض التفاسير إنّها شجرة الأترجّ .

لكن قد رواه الطبري بعد هذه الطريق عن ابن عبّاس من ثلاثة وجوه أخرى وفيها جميعاً ضعفٌ ظاهرٌ ، فاثنان من طُرُقِها من طريقِ رجلين مبهَمين لم يُسمّيا و الأخيرُ من طريقِ الحسنِ بن عُمارة عن المِنهَال بن عَمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس. و الحسن بن عمارة مشهور بالضعف متروك الحديث: طول ترجمته الذهبي في الميزان: ١ / ٥١٣

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٥٢ و تاريخ ابن عساكر: ٧ / ٤٠١

[٢] عطية العوفي: جامع البيان للطبري: ١ / ٥٥٢

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٥٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ٨٦ (٣٧٨)

[٤] في الأصل ((ل)) هنا: الجنة و هو تصحيف ظاهر. و ينظر: تفسير الطبري: ١ / ٥٥٣

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٥٤ - ٥٥٥ و الدّر: ١ / ٥٣

[٦] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٥٥

[٧] طبقات ابن سعد: ١/ ٣٤ من طريق بيان عن الشعبي عنه وجامع البيان للطبري: ١ / ٥٥٥ من طريق مغيرة عن الشعبي عنه و من طريق بيان عن الشعبي عنه و الدّر: ١ / ٥٣ . و أمّا جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي القرشي فقيل له رؤية وصحبة ، و أكثرهم لا يُثبِتُ له صحبةً بل يجعله في كبار التابعين. و قد قيل ولّاه عليٌّ رضي الله عنه خراسانَ، مات في خلافة معاوية، وروى عنه مجاهد و أبو الضُّحى والشعبي: ترجمته في: التاريخ الكبير للبخاري: ٢ / ١ / ٢٣٩ و الجرح و التعديل: ١ / ٥٢٦ والاستيعاب لابن عبد البر: ١ / ٢٤٠ و أسد الغابة: ١ / ٢٨٥ و تهذيب الكمال: ٥ / ٥٦٣

[٨] الكرم: العنب. (القاموس: كرم).

[٩] رواه الطبري عن ابن جُريج عن بعض أصحاب النبي النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم :١/ ٥٥٦ ، ورواه ابن أبي حاتم: ١ / ٨٦ (٣٧٩) من طريق ابن جريج عن مجاهد. و ذكره في الدّر: ١ / ٥٣ عن ابن أبي حاتم؛ و عزاه الواحدي إلى ابن جريج: الوسيط: ١/ ١٢٢ و كذلك فعل السمعاني: ١ / ٦٨ وينظر: النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٠٥

وقال محمد بن جرير [٢] والحسين بن الفضل : إنّ الله سبحانه أخبر أنَّه نهى آدم عن شـجرةٍ مّـا ولم تُنصب لنا دلالة على تعيينها فنحنُ نعلم أنه كان منهيّاً عن أكلِ شجرةٍ مّـا ولـيس علينـا مـن الجهـل بتفصيله شيء .

والشجَرُ في اللغة ماله ساقٌ من النبات والنّجم ما ليس على ساقٍ. [٣]

واختلفوا في كيفية أكل آدم من الشجرة [٤] . فقال بعضهم: إنه نُهيَ عن جنس الشجرة ونُصَّ له عـلى واحدٍ بعينهِ فتأوّل أنّ التحريمَ في واحدةٍ بعينها فأكلَ من جنسِها.

وقال بعضُهم: إنّه نسي الوجوبَ وحمل النّهي فيه على التّنزيه، وإنْ كان في الأمرِ ما يـدلُّ عـلى أنّهُ على التّحريم لاقترانِهِ بِذِكرِ الوَعيدِ في قوله :﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

والقول فيه أنه كان قبل النُّبوة وكان ذلك معصيةً من آدمَ كما قال تعـالى﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه:١٢١] والمعصية تجوز على الأنبياء قبل النُّبوة.

وقوله :﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ فيه قولان [١] أحـدهما: أنـه نُـصِب لأنّ جـوابَ النّهـي بالفـاءِ يكـونُ منـصوباً كقولِــهِ ﴿ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ [طه:٦١].

---

[١] تفسير نجم الدين عمر النسفي ، التيسير في التفسير: (ورقة ٨٠) ، و البحر: ١ / ١٥٨ و يحكى هذا عن ابن عبّاس: المحرر : ١ / ١٢٧ وزاد المسير: ١ / ٦٦

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٥٦

[٣] لسان العرب: (شجر) و جامع البيان للطبري: ١ / ٥٥١

[٤] النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٠٥ – ١٠٦ و تفسير القرطبي: ١ / ٣٠٥ و التفسير الكبير للرازي: ١/ ٥ والبحر:١/ ١٦١ وينظر: ما سيأتي عند قولـه: ﴿ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ﴾ (آيـة ٣٦) فقد كرّر المصنف هذا مع زوائد .

والثاني: أنه جُزِم على العَطفِ على النّهيِ كأنّه قال: (ولا تقربا هذه الشجرة ولا تكونا من الظالمين).

ومعنى قوله ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي من العاصين الذين وَضَعُوا الأمر في غير موضعه والظلم [٢] وَضعُ الشيء في غير موضعه والعاصي ظالم من حيث وَضَعَ أمر الله في غير موضعه و وَضَعَ المعصية موضع الطاعةِ إلا أن الظالم في الإطلاق هو الكافر، وإذا قيل ﴿ ظَالِمٌ لِّنَفۡسِهِۦ ﴾ [الكهف:٣٥، فاطر:٣٢] فذلك فيما دون الكفر وأراد به ههنا من الظالمين لأنفسكما، وقيل ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الباخسين لحُظُوظِكما لأن الظلم بخس الحقّ وانتقاصه [٣].

وقيل إنما قال ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إعلاماً لهما أنه نهي تحريمٍ لا نهي تنزيه [٤].

قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾ الآية [٣٦] قرأ حمزة و حده [٥](فأزالهما الشيطان) بإثبات الألف، وقرأ الباقون (فأزلّهما) بغير ألف.

---

[١] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٦ و جامع البيان للطبري: ١ / ٥٥٧ و البحر: ١ / ١٥٨ و الدّر المصون: ١ / ١٩٢

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٥٩ و الوسيط: ١/ ١٢٢ و اللسان: (ظلم) و زاد المسير: ١ / ٦٧.

[٣] النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٠٥ و تفسير نجم الدين عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة: ٨١) ، و التفسير الكبير للرازي: ٣/ ٦.

[٤] التفسير الكبير للرازي: ٣/ ٥

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٦٠ و السبعة لابن مجاهد: صـ ١٥٣ و الحجّة للفارسي: ١/ ٢٦١ والنشر: ٢ / ٢١١

و معنى أزلّهما [١] من الإزالة و هي التّنْحِيةُ يقال زِلتُ و أزالني غيري، و معناه: نحّاهما الشيطان من الجنّة بدُعَائِهِ إلى المعصية، فأضافَ الفعل إليه لمّا كان عَقِيبَ سببه، و معنى أزلّهما أي استزَلّهما يقال زلَّ و أزلَّه غيرُهُ أي حَمَله على الزّلّة، و معنى قوله ﴿عَنۡهَا﴾ على هذا التأويل أي عليها كأنَّه قال: حملَهُما على الزَّلّة كقول الشاعر [٢] :

لا أُفضِلْتَ في حَسَبٍ عنّي ... ولا أنْتَ دَيّاني فتَخْزُونِي

و يجوز أن يكون ﴿عَنۡهَا﴾ أي عن الجنّة. و القراءةُ الثانية بغير ألفٍ أحسنُ لدخول معنى أَزالهما في قوله : ﴿ فَأَخۡرَجَهُمَا﴾ ولأن القراءة به أكثر [٣] .

و لمّا كان الزّلّة و الخروجُ عَقِيبَ دُعاءِ إبليسَ أَضافَ الفِعلَ إليهِ كما قال: ﴿ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ [المائدة:١١٠] (٤) في صفة عيسى عليه السلام و كما قال في صفة جبريل عليه السلام: ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴾ [مريم:١٩]، وكما قال للنبي ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ

---

[١] ينظر في توجيه القرائتين: جامع البيان للطبري: ١ / ٥٦٠ – ٥٦١ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٦ – ١٠٧ و الحجة للفارسي: ١ / ٢٦١ – ٢٦٤ و الوسيط: ١ / ١٢٢ و زاد المسير: ١/ ٦٧ وتفسير القرطبي: ١ / ٣١١ و البحر: ١/ ١٦٠ و الدّر المصون: ١/ ١٩٢

[٢] البيت من قصيدة مشهورة لذي الأصبع العُدْواني في : المفضّليات للمفضل الضّبي: صـ ١٦٠ و الأمالي لأبي علي القالي: ١ / ٢٥٥ و لسان العرب: (فضل) و (دين) و (عَنَن) و معاني القرآن لابن النحاس: ١/ ٥٠ و المحرر الوجيز: ١/ ٧١ و غيرها.

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٦١ .

(٤) في الأصل: (و إذ تُخرج الموتى و تبرأ الأكمه و الأبرص بإذني) .

﴿صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى:٥٢] والمحيي و الواهبُ و الهادي: اللهُ و لكنْ لَمّا حَصَلَتْ هذه الأفعال عَقيب دعوتهم نُسِب ذلك إليهم.

و الشيطانُ فيعالٌ من شَطَنَ أي بعُدَ كأنّه بعُد عن طاعة الله ، و أمرِهِ ، و بَعُد عن رحمته. و نونه أصلية. [1]

و قوله : ﴿فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ قيل من الطّاعة إلى المعصية، و قيل مما كانا فيه (٦٠ و) من الرّفاهية و لِينِ العَيشِ، و قيل ممّا كانا فيه من الرُّتبة و المنزِلةِ، و قيل ممّا كانا فيه من منازِلِ الجنّة [2].

و اختلفوا في كيفيةِ وُصُولِ وَسوَسةِ إبليسَ إلى آدمَ وحَوّاء فقالَ أكثرُ المفسّرين [3] مثل ابن عبّاس [4] و وَهْب [5] و الرّبيع [6] : إنّ إبليس أُخرِج من الجنّة و إنّه احتالَ أنْ يدخُلَها فلمْ يُمَكَّن من دُخُولها فما زالَ بالحيَة حتى دخل بين لِحْيِيها و مَرّ بالخَزَنة و كانت للحيّة صورةٌ وقوائمُ فأخرجَها الله من الجنّة وسَلَبَ قوائمَها و جَعَلَ أكلَها التُّراب [7].

وقال الحسن[8]: إنما رآهما على بابِ الجنّة لأنّهما كانا يخرجانِ من الجنّة .

---

[1] ينظر: ما تقدّم عند تفسير المصنف للاستعاذة :صـ٢٨٧.

[2] الوسيط: ١/ ١٢٢ و المحرر: ١/ ١٢٩ و الدّر المصون: ١/ ١٩٣

[3] أكثر المفسّرين على أنه أغواهما مشافهة: جامع البيان للطبري: ١ / ٥٦٨ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٠٧ و المحرر: ١/ ١٢٨ و زاد المسير: ١/ ٦٧ و البحر: ١/ ١٦١

[4] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٦٣ و تاريخ الطبري: ١ / ١٠٦ و تاريخ ابن عساكر: ٧ / ٤٠٢

[5] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٦١ و في تاريخه: ١ / ١٠٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٨٧ (٣٨٢) مختصرا

[6] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٦٤ و تاريخه: ١ / ١٠٩

[7] عباراتهم في سرد القصة مختلفة و المصنف لم يقصد سردها، فلذا ذكر معنى الكلام مجمَلاً و هي بألفاظ الرواة عنهم في تفسير الطبري و تاريخه في الموضع السابق.

[8] تفسير البغوي: ١ / ٦٤ و زاد المسير: ١/ ٦٧

وقال بعضهم [١] أوصلَ الله سبحانه و سوسته إلى آدمَ و حَوّاء و هو في الأرضِ و هما في الجنّة لأنّ الله سبحانه قال في صفة الجنّة: إنّ الله حرّمهما على الكافرين.

و بعض القدرية ينكِرُ كونَ آدمَ في الجنّة، و قالوا إنه خُلق من الأرض و كان في الأرض في جنَّة منها، و إنّه عصى في الأرض و فيها وسوس إليه إبليس، و هذا القول باطلٌ بإجماع المفسّرين على خلافه و بقوله : ﴿ ٱهۡبِطُواْ﴾ و الهُبوطُ لا يكون إلا من عُلْوٍ إلى أسفل. [٢]

و اختلفوا في زلّة آدمَ [٣] فقال بعضُهم : إنّه لم يقصِد بِهِ المخالَفَةَ لقولِهِ تعالى : ﴿ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴾ [طه:١١٥] .

وقيلَ اغترَّ بقولِه: ﴿ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف:٢١] ومقاسمتُهُ لهما، وقيل إنّه نُهيَ عن شجرةٍ بعينِها، و كان حُكْمُ النّهيِ عامّاً في جنسِ تلك الشَّجرة فأكلَ من شجرةٍ أُخرى من جنسِ تلك الشّجرة توهّماً بأنّ حكمها غير حكمَ المنهيِّ عنها.

وعن سعيد بن المسيب [٤] : و كان يحلِفُ أنّ آدم لم يأكل و هو يعقِلُ قال إنّ حَوّاء سَقَتْهُ الخمر فلمّا سَكِرَ قادته الخمرُ إلى الأكلِ فأكلَ منها .

و الصحيحُ أنّ ذلك كان قبل النُّبوة و يجوزُ على الأنبياء المعصيةُ قبل النُّبوة، و قد أخبر الله سبحانه عنه أنَّهُ عصى و أنّهُ تابَ فلا بأسَ في إطلاقِ ذلك في وصفِهِ.

---

[١] النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٠٧ و تفسير البغوي: ١ / ٦٤ و زاد المسير: ١/ ٦٧ و البحر: ١/ ١٦١

[٢] ينظر ما تقدّم عند قوله تعالى﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾: [آية: ٣٥] صـ٥٧٠.

[٣] تقدّم ذكر بعض هذا للمصنف عند قوله ﴿ وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ [آية: ٣٥] صـ ٥٧٢

و ينظر: النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٠٥ – ١٠٦ و تفسير العلامة نجم الدين عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٨١ و ٨٢) و قد أطال في ذلك، و زاد المسير: ١/ ٦٨ و تفسير القرطبي: ١ / ٣٠٥ و التفسير الكبير للرازي: ١/ ٥ والبحر:١/ ١٦١ و قد توسع أبو حيان أيضاً في ذلك .

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٦٦ و تاريخ الطبري: ١/ ١١١

وقوله: ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ أي انزلوا و الهُبوط النُّزولُ و هو نقيضُ الارتقاءِ.

واختلفوا في المعنيّ بالأمرِ بعد إجماعهم أنّ آدم و حَوّاء منهم ، فقال أبو صالح [١] إنه: آدم وحَوّاء و الحية.

و قال ابن عبّاس [٢] و مجاهد [٣] و السُّدِّيّ [٤] إنه: آدم و حَوّاء و إبليس.

و قال الزّجّاج [٥] : إن إبليس و إن كان قد أُهبط قبل آدم من الجنّة فإنه جُمع في الخبر للنبي صلَّى الله عليه و سلَّم من ذلك لأنهم أجمعوا في الهبوط و إنْ كان أوقات هبوطهم مختلفة .

وقال بعضُهم [٦] :

إنّهم أُهبِطوا معاً على التّأويل الذي ذكرنا أنّ إبليس دخل الجنّة في فكّي الحية فكأنه أُخرِج أوّلاً ثم لمّا دخل الجنّة ثانياً أُخرجوا منها جميعاً.

و قيل الخطاب[٧] بقوله: ﴿ٱهْبِطُواْ ﴾ لآدم و حَوّاء و ذريتهما الذين كانوا في صلب آدم. ومعنى﴿ٱهْبِطُواْ ﴾ قيل من الجنّة و قيل من الحالة التي كانوا عليها في الرُّتبة.

و قوله:﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يريد به العداوةَ التي بين آدم و الحيّة وبين حَوّاء والحيّة وبين آدم و حَوّاء و إبليس فعداوة إبليس مع آدم و ذرّيته كفرٌ وعداوتهم معه إيمان [١].

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٧٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٩٢ (٤١٦)

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٧٣

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٧٢ و تاريخ ابن عساكر: ٧ / ٤٠٤ و الدّر: ١ / ٥٥

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٧٣

[٥] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٧

[٦] النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٠٧ و المحرر: ١/ ١٢٩ وزاد المسير: ١/ ٦٨ و البحر: ١/ ١٦٢

[٧] البحر لأبي حيان: ١ / ١٦٢

و لا يبعدُ [٢] أن يُقالَ لمّا أكل آدم من الشجرة بأمر حَوّاء ووقعَ ما وقع صـار كالعـداوة بيـنهما أيضا لأنّها كانت سبب الزّلة كـما قـال تعـالى ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ [التغابن:١٤].

و في الخبر عن النّبيّ صلَّى الله عليه و سلَّم أنه قال للحيّة : (ما سالمناهنّ منـذُ حاربنـاهنّ فمَـنْ تركهنّ خشيةَ بَأْسِهِنّ فليس منّا) [٣].

---

[١] جامع البيان للطّبري: ١ / ٥٧٤ و معـاني القـرآن للزّجـاج: ١ / ١٠٧ و التفـسير الكبـير للـرازي: ١/ ١٧

[٢] الذي يظهرُ أنّ هذا الاحتمال بعيدٌ و لم يذكره الطبري و لا ابن أبي حاتم عن أحد من السلف و لم يورده كثير من المفسرين كالثعلبي و الواحدي و الماوردي و السمعاني و البغوي و ابـن عطيـة و ابـن الجـوزي و القرطبي و أبو حيان و غيرهم. و يبعدُ تخصيص العداوة بآدم و حواء فإن قيل فهو عامٌّ يشملهما و ذريـتهما وإبليس و الحية لعموم اللفظ قيل تعميمه في غير آدم مع حوّاء لا مانع منه، لكنّ القول بأنه يـشملهما فـيما بينهما فيه بعدٌ، لفضلهما و عظيم منزلتهما .

[٣] حديث صحيح بمجموع طرقه و شواهده جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه و غيره فأخرجه أحمد : ١٥ / ٣٦٠، ١٦ / ٤٣٣ و أبـــو داود: (ح: ٥٢٤٨ بـــاب في قتـــل الحيـــات) و الحميـــدي (ح ١١٥٦) والطبري في جامع البيان: ١ / ٥٧٤ و الطحاوي في المشكل: (١٣٣٨) و ابـن حبـان : (ح ٥٦٤٤) ١٢/ ٤٦١ في ذِكرِ الزجر عن ترك المَرءِ قتلَ ذي الطُّفَيتين من الحيّات، و ابن عبد البر في التمهيـد: ١٦ / ٢٤ و الاستذكار: ٨ / ٥٢٤ من رواية جماعة من الثقات عن ابن عجلان عـن أبيـه عـن أبي هريـرة، وخالفهم ابن عيينة فرواه عن ابن عجلان عن بُكَيْر بن عبد الله عن عَجْلان عن أبي هريرة كما سيأتي. و سنده حـسن، فمحمـد بـن عجـلان القـرشيّ مـولاهم مـن علـماء المدينـة و نـسّاكها و كـان مفتيا: ت: ١٤٨هـ. (استشهد به البخاري في الصحيح و روى له مسلم و بقية الستة). ووثّقه ابن عيينـة و أحمد وابن معين ويعقوب بن شيبة و أبو حاتم و النسائي و غيرهم، و في حفظه كـلام يـسير لأنـه اختلطـتْ عليه بعض أحاديث أبي هريرة : ترجمته في كتب التراجم المشهورة و منها : تاريخ خليفة : ٤٢٤ و تـاريخ أبي زرعـة الدمـشقي: ص٥١٩ و الجـرح و التعـديل: ٨ / (٢٢٨) و ثقـات ابـن حبـان: ٧ / ٣٨٦ وتهـذيب

وروى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس عن النبي ﷺ : (أنه سئل في قتل الحيّاتِ فقال خُلِقَت هي والإنسان كل واحدٍ منهما عدوّ لصاحبه إنْ رآها أفزعته و إنْ لَدَغَتْهُ أَوجعَتْهُ فاقتلها حيثُ وجدتها) [١] . وروى ابن عَجلان [٢] عن أبيه عن أبي هُريرة عن رسول الله ﷺ أنّه قال : (ما

الكمال: ٢٦ / ١٠١ – ١٠٨ . و أما أبوه عجلان مولى فاطة بنت عتبة القرشية فروى عن زيد بن ثابت و أبي هريرة قال النسائي لا بأس به: تهذيب الكمال: ١٩ / ٥١٦ و تهذيب التهذيب: ٧ / ١٦٢ و ذكره ابن حبان في الثقات: ٥ / ٢٧٧ و في التَّقريب: لا بأس به(٢ / ١٦). و له شواهد سأذكر بعضها. و قد اختُلِفَ على ابن عجلان فيه وبيّن ذلك الدارقطني فقال: يرويه ابن عجلان واختلف عنه فرواه زياد بن سعد ويحيى القطان وأبو عاصم النبيل عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة وخالفهم ابن عيينة فرواه عن ابن عجلان عن بكير بن عبد الله عن عجلان عن أبي هريرة ولعل محمد بن عجلان سمعه عن أبيه واستثبته من بكير بن الأشج)اهـ. العلل: ١١ / ١٣٨ . و سكت عنه المنذري: الترغيب و الترهيب: ٣ / ٣٨١ و رواه الطبراني في الأوسط : (ح ٦٢٢٣) : ٦ / ٢١٥ من طريق عبد الله بن محمد بن عجلان عن ابيه عن جده عن أبي هريرة به مع زيادة ألفاظ قال الهيثمي: (وفيه عبدالله بن محمد بن عجلان وهو ضعيف)اهـ . مجمع الزوائد: ٤ / ٤٧ و من شواهده: حديث ابن عبّاس عند أبي داوود عن موسى بن مسلم قال سمعت عكرمة يرفع الحديث فيما أرى إلى ابن عبّاس (ح٥٢٥٠) ذكره في نفس الباب، و ينظر في شواهده ما رواه أبو داود : عون المعبود: ١٤ / ١٠٩ و ما أشار إليه الترمذي: تحفة الأحوذي: ٥ / ٤٩ ، مع حديث ابن عمر عند الواحدي في الوسيط: ١/ ١٢٣ و مجمع الزوائد: ٣ / ٤٧. و أمّا أحاديث الأمر بقتل الحيات ففي الصحيحين و غيرها.

[١] في إسناده ضعفٌ فقد رواه أبو داود الطيالسي في مسنده(٢٧٤١) والطبري في جامع البيان: ١ / ٥٧٥ والطبراني في الأوسط: (٤٩٩٧) و الذهبي في سير النبلاء: ١٠ / ٣٣٨ كلهم من طريق جابر عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس به. قال الذهبي بعد روايته له. (جابر الجعفي واهٍ) اهـ. و جابر بن يزيد الجعفي شيعي فيه خلاف مشهور و الراجح أنه ضعيف ينظر: ترجمته في الميزان: ١/ ٣٧٩

[٢] ينظر ترجمته و ترجمة أبيه عجلان في الصفحة الماضية: صـ ٥٨٣ .

سالمنهنَّ منذُ حاربنَهن فمَنْ تَرَكَ شيئاً منهنَّ خِيفةً فليس منّـا) [١] . و إنـما أرادَ النّبـي ﷺ بالمحاربـة قصّةَ آدمَ وإدخالَهُ إبليسَ الجنّة [٢] .

و جاء في التفسير أنّ آدمَ لمّا أكلَ من الشجرة بَدَتْ لهما سَواءتُهما و كانَ قبـل ذلـك جِلْـدُهُ مثـلُ الظُّفر [٣] ، و كان يمُرّ و كلّ شجرةٍ تأخذُ برأسِه فيقولُ لها ما هذا ؟ فتقول لـهُ هـذا جـزاءُ مـن يعصي الله في جِوَارِهِ فقال الله تعالى: يا آدمُ ألمْ أسكِنْكَ الجنّة أَلَمْ أَلَمْ قال بـلى يـا ربِّ و لكنِّـي مـا ظننتُ أنّ أحداً يحلِفُ بكَ كَذِباً [٤] فقال: وعِزّتي و جلالي لأُهبِطنّكَ إلى الأرضِ ثمّ لا تعالجُ و لا تنالُ العيشُ إلا كَدّاً [٥].

وقيل انطلقَ آدمُ مولّيا فأَخذتْ شجرةٌ برأسه، فناداهُ ربُّه يا آدمُ أمنّي تفرّ فقال:[٦] لا بل من خطيئتـي . و قال الله تعالى لحَوّاء أنتِ غررتِ عبدي فاذهبي فإنك لا تحملين إلا كَرْهـاً و لا تـضعين إلا كَرْهـاً [١] .

---

[١] لستُ أدري لم كَرَّره المصنف إن لم يكن الخطأ من الناسخ ؟. ينظر: الحديث الماضي قريباً (ما سالمناهن منذ حاربناهنّ) الخ.

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٧٥ و التمهيد: ١٦ / ٢٤

[٣] ينظر: جامع البيان للطبري:١٠ / ١١٣ ومستدرك الحاكم : ٢/ ٣٥٠ والدّر المنثـور: ٣ / ٤٣٢ عنـد الآية: ٢٥ من سورة الأعراف.

[٤] في الأصل ((ل)) هنا: كتب فوق كذبا بعد ضبطها بالشكل مجوّدة : كتب فوقها : كافراً.

[٥] ينظر إسناد هذه الأخبار في :جامع البيان للطبري:١٠ / ١١٢ و الدّر: ١ / ٥٣ و تاريخ ابن عساكر: ٧ / ٤٠٣

[٦] ينظر إسناد هذه الأخبار في :جامع البيان للطبري: ١ / ٥٦٥ و ١٠ / ١١١ و ١١٣ ابن أبي حـاتم: ١ / ٨٧ و ٥ / ١٤٥١ ، ١٤٥٣ و ٥ / ١٤٥٣ تـاريخ الطـبري: ١ / ١١١ و الحـاكم: ٢ / ٢٦٢ و ابـن عساكر: ٧ / ٤٠٤ و ٤٠٥ و تفسير ابن كثير : ٣ / ٣٩٣ و الدّر: ٣ / ٧٥ .

قوله: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ﴾ المستقَرّ موضعُ القَرَارِ قيل مثل قوله : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا ﴾ [غافر:٦٤] يريدُ به استقرارُهُم عليها حالَ كونِهِم فيها، و قيل أراد به استقرارَهم في القبور فيها عن السُّدِّيّ [٢] و الّلفظُ عامٌّ.

قوله : ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ المتاعُ ما يُستمتَعُ به من رِياشٍ أو زينةٍ أو لذّةٍ أو عُمرٍ أو غير ذلك، وقد جعل الله سبحانه حياةَ كلّ حيٍّ متاعاً له يستمتعُ بها أيّام حياتِهِ، و جعل الأَرض له متاعاً بقرارِهِ عليها و اغتذائِهِ بما يخرجُ من ثِمارِها و أقواتها [٣] .

قوله ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ الحينُ اسمٌ يقعُ على زمانٍ مجهولٍ يتناوَلُ القليلَ و الكثيرَ و جاء في التفسير أنه أراد به إلى حينِ الموتِ و قيل أرادَ به إلى قيام الساعة وقيل إلى أجلٍ [٤] .

و إنما قال ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ تعريفاً لهم أنّ الدّنيا دارُ زوالٍ لئلاّ يكسَلُوا عن الطّاعة و ليَجِدّوا في العبادة، و قيل أفادهم بهذا أنّ العناء الذي يلحَقُهم منقطعٌ، و أنّه ليس بمؤبّد و أنكم ترجعون وقتاً إلى الجنّة يعني آدم و المؤمنين من ذرّيته.

قوله : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ﴾ الآية [٣٧] ومعنى تلقّى [١] قبِلَه و أصله التّفعُّل من الّلقاء كما يتلقّى الرجلُ الرّجلَ يستقبله عند قدومه من غيبةٍ أو سفرٍ فكذلك قوله ﴿فَتَلَقَّىٰٓ

---

[١] ينظر إسناد هذه الأخبار في :جامع البيان للطبري: ١ / ٥٦٢ و ٥٦٣ و ٥٦٦ و أيضا في: ١٠ / ١١٥ و الوسيط للواحدي: ١ / ١٢٣

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٧٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ٥ / ١٤٥٥ عقب الأثر: (٨٣٢١)

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٧٨ –٥٧٩

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٧٧ – ٥٧٨ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٠٨ و الوسيط: ١ / ١٢٤ و المحرر: ١/ ١٢٩ و زاد المسير: ١/ ٦٩

ﺀَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ﴾ كأنه استقبلته الكلـمات فتلقّاهـا بـالقبول، و ذلـك أنّ الله تعـالى أوحى إليه بهذه الكلمات و أخبره بأنها كلـماتُ التوبـة فمعنـاه إذاً : لقّـن الله آدمَ كلـماتِ توبـةٍ فتلقّاها آدم من ربه بحسنِ القبول فحَصَل تائباً فقبل الله سبحانه توبته، و رجع لـه إلى وصـفِ الرّضا.

و في الحديث أنّ رسول الله ﷺ كان يتلقّى الوحيَ من جبريل.[٢] أي يتقبّله و يأخذه.

و أمّا قراءة ابن كثير[٣] فصحيحةٌ لأن ما لَقِيتَه فقد لَقِيَك و ما تلقّاك فقـد تَلَقَّيتَـه فكأنـه قـال الكلمات تلقّت آدمَ فقبلها (٤) آدم[٥] .

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٧٩ و الوسيط: ١ / ١٢٤ و التفسير الكبير للـرازي: ١/ ١٩ و لـسان العرب: (لقي) و البحر لأبي حيان: ١ / ١٦٥ .

[٢]أما خصوص لفظ التلقّي: ففي حديث ابن عبّاس: أنّ أبيّا قال لعمر: (يا أمـير المؤمنين إنّي تلقيـت القرآن ممن تلقاه من جبريل عليه السلام). رواه: أحمد في المسند: ٥/ ١١٣ و الفتح الربـاني: ٢٢ / ١٩٨ والحاكم في المستدرك في كتاب التفسير: ٢ / ٢٢٥ و تاريخ ابن عساكر: ٧ / ٣٢٤ والضياء في الأحاديـث المختارة: ٣ / ٤١٥ و أما تلقّي النبي صلَّى الله عليه وسلَّم الوحي من جبريل فثابت معناه في الـصحيحين و منه حديث عائشة في الصحيحين : (و أحيانا يتمثل لي الملك رجـلا فيكلّمنـي فـأعي مـا يقـول) ينظـر: صحيح البخاري في بدأ الوحي باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله صـلى الله عليـه و سـلّم رقـم (٢) و مسلم في الفضائل باب : طيب عرق النبي صـلى الله عليـه و سـلّم في الـبرد و حـين يأتيـه الـوحي رقـم: ٢٣٣٣وينظر: شرح ابن بطال لصحيح البخاري: ١ / ٣٣ وفتح الباري: ١/ ٣٠ وتفسير ابن كثير: ٤ / ١٠٧.

[٣] قرأ ابن كثير برفع الكلـمات و نـصب آدم، عكـس قـراءة الجمهـور: الـسبعة لابـن مجاهـد: صــ ١٥٣ والتذكرة لأبي طاهر بن غلبون : ٢ / ٣١٢ و الكشف لمكي: ١ / ٢٣٧ و النشر: ٢ / ٢١١

(٤) في الأصل: فقبله آدم.

(٥) جامع البيان للطـبري: ١ / ٥٨٠ و الحجـة للفـارسي: ١/ ٢٦٨ – ٢٧٨ وتفـسير الثّعلبـي: ١ / ١٨٣ والوسيط: ١/ ١٢٥ والمحرر: ١/ ١٣٠ و البحر لأبي حيان: ١ / ١٦٥

و قال بعض الناس [١] تلقّى بمعنى تلقَّن [٢] أي تلقّن آدمُ من ربه كلماتٍ، و تعلّمها منه بأن علّمه يقال لقَّيتُهُ فتلقَّى أي لقّنته فتلقّنَ كما يقال تظَنَّيتُ و أصله تظنَّنْتُ [٣].

و اختلفوا في الكلِمات التي أرادها الله سبحانه في هذا الموضع فروى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس [٤] أنه قال: (أيْ ربِّ ألمْ تخلُقْني بيدِك ؟ قال: بلى. قال: يا ربِّ ألمْ تنفخْ فيَّ من روحِك قال بلى قال أَلمْ تسكنّي جنَّتَكَ قال: بلى. قال يا ربّ ألمْ تسبِق رحمتَكَ غضبَكَ ؟ قال: بلى. قال أرأيتَ إنْ تُبتُ { و } (٥) أصلَحْتُ أَرَاجِعِي أنت إلى الجنّة قال :بلى قال: فهو قولُهُ ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ﴾. و إلى هذا ذهب السُّدِّيّ [٦] و أبو العالية [٧] و قَتادة [٨]. وقال عُبيدُ بن عُمَير [٩] هو قوله: (يا ربّ خطيئتي التي أخطأتها شيءٌ كتبتَه

---

[١] تفسير الثّعلبي: ١ / ١٨٣ و القرطبي: ١ / ٣٢٣ والبحر: ١/ ١٦٥ و الدّر: ١/ ١٩٥ و ضعفه القرطبي و أبو حيان و السمين الحلبي.

[٢] أي فأبدلت النون ألفا.

[٣] أدب الكاتب لابن قتيبة: ص٣٧٦ و سر صناعة الإعراب لابن جني: ٢ / ٢٨٣

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٨٠ و تاريخه: ١/ ١٣٢ و الشريعة للآجرّي : (٧٥٥ ، ٩١٠) والحاكم: ٢ / ٥٩٤ في كتاب الفضائل في فضائل آدم و قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وسكت الذهبي.و تاريخ ابن عساكر: ٧ / ٤٣٣ و الدّر: ١ / ٥٩

(٥) سقطت من الأصل.

(٦) جامع البيان للطبري: ١ / ٥٨٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٩٠ (٤٠٧) و تاريخ ابن عساكر: ٧ / ٤٣٣

[٧] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٨٢ و الدّر: ١/ ٥٩ زاد الطبري عنه بسنده في آخره: (ومنَ الكلماتِ أيضا: (ربَّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفرْ لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين))اهـ.

[٨] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٨١ و تاريخه: ١ / ١٣٢ و البيهقي في الشعب: (٧١٧٤) و عن قتادة رواية أخرى ستأتي.

[٩] الردُّ على الجهمية للدارمي: ص٧٢ وجامع البيان للطبري: ١ / ٥٨٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ٩١

عليّ قبلَ أَنْ أُخلَق [١] قال: فما كتبتَهُ عليّ فاغفِرْهُ لي). و قال الحسن [٢] و قتادة [٣] و ابنِ زيدٍ [٤] هي قوله:(ربنا إننا ظلمنا أنفسنا و إنْ لم تغفِرْ لنا وترحمْنا لنكوننّ مِنَ الخاسرين) .

وقال: {عبد الرحمن بن } [٥] يزيدِ بنِ معاويةَ : (هي قوله: اللهمّ لا إله إلا أنتَ سبحانك وبحَمدكَ أستغفِرُكَ و أتوبُ إليك فتبْ عليّ إنّك أنتَ التوّاب الرّحيم[٦]).

و قال مجاهد [٧] هي قوله: (اللهمّ لا إله إلا أنتَ سبحانك و بِحَمْدِكَ ربِّ إنّي ظلمتُ نفسي فاغفرْ لي إنّكَ أنتَ خيرُ الغافرينَ، اللهمّ لا إله إلا أنتَ سبحانك و بحمدِك، ربّ إني ظلمت نفسي فارحمني إنّك أنتَ خيرُ الرّاحمين، اللهمّ لا إله إلا أنتَ سبحَانَك و بحمْدِك، ربي إنّي ظلمتُ نفسي فتبْ عليَّ إنّك أنتَ التَّوّاب الرحيم).

و قيل الكلمات : (أنه قال بحق محمد عليك إلا قَبِلتَ توبتي) [٨] لأنّه رأى اسمه عليه السّلام مقروناً باسم الله مكتوباً على ساق العرش. فعلم أنّ له قدراً و جاهاً عنده.

---

(٤٠٩) و قد اختصره المصنف بعض الاختصار.

(١) في الأصل ((ل)) هنا: أخلقك

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٥٨٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٩١ عقب الأثر(٤١٠) و الدّر: ١/ ٥٩

(٣) تفسير عبد الرزاق: ١/ ٤٤ و جامع البيان للطبري: ١ / ٥٨٥ و تاريخ ابن عساكر: ٧ / ٤٣٥ وتقدم عنه من وجه آخر.

(٤) تفسير الطبري: ١/ ٥٨٦ من طريق ابن وهب عنه.

(٥) سقط من الأصل (ل) و استدركته من مصادر التخريج الآتية.

(٦) المصنف لابن أبي شيبة: ١/ ٢٢٧ و جامع البيان للطبري: ١ / ٥٨٤ و البيهقي في الشعب : (٧١٧٥) و ابن عساكر في تاريخه: ٧ / ٤٣٥

(٧) جامع البيان للطبري: ١ / ٥٨٤ و تاريخ الطبري: ١ / ١٣٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٩١ (٤١٠)

(٨) خبر ضعيفٌ جدّاً ذُكِرَ في بحر العلوم للسّمرقندي: ١ / ٧٢ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٨٤ بلا سندٍ و رُوي مرفوعا وهو حديث ضعيفٌ جدّاً : أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: (ح ٦٥٠٢): ٦ / ٣١٣

من طريق: أحمد بن سعيد المدني الفهري حدثنا عبد الله بن إسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا. و قال: (لم يَرْوِ هـذا الحـديثُ عـن زيـد بـن أسلم إلا ابنُه عبد الرّحمن ولا عن ابنِه إلا عبد الله بن إسماعيل المدني ولا يروى عن عمر إلا بهـذا الإسـناد)اهـ. و في المعجم الصغير: (ح ٩٩٢) . (وقال: لا يُرْوَى عن عمر إلا بهذا الإسـناد تفـرَّد بـه أحمـد بـن سعيد) و سيأتي ما فيه فإن أحمد بن سعيد لم يتفرّد به قال الهيثمـي: (رواه الطـبراني في الأوسـط والـصغير وفيه من لم أعرفهم)اهـ. والحاكم: (٢ / ٦١٥) من طريق: عبد الله بن مسلم الفهري حدثنا إسماعيل بن مسلمة أنبأنا عبد الرحمن بن زيد به وقال: (هذا حديث صحيح الإسـناد وهـو أوّل حـديث ذكرتـه لعبـد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب) فتعقبه الذهبي بقوله: (بل موضوع ، و عبد الرحمن واه ، و عبد الله بن مسلم الفهريّ لا أدري من هو)اهـ. و مـن طريقـه البيهقـي في الـدلائل: (٥ / ٤٨٩) و قـال- البيهقي - تفرّد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهـو ضـعيف. وابـن عـساكر مـن طريـق البيهقي: ٧ / ٤٣٧. و ترجمة عبد الله بن مسلم الفهري في: الميزان: ٢/ ٥٠٤ مختصرة و فيها ذكر خبره هذا عند البيهقي و قال خبر باطل. لكنه لم يتفرّد به كما في معجم الطبراني الأوسط والصغير، و لكـن ثبـت أنّ عبد الرحمن بن زيد تفرّد به و هو صاحب التفسير وهو ضعيف. ضعفه أحمد بن حنبل وأبـو زرعـة وأبـو حاتم والنسائى والدارقطنى وغيرهم و ترجمتة قد تقدّمتْ و تقدّم ذكر من ضعّفه: صـ ٢٦٠.

و أخرجه ابن أبي الدنيا في الإشراف في منازل الأشراف: ص١١٤ و ابـن عـساكر: ٧ / ٣٨٦ عـن ابـن مسعود من قوله موقوفا عليه. بـسند فيـه مجهـولين. و ينظـر: الـشريعة للآجـري: ص٤٢٨ . و الحـديث مرفوعا قد حكم عليه صاحب تيسير العزيز الحميد شرح كتـاب التوحيـد الـشيخ: سـليمان بـن عبـد الله ص٢١٠ والشّيخ الألباني السلـسلة الـضعيفة: (ح ٢٥): بالوضـع وينظَـر في طُرُقـه أيـضا ونقـد شـيخ الإسلام له: الفتاوى: ١/ ٢٥٥ و في قاعدة جليلة في التوسل و الوسـيلة: ص٦٩ . ولفـظ الحـديث عنـد الحاكم و البيهقي : (لمّا اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمـد لمـا غفـرتَ لى، قـال: وكيـف عرفت محمداً ؟ قال: لأنك لما خلقتنى بيدك، ونفخت فيّ مِن روحك، رفعتُ رأسـى فرأيـتُ عـلى قـوائمِ العَرش مكتوباً: لا إلا إلا الله محمد رسول الله، فعلمتُ أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلا أحـبّ الخلـق إليـك. قال: صدقتَ يا آدم ؟ ولولا محمد ما خلقتُك)اهــ. و الموقـوف لا يـصح الحكـم عليـه بالوضـع بـل هـو ضعيف جدا و لا يقال فيه موضوعٌ لأنّ الوضع لم يثبت فيه، والمصنف لم يذكُره مرفوعا بل قال قيـل وأمـا السمرقندي و الثعلبي فقالا: قال بعضُهم .

وقيل : هو قوله لآدم حين عطس: يرحمُكَ ربّك (١).

و قوله ﴿ فَتَابَ عَلَيۡهِ ﴾ أي وفّقه الله للتوبة و رزقه التوبة، و قيل قَبِلَ توبته و قيل رجع به إلى حال الطّاعة و قيل رجع له إلى و صفِ الرّضى. ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الرجّاع بالعبيدِ الذين أرادهم عن المعصية إلى الطاعة، وقيل الموفق لمن شاء بالتوبة، و قابل التوبة عنهم الرحيمُ بهم، و لرحمته يتوبُ عليهم و يقبلُ توبتَهُم (٢) .

و إنما قال: ﴿ فَتَابَ عَلَيۡهِ ﴾ ولم يقل : (فتاب عليهما) (٣)على الإيجاز و تغليب المذكّر على المؤنّث و اجتزاءً بدلالة الحال عليه و في القرآن:﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾ [التوبة:٦٢]. و قال: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾ [الجمعة:١١] ولم يقل إليهما، و قيل لمّا أَخبر أنهما قالا ربنا ظلمنا أنفسنا و أخبر عن استوائهما في الذّنب و التّوبةِ وأخبر أنّ توبة أحدِهما مقبولةٌ دلّ على أنّ توبة صاحبِهِ أيضاً مقبولةٌ.

وقيل إنّما قال ذلك لآن آدم { خُصَّ } (٤) بوحي الكلماتِ إليه.

قوله: ﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗا﴾ [الآية: ٣٨] إنما كُرّر الأمر بالهبوط لوجوهٍ منها (١) :

---

(١) تقدّم تخريجه: فقد ذكره المصنف في تفسير: ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة: من الآية٣٠) .

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٥٨٧ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٠٩ – ١١٠ و المحرر: ١ / ١٣١

(٣) النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١١٠ و زاد المسير: ١/ ٧٠ و تفسير القرطبي: ١ / ٣٢٥ و تفسير ابن كثير: ١ / ٨٣

(٤) سقطت من : الأصل و سياق الكلام يقتضيها.

أن يكون الأوّل: هبوطاً من الجنّة إلى السّماء .

و الثاني يكون هبوطا من السّماء إلى الأرض.

و الوجه الثالث : أن يكونَ لتَبيينِ الحالِ التي يقعُ عليها الهبوطُ فالهبوطُ الأوّل في الذِّكرِ على عداوة بعضِهم ببعضٍ، و في الثَّاني: على أنّ من يتّبع الهدى فلا خوفَ عليه، و هذا كما يقال اذهب معافىً، اذهب مصاحباً معافىً .

و الوجه الثالث: أن يكون الأمر بذلك للتَّأكيد فلذلك كُرّر.

وقدْ مضى القول في أنّ المعنيّ بقوله ﴿ٱهۡبِطُوا﴾ من كانوا (٢).

و قوله : ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ أي فإنْ يأتينّكم منّي هداية و بيانٌ فمن تبع هداي فلا خوفٌ عليهم، و أراد بقوله : ﴿هُدًى﴾ أي شريعةٌ و رسولٌ و بيانٌ و دعوة، ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ ﴾ أي قَبِلَ أمري و اتّبعَ ما آمُرُهُ بِهِ فلا خوفَ عليه في الآخرة ولا حَزَن. (٣)

و قيل : ﴿يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى ﴾ أي هدايةٌ يُهتدَى بها فتكونُ الآية ردّا على القدرية حيث أخبر أنّ الهداية تكون من الله .و الهداية إيمان العبد و معرفته.

و قوله ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ أي اهتدى بهداي و أطاعني في أمري فيكون في الآية ردٌّ على الجبرية حيث قال: ﴿تَبِعَ هُدَايَ﴾. (٤) قال الزّجّاج (٥) و إعرابُ(إمّا) في هذا الموضِع

---

(١) الوسيط: ١/ ١٢٦ والمحرر: ١/ ١٣١ و التفسير الكبير للرازي: ٣/ ٢٥ وتفسير القرطبي: ١ / ٣٢٧

(٢) ينظر: صـ ٥٨١.

(٣) الوسيط: ١/ ١٢٦ و تفسير القرطبي: ١ / ٣٢٨ و البحر: ١ / ١٦٨ و ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٥٩١

(٤) ينظر أيضاً : صـ٣٤٨ و ٣٥٨ .

(٥) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٨

إعرابُ حروفُ الشرط و الجزاء إلا أنّ الجزاء إذا جاء في الفعل معها [١] النونُ الثقيلة أو الخفيفة لزِمتها [٢] و إنما تلزمها (ما) لأجل التأكيد، و كذلك دخول النُّون في الشرط لأجل التأكيد. [٣]

فعلى قوله أصل ((إمّا))إنْ التي للشرط أُلحق بها ما التّأكيد و أُلزِمَ النُّون الفعل للتأكيد [٤] فقال ﴿يَأْتِيَنَّكُم﴾ [٥] و جوابُ الشَّرط في قوله ﴿فَإِمَّا﴾ في قوله : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فهذه الجملة جوابٌ للشَّرط في إمّا.

و يجوز أنْ تكون الجملة جواباً للشرط كما تكون الجملة خبر المبتدأ كما تقول زيدٌ أبوه منطلقٌ فزيدٌ مبتدأٌ و أبوه منطلِقٌ خبره و منطلقٌ خبر أبوه، فأبوهُ منطلقٌ مبتدأٌ و خبرٌ جُعِلا جميعاً خبراً

---

[١] في معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٨ (معه).

[٢] في معاني القرآن للزّجاج: لزمتها (ما). و المصنف ربما لخَّص أو اختصر كلام الزّجّاج فيما ينقله عنه.

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٨٨ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢١٦ و البحر لأبي حيان: ١ / ١٦٧ – ١٦٨ و الدّر المصون: ١/ ١٩٧

[٤] قيل إنّ مذهب المبرّد و الزّجّاج أنّه يجب تأكيد الفعل الواقع بعد إنّ الشرطية المؤكَّدة بـ((ما)) ولذلك لم يأت في القرآن إلا عليه، و مذهب كثير من النّحاة أن ذلك جائز لكثرة وروده في الشعر. البحر لأبي حيان: ١ / ١٦٧ – ١٦٨ و الدّر المصون: ١/ ١٩٧ و شرح الأشموني: ٣ / ١٤٢ و قد اعترض السّمين الحلبي على نسبة هذا إلى الزّجّاج و المبرّد وقال: (و ليس في كلامهما ما يدلّ على لزوم النون كما ترى، غاية ما فيه أنهما اشترطا في صحة تأكيده بالنون زيادة ((ما))على ((إنّ)) أمَّا كونُ التأكيد لازماً أو غيرَ لازم فلَمْ يتعرّضا لَهُ) اهـ.

[٥] في الأصل(ل) : هنا (سكون الياء و سكون النون). و لم أرَ لها وجها. و في معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٩ : (و فُتِحَ ما قبل النون في قوله: (يَأْتِيَنَّكُمْ) لسكون الياء و سكون النون الأولى)اهـ. والمصنف كثير النقل عن الزّجّاج.

للمبتدأ الأوّل كذلك قوله ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ جُعِل جميعه جوابا للشرط.

و جواب قوله : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ في قوله ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [1]، فقوله: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ شرطٌ و جزاءٌ جعِلا جميعاً جوابا للشرط الأول في قوله : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ . فـ(إمّا) إذا لم تكن للمجازاة فمنْ شَرْطِها أن تكونَ مُكَرّرة كقوله: ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان:٣]. ﴿ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾ [مريم:٧٥] فتكون﴿ إِمَّا ﴾ ههنا بمعنى أو و تكونُ للعطف كأنّه قال: إنّا هديناه السَّبيل شاكرا أو كفورا، و أمّا بفتح الألف [2] فلا بدّ لها من جوابٍ و جوابها يكون بالفاء لدخول معنى الجزاء فيه كقولك أمّا زيدٌ فمنطلقٌ و في التنزيل:﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [السجدة:١٩] وقال: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة:٢٠] و(أمّا) بفتح الألف أداةٌ رافعة للأسماءِ إلّا إذا استقبلها

---

[1] البحر لأبي حيان: ١ / ١٦٨ و الدّر المصون: ١/ ١٩٧

[2] ينظر في (أمّا) : معاني القرآن للأخفش: صـ٥٨- ٥٩ و الجنى الداني: صـ٥٢٧ و مغني اللبيب: ١/ ٥٣ و همع الهوامع: ٢ / ٤٧٨ و التصريح شرح التوضيح لخالد الأزهريّ: ٢ / ٢٦٠ و ٢٦١ مع حاشيته للشيخ يس الحمصي العليمي.

أمرٌ ونهيٌ فإنّها تنصِب إذاً [١] نحوُ قولِهِ ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى:٩، ١٠] وتقول أمَّا زيداً فأكرم .

وقوله: ﴿ هُدَاىَ ﴾ فُتِحتْ الياءُ فيها لأنَّ أصلَ هذه الياء أعني ياءَ الإضافةِ الفتحُ تقولُ هذا غلاميَ، و إنّما كان من حقِّها الفتحُ لأنّها جَرَتْ في اسمٍ مضمَرٍ مُنِعَ الأعرابَ فأُلْزِمَ الفتحَ كما أُلْزِمَتْ (هو) الفتحة ثمّ جوّزوا سكون ياءِ الإضافة لأنّها حرف مدٍّ و لينٍ فلمّا سَكَنَ ما قبلها في هداي لم يكن بدٌّ من تحريكها فجُعِل حظّها من الإعرابِ ما كان لها في الأصلِ [٢].

و قرأ (هُدَيّ) في الشّواذّ [٣] (٦٢ و) و هو لغة قومٍ [١] يقولون عَصَيّ و هُدَيّ و ذلك من شرط ياء الإضافةِ انكسارُ ما قبلها والألفُ لا يحتملُ الانكسارَ فقلبوها ياءً بدلَ كَسرِها [٢] . و لغة طيّ في

---

[١] ﴿ٱلْيَتِيمَ﴾ هنا معمول لما بعد الفاء و هو ﴿ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ و ليس منصوبا ب(أمّا) فالناصب له ﴿تَقْهَرْ﴾ ، قال الأخفش في معاني القرآن: صـ ٥٩ :(و ((أمّا)) أيضاً لا تعمل شيئاً . ألا ترى أنّك تقول: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ فتنصبه بـ (تَنْهَر) و لم تغيّر ((أمّا)) شيئاً منه)اهـ. و المصنف جعل (أمّا) عاملةً النّصب و هي لا تعمل في الاسمِ الصريح على الصحيح ، و لكن جاء عن بعض الكوفيين إجازةُ عملها في الاسم الصريح قالوا لما فيها من معنى الفعل. و الرّاجح قول البصريين. ينظر: مغني اللبيب: ١/ ٥٥ و همع الهوامع : ٢ / ٤٨٠ و ٤٨١ و ينظر في إعراب (اليتيم): معاني القرآن للأخفش: ص٥٩ والفريد: ٤/ ٦٨٩ و الدّر المصون: ٦ / ٥٣٩ وليس فيها غير إعراب اليتيم مفعولا و العامل فيه (تقهر).

[٢] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٩ و تتمة كلامه: (ما كان لها في الأصل من الحركة و هو الفتح)اهـ.

[٣] هي قراءة عاصم الجحدري و عبد الله بن أبي إسحاق و عيسى بن أبي عمر: مختصر الشواذ لابن خالويه: صـ٥ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢١٦ و المحتسب لابن جني: ١ / ٧٦ والبحر لأبي حيان: ١ / ١٦٨

هُـدَىً و عَـصَا و مـا أشـبهَهُ أنْ يقولـُوا في الوقـف هُـدَيْ و عَـصَيْ بغـير إضـافةٍ [٣] وأنـشدَ الأخفش [٤]:

يبشّرنا بالرّيف و الماء الرِّوَى و فَرَجٍ منك قريبٍ قد أتى

و قوله : ﴿ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ يعني في القيامة لا خوفٌ عليهم فيما يستقبلونَهُ من أحـوالهم ولا هم يحزنون على ما خلّفوه في الدّنيا مِنْ أشغالهم.

وقال بعضُ القَدَرية إنَّما نفى الخوفَ عنهم في عاقبةِ أمرِهم بعد البعثِ في حالِ دُخُـولهم الجنّـة فأمّا في القيامة فيلحَقُهُمُ الخوفُ لأنّ الله وصفَ ذلك اليوم بكونِ الأهوال فيه إلا أنه لمّـا تـؤولُ عاقبتهم إلى الجنّة صار ذلك الخوف كغير معتدٍّ به، و الظاهرُ بخلاف هذا التأويل [٥] .

و اختلفوا في المعني بقولـه: ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم﴾ فقـال بعـضهم: أرادَ بـه آدم و حَـوّاء و هـذا اختيار ابن جرير [٦] . وقال أبـو العاليـة: [١] إنـما أراد بالخطـابِ آدمَ و حَـوّاء و ذريـتِهما كـما

---

[١] لغة هذيل: إعراب القرآن لابـن النحـاس: ١ / ٢١٦ و المحـرر: ١/ ١٣٢ و البحـر لأبي حيـان: ١ / ١٦٨ و قال ابن جني في المحتسب: ١ / ٧٦ : (هذه لغة فاشية في هذيل و غيرهم ، أن يقلبوا الألـف مـن آخر المقصور إذا أضيف إلى ياء المتكلّم ياء)اهـ.

[٢] فهَدَيّ مثلها مثل : هَوَيّ : يعني : هواي: فهُدَايَ و هَوَايَ و نحوها قلبوا ألفها ياء و أدغموهـا في يـاء المتكلم. ينظر مثلا: المحتسب: ١ / ٧٦ و البحر: ١/ ١٦٩ والتصريح شرح التوضيح: ٢ / ٦١

[٣] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٩ و ينظر: التصريح شرح التوضيح: ٢ / ٦١

[٤] البيتُ من غير نسبة في معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٠٩ و لسان العـرب: ٥ / ٣٨٠ (روي) . لم أعثـر عليه في معاني القرآن للأخفش .و روايته فيهما:(تبشّري بالرّفه و الماء الرِّوَى). و الرِّوَى: الكثير المرْوِ فإنه يقال: ماءٌ رَويٌ و رِوَىً ورَوَاءٌ: لسان العرب الموضع السابق.و تبشري : أي :أبشري.

[٥] ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٣/ ٢٩ و تفسير القرطبي: ١ / ٣٢٩ و البحر لأبي حيان: ١ / ١٦٩- ١٧٠

[٦] ابن جرير يذهب إلى أن المراد بذلك: آدم و حواء و إبليس. جامع البيان له: ١ / ٥٩٠

قال: ﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت:١١] يعني أتينا بما فينا. وهذا اختيار كثير من النحويين.

و القراءة في قوله: ﴿ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ الرّفع، و قرأ يعقوبُ (فلا خوفَ) بالنّصب [٢] والرّفع أحسن لأنَّ قوله ﴿ وَلَا هُمۡ ﴾ معطوفٌ عليه و حُكْمُهُ الرّفع لأنه معرفة فإجراء حكم معطوفه عليه على قوله: ﴿ فَلَا خَوۡفٌ ﴾ أولى و لأنّ ((لا)) في الخبرِ يكونُ بمعنى ليس، و ليس يَرْفعُ ما يليه، فهاهنا يحمل ((لا))على معنى الخبرِ بمعنى ليس أي ليس عليهم خوفٌ [٣].

و إذا نفيتَ اسماً نكِرةً بـ(لا) [٤] فإن كرَّرْتَ فيه النّفيَ فلكَ فيه النّصب و الرّفع كقوله: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ﴾ [البقرة:١٩٧] و(لا رفثٌ ولا فسوقٌ) وكقوله ﴿ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ [البقرة: الآية٢٥٤] (٥) و (لا بَيعَ فيهِ ولا خُلّةَ) و إنْ كان بين (لا) وبين الاسم المنكور شيءٌ

---

[١] أبو العالية رحمه الله يقول: (الهدى: الأنبياء و الرسل و البيان)اهـ. الطبري: ١/ ٥٨٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٩٣ (٤١٩). و أمّا الاستدلال بالآية ﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ .فإنما قاله الطبري بيانا لمعنى كلام أبي العالية ثمّ قال الطبري ما ذكره المصنف : من أنّ المعنى : أتينا بما فينا من الخلق طائعين.

[٢] غاية الاختصار لأبي العلاء: ٢ / ٤٠٨ و النشر: ٢ / ٢١١ و زاد المسير: ١ / ٧١ و قرأ بها في جميع القرآن. و بها قرأ أيضا الحسن وعيس و ابن أبي إسحاق: إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢١٦ و ١٦٩ و المحرر: ١/ ١٣٢ و البحر: ١/ ١٦٩

[٣]إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢١٦ و ١٦٩ و معاني القراءات للأزهري: ص٧٣ و المحرر: ١/ ١٣٢ و البحر: ١/ ١٦٩

[٤] معاني القراءات للأزهري: صـ٧٣ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٩٤ و توجيه اللمع لابن الخباز: صـ١٥٨ و شرح الكافية لابن مالك: ١/ ٥٢٤ و شرح ابن غازي على الألفية: ١/ ٣٥٨

(٥) سقطت هذه الآية من الأصل.

فلا يجوزُ فيهِ إلا الرّفعِ كقولِهِ: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ [الصافات:٤٧]. فإنْ لم تكرّر فيه (لا)فالوجهُ فيه النّصب كقوله ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [من مواضعها البقرة:٢، آل عمران:٩]، و إنما نُصِب ما بعد (لا النّفي) لأنّ النّفي في مقابلةِ الإثباتِ و التّحقيقِ، و لّما كانت (أنّ) التي للتّحقيق و الإثبات تنصِبُ ما بعدها في قولك إنّ زيداً، أُجري (لا)التي للنّفي مُجراهُ في الإعمال لأنّ النفي في مقابلة التحقيق.

و أصل الحُزْن غِلظُ الهمّ منَ الأرض الحَزْن [١] و هي الغليظة. و فائدةُ الآية التنبيه على عِظَم حالِ الزَّلّة و المبالغة في الزَّجر عنها بذكرِ ما أصابَ آدم و بيان قصّته .

قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ الآية [٣٩] والذين كفروا جَحَدُوا وكذّبوا بعلاماتِنا ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ عَذابهم في النّار خالدون مقيمونَ لا يبْرَحُونَ.

و إنّما قال : ﴿كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ ﴾ وإنْ كانَ كلُّ كافرٍ مكذِّبا لأنّ الكُفْرَ يُستعمَلُ في كُفْرانِ النِّعمة فأزالَ الاحتمالَ إذ المسلِمُ لم يَكفُرِ النّعْمة [٢].

و يحتمَل أنّه كرَّره تأكيداً على طريقِ المبالغةِ كما يُقال: أحسنَ فلانٌ و أجملَ، و له في اللّسان وجهٌ، و إنّما يكون العيُّ لو كَرّر اللفظتين المتّفقين في الصّورة من غير زيادةِ فائدةٍ.

---

(١) لسان العرب: (حزن) و مختار الصحاح: (حزن)

(٢) في المحرر الوجيز: ١/ ١٣٢: (لأنّ لفظة ﴿كَفَرُواْ﴾ يشترِك فيها كفرُ النِّعم وكُفْر المعاصي ولا يجب بهذا خلود فبيّن أن الكفر هنا هو الشرك بقوله وكذبوا بآياتنا)اهـ. و لخَّص هذا الوجه الذي ذكره ابن عطية أبو حيان : ١/ ١٧٠ .و قال نجم الدِّين عمر النّسفي الحنفي في توجيه ذلك: (ذَكَرَ الكلمتين و معناهما واحدٌ تقريراً لقبائحهم و تكريرا لفضائحهم كقوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ (طه:٧٩) وقيل: الكفر نفيُ ما لله تعالى من الصفات الحميدة و التكذيب هو إثبات ما لا يليق بالله تعالى من الصفات الذميمة)اهـ. التيسير في التفسير: (ورقة ٨٥) . وينظر: في توجيهِ وتعليل ذلك أيضاً ما في: تفسير أبي السُّعود: ١ / ٩٣

و قال ههنا : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ وقال في الحج: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [٥٧] أدخل الفاءَ لدُخُولِ حرفِ الصّفة فيه و هو الباء [1] قال الله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣] تقولُ العربُ كلّ شيء لي لكَ و كلّ شيء لي فهو لكَ يجوّزون الأمرينِ جميعاً.

و موضع ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ من الإعراب رفعٌ على الابتداء و خبره ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ والجملة خبر ﴿ٱلَّذِين﴾ في ابتداء الآية [2] .

قوله : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ .. إلى قوله ... وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [من آية٤٠ إلى آية ٤٢]. ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ سقطت النُّون للإضافة، و إسرائيل يعقوبُ عليه السلام [3] وهو اسمٌ أعجمي لا ينصِرفُ، و قيل الإسرُ الخالصُ من كلّ شيء و إِيل هو الله عز و جلّ فسمّي يعقوب صفوة الله.

---

[1] هي الداخلة على قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾.

[2] الفريد للمهداني: ١ / ٢٧٩ و البحر: ١/ ١٧٠

[3] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٩٣ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٨٢ (٩٦٣) و الوسيط: ١ / ١٢٧ و المحرر: ١/ ١٣٣ والبحر لأبي حيان: ١ / ١٧١ و في الطبري: و إسرا هو العبد. و في المجموعِ المُغِيث في غريبي القرآن و الحديث للحافظ أبي موسى المديني: (إيل قال الأصمعيّ إيل الربوبية فأُضيفَ جَبْر و مِيكَا إليه، و قال أبو عمرو جبر هو الرجل فكأنَّ معناه عبدُ إيل، وقيلَ إيل ليس بعربي و معناه الله القادر)اهـ. : ١ / ١١٥ و في لسان العرب (أول): (قال ابن الكلبي: وقولهم جَبْرائيل وميكائيل وشَرَاحِيل وإِسْرافِيل وأَشباهها إِنّما تُنْسَب إِلى الربوبية، لأَن إِيلاً لغة في إِلّ، وهو الله عز وجل، كقولهم عبد الله وتَيْم ، فَجَبْر عبد مضاف إِلى إِيل، قال أَبو منصور: جائز أَن يكون إِيل أُعرب فقيل إِلٌّ)اهـ. . و ينظر :النهاية: ١ / ٨٥ (إيل)

و قُرِأَ (نعمتيَ التي) بفتح الياء و إنما فُتِحَتْ الياء في نعمتي لسكون ما بعدها من لام المعرفة وكثرة ذلك في الكلام فاختِيرَ لها الفتحةُ لخفتها ثم الأصل في ياء الإضافة الفتح.

و ﴿نِعۡمَتِیَ ٱلَّتِیٓ﴾ بالحذف في الوَصْلِ [١] اكتُفِي بكسرةِ ما قبلها عن فتحتِها وليس بجيّدٍ لأنّه يشبهُ الإضافة إلى الحرْف والقراءة بتحريكِ الياءِ [٢] .

وقوله ﴿ وَإِیَّـٰیَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ نصب إيايَ بالأمر، و المعنى ارهبوني و لو كان في الكلام لجاز و{ أنا }فارْهبونِ [٣] ليكونَ نصْبُ ﴿إِیَّـٰیَ ﴾ بفِعْلٍ مضمَرٍ هو: ارهبوا ، (فارهَبونِ) الظّاهر يكون مفسِّراً له [٤]. منهم مَنْ أثبتَ الياءَ فيها و فيما شاكَلَها [٥] من قوله: ﴿ فَٱتَّقُونِ﴾ [من مواضعها:البقرة:٤١] ﴿ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة:٣] و ﴿يَشۡفِينِ ﴾ [الشعراء:٨٠] و ﴿ أَكۡرَمَنِ﴾ [الفجر:١٥] و ﴿ أَهَـٰنَنِ﴾ [الفجر:١٦] و﴿ ٱلصَّخۡرَ

---

[١] يعني بحذف الياء.

[٢] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٠ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢١٧ و معاني القراءات للأزهري صـ ٤٧ و المحرر: ١ / ١٣٣

[٣] في الأصل: (إيَّاي فارهبوني). و هو خطأ و في معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١١ : (لجاز و أنا فارهبوني).

[٤] عبارة المصنف فيها اضطرابٌ. و المقصود أنهم قالوا: إنّ إيايَ منصوبٌ بفعل محذوف مقدّر بعده يفسّره الأمر الظاهر المذكور بعده. ينظر: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١١ و البحر لأبي حيان: ١ / ١٧٥ و الدّر المصون: ١ / ٢٠٥

[٥] باب ياءات الزوائد من أبواب علم القراءات المهمّة، و هي الياءات الزّائدة في القراءة على الرّسم الموجود الثابتِ في خطِّ المصاحف العُثمانية، و الخلافُ فيها دائرٌ بين حذفِها لفظاً أو إثباتِها : ينظر في شرح هذا الباب وبيان توجيهه : معاني القرآن للأخفش: صـ ٦٠ عند الآية: (٣٨ من البقرة) وإيضاح الوقف و الابتداء:١/ ٢٣٣ و المبسوط: ١٥٧ و الروضة لأبي علي المالكي: ١ / ٣٧٧ و الكشف لمكي: ١ / ٣٣١ – ٣٣٣ و النشر: ٢ / ١٧٢ – ١٨٦ و سراج القاري المبتدي لابن القاصح: شرح الشاطبية: صـ ١٤٠ و اتحاف فضلاء البشر: صـ ١١٣ . و هو من أبواب الشاطبية و غيرها وموجود في سائرِ شروح الشّاطبية.

بِٱلۡوَادِ ﴾ [الفجر:٩] ﴿ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ [غافر:٣٢] على الأَصلِ و منهم من يحذِف هذه الياءات إذا كانت رؤوسَ الآي اكتفاءً بالكسرةِ على حذفِ الياءاتِ ولإظهارِ رؤوسِ الآي في الوقفِ والوصلِ إلا في قوله: ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾ –إلى- ﴿ قَوۡلِي ﴾ [طه:٢٥و ٢٨] وفي الفجر ﴿ قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾ ﴿ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾ [٢٤ و ٣٠] لأنّ رؤوس الآي قبلها و بعدها بالياء فجرى على نَسَقٍ واحد .

و أمّا ما كان غيرَ رؤوسِ آيةٍ فإنهم يُبقونَ الياءَ في الوقف و الوصلِ نحو قوله:

﴿ فَمَن تَبِعَنِي ﴾ [إبراهيم:٣٦] ﴿ وَخَافُونِ ﴾ [آل عمران:١٧٥] ﴿ ثُمَّ كِيدُونِ ﴾ [الأعراف:١٩٥].

و قيل نعمتُهُ التي أنعمَ عليهم إذ أنجاهم من آل فرعون و ظلَّلنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المنَّ و السلوى و منها الكتاب الذي كُتِبَ لموسى قبل التّوْراة و الحَجَر الذي استسقى موسى لقومه، و العمود الذي كان يضيء لهم بالليل إلى نِعَمٍ لا تُحْصَى [(١)] .

﴿أَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ يقال وفيتُ بالعهد و أنا وافٍ و أوفيتُ فأنا موفٍ و هو أفصحُ [(٢)].

و كان قد عهِد إلى بني إسرائيل على لسان موسى إنّي باعثٌ من بني إسماعيل نبيا أميا فمن اتّبعه و صدَّق به غفرتُ له ذنبَهُ، و أدخلته الجنّة فعهده تعالى الإيمان بالنَّبي صلى الله عليه وسلم و عهدهم أن يغفر لهم و يدخلهم الجنّة وإياي فارهبون أي و خافونِ دون غيري و آمنوا بما أنزلت أي بالقرآن

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٥٩٥

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٢ و الوسيط: ١ / ١٢٧ و البحر : ١ / ١٧٣ والمزهر للسيوطي: ١ / ١٠٥ و ينظر: لسان العرب: (وفى).

مصدّقا لما معكم من الكتاب [١] . فإن قِيلَ كيفَ يكونُ القرآنُ مصدّقا لما معهم من التّوْراة وهي محرَّفةٌ؟ قيل أراد به ما كان معهم من ذِكر النبي صلى الله عليه وسلم و لم يكن ذكر النبي عليه السلام قبلهم محرّفا عن التّوْراة فلما خرج حرّفوه و كَتَمُوهُ.

﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ [البقرة:٤١] قيل بالقرآن[٢] و قيل بمحمد .

و إنما خاطب [٣]بني قُرَيظة و النّضِير و هم كانوا أوَلَ كافرٍ كَفَر به من اليهودِ ثم تبِعَهم في الكفر خيبر و فَدَك [٤] .

و قيل لا تكونوا أوّل كافر من أهل مِلّتِكم لأنّ اليهودَ قبلَهُم كانُوا يُقِرُّونَ بالنّبي صلى الله عليه وسلم، و قيلَ (أَوّل)مجازٌ و معناه لا يكونوا كافِرين به [٥] .

﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ الآيات التي أخفوها عن أتباعهم و أظهرها الله تعالى على لسانِ محمد صلى الله عليه وسلم و قيل بكتمان أمر محمد .

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٥٩٦ و الوسيط: ١/ ١٢٧

[٢] ورجحه الطبري: ١ / ٦٠٢ و الواحدي و اقتصر عليه. الوسيط: ١ / ١٢٨ ينظر بقية الأقوال في تفسير الطبري و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١١٢ و زاد المسير: ١/ ٧٤ البحر لأبي حيان: ١ / ١٧٨ و قد أعاده المصنف فيما يأتي مع زيادة.

[٣] تفسير مقاتل : ١ / ٤٥ وجامع البيان للطبري: ١ / ٦٠٠ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١١٢ و تفسير نجم الدين عمر النسفي ، التّيسير في التفسير: (ورقة ٨٦) و زاد المسير: ١/ ٧٤ و المحرر: ١ / ١٣٤ والبحر لأبي حيان: ١ / ١٧٧

[٤] بفتحِ أوّله وثانيه، قريةٌ ورد ذكرها في بعض الأحاديث في الصحيحين و غيرهما قال البكري : (معروفة بينها وبين خيبر يومان): (معجم ما استعجم ٢ / ١٠١٥) و قال (ياقوت الحموي: وفدك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومانِ وقيلَ ثلاثةٌ أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبعٍ صُلْحا)اهـ. معجم البلدان: ٤ / ٢٣٨ و عنه : مراصد الاطلاع : ٣/ ١٠٢٠

[٥] المصادر السابقة و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٣

﴿ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ قيل كان لرؤساء اليهود المآكل من زروع السِّفَل منهم كلّ عام فلو تابعوه لحُبِست عنهم تلك المآكل [١] .

﴿ وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ في أمرِ محمد فمن كفر به فعاقبته النار، وقال أبو العالية ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ أي لا تأخذوا عليه أجرا [٢] .

و قيل ﴿ وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ وخافونِ في اشترائكم بآياتي ثمناً قليلا .

و مكتوب عندهم في الكتاب الأوّل يابن آدم عَلِّم مجَّانا كما عُلّمتّ مجّانا [٣] .

و قيل: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ أي لا تأخذوا عليها بدلا يسيراً و خافوني في فعلكم ذلك .﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٤٢] أنَّ الإسلام حقٌّ يقال لَبَسْتُ عليه الأمرَ أَلبِسُه أي خلَطتُه عليه و عمّيته [٤] ولَبِستُ الثوب أَلْبَسُهُ [٥] .

و قيل العهد الذي أخذه الله عليهم في قوله: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المائدة:١٢] و قيل قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ

---

[١] تفسير مقاتل: ١/ ٤٥ و الوسيط: ١/ ١٢٨ و ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٠٤ و المحرر: ١/ ١٣٤ و البحر لأبي حيان: ١ / ١٧٨

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٠٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٩٧ (٤٤٩) و أبو نعيم في الحلية: ٢ / ٢٢٠ والخطيب في الكفاية: صـ١٥٣ و ابن عساكر: ١٨ / ١٧٩

[٣] من تتمة كلام أبي العالية ينظر ما سبق من تخريجه.

[٤] من باب ضَرَب يضرِب، و الثاني الذي هو من اللباس من باب علم يعلم: لسان العرب: (لبس).

[٥] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٤ وجامع البيان للطبري: ١ / ٦٠٥ .

أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمـران:١٨٧] فـتَمامُ تبيينِـهِ أنْ تخبرُوا بنبوَّة محمّدٍ صلى الله عليه وسـلّم وقيـل: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾[١] أي تؤمنوا ببعض أمر محمد و تكفروا ببعضه.

و قيل لا تكونوا أوّل كافرٍ به أي بكتـابكم يعنـي التّـوْراة لأنهـم لّما كفـروا بمحمـد كفـروا بالتّوْراة، و مِن قبلِهِم اليهود كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وقيل لّما ذكرَ اللهُ و صف محمد صلى الله عليه وسلم و التّوْراة قالتْ بنو إسرائيل اللهم لك عهد إن أدركناه لنؤمننَّ به و للننصرنه فعاهدهم الله على ذلك .

و قال لئن فعلتم ذلك لأدخلنّكم الجنّة. و قيل أوفوا بعهدي بأداء ما افترضت عليكم، وقيـل اعملوا بطاعتي، و قيل عهده بما أخذ عليهم يوم الميثاق .

و نَصْبُ قوله[٢]: ﴿مُصَدِّقًا﴾ [آية: ٤١] على الحال إن شئتَ من التاء و إن شئت من (مـا) ولو قال قائل من الهاء المحذوفة على تقدير بما أنزلته يكون مذهباً. و يجوز أنْ يكون نصباً بآمِنوا أي آمِنُوا بالقرآن مصدّقين لما معكم فوحَّد.

والكناية في قوله :﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ [٣] يحتمل أن يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى ما أنزله من القرآن، أو إلى ما كان معهم من التّوْراة.

و إنما قال ﴿أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ ولم يقل أول كافرين و لا أوَّل كفّار لأن الكافر مشتقٌّ من فعـلٍ فيوحّد كقولك الجيش مقبلٌ و الجند منهزمٌ، و لو قال: أول كفّارٍ أو كافرين لكان ذلـك جـائزاً

---

[١] ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٠٦ و الوسيط: ١/ ١٢٨ و تفسير البغوي: ١ / ٥٣ والمحـرر: ١/ ١٣٥ و البحر لأبي حيان: ١ / ١٧٩

[٢] إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢١٨ و الفريد للهمداني: ١/ ٢٨٢ و إملاء ما من به الرحمن: ١ / ٣٣

[٣] تقدّم قريبا كلام المصنف في مرجع الضمير (به) و قد كرره المصنف هنا بمعناه ينظر ما تقدّم.

في اللسان، و أضمر فيه الأخفش (مَنْ) قال تقديره: و لا تكونوا أوّل مَن كفر به أو أوّل فريـق كافر به [١] .

---

[١] ينظر في هذا كله معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٣ فقد لخصه المصنف منه فـيما يظهـر و ينظـر: معـاني القرآن للفراء : ١/ ٣٢ و جامع البيان للطبري: ١ / ٦٠١ و المحرر: ١/ ١٣٤ و البحـر لأبي حيـان: ١ / ١٧٧

و قال الزّجّاج [١] : اللغة العُليا ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ﴾ بفتح الكاف، و الإمالة جيّدة لأنّ فاعلاً إذا سلِم من الإطباق وهو الطَاء و الظَّاء و الصَّاد و الضّاد [٢] و حروف الاستعلاء و هي الخاءُ و الغَين والقَافُ [٣] كانت الإمالة فيه سائغةً يقال: عَالم بالإمالة ولا يقال ظالمٌ و طالبٌ و صابرٌ وضابطٌ و خادمٌ و غافلٌ و قاهِرٌ بالإمالة [٤] .

﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ﴾ قيل: يكون ﴿تَكْتُمُوا﴾ جزما عطفاً على ما قبله من النهي أي لا تلبسوا و لا تكتموا نظيرُه: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ [الأنفال:٢٧] أي ولا تخونوا أماناتكم .

---

[١] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٣

[٢] ينظر في حروف الإطباق و الاستعلاء:أسرار العربية لابن جني: ١/ ٦٨ و الرعاية لمكي: صـ ١٢٢ و ١٢٣ التمهيد في علم التجويد لأبي العلاء الهمذاني : صـ ٢٨١ و التمهيد في علم التجويد لابن الجزري: صـ٩٠ والمنح الفكرية شرح المقدّمة الجزرية: للشيخ علي القاري: صـ ٧٦

[٣] يعني مع الطاء و الظاء و الصاد و الضّاد: وحروف الاستعلاء مجموعة في قولهم: (خُصَّ ضغطٍ قِظْ). ينظر مثلا: المنح الفكرية شرح المقدّمة الجزرية: للشيخ علي القاري: صـ ٧٦

[٤] ينظر في شرح باب الإمالة على سبيل المثال : الكتاب لسيبويه: ٤/ ١١٧ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٤ و الكشف لمكي: ١/ ١٦٨ – ٢٠٨ و الأرجوزة المنبّهة للحافظ الإمام أبي عمرو الداني: صـ ٢٤٦ – ٢٥٢ و غاية الاختصار لأبي العلاء الهمذاني: ١ / فقرة: (٣٣٣) و ما بعدها و جمال القراء للسخاوي: ٢ / صـ ٤٩٨ و شرح جمل الزّجّاجي لابن عصفور: ٣ / ٢٥٣ و شرح الشافية للرضي: ٣ / ٤ – ٣٠ و النشر: ٢ / ١٧١ و لأبي عمرو الداني كتاب الموضح في الفتح و الإمالة و هو مخطوط في عارف حكمت : قراءات (١٣) و منه مصورة في جامعة الإمام – ف٢٦٣ .

قال الزّجّاج [١] و يجوز أنْ يكون موضع قوله ﴿ وَتَكۡتُمُوا﴾ نصباً و يكون علامة النّصب فيه سقوط النون، و إنما يكون نصباً بإضمار أنْ كأنه قال :
لا يكن منكم لبسٌ للحق و أن تكتموه.

فإن قيل فمن المراد بقوله ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾؟ أهو خطاب لمن سَلَفَ؟ - و هم أمواتٌ غير مكلَّفين - أو لمنْ هو حاضرٌ في ذلك الوقت؟و ليس عليهِم نِعمةً لأنهم كَفَرَةٌ ؟.

قيل يحتمل [٢] أنّه أراد به من آمن من أهل الكتاب في وقتِ النبي صلى الله عليه وسلم يعرّفهم قدرَ نِعَمِهِ عليهم حيث بلّغهم وقت الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم، فيكون في الآية تعريفاً لهم وتنبيهاً على صِدقِ محمد صلى الله عليه و سلّم و أنَّ أمره في كتابهم.

و يحتمل أنّ معناه: واذكر يا محمد ما قلنا لبني إسرائيل في وقت موسى ﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ و كَيْتَ وكَيْتَ، و يحتمل أنَّه أراد به الموجودين منهم فقال اذكروا نعمتي التي أنعمت على سلفكم.

وقوله: ﴿ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [٣] أنه الحقّ و إنما جاز اتفاقهم على كتمان الحق لأنّهم علِموه استدلالاً. و إنما كفروا لأنَّ الأمّة اجتمعت على أنَّ جاحد النبوّة كافرٌ فإذا علموه بقلوبهم و لم يكن لنا سبيل إلى أنّ نعلم أنهم علِموا و ظَهَر منهم جحودٌ أجمعنا على أنهم كفّار.

---

[١] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٤

[٢] ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٥٩٥ – ٥٩٦ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١١ و الوسيط: ١/ ١٢٧ و تفسير نجم الدين عمر النسفي الحنفي ، التيسير في التفسير: (ورقة ٨٥) . و المحرر: ١/ ١٣٣٣ و البحر لأبي حيان: ١ / ١٧٤

(٣) في الأصل﴿ وَلا وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ .

فإن قيل هلا حكمتم بإيمانهم أن الله تعالى قال: ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾؟ (١)، قيل قوله: ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ليس بشهادةٍ لهم بعِلْمِهِم بذلك بلْ هو نهيٌ لهم عن كِتْمانهم حقّاً يعلمونه، و ليس كلُّ من نُهِيَ عن شيء فقد فعَلَهُ أو فَعَلَ شيئاً منهُ كما قال الله تعالى لنَبيّهِ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب:١] وقد كانَ ملازِماً للتّقوى مجانِباً لِطاعتِهِ (٢) الكافرين (٣).

فإن قيل كيف وحَّدَ النِّعمة في قوله: ﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِىَ ﴾؟قيل يحتملُ أمرينِ أحدهما: أراد بنعمتيَ النّعَمَ و إنْ كان أَخرجهُ على لفظِ التّوحيدِ كما قال: ﴿يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلاً ﴾ [غافر:٦٧] والمراد أطفالا (٤).

و الآخر: أنّهُ أُرِيدَ به نِعمةَ الدّين.

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٦١٠ و الوسيط: ١/ ١٢٩ و فيه:
(لم ينفعهم ذلك العلم لأنّ جاحد النبوة كافر)اهـ.

و ينظر: المحرر: ١/ ١٣٦ و تفسير القرطبي: ١ / ٣٤٢ و فيهما : أنّ قوله: ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ دليل على تغليظ الذّنب على من وَاقَعَهُ عن علمٍ.

(٢) كذا في الأصل(ل) : لطاعته. و الأحسن في المعنى: بطاعته.

(٣) ينظر: تفسير البغوي: ٦/ ٣١٢ و ابن كثير: ٦/ ٣٧٥

(٤) قال الواحدي: (أراد نعمي ، فأوقع الواحد موقع الجماعة ،كقوله: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ (إبراهيم: آية: ٣٤ و النحل: آية: ١٨)اهـ. الوسيط: ١ / ١٢٧ .

و ينظر: تفسير النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٨٥). والمحرر: ١/ ١٣٣ والدّر المصون: ١ / ٢٠٣

فإن قيل كيف كانوا يلبسون الحق بالباطل و أيُّ حقّ كان لهم؟ الجواب [١] قد قيلَ أرادَ بِهِ الصّدق بالكذبِ. و قيل الحقُّ التّوْراة، والباطلُ ما كتَبوه بأيديهم، وقيل كان فيهم منافقون يُظْهِرُون التّصديق و يَسْتَبْطِنُونَ [٢] الكُفر وكانوا يقولون إنّ محمداً نبي إلا أنّه إلى غيرنا.

قوله :﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [٤٣] ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعني المفروضة ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يعني المفروضة.

وأصل الزّكاة في اللغة [٣] النَّماءُ والزِّيادة يقال زكا الزَّرْعُ وزكَتِ النفقة إذا بُورك فيها وزكا الفردُ إذا صار زوجاً بزيادة الزائد عليه حتى صار به شفعاً فسُمِّي زكاة المال زكاةً لأنها توجب تثمير المال وزيادته.

﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أي صلوا مع المصلين يعني في الجماعة فعبَّر عن الصلاة بالركوع لأنه قد يُعَبَّرُ عن جملة الشيء ببعضِهِ؛ والأصل في الرُّكوع الانحناء (٤).

---

[١] تقدّم تفسير الآية قريباً و ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٠٦ و الوسيط: ١/ ١٢٨ و تفسير البغوي: ١ / ٥٣ والمحرر: ١/ ١٣٥ و البحر لأبي حيان: ١ / ١٧٩

[٢] في الأصل(ل): يستبطون.

[٣] غريب القرآن لابن قتيبة: صـ٣١ و جامع البيان للطبري: ١ / ٦١١ و إعراب القرآن لابن النحاس: ٥/ ٢٣٧ و الوسيط: ١ / ١٢٩ و المفردات في غريب القرآن: ١/ ٢١٣ و تهذيب اللغة للأزهري: (زكا) و لسان العرب: (زكا).

(٤)كلُّ شيءٍ ينكبُّ لوجهه فتمسُ ركبته الأرض أولا تمسها بعد أن يطأطئ رأسَه فهو راكعٌ (العين: ١/ ٤٥) (ركع) و قال الطبري: (وأما تأويل الرُّكوع، فهو الخضوع لله بالطاعة. يقال منه: ركع فلانٌ لكذا وكذا، إذا خضع له)اهـ.١/ ٤٧٥

وقال ابن جرير[١]: الزّكاة الطّهارة، ومنه قولهم فلان عَدلٌ زكيٌّ أي طاهرٌ من العيبِ، ومنه قوله: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ [الكهف:٧٤] أي بريئة من عيبٍ يوجب قتلاً ،فسَمّي زكاة المال زكاةً لأنها تطهيرٌ للمال و تخليصٌ له من أن يكون فيه مظلمةٌ لأهل السّهمان.

قال[٢]: و قوله : ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ أمرٌ لليهود أي صلُّوا و أدوا زكاة أموالكم وكونوا مع المؤمنين فمعنى ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ أي صلُّوا مع المؤمنين و كونوا مؤمنين مِثلَهُم .

قوله:﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ [آية:٤٤] هذا توبيخٌ لمنْ خَالفَ فعلُهُ قولَه.

وقيل: كانت اليهود يأمرونَ النّاس بطاعة الله وتقواه وهم يخالفون ذلك فعيَّرهم الله به عن السّدي[٣].

وقيل كانوا يقولون لأقربائِهمُ المسلمين اثبُتُوا على ما أنتُم عليه ولا يؤمنونَ[١]، فقال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ بالإيمانِ بمحمّد ﷺ و تتركُون أنفسكم و أنتم تتلون الكتاب أي التوراة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بأنه حقٌّ وصدقٌ يعني دينَ محمد فتؤمنوا به.

---

(١) جامع البيان للطبري: ١ / ٦١٢ و ذكر قبله الوجهَ الآخر – أعني معنى النّماء وزكا الزّرع الخ. ولكنه رجح هذا الوجه وهو أنها سُمِّيت زكاةً لتطهيرها مالَ الرجل. و قال: (وهذا الوجهُ أعجبُ إليّ في تأويلِ زكاةِ المالِ من الوجهِ الأول وإنْ كان الأوّل مقُولا { في نسخة منه: مقبولا } في تأويلها)اهـ.

(٢) جامع البيان للطبري: ١ / ٦١٣

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٦١٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٠١ (٤٧٨) و ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١ / صـ٤٥

وقال الزجّاج [٢]: كانوا يأمرون أتباعهم ببذْل الصَدَقة وكانوا يضِنّون به لأنَّهم وُصِفُوا بأنهم قَسَتْ قلوبُهم ويأكلون الرّبا والسُّحْت.

وقيل معنى قوله: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي أديموا دعاء الخلق إلى الإيمان ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ على ما بينه الشرع ﴿وَٱرْكَعُوا﴾ صلُّوا مع المصلين فلا يكون في الأمر بالصلاة على هذا التأويل تكرير [٣].

والصّلاة في اللغة هي الدعاء [٤]، وقيل كانوا يأمرون الناس بالإيمان بمحمد ﷺ قبل ظهوره فلما ظَهَر كفروا به.

وقال رسول الله ﷺ : (رأيتُ ليلةَ أُسري بي رجالاً تقرَضُ ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من نارٍ ، قلتُ يا جبريل من هؤلاء ؟قال هؤلاء خُطباءُ أمّتك الذين يأمرون الناس بالبرّ وينسون أنفسَهم) [٥].

---

[١] أسباب النزول للواحدي: ص٦٠ من طريق الكَلبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس و الدر : ١ / ٦٤ و عزاه للواحدي و الثعلبي. و ذكره بلا إسنادٍ الواحدي في الوسيط: ١ / ١٣٠ و ابن الجوزي: ١/ ٧٤ و القرطبي: ١ / ٣٦٥

[٢] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٥

[٣] الوسيط: ١/ ١٢٩ و المحرر: ١/ ١٣٦ و البحر لأبي حيان: ١ / ١٨١ وينظر ما سيرِد قريبا حول تعليل ذِكر الركوع بعد الأمر بالصلاة فهو أوسعُ.

[٤] ينظر ما تقدّم في أول السورة عند تفسير قوله تعالى :﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣].

[٥] حديث صحيح فقد جاء من طُرُق يشد بعضها بعضا عن أنس رضي الله عنه الطريق الأولى: أخرجها عبد الله بن المبارك في مسنده: ١/ ١٥ و ٧٨ و من طريقه ابن أبي الدنيا في الصَّمْتِ : صـ ٢٤٩ وأخرجها ابن أَبِي شَيْبَةَ: ٧ / ٣٣٥ وأحمد في المسند: (٣/ ١٢٠ و ١٨٠ و ٢٣١ و ٢٣٩) و في الزهد له: صـ ٤٥ وأبو يعلى : (٧ / ٦٩) و الحارث بن أبي أسامة: (زوائد مسند للهيثمي: ١ / ١٧٠ و عبد بن حميد: (١

/ ٣٦٧) و الخطيب في تاريخه: ٦ / ١٩٩ وفي موضح أوهام الجمع: ٢/ ١٧٤ كلُّهم من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس. و هذا سندٌ رجاله على شرط مسلم غيرَ علي بن زيد بن جُدعان: (ت: ١٣١ هـ) ففيه ضعف: (تهذيب التهذيب: ٧ / ٣٢٢) وحمَّاد بن سلمة إمام جليل ثقة لكن تُكُلِّم في حفظه قال الذهبي : (ثقة له أوهام) الميزان: ١ / ٥٩٠ . و قد روى له مُسْلم في صحيحه في الأصول و بقية أصحاب الكتب الستة سوى البخاري. و له عن علي بن زيد طريق أخرى سترد. والطريق الثانية: أخرجها عبد الرزاق في تفسيره: ٢ / ٣٧٣ في أوائل تفسير سورة الإسراء من طريق جعفرِ بن سليمان عن عمر بن نَبْهان عن قتادة عن أنس، و من طريقه ابن أبي الدنيا (رقم ٥٧٠) . و ذكرها البخاري في التاريخ الكبير: (٦ / ٢٠٢) و هذا سند ضعيفٌ عمر بن نبهان روى له أبو داود حديثا واحدا و ضعَّفه ابن معين و أبو حاتم ينظر: تهذيب الكمال: ٢١ / ٥١٦ وقال : (البخاري لا يتابع على حديثه) اهـ. (التاريخ الكبري: ٦ / ترجمة: ٢١٧٣).

و الطريق الثالثة: أخرجها البيهقي في شعب الإيمان(٢ / ٢٨٣) و الخطيب في اقتضاء العلم العمل: صـ ٧٣ كلاهما من طريق صدقة بن موسى والحسن بن جعفر قالا ثنا مالك بن دينار عن ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس. و رواه المغيرة خَتَنُ مالك بن دينار عن مالك بن دينار عن أنس و ستأتي. والطريق الرابعة: طريق سليمان التيمي عن أنس رواه عن سليمان ثلاثة من الثقات معتمر عن أبيه وعيسى بن يونس و ابن المبارك : فطريق معتمر بن سليمان عن أبيه عن أنس أخرجها البيهقي في شعب الإيمان (٤ / ٢٤٩) و ابن عساكر: ٢٥ / ٢٢ و الضّياء في المختارة: (ح ٢١٦٠). و هذا سَندٌ صحيح رجاله رجال الشيخين. و لذا صحَّحه الضياء في المختارة و نقل قولَ الدارقطني: تفرد به معتمر عن أبيه وقد رواه علي بن زيد عن أنس . ثم عقّب الضّياء برواية عيسى بن يونس عن سليمان التيمي عن أنس ليُبيِّنَ أنَّ معتمِراً مع كونه ثقةً لم يتفَرَّدْ به عن أبيه. و طريق عيسى بن يونس عن سليمان التيمي عن أنس عند الطبراني في الأوسط : ١/ ١٣١ و الضِّياء في المختارة: (ح :٢١٦١). ولهُ عن سليمان التَّيمي طريق ثالثة: أخرجها أبو نُعَيم في الحلية من طريق عبد الله بن المبارك عن سليمان عن أنس وقال: (مشهور من حديثِ أنس رواه عنه عدة وحديث سليمان عزيز)اهـ.

الطريق الخامسة: عند البيهقي في الشعب: (٤ / ٢٥٠) و الواحدي في الوسيط: ١ / ١٣٠ كلاهما من طريق أبي بُجَير محمد بن جابر حدثنا عبد لرحمن بن محمد المحاربي أنا سفيان عن خالد بن سلمة عن أنس. و هو سند صحيح لكنه منقطع بين خالد بن سلمة و أنس . فرجاله ثقات أما أبو بجير محمد بن جابر فثقة

روى عن عبد الرحمن المحاربي و وكيع و عبد الله بن نمير و غيرهم (ت: ٢٥٦هـ) (تهذيب التهذيب : ٩ / ٨٨) و عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربي ثقة روى له الجماعة وثَّقه ابن معين والنسائي و غيرهما. (ت: ١٩٥هـ) (تهذيب الكمال: ١٧ / ٣٨٦). وسفيان هو الثوري إمام أهل الحديث ، و أما خالد بن سلمة فهو ابن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي والد عكرمة بن خالد المخزومي روى عن الثوري و شعبة و حماد بن زيد و غيرهم و كان من علماء قريش قتل مظلوما روى له مسلم و أصحاب السنن ووثقوه و روايته عن التابعين و لم تذكر له رواية عن أنس أو غيره من الصحابة. (الجرح و التعديل : ٣/ ت: ١٥٠٥ و تهذيب الكمال : ٨ / ٨٣).

الطريق السادسة: طريق المغيرة خَتَن مالك بن دِينارِ عن مالك بن دينار عن أنس صححها ابن حبان و قد أخرجها أبو يعلى (٧ / ١٨٠) و ابن حبان : ١ / ١٤٥ الإحسان ،(٣٩) موارد الظمآن وصحيحه: ١/ ٢٨٩ و الطبراني في الأوسط: ٣/ ١٧٠ و الضياء في المختارة: (ح ٢٦٤٦ و ٢٦٤٧). و المغيرة هو ا بن حبيب خَتَنُ مالك بن دينار: (قال الأزدي منكر الحديث)اهـ. و ذكره ابن حبّان في ثقاته و قال يُغرِب. و لم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحا و لا تعديلا. و الأزدي يتعنت في الجرح و لذا يردّ الذهبي و ابن حجر جرحه أحيانا و ينصُّون على تعنته. (ينظر: الجرح و التعديل : ٨ / ٢٢٠ وثقات ابن حبان: ٧ / ٤٦٦ ولسان الميزان: ٧ / ١٣٤). قال الهيثمي: (مجمع الزوائد ٧/ ٢٧٦): (أحدُ أسانيدِ أبي يعلى رجاله رجال الصحيح)اهـ. ورواه إبرهيم بن أَدهم الزّاهد العابد فجعله عن مالك بن دينار عن أنس: حلية الأولياء: ٨ / ٤٣ (قال أبو نعيم مشهور من حديث مالك عن أنس ، غريب من حديث إبراهيم عنه)اهـ.

الطريق السابعة: راوها الحارث بن أبي أسامة كما في زوائد مسنده (بغية الباحث)للهيثمي :٢/ ص٧٦٨ فقال: حدثنا أبو النضر حدثنا محمد بن عبد الله عن علي بن زيد عن أنس به.

الطريق الثامنة: ذكرها ابن كثير نقلا عن تفسير ابن مردويه: من طريق عمر بن قيس عن علي بن زيد عن ثمامة عن أنس به . (تفسير ابن كثير: ١/ ٢٥١) فهذه ثلاثة طرق تقدّمت عن علي بن زيد لكن في طريق منها عنه عن ثمامة عن أنس. و الكلام على رجال هذه الطرق يطول و المقصود أنَّ الحديث صح عن علي بن زيد عن أنس و عن سليمان التيمي عن أنس و عن مالك بن دينار عن أنس.

وينظر: السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني رحمه الله: ٢٩١ . وقد ذكر خمسة من طرقه وصحَّح الحديث. و من شواهده حديث أبي هريرة: عند البزار وأبي يعلى وابن جرير ومحمد بنُ نصرِ المروزي في كتاب الصلاة وابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه والبيهقي: ينظر الدر: ٥ / ١٩٨ في أول سورة الإسراء.

و قيل إنَّ قوما يطّلعون من الجنة على ناسٍ من أهل النار فيقولون لهم قد كنتُم تأمُرُوننا بأشـياء عَمِلناها فدخلنا الجنة قالوا إنا كنَّا نأمرُكُم بها و نخالِفُكُم إلى غيرِها[١].

وروى أبو قِلابة [٢] عن أبي الدّرداء أنه قال : (لا يفقه الرجل كلّ الفقه حتى يمْقُتَ النـاس في ذات الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتا). [٣] قاله في تفسير قوله: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ﴾.

وقوله : ﴿ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي تتركون أنفسكم فلا تطالَبُوا منها بالطاعة .

وقوله ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أي أفلا تفقهون قبحَ ما تعملونه من ذلك، و إنـما قـال ﴿ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ بعد قوله ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾- و إن كان الركوع داخلا فيه- إمّا حثّاً على

---

[١] ينظر: حديث أسامة بن زيد –رضي الله عنه –عند البخاري: (ح ٣٢٦٧) في بدأ الخلق – باب صفة النار وأنها مخلوقة و (مسلم ٢٩٨٩) في الزهد باب عقوبة من يأمر بـالمعروف و لايفعلـه و ينهـى عـن المنكـر و يفعله وتفسير البغوي: ١ / ٨٩ و تفسير ابن كثير: ١ / ٢٥٢

[٢] عبد الله بن زيد بن عمرو الجَرْمي البصري أحد الأعلام من علماء التابعين، ذكره ابن سـعد في الطبقـة الثانية من أهل البصرة وقال كان ثقة كثير الحـديث(٧ / ٨٣) قـال أيـوب الـسختياني: (كـان و الله مـن الفقهاء ذوي الألباب): (طبقات ابن سـعد: ٧ / ١٨٣ و الجـرح و التعـديل: ٥ / ترجمـة: ٢٦٨ وحليـة الأولياء: ٢ / ٢٨٢ وتهذيب الكمال: ١٤ / ٥٤٦) روى له الجماعةُ توفي رحمه الله: (١٠٤ وقيـل: ١٠٥ و قيل ١٠٧ هـ).

[٣] المصنف لابن أبي شيبة: ١٣ / ٣٠٦ و جامع البيان للطبري: ١ / ٦١٥ و الخطابي في العزلة: صـ ٨٢ و أبو نعيم في الحلية: ١ / ٢١١ و البيهقي في الأسماء و الصفات: (٦١٩) قال الحافظ في فتح البـاري: ١٣ / ٣٨٣ : رجاله ثقات لكنه منقطع اهـ. يعني لأن أبا قِلابة لم يسمع من أبي الدرداء.

إقامة الصلاة جماعةً حيث قال ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أو قال فاخضعوا مع الخاضعين لله لأنّ الركوع هو الخضوع [١] .

و إنما خُصّ الركوع بالذكر من بين أركان الصلاة لأنه أول ركن إذا شوهد عليه المصلّي يُعلَم أنه في الصلاة لأنه يخالف العادة، و القيام يكون في غير الصلاة.

و قيل لأنه لم يكن في دين اليهود ولا في صلاتهم ركوعٌ فذكر ما اختصّ بشريعة الإسلام [٢] .

و أصل التلاوة التُّلوّ [٣] و هو الاتّباع تلاه يتلوه إذا تبِعه و التّلاوة اتباع بعض الحروف بعضاً [٤] .

و قال الحسين بن الفضل [٥] : لم يقع الذمّ بأمرهم بالبرّ، ولكنْ وقَعَ الذَّمّ على تركهم فعل البرّ وترك البرّ مع الأمر به أعظم في باب الجرأة على العصيان.

قوله : ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية [٤٥] استعينوا بالصبر قيل أراد به الصوم، و قيل الصبر نفسه على اجتناب الزّاجر و اتباع الأمر [١] .

---

[١] يعني فلا يكون فيه تكريرٌ و ينظر: الوسيط: ١/ ١٢٩ و المحرر: ١/ ١٣٦ و تفسير السمعاني: ١ / ٧٣ وتفسير عمر النسفي الحنفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٨٧) . و تفسير القرطبي: ١ / ٣٤٥ والبحر لأبي حيان: ١ / ١٨١

[٢] ينظر:الوسيط: ١/ ١٢٩ و المحرر: ١/ ١٣٦ و تفسير القرطبي: ١ / ٣٤٥ والبحر لأبي حيان: ١ / ١٨١

[٣] في النسخة (ل) : التُّلوّ .

[٤] الوسيط: ١/ ١٣١

[٥] لم أعثر على من نقله عن الحسين بن الفضل ،و هو مع وضوحه من الاستنباطات البديعة فهو من مزايا هذا التفسير و إن كان المعنى موجودا في غيره من كتب التفاسير لكن ليس بهذا اللفظ ، وينظر: تفسير القرطبي: ١ / ٣٦٦ .

و الصلاة أي الصلاة المفروضة ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ قيل و إنّ الاستعانة بهما لكبيرة [٢] و قيل وإنَّ إجابة النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم في صرف القبلة إلى الكعبة من بيت المقدس لكبيرةٌ إلا على الخاشعين المؤمنين المذلّين نفوسهم المتواضعين لله [٣].

قال ابن عباس [٤]: استعينوا بالصبر على أداء الفرائض و بالصلاة على تمحيص الذنوب. ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ لثقيلة، وقال الحسن [٥]: استَعينوا بالصبر على الصّلاة و أرادَ به جميع الدّين فخصّ به الصلاة لمكانها من الدِّين.

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ [٤٦] (يعلمون) كقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٠] وكقوله ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف:٥٣] أي عَلِمُوا.

وأنشد دُريدُ بن الصِّمَّة [١]

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٦١٧

[٢] الضمير رجّح الطبري عوده إلى الصلاة: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٢١ و يرجحه الزجاج: ١ / ١١٥ و الواحدي: الوسيط: ١ / ١٣١ و أبو حيان و قال: (إنّه الظاهر من الكلام و هو القاعدة في العربية)اهـ. و هو الظاهر. وينظر: تفسير الثّعلبي: ١ / ١٨٨ و المحرر: ١/ ١٣٧ و زاد المسير: ١ / ٧٦ و قد ذكر ابن الجوزي الأقوال و عزى القول برجوعه إلى الصلاة إلى ابن عباس و الحسن و مجاهد و الجمهور. والقول الذي ذكره المصنف –من أنَّ المراد الاستعانة بهما- عزاه الثعلبي إلى الحسين بن الفضل: تفسير الثعلبي:١ / ١٨٩ و كذلك البَغوي: ١ / ٨٩ و ذكره غيرُهما كابن عطية و أبي حيان من دون عزو و عزاهُ ابنُ الجوزيّ إلى محمد بن القاسم النحوي يعني ابن الأنباري و ينظر ما سيذكره المصنف فيما بعد حول هذا.

[٣] ضعفه الطبري: ١ / ٦٢١ وقال: لم يجر للفظ الإجابة ذكرٌ. و ضعفه أيضا ابن عطية: ١ / ١٣٧

[٤] لم أجده بهذا اللفظ عن ابن عباس رضي الله عنه و ذكر ابن الجوزي: ١/ ٧٥ وأبو حيان: ١ / ١٨٤ قوله: (على أداء الفرائض) معزوّا لابن عباس.

[٥] ينظر: تفسير القرآن لابن أبي زَمَنِين محمد بن عبد الله: (ت: ٣٩٩هـ) وهو مختصر لتفسير يحيى بن سلام: ١ / ١٣٧

فقلت لهم ظُنُّوا بألفي مدجَّجٍ　　　سَرَاتُهُم [٢] في الفارسيّ المسرَّدِ [٣]

يعني تيقنوا أنهم مُلاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون في البعث.

وقيل واستعينوا بالصبر والصلاة على طلب الآخرة.

وفي مصحف عبد الله [٤] : (الذين يعلمون أنهم مُلاقوا ربِّهم) و إنما أمرَهُم بالاستعانة بالصلاة لأنّ الصلاة فيها تلاوة كتاب الله الداعيةُ آياته إلى رفض الدنيا المسلِّية للنفوس عن زينتِها المذكِّرةُ للآخرة و ما أعدَّ الله تعالى فيها [٥] .

وجاء في الخبر عن حُذيفة أنّ رسول الله ﷺ :(كان إذا حزبه [٦] أمر فزع إلى الصلاة) [٧].

---

[١] الأصمعيات: صـ١٠٧ ، و الأضداد لابن الأنباري: صـ ١٤ و جامع البيان للطبري: ١ / ٦٢٤ ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٥ و الوسيط: ١/ ١٣٢ والبحر لأبي حيان: ١ / ١٨٥

[٢] سادتهم جمع سري. لسان العرب: سرا و المصباح: (سرا)

[٣] المحبوك الجيد الصنع . لسان العرب: (سرد)

[٤] الفريد للمنتجب الهمداني: ١ / ٢٨٥ والبحر لأبي حيان: ١ / ١٨٥

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٦١٨

[٦] حزبه أمر أي نزل به مهمٌّ أو أصابه غمّ : النهاية في غريب الأثر :١/ ٣٧٧

[٧] سنن أبي داود : (ح ١٣١٩ باب وقت قيام النبي صلَّى الله عليه وسلَّم من الليل) و أحمد: ٥ / ٣٨٨ والمروزي في تعظيم قدر الصلاة: (ح ٢١٣) و جامع البيان للطبري: ١ / ٦١٨ و ابنُ قانع في معجمه: ٢ / ١٨٩ والخطيب: ٦ / ٢٧٤ و البيهقي في الشُّعب: ٣ / ١٥٤ و في دلائل النبوة – مطوَّلا- : ٣ / ٤٥١ كلُّهم من طريق عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي- و في بعض الرِّوايات محمد بن عبيد بن أبي قدامة– عن عبد العزيز بن اليمان أخي حذيفة به مرفوعا. و في سنده عبد العزيز بن اليَمان مستور ذكره ابن حبان في ثقاته: ٥ / ١٢٤ و تهذيب الكمال: ١٨ / ٢٢٣ و قد حسّن سنده الحافظ في فتح الباري: ٣ / ١٧٢ و في بعض الرويات ابن أخي حذيفة و الصواب فيه أخي حذيفة: الإصابة: ٥/ ٢٥٠ و قد بيّن البخاري الاختلاف فيه: (التاريخ الكبير :١/ ص١٧٢) فقال : (قال النضر عن عكرمة عن محمد بن عبيد أبي قدامة سمع عبد العزيز أخا حذيفة عن حذيفة كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبه أمر صلّى ،

قال ابن كيسان (١): استعينوا على ترك ما تحبُّون من الدنيا والدخول فيها تكرهون من الانقياد لمحمد ﷺ ولمن آمن به بالصبر والصلاة لأنها تخشّعكم، وفيها تلاوة الكتاب، وذكر ما أنتم صائرون إليه ليكون أعون لكم على طاعة ربكم. ثم قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ أي يتيقّنُون الموت لا يأمنونه فيكون الظنُّ ههنا على هذا التأويل مُبقَىً على أصله أي يتوقَّعون ساعة فساعة. و قد يقال للميِّت لقي الله وصار إليه (٢).

﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ أي وإنّ التوبة لثقيلة إلا على الخاشعين الذين يظنُّون أن الموت يأتيهم بغتةً فيبادرهم على غرة، فهم لا يستثقِلون شيئا من أمر الله.

وقوله: ﴿ مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ أي مُلاقوا جزاء ربِّهم (٣) كقوله: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ [التوبة:٧٧]. والمنافق لا يرى الله عز وجل.

وقال ابن أبي زائدة عن عكرمة عن محمد بن عبد الله الدؤلي). و ذكر الاختلاف أيضا ابن حبان: في ثقاته: ٥ / ١٢٤ . و قد خرجه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: ١ / ٦٠ ولم يضعّفه وكذلك: المناوي في الفتح السماويّ: ١ / ١٦٩ . و يشهد له ما في خبر حذيفة الطويل الذي أصله في صحيح مسلم في خبر تجسُّسه على المشركين في غزوة الأحزاب: ففي بعض رواياته عند أبي عوانة: (ح ٦٨٤٠) (و كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إذا حزبه أمرٌ صلى).

(١) لم أهتد إليه.

(٢) تفسير العلامة نجم الدين عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٨٩) . و لسان العرب: (لقا) ١٢ / ٣١٧ و ما بعدها و المفردات للراغب: صـ٤٥٣ مادة: (لقي) مع ما سيرد فإن المصنف سيتكلَّم على هذا فيها بعد بأوسع مما هنا.

(٣) هذا من التأويل الذي لا دليل عليه، و اللقاء هنا قيل بمعنى الصيرورة إليه تعالى أو بمعنى اللقاء الموعود وهو رؤية الله تعالى في الآخرة : تفسير السمعاني: ١ / ٧٥ و غيره. وهذه الرؤيا محل إجماع عند أهل السنة تواترت بها الأحاديث و المصنف لم يقصد نفيها لأنه ممّن يقول بها قال أبو حيان : (و إلى

وقوله: ﴿ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ أي يرجعون كما كانوا في قديم الدهر لا يملِك لهم أحدٌ نفعاً ولا ضرَّاً إلا الله ولا يبقى لأحد فيه شبهةٌ لأنهم في الدنيا يدَّعون الملك فتنقطع في الآخرة دعاويهم، وإن كان لا يملك في الحقيقة ضرَّهم ونفعهم في ذلك إلا الله أيضاً.

وقيل ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ على أداء الفرائض واجتناب المحارم واحتمال الأذى وجهاد العدو وعلى المصائب بالصلاة لأنها تنهى عن الفحشاء و المنكر وتدعو صاحبها إلى مكارم الأخلاق و إنها لكبيرة على قلوب المشركين كقوله ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ ﴾ [الشورى:١٣].

وقال بعضهم [١] : إنما قال ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ ولم يقل (وإنهما) على عادة العرب في الخطاب يذكرون شيئين ثم يخبرون عن أحدهما كقوله: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾ [التوبة:٦٢]، ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا ﴾ [التوبة:٣٤]، ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾ [الجمعة:١١]، ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ ﴾ [البقرة:٢٥٩]، ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمًا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا ﴾ [النساء:١١٢].

اعتقاد هذا ذهب أكثر المسلمين)اهـ. البحر: ١ / ١٨٦ و ينظر أيضا: تفسير الثّعلبي: ١ / ١٩٠ والوسيط: ١/ ١٣٢ و المحرر: ١/ ١٣٨ و تفسير عمر النسفي الحنفي التيسير في التفسير: (ورقة ٨٨- ٨٩) وفيه إيضاح مفيدٌ، وتفسير ابن كثير: ١ / ٢٥٩

[١] تفسير الثّعلبي: ١ / ١٨٩ و زاد المسير: ١/ ٧٦ و تفسير نجم الدين عمر النسفي الحنفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٨٨) . و تفسير القرطبي: ١ / ٣٧٣ و البيان لأبي البركات ابن الأنباري: ١ / ٧٩ و إملاء ما منّ به الرحمن: ١/ ٣٤ و البحر: ١/ ١٨٥

وقد اختلفوا في مثل هذا فقال المؤرّج [١]: الكناية تعودُ إلى الأغلب الأعمِّ فالتِّجارة أعمُّ من اللَّهْو والفِضَّة أَعمُّ من الذَّهب ورِضا الله أعمّ من رضا غيره، وكذلك الصلاة أعمّ من الصبر وأشرف [٢] .

وقال بعضهم : هذا و أمثاله بابٌ منه ما تُحمَلُ الكناية على الأوّل، ومنه ما تُحمَل على الآخِر، وفي هذه الآية حُمِلَ على الآخِرِ فإنْ لم يحتمَل إلّا أحدُهما عادت الكناية إليه كقوله : ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ﴾ [النساء:١١٢] لأنَّ (أو) للتخيير و إذا احتملَهُما جميعاً عَادَتْ إلى أيِّهما كان و إلى الآخِرِ أقيسُ، وقال بعضهم: في مثل هذا يُكتفَى بالعَود إلى أحدهما لما فيه من دلالة الآخر.

وقال بعضهم: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ وإنَّ كل خصلة منها لكبيرة كقوله : ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾ [الكهف:٣٣] (٣) ولم يقل آتتا لأنه أراد آتتْ كلُّ واحدة، نظيرُهُ قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ [المؤمنون:٥٠] أي جعلنا كلَّ واحدٍ منهما آية وأُنشد في معناه :

---

[١] مؤرّج بن عَمرو أبو فَيْد السَّدُوسيّ من علماء العربية و من أصحاب الخليل بن أحمد الفراهيدي، روى عن أبي عمرو بن العلاء و شعبة و طائفة وأخذ عن الأعراب. و له عدّةُ تصانيفَ منها : ((غريب القرآن)) و كتاب المعاني و غيرها : (ت: ١٩٥هـ وقيل سنة: ٢٠٠هـ). : التاريخ الكبير: ٨ / ٧١ ،المعارف: ٥٤٣ ، مراتب النّحويين: ٦٧ ، تاريخ بغداد: ١٣ / ٢٥٨ ، جمهرة أنساب العرب: ٢٩٩ ، نزهة الألباء: ١٧٩ ، معجم الأدباء: ٧ / ١٩٣، إنباه الرّواة: ٣ / ٣٢٧ ، ووفيات الأعيان، ٥ / ٣٠٤ ، سير أعلام النبلاء: ٩ / ٣٩٠– ٣١٠

[٢] تفسير الثّعلبي: ١ / ١٨٩ و تفسير البغوي : ١/ ٨٩ و البحر: ١/ ١٨٥ نقلا عن المؤرج.

(٣) في الأصل: (تلك الجنتين ءَاتَتْ أُكُلَهَا).

نحنُ بما عندنا و أنتَ بمــا عندكَ راضٍ و الرأيُ مختلفُ (١)

وقيل الهاء يرجع إلى قوله: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ [البقرة:١٤٤] فالتَّولية لكبيرة إلا على الخاشعين.

و قيل الخاشعُ الذي يُرى أثر الذلِّ عليه كخشوع ... (٢).

و إنما قال ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ﴾ و كان من حقِّه أن يقول (ملاقونَ ربَّهم) (٣) لأنَّه مستقبل استثقالا للنُّون كقوله : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ [من مواضعها آل عمران:١٨٥] و ﴿ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلاً ﴾ [الدخان:١٥] و ﴿ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ ﴾ [القمر:٢٧] وهذا قبل الإرسال و ﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ ﴾ [العنكبوت:٣٣] بالنّصب في الأهل وجهُ الكلام و الكاف في موضع جرٍّ لذهاب النون (٤) .

---

(١) البيت لقيس بن الخطيم: في الكتاب لسيبويه: ١ / ٧٥ ، ومعاني القرآن لابن النحاس: ٣ / ٢٢٩ و٢٧٨ و إعراب القرآن له: ٢/ ٢١٢ . و قد اختلف في نسبته فهو منسوبٌ إلى عمرو بن امرؤ القيس في الخزانة : ٢ / ١٩٣ و جمهرة أشعار العرب: ١٣٧ من قصيدة. ونسبه ابن الأنباري: لدرهم بن زيد الأنصاريّ: الإنصاف: صـ. ٩٥ وينظر: في معناه: شرحُ أبيات الكتاب لسيبويه لابن النحاس: رقم: ٦٠ و الشاهد فيه أنه لم يقل: راضون ولا راضيان. وينظر: لسان العرب: قعد : ٣ / ٣٦٠

(٢) وقع في الأصل هنا : {الرجوع بعد الأقوام}كذا هذه الجملة في: النسخة (ل).

و في تفسير الثعلبي : (قال الزجاج :ا اشع الذي يرى أثر الذل والخنوع عليه وكخشوع الدار بعد الإقواء) ١ / ١٨٩ ومثله في تفسير القرطبي: ١ / ١٨٩. ولم أعثر عليه في معاني القرآن للزجَّاج. وأقْوَتِ الدّار خلت من سكانها و القَواء الأرض القَفْرُ الخالية . لسان العرب: (قوا)و النهاية: (قوا).

(٣) جامع البيان للطبري: ١ / ٦٢٦ – ٦٢٨ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٧ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢٢١ و الفريد: ١ / ٢٨٥

(٤) يعني من قوله: ﴿ مُنَجُّوكَ ﴾ .

وقولـه ﴿وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ أي إلى حكمـه و قـضائه، وقـال بعـضهم إنـما قـال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ ولم يقل (وإنهما لكبيرة) لوجوه منه [١] :

أن الاستعانة لكبـيرة كقولـه : ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌ﴾ [الأنعام:١٢١] ويحتمل أنه أراد به الكعبة أي و إن الكعبة لكبيرة إلا على الخاشعين، و يحتمل : و إنّ إجابة النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم لكبيرة إلا على الخاشعين و يحتمـل أن العبـادة بالـصوم و الصلاة لكبيرة إلا على الخاشعين.

و قيـل إنـما خـصَّهما بالـذكر دون سـائر العبـادة لأن القـوم كـان يمـنعهم عـن الإسـلام الـشّره

وحب المال [٢] فأمرهم بالصّوم الذي يذهب الشَّرَه [٣] و الصلاة التي تورث الخشوع و تنفي التَّرَف ليستعينوا بهما على نفي هذين [٤] الخصلتين.

و قيل في قوله : ﴿ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ ﴾ اللّقاء يحتمل و جوها يحتمل لقـاء العيـان منـه قـول أمـير المؤمنين [٥] :

---

[١] كرَّرَ المصنّف هذا هنا ؟ و قد تقّدم و ذكرت جملة من المصادر التي تكلمت على هذا هناك عنـد تفـسيره للآية.

[٢] كتب الناسخ هنا في الحاشية هنا : مطلب : (الصوم يُذهِبُ الشَّره، و الصلاة تورث الخـشوع و تنفـي الترف)اهـ.

[٣] وضع في النسخة : ل : هنا كلمة الحرص فوق الشره تفسيرا لها.

[٤] كذا ؟ و كان حقّ العبارة أن يقول : (هاتين الخصلتين) لأنّ الإشارة إلى مؤنّـث و لعـل التحريـف مـن الناسخ.

[٥] البيتان ينسبان لعلي رضي الله عنه في الزهرة لابن داود الظاهري: ٢ / ٦٦٥ في الباب الرابـع والـسبعون. قال أنشدني بعض أهل الأدب عن الرّياشي لعلي رضي الله عنه وفيه: و أنَّ القليل المال.

دليلك أن الفقرَ خير من الغِنى   و أنّ قليلَ المال خير من المثرِي
لقاؤك مخلوقاً عصى الله للغِنَى   و لم تر مخلوقا عَصى الله للفقر

و يكون الّلقاء بمعنى المصير و الاجتماع، كما قال:﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾[الجمعة:٨] أي مجتمع معكم، و كما قال ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ [يونس:١١] أي المصير إلينا و هذا محتمل بالآية، ويكون الّلقاء بمعنى النّيل كما قالت العرب لقيت من فلان كذا أي نلت منه [١] .

قوله : ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩] أي ينالون هلاكاً ، وقوله : ﴿ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾ [السجدة:٢٣] يحتمل فلا تك في مرية من لقائك موسى ليلة الإسراء، و يحتمل من لقاء موسى الكتاب أي من نيله ذلك فحُذِفَ لمّا قد جرى ذكره. و قيل من لقائه أي من رجوع موسى إلى ربه و مصيره إليه .

ورُوي عن ابن عبّاس [٢] أنّه نُعِيَ إليه قُثَم [١] و هو في سفر فاسترجع ثمّ تنحَّى عن الطريق فأناخ و صلّى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي إلي راحلته وهو يقول:

و قد نسبا إلى عبد الله بن المقفّع فقد ذكرها الماوردي في أدب الدنيا و الدين: صـ٢٧٠ و نسبها إليه وذكرها الصفدي في الوافي بالوفيات في ترجمة عبد الله بن المقفع منسوبة إلى عبد الله بن المقفع.

[١] ينظر: لسان العرب: (لقا) ١٢ / ٣١٧ و ما بعدها و المفردات للراغب: صـ٤٥٣ مادة: لقي.

[٢] سعيد بن منصور في سننه: (٢٣١ و ١٨٩ و ٢٣٢– التفسير) و الآحاد و المثاني: لابن أبي عاصم: ١/ ٢٤٩ وجامع البيان للطبري: ١ / ٦٢٠ و البيهقي في شعب الإيمان (٩٦٨٢) كلهم من طريق اسماعيل ابن عُليَّة حدثنا عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه به . و أخرجه البخاري في التاريخ الكبير: ٣ / ١٥٦ و الحاكم: ٢ / ٢٩٦ وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)و البيهقي في الشعب: (٩٦٨١) من طريق هُشَيم أنا خالد بن صفوان عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه به في قصة نحوها.

﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾. و إنما كرّر قوله: ﴿وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ بعد قوله: ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ أي في الآخرة و أنّهم إليه راجعون في جميع أحوالهم وأحكامهم في الدُّنيا والآخرة [٢].

و القراءة في قوله: ﴿وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ بالنصب و هو الوجه، ويجوز في الكلام [٣] (وإنهم) بالكسر أي و هم إليه راجعون، و قيل ﴿وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ في القيامة، وقوله: ﴿مُّلَٰقُوا رَبِّهِمۡ﴾ بموتهم.

قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ﴾ الآية [٤٧] قيلَ معناه [٤] أنّي فضلتكم على عالمي زمانكم ويكون الخطاب للموجودين منهم، و المراد منهم سلَفُهم لأنّ المؤمنين منهم في ذلك الوقت لم يُفَضَّلُوا على العالمين، و إنما فَضَّلَ سلفَهم بأنْ جعَل فيهم أنبياءَ و آتاهم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين كما قال.

---

[١] قُثَم بن العباس رضي الله عنهما ابن عبد المطلب، ابن عمّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم و أخو عبد الله والفضل، و أخو الحسين بن علي رضي الله عنه من الرضاعة كان يشبّه بالنبي صلَّى الله عليه وسلَّم. و هو قليل الرواية كان سيِّدا ورعا فاضلا . اختلفوا في موضع قبره و وفاته، قيل توفي بسمرقند وبها قبره، و قيل بمرو، قال الحاكم: الصحيح أن قبره بسمرقند. توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه : طبقات ابن سعد: ٧ / ٣٦٧ ونسب قريش لمصعب الزبيري: ٢٧ و التاريخ الكبير: ٧ / ١٩٤ و الجرح و التعديل : ٧ / ١٤٥ و أسد الغابة: ٤ / ٣٩٢ و سير أعلام النبلاء: ٧ / ٤٤٠ و البداية و النهاية: ٨ / ٧٨ و العقد الثمين: ٧ / ٦٧ والإصابة: ٣ / ٢٢٦ و تهذيب التهذيب: ٨ / ٣٦١ .

[٢] الوسيط: ١/ ١٣٢ و البحر لأبي حيان: ١ / ١٨٧

[٣] إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢٢١ و الفريد: ١ / ٢٨٥ و تفسير القرطبي: ١ / ٣٧٦

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٢٩ و الوسيط: ١ / ١٣٣ و تفسير السمعاني: ١/ ٧٥ والمحرر: ١ / ١٣٩ و البحر: ١/ ١٨٩

و قيل فضّلهم في وقتهم على العـالمين دون النـاسِ مـن الحيوانـاتِ (١) فنـدبهم إلى الـشّكر بـما فضّلهم على الحيوانات في الخلقة، و غير ذلك من فنون النعمة، وقيل كان التفضيل لإسلامهم، و لكنْ فيما أُعطي الآباء مـن ذلـك شرفٌ الأبنـاءِ فلـذلك قـال لهـم: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كما تقول أكرمتُك بإكرامي أخاك .

و الذي يدلّ على أنه أراد به عالمي زمانهم قوله :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران:١١٠].

وروى بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ألا إنّكـم وَفَيـتم سـبعين أُمة أنتم خيرها و أكرمها على الله) (٢) .

وقيل ﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في كثرةِ الأنبياءِ منكم فهو مقيَّدٌ بهذا كما تقول زيد أفضل من عمرو في الشجاعة، وليس بأفضل منه على الإطلاق، كذلك بنو إسرائيل أفضلُ من جميع العـالمينَ في هذه الخصلة الواحدةِ، وهي كثرة الأنبياءِ منهم وليسوا بأفضلَ من هذه الأمّة على الإطلاق (٣) .

قوله ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ الآية [٤٨] فيه إضـمار ومعنـاه: اتقـوا عذاب يومٍ لا تجزي نفس عن نفس شيئاً أي لا تُقضَى نفس عن نفس شيئاً يقال جزى عني هذا الأمر قُضي عني (١) .

---

(١) يعني فضّلهم في وقتهم على العالمين من الحيوانات دون الناس. و فيه بعدٌ.

(٢) أخرجـه الترمـذي: في التفـسير: (٣٠٠٤) بـاب و مـن سـورة آل عمـران، و ابـن ماجـه في الزهـد (٤٢٨٧ ، ٤٢٨٨) باب صفة أمة محمد، و أحمد ٥ / ٣ ، ٥ و جامع البيان للطبري: ١ / ٦٢٨ والروياني في مسنده: ٢ / ١١٤ كلهم من رواية جماعة من الثقات المشهورين منهم معمر و النضر بـن شـميل و ابـن علية عن بهز بن حكيم به. و بَهْز بن حكيم عن أبيه عـن جـده. في تـصحيح حديثـه و تحـسينه و تـضعيفه اختلاف مبسوط في كتب الرجال، و الراجح عندي تحسين حديثه إلا الأحاديث التـي تكلّـم فيهـا بعـض الحفاظ. ينظر: تهذيب الكمال (تحقيق بشار عواد): ٤ / ٢٥٩ و ما بعدها.

(٣) تفسير القرطبي: ١ / ٣٧٦ و البحر: ١/ ١٨٩

وزعم الأخفش ⁽٢⁾ أنَّ جزى و أجزى لغتان بمعنى قضى.وقوله : ﴿ لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ﴾ أي لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئا أي في ذلك اليوم فحذف الظرف و مثله جائز و أنشد الزجاج ⁽٣⁾:

و يوماً شهدناه سليماً و عامرا ⁽٤⁾ أي شهدنا فيه.

و يقال أتيتُكَ يوم كذا في يوم كذا فيحذفون الظرف، قال الأصمعي ⁽٥⁾ : وأهل المدينة يقولون أمرت فلاناً يتجازَى ديني على فلان أي يتقاضَاهُ. وقال الكسائي ⁽٦⁾ : معناه :و اتقوا يوما لا تجزيه⁽٧⁾ نفسٌ عن نفسٍ شيئا فحذف الهاءَ الرّاجعة على اليوم.

⁽١⁾ ينظر: في معاني لا تجزئ: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٣١ – ٦٣٢ و تهذيب اللغة للأزهري: ١١ / ١٤٣ وتفسير الثّعلبي: ١٩٠ و الوسيط: ١ / ١٣٣ و المحرر: ١/ ١٣٩ و تفسير القرطبي: ١ / ٣٧٧ و لسان العرب: جزى(٢/ ٢٧٩) و سيذكرُ المصنف بعض الفوائد المتعلقة بذلك فيما بعد .

⁽٢⁾ معاني القرآن للأخفش: صـ ٧٣ وقال: إنّ جزى يجزي بترك الهمز لغة أهل الحجاز و أجزأ بالهمز لغة بني تميم. و ينظر: لسان العرب و الطبري الموضع السابق.

⁽٣⁾ معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٧

⁽٤⁾ البيت لرجل من بني عامر: و تتمَّتُه: قليلا سوى الطَّعنِ النّهال نوافله. و هو في الكتاب لسيبويه: ١ / ٩٠ و نسبه لرجل من بني عامر و في معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٧ بلا نسبة و المقتضب: ٣ / ١٠٥ و الكامل للمبرد: ١ / ٢١ و شرح المفصل لابن يعيش: ٢ / ٤٥ و تهذيب اللغة: ١١ / ١٤٣ (جزى) و اللسان: (جزى). وشطره الأول في الكشاف: ٢ / ٤٠٣ و المحرر: ١/ ٧٠

⁽٥⁾تهذيب اللغة: ١١ / ١٤٣ (جزى) بمعناه وليس فيه قوله: (أهل المدينة).

⁽٦⁾ معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٧ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٢١ و الفريد : ١/ ٢٨٧ والبحر: ١/ ١٩٠ و الدر المصون: ١ / ٢١٤ –٢١٥ و فيها الأقوال في هذه المسألة.

⁽٧⁾ سقطت الهاء من النسخة (ل) .

و اختاره ابن جرير [١]. وقرئ: (وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ) (الآية:٤٨) (و لا تقبل) بالتاء [٢]، وقال: { أبو عبيد [٣] } القراءة بالياء أعجب إلي لقول ابن مسعود: (ذكّروا القرآن و إذا اختلفتم في الياء و التاءِ فاجعلوها ياءً) [٤]. فمن قرأ بالتاء فلتأنيث اللّفظ، و من قرأ بالياء فلتذكير المعنى لأنّ تأنيث ما ليس بذي روحٍ غيرُ حقيقي و خاصة إذا تقدّم الفعلُ و اعترَضَ بينه و بين الاسمِ حائلٌ.

---

[١] لم أرَه صرّح باختياره و لكنّه قال: و جائز ...فذكره مبيِّنا وجهه من العربية. (جامع البيان للطبري: ١ / ٦٣١) . و المقصود أنّ التقدير إمّا أن يكون لا تجزي فيه ثم حذف حرف الجر فاتصل الضمير بالفعل ثم حُذِف الضمير أو يكون التقدير: لا تجزيه ثم حُذِف الضمير و تفصيلُ الخلاف بين النحاة في ذلك مبيّن في المصادر التي ذكرتها قريبا عند ذكر قول الكسائي.

[٢] هي بالتاء قراءة ابن كثير و أبي عمرو يعقوب و تروى أيضا عن أبي بكر عن عاصم : (السبعة: ص١٥٤ و المبسوط لابن مهران: ص١٢٩ والحجة لأبي علي الفارسي: ١/ ٢٧٩ و معاني القراءات للأزهري: صـ ٤٩ و الكشف لمكي: ١/ ٢٣٨ والمحرر: ١/ ١٣٩ و البحر: ١/ ١٩٠)

[٣] في النسخة (ل) : أبو عبيدة. و هو خطأ. الكشف لمكي: ١ / ٢٣٨

[٤] سنده صحيح أخرجه سعيد بن منصور في سننه : في فضائل القرآن: ٢ / ٢٥٤ قال حدثنا اسماعيل بن إبراهيم (ابن علية) حدثنا دواد عن الشعبي فذكر نحوه، و من طريق داود أخرجه ابن أبي شيبة به : باب ما جاء في صعاب السور: ٦ / ١٥٢ و ابن قتيبة في غريب الحديث: ٢ / ٢٢٨ لكنه عندهما بسند صحيح عن داود عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود، و أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٩ / ١٤١ (ح ٨٦٩٦): من طريق عبد الرزاق عن الثوري عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود به و أخرجه ابن أبي شيبة: ٦ / ١٥٣ و الطبراني في الكبير (ح ٨٦٩٧) من طريق زائدة بن قدامة عن عاصم عن زر عن ابن مسعود به. لكن وقع في المطبوع من المعجم الكبير في طريق زائدة عن عاصم عن ابن مسعود . و رواه سعيد بن منصور أيضا من طريق سفيان عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن ابن مسعود نحوه. و ذكره مكي في الكشف: ١ / ٢٣٨

و العدل الفدية سُمّي به لأن الفداء يعادل المفدّي [١] .

و قوله: ﴿ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٍ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآ ﴾ [الأنعام:٧٠] أي و إن تفدِي كلَّ فداءٍ وقال تعالى :﴿ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾ [المائدة:٩٥] أي مِثلَه [٦٦ و] وأرادَ بهذا الكفّار لا تنفعهم الشفاعة لأنّ اليهود كانوا يقولون [٢] يشفع لنا آباؤنا الأنبياء فآيَسهم الله بقوله: لا تنفعهم الشفاعة ولا يؤخذ منهم الفداء، ثم قال: ﴿ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ ليعلموا أنَّ جميع وجوه الخلاص ممنوع عنهم وأنهم لا ينصرون لا بالفداء ولا بالشفاعة ولا بغيره فلهذا كرّر قوله: ﴿ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ بعد قوله ﴿لَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾. و الآية وإن كانت عامة في نفي الشفاعة فمعناها الخصوص فيمن مات على الكفر بدلالة الأخبار التي وَرَدَت في إثباتِ الشفاعة .

وقوله :﴿لَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء:٢٨] وقوله :﴿ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦].

و الشفاعة [٣] مصدر من قولهم: شفعَ لي فلانٌ شفاعة و هو طلبه له إليه في قضاء حاجته، وإنما قيل للشفيع شفيعٌ لأنّ المستشفِع كان في طلب حاجته فرداً فصارَ بالشفيع في ذلك شِفْعاً والشفيع فَعِيل من شافعٍ لأنه صار شافعاً لصاحبه في طَلَب حاجته.

وقيل لا تَجزِي أي لا تُغني، كقولهم البقرة تجزي عن سبعة، عن السدي [١] وغيره من أهل اللغة أيضاً وهي لغة أهل الحجاز وتميم تقول: تجزئ بالهمز أي تغني [٢].

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٣٨ – ٦٣٩ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٧ و الوسيط: ١/ ١٣٤

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤٠ و الوسيط: ١/ ١٣٤ و تفسير القرطبي: ١ / ٣٨١

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٣٥ و الوسيط: ١/ ١٣٣ و المفردات للراغب: (شفع) و لسان العرب: (شفع).

قوله ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ الآية [٤٩] النَّجاة لآبائهم فاعتدّها نعمةً عليهم لأنهم نجوا بنجاتهم، و مآثر الآباء مفاخر الأبناء [٣] . وقيل إنّما هو على عادةِ العرب في قولهم نحن أنجيناكم من الرِّق وخلَّصناكم من السبي ويكونُ سلفُ القائل فعل ذلك بسلِفِهم، وليس كما ظنت التناسخية أنه كان لهم، و نظير هذا قوله: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة:١١] ولم يكنْ قد حُمِل الموجودين في ذلك الوقت [٤].

وقوله: ﴿ نَجَّيْنَـٰكُم﴾ [٥] ألقيناكم على النَّجوَة؛ والنَّجْوَةُ ما ارتفع من نُشُوزِ الأرض، ومنه قوله لفرعون ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس:٩٢] أي نُلقيك على نَجْوَةٍ فسمي كل فائز ناجياً.

وقوله: ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي من عَتْرتِهِ و أسرته وقومه وشيعتِهِ الذين يؤول إليهم ويؤولون إليه [٦]، وأصله [١] همزتان فعوِّضَتْ من إحديهما مدَّةٌ، وقيل الأصل في آل أهل فقلبت الهاء همزة كما

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٣٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٠٤ (٤٩٨)

[٢] ينظر كلام المصنف على معنى (تجزي) و ما علقته عليه و على كلام الأخفش المتقدّم قريبا:صـ٦٢٦.

[٣] ينظر: ما تقدّم عند قوله: ﴿ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الآية [٤٧]:صـ٦٢٥ و ما سيأتي: صـ ٦٣٦ و جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤٢- ٥٤٣ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٩١

[٤] في النسخة (ل) : لم تكن الكلمة واضحة كما ينبغي.

[٥] معاني القرآن لابن النحاس: ٣ / ٣١٥ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٩١ و لسان العرب: (نجا) والتسهيل لابن جُزي: ١ / ٢٨

[٦] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤١ و فيه أهل دينه و قومه و أشياعه، و نحوه في تفسير الثّعلبي: ١ / ١٩١ والقرطبي: ١/ ٣٨١ وكذلك في معاني القرآن للزجاج : ١/ ١١٨ فإنه قال من اتبعه من أهل بيته و غيرهم وفي زاد المسير: ١/ ٧٧ ذكر ثلاثة أقوال: أنهم أهل مصر أو أنهم أهل بيته خاصة أو أنهم أتباعه على دينه و مثله البحر: ١/ ١٩٢ . و ما قاله المصنف و قبله الطبري و الزجاج و الثعلبي والقرطبي يعم ذلك.

قالوا ماءً وأصله مَوَهٌ ثم قالوا في تصغيره مُوَيه كذلك يقال في تصغير آل : أُهيل عن ابن جرير [٢] .

وحكى الكسائي [٣] في تصغيرِه أوَيْلٌ و آلُ أخص في العربية من الأهل لأنه يقال أهل البلد ولا يقال آل البلد، وذُكِر آل مكة ولكنه شاذ [٤] .

وفرعون اسم أعجمي ونظيره في الكلام بِرذَون، وفرعون كان اسماً لكل ملِكٍ من ملوك العَمالقَة كما يقال لملك الروم قيصر، وملك الفرس كِسرى، وملوك اليمن تُبَّع. [٥] فأما فِرْعَونُ موسى فاسمه الوليد بن مصعَب عن محمد بن إسحاق [٦] ، وقال غيره اسمه مصعب بن الريّان [٧] .

---

[١] ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤١ و أعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٢٣ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٩١ و المحرر: ١/ ١٣٩ و الفريد: ١/ ٢٨٨و إملاء ما من به الرحمن : ١ / ٣٥ وتفسير القرطبي: ١ / ٣٨٣ و البحر: ١/ ١٨٨ و الدر المصون: ١/ ٢١٧

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤١ وينظر المصادر المذكورة سابقا.

[٣] تفسير القرطبي: ١ / ٣٨٣ و البحر: ١/ ١٨٨ و الدر المصون: ١/ ٢١٧

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤١ و أعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٢٣ و البحر: ١/ ١٨٨

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤٢ و تفسير القرطبي: ١ / ٣٨٣ و البحر: ١/ ١٩٣

[٦] رواه الطبري عنه : ١/ ٦٤٢ و في تاريخ الطبري أيضا: ١/ ٣٨٧

[٧] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤٢ و زاد المسير: ١/ ٧٨ وذكر ابن الجوزي أربعة أقوال في اسمه الأول: أنه الوليد بن مصعب و عزاه للأكثرين و الثاني أنه : فيطوس و في البحر المحيط: ١/ ١٩٣ (فنطوس)و الثالث: أنه مصعب بن الريان و الرابع : مُغيث. قلتُ: وليس عليها كلُّها دليل يركن إليه أو نقل يعتمد عليه. وينظر: التفسير الكبير للرازي: ٣ / ٤٣ و تفسير القرطبي: ١ / ٣٨٣ و البحر: ١/ ١٩٣

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي يكلِّفونكم ويذيقونكم [١]، وقال أبو عبيدة [٢] : يسومونكم يُوْلُوكُم، سوء العذاب سوءَ شرِّه وأشقّه.

وقال ابن جرير [٣] : ما ساءَهم من العذاب، ولو كان معناه أشقّه لقال أسوء العذاب، و إنما ذكر سوءَ العذاب و إن كان العذاب كله سوءاً لأنه أبلغ ما يعامل به .

وقال ابن كيسان [٤] : ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ كانوا يأخذون منهم الخراج.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ السين فيه سين السؤال، و المعنى فيه أنَّهم كانوا يقتلون أبناءهم ويذرون نسائهم أحياءً يستخدمونهنَّ، فإن قيل كيف قال: (يستحيون نساءكم)، وكانوا يستبقون البنات دون الكبار؟ ؛ واسم النّساء يقع على الكبيرات دون البنات؟.

قيل كانوا يستبقون الكِبار والبنات جميعاً [٥] فجرى اللفظ على التغلِيبِ كما يقال أقبل الرِّجال و إن كان فيهم صِغَارٌ [٦] .

وقيل اسم النّساء يقع على الصِّغار والكبار جميعاً - كما أنّ الأبناء يقع على الصغار والكبار جميعاً- . وقيل سُمِّين نساءً على تقدير أنهنَّ يكنَّ نساءً وإنما كانت المحنة عليهم في استحياء

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤٤ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٩ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٩١ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١١٨

[٢] مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٤٠. بلفظ: يُولُونكم أشدّ العذاب.

[٣] عبارته: (قال بعضهم : أشدّ العذاب . و لو كان ذلك لقيل : أسوأ العذاب)اهـ. ١ / ٦٤٥

[٤] لم أجده بلفظه عنه وينظر: النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١١٨ و تفسير البغوي: ١/ ٩٠ والتفسير الكبير للرازي: ٣ / ٤٣ و البحر: ١/ ١٩٣

[٥] ينظر فيما ذُكِر من الأخبار في صفة ما كان يعمله بهم فرعون من التعذيب: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤٦ - ٦٥٠

[٦] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٥٢ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١١٨

النساء أنهن استحيِيْن للاستخدام و النكاح على الاسترقاقِ فكان ذلك أشقَّ على بني إسرائيل و من أحيي للتّعذيب فحياته نقمة [١] .

و موضع ﴿يَسُومُونَكُم﴾ فيه وجهان [٢] أحدهما: الاستئناف كأنه قال: و كانوا من قبل يسومونكم العذاب.

و الثاني : الحال فيكون تأويله: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ أي سائمينكم سوء العذاب.و أصل الذبح الشّقّ و التذبيح على التكثير و منه [٣] :

كأنَّ بين فكِّها { و الفكِّ } [٤] فأرةُ مِسْكٍ ذُبِحَتْ في سُكِّ [٥]

﴿ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ البلاء أصله الاختبار ثم يستعمل في البلاء الذي هو الشّدة و في النِّعمة فالآية تحتمل الأمرين [١] : تحتمل الشّدّة أي و في استحياء البنات وذبح

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٥٢ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١١٨ و التفسير الكبير: ٣ / ٦٤

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤٤ و القطع لابن النحاس: ص١٤٠ و المحرر: ١/ ١٤٠ والاقتداء للنكزاوي: ١ / ٢٧١ و البحر: ١/ ١٩٣ و المقصد في اختصار المرشد: ص٣٩ و منار الهدى للأشموني: صـ ٣٩

[٣] و منه أي من إطلاق الذبح بمعنى الشقّ.

[٤] سقطت من :(ل) – الأصل- : و ألحقتها من مصادرِ البيت.

[٥] البيت في إصلاح المنطق لابن السكيت: ١ / ٥ و الجليس الصالح ٤ / ٢١٣ و البحر المحيط: ١ / ١٨٨ واستشهَدوا به على أنَّ (ذبح) تأتي بمعنى شقّ ، و هو في لسان العرب: (ذبح) و نسبَه: لمنظور بن مَرْثَدٍ الأَسَدِيِّ. و فيه: ذَبَحْتُ فَأْرَة المِسْكِ إذا فتقتها وأَخرجت ما فيها من المسك، و هو أيضا في ثِمَار القلوب في المضاف و المنسوب للثّعالبي: صـ٤١٣ في(فأرة مسك) و خزانة الأدب: الشاهد الثاني و الستون بعد الخمس مئة. و معنى البيت : يصف الشاعر امرأة بطيبِ رائحة الفم و يقول كأن بين فكيها رائحة مسك. و السَّكُّ نوعٌ من الطِّيب. و من معاني قولهم: فأرة مسكٍ وعاءُ مسك.

البنين و سَوْم العذاب بلاءٌ و محنة من ربكم عظيم. و يحتَمِلُ في تنجيتكم من هـذه المحـن بـلاءٌ أي نعمة من ربكم عظيمةٌ.

و قيل و في إهلاك فرعون و قومه بلاءٌ لهم و محنة عظيمة و الخطاب للموجودين منهم والمـراد به سلفهم .

و قال: الأحنف بن قيس: [٢] البلاء ثمّ الثّناء أي النعمة ثم الشكر. وروى سعيد بن جُبير

عن ابن عبّاس قال [٣] : تذكّر فرعون و جلساؤه ما كان اللهُ وعدَ إبراهيم عليه السلام أنْ يجعلَ في ذريته أنبياءَ و ملوكاً فأتمَرُوا و أجمعوا أمرهم على أن يبعثَ رجالا [١] معهم الشِّفار على بني إسرائيل، فلا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه فكان ذلك من أمره .

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٥٣ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١١٨ – ١١٩ و الوسيط: ١/ ٤٦٨ و البحر: ١/ ١٩٤

[٢] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٠

[٣] جزء من خبرِ الفُتُون الطويل و هو خبر في أوراق أخرجه النسائي في الكبرى (١١٣٢٦) ، و أخرجه أبو يعلى :(في المسند ٥ / برقم ٢٦١٨)و المقصد العلي: برقم: ١١٨٦ و الطبري في جامع البيان: ١ / ٦٤٦ بعضه و في: ١٦ / ٦٤- ٦٩ بطوله و في تاريخه: ١ / ٣٩٢ و ابن أبي حاتم : ٩ / ٢٩٤٤ ، ٢٩٤٦ ، ٢٩٤٨ – ٢٩٥٠ ، ٢٩٥٣ – ٢٩٥٥ ، ٢٩٥٧ ، ٢٩٦٠ كلهم من طريق أصبغ بن زيد الجهني أخبرنا القاسم بن أبي أيوب قال حدثني سعيد ين جبير عن ابن عباس به . وعزاه السيوطي في الدر: ٤ / ٢٩٦ إلى ابن أبي عمر العدني في مسنده و عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن مردويه. و ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٥٦)و قال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد و القاسم بن أبي أيوب و هما ثقتان)اهـ. قال ابن كثير: -(تفسيره: ٦ / ٢٩٣) عند الآية : ٤٠ من سورة طه – بعد أن عزاه للنسائي في الكبرى و ابن جرير و ابن أبي حاتم : (و هو موقوف من كلام ابن عباس و ليس فيه مرفوع إلا قليلٌ منه، و

و في رواية عكرمة عن ابن عباس [٢] ، و عن أبي العالية [٣] : أنّ الكَهَنَةَ قالتْ لفرعون إنه سيُولد العام مولودٌ في بني إسرائيل يذهب مُلكك على يده فجعل على كلِّ ألف حاملٍ مئة رجل موكَّلين يقتلون الذكور من الأولاد، و ذلك بعد أربع مئة عام من ملكه.

و قال السُّدِّي [٤] : كان من شأنِ فرعون أنه رأى في منامه أنَّ نارا أقبلت من بيت المقدس فاشتملت على بيوت مصر فأحرقت القِبط و بيوت مصر و تركت بني إسرائيل، فدعا السحرة و الكهنة والقافة فسألهم عن رؤياه، فقالوا يخرج من بيت المقدس رجل يكون على يده هلاك مصر فأمر في بني إسرائيل أنْ لا يولد لهم غلام إلا ذبحوه، و قال للقبط كلِّفوا بني إسرائيل الأعمال القذرة فجعل لا يولد لبني إسرائيل ابن إلا ذُبِح فلا يكبر الصغير و أسرع الموت في مشيخةِ بني إسرائيل فدخل رؤوسُ القبط على { فرعون } [٥] فقالوا إنَّ الموت قد وقع فيهم فيوشك أن يقع العمل على غِلْمَتنا بذبح صِغَارهم وبموت كبارهم فأمرَ أنْ يذبحوا سنة ويتركوا سنة، (٦٧ و) فلما كان في السنة التي لا يذبَحون فيها وُلِدَ هارون؛ و لما كان في السنة التي يذبحون فيها حَمَلَتْ أمّ موسى بموسى، فَحُدِّثَتَ من شأنِها ، فأوحى الله إليها: أنْ أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ القصة. و قال محمد بن إسحاق : إنّما قال المنجّمون لفرعون إنه

كأنّه تلقّاه ابن عبّاس رضي الله عنه ، مما أبيح نقله من الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره و الله أعلم. و سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجّاج المزِّي يقول ذلك أيضا)اهـ.

[١] في النسخة: ل : رجلا .

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤٧ و الدر: ١ / ٦٩ و عزاه للطبري. و ليس في رواية ابن عبّاس: (و ذلك بعد أربع مئة عام من ملكه) و لكنها في خبر أبي العالية و الربيع بن أنس عند الطبري.

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٠٥ (٥٠٥). و المصنف جمع بين لفظي الخبرين و في أحدهما ما ليس في الآخر.

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤٨ و تاريخه : ١ / ٣٨٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٠٦ (٥٠٦)

[٥] سها الناسخ هنا في نسخة الأصل: فكتب (بني إسرائيل) بدلا من فرعون و ينظر: المصادر السابقة.

يُولد ولد يذهب ملكك على يده. [١] وليس في علم النجوم ما يقفون على هذا، و هـذا القـول مستضعَفٌ. فإن قيل كيف قال: نجَّيناكم و إنما كانت النّجاة لإسلافهم؟.

قيل إنّه جاء على طريقة كلام العرب كما يقال قاتلناكم يوم كذا وهزمناكم يـوم كـذا وذي قـارٍ يعني الأسلاف [٢] و أنشد الأَخطلُ [٣] يُهاجي جريراً :

وقد سَمَا لكم الهُذَيلُ فنالَكُم [٤]   بآرابَ [٥] حيثُ يقسِّمُ الأثقالا [٦]

و لم يُدرِك هُذيل جريرا و لا أدرَكَ إراب . و أصل البلاء الاختبار و الله يختبر بالنِّعمة عباده كـما يختبر بالمِحنة قال الله تعـالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ [الأنبيـاء:٣٥] يختـبرهم بالنِّعمـة ليظهِر شكرهم أو كفرانهم و بالمحنة ليظهر صبرهم وجزعهم يقال بلوته بلاء والأكثرُ أن يقال في الشرّ بلوتهُ و في الخير ابتليتُه [٧] قال زهيرٌ [٨] :

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤٩ و تاريخه: ١ / ٣٨٧

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤٣ ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١١ و ١١٧

[٣] ديوان الأخطل: ص٣٩١ و جامع البيان للطبري: ١ / ٦٤٣ و ذكر بعده بيتا آخر.

[٤] في النسخة (ل) : فيالكم ؟

[٥] في عدد من المصادر منها: تفسير الطبري : ١ / ٦٤٣ ومعجم ما استعجم للبكري ١ / ١٣٣ : إِرابَ : و هو ماء من مياه بني يربوع ، كانت فيه لتغلب وقعة على بني يَربوع.

[٦] في بعض نسخ الطبري : الأنفالا ،و هي طبعة الشيخ أحمد شاكر و أخيه و ينظر: طبعـة دار هجـر: ١ / ٦٤٣

[٧] و كذلك قال الطبري: ١ / ٦٥٤ و التفسير الكبير للـرازي نقـلا عـن القفـال: ٣ / ٦٦. و لـيس هـذا بموضع اتفاق عند أهل اللغة فقد قيل هما بمعنى واحد ينظر : لسان العـرب: بـلا : ١ / ٤٩٧ و البحـر: ١/ ١٨٩ والدر المصون: ١ / ٢٢٠

[٨] ديوان زهير: ١١٢ و جامع البيان للطبري: ١ / ٦٥٤ و معاني القـرآن للزّجـاج: ١ / ١٢٠ و لـسان العرب: بلا.

جزى اللهُ بالإحسانِ ما فَعَلا بِكُم فأبلاهما خيرَ البلاء الذي يبلو

وقال الأحنف [١]: البلاء ثم الثناء أي النّعمة ثم الشكر.

و لهذا استعمل البلاء في الرخاء و الشدة، و إنما يختبرهم إعلاما للأغيار لا استعلاما لنفسه وقد يكون الامتحان من الله تعالى بمعنى الأمر و النهي.

فإن قيل كيف خُصّ آل فرعون بالذّكر بالهلاك دون فرعون؟ [٢] قيل لأنهم كانوا هم الذين يشدّدون على بني إسرائيل و يسومونهم سوء العذاب لاختصاصهم بفرعون و قربهم منه، وقد قال في آية أخرى: ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ ﴾ [القصص:٤٠، الذاريات:٤٠].

و قيل معناه:إنَّ ذلك فعلي بآل فرعون لمشايعتهم له فما ظنُّك بفرعون نفسه

و موضع ﴿إذ﴾ نصبٌ بمعنى اذكروا إذ نجيناكم [٣].

قوله : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ﴾ الآية [٥٠] قيل قال آلُ فرعون لفرعون: أتذر موسى و قومَه ليفسدوا في الأرض، فأمر الله تعالى موسى أنْ يخرُج ببني إسرائيل فقال: فاسر بعبادي إنكم متّبعون، فأَمَرهم موسى بأنْ يخرجوا و أمَرهم أن يستعيروا الحُليّ من القبط و أن لا يُنادِي أحدٌ منهم صاحبه، و أن يُسرِجوا في بيوتهم حتى الصبح، و أنّ من خرج لطخَ بابه بكفّ من دمٍ حتى يُعلَم أنه قد خرج.

فخرج موسى ببني إسرائيل ليلاً و القبط لا يعلمون فألقى الله على القبط الموت، فمات كل بِكر منهم فجعلوا يدفنونهم وشُغِلوا عن طَلَبهم حتى طلعت الشمس فذلك قوله : ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾[الشعراء:٦٠]. [١]

---

[١] تقدمت كلمة الأحنف قريباًص: ٦٣٢.

[٢] ينظر: الوسيط: ١/ ١٣٦

[٣] إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٢٢ و الدر المصون : ٢ / ٢١٧

وقيل لمّا خرج موسى ببني إسرائيل بلغ ذلك فرعون فقال لا تتّبِعُوهم حتى يَصِيحَ الدِّيك فلما صاح ديكٌ تلك الليلة، فلما أصبحوا دعا بشاةٍ فذُبِحت فقال لا أَفرُغُ من كبدها حتى يجتمع علي ستُّ مائة ألفٍ من القبط، فلم يفرُغ حتى اجتمعَ ست مائة ألف، ثمّ نادَوا [٢] .

وقيل كان مع فرعونَ ألفُ ألفٍ ،ومئتي ألفِ حِصَانٍ ، وأصحاب موسى قيل كانوا ست مائة ألف وسبعين ألفاً وقيل وعشرين ألفاً [٣] فلهذا قال فرعون: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ [٤] [الشعراء:٥٤]. وكان هارونُ أمام بني إسرائيل يقودُهم وموسى على ساقَتِهم [٥] .

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٦٠ – ٦٦١ عن السدي، والدّر المنثور : ٦ / ٢٩٤ و عزاه لابن أبي حاتم عن السدي، و تفسير البغوي: ١/ ٧٠

[٢] تفسير عبد الرزاق: ١/ ٤٥ و جامع البيان للطبري: ١ / ٦٥٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٠٦ ، ١٠٧ (٥٠٨) و ٨ / ٢٧٧١ (١٥٦٦٧) كلهم من طريق معمر عن أبي إسحاق الهمداني عن عمرو بن ميمون الأودي في خبر أطول من هذا. و عند ابن أبي حاتم: ٨ / ٢٧٧٤، ٢٧٧٥ (١٥٦٨٢، ١٥٦٨٦) من طريق يونس و إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود نحوه.

[٣] ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٦٠ في خبر السدي و في الخبر المروي عن ابن عباس وقد تقدّم تخريج خبر السدي و خبر ابن عباس .

وهذا الاختلاف في العدد ليس فيه فائدة تُذكَر . و ينظر أيضا: تاريخ ابن عساكر: ٦١ / ٧٩ و تفسير الثعلبي: ١/ ١٩٢ وتفسير البغوي: ١ / ٩٢ و الكامل في التاريخ لابن الأثير: ١/ ١٠٦ و البداية والنهاية لابن كثير: ١ / ٢٥٣ و مقدمة ابن خلدون: ١/ ١٣

[٤] في النسخة (ل) : هذا.

[٥] مؤخرة الجيش: لسان العرب و مختار الصحاح :(سوق).

قال يُوشَع : يا نبيَّ الله أين أُمِرتَ قال : البحر فأرادَ أن يقتحم فمنعَهُ موسى، ولم يكن كما قيـل في عسكر فرعون رَمَكَةٌ [١] ، فلما تراءَ الجمعان قال أصحاب موسى إنّا لمدْرَكُونَ أُوذِينا من قبل أن تأتيَنا ومن بعد ما جئتنا اليوم يدرِكُنا فرعون فيقتلُنا البحرُ بين أيدينا وفرعـون خلفَنـا، قـال موسى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:٦٢] فتقدَّم هارون فضرَبَ البحر فـأبى أن ينفلِقَ، وقال: مَنْ هذا الجبَّار الذي يضرِبُني حتى أتاه موسى وكنّاه أبا خالد وضربه، فانفلق فكان كل فرق كالطَّود العظيم، كالجبل العظيم، فدخلت بنو إسرائيل وصار البحر اثني عـشر طريقاً في كل طريق سِبطٌ.

فقال كل سِبطٍ قد قُتِل أصحابنا فدعا موسى فجعلها لهم قناطرَ، وقيل صـارَت الجبّـال شُـبَّاكاً يَرَى بعضهم بعضا، ويسمعُ بعضهم كلام بعضٍ حتى خرَجوا جميعاً. [٢]

وقيل لما قال بنو إسرائيل: قد غَرِق أصحابنا قال موسى: اللهم أعنّي على أخلاقهم السيئةِ فأوحى الله إليه أنْ قلْ بعصاكَ هكذا يميناً وشِمالاً فصارَ فيها كُوَىً [٣] ينظرُ بعضُهم إلى بعضٍ فسارُوا ، ثم دنا فرعون و أصحابه فلما نظرَ إلى البحر قد انفلقَ قال لأصحابه ألا ترون البحر قد فَرِقَ مني ففَتَحَ لي حتى أُدرِكَ أعدائي فأقتلَهم فذلك قوله: ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْأَخَرِينَ ﴾ [الشعراء:٦٤] يقول قرّبناهم و آلَ فرعون فلما قام فرعون على أفواه الطرُقِ أبَتْ خيلُه أن

---

[١] الرَّمَكة: الفرس والبِرْذَوْنةُ التـي تتـخذ للنسل، معرّب، والـجمع رَمَكٌ، وأَرْماك جمع الــجمع: لـسان العرب: (رمك).

[٢] ينظر: جامع البيان للطـبري: ١ / ٦٥٧ – ٦٦٢ و ابـن أبي حـاتم: ١ / ١٠٦ ، ١٠٧ (٥٠٨) و ٨ / ٢٧٧١ (١٥٦٦٧) و تفـسير البغـوي: ١ / ٩٢ والكامـل في التـاريخ لابـن الأثـير: ١/ ١٠٦ و تفـسير القرطبي: ١/ ٣٨٩ و ما بعدها و البداية و النهاية لابن كثير: ١ / ٢٥٣

[٣] في طبعة دار هجر من الطبري: ١ / ٦٥٩ : كواءٌ و في نسخة منه (كُوىً) كما هنا. والكُوى و الكِوَاء : جمع كوّةٍ، و هي الخَرْق في الحائط. لسان العرب (ك و ى).

تقتحِم فنزل جبريل على رمَكةٍ وَدِيقٍ [١] فشامَتْ الحُصُنُ ريحَ الرّمكة فاقتحمتْ في إِثْرها حتى إذا همّ أوّلهم أنْ يخرج ودخل آخِرُهم أُمِرُ البحر أن يأخذَهُم فالتطَمَ عليهم.

وتفـرّد جبريــلُ بفرعــون يــدُسُّ في فيــه مــن طـين البحــر فقــال حــين أدركــه الغــرق: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ الآيـة [يـونس:٩٠]، فبعث الله ميكائيل يعيِّرُه ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ ﴾ [يونس:٩١]. قال جبريل يا محمد ما أبغضتُ أحداً من الخلق ما أبغضتُ رجلين أمّا أحدهما فمن الجنّ و هو إبليس حين أبـى أن يسجد لآدمَ. و أما الآخَر فهو فرعون حين قال: أنا ربُّكم الأعلى و لو رأيتَني و أنا أدسُّ في: في فرعون مخافة أن يقول كلمةً يرحمه الله بها [٢].

---

[١] يعني على فرس قد اشتهت الفحل. و الوِداقُ فـي كل ذات حافر: إِرادة الفحل، وقد وَدَقَتْ تَدِقُ وَدْقاً و وَداقاً و وُدُوقاً و أَوْدَقَتْ، وهي مُودِق، و اسْتَوْدَقت وهي وَدِيق و وَدُوق.(لسان العرب: (ودق).

[٢] خبرُ دسِّ جبريل التراب في فم فرعون مخافة أن تدرِكه الرحمة في تلك الحال ورد في حديث ابن عباس – و قد روي مرفوعا و موقوفا – من طرق كثيرة و في خبر عن أبي هريرة مرفوعا نحوه و في لفـظ عـن ابـن عباس مرفوعا : (لما غرَّق الله عز وجل فرعون قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنتْ به بنـو إسرائيـل قـال النبيﷺ قال جبريل عليه السلام: يا محمد فما زلتُ أدس فيه مـن حَـالِ البحـر يعنـي حمأتِـه خـشية أن تدركـه الرحمـة). و لـه ألفـاظ أخـرى عـن ابـن عبـاس كلهـا فيهـا هـذا المعنـى : فأخرجـه الترمـذي : (ح ٣١٠٧ و ٣١٠٨) في تفـسير سـورة يـونس و قـال : هـذا حـديث حـسن، و النـسائي في الكـبرى (١١٢٣٨) و أحمد ٤ / ٤٥ ، ٥ / ٢٤٥ و الحاكم ١ / ٥٧ و ٤ / ٢٤٩ و صححه وسـكت الـذهبي و الطيالسي: (٢٧٤٠) و الطبري في تفسيره: ١٢ / ٢٧٦ – ٢٧٨ من طرق عـن ابـن عبـاس و فيهـا ذكـر الموقوف، و هو عند الطَّبَري من رواية أبي هريرة أيضا و عند تمّام الرازي في فوائده من خـبر ابـن عبـاس موقوفا: (١ / ٢٢٠) و عند ابن أبي حاتم: ٦ / ١٩٨٢ و في شعب الإيمان للبيهقي: (٩٣٩٠ - ٩٣٩٣) من طرق عنه مرفوعـاً. و ينظـر: البدايـة و النهايـة : ١ / ٢٥٥ و تفـسير ابـن كثـير: ١/ ٢٩٣ وتخـريج أحاديث الكشاف للزيلعي: ٢ / ١٣٨- ١٣٩ وبمجموعها يصح، و ينظر: الكاف الشاف لابن حجـر: ١/ صـ ٨٥ ففيه الردّ على الزمخشريّ في طعنه في هذا الخبر و بيان صحته.

فقالت بنو إسرائيل لم يغرَق فرعونُ و إنّه الآن لا بدّ يدرِكنا فيقتلنا فأخرج البحرفرعون وقومه ولفَظَهم حتى عاينوهم ، قيل فمن ذلك اليوم [١] يلفظ البحر بالموتى و لا يقبلها فذلك قوله :

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ [يونس:٩٢].

و قيل كان في جند فرعون سبعون ألفاً من دُهْمِ [٢] الخيل سوى ما فيه من شيةِ [٣] الخيل. [٤] وقيل أوحى الله سبحانه إلى البحر إذا ضربك موسى بعصاه فانفلِقْ له؛ فبات البحر يضرب بعضه بعضا فَرَقاً من الله سبحانه و انتظاراً لأمره .

وفي رواية عن ابن عباس [٥] : بات البحر و له أفكلٌ يعني رعدة لا يدري من أيِّ جوانبه يَضرِبُهُ.

وقوله : ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ قال ابن عباس [١] : لم ينظروا إليهم حين غرِقوا و لكنهم أُخرجوا فنظروا إليهم. وهو كقوله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴾ [الفيل:١] وإنما خاطب من كان في وقت النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم و المراد به سلفهم.

---

[١] في النسخة (ل) : وضع فوق كلمة اليوم: كلمة الوقت. كأنه يشير إلى نسخة .

[٢] جمع أدهم والأَدْهَمُ: الأَسْود، يكون في الخيل والإِبل وغيرهما، فَرَس أَدْهَمُ وبعير أَدْهَمُ. لسان العرب: (د هـ م) .

[٣] الشِّيَة كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره والجمع شيَات. مختار الصحاح (وشي) و لسان العرب: (و ش ي)

[٤] ورد في خبرٍ من طريق ابن إسحاق عن محمد بن كعب القُرَظي عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد قال لقد ذُكر لي: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٥٥ و تاريخ الطبري: ١ / ٤٢٠ و ابن أبي حاتم: ٨ / ٢٧٦٩ (١٥٦٥٥) و تاريخ دمشق: ٦١ / ٧٨.

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٥٨ – ٦٥٩ و ٦٦٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٧٧١ ، ٢٧٧٣ و هو جزء من خبر ابن عباس الذي تقدّم تخريجه:صـ١٤٦.

و قيل: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ أي تنظرون إلى مصارعهم [٢] (٦٨ و) ومواضعهم من البحر، ويحتمل أغرقناهم بمرأىً منكم حينَ أخرجكم سالمين، فالتَفَتَوا فرأوهم في البحر فالتطمَ البحر وهم ينظرون.

و قيل و أنتم كنتم بحيث لو نظرتم إليهم لرأيتموهم و لو استمعتم إلى كلامهم لسمعتموه. [٣] و كان اليوم الذي أغرقهم و أنجا بني إسرائيل، يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام يومئذ شكراً لله [٤].

وقال سعيد بن جبير [٥]: أرسل معاوية إلى ابن عباس يسأله عن مكان لم تطلع عليه الشمس إلا مرة فكتبَ إليه إنه المكان الذي انفلق منه البحرُ لبني إسرائيل.

---

[١] لم أره بهذا اللّفظ عن ابن عباس و ينظر في معنى الآية: تفسير مقاتل: ١ / ٤٧ وجامع البيان للطبري: ١ / ٦٦٣ و تفسير الثّعلبي: ١/ ١٩٤ و الوسيط: ١/ ١٣٦ والمحرّر: ١/ ١٤٢ و التفسير الكبير: ٣ / ٦٨ و غرائب التفسير للكرماني: ١/ ١٣٩ و البحر: ١/ ١٩٨

[٢] هذا اختيار الثعلبي: ١/ ١٩٤ و البغوي: ١/ ٩٤

[٣] اختار الطبري أن يكون المعنى: تنظرون إلى فرْق الله بكم البحر و إهلاكه آل فرعون في الموضع الذي نجاكم فيه وبيّن – رحمه الله – أنه كان نظر عيانٍ. جامع البيان للطبري: ١ / ٦٦٢

[٤] دل على ذلك الحديث الصحيح: تفسير القرطبي: ١/ ٣٩٠ و تفسير ابن كثير: ١/ ٢٦٣

[٥] ورد في خبر طويل رواه الطبراني في الكبير: : ١٠ / ٢٤٣. قال الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا عارم أبو النعمان ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنّ هرقل كتب إلى معاوية الخ. قال الهيثمي: (ورجاله رجال الصحيح)اهـ. (مجمع الزوائد ج٩/ ص٢٧٨) قلتُ و هو كذلك، و عزاه السيوطي إلى الطبراني وأبو نعيم في الحلية من هذه الطريق:الدر: ١/ ١٦٧ و له طريق أخرى فقد رواه الفسوي في المعرفة و التاريخ: ١ / ٢٩٠ – ٢٩١ من طريق علي بن زيد قال حدثني يوسف بن مهران عن ابن عباس وفيه إرسال قيصر إلى معاوية يسأله عن أشياء ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور: ١ / ١٧٤٣ في ترجمة عبد الله بن عباس فإن ترجمته في تاريخ ابن عساكر: ٢٩ / ٢٨٥ قد سقط منها من المخطوط الذي طبع عنه تاريخ ابن عساكر كثيرا من أخبار ابن عباس و غيره؛ و ذكره ابن كثير في النهاية

و قال الزجاج [١] قولـه : ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ يحتمـل تعلمـون و إنْ شـغلهم مـن رؤيـتهم شاغلٌ، قيل كنتم قريباً منهم يقال: دور بنـي فـلانٍ ينظـر بعـضها إلى بعـضٍ أي هـي متقابلـة متقاربةٌ.و قيل فيه إضمارٌ و أنتم تنظرون إليهم. و قال الكلبي : رَمَاهُم البحرُ حتـى أبـصروهم عياناً بعد ثلاثة أيام.

وقوله: ﴿ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ أي فصّلنا فوق البحر اثنا عشر طريقاً، و موضع (إذ) نصبٌ بإضمار الذِّكر [٢] .

و قال بعض النحويين [٣]معنى: ﴿ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾ أي فَرَقْنـا بيـنكم و بـين المـاء {أي جزّأنا الماء } [٤] عنكم حيث مررتُمْ به، و هذا خلاف الظاهر، و إن صحّ من حيث المعنـى فـإن الله قال: فرقنا البحر و لم يقل فَرَقنا بينكم و بين البحر، لكنه في المعنى صحيحٌ.

من طريق على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عبّاس: أنّ مَلِكَ الرُّوم كتب إلى معاوية يسأله الـخ. و لم يعزه، وقال الثعلبي: قال سعيد بن جبير: أرسل معاوية إلى ابن عباس الخ فذكره كـما ذكـره المـصنف هنـا مختصرا. تفسير الثّعلبي: ١ / ١٩٣.

[١] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢١ و ذكر قبله : قولاً آخر، ذكره قـائلا : فيـه قـولان : و أنـتم تـرونهم يغرقون؛ و يجوز أن يكون ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ أي و أنتم تشاهدون تعلمون ذلك ، و إن شـغلهم عـن أن يروه في ذلك الوقت شاغل يقال :دور الخ .

[٢]نظيرها قوله: ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَـٰكُم﴾ أي و اذكروا و قولـه ﴿ وَإِذۡ فَرَقۡنَا﴾ معطوفـة عليهـا و ينظـر : معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢١ و البحر: ١/ ١٩٧

[٣] ذكر الطبري هذا القول قائلا و قال بعض نحويي البصرة ثم رده بنحو ما قال المـصنف: جـامع البيـان للطبري: ١ / ٦٥٥ و ذكر الماوردي هذا القول و لم يعزه :النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١١٩

[٤] ما بين المعكوفتين سقط من صلب النسخة (ل) و ألحقها الناسخ في الهامش وختمها بكلمة : صح.

و قال محمد بـن جريـر [١] : ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ يعنـي إلى فـرق الله البحـر لكـم و أنجـائكم مـن عدوّكم .و قال الفرّاء [٢] : قد كانوا في شُغْل بها اكتنفهم من هـول البحـر أنْ يـروا فرعـون و غرقـه ولكنه كقولك ضُربتَ و أهلك ينظرون فما أتوك، فإنما معناه العلم لا رؤية العين [٣].

و قيل هذا غلطٌ من الفراء لأنهم بعد أن خرجوا رأوا انطباق البحر بفرعون وذلـك أعظـم في العـبرة قوله: ﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةً﴾ الآية [٥١] نبّههم بهذه الآية أنّ كفرهم بمحمـد ﷺ ليس بأعجبَ من كفرهم و عبادة العجل في زمن موسى عليه السلام أراد به كفرَ سـلفهم وعبـادتهم العجل. و قرئ [٤] : (وعدنا) و(واعدنا). و قال الزجاج [٥] : (و له [٦] وجه حسن لأنه كـان مـن الله وعد و من موسى قبولٌ و اتباع فجرى مجرى المواعدة بين اثنين).

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٦٢ و قد تقدّم نقل كلامه و المصنف تكلم على معنى الآية ثم أعاد الكلام على بعض معانيها فذكر ما لم يذكره سابقا و لو كان جمعه في موضع واحد لكان أليق.

[٢] معاني القرآن للفراء : ١/ ٣٦

[٣] قال الفراء: (و ليس ههنا رؤية إنما هو علم فرأيت يكون على مذهبين : رؤية العلم و رؤية العين) الخ.

[٤] قرأ أبو عمرو البصري بغير ألف (وعدنا) من الوعد و قـرأ البـاقون مـن الـسبعة : (واعـدنا) : مـن المواعدة :السبعة لابن مجاهد: ص١٥٤ و الكشف لمكي: ١ / ٢٣٩ .

و قد وافق أبا عمرو من العشرة أبو جعفر ويعقوب. : النشر: ٢ / ٢١٢ و تفـسير الثعلبـي: ١ / ١٩٤ و البحر: ١ / ١٩٩ و ينظر: توجيهها في تفسير الطبري: ١ / ٦٦٣ و معاني القـرآن للزّجـاج: ١ / ١٢١ و إعراب القرآن لابن النحـاس: ١/ ٢٢٣ والحجـة للفـارسي: ١ / ٢٨٧ و الكـشف ١ / ٢٣٩ و تفـسير الثعلبي ١ / ١٩٤ والوسيط : ١/ ١٣٧ .

[٥] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢١

[٦] يعني واعدنا بالألف . و المصنف و غيره اختصروا كلام الزجّاج. و الزجاج قـال: (إنّ كلاهمـا جـائز حسن) اهـ. ثم ذكر نحو ما نقله المصنف عنه. و ممن نقل كلام الزجاج مختصرا كالمـصنف: الثعلبـي: ١ / ١٩٥ و البغوي: ١/ ٩٤

و قال ابن جرير [١] : (كان من الله الوعد لموسى بأن يكلِّمه و يعطيه التوراة و من موسى لله سبحانه الوعد بأن يَحضُر الطورَ، و إنّما كان الوعد لموسى صلى الله عليه و سلّم من الله بعلمٍ من موسى و رضاه و ضَمِنَ موسى أن يأتيَ لوعده؛ كان لموسى أيضا وعده).

وقال بعضهم : قد يكون المفاعلة من واحد كقولهم سافرتُ، و طارقتُ النعل. [٢]

و موسى قيل إنَّه بلغة القبط: ماء و شجرٌ [٣] لأنَّ تابوتَه أُخِذَ من شطِّ النيل أو لأنّه كان في ذلك الموضع ماءٌ وشجرٌ فسُمِّي باسم مكانه الذي وُجِدَ فيه.

و إنّما قال ﴿ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾ ولم يقل أربعين يوماً لأنَّ عدد الشهور يُحسَبُ منْ لياليها لأنّ الهلال يَهِلُّ فيها [١].

---

[١] لخص المصنف رحمه الله كلام الطبري تلخيصا حسنا: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٦٤ – ٦٦٥

[٢] تقدّم الكلام في المفاعلة و أنها قد تكون من واحد عند قوله تعالى : (و ما يخدعون إلا أنفسهم) البقرة: آية: ٩ : صـ ٤٣٢.

[٣] قيل (مو): هو الماء و (سا) هو الشّجر: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٦٦ و رواه عن السدي والنُّكَت والعيون للماوردي: ١/ ١٢٠ و المحرّر : ١/ ١٤٢ و لسان العرب: ٦ / ٢٢٦ ،ومختار الصحاح و تاج العروس مادة: (م وس) ، و قيل أصله موشى: لأنه أُخِذَ من الماء و الشجر ثم قُلِبت الشين سيناً في العربية فصار موسى : قاله السمعاني: ١ / ٧٩ و في تاريخ الطبري: ١ / ٣٩٠ عن السُّدِّي نحوه أيضاً و كذا في شفاءِ الغليل فيما في كلام العرب من الدَّخيل للخفاجي: صـ ٢٧٣ وتفسير القرطبي : ١/ ٣٩٥ على اختلاف في نسخ الأخير بين القول بأنّ أصله في لغتهم موشى أو موسى . وفي لسان العرب: (وقيل هو بالعبرانية موسى، ومعناه الجذب لأنّه جذب الماء؛ قال الليث: واشتقاقه من الماء والساج، فالمُو ماءٌ و سَا شجر لحال التابوت في الماء)اهـ. مادة (م وس) و ينظر في وزنه لسان العرب مادة : (وسى) .

وقوله: ﴿ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ فيه قولان أحدُهما: تمام أربعين ليلةً و انقضاء أربعين ليلة فيكون

الوعد بعد مضيٍّ أربعين ليلةً بكمالها.[٢] والثاني: يكون إلى أربعين ليلـة، فليلـة الأربعـين ليلـة الميقات كما يقال اليوم يومان من قدوم فلان[٣].

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ مختصرٌ أي اتخذتم العجل معبوداً[٤] من بعده أي من بعد موسى؛ وانطلاقه إلى الميعاد، وقيل من بعد إغراق فرعون .

﴿وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ بمخالفة محمدٍ صلى الله عليه وسلّم ويحتمَل أنّه أرادَ به سلفَهُم.

واختلفوا في العِجل فزَعَمَ بعضهم أنّهم اختارُوا صورةَ العجل من صنوف البهـائم لكثـرة مـا رأوا في البقرة من المنافع في الزَّرْع و الضَّرْع.

وذكر ابن عباس[١] في روايته أنّ السَّامِريّ كان من قومٍ يعبُدُون البقرة.

---

[١] الشهور العربية وُضعت على مسير القمر،و الهلال إنما يُهِلُّ بالليل، وقيل لأنَّ الظلمة أقدم من الـضوء، و الليل خلق قبل النهار. (تفسير الثّعلبي: ١ / ١٩٥ و تفسير البغـوي: ١/ ٩٥و ينظـر: الكـشاف: ١ / ٢٦٩ و المحرر: ١/ ١٤٢ ففيهما هذا المعنى موجزاً)

[٢] و قد رجحه الطبري : ١ / ٦٦٧ و ينظر: المحرر: ١/ ١٤٣ و تفسير الفقيه نجم الدين عمـر النـسفي التيسير في التفسير: (ورقة ٩٢) . والتفسير الكبير للرازي: ١/ ٧٠ وتفسير القرطبي: ١ / ٣٩٥

[٣] فعلى هذا وَعَدَه الله تعالى رأس الأربعين ليلة، و ليس بعد انقضائها فليلة الأربعين ليلة الميعاد وليـست من الميقات .وقد ضعّف الطبري هذا القول و قال إنه خلاف ظاهر التلاوة و خلاف ما جاءت به الروايـة عن أهل التأويل: ١/ ٦٦٧ و كذلك ضعفه ابن عطية : المحرر: ١/ ١٤٣ وقـال : كـل المفـسرين عـلى أن الأربعين كلها ميعاد .

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٦٨ و الوسيط: ١/ ١٣٧ و تفسير البغوي: ١/ ٩٥ و المحرر: ١/ ١٤٣

وقال أبو العالية الرياحي [٢] : إنما سُمِّي عجلا لأنهم تعجّلوه قبل رجوع موسى عليه السلام.

قال ابن عباس [٣] : ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ثلاثين من ذي القَعْدَة وعشر من ذي الحجة فكان ميعادُ الجبل ليعطى التوراة فقال الله أخبر قومك أنّك لن تأتيهم أربعين ليلة فأعلمهم موسى وخرج موسى بالسبعين معه إلى الجبل، وعدّتْ بنو إسرائيل عشرين يوماً وعشرين ليلة جعلوا مكان كل ليلة يوماً [٤] فقالوا قد أخلفنا موسى الوعد، وكانوا قد استعاروا من أهل مصر حليّاً، وقالوا إنما نخرج في عيدٍ لنا وكان السَّامِري صائغاً فصاغ من ذلك عجلاً و ألقى عليه قبضة تراب من أثر فرس جبريل عليه السلام فألقاه في فمه ودبره فصار عجلاً جسداً دماً وشعراً ؛ له خُوارٌ [٥] .

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٧٢ من طريق ابن إسحاق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في خبر فيه طول و تاريخ الطبري: ١ / ٢٥١.

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٧٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٠٨ (٥١٢) و هو خبر غريب جداً كما قال الإمام أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط: ١ / ٢٠٠ فقد قال: و من أغرب ما ذُهِب إليه في هذا ثم ذكره عن أبي العالية. و قال ابن عطية : (العجل لفظة عربية ، اسم لولد البقرة . وقال قوم : سمّي عجلا لأنه استُعجِل قبل مجيء موسى عليه السلام وليس هذا القول بشيء)اهـ. المحرر: ١/ ١٤٥

[٣] لم أجده بهذا اللفظ و أما قول ابن عباس أن المراد بها : ذا القعدة و عشر من ذي الحجة، فأسنده ابن أبي حاتم من طريق عطاء عن ابن عباس: ٥ / ١٥٥٦ (٨٩٢٠) و الدر: ٣/ ١١٤ و عزاه لابن المنذر و أبي الشيخ و روى الطبري عن ابن جريج أنه قول ابن عباس: جامع البيان للطبري: ١٠ / ٤١٥

[٤] في الطبري بإسناده عن السدي: (فعدُّوا الليلة يوماً و اليوم يوماً فلما كان تمام العشرين خرج لهم العجل) ١ / ٦٧١ و ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٢٢ / ٨٨

[٥] ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٦٩ – ٦٧٤ . و هذا خبر من الأخبار التي سيسرد المصنف منها كثيراً والله بصحتها فلا نجزم لها بصحة و لا نجترأ على جميعها بتكذيب ما لم يدل الدليل على ذلك.

وجاء في التفسير [١] أنّ السَّامِري لمّا خافت أمّه أن يُذبح خلّفته في الغار وأطبقتْ عليه، فكان جبريل يأتيه فيغذُوهُ بأصابعه فيجد في إحدى أصابعه لبناً وفي الأخرى عسَلاً وفي الأخرى سمناً فلم يزل يغذُوه حتى نشأ، ثم إنه عايَنَ جبريلَ على فرس وَدِيقٍ حين تقدّم خيل فرعون فعرفه السَّامِري فأخذ من تحت حافره قبضةً من التراب .

وكان ابن مسعود يقرأ [٢] : فقبضتُ قبصةً بالصاد . ثم إنه أُلْقِيَ في رَوْعِهِ أنَّك لا تُلقي هذا التراب على شيء إلا صار كما تريد، ثم إنه قال لبني إسرائيل إنّ هذه الحلي التي استعرتموها من القبطِ لا تحلُّ لكم فاجمعوهُ في حفرةٍ حتى يرجِعَ موسى فيحكمَ فيه، بأنه حلال أو حرام فلمّا جمعوه ألقى فيه القبضة من التراب فصار عجلاً له خُوَارٌ لحماً ودماً.

وقيل صاغ من تلك الحلي في الخفية عجلاً من ذهبٍ ولكن له خوار .

وقال ابن زيد [٣] : هارون هو الذي قال لهم اِجمَعوا هذا الحُلِيَّ في حفرةٍ، فإنه لا يحلُّ لكم حتى يرجع موسى فيحكمَ فيه.

قال الإمام أبو حيان : (و قد نقل المفسرون عن ابن عباس و السدي و غيرهما قصصا كثيرا مختلفا في سبب اتخاذ العجل و كيفية اتخاذه ؛و انجرّ مع ذلك أخبارٌ كثيرة- الله أعلم بصحتها- إذ لم يشهد بصحتها كتاب ولا حديثٌ صحيح)اهـ. البحر: ١/ ٢٠١

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٦٩ و الدر: ٤ / ٣٠٥ و عزاه لابن جرير

[٢] بالصاد المهملة و قد عزاها ابن خالويه في مختصر في شواذ القرآن: صـ ٨٩ إلى الحسن و جماعة وقال إنها بالصاد المهملة فيهما – في قبضت و قبضة – . و كذلك قال ابن جني إنها بالصاد المهملة فيهما وعزاها لابن مسعود و أبيّ و عبد الله بن الزبير و نصر بن عاصم و الحسن وقتادة و ابن سيرين بخلاف و أبي رجاء بخلاف : المحتسب: ٢ / ٥٥ و عزاها في اتحاف فضلاء البشر إلى الحسن فقط و قال إنها بالمهملة فيهما: صـ٣٨٨ و قراءة الحسن في الطبري بسنده: ١٦ / ٢٠٦ في تفسير سورة طه، و ينظر: تفسير أبي الليث السمرقندي: ٢/ ٤١٠ و المحرر: ٤ / ٦١ و تفسير القرطبي: ١١ / ٢٤٠ و الدر: ٥ / ٥٩٦

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٧٣

وقيل إنّ الحلي كان مما على قومِ فرعون أخذوها عنهم لمّا لفظَهم البحر و كـان موسـى نهـاهم عنه، و قال السامري اجمعوها فإنها لا تحلُّ حتى يرجع موسى فيحكم فيه.

و قيل إنّ القوم الذين قالوا لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة كانوا يعبدون صـنماً عـلى صـورة عِجل فعلم السَّامِري أنهم أحبُّوا العجل فلذلك (٦٩و) صاغَ على صورة العِجل.[١]

ثـمّ إنّ الله أثبـت في قلـوبهم محبـة العجـل كـما قـال: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [البقرة:٩٣] أي محبة العجل. وقيل جَمَعوا الحليَّ لتنزل نار من السماء تأكُلُه وكذلك كـان صـفة {كلّ }[٢] قربان يتقبّل منهم.

وقيل[٣] لما سار موسى ودنا من الجبل أمرَ السبعين أن يُقيموا في أسفل الجبل، وصعد موسـى الجبل وكلمه ربه و أخذ الألواح فيها التوراة فلما اتخذوا العجل أخبر الله موسـى بـذلك فقـال لربه: ومن صَنَعَهُ لهم ؟ قال: السَّامِري قال موسى: فمن نفخ فيه الروح ؟ قال أنا ؛ قال موسى فأنتَ فتنتَ قومي قال: ﴿ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ ﴾ [طه:٨٥] فلما نزل موسى من الجبل أخبرهم مما كان، ولم يخبرهم بأمر العجل فقـال الـسبعون لموسـى عليـه الـسلام : نحـن أصحابُك جئنا معك و لم نخالف في أمرٍ، و لنا عليك حقٌّ فأرِنا الله جهْرةً عِياناً كـما رأيتَـه قـال موسى و الله ما رأيتُه و لقد أردتُه على ذلك فأبى و تجلّى للجبل فجعله دكّاً وكان أشـدّ وأقـوى منّي، فلما قالوا أخذتهم الصاعقة فذلك قوله: ﴿ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [٥٥] يعنـي المـوت ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴾ ثم أنعم عليهم فبعثهم من بعد موتهم ثم انصرفوا مع موسى راجعين.

---

[١] هذه نقول الله أعلم بصحتها، و قد تقدّم قريباً تشكيك الإمام أبي حيان في صحتها .

[٢] سقطت من الأصل .

[٣] ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٧١ خبر السدي و الدر المنثور: ٤ / ٣٠٦ في ضمن خبر الـسدي أيضاً.

فلمّا دنوا من العَسكر على ساحل البحر سمعوا اللَّغَط حول العجل، فقالوا هذا قتال في المحلـة فقال موسى ليس هذا بقتالٍ و لكنه صوتُ الفتنة، فلما دخلوا العسكر غـضب موسـى وألقـى الألواح فتكسَّرَت و ارتفع بعضُها إلى السّماء؛ فأُمِر السَّامِري فـأُخرِج مـن محلّـة بنـي إسرائيـل وأحْرَقَ العجل بالنار ثمّ ذرّه في الريح (١) .

فقال موسى: ﴿يَـٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ﴾ [٥٤] يقـول ضَرَرْتـم أنفـسكم باتخـاذكم العجـل، وقيل ﴿ظَلَمۡتُم أَنفُسَكُم ﴾ أي و ضعتم عبـادةَ أنفـسِكُم في غـير موضـعها حيـث عبـدتم العجل (٢).

وقولــه: ﴿وَأَنتُمۡ ظَـٰلِمُونَ﴾ أي بوضــعكم العبــادة في غــير موضــعها (فَتُوبُــوا إِلَى بَارِئِكُمْ)[البقرة: من الآيـة٥٤] أيْ خـالِقِكم، فقـالوا كيـف لنـا بالتوبـة فقـال موسـى اقتلـوا أنفسكم، يعني يقتل بعضكم بعضاً فقالوا قد فعلنا، فلمّا أصـبحوا أَمَـرَ الثمانيـة آلاف الـذين لم يعبَدوا العجل (٣) أنْ يقتُلوهم بالسيوف فقال بعضهم لبعضٍ (٤) هؤلاء إخـوانكم شـاهرينَ

---

(١) ينظر الأخبار في هذا في : جـامع البيـان للطـبري: ١ / ٦٨٠ – ٦٨٥ و ١٠ / ٤١٥ وتفـسير ابـن أبي حـاتم : ١/ ١١٠ والثّعلبـي: ١ / ١٩٧ و ٦ / ٢٥٧ – ٢٥٨ وتفـسير البغـوي: ١/ ٩٦ و الـدر: ٤ / ٣٠٥- ٣٠٦

(٢) تفسير الثّعلبي: ١ / ١٩٧ والوسيط: ١/ ١٣٩ و تفسير البغوي: ١/ ٩٦ و البحر: ١/ ٢٠٦

(٣) قيل الذين عبدوا العجل كانوا ثمانية آلاف وقيل أكثر : تفسير الثعلبي: ٦ / ٢٥٧ و تفسير البغوي: ١/ ٩٥ .

(٤) في النسخة (ل) : بعضهم بعضا. خطأ

السيوف فاتقوا الله واصبروا فلعنة الله والملائكة على رجل قام من مجلسه أوحلّ حَبْوتـه [١] أو اتقى بيد أو رجلٍ قالوا آمين.

فقتلوهم من لدُنْ طلوع الشمس إلى نصف النَّهار يوم الجمعة و أُرْسِلَ عليهم الظُّلمة حتى لا يَعرف بعضهم بعضاً فبلغت القتلى سبعين ألفاً ثم أنزل الله الرحمة فلم يَحِكّ فيهم السيوف والأَسَل [٢] ، فأخبروا موسى فقال نزلت الرّحمة؛ وأَمَرَ حتى نُودِي أنْ ارفعوا سيوفكم عن إخوانكم، فجعل الله القتلى شهداءَ و تاب على الأحياء و عفى عنهم [٣].

فذلك قوله : ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم﴾ [٥٢] أي لم نهلكم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي من بعد العجل ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ أي لكي تشكروا ، و أراد به المؤمنين منهم الذين شكروا على هذه النّعمة و قيل ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ و ﴿لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ ههنا على جهة الترجية لهم أي ليكون الرسول و المؤمنون على رجاءٍ من هدايتكم و شكركم.

---

[١] في الأصل: خَبِيَّتَهُ. و صوبتها بحبوته : و في لسان العرب: (احْتَبَى الرجلُ إذا جَمَع ظهره وساقيه بعمامته، وقد يَحْتَبِي بيديه . يقال: حَلَّ حِبْوَته وحُبْوَتَه) و فيه أيضا : (و الاحتباء : هو أَن يَضُمَّ الإِنسانُ رجليه إِلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويَشُدُّه عليها). لسان العرب: (حبا).

[٢] هي الرماح: والأَسَلُ الشوك الطويل من شوك الشجر وتسمى الرماح أَسَلا : مختار الصحاح : مادة: أ س ل.

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٨٠ – ٦٨٥ و تفسير البغوي: ١/ ٩٦

وقال بعضهم [١] : أُخبِر موسى أنّ قومك قد اتخذوا العجل فلم يتحرّك منه عِرْقٌ مع تصديقه ربه، فلما عايَنَ العجل و العَبَدة لم يتمالك، و صاح و ناح، و أخذ برأس هارون وبلحيته، إذ ليس المُخبَرُ كالمعايِنْ.

و أصلُ العفو [٢] محوُ الأثر عَفَتْهُ الرِّياح إذا دَرَسَتْهُ وقيل أصل العفو التَّرك من قوله: (فمن عفي له من أخيه شيء) أي تُرِك.

﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ﴾ الآية [٥٣] قال مجاهد [٣] و الفرّاء [٤] قوله: ﴿ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ﴾ فالكتاب هو الفرقان و الفرقان هو الكتاب فذَكَرَهُ باسمين، و مثله جائزٌ في الكلام كقول القائل : و أَلفَى قولها كذباً ومينا [٥]

قال قطربٌ [٦] : و لقد آتينا موسى الكتاب و محمداً الفرقان لعلكم تهتدون بهذين الكتابين فترك أحد الاسمين.

---

[١] ينظر: تفسير الطبري: ٤ / ٦٢٥ من طبعة دار هجر و ٣/ ٤٨ من طبعة دار الفكر و المستدرك للحاكم: ٢/ ٣٥١ و تفسير أبي الليث السمرقندي: ١ / ٥٦٦ و زاد المسير: ١ / ٣١٣ وتفسير القرطبي: ٧ / ٢٨٨ و تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٤٩ و الدر المنثور: ٢ / ٣٣

[٢] الزاهر لابن الأنباري: ١ / ٤٢٨ (رقم : ٣٧٢) وتفسير الثّعلبي: ١ / ١٩٥ والوسيط: ١/ ١٣٨ و لسان العرب: (عفا) .

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٧٧ و الوسيط: ١/ ١٣٨ و الدر: ١ / ٦٩

[٤] معاني القرآن للفراء: ١ / ٣٦ و معاني القرآن للزجاج: ١ / ١٢٢ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٢٥

[٥] شطر بيت مشهور لعدي بن زيد وقد تقدّم البيت عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من سورة الفاتحة [آيه:٣] ص: ٣٢٥ وهو في معاني القرآن للفراء: ١/ ٣٦ .

[٦] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٢ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٢٥ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٩٧ . و قد ذكره الفراء وجهاً جائزاً فإنه ذكر وجهين هذا أحدهما : ١ / ٣٦ . و قد ضعَّف هذا القول ابن عطية: المحرر: ١/ ١٤٤ وقال: الرازي : (إنه تعسف شديد من غير حاجة إليه البتة)اهـ. التفسير

و قيل ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ نعت ﴿ٱلۡكِتَـٰبَ﴾ [١] يريد كتاباً فارقاً فزيدتْ الواو كما يزاد في النّعوت من قولهم: فلان حسن و طويلٌ و أنشد الكسائي [٢] :

إلى الملِك القَرْم و ابنِ الهُمام   و ليثِ الكتيبة في المُزدَحَمْ

قال الفراء [٣] : وقال بعضهم ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ الحلال و الحرام الذي في التوراة .

والفرق بين هذا القول و بين ما قاله الفرّاء أوّلاً: أنّ الفرّاء شبّهه بما ذُكِر له اسمان بلفظين مختلفين و المعنى واحدٌ كقوله : كذباً و مينا، و شبّهه أيضا بقوله [٤] : فبعداً و سحقاً لأن البعد هو السّحق ، و هذا القول هو أنه وصفه بوصفين مختلفين بأنه كتابٌ و أنه فرقانٌ.

و فائدةُ كونه فرقاناً غيرُ فائدةَ كونه كتاباً، و هذا أشبه بالظاهر، و أحسن في المعنى.

و قيل﴿ ٱلۡكِتَـٰبَ﴾ هو التوراة، و ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ النصر على الأعداء [٥] و الآيات الفارقات بين الحق والباطل و هو مصدر كالرّجحان والنقصان.

قال ابن عباس [١] : أعطاه الله الألواح من زبرجدٍ فيها عشر آيات، و أنزلها على محمد في ثمان عشرة آية، و كانت عشرةَ أذرع على طول موسى. و الآيات الثماني عشرة في الأنعام قوله تعالى:

الكبير للرازي: ٣ / ٧٣ و هو ضعيف كماقال ابن عطية و الرازي لأنّ فيه تقديرَ محذوف على وجهٍ يخالف الظاهر. و ينظر: جمال القراء: ١ / ٢٨

[١] عزاه الثعلبي للكسائي : ١ / ١٩٧ و كذلك البغوي: ١/ ٩٦ و على هذا القول فالواو صلة أي زائدة.

[٢] تقدم هذا البيت في أول سورة البقرة عند الآية: (٣):صـ٤٠٦ .

[٣] معاني القرآن للفراء: ١ / ٣٧

[٤] زيد في النسخة (ل) : هنا تعالى . و لا موضع لها

[٥] ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٧٧ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٢ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٢٥ وتفسير الثّعلبي: ١ / ١٩٧ والنُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٢١ – ١٢٢ والمحرر: ١/ ١٤٤ و تفسير القرطبي: ١ / ٣٩٩

﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام:١٥١] إلى قوله: ﴿ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣] وفي بني إسرائيل ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾.

فلما نظروا إلى الألواحِ قالوا لا حاجةَ لنا فيما جئتنا به، فإنّ العجل كان أحبّ إلينا، فأمر الله تعالى الملائكة، فرفعوا الجبل على عسكرهم مثل الظّلّة.

و قال بعضهم: الفرقان صفة لجميعِ كُتُبِ الله لأنّها تفرّق بين الحق والباطل. و قال مقاتل [٢] الفرقانُ على ثلاثة أوجهٍ:

الأول: بمعنى النصر فذلك قوله في البقرة:﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ [٣] و كقوله: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾ [الأنفال:٤١] يعني يوم النّصر و الفرق بين الحق و الباطل .

---

[١] لم أجده بهذا اللفظ عن ابن عباس رضي الله عنه وينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٦٧ و ١٠ / ٤٥٦ خبر أبي العالية ؛و في أكثر النسخ من الطبري : (أن الألواح كانت من بَرَد) و الدر المنثور: ٣ / ٥٤٨ عند الآية: (١٤٥) من سورة الأعراف و تفسير البغوي: ٣ / ٢٨٠ – ٢٨١ و في خبر ابن جريج أن الألواح كانت من زبرجد: جامع البيان للطبري: ١٠ / ٤٥٦

[٢] لمقاتل بن سليمان كتاب في الوجوه و النظائر و ممن ينقل منه السيوطي في الإتقان و ذكره في المصنفات في الوجوه و النظائر: الإتقان: ١/ ٤٤٥ النوع التاسع و الثلاثون . و كلامه هذا لم أقف عليه في تفسيره المطبوع فلعله في كتابه الوجوه و النظائر. و قد ذكر الحسين بن محمد الدامغاني في كتابه في الوجوه و النظائر هذه المعاني الثلاثة و لم يزد عليها : صـ ٣٥٧ و ينظر: الزاهر في معاني كلمات النّاس للإمام ابن الأنباري: ١ / ٧٥ و تهذيب اللغة: (فرق) : ٩ / ١٠٥ ومقدّمة تفسير الماوردي: ١ / ٢٤ و ما تقدّم عند ذكر المصنف في مقدمة الكتاب أسماء القرآن فقد ذكر معنى الفرقان و تكلّم على معانيه وأشرت إلى بعض المصادر هناك: صـ١٩٤.

(٣) في الأصل: (ولقد آتينا..) .

والثاني: المخرَج من الشّبهة كقوله : ﴿ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة:١٨٥] يعني المخرج في الدين من الشبهة و الضلالة .

والثالث : بمعنى القرآن قال الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ [الفرقان:١].

وقال الزجاج [١] : (يجوز أن يكون الفرقان انفلاق البحر و هو من عظيم الآيات).

قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم ﴾ الآية [٥٤]

(٧٠ و) في الكلام اختصارٌ [٢] أراد ففعلتم ما أُمِرتم به فتاب عليكم .

و (البارئ) الخالق والبريّة المخلوقون، وامتحنهم بأنْ يقتل بعضهم بعضاً و قرأ قتادة [٣] : (فأقيلُوا أنفسكم) من الإقالة أي استقيلوا العثرة بالتوبة.

---

[١] معاني القرآن للزجاج: ١ / ١٢٢

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٨٧ و تفسير الثّعلبي: ١ / ١٩٨ و الوسيط: ١/ ١٤٠

[٣] هذا موضعٌ يحتاج إلى وقفة: فمن العلماء مَن نقل عن قتادة أنه قرأ (فأقيلوا) و منهم من نقل أنه قرأ (فاقتالوا). أما الثعلبي: ١/ ١٩٦ فنقل أنه قرأ: (فأقيلوا) قال من الإقالة أي استقيلوا العثرة بالتوبة كما نقله المصنف هنا و كذلك حكى أبو حيان عن تفسير الثعلبي: البحر: ١/ ٢٠٨. و كذلك نقل القرطبي: ١ / ٤٠٢ .و في المحتسب لابن جني : ١/ ٨٣ نقلا عن ابن مجاهد بسند ذكره ابن جني عنه : (فاقتالوا) ثم قال ابن جني: (اقتال هذه افتعل، و يصلح أن تكون عينها واوا كاقتاد ، و أن يكون ياء كاقتاس . وقول قتادة: إنها من الاستقالة يقتضي أن يكون عينها ياء الخ). و كذلك نقل ابن عطية أنه قرأ (فاقتالوا) أنفسكم وقال هي من الاستقالة المحرر: ١/ ١٤٦ ثم نقل بعضَ كلام ابن جني السابق.
و أما أبو حيان فقال: (قرأ قتادة فيما نقل المهدوي و ابن عطية و التبريزي و غيرهم (فأقيلوا) وقال الثعلبي: قرأ قتادة (فاقتالوا أنفسكم)اهـ. البحر: ١/ ٢٠٨ ثم وجّهها أبو حيان على كلا الوجهين ونقل كلام ابن جني. لكنّ في كلامه عزوَ نقل قراءة (فأقيلوا) إلى ابن عطية، و الذي رأيته فيه هو ما ذكرته من (فاقتالوا أنفسكم) كمثل ما حكاه ابن جني، و أما ابن خالويه ففي مختصر الشواذ صـ٦:

و أصل ﴿ يَـٰقَوۡمِ ﴾ [١] يا قومي فحذف الياء لأنها في آخر الاسم حُـذِفتْ في النـداء كـما حـذفوا التنوين في النداء، و تُرِكتْ الميمُ مكسورةً لتدلّ على الياءِ الساقطة و يجوز في الكلام يـا قـومي بإثبـات الياء و يا قوميَ بفتح الياء و يا قومُ أي يا أيها القوم و القراءة﴿ يَـٰقَوۡمِ ﴾ بالكسر و حذفِ الياء .

وقوله: ﴿ بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ أي باتخاذكم العجل معبودا و البرية الخلق و الأصل بريئة بالهمز و لكن الأكثر في الكلام بريّةٌ بغير همزٍ.

و قرأ أبو عمرو [٢] (بارئكم) بإسكان {الهمزة} [٣] و استضعفوا الإسكان {للهمـزة} ههنـا لأنّـه إنما يجوز مثله في ضرورة الشعر [٤] فأما في الكلام فحذفُ الكسرِ و الـضمِّ في مثـل هـذا الموضـع لا يحسُنُ.

((فأقيلوا أنفسكم) عن قتادة) لكنه قال بعدها : (اقتالَ في غير هذا احتكم)اهـ. ثم استشهد على معنى اقتـال بالشعر فهذا دال على تحريف المطبوع منه و أنّ الصواب فيه : فاقتالوا . فهذا موضعٌ يسهل فيه التصحيف و لا بـدّ فيه من نقلٍ دقيقٍ و قد يكون الاختلاف فيه قديماً. و يترجح لي نقل الثعلبي والمصنف و المهدوي وغيرهم. أنه من الإقالة.

[١] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٢ – ١٢٣ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٢٦ و تفـسير القرطبـي: ١ / ٤٠٠

[٢] أكثر الروايات و الطرق عن أبي عمرو بإسكان الهمـزة، و روي عنـه أيـضا بـاختلاس الحركـة و هـو الإتيان بثلثيها، ووافقه ابن محيصن في وجه عنه؛ و لا يبدل أبو عمرو الهمزة ياءً على الصحيح عند محقِّقـي القراء مع كونه يسكِّنها، و انفرد ابن غلبون و من تبعه بإبدالها ياء . ينظر: : التيسير للداني: : ٧٣ والروضة لأبي علي المالكي: ٢/ ٥٣٣ و النشر: ٢ / ٢١٢ و اتحاف فضلاء البشر: صـ١٣٦ .

و ممن روى الاختلاس عنه سيبويه في كتابه : ٤ / ٢٠٢ و نقله عن سيبويه ابن النحاس في إعراب القرآن: ١ / ٢٢٧.

[٣] في الأصل : بإسكان الياء و كذا في الكلمة بعدها و هو خطأ.

[٤] قراءة أبي عمرو بالإسكان صحيحة لغةً ثابتة قراءةً، فإنها من بـاب التخفيـف و إجـراء المنفـصل مـن كلمتين مجرى المتصل من كلمة فإنه يجوزُ تسكين مثل: إِبِل . أي تسمينُ الباء؛ و أمّا قدحُ بعض النحـويين

و قد أنشد سيبويه [١] :

إذا اعوججنَ { قلتُ } [٢] صاحبْ قوّم [٣]

بإسكان الباء يريد يا صاحبي، و أنشد أيضاً [٤] :

فاليوم أشربْ غيرَ مستَحْقِبٍ إثماً منَ الله ولا واغِلِ [٥]

يريد أشربُ فسكّن الباء و قد أنشدَ غيره البيتين على الأصل [١] أنشدوا :

في قراءة الإسكان كما ذكره المصنف فغير مقبولٍ. و ينظر في توجيه القراءتين عنه مع ما سيذكره المصنف ما في : معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٤ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢٢٦ و معاني القراءات للأزهري: صـ٥٠ و الكشف لمكي: ١/ ٢٤٠ – ٢٤١ و المحرر: ١/ ١٤٥ و النشر : ٢ / ٢١٣ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٠٣ و البحر: ١/ ٢٠٦

[١] الكتاب: ٤ / ٢٠٣ غير منسوب و بعده فيه: بالدّوّ أمثال السفين العُوَّمِ.

و شطره الأول في معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٤ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢٢٦ والخصائص: ١/ ٧٥ و هو في: اللسان (عوم) و معاني القرآن للفراء : ٢ / ١٢ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٠٢ والبيت ينسب لأبي نخيلة كما في شرح السيرافي في (باب ما يحتمل من الشعر) ذكر هذا الأستاذ: عبد السلام هارون، و محققوا الخصائص لابن جني. و ينظر: خزانة الأدب: الشاهد الرابع والثلاثون بعد الست مئة.

[٢] سقطت من الناسخ و ألحقتها من مصادر البيت.

[٣] يصف إبلا و (الدوّ) الصحراء و أراد بأمثال السفين أمثال السفن من الإبل شبَّه الرواحل المحمَّلة تقطع الصحراء بقطعِ السفنِ البحرَ. و الشاهد تسكين باء (صاحبي) تشبيها للوصل بمجرى الوقف.

[٤] البيت لامرئ القيس: ديوانه: ١٢٢ و هو في الكتاب لسيبويه: ١ / ٢٠٤ و معاني الزجاج: ١/ ١٢٤ والخصائص : ١ / ٧٤ و ٢/ ٣١٧ و ٣٤٠ و ٣/ ٩٦ و خزانة الأدب: ٣ / ٥٣٠ و التصريح: ١ / ٨٨ و كثير من المصادر.

[٥] قاله حين أدرك ثأر أبيه و قد كان نذر أن لا يشرب الخمر حتى يثأر به، استحْقَبَ فلانٌ الإثم: كأنه جمعه وأصله حمل الشيء في الحقيبة . (لسان العرب: حقب). و الواغِلُ: الداخل مع القوم في شرابهم و لم يُدعَ.

إذا اعوججن قلتُ صاحِ قوّمي

و أنشدوا: اليوم فَاشْرَبْ غير مستحقبٍ

على الأمرِ لا الخبر

و أنشدوا :

اليوم أُسْقى غيرَ مستحقِبٍ. (٢)

و قيل لما انكشف السحابة عنهم اشتدّ عليهم و على موسى ذلك القتلَ و كثرَتَهم فقال الله : أمَا يُرضيك أني أُدخِل القاتلَ و المقتولَ في الجنة ؟ قال بلى يا ربّ (٣) .

وقيل علم قوم منهم أنّ عبادة العجل باطل فلم يمنعهم من النهي عنه إلا خوف القتل فلذلك جُعلِتْ توبتهم في القتل عن ابن جريج (٤) .

وفي رواية أنّ السبعين الذين كانوا مع موسى هم الذين أُمروا بقتل الباقين (٥)، و هذا خلاف الظاهر لأنّ الله قال فاقتلوا أنفسكم.و قيل معناه ظلمتم أنفسكم أي على أنفسكم (٦) ؟

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي توبتكم خير لكم عند بارئكم من إقامتكم على عبادة العجل.

---

(١) هذا كلام الزجاج: ١/ ١٢٤ و في آخره: (و لم يكن سيبويه ليروي إلا ما سمع إلا أن الذي سمعه هؤلاء هو الثابت في اللغة ؛ و قد ذكر سيبويه أنّ القياس غير الذي روى) اهـ.

(٢) على هاتين الروايتين لا شاهد في البيت.

(٣) تفسير الثّعلبي: ١ / ١٩٨ وفي جامع البيان للطبري: ١ / ٦٨٣ من خبر ابن شهاب الزهري بنحوه و ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٨١ . و: الدر: ١ / ٧٠ و تفسير ابن كثير: ١/ ١٣١

(٤) جامع البيان للطبري: ١ / ٦٨٤

(٥) تفسير نجم الدين عمر النسفي الحنفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٩٩٣)، و التفسير الكبير للرازي: ٣ / ٧٦ وتفسير القرطبي: ١ / ٤٠١

(٦) كذا في الأصل. و المراد: على أنفسكم وقع ظلمكم.

وقيل توبتُكم خير لكم عند ربكم أيْ فعلُ خيرٍ، لأنه يُثيبكُم عليه فقال: خيرٌ لكم لا على طريقة المبالغة.

و قوله: ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي رجع بكم إلى ما أحببتم من العفو عن ذنبكم والصفح عن جُرْمكم.

وقال بعضهم : البريَّة [(١)] فعِيلة من البري، و هو التراب كأنّه المخلوق من التراب ،ولذلك لم يهمز، ومنهم من قال هو من برِيْةِ العود فلذلك لم يُهْمَز، و الصحيحُ أنّه من برأ الله الخلق وبُدّل همزها ياء استخفافاً.

وقال الحسين بن الفضل (٢): معنى قوله ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي فيتوب عليكم أي فاقتلوا أنفسكم فإنكم إنْ قتلتم أنفسكم فإنه يتوبُ عليكم.

قوله ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [٥٥] يقول عياناً بلا ساترٍ، والجهر، و الجهرة [(٣)] في اللغة الكشف، يقال جهرتُ البئرَ إذا كشفت الطين عنها ليظهَرَ ماؤها ، وفلان يجاهرُ بالمعصية أي لا يستتر، و جهر في قراءته. و نصبُها على الحال [(٤)] يقولون في حال انكشافه .

[(١)] البريَّة الخلق ،و هي فعيلة بمعنى مفعولة: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٨٦ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٣ و الفريد: ٤ / ٧٠٨

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لسان العرب: (جهر) و جامع البيان للطبري: ١ / ٦٨٧ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٥

[(٤)] فيها قولان : أحدهما أنها مصدر ، و الثاني: أنها مصدر واقع موقع الحال: ينظر: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٢٧ و فيه أنها حال من رأى و البحر: ١/ ٢١١ و الراجح أنها مصدر مؤكّد مزيل لاحتمال الرؤية أن تكون مناماً أو عِلماً بالقلب ؛و المعنى حتى نرى الله عياناً. ذكر هذا الوجه أبو حيان ورجّحه و في المحرر: ١/ ١٤٧ ترجيح كونها حالاً من رأى . و ينظر: في إعرابها و الأقوال فيه : إملاء ما منّ به الرحمن: ١/ ٣٧ و البحر: الموضع السابق و المحرر : ١/ ١٤٧ و الدر المصون: ١ / ٢٢٩

و قرأ ابن عباس [١] (جَهَرَةً) بفتح الهاء وهو جيّد لمكان الهاء [٢] وكذلك زَهَرَةٌ و زَهْرَةٌ .

فَأَخَذَتْكُمُ ﴿ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾ قيل في التفاسير الموت [٣] بـدليل قولـه ﴿ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [٥٦].

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ قال الخليل [٤]: الصعقة و الصاعقة أن يُغشَى على الإنسان من هول أو فزع .

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ قيل تهديدٌ للمخاطبين أي و أنتم تنظرون مثل تلك العقوبـة وقيـل فيـه تقديمٌ؛ وتقديره: فأخذتكم الصاعقة ثـم بعثنـاكم مـن بعـد مـوتكم و أنـتم تنظـرون لعلكـم تشكرون نعمةَ البعث.

وقيل ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي تؤمنوا بالله لأن الشّكر من صفات المؤمنين .

و أظهرُ الآيات بعثُهم بعد موتهم ؛فالآية فيه كالملجِئَةِ إلى الإيمان. وقد ذكرنا أنَّ معنـى (لعـل) للتّقريب من الفعل.

وقيل ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ يريد نظرَ بعضهم إلى بعضٍ عند نزول الصعقة.

---

[١] تفسير الثّعلبي: ١ / ١٩٩ والبحر: ١/ ٢١١ والدر المـصون: ١ / ٢٣٠ و ينظـر: في توجيههـا أيـضاً: المحتسب لابن جني: ١/ ٨٤ و المحرر: ١ / ١٤٥ .

[٢] يعني لكونها من حروف الحلق : المصادر السابقة.

[٣] اختلفوا في صفة الصاعقة التي أصابتهم فقيل : سمعوا صوتا فماتـوا ؛وقيـل أخـذتهم رجفـةٌ فماتـوا . جامع البيان للطبري: ١ / ٦٩٠ و ينظر: تفسير الثّعلبي: ١ / ١٩٩ و التفسير الكبير للرازي: ٣/ ٨٠

[٤] تهذيب اللغة للأزهري: ١ / ١٧٧ و لسان العرب: (ص ، ع ، ق) و ينظر: جامع البيان للطـبري: ١ / ٦٩٠

قال ابن عباس [١] : هم السبعون الذين اختارهم موسى سألُوا موسى أنْ يريَهم ربَّهم لأنهم لم يعبدوا العجلَ، فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا من عند آخرهم ، فماتوا فظنّ موسى أنهم إنّما احترقوا بخطيئة أصحاب العِجْل، فقال : (ربِّ لو شئتَ أهلكتَهم من قبل و إياي) فبعثهم الله من يومهم .

وقال السدي [٢] : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم﴾ أي بعثناكم أنبياءَ ، و ذلك أنهم بعدما أحياهُمُ الله قالوا لموسى ادعوا اللهَ حتى يجعلنا أنبياءَ فدعا فجعلهُم الله أنبياءَ، وهم جماعةٌ من بني إسرائيل جاءوا يعتذرُون من عبادةِ العِجل بعد رُجوع موسى ، وقيل إنما اختار موسى سبعين رجلاً لميقاتِ الله بعد رجوعه إليهم، وبعد عبادتهم العِجل وهم الذين سألوا الرُّؤيةَ.

وقال وهب بن منبّه [٣] : كانوا عشرة آلاف سألوا موسى ذلك فقال الصالحون منهم نعوذ بالله أنْ نقولَ هذا، فانطلقَ الذين سألوا ذلك حتى بَرَزوا إلى صعيدٍ من الأرض واتّبعهم عددٌ كثير حتى بلغوا أربعين ألفاً ثم إنّ الله أرسل جنوداً ،فلما سمعوا حِسَّها خرّوا صَعِقين فماتوا يوماً وليلةً فأحياهم الله.

قال ابن عباس [٤] : في الكلام تأخير وتقديم، وتقديره: و إذ قلتم جهرة أرنا الله ثم بعثناكم.والبعث [١] إثارة الشيء منه بَعَثْتُ البعير فانبعث .

---

[١] ينظر: جامع البيان للطبري: ١٠ / ٤٦٩ و ابن أبي حاتم: ٥ / ١٥٧٤ و خبر السدي في الطبري: ١/ ٦٩٥

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٩٣ و ٦٩٦ و ينظر: الخبر المروي فيه عن علي رضي الله عنه.
في جامع البيان للطبري: ١٠ / ٤٧٠

[٣] ذكر آخره الثعلبي: ١/ ١٩٩

[٤] روى الطبري: ٧ / ٦٤٢ في تفسير سورة النساء: آية: ١٥٣ عن ابن عباس: (إنهم إذا رأوه فقد رأوه ، إنما قالوا جهرة (أرنا الله) قال: هو مقدّمٌ و مؤخرٌ . و كان ابن عباس يتأوّل ذلك أن سؤالهم موسى كان جهرة)اهـ. وعزاه السيوطي إلى الطبري و ابن المنذر: الدر: ٢ / ٢٣٨ .

﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ الحياة [٢]. وقيل [٣] لما امتنع قوم موسى من الإيمان به بعد ظهور معجزته حتى يريهم ربهم جهرةً ، عاقبهم عليه، لأنّ الإيمان بالأنبياء واجبٌ بعد ظهور معجزاتِهم، ولا يجوز لهم اقتراح المعجزاتِ عليهم فلهذا عاقبهُم.

ولما كان سؤالُ موسى الرؤية إيماناً منه وصادراً عن يقينٍ لم يُعاقَب عليه وهؤلاء سألوه شاكّين منكِرين فعُوقبوا عليه .

وقيل أنهم اعتقدوا إحالة الرؤية على الله فعلّقوا إيمانهم عليه، ومرادهم لن نؤمنَ لك قطُّ كقوله ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ ﴾ [الاعراف:٤٠] فلهذا عاقبهم الله عليه، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً ﴾ [النساء:١٥٣] وإنما كان ذلك أكبر لأنهم سألوا موسى ما ليس في مقدورِ موسى من إراءة [٤] الله تعالى، وقالوا ذلك أيضاً على طريق التكذيب و الاستبعاد .

و قد عزى الطبري قريبا من هذا القول إلى السّدي و أسنده عنه وردَّه و قال: إنّ ظاهر التلاوة يدل على خلافه: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٩٣ و في تفسير السمعاني: ١/ ٨١: (وقيل فيه تقديم وتأخير يعني قلتم يا موسى جهرة لن (نؤمن لك) حتى نرى ا (جهرة))اهـ.

[١] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٠ و لسان العرب: (بعث).

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٩٢ و الوسيط: ١ / ١٤١ و فيه : نعمة البعث و البحر: ١/ ٢١٣ وفيه ذكر الأقوال.

[٣] ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٤ / ٢٠٩ و المحرر: ٢ / ١٣٠ عند قوله :﴿ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ النساء: آية: ١٥٣ و التفسير الكبير: ٣/ ٧٩ و البحر: ١/ ٢١٢ و روح المعاني: ١/ ٢٦٣.

(٤) يقال أرَيْتُه إراءَةً. (تهذيب اللغة: و القاموس و لسان العرب: مادة:رأى).

ومعنى الآية إعلام من الله أنّ أوائلهم قالوا لموسى مثل هذا وكانوا بهذه الجهالة مع مشاهدتهم لتلك المعجزات [٧١و] فكيف الطّمع في إيمان أواخرهم بالنَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم .

وأصل نَرَىَ نَرْأَى [١] ومنه قول الشاعر [٢] :

ألم ترَ ما لاقيتُ والدهرُ أَعصُرٌ ومن يَتملَّ العيش يَرْأى ويسمَعُ

وقوله ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ [٥٧] حين تأبّوا على موسى في دخول بَلَقَا مدينة الجبارين وكان فيها فرقة من عاد يقال لهم العمالقة فتاهوا في الأرض، وبقوا فيها فظلّل الله عليهم الغمام لما ندموا على صنيعهم وشَكَوا الحرَّ فظلّل عليهم الغمامَ- وهو ما دقَّ من السحاب -[٣] وقيل السحاب الأبيض [٤] وقيل الغمام جمع غمامة كالسحاب جمع سحابة، والغمام ما غَمَّ من السماء من سحابة وقَتَامٍ وغير ذلك مما سترها عن أعين الناظرين، وكل مغطّى فإن العرب تسميه مغموماً [٥].

---

[١] سر صناعة الإعراب: ١ / ٧٩ و لسان العرب: (رأى).

[٢] البيت للأَعْلَم ابن جَرَادَة السَّعْدِي كما في نوادر أبي زيد: (٤٩٧) و لسان العرب: رأى و هو في سر صناعة الإعراب لابن جني: ١/ ٨٠ من غير نسبة قال ابن جني : (قرأته على أبي علي ((تَـرَ)) مخففا و رواه غيره : ((ترأ))اهـ. و لم يتعرّض لقوله: يرأ و بين من كلامه أنها كما ذكر المصنف هنا و غيره: يرأى بالهمز.

[٣] ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٦٩٨ و الوسيط: ١/ ١٤٢ و لسان العرب: (غمم) : ١٠ / ١٢٩

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٩٩ و الوسيط: ١/ ١٤٢ المحرر: ١/ ١٤٨ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٠٦

[٥] المصادر السابقة و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٠

وقد قيل أن الغمام التي ظلَّها الله على بني إسرائيل لم يكن سحاباً و أنه الغمام الذي [1] يـأتي الله فيه يوم القيامة أي يأتي به، وهذا قول مجاهد [2] وابن عباس [3] وقال ابن عباس: هـو الغـمام الذي أَتى به يوم بدر [4].

ثم إنَّهم سألوا الطعام فأنزل الله عليهم المنَّ قيل هو شيء كالـصّمغ صـادق الحـلاوة يقـعُ عـلى الأشجار بالأسحار، في قول مجاهد [5] .

وقيل هو الطَّرْنَجبين [6] .قال الزجاج [1] : هو ما منَّ الله به عليهم مما لا تعب فيه ولا نصَب.

---

[1] في النسخة (ل) : التي.

[2] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٩٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ١١٣ (٥٤٩) كلاهما من طريق شِبْل عـن ابـن أبي نجيح عن مجاهد به. وعزاه السيوطي: الدر: ١ ٧٠ إلى وكيع و عبد بن حميد.

[3] جامع البيان للطبري: ١ / ٦٩٩ من طريق حجاج عن ابن جريج قال: قال ابن عباس بـه. وابـن جـريج عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج : (ت: ١٥١هـ وقيل : ١٥٠ هـ) لم يدرك ابن عبـاس رضي الله عنـه، و هو إنما يروي عن تلاميذه كعطاء بن أبي رباح و غـيره و هـو ثقـة بإجمـاع روى لـه أصـحاب الكتـب الـستة (تهذيب الكمال: ١٨ / ٣٣٨) و الأثر ذكره ابن كثير : ١/ ١٣٤ وروى ابن أبي حاتم مـن طريـق أخـرى عن ابن جريج نفسه : ١ / ١١٣ (٥٥٠) قال: قال : آخرون هو غمام أبردُ من هذا وأطيب.

[4] هو من تمام الخبر السابق عن ابن عباس رضي الله عنه.

[5] جامع البيان للطبري: ١ / ٧٠٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ١١٤ (٥٥٣) و الدر: ١ / ٧٠ و عـزاه لوكيـع وتغليق التعليق: ٤ / ١٧٣

[6] في غريب القرآن لابن قتيبة: صـ٤٩ و تفـسير الثّعلبـي: ١ / ٢٠٠ : الطـرنجبين و في معـاني القـرآن للفراء : ١/ ٣٦ و جامع البيان للطبري: ١ / ٧٠٣ و معاني القـرآن للزّجـاج: ١ / ١٢٦ و الوسـيط: ١/ ١٤٢ و تفسير البغوي: ١/ ٧٥ وزاد المسير: ١/ ٧٠ و تفسير القرطبي : ١ / ٤٠٦ و البحـر: ١/ ٢١٤ و فيها جميعا: التّرْنجبين و إن اختلفت المطبوعات منها في ضبطها بالشكل مما لا يعوّل عليه و قـد ضـبطها

وقال الرّبيع بـن أنـس [٢] : المـنَّ شراب كـان ينـزل علـيهم مثـل العـسل فيمزِجونـه بالمـاء فيشربونه.

وقال بعضهم [٣] : المنّ هو العسلُ وعسُلنا جزء من سبعين جزءاً من المنّ.

القرطبـي بـالحروف: : التَّرْنجبـين و قـال القرطبـي: (و يقـال: الطـرنجبين بالطـاء و عـلى هـذا أكثـر المفسرين)اهـ.

وقال السمعاني: ١/ ٨٢ والبغوي: (الأكثرون على أنّ المنَّ هو التر ب): ١/ ٩٧

و قال العلامة الشيخ محمد الأمين رحمه الله: (وأكثر العلماء على أن المن التر ب وهو شيء ينزل من الـسماء كنزول الندى ثم يتجمّد وهو يشبه العسل الأبيض) أضـواء البيـان: ٤/ ٧٤ . وينظـر: لـسان العـرب: (دردق) ١٠ / ٩٦

[١] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٦

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٧٠٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ١١٥ (٥٥٨)

[٣] أسنده الطبري عن عامر و هو الشعبي: ١/ ٧٠١

وقال السدي [١] : المنُّ يسقط على شجر الزّنجبيل. وقيل كانوا يخبزُونه مثلَ القُرص فيأكلونه فيكونُ طعمه مثل الشّهد المعجون بالسّمن، فقالوا يا موسى قتلنا هذا المنَّ فادع لنا ربك أن يطعمنا الّلحمَ فدعا لهم موسى فأنزل الله عليهم السَّلوى.

قيل هي السُّمَانى وقيل طير يشبه السُمَانى في قول ابن عباس [٢] وابن مسعود [٣] والضحاك [٤] و السدي [٥] و الربيع بن أنس [٦].

و لا واحد للسَّلوى [٧] وقال بعضهم: واحدها سَلواَةٌ كقولهم أرْطى و واحدها أرْطاة.

وقيل السّلوى: للواحد و الجمع كقولهم: دِفْلَىَ [٨] للواحد و الجمع عن الأخفش [٩] .

و قيل [١] إنّ الله تعالى بعثَ سحابةً فمَطَرَت السُّماني في عَرْض ميلٍ وقَدْرِ رمحٍ في السماء بعضُها على بعض.

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٧٠٢ مع اختلاف في نسخه هنا بين (الزنجبيل والترنجبين) كما في هامشه- طبعة دار هجر-: و ابن أبي حاتم: ١ / ١١٤ (٥٥٥) و تفسير ابن كثير: ١/ ١٣٤

[٢] جامع البيان للطبري: ١ / ٧٠٤

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٧٠٤

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٧٠٦ و الدر: ١ / ٧١

[٥] في الطبري عنه: كان طيراً أكبر من السّمانى: ١ / ٧٠٥

[٦] جامع البيان للطبري: ١ / ٧٠٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ١١٥

[٧] معاني القرآن للفراء ١ / ٣٧ و جامع البيان للطبري: ١ / ٧٠٤ و الوسيط: ١/ ١٤٢ و زاد المسير: ١/ ٨٥ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٠٧ و البحر: ١/ ٢١٤

[٨] الدِّفْلى: شجر مُرٌّ أَخضر حَسَن المَنْظَر يكون في الأَودية: لسان العرب: (دفل)

[٩] معاني القرآن للأخفش: صـ٧٧

وقال قتادة[٢] : كان ذلك المنّ كالثَّلْج يجيء لكل إنسانٍ منهم كلَّ ليلة صاعٌ ونُهُوا أنْ يأخـذوا شيئا لغدِهِم فكانوا إذا أخذوا فَسَدَ و دَوَّدَ إلا يوم الجمعة كانوا يأخـذون ليـومين لأنـه لم يكـن يأتيهم بالسّبت فقال الله لهم ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ أي من الوجوه الذي أمرتم و أُحل لكم أن تأخذوها ليومكم.

وقيل كلوا من هذا المنّ والسّلوى وهي الطيبات التي رزقهم الله، فتعدَّوا فيه فأخذوا فـوق مـا كفاهم، و قدَّدُوا وملَّحوا فعصَوا .

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾[٣] ما نقصونا بالمعصية، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حين عصوا .

وقيل ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ ﴾ ما كنّا ظالمين بحبسهم في التّيهِ، ولكنهم كانوا ظالمين عـلى أنفـسهم حين تركوا أَمرَنا حين قلنا لهم ادخلوا القرية فتَأَبَّوَا على موسى صلى الله عليه.

وقيل ﴿مَا ظَلَمُونَا﴾ ما وضعُوا عِصيانهم ذلك موضعَ مضرّة علينا، و منقـصة لنـا ولكـنهم وضعوه من أنفسهم موضع مضرّة لهم، وقيل لم يَعُدْ ضررُ ظلمهم إلينا و إنما عاد إليهم.

ووجهُ اتصال قوله : ﴿مَا ظَلَمُونَا﴾ بما قبله أي فخالَفَوا ما أُمروا ومـا ظلمونـا أي فكفـروا هذه النعم، وما ظلمونا.و موضع قوله ﴿كُلُوا﴾ نصبٌ[١] أي قلنا لهـم كلـوا كـما تقـول قلنـا خيراً .

---

[١] تفسير مقاتل: ١ / ٥٠ و فيه أن الذي أمطرته السماء هو: السّمانى و الخبر في تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٠ وفيه أنه قول أبي العالية و مقاتل، و أنها أمطرت طيراً أحمـر ،و كـذلك في البحـر:١ / ٢١٤ .و الله أعلـم بصحة ذلك.

[٢] تفسير عبد الرزاق: ١/ ٤٦ وجامع البيان للطبري: ١ / ٧٠٠ أولـه فقـط . و أخرجـه ابـن أبي حـاتم مطولا: ١ / ١١٤ (٥٥٦) مع اختلاف في بعض ألفاظه و زيادات.

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٧١١ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠١ و الوسيط: ١/ ١٤٢ و البحر: ١/ ٢١٥

وقال الحسين بن الفضل قوله: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ يعني الحلال من ذلك.

وفي الآية ردٌّ على القَدَريّة حيث أخبرَ أنّ الرّزق [٢] منقسِمٌ إلى حلال و حرامٍ، ولولا ذلك لم يكن لتقييد الكلام بقوله: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ معنىً.

وقال وهب [٣] ﴿ٱلۡمَنَّ﴾ الخبز الرِّقاق، وفي الخبر عن النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (الكَمْأة من المنّ وماءها شفاء للعَين) [٤] . قيل معناه أنّه مما منَّ الله عليكم من غير حرْث ولا سقْيٍ ولا زرع؛ وهذا يؤيد قول الزجاج في المنّ [٥]. و قال عكرمة [٦] ﴿ٱلۡمَنَّ﴾ شيء أنزله الله عليهم مثلَ الرُّبّ الغليظ، ﴿وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ طيرٌ يكونُ بالهند فوقَ العصفور [٧] .

و قال المؤرِّج [٨] السَّلوى العسَل بلغة كنانة قال شاعرهم [١] :

---

[١] الوسيط: ١/ ١٤٢ وتفسير القرطبي: ١ / ٤٠٨ و البحر: ١/ ٢١٤

[٢] تقدمت هذه المسألة عند قوله: ﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ في أَول السورة:صـ ٤٠١ .

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٧٠١ و ابن أبي حاتم: ١ / ١١٥ (٥٥٧)

[٤] متفق عليه من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه : أخرجه البخاري: (ح: ٤٦٣٩ و ٥٧٠٨) و فتح الباري: ١٠ / ١٧٢ و صحيح مسلم: (٢٠٤٩) و أخرجه الجماعة سوى أبي داود و روي من طريق أبي هريرة وأبي سعيد و جابر ،و ينظر: كلام ابن كثير على طرقه في تفسيره : ١/ ٢٧١ – ٢٧٤

[٥] و هو ترجيح ابن كثير: ١/ ٢٧١ فقد قال: (و الظاهر– و الله أعلم– أنه كلّ ما امتن الله به عليهم) الخ.

[٦] ابن أبي حاتم: ١ / ١١٤ (٥٥٤) وتفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٠ و في المطبوع منه تصحيف: الربّ إلى الزيت ؟.

[٧] ابن أبي حاتم: ١ / ١١٦ (٥٦٤) وتفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠١ عن عكرمة أيضا.

[٨] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠١ و فيه : { المعسل }تحريف و تفسير القرطبي: ١ / ٤٠٧ .

وقاسمها بالله حقّا لأنتم ألذّ   من السّلوى إذا ما يشُورُها [٢]

وقيل اشتقاق السّلوى مما أَسْلاكَ عن غيره. قوله : ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [الآية: ٥٨] اختلفوا في هذه القرية ما هيَ فقيل بيت المقدس عن قتادة [٣] و السُّدّي [٤]

والربيع [٥] . وقيل إيلياءُ من وراء البحر [٦] وقيل أَريحا عن ابن زيد [٧] قال ابن كيسان هو الشام [٨] .

قيل لما خرَجوا من التّيه قال الله لهم: ادخلوا هذه القرية ،وكلوا منها حيث شئتم رَغَدَاً موسّعا عليكم، والرَّغد [٩] الكثير .

---

[١] خالد الهذلي: سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٦٦ و هو من قصيدةله في الأغاني يردُّ فيها على أبي ذؤيب الهذلي و نسب إليه أيضا في لسان العرب: (سلا). و بلا نسبة في تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠١ و المحرر: ١/ ١٤٩ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٠٧ : و نشورها بالنّون كما في المصادر السابقة.

[٢] نشورها أي نأخذها من خليتها يعني العسل (لسان العرب: سلا)

[٣] عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٤٦ و جامع البيان للطبري: ١ / ٧١٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ١١٦ (٥٦٩)

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٧١٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ١١٦ (بعد الأثر : ٥٦٩)

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٧١٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ١١٦ (بعد الأثر : ٥٦٩)

[٦] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠١

[٧] جامع البيان للطبري: ١ / ٧١٣

[٨] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠١

[٩] تقدّم معنى الرغد و أنّه الكثير الواسع الهنيء ينظر: صـ ٥٧١ .

﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ (من الآية:٥٨)وهو بابٌ من أبواب القرية -وكان لها سبعة أبـواب - وقيـل هو بابٌ معروفٌ يقال له بابُ حِطّة، وقيل هو باب القبلة التي صلى إليها موسى وبنو إسرائيل [١].

وقيل أراد به وجها من وجوه القرية [٢] أُمِروا بأن يدخلوا من ذلك الوجه كما يقال هذا بـاب الأمر.

﴿سُجَّدًا ﴾ أي ركَّعاً منحنينَ متواضِعين عن ابن عباس [٣].

وقيل إذا دخلتُموها فاسجدوا لله شكراً ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ أي استغفروا و قولوا هذه الكلمة ﴿حِطَّةٌ﴾ أي احططْ خطايانا، قال أبو عبيدة [٤] : هي رفعٌ على الحكاية [٥] .

وقال الزجاج [٦] معناه قولوا مسألتُنا حطّة لذنوبنا عنّا [٧] .

---

[١] ينظر في هذا كله: جامع البيان للطبري: ١ / ٧١٣ – ٧١٤ و المحرر: ١/ ١٤٩ و زاد المسير: ١/ ٨٥ و تفسير القرطبي: ١ / ١٠ و البحر: ١ / ٢٣١

[٢] تفسير العلامة نجم الدين عمر النسفي الحنفي : التيسير في التفسير: (ورقة ٩٥) .

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٧١٥ و ٧٢٥ - ٧٢٦ و ابـن أبي حـاتم: ١ / ١١٧ ، ١١٩ (٥٧٢ ، ٥٧٦ ، ٥٩٠) و الحاكم: ٢ / ٢٦٢

[٤] مجاز القرآن لأبي عبيدة:١/ ٤١ و معاني القرآن للفراء:١ / ٣٧ و فيه الردّ على هذا القول، وغريب القرآن لابن قتيبة ص٥٠ وتفسير الثعلبي: ١/ ٢٠٢ و البحر: ١ / ٢٢٣

[٥] قال أبو حيان: (هو بعيد عن الصواب)اهـ. البحر: ١ / ٢٢٣

[٦] لفظه كما في معاني القرآن له: (قولوا مسألتنا حطة ، أي حط ذنوبنا عنا). ١ / ١٢٦

[٧]ينظر في إعراب حطة : معاني القرآن للفـراء: ١ / ٣٧ وجـامع البيـان للطـبري: ١ / ٧١٨ – ٧١٩ و إعـراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٢٨ و الوسـيط: ١/ ١٤٣ و الكـشاف: ١ / ٢٨٣ وتفـسير القرطبـي: ١ / ٤١٠ و الفريد: ١/ ٢٩٦ البحر: ١/ ٢٢٢ و الدر المصون: ١/ ٢٣٢

وقوله: ﴿ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ ﴾ جزم لأنه جواب الأمر. وقال بعضهم [1] قولوا: ما هو حطة فيكون حطة خبرا لِمَا ويكون (ما) مضمرا فيه.

وقيل هو مصدر حطَّ يحُطُّ و الحطّ الوضع [2]. و يجوز النصب –و لم يُقرأ به [3] – على معنى حُطّ عنا حِطّةً [4].

و قال بعضهم [5] :﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ أي ليكنْ منكَ حِطَّةٌ لذنوبنا يقال للرَّجل سمعَكَ إليّ أي ليكُن سمعُك إليّ ، و قُرِأتْ بالنصب بدلا من الفعل بالفعل أي احطُطْ عنا حطَّةً ،وهو شبيهٌ بقولهم: سمعٌ وطاعةٌ وسمعا وطاعةً، ومثله قوله :(قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ)،(الأعراف: من الآية١٦٤) أيْ موعظتنا معذرة إلى ربِّكم كذلك معناه دخولنا الباب سجّدا معذرةٌ لذنوبنا،و قيل نُصِب على معنى يعتذِر معذرةً [6] .

وقال يونس : فُرِضَ عليهم أنْ يقولوا هذه الكلمة مرفوعةً فيقولوا حطّةٌ فلم يفعلوا ما أمروا به، و غيّروا تلك الكلمة و قالوا : حِطّةً [7].

و قال بعضهم [1] قالوا : هَطا سَمعا ثا ،يعنون حنطة حمراءَ بلغةِ النَّبَط.

---

[1] جامع البيان للطبري: ١ / ٧١٨

[2] جامع البيان للطبري: ١ / ٧١٥ و الوسيط للواحدي: ١ / ١٤٣

[3] يعني لم يُقرأ بها في القراءات المتواترة و قد رويت القراءة بالنصب عن ابن أبي عبلة فقد قرأ: حطةً بالنصب : مختصر شواذ القراءات لابن خالويه : صـ ٥ و المحرر لابن عطية: ١/ ١٥٠ و الكشاف: ١/ ٢٨٣ و الفريد: ١/ ٢٩٦ و البحر: ١/ ٢٢٢ و عزاها ابن الجوزي لابن أبي عبلة و ابن السميفع: زاد المسير: ١/ ٨٥

[4] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٦ و الفريد: ١/ ٢٩٦ والبحر: ١/ ٢٢٢

[5] هو الأخفش ينظر: معاني القرآن للأخفش: صـ ٧٧ و الكلام كله إلى قوله : (يعتذر معذرة) موجود فيه مع اختلاف يسير ،وذكر الطبري أوله ملخصا عن بعض نحويي أهل البصرة و لم يسمه: ١ / ٧١٨

[6] إلى هنا انتهى كلام الأخفش: معاني القرآن: صـ ٧٨ – ٧٩ و بعضه منقول بالمعنى .

[7] نقلها عنه سعيد بن مسعدة الأخفش في آخر كلامه السابق قائلا و زعم يونس صـ ٧٩

و في خبر مرفوع إلى النَّبيّ ﷺ[٢] : أنّهم قالوا : ((حَبّة في شَعِيرةٍ))وفي رواية قالوا ((حنطة في شعيرة)).

و إنما أُمِروا أن يستغفروا من امتناعهم من دخول مصر قبل التِّيه فقيل قولوا هذه الكلمة ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ يعني خطايا من عصى حينئذ.

و قرئ[٣] (خطيآتكم) جمع الخطيئة كصحيفة و صحيفات و سفينة و سفينات و الأكثر في القراءات: (خطاياكم).

قال الزجاج[٤] : الأصل في خطايا خطائئ مثل خطائعٌ[٥] فاجتمع همزتانِ فقلِبتْ[١] الثانية ياءً فصارَ خطائي ثمّ نقلت الياء و الكسرة إلى الفتحة، و الألف فصار خطاءا مثل خطاعَا[٢]

---

[١] في جامع البيان للطبري: ١ / ٧٢٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ١١٩ (٥٨٩) عن السدي عن مرة الهمداني عن ابن مسعود أ نهم قالوا: (هطى سُمقاثا أزبه هزْبا . و هو بالعربية: حبة حنطة حمراء مثقوبة، فيها شعرة سوداء)اهـ. وفي غريب القرآن لابن قتيبة: حطًّا سُمقاثا : صـ ٥٠ وقال يعنون حنطة حمراء، و لم يذكر كلمة النبط وينظر: غرائب التفسير لمحمود الكرماني: ١ / ١٤٢ و تفسير القرطبي: ١ / ٤١١ و فيه أنه لفظة عبرانية حكاها ابن قتيبة و الدر المنثور: ١/ ٧١ .

[٢] متفق عليه: أخرجه البخاري- مع فتح الباري- في أحاديث الأنبياء باب: (٢٨): ٦ / ٤٣٦ (٣٤٠٣) و(ح ٤٤٧٩ ، ٤٦٤١) و كشف المشكل لابن الجوزي مع تنقيح الزركشي: ٦ / ٩ و مسلم: في كتاب التفسير: برقم: (٣٠١٥) ٤ / ٢٣١٢ و الترمذي: (٢٩٥٦) و النسائي في الكبرى: (١٠٩٨٩ ، ١٠٩٩٠) و أحمد: ١٣ / ٤٧١ و ابن حبان(٦٢٥١) و جامع البيان للطبري: ١ / ٧٢٤ - ٧٢٥وينظر: تفسير ابن كثير: ١ / ٢٧٩ والدر: ١ / ٧١

[٣] نقلها الزجاج و لم يعزها: ١ / ١٢٦ و عزاها أبو حيان : للحسن : ١/ ٢٢٣ .و قرأها الجحدري (خطيئتكم) بالإفراد: مختصر في شواذ القراءات: ص٦ و عزاها أبو حيان للجحدري و قتادة و الأعمش ، وعزى ابن النحاس قراءة: (خطيئتكم) للحسن و الجحدري: ١ / ٢٣٠ فالله أعلم.

[٤] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٦

[٥] ليست في معاني القرآن للزجاج في هذا الموضع و هي مجرّد كلمةٍ للتمثيل، و تقريبِ ميزان الكلمة.

فأُبدِلَت الهمزةُ ياءً لوقوعها بين ألفين فصار خطايا، و إنما أُبدِلتْ الهمزة ياء حين وقعت بين ألفين لأنَّ الهمزة مجانبة للألفات فاجتمعَ ثلاثة أحرُف من جنس واحد [٣] .

وقال ابن جرير [٤] : الخطايا جمع خطيّةٍ بغير همز كمطايا جمع مطيّة [٥] .

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الذين لم يعصُوا في ذلك الوقت في ثوابهم . ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [آية:٥٩] الذين غيّروا تلك الكلمة ﴿قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ أنْ يقولوا استهزاءً ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ غيّروا و بدّلوا ﴿رِجْزًا﴾ عذابا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ظلمة، ويقال طاعوناً [٦]، ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ يعصون، فأخذهم مَوتانٌ وهو موتُ الفجأة فمات منهم في ساعة أربعةٌ و عشرون ألفا .

وقال الضحاك [٧] : فهلك منهم سبعون ألفا عقوبة لقولهم. قال مجاهد [١] : طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يسجدوا وقالوا حنطةٌ.

---

[١] في النسخة (ل) : فنقلتْ

[٢] مجرد كلمة للتمثيل كما سبق و في معاني الزجاج: (حظاعا).

[٣]ينظر: الكتاب لسيبويه: ٢ / ٦٩ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٦– ١٢٧ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢٢٩ و البيان لأبي البركات ابن الأنباري: ١/ ٨٤ و الإنصاف له: ٢ / المسألة: (١١٦)والفريد في إعراب القرآن : ١ / ٢٩٦ – ٢٧٠ و البحر: ١/ ٢١٧– ٢١٨ و الدر المصون: ١/ ٢٣٣– ٢٣٤

[٤] جامع البيان للطبري: ١ / ٧٢١ و به قال بعض الكوفيين : الفريد في إعراب القرآن : ١ / ٢٩٦ – ٢٧٠ و البحر: ١/ ٢١٧– ٢١٨ و الدر المصون: ١/ ٢٣٣– ٢٣٤

[٥] اختلف النحويون في وزن (خطايا) فمذهب سيبويه و أكثر البصريين أن وزنه: (فعائلُ) لأن خطيئة على وزن فعيلة و فعيلة تجمع على فعائل، و ذهب الكوفيون و الخليل بن أحمد إلى أنّ وزنه (فعالى) :البيان لأبي البركات: ١ / ٨٤ و الإنصاف له: ٢ / المسألة: (١١٦).

[٦] ينظر: جامع البيان للطبري: ١ / ٧٢٩ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٢ و زاد المسير: ١ / ٨٦

[٧] الوسيط: ١ / ١٤٥

وقيل دخلوا مُزْدَحِفِين على أستاهِهِم [٢]، و قيل لمّا عصوا و بدّلوا شقَّ الله فوقهم الجبل الذي تكلم عليه موسى فتجلى له ربه فلما خافوا أنْ يسقط عليهم سجدوا لله على شِقّ وجوههم ينظرون إلى الجبل فرحِمهم الله فأذهبَ عنهم الجبل فقالت اليهود أفضل السجود ما كُشِف به العذاب فاختاروا لذلك السجود على شِقّ وجوههم.[٣] وقيل بقوا في ذلك العذاب و الطاعون أربعين يوما [٤]. وقال عكرمة [٥] ﴿قُولُواْ حِطَّةٌ﴾ يعني لا إله إلا الله لأنها كلمة تحط الذنوب .

﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يريد الموحّدين .

قال ابن جرير [٦] : وعلى هذا التأويل [٧] يجب أنْ يُنصَبَ ﴿حِطَّةٌ﴾ لأنّ القومَ لو قيل لهم قولوا لا إله إلا الله أو استغفروا الله، فقولوا يكون واقعاً على الحطّة حينئذ كما تقول: قل خيراً و لا يقال قل: خيرٌ، و إجماع القراء على قراءة (حطّةٌ) بالرفع يوهّن هذا التأويل.

و قرئ رِجْزاً بالكسرِ [١] ، و قَرَأَ مجاهد و ابنُ محيصنٍ [٢] : (رُجْزاً) بالضمّ و كَسَرَ في : (رِجْزَ الشَّيْطَانِ)[الأنفال: من الآية١١] و (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) (المدثر:٥).

---

[١] جامع البيان للطبري: ١ / ٧٢٧ و ٢ / ٤٨

[٢] ينظر: ذلك في حديث أبي هريرة المتفق عليه المتقدّم قريباً : الذي فيه أنهم قالوا حبة في شعرة. وجامع البيان للطبري: ١ / ٧٢٤ و ٧٢٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ١١٩ (٥٨٧).

[٣] جامع البيان للطبري: ١ / ٤٨ ، ٤٩ – ٥٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٣٠ (٦٥٤)

[٤] زاد المسير: ١/ ٨٦ و البحر: ١/ ٢٢٥

[٥] جامع البيان للطبري: ١ / ٧١٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ١١٨ (٥٨٢) و ينظر: الأسماء و الصفات للبيهقي: (٢٠٥) و الدر: ١ / ٧١

[٦] جامع البيان للطبري: ١ / ٧١٩

[٧] يعني تأويل عكرمة أنّ معنى ﴿حِطَّة﴾: قولوا لا إله إلا الله. و المصنف شتّتَ القول في الآية فلو ذكر هذا بعد ذِكرِهِ لمعنى (حطة) كما في كتب التفسير و منها تفسير الطبري لكان أليقَ.

قال الزّجّاج [٣] ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ أي بتبديلهم ما أمِرُوا به أنْ يقولوه [٤]، وفيه لغتان: يفسُقُون و يفسِقون [٥].

و بعضهم [٦] يُدْغِم الرّاء من يغفر في اللام؛ و الخليل وسيبويه لا يجيزانه لما في الراء من التّكرير فيكون كحرفين أدغما في حرف واحد، و أجازه الكسائي والفرّاء لأن الرّاء و الّلام من مخرج واحد، و هما مجهورتانِ بين الرِّخو و التّشديد [٧].

﴿خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ جمع. و قيل سُمِّي شهرُ رمضان في بعض الكتب [٨] حطّة لأنه يحطّ خطايا الصائمين و الحطّ الوضع يقال: حطّ السرج عن الدّابة [١].

---

[١] هي القراءة المتواترة التي قرأ بها عامة القراء ومنهم العشرة جميعاً.

[٢] قراءة ابن محيصن في المحرر: ١/ ١٤٩ و تفسير القرطبي: ١ / ٤١٧ و البحر: ١ / ٢٢٥ الاتحاف:صـ ١٣٧ . وهي لغة في الرّجز: كما في المصادر المتقدّمة.

[٣] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٧

[٤] في النسخة (ل) : يقوله. خطأ.

[٥] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٧ و البحر: ١/ ٢٢٥ و (لسان العرب: فسق).

[٦] قرأ أبو عمرو بخلف عن الدوري بإدغام الراء في اللام : الكشف لمكي : ١ / ٢٤٣ و التيسير: صـ ٧٣، ١١٤ و النشر: ٢ / ٢٠٧ والاتحاف: صـ١٣٧ .

[٧] لقراءة أبي عمرو في هذه الرواية وجهٌ صحيح و قراءة أبي عمرو من القراءات السبع المتواترة ، والجواب عما قالوه أنّ انحراف اللام يقاوم تكرير الراء و لأنّ الكسائي والفراء و غيرهما قد جوزوه وقيل إنها لغة ثمّ إن أبا عمرو البصري من أئمة العربية الكبار. و ينظر: الكشف لمكي : ١ / ٢٤٣ والبيان: ١/ ٨٤ و إملاء ما من به الرحمن: ١ / ٣٨ والدر المصون: ١ / ٢٣٣ والنشر: ٢ / ٢٠٧ والاتحاف: صـ١٣٧ .

[٨] في النسخة (ل) : كتاب

وقال الحسين بن الفضل [٢] : (إنّ القوم أمروا بأن يقولوا حطةٌ، فزادوا في الّلفظ حرفاً واحداً فقالوا حنطةٌ، فاستوجبوا العقوبة فكيف شأنُ المبتدعِة إذا غيّروا كلام اللهِ، وتأولوه على غير وجهه). وقال الحسين بن الفضل :

(في الآية دليل على أنهم دخلوا سجّداً لأنهم لو لم يسجدوا لاحتجّ الله عليهم و ذمّ ذلك منهم كما ذمّهم بتبديل الكلمة لما قالوا خلافَ ما أُمِرُوا بِهِ).

و قرأ أبو جعفر و نافع (يُغفَر) لكم بالياء مضمومةً، و قرأ ابن عامر (تُغفَرُ) بالتاء مضمومة و قرأ الباقون (نغفِر) بالنون [٣] .

و الأحسنُ النّونُ [٤] لأنّه أشكل بما قبله من قوله: ﴿وَظَلَّلْنَا﴾ و ﴿وَأَنزَلْنَا﴾.

قوله: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ [الآية: ٦٠] السين فيه سينُ السؤال [٥] أي سأل السّقيا لقومه، فأمرُهُ الله أنْ يضرب بعصاه الحجر ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ﴾ انشقّت والفَجْر الانتشار، و منه فجر النهار [٦] . قوله: ﴿ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ القراءة العالية بسكون الشين

---

[١] ينظر: ما تقدّم قريباً من الكلام على معنى حطة لغة، وقد كرّر المصنف الكلام عليها، و لو جعله في موضع واحد لكان أصوب و أليق كما صنع عامة المفسرين.

[٢] لم أعثر على من نقل ذلك و لا على الذي بعده. و هي من فوائد هذا التفسير و معناها بين.

[٣] و هم ابن كثير و عاصم و حمزة و الكسائي من السبعة : السبعة لابن مجاهد : ١٥٦ والمبسوط لابن مهران: ص١٣٠ والروضة لأبي علي المالكي: ٢ / ٥٣٣ و الكشف لمكي: ١ / ٢٤٣ و زاد المسير: ١/ ٨٥

[٤] إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٣٠ و معاني قراءات أهل الأمصار للأزهري: صـ٥٠ الكشف: ١/ ٢٤٢ و المحرر: ١/ ٥٠ و تفسير القرطبي: ١ / ٤١٤ و البحر: ١/ ٢٢٥ و الدر: ١/ ٢٣٣

[٥] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٩ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٣ و تفسير القرطبي: ١ / ٤١٧

[٦] الوسيط: ١/ ١٤٥ و تفسير القرطبي: ١ / ٤١٩ و الدر المصون: ١/ ٢٣٧

، و قرأ بعضهم مفتوحة الشين على الأصل [١] و قرئ مكسورة الشِّين [٢] وهي [٣] أصلاً منصوبة لأنّهما اسمان جُعِلا اسما واحداً. و ألف اثنتا عشرة مجتلبةٌ لسكون الثاء يدل عليه ذهابه في التصغير [٤].

(و عينا) نصبٌ على التمييز و التفسير [٥]. والمشرب: المصدر الموضعُ الذي يشرب منه [٦]. ﴿ وَلَا تَعْثَوْاْ ﴾ لا تفسدوا و العيث الفساد، وفيه لغتان [٧] عَثِيَ يعثَى و عاثَ

---

[١] هي قراءة الأعمش :مختصر الشواذ لابن خالويه: ص٥ و المحرر: ١/ ١٥٢ و البحر: ١ / ٢٢٩ والدر المصون:١ / ٢٣٧

[٢] إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢٣٠ و المحرر: ١/ ١٥٢ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٢١ و الدر المصون:١ / ٢٣٧

[٣] يعني أن شين عشرة منصوبة أي مفتوحة.

[٤] يعني جيء بألف اثنتا توصلا للنطق بالساكن الذي هو الثاء.

[٥] إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٣٠ و الفريد: ١/ ٢٩٩ و الدر المصون: ١/ ٢٣٧

[٦] أي المكان الذي يُشرب منه، هذا هو الأرجح في معناه لما في الأخبار المروية عن جماعة من السلف أنه كان لكل سبط موضع يشربون منه كما سيرد . و يجوز أن يكون بمعنى المشروب أي شرابهم . قال الواحدي: (و (المشرب) يجوز أن يكون مصدرا كالشراب و يجوز أن يكون موضعا)اهـ. الوسيط: ١/ ١٤٦ و نحوه في الثعلبي: ١/ ٢٠٤ و ينظر: تفسير القرطبي: ١ / ٤٢١ والمحرر: ١/ ١٥٢ والبحر: ١/ ٢٢٩ و فيه ترجيح كون المراد مكان شربهم والدر المصون: ١/ ٢٣٨

[٧] جامع البيان للطبري: ٢ / ١١ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٨ و الوسيط: ١/ ١٤٦ و سيكرر المصنف الكلام في (عثى) مع زيادة.

يعيثُ مثل قاع [١] الفحل على الناقة وقْعاً إذا ضرب. و قيل كيف قال : ﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [٢] و العيث هو الفساد ؟ .

قيل هو على جهة التأكيد يذكرون المعنى الواحد بلفظين كقوله :و ألفى قولها كذبا و مينا [٣] و قيل العيثُ التخليطُ ومعناه لا تخلِطوا في أموركم مفسِدِين.

قال وهب [٤] : قالت بنو إسرائيل لموسى حين جاز بهم البحرَ بأي عُدّة نبلغُ الأرض المقدّسة، و ليس لنا مركبٌ ولا زادٌ ولا طعامٌ ولا شرابٌ فأوحى الله إلى موسى إني قد أمرتُ السماء أن تمطر عليهم المنّ و أمرت الرياح أنْ تنسِف لهم السّلوى ،و أمرتُ الحَجَر أنْ ينفجِر فيهم إذا أنتَ قرَعَته، و أمرتُ الغمام أن يُظلَّهم فيسيرَ معهم إذا ساروا و يَركَنَ من فوقهم إذا قاموا ، و سخّرت لهم ثيابهم فلا تُخلِقُ ولا تتَّسِخُ و أمرتها أن تتَّسع و تنبتَ مع صِغارهم بقدر [٥] ما ينبتون؛ فسكنت قلوب بني إسرائيل [٦] و سار بهم موسى يؤُمُّون الأرض المقدّسة التي كُتبتْ لهم و هي فلسطين فعُمّروا بذلك زمانا و يقرَعُ لهم موسى أقرب حجر يجده فينفجر عيونا و هم يومئذ اثنا عشر سبطا و سعة عسكرهم اثنا عشر ميلا فينبجس الحجر اثنتا عشرة عينا ثم يسير كلُّ عين في جدول إلى السِّبط الذي أمِرتْ أن تسقِيَهُ، و هو قوله: ﴿قَدۡ

---

[١] في لسان العرب: (قاعَ الفحلُ الناقةَ وعلى الناقة يَقُوعُها قَوْعاً و قِياعاً و اقْتاعَها و تَقَوَّعَها: ضرَبَها، وهو قَلْبُ قَعا)اهـ. (قوع) ٨ / ٣٠٤

[٢] الفريد: ١/ ٢٩٨ و ينظر: الكشاف: ١/ ٢٧٥

[٣] تقدّم تخريجه في تفسير سورة الفاتحة :صـ٣٢٥.

[٤] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٣ باختصار و في تفسير الطبري عن وهب بن منبه قصة قريبة من هذه مع زيادات كثيرة: ١ / ٧٠٩

[٥] في النسخة (ل) : بقد. سقطت الراء سهواً.

[٦] سقطت من النسخة (ل) : كلمة إسرائيل خطأ.

عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾، ثمّ إنهم قالوا إنْ فَقَدَ موسى عصاه مِتْنا عطشاً فأوحى الله إلى موسى لا تَقْرَعَنّ الحجارةَ [٧٣ و] ولكنْ كلِّمها لعلهم يعتبرون، فقالوا كيف بنا لو أفضينا إلى الرّمل و إلى الأرضِ التي ليس فيها حجارةٌ فلما سمِع موسى قولهم حمل معه حجراً فحيث ما نَزَلوا ألقاه.

وقال ابن عباس [١] : بل هو حجرٌ خفيفٌ مثل رأس الإنسان كلّما نزلوا و عطشوا مرة أمره الله تعالى بأنْ يأخذه، و يضعه في المِخلاة ثم يضرِبه .

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ أي كلُّ سِبْطٍ و كلُّ أناسٍ منهم فحذف منهم لما في الكلام من الدلالة عليه [٢] .

﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ ﴾ أي قيل لهم كلوا من {﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ } [٣] و اشربوا من ماء هذه العيون ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ أي لا تسعوا في الأرض بالفساد ولا تسيروا .

و قيل كان الله قد أنزل لهم عموداً بالليل من النار يضيء لهم إذا ارتحلوا مكان القمر كان يدنوا من رؤوسهم.

وقال أبو روق [١] : كان في ذلك الحجر اثنتا عشرة حفرةً ، و كانوا إذا نزلوا وضعوا الحَجَر وجاء كل سِبْطٍ إلى حفرته فحفروا الجداول إلى أهلها، فإذا أرادوا أن يحمِلوه ضَربَهُ موسى فذهب الماء و كان يستقي منه ستُّ مئة ألفٍ.

---

[١] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٣ و وزاد المسير: ١/ ٨٧ وينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٢١ (٥٩٨)

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ٥

[٣] سقطت من الأصل في النسخة (ل) و ألحقها في الهامش مخرجة مع وضع علامة تصحيح(صح).

و قال سعيد بن جبير [٢] : إن الحجر هو ذلك الحجر الذي وضع موسى ثيابه عليه حين استنقع في الماء حين آذاه قومه، وقالوا إنه آدَرُ [٣] فأمره الله أن يحمل ذلك الحجر وأخبره بأنّ لهُ فيه معجزةً.

و في بعض التفاسير [٤] أن ذلك الحجر كان رخاما. وقال بعضهم [٥] : كانوا إذا سألوا موسى الماء ضربه اثنتي عشرة ضربة فكان يظهر على موضع كلّ ضربة مثل ثدي المرأة .

(لم ينبجِس) لم ينفجر و الفرق بين الانبجاس و الانفجار [٦] أنّ الانبجاس كالعِرقِ يظهر عليه ثم ينفجر فيسيل ، قال الفراء [٧] : ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ﴾ معناه فضربه فانفجرت كقوله: ﴿ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء:٦٣] أي فضرب فانفلق.

و في عَثَى ثلاث لغات [٨] : عَثِيَ يعثِى و عَثَي يعثو و عاثَ يعيث .

قوله : ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ الآية [٦١]. قال الحسين [١] : كانوا أنتانا أهل كُرّاثٌ و أبصالٍ و عدسٍ فنزعوا إلى عكرهم [٢] عِكْرة السَّوء و ذلك لما اشتاقت طباعهم إلى ما جرتْ عليه عاداتهم .

---

[١] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٣ و تفسير العلامة نجم الدين عمر النسفي الحنفي التيسير في التفسير: (ورقة ٩٧) و هو في الوسيط: ١/ ١٤٦ باختصار.

[٢] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٣ و زاد المسير: ١/ ٨٧

[٣] الآدَرُ: منتفخ الخصية: لسان العرب: (أدر) ٢ / ١٥ و النهاية: (أدر)

[٤] قال الثعلبي: (و في بعض الكتب أنّ ذلك الحجر كان رُخاماً)اهـ. ١ / ٢٠٣

[٥] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٤

[٦] المحرر: ١/ ١٥٢ وتفسير القرطبي: ١ / ٤١٩ و البحر: ١/ ٢٢٨

[٧] معاني القرآن: ١/ ٣٩

[٨] كذا كرر المصنف الكلام في (عثى) ؟ و قد تقدّم قريبا لكن ذكره هنا مع زيادة.

قالوا ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ أي المنّ و السلوى. ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا﴾ جُزِمَ على نية الجزاء [٣] و مجازهُ ادعُ لنا ربّك فإنَّك إنْ تدعُ يُخْرِج. و قيل فيه إضمارٌ ادع لنا ربك ،و قل أَخرِج يُخرج من بقلها كلّ رُطَابٍ يخرج من الأرض بقلها و قثَّائها و فومها.

و في القثّاء لغتان قِثّاءٌ و قُثَاءٌ بكسر القاف و ضمها [٤] ، و فومها قيل هو الثوم يقال فوم وثوم كقولهم مغاثير و مغافيرٌ و القبر جدث و جدفٌ [٥]، و قيل الفوم الحنطة يقال فوّموا لنا أي اختبزوا ذكره الفراء [١]. قال القُتَيبيّ [٢] الفوم الحبوب كلها، و أنشد [٣] لحسّان [٤] في أنه الثوم:

---

[١] في تفسير الثعلبي: ١/ ٢٠٤ و القرطبي : ١ / ٤٢٢ : الحسن غير منسوب. ووقع في تفسير ابن كثير : ١/ ٢٨٣ الحسن البصري ، و هو فيه مختصر و في فتح القدير للشوكاني: أيضا الحسن البصري منسوبا. و لم أجده مسندا عن الحسن البصري في الطبري و ابن أبي حاتم و الدر المنثور .فإن صحّ ما هنا فيكون المقصود الحسين بن الفضل و يكون ما في ابن كثير و فتح القدير وهما لأنّ الثعلبي إنما قال الحسن و كذلك القرطبي و تصحيف الحسين إلى الحسن مما يسهل.

[٢]عكْرِهم :بوزن ذكرهم أي إلى أصل مذهبهم الرديء وأعمالهم السوء ومنه المثل: عادت لِعِكْرِها لَمِيس؛ وقيل: العِكْر العادةُ والدَّيْدَنُ : (الفائق – للزمخشري:٣/ ١٩ و النهاية : ٣/ ٢٨٤ ولسان العرب : ٤ / ٦٠١ (عكر) ومختار الصحاح : ١/ ١٨٨).

[٣] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٢٩ و الدر المصون: ١/ ٢٤٠

[٤] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٣٠ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٣١ وتفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٥ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٢٤

[٥] معاني الفراء: ١ / ٤٠ وجامع البيان للطبري: ٢ / ١٩ و سر صناعة الإعراب: ١/ ٢٢٣ وتفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٥ و زاد المسير: ١ / ٨٩ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٢٥ و البحر: ١/ ٢٣٣ والدر المصون: ١/ ٢٤٠ قال الواحدي : (هو الحنطة بلا اختلاف بين أهل اللغة)اهـ. الوسيط: ١/ ١٤٦ وكذلك حكى اتفاقهم عليه الزجاج: ١/ ١٣٠ و ردّ على من فسره بالثوم ولكن قد أثبت غيرهما من

و أنتم أناسٌ لئامُ الأصول طعامكم الفوم و الحوقَلُ

يعني الثوم و البصل.

﴿ وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ معروفٌ، فغضب عليهم موسى و قال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ في الطعم و اللّذة والقيمة. و أدنى يكون من الدّنوّ و من الدناءة جميعا، و حكى الفرّاء [٥] عن بعضهم أنه قرأ (أدنؤ) بالهمز. قال الزجاج [٦] : يقال دَنُوءَ دناءة و هو دنيء وهو أدنى منه يعني في الخِسَّة.

﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾ يعني الذي خرجتم منها فارجعوا إليها فكرهوا ذلك.

و قيل في الآية إضمارٌ [٧] و معناه: فدعا موسى فاستجبنا له فقلنا لهم اهبطوا مصر.

المفسرين الخلاف فيه عن السلف و عن أئمة العربية المعتبرين و ممن قال به: مجاهد و الربيع و مقاتل والكسائي و النضر و ابن قتيبة و المؤرّج و إن كان الأكثرين على أنّه الحنطة كما في تفسير السمعاني: ١/ ٨٦ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٢٥.

[١] معاني الفراء: ١ / ٤٠

[٢] غريب القرآن لابن قتيبة ص٥١

[٣] ليس البيت في غريب ابن قتيبة و لكن قد أنشده غيره.

[٤] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٥ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٢٥ و البحر: ١/ ٢١٩ وفيها جميعا تفسير الحوقل بالبصل. و لم أعثر في كتب اللغة على حوقل بمعنى البصل.

[٥] معاني القرآن: ١/ ٤٠

[٦] فرق الزجاج بين أدنى في القرب و أدنى في الخسَّة: ١ / ١٣٠ و ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ١٩ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٥ و البحر: ١/ ٢١٩ .

[٧] جامع البيان للطبري: ٢ / ٢١

وقوله ﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ﴾ يعني جُعلت عليهم ﴿ٱلذِّلَّةُ﴾ يعني الجزية فذلّوا بها فكان موسى ضرب على الكافرين منهم الجزية على هذا التأويل عن بعضهم (١) .

و قيل قوله: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ﴾ أي أدوَنُ فقلبَهُ (٢) كما يقال جَذَبَ و جَبَذَ و ضبّ و بضّ.

و قيل ﴿ٱلذِّلَّة﴾ الشحّ ﴿وَٱلۡمَسۡكَنَة﴾ الحرصُ ، و قيل ﴿وَٱلۡمَسۡكَنَة﴾ الفقر في القلب و قيل الفقر حيث ما كانوا فإنّ عليهم أثر البؤس و زي الفقر و الذلّ و ذلك لعلم الله فيهم أنهم سيقتُلون النبيين بغير حقّ بلا جرمٍ منهم، و هم الذين كانوا يُبعثون إليهم.

﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (٣) رجعوا باللعنة لعلم الله فيهم ذلك بما عصوا الله في السبت و كانوا يعتدون بقتلهم الأنبياء وركوبهم المعاصي، و قيل (باءوا): استوجبوا. قال الزجاج (٤) يقال بؤت بكذا أي احتملته . قال الحسن و قتادة (١) : ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ يعطون الجزية عن يدٍ و هم صاغرون.

---

(١) سيكرر المصنف الكلام على معناها مع فوائد. و ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٦ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٦ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٢٩ و التفسير الكبير للرازي: ٣/ ٩٥ وتفسير القرطبي: ١ / ٤٣٠ . و قد استبعد الرازي كون المراد الجزية، قال :لأن الجزية ما كانت مضروبة عليهم من أول الأمر. و قد أصاب في هذا و لأنّ في هذا تخصيصا للذلة بنوعٍ معيّنٍ منها بلا برهان و لتشمل من سيأتي منهم إلى يوم القيامة فتعميم اللفظ فيها هو الصحيح.

(٢) تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٥ و الفريد: ١/ ٣٠١ و غرائب الكرماني: ١/ ١٤٥ والبحر: ١/ ٢١٩

(٣) في الأصل: (و باءوا بغضبٍ على غضبٍ) . و الآية المفسرة هنا هي ما أثبته و أمّا قوله تعالى: ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖ﴾[آية ٩٠ من سورة البقرة] فسيأتي تفسيرها.

(٤) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٣١

و قوله : ﴿ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا﴾ قيل أراد به مصرا من الأمصار [٢] فلذلك صرفَهُ لما نكّره وقُرئ (مصرَ) معرّفاً يريد به مصر بعينها وهي مصرُ موسى وفرعون.

و قيل ﴿ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا﴾ إذا جاء وقت خروجكم من التّيه لأن الله قد حرّم عليهم أربعين سنة أن يخرجوا من التيه فإنّ لكم ما سألتُم أجابهم الله قبل خروج بني إسرائيل من التّيه كما أجابه في دعوته في فرعون فقال : ﴿ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا ﴾ [يونس:٨٩].

﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ أي وضربَ الله عليهمُ الذِّلَّة، و قيل ذلك ﴿بِما عَصَوا ﴾رسلي عيسى و زكريا و يحيى وداود و سليمان ﴿وَ كانُوا يَعْتدُون﴾ يجاوزون من حدّ الطاعة إلى حدّ المعصية فإنْ قيل لِمَ قال :

﴿ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ وكان ذلك طعامين المنّ والسَّلْوى قيل لأنهم كانوا يأكلون المنّ بالسَّلوى [٣] و السلوى بالمنّ فكان كطعام واحدٍ كما أنّ الخبيص طعام واحدٌ وإن كان فيه السُّكَّر و السّمن و الجَرِيش [١] .

---

[١] رواه عبد الرزاق عن معمر عنهما: تفسير عبد الرزاق: ١/ ٤٧ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٦ وابن أبي حاتم: ١ / ١٢٥ (٦٢٣).

[٢] القراءة المتواترة، قراءةُ جماهير القرّاء منهم العشرة (مصراً) بالتنوين منكّرا كما هو خط المصاحف و قرأت في الشواذ : (مصر) و تنسب إلى : عبد الله بن مسعود والحسن و الأعمش و طلحة . و سيكرر المصنف الكلام على صرف مصر ووجهه بتوسّع أكثر فيما بعد. و ينظر في إعراب مصر و القراءات فيها و في المراد بها: معاني الفراء: ١ / ٤٠ – ٤١ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٢١ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٣٠ وتفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٦ و زاد المسير: ١ / ٨٩ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٢٩ والبحر: ١/ ٢٣٤ والدر المصون: ١/ ٢٤١

[٣] في النسخة (ل) : (و السلوى).

فأما قوله: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ قيل كيف يُقتل النبي بالحق ؟ [٢] والجواب قيل إنكم تقتلونه بالظلم لأنه ليس بعد الحق إلا الظلم ، و قيل لأنهم لا يأتون ذنبا يستحقُّون القتل.

و قال الحسين بن الفضل هذه الصّلة في قوله: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ كالصِّلة في قوله : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾ [العنكبوت:٨] ليس أنّ من الشرك ما له علم بصحته، و لكنه على معنى أنّ الشّرك لا يكون قطُّ إلا جهلاً كذلك قتلُ الأنبياء قطّ لا يكون إلا بغير حق.

قال قتادة [٣] في قوله : ﴿ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ قال ذكر القوم عيشاً كان لهم بمصر فسألوا موسى أن يدعو لهم ذلك العيش. و قال سعيد بن المسيب [٤] : ملُّوا عيشهم.

و إنما قالوا ﴿ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ وقد كان طعامهم المنّ و السلوى لأن العرب(تعبّر) [٥] عن الاثنين بلفظ الواحد و عن الواحد بلفظ الاثنين كقوله: (يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان) و إنما يخرج من الملح منها دون العذب [١] .

---

[١] ذكر المصنف بعض ما أُجيب به هنا ثم عاد و ذكر –فيما سيأتي – أنّ العرب تعبّر عن الاثنين بلفظ الواحد و بلفظ الواحد عن الاثنين الخ.

[٢] الوسيط: ١/ ١٤٨ و تفسير السمعاني: ١/ ٨٧ و فيه : ذكره أي (بالحق) وصفا للقتل و القتل يوصف تارة بالحق و تارة بغير الحق و ينظر: المحرر: ١/ ١٥٦ و التفسير الكبير للرازي: ٣/ ٩٥ والبحر: ١/ ٢٣٧ وفيهما زيادة تفصيل وتفسير القرطبي: ١ / ٤٣٢ .

[٣] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٢ و ١٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٢٣ (٦١١)

[٤] لم أعثر عليه عن سعيد بن المسيب و قد رواه الطبري و ابن أبي حاتم عن قتادة كما سبق.

[٥] سقط من النسخة (ل)و ألحقتها من تفسير الثعلبي و غيره.

و قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم [2] [٧٤ و]: كان طعامهم المنّ و شرابهم السلوى فكانوا يعجنون المن بالسلوى فيأكون طعاما واحدا. و قيل إنما صَرَف مصرا [3] لأنه أراد مصرا من الأمصار و قيل لخفّته و سكون أوسطه وتعرّيه من علامات التأنيث لأن كلّ اسم مؤنث سكن أوسطه و هو على ثلاثة أحرف جاز إجراؤه لخفته كما قال الشاعر [4] :

لم تتلفَّع بفضل مئزرها دَعْدٌ و لم تُسق دَعْدُ في العُلَبِ [5]

فجاء باللغتين ،و قيل إنما صُرف لأنه اسمٌ مذكّر سمّي به المكان و هو مذكّرٌ.

و المصر في اللغة الحدّ و مصور الدار حدودها قال الشاعر [6] :

---

[1] كرر المصنف الكلام على تعليل ذلك ؟! و قد ذكره فيما تقدّم قريبا .

[2] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٤ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٥

[3] تقدّم للمصنف ذكر هذه المسألة بإيجاز و بسطها هنا. و ينظر: الكتاب لسيبويه: ١/ ٢٤٢و معاني الفراء: ١ / ٤٠ – ٤١ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٢١ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٣٠ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢١٢ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٦ و الوسيط: ١/ ١٤٦ وزاد المسير: ١ / ٨٩ و التفسير الكبير: ٣ / ٩٣ – ٩٤ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٢٩ و البحر: ١/ ٢٣٤ والدُّرّ المصون: ١/ ٢٤١ .

[4] البيت ينسب لجرير ديوانه: ٧٢ و هو من شواهد الكتاب : الكتاب: ٣ / ٢٤١ و لسان العرب (دعد) و (لفع) و الخصائص لابن جني: ١/ ٦١ و المنصف: ٢ / ٧٧ و الاقتضاب للبطليوسي: ص ٣٦٧ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٢٩ و الدر المصون: ١/ ٢٤١

[5] التلفع: الاشتمال و الالتحاف بالثوب و العُلَب: جمع عُلبةٍ و هي إناء من جلدٍ يشرب به الأعراب: يقول إنها حضرية رقيقة في العيش لا تلبس لباس الإعراب. (لسان العرب: علب و هامش تحقيق عبد السلام هارون للكتاب :٣ / ٢٤١).

[6] البيت منسوب لعدي بن زيد العِبَادِيّ في تفسير الطبري: ١/ ١٦٤ و هو منسوب لأمية بن أبي الصلت في لسان العرب: (مصر) وفي المخصص: ١٣ / ١٦٤ و تاج العروس(مصر) و ذكر في لسان العرب أنّ ابن بري استدركه و صحح نسبته إلى عدي بن زيد العِبَادِيّ و كذلك نُسب في تفسير ابن الجوزي: ١/

قد جُعِل الشمس مصرا لا خَفَاءَ به   بين النَّهار و بينَ الليل قد فَصَلا [١]

وقوله: ﴿ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا ﴾ محتملٌ أن يكون من قول الله لهم و يحتمل أن يكون من قول موسى عليه السلام [٢].

﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ قيل وُضعت و ألزمت كقولهم: ضَرَبَ الأميرُ عليهم الخراج أي وَضَعَ و ألزم و منه الضريبة لمال السلطان و الذلّة الجزية [٣]. وقال ابن السائب[١]: هو

---

٩٠ و القرطبي: ١ / ٤٢٩ و البحر: ١ / ٢٢٠ إلى عدي بن زيد و وقع غير منسوب في: الدر المصون: ١/ ٢٤٢

[١] في تفسير: الطبري، و ابن الجوزي و القُرطبي و البحر و الدُّر المصون: وجاعل الشمس، و في المخصص و اللسان و التاج: وجُعِل الشمس. قال ابن بري: (وهذا البيت أورده الجوهري: وجاعل الشمس مصرا والذي في شعره وجعل الشمس كما أوردناه عن ابن سيده وغيره)اهـ. من لسان العرب: (مصر). و البيتُ في مدح الخالق سبحانه وتعالى و ذِكرِ حكمته : يقول : جعل الشمس حاجزا و حدّاً فاصلا بين النهار و الليل.

[٢] إذا قدَّرنا أنّ قوله تعالى:﴿ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ من كلام الله و ليس من تتمة كلام موسى فالوقف تام على قوله: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ﴾ لأنه انتهاء كلام موسى عليه السلام ويكون قوله تعالى: ﴿ اهبطُوا مصرا فإنّ لكم ما سألتُم ﴾ من كلام الله تعالى جوابا لهم وليس من كلام موسى. ينظر: المكتفى للداني صـ ١٦٤ -١٦٥ والقطع لابن النحاس : صـ١٤٣ والمقصد: ١٥ و الاقتداء في الوقف و الابتداء للنكزاوي: ١/ ٢٧٥ -٢٧٦ . وقد رجّح الإمام النكزاوي أنْ يكون من كلام الله تعالى و قال : (هو عند أهل التفسير أشهر والقائلون به أكثر وهو بظاهر الآية أشبه وفي العربية أقيس)اهـ. و كذلك رجَّحه الأشموني: منار الهدى: صـ ٤٠ قال أبو حيان: (الضمير في ﴿ قال ﴾ ظاهر عوده إلى موسى ويُحْتَملُ عَودُه على الرب تعالى ويؤيده { اهبطوا مصرا }) اهـ. البحر: ١/ ٢٣٣ و ينظر: تفصيل ذلك في القطع و المكتفى للداني.

[٣] تقدّم قريبا للمصنف ذكر معنى ﴿ ٱلذِّلَّة ﴾ و ذكر الجزية في تفسيرها فينظر هناك.

الكُستيج [٢] و المسكنة الفقْر ترى الغني منهم يتباءَس مخافة أن تُضاعف عليه الجزية [٣] ﴿وَٱلْمَسْكَنَةَ﴾ [٤] مفعَلة من السكون، و سمّي الفقير مسكينا لسكونه و قلة حركاته يقال ما في بني فلان أسكن من فلان أي أفقر يقال منه تَمَسكَنَ تمسكُنا كما يقال تَمَعْدَدَ [٥] الغلام إذا ارتفع و شبّ و غلُظ و تَمَدرعَ من المدرعة [٦].

---

[١] في تفسير الواحدي البسيط : ١/ ١٤٧ و تفسير السمعاني: ١ / ٨٦ و البغوي: ١ / ١٠١ : قال عطاء بن السائب : (هو الكُستيج و الزُّنّار و زي اليهودية) و هو في تفسير الثعلبي : ١/ ٢٠٦ لكنه ناقص فيه و بعضه مصحّف في المطبوع. و قوله : (زي اليهودية) ليس في تفسير السمعاني. و في تفسير الواحدي: (الكستينج) بالنون و ينظر الحاشية التالية .

[٢] في القاموس ا يط: (الكستيج بالضمّ خيط غليظ يشده الذمي فوق ثيابه دون الزنار معرب كستي). وفي التعريفات للجرجاني: الكُستيج: خيط غليظ بقدر الإصبع من الصوف يشدُّه الذمي على وسطه وهو غير الزُّنَّار من الإبريسم: صـ١٥٣ وينظر: عمدة القوي و الضعيف : صـ ٤ .

و أما الزنار ففي لسان العرب: الزُّنَّار: ما يلبسه الذمي يشده على وسطه (زنر) . و في التعريفات للجرجاني: الزُّنَّار هو خيط غليظ بقدر الإصبع من الإبريسم يشد على الوسط وهو غير الكستيج. صـ٢٣٦

[٣] الوسيط: ١ / ١٤٧

[٤] جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٦ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٦ و (لسان العرب: سكن).

[٥] هي كما فسرها المصنف في : لسان العرب: (عدد) و مختار الصحاح (عدد).

[٦] في مختار الصحاح: ربما قيل تَمَدْرَعَ إذا لبس المدرعة وهي لغة ضعيفة. (درع). و في لسان العرب أن المدرعة : ضرب من اللباس لا يكون إلا من الصوف خاصة. (درع).

وقال الفراء [١] : الذِّلة والذُّل واحد والذِّل ضد الصُّعُوبةِ. وقال الفراء [٢] إنّما قال : ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ومن في عصر الرسول لم يقتلوا نبياً لأنهم تولّوا الذين قتَلوا فسماهم قَتَلَةً وهو كقوله ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٠] وكلهم لم يقولوا، وقد قال الله: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة:٨١] فألزمهم الكفرَ بتوليهم الكفار.

والنبي فعِيلٌ بمعنى مفعِل أي ينبىء الخلق عن الله فتُرِك همزُهُ فلذلك قال أبو عبيدة [٣] : قد أجمعتْ العرب على حذف الهمزة من أربعة: النبي و الذُرِّية و البريّة و الخابية [٤] و أصلها مهموزة، وزاد غيره الإبريّة و العِبرِيَّة [٥] .

وقال الكسائي [١] : النبي الطريق فسُمي الرسول صلى الله عليه و سلّم نبياً لاهتداء الخلق به، و إنما سُمّي الطريق طريقاً لأنه ظاهر و مستبين من النَّبْوة وهو المكان المرتفع كالنَجْوَةِ، ويكون النبي من النَبْوَةِ و النَّبَاوَةِ ومنها النَشْزُ من الأرض يراد به رِفعَتُه وعُلُوّ أمره.

---

[١] لم أعثر عليه في معاني القرآن للفراء. و ينظر: ما تقدّم فقد كرر المصنف الكلام على معنى ﴿ ٱلذِّلَّةُ﴾ ولم يجعله في موضع واحد.

[٢] لم أعثر عليه في معاني القرآن للفراء.

[٣] نقله الواحدي عنه في الوسيط: ١ / ١٤٨

[٤] الخابية الإناء الضخم و يقال له الحب(لسان العرب: حب و خبأ) و عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٣ / ٢٥ و في لسان العرب: (تركت العرب الهمز في أَخْبَيْتُ و خَبَّيْتُ وفي الخابيةِ لأنها كثرت في كلامهم فاستثقلوا الهمز فيها)اهـ. (خبأ).

[٥] ينظر: لسان العرب(برأ) و جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٠ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٣١ والبحر: ١/ ٢٢٠ و الدر المصون: ١/ ٢٤٤

قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ الآية [٦٢] قد اضطربت الأقاويل في هذه الآية و معناها وهي في التحصيل راجعة إلى ثلاثة معان:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يعني أصحاب النَّبيّ ﷺ والذين هادوا و النصارى و الصابئين من آمن من هؤلاء الملل من اليهود و النصارى و الصابئين بالله و اليوم الآخر، ولا يتم إيمانهم بالله إلا بالإيمان بأنّ محمداً صلى الله عليه و سلّم رسول الله فإذا آمنوا بالله ورسوله محمدٍ وبما جاء به فلهم أجرهم عند ربهم والدليل على ما قلنا أنه قال : ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾، وقامت الدّلالة على أنّ من لا يكونُ مؤمناً بالنَّبيّ ﷺ لا يكون عمله صالحا.

وقال آخرون: إنّما أراد بقوله ﴿ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ من مات على اليهوديَّةِ قبل مجيء عيسى عليه السلام ونسخِ شريعة موسى عليه السلام، وقبل أن بدَّلوا فمن مات على دين موسى قبل النسخ فله الجنة، ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ أراد به من مات على دين عيسى قبل نسخ شريعته فله الجنة ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ من آمن منهم ومات على الحق قبل مجيء رسولنا صلى الله عليه و سلّم فله الجنة .

ورُوي عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس [٢] : -في بعض الروايات عنه أنه- كان يرى أن هذه الآية منسوخة [٣] و أنّ هذه الآية كانت تقتضي أن من مات على اليهودية والنصرانية عاملاً مُجتهداً

---

[١] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٧

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٢٦ (٦٣٥)

[٣] الناسخ و المنسوخ لهبة الله بن سلامة: صـ ٣٢ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٣٣ و المحرر: ١/ ١٥٦ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٣٦ و الناسخ و المنسوخ لمرعي الكرمي: صـ٥٢ . قال الإمام ابن كثير: (فإن هذا الذي قاله ابن عبّاس إخبارٌ عن أنه لا يقبلُ من أحدٍ طريقة ولا عملا إلا ما كان موافقًا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن بعثه الله بما بعثه به، فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة)اهـ. تفسير ابن كثير: ١/ ٢٨٥.

فله الجنة فنُسِخَ بقوله: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) [آل عمران : الآية: ٨٥] وهذا تأويلٌ ضعيف لأنّ النَّسخ في الأخبار لا يجوز إلا إذا كان بمعنى الأمر والنهي [١] .

و قد قيل إنّ هذه الآية يعني قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في قوم آمنوا بنبينا من قوم عيسى عليهما السلام من ملتمِسِ الدِّين منهم من لم ير الرسول صلى الله عليه و سلّم ومنهم من رآه مثل أبي ذر الغفاري والبراء الشنّي وزيد بن عمرو ابن نفيل و ورقة بن نوفل وسلمان وبَحِيرا وقِسّ بن ساعدة وحبيب بن نجّار [٢] .

قال السدي [٣] : نزلت في أصحاب سلمان وذلك أنّ سلمان لما قدم على رسول الله ﷺ جعل يخبر عن عبادتهم واجتهادهم، وقال يا رسول الله: كانوا يصلُّون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون أنك ستُبعثُ نبياً فقال رسول الله: يا سلمان هم من أهل النار فأنزل الله هذه الآية.

---

[١] ما كان من الأخبار لا يمكن تغييره كالخبر عن صفات الله و خبر ما كان من الأنبياء و الأمم و ما يكون من الساعة فلا يجوز نسخه بالاتفاق، و إن كان مما يصحُّ تغييره ففيه اختلافٌ؛ و إذا اقتضى الخبر أمرا أو نهياً جاز نسخه .ينظر: في مسألة نسخ الأخبار و الاختلاف فيها: الأحكام للآمدي: ٣ / ١٥٨ و شرح اللمع في أصول الفقه: ٢ / ١٩٩ و المسودة: صـ١٩٦ و البحر المحيط للزركشي: ٤ / ٩٨ .

[٢] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٩

[٣] جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٠ - ٤٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٢٦ (٦٣٦) الواحدي في أسباب النزول: ص٦١ و ينظر: الدر المنثور: ١ / ٧٤ و عن مجاهد نحوه: جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٥ وابن أبي حاتم: ١ / ١٢٦ (٦٣٤) و الواحدي في أسباب النزول: ص٦٠ و صحح الحافظ ابن حجر: سند خبر مجاهد. العجاب: صـ ٩١

وقوله منهم : ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ فَوحَّدَ الفعل [١] ثم قال (لهم أجرهم) فجمعَ، ومثله: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [٢] [الفتح:١٧] ثم قال ﴿ خَٰلِدِينَ ﴾ فجَمَعَ و إنما كان هذا لمكان (مَنْ) و أنَّ لفظها يكون للواحد و الجميع و المذكّر و المؤنث .

و قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فيما يستقبلون من العذاب ولا هم يحزنون فيما خَلَّفوا من الدنيا.

وقال ابن جرير [٣] : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ مُختصَر أيْ فمن آمن منهم.

و إنما كرّر قوله ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بعدما قال في أول الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على معنى الثبات على الإيمان كأنه قال من تُوفي على الإيمان بالله من الذين آمنوا وهادوا وغيرهم من النصارى والصابئين فلهم أجرهم عند ربهم، لأن الثواب إنما يكون على شرط وفاءِ العاقبة.
وقال مقاتل [٤] : لا خوفَ عليهم من العذاب ولا هم يحزنون من الموت. قال عطاء [٥] عن ابن عباس أَمِنوا جهنّمَ والفزع الأكبر.
وقيل لا يحزنونَ بالدّوَامِ يريد أن عذابهم مُنقرضٌ لا يُخلّدون في النار، وقيل لا خوف عليهم في الكبائر ولا هم يحزنون على الصغائر فإني أُكفِّرها وقيل فلا خوف عليهم فيما تعاطوا من الحرام

---

[١] جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٩ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢١٠ و الوسيط: ١/ ١٥٠ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٣٣ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٣٥

(٢) في الأصل: ﴿مَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

[٣] جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٨

[٤] تفسير مقاتل: ١ / ٥٤

[٥] لم أجده.

[(١)] ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ على ما اقترفوا من الآثام لِما سبق لهم من الإسلام(٧٥) و أما اليهود فقد قيل أنه من قولهم ﴿هَادُوا﴾ أي تابُوا يقال هادَ يهودُ و منه قوله : ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف:١٥٦] قال امرؤ القيس [(٢)] :

قد عَلمت سَلِمَى و جَارَاتُها أني مِن الذنبِ لها هائدُ

وأنشد أبو عبيدة [(٣)] : إني امرؤٌ من مَدْحِهِ هائدُ.

أي تائبٌ. وقيل اليهود مُعرّبٌ من يَهُودَا فَعُرّبَ يَهُودَا إلى يَهُودَ ثم نسب الواحد إليه فقيل يهوديّ ثم قيل في الجمع أيضاً يهود، وكل جمع منسوبٌ إلى جنسٍ فهو بإسقاط النسبة مثل زَنجيّ و زَنجٌ ورُومي و رومٌ [(٤)] .

وقرأ أبو السمّاك العدوي [(٥)] : (والذين هَادَوا) بفتح الدال جَعَلَهُ من المُهَادَاةِ أي مال بعضهم إلى بعض في دينهم [(٦)] .

قال أبو عمرو ابن العلاء [(٧)] : سُمُّوا يَهوداً لأنهم يَتَهَوَّدُون أي يَتحرّكونَ عند قراءة التوراة ، وتَهوَّدَ الرجلُ صَارَ يهودِياً و هَوَّدَهُ دعاهُ إلى اليهودية.

---

(١) في النسخة (ل) : الإحرام.

(٢) نسبه الثعلبي: : ١ / ٢٠٨ إلى امرؤ القيس .

(٣) لم أعثر عليه في مجاز القرآن و نسبه في لسان العرب إلى أعرابي: (هود) و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٨ و المحرر: ١/ ١٥٧ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٣٣ و تاج العروس((هـ و د)).

(٤) لسان العرب: (هود) والمحرر: ١/ ١٥٧ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٣٢ والدر المصون: ١/ ٢٤٧

(٥) تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٨ و المحرر: ١/ ١٥٧ و البحر: ١/ ٢٤١

(٦) تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٨ و البحر: ١/ ٢٤١

(٧) تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٨ و تفسير البغوي: ١ / ٧٩ و التفسير الكبير: ٣ / ٩٧

وقال بعضهم: اليهود و النصارى اسمان لَزِمَهُمْ في زمن موسى وعيسى عليهما السلام فَبَقِي عليهم كالإِسلام اسم لزِم المسلمين فبقي عليهم. وقال بعضهم : إنما أَجرى عليهم هذه التسمية بعد أنبيائهم.

واختلفوا في تسمية النصارى فقال الزُّهري [١] : سُمُّوا نصارى لأن الحواريّين قالوا نحن أنصار الله حين قال لهم عيسى من أنصاري إلى الله .

قال مقاتل [٢] : سُمُّوا نصارى لأنهم نزلوا قرية يقال لها نَاصرة .

وتَنَصَّرَ الرجل صار نصرانياً أو تَشَبَّهَ بهم والتَنصُّرُ الدعاء إلى النصرانية ومنه الخبر إنما أبواه يُهوِّدانِهِ ويُنصِّرانه.

وقيل سُمُوا نصارى لتَنَاصُرِهم فيما بينهم أي ينصر بعضهم بعضاً، وقال سيبويه [٣] النصارى جمع نَصْرانٍ كقولهم: نَدمانٌ و نَدَامى وأنشد :

تَراهُ إذا دَارَ العَشِيُ مُحَنِّفاً ... ويُضحِي لَدَيهِ وهو نَصْرانُ شَامسِ [٤]

وقيل أصلهُ نَصْرانٌ فزِيدَتْ فيه ياء النسبة فقيل نَصْرانِيٌّ كقولهم لذي اللّحية و الرّقَبة لِحياني ورَقَبَانِيٌّ. قال الخليل [٥] – وبه قال الزجاج [٦] – النصارى جمع نَصْرى كقولهم بعير مَهْرَى

---

[١] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٨

[٢] تفسير مقاتل: ١/ ٢٨٨ وتفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٨ و قد كان هنا في الأصل: (نصيرة) بدل ناصرة. و ينظر ما سيذكره المصنف قريبا عن ابن جريج و غيره.

[٣] الكتاب: ٣ / ٢٥٥ و ٤١١ والمحرر: ١/ ١٥٧ والبحر المحيط:١/ ٢٣٨ و الدر المصون:١ / ٢٤٧

[٤] البيت في الطبري:٢/ ٣٣ و الأضداد ص١٨١ و المحرر: ١ / ١٥٧ والبحر المحيط:١/ ٢٣٨ و الدر المصون:١ / ٢٤٧ و فتح القدير: ١/ ٩٤ وروح المعاني: ١ / ٢٧٨

[٥] الكتاب: ٣ / ٤١١ نقله عن الخليل.

[٦] جوزه الزجاج في معاني القرآن: ١/ ١٣٣

وإبلٌ مَهَارَى. وقال ابن جريج [١] وغيره: إنما سُمُّوا نصارى لاعتزائهم إلى ناصرة وهي قرية نزلوها، قال المؤرّج رجل نصران وامرأة نصرانة وأنشد:

نصرانةٌ أنثى ونصرانٌ ذَكَر [٢]

(و الصابئون): مِن صَبَأ يَصْبأُ إذا خرج من دين إلى دين ، منه صَبَا النَّجم يصبأ وَصَبَا نَابُ البعير إذا طَلَع، و أصله الهمز [٣] فمن تركهُ فعلى وجهين [٤] :

أحدهما استخفافا، و الثاني: بجعلها من الصَّبوةِ لأنهم كانوا يقولون صَبَتْ قلوبنا، وهي قراءة نافع [٥] كان يقرأ في الرفع : (الصَّابُونَ)وفي النصب و الخفض (الصَّابِينَ)بغير الهمز، وقرأ الباقون (الصَّابِئون) بالهمز.و صَبَا و أصبا بمعنى واحد.

---

[١] في تفسير الطبري عن ابن جريج و عن قتادة: ١ / ٣٣ و ٣٤ أنهم سموا بذلك لأنهم نزلوا أرضا أو قرية يقال لها ناصرة. و قال الطبري : (و ذكر عن ابن عباس من طريق غير مرتضى أنّهم سموا بذلك لأن قرية عيسى كانت تسمّى ناصرة) ثم أسنده من طريق هشام بن محمد الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس. و ينظر: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٣٢ و الدر المنثور : ١/ ٧٥ و المحرر: ١/ ١٥٧ و التفسير الكبير: ١/ ٩٧

[٢] لم أجده بهذا اللفظ و أما القول بأنّ مؤنث نصران نصرانة فموجود في معاجم اللغة و بعض ما تقدّم من التفاسير. و ينظر: لسان العرب: (نصر) و تاج العروس: (نصر).

[٣] الطبري:٢/ ٣٣ و معاني القرآن للزجاج: ١ / ١٣٣ و لسان العرب: (صبأ) و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٨ و المحرر: ١ / ١٥٧ والبحر المحيط:١/ ٢٣٨ و الدر المصون:١ / ٢٤٧

[٤] معاني القراءات للأزهري: صـ ٥٢ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٣٣ ولسان العرب: (صبأ) و المحرر: ١ / ١٥٧ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٣٤ والبحر المحيط:١/ ٢٣٨ و الدر المصون:١ / ٢٤٧

[٥] السبعة : ١٥٨ و معاني القراءات للأزهري: صـ ٥٢ و إبراز المعاني لأبي شامة : صـ٣٢٩ و النشر: ١/ ٣٩٧ مع المصادر السابقة.

وقال ابن عباس [١] : الصابئون صنف من النصارى ألين منهم قلوباً وهم السائحون يقول النصارى لهم صَبَتْ قلوبهم.

وقال قتادة [٢] :(الصابئون) قوم يعبدون الملائكة ويصلُّون القبلة و يقرأون الزبور.

و قال مجاهد [٣] : قبيلة نحو الشام بين اليهود و المجوس لا دين لهم و لا تراهم من أهل الكتاب.

وقال الكلبي [٤] : هم قوم يحلِقون أوساط رؤوسهم و يَجِبّون مذاكيرهم ، وقال عبد العزيز [٥] : هم قوم درجوا و انقرضوا فلا عين و لا أَثَر.

وروى طاووس عن ابن عباس [٦] قال : (لا تحلُّ ذبائحهم ولا مناكحة نسائهم) و قال السّدي [٧] : هم طائفة من أهل الكتاب.

و قيل الصابئون قوم يعبدون الكواكب السبعة و يزعمون أنها مدبِّرة و فيهم من يقول بنبوة إدريس و إبراهيم عليهما السلام [١]

---

[١] زاد المسير: ١/ ٩٢

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٧ و تفسير ابن كثير: ١ / ٢٨٩

[٣] جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٦ و في رواية أخرى عنه نحوها بلفظ: بين المجوس و اليهود لا دين لهم: جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٢٦ (٦٣٨) و (٦٤٥) و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٣٣ و ينظر: الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام: صـ ٦٥٥ .

[٤] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٩ و تفسير البغوي: ١/ ٧٩

[٥] هو في تفسير الثعلبي: ١/ ٢٠٨ و البغوي: ١ / ٧٩ : عن عبد العزيز بن يحيى.

[٦] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٠٩ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٣٤

[٧] جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٢٧ (عقب الأثر: (٦٣٩)و الدر المنثور: ١ / ٧٥

قوله : ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾ الآية [٦٣] الميثاق مفعالٌ من الوثيقة من يمينٍ أو عهدٍ وغير ذلك [٢] و هما ميثاقان الميثاق الأَوّل حين أخرجهم من صلب آدم و أشهدهم على أنفسهم، و الميثاق الآخَر فإن كل نبيٍّ يبعثُ إلى قومه يأخذ عليهم الميثاق، و الجميع يدخلون في الميثاق الأول، و هو إذ أخرجهم من صُلب آدم.

أما الميثاق الثاني فيريد به أوائلَهُم و هو أنْ رفَعَ فوقهم الطّور و الطور الجبل بالسّريانية [٣] في

قول بعضهم [٤] فإن صحّ فهو وِفَاقٌ بين اللغتين.و روى ابن جريج عن ابن عباس [٥] : أنّ الطور في هذه الآية الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام نَتَقَه فوقهم.

وروى الضحاك عن ابن عباس [٦] : أن الطور من الجبال هو الذي يُنبت و ما لا يُنبِت فليس بطورٍ.

---

[١] و هو ترجيح الفخر الرازي: ٣ / ٩٨ .و في تفسير ابن كثير: ١ / ٢٩٠ : ترجيح أنهم قوم باقونعلى فطرتهم ليسوا على دين اليهود و لا النصارى و لا المجوس و لا المشركين كما هو قول مجاهد و ووهب بن منبه .

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٦

[٣] جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٨ ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٣٣ و تفسير الثّعلبي: ٢١١ والوسيط: ١/ ١٥٠ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٣٤ و زاد المسير: ١/ ٩٣ و في لسان العرب: (طُورُ سَيناءَ: جَبلٌ بالشام، وهو بالسُّرْيانية طُورَى، والنسبُ أَليه طُورِيٌّ و طُورانِيٌّ)اهـ. (طور).

[٤] جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٨ و ٤٩ عن مجاهد و ينظر المصادر السابقة.

[٥] جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٠ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٣٤ و زاد المسير: ١/ ٩٣

[٦] جامع البيان للطبري: ٢ / ٥١ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٢٩ (٦٥١)

و أصل الطُّور من الطُّوَار [١] و هو النّاحية و طُوَارُ الدار ناحيتها و فلانٌ يَعْدُو طورَهُ يجاوز حده و يتعدّى ناحيته، و سمّي الجبل طُوْرَاً لِعِظَمِ ناحيتِه.

و قد رُوي أن موسى لمّا أتاهم بالتوراة فرأوها و ما فيها من التّغليظ كبُر ذلك عليهم فأشفقوا منه و أَبَوا أن يقبلوا ذلك، و في بعض القصص أنهم قالوا:

العجل الذي أحرقه أحبّ إلينا من هذا فأمر الله جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظلة وكان العسكر فرسخا في فرسخٍ، و الجبل كذلك فأوحى إلى موسى:إنْ قبِلوا التوراة و إلا رميتُهم بهذا الجبل و رَضَخْتُهُم به فلمّا رأوا ذلك وأنْ لا مهرب لهم قبلوا ما فيها وسجدوا من المهابة و الفزعِ و جعلوا يلاحظون الجبل وهم سجودٌ فصار السّجود على أنصاف الوجه سنَّةً في اليهود [٢] .

و في روايةِ عطاء عن ابن عباس [٣] : قالوا لموسى لا نقبلُ ما جئتنا فرفع الله فوقهم الطور، وبعث نارا من قبل وجوههم، و أتاهم البحر بالموج من فوقهم، فقال لهم موسى إنْ لم تقبلوا التوراة بما فيها أحرقكم الله بهذه النّار وغرّقكم في هذا البحر وأطبق عليكم هذا الجبل فأخذوها كارهين.

---

[١] لسان العرب: (طور).

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٧ و ٤٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٢٩ (٦٥٣) و ينظر ما تقدّم : عند قوله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [آية: ٥٩].

[٣] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢١١ – ٢١٢ ذكره معلقا.

فقال الله: : ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾ وفيه إضمارٌ [١] أي على العبادة وإقامة الطاعة بما ذكرنا فقبلتموه وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم بقوّةٍ أيْ بعمل بما فيه، والقوّة وزنُها فُعْلة واللاّم قُلبت واواً، ونظيرها: هُوَّة وهي الحفْرةُ، وصُوَّة وهي العَلَم في الطريق [٢].

﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ قيل في الكتاب وأرادَ اعملوا بما في التوراة من الحلال والحرام وقيل اذكروا ما فيه من الثَّواب والعقاب، وقيل اذكروا ما في نقضِ الميثاق من العقوبة لعلكم تتقون عقوبته في المعصية [٣].

والواو في قوله ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ يُحتمَلُ أن يكون واو الحال أي(وإذ أخذنا ميثاقكم) في حال رفعنا الطُّورَ ويحتمل أنْ يكونَ واوَ العطف [٤].

وموضع قوله﴿ خُذُواْ ﴾ نصبٌ لأنّ تقديره وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم بقوة [٥] كقوله: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ ﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤] أي يقولون سلام عليكم.

---

[١] جامع البيان للطبري: ٢ / ٥١ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢١٢ و الوسيط: ١/ ١٥١و تفسير القرطبي: ١/ ٤٣٧

[٢] الصّوَى: الأعلام من الحجارة يعرف بها الطريق: الصحاح (صوى) و لسان العرب: صوى.

[٣] جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٣ – ٥٤ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢١٢ .

[٤] الفريد: ١ / ٣٠٥ والبحر: ١/ ٢٤٣ و فيه تفصيل مفيد .

[٥] الفريد في إعراب القرآن المجيد: ١/ ٣٠٥ والبحر: ١/ ٢٤٣ .

وقال بعض نحويّ الكوفة فيما حكاه ابن جرير [١] إنّ أخذ الميثاق قولٌ فلا يحتاج فيه إلى إضمار القول إلا أنّ من شرطه أن يتصل به (أنْ) كقوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ﴾ [نوح:١] ويجوز حذف (أنْ) أيضا.

والإيثاق في اللغة الإحكام والوَثِيقة العقد المحكم بيمين أو غيره.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: ٦٤] ثم توليتم من بعد ذلك قيل بعد الإقرار به وقبوله وقيل من بعد ما مننا عليكم وعفونا عنكم [٢].

﴿فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ في تأخير العذاب عنكم ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ المغبونين بالعقوبة، وقيل فلولا فضل الله عليكم بمحمد ﷺ لكنتم من الخاسرين.

ومعنى ﴿تَوَلَّيۡتُم﴾ تفعَّلتم [٣] من قوله ولىَّ فلان دُبُرَهُ أي استدبر عنه وخلّفه خلف ظهره ثم يستعمل ذلك في كل تاركٍ أمراً ومعرضٍ عنه، فيقال تولىَّ فلان عن طاعة فلانٍ وعن مواصلته .

قوله: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ [الآية: ٦٥] ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ﴾ يقول عرفتم ﴿ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ اصطادوا السمك في السّبت

---

[١] جامع البيان للطبري: ٢ / ٥١ .

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٥ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢١٢ و زاد المسير: ١/ ٩٤ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٣٨

[٣] جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٤ – ٥٥ .

وكان ذلك محرماً عليهم ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ القِرَدَة جمع قِرْدٍ كقولهم دِيْكٌ ودِيَكةٌ وفيلٌ وفِيَلةٌ.

﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ قيل صاغرين وأصله من خسأتُ [١] الكلب أي طردته فخسِأَ، ويقال الخَسَاءُ والخِسَاءُ الطرد والإبعاد، ومن ترك الهمزة من (خاسئين) صار بوزن عاصين وغازين. وأصل السبت [٢] الهدُوُّ في قولِ بعضهم، ويقال للنائم مسبوتٌ لِهُدُوِّهِ ، وقوله ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبأ:٩] أي راحة ، وقال بعضهم: السبت في اللغة القطع و سبَتَ أنفه أي قطع و سَبَتَ رأسه إذا حلقه لأنه يقطع بالحلق شَعْره.

و السَّبت قطعة من الدهر و السبت سيرٌ سريع لأنه يقطع المكان بسرعةٍ؛ و النِّعال السّبتية هي المدبوغة بالقرَظِ لأنّه يقطع رائحتها؛ و السُّبات النوم لأنه يقطع عن التصرّف؛ و السبت آخر الأيام لأنه يقطع عدد الأيام فيوجب استئناف العدد بذكر الأحد و الإثنين.

و الأكثرون على أنّ هذا كان مَسْخَ الصُّور، و روى منصور عن مجاهد: أنه قال : لم تُمسخ صورهم و إنما مُسخت قلوبهم و هو كقوله: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾ [الجمعة: آية:٥] و كقوله : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [الفرقان:٤٤] فيجعله كالشّتم و الذم [٣] .

---

[١] جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٦ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢١٢ و الوسيط: ١/ ١٥٢ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٤٣ و لسان العرب: (خسأ) و فيه أيضا: (خَسَأْتُ الكلبَ أَي زَجَرْتَه فقلتَ له اخْسَأْ).

[٢] الزاهر لابن الأنباري: ٢/ ١٤٥ و الوسيط للواحدي: ١ / ١٥٢ و المحرر: ١ / ١٥٩ زاد المسير: ١/ ٩٤ و لسان العرب: (سبت) و مختار الصحاح: (سبت).

[٣] جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٣٣ كلاهما من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ابن كثير: ١/ ٢٩٢ : (و هذا سند جيد عن مجاهد ، وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام و في غيره)اهـ. و الدر: ١/ ٧٥ و الصحيح أنّ مسخهم كان حقيقة و ليس مسخا لقلوبهم فقط

و قال زيد بن أسلم [(١)]: نزلت الآية في أهل مَقِينا نهوا عن أخذ السمك ليلة السبت. والأكثر على أنه نزل في أهل أَيْلة [(٢)] أرض على ساحل البحر بين المدينة و الشام و كانوا في زمن دوواد

و قول مجاهد مع جلالته قول ضعيفٌ مخالفٌ للظاهر من كتاب الله في هذه الآيات و في غيرها، و قد ضعّفه غير واحد من الأئمة واستبعدوه، قال ابن الجوزي: (هو قول بعيد) اهـ.

زاد المسير: ١/ ٩٥ وقال الإمام الطبري: ٢/ ٦٥- ٦٦ (وهذا القولُ الذي قاله مجاهدٌ قولٌ لِظاهرِ ما دلَّ عليه كتابُ الله مخالفٌ وذلك أنّ الله أخبر في كتابه أنّه جعل منهم القردة والخنازير وعَبَدَ الطّاغوت كما أخبر عنهم أنهم قالوا لنبيهم (أَرِنا الله جهرةً) وأنّ الله تعالى ذكرُه أصعقهم عند مسألتهم ذلك ربَّهم وأنهم عبدوا العِجْلَ فجعلَ توبتهم قتلَ أنفسهم وأنهم أُمِرُوا بدخول الأرض المقدَّسة فقالوا لنبيِّهم: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤] فابتلاهم بالتيه، فسواءً قال قائلٌ هم لم يمسخهم قردةً، وقد أخبر جلّ ذكره أنه جعل منهم قردة وخنازير. وآخر قال: لم يكن شيء مما أخبر الله عن بني إسرائيل أنه كان منهم من الخلاف على أنبيائهم والعقوبات والأنكالِ التي أحلّها الله بهم؛ومن أنكرَ شيئا من ذلك وأقرَّ بآخر منه سُئِل البرهان على قوله، وعُورِضَ - فيما أنكر من ذلك- بما أقرَّ به ثم يُسأل الفرق من خبرٍ مستفيض أو أثر صحيح هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه وكفى دليلا على فساد قولٍ إجماعها على تخطئته)اهـ.

و إنما نقلته بطوله لنفاسته . و قال القرطبي: ١/ ٤٤٣ عن قول مجاهد: (و لم يقله غيره من المفسرين فيما أعلم)اهـ.
وقال العلامة نجم الدين عمر النسفي في كتابه التيسير في التفسير: (ورقة ١٠١) : (و هذا خلاف الظاهر وخلاف الآثار)اهـ.

(١) ابن أبي حاتم: ٥ / ١٥٩٨ (٨٤٤٣) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: (مقنا بين مدين وعينوني). و عزاه في الدر المنثور إلى ابن أبي حاتم عن ابن زيد. و لم يقل زيد بن أسلم.

(٢) روى الطبري: ٢ / ٦٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٣٢ (٦٦٩) عن السدي في خبر طويل أنهم أهل أَيْلة و روى الطبري: ٢ / ٦١ من طريق ابن إسحاق عن دواد بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس : في خبر طويل: أنه قرية بين أيلة و الطور يقال لها مدين . و ينظر أقوال أخرى للسلف في الدر المنثور: ٣ / ٤١٢ عند الآية : ١٦٣ من سورة الأعراف.

النبي عليه السلام، و كان ذلك مكانا من البحر يجتمع إليه حيتان كلِّ بحر من الساحل في كل يوم سبت[١].

فعمد رجال فحضروا حظِيرةً عشية السبتِ حتى يدخل السّمك فحبسوا السّمك فيها وأخذوها يوم الأحد فكثُرت أموالهم، و أقاموا على ذلك سنين حتى استتنّ الأولاد بسنة الآباء وتأخّرت عقوبة الله سبحانه، ثم مشى إليهم طوائف من أهل المدينة نحو اثني [٢] عشر ألفاً وكانت جماعة أهل المدينة نحواً من سبعين ألفاً فنَهَوهم وقالوا قد علمنا أنّ الله منزِل بكم عذابه فقالوا لم تعظوننا إذاً فقالوا: معذرةً إلى ربكم، وأصبح الذين استحلُّوا ذلك قردة خاسئين، فمكثوا ثلاثة أيام ينظر إليهم الناس ثم هَلَكوا ولم يتوالدوا ولم يتسَافَدُوا [٣] . قال ابن عباس [٤] : (ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام).

---

[١] في النسخة (ل) : السبت.

[٢] في النسخة (ل) : اثنا . و هو خطأ . لأنّ ((اثنا)) مجرور بالإضافة إلى ((نحو)) قبله.

[٣] ينظر في ذكر الأخبار المروية عن السلف في قصتهم: تفسير عبد الرزاق: ٢ / ٢٣٩ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٥٩ – ٦٤ و ٩ / ٩٢ وابن أبي حاتم: ١ / ١٣٢ و ما بعدها و ٥ / ١٥٩٧ وما بعدها والمستدرك: ٢ / ٣٥٢ و حلية الأولياء: ٣/ ٣٣٠ والدر المنثور: ١/ ٧٥ و ٣ / ١٣٧ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢١٢ .

[٤] جامع البيان للطبري: ٢ / ٦١ بلفظ مقارب من طريق أبي روق عن عن الضحاك عن ابن عباس . في خبر طويل و عزاه السيوطي:في الدر: ١/ ٧٥ إلى تخريج ابن جرير عن ابن عباس بهذا اللفظ مختصرا. و قال ابن كثير: ١/ ٢٩٢ : روى الضحاك عن ابن عباس: فذكر جملة من الخبر، و فيها هذا اللفظ. و الذي في الطبري : أنهم لم يحيوا في الأرض إلا ثلاثة أيام ، و لم تأكل و لم تشرب الخ. و في تفسير ابن أبي حاتم: (١ / ١٣٢ (٦٧٠) من طريق مجاهد عن ابن عباس: (فجُعِلوا قَرَدةً فُوَاقاً ثمّ هلكوا ما كان للمسخ نسل)"اهـ. و نقله ابن كثير بسنده عن ابن أبي حاتم: ١ / ٢٩٢ . و الفُواق : ما بين حلبتي الناقة من الوقت لأنها تحلب ثم تترك ساعة. : غريب الحديث لأبي عبيد: ٤ / ١٧٦ و لسان العرب: (فوق) و مختار الصحاح: (فوق).

وقيل: أَخذوا السمك يوم السبت فلمّا أتى على صنيعِهِم ذلك زمانٌ عُوقِبوا. وقيل: كانوا يصطادون السمك يوم السبت فيُعَلِّقونَه بخيطةٍ في الماء ثمّ يأخذونه يوم الأحد.

رواه عكرمة عن ابن عباس [١] .

وقوله ﴿كُونُواْ قِرَدَةً﴾ وهو كلامٌ جاء مجيء الأمر وليس للمأمور فيه كسبٌ [٢] .

وقول القائل (كن)ينقسم إلى معانٍ منها: قولُ الرجل لصاحبه (كن) جَبَلاً فإني أُقَاوِمكَ، وكن حديداً فإني أَغلِبُكَ، ويريد به لو كنتَ بهذا الوصف لم تَفُتْنِي، قال الله تعالى:﴿ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ [الإسراء:٥٠] [٣] يريد لو كنتم حجارة أو حديداً لنزل بكم الموت ووصل إليكم ألمه، ويقول الرجل لصاحبه إذا لم تتعلَّم العِلم ولم تجالس أهله كنْ من البهائم أي عُدّ نفسك مُشْبِهاً لها قال الأحوص [٤] :

إذا كنت عِزهاةً [٥] عن اللهو و الصّبا   فكن حجراً من يابس الصخرا جُلْمُدا

أي فعُدّ نفسك (٧٧ و) من الحجارة.

و إنما قال: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَسِئِينَ﴾ ولم يقل خاسئةً لأنه أراد كونوا خاسئين قردةً [١] ولو أراد القردة لقالَ خاسئة على ظاهر اللفظ معناه كونوا بتغييرنا خلقكم و بتبديلنا صوركم قردةً

---

[١] جامع البيان للطبري: ٢ / ٦١ و ينظر: الدر المنثور: ١/ ٧٥ و ٣ / ١٣٧.

[٢] الوسيط: ١ / ١٥٢ وتفسير السمعاني: ١/ ٩٠ و المحرر: ١/ ١٦٠ و التفسير الكبير للرازي: ١٠٣/٣ .

[٣] زاد المسير: ٥ / ٤٥ .

[٤] ديوان الأحوص: صـ٦٣ و طبقات فحول الشعراء لابن سلام :صـ٦٤٦ و تاريخ دمشق من أبيات للأحوص : ٦٩ / ٨٩ .

[٥] يقال: رجل عِزْهىً و عِزْهاةٌ وهو الذي لا يحدِّث النِّساء، ولا يريدُهُنَّ، ولا يلهُو، وفيه غَفْلَةٌ : لسان العرب: (عزه : ١٣ / ٥١٥).

. قوله : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ [الآية: ٦٦]، النَّكال الفضيحة الشاهِرةُ من العقوبة [٢].

و اختلفوا في الكناية في قوله : ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا ﴾ إلى ماذا يعود [٣] فقيل إنها تعود إلى القردة أي فجعلنا القردة نكالاً، و قيل يعود إلى القردة و المسخ، و قيل يعود إلى العقوبة أي فجعلنا هذه العقوبة نكالا لما بين يديها، و قيل الكناية تعود إلى الحيتان -و لم يجر لها في الكلام ذكرٌ- و لكن في الخبر دلالة عليها.

وقيل تعود الكناية إلى المسخة أي جعلنا مسختنا إياهم نكالا عن الفرّاء [٤].

وقد قيل ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: من عقوبة الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: من فضيحتهم بها في دنياهم فيُذْكَرون إلى قيام الساعة و قيل : ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ يعني ما سلف من معاصيهم قبل نهيهم عن أخذ السمك، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ يعني ما عصوا به بأخذهم بعد النهي.

و خطيئتهم في اصطياد السمك و قد قيل : ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ للخلق الذين كانوا [٥] معهم ولما خلفها لجميع من يأتي إلى يوم القيامة .

---

[١] الوسيط: ١/ ١٥٢ و الفريد: ١/ ٣٠٦ و البحر: ١/ ٣٤٦.

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٩ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢١٣ والوسيط: ١/ ١٥٣ و تفسير القرطبي: ١/ ٤٤٣ .

[٣] جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٩ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٣٥ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٣٦ و المحرر: ١/ ١٦١ و التفسير الكبير للرازي: ٣/ ١٠٤ و البحر: ١/ ٣٤٦ .

[٤] معاني القرآن للفراء: ١ / ٤١ .

[٥] في النسخة (ل) : تكررت كانوا مرتين خطأ.

﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي جعلنا هذه العقوبة نكالا لهم وموعظة لمن يأتي بعدهم ، وقيل أراد بالمتقين أمة محمد ﷺ[١] ، و قيل للمتقين للخائفين من الله، و قيل حذَّر هذه الأمة فقال أعظكم يا أمة محمد أن تركبوا ما ركبوا من المعاصي فتستحلّوا محرّماً فينزل بكم من العقوبة مثل ما نزل بهم.

و قال بعضهم الكناية في قوله ﴿ فَجَعَلْنَـٰهَا﴾ تعود إلى الأمة أي فجعلنا تلك الأمّة نكالا .

و قال بعضهم : معناه جعلنا قرية أصحاب السبت عبرةً لمن بين يديها من القرى و ما خلفها ليتعظوا بهم و هذا كما تقول هذا بين يديك إذا كنتَ مشاهِدا له [٢].

قال ابن الأنباري : عرضت هذا القول على أبي العباس النحوي فذكر أنه لقطرب [٣] واستقبح مخالفته الآثار [٤] .

---

[١] جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٤ و زاد المسير: ١/ ٩٦ و المحرر: ١/ ١٦١ و التفسير الكبير للرازي: ٣/ ١٠٥ و البحر: ١/ ٣٤٧ .

[٢] في البحر لأبي حيان: لما بين يديها ممن شاهدها و ما خلفها ممن لم يشاهدها قال قاله قطرب .

[٣] في النسخة (ل) : قطرب. و زدت اللام قبل قُطرب لأجل سياقة الكلام.

[٤] لم يتبيّن لي وجه مخالفته الآثار وفي تفسير نجم الدين عمر النسفي الحنفي التيسير في التفسير: (ورقة ١٠١) : ما بين يديها من يشاهدها و ما خلفها من يسمع بذكرها، و لكن لم يعزه و هو بمعنى القول المحكي عن قطرب و في تفسير القرطبي: (وروى الحكم عن مجاهد عن ابن عباس: لمن حضر معهم ولمن يأتي بعدهم . و اختاره ابن النحاس قال و هو أشبه بالمعنى)اهـ. تفسير القرطبي: ١ / ٤٤٤ وليس كلام الإمام ابن الأنباري بين أيدينا. و أمّا القول بأن المراد لما بين يديها و ما خلفها من القرى : فهو قول مروي عن ابن عباس ففي تفسير الطبري: ٢ / ٧٠ و ابن أبي حاتم: ١ ١٣٣/ (٦٧٦ و أيضا ٦٨٠) من طريق ابن إسحاق عن دواد بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس : ﴿ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ من القرى . و عزاه الماوردي: ١ / ١٣٦ و قال من رواية عكرمة عن ابن عباس و كذا قال ابن

و النكال في اللغة العقوبة العظيمة التي تحبِسُ الناس عن أنْ يفعلوا الفِعْلَ الذي يوجب مثل تلك العقوبة مأخوذ من قولهم نَكَلَ فلان عن كذا يَنكُلُ إذا احتبس عنه و أبطأ فيه و منه النُّكول في اليمين (١) .

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [٦٧] وكان هذا حين وجدوا قتيلاً بين أظهرهم لم يدْرُوا من قتله، فسألوا موسى أن يُبيِّن لهم فأُمِروا بذبح بقرةٍ يضربون القتيل ببعضها ليَحْيَ ويخبر بقاتله. وإنما حَسُنَ حذف الفاء (٢) من قوله: ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ وكان من حقَّه أن يقول (فقالوا أتتخذنا هزؤا) لأنك تقول قُمْتَ فَفَعَلْتَ ولا تقول قمتَ فعلتَ (٣) لأنّ ما قبله من الكلام مُسْتغنٍ عن هذا لأنه حسُن

الجوزي: زاد المسير: ١/ ٩٦ و عزاه ابن عطية: ١/ ١٦١ والقرطبي: ١/ ٤٤٤ و أبو حيان : إلى ابن عباس: ١ / ٣٤٦ و ينظر: الوسيط: ١/ ١٥٣ و أما اللفظ الذي حكاه أبو حيان عن قطرب و أبهم النسفي القائل به ،فلم أجده في شيء من الآثار بهذا اللفظ.

(١)ذكر المصنف فيما مضى بعض معاني النكال لغة و زاد هنا معنى آخر فينظر هناك .

(٢) هذا الكلام في معاني القرآن للفراء: ١/ ٤١ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٧٦ و لكن نقله المصنف باختصار استبهم معه بعض المراد و سأنقل ما يوضح المراد.

(٣) يعني لا تسقط الفاء . و بيان كلّ ذلك أن يقال : حذفت الفاء من قوله: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ مع كونه جوابا لقوله : ﴿ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ لاستغناء ما قبله من الكلام عنه فلم يقل: (فقالوا أتتخذنا هزؤا) قال الفراء : (و هذا في القرآن كثير لأنه جواب يستغني أوله عن آخره بالوقفة عليه فيقال: ماذا قال لك ؟ فيقول القائل : قال كذا و كذا فحُسْن السكوت يجوز به طرح الفاء)اهـ. قال الفراء: (و لو كان على كلمة واحدة لم تُسقِطِ العرب منه الفاء ، من ذلك: قمتَ ففعلتَ ، لا يقولون: قمتَ فعلتَ و لا قلتَ قال ..الخ)اهـ. معاني القرآن للفراء: ١/ ٤١ و ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٦ .

السكوت على قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾ كما حسُن إسقاط الفاء من قوله : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ ﴾ [الحجر:٥٧، ٥٨] ولو قال :فقالوا إنا أرسلنا لكان ذلك أيضا حسنا.

و اختلفوا في القتيل فزعم الكلبي أنّ اسمه: عاميلُ[١] قتله ابن أخيه لينكِح ابنته؛ و قال السّدّي [٢] : قتله ليرث ماله، وفي بعض التفاسير أنّ اسم القتيل زَكّا .

وقال عكرمة [٣] : كان لبني إسرائيل مسجدٌ له اثنا عشر باباً لكل سِبط منهم باب فوُجد قتيل على باب سِبطٍ قُتِل و جرّ إلى باب سبطٍ آخرٍ فاختصم فيه السبطان إلى موسى عليه السلام فأمرهم أن يذبحوا بقرةً.

قال الكلبي: عَمَد أخوان إلى ابن عمّ لهما فقتلاه ليرثاه، و كانت لهما ابنة عمٍّ فخافا أن ينكحها المقتول فلذلك قتلاه، و كانت مثلا في الحسن و الجمال.

و قال عطاء عن ابن عباس [٤] : كان في بني إسرائيل رجلٌ كثير المال و ليس له وارثٌ إلا ابن عمّ له فقتله ليرثه و ألقى ذلك على غيره، و أوحى الله إلى نبيه يأمرهم بذبح بقرة وكان في بني

---

[١] تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: صـ١١ وتفسير السمرقندي : ١ / ٨٨ و الثعلبي: ١/ ٢١٩ والبغوي: ١/ ٨٤ عند قوله: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [آية: ٧٢] و تفسير الكواشي أبو العباس أحمد : ت: ٦٨٠هـ. (تبصرة المتذكر و تذكرة المتبصر): ص٣٢٤ رسالة دكتوراه و مفحمات الأقران في مبهمات القرآن: صـ ١٤ .

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٣٦ .

[٣] تفسير الثّعلبي: ١ / ٢١٣ و الدر المنثور: ١ / ٧٧ قال: وأخرج سفيان بن عيينة عن عكرمة فذكره.

[٤] أما خبر عطاء عن ابن عباس فلم أجده، لكن روى الطبري و ابن أبي حاتم و غيرهما قصتها مطولة من طرق عن جماعة منهم العوفي عن ابن عباس وعبيدة السلماني و أبي العالية و السدي و غيرهم وسيذكر المصنف بعض أخبارهم . فقد رواها عبد الرزاق: ١ / ٤٨ والطبري: ٢ / ٧٦ و ١٢٣ و ابن أبي حاتم:

إسرائيل رجل صالح له ابن و له عجلٌ فأتى بالعجل إلى غَيْضَةٍ فقال اللهمّ إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبُر ومات الرجل فشبَّ العجل في الغَيـضَة حتـى كـبر الـصبي و كـبُرت العجلة، و كانت تهرب من كلّ من رآها حتى كبُر الصبي فأتاهـا و معـه حبـلٌ فأذعنـتْ لـه و مكّنته من نفسها و كانت أحسنَ البقر و أسمنها فأتى بها أمّه.

فلما قال لهم إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة و رجعوا في السؤال إلى موسى كلّـما و صـفها لهـم عرفوا أنها بقرة اليتيم فساوموا بها اليتيم، فقالت أمه لا تبِعْها حتى تـشاورني فمازالـوا يزيـدون حتى رضوا بأن يشتروها بملْ مَسْكِها[1] ذهباً، و قيل كان ثمن البقر ثلاثة دنانير فلـمّا طلبوهـا منه ساومها بمئة دينارٍ فرجعوا فيه إلى موسى فقال اشتروها فلمّا عاودوا قال لا أبيعها إلا بمائتي دينارٍ فرجعوا إلى موسى فمازالوا حتى بلَغَ مِلءَ مَسكها ذهباً.

و قيل في بعض الروايات أن موسى بعث إليه وقال :بعها فقال تأخذها غصباً ؟ فقال لا فقال: مالي أبيعه كيف شئتُ، فقال موسى صَدَقَ.

---

١ / ١٣٦ (٦٩٠) من طريق ابن سيرين عن عَبِيدةالسَّلْماني. قال الحافظ ابن حجر : - فتح البـاري: ٦ / ٤٤٠ - بإسناد صحيح. و رواها الطبري: ٢ / ٧٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٤٠ من طـر يـق أبي العاليـة مطولا و تفسير ابن كثير: ١/ ٢٩٧ و زاد عزوها لآدم بـن أبي إيـاس في تفـسيره و الـدر: ١ / ٧٨ و مـن طريق السدي مطولا: أخرجه الطبري: ٢ / ٧٩ – ٨٠ و فرّقه ابـن أبي حـاتم عـن الـسدي: ١/ ١٣٦ – ١٤٣ و من طريق العوفي عن ابن عباس أخرجها الطبري: ٢ / ٨٠ و ١٢١ وذكرها ابن كثـير. قـال ابـن كثير: (وهذه السياقات عن عَبِيدة وأبي العالية والسُّدي وغيرهم فيها اختلافٌ ما والظاهر أنهـا مـأخوذةٌ من كتُب بني إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها ولكن لا نصدق ولا نكذِّب فلهذا لا نعتمد عليها إلا ما وافـق الحق عندنا والله أعلم)اهـ.

[1] المَسك بفتح الميم : الجلد و يجمع على مُسُكٌ و مُسُوك (لسان العرب: مسك) .

وقال السدِّي [١] : [٢] كان البقر لغلام بارٍّ بأبيه وكان من بره بأبيه أن رجلا جاءه بلؤلؤ فابتاعه الغلام منه بسبعين ألفا وكان في اللؤلؤ فضلٌ، فقال له الغلام إنّ أبي نائم و مفتاح الصندوق عند رأسه فأنظِرْني حتى يستيقظ و لك عشرة آلاف درهم زيادةً، فقال الرجل وأنا أحط عنك عشرة آلاف على أن توقِظَ أباك فقال الغلام وأنا أزيدك عشرين ألفاً على أنْ تُنْظِرَني فلم يزل يزيد الغلام ويحطُّ صاحبُ اللؤلؤ، و لم يوقظ أباه فأعقبه الله برَّه بأبيه أن جعل تلك البقرة عنده فأتوه فقالوا بِعْنَاها فقال لا ،فطلبوها ببقرتين فأبى فطُلِب بسبع بقرات فأبى حتى أُعطي بوزنها عشر مراتٍ ذهباً .

وقال وهب [٣] : كان البقر التي أحيي بها القتيل لوارثه الذي قتله وهو أول مَنْ تنوَّقَ فيها وسأل عن لونها و شِيتِها رجاءَ أنْ لا يجدوها فيفتضِحَ وكان يقال لتلك البقرة المذهَّبة لحسنها و صفاء لونها وشدّة صفرتها.

و قال أبو العالية [٤] : وجدوا البقرة عند عجوز عندها يتامى وهي القيّمة عليهم فأضعفت عليهم الثمن.

وقال سعيد بن جبير [٥] : إنّ أصحاب بقرة بني إسرائيل طلبوها أربعين سنة .

---

[١] أخرجه الطبري: ٢ / ٧٩ – ٨٠ و فرّقه ابن أبي حاتم عن السدي: ١/ ١٣٦ – ١٤٣.

[٢] وقع في النسخة (ل) : هنا : (لو) و هي مقحمة لا موضع لها.

[٣] خبر وهب بن منبه علقه الطبري: ٢ / ٨١ وذكر في : ٢/ ١١٥ بعضه.

[٤] الطبري: ٢ / ٧٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٤٠ من طريق أبي العالية مطولا.

[٥] رواه ابن أبي حاتم قال حدثنا أحمد بن سنان ثنا عفان بن مسلم ثنا عبد الواحد بن زياد ثنا سليمان الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به (ابن أبي حاتم: ١ / ١٤٥ (٧٥٠) و نقله منه ابن كثير: ١/ ٣٠٥ و عزاه إليه في الدر: ١ / ٧٨.

وقوله: ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ قرئ هُزْأً و هُزُأً [١] و كل اسم على فُعْل ليس بجمع و أوله مضموم ففيه لغتان: الإشباع و التخفيف مثل الشّكْر و السُّكر و الكفر والرّحم و الرّحب والذُّعْر وكذلك ما كان جمعا كالرُّسل و الطُّرق [٢].

وقرأ ابن محيصن [٣] (أيتخذنا هزأ) يريد الله تعالى و القراءة ما عليه العامّة بالياء.

و قوله: ﴿يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ [آية:٦٨] مفتوحة الياء إلا في الوقف، وما محله الرفع لأنه استفهام و معناه أي شيء هي. و قوله: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾ بالكسر على جهة الحِكَاية، و العرب تكسِر ما بعد القول إلا بني سُلَيم فإنهم يفتحون ألف إنّ بعد القول يجعلونه بمعنى الظنّ [٤]. و الفارض المسنّة وارتفع ﴿فَارِض﴾ بإضمار هيَ [٥] و (البِكْر) الصغيرة و معنى لا فارض ولا بكر لا كبيرة ولا صغيرة و (العوان) فوق البكر دون المسنّة.

---

[١] قرأ حفص بضم الزاي و الواو بدل الهمزة وقرأ حمزة و اسماعيل بن جعفر عن نافع و خلف في اختياره بإسكان الزاي و الهمزة و بها قرأ المفضّل عن حفص وقرأ الباقون: بالضم و الهمزة: المبسوط: ص١٣٠ وغاية الاختصار لأبي العلاء :٢ / ٤١٠ - ٤١١ و النشر: ٢ / ٢١٥ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢١٤ و البحر: ١/ ٢٥٠

[٢] معاني القرآن للأخفش: صـ ٨٢ وتفسير الثّعلبي: ١ / ٢١٤ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٤٧ والبحر: ١/ ٢٥٠ .

[٣] تفسير الثّعلبي: ١/ ٢١٤ و في مختصر في شواذ القراءات: صـ٦ عزوها للجحدري و كذا في القرطبي: ١/ ٤٤٦ و في البحر: ١/ ٢٥٠ عزوها للجحدري و ابن محيصن .

[٤] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٣٦ وقال الزجاج: (إن بني سليم يجعلون باب قلتُ أجمع كباب ظننت) و شرح ابن عقيل على الألفية: ١/ ٣٥٠ مواضع كسر همزة (إنّ)و توجيه اللمع لابن الخباز: صـ ١٥٢ و في الخلاصة – الألفية – لابن مالك: في باب ظن و أخواتها:

وأُجري القول كظنٍّ مطلقا ... عند سُلَيمٍ نحوُ قل ذا مشفقا

ينظر: شرح ابن عقيل: ٢ / ٦١ .

[٥] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٥١ و اقتصر عليه. و يجوز إعرابها صفة لبقرة و ((لا)) لا تمنع ذلك لأنها دخلت لمعنى النفي ذكر هذا الوجه: الأخفش: صــ ٨٢ و ابن النحاس: ١/ ٢٣٤ و العكبري في

يقال فَرَضَ يفرِضُ فُرُوضاً [١] . و من العوان عوّنَتْ تُعوّن تعويناً و حرب عَوَانٌ إذا لم تكن الأولى [٢]، و قال { أبو } [٣] عبيدة [٤] : الفارض المسنّة التي لا تلِد، و البكر الفتيّة التي لم تلد. و قيل العوان النّصَف، وأنشد:

يارّبَ ذي ضِغنٍ　　　وضبٍّ فارض [٥]

أي وحقد قديم ، وتاء التأنيث محذوفة من قوله : ﴿ بِكْرٌ ﴾ لاختصاص الإناث بهذه الصفات [١] وقال سيبويه: بل على النّسَب فتقديره: إنها بقرة فارض أي شخصٌ [٢].

إملاء ما من به الرحمن : ١ / ٤٢ المنتجب الهمذاني: ١/ ٣٠٨ و أبو حيان: ١/ ٢٥١ و سيعيد المصنف ذكر هذا و لو ذكرها هنا لكان أليق.

[١] جامع البيان للطبري: ٢ / ٨٣ – ٨٤ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٣٦ تفسير الثّعلبي: ١ / ٢١٦ و الوسيط: ١/ ١٥٤ و البحر: ١/ ٢٥١ .

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ٨٧ – ٨٨ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٣٦ وتفسير الثّعلبي: ١ / ٢١٦ و الوسيط: ١/ ١٥٥ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٤٩ و البحر: ١/ ٢٤٨.

[٣] سقطت كلمة أبو من النسخة (ل) .

[٤] مجاز القرآن: ١/ ٤٣ و لفظه: فارضٌ: مسنّةٌ و لا بكرٌ: صغيرةٌ. و ينظر: كتاب العين: (فرض)٧/ ٢٩ وغريب القرآن لابن قتيبة: ١/ ٥٥٤ و لسان العرب و تاج العروس(فرض) .

[٥] في كثير من المصادر: يا رُبَّ ذي ضِغنٍ علي فارض　　　له قُرُوءٌ كقُرُوءِ الحائضِ

جامع البيان للطبري: ٢ / ٨٣ و مجالس ثعلب: صـ ٣٦٤ و الأضداد: ص٢٨ و لسان العرب: فرض وتفسير الثّعلبي: ١ / ٢١٦ والمحرر: ١/ ١٦٢ و تفسير القرطبي: ١/ ٤٤٨ و فسروه بالقديم. وفي لسان العرب: أنشد ابن الأعرابي:

يا ربَّ مولى

حاسد مباغض　　علي ذي ضغن وضب فارض

له قروء كقروء الحائض. وقال: عنى بضبٍّ فارض عداوةٌ عظيمة كبيرة من الفارض التي هي المسنة (فرض).

و قوله : ﴿ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ ولم يقل بين ذينِكَ [٣] على مذهب الفعل أي بين الهرم والشباب كما تقول إقبالك و إدبارك يشق عليّ ومعناه: اختلافك يشق علي، و لا يجوز أن يقول أَخوك و أبوك يزورني و لكن تقول: يزوراني. قال أبو عبيدة [٤] : عوانٌ بين ذلك أي بين هذا الذي ذكره.

قال سيبويه (٥) : ولو قال عوان بين ذينِك أو تَيْنِك كان صوابا .

﴿ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ أعتصمُ وأمتنعُ أنْ أكون من الجاهلين يعني المستهزئين.

وفي بعض التفاسير [٦] أنّ في الآية تقديماً و تأخيراً وأول هذه القصة في المعنى ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ [٧٢] فادارأتم فيها فقال موسى إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة.

---

[١] حذفت تاء التأنيث فلم يقل فارضة و لا بكرة لاختصاص الإناث بهذا الوصف كمثل حائض: تفسير البغوي: ١/ ٨٣

[٢] في الإنصاف لأبي البركات: ٢/ ٧٨٥ (ذهب الكوفيُّون إلى أنّ علامة التأنيث إنما حُذِفت من نحو طالق وطامِثٍ وحائض وحامل لاختصاصِ المؤنَّث به وذهب البصريُّون إلى أنّه إنما حُذِفَت منه علامة التأنيث لأنهم قَصَدوا به النسب ولم يُجْرُوهُ على الفعل، وذهب بعضهم إلى أنهم إنما حذفوا علامة التأنيث منه لأنهم حملوه على المعنى كأنهم قالوا شيء حائض)اهـ. و ينظر: المفصل للزمخشري: صـ ٢٠٠ .

[٣] تقتضي كلمة (بين) أن تكون داخلة على ما يمكن التثنية فيه و هنا لم يأت بعدها إلا اسم إشارة مفرد . وينظر في توجيه ذلك و بيانه : معاني القرآن للفراء: ١/ ٤٢ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٩١ والمحرر: ١/ ١٦٢ والفريد: ١/ ٣٠٩ و البحر: ١/ ٢٥١ و الدر المصون: ١/ ٢٥٦ .

[٤] مجاز القرآن : ١/ ٤٤ .

(٥) لم أعثر عليه في الكتاب لسيبويه.

[٦] الوسيط للواحدي: ١/ ١٥٧ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٤٢ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٥٥ و تفسير الكواشي أبو العباس (تبصرة المتذكر و تذكرة المتبصر) : ص٣٢٤ .

وقوله ﴿مَا لَوۡنُهَا﴾ [آية:٦٩] رفع على خبر الابتداء تقديره أيُّ شيء لونُها فما مبتدأ و لونُها خبرُه [١] . ﴿صَفۡرَآءُ﴾ قال الحسن [٢] : سوداء. و العرب تسمي الأسود أصفر قال الأعشى [٣]:

تلك خيلي منها وتلك ركابي　　　هنّ صفرٌ أولادها كالزَّبيبِ

وكذلك قال : ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ﴾ [المرسلات:٣٣] أي سودٌ قال القُتيبي [٤] : هذا غلط، و إنما يقال للسُّود صُفْرٌ في صِفاتِ الإبل دون البقر وذلك لأنَّ السود من الإبل يشوب سوادها صفرة و يدل على أنه لم يرد السواد أيضا أنه أكّدَهُ بقوله ﴿فَاقِعٞ﴾ وهذا من الذي يؤكّد به لون الصفرة دون السواد.

و قوله: ﴿فَاقِعٞ﴾ يرجع إلى اللون ويحتمل أن يكون خبرا واسمه اللون فيكون خبرا مقدّما على الاسم و يحتمل أيكون اسماً و اللون خبرا عنه [٥] .وقوله ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ التاء لتأنيث البقر و لو أريد اللون لقال يسر بالياء ولم يُقرَأ به [١] .

---

[١] جامع البيان للطبري: ٢ / ٩٢ و الفريد: ١/ ٣١٠ .

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ٩٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٣٩ و ١٤٠ و الدر: ١ / ٧٨ و عزاه لعبد بن حميد قال ابن كثير: (هذا غريب و الصحيح الأول)اهـ. يعني أنّ الصفرة على بابها.

[٣] ديوان الأعشى: صـ٦٨ و غريب القرآن لابن قتيبة: ص٥٣ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٩٤ والأضداد: ١٣٨ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢١٧ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٥٠ و الدر المصون: ١/ ٢٥٧.

[٤] غريب القرآن لابن قتيبة: ص٥٣ و نقله الثعلبي: ١/ ٢١٧ و نحو ذلك قال الطبري: ٢ / ٩٤ – ٩٥ .

[٥] أي يكون ﴿صَفۡرَآءُ﴾ صفة و ﴿لَّوۡنُهَا﴾ فاعل به أو يكون لونها مبتدأ مؤخرا و فاقع خبرا مقدما: إعراب القرآن لابن النحاس : ١/ ٢٣٥ و فيه وجه واحدٌ، و هو أنّ لونها فاعل و الفريد: ١/ ٣١٠ و البحر: ١ / ٢٥٢ والدر المصون:١ / ٢٥٧ .

قال سعيد بن جبير [٢] و الحسن [٣] -في رواية عنه- : صفراء الظِّلف والقَرْن.

﴿فَاقِعٌ لَّوۡنُهَا﴾ صافٍ ﴿تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ﴾ تعجب الناظرين إليها.

---

[١] البحر: ١/ ٢٥٣ .

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ٩٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٣٩ (٧٠٨) .

[٣] جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٣٨ (٧٠٤) .

وقال علي بن أبي طالب [١] من لبس نعلا صفراءَ قل همُّه لأن الله تعالى قال: ﴿ .. لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا ﴾ [٧٠] في لونها و سِنِّها ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴾ إلى القاتل و ذُكِر عن النَّبيّ ﷺ أنه قال [٢]: لولا أنهم استثْنَوا ما اطّلعوا على قاتله .

---

[١] قال الزيلعي – في تخريج أحاديث الكشاف- ١/ ٦٥ : (قلتُ غريبٌ عن علي ولم أجده إلا عن ابن عباس، رواه الطبراني في معجمه حدثنا موسى بن هارون ثنا سهل بن صالح ثنا ابن العذراء عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: من لبس نعلا صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسها)اهـ.

قلت: خبر ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم : ١/ ١٣٨ (٧٠٥) و الطبراني في الكبير: (١٠٦١٢) والخطيب في تاريخه: ٥ / ٢٤ و في الجامع لأخلاق الرواي: ١ / ٣٩٢ و ذكره ابن القيسراني في أطراف الغرائب: ٣ / ٢٦٩ وهو من طريق رجل يقال له ابن العذراء لا يعرف و قد جعل أبو حاتم خبره موضوعاً مكذوباً ،قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل :٩/ ٣٢٥:ابن العذراء روى عن ابن جريج روى عنه سهل بن عثمان العسكري سمعت أبى يقول: ابن العذراء الذي روى: من لبس نعلا صفراء ليس بشيء هو حديث النّوكى وهو حديث كذب موضوع)اهـ. و مثل ذلك في العلل له: ٢/ ٢١٩ و ينظر: للتوسع في تخريجه كلام الزيلعي المتقدّم ،فله طريق أخرى ضعيفة جدا عند العقيلي في الضعفاء: ١ / ٢٣٥ و ٣ / ٤٤٦ و ميزان الاعتدال : ٥/ ٤٢٨ و قد ذكرها الزيلعي و قد ذكره تبعا للزمخشري معزوا إلى علي: النسفي: ١/ ٥٠ و أبو السعود: ١/ ٥٠ .

[٢] حديث غريب ضعيف، جاء عن أبي هريرة مرفوعا أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١/ :١٤١من طريق سرور بن المغيرة الواسطي ابن اخي منصور بن زاذان عن عباد بن منصور عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة قال قال: رسول – صلى الله عليه وسلم: (لولا أنّ بني اسرائيل استثنوا فقالوا : ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴾ ما أُعطوا ولكن استثنوا)اهـ. و ذكره ابن كثير : ١/ ٣٠٣ و عزاه أيضا لابن مردويه و قال : (هذا حديث غريب من هذا الوجه و أحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة) اهـ. و قال الحافظ ابن حجر: (وفي السند عباد بن منصور وحديثه من قبيل الحسن وأورده الطبري عن ابن عباس موقوفا وعن أبي العالية مقطوعا)اهـ. فتح الباري: ١٣/ ٢٦١ و قال الزيلعي : (غريب) :تخريج

﴿ لَّا ذَلُولٌ﴾ [٧١] لم يذلّلها العمل ﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ لا يزرع عليها ليست من العوامل ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ لا يُسقى عليها الحرث ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيوب عن قتادة [١] والربيع [٢] وأبي العالية [٣] وابن عباس [٤]. و قال مجاهدٌ [٥]: مسلّمة من الشّية لا شيةَ فيها لا لونَ فيها يخالفُ صفرتها.

وقيل لا بياض فيها فلمّا عرفوها ﴿ قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ و بيّنت لنا الصفة فطلبوها فوجدوها [٦]. و قيل لو أنهم أخذوا أدنى بقرةٍ فذبحوها لكفَتْهُم ولكنّهم شدّدوا فشُدِّد عليهم.

أحاديث الكشاف: ١/ ٦٦ وزاد هو و ابن حجر عزوه للبزار. و له شواهد فرواه الطبري مرسلا مرفوعا عن قتادة: ٢ / ١٠٠ و معضلا مرفوعا عن ابن جريج : ٢/ ٩٩ و روي عن عكرمة مرفوعا : أخرجه سعيد بن منصور: (١٩٣ – تفسير) و عزاه السيوطي مرفوعا إلى الفريابي وابن المنذر: الدر: ١ / ٧٧ ورواه الطّبري من كلام عكرمة: ٢/ ٩٨ . وصحّ عن ابن عباس موقوفا من كلامه :وحديث ابن عباس الموقوف:بلفظ: (لو أّنهم أخذوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم ، لكنّهم شدَّدوا فشدَّد الله عليهم): أخرجه الطبري: ٢ / ٩٨ وصحّح سنده ابن كثير: ١/ ٣٠١ ورواه الطبري أيضا من طريقين أخريين: ٢ / ١٠٠ عن ابن عباس. و كذلك روى الطبري مثله عن جماعة من أئمة التابعين منهم عَبِيدة السَّلماني: ٢ / ٩٨ و مجاهد: ٢/ ٩٩ و أبو العالية: ٢/ ٩٩ .

[١] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٠٨ ابن أبي حاتم: ١ / ١٤٢ (٧٣٣) .

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٠٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٤٢ عقب الأثر: (٧٣٣).

[٣] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٠٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٤٢ عقب الأثر: (٧٣٣).

[٤] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٠٨ بلفظ: لا عوار فيها. .

[٥] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٠٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٤٢ (٧٣٢، ٧٣٥).

[٦] جامع البيان للطبري: ٢ / ١١٠ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢١٩ و الوسيط: ١ / ١٥٧ .

و قال أبو عبد الرحمن السّلمي [١] : (لا ذلولَ) –بالنّصب– (تثيرُ الأرض) و لهذا استحسَنَ أبو حاتم الوقف على الذَّلُول ثمّ يبتدأُ (٧٩ و) فيقول ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ فيجعلها حارثة لا ساقية؛ و الرفع أولى لنفي الصِّفتين [٢] .

قوله: ﴿ وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ قيل من غلاءِ ثمنها وقيل لئلا يتبيّن القاتل فيفتضِحَ [٣].

---

[١] قراءته في: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٣٦ و مختصر ابن خالويه في الشواذ: صـ ٧ و المحرر: ١ / ١٦٣ و البحر: ١/ ٢٥٦.

[٢] قول أبي حاتم في الإيضاح لابن الأنباري : ١/ ٥٢١ و الاقتداء في الوقف و الابتداء للنكزاوي (٦٨٣هـ): ١/ ٢٨٧ .

و معنى ذلك أنْ يقف على﴿ذَلُول﴾ و يبتدأ ﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ ويكون قوله: ﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ خبر مبتدأ محذوف و لا يكون صفة لـ ﴿ذَلُول﴾. و معنى ذلك أنه أبيح لهم أن تكون بقرة مثيرة للأرض ، و لم يرخص لهم أن تكون ساقية للحرث ،و لكن أكثر أهل العلم على عدم اعتبار الوقف على: (ذلول) لأن ما بعده من قوله (تثير الأرض) صفة له و هي صفة داخلة في حيِّز النفي فلا يوقف على الصفة دون الموصوف .

(الاقتداء: ١/ ٢٨٦ – ٢٨٧ و البحر: ١/ ٢٥٥). وقول أبي حاتم نسبه ابن عطية: ١/ ١٦٤ والقرطبي: ١ / ٤٥٣ إلى قوم قال القرطبي: (و القول الأول أصحّ) وقد ردّ الإمام ابن الأنباري قولَ أبي حاتم السجستاني قائلا: (و هذا القول عندي غيرُ صحيحٍ ، لأنّ التي تثير الأرض لا يُعدم منها سقي الحرث ... و قوله أيضا يفسُد بظاهر الآية ، لأنها إذا أثارت الأرض كانت ذلولا وقد نفى الله هذا الوصف عنها فقول السجستاني لا يؤخذ به و لا يعرّج عليه)اهـ. الإيضاح: ١/ ٥٢١ و ما قاله الإمام ابن الأنباري هو الصحيح لأنّ المقصود من معنى الآية : أنها بقرة لم يذلِّلها العمل لا في حرث و لا سقي ولذا قال الحسن: كانت البقرة وحشية: جامع البيان للطبري: ٢ / ١٠٥ – ١٠٦ و الوسيط: ١/ ١٥٦ والبحر: ١/ ٢٥٥

[٣] صوب الطبري بعد أنْ حكى القولين أنهم لم يكادوا يفعلون لغلاء ثمنها و لخوف عظيم الفضيحة بإظهار قاتله: ٢ / ١١٤.

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ وكان من حقّه أنْ يقول تشابهتْ لأقلِّ الجمع أو تشابهْنَ للأكثر. وقال المبرِّد [١] سُئِل سيبويه [٢] عن هذه الآية فقال : كلُّ جمعٍ حروفُه أقلُّ من حروف واحدِهِ فإن العرب تذَكّرهُ [٣]واحتجّ بقول الأعشى [٤] :

ودِّع هريرةَ إنّ الركب مرتحلٌ . ولم يقل مرتحلون .

قال الزجاج [٥] معناه إنّ جنس البقر تشابه علينا .

---

[١] كلام المبرد هذا كله موجود في تفسير الثعلبي: ١/ ٢١٨ .

[٢] في الكتاب لسيبويه كلام عن تذكير الجمع و تأنيثه: ٢/ ٣٩ .

[٣] اسم الجنس يجوز فيه التذكير و التأنيث: ينظر: مثلا: شرح جمل الزجاجي لابن عصفور: ٢ / ٥٥١- ٥٥٢ باب المذكّر و المؤنث . قال الطبري: (من شأن العرب تذكير كل جمعٍ واحدته بالهاء ، وجمعه بطرح الهاء و تأنيثه)اهـ. ٢ / ١٠٤ . قال الزجاج : وقال: (و ما كان مثل بقرة و بقر و نخلة ونخل و سحابة وسحاب فإن العرب تذكره و تؤنثه فمن ذكر فلأن في لفظ الجمع أن يُعبَّر عن جنسه) اهـ . ينظر: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٣٩ و أوضح المسالك: ٤ / ٢٤٨ و البحر: ١/ ٢٥٤ والدر المصون: ١/ ٢٥٨.

[٤] و بعده: و هل تطيقُ وداعا أيُّها الرجل . و هو أول بيت في معلقة الأعشى المشهورة : ديوانه: صـ١٧

[٥] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٣٩

وقرأ الحسن [١] (تشابَهُ) بالتاء المفتوحة وهاءٍ مضمومةٍ أراد تتشابهُ.

وفي مصحف أُبيّ [٢] : (تَشَابَهَتْ)على وزن تَفَاعَلتْ فأَنَّثهُ لتأنيث البقر، وقرئ تَشَّابَهُ بتشديد الشين وضم الهاء [٣] أي تَتَشَابَهُ فأُدغم إحدى التاءين في الأخرى.

و قوله: ﴿ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ إنما هو سؤالٌ عن الصفة دون الجنس لأنّ جنس البقر كان معلوماً عندهم، وقد يستفهم بـ(ما)عن الصّفة مجازاً .

فإن قيلَ فما الفائدة في قوله: ﴿ عَوَان﴾ بعد ما نفى أن تكون بِكْراً وأنْ تكون فارضا؟

قيل لأنه احتمَل أن يكون عجلاً أو جنيناً فقال ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَالِكَ﴾ لإزالة اللّبس ونفي الاحتمال [٤] .

---

[١] لم يذكر المصنف ضبط الشين بالحروف هل هي مخففة: فتكون تَشَابَهُ أو مشددة فتكون : تَشّابهُ فقد قرأت بالوجهين. و لكنه سيذكر فيما بعد قراءة تشّابه بتشديد الشين . فأما قراءة : تَشّابهُ بالتشديد في الشين: فنسبها ابن النحاس إلى الحسن : إعراب القرآن:١ / ٢٣٦ و كذلك نسبها بتشديد الشين إلى الحسن: ابن عطية : ١/ ٦٣ ؛ و نسبها القرطبي: ١/ ٤٥١ إلى الحسن نقلا عن ابن النحاس و إلى الأعرج نقلا عن الثعلبي و في تفسير الثعلبي: ١/ ٢١٨ أن قراءة الحسن تَشَابهُ بتخفيف الشين وضبطها بالحروف و كذلك نص ابن خالويه على أنّ قراءة الحسن بتخفيف الشين : مختصر في الشواذ: صـ٧ و نص الثعلبي أن قراءة الأعرج: بتشديد الشين كما نقله عنه القرطبي ، ففرّق الثعلبي بين القراءتين و بيّنهما جميعا. و أما أبو حيان فاختصر كلام القرطبي و لم يزد: ١ / ٢٥٤ و المقصود أنّ الحسن قرأ بتخفيف الشين: تَشابهُ: فيما نص عليه ابن خالويه و الثعلبي و هما عمدة في هذا الباب.

[٢] تفسير القرطبي: ١/ ٤٥٢ و البحر: ١/ ٢٥٤.

[٣] نسبت للأعرج كما نسبت للحسن ينظر تفصيل ذلك في قراءة الحسن المتقدّمة .

[٤] روح المعاني للآلوسي: ١/ ٢٨٧ .

وقوله: ﴿ عَوَانٌ﴾ أي هي عوانٌ لأن عواناً ليس بنعت للبكر ولا للفارض. وارتفع قوله: ﴿ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ على الصفة للبقرة في قول الأخفش [١]، والوصف بالنفي صحيح لأنه يرجع في التحقيق إلى أنه يختصّ بها يُنا في ذلك الوصف تقول مررت برجل لا قائمٍ ولا قاعدٍ [٢] أي برجل مختصٍّ بصفةٍ تنافي القيام و القعود. و قال الزجّاج [٣]: ارتفع قوله: ﴿ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ على إضمار هي .

قوله:﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ الآية [٧٢].كان قتل النفس قبل ما أَمرهم بذبح البقرة . ﴿فَادَّارَأْتُم﴾ الدّرْء الدفع و الأصلُ تدارأتمْ فأُدغِمت التاء في الدَّال و نظيره قوله : ﴿ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة:٣٨] والأصل فيه تفاعلتم، و معناه: ألقى ذاك على هذا وهذا على ذاك فدافع كلُّ واحد عن نفسه منه: ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ [الرعد:٢٢،القصص:٥٤]. قال الأعشى [٤]:

إنّ الذي فيه تدارأتما بيِّن للسّامع و الآثِرِ [١]

---

[١] معاني القرآن للأخفش: صـ ٨٢ –٨٣ وقال: هذا مثل قولك: ((عبد الله لا قائمٌ ولا قاعدٌ)) أدخلت ((لا)) للمعنى و تركت الإعراب على حاله لو لم يكن فيه ((لا)) .

[٢] في النسخة (ل) : لا قائم ولا قاعدٍ ولا قاعدٍ.

[٣] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٣٦ و ينظر: ما تقدّم ذكره عند تفسير الآية فقد ذكر المصنف بإيجاز إعرابها هناك .

[٤] ديوان الأعشى: صـ ١٨٩ من قصيدة قالها في المنافرة التي وقعت بين علقمة بن علاثة و عامر بن الطفيل يمدح فيها عامرا و يذم علقمة .

و قال مجاهدٌ [٢] : ادارأتم: اختلفتم .

قال الضحاك [٣] :اختصمتم. قال ابن جريج [٤] :تماريتم . قال عبد العزيز بن يحيى [٥] : أي شككتم فيمن قتلها.

﴿ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ ولم يقل : [٦] مخرجُ ما كنتم بالتخفيف [٧] لأنه أمر مستقبل لم يقع بعد. و إنما اختلفوا في القاتل أنّه من قتله، و قيل لمّا أحيا الله ذلك القتيل قام و أوداجه تشخَبُ دما [٨] فسألوه من قتله ؟ فقال فلان وفلان ثم اضطجع فمات فقالا :ما قتلناه و لكن كذَبَ علينا فأُخِذا فقتلا فذلك قوله: ﴿ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا﴾

قوله: ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ﴾ [آية:٧٣] أراد اضربوا القتيل، و يحتمل أنْ يُرَدَّ إلى النفس لأنّ اسم النفس سائغٌ في الذكور و الإناث [٩]

---

(١) الآثر: الراوية و من ينقل الخبر (لسان العرب والقاموس: أثر) .

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ١٢٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٤٤ (٧٤٦).

(٣) ابن أبي حاتم: ١ / ١٤٤ معلقا بعد الأثر (٧٤٧) وتفسير الثّعلبي: ١ / ٢١٩ و ابن كثير: ١/ ٣٠٥ .

(٤) في تفسير الطبري : ١/ ١٢٠ وابن كثير: ١/ ٣٠٥ عن ابن جريج: قال بعضهم أنتم قتلتموه .

(٥) تفسير الثّعلبي: ١ / ٢١٩.

(٦) في النسخة (ل) : هنا : ما. و لا موضع لها.

(٧) يعني بلا تنوين و ينظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٥٦ .

(٨) ورد في خبر عن ابن عباس رضي الله عنه: تفسير ابن أبي حاتم: ١ / ١٤٥ (٧٥٠) و نقله منه ابن كثير: ١/ ٣٠٥ و عزاه إليه في الدر: ١ / ٧٨ وذكر بعضه الثّعلبي: ١/ ٢١٨ .

(٩) النفس مؤنثة ينظر: مثلا :لسان العرب: (مادة: روح : ٢ / ٤٥٥) و في البحر لأبي حيان: ١ / ٢٦٠ : أنّ النفس فيها التأنيث وهو الأشهر و فيها التذكير . وذكر أبو حيان وجها ثالثا: أنّ المقصود : ذا نفسٍ

قال أميّة بن أبي الصلت [١] :

زعَمَتْ أنّ عُمْرَها ليس يَفْنَى   خاب نفس الغويّ ماذا أرَاها

فذكّرَ و أنث في بيت واحد، و اختلفوا في المعنيّ (ببعضها)فقال ابن عبّاسٍ [٢] : ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف .

وقال الضحاك [٣] : ضربوه بلسانها. و اختار الحسين بن الفضل هذا القول قال لأنّ المراد كان من إحياء القتيل كلامه [٤] ، وقال مجاهدٌ [٥] : ضربوه بفخِذِهَا .

و به قال قتادة [٦] و عكرمة [٧] ، قال الكلبي [٨] ضربوه بالفخذ الأيمن. قال سعيد بن جبير [٩] : ضربوه بعُجْبِ ذنبها الذي يُركَّبُ عليه الخلق و لا تأكله الأرض. و قال السّدّي : ضربوه

فحُذِفَ المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه.و في تفسير نجم الدين عمر النسفي الحنفي: أنّ النفس مؤنثة سماعاً، و أنه ذَكَّر الفعل للمعنى لأنَّ المقصود القتيل: التيسير في التفسير: (ورقة١٠٣) .

و ينظر: تفسير أبي السعود: ١/ ١١٤

(١) لم أعثر عليه.

(٢) ابن أبي حاتم: ١ / ١٤٥ (٧٥١) من طريق عكرمة عنه والدر المنثور: ١ / ٧٩ .

(٣) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٢٠ و الوسيط:١ / ١٥٧ والبغوي: ١ / ٧٢ و لم يذكره الطبري و ابن أبي حاتم و لا السيوطي في الدر المنثور.

(٤) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٢٠ و تمام كلامه : (و اللسان آلته)اهـ .

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ١٢٥ و الدر: ١ / ٧٩ و عزاه لعبد بن حميد.

(٦) جامع البيان للطبري: ٢ / ١٢٦ والدر: ١ / ٧٩ و عزاه لعبد بن حميد

(٧) جامع البيان للطبري: ٢ / ١٢٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٤٥ (٧٥٢) و الدر: ١ / ٧٩.

(٨) تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٢٠ .

(٩) تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٢٠ و الوسيط: ١ / ١٥٧ أوله فقط فيهما .

بالبَضْعَةِ التي بين كتِفيها، و قال الفرّاء [١] : ضربوه بذنبها، و قيل ضربوه بالأذن. وليس في اختلافهم في هذا كثير فائدة لأنّ الله أبهمه [٢] .

وقال :﴿ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ احتجاجاً على مشركي العرب و يريكم ما ذُكرَ من آياته لكي تعتبروا، و قيل يريكم آياته يعني في محمدٍ و ما جاء به من علم الغيب لأنَّ هذا ليس من علم العرب فإذا أخبرهم الرسول بذلك كان ذلك من الدلائل على نبوته و صدقه.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ آيات دينه فتقبلُونَها و ترجعون عما أنتم عليه من البغي و العُدوان.

و في الآية اختصارٌ و معناه [٣] :فقلنا اضربوه ببعضها ليَحْيَ فضربوه فأحياه الله، و قال : قتلني فلان و مات، كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياتِ قدرته في خلقِ الحياة في الأموات.

قوله: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾[الآية: ٧٤] أي جَفّت و القَسْوةُ اليبس والشدّة يقال حجرٌ قاسٍ ودرهم قَسِيّ [٤] .

وقوله: ﴿قُلُوبُكُم﴾ أراد قلوب أوائلِكُم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى إحياء القتيل وما كان فيه من العِبَر، و قيل أراد به أنه لمّا أحيا الله القتيل و أخبر أنه قَتَله فلان كذّبوا وقالوا لم

---

[١] الذي في معاني القرآن له: ١/ ٤٥ يقال إنه ضرب بالفخذ اليمنى و بعضهم يقول بذنبها .

[٢] هذا صحيح وهكذا قال الإمام الطبري و بيّن أنه جهل لا يضر و علم لا ينفع: ٢/ ١٢٧ و نقل نجم الدين النسفي عن أبي منصور الماتريدي: (لا نعلم ذلك إلا بالخبر من الله لكن نقول ببعضها بقدر ما في الكتاب): تفسير التيسير في التفسير: (ورقة ١٠٣) . و ينظر: ابن كثير: ١/ ٣٠٥ و الإكثار من هذا مما عيب على المفسرين .

[٣] معاني القرآن للفراء : ١/ ٤٥ و جامع البيان للطبري: ٢ / ١٢٨ و الوسيط: ١/ ١٥٧ .

[٤] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٢٩ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٢١ و الوسيط: ١/ ١٥٨ .

يقُلْ، فكان ذلكَ نهاية التكـذيب في الجحـد [١] ، ولهـذا قـال ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ ﴾ (٢) في القسوة و النَّبوَة عن الحقّ.

و شبّهها بالحجر دون الحديد [٣] لأنّ الحديد قد لانَ وقتاً مّا لنبيٍّ مّـا وهـو داود عليـه الـسلام حتى صار مثل العجين و الحجر لا يلين، وقيل لأنّ في الحديد منافع لا تحصى لا يُوجد ذلك في الحجر .

﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ قيل أو ههنا بمعنى الواو [٤] كقولـه : ﴿ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات:١٤٧] وقيل إنما قاله لإباحة ضرب المَثَلَين لأنّ الله تعالى لمّا علم أنّ الحجارة غايةٌ في القسوة شبّهها به ثمّ أخبر أنّها أشـدّ قـسوةً منهـا كقولـه : ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [النحل:٧٧] وقيل أو ههنا بمعنـى بـل أشـد قـسوة كقولـه : ﴿ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ أي بل يزيدون.

---

[١] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٢٩ و المحرر: ١/ ١٦٦ وتفسير القرطبي: ١ / ٤٦٣ و البحر: ١/ ٢٦٢ .

(٢) في الأصل: (ثمّ قست قلوبهم فهي كالحجارة) .

[٣] الوسيط: ١ / ١٥٨ و البغوي: ١/ ٧٤ .

[٤] أو هذه مثل (أو) في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (آية ١٩ من سورة البقرة) فما قيـل هناك قد قيل مثله هنا . وينظر ما تقدم مع المصادر هناك المصادر الآتية لهذه الآية : جامع البيان للطـبري: ٢ / ١٣١– ١٣٣ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٢١ و النُّكت والعيون للـماوردي: ١/ ١٤٥ – ١٤٦ و تفـسير نجم الدين عمر النسفي الحنفي : (ورقة ١٠٥) . من مخطوطة المحمودية، و تفسير القرطبـي: ١ / ٢٦٣ و البحر: ١/ ٢٦٢ و تفسير ابن كثير: ١/ ٣٠٨ – ٣١٠ و الدر المصون: ١/ ٢٦٣ .

و قيل أراد بها أَمْ {و أبهم } [١] علمَ ذلك على المخاطبين فأمّا الله فهو عالمٌ أيَّ ذلك كان وقيل أراد أنّ قلوبهم لا تخرج في باب المتشابه عن أحد هذين إمّا هذا و إمّا ذاك وقيل معناه أو أشدُّ قسوةً عندكم.

و القسوة و القَساوة واحد كالشِّقوةِ و الشَّقَاوةِ وهما مصدران [٢].

و أشدُّ رَفْعٌ بالنَّعت للقلوب مردود إلى هي، ويحتمل أنْ يكون مرفوعاً على تكرير هي عليه، المعنى فهي كالحجارة أو هي أشدُّ قسوةً، والأوَّل معناه فهي مِثْلَ الحجارة أو أشدُّ قسوةً لأنّ الكاف في قوله: كالحجارة أي مثلَ الحجارة، [٣] و(قسوةً) نصبٌ على التمييزِ كقولك أحسنُ مِنك وجهاً.

وقوله : ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي العيون الكثيرة ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُ﴾ العيون الصغيرة.

والهاء في ﴿مِنۡهُ﴾ يعودُ على قوله: ﴿مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ﴾ يعني من بعض الحجارة فلذلك ذكّره [٤] كقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ ﴾ [فاطر:٢٨].

وقوله:﴿﴾ لَمَا قيل إنّ (ما) لَغوٌ واللامُ جوابُ إنّ، وقيل (ما)خبرٌ و معناه: و إنّ من الحجارة لحجراً يتفجَّر منه الماء فيعود الهاء على (ما) [١].

---

[١] سقطت من الأصل و السياق يقتضيها و ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ١٣١ و المحرر: ١/ ١٦٦ وتفسير القرطبي: ١ / ٤٦٣ مع المصادر المتقدمة .

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٢٩ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٢١ .

[٣] ينظر: في إعراب ﴿أَشَدُّ﴾ و ﴿قَسۡوَةً﴾: جامع البيان للطبري: ٢ / ١٣٣ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٣٨ و البحر : ١ / ٢٦٢ – ٢٦٣ و الدر المصون: ١/ ٢٦٣.

[٤] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٣٤ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٣٨ و الوسيط: ١/ ١٥٩ .

و قوله: ﴿يَشَّقَّق﴾ أراد يتشقق [٢] والتاءُ و الشينُ يتشاركان في الهَمْس فلذلك [٣] حَسُن إدغامهما

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ قال بعضُهم [٤]: أراد به جبل موسى لما تجلى ربه للجبل جعله دكّا.

وقال بعضهم [٥]: هو على الحقيقة يُحيي الله بعض الحجارة فيهبط من خشية الله.

وقال قوم [٦] هذا على المجاز وقالوا إن الله يُهبِطُ الحجارة دلالةً للناظر على قدرة الله فيحمِلُه ذلك على الخشية فنسبت الخشية إلى الحجر لِما كان منه، نِسبةَ مجازٍ، كقولهم نَاقةٌ تاجِرةٌ أي أنها تدعو لنجابتها إلى شرائها و التّجارة فيها، كذلك قال الحجارة خاشية من الله أي داعية إلى الخشية، ومعناه أنّ منها: ما يهبط فيدعو الناظرَ إليها إلى خشية الله.

---

[١] إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٣٨ و المحرر: ١/ ١٦٧ و تفسير القرطبي: ١ / ٤٦٥ والبحر:١/ ٢٦٤

[٢] الوسيط: ١/ ١٥٩ و المحرر: ١/ ١٦٧ وتفسير القرطبي: ١/ ٤٦٤ و البحر: ١/ ٢٦٥ .

[٣] في النسخة (ل) : فذلك.

[٤] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٣٧ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٤١ – ١٤٢ و تفسير أبي الليث السمرقندي: ١/ ٩٢ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٤٦ والمحرر: ١/ ١٦٧ و لم ينسبوه و هو تخصيص لا دليل عليه.

[٥] ينظر: الطبري: ٢/ ١٣٧ .

[٦] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٣٨ و تفسير أبي الليث السمرقندي: ١/ ٩٢ والمحرر: ١/ ١٦٧ وتفسير الرازي: ٣ / ١٢٠ وتفسير القرطبي: ١/ ٤٦٥ و ابن كثير: ١/ ٣٠٨ وأضواء البيان: ٣/ ٣٣٩ قال الإمام السمعاني: ١/ ٩٦ : (فإن قيل الحجر جمادٌ لا يفهم فكيف يخشى قلنا قد قال أهل السنة إن لله ـ تعالى ـ عِلْماً في الموات لا يعلمه غيره، وقيل إن الله تعالى يفهمهم ويلهمهم ذلك فيخشون بإلهامه وبمثل هذا وردت الأخبار)اهـ .

و قد رجّح الطبري و السمرقندي و السمعاني و ابن عطية و الفخر الرازي و القرطبي و ابن كثير والشنقيطي القول بأن ذلك على الحقيقة . كما هو ظاهر هذه الآية و غيرها و قد بينوا أدلة هذا.

وقيل عَذَرَ في هذه الآية الحجارة ولم يعذُر قلبَ ابن آدم.

ثم قال : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من قرأ بالياء أراد بني إسرائيل ومن قرأ بالتاء أراد المخاطبين [١] . ومن الناس [٢] من قال قوله: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أراد به جميع الحجارة كقوله: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف:٣١، نوح:٤] أراد به جميع ذنوبهم و إنما يريد به الإخبار عن عظمة الله، و أن الجبال تُرى كأنها تهبطُ من خشية الله كما قال

الشاعر: [٣]

لما أتى خبرُ الزبيرِ تواضَعتْ سورُ المدينة و الجبال الخُشَّعُ

يُريدُ به تفخيم الأمرِ، و وَصْفَ الحجارة بالخشيةِ كما قال: ﴿ جِدَاراً يُرِيدُ﴾ [الكهف:آية: ٧٧] فكأنه يريد أنها تنقاد لحكم الله حتى لو كانت حيّةً لكانت تخشى .

قوله :﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾[الآية: ٧٥] وذلك أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة دعا اليهود إلى الله فجحدوه، فنزلت هذه الآية [٤] .

وقال: أفتطمعون يا محمد و أيُّها المؤمنون أن يؤمِنَ اليهود لكم [٥]، وقيل أراد به النبي صلى الله عليه وسلم خاصةً وحدهُ.

---

[١] الكشف لمكي: ١/ ٤٤٨ و المحرر: ١/ ١٦٧ و تفسير القرطبي: ١/ ٤٦٦.

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٣٧ و البحر: ١/ ٢٦٦ مع المصادر المتقدمة عند ذكر أول الأقوال.

[٣] البيت لجرير بن عطية : ديوانه: ٣٤٥ وجامع البيان للطبري: ١/ ٦٢٣ و ٢ / ١٣٨ و الأضداد: صـ٢٩٦

[٤] ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ١٤٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٤٨(٧٧٠) و أسباب النزول للواحدي: صـ٦٣ و المحرر: ١/ ١٦٧ و البحر: ١ / ٢٧١ وتفسير ابن كثير: ١/ ٣١١ و العجاب للحافظ ابن حجر: صـ ٩٤ – ٩٧ .

(٥) البسيط للواحدي: ١/ ١٩٦ رسالة دكتوراه.

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾. قيل فيه تأويلان [١] أحدهما: كانوا يسمعون كلام الله بواسطة موسى عليه السّلام.

والثاني: بلا واسطة أراد به السّبعين الذين كانوا مع موسى قالوا لموسى قد سَمِعتَ كلامهُ فأسمعناه كما سمعته [٢]، فقال لهم من أحبَّ أن يسمع كلامي منكم فليعتزِل النساء ثلاثة أيام ثم ليغتسل و ليلبس اليوم الرابع ثياباً جديداً ثم ليأتِ معه بمُدَّين زبيبٍ ففعلوا ذلك فجاءت سحابة فرأوا فيها النور وسمعوا نداءً: أنا الله ربكم لا إله إلا أنا الحي القيوم فلا تعبدوا إلهاً غيري ولا تشركوا بي شيئاً ولا تجعلوا لي شبها[٣] فلما سمعوا ذلك خرجتْ أرواحهم من أجسادهم ثم عادت إليهم؛ فقالوا وهم سجود إنا لا نطيق أنْ نسمَعَ كلام ربِّنا فكن أنت بيننا وبين ربنا فكان يقولُ لموسى وموسى يقولُ لهم فلما أمرهم بالذي أمرهم ونهاهم عمّا نهاهم عنه، رفعوا رؤوسهم، وقد عقلوا فرجعوا إلى المعسكر، فأتاهم من لم يشهد الجبل فقال الصادقون أَمَرَنا بكذا ونهانا عن كذا، وقال الذين لم يُرِدِ الله أن يطهِّر قلوبهم من الكذب قد قال لنا كما قال لهم غيرَ أنّه أتْبَعَ في آخر قولِه:

إن لم تستطيعوا الذي نهيتكم عنه فافعلوا كذا وغيّروا ما قيل لهم فذلك قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [٤].

---

(١)جامع البيان للط ي: ٢ / ١٤١ – ١٤٣ و ابن أ حا : ١ / ١٤٨(٧٧٠) و الوسيط: ١/ ١٦٠ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٤٧ و المحرر: ١/ ١٦٨ والبحر: ١ / ٢٧١ وتفسير ابن كثير: ١/ ٣١١.

[٢] ينظر: مع المصادر السابقة: نوادر الأصول للحكيم الترمذي: ١/ ٢٤٤ و زاد المسير : ١/ ١٠٣ – ١٠٤ ففيهما الرد على هذا القول و قد نقله ابن حجر عن ابن الجوزي: العجاب: صـ ٩٧ .

[٣] كان في الأصل: {شيئا} و صوبتها : شبها لدلالة السياق وكما في تفسير مقاتل: ١/ ٥٨ .

[٤] تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ٥٧ – ٥٨.

وقيل إنما أراد تحريفَهُم للتوراة وتبديل الحرام بالحلال بعدما فَهِمُوه عن السُّدي [١] وابن زيد [٢].

والتحريف التغيير و الإمالة إلى حرفٍ، و الحرف الحدُّ المائل ومنه تحريف الطَّعنة إذا أمالها في شِقٍّ فالمعنى يغيِّرون الكلام عن جهته في التأويل [٣] .

وفي رواية مقاتل [٤] : فسمِعُوا صوتاً كصوت الشّبّورِ [٥] وسمعوا كلامه.

وفي هذا ما فيه من الفساد اللهمَّ إلا أن يُحمَلَ عَلى صوتٍ خَلَقَهُ الله عند ذلك فأمّا أن يكون كلامه صوتاً فلا [٦] .

---

[١] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٤١ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٤٩ (٧٧٤) .

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٤١ و تفسير ابن كثير: ١/ ٣١١ – ٣١٢ .

[٣] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٤٤ و البحر: ١/ ٢٦٩ .

[٤] تفسير مقاتل: ١/ ٥٨ و فيه: البوق و هو بمعنى الشبّور هنا كما سيرد في الحاشية.

[٥] في النسخة (ل) : في هامشها هنا : الشَّبُّور على وزن السَّفُّود البوق. و الشَّبُّور: هو البوق كما قال. (النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٤٤٠ و لسان العرب: شبر: ٤ / ٣٩٣)

[٦] اختلف أهل الكلام في مسألة الحرف و الصّوت في كلام الله تعالى، و مذهب الأشاعرة إنكار الحرف و الصوت في صفة الكلام لله تعالى و الصواب إثبات ذلك كما هو مذهب إمام أهل السنة أحمد و غيره من أهل الحديث، و صفات الباري تعالى لا تكييف فيها و لا تمثيل و لا تقاس بصفات المخلوقين أبداً و لا يلزم من ذلك تشبيه، فالحقُّ أنْ نقف حيث وقف سلفنا من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ،و قد ردّ أبو نصر السجزي الحافظ على من أنكر الحرف و الصوت و ألف في ذلك رسالة إلى أهل زبيد طبعت بتحقيق: محمد باكريم سنة: ١٤١٣هـ . و هي من مطبوعات الجامعة الإسلامية.

و ينظر: السنة لعبد الله بن الإمام أحمد: ١/ ٢٨٠ ومقالات الإسلاميين للأشعري: ٢/ ٢٥٦ والفتاوى لشخ الإسلام: ٦ / ٢٥٦ و ١٢/ ٣٧٣ و درء تعارض العقل و النقل: ٢/ ١٠٠ وفتح الباري لابن حجر: ١٣ / ٤٥٨ و التحبير شرح التحرير للمرداوي : ٣ / ١٢٤٧ – ١٣٠٠ و ٣ / ١٣٠١ و ١٣٢٤ و لوامع الأنوار البهيّة للسفاريني: ١/ ١٣٨.

وقوله:﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ أي وهم يعلمون أنَّ الذي حرَّفوه ليس من قِبَلِ الله وروى {ابن } [1] جريج عن عطاء [2] : ﴿يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ قال القرآن. وهذا منه محمول على أنه أراد به التوراة لأن كلَّ ما يُقرأ فهو على الحقيقة قرآن.

وفي الخبر أنّ داودَ كان يأمر بدابَّته أن تُسرَجَ و يفتتح القرآن فيقرأهُ إلى أن يُفْرَغَ من إسراج دابته [3] ، وكان ذلك كتاب الله الزّبور فسماه قرآناً، وقد سمى الله التوراةَ في القرآن فرقاناً فقال: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ [الأنبياء:٤٨].

و قد توسع الإمام المرداوي – رحمه الله-: (ت: ٨٨٥ هـ) كثيرا في نقل كلام الأئمة و العلماء في هذه المسألة و نقل عيونا من كلام الإمام أحمد و السجزي وابن قدامة في عدد من كتبه و شيخ الإسلام ابن تيمية و غيرهم ممن نقل إثبات الحرف و الصوت عن السلف و أهل الحديث و ختم كلامه قائلا:

(و إنما أطلتُ في هذه المسألة ، و نقلت كلام العلماء المعتبرين فيها ليُعلَم ذلك ، و يعلم أقوال العلماء ، و القائل بكل قول، و يُعرَف قائلُهُ و قدرُهُ و مكانته في العلم و عند العلماء ، إذ غالب الناس في هذه الأزمنة يقول : (من قال إن الله يتكلّم بصوت، يكون كافرا .. الخ)اهـ. ثم نقل عبارة أحمد و ابن المبارك و البخاري في إثبات الصوت : ٣/ ١٣٥١ – ١٣٥٢.

[1] سقط من النسخة (ل).

[2] لم أعثر عليه، و لم يذكره الطبري و ابن أبي حاتم و لا السيوطي في الدر المنثور و قد نقله محمود الكرماني عن ابن حبيب قائلا : و من الغريب ما حكاه ابن حبيب: ثم ذكره. و ذكر بعده قول ابن حبيب: أرى أنه أراد بالقرآن التوراة ، كما جاء في الخبر الخ. غرائب التفسير و عجائب التأويل: ١/ ١٥١ .

[3] حديث صحيح رواه البخاري : (كتاب أحاديث الأنبياء: الباب: ٣٨ باب قول الله تعالى : ﴿ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ (ح: ٣٢٣٥) و فتح الباري: ٦/ ٤٥٥ و أحمد : (ح ٨١٤٥) و البيهقي في الكبرى: ٦ / ١٢٧ كلهم من حديث همام عن أبي هريرة رضي الله عنه وورد من غير طريق همام عن أبي هريرة علقه البخاري ينظر: فتح الباري الموضع السابق و تغليق التعليق: ٤ / ٣٠ .

وأما الفريق فهو اسم للجماعة ولا واحد له من لفظه كالطائفة وهو فَعِيلٌ من التفُرُّقِ سُمي به الجماعة كالحزب اسم سُمِّى به الجماعة من التحزُّب (١) .

ومعنى الطمع (٢) تعليق النَّفس بحصول نفع متوهَّم وينقسم إلى محمود و مذموم .

قوله : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ.....) [الآية :٧٦] يعني منافقي أهل الكتاب إذا لقوا أصحاب رسول الله ﷺ مثل أبي بكر وعُمرَ وعُثمانَ وعَلِي رضي الله عنهم، وغيرهم قالوا لهم آمنَّا بالذي آمنتم به ونشهد كما تشهدون و إذا خلا بعضهم إلى بعض أفضى المنافقون إلى رؤساء اليهودِ كعب بن الأشرف وكعب بن أُسيد و وهب ابن يَهودا وسائر رؤساء اليهود (٣) قالت لهم الرُّؤساء ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أصحاب محمد ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ بما قضى وحكم عليكم في كتابكم أن محمدا حقٌّ نبيٌّ بنعته وصفته ثم لا تتَّبعونه فهذه حجة له عليكم ليحاجّوكم به عند ربِّكم وهم يتلاومون فيما بينهم.

﴿ أَوَلَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الآ ية:٧٧] يا محمد يعني رؤساء اليهود و المنافقين أنّ الله يعلم ما يسرون فيما بينهم من التكذيب وما يعلِنون من التّصدِيق.

و قيل قال النبي ﷺ (لا يدخَلنَّ علينا قصبةَ المدينة إلا مؤمن) فكانتْ اليهود يدخلون المدينة بالبُكْر ويقولون نحن مؤمنون ثم يعودون بالعصر إلى منازلهم ويكفرون وذلك قوله:

---

(١) ما ذكره المصنف في معنى الفريق لغة ذكره قبله الطبري : ٢ / ١٤١ و ينظر: البسيط للواحدي: ١/ ١٩٦ .

(٢) البحر: ١/ ٢٦٩.

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ١٤٥- ١٤٦ وتفسير الثّعلبي: ١/ ٢٢٢ و تفسير نجم الدين عمر النسفي الحنفي ، التيسير في التفسير: (ورقة ١٠٧) و المحرر: ١/ ١٦٨ وفي الثلاثة الأخيرة ذكر أسماء هؤلاء من اليهود.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ [آل عمران:٧٢] [١].

وقال مجاهد [٢] : هو قول يهود قريضة حين سبَّهم النبي صلى الله عليه وسلم، قيل أنه أرسل إليهم عليّا [٣] ، وقيل [٤] : قام النبي صلى الله عليه وسلم تحت حصونهم فقال يا إخوة القردة والخنازير يا عبدة الطاغوت فقالوا من أخبر محمداً بهذا ما خرج هذا إلا منكم أتحدثونهم بما فَتَحَ الله به عليكم من العذاب ليكون لهم حُجَّةً.

والقاضي يسمى فتَّاحاً [٥] ، وقيل بما حَكَمَ عليكم من اتّباع النبي الأمّي عن ابن عباس [٦]

والحسن [٧] وأبي العالية [٨] وقتادة [١] وقيل مِن جَعْلِكم قردة عن مجاهد [٢].

---

[١] أسندَ هذا الخبر بأطول من هذا الطبري عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ٢ / ١٤٩ و ذكره ابن كثير عن ابن وهب عن ابن زيد: ١/ ٣١٢ .

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٤٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٠٥ (٧٨٢) و عزاه السيوطي في الدر ١ / ٨١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

[٣] من خبر مجاهد السابق .

[٤] ينظر خبر مجاهد : جامع البيان للطبري: ٢ / ١٤٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٠٥ (٧٨٢).

[٥] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٤٩ – ١٥٠ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٢٢ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٤٩.

[٦] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٤٦ في خبر ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس و سيذكر المصنف لفظه قريبا .

[٧] ابن أبي حاتم: ١ / ١٥١ (٧٨٥) و ذكره ابن كثير و لم يعزه: ١/ ٣١٣ .

[٨] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٤٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٥٠ (٧٨١) .

وقال السدي [٣] : بما حكم عليكم من العذاب، قال السدي [٤] : كان ناسٌ من اليهود آمنوا ثم نافقوا وكانوا يحدِّثون العرب عن المؤمنين بما عُذِّبوا به فقال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليقولوا نحن أكرم على الله منكم. وقال ابن عباس [٥] : إذا لقوا الذين آمنوا قالوا هذا صاحبكم نبيٌّ صادق إلا أنه مبعوث إليكم و إذا خلا بعضهم لبعض قالوا {أتحدثون} [٦] العرب بما كنتم تستفتحون به عليهم.

وقال بعضهم في قوله : ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ قال كانوا يُعرِّضُون ولا يُصرِّحون يريدون بقولهم: آمنا ، أي بأنبيائنا وكتبنا، وكانوا يوهِمُون المسلمين أنهم يؤمنون بنبيهم فأخبر الله عن تمويههم وتعريضهم. وقيل في الآية تقديم وتأخير [٧] ومعناه: أتحدِّثونهم بما فَتَحَ الله عليكم عند ربكم أي من عند ربكم ليحاجُّوكم به ففيه تقديم وتأخير.

قوله: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [٧٨] من أهل الكتاب أميون لا يقرؤون الكتاب ولا يحسنون الكتابة .

---

[١] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٤٧ و الدر: ١/ ٨١ .

[٢] تقدّم تخريج قول مجاهد قريبا .

[٣] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٤٨ – ١٤٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٥٠ (٧٨٣) .

[٤] من تتمة كلام السدي السابق.

[٥] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٤٦ و قد أشار إليه المصنف قريبا و لم يذكر لفظه .

[٦] في النسخة (ل) : أتحدثوا.

[٧] قول غريب ذكره نجم الدين عمر النسفي الحنفي في التيسير في التفسير: (ورقة ١٠٧) . و أبو حيان: ١/ ٢٧٥ و ضعفه أبو حيان ،و هو خلاف الظاهر ثمّ القول بالتقديم والتأخير لا دليل عليه هنا. و قد بينوا أنّ قوله: (عند ربكم) متعلّق بـ(يحاجّوكم) لا بقوله :(فتح الله عليكم) كما في هذا التقدير .

والأمِّي منسوب إلى الأمَّة وما عليه العامة، فحذفت تاء التأنيث لأنها زائدة وياء النسبة زائدة وثُقِّلت للفرق بينهما وبين ياء الإضافة [١] .

وقال ابن جرير [٢] : الأمّي منسوب إلى أُمِّهِ لأن الكتابة كانت في الرجال دون النساء فنُسِب من لا يُحسِنُ الكتابة إلى أمّه في جهله بالكتابة دون أبيه.

﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ من ﴿ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ يعني أحاديث مختلقة، يسمعونها من أحبارهم لا يتيقنون صدقها وكذبها كمن لا تمييزَ له من العوامّ عن ابن عباس [٣] . وقال قتادة [٤] : يتمنَّون على الله ما ليس لهم، وهو قوله: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ ﴾ [البقرة:١١١].

والأماني أفاعيل كالأحاديث و الأعاجيب واحدتها أُمْنُوْيَةٌ [٥] على تقدير أُفعُولَةٍ [١]فقلبت الواو ياءً ثم كُسِرَ الحرف الذي يَتْبَعُهَا الياء فصارت أُمنِيةً لسكونها وأُدغمت فصارت أُمنِيَّة مثل أُثفيَّةً وأُغنيَّةً [٢] .

---

[١] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٥٤ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٤٣ وتفسير الثّعلبي: ١/ ٢٢٣ و الوسيط: ١/ ١٦١ و المحرر: ١ / ١٦٩ .

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٥٤.

[٣] يعني أنّ معناه عن ابن عباس ولم أره بهذا اللفظ عن ابن عباس مسنداً لكن ذكره أبو حيان: ١/ ٢٧٥ بنحوه . و الذي في تفسير الطبري من طريق علي بن أبي طلحة: (إلا أحاديث) : ٢/ ١٥٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٥٢ (٧٩٢) و كذلك في تفسير البسيط للواحدي : ١/ ٢٠٤ وخبر الضحاك عن ابن عباس: في الطبري: ١/ ١٥٦ و الدر: ١/ ٨٢ و في تفسير تفسير نجم الدين عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ١٠٨) : أحاديث مختلَقَة. فقد نقلوه بالمعنى.

[٤] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٥٦ و ١٥٧ و علقه ابن أبي حاتم: ١ / ١٥٢ عقب الأثر : (٧٩٣) وهذا أيضا لفظ تفسير أبي العالية: جامع البيان للطبري: ٢ / ١٥٧

[٥] كمثل : أحدوثة و أُعجوبة: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٤٣ .

وقرأ بعضهم [٣] (أَمَانِيَ) خفيفة حُذِفَ إحدى اليائيين استخفافاً وهي ياء الجمع كما قالوا مَفَاتِحَ و مَفَاتِيحَ .

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي ما هم إلا يظنون ظناً غير صادق كقوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧، يوسف:٤٠] أي ما الحكم إلا لله ، قال أبو رَوقٍ [٤]: الأَمَانيّ أن يقرأه عن ظهر قلبه ولا يقرأه في الكُتُب، وقال أبو عبيدة [٥]: الأمانيّ التِلاوة ومنه قوله : ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج:٥٢] أي في تلاوته ، قال الشاعر في عثمان رضي الله عنه [٦]:

---

[١] تفسير القرطبي: ٢ / ٦ والفريد: ١/ ٣١٩ والبحر: ١/ ٢٦٩ .

[٢] ذكر الفراء أنّ فيها و في ما كان مثلها و جهان عند العرب: التشديد و التخفيف: معاني القرآن: ١/ ٤٥ و ينظر: معاني القرآن للأخفش: صـ ٩٢ وتفسير الثّعلبي: ١/ ٢٢٣ و البحر: ١/ ٢٧٦ .

[٣] هي قراءة أبي جعفر من العشرة: المبسوط: صـ ١٣١ و النشر: ٢ / ١٤٦ و ذكرها الطبري و لم ينسبها و بين وجهها: ٢/ ١٦٠ و ذكرها الثعلبي و نسبها للحسن و أبي جعفر و شيبة و الأعرج: ١ / ٢٢٣ و ينظر في نسبتها أيضا ما في: تفسير القرطبي: ٢/ ٥ و البحر: ١/ ٢٧٦ .

[٤] تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٢٣ .

[٥] لم أجده في مجاز القرآن و نقله: الثّعلبي عنه: ١/ ٢٢٣ .

[٦] البيت لكعب بن مالك في ديوانه: صـ٢٩٤ في السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٢٦٧ مع الروض الأنف و ٢/ ٥٦٩ ولسان العرب: (مني) و زاد المسير: ٥ / ٤٤٢ والكشاف: ٣/ ١٦٧ . وروايته في سيرة ابن هشام:

تمَنَّى كتابَ الله في الليلِ خالياً   تمنّي داود الزَّبور على رِسْلِ

و في لسان العرب: أيضا أنّ الذي رثّي به عثمان:

كتاب ا   أولَ ليله   وآخرُهُ لاقَى حِمامَ المقادرِ

تَمَنَّى كِتابَ الله أولَ ليله　　　　تَمَنِّي داودُ الزَّبورَ على رِسْلِ

فمعنى الآية على هذا لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة ولا يعلمونه بقلوبهم.

وقوله: ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ استثناءٌ منقطع في معنى لكن أمَـانيّ. قولـه: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ [الآية: ٧٩] فيغيِّرونه و يحرِّفونه ثم يقولُون هذا من عند الله هكـذا نَـزل ليشتروا به ثمناً قليلاً أي ليأخذوا من السَّفَلةِ ثمناً يسيرا[(١)] يتكسَّبون به ﴿فَوَيۡلٞ﴾ لهم الويـل لفظة الذمّ و السَّخطة وهي حركات صوت الصارخ إذا أصابته قارعة يتولْولُ ويدعو بالويل و الثبُّور .

والويل يُرفَع على الابتداءِ و ينصَبُ بالإضمار [(٢)] وأنشد [(٣)] :

كسا اللؤمُ تيماً خُضرةً في جُلُودِها　　　　فويلٌ لِتيمٍ مِن سرابيلِها الخُضرِ

ويُروى فويلاً .

و هو بهذه الرواية الأخيرة في: السيرة لابن هـشام: ٢/ ٢٦٧ و تفـسير الـسمرقندي : ٢/ ٤٦٤ وتفـسير الثّعلبي: ١/ ٢٢٣ و تفسير السمعاني: ٣/ ٤٤٧ و زادِ المسير: ٥ / ٤٤٢ والبغوي: ٣ / ٢٩٣ والمحـرر: ١/ ١٦٩ و الفائق للزمخشري: ٣/ ٣٩٢ و تفسير القرطبـي: ٢/ ٦ ؛و الـثعل و الـسمعا و البغوي: و آخرها بدل آخره.

(١) كان في النسخة (ل) : قليلاً لكن الناسخ وضع عليها خطا بالحمرة و كتب بالهامش يسيرا. مع علامة تصحيح.

(٢) معاني القرآن للأخفش: صـ ٩٢ و معاني القرآن للزّجـاج: ١ / ١٤٣ – ١٤٤ وإعـراب القـرآن لابـن النحاس: ١/ ٢٤٠ و البحر: ١/ ٢٧٠.

(٣) البيت لجرير في ديوانه: صــ٥٩٦ ، ومعـاني القـرآن للأخفـش: صــ ٩٢ و لـسان العـرب: (و يـل) والنُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٥١ لكن فيه بدل تيما : سهم.

وقوله: ﴿يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ تأكيد للكلام كقولهم مشيتُ بِرِجلِي و نظرتُ بِعيني ، قال الله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم ﴾ [الفتح:١١] وقال:﴿ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام: الآية٣٨] [١] . قال الكلبي [٢] : فويل شدةٌ من العذاب. ﴿ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يُغيِّرونَ صِفةَ محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم فجعلوه آدمَ سبطاً طويلاً ثم قالوا للسَّفَلَة هذا من عند الله نَزَلَ في التوراة [٣] .

قال عطاء بن يسار [٤] : الويل وادٍ في جهنم لو سُيرت فيه جبال الدنيا لَانمَاعَتْ من شدة حَرِّه.

قال ابن بريدة [٥] : الويل جبل من قيح ودم ، وقال أبو عِياض [٦] : الويل صهريج [٧] في جهنم يسيل إليه صديدُ أهل النّار و قيحُهُم [٨] .

وقال الزجاج [٩] : الويلُ كلِمةٌ يستعملها كل واقع في هَلَكَةٍ و أصله العذاب.

---

[١] تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٢٥ و ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ١٦٩ و البحر: ١/ ٢٧٧ .

[٢] الزاهر: ١/ ٢٣٥ و الوسيط: ١/ ١٦٣.

[٣] تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٢٤ و الوسيط للواحدي: ١/ ١٦٣ و أسباب النزول للواحدي: ص٦٢ .

[٤] ابن المبارك في الزهد (٣٣٢ – زوائد نعيم بن حماد) و جامع البيان للطبري: ٢ / ١٦٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٥٣ (٨٠٠) و الدر: ١/ ٨٢ .

[٥] تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٢٤ و لم أعثُرْ عليه مسنداً.

[٦] يروي هذا الخبر عن زياد بن فياض و أبو عياض تابعي اختلف في اسمه: فقيل اسمه مسلم بن نذير يكنى بأبي عياض و قيل غير هذا ينظر: تهذيب الكمال : ٢٧ / ٥٤٦ و تهذيب التهذيب: ١٢ / ٢١٣ .

[٧] في النسخة (ل) في هامشها تفسير الصّهريج بالحوض . وهو كذلك(لسان العرب: صهرج) .

[٨] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٦٣ و ١٦٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ١ / ١٥٣ .

[٩] معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٤٣.

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الويل وادٍ في جهنم يَهوي فيه الكافر أربعين خريفاً لا يصلُ إلى قعره)[١] .

قال أبو مالك[٢] : كان عبد الله بن سعيد بن أبي سَرْحٍ يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فيملي عليه غفوراً رحيماً فيكتب علياً حكيماً ويقول أُوحي إلي ولم يوحَ إليه شيءٌ فنزل ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾. وهذا تأويلٌ شاذٌ والمفسِّرون على خلافه .

ومعنى ﴿ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يفتعلونه من عندهم ثم يقولون نَزَلَ مِن عند الله .

وقوله : ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[٣] قيل يجمعون من الحرام من الأموال وقيل يجترِحون من الآثام، والكسبُ حادث يجتلَبُ به نفعٌ أو يدفَعُ به ضرٌّ. قوله ﴿وَقَالُواْ لَن

---

[١] سنده ضعيف ، فقد رواه درّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به أخرجه: الترمذي: (٢٥٧٦ و ٣١٦٤ و أحمد : ١٨ / ٢٤٠ و أبو يعلى (١٣٨٣) و الطبري: ٢/ ١٦٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٥٣ (٧٩٨) و ابن حبان (٧٤٦٧) و الحاكم: ٢/ ٥٠٧ ، ٥٤٣ ، ٤/ ٥٩٦ قال الترمذي : (غريب) .وقال ابن كثير : (هذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعاً منكر)اهـ. ١ / ٣١٦ و درّاج أبو السمح يروي عن أبي الهيثم سليمان بن عمرو ، ضعفه الدارقطني و قال أحمد حديثه يعني دراج منكر، وقال أبو داود حديث أبي دراج مستقيم إلا عن أبي الهيثم : الجرح و التعديل: ٣ / ٤٤١ و تهذيب التهذيب: ٣/ ١٨٠ وخلاصة تهذيب الكمال: ١/ ١١٢ و في التقريب: (١٨٢٤):صدوق في حديثه عن أبي الهيثم ضعف.

[٢] تفسير الثعلبي عن أبي مالك بأوسع مما هنا : ١/ ٢٢٥ . و ذكرها الكرماني :قائلا و العجيب: الخ. و قال :كما قال المصنف هنا: (و المفسرون على خلافه)اهـ: غرائب التفسير و عجائب التأويل: ١/ ١٥٣ . و ذكرها أبو حيان مختصرة : ١/ ٢٧٦ .و جعل هذه القصة سببا لنزول هذه الآية شاذٌّ كما قال المصنف فإنها في اليهود و لم يذكرها كثير من المفسرين كالطبري و ابن أبي حاتم و الواحدي في بسيطه ووسيطه و الماوردي و السمعاني و ابن الجوزي و ابن عطية و ابن كثير و السيوطي في الدّر.

[٣] في النسخة: (ل) فويلٌ بالفاء وهو خطأ.

تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ﴾ [الآية: ٨٠] وقالوا يعني اليهود قالت لمّا أوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنّار عند تكذيبهم إياه، قيل أرادوا به أياماً بعدد الأيام التي عبدوا فيها العِجلَ وهو أربعونَ يوماً ، قالوا لا يعذبنا الله إلا أربعين يوماً ثم يدخلنا الجنة عن ابن عباس [١] .

وقال بعضهم أرادوا به تحلَّة القسَمِ وذلك أنهم قالوا إن الله غضب علينا في أمرٍ فأقسم أنه يُعذِّبنا أياماً عن أبي العالية [٢] .

ومنهم من قال: أَقسَمَ لما عبدنا العجل أن يعذِّبنا عدد تلك الأيام في النار ثم يُخرجَنا إلى الجنة عن قتادة [٣] ، ومنهم من يقول يعذّبنا بعدد كل ألف سنة من أيام الدنيا بيومٍ عِنده، واليوم عنده أَلْفُ سَنةٍ فيعذّبنا سَبْعَةَ أيّامٍ عنده، [٤] وهو سبعة آلاف سنةٍ عن ابن عباس [٥] .

قال الله : ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ﴾ إذاً ﴿عَهۡدَهُۥ﴾ قال ابن عباس [٦] : قُلتُم: لا إله إلا الله ثم لم تشركوا ولم تكفُروا وهذا هو العهد المذكور في

---

[١] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٧١ من طريق أبي روق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ورواه أيضا من طريق العوفي عنه : ٢ / ١٧٣ و أخرجه الواحدي في أسباب النزول : مطولا عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: صـ ٦٣ .

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٧٢ .

[٣] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٧١ و ١٧٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٥٦ (٨١٦) و ١ / ١٥٧ (٨١٨)

[٤] في النسخة (ل) : وهو سبعةَ أيام عنده. و هو تكرير.

[٥] سيرة ابن هشام : ٢ / ٢٦٧ مع الروض الأنف و الطبري٢ / ١٧٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٥٥ (٨١٣) و الواحدي في أسباب النزول: ص٦٢ و ينظر: العجاب للحافظ ابن حجر: صـ ١٠٤ – ١٠٥

[٦] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٧٧ من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس و عزاه إلى الطبري في الدر المنثور: ١/ ٨٥ .

ســــــورة مـــــريم: ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴾ [مريم:٨٧]، وقيل الوفاء بما أَمَرَ به .

وروى عكرمة [١] : أن اليهود خاصَمَتْ النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقالوا لـن نُعـذَّبَ إلا أربعينَ يوماً ثم يَخْلُفُنا ويَلحَقُنَا أُناسٌ آخرون يُعَذَّبُونَ بَدَلَنَا و أشـاروا إلى النبـي صـلى الله عليـه وسلم و أصحابه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أنتم خالدون مخلّدون فيهـا لا نلحقكـم ولا نخلفكم.

وقيل قالوا: لا نُعذَّبُ إلا أياماً معدودةً ثم يشفعُ لنا أباؤنا الأنبياء فكذَّبهم الله. قيل إذا أُدخلـوا النّار ومضى الأجلُ الذي قالوا يقول لهم الخَزَنةُ قد مضى الأجل الـذي قلـتم فـأيقنوا بـالخلود وذلك أنهم قالوا إنّ بين طَرَفَي جهنّم مسيرةَ أربعين سنةً إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقُّوم نابتـاً في أصل الجحيم فإذا انتهوا إليها في أربعين سنة انقطع عذاب جهـنَّم ذكـر ابـن عبـاس [٢] ذلـك عنهم، و أن الخزنة تقول لهم ما ذكرنا.

وقال الخليل [٣] : لن أصلها لا أنْ فحُذِف لكثرة الاستعمال استخفافاً ،وقـال غـيره أصـلها لم حُولت الميم نوناً ونُصِبَ الفعل بعدها .

وقالوا :إذا أَكَلَت النار خطايانا نادى منادٍ أَخرِجوا كلَّ مَختونٍ من ولد إسرائيل فلذلك أُمِرنا أن نختتن فكذَّبهم الله عن السدي [٤] .

---

[١] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٧٣ و ١٧٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ١ / ١٥٦ (٨١٥) و أخرجه سـنيد في تفسيره كما في العجاب: صـ ١٠٦ .

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٧٢ – ١٧٣ من طريق العوفي عن ابن عباس و قد تقدّم تخريج خـبر ابـن عباس .

[٣] ينظر: الكتاب لسيبويه: ٣/ ٥ ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٤٤ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٤٠ و أسرار العربية: ١/ ٢٨٨ .

[٤] جامع البيان للطبري: ٢ / ١٧١ - ١٧٢.

وقوله ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ { أي بل تقولون على الله ما لا تعلمون } [١] ومعنى قوله : ﴿ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ أي أخذتم بها تقولون من الله ميثاقا فالله لا ينقض ميثاقَهُ أم تقولون على الله الباطلَ جهلاً منكُم وجُرأةً عليه.

و حقيقة المسّ الجمع بين الشيئين بنهاية القرب، ويكون بإحساس وبغير إحساس.

قوله : ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [آية:٨١] قال الله بلى أُعذِّبُ من كسب سيئة و أحاطت به خطيئته. قوله ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ شرطٌ وجوابه في الفاء من قوله : ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ﴾ والآية صيغتُها العموم في كلِّ من كسب سيئة لكنها مخصوصة بآي الوعد و أجمع المفسرون {أنها } [٢] ههنا الشرك [٣] .

واختلفوا في الخطيئة فذهب الأكثرون إلى أنه الشّرك ، وقال الحسن [٤] وقتادة [١] والربيع بن خُثَيم [٢] أنها الكبيرة من المعاصي دون الشرك. وهذا عندنا محمولٌ على من يأتيها مُستحِلًّا لها .

---

[١] ما بين المعكوفتين سقط من أصل النسخة : (ل) و ألحق في هامشها.

[٢] سقطت من الأصل.

[٣] و كذلك قال الواحدي: (إجماع أهل التفسير أنّ السيئة هنا الشرك)اهـ: الوسيط: ١/ ١٦٤. قلت: و ممن روي عنه ذلك من مفسري السلف أبو وائل، ومجاهد، و الحسن ،وقتادة، وعطاء، و الربيع، و غيرهم فسروها جميعا هنا بالشِّرك؛ و قال السدي: هي الذنوب التي وعد الله عليها النار. الطبري: ٢/ ١٧٩ - و ابن أبي حاتم: ١ / ١٥٨ و تفسير الماروردي: ١/ ١٥٣ و تفسير ابن كثير: ١/ ٣١٩ . وقد بين الطبري وجه تخصيص السيئة هنا بالشرك : ٢ / ١٨٠ .

[٤] في الطبري: ٢/ ١٨٤ عن الحسن من رواية سلام بن مسكين عنه: أنّ رجلا سأله فقال: (ما ندري ما الخطيئة يا بنيّ، اتل القرآن فكل آية و عد الله عليها النار فهي الخطيئة). و علّقه ابن أبي حاتم قائلا وروي عن الحسن من

السيئة فَيْعِلَةٌ من السُّوء في قياس قول الخليل وفعِيلةٌ في قياس قول الفـراء [٣]؛ و الخطيئـة فعيلـة مـن خطأ. قرأ نافع: (خطيآتُه) على الجمع [٤]، وقرأ أهل العراق على التوحيد واختاره أبو عبيد [٥] وأبو حاتم [٦] لأنها في التفسير الشرك.

و الإحاطة الإحداق بالشيء من جميع نواحيه [٧]، و الآية في اليهود، وقيل إنهـا عامـة في جميـع الكفار.

رواية سلام بن مسكين نحو ذلك -يعني نحو قول من فسرها بالكبيرة الموجبة - و لم يـذكر لفظـه١/ ١٥٩ بعـد الأثر: (٨٢٩). و نقله بهذا اللفظ الثعلبي: ١/ ٢٢٧ و ابن عطية: ١/ ١٧١ وغيرهما

(١) تفسير عبد الرزاق: ١ / ٥١ وجامع البيان للطبري: ٢ / ١٨٣ و ١٨٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٥٩ معلقا عقب الأثر(٨٢٩).

(٢) لفظه عند الطبري: ٢/ ١٨٣ (فمات عليها) و ليس فيه لفظ الكبـيرة و لفظـه عنـد أبـن أبي حـاتم: ١/ ١٥٨ (٨٢٨) مثله فإنه قال(قال الذي يموت على خطاياه من قبل أن يتوب)اهـ. و هو بهذا اللفظ عنـد الثعلبـي: ١/ ٢٢٧ و ابن كثير: ١/ ٣١٩

(٣)الكتاب لسيبويه ٤/ ٣٦٥ ، والمقتضب للمبرد ١/ ١٢٥ ، واللسان ١/ ٩٧ مادة : سـوأ . و البـسيط: ١/ ٢١٣ ،وإملاء ما من به الرحمن: ١/ ٤٦ و البحر: ١/ ٢٧١ و الدر المصون: ١/ ٢٧٤ .

(٤) قرأ أهل المدينة منهم نافع خطيآته بـالجمع و قـرأ البـاقون بـالإفراد: الـسبعة: صــ ١٦٢ و معـاني القـراءات للأزهري: صـ ٥٤ و الروضة لأبي علي: ٢ صـ٥٣٧ و غايـة الاختـصار: ٢/ ٤١١ و النـشر: ٢/ ٢١٨ وينظـر: تفسير الثعلبي: ١/ ٢٢٦ والوسيط: ١/ ١٦٥ .

(٥) تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٢٦ .

(٦) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٢٦ .

(٧) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٢٦ و زاد المسير: ١/ ١٠٨ .

قال الكسائي [١] : ﴿بَلَىٰ﴾ جواب لِما تقدَّمه جحد فإذا كان غير جحدٍ فجوابه نعم تقـول في الجحد ألستَ فَعلـتَ كـذا فتقـولُ بـلى وفي الكتـاب ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الملك:٨، ٩] و قـال : ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعـراف:١٧٢] وفي غـيرِ الجحـد تقول أفَعلتَ كذا فتقـول نعـم وفي الكتـاب ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡ﴾ (٢) [الأعـراف:٤٤] وقــال : ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ۝١٦ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ۝١٧ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ﴾ [الصافات:١٦، ١٧، ١٨] وفي هذا الموضع قـد تقدمـهُ جحـدٌ وهـو قوله : ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾. و ﴿بَلَى﴾ في الأصل (بـل) زِيـدَت فيهـا اليـاء ليـصحَّ عليهـا الوقوف في قول ابن جرير [٣] و بعـض البـصريين لايُجـوِّز ذلـك لأنـه لا يحكـم عـلى الحـرف بالزيادة إلا بعد تمام ثلاثة أحرف في أصله، ولأنَّ ﴿بَلَى﴾ يقوم مقامَ الخبر ويدل على الجواب، فله معنىً منفردٌ به عن معنى ((بل)) فعُلِمَ أنهما شيئانِ مختلفان .

قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآيـة:٨٢] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صدّقوا بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قيل الطاعات .

---

(١) معاني القرآن للفراء: ١/ ٤٧ وجامع البيان للطبري: ٢ / ١٧٩ و لسان العرب: (مادة : بـلا) ١٤ / ٨٨ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٤١ تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٢٦ وفيه كـلام الكسائي والمحـرر: ١/ ١٧١ و البحر: ١/ ٢٧٩ و الدر: المصون: ١/ ٢٧٣ .

(٢) في الأصل: (هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم) سقطت الفاء.

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ١٧٩ و قد سبقه إليـه الفـراء: ١/ ٤٨ و نـسبه ابـن النحـاس و غـيره إلى الكوفيين: إعراب القرآن: ١/ ٢٤١ و الدر المصون: ١/ ٢٧٤ .

وقيل ما فرض الله عليهم من امتثال ما أُمِرُوا به، والانتهاء عما نُهوا عنه ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ (١) هم فيها خالدون مخلّدون لا يخرُجون.

وفي الآية دليلٌ على أنّ صاحب الكبيرة مع الإيمان لا يُخلَّدُ في النار (٢) وأنّ الفاسق مؤمنٌ لأنّه مُصدِّق و إذا صام وصلى وحج وزكّى فقد عمل الصالحات وكبيرته لا تُحبِطُ طاعته، لأنّ الله تعالى قال بخلافه فقال: ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود: ١١٤] ولم يقل السيئات يذهبن الصالحات.

قوله ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الآية: ٨٣] قرئ: (لا تعبدون إلا الله) بالتّاء (٣)، و قرئ (لا يعبدون) بالياء فمن قرأ بالياء فلأنهم غُيَّبٌ أُخبر عنهم ومن قرأ بالتاء فلأنهم كانوا مُخاطَبين و الياء قراءة ابن كثير وحمزة و الكسائي وقراءة الباقين بالتاء ، وقرئ (وقولوا للناس حُسْناً) وقرئ (حَسَناً) (٤) .

---

(١) كان في الأصل:(فأولئك ...).

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ١٨١ – ١٨٢ و التفسير الكبير للرازي: ٣ / ١٣٣ – ١٤٨ و ينظر: البسيط: ١/ ٢١٧ .

(٣) قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائي و الأعمش بالياء التحتية و قرأ الباقون بالتاء الفوقية:
السبعة: ص١٦٢ و معاني القرآت للأزهري: صـ ٥٤ و الروضة لأبي علي: ٢/ ٥٣٧ و الإقناع لابن الباذش: ٢/ ٥٩٩ والنشر: ١/ ٢١٨ .

(٤) قرأ حمزة و الكسائي و خلف في اختياره و الأعمش و يعقوب يعني أهل الكوفة إلا عاصما: حَسَناً بفتح الحاء و السين و الباقون: حُسْنا بضم الحاء و سكون السين: الغاية في القراءات العشر: ص١٨٠ والروضة لأبي علي: ٢/ ٥٣٧ ومعاني القراءات للأزهري: صـ ٥٤ و النشر: ٢/ ٢١٨ و الاتحاف: ١٤٠.

و قرئ في الشواذ (حُسْنَى) [١] مُرسلةً قال أبو حاتم: وهو ضعيف لأن الصفات على الأفعل والفُعلى قلّما تُستعملُ بغير ألفٍ [٢]، قال أبو عبيدة: لو كان كذلك لكُتِبت بالياء [٣].

وقرأ عاصم الجحدري [٤] (وقولوا للناس إحسانا) بالألف، وذكر أبو حاتم عن عيسى [٥] (وقولوا للناس حُسُناً).

قال أبو عبيد عن الكسائي ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ [١] إنما ارتفع لأنّ معناه أخذنا ميثاق بني إسرائيل أن لا تعبدوا إلا الله فلما أُلقي أنْ رُفعَ، ومثلهُ قوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا

---

[١] معاني القرآن للأخفش: صـ٩٨ و جامع البيان للطبري: ٢ / ١٩٤ ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٤٦ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٤١ و تفسير الثعلبي: ١/ ٢٢٨ والبحر: ١/ ٢٤٨ ونسبها الثعلبي و أبو حيان إلى أبي بن كعب و طلحة بن مصرِّف؛ و هي على وزن فعلى عندهم جميعا ووقع في الأصل المخطوط : حسنَ و هو خطأ.

[٢] يعني غير ألف و لام، فلا يقال : جاءني أحسن و أطول و لكن يقال الأحسن و الأطول و كذلك هنا هذا قول الأخفش: صـ٩٨ و نحوه قال الزجاج: ١ / ١٤٦ و سيبويه كما يقول ابن النحاس: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٤١ . وقال الطبري : ٢/ ١٩٦ :(العرب لا تكاد تتكلم بـــ ((فعلى)) و ((أفعل)) إلا بالألف و اللام أو الإضافة لا تقول جاءني أحسن حتى يقولوا الأحسن) اهـــ . وقال ابن عطية : (رده سيبويه لأنّ أفعل و فُعْلى لا تجيء إلا معرفة إلا أنْ يُزال عنها معنى التفضيل و تبقى مصدراً كالعُقْبى ، فذلك جائز ، وهو وجه القراءة بها)اهـ. المحرر: ١/ ١٧٢ – ١٧٣ و نقله عنه أبو حيان: ١/ ٢٨٥ وناقشه بما يطول فينظر فيه، و لكن أبا حيان لم يذكر كلام الأخفش والزجاج و ابن النحاس و ذكر السّمين الحلبي كلام ابن النحاس ثم نقل عن أبي حيان شيخه ما أحلت إليه سابقا .

[٣] لم أجده في مجاز القرآن لأبي عبيدة .

[٤] تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٢٨ و البحر: ١/ ٢٨٥ .

[٥] عيس بن عمر و قراءته : (حُسُناً) بضمتين : إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٤١ و البحر: ١/ ٢٨٤ .

تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ ﴾ [آية:٨٤] وقوله : ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ ﴾ [الزمر:٦٤]

يريد أن أعبد و أنشد [٢] :

ألا أيهذا الزّاجِري أَحضُرُ الوغى

يُنشَدُ أحضُر على ما فسّر و أَحضُرَ بالنّصب [٣] بإضمار أنْ .

وقال بعض البصريين إنّما ارتفع (تعبدون) على الحكاية كأنه قال: استحْلَفْناهم وقلنا لهم والله لا تعبدونَ، عن الزجاج [٤] و الأخفش [٥] و المبرد [٦] والفراء [٧] .

وقال قُطرب [٨] :هو في موضع النّصب على الحال كأنه قال غير عابدينَ إلا الله، وقال الفراء: إنه في موضع الجزم على النهي إلا أنه خرج مخرج الخبر كقوله : ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ ﴾ [البقرة:٢٣٣] بالرفع ومعناه النهي. وقال الأخفش [٩] : ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ

---

[١] تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٢٧ . و ينظر في توجيه الرفع في ﴿لَا تَعۡبُدُونَ﴾ و في أوجه إعرابها: معاني القرآن للفراء: ١/ ٤٨ ومعاني القرآن للأخفش: ص٩٧ و جامع البيان للطبري: ٢ / ١٨٩ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٤٥ و المحرر: ١/ ١٧٢ والبحر: ١/ ٢٨٢ و الدر المصون: ١/ ٢٧٥ .

[٢] شطر بيت لطرفة: و بعده: و أن أشهد اللذّاتِ هل أنتَ مخلدِي: ديوان طرفة: صـ ٣١ و هو في كثير من المصادر منها: معاني القرآن للأخفش: صـ٩٨ و جامع البيان للطبري: ٢ / ١٨٩ و البحر: ١/ ٢٨٣ .

[٣] في النسخة : (ل) : كتبت أحضروا .و هو خطأ صححته من المصادر.

[٤] جوز الزجاج كلا الوجهين المتقدمين: ١/ ١٤٥ .

[٥] معاني القرآن له: صـ ٩٧ .

[٦] ينظر: البحر: ١/ ٢٨٢ .

[٧] معاني القرآن للفراء: ١/ ٤٨.

[٨] التفسير الكبير للرازي: ٣ / ١٥٠ و البحر: ١/ ٢٨٢ .

[٩] معاني القرآن: صـ ٩٩ .

بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ أخبرَ ثم خاطبهم فقال: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا ﴾ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ و مثله في القرآن ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾ [يونس:٢٢] وقال ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢] ثم قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ [الفاتحة:٥].

قال ابن عباس [١] - في رواية الكلبي -: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ في التوراة بمجيء موسى إليهم ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانًا﴾ يعني برّاً بهما و عطفاً عليهما ، ﴿وَذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ يعني صلة القرابة، ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ يعني و الرحمة باليتامى ، ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ يعني الصدقة على الفقير و المسكين.

﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا﴾ يعني حقاً و صدقاً في أمر محمد ﷺ و نعته[٢]، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾ أي أعرضتُم عن العمل به إلا القليل كان منكم عملتموه مع الآباء، و أنتم عنه اليوم ﴿مُّعۡرِضُونَ﴾ يعني تاركين ما أُخذَ عليكم من المواثيق ، وقيل قولوا للناس كلهم حُسناً من القول ، و قيل النّاس ها هنا محمد صلى الله عليه وسلم [٣] كقوله : ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء:٥٤] .

وقال أبو عبيدة (٤): ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾ أعرضتم و نقضتم العهد ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمۡ﴾ عبد الله بن سلاَم و من أسلم منهم.

---

(١) لم أجده و في تفسير مقاتل بن سليمان نحوه: ١/ ٦٠ .

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ١٩٧ و الوسيط: ١ / ١٦٦ .

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ١٩٧ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١١٤٦ و الوسيط: ١ / ١٦٦ .

(٤) ليس في مجاز القرآن المطبوع.

قال الكسائي: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ جعله أمراً كأنه يقول وبالوالدين أحسنوا إحسانا. وقال ابن جرير [١]: معناه أخذنا ميثاقهم بأن لا تعبدوا إلا الله و بأن تحسنوا إلى الوالدين إحساناً .

{وهذا ليس بظاهر لأنه كان من حقّه أن يقول و أحسنوا إلى الوالدين إحساناً لأنه يقال أحسنتُ إليه و لا يقال أحسنت به}. [٢]

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ١٩١ .

[٢] ما بين المعكوفتين من كلام المصنف يبدو أنه سقطت قبله جملة يصح بها المعنى و يتبيَّن ذلك من التدقيق في كلامه، و في كلام الطبري، هذا إنْ لم يكن في كلام المصنف وهما. ففي تفسير الطبري بعد أنْ ذَكَرَ ما حكاه المصنِّف هنا عنه: (....وقالَ آخرون: بلْ معنى ذلك أنْ لا تعبدوا إلا الله وأحسِنوا بالوالدين إحسانا.فزعموا أنّ الباء التي في الوالدين مِنْ صلةِ المحذوف، أعني من (أحسنوا) فجعلوا ذلك من كلامين ..... و أحرى أنّ القول في ذلكَ لوْ كانَ على ما قالُوا لقيل: وإلى الوالدين إحسانا لأنه إنما يقال أحسن فلان إلى والديه ولا يقالُ أحسنَ بوالديه إلا على استكراهٍ للكلام)اهـ. ٢/ ١٩١ – ١٩٢ فقد ردّ الطبري التقدير الذي ضعفه المصنف، و بينّ أنه لا يقال أحسن بوالديه إلا على استكراهٍ، و به يتبين مراد المصنف و أنّ الذي ليس بظاهرٍ، هو التقدير الذي حكاه الطبري عن قوم و ضعّفه فيما نقلته عنه، و أما التقدير الأول الذي حكاه المصنف عن الطبري فلا يَرِد عليه الرد الذي حكاه المصنف.

هذا مع أنّ الراجح جواز: أحسنتُ إليه و أحسنتُ به فكلا الاستعمالين جائز لغة قال تعالى: (وقد أَحسَنَ بي إِذ أَخرَجَني من السِّجن) ؛ أَي قد أَحسن إِلَيّ كما في لسان العرب: (حسن) و كما بينه الواحدي و أبو حيان و السمين الحلبي وغيرهم، و الطبري إمام في اللغة و كلامه دالٌّ على كثرة الاستعمال الأول و هو أحسن إليه، بدلا من أحسن به. و قد اختار أبو حيان أنْ يكون التقدير:

(و أحسنوا بالوالدين إحسانا) و تكون الباء متعلقة بإحسان و هو مصدر موضوعٌ موضعَ فعل الأمر. و ينظر في تفصيل ذلك: الوسيط للواحدي : ١/ ١٦٦ و المحرّر: ١/ ١٧٢ و إملاء ما من به الرحمن: ١/ ٤٧ و الفريد للمنتجب الهمداني: ١/ ٣٢٤ والتفسير الكبير للرازي: ٣/ ١٥٠ والبحر: ١/ ٢٨٣- ٢٨٤ و الدر المصون: ١/ ٢٦٧ – ٢٧٧

و من قرأ (حَسَناً) بنصب الحاء فإما أن يكون الحُسْنُ و الحَسَنُ واحداً كالبُخْلِ و البَخَلِ والرُشْدِ و الرَشَدِ ، و إما إنه جَعَل الحَسَنَ حُسناً في التشبيه كما يقال إنما أنتَ أكلٌ و شُربٌ (١). قوله: ﴿ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يعني و بذي القربى أن يصلوا قرابتهم ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ أي وباليتامى أن يتعطَّفوا عليهم بالرأفة و الرحمة و(بالمساكين)أن يؤتوهم حقوقهم أي أخذنا ميثاقكم ، وأنْ لا تعبدوا إلا الله وبأن تُحسنوا إلى الوالدين و بذي القربى أن تصلوا رحمهم.﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ مصدر على تقدير فُعْلَى ،و المسكين المُتَخَشِّعُ المُتَذَلِّلُ من الفاقة.

وقوله : ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قيل عَامٌّ في المسلم و الكافر كقوله: ﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] عن عطاء (٢) . وقال ابن عباسٍ (٣) و قتادة (٤) نَسَخَتْ هذه الآيَةَ آيةُ السيف (٥) .

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ١٩٤ – ١٩٥ ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٤٦ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٤١ – ٢٤٢ و تفسير الثعلبي: ١/ ٢٢٨ و المحرر: ١ / ١٧٢ والبحر: ١/ ٢٤٨.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ١٩٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٦١ (٨٤٤) .

(٣) ذكره الجصّاص في أحكام القرآن: ١/ ٤٧ بلا سند ، و نقله أيضا أبو نصر عبد الرحيم ابن المصنف في التيسير:(ورقة: ٤٧) و قال بعده : (و هذا بعيدٌ)اهـ.

و حكاه القرطبي :٢/ ١٧ عن ابن مصنف هذا الكتاب فقال: (وحكاه أبو نَصْر عبد الرحيم عن ابن عبّاس، قال ابن عباس: نَزَلَتْ هذه الآية في الابتداء ثم نسختها آية السيف)اهـ.

(٤) الناسخ و المنسوخ لابن النحاس: صـ ١٠٣ و أحكام القرآن للجصاص ١/ ٤٧ و المحرر: ١/ ١٧٣ و تفسير القرطبي: ٢ / ١٧.

(٥) قال ابن عطية: (وهذا على أنّ هذه الأمة خوطبت بمثل هذا اللفظ في صدر الإسلام وأما الخبر عن بني إسرائيل وما أمروا به فلا نسخ فيه)اهـ . المحرر: ١/ ١٧٣ و نقله القرطبي مقرَّاً و هو بيّن. و قد فصل فيه ابن الجوزي : زاد المسير: ١/ ١١٠ .قلت: و حتى على القول بأنّ هذه الأمّة خوطبت به –مع ضعفه- فيبعد نسخُه جدّاً لأنّ تحسين القول للناس لا يتعارض مع الجهاد في سبيل الله بل يستعمل كلٌّ في موطنه و

ونُصِبَ قليلاً بإلاَّ [لأنه] (١) أُستُثنِي من واجبٍ وكلُّ مُستثنى من واجب بإلاَّ فهو منصوب ، واختلفوا في علته فطائفة شبَّهوه بالمفعول به ، وطائفة شبهوه بالتمييز والتفسير كما تقولُ عشرونَ درهماً تنصِبُهُ على التمييز و التفسير كذلك ها هنا إذا قلتَ جاءني القوم و أنت تُريد أنْ تنفي المجيء عن أحدٍ لم يُدْرَ من المنفي عنه حتى تستَثنِيَهُ فإذا قلتَ إلا زيداً أخرجتهُ كالمُفسِّرِ لَهُ .

قال الحسن (٢) : ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا﴾ أَمَرهُمْ أنْ يأمروا الناس بما أمرهم الله به وينهوهم عما نُهُوا عنه.

وقيل ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾ أنتم يا معشر اليهود معَ أوائلكم عن هذا الميثاق إلا قليلاً منكم ممن كان على دينه ثابتاً ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلَام و أصحابه والنَّجاشي وأصحابه ومن أسلم من اليهود و النصارى. وقيل ﴿وَإِذۡ﴾ مُعطَّلٌ من المعنى لأنه زائدٌ والعرب تزيدُ (إذْ)و (إذا) في أوائل الكلام ولا يكون له معنى كما قال (٣):

السنة النبوية و أحداث السيرة قد دلّتا على هذا بما يطولُ شرحه ففيها إحسان النبي صلَّى الله عليه وسلَّم القول مع جماعة من الكفار من المؤلفة قلوبهم و غيرهم ...وقال ابن الجوزي : رادّاً على القول بالنسخ (فيه بعدٌ لأنٌ لفظ الناس عام فتخصيصه بالكفار يحتاج إلى دليل)اهـ. المصفى من علم الناسخ والمنسوخ – ابن الجوزي :١/ ص١٥ و تقدم استبعاده في الحاشية قريبا عن أبي نَصْر ابن القُشَيريّ، و ممّنْ رجّح عَدَمَ النّسخ: ابن النحاس: ص ١٠٣ والرازي : التفسير الكبير للرازي : ٣/ ١٥١ و هو الذي يدل عليه تصرُّف الطبري فلم يذكر القول بالنسخ و كذلك الثعلبي و البغوي والسمعاني وابن كثير و غيرهم .

(١) سقطت من الأصل.

(٢) ابن أبي حاتم: ١ / ١٦١ (٨٤٢) و تفسير ابن كثير: ١/ ٣٢١ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) البيت في : ديوان الهذليين : ٢ / ٤٢ وجامع البيان للطبري: ١ / ٤٦٧ و لسان العرب: في مادة : (شرد) و مادة (قتد) والإنصاف في مسائل الخلاف : ٢/ ٤٦١ و معجم ما استعجم: ٣ / ١٠٤٨ وتاج العروس: (شرد) منسوبا فيها جميعا لعبد مناف بن رِبعٍ الهذلي.

حتى إذا سَلَكُوكُم في قُتَائِدَةٍ [١] شَلاًّ كما تُطْرَدُ الجَمّالَةُ الشُّرُدَا [٢]

وكما قال الآخر [٣] :

فإِذَا وَ ذَلِكَ لا مَهاة [٤] لِذِكرِهِ والدَّهرُ يُعقِبُ صَالِحاً بِفَسَادِ

وقد مضى الكلام في أنّ المختار أنْ لا يُقال أنّه صلة و أن الذِّكرَ مضمَرٌ فيه و في أمثاله [٥] . قوله : ﴿ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾ [آية: ٨٤] رُفِع ﴿ تَسْفِكُونَ ﴾ بانتزاع أنْ، وفيه الوجوهُ التي ذكرناها في قوله : ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [٦] ويكون مرفوعاً على الخبر يقول: أنتم هؤلاء الذين تفعلون كذا وكذا . و الأنفس جمع نفسٍ.

---

[١] ثَنِيَّةٌ معروفة وقيل اسم عَقَبة كما في لسان العرب: (قتد) و في معجم ما استعجم: جبل : ٣/ ١٠٤٨ وفيه أنّ الرواية بلا اختلاف بين الرواة بضم القاف في البيت.

[٢] شلّا يعني طردا : ينظر: (شلّ) في لسان العرب وتاج العروس ، الجَمّالة:أصحاب الجمال: (جمل) من لسان العرب .الشَّرَدا و يروى : الشُّرُدا : جمع شَرود من شَرَدَ إذا ذهب على وجهه.(شرد)من لسان العرب و من تاج العروس .

[٣] البيت للأسود بن يعفر من قصيدة : في المفضليات : صـ ٢٢٠ و شرحها للتبريزي : ٢/ ٨٠٨ و هو في جامع البيان للطبري: ١/ ٤٦٦ و لسان العرب: (م هـ هـ) و تفسير القرطبي: ١/ ٣١٢ .

[٤] في المصادر الأخرى: مَهَاه بالهاء بلا نقط فوقها : قال التبريزي في شرحه على المفضليات: ٢/ ٨٠٨ : لا مهاه : لا بقاء . و في لسان العرب: (المَهَهُ والمَهَاهُ الشيءُ الحقيرُ اليسيرُ وقيل المَهاهُ النَّضارةُ والحُسْنُ)اهـ. (مهه).

[٥] مضى الكلام على ذلك في أول هذه السورة عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [آية: ٣٠].ص:٥٣٨ و فيه الرد على أبي عبيدة في تجويزه ذلك.

[٦] ينظر: الآية: ٨٣ من هذه السورة ص: ٧٥٥.

وقوله: ﴿ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم﴾ [آية:٨٥] يريد تعاونون و الظَّهيرُ العَونُ سُمّي به لاستناد ظهره إلى ظهر صاحبه [١] ومنهُ قوله : ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤] .فمن ثَقَّلَ الظّاء أراد تتظاهرون ثم أدغم التاء في الظاء كقوله ﴿ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة:٣٨] ومن خفَّف الظاء فإنه حَذَف تاء التفاعل و أبقى تاء الخطاب كقوله : ﴿ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ [الصافات:٢٥] و ﴿ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [هود:١٠٥] [٢]. وقوله: ﴿وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾ (٣) أي لا يُخرج بعضكم بعضاً كقوله : ﴿ فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾ [النور:٦١] أي فليُسلّم بعضكم على بعضٍ . وسفك الدماء: إراقتها وصبُّها . و القومُ ما كانوا يقتلون أنفسهم، ولكنه أراد لا تقتلوا أهلَ ملّتكم فيكون قتلكم لهم كقتلكم لأنفسكم، لأنّ أهلَ المِلّة الواحدة كالنّفس الواحدة، [٤] وفي الحديث عن النبي صلى

---

[١] جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٠٦ .

[٢] قرأ الكوفيون – عاصم و حمزة و الكسائي – بالتخفيف: (تَظَاهرون) و قرأ الباقون : (تظّاهرون) بالتشديد و ينظر في هاتين القراءتين و في توجيههما: جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٠٩ و السبعة: صـ ١٦٣ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٤٨ و معاني القرآن للنحاس: ١/ ٢٤٣ – ٢٤٤ وتفسير الثّعلبي: ١/ ٢٢٩ – ٢٣٠ و النشر: ٢/ ٢١٨ .

(٣) في الأصل:﴿لَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم﴾.

[٤] و هكذا ذكر الطبري و استدل بهذا الحديث الآتي: ٢/ ٢٠١ .

الله عليه وسلم (إنما المؤمنون في تراحمهم و تعاطفهم بينهم بمنزلة الجسد الواحد إذا اشتكى منه عُضوٌ تَداعى سائرُ الجسد بالحمّى و السّهَر) [١] .

ويحتمل أن يكون معناه: ولا تقتلوا الناس فَيُقادُ منكم فيكون كأنكم قتلتم أنفسكم [٢] وقرئ: (أسرى) و (أُسارى) [٣] وليس بينهما فرق مثل: كُسَالى وكَسْلى و سُكَارى وسَكْرى وقد اختار بعضهم [٤] قراءة (أسرى) لأن فعيلاً يُجمعُ على فَعْلى مثل كثير و كَثْرى و مريض و مرْضى و جريح و جرحى، و فُعَالى جمع فَعِيل ليس بمستفيضٍ في كلامهم ، وفرَّق بعضهم [٥] بينهما فقال ما صار في أيديهم بأسرهم فهم أُسارى و ما جاء مُستأسِراً فهو أَسرى.

وقال أبو عمرو [١] : الأُسارى الذين في وَثَاق، و الأسرى الذين في اليد، و إن لم يكونوا في وَثاق . وقوله : ﴿تُفَدُوهُمْ﴾ أي تُنْقِذونَهُم بفديةٍ أو غيرها، و تُفادونهم أي تبادِلون الأُسَراء

---

[١] ذكره المصنف نقلا من الطبري بحروفه و الطبري ذكره مستدلا بها لهذا المعنى بلا سند و هو حديث متفق عليه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: أخرجه البخاري: في كتاب الأدب : باب رحمة الناس و البهائم: (ح ٥٦٦٥) و مسلم : (ح ٢٥٨٦) باب : تراحم المؤمنين و تعاطفهم و تعاضدهم.

[٢] جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٠١ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٢٩ .

[٣] قراءة حمزة وحده (أسرى) بغير ألف على وزن فعلى و قرأ ابن كثير و ابن عامر و أبو عمرو و نافع و عاصم و أبو جعفر و يعقوب: (أُسارى) ينظر فيها و في توجيهها: جامع البيان للطبري: ٢ / ٢١٣ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٤٨ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٤٤ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٣٠ و الكشف لمكي: ١/ ٢٥٢ و الوسيط: ١/ ١٦٨ و الحجة لأبي زرعة: صـ ١٠٤ و النشر: ٢/ ٢١٨ . و سيذكر المصنف القراءة صـ ٧٦٨ و ذكرها هنا أليق.

[٤] هو اختيار الطبري: ٢/ ٢١٣ – ٢١٤ و هذه حجته و قد بسط القول فيها، و رجحه الزجاج بإيجاز: ١/ ١٤٨ .

[٥] روي ذلك عن أبي عمرو : تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٣٠ و الكشف لمكي: ١/ ٢٥٢ وذكره الطبري ولم ينسبه: ٢/ ٢١٣ و ردّه.

الذين معهم بالذين معكم فإما أن يعطيَه أسيراً بدله أو شيئاً مثلَه بدله مما يُفادى به يقال فاديتهُ مُفادةً و فِداءً ، قال الله تعالى : ﴿وإمّا فِداءً ﴾ [محمد:آية: ٤].

قوله : ﴿ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ {إخراجهم إنْ شئتَ جعلتَ هو كناية عن الإخراج يريد إخراجهم محرم عليكم} (٢) ثم أعاد الإخراج تكريراً على هو لمّا حال بين الإخراج وبين هو كلام عن الزجاج (٣) و الفراء (٤) جميعاً ، و إنْ شئتَ جعلتَ هو عَماداً يُسمّيه البصريون فصلاً و رَفَعتَ الإخراج بمحرَّم كقوله: ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة:٩٦] التعمير (٥) .

وقوله : ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ﴾ في محلِّ النصب معناه و إن يأتوكم مأسُورينَ (٦) .

قوله ﴿تُفَـٰدُوهُم﴾ (٧) جواب الشرط .

---

(١) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٣٠ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٥٥ و لا يثبت الفرق بينهما لغة كما بين الطبري: ٢/ ٢١٣ و قال الثعلبي: (لم يفرق بينهما أحد من العلماء الأثبات إلا أبو عمرو)اهـ..

(٢) سقط من الأصل في النسخة : (ل) : واستدركه الناسخ في الحاشية مختوما بعلامة صحَّ.

(٣) ذكر الزجاج الوجهين: ١/ ١٤٩ .

(٤) معاني القرآن: ١/ ٤٦ و فيه أيضا هذا الوجه و الذي يليه.

(٥) في القول الأخير تنازع بين النحاة؛ و البصريون لا يجيزونه لأنّ هو لا تكون في أول الكلام عمادا وبهذا رد ابن النحاس على الفراء: إعراب القرآن: ١/ ٢٤٥ ،و الفراء قد احتج لجوازه بأنّ الواو هنا تطلب الاسم و كل موضع تطلب فيه الاسم فالعماد فيه جائزٌ، و لكن ردّوه عليه : البحر: ١/ ٢٩٢.ويجوز أن يعرب (هو) ضميرا للقصّة و الشأن . و ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٤٦ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٢١٤ – ٣١٥ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٤٥ و المحرر: ١/ ١٧٥ والفريد: ١/ ٣٢٩ و البحر: ١/ ٢٩٢ .

(٦) الفريد: ١/ ٣٢٨ .

(٧) ستأتي القراءات في ﴿ تُفَـٰدُوهُم ﴾ فقد ذكرها المصنف قريبا.

وقوله ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ يعني فداء الأسير ،﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ في قتلهم وإخراجهم و مُظاهَرة [١] العدوّ عليهم، ومعنى الآية و تأويلها:- أنّ الله تعالى قال: قد كتبتُ [٢] على بني إسرائيل أنْ لا يقتلُ بعضُهم بعضاً، ولا يخرجوهم من ديارهم ولا يظاهروا عليهم عدواً و إنْ أُسِرَ فيهم أسير افتدوه بمالهم فأعرضوا عن كلِّ ما أُخذ عليهم إلا افتداء الأسير فَعيَّرهم بصنيعهم فقال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.

﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ﴾ استفهامٌ في معنى توبيخٍ [٣].

﴿إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وهي الذِّلّة فكان خِزيُ النَّضِير الجَلاءُ من ديارهم وخِزيُ قُريظةَ القتلُ و السبيُ، وقيل كان خِزيُهُم إيجابُ القصاص عليهم، وقيلَ ضربُ الجزية عليهم [٤] .

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ نَصبٌ على الظّرف من الزمان . و ﴿يُرَدُّون﴾ مجموعٌ على معنى مَنْ لأنّ مَنْ يعبَّر به عن الواحد و الاثنين و الجمع و المذكَّر و المؤنَّث ، قال الله : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس:٤٢] [٥].

---

[١] في النسخة : (ل) : مُظاهرتهم .

[٢] في النسخة : (ل) : كنت.

[٣] الوسيط: ١/ ١٧١ و المحرر: ١/ ١٧٥ .

[٤] جامع البيان للطبري: ٢ / ٢١٦ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٣١ و الوسيط: ١/ ١٧٠ و المحرر: ١/ ١٧٥ .

[٥] البحر: ١/ ٢٩٤ .

وفي ﴿أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [١] قولان: أحدُهما: أنه عـذاب لا رَوْحَ [٢] فيـه تتـصلُ أجـزاؤهُ لا يتخلَّلُها فُرَجٌ.

و الثاني: أنه عذاب أشدُّ من عذابِ الدنيا بتضعيف الألم فيه .

وقوله: ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ [آية:٨٤] بالعهد و العمـل بـه يومئـذ يُخاطـبُ سـبحانه أوائلهـم ثـم خاطب الحاضرين منهم فقال : وأنتم الآن تشهدون على وجوب ذلك عليكم.

وقيل و﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ يُريدُ به سَلَفهم ومعناه: و أنتم تشهدون ، وقد مـضى فـيما قبـل أنهُ يُخاطب الحاضرين و يُريدُ سلفهم كقوله: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ﴾ و إنما أراد به من مضى منهم [٣] .

وقيل كان بين الأَوْس و الخَزرج قتالٌ وكانت قُرَيظةُ حلفاءَ الأوس و النَّضيرُ حلفـاءُ الخـزرج فكـان قريظة تقاتل الخزرج والنضير تقاتلُ أوساً وقريظة فإذا أُسِرَ واحدٌ مـن قريظـة أو مـن النـضير فَـادَاهُ النَّضير و قريظة، فعيَّرتهم العرب، و قالوا كيف تقاتلونهم و تُفـادونهم قـالوا لا نـدعُ إخواننـا في ذلِّ الأسر فعيَّرهم الله بذلك حيث طَلَبوا دِماءَ قتلاهم مُعاونةً لعبدة الأصنام ثم اسـتفدوا أُسرائهـم مـن رِقِّ الأسر [٤] .

---

[١] ينظر: الوسيط: ١/ ١٧٠ و التفسير الكبير: ٣/ ١٥٩ و البحر: ١/ ٢٩٤ .

[٢] الرَّوح: الاستراحة و الراحة: ينظر:(روح) من مختار الصحاح و من لسان العرب.

[٣] كان الأولى أنْ يكون تفسيرُ هذه الآية في موضعها سابقا (في الآيـة رقـم : ٨٤) لا عنـد الانتهـاء مـن تفسير : (الآية : ٨٥) . و ينظر فيما ذكره المصنف : جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٠٤ و المحـرر: ١/ ١٧٤ و التفسير الكبير للرازي: ٣/ ١٥٦

[٤] سيرة ابن هشام: ١/ ٥٤٠ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٠٧ – ٢٠٩ و ابـن أبي حـاتم: ١ / ١٦٣ – ١٦٦ و الثعلبي: ١/ ٢٣١ .

و بَّخَهُم أيضاً بإخراجهم أخوانهم من ديارهم و قـتلهم وإبقـائهم في يـد العـدو فكيـف يـستحلون قتلهم و إخراجهم و يستحرِمُون تركَهم في يد العدوِّ، وكل واحد من ذلك محـرَّم مثـلُ صـاحبه .وفي الآية دليل على صحة القياس و إثبات النظر و الجمع بين الشيء و نظيره بمعنىً جامع.

و قوله : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني بالفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أي بالقتل و الإخراج من الدُّور. والعدوان مصدر عَدَا فُلان في كذا يَعدُو عدْواً و عُدواناً إذا تجاوز الحدَّ فيه.

و الحرام هو الممنوعُ منه بالنهي عنه و نقيضه الحلال وهو المطلق فيه بالإباحة له ، والجزاء المقابلة على الخير أو الشرِّ بالثواب و العقاب. و الفداء البدل من الشيء بما فيه صيانةٌ له.

قرأ حمزة و عاصم و الكسائي (تَظَاهَرون)خفيفةً و القُراء الباقون بالتشديد[١]، و قرأ ابن كثير وابن عامر و أبو عمرو (أُسَارَى تَفدُوهُمْ) ، و قرأ نافع و عاصم و الكسائي: ﴿ أُسَرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾، و قرأ حمزة: (أَسرى تَفدُوهُمْ) [٢] .

وقرأ ابن كثير و نافع و عاصم في رواية أبي بكر: (وما الله بغافلٍ عما يعملون) بالياء [٣]، وقرأ الباقون بالتاء [٤] .

قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الآيـة: ٨٦] يعنـي أولئـك الـذين جـرى ذكرهم بأنهم آمَنُوا بـبعض الكتـاب و كَفَـروا بـبعض هـم ﴿ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ﴾ أي استبدلوا الدّنيا بالآخرة و رَضوا بالحياة الـدنيا عِوَضَـاً عـن الآخـرة فكانـت

---

(١)السبعة صـ ١٦٢ – ١٦٣ والنشر ٢١٨/٢.

(٢) ينظر ما تقدّم صـ: ٧٦٣ و ينظر: في توجيهها :تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٣٠ و الكشف لمكي: ١/ ٢٥٢ والوسيط: ١/ ١٦٨ و تفسير القرطبي: ٢/ ٢١ و الحجة لأبي زرعة: صـ ١٠٤ .

(٣) الياء التحتية جعلوا الكلام للغائب كما في قوله قبله: (يردون) .

(٤) ينظر فيها و في توجيهها: الكشف لمكي: ١/ ٢٥٢ و الوسيط: ١/ ١٧٠ و تفسير القرطبي: ٢/ ٢١ و النشر: ٢/ ٢١٨ .

الآخرة منهم كإعطاء الثمن و الرِّضى بالدُّنيا كأخـذ المـثمَّنِ ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يعني في الآخرة الذين وَصفُهم ما ذكرنا فلا يُخَفَّفُ عنهم العذاب ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي لا ينصرهم في الآخرة أحدٌ لا بشفاعةٍ ولا بقوةٍ و لا بغيرهما.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾ [الآية: ٨٧] ولقـد آتينـا أعطينا التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أتبعنا بعضَهم في إثرِ بعضٍ و الرُّسـل جمـع رسول كشَكُورٍ وشُكُرٍ و صَبُورٍ و صُبُرٍ (١) .

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ عيسى اسم أعجمي و كذلك مـريم وقيـل مـريم الخادم بالسّريانية (٢).

و البيناتُ جمع بيِّنة ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ أي قوّيناه و الأيْدُ القوة يقال أَيَّدتُّهُ وآيَدْتُهُ كما يقال أَكرَمتُـهُ وكَرّمتُـهُ بمعنىً ،و قرئ في الشواذّ: (وآيَدناه بروح القدُّوس) (٣).

قيل أراد بالرُّوح القُدُس فأضاف الاسم إلى الصفة ، واختلفوا في الروح القـدس هاهنـا فمـنهم مـن قال : أراد به روح عيسى وسماه قُدُساً و القُـدْسُ و القُـدُسُ بمعنـىً وهـو الطَّـاهر لأنـه لم يتـضمَّنهُ أَصلابُ الفُحولةِ ولا أرحامُ الطَّوامِثِ (٤).

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٢٠

(٢) ينظر في معنى عيسى ومريم: الكشاف: ١/ ٢٩٢- ٢٩٣ والفريد للهمداني: ١/ ٣٣١ و البحر: ١/ ٢٩٧ و الدر المصون: ١/ ٢٩٢

(٣) بالمد و هي قراءة شاذة نسبت إلى : مجاهد و الأعرج و حميد و ابن محيصن : تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٣٢ و المحرر: ١/ ١٧٦ و البحر: ١/ ٢٩٩ و الدر المصون: ١/ ٢٩٣

(٤) ينظر في اختلافهم في معنى روح القدس: جامع البيـان للطـبري: ٢ / ٢٢١ و تفـسير الثّعلبـي: ١/ ٢٣٢ و الوسيط: ١/ ١٧١ و تفسير السمعاني: ١/ ١٠٦ و المحرر: ١/ ١٧٦ والبحـر: ١/ ٢٩٩ والـدر المصون: ١/ ٢٩٤و القول بأنه روح عيسى ذكره الواحدي في البسيط: ١/ ٢٤٣ و فيه غرابةٌ و لذا أدخله

و في الخبر: أنه لَمَّا أخرِجَ الذُّرِيَّة من صلب آدمَ و أشهَدَهم على أنفسهم ردَّها إليهم إلا روح عيسى عليه السلام فإنهُ أمسكها عنده إلى وقتِ خلقهِ . وقيل إنّ رُوح القدس ها هنا جبريل قَواهُ الله به عن قتادة (١)و السّدي (٢)والضّحاك (٣)والرّبيع (٤).

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (٥): روحُ القُدس هاهنا الإنجيل، جُعل له روحاً كما جُعل القرآن لمحمد صلى الله عليه وسلم رُوحاً .

﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ ﴾ أي حيثما جاءكم و انْتِصابهُ على الظَّرف و الأَلِف أَلِفُ الاستفهام في الإنكار و الفاءُ فاءُ النَّسَقِ و (كلُّ)حرف جملة (٦)و ما للجزاء و الجواب في الفاء من قوله: ﴿فَفَرِيقًا﴾.

قيل لما ذَكر النبي صلى الله عليه وسلم عيسى طالبتهُ اليهود بمثل ما جاء به عيسى من البيّناتِ فأنزل ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ تعَاظمتُم في أنفسكم، وقيل ترفّعتم عن قبوله ففريقاً كذبتموهم وفريقاً تقتلونهم فلما سمعوا هذا سكتوا

الكرماني في الغريب: غرائب التفسير و عجائب التأويل: ١/ ١٥٦ و ذكره الزمخشري : الكشاف: ١/ ٢٩٣ و نقله عنه ابن كثير: ١ / ٣٢٨ و رجح الطبري و ابن عطية و القرطبي: ٢/ ٢٤ و أبو حيان وابن كثير أنّ المراد بروح القدس جبريل، و هو أرجحها.

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٢٢

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٢٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٦٨

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٢٢

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٢٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٦٨

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٢٣ و رد الطبري هذا التأويل : ٢/ ٢٢٤

(٦) يعني ظرف: الفريد: ١/ ٢٣٩ و ٣٣٢ و ينظر: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٤٥ و البحر: ١/ ٣٠٠

وعَلِمُوا أنه الوحي لأنهم قتلوا بعض الأنبياء كَيَحيَ وغيره وكذَّبوا بعضاً ، والفريق الطائفة من الناس سُمِّيتْ به لأنها فارقتهم بمعنى أنّها تبعَّضت من جملتِهم .

وقيل كانوا يقتُلون في اليوم ثلاث مئة نبي (١).

وقال الربيع (٢) في قوله ﴿وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ هو الله وروحه جبريل وبه قال ابن زيد (٣). وخَاطَبَ الموجودينَ بقوله ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وإن كان إنما قتلَ أوائلُهم لأنهم رضوا بفعل أوائلهم .

وقيل معنى (٤) قوله : ﴿وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ اسم الله الأعظم لأنه كان يُحيي به الموتى عن ابن عباس (٥) ، وقال ابن زيد (٦): القُدُسُ و القُدُّوسُ واحد وهو الله ، وقال السدِّي (٧): القُدُسُ هو البركة.

قوله: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [٨٨] أي قالوه استهزاءً و إنكاراً كما قالوا ﴿ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ﴾ [فصلت:٥] والغُلْفُ جمع أغلفَ وهو الذي عليه غِلاف كالأَغلف، و الأَقلف غيرِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم : ٤ / ١١٠٧ (٦٢١٧) من طريق أبي داود الطيالسي: قال حدثنا شعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال : (كانتْ بنو إسرائيل في اليوم تقتل ثلاث مائة نبيٍّ ثم يُقِيمُون سوق بقلهم من آخر النهار)اهـ. و ذكره ابن كثير: ١/ ١٠٣ و ٣٥٦ وينظر: الدر: ١/ ١٧٨ و الثعلبي: ١/ ٢٠٧ و البغوي: ١/ ١٠٠ و المحرر: ١/ ١٧٧ و تفسير الثعالبي: ١/ ٨٧ .

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٢٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٦٩ (٨٨٧).

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٢٥

(٤) في النسخة : (ل) : معناه.

(٥) الطبري: ٢/ ٢٢٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٦٩ (٨٨٦)

(٦) تتمة الخبر السابق قريبا عنه: الطبري: ٢/ ٢٢٥

(٧) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٢٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٦٩ (٨٨٨)

المختـون ،يعنـي أنهـا في غِطـاءٍ لا تفقـهُ الحـقَّ عـن ابـن عبـاس [١] ،و أبي العاليـة [٢]، و مجاهد [٣]و قتادة [٤]والأعمش [٥] و السدِّي [٦] وابن زيد [٧] ،وعلى هذه القراءة قـرَّاء الأمصار [٨]، وقرئ غُلُفٌ، فيكون جمع غِلاف أي قلوبُنا أوعيةٌ لكل ما يُقال ولكل عِلـمٍ فلـو كان صادقاً لعلمناه، وَلَوَعَيناه، عن عطية [٩]،وابن عباس برواية الضحاك [١٠]وبه قـرأ ابـن مُحيصن[١١]، و القراءةُ به شاذّةٌ.

---

(١)جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٢٨ من ثلاثة طرق عن ابن عباس منها طريـق عـلي بـن أبي طلحـة عنـه وابن أبي حاتم: ١ / ١٧٠ (٨٩٥) و ٤ / ١١٠٨ (٦٢٢١)

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٢٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٧٠ (٨٩٧)

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٢٨ و الدر: ١/ ٨٧ معزوا للطبري

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٢٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٧٠ بعد الأثر(٨٩٧)

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٢٩

(٦) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٢٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٧٠ بعد الأثر(٨٩٥)

(٧) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٣٠

(٨) يعني : (غُلْف) بإسكان اللام، و هي قراءة عامة القراء ، و أمّا قراءة : (غلُف) بـضم الـلام فـشاذة تروى عن أبي عمرو في بعـض الطـرق مـن روايـة اللؤلـؤي : الـسبعة لابـن مجاهـد : صــ١٦٤ ومعـاني القراءات: للأزهري: صـ ٥٧ و الحجة لأبي علي الفـارسي: ١/ ٣٤٢ و لم أجـدها في الروضـة والمبـسوط والنشر عن أبي عمرو و بها أعني بضمِّ اللام قرأ ابن عباس و الأعمش و الأعرج وابن محيـصن : تفـسير الثّعلبي: ١/ ٢٣٣ والمحـرر: ١/ ١٧٧ و زاد المـسير: ١/ ١١٣ و البحـر: ١/ ٣٠١ والمعـروف عـن أبي عمرو كالجماعة .

(٩) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٣٠- ٢٣١ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٧٠ (٨٩٤، ٨٩٨)

(١٠) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٣١ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٧٠ (٨٩٣)

(١١) تقدم تخريج القراءات قريبا .

فأكذبهم الله سبحانه وقال : ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ﴾ أي أبعدهم الله ، و (بـل)لا يُنسَق به في غير الجحد والجحدُ ها هنا في المعنى: و مجازُه وقـالوا قلوبنـا غُلْـفٌ، ولـيس كـذلك بـل لعنهم. و اللعن الطرد والإبعاد يقال شأوٌ لعينٌ أي بعيد.

وقوله: ﴿ فَقَلِيلاً مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ فـ(ما) ههنا تحتمل ثلاثة أوجه (١): الخبر و الجحد والصِّلة فإذا جعلتَ (ما) صلةً انتصبَ قليلاً بـ ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ تقديره فيؤمنون قليلاً و يريد بـه عبـد الله بن سَلَام و أصحابه، وعلى هذا القليل لم يدخلوا في اللعنِ، وقيل أراد به أنهم يؤمنون به قلـيلاً ثم يكفرون بعده نظيره ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾[آية٧٦:] وإنْ جَعلتَ ما جحداً فتقديرُه فلا يؤمنون قليلاً و إنْ جَعَلتَهُ خبراً فتقديرُهُ الذين يؤمنون إيماناً قليلاً .

وروى الفرَّاء (٢) عن الكسائي وجهاً آخر، وزَعَمَ أنّ العرب تقولُ مَررنا بأرضٍ قَلَّ مـا تُنبِـتُ إلا الكُرَّاث و البَصَل يعنون لا تُنبِتُ شيئاً، فتأويلُ الآية على هذا لا يؤمنـون قلـيلاً ولا كثـيراً، وقيل فقليلاً ما يؤمنون أي لا يؤمنون (٣) إلا بقليل ممّا في أيديهم و يكون مـا عـلى هـذا المعنـى

---

(١) ينظر: المحرر: ١/ ١٧٧ والكشاف: ٢/ ٢٩٤ و إملاء ما من به الرحمن: ١/ ٥٠ و الفريد : ١/ ٣٣٤ و البحر: ١/ ٣٠٢ و الدر المصون: ١/ ٢٩٧ و جعلُ (ما) للجحدِ أي نافيةً أجازه العُكـبري وغـيره و رده أبو حيان في البحر و نقله عنه أيضا السمين الحلبي و رده قبل أبي حيان المنتجـب الهمـداني في الفريـد الموضع السابق قال المنتجب : (لأن ما كان في صلة النفي لا يتقدّم عليه لا أعـرف في ذلـك خلافـا عنـد أهل هذه الصناعة ، و هو و إنْ كان صالحا من جهة المعنى لكنه فاسد من جهة الإعراب لمـا ذكـرتُ آنفـا)اهـ. ١/ ٣٣٤

(٢) معاني القرآن للفراء: ١ / ٥٢ و البسيط: ١/ ٢٤٧

(٣) تكرّر النسخة : (ل) : أي لا يؤمنون.

صِلةً نظيره تؤمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض ، وقال قتادة(١):معناه ما يؤمن منهم إلا قليل .

قولـــــه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الآيـــــة: ٨٩] ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ يعني:وحين جاءهم ﴿كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وهـو القـرآن ﴿مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ وهـو رفعٌ على النَّعت للكتاب.

﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾ أي ...(٢)و يستنصرون وذلك أنهم كانوا إذا حَـزَبَهم أمرٌ أو ظَهَرَ لهم عدوٌّ قالوا: اللهـم انـصرنا بنبيِّـك المبعـوث مـن العـرب عـن ابـن عبـاس (٣) والسدي (٤) وابن زيد (٥) وقتادة و أبي العالية (٦).

---

(١) الطبري: ٢ / ٢٣٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٧١ (٩٠٠)

(٢) هنا في الأصل ما هذه صورته: (يستقصُون). و لم أجدها في ما بين يدي مـن التفاسـير و يستنـصرون تغني عنها من جهة بيان المعنى و في الغرائب للكرماني: ١/ ١٥٧ بعد أن ذكر كغيره أن معنى: يستفتحون : يستنصرون و قال إن الجمهور فسروها بـذلك قال : و الغريب: (يستعجلون الناس هل ولد فـيهم مـن هو بصفة محمد صلَّى الله عليه وسلَّم) و في الكشاف: (يفتحون عليهم و يعرفونهم)١/ ٢٩٦ و في البحر: ١ / ٣٠٣ (يستحكمون أو يستعلمون أو يستنصرون أقوال ثلاثة)اهـ .و لم يذكر الطبري وجماعـة غـيره منهم الثعلبي و الواحدي في البسيط: ١/ ٢٥١ والوسيط و الماردي في النكت والعيون و السمعاني وابن عطية وابن الجوزي والقرطبي إلا معنى يستنصرون، و ذكر الطبري أن معناه معنى يستنـصرون واقتـصر عليه، ورواه عن ابن عباس و غيره ثم ذكر عن ابن عباس من رواية عن الضحاك ما هو قريب من معنـى يستنصرون و لكن بلفظ: يستظهرون: ٢/ ٢٤١

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٣٨ و الدر: ١/ ٨٨ و الوسيط: ١/ ١٧٣ .

(٤) الطبري: ٢/ ٢٤٠ و البيهقي في الدلائل: ٢/ ٥٣٦

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٤١

(٦) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٣٩ – ٢٤٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٧٢ (٩٠٦)

قال الله : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ أي فحينَ جاءهم محمدٌ و قد عرفوا ﴿ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ يحتملُ (١) كفروا بالنَّبي و يحتمل كفروا بالكتاب، و يحتمل كفروا بالله تعالى ﴿ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي على الكافرين بمحمَّد، و بما احتملَ رجوعُ الكناية إليه من قوله: ﴿ كَفَرُوا﴾ . ﴿كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ جحدوه كما قال : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الرعد:٣١] و جوابه مضمرٌ فيه أي لكان هذا القرآن عن الزَّجّاج(٢) والأخفش(٣) (٤) و الثالث: أن الفاء في قوله : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ جوابٌ لما الأولى في قوله: ﴿كَفَرُوا﴾، وجواب لمّا الثالثة كقوله : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾ الآية [٣٨] و كقولهم : لما أتاني زيد فلما قعد أوسعت له عن الفراء (٥).

---

(١) اختار الثعلبي : ١/ ٢٣٥ عود الضمير إلى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم كما يدل عليه كلامه و اختار الواحدي في الوسيط: عود الضمير إلى الكتاب: ١/ ١٧٣

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٥٢ قال إنه محذوف دل عليه (فلما جاءهم ما عرفوا).

(٣)معاني القرآن للأخفش:صـ ١٠٤ ، والجواب عند الأخفش و الزجاج محذوف لعلم السامع كما في كتابيهما و كذلك نسبه إليهما القرطبي: ٢/ ٢٧ و الرازي: ٣/ ١٦٤ و أبو حيان: ١/ ٣٠٣ و أجازوا تقديره بـ(كذبوا به وجحدوه، و كفروا به ونحو ذلك) ينظر: الكشاف: ١/ ٢٩٦ و الفريد: ١/ ٣٣٥ و المصادر السابقة، ويصح تقديره بـ (لكان هذا القرآن) كما قال المصنف.

(٤)وقع هنا في الأصل ما صورته: (و الثاني : إنّكم مخرجون إذا متُّم وعن ابن عباس و محمد و ابن زيد)اهـ. و لم أر لها وجها هنا . و القول الثاني: يمكن أن يكون القول بأنّ ﴿ كَفَرُوا﴾ جواب (لما) الأولى و الثانية تكرير للأولى و إنما كررت الثانية لطول الكلام: الفريد: ١/ ٣٣٥ و الرازي: ٣/ ١٦٤ و أبو حيان: ١/ ٣٠٣ و الدر المصون: ١/ ٢٩٨

(٥) قال الفراء١/ ٥٢: (ليس لـ(لمّا) للأولى جوابٌ صار جوابها في الفاء التي في الثانية و صارت ﴿ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾كافية من جوابهما جميعا .. الخ)اهـ . و ينظر: النحاس: إعراب القرآن: ١/ ٢٤٦

قوله : ﴿ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ ﴾ الآية [٩٠]. بئس و نعم وُضِعَتَا للذمِّ و المدح، و أصل بِئْس بَئِسَ يبأَسُ مثل حَمِدَ يحمَدُ سُكّنتْ همزتها ثم نُقِلت حركتها إلى الباء كما قالوا للكَبِد كِبْدٌ (١).

و اختلفوا في (ما) التي في ﴿بِئۡسَمَا﴾ فقال بعضهم إنّه اسمٌ نكرةٌ كأنه قال:

بئس شيئاً اشتروا به أنفسهم: كفرُهم، و قال بعضهم : ما مع (بئس) بمنزلةِ اسمٍ واحدٍ كأنَّه قال المذمومُ اشتروا بِهِ أنفسهم .

و قال الكسائي (٢) إنّه بمعنى الرجل في قولهم بئسَ الرجل كأنَّه قال بئس الشيء اشتروا به أنفسهم. و موضع ﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾ رفعٌ على الاسم في بئسما، كأنه قال: بئس شيئا كُفْرُهُم ويحتمل أنْ يكون خفضاً (٣). ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾ قيل اختَاروا ،وقيل ابتَاعوا به أنفسَهم عن السُّدِّي (٤) ومجاهد (٥). ﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾ في محلّ الخفض بأن تردّه إلى الهاء التي في قوله (به) على التّكرير كأنك قلتَ اشتروا أنفسهم بالكفر، و من قال: الاشتراء الاختيار، قال حرف الصِّلة

والرازي: ٣/ ١٦٤ و أبو حيان: ١/ ٣٠٣ و الدر المصون: ١/ ٢٩٨

(١) ينظر في اللّغات في : نعم و بئس و في أحكامها النّحوية على سبيل المثال: جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٤٣ ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٥٢ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٤٧ و الأصول في النحو لابن السراج: ١/ ١١١ و أسرار العربية: ١ / ١٠٣ و ١٠٩ وشرح الجمل لابن عصفور: ٢/ ٦٣ و الإنصاف: ١/ ٩٧ و شرح الكافية لابن مالك: ٢/ ١١٠٠ و الفريد : ١ / ٣٣٦ و (لسان العرب: مادة (نعم).

(٢)إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٤٧

(٣) معاني القرآن للفراء: ١/ ٥٠ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٤٤ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٤٧

(٤)جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٤٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٧٢ (٩٠٨)

(٥)الطبري: ٢/ ٢٤٧

ساقطٌ أي بئسما اختاروا لأنفَسِهم، و من جعل الاشتراء البيع قال الكلام مختصرٌ و معناه بئسما باعوا به حظَّ أنفسهم بالكفر.

و قوله : ﴿بَغْيًا بينهم ﴾ نصبٌ على وجوه (١) أحدها : أنَّها مفعولٌ له .

و الثاني: أنْ يكون مصدراً للاشتراء خُولِفَ به عن مصدره كقوله : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ [النساء:١١] ثمّ قال ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ لأنه في معناه.

و الثالث: على انتزاع الصفة و هي الباء و مجازه: بئسما اشتروا به أنفسهم بالبغي.

و قوله : ﴿بَغْيًا﴾ أي حَسَداً و فسادا ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾ بالتخفيف و(أنْ) في موضع الخفض و معناه: بأنْ على البدل من الباء في قوله : ﴿ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ و يحتمل أن يكون موضعه النصب على حذف حرف الجرّ كأنه قال: بغياً لأن ينزل الله و بأن ينزل الله.

﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ أي رجَعَوا بغضبٍ على غضبٍ الأول لكفرهم بعيسى.

والثاني: لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم.و قيل الغضب الأوّل لقولهم عزيرٌ ابن الله و غير ذلك، و الغضب الثاني: لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم عن عطاء (٢)

و القول الأوّل عن الحسن (٣)و عكرمة (٤)و الشعبي (١)و قتادة (٢) و قيل إنما قال ذلك على جهة التأكيد أي الغضب متكرّرٌ عليهم . ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يدلّ على أن عذاب الموحّدين تأديبٌ و ليس بمهينٍ لهم (٣).

---

(١) ينظر: الفريد: ١/ ٣٣٨ و تفسير القرطبي: ١/ ٢٨ و البحر: ١/ ٣٠٥-٣٠٦و الدر المصون: ١/ ٣٠١

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٥٣

(٣) النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٥٨

(٤)جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٥٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٧٣ معلقا والنُّكت والعيون للماوردي: ١/

قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الآية [٩١] وإذا قيل لهم يعني اليهود آمنوا بما أنزل الله أي القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قالوا : ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ في التوراة ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ بما سواه من القرآن.

﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ يعني القرآن ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعني موافقا لما معهم يعني التوراة والإنجيل.

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ وإنما قتلَ آباؤهم وهم رَضُوا بذلك.

و نصبُ ﴿مُصَدِّقًا﴾ على الحال (٤) كقوله: هو زيدٌ حقّا و هو زيدٌ معروفاً

قال الشاعر (٥):

أنا ابنُ دارةَ معروفاً لها نَسبي　　　و هلْ بدارةَ يا لَلناس من عَارِ

١٥٨

(١)جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٥٢ والنُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٥٨

(٢)جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٥٢ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٥٨

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٥٤

(٤) إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٤٨ و الدر المصون: ١/ ٣٠٣

(٥) البيت لسالم بن دارة وهو في : الكتاب لسيبويه: ٢ / ٧٩ و شرح أبيات الكتاب لابن النحاس: رقم (٣٨٥) والخصائص: ٣/ ٦٠ وشطره الأول : في الخصائص: ٢ / ٢٦٨

الدر المصون: ١/ ٣٠٣ و شرح ابن عقيل: ٢/ ٢٧٧ و لسان العرب: (دبر) و خزانة الأدب: ١/ ٥٥٧ و في لسان العرب: كما هنا (لها نسبي) بدلا من (بها نسبي).

و قوله : ﴿فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ اللّفظُ مستقبلٌ، و هو في معنى الماضي و هو جوابٌ عن قولهم : ﴿ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ﴾ فقال: فلمَ قتلتُم الأنبياءَ إنْ كنتم مؤمنين بما أُنزل إليكم.

قوله :﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الآية [٩٢] بالآيات و الدّلالات ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ أي اتخذتم العجل معبوداً فحذفَه.

قوله : ﴿ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أيْ من بعد انطلاقه إلى الجبل، و قيل من بعد مجيء البينات ، ﴿ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ بوضعكم العبادة في غير موضعها.

قوله : ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾ الآية [٩٣]، و هو الميثاق الثاني حين أتاهم بالكتاب الذي في الألواح و الميثاق الأول حين أُخرِجوا من صلب آدم.

﴿ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ وهو الجبل فرسخ في فرسخٍ رُفع فوقهم. ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ بِجدٍّ في طاعة الله ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ ما فيه من حلاله (٨٧) و حرامه وقيل استجيبوا وأَطيعوا لأن أصلَ الطاعة السمع و منه قول المصلي: سمع الله لمن حمِدَه أي أجابَ (١).

و قيل : ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ فيه و جوهٌ (٢)قيل سمعنا الآن و قد عصيناك قبله، وقيل لما أظلّ الجبل فوقهم قالوا سمعنا فلما كُشف عنهم قالوا عصينا، و قيل: قالوا سمعنا ولولا مخافة الجبل لعصينا، وقيل قالوا سمعنا بلسانهم و عصينا بقلوبهم.

---

(١)جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٦٢ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٣٦

(٢)جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٦٣ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٣٦ و السمعاني: ١/ ١٠٩ و المحرر: ١/ ١٨٠

﴿ وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ أي (١) حُبَّ العِجل كقوله: ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ [يوسف:٨٢] أي أهل القرية (٢). و معنى ﴿ أُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ﴾ أي خُولِطَ ذلك { في } قلوبهم كإشراب الألوان لشدة الملازمة .

و قيل قالوا إنّ عبادة العجل أحبّ إلينا لأنّه أسهل علينا إنْ عصينا العِجل لم يعذِّبنا وإنْ عصينا الله عذَّبَنا و قيل لمّا سُحِق العجل و ذُرِيَ في الماء ما شرب من ذلك الماء أحدٌ إلا جنّ (٣) .

وقال السدي (٤) ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ أي سُقُوا الماء الذي فيه سُحالة العجل ،و الأول أصحُّ من هذا التأويل (٥).

وقوله : ﴿ بِكُفۡرِهِمۡ ﴾ أي باعتقادهم التَّشبيه لأنهم طلبوا ما يتصوّرونه في نفوسهم ﴿قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ﴾ بعبادة العجل ﴿ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ لأنهم كانوا يزعمونَ أنهم مؤمنونَ فلما عَبَدُوا العجل عيَّرهم بذلك، و قيل هذا على المجاز ليس للإيمان، وهو كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾

---

(١) البسيط: ١/ ٢٦٦

(٢) جامع البيان للط ي: ٢ / ٢٦٣ و معا القرآن للزجاج: ١ / ١٥٦ و تفس الثّعل : ١/ ٢٣٦

(٣) ذكره القرطبي: ٢/ ٣٢ قائلا: (و روي أنه ما شرب منه أحدٌ إلا جنّ حكاه القشيري): اهـ. ونقله عن القرطبي الحافظ ابن كثير في تفسيره: ١/ ٣٣٤

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٦٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٧٦ (٩٣٣) نقله المصنف بمعناه مختصراً

(٥) أي أن يكون التقدير: (و أشربوا في قلوبهم حب العجل). و هو ترجيح جماعة من أئمة المفسرين و أهل المعاني منهم: الطبري: ٢/ ٢٥٦ و الزجاج: ١/ ١٥٦ و الواحدي :الوسيط: ١/ ١٧٦ و ابن عطية : ١/ ١٨٠ و يرجحه قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمُ ﴾ ينظر:تفسير الطبري و ابن عطية .

[العكبوت:٤٥] أي المصلّي ينهى عن الفحشاء [١]، وقيل: قلْ بئسما يأمركم به من عبادة العجل إيمانُكم بالله إنْ كنتم مؤمنين كما تقول: بئسما يأمرك عقلُكَ بشتمِ الناس إنْ كنتَ عاقلاً لمْ تشتمهم ولم تذمَّهُم. و الله تعالى لم يذمَّهُم على حبّ العجل لأن الحبّ غير مكتسَبٍ ولكن ذمّهم على التعرّض له.

قوله : ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الآية [٩٤] وذلك لأنهم قالوا ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١١] وقالوا : ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨] قال الله تعالى : ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنّ الجنة لكم خالصةٌ، و قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يقولها أحدٌ إلا غُصّ بريقه فمات مكانه) [٢].

---

(١) البحر لأبي حيان: ١/ ٣٠٩

(٢) هذا اللفظ لم يثبت مرفوعاً و ذَكَرَه أيضا الثعلبي : ١/ ٢٣٧ بلا سند مرفوعاً قائلاً :رُوِيَ عن ابن عباس عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، فذكره بنحوه بزيادة : (و ما بقي على الأرض يهوديٌّ إلا مات مكانه)اهـ. قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف : ((ح ٥٤)) (غريب بهذا اللفظ)اهـ. ١/ ٧٥ و روى البيهقي في دلائل النبوة: بسنده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس- رضي الله عنهما – أنّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قال لليهود : ((إنْ كنتُم صادقين في مقالتكم فقولوا : اللهمّ أمتنا . فو الذي نفسي بيده، لا يقولها رجل منكم إلا غُصّ بريقه و مات مكانه . قالوا فأنزل الله ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة:٩٥] اهـ.

ينظر: تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي: ١/ ٧٥ ولابن حجر: (١/ ٢٩٩). و لكن ثبت موقوفا على ابن عباس عند عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٥٢ و ٣/ ٣٨٤ و أحمد: ١/ ٢٤٨ و أبي يعلى: ٤/ ٤٧١ والطبري: ٢/ ٢٦٨ و ابن أبي حاتم : ١/ ١٧٧ (٩٣٦ ، ٩٣٨):و في لفظ: (لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه). و في رواية : (لو تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار). قال ابن كثير و هذه أسانيد صحيحة إلى ابن عبّاس: (١ / ٣٣٥). قال الحافظ ابن حجر: (ورواه عبيد الله بن عمرو الرقي –

وقوله : ﴿ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ﴾ أراد به النعمة في الدار الآخرة فحذف لمّا دل عليه الخطاب. وانتصب خالصةً لأنّه خبر كان أو على المصدرِ (١) أي خلُصتْ خالصةً، و الخالصة مصدرٌ كالعافية و العاقبة و الهاءُ فيه للتَّأكيد.

قوله : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [آية:٩٥] من المآثِم و الخطايا لأنهم كفروا وعلموا أنهم كَفَرةٌ، وهو كقوله: ﴿ قَدْ يَئِسُوا مِنَ ٱلْآخِرَةِ ﴾ [الممتحنة:١٣].

وقوله : ﴿ قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي قدّموه و عملوه، و إنما أضاف ذنوبهم إلى أيديهم على عادة العرب: ذقْ وبالَ ما اجترحته يدُك و قدّمته يداك، و لما كان أكثر جنايات ابن آدم بأيديهم

و هو ثقة – عن عبد الكريم الجزري عن عكرمة عن ابن عباس أخرجه الطبري وأخرجه أحمد في مسنده من وجه آخر)اهـ. و هو عند أحمد : ١ / ٢٤٨ و الطبري: ٢ / ٢٦٨ مرفوعا. و في لفظ: للخبر عن ابن عبّاس: (قال: قال أبو جهل لئن رأيتُ محمّداً يصلّي عند الكعبة لآتينَّه حتى أطأَ على عُنُقِه قال: فقال: لو فعل لأخذته الملائكة عِيَانا ولو أنّ اليهودَ تمنَّوا الموتَ لماتوا ورأوا مقاعِدَهُم من النّار ولو خَرَجَ الذين يُبَاهِلونَ رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالا)اهـ. قال الهيثمي: (قلتُ في الصحيح طرفٌ من أوله ،رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أبي يعلى رجال الصحيح)اهـ.: مجمع الزوائد: ٨ / ٢٢٨ فقوله: (لو أنّ اليهود تمنوا الخ). ليس هو في الصحيح و سنن الترمذي و إنما فيهما أوله .

و أفاد الحافظ أنّ الإسماعيلي أخرجه تاما من الطريق التي في الصحيح : فتح الباري: ٨ / ٧٢٤

(١)هذا الوجه الأخير من الإعراب غريبٌ و لم يذكره جماعة من الأئمة و لم أجد من ذكره غير الواحدي في البسيط: ١/ ٢٦٩.و الوجه الثاني الذي ذكروه في إعراب ﴿ خَالِصَةً ﴾ ولم يذكره المصنف هو إعرابها حالا : إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٤٨ و المحرر لابن عطية : ١/ ١٨١ و البيان لأبي البركات : ١/ ١١٠ والفريد: ١/ ٣٤١ و البحر: ١/ ٣١٠ و الدر المصون: ١/ ٣٠٦ و أما صاحب الكشاف فلم يذكر إلا الوجه الثاني و هو إعراب خالصة حالا. الكشاف: ١/ ٢٩٨ و في الطبري: ٢/ ٢٧١ :(و الخالصة مصدر مثل العافية)اهـ. و هذا ليس بإعراب لها و إنما هو بيان وصف للفظ الخالصة بأنه مصدر.

أضاف ذلك إلى أيديهم، و إنّما كانت جنايتهم التي منعتهم عن تمنّي الموت ما تعمّدوه من كتمانِ أمر النبي صلى الله عليه وسلم و تكذيبه.

وقال ابن عباس (١) : تمنوا الموت أي ادعوا بالموت على أكذب القائلين في قولكم : ﴿ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة:١٨] و ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ [البقرة:١١١].

و الباقون على أنّ معناه تشهَّوا الموتَ في أنفسكم فلما لم يفعلوا مع قوله: إنهم لا يفعلون كانت معجزة له.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ مختصرٌ أي بعقوبة الظالمين.

قوله : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [آية:٩٦] قال الزجاج (٢) معناه لتعلمنَّهم و هذه اللام تسمّى لامَ اليمين و تقديره: و الله لتجدنَّهُم و النون فيه للتأكيد للقسم، ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ إن شئت جعلتَ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ خفضاً بإضافة ﴿ أَحْرَصَ ﴾ إليه منسُوقا كما خفَضْتَ الناس به (٣).

و إنما كانت اليهود أحرص من المشركين على الحياة لأنّهم آمنوا بالبعث فخافوا العقوبة على ما كتموه من أمرِ محمد عليه السلام و إنْ شئتَ أضمرتَ لـ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ اسما يكون يودّ من صلته أي و من الذين أشركوا من يودّ أحدهم لو يُعمّر ألف سنة .

و ﴿أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ منصوب على الظّرْف و لو قلتَ بخبر ما لم يُسَمَّ فاعله لكان صواباً.

---

(١) الطبري: ٢/ ٢٦٩ و ٢٧٢ و ٢٧٣

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ١٥٧

(٣) معاني القرآن للفراء: ١/ ٦٢ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٧٦ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٣٨ والوسيط: ١/ ١٧٧ و المحرر: ١/ ١٨٢ و الكشاف: ١/ ٢٩٨ و الفريد: ١/ ٣٤٢ و البحر: ١/ ٣١٣

و معناه: يودّ أحدُهم عمرَ ألف سنةٍ، قيل هو قول العجم (١): عِشْ ألف نـيروزٍ (٢) وألـف مهرجانٍ.

﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي بمباعِدِهِ من النار يقال زحزحته فتزحـزح أي أبعدته فتباعد و أنشد (٣):

خليليَّ ما بالُ الدجى لا تزحزَحُ   و ما بالُ الصُّبْح لا يتوضّحُ

و الكناية في قوله : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ يعود إلى الأحد الذي جرى ذكره كأنه قال : و ما ذاك الأحد الذي يودّ تعميره ألف سنة بمباعِدِهِ من النار (٤)، وقيل و ما التعمـير بمزحـزه من النـار (٥). ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ القـراءة باليـاء أي المعمّـرون ، وقـرئ في الشواذّ (١) بالتاء أي قل لهم : ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾.

---

(١) تفسيرالطبري: ٢ / ٢٧٨ – ٢٧٩ عن ابن عباس و سعيد بن جبير. و ينظر: تفـسير الثّعلبـي: ١ / ٢٣٨ و المحرر: ١/ ١٨٢و تفسير القرطبي: ٢/ ٣٤ و التفسير الكبير للرازي: ١/ ٧٦

(٢) و يقال فيه نـوروز: و هـو فـارسي معـرب و هـو أول يـوم مـن أول شـهورالفرس : شـفاء الغليـل للخفاجي: صـ ٢٩٥ .و في قاموس الفارسية : د/ عبد النعيم حسنين: صـ ٧٥٧ :أنه بمعنى اليوم الجديد و أنه أول يوم في السنة الإيرانية و أنه عيدٌ قوميٌّ في إيران. و النيروز و المهرجان من أعياد الفرس:ينظر في تاريخها و أول من صنعها من ملوك الفرس في: صبح الأعشى: ١/ ٤٩١ ويرد النيروزو النوروز في شعر البحتري و غيره من شعراء العصر العباسي كما في قوله: في ديوانه:صـ ١٢٤

وقد نبّه النَّوروز في غَلَس الدُّجى   أوائلَ وَرْدٍ كنّ بالأمسِ نوَّما

(٣) البيت لبشار بـن بـرد : ديوانـه: صـــ ٢٤٨ و المستطرف: ٢/ ٤٠٣ و في تفـسير الثعلبـي: ١/ ٢٣٨ والقرطبي: ٢/ ٣٥ غير منسوب .

(٤)يع :كأنه قيل: وما أحدهم ـزحزحه من العذاب تعم ه: البسيط: ٢٧٤/١

(٥)جامع البيان للط ي: ٢ / ٢٧٩ و معا القرآن للزجاج: ١ / ١٥٨ و البيان لأ ال كات: ١/ ١١١والمحـرر: ١/ ١٨٢ و التفسير الكبير للرازي: ٣ / ١٧٦ و الفريد: ١/ ٣٤٤ و البحر: ١/ ١٥. **وقال ابن الأنباري:**

و قوله : ﴿هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ منهم من قال هو عِمادٌ، و المعنى و ما التعمير بمزحزحه مـن النار. وقيل إنّ (هو) كناية من ذكر العمُر أي و ما ذلك العمر بمزحزحه، و قيـل (هـو) نظـير قوله: و ما يريد مزحزه أن يُعمّر فهو كناية عن الزحزحة (٢).

وز أن يكون "هو" كناية عن الشأن والأمر قول الكسائي، وا ع عنده : وما الشأن زحزحـه من العذاب أن يعمر: البسيط: ٢٧٤/١

(١) و هي قراءة قتادة و الأعرج و يعقوب: المحرر: ١/ ١٨٢ و البحر: ١/ ٣١٦

(٢) البسيط: ١/ ٢٧٥ و البحر ا يط ٣١٥/١.

قوله : ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبۡرِيلَ﴾ [الآية: ٩٧]. قيل : (كان لعُمر بن الخطاب أرضٌ بأعلى المدينة، و كان يأتيها و مَمَرُّه على اليهودي وكان كلَّما مرّ عليهم قالوا له يا عمر ما في أصحاب محمد أحبَّ إلينا منك [و ٨٨] إنّهم يمرّون بنا فيؤذوننا و أنت لا تؤذينا و إنّا لنطمعُ فيكَ فقال لهم عُمَر: بالرّحمن الذي أنزل التوراة لموسى أتجدون محمّداً في كتابكم فسكتوا ثمّ قالوا نعم و لكنّ صاحبه من الملائكة الذي يأتيه بالوحي جبريلُ عدوُّنا، و هو صاحب كلّ عذابٍ و قتالٍ فلو كان بدله ميكائيل لآمنّا به فإنه صاحب رحمةٍ، فقال عمرُ: و أين مكانهما من الله تعالى ؟ فقالوا: جبريل عن يمينه و ميكائيل عن يساره، فقال عمرُ أشهد [١] أنّ منْ كان عدوّاً لهذا فهو عدوٌّ للآخرِ، و من كان عدوّا لهما كان عدوّاً لله ثم أتى عمر رسول الله صلى الله عليه و سلّم ليُخبره به فسبَقَ جبريلُ بالوحي فقال: و الذي بعثك بالحقّ لقد جئتك و ما أُريد إلا أنْ أخبرك فقال رسول الله صلى الله عليه و سلّم: لقد وافقك ربُّك يا عمرُ فقال عمر لقد رأيتُني في دين الله بعد ذلك

أصلبَ من الحجر) عن قتادة (٢) و الشعبي (٣).

وقيل إنّ ابن صُوريّا سألَ النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم عن أشياء فلمّا عجز قال له و من

---

[١] في النسخة (ل) : أشهداني: و هو خطأ.

(٢) خبر قتادة رواه عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٥٢ و الطبري: ٢/ ٢٨٩ و ٢٩٩ و عزاه في الدر إلى الطبري: ١/ ٩٠

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ١٤ / ٢٨٥ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٨١ و أسباب النزول للواحدي: صـ ٦٥ و ينظر: تفسير الثعلبي: ١/ ٢٣٩ وتفسير ابن كثير: ١/ ٣٤٤ والعجاب في أسباب النزول: صـ ١٢٢

يأتيك من الملائكة؟ فقال جبريل فقال : إنه عدوّنا لأنه أُمِر بأن يجعل النبوة فينا فجعلها [١] في غيرنا (٢)، و قالوا إنّه عدوُّنا لأنّا أردنا قتلَ بختنصّر (٣)صبيّا لما وجدنا في كتابنا أنه يُخرِّب بيت المقدس فمنعَ جبريلُ صاحبَنا عنه.

و جِبريلُ أولى الأقاويل فيه أنه اسمٌ أعجميّ، و كذلك إسرافيل و عزرائيل قيل : إيل هو الله وجَبْر و مِيك عبدٌ كأنه قال عبد الله (٤).

---

[١] في النسخة (ل) : فجعله.

(٢) قصة سؤال اليهود للنبي صلَّى الله عليه وسلَّم عن أسئلة ثم لما أجابهم قالوا من وليّك أو من يأتيك من الملائكة الخ رواها ابن عباس رضي الله عنهما واختصرها المصنف و لها ألفاظ وروايات و قيل في بعضها إنّ الذي سأل من اليهود اسمه : عبد الله بن صوريا . و تنظر في: مسند الطيالسي: (٢٨٥٤)،

و طبقات ابن سعد: ١/ ١٧٤ و مسند أحمد ١/ ٢٧٣، ٢٧٤ ، ٢٧٨ و سنن الترمذي: (ح ٣١١٧) وقال حسن غريب و النسائي في الكبرى: (ح ٩٠٧٢)٥/ ٣٣٦ – ٣٣٧ و الطبري في تفسيره: ٢/ ٢٨٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣ / ٧٠٤ و الطبراني في الكبير: (ح ١٢٤٢٩) ١٢/ ٤٥ و (ح ١٣٠١٢) والبيهقي في السنن: ٥/ ٣٣٦ و في دلائل النبوة : ٦/ ٢٦٦ و ينظر: فيما ذكره المصنف من سياق القصة: في تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٣٨ – ٢٣٩ و أسباب النزول للواحدي: صـ ٦٦ و العجاب: ص١١٨ كما ينظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٣٤٢ و الدر: ١/ ٨٩ – ٩٠

(٣)سيأتي ذكر بختنصر عند قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:آية١١٤]

و سيأتي التعليق عليه.

(٤) ينظر في معنى ((جَبْر و مِيك و إِيْل)) عند العلماء و في الآثار الواردة عن السّلف –كابن عباس رضي الله عنهما و عكرمة و علي بن الحسين في بيان معانيها: تفسير الطبري: ٢/ ٢٩٦ – ٢٩٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٨٢ و تفسير الثعلبي: ١/ ٢٤٠ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٦٣ و الوسيط: ١/ ١٧٩ وابن كثير: ١/ ٣٤٣ و البحر: ١/ ٣١٧ وفتح الباري: ٨ / ١٦٥ و الدر: ١/ ٩١ . و ابن عباس– في إحدى الروايات عنه و عكرمة و علي بن الحسين يقولون: جبريل عبد الله و ميكائيل : عبيد الله و إيل معناه الله. وينظر: اعتراض أبي علي الفارسي على القول بأنّ (إيل و إلّ) من أسماء الله تعالى في الحجة له: ١/ ٣٥١

قال: قل من كان عدوّا لجبريل من اليهود و النّصارى فإنه نزّله على قلبك قيل فيه إضمارٌ ومعناه: فليخَفْ فإني أهلكه و أنصرُ جبريل.

و معنى الآية ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أي ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ الله نزّل جبريل ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ وقيل فإنّ جبريل نزّل القرآن على قلبك . و قوله : ﴿مُصَدِّقًا﴾ حالٌ للكتاب و يحتمل أنه لنزول جبريل.

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما تقدّمه من الكتاب أي وهذا الكتاب هدى من الضلالة ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالثواب و للعرب في جبريل لغاتٌ [(١)] فأهلُ الحجاز يقولون : جِبريل و ميكال بكسر الجيم بغير همزٍ و بالتخفيف و عليه قُراءُ أهلِ المدينة و البصرة و أمّا تميم وقيس و بعض نجدٍ فإنهم يقولون جَبرئِيل و مِيكائيل على مثال :جَبرعِيل و مِيكاعِيل بفتح الجيم و الراء وبهمزٍ و زيادة ياء بعد الهمزة و به قرأ أهل الكوفة [(٢)]، و قرأ الحسن و ابن كثيرٍ (جَبريل) بفتح الجيم و ترك

---

(١) ما قاله المصنف ذكره الطبري: ٢/ ٢٩٤ – ٢٩٥ و ينظر: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٥٩ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٥٠ وتفسير الثّعلبي: ١/ ٢٣٩ و الوسيط: ١/ ١٧٨ والقرطبي: ٢ / ٣٧

(٢) قراءة حمزة و الكسائي و خلف في اختياره و الأعمش: (جبرئيل) بفتح الجيم و الراء و بعد الراء همزة مكسورة بعدها ياء ساكنة و قرأ الباقون سوى أبي بكر عن عاصم و ابن كثير: (جبريل) بكسر الجيم و الراء و بعد الراء ياء ساكنة كقنديل و قرأ ابن كثير : (جبريل) بفتح الجيم و كسر الراء بلا همزٍ و اختلف على أبي بكر عن عاصم فروي عنه كقراءة حمزة و الكسائي و من معهما وروي عنه كذلك إلا أنه حذف الياء بعد الهمزة: ينظر في القراءات في جبريل و ميكال: الطبري: ٢/ ٢٩٤ – ٢٩٥ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٥٩ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٥٠ والمبسوط: ١٣٣ و الروضة لأبي علي: ٢ / ٥٤١ – ٥٤٣ وتفسير الثّعلبي: ١/ ٢٣٩ و الوسيط: ١/ ١٧٨ و القرطبي: ٢ / ٣٧ و البحر: ١/ ٣١٨ و النشر: ١/ ٢١٩

الهمزة، و إنما يجوز هذا على أنه اسمٌ أعجميٌّ لأنّ فِعْلِيلٌ (١) غير موجودٍ في كلام العرب، و قُرِأ (جبرائيل و ميكائيل) فزِيدَ فيه ألف (٢) و عن يحي بن يعمُر أنه قرأ بفتح الجيم والهمز و ترك المدّ و تشديد (٣) اللام (٤).

و قوله: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ لو قال : (قلبي) بَدَله لجاز و لكنه من تلوين الخطاب (٥).

و قوله: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [الآية ٩٨] يعني محمّدا وعيسى كفرتْ بهما اليهود ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ أعاد ذكرَهُما تشريفا و إن كان لفظ الملائكة شمِلهما كما قال : و ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [من مواضعها: آل عمران: ١٠٩]– ثم قال –﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن:الآية ١٨].

---

(١) قال ابن النحاس : (فِعليل نحو دِهليز و قِطمِير غير موجودٍ في كلام العربِ ... ثمّ قال: (و ليس يُنكَر أنْ يأتي في كلام العجم ما ليس له نظيرٌ في كلام العرب و لا ينكر أن يكثر تغييره الخ)اهـ. إعراب القرآن: ١/ ٢٥٠ و ينظر: تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٣٩ و الوسيط: ١/ ١٧٨ والقرطبي: ٢ / ٣٧ و البحر: ١/ ٣١٨

(٢) أمّـا قراءة جبرائيل: ممدودا مهموزاً : فتنسب إلى : ابن عباس و علقمة و ابن وثاب: تفسير الثعلبي : ١ / ٢٤٠ و البحر: ١/ ٣١٨ و في ميكائيل : قراءات متواترة سيذكرها المصنف قريبا.

(٣) في النسخة (ل) : تشدّ. و هو خطأ.

(٤) أي جَبْرَئِلّ و عن يحي بن يعمر أكثر من رواية ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٢٩٥ وتفسير الثّعلبي: ١/ ٢٤٠ و تفسير القرطبي: ٢ / ٣٧ و البحر: ١/ ٣١٨

(٥) اختلفوا لم أضاف القلب إلى كاف الخطاب و لم يضفه إلى ياء المتكلم: المحرر: ١/ ١٨٣ و البحر: ١/ ٣٢٠

و قال بعضهم : ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ أي من كان عدوّا لأحد هؤلاء فإن الله عدوٌّ لـه نظيره ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [النساء:الآية ١٣٦] لأنّ الكافر بالواحدِ كافرٌ بالكلّ.

و الـواو ههنـا بمعنـى أو و قـال ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ ثـمّ قـال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ ولم يقل فهم أعداءٌ له، بـل تـولّى تلـك العـداوة بنفـسه كفـى رسله أمرَ من عاداهم تشريفاً لهم و قياماً بحقوقهم.

و قوله: ﴿ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي بأمر الله.

وقولـه: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ كـان جبريل يأتيه بـالوحي ﷺ فيأخـذُهُ سُـباتٌ فـإذا ذهب السُّبات كـان قد حفـظ مـَا قاله فقرأه عليهم عند فـراغ جبريل من الوحي. قرأ ابن كثير وابن عـامر وعاصم وحمـزة و الكسائي (ميكائيل) بهمـزةٍ بعـدها يـــاءٌ، و قـرأ أبـو عمـرو وشِبْل عن ابن كثير، وحفص عن عاصم: (ميكال)، و قرأ نافع (ميكائِل) بهمزة بعـد الألـف في وزن مِيكاعِـل (١).قولـه : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الآيـة ٩٩] ولقـد اللام لامُ التّأكيد، (وقد) تصديقٌ ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ حججا ظاهرة و دلالات واضحة يريـد به القرآن بيِّنات بالحلال و الحرام، و قيل أراد به علمَ التوراة و الإنجيل و عِلمَ ما غاب عنـك من الأمم السالفة وعلمَ ما حرّف علماء أهل الكتاب نظيره قوله: ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة:الآيـة١٥].

(١)معاني القراءات للأزهري: ٥٨ والمبسوط: ١٣٣ و الحجة لأبي علي الفارسي: ١/ ٣٤٧ و الروضة لأبي عـلي: ٢ / ٥٤٢ – ٥٤٣ وتفـسير الثّعلبـي: ١/ ٢٤١ و القرطبـي: ٢ / ٣٧ و البحـر: ١/ ٣١٨ و النشر: ١/ ١٩

﴿ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ ﴾ أي بهـذه الآيـات ﴿إِلَّا ٱلۡفَـٰسِقُونَ﴾ أي اليهـود وغـيرهم مـن أهـل الشرك الذين خَرَجوا عن الدِّين .

قوله ﴿ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهۡدًا﴾ [الآية ١٠٠] الألف في قوله: ﴿ أَوَكُلَّمَا﴾ ألف استفهام وانتصب قوله : ﴿ أَوَكُلَّمَا﴾ على الظرف.

وقرأ بعضهم: (أوْ كلما)بسكون الواو (١) و قرأ بعضهم (٢)(أوَ كلما عوهدوا عهدا) كأنه جعلهم مفعولين، و قرأ الباقون : (أوَ كلّما عاهدوا عهدا) من المعاهدة .

وأما الواو في قوله ﴿ أَوَكُلَّمَا﴾ فهي واو عطف دخلت عليها ألف الاستفهام (٣)، وقيـل هي مع ألف الاستفهام مزيدةٌ و ليس لها معنى كما يزاد الفاء مع ألف الاستفهام كقـولهم أفـالله لتصغينّ (و٨٩) ﴿ نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنۡهُم ﴾ أي طَرَحه و المعنى فيه نَقَـضَه قـال الله تعـالى: ﴿ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ [الأنفال:الآية ٥٨] أي فانقض العهـد عـلى أمـرٍ بـيِّن، و قيـل نبذوه رمَوا به من قول الشاعر(٤):

(١) قراءة سكون الواو شاذة و بها قرأ : أبو السمّال العدوي. مختصر في شواذ القراءات: صـ٨ وتفـسير الثّعلبي: ١/ ٢٤٢ و البحر: ١/ ٣٢٣ و ينظر في توجيهها أيضا: المحتسب: ١/ ٩٩ والفريـد: ١/ ٣٤٦

(٢) قراءة (عوهدوا ...) شاذة قرأ بها : الحسن و أبو رجاء : مختصر في شواذ القراءات : صـ٨ و نـسبها إلى الحسن فقط و في المحرر: ١/ ١٨٥ و البحر: ١/ ٣٢٤ نسبتها إليه و إلى أبي رجاء .

(٣)جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٠٧ و إعراب القـرآن لابـن النحـاس: ١/ ٢٥٢ و المحـرر: ١/ ١٨٤ - ١٨٥ و البحر: ١/ ٣٢٣

(٤) نسبه في مجاز القرآن: ١/ ٤٨ إلى أبي الأسود الدؤلي و كذلك نسبه الطبري: ٢/ ٣٠٩ و اللسان:

نظرتَ إلى عُنوانه فنبذتَهُ   كنبذِكَ نعلاً أَخلَقَتْ من نِعالِكَا

و إنما أراد: أَوَ كلما عاهدوا النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم عهدا أوْ كلَّما أُمِروا بأمرٍ و هو ما كان بينهم و بين النبي النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم من العهود و الموادعة حين دخوله المدينة طمعاً منه في إسلامهم، أَوْ ما عهد [١] الله سبحانه إلى اليهود في التوراة من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فنقض ذلك العهد طوائف من اليهود مثل قريظة في نقضهم عهد النبي صلى الله عليه وسلم، أْو من لم يؤمنْ به من اليهود ممّنْ تركوا حكم التوراة ككعب بن الأشرف وأصحابه، و لم ينقض الجميع عهده كعبد الله بن سَلَام و أصحابه.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يريدُ به أكثرُ المعاهدين لا يؤمنون لمّا أخبر أنّ فريقا منهم نقضوا العهد أَوْهَمَ أنّ الباقين لم ينقضوا فقال هؤلاء نقضوا العهد بل أكثرهم أيضا لا يؤمنون كما تقول ما جاء بعض أصحابك بل أكثرهم لم يجئ ، ويحتملُ أنه أراد كَفَرَ فريقٌ منهم بالنقض وكفر أكثرهم بالجحد (٢).

قوله : ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الآية ١٠١] رسولٌ يعني محمدٌ ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يعني طائفة من اليهود ﴿كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي أعرضوا عنه، واستخفُّوا به كقولهم اجعل هذا الأمر وراء ظهرك، و المعنى في هذا أنَّهم أعرضُوا عن عِلْمِ التوراة و ما فيها من عهد الله ووجوب الإيمان بمحمّد ﷺ مع عِلمِهم بذلك حتى لم يعملوا بما علِمُوا و اشتغلوا بسحرهم

(خ ل ق ، ع ن ن).

[١] في النسخة (ل) : عاهد.

(٢)الطبري : ٢/ ٣١٠ و المحرر: ١/ ١٨٥و البحر: ١/ ٣٢٤

هاروتَ و ماروتَ و لم يعملوا بها قرأوه كأنّهم لا يعلمون وجوب ذلك عليهم في التوراة و قد علِموه.والكتاب نبذوه رواء ظهورهم ههنا التوراة (١).

و الكناية في قوله: ﴿ جَآءَهُم﴾ تعود إلى اليهود و لو قال: (مصدّقاً) لكان ذلك جائزاً في العربية فيكون نصباً على الحالِ أي مصدّقا حيث أتى بعد تمام الكلام لأنّه قد وَصَفَ الكتاب بأنه من عند الله فتمّ به الكلام.

و إنما قال: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ ولم يقل منهم و قد جَرَى ذكرُهُم لأنّه أراد به علماءهم لأنّهم هم الذين نبذوا الكتاب ففصّل. و قيل إنما قال ذلك للبيان لما طال الخطاب، و كان الذين نبذوا الكتاب مُعاندين حَسَدَاً منهم ولا يجوز مثل ذلك العناد على جماعةٍ كثيرةٍ و لذلك قال نبذهُ فريق منهم، و الجمعُ اليَسيرُ يجوز عليهم التواطىء على الكذب .

وقال السدي(٢) : اشتغلوا بكتابٍ في سحر هَارُوتَ و مَارُوتَ .

قوله :﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ [الآية ١٠٢] ﴿مَا تَتْلُواْ ﴾ قيل ما تَلتِ الشياطين ، والعربُ تضعُ الماضي في موضع المستقبل والمستقبل في موضع الماضي ، وهذا مُستقبلٌ في موضع ماضٍ نظيره قوله: ﴿ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ ﴾ [البقرة:٢١٤] أي حتى قال الرسول، و أُنشد (٣):

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣١١ و ذكر جماعة من المفسرين فيها قولين الأول أنها التوراة و الثاني أن المراد القرآن: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٦١ والوسيط: ١/ ١٨١ والمحرر: ١/ ١٨٥ والتفسير الكبير للرازي: ١/ ١٨٤

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣١٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ١/ ١٨٤ (٩٧٧، ٩٧٩).

(٣) هما من قصيدة لزياد الأعجم في رثاء المغيرة بن المهلب: منها أبيات في الشعر و الشعراء: ١/ ٤٣١والأغاني : ١٤/ ٩٩ و هي بطولها في ذيل الأمالي: ٣/ ٨ و منها أبيات كثيرة في وفيات الأعيان : ٢/ ١٩٣ و بعضها في خزانة الأدب: (الشاهد : ٨٠٢) و البيتان اللذان ذكرهما المصنف

و إذا مَرَرتَ بِقَبرِهِ فَاعقـرْ به　　　كُومَ الهِجَانِ وكُلَّ طِرْفٍ سَابِــحِ
وانضح جَوَانِبَ قَبرِهِ بِدِمَائِهَا　　　فَلَـقَـد يكونُ آخَا دَمٍ و ذَبَــائح

أي فلقد كان أخَا دَمٍ ، وقال بعضهم: في الآية إضمار ومعناه واتَّبعوا ما كَانَت الشياطين تَتْلُوا.
و معنـى ﴿تَتۡلُواْ﴾ تَتّبعُهُ و تَقَرأهُ و تَعمَـلُ به من السِّحر، و قـال مُجـاهد (١) و قتـادة (٢)

و عطاء (٣) كانوا يتلون ذلك و يقرأونهُ ، وقـال ابن عباس (٤):عَمِلوا بالسحر (٥).
وقولـه: ﴿ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَـٰنَ ﴾ قيـل معنـاهُ عـلى عهـد سُـلَيمان (٦)، وقيـل ﴿ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَـٰنَ ﴾ أي ما اختَلَقُوه وافتَرَوهُ و كذبوا على مُلك سُليمان كما تقول فلانٌ يقـول الـزور عـلى فلان وقيل ﴿ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَـٰنَ ﴾ أي في مُلك سُـليمان أي سُـلطانِهِ و مُلكـِهِ و ولايتِـهِ (٧)،

في تفسير الثّعلبي أيضا : ١/ ٢٤٣

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣١٩

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣١٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٨٧ (٩٩٢)

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣١٩ و الـدر: ١ / ٩٦ و عـزاه للطـبري ولفـظ عطـاء في الطـبري: (مـا تحدّث)اهـ.

(٤) الطبري: ٢/ ٣٢٠ بلفظ: (تتبع).

(٥) تتلو تحتمل معنيين : الاتباع يقال تلوت فلانا إذا مشيت خلفه و المعنى الآخر: لتتلو القراءة والدراسة يقال فلان يتلو القرآن قالـه الطـبري و بـيّن رحمـه الله احـتمال الآيـة للمعنيـين. ٢/ ٣٢٠ وينظـر: للوسيط: ١/ ١٨٢ و المحرر: ١/ ١٨٥ و تفسير الرازي: ٣/ ١٨٥ والبحر: ١/ ٣٢٦

(٦)الطبري: ٢/ ٣٢١ ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٦٢ و الثعلبي: ١/ ٢٤٣ و تفسير القرطبي: ٢/ ٤٢ والبحر: ١/ ٣٢٧

(٧) اختاره الطبري: ٢/ ٣٢١ و الثعلبي: ١/ ٢٤٣

وقيل ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ أي في مُلك سُـليمان و معنـاه في ذهـاب مُلـك سُـليمان ، و (في) بمعنى: (على)سائغٌ في كلام العـرب ، قـال الله تعـالى: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه:الآية ٧١] أي عليها (١).

فإن قيل {فكيف قال }(٢) ما تتلوا الشياطين على مُلك سُليمان وقد كان قبلَ سُـليمان سِـحرٌ فهـلّا قال على عهد فرعون وغيرِه قيل لِمَا ذكرنا أنّهم أضافوه إلى سُليمان و زعموا أنّهُ كانَ سَاحِراً فَبَرّأهُ الله مما قالوا ، ولأن اليهود لّما وجدوا التوراة موافقاً لِما قـال محمـد صـلى الله عليـه وسـلم أعرضـوا واشتغلوا بالسحر الذي نُسبَ إلى عهدِ سُليمان على التفسير الذي ذكرناه .

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ نَزَّهَ الله سبحانه سُليمان وبَرَّأَهُ مما نُسب إليه من الكفر والسحر وذلـك أنهم كانوا يقولون إنّ سُليمان كان ساحراً ، وكذلك الشياطين زعموا أنّ سُليمان كان ساحراً فمعنى الآية: ما تتلوا الشياطين على عهد سُليمان فتنسبه إلى سُليمان ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ ولكـنهم هم الـذين كفـروا بـسحرهم ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ ﴾ هـم الـذين كفـروا بـالله ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾.

وقوله : ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ منهم من جَعَلَ (ما) نفياً أي لم ينزل على الملكين السحر عن ابن عباس (٣) و الربيع (٤).

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٢١ و تفسير القرطبي: ٢/ ٤٢ والبحر: ١/ ٣٢٧

(٢) سقط ما بين المعكوفتين من النسخة : (ل) : و ألحق في هامشها.

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٣١ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٨٨ (٩٩٧) كلاهما من طريق محمد بن سعد العوفي بسنده عن آبائه.

(٤)جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٣١ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٨٨

و على هذا في الكلام تقديم وتأخيرٌ؛ وتقديره: ولكنّ الشياطين كفروا يُعلمون الناس السحر ببابل هاروت و ماروت، و ما أنزل الله على الملكين من سحر ولا كَفَرَ سُليمان، و الملَكان على هذا التأويل جبريل و ميكائيل لأنّ اليهود تزعم أن الله أنزل السحر على سُليمان على لسان جبريل وميكائيل ، و هاروت و ماروت اسم رَجُلين (١) [و٩٠] كانا يعلّمان السِّحر على هذا التأويل عن ابن جرير (٢)، و منهم من جعل (ما) هنا بمعنى الذي و معناه و لكنّ الشياطين كفروا يعلّمون الناس السِّحر و يعلمونهم ما أنزل على الملكين ببابل هاروتَ و ماروتَ و هو ما قَذَفَ في قلوبهما من علم التفرقة عن قتادة (٣)و ابن زيدٍ (٤)و الزهري (٥)و على هذا لا يكون تعليمهما السّحر والتفرقة معصيةً لأنهم يعلّمون الناس على وجه التحذير عن ذلك، و علمُ الشرّ غيرُ معصية و إنّما العمل به معصيةٌ، فتعلّمهم ذلك لا يكون معصية و عملهم به يكون معصية، وتعليم الملَكين لا يكون (٦) لأنّ الله أذن لهما فيه اختباراً وافتتاناً للخلق.

قال محمد بن جرير الطبريّ (٧):و إنما يكون ذلك كقوله : ﴿ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى ﴾ [البقرة:الآية ٢٤٩] فيكون التمكين من تعلّم السحر ابتلاءً لهم و يحتمل أن يُقال إن تعلُّم السِّحر ليس بمعصية إذا كان ذلك ليُعلَمَ السحر فيتوقَّى و يتجنّب و يُفصَل بمعرفته بين المعجزة والمَخْرَقَة

---

(١) ينظر ما سيأتي عند ذكر المصنف إعرابهما.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٣١

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٣٣

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٣٢

(٥)تفسير عبد الرزاق: ١/ ٥٣ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٣٣٢ لكنه من رواية معمر عن الزهري عن عبيد الله فهو عن الزهري عن عبيد الله وعزاه في الدر: ١ / ٩٩ إلى عبد بن حميد و ابن المنذر.

(٦) يع لا يكون معصية.

(٧) هو في تفسير الطبري بمعناه لا بلفظه: ٢/ ٣٣٤ و ٣٣٩ و ينظر: الوسيط للواحدي: ١/ ١٨٥ والتفسير الكبير للرازي: ٣/ ٢٠٠

و السِّحر، و كذلك تعليم المَلَكَين السحر إنما هو على هـذا التأويـل، فتعليـم الـسّحر مـنهما طاعـةٌ وجائزٌ لكي يُتوقَّى السحر ويُميَّزَ بينه وبين المعجزة.

وقوله: ﴿فَلَا تَكۡفُرۡ﴾ بالعمل به لا بِتَعَلُّمه؛ و يصحُّ أن يقال تَعَلُّمُه ليُعملَ به معصيةٌ لأنه يقـصد بتعلّمه استعماله.

و قيل (ما) ههنا بمعنى الذي على وجهٍ آخر: و معنـاه و لكـنّ الـشياطين كفـروا يعلّمـون النـاس السّحر و كَذَبوا على ملك سليمان و على الذي أنزل على الملكلين و تقدير قوله : (على الملكين) أي على ألسنتهم و أنه زُوِّرَ عليهم كما تقول : زوّر علينا فلان و تقول عليّ.

و قُرأ: (على المِلكين) بكسر اللام [(١)] و قرأ (المَلَكينِ) بالفتح و هـو الأظهـر و الأكثـر، فمـن قـرأ بالكسر قيل كانا مِلكين جُمِعَ لهما الإسلام و المُلكُ، كما جُمِع لسليمان، و دواد ،و آل إبـراهيم؛ و إنّـما عَصَيَا الله و تعلّما السحر و جعلا يعلّمانه الناس فعاقبهما الله.

و قال الحسن [(٢)]: كانا عِلْجينِ ببابل.

و من قرأ بالفتح قال كان مَلَكَين أنزلا من السماء ليبيّنا للناس و جوه السحر ليحذَرُوه ويجتنِبُـوه و كانا في زمن سِحرٍ و شعوذة فكانا يُحذّران الناس ويعِظانهم و يقولان إنّما نحن فتنة و محنـة مـن الله نخبِرُكَ أنَّ عمل السحر كفرٌ بالله و ننهاك عنه، فإنْ أطعتنـا في تـرك العمـل بالـسّحر نجـوتَ وإنْ

---

(١) القراءة بكسر اللام شاذة: تنسب إلى: ابن عباس و الحسن و أبي الأسود الدؤلي و الضحاك و يحيى بن أبي كثير و ابن أبزى: المحتسب: ١/ ١٠٠ و الثعلبي: ١/ ٢٤٥ و المحـرر: ١/ ١٨٦ و زاد المـسير: ١/ ١٢٢ والبحر: ١/ ٣٢٩ و ذكرها الطـبري: ٢ / ٣٤٩ و لم ينـسبها و قـال إنهـا مخالفـة لإجمـاع الحجة . و ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ١/ ٦٨

(٢) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٤٥ وتفسير السمعاني : ١/١١٦ و المحرر: ١/ ١٨٦ و التفسير الكبير للرازي: ٣/ ١٩٨ و تفسير القرطبي: ٢/ ٥٣

عصَيتَنا في ذلك هلكتَ. و على هذا فتعلّم السحر ليس بكفر، و إنما العمل به منهيٌّ عنه معصيةٌ كفرٌ(١).

و الأظهر في الرّوايات (٢) أنّهما كانا ملَكين أُنزِلا إلى الأرضِ ليحكُما بين النّاس فافتتَنا بزُهرَةَ قيل إنّ زُهرة أُنزِلتْ إليهما من السّماء في صورة امرأةٍ من أهلِ فارسَ ثمّ صَعَدتْ إلى السّماء (٣)، وقيل إنّها كانت امرأةً حسناء تشبهُ زُهْرة في الحسن، و قيل إنها كانت امرأة فتعلَّمت منهما اسم الله الأعظم الذي به كانا يصعدان إلى السماء فصَعَدتْ إلى السماء فمُسِخَتْ نجما فهي الكوكب الذي يُسمَّى زُهْرَةَ و إنّ ابنَ عمر كان يبغضُه ويسبُّه وكان إذا رآه يقول لا مرحباً به و لا أهلا ويقول إنّها فتنتْ ملَكين (٤).

---

(١)كذا الأصل.

(٢) يرجح الطبري بقوة كونهما ملكين : ٢ / ٣٣٩ و يرجّحه السمعاني و يقول : إنه الصحيح: ١/ ١١٦ و أما القرطبي فصوّب كونهما ليسا من الملائكة : ٢/ ٥٠ – ٥١ و ينظر ما سيأتي.

(٣)كون المرأة التي فتنت الملَكين هي زهرة الكوكب المعروف غير صحيح، و قد وَرَدَ في ذلك خبرٌ غريب جدا عن ابن عمر رضي الله روي عنه من طُرُق مرفوعا و موقوفا و من روايته عن كعب الأحبار، وسيشير إليه المصنف فيما بعد و سأذكر تخريجه قريبا و الكلام عليه قال نجم الدين النسفي: (أمّا مسخها كوكبا فغير مستنكر لأن الله تعالى مسخ أقواما لكن صيرورتها زهرة المشهورة في السماء رواية ضعيفة لأن زهرة في السماء منذ خلقها الله تعالى، و خلق فيها الكوكب فيجوز أن يكون كوكبا آخر يشبهها)اهـ . تفسير الحافظ نجم الدين عمر النسفي الحنفي ، التيسير في التفسير: (ورقة ١١٢) و ينظر أيضاً ما سيأتي.

(٤)هذا الخبر اختلف الرواة في رفعه ووقفه و قد صح في بعض الروايات عن ابن عمر عن كعب الأحبار و رجّح جماعة من الأئمة منهم البزار و البيهقي وابن كثير روايةَ وقفه، و جعلها البيهقي وابن كثير مما أخذه ابن عمر عن كعب الأحبار فعاد الخبر إلى كونه مأخوذا من كلام كعب الأحبار ، و قد رواه الطبري و ابن أبي حاتم و غيرهما عن علي و ابن عباس موقوفا عليهما، ولكنها أخبار و قع في بعضها تعارض و اختلاف، و لم تثبت عن المعصوم صلَّى الله عليه وسلَّم ويمكن أن تكون مأخوذة

من قصص بني إسرائيل، فالراجح أنها امرأة كانت في ذلك الزمان تسمّى الزهرة إن صحت الأخبار في ذلك. قال ابن كثير: ١ / ١٤٦ : (وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعةٍ من التابعين كمجاهد والسّدِّي والحسَنِ البصري وقَتَادة وأبي العالية والزُّهري والرَّبيع بن أَنس ومقاتل بن حيَّان وغيرِهم وقَصَّها خلقٌ من المفسرين من المتقدِّمين والمتأخِّرين وحاصِلُها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديثٌ مرفوع صحيح متصلُ الإسناد إلى الصَّادق المصدوقِ المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسطٍ ولا إطنابٍ فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال)اهـ:

و أما الخبر المرفوع إلى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم من رواية ابن عمر رضي الله عنه ففي المسند لأحمد: ٢/ ١٤٣ و تحقيق أحمد شاكر: ح٦١٧٨) و مسند عبد بن حميد: المنتخب: صـ ٢٥١ والبزار: ٣/ ٣٥٨ كشف الأستار و ابن حبان : (ح٦١٨٦ : ١٤/ ٦٣) و البيهقي: في السنن الكبرى: ١٠ / ٤ و في شعب الإيمان: ١ / ١٨١ من طريق طريق زهير بن محمد ، عن موسى بن جبير ، عن نافع ، عن ابن عمر مرفوعا . و هو في المستدرك بسياق آخر من طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عمر مرفوعا : ٤/ ٦٠٧ . قال ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه (٢ / ٦٩-٧٠): « هذا حديث منكر » و قال ابن كثير: ١ / ١٤٣ (هذا حديث غريب من هذه الوجه ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين إلا موسى بن جبير ، هذا وهو الأنصاري السلمي مولاهم المدني الحذاء،)اهـ. و له متابعات ضعيفة ذكرها ابن كثير . و لكن قد صحّ موقوفا من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه و صح أيضا بلفظ آخر قريب منه عن ابن عمر عن كعب الأحبار أما طريق كعب فعند عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٥٣ و ابن أبي شيبة ١٣ / ١٨٦و الطبري: ٢ / ٣٤٤ - ٣٤٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٩٠ (١٠٠٦) والبيهقي في شعب الإيمان: ١ / ١٨١ كلهم من طريق الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب، ورواه الطبري أيضا: ٢/ ٣٤٤ موقوفا من رواية : عبد العزيز بن المختار عن موسى بن عقبة حدثني سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن كعب .

و أما الموقوف على ابن عمر فرواه مجاهد موقوفا على ابن عمر : أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٥٨٣) من طريق العوام بن حوشب ، عن مجاهد ، و رواه ابن أبي حاتم في تفسيره: (١/ ١٩٠) (١٠٠٧) من طريق عبيد الله بن عمر الرَّقِّي عن زيد بن أبي أُنَيسة عن المنهال بن عمرو ، ويونس

بن خباب ، كلاهما عن مجاهد ، به . قال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٤) :« وهذا إسناد جيد إلى عبد الله بن عمر » .

فالخلاصة أن سالما وهو أثبت الناس في أبيه رواه عن أبيه عن كعب الأحبار و رواه مجاهد عن ابن عمر فلم يرفعه - مع العلم أن رواية مجاهد مختصرة - فالوقف أرجحُ، و يكون ابن عمر إنما أخذه عن كعب الأحبار كما قال البيهقي: شعب الإيمان: ١ / ١٨١ و كما قال ابن كثير في الموضع السابق. قال البيهقي: (ورويناه من وجه آخر عن مجاهد عن ابن عمر موقوفاً عليه وهو أصحّ فإنّ ابن عمر إنما أَخَذَه عن كعب)اهـ. وقال أيضا: (هذا أشبه أن يكون محفوظا). يعني رواية الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه عن كعب الأحبار. و ممن رجح رواية الوقف: البزار: ٣ / ٣٥٨ والبيهقي: السنن الكبرى: ١٠ / ٤ و في شعب الإيمان الموضع السابق و ممن أبطل هذه القصة أوضعفها ابن حزم: الفصل: ١/ ٣٥٨ و ٣ / ٣٣ و ٤/ ٦١ و ابن العربي في أحكام القرآن: ١/ ٢٩ و القاضي عياض: الشفا: ٢/ ١٧٥ وأما الحافظ ابن حجر فقوّى في كتابه العجاب: صـ ١٦٠ و في القول المسدد : صـ ٣٨ القصة لكثرة طرقها وردّ على ابن حزم وابن العربي و القاضي عياض وابن عطية و القرطبي والرازي و أبي حيان و غيرهم لتوهيتهم لها، وقال القرطبي: ٢/ ٥٢(هذا كله ضعيف و بعيد عن ابن عمر و غيره ، لا يصح منه شيء)اهـ. و الراجح أنّ تفاصيل تلك القصص لا يصحُّ منها شيء عن المعصوم و أقوى ما فيها خبر ابن عمر وقد تقدّم ما فيه وتبين بمجموع الروايات أنه مما أخذه ابن عمر عن كعب الأحبار كما قال البيهقي و ابن كثير و ذلك بينٌ في غرابة القصة، و بعيد جدّاً أن تكون عند ابن عمر عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ثمّ يرويها لابنه سالم عن كعب الأحبار، و ممن ضعَّفَها من المعاصرين الشيخ أحمد شاكر : المسند: (ح ٦١٧٨) و أما تفصيل القول في جميع الروايات فيخرج عن المقصد الأصلي و ينظر في الازدياد من هذه الأخبار و الكلام عليها: جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٤١ -٣٤٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ١/ ٨٩ و العلل له: ٢/ ٦٩ و الموضوعات لابن الجوزي: ١/ ١٨٦ و الميزان للذهبي: ٢/ ٢٣٦ وتفسير ابن كثير: ١/ ١٤٦ و العجاب للحافظ ابن حجر: صـ ١٤٣ – ١٦٠ و القول المسدد: صـ٣٨ و الدر المنثور: ١/ ٩٧ و الفوائد المجموعة: ١/ ٤٩٢ و تحقيق المسند لأحمد شاكر: (٦١٧٨) (٩ / ٣١) .

وفي الخبر عن علي رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال [(١)] : لعنَ الله سُهَيلاً فإنّه كان عشَّاراً ولعنَ الزُّهرةَ فإنها فتنتْ المَلَكَين.

وبابل اسمُ قرية أو موضعٍ من الأرض. ذكر السدي [(٢)] أنّه بابل دناوند [(٣)].

ورُوِي عن عائشة [(٤)] أنّه بابلُ العراق.

و قال الحسن [(٥)]: المَلَكَانِ ببابل الكوفة من أتاهُما سَمِعَ كلامَهُما.قال الكلبي [(٦)]: كانوا ثلاثةً: غَرا و هو هاروت و غرايا و هو ماروت و غرائيل، وإنّ غرائيل استقالَ ربُّه لَمَّا وَقَعَتْ الشّهوة

---

(١) رواه ابن السنّي في عمل اليوم و الليلة : (ح ٦٥٠) باب ما يقول إذا رأى سهيلا و الدارقطني في العلل: ٤/ ١٧٨ من طريق جابر الجعفي عن أبي الطُّفيل عن علي مرفوعا ، و في رواية الدارقطني لا أراه إلا رفعه). و قد اختلف في رفعه ووقفه و بين ذلك الدارقطني .

و في سنده جابر بن يزيد الجعفي: قال الهيثمي: (رواه الطبراني في الكبير وفيه جابر الجعفي وفيه كلام كثير وقد وثقه شعبة وسفيان الثوري)اهـ. قلت جابر الجعفي (قال فيه النسائي : متروك و قال ابن معين : كذاب)و فيه كلام كثير كما قال الهيثمي. الميزان: ١/ ٣٧٩ وفي ضعفاء العقيلي: ج١/ ٣١٣ :

(وقد روى عن الثوري عن جابر عن أبي الطفيل عن علي رفعه قومٌ، وأوقفه قوم آخرون). و رواه أبو الشيخ في العظمة موقوفا من طريق و كيع عن الثَّوري عن جابر به. (٤/ ١٢١٦) و عزاه في الدر إلى: ابن راهويه و ابن مردويه: ١/ ٢٢٣.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٤٥ و ٣٥٠ و تفسير ابن كثير: ١/ ١٤٥

(٣) في الطبري: دُنباوند. و في معجم البلدان: ٢/ ٥٤٤ و مراصد الاطلاع: ١/ ٥١٢ أنّه : دَباوند بفتح أوله ويضم و يقال فيه: (دُنباوند) و أنّه كورة من كور الريّ.

(٤) روي في خبر طويل عن عائشة في قصة امرأة أتتها بعد موت النبي صلَّى الله عليه وسلَّم تستفتيها و قصت عليها قصة غريبة: جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٥٠ ، ٣٥٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٩٤ (١٠٢٢) والحاكم: ٤/ ١٥٥ وقال صحيح الإسناد و البيهقي: ٨ / ١٣٦و ينظر: تفسير ابن كثير: ١ / ١٤٦ قال ابن كثير: (أثر غريب و سياق عجيب) و قال في آخره: و هذا إسناد جيدٌ إلى عائشة رضي الله عنها.

(٥) كرره المصنف و تقدم قريبا.

(٦) الثعلبي: ١/ ٢٤٦ وغرائب التفسير للكرماني: ١ / ١٦٣ مع اختلاف في نقط هذه الأسماء هل هي عزا أو عزار الخ...

في قلبه فأقالَهُ الله تعالى وإنّهُ لما صعد إلى السماء سجد أربعين سنةً ثم رَفَعَ رأسه ثم لم يزلْ بعد ذلك مطأطأً رأسه حياءً من الله.

و قال ابن عباس و ابن مسعود [(١)] السببُ في نزولها أنه لما كثر الفساد في أولاد آدم من عبادة الأصنام وغير ذلك من المعاصي والآثام كانت الملائكة تعيِّرهم و تقول ربَّنا خلقتَ من يشرِكُ بكَ ويفعلُ ويصنعُ و دَعَتْ عليهم بالهلاك فقال الله عز وجل: أمّا أنتم لو كنتم مكانهم لعملتُم مثلَ أعمالهم فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ذلكَ فقال لهم اختاروا مَلَكَينِ هما خيرُكم فاختارُوا هاروتَ و ماروتَ فأنزَلهما الله إلى الأرض، و خلق فيهما الشَّهوة و أمرَهُما بالحكم بين الناس فما مرّ بهما شَهْرٌ حتى افتُتِنَا و ذلك أنّ امرأة اختصمتْ إليهما فوقعَ منها في قلبهما مودَّةٌ فراوداها عن نفسها فأَبتْ إلا أنْ يُدخِلا في دينِها ويشربا الخمر ويقتلا النّفس التي حرّمَ الله.

فقال بعضُهم [(٢)] أجاباها إلى ذلك، و قال بعضُهم: شَرِبا الخمرَ وَ وَقَعا بها ثمّ ظَنّا أنَّ رجلاً رآهُما فقتلاهُ فكَشَفَ الله للملائكة عن أحوالهما فنظَرُوا إليهما يفعلان ذلك ففَزِعا فمن ذلك الوقتِ ليس لهما شأنٌ إلا ويستغفرون لمن في الأرض و عَلِمَ الملكان أنهما فُتِنا فجاءا إلى سليمان في بعض الروايات عن ابن عباس [(٣)]، و إلى إدريس في بعضٍ.

و كثير من المفسّرين قالوا جاءا إلى رجل من النّاس و لم يكن نبياً، وقالا رأينا لكَ هناك جاها فتشفَعُ لنا فخيَّرهُما الله بينَ عذاب الدنيا و عذاب الآخرة فاختارا عذاب الدُّنيا فعُذِّبا. (و٩١) قال بعضُهم عُلـّقا بشعورهما، وقال بعضهم كُبِّلا من الكَعْبِ إلى الفَخِذِ وقيل إلى العُنُق وقال بعضُهم هم في جُبٍّ من النّار إلى يوم القيامة .

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٤٦ و ابن أبي الدنيا في العقوبات: (٢٢١). من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود و ابن عباس.

(٢) هذه الأخبار و ما بعدها ليست في نصّ الخبر الماضي و لكن نقلها المصنف من أخبار أخرى عند الطبري: ٢/ ٣٤١- ٣٤٩ و ابن أبي حاتم : ١/ ١٩٠ و الثعلبي: ١/ ٢٤٥.

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٤٢ و الدر: ١ / ١٠٠

وقيل كانت الملائكة قبل ذلك يستغفرون للذين آمنوا، فلما وَقَعَتْ المعصية فيهم اِستغفروا لِمَن في الأرض (١).

فإن قيل هل يجوز على الملائكة الكفر ؟ . قيل الملائكةُ اسم جنس كالإنس ويجوز عليهم المعاصي كما يجوزُ على غيرهم من الكفرِ وغيرِهِ ماخلا المرْسلينَ منهم فإنّ القول بوجوب عِصمتهم واجبٌ، وقوله تعالى : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ ﴾ [التحريم:الآية ٦] محمولٌ على الأغْلَبِ منهم أو على المرسلين منهم .

و قوله: ﴿ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ مخفوضان في الحقيقة لكنهما أعجميّان (٢) وقرأ بعضهم(ببابلِ هاروتَ) على الإضافة إليهما بكسر اللاّم من بابل.

وعن الزُهْرِيِّ (٣)(هاروتُ وماروتُ) كقوله : ﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [الحج:الآية ٧٢].

قوله: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ فإن أَبَوا عَلّماهم لأنهما يَعْلَمَانِ أنَّ ذلك كفرٌ، وأنّه فتنةٌ لكن حَمَلَ المتعلِّمين على ذلك التَكَسُّب والملكين الفتنةُ والشياطين التمرّدُ (٤) . وقيل إذا قالا للمتعلِّم إنما نحن فتنة وأبى الرجوع عنهما دون التّعلُّم قالا له أعني الملكين إئتِ هذا الرَّماد وَبُلْ عليه فإذا بال سَطَع منه حتى يَدْخُلَ السماء وهو الإيمانُ

---

(١) ينظر: المصادر السابقة.

(٢)قال الثعلبي: (اسمان سريانيان في محل الخفض على تفسير الملكين بدلاً منهما إلا أنهما نُصِبا لعجمتهما و معرفتهما)اهـ. ١/ ٢٤٥ و ينظر أيضا: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٥٢ والمحرر: ١/ ١٨٦ و الكشاف: ١/ ١٩٨ و التفسير الكبير للرازي: ٣/ ١٩٨ و البحر: ١/ ٣٣٠.

(٣) مختصر في شواذ القراءات: صـ٨ و البحر: ١/ ٣٣٠

(٤) في النسخة (ل) : المُتَمَرِّدُ.

وأقبل شيء أسودُ كهيئة الدُّخَانِ يَدْخُل في مَسَامِعِهِ وخُرُوقِه وذلك غَضَبُ الله فيتعلّمون منهما السِّحر (١).

وقيل إنّ الملكين لا يعلّمان أحدا السحر وإنما يُعلِّمان التفريقَ (٢) بين المرء وزوجه وقد يكون ذلك بأشياءَ دون السحر كالَوشَية بينهما والمشي بالنَّميمة وسقيِ دواءٍ يمنعُ من المباشرة فيحملهما على المفارقةِ أو يدعو أحدَهُما إلى الكفر فَيُجيبُهُ ويرتدُّ عن دينه فيقعُ بينهما التَّفرِقةُ وما شَاكل هذا.

وموضع (ما) في قوله﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ إنْ قلنا إنّ (ما) نَفْيٌ فلا مَوضِعَ له وإنْ قلنا أنّه بمعنى الذي فموضعه النصبُ عَطْفاً على السّحر أي يُعلّمون الناس السحرَ والذي أُنزل على الملكين؛ ويحتمل أن يكون نصباً عطفاً على(ما) في: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ ويحتمل أن يكون جزاءً عطفاً على مُلكِ سليمانَ كأنّه قال على ملك سليمان وعلى ما أُنزِل على الملكين.

واللاّم في قوله ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾ لامُ القسمِ واللام في قوله ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ لامُ التأكيد وقرأ نافع وابن كثير وعاصم وأبو عمرو ولكِنَّ بالتشديد ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكنْ بالتخفيف (٣).

فإنْ قيل فهل للسحر حقيقة ؟ قيل أجل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (السحر حقٌّ) (٤). أي كائن موجودٌ، خلافاً للفلاسفة والمعتزلة (١)ومعناه تخيُّلات وتمويهات فمعنى السحر هو

---

(١) يروى ذلك من خبر السدي: جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٥٥ و ذكره ابن كثير عن السدي: (١/ ٢٠٦)

(٢) في النسخة (ل): الفريق.

(٣) السبعة لابن مجاهد: ١٦٧ و الحجة للفارسي: ١/ ٣٥١ والوسيط: ١/ ١٨٢ و النشر: ٢/ ٢١٩ وغاية الاختصار لأبي العلاء الهمذاني: ٢/ ٤١٤

(٤) لم أجد حديثا بهذا اللفظ . و أنا أتعجّب من المصنّف رحمه الله حين يذكر مثل هذا الخبر الغريب ولا

الفعل المُمَوَّهُ الذي ليس على ما يَتَوَهَّمهُ الظَّنَّان [٢] كما أخبر الله عن عِصِيّ السحرة لفرعون أنها يُخَيَّل إليهم أنّها تسعى وكانت من أَدَمٍ فيها زِئبقٍ.

و قوله: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ ولم يقل فتنتانِ لأنه مصدرٌ والمصدر لا يثنى ولا يُجمعُ.

والفتنة في اللغة [٣] الاختبارُ تقول فَتَنْتُ الذَهَبَ إذا أدخلتَه النّار لِتَعْرِفَ جودتهُ وفَتَنَتِ الشمس الحجر إذا سَوّدَتْهُ هذا أصلُ الفتنة ثم يسُمّي الصّرْف عن الشيء فتنةً والإحراق فتنةً قال الله تعالى ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ [الذاريات: الآية ١٣] أي يُحرَقُون. و منه قوله: ﴿ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ﴾ [التوبة:الآية ٤٩] أي لا تصرِفني .

و قوله: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾ الفاءُ فيه ناسقةٌ [٤] قيل إنَّها معطوفةٌ على قوله: ﴿يُعَلِّمَان﴾ فيتعلمون وقيل إنّه معطوفٌ على معنى الكلام كأنه قال يقولان: لا تَكْفُر ولا تَعَلَّم السِّحر فيأبون

يبين مصدره و يورده على صيغة الجزم . و أما كون السحر موجوداً فقد نطق به القرآن.

(١) ينظر: في بيان حقيقة السحر و اختلافهم في ذلك : جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٥٠- ٣٥٤ وأحكام القرآن للجصاص: ١/ ٥٥ و ما بعدها و التفسير الكبير للرازي: ٣/ ١٨٧ و ما بعدها و ينظر: ٣/ ١٩٧ وتفسير القرطبي: ٢/ ٥٤ و أبجد العلوم للقنوجي: ٢/ ٣٢٠

(٢) كذا في النسخة (ل) و في تاج العروس: (الظّنّان الكثير الظِّنان السيئة) (مادة : ظن ١/ ٨١٠٣) ولعل المصنف أراد جمع الظانّ فقال : الظِّنان، لكني لم أجد نصّا على صحة جمعه على هذه الصيغة.

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٥٦ و إعراب القرآن لابن النحاس: ٤/ ٢٣٨ و لسان العرب: (فتن) (١٣/ ٣١٧) و تاج العروس (فتن).

(٤) اختار الطبري أنها مستأنفة و هي خبرٌ مبتدأٌ عن المتعلِّمين مِن الملكين: ١/ ٣٥٧ و كذلك اختار ابن النحاس أنها مستأنفة و قال: إنه أحسن ما قيل فيها. إعراب القرآن: ١/ ٢٥٣ و في ذلك كلام كثير ينظر في : البحر: ١/ ٣٣١

فيتعلّمون، وقال الفرّاء (١): إنه مردود على قوله ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ فيتعلمون ما يضرهم وقيل إنه متصل بقوله: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ﴾ فيأبون فيتعلّمون.

وقوله ﴿مِنۡهُمَا﴾ معناه فيتعلمون من السحر والكفر ما يفرّقون به بين المرء وزوجه وقيل يتعلمون من السحر والكهانة وقيل يتعلمون من هاروت وماروت على اختلافِ القول فيهما.

وقوله ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ قيل بعلم الله وقيل بقضائه ومشيئته وتقديرِهِ ويتعلمون من السحر والكهانة ما يضرُّهم في الدِّين ولا ينفعهم كبيرَ شيء في الدّنيا.

﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ﴾ لَمن اختاره يعني السحر واعتقد عليه ﴿مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾، قيل من نصيب وقيل من خَلاَصٍ وأنشد أمية ابن أبي الصَّلْت (٢):

يدعونَ بالويل فيها لا خَلَاقَ لهم   إلا سرابيلُ من قِطْرٍ (٣) وأغلالِ

أي لا خلاصَ لهم. وإنَّما قال: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ﴾ لأنّه أراد به اليهود لأنّهم جَحَدوا وعاتَبُوا.

واختلفوا في المعنيّ بقوله ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ فقال الربيع (٤)وابنُ زيد (٥) والسُّدِّيّ (٦)هم اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن عباس (١) وابن جريج (٢)هم اليهود الذين كانوا (٣) على عهد سليمان.

---

(١) معاني القرآن للفراء: ١/ ٥٦

(٢) ديوانه: ص٥٤ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٦٦

(٣) القِطر بكسر القاف النحاس المذاب أو نوع منه. (لسان العرب: قطر) و (تاج العروس: قطر)

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣١٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٨٦(٩٨٥)

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣١٥

(٦) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣١٣ – ٣١٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٨٦ (٩٨٧)

وقال محمد بن جرير [٤] الآيـة محمولةٌ على الجميع. و قيـل في تفـسير هذه الآية أن الله تعـالى لما (و٩٢) فَتنَ سليمان عليه السلام أَخرجت الشياطين ضُروباً من السحر والنَّيرنْجَاتِ وخَيَّلُوا إلى الناس أنّها عزائم و بها كان سليمان يَضْبِطُ الملك ويَقْهر الخلق فأكذبهم الله بهذه الآية.

رُوِيَ أنّ الشيطان كان يَـصْعَدُ إلى الـسماء فَيَقْعُـدُ منهـا مقاعـد للـسَّمع فيـسمع كـلام الملائكـة في الكائنات في الأرض ثم يُخبِرون بها الكَهَنة ،ويزيدون فيها أكاذيبَ فكان الناس يقولـون إنَّ الجـنّ تعلمُ الغيب وكتبوا ذلك وكَثُرَ ذلك في بني إسرائيل ثمّ إنَّ سليمان جمع تلك الكتـب وأمـر أنَّ مـن قال منهم ذلك فجزاءه القتلُ، ودفنها تحت كُرْسيِّهِ فلما مات سليمان وأتى على ذلك زمانٌ تمثَّل لهـم شيطانٌ على صورة إنسان، وقال هل أدلُّكم على كنز سليمان فدلهم على موضع الكنز فاستخرجها، فقالوا بهذا كان يُمْسك سليمان مُلكهُ، وأنه لم يكن نبياً، فذهب إلى هذا جماعة منهم، ومـن كـانوا في عصر سليمان ممّن لهم علمٌ بذلك كانوا قد انقرضوا فلـما بُعِـثَ رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم خاصموه في سليمان فأكذب الله اليهودَ [٥].

ومنهم من قال إن الله اِنتزع الملك من سليمان أيّاماً فارتدّ جماعـة مـن الجـن والأنـسِ، فلـمّا ردّ الله الملك على سليمان ظَفِرَ بهم وَوَجدَ كُتبهم فجعلها في صندوقٍ ودفنها تحتَ كُرسيِّهِ فلمّا ظَهَرَتِ الجنُّ

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣١٦ و ابـن أبي حـاتم: ١ / ١٨٥ (٩٨٤) مـن طريـق محمـد بـن سـعد العوفي.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣١٦

(٣) وقع في النسخة (ل) هنا : (في زمن النبي ﷺوقال ابن) ثم وضع عليها الناسخ علامة بالحمرة تفيد أنها زائدة و أنها خطأ من الناسخ.

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣١٧ - ٣١٨

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣١٣ - ٣١٤ و ابن أبي حـاتم: ١ / ١٨٦ وينظـر: أيـضا الطـبري: ٢ / ٣٢٦ و ما بعدها.

والإنس عليها بعد سليمان قالوا إنّ سليمان بهذا كان يُمسِكُ مُلكَهُ وأنّه لم يكن نبياً وكفروا فردّ الله عليهم عن السُّدى (١).

وقال الربيع (٢): إنما دَفَنَ الشياطين على عهدِ سليمان كتاباً فيه سِحرٌ تحت كرسيّه ولم يعلم سليمانُ ذلك لأنّه لم يعلم الغيب ثمّ أخرجوه بعد موتهِ، وقالوا إنما دَفَنَه سليمان و به كان يحفظ ملكه، فَفَتَنُوا به الخلق حتى قالوا إنّ سليمان لم يكن نبياً وإنما كان ساحراً.

وقيل كان لسليمان كاتبٌ يقال له آصَفُ كان يكتبُ كُتُبَ سليمان بعلمه ويدفنه تحت كرسيه فلمّا مات سليمان وَدَلّهم على موتِهِ دابَّةُ الأرض، أخرجتْ الجنُّ تلك الكتب، وكتب الشياطين بين كل سطرين سطراً من السحر والكفر، وقالوا بهذا كان يفعل سليمان وخَتَموا عليه بخاتَمٍ على نقشِ خاتم سليمان وكتبوا على عنوانهِ: هذا ما كتبَهُ آصَف الصّدّيق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، فاستخرجه بقايا بني إسرائيل وافتَتَنُوا، فمن ذلك السحر في اليهود أكثر منه في غيرهم (٣).

ولمّا لم يعلم الجنُّ بموت سليمان حتى دلهم عليه دابّة الأرض تبيّنت الإنس أنَّ الجنّ لا يعلم الغيب.

واختلفوا في زلة سليمان فقال قومٌ إنه سَبى جاريةً في بعض غزواتِهِ فَشُغِف بها وواطأها على مرادها حتى صاغت بِمِثالِ أبيها تستأنس إليه كانت تعبُدهُ خُفْيَةً، وقيل عُبِدَ الصنمُ في دارِه أربعين يوماً (٤).

---

(١)جامع البيان للطبري: ٢ / ٣١٣ - ٣١٤ .

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣١٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ١٨٦ (٩٨٥) و الدر: ١/ ٩٥

(٣) رواه الطبري من رواية ابن إسحاق و لم يسنده ابن إسحاق: ٢/ ٣١٦ و من رواية شهر بن حوشب: ٢/ ٣٢٧ و الدر : ١/ ٩٥ و عزاه للطبري. و ينظر: تفسير الثعلبي: ١/ ٢٤٣ والبغوي: ١/ ١٢٦

(٤)ينظر: تاريخ الطبري: ١/ ٢٩٣ وتاريخ دمشق: ٢٢/ ٢٤٤ و قد ذكروا قصة طويلة غريبة منكرة وهي من المفتريات و الخرافات الإسرائيلية القبيحة المفتراة على نبي الله سليمان .

وقيل أنه كان يملك عُدَّةً من الحراير والسَّراري فقال في نفسه يوماً لأطُوفَنَّ الليلة على ثلاثمائة اِمرأةٍ تحمل كلَّ واحدة منهنَّ غلاماً يُجاهدُ في سبيل الله ولم يسْتَثنِ فَفَعَل فلم تَحْمِل إلا واحدةٌ جاءت بِشِقِّ مولود (١).

قوله: ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي بئس شيء باعوا به حَظّ أنفسهم حيث اختاروا السِّحرَ على الدّين ﴿ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ بِعِقَابه.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ﴾ [الآية :١٠٣] بالله وتابوا من السحر والكفر ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ من الإقامة على السحر يقال أثابَهُ إثابةً ومَثَابة ومَثُوبَةً ومَثْوَبَةً بفتح الواو. فإن قيل كيف قال﴿ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ مع قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ فالجواب عنه من وجوه (٢): أحدُها أنهم فريقان فريقٌ علموا وعانَدوا ، وفريقٌ جَهِلوا وَضيَّعوا.

والثاني: أنّهم كانوا عالمين ولكن لّما فعلوا ذلك صاروا بمنزلة منْ لا يَعْلَمُ.

---

(١) هذا الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: (لأطوفن الليلة على سبعين امرأة) وفي لفظ : (تسعين امرأة) و في لفظ: (مئة امرأة). (صحيح البخاري: كتاب الجهاد : باب من طلب الولد للجهاد: (ح ٢٦٢٤) بلفظ سبعين امرأة و في التفسير: باب: و لقد وهبنا لداود سليمان (ح ٣٢٤٣) بلفظ سبعين امرأة أيضا وقال بعده: (قال شعيب وابن أبي الزِّناد تسعين وهو أصح)اهـ. و أخرجه في كتاب النكاح : (باب قول الرجل لأطوفنَّ الليلة على نسائي (باب رقم: ١١٨) بلفظ : مئة امرأة) ورواه أيضا في : (ح ٦٢٦٣) و (٦٣٤١) و (٧٠٣١) و مسلم : (كتاب الأيمان: باب الاستثناء: (ح ١٦٥٣)و (ح ١٦٥٤).

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٦٥ والتفسير الكبير للرازي: ٣/ ٣٠١ – ٣٠٢ و ينظر في ذلك : جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٦٨ و المحرر: ١/ ١٨٨ و القرطبي: ٢/ ٥٦

والثالث: الذين عَلِموا هم الشياطين [١] والذين لم يَعْلَموا الناس.

فإن قيل فأينَ موضع جواب(لـو) لقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ﴾ فالجـواب من وجهين:

قال البصريُّون (٢) جوابه محذوفٌ وتقديره لأُثِيبوا، وقال بعض الكوفيين شُبِّهَتْ (لـو) بـــ:لإنْ فأُجيبتْ جوابها فالمعنى : لإن آمنوا لمثوبةٌ، فعلى قول البصريين لا يجوز أن يقال لو أتاني زيدٌ لَعَمروٌ خيرٌ منه لأنه ليس فيه معنى الفعل، وعلى قول الكوفيين يجوزُ ولو قال: لو أتاني زيدٌ لَإكرامي خـيرٌ له جاز على الوجهين.

واللاّم في قوله: ﴿ لَمَثُوبَةٌ ﴾ لامُ الابتداء فإن قيل كيف قال ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ وهو خير لهم عَلِموا أولم يعلموا ؟ قيل معناه: لو عَلِموا ذلك لَظَهَرَ وتبيّن بالعلم وفيه دلالة على جهلهم.

قولـه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا ﴾ [الآيـة ١٠٤] قـال الزجـاج (٣) في ﴿رَٰعِنَا ﴾ ثلاثة أقاويل:

قال بعضهم راعنا أرعِنا سمعك؛ وقيل راعِنا من المُراعاتِ والمكافأَةِ، كأنّه قال لهم لا تقولوا للنبي راعنا أي كافِنَا في المقال كما يقول بعضُكم لبعض فأمرَهُم أن يخاطِبُوا النبي صـلى الله عليـه وسـلم من حيث التعزيرِ والتوقيرِ له (و٩٣) وقال بعضهم (راعنا) كَلِمةٌ تجـري مجـرى الهـزأ والـسخرية فَنُهِيَ المسلمون أن يَلفِظُوا بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك.

---

[١] في النسخة (ل) : الشيطان. وهو تحريف من الناسخ.

(٢) هذا قول بعض البصريين ينظر: جـامع البيـان للطـبري: ٢ / ٣٧١ – ٣٧٢ وإعـراب القـرآن لابـن النحاس: ١/ ٢٥٣ – ٢٥٤ و المحرر: ١/ ١٨٩و التفسير الكبير: ٣/ ٢٠٢ و البحر: ١/ ٣٣٥

(٣) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٦٦

وقيل (١)هذه الكلمة كانوا يقولونها قبل الإسلام فَنُهُوا عنها كما قال لا تقولوا لِلعنَبِ الكرمَ ولكن قولوا الحَبَلَة ولا تقولوا : عبْدِي ولكن قولوا: فتايَ.

وقرأ الحسن (٢): (راعناً)بالتنوين أراد قولاً حُمْقاً من الرّعونَةِ وَوَجْهُ تنوينه أنّه ظَنَّ أنّها كلمة نُهُوا عنها فنَوَّنَها، وقيل (راعنا)أمْرٌ من المراعاةِ على فاعِلْنا يقال أرْعَى إلى الشيء وَرَاعاهُ إذا أصْغَى إليه واستَمَعَهُ، ومثله في الكلام عافاهُ الله وأعْفاه، وهذا النُّهيُ أُخْتُصَّ بذلك الوقت لإجماع الأُمَّة على جواز المخاطبة بِهَذه اللَّفظةِ الآنَ بأن يقولَ الرجل: رَاعِنِي يا فلان أو راعِ كلامي.

وفي رواية الكلبيّ (٣)عن ابن عبّاس: أنَّ المسلمين كانوا يقولون يا رسول الله رَاعِنَا سَمْعك. وكان هذا بلسان اليهود سَبَّاً قبيحاً يَعْنُونَ: اِسمَعْ سَمِعْتَ، فلما سَمِعَتْهُم اليهود يقولونها لرسول الله أعْجَبَتْهم فقالوا كنا نَسُبُّ محمداً سِرّاً فَأعْلِنوا له الآن بِالشتم فكانوا يأتونه فيقولون راعنا

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٧٥ و ٣٧٨

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٦٦ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٨٢ و الثعلبي: ١/ ٢٥٢ وفي اتحاف فضلاء البشر نسبتها للحسن و ابن محيصن: ١٤٥ و في المحرر: ١/ ١٨٩ نسبتها للحسن وابن أبي ليلى و ابن محيصن و أبي حيوة ومثله في البحر: ١/ ٣٣٨

(٣) هو في تفسير الثعلبي: ١/ ٢٥١ و الوسيط: ١/ ١٨٦ و تفسير البغوي: ١/ ١٣٢ و القرطبي: ١/ ٤٤٧ وفيها جميعا كما هنا سعد بن معاذ، و هو بلا سند في أسباب النزول للواحدي: صـ ٦٩ فقدقال: قال ابن عباس (في رواية عطاء) فذكره و لم يسنده . وفيه قال سعد بن عبادة بدل سعد بن معاذ. و قال الحافظ ابن حجر متعقِّبا الواحدي: (فأوهم بقوله : في رواية ((عطاء)) أنّ السند إلى عطاء بذلك قويّ و إنّما هذا السياق من تفسير عبدالغني بن سعيد الثقفي بإسناده الماضي في المقدمة. والثابت عن عطاء ما أخرجه ابن أبي حاتم، عن الأشج، عن أبي معاوية، عن عبدالملك بن أبي سليمان، عن عطاء: ﴿لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا﴾ قال: كانت لغة تقولها الأنصار، فنهى الله عنها، فقال ﴿لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا﴾ الآية)اهـ. قلت و خبر عبد الملك عن عطاء في الطبري ٢/ ٣٧٦ وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره١/ ١٩٧ (١٠٣٩) وابن النحاس في ناسخه ص١٠٤و ينظر: أخبار أخرى عند الطبري: ٢/ ٣٧٥ - ٣٧٧

سَمْعَكَ ويَضْحكُونَ فَسَمِعَها سعدُ بن معاذ الأنصاري وكان يعرفُ لغتهم فقال لليهود يا أعداءَ الله عليكم لعنةُ الله والذي نفسي بيدِه لإنْ سمِعتُها من رجلٍ منكم يقولها لرسول الله لأضربنَّ عُنُقَهُ، فقالت اليهود أوَ لستُم تقولونها فأنزل الله هذه الآية.

وعن السديِّ (١): أنَّ رجلاً من اليهود يقال له رِفَاعةُ بنِ زيدٍ كان يأتي النَّبي صلى الله عليه وسلم فيقولُ راعني سمعك واسْمَعْ غير مُسْمَعٍ فظنّ المسلمون أنَّهُ كلمةُ تعظيمٍ وتفخيمٍ كقولك اِسمعْ غير صاغرٍ فكانوا يقولونها فَنُهُوا عن ذلك وهي التي في النساء: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء:الآية ٤٦] إلى قوله ﴿ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ .

﴿وَقُولُوا ٱنظُرْنَا ﴾ أفهِمْنا ، وقيل انتظرنا وتأنّ بنا (٢)

قال امرؤُ القيس (٣):

فإنكما إنْ تنظُراني (٤) ليلةً من الدّهر تنفعني لدى أمِّ جُندَبِ

ويحتمل أن يكونَ من النَّظَر الذي هو الرؤية فَحُذِف إلى كما قال قيس بن الخَطِيم (٥):

ظاهراتُ الجمال والحُسْن يَنْظُرْن كما يَنْظُرُ الأَرَاكَ الظِّباءُ

وقوله: ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ أي أطيعوا لأنَّ الطاعة تحت السَّمْع.

و قوله: ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني لليهود عذابٌ مُؤلم .

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٧٨ و الدر: ١/ ١٠٤

(٢) في النسخة (ل) : (تأن بها) خطأ.

(٣) ديوانه: ص٢٩ من قصيدة مشهورة أولها : خليلي مرَّا بي على أمّ جندبِ. وفيه : ساعة بدل ليلة. و هو في الثعلبي: ١/ ٢٥٢ والقرطبي: ٢/ ٦٠ والبحر: ١/ ٣٣٩ و الدر المصون: ١/ ٣٣٢

(٤) في النسخة (ل) : أتنظُراني.

(٥) تفسير الثعلبي: ١/ ٢٥٢ و تفسير القرطبي: ٢/ ٦٠ والبحر: ١/ ٣٣٩ و الدر المصون: ١/ ٣٣٢

قوله: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية:١٠٥] أي من المشركين ومثلُه: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [البينة:آية ١] أي ومن المشركين ومثلُه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ﴾ [الأنعام:الآية ٣٨] أي ولا من طائرٍ.

و قوله: ﴿ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي أن يُنزَّل عليكم خيرٌ من ربكم و﴿مِّن﴾ صِلة كقولك: ما أتاني من أحدٍ أي أحدٌ [(١)].

و قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يريد بالنبوَّةِ وقيل يَخْتَصُّ يَفْتَعِلُ من الاختصاص والاختصاصُ آكَدُ من الخُصُوص لأنَّ الاختصاصَ لِنفسك والخصوصُ لغيرِكَ كالقطع والاقتطاع واختصاصُهُم إفرادهم بها دون غيرهم. وموضع (أنْ) في هذه الآية نصبٌ بقوله: ﴿يَوَدُّ﴾ [(٢)].

قوله: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [الآية:١٠٦] قرأ الأكثرون (نَنْسَخ)بفتح النون وقرأ ابن عامر (نُنْسِخ) بضم النون وهو شاذّ [(٣)]. وقال أبو حاتم هو خطأٌ [(١)]وقال غيره هو صحيح وله وجهان:

---

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٦٧ و الثعلبي: ١/ ٢٥٣ و الوسيط: ١/ ١٨٧ و الدر المصون: ١/ ٣٣٢

(٢) الطبري: ٢/ ٣٨٦ و الدر المصون: ١/ ٣٣٣

(٣) قراءة الجمهور: (نَنْسخ)بفتح النون و قراءة عبد الله بن عامر من السبعة (نُنْسِخ) بضم النون .

(السبعة: ١٦٨ والنشر: ٢/ ٢١٩ – ٢٢٠)وقراءة ابن عامر تعد في القراءات من المتواترة و قد ذكر المصنف توجيهها. وينظر في توجيهها أيضا: إيضاح الوقف و اللابتداء٢/ ٥٢٧ والوسيط: ١/ ١٨٨ و الكشف لمكي : ١/ ٢٥٧ و زاد المسير: ١/ ١٢٧و القرطبي: ٢/ ٦٧ .

يقال نسختُ الكتابَ إذا كَتَبْتُهُ وأنسختُه غيرِي إذا جعلتُه نسخةً فكأنّه يقول ما ننسخ من آية أي ما نجعلُ نسخة لآية من اللَّوح المحفوظ (٢).

والثاني: أنسختُهُ أي جعلتُه في حكم المنسوخ كقولِكَ طَرَدْتُ الرجل إذا نَفَيْتَه وأطردتُه جعلته طَرِيدا. وقوله: ﴿أَوۡ نُنسِهَا﴾ قرأ الأَكثرون (نُنْسِها) بضم النون وقُرِأ: (نَنْسَأْها)(٣).

والنسخُ في اللغة إبطالُ الشيء وإقامة آخر مقامَهُ هكذا قال الزجاج (٤)تقول نَسَخَتِ الشمسُ الظِلَّ أي أذهَبتهُ وحَلَّتْ محَلَّه ، وقال أهل التحصيلِ النسخ الإزالة من قولهم نَسَخَتِ الرياحُ الأثرَ أي أزالته (٥).

وقد أكثَروا في تفسير هذه الآية وتحصيلُهُ (١)أنّ قوله: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ﴾ أي ما نرفع من حكم آيةٍ أو منْ رَسْمِ آيةٍ إلّا أتينا بِمثلِها أو خيرٍ منها.

---

(١) تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٥٤ و القرطبي: ٢/ ٦٧

(٢) سيكرره المصنف فينظر: ما سيأتي: صـ ٨٢٠

(٣) قراءة (ننْسَأْها) بفتح النون الأولى و فتح السين و الهمزة قرأ بها أبو عمرو و ابن كثير و الباقون بضم النون الأولى و كسر السين من غير همز من النسيان : (جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٤٩ وتفسير الثّعلبي: ١/ ٢٥٥ و الكشف لمكي: ١/ ٢٥٩ و الوسيط: ١/ ١٨٨ و القرطبي: ١/ ٦٧ – ٦٨ والبحر: ١/ ٣٤٣ و النشر: ٢/ ٢٢٠)

(٤) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٦٧

(٥) ما قاله الزجاج قاله غيره أيضا ينظر في ذلك و في معنى النسخ لغة : تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٥٣ والوسيط: ١/ ١٨٧ و المحرر: ١/ ١٨٩ والقرطبي: ٢/ ٦٢ و البحر: ١/ ٣٣٥ (و في كتب اللغة كلسان العرب و تاج العروس: (نسخت الريح الآثار إذا غيرتها و نسخه أبطله). مادة: (نسخ) و في تفسير ابن عطية والقرطبي. أن النسخ في لغة العرب على وجهين : الأول :النقل و الثاني :الإبطال و الإزالة. و أن المراد شرعا المعنى الثاني و نحوه في تفسير الثعلبي و قسموا المعنى الثاني إلى قسمين. و ينظر: الفصول في الأصول للجصاص: ٢/ ١٩٥ وأصول السرخسي: ٢/ ٥٣ والتبصرة ١/ ٢٧٨

والتماثل والخيريةُ من النفع وكثرةِ الثوابِ وسُهُولة الاكتساب والتحمُّل وإنّما يكون خيراً لهم بأنْ يكون عبادةً أشقَّ عليهم فيُنْسَخ بالأخفِّ كقيام الليل نُسِخَ عنهم بقراءة ما تيسّرَ فهذا خيرٌ لهم في الخفّة وكثْرةِ الثَّواب، ويكونُ عبادةً أخفَّ عليهم تُنْسَخُ بما هو أثقلُ كصيام أيامٍ معدودات نُسِخَ بصوم شهر رمضان فهذا أثقلُ عليهم لكنَّه خيرٌ لهم لأنّ الثوابَ فيه أجْزلُ وما يكون مثلَ الأول كنسخ التوجُّه إلى بيت المقدس بالأمر بالتوجُّه إلى الكعبة لأنَّ كلاهما سواءٌ عليهم في الخفَّةِ والمشقَّةِ فليس في أحدهما زيادة مشقَّةٍ منه في الآخر.

(و ٩٤)و قوله : ﴿ أَوْ نُنسِهَا﴾ بالضمّ أي نَأمرُ بتركِها كما يقالُ أَنْسَيتُ الشيءَ أَمَرتُ بتركه وأنشد (٢):

إن عليَّ عُقَبةً (٣) أقضيها لَستُ بناسِيها ولا مُنسِيها

أي لا آمرُ بتركها وقيل نُنْسِها من النسيان أي ننسِكَها يا محمد.

وكان سعد بن أبي وقاص (٤)يقرأ: (أو تَنسَها) بالتاء على المُخاطبة، وهذا لا يَصحُّ لأنّ الدليل قد قامَ على أنّ النبي ﷺ كان مَعصُوماً من نسيان الوحي (٥).وقوله: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى:٦، ٧] يعودُ الاستثناء إلى الإنزالُ أيْ فليس يُنْزَلُ

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٠١ و الثعلبي: ١/ ٢٥٦ و الوسيط: ١/ ١٩٠ و القرطبي: ١/ ٦٨

(٢) لسان العرب و تاج العروس : (عقب) و هو فيهما غير منسوب، وتفسير القرطبي: ٢/ ٦٨

(٣) العُقبة: بضم الباء : النَّوبة، و العقبة الإبل يسقيها الرجل عقبته أي نوبته. لسان العرب الموضع السابق.

(٤) أبو عبيد في ناسخه: صـ ١٠ و النسائي في الكبرى: (١٠٩٩٦) و جامع البيان للطبري: ٢ / ٣٩٢ و ٣٩٣ و سعيد بن منصور(تفسير: ٢٠٨) و مختصر من كتاب ابن خالويه في الشواذ: ص٩ وتفسير الثّعلبي: ١/ ٢٥٥ و تصحف في المطبوع منه و المحرر: ١/ ١٩٢ .

(٥) القراءة شاذة لم تصحّ و أما المعنى فقد بين الطبري ضعفه و ذكر أنّ الأخبار المتظاهرة تشهد بفساده فينظر فيه: ٢/ ٣٩٧ – ٣٩٨

القرآنُ إلا ما شاء الله أن يُنزَّلَ ويحتمَل إلّا ما شاءَ الله مما يَلحَقُكَ من طِباعِ البشريَّة فَيَطرَأُ عليك النسيان ثم تَستَأنِف أداءه بالذكر فلا يُقَرُّ على النسيان (١).

والتأويل الأول أقوى، و إنْ جوَّزنا أنْ يكون مـن النـسيان و إنـما يجـوز النـسيان عـلى جماعـةٍ كثيرةٍ على جهة الإعجاز لأنَّه نقضٌ للعادة ، وقيل إنّما يجوز على العدد الكثير النِّسيان لأنهـم أُمِـروا بترك قراءته فنسوا ذلك على مرور الأيـام. ومـن قـرأ (نَنـسأها)أي نُؤخِّرهـا والنـسيءُ في اللغـة التأخير يقال نَسَأَ الله في أجَلِهِ و أنسَأَ أجَلَهُ أي أخَّرَ أجلـهُ ومعنـى تـأخيرِهِ أي لا ينـزل في الوقـت ويُؤخر إنزاله إلى الوقت الذي يُريدُه في مَعلومِهِ ، وقيل معنى نَنْسأها أي نتركها .

قال الزجاج (٢): والفصل بين الترك والنسخ أن النسخَ ما رُفـع بآيـة أُخـرى تقـوم مقامهـا ، والترك هو أن يُنسخ العملُ بغير آية تَنْزِلُ في نَـسخها كقولـه : ﴿ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ ﴾ [الممتحنة:الآية١٠] وأجمعوا على ترك المِحنة من غير آية نزلت فيه.

وقال بعضهم ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ﴾ أي نجعلُ نُسخةً ما في اللـوح المحفـوظ ، أو نَنْـسَأهَا أي نتركها فلا ننسخُها فعلى هذا القرآن كُلُّه منسوخ بمعنى أنه أُخِذَ نسختهُ من اللـوح المحفـوظ ، وقال ابن عباس (٣)-في رواية مجاهد عنه -في الآية تقديم ومعناه ما ننسخ من آية إلا نـأتِ بخـيرٍ منها أي أنفع لـكم و أخفّ عليكم أو مثلها في المنـفعة و اليسر ،ثم قـال أو ننسَأهـا يعني نتركها

---

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٦٧ و ينظر: البغوي : ٨ / ٤٠١ و السمعاني: ٦ / ٢٠٨ والمحـرر: ٥/ ٤٦٩ و القرطبي: ٢٠ / ١٨

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٦٨

(٣) لم أعثر عليه من طريق مجاهد و في الناسخ و المنسوخ لابن النحاس ص٥ و في بعض الطبعـات صــ ٥٤ ما نصّه : (وقد روى الضحاك عن ابن عباس ﴿ نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ﴾ نجعل مكانهـا أنفـع لكـم منها وأخف عليكم ﴿ أَوۡ مِثۡلِهَآ﴾ في المنفعة أو (ننساها) يقول أو نَترُكْها كما هِي فلا نَنْسَخها)اهـ.

كما أنزلناها فلا ننسخها ولا نبدِّلها. ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾ [الآية: ١٠٧] يا محمد أنّ الله على كل شيء قدير من الناسخ و المنسوخ وغير ذلك من أمور خلقِهِ وعبادِهِ قديرٌ.

وكلام الله لا يكون منسوخاً و إنّما يعود النسخ إلى الحكم و التلاوة و الرَّسْم و الكتابة.

قوله : ﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية [١٠٧] قوله ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾ ظاهره استفهام و معناه توقيف وتقرير .

و المُلك والمِلكُ واحد في الحقيقة وقيل المُلك أتمُّ من المِلكِ فالمُلك هو القدرة على الاختراع و المِلك هو تمامُه و أصله من قولهم مَلَكْتُ العَجِينَ إذا بالغتَ في عجنه و الإمِلاك عقد النكاح و تشدُيدُه (١). وقوله : ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أراد تعريفهم أَنَّهُ ناصرُهُمْ و وَليُّهم وحافظهم عمَّن يُناوِئُهُم، و الوَليّ القيّم في الأمر.

فإنْ قيل فإذا كان النّبي ﷺ عالماً بأنّ الله له مُلك السموات و الأرض فكيف قال له ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾ ؟ قيل قد ذكرنا أنه إيجاب و تقرير ، كقول القائل: ألستم خير من ركب المطايا (٢).

و الثاني: أنّه أراد به الأُمّة بدليل أنه ذكر في آخره ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ و لم يقل (٣) (ومَالكَ) (٤) .

---

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٦٩ و لسان العرب: (ملك) وينظر: ما تقدم عند قوله تعالى﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ في سورة الفاتحة [آية:٤].

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) في النسخة : (ل) : مكرر.

(٤) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٦٨ و الثعلبي: ١/ ٢٥٦ و الوسيط: ١/ ١٩٠ وفيها القول الأول. و ذكر الطبري القولين و ضعف الوجه الأول و اختار الثاني: ٢/ ٤٠٤

فإن قيل فما فائدةُ قولِه: ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. ؟ قيل التحذير من عذاب الله إذ لا مانع منه.

والثاني: التسكين لنفوسهم بأَنَّهُ وليُّهُم.

والثالث: التفريق بين حالهم و حالِ الكفار مدحاً لهم وذمّاً للكفار .

قوله : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾[الآية ١٠٨] ومعناه أتريدون سؤالَ رسولِكم كما سأل قومُ موسى عليه السلام، قال الفرّاء (١): (أَمْ)لا تكونُ قطُّ إلا مردودةً على استفهام قبلَها و إنْ لم يظهر ذلك المتقدِّم وربما جعلوا أمْ بمعنى بلْ يقولون هل لنا قِبَلَكَ حقٌّ أم أنتَ رجلٌ ظالم يريدون بل أنتَ .

قوله : ﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ أي من يستبدِلِ الكفرَ بالإيمان، و التَبدّلُ فعلٌ مُتَعَدٍّ مثل التأويل و التَّوعُّد ولم يكن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم كفراً ولا إيماناً و إنّما هو على المجاز و معناه أنه لما سُئِلَ موسى ما سُئل فكفروا به أَخبر أنّهم لَّما سألوا النبي ﷺ من إظهار الآيات أيضاً فلو أُجيبوا إليه لكفروا و ما آمنوا.

وقوله : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ سواء السبيل (٢) قَصدُهُ ووسطه. وقيل سبب نزولُ الآية أن قوماً من اليهود وقيل رهطٌ من قريش أَتوا النبي ﷺ منهم عبد الله بن أبي أُميَّة المخزومي قال: والله لا أُؤمن بك حتى تفجِّر لنا من الأرض ينبوعاً فأنزل الله هذه الآية عن ابن عباس(٣).

---

(١) معاني القرآن للفراء: ١/ ٦١ و قد اختصره المصنف.

(٢) في النسخة : (ل) : ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ مكرر.

(٣) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٥٦ و أسباب النزول للواحدي: صـ ٧٠ و لم يذكرا سنده. قال الحافظ ابن حجر في العجاب: صـ ١٦٦ : (و أصله من تفسير الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس)اهـ. و ينظر: سبب نزول بهذا المعنى لكن عن آخرين من اليهود : الطبري: ٢/ ٤٠٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٠٣ (١٠٧٤) كلاهما من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد

وقال الحسن (١): قالوا للنّبي صلى الله عليه وسلم لن نؤمن بالله أوْ تـأتي بـالله والملائكـة قبـيلاً فنزلتْ هذه الآية .

وقال مجاهد (٢)قالوا حوّل الصَّفا لنا ذهباً فقال هو لكم كالمائدة لبنـي إسرائيـل فتـابوا ورجعـوا. وقال السُّدِّي (٣)سألوا محمداً صلى الله عليه وسلم أنْ يروا الله جهـرةً فنزلـت هـذه الآيـة. وقـال بعضهم (٤)كانت للعرب (و ٩٥) شجرةٌ يعبدونها فسألوا النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم أن يتَّخِذَ لهـم مثلَ ذلك كما سألَ قوم موسى أنْ يجعل لهم إلهـاً كـما لهـم آلهـة فنزلـت هـذه الآيـة. قولـه: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [١٠٩] قيل إنّ نفراً من اليهود منهم حُيَيّ بن أخطـب و أبـو ياسر بن أخطب في قول ابن عباس (٥)و كعب بن الأشرف في قـول قتـادة (١)لَقُـوا حذيفـة بـن

بن جبير عن ابن عباس. و ينظر: الثعلبي الموضع السابق و الوسيط: ١/ ١٩٠ و السمعاني: ١/ ١٢٥ وتفسير البغوي: ١/ ١٠٤ و التفسير الكبير للرازي: ٣/ ٢١٢ – ٢١٣ والبحر: ١/ ٣٤٥

(١) لم أجده عن الحسن و ينظر: تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٥٦ و أسباب النزول للواحدي: صـ ٧٠ وزاد المسير: ١/ ١٢٩ و المصادر السابقة.

(٢) تفسير مجاهد: ص٢١١ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٤١٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٠٣ (١٠٧٥) و الدر: ١/ ١٠٧

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤١٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٠٣ (١٠٧٧) و الدر: ١/ ١٠٧

(٤) البحر: ١/ ٣٤٦ و لم ينسبه بل قال : وقيل . و العجاب لابن حجر: صـ ١٦٨ نقلا عن تفسير ابن ظفر و تفسيرنا هذا أعني تفسير عبد الكريم القشيري أقدم من تفسير ابن ظَفَر و صاحبه أشهر وأجل . فإن ابن ظفر: هو حجة الدين أبي عبد الله محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر الصقلي علامة نحوي قالوا في ترجمته: له نظم وفضائل وكان قصيراً لطيف الشكل ،سَكَنَ حماة ،ونشأ بمكة، وأكثر الأسفار وكان فقيرا. توفي في سنة خمس و ستين و خمس مائة : سير أعلام النبلاء: ٢٠ / ٥٢٢ - ٥٢٣ و بغية الوعاة: ١/ ١٤٢ – ١٤٣ و اسم تفسيره : ينبوع الحياة (كشف الظنون: ٢ / ٢٠٥٢).

(٥) سيرة ابن هشام: ١/ ٥٤٨ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٤١٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٠٤ (١٠٨١).

اليمان و عمار بن ياسر بعد حرب أحدٍ فقالوا لهما: ألم تريا ما لقيتُما يوم أحدٍ فارجعا إلى دينِنَا فهو خيرٌ لكما فأبيا إلا المقام على الإيمان و الدِّينِ فأنزل الله : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾ (٢) عن التوحيد ﴿مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ﴾ تصديقكم ﴿ كُفَّارًا﴾ نصبٌ على الحال، و يحتمل أنه نصبٌ بالرّدّ أي يردُّونكم كفَّارا .

﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ نصبٌ على المصدر أي يحسدونكم حسداً و يردونكم للحسدِ فيكون نصباً على المفعول له (٣)فنزلت الآية على أنّهم كانوا معانِدِينَ عارفين، وقيل حسدا يجدونه في أنفسهم لكونه من العرب.

و قوله: ﴿ مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أي لم يأمُرْهم الله بذلك. قال الزجَّاجُ (٤)﴿ مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ يرجعُ إلى الوُدّ أي مودَّتُهم للكفر من عند أنفسهم لأنّ حسد الإنسان لا يكون إلا منْ عندِ نفسه.

﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ﴾ في التوراة أنّه ﴿ٱلْحَقُّ﴾ يعني دين النَّبيّ ﷺ.و الحسد في اللغة الإكباب على الشيء حتى يخدِشَهُ، و منه يقال للمِسْحاة مِحْسدَةٌ (٥)فكأنّ الحسد يلتصق بالقلب

و أسباب النزول للواحدي: صـ ٧٠ قال: قال ابن عباس فذكره و لم يسنده. و في الثعلبي نحو ما هنا في قصة و باختلاف في أسماء اليهود القائلين لذلك: الثعلبي: ١/ ٢٥٧

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤١٩ عن الزهري و قتادة و الدر: ١/ ١٠٧ و عزاه للطبري.

(٢) وقع في النسخة (ل) :هنا (قيل إن نفرا من اليهود) ثم وضع عليها خطّاً معترضا بالحمرة ليبين أنها خطأ .

(٣) البحر: ١/ ٣٤٨

(٤) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٧٠

(٥) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٥٨ و في المطبوع منه قيل للمسحاة : (محسد)ولم أجده هذا إلا في تفسير الثعلبي ثم في كلام المصنف و –تسميتهم للمسحاة مِحسدةً –لم أعثر عليه فيما وقفت عليه من كتب

فلا يرضى من صاحبه إلا بتقبيح حالة المحسود فيه. و يكونُ الحسد تمنّي الحاسد زوال نعمة المحسود فيه و إن لم يطمع في نيل تلك النّعمة .﴿ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ﴾ قيل منسوخٌ بآية القتال (١) و قيل إنَّه أمَرَهُ بحُسْن الخلق و ليس بمنسوخٍ كقوله: ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴾ [المزمل:الآية١٠].

و قوله : ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ القتلِ لقريظة و الجَلاءِ للنّضير و فتحِ خيبر و فدَك (٢).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ مما ذكرنا من فتح خيبرَ، و قتلِ قُرَيْظَةَ و على عقوبتهم بما يشاء.

قوله : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الآية: ١١٠] قال ابن عباس (٣): أتمُّوها بوُضُوئِها و أركانِها وشرائِطِها. ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أَعطوا الزَّكَاة المفروضة. ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ

اللغة و من أكبرها لسان العرب و القاموس و شرحه تاج العروس و جمهرة اللغة لابن دريد و قد جمع الأول كل ما في المحكم لابن سيده و التهذيب للأزهري و النهاية لابن الأثير من غريب اللغة. وقد استعنت أيضا بالموسوعات الحاسوبية فبحثت في : محصدة و محسدة. فلم أجد شيئا و لا شك أنّ المصنف لو لم يسبقه الثعلبي لِنقلِ ذلك لقبِلناه، و استفدناه فهو رحمه الله ثقة في نقله .

(١) قاله ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة عنه رواه عنه : الطبري في تفسيره ١/ ٤٢٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٠٦ (١٠٨٩) و به قال قتادة رواه عنه : عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٢٨٦ والطبري : ١/ ٤٢٤– ٤٢٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٠٦ (١٠٩٠) و السدّي: رواه عنه الطبري: ١/ ٤٢٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٠٦ و ابن النحاس في ناسخه: صـ ١٠٦

(٢) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٥٨ عن ابن عباس بلا سند و الوسيط: ١/ ١٩١ عن عطاء والبحر: ١/ ٣٤٩ و غرائب النيسابوري: ١/ ١٩١

(٣) لم أعثر عليه بهذا اللفظ، و رأيتُ في ما يسمّى بتنوير المقباس من تفسير ابن عباس :ما نصه: (يتمّون الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها من مواقيتها) .صـ ٣ . و ينظر: ما تقدّم عند الآية : ٣ من سورة البقرة. فلعل المصنف نقله بالمعنى.

﴿خَيۡرٍ﴾ أي ما تسلِفُوا لأنفسكم من الصَّدَقة و العمل الصالح، تجدونه عند الله محفوظاً ومعناه يثيبُكُم على ذلك .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ مدْرِكٌ له عالمٌ به، أَمَرَهُم بالاشتغال بالعبادة لمّا أخبرهم بعداوة اليهود.

قوله: ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [الآية: ١١١] معناه قالتِ اليهود لا دينَ إلا اليهوديّة وقالت النّصارى لا دينَ إلا النّصرَانِيَّة.

و اليهود جمع هائدٍ كعُوذٍ و عائذٍ (١) و حولٍ(٢) و حائلٍ (٣). قاله (٤)الأخفش (٥).

قال الله تعالى : ﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ﴾ أي تمنوا على الله و ليس في كتابهم.

و قيل ﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ﴾ أي أقاويلهم بألسنتِهِم منْ غيرِ حُجَّة كقوله : ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:آية ٧٨] أي أقاويل يقولونها ويتلونها.

﴿قُلۡ﴾ يا محمد ﴿هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ﴾ حجتكم من التوراة و الإنجيل ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فيما قلتم.

---

(١) العُوذ: الحديثات النِّتاج أي الولاد من الظّباء و الإبل و الخيل و من كلّ أنثى . لسان العرب وتاج العروس(عوذ).

(٢) في مختار الصحاح (حول): (حَالَتِ الناقة تحول حُؤُولا بالضم و حِيَالا بالكسر ضربها الفحل فلم تحمل). و ينظر: لسان العرب و تاج العروس: (حول) .

(٣) معاني القرآن للفراء: ١/ ٦٢ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٢٨ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٧٦١ وتفسير الثّعلبي: ١/ ٢٥٩ و الوسيط: ١/ ١٩٢ و لسان العرب: (هود) ٣/ ٤٣٩

(٤)في النسخة (ل) : (قال) و هو خطأ.

(٥) معاني القرآن للأخفش: ص١٠٨

و ﴿هَاتُوا﴾ أصله (أَأْتوا) فقُلِبَتْ الهمزةُ الأولى هاء (١)، و حُذِفَتْ الياءُ لِضَمّتِها لأنَّ الأصلَ كان آتِيُوا لأنّه من بناء فاعِلُوا.

قوله: ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [الآية:١١٢] قيلَ ردّ الله عليهم قولهم : ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَـٰرَىٰ﴾ فقال ليس كذلك ﴿بَلَىٰ﴾ يدخلها ﴿مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾ يعني أخلص دينَه لله و هو محسِنٌ في عمله. و قيل فيه استفهامٌ مضمَرٌ و(بلى) جوابه كأنّه قيل ما يَدخُل أحدٌ منهم الجنة فقيل: بلى من كان بهذه الصفة، قيل معناه ﴿ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ﴾ أي استسلَمَ لأمرِهِ.

و قيل ﴿ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ﴾ أي أسلَم نفسه و جميعَ بَدَنِهِ لأمر الله يقال أسلمتُ الثَّوب إليه أي دفعتُه إليه على وجهه.

فأما موضع قوله: ﴿ وَهُوَ مُحۡسِنٌ﴾ فنصبٌ على الحال كأنه قال : أسلم وجهه لله محسِناً والواوُ واوُ الحالِ، و إنما قال ﴿فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ﴾ على التوحيد ثم قال: ﴿ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ لأنَّ (مَنْ) يصلح تارةً للجمعِ و تارةً للتوحيد.

و قيل ﴿هَاتُواْ بُرۡهَـٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ﴾ في دعواكم بلى من كان مسلماً على دعواه برهانٌ و حجةٌ و على إسلامه ثوابٌ من الله.﴿ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ من سخط الله ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ من عذابٍ ينزل بهم.

---

(١) هذا أحد الأقوال و الراجح أنّ هاء ﴿هَاتُواْ﴾ أصلية و ليست بزائدة ولا بدلا من الهمزة، و هاتوا فعل بمعنى أحضروا . ثم إنهم قد اختلفوا في هاتوا هل هو فعل أو اسم فعل في أقوال أخرى ينظر: إملاء ما منّ به الرحمن : ١/ ٥٨ والبحر: ١/ ٣٣٧ و الدر المصون: ١/ ٣٣٤

وقوله : ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ أراد دينَه و عمَلَه لأنَّه إذا جاد بوجهه في السجود لم يبخَلْ بسائر جوارحه (١).

قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [الآية ١١٣] قيل كانَ سفيان الثَّوري إذا قَرَأَ هذه الآية قال: صدقوا و الله(٢). و قيل فائدةُ ذكرِ قولهم نهيُ المسلمين عن مثل هذا الاختلاف .

وقوله: ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي اليهود و النَّصارى يتلون التوراة و الإنجيلَ و فيهما صفتُكَ وهم لا يصدّقونك ثم قال الله عز وجلّ : ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني آبائهم و أسلافهم الذين مضوا (مثل قولهم) في تكذيبهم بأنبيائهم فالله يحكمُ بينَ اليهود والنَّصارى فيما اختلفوا فيه.

و قال ابن جُريجٍ (٣) قلتُ لعطاء ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ﴾ مَنْ هم ؟ قال: أُمَمٌ كانت قبل اليهود والنصارى قالوا إنّ الدِّينَ دينُنا، وليس الفريقان على شيء من الدِّين.

و لا محمدٌ وأصحابه ، وقيل: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ توحيدَ ربِّهم يعني مشركي العرب قالوا إنّ محمداً و أصحابه ليسوا على شيء من الدِّين مثلَ قولِ اليهود و النصارى بعضِهم لبعضٍ يقول الله: ﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يعني بين مُشْرِكي العربِ وبين أهل

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٣٢

(٢) لم أعثر عليه.

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٣٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٠٩ (١١٠٨) إلى قوله: ﴿ ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ وهو كما هنا في تفسير الثعلبي: ١/ ٢٦٠ وينظر: العجاب للحافظ ابن حجر:ص١٧٤

الكتاب فيما اختلفوا فيه، و قيل ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يريدُ من تقدّم من قومِ نوحٍ و عادٍ وثمودَ كذّبوا أنبيائهم كما كذّب اليهود و النّصارى محمداً صلى الله عليه وسلم.

و قيل قوله : ﴿كَذَٰلِكَ﴾ معناه هكذا .و ﴿ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ الوقتُ الذي يبعث الله فيه الخلق.

و القيامة مصدر قام يقوم قِيَاماً و قيامةً ، مثل صان صيانةً و عاد عيادةً[(١)].

فالله { يحكم } [(٢)] بينهم يوم القيامة في اختلافِهِم يريهم عِياناً من يدخلُ الجنة و من يدخلُ النار.

وقال الحسن [(٣)]:حكمه فيهم أنْ يعذّبهم جميعاً و يدخلهم النّار.

وقال ابن عباس [(٤)] : قَدِم وفد نَجْرانَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا مع اليهود فكذّب كلُّ واحد منهم صاحبه، فنزلت هذه الآية فيهم .

قوله: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾[الآية ١١٤]. (من)استفهام و في المعنى ههنا توبيخٌ، ومحلُّه رفع بالابتداءِ وأظلم خبره، و المنعُ يتعدّى إلى مفعولين.

﴿ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ ﴾ إنْ شئتَ جعلتَ (أنْ)نَصْباً بالمفعولِ الثاني [(٥)] تقديره:

وأيُّ ظالمٍ أظلمُ ممن منع مساجد الله الذِّكر فيها، وإنْ شئتَ جعلتَ نصبه بانتزاع الصفة [(٦)]عن الأخفش [(٧)] أي من أنْ يُذكَرَ فيها اسمه.

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٤٠

(٢) سقطت من الأصل: (ل).

(٣) ذكره الواحدي في البسيط: ١/ ٣٣٨ و فيه: يكذبهم جميعاً ...الخ و ينظر: معاني الزجاج: ١/ ١٧٢

(٤) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٠١ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٤٣٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٠٨ (١١٠٣) وأسباب النزول للواحدي: صـ٧١ بلا سند و الدر: ١/ ١٠٨

(٥) يعني مفعولا ثانيا لقوله: (منع).

(٦) أي بنزع الخافض (حرف الجر).

(٧) معاني القرآن للأخفش: صـ ١٠٩

وقال الزجَّاج (١) معناه كراهية أن يذكر فيها اسمه. وقال الزجاج (٢)وقيل: إنّ بختنصَّر وقوم من الروم تعاونوا على خراب بيت المقدس فالآية نَزَلَتْ فيهم (٣).

وقيل هو المسجد الحرام مَنَع المشركون أن يُذكرَ فيه اسمُه فذلك سعيهم في خرابها (٤).

و قوله : ﴿ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ ﴾ أي كيلا يذكر فيها اسمه كقوله : ﴿ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾ [الحجرات:٢]. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ هذا خبرٌ و فيه معنى الأمر يقول:

جاهدوهم و استأصِلوهُم بالجهاد كيلا يدخلَها أحدٌ منهم إلا خائفا من القتل كقوله:

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب:٥٣] صيغته الخبرُ و هو في معنى النهي. و قال ابن عباس (٥): نزلت الآية في الروم غزوا بيتَ المقدس و استولوا عليها إلى أن فتحه المسلمون.

---

(١) هذا وجه جائزٌ و لكنّ ليس قول الزجاج والذي في معاني القرآن للزجاج:١/ ١٧٢ هو قوله : (إنّ موضع أنْ نصبٌ على البدل من مساجد الله ثم قدَّره بقوله: منع أنْ يذكر في مساجد الله اسمه)اهـ. و معنى هذا أنه أعربه بدل اشتمال. و هو وجه من وجوه إعرابه الجائزة و قد ذكره قبل الزجاج الأخفش في معاني القرآن: صـ ١٠٩ . وينظر: إملاء ما منّ به الرحمن: ١/ ٥٩ وتفسير القرطبي: ٢/ ٧٦ والدر المصون: ١/ ٢٤٨

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٧٢

(٣) يروى هذا عن قتادة و السّدي و سيذكره المصنف فيما بعد و أذكر من ردّه من المفسِّرين و ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٤٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢١٠ (١١١٣) و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٦١ و تفسير ابن كثير: ١/ ١٥٦ و أسباب النزول للواحدي: صـ ٧٢ و العجاب: ص١٧٥ – ١٧٧ .

(٤) ينظر: المصادر السابقة و ما سيأتي.

(٥) عند الطبري : ٢/ ٤٤٢ و ابن أبي حاتم ١/ ٢١٠ (١١١١) من طريق محمد بن سعد العوفي عن

و بـه قـال مجاهـدٌ (١) و الفـراء (٢)، و قـال الحـسن (٣) و قتـادة (٤) و الـسّدّي (٥)

أراد به بُختنصّر (٦). ﴿ لَهُمۡ فِى ٱلدُّنۡيَا خِزۡىٌ ﴾ قيل هو القتل للحربي و الجِزيةُ للذمّي، وقيل خِزْيُهُم قتلُ المهديّ لهم و سبي ذرارِيهم { قاله } (٧) السدي (٨). و قيل خزيهم أن مُنِعوا من المسجد الحرام و حجّ البيت (١).

ابن عباس : أنهم النصارى. و ينظر المصادر السابقة عند ذكر قول السدي و قتادة.

(١) تفسير مجاهد:ص٢١٢ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٤٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢١٠ (١١١٢) والدر: ١/ ١٠٨

(٢) معاني القرآن للفراء: ١/ ٦٢

(٣) تفسير ابن كثير: ١/ ١٥٧.

(٤) تفسير الطبري: ٢ / ٤٤٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢١٠ (١١١٣) و الثّعلبي: ١/ ٢٦١

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٤٣ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٦١

(٦)اعترض أبو بكر الجصّاص الرازي على هذا القول بأنّ بختنصر قبل المسيح و بأنّ النصارى تعظّم بيت المقدس فكيف تُعين على تخريبه. : أحكام القرآن للجصاص: ١/ ٧٥ و قد نقله عنه الرازي في مفاتيح الغيب (التفسير الكبير: ٤/ ٩) و لم يتعقبه. وعبارة الجصَّاص: (ما رُوِي في خبر قتادة يشبه أنْ يكون غلطا من راويه لأنه لا خلاف بين أهل العلم بأخبار الأولين أنّ عهد بختنصر كان قبل مولد المسيح عليه السلام بدهر طويل، والنصارى إنما كانوا بعد المسيح، وإليه ينتمون فكيف يكونون مع بختنصر في تخريب بيت المقدس والنصارى إنّما استقاض دينهم في الشام والروم في أيام قسطنطين الملك، وكان قبل الإسلام بمائتي سنة وكسورٍ، وإنما كانوا قبل ذلك صابئين عبدةَ أوثان وكان من ينتحل النصرانية منهم مغمورين مستخْفِين بأديانهم فيما بينهم ومع ذلك فإنّ النصارى تعتقدُ من تعظيم بيتِ المقدس مثلَ اعتقادِ اليهود فكيف أعانوا على تخريبه مع اعتقادهم فيه)اهـ. و لفظ السُّدِّي في الطبري الروم و ليس النصارى.

(٧) في النسخة (ل) : قال . و هو خطأ .

(٨) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٤٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢١١ (١١١٨)و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٦١

و قوله : ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ يعني في القيامة و قال الفرّاء (٢)هو ما و عد الله من فتح الرّوم و لم يكنْ بعدُ.

و إنما قال: ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ على الجمع في قول منْ قال أراد به مسجدَ بيت المقدس و هو مسجدٌ واحد لأنَّ كلَّ موضعٍ منه مسجد .

وقوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ قيل لا يدخُلُ بيتَ المقدس الآن نصرانيٌّ و لا يهوديٌّ إلا ضُرِب و أذلّ، و قيل لا يدخل مشرِكٌ مسجدا من المساجد إلا طُرِدَ.

قوله : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ﴾ [الآية: ١١٥] قال المفسّرون (٣)(الوجه) هاهنا صلة يريد فثمّ الله و يُريدون فثمّ تجدون رضا الله و رضوانه، و كذلك قال بعضهم

---

(١) هذا القول الأخير غريب،و لم يذكره كثير من المفسرين و إنما ذكروا القولين قبله و ممن لم يذكره الطبري و ابن أبي حاتم و الثعلبي و الواحدي في تفسيره البسيط و في الوسيط : ١/ ١٩٤ والماوردي : ١/ ١٧٥ والقرطبي: ٢/ ٧٩ و ذكره ابن الجوزي عن ابن زيد: ١/ ١٣٤.

(٢) معاني القرآن للفراء: ١/ ٦٣

(٣)نسبه الثعلبي: ١/ ٢٦٣ و القرطبي: ٢/ ٨٣ للكلبي و القتيبي يعني ابن قتيبة و نسبه البغوي إلى الكلبي: ١/ ١٤١ و ذكره الطبري: ٢/ ٤٥٩ قائلا : وقال آخرون معناه: (فثمّ الله) و لم ينسبه. و نقل الزركشي عن الواحدي حكايته عن أكثر المفسرين : البرهان: ٢/ ٢٧٨ و لم يقصد هؤلاء تأويل صفة الوجه و إنما قصدوا بيان معناها في هذا الموطن بحسب سياقة الكلام و كذلك القول المروي عن الحسن وقتادة و مجاهد : الطبري: ٢/ ٤٥٩ و ابن أبي حاتم: ١/ ٢١٢ و الثعلبي: ١/ ٢٦٣ من أنّ معنى ﴿فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ يعني جهة الله أو قبلة الله. و قال الشافعي: (فثمّ الوجه الذي وجهكم الله إليه): الأسماء و الصفات للبيهقي: ٢/ ١٠٧ فمعنى هذه الآية عند جمهور السلف ليس فيه إثبات لصفة الوجه لأنها تحتمل ما قالوه من أنّ المقصود قبلة الله أو جهة الله أو أن المراد بها الذات لكنهم لم يريدوا بذلك نفي الصفة الثابتة في موضع آخر من الكتاب أو السنة المبنية على

﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾ [القصص:الآية ٨٨] أي إلا هو يُحكَى ذلك عنْ مجاهدٍ (١).

التنزيه التام لله تعالى، فاحتجاج من يحتجُّ بها من المتأوّلة غير صحيح. و قد قال الزركشي بعد حكاية ما تقدّم: (قلتُ: والأشبه حملهُ على أنّ المراد به الذات كما في قوله تعالى :

﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾ وهو أولى من دعوى الزيادة)اهـ. و لذا قال الإمام الجليل السمعاني : ١/ ١٢٩ عند هذه الآية: (وقد ذكر الله ـ تعالى ـ الوجه في كتابه في أحد عشر موضعا وهو صفة لله ـ تعالى ـ وتفسيره قراءته والإيمان به)اهـ. مع أنه ذكر تفسيرها المختلف فيه عن السلف و في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: ٢/ ٤٢٩ (...فثم وجه الله أي قبلةُ الله ووجهة الله هكذا قال جمهور السلف وإنْ عدَّها بعضهم في الصفات وقد يدلُّ على الصفة بوجه فيه نظر..) اهـ . و صرّح في موضعٍ آخر بأنّ من عدّها في الصفات فقد غلط. ٣/ ١٩٣ . و صرح في موضع آخر بأن هذه الآية ليست من آيات الصفات: ٦/ ١٥ . و مع هذا فنؤمن بأنّ لربّنا الكبير المتعالي وجهاً لا يشبه شيئا من خلقه أبدا و لا يجوز فيه كيف و لا مثل و ليس مما يدرك كنهه كسائر صفات ربنا تعالى بديع السموات و الأرض ليس كمثله شيء وهو السميع البصير و إنْ لم نأخذ ذلك من هذه الآية بل من دلائل أخرى تنظر هذه الأدلة مثلا : في الأسماء و الصفات للبيهقي: ٢/ ٨١ -٨٦ . وينظر: التمهيد لابن عبد البر: ٧ / ١٥١ و ما بعدها. و الإبانة لابن بطة: ٣/ ٣١٩ و التوحيد لابن خزيمة: ١/ ٢٥ و ٣٨ و ابن فورك من شيوخ المصنف و من كبار أئمة الأشاعرة يقول: (اعلم أنّ إطلاق وصف الله عز وجل بأنّ له وجهاً قد ورَدَ به نصّ الكتاب والسنة، وذلك من الصِّفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا من جهة النقل ولو لم يرد بذلك خبر لم يجز إطلاقه إذ لا دلالة من جهة العقول تقتضي ذلك فتوجبه)اهـ. مشكل الحديث: ١/ ٣٥٦ وليس هذا موضع تفصيل فنطيل أكثر فقد أصبحت كتب السلف المقررة لأدلة الحق متوافرة بحمد الله و طريق السلامة و النجاة في تأمل القرآن و السنة الصحيحة ثم تأمل طريقة السلف من الصحابة و التابعين و تابعيهم بإحسان ثم تأمل عبارات كبار أئمة السلف و الاعتماد عليها .

(١) ذكرت في الحاشية السابقة من نسبه إلى الكلبي و ابن قتيبة. و أمّا مجاهد فقد ثبت عنه القول بالقول الآتي أنّ معناه: قبلة الله : سنن الترمذي: ٥/ ٢٠٦ و الطبري: ٢/ ٤٥٧ و ٤٥٩ و ابن أبي حاتم:

و قال بعضهم: ﴿ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ أي قبلة الله لأن الوجه و الجهة واحد كالوعد و العدة عن الحسن(١). و التأويل الصحيحُ أنَّ مُلكَ الأماكنِ و البِقاعِ كلّها لله فأينما كنتم فثمّ و جه الله أي فثمّ تجدون الوجاهة عند الله (٢)فالوجه للعبد أضيف إلى الله على طريق الإكرام للعبد كقوله: ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن:الآية ٤٦] أي مقامه من ربه.

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِى ﴾ [إبراهيم: الآية١٤] أي مقامه بين يديّ كذلك: أينما تولوا فثمّ تجدون الوسيلة عند الله و الوجاهة بطاعتكم عند الله.وقيل سبب نزول الآية أنّ قوما عميت عليهم القبلة فصلّوا إلى أنحاء مختلفة فلـمّا أصبحوا تبينوا خطأهم فعُذِروا عن النخعي (٣).

١/ ٢١٢ و الأسماء و الصفات للبيهقي: ٢/ ١٠٧ رقم (٦٧٠) والدر: ١/ ١٠٩ سيذكر المصنف هذا القول. و أما قوله عن مجاهد (كلُّ شيء هالك إلا وجهه) أي إلا هو فذكره الطبري: ١٨/ ٣٥٣ في تفسير سورة القصص: آية: ٨٨ و لم ينسبه ولا أسنده .

(١)ذكره ابن أبي حاتم عن الحسن معلقا (١/ ٢١٢) بعد الأثر: ١١١٢) و في تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٦٣ و تفسير البغوي: ١/ ١٤٠ نقله عن الحسن و مجاهد و قتادة و مقاتل بن حيان. و قول مجاهد تقدّم تخريجه.

(٢) هذا ذكره ابن عطية: ١/ ٢٠٠ . و هو قول لا دليل عليه ، و في أقوال السلف الصحيحةِ كفايةٌ وإنْ قصد به قائله تأويلَ صفة الوجه للباري تعالى فهو خطأٌ، و ينظر ما تقدّم قريبا جدا.و في تفسير السمرقندي أبي الليث : ١/ ١١٣ : قال بعضهم: فثمّ رضا الله و مثله في السمعاني: ١/ ١٢٩ و في تفسير البغوي: ١ / ١٤٠و قيل رضا الله تعالى.

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٥٤ . و ليس هو بهذا اللفظ ، و إنما هو في رجل سأله فقال: إنّي استيقظت فكان في السماء سحابٌ ، فصليت لغير القبلة ، قال مضت صلاتك ، يقول الله: ﴿ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾ اهـ. و لكن يُستفاد منه ذلك و لذا قال الطبري قبله : و قال آخرون: نزلت في قوم عمِيت عليهم القبلة فلم يعرفوا شطرها فصلوا إلى أنحاء مختلفة الخ...

وقيل نزلت في صلاة المسافر (١) و كان لهم أن يتوجّهوا كيف شاءوا ثمّ نسخ بقوله: ﴿ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ ﴾ [البقرة:١٤٤، ١٥٠] .وقيل لمّا صُرِفت القبلةُ إلى الكعبة عيّرهم اليهود فنزلت الآية عن ابن عباس (٢).

وقيل لما نزل قوله: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ [غافر:الآية ٦٠] قالوا و أين هو حتى ندعوه فنزل : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾ [البقرة:الآية ١٨٦].

و قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ قال الفراء (٣)الواسع الجواد بما يُسأل و فلان يعطي عن سعة أي من غنىً فالواسع الغنيّ ، و هو قول أبي عبيدة (٤).

و قيل الواسع العالم من قوله : ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [البقرة:٢٥٥] أي علمه و قيل واسع المقدور و قيل واسع الرحمة، و قيل وسّع الشريعة عليهم بالترخيص لهم في التوحيد في التوجّه إلى أي جهة أدّى إليها اجتهادهم عند اختفاء الأدلة.

و قوله : ﴿ وَلله ٱلۡمَشۡرِقُ ﴾ أراد به جنس المشرق لأن المشارق كثيرة و هو كقولهم أهلك

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٥٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢١٢ (١١٢١) و أحكام القرآن للجصاص: ١/ ٧٦ وتفسير الثّعلبي: ١/ ٢٦٢ و تفسير ابن كثير: ١/ ١٥٨ و العجاب لابن حجر: صـ ١٨٢و لباب النقول للسيوطي: صـ ٢٦

(٢)الناسخ و المنسوخ لأبي عبيد: صـ ١٦ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٤٥٠ و ابن أبي حاتم: ١/ ٢١٢، ٢٤٨ ، ٢٥٣ (١١٢٣ ، ١٣٢٩، ١٣٥٥) و ابن النحاس في الناسخ و المنسوخ: صـ ٧١ كلهم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس و قال ابن النحاس: و هو صحيح عن ابن عباس: صـ ٧٥ و ذكره السيوطي في : لباب النقول: صـ٢٦ ثم قال: (إسناده قوي)اهـ.

(٣) معاني القرآن: ١/ ٦٣

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٥١ و فيه أي جواد يَسع لما يُسألُ، و الثعلبي: ١/ ٢٦٣

الناس الدينارُ و الدِّرهمُ.

قوله : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ ﴾ [الآية ١١٦] قيل نزلت [١] في اليهود حين قالوا عزير ابن الله، وقيل نزلت في النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله، و قيل نزلت في مشركي العرب حيث [٢] قالوا الملائكة بنات الله فردّ الله عليهم و نزَّهَ نفسَه فقال سبحانه: ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (و٩٧) وبل لا يكون إلا عَقِبَ [٣] جحدٍ ومعناه ليس الأمر كذلك بل له ما في السموات و الأرض مِلكا ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴾ جَمَعَ على المعنى ،ولو قُرِأَ (قانتاً)لكان صواباً، وقيل قانتون أي مُطيعون من قوله : ﴿ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ﴾ [الأحزاب:الآية ٣٥]، وقَولِه : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾ [النحل:الآية ١٢٠] أي مُطيعاً، و القنوت على وجوه: قيل: هو الإقرار بالعُبُوديّة، وإنْ حُمِلَ على الطاعة أي كلُّهم مطيعون له يوم القيامة فَحَسنٌ قاله السدي (٤).

---

[١] كتب الناسخ في النسخة : (ل): {في مشركي العرب نزلت }خطأ ثم شطب عليها بالحمرة وكتب ما بعدها.

[٢] كتب الناسخ في النسخة : (ل): {المسيح ابن الله } خطأ ثم شطب عليها بالحمرة وكتب ما بعدها. وينظر: في ما قيل في سبب نزول الآية: معاني القرآن للزجاج: ١/ ١٧٤ وعبارته: هو للنصارى و مشركي العرب، و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٦٤ و الوسيط للواحدي: ١/ ١٩٥ و أسباب النزول للواحدي: صـ ٢٦ والنكت و العيون للماوردي: ١/ ١٧٨ وزاد المسير: ١/ ١٣٥ و تفسير الرازي: ٤/ ٢٤ والعجاب لابن حجر: صـ ١٨٢- ١٨٣ و يمكن أن تكون نزلت في كل ذلك ولذا جمع الثعلبي ثم الواحدي ذلك فقالوا : نزلت في اليهود حيث قالوا عزير ابن الله و في نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله و في مشركي العرب قالوا: الملائكة بنات الله.

[٣] في النسخة : (ل) : عَقِيبَ .

(٤)جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٦٢ و تفسير (قانتون) بمطيعون قاله مجاهد و عطاء و السدي ويروى

وإن حُمل على الإقرار بالعبودية (١)فدلائل العبودية ناطقة فيهم نطقاً لمن أقرَّ و خلقاً ممن جحد وقيل القنوت القيامُ(٢) منه ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئلَ أي الصلاة أفضل قال : (طولُ القنوتِ) (٣). أي طولُ القيام وسَمَّي الصَّلاة قنوتاً في قوله : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ [الزمر:الآية ٩]. أي مُصلٍّ لأنَّ الصلاة بالقيام تكون ، وسُمِّي الدعاء في الصلاة قنوتاً لأنه يُولّي (٤) به قائماً فالمعنى على هذا التأويل كل له قائم يوم القيامة

و القنوت هو الإمساك عن الكلام في الصلاة (٥)، قال زيد بن أرقم: كُنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٨] فسكتنا (١).

عن ابن عباس : الطبري الموضع السابق و الثعلبي: ١/ ٢٦٤ و الوسيط: ١/ ١٩٦ والبغوي: ١٠٨/١ و زاد المسير: ١/ ١٣٥

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٦٣ عن عكرمة و الربيع و الثعلبي: ١/ ٢٦٤ و حكاه عن : عكرمة و مقاتل و يمان و زاد المسير: ١/ ١٣٦ و حكاه عن عكرمة و السدي.

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٧٤ و في الثعلبي: ١/ ٢٦٤: (ابن كيسان : قائمون بالشهادة و أصل القنوت القيام الخ ... طول القنوت) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه : (٦ / ٥٢ رقم ٧٥٦) باب أفضل الصلاة طول القنوت، و الترمذي : ٢/ ٢٢٩ (٣٨٧)وقال: حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن جابر بن عبد الله . و ابن ماجه : ١/ ٤٥٦ (ح ١٤٢١) باب ما جاء في طول القيام في الصلوات و أحمد: (٣/ ٣٠٢) و الطحاوي: في شرح معاني الآثار: ٢٩٨/١ و ابن حبان في صحيحه: ٥/ ٥٤ (ح ١٧٥٨) وأبو نعيم في مستخرجه على مسلم: (ح ١٧١٨)جميعهم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه. و قد روي أيضا من غير حديث جابر. ينظر: شرح معان الآثار الموضع السابق.والسنن الكبرى للبيهقي: ٣/ ٩

(٤) كذا في النسخة (ل) ؟؟ و المعنى أنه يدعو به قائما.

(٥) زاد المسير: ١/ ٢٨٤و التفسير الكبير للرازي: ٤/ ٢٣

قولـه : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الآيـة: ١١٧] أي مُبـدِعُها و مُنـشئُها تقـول العرب أَبْدَعَ الشيء إذا اخترعهُ لا على مثالٍ احتذاهُ.

﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ قيـل القـضاءُ إحكـام الـشيء و إصـلاحه و القـضاء في القـرآن عـلى وجـوه (٢): يكـون بمعنـى الوصـية كقولـه : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:الآية ٢٣] قيل أمرَ وأوصى ويكون بمعنى الإخبار من قولـه : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ﴾[الإسراء:الآيـة ٤]، ويكـون بمعنـى الفـراغ مـن قولـه : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (٣)[النـساء: الآيـة١٠٣] أي فـرغتم منهـا وقولـه : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ ﴾ [البقرة:الآية ٢٠٠] أي فرغتم منها ، ويكون بمعنى الفعل كقوله :

﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه:الآية٧٢] ويكـون بمعنـى الوجـوب كقولـه : ﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة:٢١٠، هود:٤٤] أي وجب العذاب ، وقولـه: ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسـف:الآيـة٤١] ويكـون بمعنـى الكتابـة مـن قولـه : ﴿ وَكَانَ أَمْرًا

---

(١) متفق عليه أخرجه الشيخان وغيرهما فأخرجه البخاري: في كتاب التفسير ، باب: (٤٣) عند آية : (وقوموا لله قانتين): البقرة: (آية: ٢٣٨) (ح ٤٢٦٠) و في كتاب الصلاة ، باب (٢) ما ينهى عن الكلام في الصلاة ومسلم في كتـاب المساجد ، و مواضـع الـصلاة ، بـاب (٧) تحـريم الكـلام في الصلاة (ح ٥٣٩) و الطبري: ٢/ ٥٧٠.

(٢) أرجع الطبري هذه المعاني إلى معنى الإحكام و الفراغ من الشيء: جامع البيان للطـبري: ٢ / ٤٦٦ و ينظر: لسان العرب: (قضى) و المفردات للراغب: ١/ ٤٠٦ والتفسير الكبـير للـرازي: ٤ / ٢٤ و تفسير القرطبي: ٢/ ٨٠ و البحر: ١/ ٣٥٥ و فتح الباري: ٨ / ٣٨٩

(٣) في الأصل: (وإذا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ)

مَّقۡضِيًّا ﴾ [مريم:الآية٢١] أي مكتوباً في اللوح المحفوظ ، ويكون بمعنى الفصل كقوله: ﴿ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ [الزمر:٦٩، ٧٥] ويكون بمعنى الخلق كقوله : ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ (١)[فصلت:الآية١٢] وفي هذا الموضوع بمعنى الخلق ومعناه ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا ﴾ إذا خلق شيئاً ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

وفي الآية دليل على قِدَمِ الكلام (٢)، و موضوعُ بيانه في الأصول ، وفي الآية تنبيهٌ لمشركي العرب على قدرته على الإعادة حيث قال: هو مبدِعُهما لا على مثال ولم يتعسَّر عليه خلق شيء فكذلك هو قادرٌ على الإعادة.

(١) في الأصل: (وقضاهن).

(٢) ربّنا تعالى يتكلّم إذا شاء متى شاء بلا كيف و لا مثل، و له تعالى المثل الأعلى و الصفات العلى.

و إن قصد المصنف قدم نوع الكلام فصحيح و نحن نؤمن بأنّ نوع كلامه تعالى قديم و لكنه تعالى و تقدس يُحدِث ما شاء كلاما و غير ذلك : شرح العقيدة الطحاوية: ١/ ١٦٨ و مجموع الفتاوى: ١٢/ ٣٧٣ . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (لم يكن في كلام الإمام أحمد و لا الأئمة : أنّ الصوت الذي تكلم به قديم ، بل يقولون : لم يزل الله متكلما إذا شاء بما شاء و كيف شاء ..)اهـ. مجموع الفتاوى: ١٢/ ٣٦٩ و ينظر في وجه استدلال المصنف بالآية على قدم الكلام: التبصير في أصول الدين: ١/ ١٦٦ و الكلام في هذه القضية التي أشار إليها المصنف يطول لأن مسائلها و دقائقها و غوائلها كثيرة و لهذا وقع الاضطراب كثيرا في مسائل تتعلّق بكلام الباري تعالى، و تنزيه التفاسير عن دقائق علم الكلام أنفع و أتبع للسنة وللسلف المتقدّمين . و كثير من الكلابية و الأشاعرة و من وافقهم يذهبون إلى وصفِ كلام الله تعالى بالقدم . وينظر في هذه المسألة و في الردّ على المخالفين فيها : منهاج أهل السنة و الجماعة لشيخ الإسلام ابن تيمية: ٢/ ٣٥٨ – ٣٦٣ و مجموع الفتاوى: ١٢/ ٣٦٩ وفتح الباري: ١٣/ ٤٥٤ و التحبير شرح التحرير للمرداوي: ٣/ ١٢٤٦ - ١٣٠٠ .

قولــه : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ [١١٨] قيــل ﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ هلا يكلّمنا الله (١) ﴿أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٌ﴾.

وقيل معناه أفلا يكلّمنا الله أو تأتينا أنت بآيةٍ ، وقيـل ﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ لِمَ لا يكلّمنـا الله فكأنّهم طالبوا النّبي صلى الله عليه وسلم أنْ يكلِّمهُم ربُّهم حتى يؤمنوا فعزّى الله نبيَّه صـلّى الله عليه وسلم بأنْ أخبره أنّ من سلف من الأمم الماضية هكذا طالبوا أنبيائهم فقال: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾،﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي استوتْ قلـوبُهُم على مسألة المُحال والكفر و القسوة ، كقولـه : ﴿ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ﴾ [التوبـة:٣٠] وكـما قـال: ﴿ نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود:١٢٠] هكذا ثبَّتَ قلبه بهذه الآية .

وقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ قيل أراد به اليهود -عن مجاهد (٢)- الذين كانوا في زمن موسى قالوا أرنا الله جهرة .

وقوله : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يعني اليهود الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس (٣) وقال مجاهد (٤):الذين لا يعلمون هم النصارى والذين من قبلهم هم

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٧٥ و معـاني القـرآن للزّجـاج: ١ / ١٧٥ وتفـسير الثّعلبـي: ١/ ٢٦٥ والوسيط: ١/ ١٩٧ والبغوي: ١/ ١٠٩ و تفسير القرطبي: ٢/ ٩٢ و المحرر: ١/ ٢٠٢ والبحـر: ١/ ٣٦٦ و فيها كلها تفسير (لولا) بمعنى هلاّ.

(٢)تفسير مجاهد: صـ ٨٦ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٧٦ – ٤٧٧

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٧٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢١٥ (١١٤٠) و فيه قصة.

(٤) قول مجاهد من طريق ابن أبي نجيح عنه وهو في : تفسير مجاهد: صـ ٨٦ و جامع البيان للطـبري: ٢ / ٤٧٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢١٥ (١١٤٢) و الدر : ١ / ١١٠. وهو في كثير من التفاسير منهـا

اليهود ، وقيل الذين لا يعلمون مُشركوا العرب والذّين من قبلهم هم اليهود والنصارى عن الحسن (١) وقتادة (٢) وغيرهم من المفسّرين .

قوله : ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ [آية:١١٩] يحتمل مع الحق (٣) ويحتمل على الحق ويحتمل بالدِّين الحق ويحتمل بالقول الحقِّ فتركَ الاسمَ و أبقى الصِّفة، و يحتمل أنْ يكون قد أقسمَ بالحقّ ومعناه أقسم (إنّا أرسلناك)، والحقّ الصدق الواجب (٤) ومعناه هو الموجود ونقيضه الباطل ، والحق في القرآن على وجوه (٥)، الحق هو الله سبحانه وهو قوله : ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾ [المؤمنون:٧١] والحقُّ القرآن نحوُ قوله : ﴿ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الزخرف:٢٩] ، والحق الإسلام نحو قوله : ﴿ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ [سبأ:٤٩] والحق العدل نحو قوله : ﴿ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ ﴿ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف:٨٩] والحق الوجوب نحو قوله: ﴿ وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي ﴾ [السجدة:١٣] والحق المال نحو قوله : ﴿ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾ [البقرة:٢٨٢].

:تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٥٦ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٨٠ والوسيط: ١/ ١٩٧ وزاد المسير: ١/ ١٣٧ و القرطبي: ٢/ ٩١ وابن كثير: ١/ ١٦٢

(١) ما عثرت عليه بهذا اللفظ. و ينظر: ما في تفسير ابن أبي حاتم: ١/ ٢١٥ (١١٤٥) عن الحسن.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٧٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢١٥ معلقا.

(٣) اختار هذا الوجه الواحدي: الوسيط: ١/ ١٩٨ و قد اختلفوا في المراد بالحق هنا أهو القرآن أم الصدق أم الإسلام و هي أقوال متقاربة. و ينظر: تفسير السمرقندي:١/ ١١٥ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٦٥ و البغوي: ١/ ١٠٩زاد السمير: ١/ ١٣٧ والتفسير الكبير للرازي: ٤/ ٢٨ و تفسير أبي السعود: ١/ ١٥٢

(٤) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٦٥ و البغوي: ١/ ١٠٩

(٥) ينظر: المفردات للراغب: صـ ١٢٥

وقولُـــهُ: ﴿بَشِيرًا﴾ أي مبـــشِّراً ﴿وَنَذِيرًا﴾ أي منـــذِراً ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ مختصر أي لا تُسألُ عن جـرمهم ، وقـرأ نـافع: (ولا تَـسأَلْ) بـالجزم عـن أصـحاب الجحيم على جهة التفخيم بشان جهنّم كما تقول أمّا فلانٌ فلا تَسألْ عنهُ على جهـةِ التَّفخـيم لـشأنه وموضعُ قولِهِ: ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ نـصبٌ عـلى الحـال أي سـائلا (١)عـن أصحابِ الجحيم، وفيه وجه آخرٌ أنْ يكون على الاستئناف ولا يكون له موضـعٌ، و القـولان عـن الزّجّاج (٢).

و الأصحاب جَمْعُ جمعٍ لأنهُ جَمْعُ الصِّحاب والصِّحاب جمع صَحْبٍ و الصّحب جمع صاحبٍ و نظيره راكبٌ و ركبٌ و رِكَابٌ و أركابٌ . و الجحيم النار و الجحيم التهاب الشيء .

قوله ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ ﴾ الآية [١٢٠] قيـل معنـاه ولـن تـرضى فِعلَـكَ اليهـود والنصارى ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ أي دينَهم و شريعَتهم ،قال الزّجاج: (٣) المِلّةُ في اللغة سنّتُهم وطريقتهم و من هذا سُمّيت للموضع الذي يختبز فيه لأنه يؤثّر في مكانها (٤).

---

(١) في معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٧٤ : (غير سائل). و قد ضعّف الطبري إعرابها حـالاً، و حكـاه عن بعض البصريين و المصنف نقله من الزجاج كما صرّح به، و لكن الزجاج قدّم الإعـراب الثـاني وهو كونه استئنافاً ثم ذكر هذا الوجه، و كذلك أجاز الوجهين العكبري: إملاء ما من بـه الـرحمن : ١/ ٦٠ و أما أبو حيان فجعل إعرابها استئنافا أظهر الوجهين : البحر: ١/ ٣٦٧ .

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٧٤

(٣) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٧٥

(٤) العبارة في معاني القرآن للزجاج أوضح وهي : (و من هذا المَلّة أي الموضع الذي يختبزُ فيه ، لأنهـا – يعني المَلة– تؤثّر في مكانها كما يُؤثّرُ في الطريـق)اهــ. و سـيذكرها المـصنف بأوضـح ممـا هنـا فـيما بعد:صـ٨٦٧ و نقلها الثعلبي : ١/ ٢٦٦ بالمعنى واضحة قائلا و زعم الزجاج: (أنّ الملة مـأخوذة من التأثير في الشيء كما تؤثر الملة في الموضع الذي يختبز فيه). اهـ.

﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم ﴾ قيل خَاصُّ اللّفظِ عامُّ المعنى، وقيل الخطاب للنّبـي صـلى الله عليه و سلّم والمرادُ به غيرُه، وقيل فيه إضمارٌ و مجازُهُ : قل لمنْ يريد اتّباع أهوائهم من بعد ما جاءك من العلمِ إنّهُم على الضّلالة (١)، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي لا يَمْنعُ اللهَ عنـك مانعٌ، وقوله: ﴿ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰ ﴾، يعني الإسلام هو الدِّين، وقيل متابعـةُ أهوائِهم أنْ لا يتوجّه إلى الكعبة (٢) و لا يغيّر القبلة، و قيل في قوله: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم ﴾ ولم يقل هَوَاهُم لأنّ جميع الفرق لم يكنْ يرضيهم منه إلا اتّباعُ هَواهُم، وجمع هَوَىً أهواء كجَمَلٍ وأجمالٍ.

ومعنى الآية أنّ الكفار كانوا يسألونه صلى الله عليه و سلّم الهدنة و يطمِعُونـه في الإسـلام إنْ أَمهلهم فأعلمهُ الله تعالى أنَّهُم لن يرضوا عنه إلا بمتابعة ملَّتهم (٣) و الآيـة دلَّـت عـلى اسـتحالة إرضائهم جميعا في حالةٍ واحدة لأنّ اليهـود لم تـرضَ عنـه إلا بمتابعـة ديـنهم و النـصارى كمثلـه ومستحيلٌ أنْ يكونَ يهوديًّا نصرانياً في حالة واحدة فإذاً استحال ارضاؤهم جميعا.

قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ الآية [١٢١]. قيل هم مؤمنوا أهل الكتاب عـن ابـن زيدٍ (٤).

---

(١)ينظر حول هذا المعنى : تفسير أبي الليث السمرقندي: ١/ ١١٦ و تفسير القرطبي: ٢/ ١٦٢ والبحر: ١/ ٣٦٨ – ٣٦٩ و ينظر حـول هـذا المعنـى مـن آيـات أخـرى:جـامع البيـان للطـبري:٢/ ٤٠٤ الآية:١٠٧من البقرة و المحرر:٣/ ٢٠٩ .

(٢) في النسخة (ل) : كتب القبلة ثم كتب فوقها الكعبة.

(٣) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٧٨ وتفسير أبي الليث الـسمرقندي: ١/ ١١٦ وتفـسير الثّعلبـي: ١/ ٢٦٦ و الوسيط: ١/ ٢٠٠ و أسـباب النـزول للواحـدي: صــ ٢٧ و المحـرّر: الـوجيز: ١/ ٢٠٤ والبحر: ١/ ٣٦٨

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٨٦ من طريق شيخه يونس عن عبد الله بن وهب عن ابن زيد . وذكـره

و قيـل هـم المسلمون عامّـة عـن قتـادة (١). ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ قـال الحسن (٢)يعملون بمُحْكَمِهِ و يؤمنون بمتشابهه. و قيلَ يصفون محمداً في كتبهم حقَّ صفته لمن سألهم من النّاس (٣)،و قيل يتّبعونه حقّ اتباعه عن ابن عباس (٤) و ابن مسعودٍ (٥)و مجاهـد (٦)وقتـادة (٧)وعطاء (٨) وقيل يقرأونه حق قراءته (٩).

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ يعني بمُحمّد صلى الله عليه و سلّم (١٠) ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ يعني بمحمد ﷺ ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ في العقوبة.

موجزا ابن كثير في تفسيره: ١/ ١٦٤

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٨٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢١٨ (١١٦١) والـدر: ١/ ٢٧٣ و عـزاه لعبد بن حميد و ابن جرير و في الدر ألفاظ زائدة.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٩٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢١٨ (١١٥٨) و جعفر الفريابي في فضائل القرآن : رقم: ١٦٧صـ٢٣٨ و الدر: ١/ ١١١ وعزاه أيـضا لوكيـع و بعـده في الطـبري وابـن أبي حاتم و الدر: ويَكِلُون ما أشكلَ عليهم إلى عالِمِهِ.

(٣) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٦٦ و عزاه للكلبي. و تابعه البغوي: ١/ ١١٠ و ذكره أبو الليث السمرقندي بلا نسبة : ١/١١٦ و لم يذكره الطبري .

(٤) تفسير الطبري: ٢ / ٤٨٨ و ٤٨٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢١٨ (١١٥٩) و الدر: ١/ ١١١

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٨٩ من طريق سفيان – الثوري- عن زبيد عن مرة عن ابـن مـسعود رضي الله عنه.

(٦)جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٩٠ – ٤٩١من طرق كثيرة عن مجاهد.

(٧) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٩٣

(٨) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٨٩ و ٤٩١

(٩) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٩٢ و تفسير أبي الليث السمرقندي: ١/ ١١٦

(١٠) يرى الطبري أن الهاء راجعة إلى الكتاب كما أن الهاء في قوله (يتلونه) راجعة إلى الكتاب : ٢ / ٤٩٥ و أما السمرقندي: ١/ ١١٦ والماوردي: النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٨٢ فاقتصرا على القول

وقيل الآية نَزَلت في أصحاب السّفينة من مؤمني أهل الكتاب، وهم الذين قَدِمُوا مع جعفر بن أبي طالب اثنان وثلاثون من أهل الحبشة و ثمانيةٌ من رهبان أهلِ الشام [١].

قوله: ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آية:١٢٢] قد مضى تفسيره فيما تقدّم و إنما كرَّر معنى هذه الآية تنبيها على تأكيدِ و جوب شكر المنعم فيما أنْعَمَ عليهم من التّفضيل.

و معنى تفضيلهم على العالمين أي عالمي زمانهم بأنْ جعل النّبوّة و الحكمة فيهم، و قيل لمّا أراد أنْ يعِظَهم و يحذِّرهم يوم القيامة بقوله : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾ [آية:١٢٣] قدّم على التحذير ذِكْرَ النِّعمة ليكونَ أدعى لهم إلى الإقبال على الطّاعة، وقد مضى الكلام في معنى العَدْلِ و الفِدْيةِ والشَّفَاعة فيما تقدّم فأَغْنى عن الإعادة.

قوله: ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٖ﴾ [الآية: ١٢٤]. الابتلاء الاختبار وهو في وصفه سبحانه للإعلام لا للاستعلام، و إبراهيم اسمٌ أعجميٌّ لذلك لا يُصرَفُ و هو الصحيح.

و بعضهم [١]قال معناه: أب رحيمٌ فحوّلت الحاءُ هاءً كما قيل مدحته و مدهته [٢]، و قيل معناه أبرم الأمر، و الهاء زائدة و قيل برئ من الأصنام و هام إلى الله تعالى لقوله: ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى ﴾ [الصافات:٩٩].

بأنها راجعة إلى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم كما ذكر المصنف. و ذكر ابن الجوزي القولين جميعا: ١/ ١٣٥ و في ما يعود عليه الضمير اختلاف بسطه أبو حيان: ١/ ٣٧٠

(١) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٦٦ و لم يسنده ثم ذكر قول الضحاك: أنها في من آمن من اليهود، و أسباب النزول للواحدي: صـ ٤٠ قال: قال ابن عباس في رواية عطاء و الكلبي :إنها نزلت في أصحاب السفينة ثم ذكر قول الضحاك المتقدم ثم قول عكرمة و قتادة : أنها نزلت في أصحاب محمد ، فأما قول الكلبي فقال الحافظ ابن حجر : ذكره يحيى بن سلام عن ابن الكلبي: العجاب: ١٩٠و أما قول قتادة فأسنده الطبري عنه: ٢/ ٤٨٦ و رجحه و قد تقدم تخريجه. و ينظر: الوسيط للواحدي: ١/ ٢٠٠ و البحر: ١/ ٣٦٩

و اختلفوا في {الكلمات } [٣] قيل الكلمات قوله: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فطمع إبراهيم أنْ يجعلها في ذريته فقال ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لمّا علم أنّ من ذريته من يعصيهِ، ويخالف أمره عن مجاهد (٤)، وقيل الكلمات قولُ إبراهيم وإسماعيل إذ يرفعان القواعد من البيتِ فقالا ربَّنا تقبل منا . قال الحسن (٥):ابتلاه بالشمس و القمر و الكواكب فعَلِم أنه ربٌّ لا يزول، و ابتلاهُ بالهجرة و الخِتان والنّار و ذبح الولد فصبر {و }(٦)وَفّى لله.

و قيل (٧): ابتلاه بكلمات قال: يا إبراهيم إني خبأتُ لك أشياءَ قال فما هو ؟ قال إبراهيم: خبأتَ لي أن تجعلني إماما قال نعم، قال: و من ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين، قال: و تجعل

---

(١) المحرر: ١/ ٢٠٥ و تفسير القرطبي: ٢/ ٩٦ و البحر: ١/ ٣٧٢ و نقله عن القرطبي بلا تصريح الشوكاني في: فتح القدير: ١ / ١٣٧

(٢) في لسان العرب: (مَدَهَهُ يمدهه مدها مثل مدحه ... وقيل المَدْهُ في نعتِ الهيئة والجمال، والمَدْحُ في كلِّ شيء وقال الخليل بن أحمد: مدهتُهُ في وجهه ومدحتهُ إذا كان غائبا، وقيل المَدْهُ والمدح واحد، وقيل الهاء في كلِّ ذلك بدلٌ من الحاء و المادِهُ المادحُ)اهـ. (مده)و ينظر: المزهر للسيوطي: ١/ ٣٥٦

(٣) وقع في النسخة (ل) : الكتاب و صححته لوضوحه في سياق المعنى.

(٤) تفسير مجاهد: صـ٢١٣ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٥٠٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٢١ (١١٧١)

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٠٥ و الطبري في تاريخه: ١/ ٢٨٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٢١ (١١٧٠) و ابن عساكر: ٦/ ١٩٣ من طريق اسماعيل ابن عليه عن أبي رجاء عن الحسن بأطول مما هنا و رواه قتادة أيضا عن الحسن: جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٠٥ و ابن عساكر: ٦ / ١٩٥ ورواه أيضا أبو هلال عن الحسن مختصرا: تفسير الطبري: ٢/ ٥٠٦ و تاريخه: ١/ ٢٨٥ و تاريخ ابن عساكر: ٦/ ١٩٣ و رواه معمر عمن سمع الحسن: تفسير عبد الرزاق: ١/ ٥٧ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٠٦ و تاريخ الطبري: ١/ ٢٨٥ و تاريخ ابن عساكر: ٦/ ١٩٣

(٦) ليست في النسخة (ل) : وزدتها لأجل المعنى.

(٧) هو بمعناه عن مجاهد: جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٠٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٢١ (١١٧١) وقد

هذا البلد آمنا، قال و ترزق أهل من الثمرات من آمن منهم بالله و اليوم الآخر قال نعم ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ [الآية :١٢٦] قال: و تجعل البيتَ مثابةً للناس و أمناً قال نعم، قال وتجعلنا مسلِمَينِ لك، و من ذريتِنا أمّة مسلمةً لك، و ترينا مناسِكَنا و تتوبُ علينا قال نعم.

قيل هي قوله: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا ﴾ (١) [النساء:٣٦] وقيل العَشْر التي ورد الخبر بأنّها من الفِطْرة و قيل هي كلّ مسألة في القرآن سألها إبراهيم عن قتادة (٢) وأبي الجَلْد (٣) و إحدى الروايتين عن ابن عباس (٤).

وفي رواية عن ابن عباس (٥): أنّه ابتلاه بثلاثين سهما من شرائع الدين، عشر في سورة براءة ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ﴾ [١١٢] وعشر في الأحزاب في ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَـٰتِ﴾

تقدم قول للمصنف مجاهد موجزا.

(١) في الأصل: ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾.

(٢) يعني أن قول قتادة و أبي الجَلد و ابن عباس في إحدى الروايتين عشر من الفطرة: فقول قتادة في جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٠٠ تاريخ الطبري: ١/ ٢٨٠

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٠٠ و تاريخ الطبري: ١/ ٢٨٠ .

(٤)تفسير عبد الرزاق: ١ / ٥٧ و المستدرك للحاكم : ٢/ ٢٩٣ – و سقط بعض الإسناد من أول سنده في المطبوع – والبيهقي في الكبرى : ١ / ١٤٩ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٩٩ و ٥٠٠

(٥) رواه داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس : المصنف لابن أبي شيبة ١/ ١٧٩ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٤٩٨ – ٤٩٩ من ثلاثة طرق عن داود بن أبي هند و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٢٠ (١١٦٦) و الحاكم: ٢/ ٤٧٠، ٥٥٢ و ابن عساكر في تاريخه: ٦/ ١٩٤ و الدر المنثور: ١/ ١١١ و عزاه أيضا لابن مردويه .

[٣٥] (١)و عشر في ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ ﴾ [المعارج:١] (٩٩)إلى قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ (٢) [المعارج:٣٤].

و عن ابن عبّاس (٣): أنه ابتلاه بمناسك الحجّ، و قيل ابتلاه الله بما أَمَرَهُ من شرائِعِه ،و عدُّ ذلك يطول. و قال سعيد بن المسيب (٤): اختَتَنَ إبراهيم بعد مئة و عشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة.

و قوله : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ يجوزُ أن يكونَ من فعل إبراهيم أي قام بِهِنّ ووفّى بهنَّ.

و قوله: ﴿ يَنَالُ عَهۡدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قيل نُبُوّتي (٥) و قيل رحمتي يوم القيامة، قيل لا يطاع ظالم في معصية الله. و العهد في التفسير الأمانُ أي لا ينال أماني الظالمين لا أؤمِّنهم من عذابي

---

(١) سقط هنا من هذه الرواية قوله: و عشر في سورة المؤمنون إلى قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ .

(٢)سقطت ﴿ هُمۡ﴾ من النسخة (ل) .

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٠٣ – ٥٠٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٢١ (١١٦٩) و تاريخ ابن عساكر: ٦ / ١٩٣

(٤) رواه بهذا اللفظ سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وروي عنه مرفوعا و موقوفا: فالمرفوع في : صحيح ابن حبان : (رقم: ٦٢٠٤ : ١٤/ ٨٤) و الموقوف في الموطأ: التمهيد: ٢٣ / ١٣٧ والأدب المفرد للبخاري: صـ٤٢٨ والمستدرك للحاكم: ٢/ ٦٠٠ و شعب الإيمان: ٦/ ٣٩٥ وقال هذا هو الصحيحُ موقوفٌ. يعني طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة . و بين ابن عبد البر الاختلاف في حديث سعيد و غيره عن أبي هريرة: التمهيد: ٢١/ ٥٨ و الاستذكار: ٨ / ٣٣٧ وينظر: تاريخ ابن عساكر: ٦ / ١٩٩ وفتح الباري: ٦ / ٣٩٠ . وأصل قصة اختتان إبراهيم بالقَدُوم في الصحيحين.

(٥)ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٥١١ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٦٩ على تحريفات في المطبوع منه جمة والوسيط: ١/ ٢٠٣ و المحرر: ١/ ٢٠٦ – ٢٠٧ و تفسير القرطبي: ٢/ ١٠٧ و البحر: ١/ ٣٧٧

والإمام أصله من الأَمِّ و هو القَصْد و الإمام الذي يُأتم به أهله و أمَّته فيما يفعل أي يقصدون لما يقصد (١).

و اختلفوا في معنى الذُّرِّية فقال قائلون : وزنُها من البناء فُعليَّةٌ منسوبٌ إلى الذَّرّ (٢)بالتشبيه في كثرةِ التوالد ، وقيل سُمّوا ذرِّيَّة لأن الله ذَرَّهم في الأرض أي نشَرَهم مما هو كالذَّرّ.

{وقيل فُعْلولةٌ من الذَّرْأ وهو الخلق كقوله: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ [الأعراف:١٧٩] أجمعوا على حذفِ الهمزة منها (٣)} (٤).

وفي مصحف عبدالله (٥):(لا ينال عهدي الظالمون) لأنّ ما نلتَه فقد نالَكَ، يقال نلتُ خيرَك ونالني خيرك (٦).

---

(١)معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٨٠

(٢) في لسان العرب بعد أن ذكر هذا : (وكان قياسُه ذَرِّية بفتح الذال لكنّهُ نَسَبٌ شاذ لم يجيء إلا مضموم الأول)اهـ. (ذرر: ٤/ ٣٠٤). و في اشتقاق ذرية كلام كثير لعلماء النحو و الصرف ينظر: لسان العرب: (ذرر و ذرأ) و مشكل إعراب القرآن لمكي: ١/ ١٥٨ و اللباب في علل البناء و الإعراب للعكبري : ٢/ ٣٢٤ وزاد المسير: ١/ ١٤٠ و تفسير القرطبي: ٢/ ١٠٧ والبحر١/ ٣٧٢ و هو أجمعها و ألخصها.

(٣) يعني حذفوا الهمزة من الذرية.

(٤) ما بين المعكوفتين مؤخّرٌ في الأصلِ بعد قوله: (وفي مصحف عبدالله).

(٥) ذكرها الطبري: ٢/ ٥١٦ بصيغة التمريض و لم يسنِدها، و تُنسَب إلى: عبد الله بن مسعود و إلى طلحة بن مصرِّف وقتادة و أبي رَجاء و الأعمش؛ فقد نسبها ابن خالويه إلى ابن مسعود: مختصر في شواذ القراءات: صـ٩ و نسبها ابن النحاس في إعراب القرآن: ١/ ٢٥٨ إلى :عبد الله و أبي رجاء و الأعمش و نسبها الثعلبي :١/ ٢٦٩ إلى : عبد الله بن مسعود و طلحة بن مصرف ، ونسبها ابن عطية: ١/ ٢٠٧ و أبو حيان : ١/ ٣٧٧ إلى قتادة و أبي رجاء و الأعمش .

(٦) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥١٦

قوله: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الآية: ١٢٥]، المثابُ والمثابةُ واحدٌ كالمَقَام والمقامة في قول الزجاج (١) والفراء (٢) وقال الأخفش (٣)المثابةُ المبالغة في كثرةٍ من يثوبُ إليه كقولهم: رجلٌ نسّابةٌ وعلاّمةٌ. وقال بعضهم معنى مثابةً أي يحجُّون فيُثابون عليه وقيل يثوبون إليه من كل جانبٍ أي يرجعون إليه {لا }(٤)يقضُون منه وطراً .

﴿ وَأَمْنًا﴾ قيل من دخله كان آمناً يُحترَمُ له (٥)ويختصُّ تلك البقعة بالاحترام فأُمِرَ النّاس بأنْ يكون الملتجِأُ إليه آمناً إلاّ فيما تأذن إليه الشريعة من تعرّضه لاستيفاء حقوق الله.

وقوله: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾(٦)أمرٌ معطوفٌ على قوله: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ ﴾ واتخِذوا وقيل هو مردودٌ على المعنى في قوله: ﴿ مَثَابَةً﴾ أي ثوبوا إليه ﴿وَٱتَّخِذُوا ﴾ وقرأ نافع وابن عامر(واتخَذُوا) على الخبر وقرأ الباقون على الأمر. (٧)

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٨٠

(٢) معاني القرآن للفراء: ١ / ٦٥

(٣) معاني القرآن للأخفش: صـ:١١٠ وفيه بدل قوله : (عَلّامةٌ): (سيارة).

(٤) سقطت من الأصل. و لا بد منها. و ينظر مثلا : الطبري: ٢/ ٥١٧ – ٥١٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٢٥ فقد روياه عن جماعة من السلف .

(٥) كذا في الأصل و معنى الكلام واضح من سياقه، و هو من الاحترام.

(٦) سيعيد المصنف الكلام على ما لم يذكره من تفسير هذه الآية بعد أن يذكر تفسير الآية التي بعدها وهذا الصنيع محل استغرابٍ، و أخشى أنه من خطأ النسّاخ .

(٧) قراءة الباقين : بكسر الخاء على الأمر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٢٤ والسبعة لابن مجاهد: صـ ١٧٠ ومعاني القراءات للأزهري: صـ ٦٢ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٧٠ و الوسيط للواحدي: ١/ ٢٠٤ والكشف لمكي: ١/ ٢٦٣ و النشر: ٢/ ٢٢٢

ومعنى قوله: ﴿ مُصَلًّى ﴾ قال: الحسن قِبْلَةً (١) وقال مجاهد (٢) مُدَّعىً أي موضع دعاءٍ وقال قتادة (٣): صلوا عنده (٤).

و قوله: ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ ﴾ أمرناهم أنْ طهِّرا بيتي للطّائفين أضافه إلى نفسِهِ إضافةَ تخصيصٍ كما يقال هذا أخي وولدي.

وقيل أَمَرَهُما أنْ يَبنِياهُ على الطَّهارة والتَّوحيد لا على عِبادةِ الأصنام، وقيل كان في مكان البيت شيءٌ من النجاسات قبل البناء فأُمِر بإماطته ، و القولُ الأولُ أولى و قيل طهِّراه من الأوثان والأصنام التي كانت هناك قبلهما(٥) .... (٦) . وقيل (العاكِفون) المقيمون بحضرته عن عطاء (٧)، و قال سعيد بن جبير (٨): همْ أهلُ الحرم، و قال ابن عباس (١): العاكفون هم المصلون.

---

(١) لم أعثر عليه مسندا و قد ذكره : أبو بكر الرازي الجصاص في أحكام القرآن: (ت: ٣٧٧هـ) : ١/ ٩٢ وهو في تفسير القرطبي: ٢/ ١١٣ و التفسير الكبير للرازي: ٤/ ٤٥ . و لم يذكر الطبري: ٢/ ٥٢٩ - ٥٣٠ و الماوردي: ١/ ١٨٧ غير :قولين هما قول مجاهد: مدّعى و قول قتادة ؛ وروى الطبري مثل قول قتادة عن السدي. وروى ابن أبي حاتم قول مجاهد و السدي : ١/ ٢٢٧ و لم يذكر قول الحسن أيضا .

(٢)جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٢٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٢٧

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٢٧ و أخبار مكة للأزرقي: ١/ ٢٧٢ و الدر: ١/ ١١٩

(٤) قول قتادة رجَّحَهُ الطبري : ٢/ ٥٣٠ و قال ابنُ العربي في أحكام القرآن: ١/ ٥٩: (وهو الصحيح). وكذلك رجّحه الجصاص: أحكام القرآن: ١/ ٩٣ وقال : (وهذا هو الذي يقتضيه ظاهرُ الَّلفظ لأنّ لفظ الصلاة إذا أُطلِق تُعقل منه الصلاة المفعولة بركوع وسجود ...)اهـ.

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٣٣ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٧٢ و الوسيط: ١/ ٢٠٧ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٨٨ و تفسير القرطبي: ٢/ ١١٤

(٦) هنا بياض في الأصل بمقدار أربع كلمات. وهو أول بياض أجده في المخطوط. ويظهر من السياق أن الكلام عن تفسير (العاكفين).

(٧)جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٣٥ و لفظه عن عطاء: (قال: إذا كانَ طائفاً بالبيت فهو من الطائفين وإذا كان جالسا فهو من العاكفين).

(٨) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٣٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٢٨ معلقا.

وقيل :الركّع السُّجُود أراد به جميع المؤمنين لأنّ ذلك من شأنهم، و العاكف: المقيم بمكة ، والطائف: الطارئ، والركّعُ جمعُ راكعٍ، و السُّجود جمع ساجد.

قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ [الآية: ١٢٦].

يقول حراما محرَّمَاً لا يُصادُ صيدُهُ ، ولا يُعضَد (٢) شجرهُ ولا يُختلا خَلاهُ (٣) ولا يَدْخُلُها أحدٌ إلاّ بإحرام ولا تحلّ لأحدٍ من الخلقِ إلاّ السّاعة التي حلّت للنّبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح.

﴿ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ قيل خَصَّهُم بالدَّعْوَةِ لئلا يسكن مكة غير مؤمنٍ (٤). قال الله سبحانه : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ﴾ يعني مدّة عمره لأنّ كلَّ ما هو فانٍ فقليلٌ و المؤمن فانقضاء نعيم دنياه ابتداء نعيمِ آخرتِهِ.

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٣٦ .

(٢) يُعضَدُ شجرها أي يُقطعُ يقال عضدت الشجر أَعضُدُهُ عَضْداً: (النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٥١) (عضد). و في لسان العرب: (عضد): (المِعْضَادُ من السيوف الممتهنُ في قطع الشجر)اهـ.

(٣) الخَلى النَّبات الرَّطْبُ الرَّقِيقُ ما دام رطبا واختِلاؤُهُ قطعُه: (النهاية لابن الأثير: ٢/ ٧٥) و لسان العرب: (١٤/ ٢٤٣) (خلا) و ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد بن سلام: ٤/ ٢٤

(٤)جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٤٤ و ١/ ١١٩ و تفسير أبي الليث السمرقندي: ١/ ١١٩ والكشاف: ١/ ٢١٢ و تفسير القرطبي: ٢/ ١١٩ و التفسير الكبير للرازي: ٤ / ٥١ و عبارة السمرقندي: (وإنما اشترط هذا الشّرط لأنه قد سأل الإمامة لذرّيته فلم يُستجَبْ له في الظّالمين فخشي إبراهيم أنْ يكونُ أمرُ الرِّزق هكذا فسأل الرِّزق للمؤمنين خاصَّةً فأخبره الله تعالى أنه يرزق الكافر والمؤمن وأنَّ أمر الرِّزق ليس كأمر الإمامة)اهـ. و ينظر: إعراب القرآن لابن النحاس: ١ / ٢٦١ فهو مهمّ. مع ما سيورده المصنف قريباً.

وقوله: ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ ﴾ أي أُلجئُهُ إلى عذاب النّار، و الاضطرار افتعالٌ من الضرر فضَعُف اللّفظ بحرفين متضادّين لأن الضادَ مجهورة، و التاءُ مهموسة فحُوِّلت التّاء طاءً ليتوافقا(١).

﴿ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ أي بئس العاقبةُ، و قيل إنما خصَّ المؤمنين بطلب الرِّزق (٢) لهم لأنّه كان بعدما أدّبه الله سبحانه بقوله : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فتوهَّم أنّه كما لا يعطيهم النُّبوة إلا إذا كانوا مؤمنين كذلك لا يرزق أهل مكة إلا أن يكونوا مؤمنين، وقيل (أُمتِّعه) أي إلى خروج محمد صلى الله عليه وسلم و انتشارِ دينه و قوَّة أمره ثمّ لا يكون بعده فيه كافرٌ.

قرأ ابن عامرٍ : (فأُمْتِعُه)بالتخفيف من الإمتاع (٣)وقرأ الباقون (أمَتّعه) بالتشديد على التكثير . و قال (٤)ابن عباسٍ : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ يعني البيت.

و قيل إنّ عمر قال يا رسول الله : (لو صلَّيتَ بنا خلفَ المقام فأنزل الله على ما قال عمر) (٥).

---

(١) وزن اضطر: افتعل من الضرّ و أصله: (اضتر) فأبدلت التاء طاءً: البحر المحيط: ١/ ٣٧٣ والدر المصون: ١/ ٣٦٨

(٢) تقدّم قريبا التعليق على توجيه آخر للمصنف.

(٣) تفرد بذلك ابن عامر من العشرة : الروضة لأبي علي المالكي: ٢/ ٥٤٦ و التبصرة: ٤٣١ و غاية الاختصار: ٢/ ٤١٦ و البحر المحيط: ١/ ٣٨٤

(٤) في الأصل : (وقرأ) وهو خطأ كما يدل عليه قوله : يعني البيت . و لأن ﴿ٱتَّخِذُواْ ﴾ ليس فيها إلا قراءتان قد تقدمتا. وأما التفسير فروى الطبري: ٢/ ٥٢٦ من طريق عطاء عن ابن عباس: (مقامه عرفة) ثم روى ٢/ ٥٢٧ من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس : (... قام على حجر فهو مقام إبراهيم). و عند ابن أبي حاتم : ١/ ٢٢٦ (١١٩٧) من طريق عطاء عن ابن عباس : (الحج كله) و عند ابن أبي حاتم أيضا : ١/ ٢٢٦ (١١٩٨) من طريق مجاهد عن ابن عباس: (مقام إبراهيم الحرم كله).

(٥)صحيح البخاري في مواضع منها في كتاب الصلاة ، باب (٣٢) ما جاء في القبلة (ح ٤٠٢) –

وقال عطاء (١): مقام إبراهيم عرفة و مزدلفة و الجِمار، و قال مجاهدٌ (٢): الحرم كلُّه مقام إبراهيم، و قال : المسجد كله .

و قال أنس بن مالك (٣): رأيت في المقام أَثَرَ أصابعه و عَقِبِهِ و أَخْمَصَ قَدَميهِ غير أنّه أذهبه مسحُ الناس بأيديهم.

وكتاب التفسير- باب (٩) قوله تعالى:﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ ٣/ ٩٩ وفي الترمذي في جامعه – كتاب التفسير- باب من سورة البقرة رقم ٢٩٥٩ و ٢٩٦٠وقال: حسن صحيح و أحمد ١/ ٢٣ (١٥٧) و النسائي في الكبرى في مواضع منها : في كتاب التفسير: باب (١٣) (ح ١٠٩٩٨)و (١١٤١٨) و (ح ١١٦١١) و الطبري: ٢/ ٥٢٢- ٥٢٣ و الواحدي في الوسيط: ١/ ٢٠٥ كلهم من حديث أنس مطوَّلا (وافقت ربي في ثلاث الخ) وينظر: ابن أبي حاتم: ١ / ٢٢٦ (١١٩٦) من طريق جابر؛ و العجاب للحافظ ابن حجر: ١٩٢ – ١٩٤ و الدر: ١/ ٢٨٩ - ٢٩٠.

(١)جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٢٥

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٢٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٢٦ معلقا عقب الأثر (١١٩٨) و عن مجاهد رواية أخرى وهي أنه : جَمْعٌ – يعني مزدلفة – و عرفة ومنى : تفسير عبد الرزاق: ١/ ٥٨ والطبري : ٢/ ٥٢٥ - ٥٢٦

(٣)رواه الفاكهي : ١/ ٤٥٠ (٩٨٦) والواحدي الوسيط: ١/ ٢٠٥ من طريق ابن وهب حدثنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثني أنس: به . و نقل ابن كثير: (١/ ١٧١)سنده ومتنه قائلا قال: عبد الله بن وهب حدثنا يونس بن يزيد الخ . و أفاد الحافظ ابن حجر أنه في موطأ ابن وهب: فتح الباري: ٨/ ١٦٩ و رواه الفاكهي أيضا: من طريق أخرى عن الزهري به (رقم ٩٨٧) وحكاه الثعلبي بلا سند: ١/ ٢٧١ . و قد نقل قتادة التابعي نحوه عمّن رأى أثر عقبه وأصابعه: الطبري: ٢/ ٥٢٧ و أخبار مكة للأزرقي: ١/ ٢٧٢ و الدر: ١/ ١١٩ و قد تقدّم خبرُ قتادة لكن اختصر منه المصنف هذا القدر ينظرفي هذا أيضا : تاريخ مكة للفاكهي : ١/ ٤٥٠ – ٤٥٢. و خبر أنس رضي الله عنه نقله القرطبي : ٢/ ٦٤ عن القشيري قائلا : (حكاه القشيري). يعني به المصنف. و قد رأيته أيضا في تفسير ابن المصنف عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري .

و قال سعيد بن جُبير (١): الحِجْر و المقام حَجَران من أحجارِ الجنّة أُنزلا و هما أشد بياضا من الكُرسفِ (٢). و أظهر الأقاويل أنّ المقام هو الحجر الذي عليه أثر قدمه،[١٠٠و]و هو المعروف به هناك.

قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [آية:١٢٧] قيلَ أساسُ البيت، واحدتُها (قاعدة) (٣).وقيل أصول البيت (٤).

و ذلك أنّ الله تعالى لمّا أغرق قوم نوح رفع البيت الحرام إلى السّماء و هو البيت المعمور ثمّ إنّه أوحى إلى إبراهيم و أَمَرَهُ أن يبني البيتَ على الأساس الذي كان عليه، و كان قد أَشكَلَ على إبراهيم مكانَ البيتِ قبل ذلك فبعث الله سبحانه سحابةً فقامت على حِيَالها فيها رأسٌ يتكلّم فقالت يا إبراهيم ابن بحِيالها (٥)، و كان إبراهيم يبني و إسماعيل يناوِلُه الحجرَ من خمسة أجبلٍ من طور سيناءَ و طُور زيتون، و لبنان ،و الجُوديّ و بنى قواعده من حِرَاء (٦)فلما انتهى إلى الحجر قال

(ورقة : ٦٤ الوجه: أ) .

(١) لم أجده عن سعيد بن جبير بهذا اللفظ: و في تاريخ مكة للأزرقي: ١/ ٣٢٧ بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : (الركن و المقام من جوهر الجنة)اهـ. و ينظر: المصنف لعبد الرزاق: ٥/ ٣٨ و السنن الكبرى للبيهقي: ٥/ ٧٥ و شعب الإيمان للبيهقي: ٣/ ٤٩٩ و فتح الباري: ٣/ ٤٦٢

(٢) الكُرْسُف: القُطْنُ. (لسان العرب: كرسف) و النهاية لابن الأثير: كرسف(٤ / ١٦٣).

(٣) سقطت كلمة ((قاعدة)) من الأصل والسياق يقتضيها.

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٤٨ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٧٤ و الوسيط: ١/ ٢١٠

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٦٠ – ٥٦٢ خبر حارثة بن مضرّب عن علي رضي الله عنه و ما بعده و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٣١ (١٢٢٩)

(٦) رواه بنحوه عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء: (المصنف: ٩٠٩٢) و من طريقه الطبري: ٢/ ٥٤٩ و ينظر: أخبار مكة للأزرقي : ١/ ٦٣ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٧٥ والدر: ١/ ١٢٧ ، ١٣١

لإسماعيل جئني بحجرٍ حسَنٍ يكونُ علما للنّاس فأتاه بحجرٍ، فقال إبراهيم جئني بحجرٍ أحسن من هذا فمضى إسماعيل يطلب فصاح أبو قُبَيسٍ يا إبراهيم إنّ لك عندي وديعة فخذها فإذا هو حجرٌ أبيضٌ من ياقوت الجنّة كان نَزَلَ به آدم من الجنة وكان جبرئيل خَبَأَهُ في أبي قبيس أيّام طوفان نوح هذا قول ابن عباس (١).

و قال السُّدّي (٢)و غيره: كانا جميعا بنيا البيت، و عن مجاهدٍ (٣)و عمرو(٤) بن دينار (٥) أنّ إبراهيم أولُ من بنى البيت و لم يكن قبله مبنيّاً. و قال الحسن (٦):أول من حجَّ البيت إبراهيم . و في الحديث أنّ النبي ﷺ قال : (إن الحجر ياقوتةٌ من يواقيتِ الجنة، ولولا ما مسّه المشركون بأنجاسهم ما مسّه ذو عاهة إلا شفاه الله) (٧).

و تفسير ابن كثير: ١/ ٢٥٩

(١)هذه الأخبار من مجموعة من أخبار متفرقة أشرت فيما مضى إلى بعضها و ينظر في آخر الخبر : تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٧٤ و القرطبي: ١/ ١٢٢ عن ابن عباس وقد اختصر بعضه المصنف. واختلاف الأخبار في المكان الذي جلب منه الحجر الأسود مذكورٌ في الروايات عند الطبري في تفسيره: ٢/ ٥٥٨ خبر السدي و ٢/ ٥٦٠ و ينظر أيضا ما تقدّم.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢/ ٥٥٨

(٣)جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٥٤ و ينظر قول مجاهد أيضا في :المصنف لعبد الرزاق: (٩٠٩٧) وجامع البيان للطبري: ٢ / ٥٥٢ و الدر: ١/ ١٢٨

(٤) في النسخة (ل) : عمر بدل عمرو و هو خطأ.

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٥٣ نقلَهُ المصنّف بمعناه.

(٦) لم أعثر عليه.

(٧) ورد مرفوعا من حديث عبد الله بن عمرو و موقوفا : بلفظ: (إنّ الرُّكن والمقام من ياقوتِ الجنة ولولا ما مسَّهُما من خطايا بني آدم لأضاءا ما بين المشرق والمغرب وما مسهما من ذي عاهة ولا سقيم إلا شفى)اهـ. و في رواية: (الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلكَ لأَضَاءَتَا ما بينَ المشرِقِ والمغرِب). فالمرفوع أخرجه : الترمذي : في كتاب الحج : ٤٩ باب ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام (ح٨٧٨) وقال : (هذا يروى عن عبد الله بن عمرو

قوله : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ ﴾ أي يقولان ربنا تقبّل منا، أوْ لّما فرغا من البيت قالا ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ فقال له جبريل قد فعل الله ذلك بكما ثمّ قالا :

موقوفا قوله وفيه عن أنس أيضا وهو حديث غريب)اهـ. و ابن خزيمة: ٤/ ٢١٩ وابن حبان في صحيحه : (٣٧٠٢) و في الثقات: ٦/ ٣٠٦ و أحمد : ٢/ ٢١٣ و٢١٤ والحاكم في مستدركه: ١/ ٦٢٦ و ٦٢٧ و البيهقي في الكبرى:٥/ ٧٥ و في شعب الإيمان: ٣/ ٤٤٩ وابن عساكر: ٥٧ / ٣٨١ – ٣٨٣ وقال أبو بكرِ بن خُزَيمة : (هذا الخبرُ لم يُسنِدْهُ أحد أعلمهُ من حديث الزُّهري غيرَ أيُّوب بن سويد إن كان حفِظَ عنه وقد رواه عن مسافعُ بن شيبة مرفوعاً غير الزهري رواه رجاء أبو يحيى ثم أسنده من طريقه وقال : (لستُ أعرف أبا رجاءٍ هذا بعدالة ولا جرح ولست أحتجُّ بخبرِ مثله)اهـ. الموضع السابق. وقال الحافظ ابن حجر: (في إسناده رجاء أبو يحيى ضعيف): فتح الباري: ٣/ ٤٦٢ .ورجاء بن صبيح أبو يحيى روى له الترمذي وضعفه ابن معين و أبو حاتم و ذكره ابن حبان في الثقات و أورد حديثه هذا. تهذيب الكمال: ٩ / ١٦٥ و ميزان الاعتدال: ٣/ ٧١ وتهذيب التهذيب: ٣/ ٢٣١ .

قلتُ ولم ينفرد به عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب فقد رواه أحمد بن شبيب عن أبيه شبيب بن سعيد الحَبَطيّ عن يونس به بنحوه كما عند البيهقي و ابن عساكر في الموضع السابق و قد بيّن ابن عساكر الاختلاف في اسم رجاء بن صَبِيح أبي يحيى هذا. وقال الحاكم: (هذا حديث تفرّدَ به أيوب بن سويد عن يونس وأيوب ممن لم يحتجا به إلا أنه من أجلة مشايخ الشام)اهـ.

و قال العيني : (على شرط مسلم) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٩/ ٢٤٢ و حسن إسناده الشيخ اللألباني في تعليقه على ابن خزيمة، و هو كذلك لولا أنه قد روي موقوفاً كما أشار إليه الترمذي ، فأخرجه الفاكهي موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص ١/ ٨٩ ورجال الموقوف عند الفاكهي على شرط الشيخين فإنه من طريق سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن عبد الله بن عمرو. و أخرجه عبد الرزاق عن شيخه ابن جريج عن ابن شهاب عن مسافع الحجبي أنه سمع رجلا يحدّث عن عبد الله بن عمرو فذكره موقوفا، و الذي عند عبد الرزاق فيه رجل لم يسمّ . و الخلاصة أنّ الموقوف أرجح ولذا رجحه أبو حاتم (وقال: رواه الزهري و شعبة كلاهما عن مسافع بن شيبة عن عبد الله بن عمرو موقوف و هو أشبه)اهـ: العلل لابن أبي حاتم: ١/ ٣٠٠

﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾ [آية:١٢٨] قيل مطيعَين مستسلِمَين منقادَين لحكمِك، وقيل موحِّدَين، وقيل مخلَصَين لك قال الله تعالى: قد فعلنا بك ذلك قال: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ﴾ أي اجعل من ذرّيتنا أمّة موحّدة مطيعةً مخلصةً منقادةً لك، لأنه علم أنّ في ذريته من يشرك بالله قال جبريل: قد فعل الله ذلك فقال : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ يقول عرِّفنا أو أشهِدنا علاماتِ دينِنا في حجِّنا.

و المناسك المذابح (١)واحدها منسَكٌ و النَّسِيكة الذبيحة فسمّي العابد ناسكا و العبادة نُسُكاً و إنما سَمّي الذبيحة نَسيكةً لأنهم كانوا يذبحونها للعبادة، فأتاه جبريل عليه السلام فأراه المناسك التي سألَ، و خرج نحوَ مِنى فصلى بها الظُّهر و العصر، و أراه جميع مناسك الحجّ ورمي الجمار إلى آخره، فكان الشيطان يتعرّض له عند الجمرات فيأمره جبريل بأنْ يرميه بالأحجار فينخنِسَ و يهرب، فلمّا فرغ منه قال له و أذّن في الناس بالحجّ فقال يا أيها الناس : أجيبوا ربكم ثلاث مراتٍ فأجابوا من أصلابِ الرّجال لبّيك اللهمّ لبّيك ،و إنما يحج اليوم من أجاب إبراهيم يومئذٍ (٢).

و قُرِأ : (وأرْنا مناسكنا) بإسكان الراء عن أبي عمرو و ابن كثير و قرأ الباقون : (وأرِنا) بكسر الراء، و روي عن أبي عمرو و ابن كثير الاختلاس أيضاً و هو بكسر الرّاء أجود (٣).

---

(١) لهم قولان في المناسك -أشار إليهما المصنف – و فصَّلها غيره كالطبري و الثعلبي و الماوردي و من بعدهم: الأول: أنها مناسك الحج و معالمه، وبه قال قتادة و السدي. و الثاني: أن المراد الذبائح التي تنسَك في الحج. و هو قول مجاهد و عطاء. جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٦٦- ٥٦٩ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٧٥ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٩١ و القرطبي: ٢/ ١٢٨ و فيه أيضا: وقيل جميع المتعبَّدات.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٦٧ – ٥٦٨ و تفسير القرطبي: ٢/ ١٢٩

(٣)جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٦٦ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٨٩ و معاني القراءات للأزهري: ٦٤ و المبسوط في العشر: صـ ١٣٦ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٧٥ و الوسيط: ١/ ٢١١ و النشر: ٢/

قولـه: ﴿ وَتُبۡ عَلَيۡنَآ﴾ أي اعـصمنا كقولـه : ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ [إبراهيم:٣٥]. ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الراجع بأوليائه و أهل طاعتـه إلى أفـضل دينه، وقيل تبْ علينا أي على ظالمي ذريتنا و قيل سألا التوبة للاقتداء بهما (١).

قوله : ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ﴾[الآيـة: ١٢٩] فـيهم يعنـي في العـرب رسـولا منهم، قيل له استجيب لك- و هو في آخر الزمان- ففعل الله تعالى ذلك، و بعث فيهم رسولا مـن أنفسهم يعرفون وجهه و شِيَتَهُ.

و روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إنّي لعبدُ الله في أمّ الكتاب و خاتم النبيـين و آدم مجندلٌ في طينته و سأنبّأكم بتأويل ذلك دعوةُ أبي إبراهيم ﷺ ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ﴾ الآية و بشارة عيسى بن مريم ﴿ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٍ ﴾ [الصف:٦] ورؤيا أُمّي التـي رأت في منامهـا أنهـا وَضَعَت نوراً أضاءت منهُ قصورُ الشام) (٢).

---

٢٢٢ و إتحاف فضلاء البشر: صـ ٩٠

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٧٢ و تفسير القرطبي: ٢/ ١٣٠ و ينظر: الفتاوى لشيخ الإسلام: ١٧ / ٥١٤

(٢) حديث حسن.أخرجه أحمد: ٢٨ / ٣٧٩ و ٣٨٢ و ٣٩٥ و ابـن سـعد في الطبقـات الكـبرى: ١/ ١٤٩ والبخاري في التاريخ الصغير : ١/ ١٣ و في الكبير: ٦/ ٦٨ وابن جرير: ٢/ ٥٧٢- ٥٧٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٣٦ (١٢٥٤) و ابن حبان:١٤/ ٣١٣ (٦٤٠٤) و الطبراني في الكبير: ١٨/ ٢٥٣ و في مسند الشاميين: ٢/ ٣٤٠ والبيهقي في شعب الإيمان: ٢/ ١٣٤ كلهم من طريق معاوية بن صالح الحضرمي عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال السُّلمي عن العِرْباض بن سارية رضي الله عنه به، و له طريق أخرى عنـد أحمـد: ٢٨ / ٣٩٥ و الطـبري : ٢/ ٥٧٣ والحـاكم: ٢/ ٦٠٠ و البيهقي في الشعب : الموضع السابق و الدلائل: ١/ ٨٣ كلهم من طريـق أبي بكـر بـن أبي مريم عن سعيد بن سويد عن العِرباض بن سارية لكن أخطأ في سنده كـما بينـه البيهقـي في دلائـل النبوة. و في التلخيص للذهبي على المستدرك بعد قول الحاكم صحيح الإسـناد: (أبـو بكـر بـن أبي

﴿ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِكَ ﴾ يقولُ يقرأُ عليهم و يعرِضُ عليهم آياتِكَ يعني آيات القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ﴾ يعني ما نزلَ عليهِم من القرآن، و يقال السنة.

﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ يعني الفقه ومواعظ القرآن و الحلال والحرام (١) ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾ يُطهّرهم بأخذ الزكاة من أموالهم. و قال ابن جريج (٢): (يُطهّرهم من الشّرك).

و قيل يدعوهم إلى فعل ما يُزكَّون به من الإيمان و الصلاح، وقال ابن كيسان (٣): يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ.

﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ العزيز الذي لا مثل له و العزيز الغالب من قوله : ﴿ وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ [سورة ص:٢٣] وقيل المنيع بالنِّعمة ممن يشاء، و قيل الذي لا يعجزه شيءٌ ،و قيل المعِزُّ كالسّميع بمعنى المسمِع (١)و أُنشدَ (٢):

مريم ضعيف)اهـ.

و عزاه الزيلعي -في تخريج أحاديث الكشاف: ١/ ٨١- إلى ابن راهويه في مسنده وأبي يعلى الموصلي في مسنده والبزار في مسنده و نقل عن البزّار قوله في أحد رجاله : (سعيد بن سُويد ليس به بأس)اهـ. و قال الهيثمي في مجمع الزوائد :٨/ ٢٢٣: (وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان)اهـ. وذكره الحافظ في فتح الباري و سكت عنه: ٦/ ٥٥٩ قلت و سنده حسن فإن سعيد بن سويد الكلبي قد ذكره ابن حبان في ثقاته : ٦/ ٣٦١ و لم يجرحه أحدٌ، و ذكره البخاري في تاريخه الكبير و لم يذكر فيه جرحا و لا تعديلا: ٣/ ٤٧٦ وكذلك ابن أبي حاتم: ٤/ ٢٩ و باقي رجاله ثقات وقد ذكر له الزيلعي في – الموضع السابق- شواهد يتقوى بها أيضا.

(١) و قيل الحكمة السنة و هو قول قتادة رواه الطبري عنه وقيل غير ذلك و ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٧٦ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٩٢ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٧٧ و البغوي: ١/ ١٥٢

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٧٨ و الدر: ١/ ١٣٩ وعزاه للطبري.

(٣) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٧٧ والبغوي: ١/ ١٥٢

أَمِنْ ريحانة الداعي السميعُ   يؤرّقني و أصحابي هجوعُ

ريحانة اسم امرأةٍ أو جارية (٣) و الداعي السَّميع خيالها.

و يقول العرب : استُعِزَّ فلانٌ إذا مات كأنه غُلب [و ١٠١]وفي الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلّم دخلَ المدينة ونزل على كُلثوم ابن [هَرِمٍ](٤)

وهو شاكٍ فاستُعِزَّ كلثوم (٥)، أي مات فانتقل إلى دار أبي أيُّوب الأنصاري،و قوله:

---

(١) ينظر: في معاني العزيز: تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٧٧ والوسيط: ١/ ٢١٣ و تفسير القرطبي: ١/ ١٣١ و البحر: ١/ ٣٩٣

(٢) لعمرو بن معد يكرب في ديوانه : صـ٢٨٠ و هو دائر في كتب العربية والتفاسير، ينظر على سبيل المثال :جامع البيان للطبري: ١/ ٢٩١ – ٢٩٢ و لسان العرب: سمع و أمالي ابن الشجري: ١/ ٩٨ و الكشاف للزمخشري: ١/ ٢٠٤ و المحرر: ١/ ٩٢ و ١٢٢ و ٢٠١ و الخزانة: ٨ / ١٧٨

(٣)قيل هي أخت عمرو بن معديكرب . ينظر: الأغاني: ١٠ / ٤

(٤) كذا في الأصل: (هرم) بالراء . و في المصادر الآتية بالدال :هِدْم : و ضبطوه : بكسر الهاء وبدال ساكنة. كما في الإكمال لابن ماكولا: ٧ / ٣١٢ و كذلك ضبطه بالحروف في فتح الباري: ٢/ ٢٥٨ وهو من أصحاب النبي صلَّى الله عليه وسلَّم من شيوخ الأنصار من الأوس، نزل عليه النبيﷺ أوّلَ ما قدِمَ المدينة بقُباء ،وكان كلثوم بن الهدْم قدْ شاخ ثمّ لم يلبث أن توفي): ترجمته في:(الاستيعاب لابن عبد البر: ١/ ٤٢ و ٥٨٩ و تاريخ دمشق: ٤ / ٢٩٨ و أسد الغابة: ١/ ٤٩١ وسير أعلام النبلاء: ١/ ٢٤٢ و الإصابة: ٥/ ٦١٧) . تنبيه: قيل نزل النبي صلَّى الله عليه وسلَّم على سعد بن خيثمة و الراجح أنه نزل على كلثوم بن الهِدْم (الطبقات الكبرى:١/ ٢٣٣ والاستيعاب: ١/ ٥٨٩).

(٥) ذكر الخبر في النهاية و لسان العرب و فسروه باشتداد المرض: النهاية: (عزز) ٣/ ٢٢٨ و لسان العرب: (عزز) . و قد فسروا خبرا مثله في المعنى بمثل ذلك أيضا ففي الغريبين لأبي عبيد الهروي: ٤/ ١٢٦٩ (عزز) و غريب الحديث لابن الجوزي: ٢/ ٩٢ و النهاية الموضع السابق: (فاستُعِزّ برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم) أي اشتد به المرض و أشرف على الموت و ينظر: الطبقات

﴿ فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾ [يس:١٤] أي فقوّينا وقيل شدَّدنا و قوله:﴿ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾ [ص:٢] أي حَمِيَّةٍ وخِلافٍ، و قوله: ﴿ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ﴾ [البقرة:٢٠٦] يعني الحَمِيَّة.

و﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ الحاكم ويكون بمعنى المُحكَم وقيل لمّا فرغ إبراهيم صلى الله عليه و سلّم من النُّسُك والحجّ نام فرأى في منامه (أنّه) (١)يذبحُ اِبنه القصّة، قال أبو صالح(٢): وأَراني ابنُ عبّاس موضعاً بين الجبل وبين المسجد فقال هَاهنا والله صرعهُ ليذبحهُ.

قوله: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ الآية [١٣٠] لفظُهُ اِستفهام ومعناه تقريرٌ وتوبيخٌ، والمعنى : ما يَزْهَدُ في مِلّة إبراهيم إلاّ من سَفِهَ نفسَه، والمِلّة الشريعة والدين.

قال الزجاج : الملة في اللغة السُنّةُ والطريقة وأصلها من المَلّةِ التي يُخْتَبَزُ فيها وهو الرمادُ الحارُّ فكما أنّ المَلَّة تؤثر في مكانها فكذلك المِلَّةُ تؤثِّر في صاحبها (٣).

قوله: ﴿ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ قيل في التفسير إلا من أَوبقَ وأَهلكَ نفسَه، وقال الأخفش:(٤) إلا من سَفَّهَ نفسه وقيل ضَلَّ من قِبَلِ نفسه، وقيل خَسِرَ نفسه، وأصل السَّفَهِ الجهلُ وُسَفيهُ القوم جاهِلُهم. وسَفِهَ نفسه جهل نفسه يعني بترك النّظر فيها والاستدلال بحدوثِها على منشئِها كما قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الذريات:٢١).

الكبرى لابن سعد: ٢/ ٢٤٩

(١) ليست في الأصل و السياق يقتضيها.

(٢) لم أعثر عليه.

(٣) تقدّم ذكر المصنف لهذا:صـ٨٤٥.

(٤) قال الأخفش: (زعم أهل التأويل أنه في معنى ﴿سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ ..) الخ معاني القرآن له: صـ ١١١ وقال الطبري: ٢/ ٥٧٩ : (إلا من سفهت نفسه)اهـ. و ينظر المصادر الآتية في إعرابها ففيها أيضا كلام ذكر الاختلاف في المعنى.

وفي الخبر: من عَرَفَ نفسَه عرف ربَّه (١) . وانتصب قولـه (٢):﴿نَفۡسَهُۥ﴾ لوقـوع الفعـل عليهـا (٣)، وقيل بانتزاع حَرْفِ الجرِّ عنها أي سَفِه في نفسِهِ، وقال الفراء (٤): انتصب ﴿نَفۡسَهُۥ﴾ على

التّمييـز وخالفَـه الزّجّـاج (٥) لأنّ التمييـز لا يكـون إلا نكـرةً. ﴿ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ أي اِخترناه قيلَ بالنُّبُوَّة وقيل بالخِلّةِ وقيل وما مـن أحـدٍ إلاّ وينتحـل دينـه ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قيل منَ الفائزين، وقيل الصّالح المُوفي بعهد الله، وقيل مع الأنبيـاء والمرسلين؛ وإنّما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وإنْ كان صالحاً في الدنيا إخبـاراً بأنّه كان في الدنيا من المصطَفَين، وفي الآخرة من الصالحين، وقيل أخبر أنه ممَّن دام لـه الـصَّلاح في الدّارين.

---

(١) خبر موضوع ينظر: تذكرة الموضوعات: صـ ١١ .

(٢) ينظر: في إعراب (نفسه) ومعنى الآية : معاني القرآن للأخفش: صـ ١١١ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٧٩ ومعـاني القـرآن للزّجـاج: ١ / ١٨٣ – ١٨٤ و إعـراب القـرآن لابـن النحـاس: ١/ ٢٦٣ وتفسير الثّعلبي: ١/ ٢٧٩ و الوسـيط: ١/ ٢١٣- ٢١٤ و المحـرر: ١/ ٢١٢ و زاد المسير: ١/ ١٤٧ – ١٤٨ والبيان لأبي البركات ابـن الأنبـاري: ١/ ١٢٣ و التفـسير الكبـير للـرازي: ٤/ ٦٤ والبحر: ١/ ٩٤

(٣)قيل إنّ سَفِهَ هنا ضُمّن معنى جهل فيتعدّى بنفسه و قيل إن سفه يتعدّى بنفسه مثل سَـفَّهَ المـضعف : معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٨٤ و المحـرر: ١/ ٢١٢ والبيـان لأبي البركـات ابـن الأنبـاري: ١/ ١٢٣ و البحر: ١/ ٣٩٤ مع المصادر الماضية.

(٤) معاني القرآن للفراء: ١/ ٦٦ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٧٩ و قد اختاره الطبري : ٢/ ٥٧٩ ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى: ١٤/ ٤٤٢ و ينظر أيضا: البحر: ١/ ٣٩٤

(٥) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٨٤

قوله: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡ ﴾ قيل معناه ولقد اصطفيناه في الدُّنيا إذ قال ربُّه أسلم ومعناه: اِستدِم الإسلام واثبُتْ عليه كقولِهِ لنبيِّنا: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، و قولِهِ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ [النساء:١٣٦] (١) وقيل: أَسلِم أخلِصْ وَوَحِّدْ، وقيل :أَسلِم أمرَك ونفسَك إلى الله ، وكان نبيّنا صلى الله عليه و سلّم يقول كلَّ ليلةٍ: أسلمتُ نفسي إليك (٢).

﴿قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾ فلم يعدِلْ به شيئاً، وقيل ذلك قولُهُ ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام:٧٨] لمّا أفلتْ الشمس والقمر والكواكب، وعن الحسن (٣): وذلك قبل (٤) النّبوة، وهذا يكونُ على أنّه مأمورٌ قبل نبوته بشريعةِ من قبلهُ.

قوله: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ ﴾ الآية [١٣٢] قُرِئ (وَوَصَّى) (وأوصى) قرأ نافع وابن عامر (وأَوْصَى) وقرأ الباقون (ووَصّى) (٥)وهو الاختيار لما فيه من المبالغة.

---

(١) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٧٩ و البغوي: ١/ ١١٧ وتفسير القرطبي: ٢/ ١٣٣ و التفسير الكبير للرازي: ٤/ ٦٥ و البحر: ١/ ٣٩٥

(٢) علّم النبي ﷺ البراء هذا الدُّعاء عند النوم كما في الخبر المتفق عليه، و فعله هو صلى الله عليه وسلم فأمّا فعله هو ﷺ فأخرجه البُخَارِي في صحيحه ٨/ ٨٥(٦٣١٥) ، وفي (الأدب المفرد) (ح١٢١٣) و عمل اليوم و لليلة للنسائي: (٧٨٧).

(٣) لم أعثر عليه و ينظر: البحر: ١/ ٣٩٥ .

(٤) في النسخة (ل) : قبول. وهو تحريف.

(٥)السبعة لابن مجاهد: صـ ١٧١ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٨٣ – ٥٨٤ و تفسير أبي الليث السمرقندي: ١/ ١٢١ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٨٠ و الوسيط: ١/ ٢١٦ و البحر: ١/ ٣٩٨ والنشر: ٢ / ٢٢٢ – ٢٢٣

وقوله ﴿ بِهَا﴾ الهاء تعودُ إلى المِلّة أي وصّى بالملة، ويحتمل أنْ يرجع إلى الوَصِيّة أيْ ووصّى بالوصية [(١)] لأنّ قوله:﴿ أَسْلِم ﴾ وصيةٌ من الله لإبراهيم وهو كقوله: ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ ﴾ [البقرة:١٨٠] ثم قال: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ ﴾ [البقرة:١٨١] يعني قولُ الميت فذكَّرَهُ على معنى الوصية لا على لفظها كذلك هاهنا أَنَّثَه على معنى قوله: :﴿ أَسْلِم ﴾ لكونه وصيّة لا على لفظه. والقراءة على رفعِ ﴿يَعْقُوبُ﴾ أي ووَصَّى يعقوب كما وصَّى إبراهيم وقُرِئ في الشواذِّ -وهو جائز في العربية- (ويعقوبَ) نَسْقاً على بنيه [(٢)]. ويعقوب اسم أعجميّ، وقيل سُمِّي لأنه خرج من بطْنِ أمّهِ آخِذاً بِعَقِبِ عِيْصٍ [(٣)]، وقيل لكثرة عَقِبِه [(٤)].

وقوله ﴿ يَـٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ قيل فيه حذف ومعناه وتقديره: ووصى بها إبراهيم ويعقوبُ أن يابنيَّ [(٥)] وكذلك هو في قراءة أُبَيّ [(١)] وابن مسعودٍ [(٢)].

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٨٢ و تفسير الثّعلبي: ١ / ٢٨٠ و الوسيط: ١/ ٢١٦

(٢) القراءة بنصب (يعقوبَ) شاذة نسبها ابن خالويه: (مختصر في الشواذ: صـ ٩) : إلى عمرو بن فائد و طلحة، و كذلك نسبها ابن عطية(المحرر: ١/ ٢١٣) إلى: عمرو بن فائد الأسواري و لم يذكر طلحة وزاد القرطبي: ٢/ ١٣٥ و أبو حيان في البحر: ١/ ٣٩٩ نسبتها إلى (اسماعيل بن عبد الله المكي).

(٣) قيل إنه كان هو و أخوه العِيص توأمين فتقدّم العيص في الخروج و خرج يعقوبُ على إِثره الخ .. (تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٨٠ و تفسير القرطبي: ٢/ ١٣٦) . قلت: و هذا القول لا يستقيم مع القول بأنّ (يعقوب) ممنوع من الصرف للعلمية و العُجمة كما هو الحال و لذا ردّه القرطبي :٢/ ١٣٦ قائلا: (وفي ذلك نظر لأن هذا اشتقاق عربي و يعقوب اسمٌ أعجميّ)اهـ. وقال أبو حيان: (قول فاسد لأنه لو كان كذلك لكان له اشتقاق عربي فكان يكون مصروفاً)اهـ. البحر: ١/ ٣٩٧

(٤) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٨٠ و تفسير القرطبي: ٢/ ١٣٦

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٨٣ و المحرر: ١/ ٢١٣

و قولـه: ﴿ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾ أي اختـار لكـم التوحيـد ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ أي لا يدركُكُم الموت إلّا وأنتم على هذه الحالة، فكأنّه أمرهم بإستِدامةِ الإسلام لأنّ الموت ليس إليهم حتى ينهاهم عنه(٣).

قولـه: ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ [الآية: ١٣٣] قيـلَ إنّ الله تعـالى لم يقبض واحداً من الأنبياء حتى يُخَيِّرَهُ بين الحياة والموت فلمّا خُيّر يعقوبُ قال أنظِرْني حتـى أسـأل وَلَدِي وأوصيهم ففعل الله ذلك به فجمعهم وقال لهـم ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَـٰهَكَ﴾ الآية ثم قبضه الله تعالى(٤).

وقيل الآية نزلت في اليهود (٥)لما قالوا للنبي صلى الله عليه و سلّم: ألستَ تعلم أنَّ يعقوب يـومَ مات أوصى بنيه باليهودية فأنزل الله ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ ﴾ يخاطـبُ رؤسـاءَ اليهـود ، وقيـل أنـه خطاب لهذه الأمة .و قوله: ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ ﴾ جاء بجواب الاستفهام ولم يَتَقَدَّمْـهُ اسـتفهامٌ فإن شئت أقمتَه مَقام الابتداء كما يُكتفى بجـواب القَـسَم مـن القَـسَم وإنْ شِـئتَ أضـمرتَ فيـه الابتداء بالاستفهام.

(١) معاني القرآن للفراء: ١/ ٦٧ قال الفراء: قراءة عبد الله أو قراءة أبيّ و نسبها إلى عبـد الله و أبي : الثعلبـي: ١/ ٢٨١ و القرطبي: ٢/ ١٣٦ و أبو حيان: ١/ ٣٩٩

(٢) ينظر الحاشية السابقة.

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٨٥ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٨٥

(٤) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٨١ والوسيط: ١/ ٢١٧ و البغوي: ١/ ١١٤ و القرطبي: ٢/ ١٣٧ والبحر: ١/ ٤٠٢

(٥)تفسير مقاتل: ١/ ٧٩ وجامع البيـان للطـبري: ٢ / ٥٨٦ وتفـسير الـسمرقندي: ١/ ١٢٢ وتفـسير الثّعلبي: ١/ ٢٨١ وأسباب النزول للواحدي: صـ ٤١ و الوسيط: ١/ ٢١٧ و البغوي: ١/ ١١٤ و القرطبي: ٢/ ١٣٧ و البحر: ١/ ٤٠٠

وقال الزّجّاج(١): المعنى بل أكنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموتُ إذ قال لبنيه، وموضع إذ الثانية نَصْبٌ كموضع إذ الأولى وهو بدل جاء للتأكيد. (٢)

قوله: ﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ ﴾ القراءة على الجمعِ(٣) ثم قال ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ﴾ فجعل اسماعيل أباً له وهو عمُّه لأن العرب تُسمّي العَمَّ أباً كما تُسمّي الخالة أُمّاً قال الله تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يوسف:١٠٠] يعني يعقوبَ وخالةِ يوسف عليهما السلام.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للعبَّاس((هذا بَقيّة آبائي)) (٤).

---

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٨٥

(٢) إلى هنا انتهى كلام الزجاج. و ينظر: الطبري: ٢/ ٥٨٦

(٣) القراءة مكررة في المخطوط و مراد المصنف الجمع في ﴿ ءَابَآئِكَ﴾.

(٤)يُروى هذا الخبر مرسلاً و مسنداً : فالمرسل عن مجاهد : أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : (لا تؤذوني في عباس فإنه بقية آبائي وإنّ العم صِنو الأب) رواه عبد الرزاق في تفسيره: ٢/ ٣٣١ في تفسير سورة الرعد و ابن أبي شيبة في المصنف: ٦/ ٣٨٢ وعبد الله بن أحمد في فضائل الصحابة لأبيه : ٢/ ٩٣٠ و ٩٤٣ و الطبري: ١٣/ ١٠٠ و ١٠١ جميعهم من طريق سفيان بن عيينة عن داود بن شابور عن مجاهد. وعزاه السيوطي إلى : عبد الرزاق و ابن جرير: (كنز العمال: ١١/ ١١٠٠) وداود بن شابور أبو سليمان المكي ثقة روى له البخاري في كتاب الأدب و الترمذي و النّسائي و لم يضعّفه أحدٌ فيما وقفت عليه: (تهذيب الكمال: ٨ / ٣٩٩ – ٤٠٠)و بقية مصادر ترجمته في هامشه للمحقق). و أما المسند فله عدة طرق فيها ضعف و بعضُها شديد الضّعف لكن يشهد لمعناه حديث (عمّ الرجل صِنوُ أبيه) وهو متفق عليه. ينظر: المعجم الأوسط للطبراني: ٤/ ٢٨٢ و الصغير: ١/ ٣٤٤ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ١٠/ ٦٨ و تاريخ ابن عساكر: ٢٦ / ٣٠١ و ٣١٥ و٣١٨ و٣٥٢ و العلل المتناهية: ١/ ٢٩١ و تفسير ابن كثير: ٢/ ٥٠١ و تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر: ١/ ٨٩ -٩١و مجمع الزوائد: ٩/ ٢٦٩ وفيض القدير: ١/ ١٩٧ و ١/ ٥٠٣ و الفتح السماوي للمناوي: ١/ ١٨٥

وقال ((رُدُّوا عليَّ أبي)) (١).

فعلى هذا ﴿إِسْمَـٰعِيلَ﴾ مجرورٌ على : وإله إسماعيل وإله إسحاق، قال ابن زيـد (٢): وإنـما قـدَّم إسماعيل على إسحاق لأنه أكبر منه في السِنِّ .

وَقُرِأ: (قالوا نعبد إلهك وإله أبيك (٣))(٤) وله تأويلان: (٥)

أحدهما: أنْ يكون القارئ كَرِهَ أنْ يكون أباً فيُجعَل إبراهيم بَدَلاً عن أبيك، ويَخفِضُ إسـماعيل وإسحاق على معنى إلهك وإله آبائـك وإلـه إسـماعيل، كـما تقـول رأيـتُ غـلام زيـدٍ وعمـرٍو أي غلامهما.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف في كتاب المغازي في بـاب فـتح مكـة: ٧/ ٤٠٢ و الطحـاوي في شرح معـاني الآثار: ٣/ ٣١٢- ٣١٤ كلاهما من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة في خبر طويـل في المغـازي وعزاه الحافظ ابن حجر إلى مصنف ابن أبي شيبة: ١ / ٨٩ فهو حديث مرسل. و له طريـق أخـرى عنـد ابن عساكر في تاريخه رواها من طريق الهيثم بن كليب نا محمد بن يـونس البـصري حـدثني عبـد الله بـن سوار العنبري نا أبو الأشهب جعفر بن حيان عن أبي رجاء العطاردي عن عبد الله بن العباس حدثني أبي العباس بن عبد المطلب. و محمد بن يونس هو الكُديمي البصري الحافظ متروك و اتهم بالكذب : (ميزان الاعتدال:٤/ ٧٤) فالاعتماد على الخبر المرسل.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٨٧ و الدر: ١/ ٥٨٧ و عزاه للطبري.

(٣) في النسخة (ل) : (آبائك) و هو تحريف من الناسخ.

(٤) قراءة (و إله أبيك) تُعزى إلى الحسن و يحيى بن يعمر و عاصم الجحدري وأبي رجـاء بخـلاف عنـه : المحتسب: ١/ ١١٢ وتفسير الثّعلبي: ١/ ٢٨١ و المحرر الوجيز: ١/ ٢١٤ و تفسير القرطبي: ٢/ ١٣٨ والبحر: ١/ ٤٠٢ وذكرها الطبري: ٢/ ٥٨٧ ونسبها لبعضهم و كذا صنع قبله الفراء : ١/ ٦٨ .

(٥) معـاني القـرآن للزّجـاج: ١ / ١٨٥ – ١٨٦ و إعـراب القـرآن لابـن النحـاس: ١/ ٢٦٥ وتفـسير السمرقندي: ١/ ١٢٢ و المحتـسب: ١/ ١١٢ وتفـسير الثّعلبـي: ١/ ٢٨١ و المحـرر الـوجيز: ١/ ٢١٤ وأمالي ابن الشجري: ٢/ ٢٣٦ وتفسير القرطبي: ٢/ ١٣٨ و الفريد في إعراب القرآن : ١/ ٣٧٩ والبحر: ١/ ٤٠٢ و الدر المصون: ١/ ٣٨٠

والثاني: أنْ يكون (أبيـك)جمعـاً بمعنـى آبائـك لأنّ العـربَ تجمـعُ الأب والأخ عـلى التَّمامِ والنقصانِ فتقولُ على التّمام أبٌ وأخٌ والأصل أبَوٌ وأخَوٌ لأنّك تقول في التثنية أبَوَانِ وأخَـوَانِ، وفي الجمع إخوة وآباءٌ، وتقولُ في النُّقصانِ أبٌ وأبَانِ وأبُونَ وأخٌ وأخَانِ وأخونَ فقوله: (وإله أبيـك) يريد أبيَنك فأُسقِطَتِ النون للإضافةِ قال الشاعر (١):

فإنك مجهول الأبِينَ هَجِينُ(٢).

وقال آخر (٣):

أبُوكَ مُسَوَّدونَ ملوكُ شرقٍ *** وما كبناءِ ملككم بناءُ

فقال أبوك ثم قال مُسَوَّدونَ والأصل أبُونك فسقطت النون للإضافة (٤).

و قوله: ﴿ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ﴾ منصوبٌ على ضربينِ إنْ شئتَ على الحال كأنّهم قالوا : نعبدُ إلهاً في حال وَحدانيته وإنْ شئتَ على البدليّة، ويكونُ الفائدة فيه ذكرُ التوحيـد فيكـون المعنـى نعبـد إلهـاً واحداً ونحن مسلمون (٥). وقد مضى تفسير الإسلام .

---

(١) لم أعثر عليه.

(٢) الهجين العربي ابن الأَمَة و يقال أيضا الهَجِينُ الذي أبوه خيرٌ من أمِّه (لسان العرب: هجن).

(٣) لم أعثر عليه.

(٤) تلخيص توجيهها :أنه قيل إنه اسم مفرد و المراد به إبراهيم وحده أو يكـون واقعـا موقـع الجمـع ، وقيل: هو جمع سلامة لكنه على لغة من يقول : أب وأبون وأبين . وينظر: المصادر الماضية عند التهمـيش على قول المصنف قريبا: له تأويلان: ففيها المعنى الذي ذكره المصنف و توجيه ذلك من جهة النحو و يزاد عليها: الخصائص لابن جني: ١/ ٣٤٦ و شرح المفصل لابن يعيش: ٣/ ٣٧.

(٥) إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٦٦ و الوسيط: ١/ ٢١٧ و المشكل لمكي: ١/ ١١٢ والمحـرر: ١/ ٢١٤ و البيان : ١/ ١٢٤ والبحر: ١/ ٤٠٣ و الدر المصون: ١/ ٣٨١

وموضع قوله: ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ قيل نصبٌ على الحال، وقيل لا موضعَ لهُ لأنّهُ على الاستئنافِ(١).

وقال أبو عبيدة :(٢) ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ جاءت ﴿أَمْ﴾ بعد كلامٍ منقطِعٍ فكأنها في موضع هل والألف استفهامٌ قال الأخطل (٣):

كَذَبتْكَ عينُك أم رأيتَ بواسِطٍ   غَلَسَ الظَّلامِ من الرَّبابِ خَيالا

يعني هل رأيت.

قولـه: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ الآيـة [١٣٤] يريـد بـه إبـراهيمَ وبنيـهِ ويعقوبَ وبنيه،﴿ خَلَتْ﴾ أي مَضَتْ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العملِ ثم قال لليهودِ والنصارى ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ من الدِّين والعمل ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي حسابُهم عليهم وإنما تُسألون عن أعمالكم وقال الأخفش (٤): ﴿ تِلْكَ ﴾ اسمان: التاءُ للأُمّة (٥) والكاف

(١) ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٨٧ و المحرر: ١/ ٢١٤ و البحر: ١/ ٤٠٣ و الدُّر المصون: ١/ ٣٨١

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٥٦ و فيه: (((أم)) تجيء بعد كلامٍ قد انقطعَ ، و ليست في موضعِ هل ، و لا ألف الاستفهام قال الأخطل : .. الخ)اهـ. هكذا في المطبوع منه و بعده في بعض النسخ منه (يقول : كذبتك عينك هل رأيتَ أو بل رأيتَ). و في مغني اللبيب: (وزَعمَ أبو عُبيدة أنها قد تأتي بمعنى الاستفهام المجرّد)اهـ. ١/ ٦٦ وينظر: الخزانة: ٢/ ٤١١، ٤/ ٤٥٢ و لسان العرب: (ك ذ ب) و (غ ل س).

(٣) ديوان الخطل: صـ ٣٨٥ و مجاز القرآن: ١/ ٥٦ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٤١٢ و الخزانة: ٢/ ٤١١، ٤/ ٤٥٢ و لسان العرب: (ك ذ ب) و (غ ل س).

(٤) لم أعثر عليه في مظنته من كتابه معاني القرآن المطبوع، و نقله عنه الواحدي : البسيط: ١/ ٤٢١.

(٥) التاء من(تلك) –كما هو معلوم– اسم إشارة يقال : تي و ذي كما يقال ذا ثم يقال تلك و ذلك

اسمٌ للمخاطب [(١)] واللّام حَاجِزٌ بين الاسمين، وهو كقولك: إذا سألتَ امرأةً عـن رجـل كيـف ذلكِ الرَّجل فالذال اسم الرجل والكاف اسم المرأة، وإنما كُسرت التاء من (تلك) لخطاب التّأنيث ولو كانت (تلك) اِسما لقالوا تُلك بالرفع.

والأمّة في اللغة القَرْنُ، والجماعة ويُسمَّى الرجل الواحد أُمَّةً [(٢)] لأنه يقومُ مُقامَ أمّةٍ أو يقتـدي به أمّةٌ أو يخرج من صُلبه أمّةٌ قال الله تعـالى ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحـل:١٢٠] وفي

الخ . و قوله : (للأمة) يعني أشار به إلى الأمة.

(١) الكاف هنا للخطاب : ينظر مثلا: الفريد في إعراب القرآن المجيد: ١/ ٣٨٠ .

و لا خلاف بين النحويين أنّ كاف الخطاب المصاحبة لأسماء الإشـارة – كمثـل الكـاف في ذلـك و تلـك وذلكم –أنها حرف يبين أحوال المخاطب من إفراد و تثنية و جمع ، و تذكير و تأنيث (ينظـر: عـلى سـبيل المثـال : شرح التـصريح لخالـد الأزهـري: ١ / ١٢٨ وهمـع الهوامـع شرح جمـع الجوامـع للسيوطي: ٢/ ٢٥٠)

(٢) ينظر في استعمالات الأمة في القرآن: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٤٣ و قد ذكر كثيرا مما هنا وتفـسير السمرقندي: ١/ ١٣٣ ناقلا عن الزّجاج لكنـه اختـصر كلامـه و الـسمعاني: ١/ ٢١٣ والمحـرر: ٣/ ٤٣٠ المفردات للراغب: صـ ٢٣ و إصلاح الوجوه و النّظائر للدّامغاني: صــ ٤٢– ٤٤ و ذكـر تسعةَ أوجهٍ لكنّ بعضها متداخل عند التأمّل و تفـسير القرطبـي: ٢/ ١٢٧ وأضـواء البيـان: ٢/ ١٧٣ و ذكر فيه أربعة أوجه و ينظر: لسان العرب: (أمم) .

حديث زيد بن عمرو {بن} (١) نفيل (٢) : أنّه يُبعث يوم القيامة أُمَّة (٣).

ويكون الأمّة بمعنى الحِينِ كقوله ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ [هود:٨] ويكون الأُمّةُ بمعنى القَامَةِ قال الأعشى (٤):

وإنّ معاوية الأكرمين حِسَانُ الوجوهِ طِوالُ الأُمَمْ

والأمّة الاستقامةُ قال النابغةُ (٥) :وهل يأثَمَنْ ذو أُمّةٍ وهو طائع أي ذو اِستقامة (٦).

قوله: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ الآية [١٣٥] قال (٧) ابن عباس (١): نزلت الآية في يهود المدينة ونصارى نجران خاصموا المسلمين في الدّينِ كلُّ فرقةٍ تزعُمُ أنها أحقُّ بدينها وأنَّ كتابها

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) زيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد رضي الله عنه من العشرة ابن عم عمر بن الخطاب كان زيد يخالف قريشا قومه في دينها و يتحنف اتباعا لملة إبراهيم وردت أحاديث في فضله مات قبل الإسلام قيل مات و قريش تبني الكعبة قبل البعثة. ينظر: المستدرك للحاكم: ٣/ ٤٩٦ وتاريخ ابن عساكر: ١٩ / ٤٩٣ و سير النبلاء: ١/ ١٢٦ و الإصابة: ١/ ٥٨٩

(٣) مسند البزار: ٤/ ١٦٦ و أبي يعلى: ١٣/ ١٧٢ من طريق أسامة بن زيد بن حارثة عن أبيه في خبر طويل قال الهيثمي:(ورجال أبي يعلى والبزار وأحد أسانيد الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث)اهـ. مجمع الزوائد: ٩/٤١٨ و له طرق أخرى منها عند الحاكم في المستدرك: ٣/ ٤٩٧ و عند تمام الرازي في فوائده: ٢/ ١٥٣ و ابن عساكر في تاريخه: ١٩ ٥٠٨

(٤) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٤٣ و أمالي القالي : ١/ ٢٥ و لسان العرب: (أمم)

(٥) ديوان النابغة: ص٣٥ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٤٤ و ينظر: تعليقه على اختلاف الروايات في البيت في (أمّة) و اللسان (أمم). وفي شرح الديوان : أُمّة و إِمة بضم الهمزة وكسرها .

(٦) فسروها هنا: بالدين و الاستقامة. المصادر السابقة.

(٧) في النسخة (ل) : تكررت : قال.

ونبيَّها أحقُّ وأصْدَقُ ودعا كلُّ واحد منهم صاحبه إلى ملَّةِ نفسِهِ فأنزل الله سبحانه قل يـا محمـد بـل ملـة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين على دينهم.

و قوله: ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ نصبٌ على الإغراء أي اتبعوا ملة إبراهيم كقوله فطـرة الله وصـبغةَ الله وقيل إنه نصبٌ على الحذفِ ومعناه بل نتّبع ملـة إبـراهيم (٢). قـال الفـرَّاء (٣): ولـو نَـصَبْتَ الملـة بـــ(نكونُ) لكان صواباً أي بل نكون أهل ملة إبراهيم.

وقوله: ﴿ حَنِيفًا﴾ نصبٌ على الحال ومعناه بل نتّبعُ ملـة إبـراهيم في حـال حنيفيتـهِ. (٤) ومعنـى الحَنَف في اللغة الميلُ ورجُلٌ أحنفُ وامرأةٌ حنفاءُ وهـو الـذي يميـلُ قَـدَما كـلٍّ واحـدٍ مـنهما إلى أُختهـا

---

(١) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٨٢ بأطول مما هنا و أسباب النزول للواحدي: ص٤١ بأطول مما هنا و هو في الوسيط للواحدي: ١/ ٢١٨ و البغوي: ١/ ١١٩ وأسباب النزول للسيوطي: صـ ٢٥ .
و ذكر الطبري رواية أخرى بسنده عن ابن إسحاق : ٢/ ٥٨٩ : حدثني محمد بن أبي محمد حـدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عبّاس قال قال: عبد الله بن صوريا الأعور للنبي ﷺ : (ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتّبعنا يا محمد تَهتدِ، وقالت النـصارى مثـل ذلـك فـأنزل الله ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ الآية. ونقلها عن ابـن إسـحاق ابـن كثـير: ١/ ١٨٧ وابـن حجـر في العجاب: صـ١٩٨ و السيوطي في الدر: ١/ ١٤٠ .

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٨٦ و ينظـر: الطـبري: ٢/ ٥٩٠ و قـد ذكـر ثلاثـة أوجـه في إعرابـه والبحر: ١/ ٤٠٥

(٣) معاني القرآن للفراء: ١/ ٦٨ و كذلك قال الزجاج: ١/ ١٨٦

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٩١ ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٨٧ و إعراب القرآن لابن النحـاس: ١/ ٢٦٦ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٨٢ و البحر: ١/ ٤٠٦ و قيل منصوب بتقدير: أعني ذكره ابـن النحاس .

بأصابعها ، وقيل الأحنفُ الذي يمشي على صدرِ قَدمِهِ (١)، وكان إبراهيم عليه السلام حَنَفَ إلى دين الله وهو الإسلام ولن يُبْعَثَ نبيّ إلاّ به (٢).

وقال ابن عباس (٣): الحَنيفُ المائل عن الأديان كلِّها إلى دين الإسلام.

وقال الضحاك (٤):(١٠٣)إذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاجّ وإذا لم يكن معه المسلم فهو المسلم. وقيل الحنيف المستقيم (٥)، و الحَنَفُ انتصاب القدم، و قال ذو الرمّة (٦)يصف الحِرْباءَ (٧):

إذا بلغَ الظلُّ العشيَّ رأيتَهُ حنيفاً ... وفي قَرْنِ الضّحى يتنصّرُ (٨)

وقيل سمي الأحنف أحنفاً على التفاؤل كما قالوا للمهلكة مفازةٌ.

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٩١ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٨٧ و لسان العرب: (حنف)

(٢)قوله :ولن يُبْعَثَ نبيّ إلاّ به: يعني إلا بدينه.

(٣) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٨٢ و الوسيط: ١/ ٢١٨ و البغوي: ١/ ١١٩ و البحر: ١/ ٤٠٦ و لم أعثر عليه مسندا.

(٤) تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٨٣ و البغوي: ١/ ١١٩. و عند الطبري: ٢/ ٥٩٢ عن الضحاك : الحنيف الحاجّ. و روى مثله عن ابن عباس والحسن و عطية و مجاهد. قال ابن أبي حاتم: ١ / ٢٤١ بعد روايته قول ابن عباس : (حاجّا) : (ورُوى عن الحسن والضحاك وعطية والسدى نحو ذلك)اهـ. و الدر: ٤/ ٣٥٩

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٩١ و ٥٩٤ قال الطبري: (الحنيف عندي هو الاستقامة على دين إبراهيم)اهـ.

(٦)الشعر و الشعراء: ١/ ٥٣١ ولسان العرب: (ولى) و(حول) و تهذيب اللغة: (ولى).

(٧) دويبة تستقبل الشمس، و تدور معها حيث دارت و تتلوّن بحر الشمس، و له لسان طويل يخرجه

فيصطاد به إلى مسافة ثلاثة أشبار(حياة الحيوان للدميري: ١/ ٣٢٩)

(٨) في لسان العرب في موضعٍ منه: (حَوّل) بدل بلغ . و كذلك في: تفسير القرطبي: ٢/ ١٤٠

فإن قيل و هل في الإسلام دليلٌ يُوجِبُ ترجيحه على اليهودية و النصرانية في الصِّحَّة من حيث الصورة قيل: نعم و هو أنَّ اليهودية متناقضة،ٌ لأنهم ادعوا وجوب التمسك بها معَ ما في كتابهم من وجوبِ الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، وفي النصرانية تناقضٌ من حيث قالوا أب وابنٌ وروح القدس وكله قديم وهو واحد ثلاثة، وليس في الإسلام تناقضٌ (١) .

قوله:﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ الآية [١٣٦] ثم علَّم المؤمنين فقالَ قولوا لهم آمنّا بالله و ما أنزل إلينا يعني القرآن، وما أنزل إلى إبراهيم يعني صُحُف إبراهيم وإسماعيل وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباط -وهم أولاد يعقوب -﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ يعني التوراة والإنجيل.

﴿وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ يعني داود وسليمان الزبور ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ كما فعل أهلُ الكتاب ﴿ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ مستسلِمون مخلِصون العِبادة.

---

(١) هذا صحيح فإنه ظاهر التناقض ينظر في تناقض التثليث عقلا و نقده باختلافهم في تفسيره: مثلا: إظهار الحق لرحمة الله: ٣/ ٧٢٥ و محاضرات في النصرانية: للشيخ محمد أبو زهرة: صـ١٠٠ – ١٠٤ . و يدل مثل هذا التنبيه من المصنف و غيره من المقولات و التصانيف التي أفردها علماء المسلمين للرد على اليهود و النصارى على اعتناء علماء المسلمين قديما ببيان الحق للخلق و بإزاحة الشبه و الرد على المبطلين بالحكمة و مجادلة الأمم المخالفة بالتي هي أحسن، و من تصانيفهم في ذلك على سبيل المثال : الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل لأبي حامد الغزالي: (٤٥٠هـ – ٥٠٥) و الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المفسر (ت: ٦٧١هـ) و الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) و هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى لتلميذه ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) و الأجوبة الفاخرة للقرافي المالكي و غيرها إلى العصر الحاضر و من التآليف فيه : كتاب : إظهار الحق تصنيف رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الهندي: (ت: ١٣٠٨هـ) و غيره كما تضمّنت بعض كتب الملل و النحل بيان ذلك مثل كتاب : الفصل في الأهواء و الملل للإمام ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ)

والأسباط بنو يعقوب الاثنا عشر صاروا كلُّهم أنبياء وسُمُّوا أسباطاً لأنّ كلَّ واحد منهم وَلَدَ سِبطاً من بني إسرائيل، والأسباط جمع سِبْطٍ وسِبْطُ الرجل حَفَدتُه، وقال بعضهم (١)أصلُ السِّبط في اللغة شجرة ملتفةٌ كثيرة الأغصان وسمي الأسباط بها لكثرتهم فكما أنّ الأغصان من شجرة واحدة فكذلك الأسباط كانوا من يعقوب صلى الله عليه وسلم (٢).

وقال الحسن (٣): علّموا أولادكم وأهاليكم وخَدَمَكُم أسماءَ الأنبياءِ الذين ذَكَرَهم الله في كتابه فإن الله تعالى يقول: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية. قوله: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ الآية [١٣٧] قيل فإن آمنوا بمثل إيمانكم، وقيل معناه فإنْ آمنوا بمثل ما آمنتم به والمثل صلةٌ كقوله ليس كمثله شيء ويروى عن ابن عبّاس (٤): أنّه كان يقرأ (فإن آمنوا بما آمنتم به) (٥)ويقول : (اقرأوا كذا فليس لله مثل) . وهذا خلاف خطّ المصحف والأول أولى

---

(١)نقله الثعلبي: ١/ ٢٨٣ و في معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٩٠ و السبط في اللغة الشجرة.

(٢)جامع البيان للطبري: ٢ / ٥٩٨ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٩٠ وتفسير الثّعلبي: ١/ ٢٨٣ والوسيط: ١/ ٢٢٠

(٣)الوسيط للواحدي: ١/ ٢٢١ عن الحسن بأخصر مما هنا وفي الوسيط أيضا بسنده عن جويبر عن الضحاك : مثل ما هنا و نسبه في الدُّر: ١/ ١٤٠ إلى الضحاك و عزاه إلى وكيع يعني في تفسيره.

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٠٠ و ابن أبي دواد في المصاحف : (رقم: ٢٠٧ : ١/ ٣٤٩)و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٤٤ (١٣٠٦) و البيهقي في الأسماء و الصفات (٦٠٣) كلهم من طريق شعبة عن أبي جَمْرة الضُّبعي عن ابن عباس . و رواه ابن أبي داود أيضا (رقم ٢٠٦) من طريق أبي التياح عن أبي جَمْرة به. و سنده على شرط الشيخين لكنها قراءة شاذة: المحتسب لابن جني: ١/ ١١٣ و البحر لأبي حيان: ١/ ٤٠٩ . قال الطبري: (جاءت مصاحفُ المسلمين على خلافها ، وأجمعت قَرَأَة القرآن على تركِها)اهـ. ثم وجّه الطبري و ابن أبي داود ا القراءة الصحيحة المتواترة.

(٥) في رواية : (بالذي آمنتم به) بدل (بما آمنتم به).

فإن صحّ هذا عن ابن عباس فكأنه أراد لا تتأوَّلوه على المثل لأنه لا مثل له [(١)]، وقيل الباء زائدة للتأكيد [(٢)] ومعناهُ فإنْ آمنوا مثلَ ما آمنتُم كقوله: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [النساء:٨١] أيْ كَفَى الله وكيلاً ،وقيل إنّ المؤمنين آمنوا بكتابكم فقال الله تعالى:فإن آمنوا هم بكتابكم كما آمنتم أنتُم بكتابهم ﴿ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ﴾ من الضّلالة وهذا قول أبي معاذ [(٣)].

﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أعرضوا فلم يؤمنوا فإنما هم في شِقاقٍ عنادٍ وخلافٍ و عداوة، و قال أبو عبيدة [(٤)]: في ضلالة، و الفعل من هذا شَاقَّ يشاقُّ مُشاقَّةً وشِقاقاً و معنى شاقّ صار في شق غير شِقِّ المسلمين منه شَقُّ العصا مخالفةُ الجماعة، و قوله:﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ﴾ [النساء:٣٥] أيْ اختلافَهما [(٥)].

---

(١)ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٠٠

(٢)تفسير الثّعلبي: ١/ ٢٨٣ مختصرا و الوسيط: ١/ ٢٢١ و نقله عن ابن الأنباري.

(٣) الوسيط: ١/ ٢٢١ وأبو معاذ النحوي هو الفضلُ بن خالد المروزي مولى باهلة يروى عن ابن المبارك وعبيد بن سليمان روى عنه محمد بن على بن الحسن بن شقيق و غيره، وقد ذكره ابن أبي حاتم و لم يذكر فيه جرحاً و لا تعديلاً و ذكره ابن حبان في الثقات .

مات سنة إحدى عشرة ومائتين . ونقل عنه الأزهري في تهذيب اللغة كثيراً و له كتابٌ حسن في القراءات، و ذكر ياقوت الحمويّ أنّ الحاكم ترجم له : الكنى لمسلم: ص٧٧٧ والجرح والتعديل: ٧/ ٦١ و الثقات لابن حبان: ٩/ ٥ و بغية الوعاة: ص٣٧٣ و معجم الأدباء: ١٦/ ٢١٤ و كشف الظنون: ٢/ ١٤٤٩ و هدية العارفين: ١/ ٤٣٥ ومعجم المؤلفين: ٢/ ٦٢٢ .

(٤) الذي في المطبوع من مجاز القرآن قوله: (مجازه: حارب ، و عصى). مجاز القرآن: ١/ ٥٨

(٥)جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٠٢ وتفسير الثّعلبي:١/ ٢٨٤ و الوسيط: ١/ ٢٢١.

وقوله:﴿ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأنفال:١٣، الحشر:٤] يريد به العداوة ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يعني اليهود، وقيل أراد به اليهود والنصارى فلا تعاقبهم أنتَ،و قد فعل سبحانه ما وعده به، فقتل أهلَ قريظة و أجلى أهلَ النضير، ففي الآية دليل على صحة النبوة حيثُ كانَ الأمر كما أخبر (١).

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بأحوالكم، والفاء في ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ناسقةٌ لِنظمِ الكلام، و السين سين الوعد والكاف للخطاب، وهي وهاءُ الكناية منصوبتانِ لأنّ الكفاية تتعدّى إلى مفعولين فتقديرُ الكلمة سوف يرفع الله مَؤونةَ هؤلاء الكفّار.

قوله:﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةً ﴾ الآية [١٣٨] قيل دينُ الله و من أحسن من الله دينا نظيره ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينًا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [النساء:١٢٥] عن الحسن (٢)و قتادة (٣)و مجاهد (٤)والسّدّي(٥) وعطاء (٦) وابن زيد (٧)، وقيل أراد به الختان يُصبَغُ الولد بدم الختان عن الفراء (٨) وذلك أنّ المعمودِيّة من النصارى وهم صنفٌ

---

(١) الوسيط: ١/ ٢٢٢ و ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٠٢ و البغوي: ١/ ١١٦ و تفسير القرطبي: ٢/ ١٤٣

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٤٥٠.

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٠٤

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٠٤ وفي رواية عنه : فطرة الله. الطبري: ٢/ ٦٠٦

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٠٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٤٥ (معلقا عقب الأثر ١٣١٣، ١٣١٥).

(٦) لم أجده عن عطاء بل عن عطية كما في المصدرين السابقين و أما عطاء ففي الطبري عنه: ٢/ ٦٠٤ : صبغت اليهود أبنائها خالفت الفطرة.

(٧) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٠٥

(٨) معاني القرآن للفراء: ١/ ٦٩ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٨٨ و تفسير السمرقندي: ١/ ١٢٤

منهم كانوا إذا وُلِدَ لأحدهم ولدٌ فأتى عليه سبعة أيام صبغوه و غمسوه في مائهم ليُطهّروه بذلك ويقولونَ هذا طَهُورُهُ مكان الختان فجعلوه نصرانيا.

وقيل حجة الله التي احتج بها على عباده. قال الزجاج [(١)]: ويجوز أن يكون ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي خلقة الله فيكون المعنى أنّ الله ابتدأ الخلق على الإسلام ثم نقلهم إلى ما شاء بعد بلوغهم، و هو قوله﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ﴾ الآية [الأعراف:١٧٢]، ويدل عليه قوله: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا ﴾ [الروم:٣٠]. وقوله عليه السلام (٢):

والوسيط: ١/ ٢٢٢ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ١٩٥ مع ما سيأتي.

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٨٨

(٢) تتمة الحديث : (فأبواهُ يهوِّدانه أو ينصِّرَانِه أو يمجِّسانه ...) و هو حديث متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (صحيح البخاري: كتاب الجنائز: بابُ : (ما قيل في أولادِ المشركين: ٩١) (ح:١٣١٩) و مسلم: كتاب القدر: باب : (٦ معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين : ٦ : ح (٢٦٥٨).

(كلُّ مولود يولد على الفِطرة ...) الخبرُ (١). قال أبو عبيدة (٢): إنـما نُـصِبتْ ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ على معنى الأمر أي الزموا صبغة الله أي سنَّته ودينه، قال الفراء (٣): و لو قُرأ بالرفع صبغة الله لكان صوابا أي هي صبغة الله.

قال الأخفش (٤): ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [١٣٥] بالنصب و كذلك ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ لأنّهـم حين قالوا ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ قيل لهـم ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ (٥) ثـم أبـدل الصِّبغةَ من الملةِ فقال صبغة الله، و يحتمل بل نكون أصحابَ صبغةِ الله و ملـة الله، ثـم حَـذَفَ الأصحاب كما قال ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٧] يريد الـبرُّ بـرُّ مـن آمـن بالله.

قال الكسائي (٦):ما كان في القرآن من قوله سنة الله وفطرة الله، فإنها تكون على الأمر وتكون على الخروج بمنزلة الفعل الخارج من الكلام(١٠٤و)كما قال : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ

---

(١) هذا كله كلام الزجاج. و ينظر: الكشف و البيان للثعلبي : ٢/ ٥

(٢) لم يرد هذا الإعراب في مجاز القرآن له ١/ ٥٩ وفيه : ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي دين الله وخلقته التي خلقـه عليها.

(٣)معاني القرآن: ١/ ٦٨

(٤)معاني القرآن :ص١١٢

(٥) عبارة الأخفش: (كأنهم قيل لهم: (اتخذوا هذه الملة) فقالوا : لا ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ أي نتبع ملة إبراهيم ، ثم أبدلَ ((الصبغة)) من الملة فقال ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾بالنصب . أو يكون أراد (كونوا أصحاب ملة) ثم حذف أصحاب كما قال (و لكن البر مـن آمـن بـالله) يريـد الـبرُّ بـر مـن آمـن بالله)اهـ. صـ١١٢ .

(٦) لم أعثـر عليـه. و ينظـر: تفـسير الثّعلبـي: ٢/ ٥ و الوسـيط: ١/ ٢٢٢ و المـشكل لمكـي: ١/ ١١٢ والكشاف: ١/ ٢٢٢ و التفسير الكبـير للـرازي: ٤/ ٧٩ و البحـر: ١/ ٤١١ و البيـضاوي: ١/

﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ﴾ [الدخان:٤، ٥]. كما تقول خرجنا فصنعنا كذا قضاءَ[١] ربِّك و رحمتَه وتفريجَه .

قوله: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ﴾ ظاهِرُه للاستفهام ومعناه النَّفْيُ أي لا أحد أحسن صبغةً من الله و نحن له عابدون في اتباعنا صبغتَه و دينَه و اتباعِنا ملةَ إبراهيم.

قوله: ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾ الآية [١٣٩]. قل[٢] يا محمد ليهودِ أهلِ المدينة ونصارى نجران، وذلك لما قالوا إنّ أنبياء الله كانوا منَّا وديننا هو الأقدمُ و كتابُنا هو الأسبق فأنزل الله تعالى : ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾ أي أتجادلوننا في دين الله ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ﴾ سيِّدنا و سيدكم ﴿وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ ولنا ديننا ولكم دينكم ، نظيره: ﴿ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡ﴾ [٣][يونس:٤١] و ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦]. ﴿ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ﴾ بالعبادة.

و قال ابن كيسان[٤]: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾ أتنازعوننا في أنّ الله الخالق.

---

٤١٤ وروح المعاني للآلوسي: ١/ ٣٩٨

(١)يعني أن النصب في قوله: (صبغة الله) و في (أمرا من عندنا) مثل النصب في قولك: صنعنا كذا قضاءَ ربك و رحمته. و قد ذكر أبو البقاء العكبري في إعراب (أمرا) ستة أوجه : ٢/ ٢٢٩وينظر: معاني القرآن للأخفش: صـ ٢٨٤ وأمالي ابن الشجري: ٢/ ٥٠٦ و ٣/ ٨ والتفسير الكبير للرازي: ٢٧ / ٢٠٦

(٢) الوسيط: ١/ ٢٢٣ و السمعاني: ١/ ١٤٧ و البحر: ١/ ٤١٢ و ينظر: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٩٠

(٣) في الأصل سقطت الفاء من ﴿ فَقُل لِّي﴾.

(٤) لم أعثر عليه. و يظهر لي أنّ هذا بعيد إذ اليهود و النصارى لم ينازِعوا في كونِ الله خالقاً فلم ينازعوا في

وقُـرِئ(أتحاجُّوننـا) بنـونين ، ومـنهم قـرأَ بنـونٍ واحـدةٍ بالإدغـام (١)، و يجـوزُ في العربيـة (أتحاجُّونا) بحذف إحدى النونين (٢).

و قيل كانتْ محاجَّتهم أنْ قالوا لَسْنا منَ العرب الذين عبـدوا الأصـنام، و قـال الحـسن (٣): كانت محاجتهم قولهم: نحن أبناء الله و أحباؤه، فقال الله سبحانه: أتحتجون علينا بأعمالكم وأنـتم مشركونَ كافرونَ بالأنبياء و نحن مخلِصونَ لهُ في العبادة موحِّدونَ.

وقيل معناهُ: أيّ عيبٍ علينا في عبادتهم الأصنام ونحن مخلصون له بالعبادة و التوحيد كما أنـه لا عيب عليكم في عبادة سلفكم العجل و أنتم كارهون لذلك .

و قوله: ﴿ لَنَآ أَعۡمَـٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَـٰلُكُمۡ﴾ أي لا يُؤخَذُ و احدٌ منّا بذنبِ صاحبِه .

قوله : ﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾[الآية: ١٤٠] يقـول أتحاجوننـا في الله ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَـٰعِيلَ وَإِسۡحَـٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَـٰرَىٰ﴾ ﴿قُلۡ﴾ يا محمد لهـم: ﴿ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ وقـد أخـبرني بأنّـه كـان مـسلماً بقوله: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا ﴾ الآية [آل عمران:٦٧]، فقالوا ليس كما يقـول و كـذّبوه جَحْـداً وعِنـاداً وإنْ علِمُـوهُ يقينـاً، فـأنزل الله ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ

توحيد الرُّبوبية، و لكن نازَعوا في توحيد الأُلوهيّة. و ينظر المصادر السّابقة و جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٠٧ و التفسير الكبير للرازي: ٤/ ٨٠

(١) القراءة بنونين خفيفتين هي المتواترة و أمّا القراءة بنون واحدة مشدَّدة فشاذة : نسبها الثعلبـي: ٢/ ٦ إلى : الحسن و الأعمش و ابن محيصن، وزاد أبو حيان في البحر: ١/ ٤١٢ نسبتها إلى : زيد بن ثابت . ونسبها ابن عطية: ١/ ٢١٦ و القرطبي: ٢/ ١٤٥ و الدمياطي في اتحاف فضلاء البشر : صـ١٩٣ إلى ابن محيصِن. و نسبها في مختصر الشواذ لابن خالويه:ص١٠ إلى زيد بن ثابت و ابن محيصن.

(٢) تفسير القرطبي: ٢/ ١٤٦ و البحر: ١/ ٤١٢

(٣) تفسير القرطبي: ٢/ ١٤٥ و البحر: ١/ ٤١٢ و لم يصرّح أبوحيان بالقائل .

مِنَ ٱللَّهِ ﴾ فالشَّهَادةُ في أمرِ محمدٍ صلى الله عليه و سلّم أُنزِلتْ في كتابهم و أُخذَ عليهم مواثيقَهم أن يبيّنوا للناس و لا يكتموه فكتموه و كذّبوا به عن الحسن (١)، و قتادة (٢)، و ابن زيد(٣) ،قال الله تعالى : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ من كتمان نعتِ محمدٍ و صفته .

و معنى ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً﴾ أي و من أظلم ممن كتمَ شهادةً من الله عنده أشهده عليها، و أخذ ميثاقَهُ أن يقوم بها فكتَمَهَا ففي الكلام (٤) تقديمٌ و تأخيرٌ.

و قِيلَ الشَّهادةُ في إبراهيم، و الأنبياءِ الذين ذَكَرَهُم و أنّهُم كانوا حُنَفاءَ مسلِمِين فكتموه ، وقالوا إنّهم كانوا هوداً أو نصارى عن مجاهد (٥)و الرّبيع (٦) . قرأ ابنُ كثير و نافعٌ و أبو عمرو و أبو بكر عن

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦١١ و الدر: ١/ ١٤١ و عزاه للطبري. و ينظر: ابن أبي حاتم عن الحسن أيضا (١/ ٢٤٦ (١٣٢٠). لكن قول الحسن الذي في المصادر المشار إليها متوافق مع ما سيذكره المصنف قريبا عن مجاهد و الربيع و لذا ذكره الطبري مع قول مجاهد و الربيع. فليتنبه لهذا.

(٢) تفسير عبد الرزاق: ١/ ٦٠ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٦١٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٤٦ و الدر: ١/ ١٤١

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦١٣

(٤) في النسخة (ل) : (الكتاب). و صوبتها الكلام.

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦١٠ و ٦١١ و الدر: ١/ ١٤١

(٦) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦١١ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٤٦ معلّقاً. و يمكنُ جمعُ القولين كما قال الثعلبي: (وهو علمهم أنّ إبراهيم و بنيه كانوا مسلمين ، و أن محمدا صلَّى الله عليه وسلَّم حق ورسول)اهـ. ٢/ ٧ و ذكر ابن الجوزي: وفي الشهادة التي كتموها قولان أحدهما: أن الله تعالى شهد عندهم بشهادة لإبراهيم ومن ذكر معه أنهم كانوا مسلمين فكتموها. والثاني: أنهم كتموا الإسلام وأمر محمد وهم يعلمون أنه نبي دينه الإسلام : زاد المسير: ١/ ١٥٢ . و هما القولان اللذان ذكرهما الطبري و غيره، و رجّح ابن عطية: المحرر: ١/ ١/ ٢١٧ و القرطبي: ٢/ ١٤٧ :قول مجاهد و الربيع من أنّ الشهادة هي ما في كتبهم من أنّ الأنبياء على الحنيفية لا على ما ادعوه

عاصم (أم يقولون) بالياء و قرأ الباقون بالتاء (١)و وجهُ قراءتِه بالتاء الانقطاع عن الخطاب الأوَّل إلى حِجَاجٍ ثانٍ كأنّه قال بل أيقولون إنّ الأنبياء كانوا هوداً أو نصارى ، قبل إنزال التوراة والإنجيل .

قوله: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [آية ١٤١] يعني إبراهيم و من ذُكِرَ معه مِنَ الأنبياء في قول قتادة (٢) والربيع (٣).

وقيل أراد بقوله : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ ﴾ (٤)منْ قد سَلفَ منْ آبائهم الذين كانوا على اليهودية والنصرانية.

و فائدة الآية التحذيرُ لهم و أنه لا ينفعُ الأبناءَ (٥)عملُ الآباءِ فجِدُّوا أنتم في الطّاعة فإنّ طاعةَ أسلافكم لا تنفعكم.

و إنما حسُن تكرير هذه الآية بعد ما ذكرها فيما قبل لأنَّ الحِجَاجَ إذا اختلفت مواطنُه حسُن تَكْرَارُهُ للتَّذكِيرِ بِهِ (٦).

هم . و رجحاه لأنه أشبه بسياقة الكلام.

(١) السبعة: ١٧١ و معاني القراءات للأزهري: صـ ٧١ والنشر: ٢/ ٢٢٣ و ينظر: في توجيهها أيضا: جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٠٩ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٧ و الوسيط: ١/ ٢٢٣ و تفسير القرطبي: ٢/ ١٤٦

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦١٤ و الدر: ١/ ١٤١

(٣)جامع البيان للطبري: ٢ / ٦١٤

(٤) تكرر في النسخة (ل) : (تلك) خطأ.

(٥) زاد الناسخ في الأصل واوا قبل كلمة (عمل).

(٦) و كذلك قال الواحدي و اقتصرَ عليه كالمصنف : الوسيط: ١/ ٢٢٤ .و إنما اقتصرا عليه لقوته ووجاهته كما هو ظاهر . و قيل : إنّه عُني بالآية الأولى إبراهيم ومن ذُكر معه، والثانية أسلاف اليهود. (السمعاني: ١/ ١٤٨ والتفسير الكبير للرازي: ٤ / ٨٢) و قيل : هو تكرير للمبالغة في الزّجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على أعمالهم(البيضاوي: ١/ ٤١٥ و أبو السعود: ١/ ١٧٠) و عبارة السمعاني : كرره تأكيدا . و كذلك عبارة البغوي: ١/ ١٢٢ و هي متقاربةٌ.

قوله: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية : [١٤٢]

وذلك لمّا صُرِفتْ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، و كانَ الأنصارُ قد صَلَّوا إلى بيتِ المقدس قبل مَقْدَمِ الرّسول صلى الله عليه و سلّم حولينِ، و صَلّى رسول الله ﷺ بعد قُدُومِهِ المدينة مهاجراً نحوَ بيت المقدِس ستة عشر شهراً عن قتادة (١)، و قيل سبعةَ عشر شهراً عن ابن عبّاس (٢). و قال أنس بن مالك (٣) :كان تسعة أشهرٍ أو عشرة أشهرٍ، و قال معاذ بن جبل(٤): كان ذلك ثلاثة عشر شهراً. استمالةً لقلوب اليهود أنْ يصلّيَ إلى قبلتهم ربّما {يرغبون}(٥) في دينه ثم إنّه ﷺ كرِهَ موافقتهم في أمر القبلة لمّا قالوا: لولا أنّ ديننا حقٌّ لما صلى إلى قبلتنا و ما استنَّ بسنَّتنا ، فقال صلى الله عليه و سلّم : لجبريلَ وَدِدتُ أنّ ربي صَرَفَني عن قبلةِ اليهود إلى غيرِها فقال جبريل إنّما أنا مَلَكٌ عبدٌ لا أملك شيئاً فسلْ ربّك فصعَد جبريل إلى السماء وخرج رسول الله ﷺ إلى الصحراء نحوَ أحدٍ يُصلي هُنا ركعتين و هُنا ركعتين و يدعو

---

(١)عزاه السيوطي في الدر إلى عبد بن حميد و ابن المنذر: ١/ ٣٤٧ . و رواه الطبري عن قتادة عن سعيد بن المسيّب: ٢/ ٦٢٢ بلفظ آخر و فيه أيضا : ستة عشر شهرا . و نسب السيوطي خبر سعيد بن المسيب إلى الطبري: الدر: ١/ ٣٤٦. وخبر سعيد بن المسيب رواه أيضا عنه يحيى بن سعيد الأنصاري : كما في الموطأ : ١/ ١٩٦ و الطبري : ٢/ ٦٢١ و التمهيد: ٢٣ / ١٣٤ و الدّلائل للبيهقي: ٢/ ٥٧٣.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦١٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٤٧ - ٢٤٨ (١٣٢٧) و البيهقي في دلائل النبوة : ٢/ ٥٧٥ و ينظر: سيرة ابن هشام: ١/ ٥٥٠ و في رواية عن ابن عباس: بضعة عشر شهرا (الطبري: ٢/ ٦٢٣)

(٣) البزار : كشف الأستار: ٤٢٠ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٢١ و ينظر: صحيح مسلم: (٥٢٧)

(٤)سنن أبي داود: ١/ ٣٤٧ (٥٠٧) باب كيف الأذان و جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٢١ و السنن الكبرى للبيهقي: ١/ ٣٩١ و ينظر: فتح الباري: ١/ ٩٧ و عون المعبود: ٢/ ١٣٨

(٥) في الأصل: يرغبوا.

الله أنْ يَخيرَ له في ذلك فلم يَزَلْ كذلك يُديمُ النّظر إلى السماء حتى دخل ناحيةَ أحد، فأنزل الله تعالى في رجب بعد زوال الشمس قبل الظهر : ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ ﴾ [١٤٤](١) .

و صُرِفت القبلة إلى الكعبة قبل بدرٍ بشهرينِ فقال أهل مكة قد تردَّدَ على محمد أمرُهُ و اشتاقَ إلى مولده و مولدِ آبائِهِ و قد توجَّه إليكم و هو راجعٌ إلى دينكم. (٢)

وقال الرّبيع (٣): كان النّبي ﷺ في ابتداء الهجرة مخيّراً في التوجّه إلى بيت المقدس أو الكعبة إلّا أنّه اختارَ بيت المقدس . فكان التوجّه إليه فرضاً و إنْ كان مخيَّراً فيه كالمخيَّر في كفارة اليمين أيَّ واحد اختار فهو فرض عليه.

وقال ابن عباس (٤): بل كان الفَرْضُ عليه التوجّه إلى بيت المقدِس ثم نُسِخَ.

[١٠٥و] وقيل السُّفهاء من النّاس الجهّال و هم مشركوا مكة و منافقوا المدينة و اليهود كلُّهم طَعَنُوا في ذلك لَمَّا صُرِفَتْ القبلة فقالوا : ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَا﴾ وهي

---

(١) تفسير مقاتل: ١/ ٨٢ و تفسير السمرقندي: ١/ ١٢٧ و مختصر تفسير يحي بن سلام لابن أبي زَمِنِين: ١/ ١٨٥ و صرّح الأخير بنقله عن تفسير الكلبي و أسباب النزول للواحدي بنحوه مختصرا :صـ ٧٧ و الروض الأنف: ١/ ٢١٧ و العجاب للحافظ ابن حجر: صـ٢١٢ و ليس فيها كلّها قوله: (خرج رسول الله صلى الله عليه و سلّم إلى الصحراء نحوَ أحدٍ يُصلي ههُنا ركعتين و ههُنا ركعتين و يدعو الله أنْ يَخيرَ له في ذلك فلم يزل كذلك)اهـ. و فيها ما قبله و ما بعده. و لكنّي عثرت عليه في تفسير العلامة نجم الدين عمر النسفي الحنفي ،التيسير في التفسير: (ورقة ١٣٧) ذكره بطوله، و بأتمَّ مما هنا ونقله عن مقاتل بن حيان.

(٢) ينظر: في جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٤٠ و- ٦٤١ خبر قتادة و السدي و الثعلبي: ٢/ ٨ والوسيط: ١/ ٢٢٦ .

(٣) روى الطبريّ نحوه عن الربيع قال أبو العالية: ٢/ ٦٢٣ إلى قوله: (اختار بيت المقدس) وينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للرازي : ٤/ ١٠١ و تفسير القرطبي: ٢/ ١٥٠

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٥٠ و ٦٢٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٤٨ ،٢٥٣ (١٣٢٩ ،١٣٥٥) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مطولا .

بيت المقدس . ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ يأمرُ التوجُّه إلى أيِّ جهة شاء و ﴿ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ دينٍ يرضاهُ، و قيل:﴿ لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ﴾ الصّلاة إلى المشرق وهي الصلاة إلى الكعبة ﴿وَٱلْمَغْرِبُ﴾ أي الصّلاة التي صلَّوها إلى المغرب و هي صلاتهم إلى بيت المقدس والقِبلة الوِجهة و هي الفِعْلة من المقابلة.

و قيل ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فكانت الصّلاة إلى بيت المقدس حين صلَّوا إليها صراطا مستقيما، و الصلاة التي صلوا إلى الكعبة صراطا مستقيما.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[الآية :١٤٣]. وذلك أنّ اليهود قالوا لمعاذِ بنِ جَبَلٍ ما ترك محمد قبلتنا إلا حَسَداً و إنّ قبلتنا قبلةُ الأنبياء، و لقد علِم محمدٌ أنا عَدْلٌ بين النّاس فقال معاذ إنا على حق و عدلٍ (١)فأنزَلَ الله في قول معاذ ﴿ وَكَذَٰلِكَ﴾ يعني هكذا ﴿جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾يعني عَدْلا .

و قيل خِيَاراً مرضيّة و العربُ تقول : انزل وَسَطَ الوادي أي خيرَ موضعٍ منه قال زهير(٢):

هم وَسَطٌ يرضى الأنامُ بحكمِهم إذا نَزَلَتْ إِحدى الليالي بمُعظَمِ

---

(١) تفسير مقاتل: ١/ ٧٣ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٨ و البغوي: ١/ ١٢٢ و العجاب: صـ ٢٠٧

(٢) أنشده الجاحظ في البيان و التبيين مثله: ٣/ ٢٥٥ غير منسوب لكن فيه: الإله بدل الأنام وهكذا رواه الطبري: ٢/ ٦٢٦ و أنشده هكذا جماعة من المفسرين بعد الطبري منهم: الجصاص: ١/ ١٠٩ و الثّعلبي: ٢/ ٨ والسمعاني: ١/ ١٤٩ و ابن الجوزي: ١/ ١٥٤ والرازي في مفاتيح الغيب: ٤/ ٨٩ و القرطبي: ٢/ ١٥٣ و لم أجدهُ في ديوانه بهذه الرواية، و في قصيدة زهير من المعلقات السبع المشهورة:

لحيٍّ حلال يعصِمُ الناسَ أمرُهُم إذا طَرَقت إِحدى الّليالي بمُعظَمِ

البيت: ٣٤ من شرح المعلقات لابن الأنباري: صـ ٢٤٣.

ويقال فلانٌ واسطٌ في عشيرته ووسطٌ سواءٌ كما يقال مكان يابسٌ و يَبَسٌ (١) ويقال: وسَطاً عَدْلا ارتفع عن التقصير و انحطّ عن الغلوّ.

قوله: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ [القلم:٢٨] أي أعدلهم و مثله ﴿ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ [المائدة:٨٩] أي أعدله ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعني شهداء على الأُمَم و الرّسل بالتبليغ لما امتنع الأمم عن الإقرار بمجيء الرُّسُلِ إليهم و يدّعي الرسل تبليغ الرسالة إليهم، يقول الله تعالى : ألكم شُهُودٌ فيقولونَ نعم أمَّة محمدٍ صلى الله عليه وسلّم فيشهدُ عليهم بهذه الأمّة فيقولون لهم وما يدريكم؟ قالوا أتانا نبينا صلى الله عليه وسلّم فأخبرنا بذلك فصدّقناه لِمَا أقامَ من المعجزات، و يكون محمدٌ صلى الله عليه و سلّم شهيداً على أمته بتبليغ رسالته إليهم و كذلك يشهدُ صلى الله عليه و سلّم على صدق أمته فيزكِّيهم فيكون هو صلى الله عليه و سلّم شاهداً على صِدقِ أمته في شهادتهم للأنبياء على أممهم (٢).

وقيل ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أي لكم كقوله: ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ [المائدة:٣] أي للنُّصُب.

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ﴾ قيل أراد به بيتَ المقدس أي ما جعلنا صلاتكم إلى تلك القبلة التي كنتم عليها ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ ، وقيل القبلة التي كنت عليها نظيره ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠] أي أنتم خيرُ أُمّةٍ يريد به الصّلاة إلى الكعبة .

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٢٦ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٩٢ و لسان العرب: (وسط) ومفردات الراغب: (وسط).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٣١ – ٦٣٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٤٩ و تفسير الثّعلبي: ٨ والوسيط: ١/ ٢٢٥ و الدر: ١/ ١٤٤

و قولــه: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ قيــل إلاّ لــيعلم أنبياؤُنا و أولياؤُنا، و قيل إلا لنميِّز ، و الصحيحُ (١) إلا لنعلمَ من يتَّبع الرسولَ كان هذا ابتلاءً

(١) هذا سؤالٌ ذكره جماعة من متقدّمي المفسِّرين ومتـأخريهم و سـأذكر جملـة كافيـة مـن عبـاراتهم عـلى وجهها و بألفاظها ليتبيّن وجه اختيار كثير من الأئمة من المفسرين قال السمعاني: (وإنما أراد بهـذا العلـم الذي يتعلّق به الثواب والعِقاب وهو العلم بوجود الاتّباع فإنّ كونه موجودا إنما يُعلَم بعد الوجود وقيـل معناه إلا لنرى، وهو قريبٌ من الأول،وقيل الابتلاء مـضمَرٌ فيـه وتقـديره إلا لنبـتلي فيظهـر المتَّبِـع مـن المنقلب)اهـ.

و عبارة الإمام الطبري طويلة وسأذكر عيونا منها تكفي في فهم توجيهه رحمـه الله قـال : (فـإنْ قـال فـما معنى ذلك قيل له أمّا معناه عندنا فإنّه ومـا جعلنـا القبلـة التـي كنـتَ عليهـا إلا لـيعلم رَسُلِي وليي وحِـزْبي وأوليائي من يتّبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه .. وكان من شأن العرب إضافة ما فعلته أتبـاع الـرئيس إلى الرئيس وما فعل بهم إليه نحو قولهم فتح عمر بن الخطاب سواد العراق وإنما فعل ذلـك أصـحابه.... ثمّ روى الطبري أخباراً في معنى ذلك و روى بعده قول ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحـة في معنـى الآية : قال:(لنميِّزَ أهل اليقين من أهل الشِّرك والرِّيبة)اهـ. و قول ابن عباس رواه أيـضا ابـن أبي حـاتم: ١/ ٢٥٠ (١٣٤١) ثم ذكر الطبري قول من جعل العلم هنا بمعنى الرؤيـة و ضـعَّفه، و ذكـر أقـوالا أخرى أنحى عليها بالتضعيف. و اختار ابن عطية مذهب الطبري : وهـو أنّ المقـصود لـيعلم أوليـائي و حزبي : المحرر: ١/ ٢٢٢، و قال البغوي: (فإنْ قيل ما معنى قولـه ﴿ إِلَّا لِنَعۡلَمَ ﴾ وهـو عـالمٌ بالأشـياء كلِّها قبل كونها قيل أراد به العلمَ الذي يتعلَّق به الثواب والعِقابُ فإنه لا يتعلَّق بما هو عـالمٌ بـه في الغيـب إنما يتعلق بما يوجد معناه لنَعلَم العلم الذي يستحقُّ العامل عليه الثـواب والعقـاب وقيـل إلا لـنعلم أي لنرى ونميز....)اهـ.

و الجواب الأول الذي بدأ به السمعاني و البغوي وهو اختيار الزجاج: ١/ ١٩٥- هو أرجَحهـا عنـدي فالعلم السابق المحيط بكل شيء لا تقع به المجازاة بالثواب و العقاب فالمعنى ليعلم ذلك مـنهم شـهادة فيقع عليهم بذلك اسم مطيعين و اسم عاصين فيثابون على قدر عملهـم فـالمراد العلـم الـذي يتعلـق بـه الثواب و العقاب أو بعبارة أخرى الذي يترتب عليه الثواب و العقاب ورجحه أيضا القرطبي: ٢/ ١٥٧ وقال: (والأول أظهر وأنّ معناه علم المعاينة الذي يوجب الجزاء)اهـ. وصاحب أضواء البيـان: ٧/ ٣٨٥

لهم و امتحاناً يُعلَم به المُصَدّق من المكذّب امتحنهم و تعبّدهم ليتبيّن المصدّق من المكذّب، و لم يستحدِثِ القديم بابتلاءهم عِلماً لكنه إنما عَلِمَ المتّبع متّبعا في حال اتّباعه والمكذّب مكّذّبا في حال تكذيبه وقيل كان عَلَماً بأنهم يُكَذِّبون و أنّ المؤمنين منهم يؤمنون فلمّا صدّق من صدّق وكذّب من كَذَّب عَلِم كلاًّ على ما كان عليه، وتَجَدُّدُ الأحوالِ على المعلوم لا يقضي تبدّلَ العِلم وتغيُّرَه.

وبعض المفسرين يقول ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ أي لِيرى (١) وعُدولهم عن لفظ العلم إلى معنى الرؤية لا يكون جواباً لما يلزم عليه من تجدُّدِ الوصف للقديمِ لأنّه كما لا يستحدِثُ لنفسه عِلماً يَستحيل أنْ يستحدِثَ رؤيةً (٢) وإنما وَجْهُ الجواب ما ذكرناهُ وبالله التوفيق.

وقيل معنى قولِهِ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ﴾ الآية هو أنّ المسلمين لمّا كانوا بمكة أراد الله سبحانه أن يميِّزَهُم عن أحكام المشركين فأَمَرَهُم باستقبال بيت المقدس مخالفةً للمشركين فلمّا هاجروا إلى المدينة أُمِرُوا بالتوجُّه إلى الكعبة مُخالفةً لليهود فأراد في الحالين أنْ يكون المسلمون على إنفرادٍ من المشركين واليهود جميعاً.

وعبارة ابن جزي الكلبي(لنعلم أي العلم الذي تقوم به الحجة على العبد)اهـ. التسهيل: ١/ ٦٢ وينظر أيضا لتعداد الأقوال : النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٢٠٠ و زاد المسير: ١/ ١٥٥ وفيهما أربعة أقوال و التفسير الكبير للرازي: ٤/ ٩٥ وفيه سبعة أقوال و البحر: ١/ ٤٢٤ وتفسير البيضاوي: ١/ تفسير أبي السعود: ١/ ١٧٣ وروح المعاني: ٢/ ٦٠ مع مجموع الفتاوى: ٨ / ٤٩٦ و درء تعارض العقل و النقل: ٥/ ١٧٩

(١) عبارة الثعلبي: ٢/ ٩ (لنرى و نميز). و ينظر ما سبق.

(٢)عِلمُ الله تعالى من صفاته و صفاته تعالى لا تقاس على صفات المخلوقين و لا تُشبِهُ بوجهٍ أحوالهم وكذلك كلامه تعالى. و ينظر: مجموع الفتاوى: ١٢/ ٩٥ وهنا فائدة تتعلق ببعض ما قاله المصنف. ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في الموضع السابق: (و المقصود هنا أنّ تقدُّم علم الله وكتابته لأعمال العباد حقٌّ و القولُ بحدوثِ ذلك قولٌ مهجور)اهـ.

وقيل ﴿ إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ أي نعاملكم معاملة المُخيّر .

وقوله ﴿ يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ ﴾ يعني يشكُّ في الدِّين فيرتدّ عن الإيمان ﴿وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً﴾ أيْ وقد كانتْ لكبيرة قال سيبويه (١): هذا تأكيدٌ يشبه القَسَمَ لدخول الّلام في جوابه أي وقد كانت الصلاة إلى الكعبة (لكبيرة) ثقيلة إلاّ على الذين هدى الله عن ابن زيد (٢)، وقيل وإنْ كانت القبلة لكبيرة عن أبي العالية (٣)، وقيل وقد كانت التَّولية إلى الكعبة لكبيرة عن ابن عباس(٤) ومجاهد(٥) وقتادة. (٦)

وقيل للنّبي صلى الله عليه و سلّم : كيف صلاةُ من ماتَ من أصحابنا قبل صَرْف القِبلة لأنّه قد مات جماعةٌ منهم قبل صَرْف القبلة كأسعدِ ابن زُرارة، والبراء بن مَعرورٍ ، وكانا من النُّقَباءِ وغيرهما ، فقال اليهود : أَخبِرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس أكان هُدىً أم ضلالةً فسألوا النّبي صلى الله عليه و سلّم عن ذلك فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمۡۚ ﴾ (٧).

(١) ينظر : الكتاب لسيبويه ٤/ ٢٣٣، و٢/ ١٤٠ . و ينظر: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٩٣و البحر: ١/ ٤٢٥ قالوا: إنْ هنا هي المخففة من الثقيلة دخلت على الجملة الناسخة .

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٤٩ و ٦٥٠

(٣)جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٤٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٥١ : بلفظ: (قبلة بيت المقدس).

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٤٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٥١ (١٣٤٤) كلاهما من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٤٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٥١ (١٣٤٣)

(٦)تفسير عبد الرزاق: ١/ ٦١ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٤٨

(٧) هو بنحو هذا السياق في تفسير الثّعلبي: ٢/ ٩ .و قال الواحدي: قال ابن عباس في رواية الكلبي : كان رجالٌ من أصحاب النّبي ﷺ من المسلمين قد ماتوا على القبلة الأولى .. الخ أسباب النزول

قيل صلاتُكُم إلى بيت المقدس، وقيل تصديقَكَم الصلاة إلى بيت المقدس ويكون الخِطابُ للموجودين والمُراد من ماتَ منهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وقُرأ (لَرَؤُوفٌ رحيم) وفيه ثلاث لغات، على وزن فَعُلٍ قال الشاعر(١):

ترى للمسلمين عليك حقّاً　　　كفعل الوالد الرؤُفِ الرحيمِ

للواحدي: صـ ٧٧ و الوسيط:١/ ٢٢٧ و نحوه أيضا في تفسير مقاتل: مع تقديم وتأخير و زيادة صـ ١ / ٨٤ . و عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: (لمّا وجّه رسولُ الله إلى الكعبة قالوا كيف بمن ماتَ من إخواننا قبلَ ذلك وهم يُصلّون نحوَ بيتِ المقدِس فأنزل الله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ رواه أحمد: ٥ / ٢٩٨(٣٢٤٩) و ٤/ ٤٢٦ و ٤٩٥ و ٥/ ١١٨ (٢٦٩١ ، ٢٧٧٤ ، ٢٩٦٤)و أبوداود في كتاب السنة : باب (١٦) الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، (ح ٤٦٨٠) و الترمذي في كتاب التفسير، باب (٣)و من سورة البقرة ، حديث رقم (٢٩٦٤) ٥ / ٢٠٨ و الدارمي (ح ١٢٣٥) ١/ ٣٠٨ و الطبري: ٢/ ٦٥٠ -٦٥١ و غيرهم . وروى الطبري عن قتادة و السّدي و الربيع و داود بن أبي عاصم أنّ ذلك سبب نزول الآية(الطبري: ٢ / ٦٥١ – ٦٥٢) و نزول الآية بسبب سؤالهم عمن مات من إخوانهم ثابت أيضا في صحيح البخاري و غيره في بعض روايات حديث البراء في تحويل القبلة ففي بعضها : قال: (مات على القبلة قبل أن تحوّل رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ . صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب(٢٨) الصلاة من الإيمان وقول الله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ (ح ٤٠) و الطبري: ٢/ ٦٥١ والسنن الكبرى: ٢/ ٣ و غيرهم و ينظر: فتح الباري:١/ ٧٩ .

(١) البيت لجرير: ديوانه: صـ ٦٠٨ و مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٢٧١ و الحجة في السبع لابن خالويه: ١/ ٩٠ و الوسيط: ١/ ٢٢٨ و لسان العرب: (رأف) و البحر: ١/ ٤٢٧ و في لسان العرب و الحجة لابن خالويه والبحر: يرى للمسلمين عليه حقا.

وبه قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي [١٠٦ و] وعاصم في رواية أبي بكر [(١)]، ورؤوف على وزن فَعُول بالهمز و به قرأ الباقون [(٢)]، و رؤُوف بغير همز [(٣)].

و الرأفة كمال الرَّحمة. و قيل أول حُكْمٍ نُسِخ في القرآن أمر القبلة قاله مقاتل بن حيان [(٤)].

قوله: ﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ ﴾ [الآية :١٤٤] لما صَعد جبريل إلى السماء كان رسول الله ﷺ يقلِّب وجهه في السماء فنزلت:﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةً ﴾ أيْ فلنحوّلنك إلى قبلة

---

(١) رؤُف على وزن : فعُل: بالهمز من غير واو و بها قرأ أيضا يعقوب و خلف: (المبسوط لابن مهران:صـ ١٣٧ و الكشف لمكي: ١/ ٢٦٦ و النشر: ٢/ ٢٢٣)

(٢) تكرر في الأصل قوله: (و رؤوف على وزن فَعُول بالهمز و به قرأ الباقون).

(٣) هي قراءة أبي جعفر كما في : المبسوط لابن مهران: صـ ١٣٧ و المحرر: ١/ ٢٢١ والبحر: ١/ ٤٢٧ و روي عن أبي جعفر التسهيل في همزتها: كما في المحرر : ١/ ٢٢١ البحر: ١/ ٤٢٧ واتحاف فضلاء البشر: صـ٧٨ و ١٩٥ .

(٤) قول مقاتل بن حيان هذا ذكره العلامة نجم الدين عمر النسفي في التيسير: (ورقة ١٣٧) .

و بعض كلام مقاتل بن حيان في تفسير الثعلبي : ٢/ ١١ و ليس فيه هذا و لكن الثعلبي قال ذلك في تفسيره : ٢/ ١٠ و كذلك البغوي: ١/ ١٦١ و كذلك صرح جماعات من العلماء أنها أول ما نُسِخَ . و مستندُهم ما جاء عن ابن عباس من رواية عطاء الخراساني و علي بن أبي طلحة أيضا وعن عكرمة و الحسن البصري من أنّ أول ما نسِخ من القرآن القبلة.

ينظر في خبر ابن عباس :الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد : صـ١٨ رقم (٢١) و جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٥٠ عند قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ ﴾ [آية: ١١٥] وتفسير ابن أبي حاتم:١/ ٢١٢ (١١٢٣)و ١/ ٢٤٨ (١٣٢٩) و ١/ ٢٥٣ (١٣٥٥)والحاكم و قال حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرِجاه بهذه السياقة: ٢/ ٢٦٨ والبيهقي: ٢/ ١٢ و خبر عكرمة و الحسن البصري رواه: الطبري: ٢/ ٦٢٢ و الدر: ١/ ١٤٢

﴿ تَرۡضَىٰهَا ﴾ وهي الكعبة ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ فحوّل وجهك شطْرَهُ أي تِلقاءَه ﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ أيْ فحوِّلوا وجوهكم في الصلاة تلقاءَه ، و فيه إضمارٌ أي وحيث ما كنتُم و أردتُّم الصلاة فولُّوا وجوهكم شطره.

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ اليهود ﴿ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ أي هذا الدِّين حقٌّ وأنّ المسجد الحرام هو قبلةُ المسلمين.

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ تهديدٌ لهم وتوبيخٌ ، وقُرِأَ (و ما الله بغافل عما تعملون) [(١)] أيها المؤمنون من الإيمان و الطاعة، و انتصب ﴿شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ على الظَّرْف [(٢)]و الشطر النحو و فلان شاطرٌ أي آخذٌ في نحوِ غيرِ الاستواء وشَطْرُ الشيء نصفُهُ يقال: شاطرت فلاناً مالي [(٣)].

و﴿ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ المحرّم و الحلال المُحَلّل كالكتاب المكتوب و الحِساب المحسوب وسُمّيت تلك البقعة حراماً لما منع فيها من الظّلم، و أصل الحرام من المنع، و إنما أحبَّ النبي صلى الله عليه و سلّم تغييرَ القبلة و تحويلها مخالفةً لليهود في قول مجاهد [(٤)] وابن زيد [(٥)].

و الثاني: لأنها كانت قبلة إبراهيم في قول ابن عباس[(١)] و قتادة[(٢)] و أبي العالية[(٣)].

---

(١)قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب و قرأه الباقون بالياء على الغيبة: ينظر مثلا: (الكشف لمكي: ١/ ٢٦٨ و التجريد لبغية المريد لابن الفحام: صـ ١٩٤ و البحر: ١/ ٤٣٠)

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٩٤ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٦٩

(٣) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٩٤ ولسان العرب(شطر). و ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٥٩

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٥٧ و الدر: ١/ ١٤٧ و عزاه للطبري و عبد بن حميد.

(٥)جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٥٢ و ٦٥٨

و الثالث :استدعاءً للعرب إلى الإيمان عن الزّجّاجِ (٤) .

قوله: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية [١٤٥] وذلك أنّ اليهود و النصارى طالبوا النّبي ﷺ بأنْ يأتيهم بالآياتِ فقال الله تعالى : ولئن أتيتهم بكلّ آية ما صدّقوك وكان عاقبتُهم تكذيبَك (٥).

و قيل لفظُ قوله ﴿بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ عامٌّ و المراد منه الخصوصُ، و يحتمل أنّه أراد به كلّ َالآيات (٦) التي طالبوه بها، و يحتمل أنْ يراد به كلّ الآيات (٧) التي أَعطيتُ الأنبياء قبلكَ كمعجزاتِ موسى و عيسى عليهما السلام و معجزات من تقدّمه من الأنبياء.

ثم قال : ولئن أتيتهم بكل آية ما تبعوا قبلتك ولا صلوا إليها ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ مصلٍّ إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ اليهود لا تصلي إلى قبلة النصارى والنصارى لا تصلي إلى قبلة اليهود و قيل هم و إنْ تناصروا و تظاهروا عليك فهم فيما بينهم مختلفون لا يصلّي بعضهم إلى

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٤٥٠ و ٦٥٨ و قد تقدّم تخريجه قريبا عند ذكر المصنف أول ما نسخ من القرآن.

(٢) تفسير عبد الرزاق: ١/ ٦٢ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٦٥٦ و لم أجد فيهما التصريح بما يفيد ما قاله المصنف و إنما فيه: أنه كان يحب أن يصرف إلى الكعبة . و ذكر الثعلبي هذا القول و عزاه لابن عباس فقط: تفسير الثّعلبي: ٢/ ١١ و كذلك الماوردي :النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٢٠٢ .

(٣) في ابن أبي حاتم: ١/ ٢٥٣ (١٣٥٨) من طريق الربيع عن أبي العالية: (وذلك أن الكعبة كانت أحبّ القبلتين إلى رسول الله ﷺ وكان يقلّب وجهه في السماء وكان يهوى الكعبة) و في الطبري:٢/ ٦٥٧ عن الربيع نحوه.

(٤) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٩٤ و عبارته فيه: (إنما أحبها النبي صلّى الله عليه وسلّم لأنها كانت فيما يُروى قبلة الأنبياء ، وقيل لأنها كانت عنده أدعى لقومه إلى الإيمان)اهـ.

(٥) تفسير مقاتل: ١/ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٢ و الوسيط: ١/ ٢٣٠ و البغوي: ١/ ١٦٣ و زاد المسير: ١/ ١٥٨ .

(٦)في الأصل: الآية.

(٧) في الأصل: الآية.

قبلـة بعـضٍ ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ فـصلَّيت إلى قبلـتهم ﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ في أنّ قبلة الله هي الكعبـة ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي إنّـك إذاً مـثلُهُم و هـم الظالمون الجاحدون.

قال الزَّجّاج (١) ﴿ وَلَئِنِ﴾ بمعنى (لو) فأُجِيبَ بما أجاب به (لو) قال الله تعـالى: ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم:٥١] فجرى مجرى و لو أرسلنا ريحـا كذلك ههنا في قوله : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ﴾ وذلك لتقارب معنييْهما .

قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾[الآية: ١٤٦] يريدُ به (٢)القِبلة و المسجد

---

(١) إنما حكى الزجاج هذا القول عن بعض النحويين و ردّ عليه و لم يقل به: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٩٥ و ممن قال به: الفراء: ١/ ٦٩ و الطبري: ٢/ ٦٦٧ و في ذلك اختلاف بين النحاة و ينظر مع كتاب الفـراء و الزجاج و الطبري: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٧٠ و الفريد : ١/ ٣٨٩ و التبيـان للعكـبري: ١/ ١٢٥ والبحر: ١/ ٤٣١

(٢) قال الطبري: (يعرفون أن البيت الحرام قبلتهم و قبلة إبراهيم و قبلة الأنبياء قبلك كما يعرفون أبنـاءهم)٢/ ٦٧٠ وعبارة السّدي: (يعرفون الكعبة أنها هي قبلة الأنبياء ، كما يعرفـون أبنـاءهم) الطـبري: ٢/ ٦٧٠.

والبيت عن قتادة (١) و الربيع (٢) و ابن عباس (٣) لأنّ اليهود تعرف أنّه هو الحق لأنّ الله بيّن ذلك في كتابهم.

وقيل الهاءُ في قوله: ﴿ يَعْرِفُونَهُ ﴾ راجعة إلى النّبي ﷺ عن الفراء (٤)و الزّجّاج (٥)، ويريد بأهل الكتاب عبد الله بن سَلاَم و أمثاله، وروي في الخبر أنّ عمر سأل عبد الله بن سَلاَم عن النّبي صلى الله عليه و سلّم فقال : (أنا أعرف به مني بزيدٍ ابني فقال له عمر: و لمَ قال : لأني لستُ أشك في محمد أنه نبي و لعلّ والدةَ زيدٍ أحدثَتْ فقبّل عمر رأسه وقال وفّقك الله يا ابن سَلاَم) (٦).

---

(١) لفظ قتادة : (يعرفون أنّ البيت الحرام هو القبلة).الطبري: ٢/ ٦٧٠ و ابن أبي حاتم معلقا١/ ٢٥٥

(٢)جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٧٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٥٦ (١٣٧١)

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٧٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٥٥ (١٣٦٧) من طريق محمد بن سعد العوفي.

(٤) لم أجده في معاني القرآن للفراء . وقد اعتمدت على مطبوعة دار إحياء التراث العربي المطبوعة في : ١٤٢٤هـ.

(٥) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٩٦ و فيه ذكر القولين جميعا يعني قول من قال : يعرفون تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة أنه حق وقول من قال : يعرفون النبي و صحته. و لم يذكر الطبري غير القول الأول الذي تقدّم تخريجه و هو أنّ الضمير لاستقبال البيت الحرام. و ينظر: القرطبي: ٢/ ١٦٢

(٦)خبر ضعيف،ذكره الثعلبي: ٢/ ١٣ عن الكلبي عن الربيع عن ابن عباس . و نقله الواحدي في الوسيط: ١/ ٢٣١ و في أسباب النزول : صـ ٤٤ بلا سند. وقال السيوطي في الدر: ١/ ١٤٧ :(أخرج الثعلبي من طريق السدي الصغير عن الكلبي الخ فذكره) و نقله أيضا السمعاني : ١/ ١٥٣ والبغوي و غيرهم بلا سند: ١/ ١٦٤ و ممن نقله ابن النحاس في معاني القرآن: ٢/ ٤٠٧ .
و نقله ابن كثير: ١/ ١٩٥ عن القرطبي و هو في تفسير القرطبي: ٢/ ١٦٣ . فهو يدور على الكلبي. و نقله الحافظ ابن حجر أيضا عن تفسير يحي بن سلام عن الكلبي. العجاب: صـ٢١٦ . وعن ابن جريج :(زعموا أنّ بعض أهل المدينة من أهل الكتاب ممن أسلم قال والله لنحن أعرف به منا

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ في كتابهم ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنه نبيٌّ مرسلٌ ، ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [١٤٧] يا محمد و إنّها قبلة إبراهيم يعلمها اليهود ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ الشاكّين في أنّ هذا هو الحقّ و الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلّم و المراد به الأمة لأنه لم يكن يشكّ .

و قوله: ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ رُفِعَ بالابتداء و إن شئتَ بفعل مضمرٍ كقولك: و جاءك في هذه الحق وإنْ شئتَ بالخبر أي هذا الحقّ من ربِّك. و عن علي رضي الله تعالى عنه : (الحقَّ من ربك) بالنَّصب (١)على الإغراء أو على البدل من شطر المسجد .قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[الآية: ١٤٨] أي لكلِّ أهل دينٍ قبلة هو مولِّيها و قُرِأ (هو مُولَّاها) (٢)فمن قرأ ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ (٣) أي هو يُولّي وجهه إليها و قيل الله مُولّيها إياه ، ومن قرأ (مُولاّها) كأنه يقول هو مصروفٌ إليها.

بأبنائنا من الصفة والنعت الذي نجده في كتابنا وأما أبناؤنا فلا ندري ما أحدث النساء): رواه الطبري : ٩/ ١٨٧ في سورة الأنعام وعزاه في الدر إلى ابن جرير و ابن المنذر: ١/ ٣٥٦

(١)إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٧٠ و فيه في توجيهها : قال: يعلمون الحقّ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٣ و فيه أيضا توجيهها بأنها نصب على الإغراء و مختصر في الشواذ لابن خالويه: صـ ١٠ و البحر: ١/ ٤٣٦

(٢) هي قراءة : ابن عامر من السبعة: السبعة لابن مجاهد: صـ ١٧١ و الروضة لأبي علي المالكي: ٢/ ٥٤٩ والنشر: ٢/ ٢٢٣ و تروى أيضا عن ابن عباس و غيره : جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٧٨ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٣ و البغوي: ١/ ١٦٤ و القرطبي:٢/ ١٦٤ و البحر: ١/ ٤٣٧

(٣) ينظر- مع المصادر السابقة-: الكشف لمكي: ١/ ٢٦٧ و زاد المسير: ١/ ١٥٩

و قيل معناه لكلّ أمة جعلنا قبلة يرضونها ويستقبلون و يتوجّهون إليها (١) يقال هذا وجهُ الأمر ،و جهة الأمر و وِجهة الأمر قال الزّجّاجُ (٢) وجهٌ وجِهَةٌ و قيل الوِجهةُ المصدرُ من التوجّه كالقِعْدة و الجِلْسة و المِشْية ،و تأويله متوجّهٌ يَتوجّه إليه المصلي في صلاته (٣).

و قوله: ﴿مُوَلِّيهَا﴾ (١٠٧ و) إنما وحَّد لأجل لفظِ كلّ و المعنى لكلّ أهل ملة قبلة و هم مستقبلوها ، وقال سعيد بن جبير (٤): لكلٍّ طريقة و هو مجبولٌ عليها .

و قيل هذا كقوله : ﴿ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ (٥) [الإسراء:٨٤]. قال الحسن (٦)هو كقوله : ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا ﴾ [الحج:٦٧].

﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ أي بادروا إلى الطاعات، وقيل إلى ما أمركم به من التوجّه إليه مِنْ أمر القبلة.

---

(١) قال الماوردي: فيها قولان: يعني قراءة الجمهور: (موليها): (١- أنّ أهل كل وجهةٍ هم الذين يتولونها ويستقبلونها. ٢- أن أهل كل وِجهة الله تعالى هو الذي يوليهم إليها و يأمرهم باستقبالها)اهـ. ١/ ٢٠٦ و ينظر المصادر السابقة.

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ١٩٧ وعبارته في المطبوع: (هذه جهة و وَجهةٌ و وِجهةٌ)

(٣) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٧٦

(٤) لم أجده. وفي أحكام القرآن للجصاص: (وقال الحسن: طريقة وهو ما شرع الله تعالى من الإسلام): ١/ ١١٢

(٥) في الأصل سقطت ﴿عَلَى﴾ من الآية.

(٦) التفسير الكبير للرازي: ٤/ ١١٩ و البحر: ١/ ٤٣٧

﴿ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ أيْ أينما تكونوا يجمعكم الله للحساب، وقيل معناه: يقبض الله أرواحكم (١)، وقيل إنّه في المؤمنين خاصةً ومعناه: إنّ الذين سبق في عِلْمِ الله أنهم يُصلّون إلى الكعبة فأينما يكونوا في شرق الأرض و غربها و في أصلابِ الآباء وأرحامِ الأمهات يجمعهم الله على التوجّهِ إلى هذه القبلة (٢).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ من البعثِ و غيره. وقرأ ابنُ عامر و حده : (مُوَلاّها)وقرأ الباقون (مولّيها) (٣).

قوله: ﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ ﴾ [الآية: ١٤٩] يقول أيُّ موضعٍ خرجتَ وإلى أي موضعٍ توجّهت فولّ يا محمد وجهك أي حوّل وجهك شطرَ المسجد الحرام و قد مضى معناه.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ يعني به التوجّه إلى القبلة لَلْحقّ من ربك أي بأمره و حكمه .

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ أي ليس بساهٍ عن أعمالكم لكنه محصِيها عليكم ومجازيكم بها.

قوله: ﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾ [الآية :١٥٠] هذا عامّ في جميع الصلوات إلا ما استثناه على لسان الرسول صلى الله عليه و سلّم من صلاة المسافر في النفل وغيره من المواضع عند تعذّر الوصولِ إلى القبلة .

---

(١) تفسير السمرقندي: ١/ ١٢٨

(٢) لم أجد من فصل القول في هذه الآية كما صنع المصنف رحمه الله . و ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٨٠ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٤ والبسيط:١/ ٤٣٨ و الوسيط: ١/ ٢٣٠ والبحر: ١/ ٤٣٩

(٣) تقدّم تخريجها قريبا:صـ٩٠٦.

و قوله: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ يريد بالنّاس من أهل الكتاب خاصّة أي هم وجدوا في كتابهم أنّ محمداً ﷺ تُحَوَّل قبلته، و إذا توجهتم إلى الكعبة ليس لهم حجة يقولون قد وجدنا في كتابنا أنهم يُحوّلون القبلة فهلاّ حوّلوها (١)أو فلماذا لا يُحوّلون القبلة (٢).

و قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ﴾ استثناءٌ منقطِعٌ من أوّل الكلام أي لكن الذين ظلموا منهم يحاجّونك بالباطل و هذا كما يُقال ليس لفلانٍ حجة إلا أنْ يُحاجّك بالباطل والباطل لا يكون حجّةً.

و قال أبو عبيدة (٣):﴿ إِلَّا ﴾ ههنا بمعنى واو النّسق و معناه لئلا يكون للناس عليكم حجة ولا للذين ظلموا أيضاً عليكم حجةٌ فيُريد بالنّاس أهلَ الكتاب ،و بالظالمين المشركين منَ أهل مكة حينَ عيّروه بالتحوّل إلى الكعبة، و قالوا إنه مال إلينا و إلى مولده و إنه يرجع إلى ديننا.

و قال الفراء (٤): هذا في المعنى صوابٌ و في اللفظ خطأٌ و إنما يكون (إِلَّا) بمنزلة الواو إذا عُطِفت على استثناء قبلها كقولك: لي على فلانٍ ألفٌ إلا عشرةً إلا مائةً ، و المعنى لي عليه ألف إلا عشرة و مائة إلا أنك أغفلتَ المائة ثم استدركتها فقلت اللهمّ إلا المائة ؛قال الشاعر(٥):

ما بالمدينة دارٌ غيرُ واحدةٍ دارُ الخليفة إلا دارُ مروانا

---

(١) في النسخة (ل) : حولاه.

(٢) ينظر:جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٨٣ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٥و الوسيط: ١/ ٢٣٢

(٣)مجاز القرآن: ١ / ٦٠ و لفظه: ليس بموضعِ استثناء ، إنما هو موضع واو الموالاة .. يعني النسق. وتابعه عليه مع اختصار الأخفش : معاني القرآن له: صـ١٣

(٤) معاني القرآن للفراء: ١/ ٧٣ و عبارته: صواب في التفسير خطأ في العربية.

(٥) البيت منسوب للفرزدق: في الوساطة بين المتنبي و خصومه: صـ٤١٦ و هو غير منسوب في :معاني القرآن للفراء: ١/ ٧٣و الأصول في النحو لابن السراج: ١/ ٣٠٣ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٦ و تفسير القرطبي: ١٦٩/٢

يعني إلا دارُ الخليفة و دارُ مروانا .و مذهبُ أبي عبيدةَ صحيحٌ (١) و له فيه شواهد .

ويُحكَى عن الأزهري (٢) أنّه قال: لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا على الذين ظلموا فحُذِفُ حرف الجرّ وذلك قولُ قطربٍ (٣)فحصل الجواب عن معنى قوله:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ على وجوهٍ (٤): أحدُها: أنْ يكونَ استِثناءً منقطِعاً بمعنى لكن نحو ﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء:١٥٧] وكقولهم : ما له عليّ حقٌّ إلا التعدِّي و الظلم .

و الثاني: أن يكون الحجة بمعنى المحاجة كأنه قال : إلا الذين ظلموا فإنهم يُحاجّونك بالباطل (٥).

و الثالث: قول أبي عبيدة أنْ يكون إلا بمعنى الواو.

و الرابع: قول قطربٍ بإضمار على أي لئلا يكون للناس عليكم حجة .

وروى أبو بكر بن مجاهد (٦) (إلى الذين ظلموا منهم) خفيفة بمعنى مع (١).

---

(١) ضعفه الفراء كما تقدّم و كثير من حذاق النحويين يضعفونه و يقولون ليست (إلا) بمعنى الواو: جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٨٨ و البحر: ١ / ٤٤٢ و الدر المصون: ١/ ٤٠٨

(٢) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٧ وفيه: أي (إلا على الذي ظلموا فإن عليهم الحجة).

(٣) قال قطرب: (موضع الذين خفض لأنه بدل من الكاف والميم في عليكم، كأنه قيل لئلا يكون عليكم حجة إلا الذين ظلموا فإنه يكون حجة عليهم وهم الكفار)اهـ. تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٧ و التفسير الكبير للرازي: ٤/ ١٢٧ و البحر: ١/ ٤٤٢

(٤)جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٨٨ و أحكام القرآن للجصاص: ١/ ١١٣ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٥ – ١٧ والتمهيد لابن عبد البر: ١/ ٦٢ و الوسيط: ١/ ٢٣٢ و تفسير القرطبي: ٢/ ١٦٩ و التفسير الكبير للرازي: ٤/ ١٢٧ والبحر: ١ / ٤٤٢

(٥)الراجح من حيث المعنى أن الاستثناء متصل، و قد اختاره الطبري: وقال حِجَاجُ القوم إنما هو الخصومات و الجدال وقال إن الذين ظموا منهم (مشركوا العرب من قريش فيما تأوله أهل التأويل)٢/ ٦٨٣ و بدأ به ابن عطية: ١/ ٢٢٥ وقال : (و المعنى أنه لا حجة لأحد عليكم إلا الحجة الداحضة للذين ظلموا يعني اليهود و غيرهم)اهـ. و لم يذكر الزمخشري غيره: ١/ ٣٢٢ و رجحه أبو حيان :١/ ٤٤١

(٦) في الأصل : (عن) مجاهد بدلا من (بن) مجاهد. و صوبتها أبو بكر بن مجاهد. لما سيأتي. و أما أبو بكر بن

﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾ قيـل يخـصّه قولـه ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران :٢٨] وقيل فلا تخشوهم في التوجّه إلى الكعبة و اخشوني في مخالفة أمـري بـأنْ تتركـوا أمري و تتبعوا أهوائهم .

وقال السديّ(٢): فلا تخشوا النّاس أنْ أردَّكم في دينهم، واخشوني في أنْ أعاقبكم عـلى مخالفـة أمري.

وقيل لما ذَكَرهم بالظلم و الاستطالة في الخصومة طيّب نفوس المؤمنين بأنْ لا يلتفتوا إليهم.

﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي ﴾ عن أميرِ المؤمنين علي رضي الله تعالى عنـه أنـه قـال (١) : (إتمـام النعمـة الموت على الإسلام).

مجاهد فهو الإمام أحمد بن موسى بن العباس شيخ عصره في القراءات مصنف كتاب السبعة في القراءات و غيره مولده سنة: ٢٤٥هـ. ببغداد سمع خلقا و قرأ عليه أمم قال الـذهبي (قـرأ عليـه أمـم لا يحـصون) معرفة القراء: ٢/ ٥٣٦ و أثنى عليه الإمام الداني و الخطيـب و غـيرهم ووثقـوه. ترجمتـه في كتـب كثـيرة منها:(تاريخ بغداد: ٥/ ١٤٤ و معجم الأدباء : ٥/ ٦٥ – ٧٣ و معرفـة القـراء: ٢/ ٥٣٣ – ٥٣٨ وسـير النبلاء: ١٥/ ٢٧٢ و طبقات الشافعية الكبرى: ٢/ ١٠٢)

(١) في تفسير الثعلبي: ٢/ ١٦ (روى أبو بكر بن مجاهد عن بعضهم أنه قرأ (إلى الذين ظلموا) مخففـة يعني مع الذين ظلموا). و في البحر لأبي حيان : ١/ ٤٤١ (و نقل الـسجاوندي عـن أبي بكـر بـن مجاهد أنه قرأ: (إلى الذين ظلموا) جعلها حرف جرٍّ و تأولها بمعنى مع)اهـ. فقد اتفق المصنف مع الثعلبي قبله و بعدهم أبو حيان على وصف القراءة بأنها : (إلى الذين) بمعنى مع وهي من الشواذّ. ثم إنّ الصواب أن ابن مجاهد إنما رواها لبعضهم كما في تفسير الثعلبي و كما في كلام المصنف هنـا . و لم يقرأ بها ابن مجاهد. فإن ابن مجاهد إمام ثقة و له كتب في القـراءات غـير كتـاب الـسبعة، و لـه كتاب في الشواذّ، و ممن ينقلُ عنه ما ينقلـه مـن القـراءات في الـشواذّ : ابـن جنـي في المحتـسب في مواضع كثيرة جدا و صرّح بأنه من كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهـد في شـواذ القـراءات في مواضع كثيرة منها: في مقدمة المحتسب: ١/ ٣٥ و ينظر: معرفة القراء: ٢/ ٥٣٧ ففيه جواب ابـن مجاهد لرجل سأله لم لا يختار لنفس حرفاً يحمل عنه .

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٩١ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٥٩ (١٣٩٠)

وقيل إتمام النعمة عليهم في الدنيا بالنصرة على الأعداء وإظهار الدين وفي الآخرة بالمغفرة والرحمة والوصول إلى جزيلِ الثّواب .

﴿ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ ترشدون وقيل لا تخشوا الناس في تظاهرهم عليكم في المحاربة والمحاجة فإني وليكم أظهركم عليهم بالحجة.

﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِى عَلَيۡكُمۡ﴾ بطاعتكم في الدنيا أنصركم على عدوكم وأورِثُكُم أرضهم وديارهم وأموالهم، وأما في الآخرة فرحمتي وجنتي وأقيكم العذاب.

والحُجة فُعلة من الحجّ وهو القَصْد والَمحجّة الطريقة المسلوكة، والُمحاجّة المخاصمة وذلك قصد كل واحدٍ من الخصمين إلى إقامة بينته وإبطال ما في يد صاحبه.

قوله: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً ﴾ [الآية :١٥١]، وقيل الكافُ في قوله:﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا ﴾ منْ صلةِ (١٠٨ و) ما قبلها تقدُيرُه فلا تخشوهم واخشوني و لأتمّ نعمتي عليكم كما أرسلت فيكم رسولا[٢] فيكون إرسال الرسول شرطاً للخشية و مؤذنا بإتمام النّعمة، وقيل معناه و تقديره لعلكم تهتدون كما أرسلنا فيكم، وقيل جعل الكاف جوابا مقدّما ومعناه فاذكروني كما أرسلنا فيكم رسولا .

و يجوز أنْ يكون الجزاء له جوابان نحو قولك إذا جاءك فلانٌ فأته فرضّه، فقد صارت فأته وفرضّه جوابين ، و قيل معناه أنه خاطب مشركي العرب فقال كما أرسلنا فيكم محمداً صلى الله عليه وسلم و هو رجل منكم أمّي يتلو عليكم آياتنا فكما أنعمت عليكم برسالته فاذكروني

---

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٧ و البغوي: ١/ ١٢٨ و ذكره في الفتح السماوي: ١/ ١٩٦ و سكت عنه فلم يخرجه.

(٢) اختار الطبري هذا التقدير: ٢/ ٦٩٢ و بدأ به الثعلبي: ١/ ١٨

بتوحيدي و تصديقي أذكركم برحمتي و مغفرتي و اشكروا لي هذه النعم التي أسبغتها عليكم (١).

و قوله : ﴿ رَسُولاً مِّنكُمْ﴾ أي من العرب يتلو عليكم أي تاليا عليكم قارئا آياتنا القرآن ويزكيكم قيل يُصلحكم بالزّكاة و يطهِّركم من الذنوب و يعلمكم الكتاب القرآن و الحكمة يعني الفقه و العلم و مواعظ القرآن و يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من أحكام الدّين والأخبار الماضية و قصص الأنبياء و الحوادث التي تكون مما نطق به القرآن.

قوله : ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية :١٥٢] قال ابن كيسان (٢): كما أنعمتُ عليكم بإرسال محمد ﷺونبوته فاذكروني بالشكر على هذه النعمة أذكركم بالرحمة و المغفرة.

و قيل اذكروني أطيعوني أرحمكم و قيل أطيعوني أَتبْ عليكم، و قيل اذكروني بتوحيدي وتصديقي أذكُركُم بمغفرتي و رحمتي.

و في الخبر (٣): من أطاع الله فقد ذكر الله و إنْ قلّت صلاتُه و صيامُه و تلاوتُه القرآن، و من عصى الله فقد نسي الله و إن كثرت صلاته و صيامه و تلاوته القرآن .

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٩٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨ و الوسيط: ١/ ٢٣٣ و المحرر: ١/ ٢٢٦ و البحر: ١/ ٤٤٣

(٢) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٩ عن ابن كيسان: اذكروني بالشكر أذكركم بالزيادة.

(٣)رواه ابن المبارك في الزهد : ١/ ١٧ و من طريقه البيهقي في شعب الإيمان :١/ ٤٥٢ والواحدي : في الوسيط: ١/ ٢٣٤ عن خالد بن أبي عمران مرسلاً. وعزاه السيوطي في الدر: ١/ ٣٦١ إلى :سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان. و له طريق أخرى مرفوعة لكنها ضعيفة جدا فيها رجل مجهول و آخر متروك رواها: الطبراني في الكبير : ٢٢/ ١٥٤ و ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٤/ ٢٨٦ كلاهما من حديث واقد مولى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم (قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه الهيثم بن حمّاد و هو متروك)اهـ. مجمع الزوائد: في كتاب الصلاة : باب من أطاع الله فقد ذكره وإن قلّت صلاته .و ينظر: الإصابة: ٥/ ٥٩٥

و عن سفيان بن عيينة (١): أن الله تعالى قال أَعطيت عبادي ما لو أعطيته جبريل وميكائيل كنت قد أجزلتُ لهما قلت:(اذكروني أذكركم)و قلتُ لموسى قلْ للظلمة لا تذكروني فإني ذاكرٌ من ذكرني و إنّ ذكري إياهم أنْ ألعنَهم .

قال ثوبان (٢) : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفرٍ فقال المهاجرون و دِدنا أنْ نعلَمُ أيّ المال خير الذهب أو الفضة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليتّخِذ أحدكم لسانا ذاكراً و قلباً شاكراً وزوجةً مؤمنة تعينُهُ على إيمانِهِ) .

---

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢١ قال الواحدي: (معنى الذكر: حضور **المعنى** للنفس، ثم يكون تارة بالقلب، وتارة بالقول، وليس موجبه أن يكون بعد النسيان؛ لأنه يستعمل كثيرًا دون أن يتقدمه نسيان)اهـ. البسيط: ١/ ٤٧٩

(٢) حديثٌ حسن،رواه الترمذي: (٣٠٩٤) كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة: و قال حديث حسن و ابن ماجة: كتاب النكاح: باب أفضل النساء: ١/ ٣٥٢ و أحمد في المسند : ٥/ ٢٨٢ و في الزهد: صـ ٢٦ و الروياني في مسنده : ١/ ٤٠٦- ٤٠٧ و الطبري في تفسيره: ١١ / ٤٢٩ في تفسير سورة التوبة آية: ٣٤ و في تهذيب الآثار: (٤٥١ – مسند ابن عباس) و الطبراني في الأوسط: (٢٢٧٤) وأبو نعيم في حلية الأولياء: ١/ ١٨٢ – ١٨٣ كلهم عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان رضي الله تعالى عنه مرفوعا . قال الترمذي: حديثٌ حسن سألتُ محمد بن إسماعيل يعني البخاري فقلتُ له سالم بن أبي الجَعْد سمع من ثوبان فقال لا. و قال البوصيري في مصباح الزجاجة:١/ ٥٩٦ : (لم يسمع سالم بن أبي الجعد من ثوبان قاله أحمد وأبو حاتم والبخاري وغيرهم)اهـ. قلتُ: و له علة أخرى فقد رواه سفيان الثوري عن منصور عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد مرسلاً، لم يذكر فيه ثوبان، رواه عن الثوري عبد الرزاق في تفسيره في تفسير سورة التوبة: ٢/ ٢٧٣ و من طريقه الطبري في تفسيره: ١١/ ٤٢٩ و في تهذيب الآثار(٤٥٠- مسند ابن عباس) و ابن أبي حاتم: ٦/ ١٧٨٨ . كما رواه الطبري أيضا مرسلا من طريق مؤمل عن الثوري: ١١/ ٤٢٨. وله شواهد ذكرها الزيلعي: في تخريج أحاديث الكشاف: ٢/ ٦٩ ومن شواهده ما عند الطبراني في الكبير: ٨ / ٢٠٥ من حديث أبي أمامة ١١/ ١٣٤ ومن حديث ابن عباس. قال الزيلعي: (و الحاصل أنه حديث ضعيف لما فيه من الاضطراب)اهـ. قلتُ: هو مرسلٌ صحيح الإسناد، و له شواهد يتقوى بها.

قوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [الآية :١٥٣] الصبرُ هو الإمساك و الحبس في اللغة ، والصلاة هي الدّعاء في اللغة، و قيل الصبر ههنا الصوم و قيل الصبر على اجتناب المناهي وأداء الفرائض و ترك الجزع عند المصائب أراد بها الصلوات المفروضة، وقِيلَ أراد به الدّعاء نفسَه.

و قال الزجّاج (١): أصل الصلاة اللزوم يقال صلّى الرجل و اصطلى إذا لزم و قيل هي من صِلْوَي الفرس جانبي الذنب، سُمّيت الصلاة صلاة لأنه يُجمَعُ فيها الصِّلْوان و الصّلوان من الإنسان مركَبُ الفخِذين، و هي في الحقيقة جانبي العُصْعُصُ (٢).

وقيل استعينوا بالصّبر على الصّلاة، و قيل بالصبر على المحن و بالصلوات أي استعينوا بهما على استجلابِ ثواب اللهِ غداً .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ على أداء الفرائض و الصلاة يعني معهم بالإحسان و التوفيق وجزيل الثواب.

قوله : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: ١٥٤] نهاهم أنْ يُسمّوا الشهداء أمواتاً و أخبرَ أنهم أحياءٌ. و رفعُ قوله : ﴿أَمۡوَٰتُۢ﴾ بإضمارٍ مكنيّ و تقديره و لا تقولوا هم

---

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٠٢ و رجح القول الأول أعني أنها من اللزوم. وقد تقدّم ذكر معنى الصلاة لغة. ينظر: صـ٤٠٠.

(٢) في لسان العرب: (العُصْعُصُ و العَصْعَصُ و العُصَصُ و العُصُصُ و العُصْعُوصُ: أَصل الذنب، لغات كلها صحيحة): مادة: عصص.

أموات (١) و الاسمُ الذي بعد القول لا ينصَب إلا إذا كان بمعنى الحديث مثل أنْ يقال قلتُ خيرا و قلتَ شرّاً كأنك قلتَ كلاماً حسنا أو قبيحاً (٢).

ولمّا كان الموتُ يحتمل أمرين الكفر و مفارقة الرّوح نهاهم عن تسميتهم أمواتاً، و قيل بل أحياءٌ في دينهم (٣) و قيل أحياءٌ بحياة ذِكْرِهِم و ثَناءِ الله عليهم كما قيل (٤):

موت التّقي حياة لا انقضاء له قد مات قومٌ وهم في الناس أحياء

---

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٠٠ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٧٢ و الفريد في إعراب القرآن: ١/ ٣٩٤

(٢) المحرر: ١ / ٢٢٧ و الفريد: ١/ ٣٩٤ و فيه (لا يجوزُ النّصب لأنها ليست في موضع مصدر)اهـ. والأصل فيما بعد القول أنْ يورد محكيا فإذا كان المتعلّق به مُفردا بمعنى جملةً نُصِب بالقول نحو قولك (قلتَ مثلا و قلتَ حديثا و شعرا): شرح الكافية لابن مالك: ٢/ ٥٦٧ و أمّا نصب ما بعد القول فبشروط و ذلك أنّ المشهور أنّ للعرب في ذلك مذهبينِ أحدُهما وهو مذهب عامة العرب أنه لا يجرى القول مجرى الظن إلا بشروط أربعة : أن يكون فعلا مضارعا ، مسندا إلى مخاطب متصلا باستفهام و أن لا يفصل بينه وبين الاستفهام بغير ظرف أو جار و مجرور أو أحد المفعولين :مثل (أتقول زيداً منطلقاً) فيجوز النصب في (زيد منطلق) و يجوز تركه ورفعهما على الحكاية: شرح الكافية لابن مالك: ٢/ ٥٦٧ وشرح ابن عقيل: ٢/ ٦١ ؛و عند قبيلة من العرب وهم سليم يجرون القول مجرى الظن فينصبون به مطلقا

قال ابن مالك في الخلاصة :

وأُجرِيَ القولُ كظنٍّ مطلقا *** عندَ سُلَيمٍ نحوُ قلْ ذا مشفقَا

باب ظن و أخواتها.

(٣)ذكره الزجاج: ١/ ٢٠٠ ولكنه رجّح القول بأنه على الحقيقة و هو الصحيح و ينظر الحاشية التالية فهو مهم.

(٤)ذكر هذا البيت في ترجمة معروف الكرخي فقيل رُؤي معروف الكرخي في المنام فقيل له ما صنع الله بك فأنشد هذا البيت. تاريخ بغداد: ١٣ / ٢٠٧ في ترجمة معروف الكرخي.

و الأصحّ أنّهم على الحقيقة أحياءٌ لقولهِ في غير هذا الموضع ﴿ يُرۡزَقُونَ ﴾(١) [آل عمران:١٦٩].

وقوله : ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ ما هم فيه من النَّعِيم و الكرامة و قيل لا تشعرون بحياتهم وقيل لهم أجنحةٌ يطيرون بها فيأكلون من ثمار الجنة و يشربون من أنهارها و يأوونَ إلى قناديل معلَّقة تحت العرش (٢).

و قِيلَ نَزَلَتْ الآية في قتلى بدرٍ من المسلمين (٣) .

و عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (٤): أرواح الشّهداء في حواصل طيرٍ خضرٍ و أرواح العلماء في قناديل معلقة من العرش.

---

(١)الصحيح كما قال المصنف أنّ أرواحهم على الحقيقة أحياءٌ لأنه ظاهر البراهين من الكتاب و السنة و لم يذكر جماعة من جلة المفسرين في ذلك خلافاً، و ممّن لم يذكر فيه اختلافا أصلا و مشى على القول بأنه على الحقيقة الطبري و الثعلبي و الواحدي في وسيطه و البغوي و ابن عطية و الزمخشري و ابن الجوزي و ابن كثير وغيرهم، و حكى آخرون الخلاف في هذا كما ذكره المصنف و ممّن ذكره الزجاج و الرازي و أبو حيان. وهو خلاف لا يلتفت إليه لظهور مخالفته لظواهر الكتاب و السنة و أقوال السلف ينظر: (جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٩٩ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢١ – ٢٢ و الوسيط: ١/ ٢٣٦ والبغوي: ١/ ١٦٨ والمحرر: ١/ ٢٢٧ و زاد المسير: ١/ ١٦١ وتفسير ابن كثير: ١/ ١٩٨ و البحر: ١/ ٤٤٨)

(٢) ينظر ما سيأتي بعد قليل في الحديث المرفوع .

(٣) تفسير مقاتل: ١/ ٧٨ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢١و لم يسنده و أسباب النزول للواحدي: بلا سند: ٤٤ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٢٠٩ والبغوي: ١/ ١٦٨ و العجاب لابن حجر: صـ ٢٢٠ و في الوسيط للواحدي: ١/ ٢٣٦ : كان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا و لذّتها فأنزل الله هذه الآية.

(٤) شطره الأول(أرواح الشّهداء في حواصل طيرٍ خضرٍ) ثابت و رد فيه أحاديث منها ما في صحيح مسلم: عن مسروق قال سألنا عبد الله هو ابن مسعود عن هذه الآية ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

وقال مجاهد (١):يُرزقون ثمرَ الجنّة، و يجدون ريحها وليسوا فيها.

قوله : ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ﴾ [الآية :١٥٥] النون فيه للتأكيد و الّلام كالقَسَم في المعنى وبعضهم قال: اللام جواب قسمٍ محذوفٍ و معناه : (و الله لنبلونكم) قيل معناه لنخبرنكم وقيل لنبتلينكم و قِيلَ معناه لنبلونكم بشيء من الخوف و شَيء من الجوع وشَيء من نقص الأموال؛ و شَيء من الخوف يعني الفزع في القتل من العدوّ ﴿وَٱلۡجُوعِ﴾ يعني المجاعة و قِيلَ الفقر ﴿وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ يعني ذهاب أموالهم، و يقال هلاك المواشي ﴿وَٱلۡأَنفُسِ﴾ يعني الموت والقتل ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ يعني أنْ لاتخرج الثمرة كما كانت تخرج . (٢)

قال الله: (و بشّر) يا محمد (الصابرين) على أمر الله و هذه المصائب بالجنّة و هم الذين إذا أصابهم مصيبة من هذه المصائب قالوا إنا لله مِلكاً و إنا إليه راجعون قضاءً و حكماً.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ [آية:١٥٧] أي رحمة و ثناءٌ و نعمةٌ و أولئك هم المهتدون إلى الاسترجاع فبشّرهم بهذه الثلاث الخِلال.

أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾.قال أمَا إنّا قد سألنا عن ذلك فقال: أرواحهم في جوف طير خُضرٍ لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل .. الحديث) (ح١٨٨٧) في كتاب الجهاد، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون . و في الباب أحاديث أخرى في المسند و السنن و غيرها : ينظر: سنن أبي داود: ٣/ ١٥ و مصنف عبد الرزاق: ٥/ ٢٦٤ و المسند: ١/ ٢٦٦ والتمهيد لابن عبد البر: ١١/ ٦٠ -٦٤ و الفتح الرباني: ١٤/ ٢٨ . وينظر: أقول السلف في: الطبري: ٢/ ٧٠١ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٦٣ والدرالمنثور: ١/ ١٥٥ وأما الشطر الأخير من الحديث المتعلق بأرواح العلماء فما عثرتُ عليه.

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٦٩٩ و ابن أبي حاتم: ٢/ ٨١٣ (٤٤٩٥) و الدر: ١/ ١٥٥ و عزاه أيضا لابن المنذر.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٠٤- ٧٠٥ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٢

وقال أبو بكر الوراق (١): في قوله : ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٥٦] إقرارٌ بالملك و إنّا إليه راجعون إقرارٌ على أنفسنا بالهُلك.

وقال سعيد بن جبير (٢): أعطى الله هذه الأمّة في المصيبة ما لم يُعطِ يعقوبَ النّبي عليه السلام فإنه قال في فقدِ يوسف ﴿يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٤] و لم يكن له الاسترجاع .

وقال عكرمة (٣) : طَفِئ سِراجِ النبي صلى الله عليه وسلم فقال :إنّا لله و إنا إليه راجعون قيل يا رسول الله أمصيبة هي؟ قال نعم كلّ شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة و أجرٌ .

و عزى محمد بن السمّاك بعضَ الأمراء فقال : قد فاتك ما رُزِأتَ فلا يفوتنّك ما عوّضت وأخذه الشاعر (٤):

إنْ يكن ما أُصبتَ فيه جليلاً ... ففواتُ العزاء فيه أَجَل

قال الشافعي رضي الله عنه (٥):﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٍ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ﴾ يعني خوف الله ﴿وَٱلۡجُوعِ﴾ يعني جوع شهر رمضان ﴿وَنَقۡصٍ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ يعني الصدقات والزكاة

---

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٣

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٠٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٦٥ (١٤٢٢) و البيهقي في شعب الإيمان: (٩٦٩١) ٧/ ١١٧

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٣ وعزاه السيوطي في الدر: ١/ ٣٨٠ إلى : عبد بن حميد وابن أبي الدنيا في العزاء؛ و عن عمران القصير: نحوه (أخرجه أبوداود في المراسيل: (رقم ٤١٢)

(٤) البيت لصالح بن عبد القدّوس في : البيان و التبيين: ٢/ ٧٤ مع بيت بعده و ٢/ ١٤٠ و روايته فيه:

إنْ يكنْ ما به أُصِبتَ جليلاً ... فذهاب العزاء فيه أجلْ

و الحيوان للجاحظ : ٥/ ٥٠٥ و فيها كلها : فذهاب العزاء بدل ففوات و عيون الأخبار لابن قتيبة: ٣/ ٥٢ و فيه: فلفقد العزاء .

(٥) نقله فخر الدين الرازي عن الشافعي : التفسير الكبير: ٤/ ١٣٧ إلى قوله (الأولاد).

﴿وَٱلۡأَنفُس﴾ الموت والأمراضُ ﴿ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ يعني الأولاد، لأنّ و لد الرجل ثمرةَ قلبه وروي عن النبي ﷺ أنه قال (١):

(إذا قبضَ اللهُ وَلَدَ عبدٍ و صارتْ إليه الملائكة قال الله: أقبضتم قرّةَ عينِ عبدي و ثمرة قلبه، فيقولون نعم، فيقول الله تعالى فما صنع عبدي قالوا: صبر و احتسبَ فيقول الله تعالى ابنوا له بيتا في الجنة و سَمُّوه بيت الحمد).

ورُوِيَ عن الكسائي (٢):﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ بكسر النُّون (١)و الإمالة في هذا خاصةً، قال الفرّاء (٢): هذا في {الترجيع} (٣) مع اللام لأنّها من كثرة ما استُعملتْ صارت كالحرف الواحد

---

(١) رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم أخرجه من طريقه الترمذي : كتاب الجنائز، باب فضلِ المصيبة إذا احتسب (ح ١٠٢١)وقال حديث حسن غريب ، و ابن حبان في صحيحه(٢٩٤٨) وابن المبارك في الزهد : (١٠٨) و أبو داود الطيالسي (رقم٥٠٨) و أحمد : (٤/ ١٥ (ح ١٩٧٤٠ و ١٩٧٤١) و عبد بن حميد في مسنده: ١/ ١٩٤ والبيهقي في الكبرى: (٤/ ٦٨) وفي شعب الإيمان: (٩٦٩٩).

و هو عندهم جميعاً من طريق: حماد بن سلمة عن أبي سنان قال دفنتُ ابني سناناً، وأبو طلحة الخولاني جالس على شفيرِ القبرِ فقال حدّثني الضحاك بن عبد الرحمن بن عـزْرب عن أبي موسى به. قال البيهقي في شعب الإيمان: وقفه أبو أسامة ثم رواه (٩٧٠٠)من طريق أبي أسامة – و هو حماد بن أسامة من رجال الشيخين- عن عيسى بن سنان – وهو أبو سنان - عن الضحاك بن عبد الرحمن عن أبي موسى به موقوفا. وينظر: تهذيب الكمال: ٣٣/ ٤٤٠ و تفسير ابن كثير: ١/ ١٩٩

(٢)ذكر أبو طاهر بن غلبون في التذكرة : ١/ ٢٩٤ إمالة نصير عن الكسائي النون من (إنا لله) خاصة و ذكر أبو علي المالكي في الروضة: (١/ ٣٦٥) إمالة قتيبة اللام من (لله) حيث وقع إذا كان مخفوضا بلام الملك، كما ذكر أنّ قتيبة و نصير جميعا يميلان النون في حرف واحد و هو (إنا لله) في سورة البقرة . و ذكر ابن الجزري في النشر عرضا عند تمثيله لأسباب الإمالة: ٢/ ٣٤ رواية قتيبة عن الكسائي إمالة الألف بعد النّون من قوله (إنا لله).

و ذكر أبو العلاء الهمذاني: إمالة (لله) عن قتيبة في بعض الطرق: غاية الاختصار: ١/ ٣٢٢ . و

قوله:﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية ١٥٨] . الصفا في اللغة الحجارة الصلبة الصّلْدة التي لا تُنبِت شيئا و هو جمع صَفاة مثل حصى و حَصاة و قطا و قطاةٍ. و المروة الحجارة الليّنةُ(٤)، و قيل الصّفا الحجر الأملس الذي يصفو عن مخالطة التراب و غيره، و هو واحد وتثنيته صَفَوانِ و الجمع أصفاء و صَفِيّ، و المروة الحجارة الصّغيرة و جمعها في القليل مَرْواتٌ و في الكثير مَرْوٌ، و قيل المروة الحجر الصّلب عن بعض أهل اللغة وهما في هذين الموضعين اسمُ جبلين معروفَين (٥).

أجمعها ما في الروضة. وقال أبو معشر الطبري في الجامع في القراءات العشر- رسالة دكتوراه – تحـ – د/ محمد سيدي الأمين : ١٤٠٧هـ بالجامعة الإسلامية- قراءة قتيبة و نصير بالإمالة فيهما جميعا أي في (إنّا لله). ١/ ٤١٩ (وفي تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٣ (أمالَ نصيرُ النون في قوله(إنا لله) و أمال قتيبة النون و اللام جميعا)اهـ و ينظر أيضا : إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٧٣ .

(١)النون هنا محال أنْ تكسر و إنما تمال الألف إلى الكسرة و التعبير بالكسر هنا قاله الفراء فغلّطه الزجاج : ١/ ٢٠٣ و لم يصرح الزجاج باسم الفراء لكن قال: زعم بعض النحويين أن النون كُسرتْ و غلطه أيضا ابن النحاس و صرح باسم الفراء. و ما ذكروه بيّنٌ: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٧٣

(٢) معاني القرآن: ١/ ٧٦

(٣) كذا ؟ و في معاني القرآن للفراء: في التوجّع خاصة. و هو الصواب كما يدل عليه سياقة كلام الفراء: ١/ ٧٦ . وقال العكبري: (الجمهور على تفخيم الألف في (إنّا) وقد أمالها بعضهم لكثرة ما ينطق بهذا الكلام وليس بقياس)اهـ. ١/ ٧٠

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٠٩ ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٠٣ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤ و البحر: ١/ ٤٥٤

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٠٩ و لسان العرب: (مرو) ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٠٣ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤ و المحرر: ١/ ٢٢٨ والبحر: ١/ ٤٥٤

وبعضهم قال : سُمّي الصفا صَفا لأنه جلس عليها صفي الله آدم عليه السلام، و سمّيت مـروة لأنـه جلس عليها امرأته حواء (١).

و قوله: ﴿ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ أي مِنْ أعلام متعبّداته و شعائر الله علاماتـه واحـدتها شـعيرةٌ و قيـل شعائر الله لكلّ ما عُلِم مما يُعبدُ به، و أصله من شعَرتُ أي علمتُ و هي ما أُشعِر لموقفٍ أو مَشعرٍ أي أُعْلِمَ. (٢) قال القُتيبي (٣): شعائر الله كلُّ ما جُعِل عَلَما من أعلام طاعته و منه إشعارُ البُدن وذلـك من علاماتِ إهدائها.

و قوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ يريد به الحجّ المعلوم في الـشريعة و العمـرة المعلومـة في الشّرع و الحَجّ في اللغة القصد و العمرة الزيارة.

وقال محمد بن جَرِير (٤): الحجّ في اللغة التردُّدُ إلى الشيء عَودا بعد بدأ، و سمّي الحـاجّ حاجّـا لأنـه يأتي البيت ثم يعود إلى منى ثمّ يأتي البيت ثمّ يذهب ثمّ يعود إليه لطواف الوداع .

و قوله: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ أيْ لا إثم عليه و لا حرج و الجُناحُ فُعـال مـن الجنوح، و هو الميل و استعماله في الإثم من جَنَحَ أي مال عن القصد و عدل (٥).

و قــرئ (يَطَّــوف) أي يتطــوف فــأدغم التــاء في الطــاء (٦)،وقــرئ (يُطّــوِّف) أي يكثــر الطواف (١).

---

(١) النكت و العيون: ١/ ٢١١ قال و حكي عن جعفر بن محمد و ينظر: المحرر: ١/ ٢٢٨ والبحر: ١/ ٤٥٦ و ما سيأتي في سبب تذكير الصفا وتأنيث المروة.

(٢) جامع البيـان للطـبري: ٢ / ٧١٠ و معـاني القـرآن للزّجـاج: ١ / ٢٠٣ وتفـسير الثّعلبـي: ٢/ ٢٥ والوسيط: ١/ ٢٤٢ و المحرر: ١/ ٢٢٩ و لسان العرب: شعر

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة: صـ٣٢ .

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٧١١ - ٧١٢ نقله المصنف بالمعنى.

(٥) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٠٤ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٦ و البحر: ١/ ٤٥٤

(٦) قراءة (يَطَّوف) أي يتطوف بإدغام التاء في الطاء هي القراءة المتواترة. و ينظر في توجيههـا:(معـاني

و قرأ (تَطوّع)بالتاء و النصب و هو ماض و قرأ (يَطوّع) بالجزم و يكون فعلا مستقبلا أراد يتطـوّع و هو قراءة حمزة و الكسائي (٢)، و قرأ الباقون (تطوّع) بالتاء على أنه فعلٌ ماضٍ.

و قيل كان على الصفا في الجاهلية صنمٌ يقال له إساف على صورة رجلٍ و على مروة على صورة امرأةٍ يقال لها نائلة يقولُ أهل الكتاب إنهما زَنَيا في الكعبة فمُسِخَا (٣).

و قيل ذُكِّرَ إساف لتذكير الصفا و أنّثت نائلة لتأنيث المـروة (٤)، و كـان المـشركون إذا مـشوا بينهما مسحوهما فكَرِه بعض القبائل السّعيَ بـين الـصفا و المـروة لمكـانِهما، و قيـل كـره بعـض المسلمين ذلك فسألوا رسول الله صلى الله عليه و سلّم عن ذلك فنزلت هذه الآيـة لرفـع تلـك الكراهية (٥).

القرآن للزّجاج: ١ / ٢٠٤ و إعراب القرآن لابن النحاس و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٦ و المحرر: ١/ ٢٢٩ و البحر: ١/ ٤٥٧)

(١) هكذا رسمت في الأصل و لم أجد هذه القـراءة ، و في تفـسير الثعلبـي: ٢/ ٢٦ قـراءة : (يَطُوْف) بالتخفيف في الطاء . من طاف يطوف وكذلك في البحر: ١/ ٤٥٧.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٢٧ والسبعة: صـ ١٧٢ و الروضة: ٢/ ٥٤٩ والنشر: ٢/ ٢٢٣

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٦ و لم يسنده و أسباب النزول للواحـدي معلقـا: صـــ ٨٠و الكـشاف: ١/ ٢٣٤ و ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان: ١/ ١٧٠ عن ابن إسحاق قصّتهما. وأصل قـصتهما في الطبري: ٢ / ٧١٥ و غيره لكن قوله: زنيا الخ ليس فيه.

(٤) جاء ذلك عن الشعبي: جامع البيان للطبري: ٢ / ٧١٤ و أخبار مكة للفاكهي: ٢/ ٢٤١ والمحرر: ١/ ٢٢٩ و تفسير القرطبي: ٢/ ١٧٩ و الفتح: ٣/ ٥٠٠ و الدر: ١/ ١٦٠ وينظر ما تقـدّم قريبـا في سبب تسمية الصفا و المروة.

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٧١٤ و ما بعدها و تفـسير الثّعلبـي: ٢/ ٢٦ و أسـباب النـزول للواحــدي: صـــ ٧٩ والوسـيط: ١/ ٢٤٣ والمحــرر: ١/ ٢٢٩ و تفــسير القرطبــي: ٢/ ١٧٩ والعجاب في بيان الأسباب: صـ ٢٢٥ – ٢٢٨ و الدر: ١/ ١٦٠

وعن عائشة(١) و قتادة (٢) أنّ قوماً من هُذيل كانوا يكرهون السّعي بين الصفا و المروة في الجاهلية تعظيماً للصنمين فلما أسلموا كَرِهوا ذلك كما كرهوه في الجاهلية فنزلت الآية فيهم .

قوله: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ ليس يرجع إلى السّعي و إنّما يرجع إلى سائر الطاعات من الحج والعمرة و عن ذلك أخبر الله تعالى أنّ من يريد السعي بينهما ليس عليه جناحٌ بل له أجرٌ عند الله، و من أراد التطوع في الطاعات أجمع فإنّ الله شاكرٌ عالمٌ بأحواله.

و منهم من قال معنى ﴿تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي بالطّواف بينهما و هو عند من لا يرى أنه واجبٌ (٣)(١١٠و) وقيل ومن تطوع خيراً بالحج و العمرة النّافلة بعد الفرض ، وفي مصحف عبد الله (٤):(فلا جناح عليه أن لا يَطَّوفَ بهما).

قال الفقهاء من أصحاب الحديث (٥)- القائلين بوجوب السعي - أنّ لا هاهنا زائدة وصلة كقوله : ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ﴾ [القيامة:١] و﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ [البلد:١] و ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ (١) [الواقعة:٧٥] و ﴿ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الحاقة:٣٨، ٣٩] معناه أقسِم ، وقوله لإبليس: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ

(١)ينظر: المصادر السابقة . لكن لم أرَ في شيء من ألفاظ خبر عائشة رضي الله عنها -و هي كثيرة- وخبرها متفق عليه- أنهم كانوا من تهامة أو من هذيل كما ورد عن قتادة عند الطبري .وينظر:فتح الباري: ٣/ ٥٠٠.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٧١٨ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٦ و الدر: ١/ ١٦٠ و عزاه للطبري.

(٣) اختلف العلماء في وجوب السعي بين الصفا و المروة و سيذكر المصنف اختلافهم قريبا.

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٢٣ عن عطاء قال في مصحف ابن مسعود. و عزاه في الدر:إلى عبد بن حميد و ابن المنذر: ١/ ٣٨٧ و ينظر: التمهيد لابن عبد البر: ٢/ ٩٨

(٥) معاني القرآن للفراء: ١/ ٩٥ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٧٢٦ و أحكام القرآن للطحاوي: ٢/ ٩٤ و أحكام القرآن للجصاص: ١/ ١١٨ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٨ .

أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:١٢] أي أنْ تسجد ، وقوله : ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام:١٥١] أي أنْ تشركوا ، وقوله : ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء:٩٥] أي أنّهم يرجعون .

وعن ابن عباس (٢): أنه رأى قوماً (٣)بين الصفا والمروة فقال هذا ما أورثتْكُم أمّكم أم إسماعيل عليه السلام، وذلك أنّ أم إسماعيل انطلقت حين عَطَشَ ابنها وجاع فوجدت الصفا أقربَ جبل في الأرضِ فقامَت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظُرُ هل ترى أحداً فهبطت من الصفا ثم رفعت طَرَفَ دِرْعِها وسعت سعي النساء المجهودة ثم أتت المروة وقامت عليه هل ترى أحداً ففعلت ذلك سبع مرات .

---

(١) في الأصل سقطت الفاء من ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾.

(٢) هو بهذا اللفظ في تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٨ و تفسير القرطبي: ٢/ ١٨٣ . و أمّا قصة عطش اسماعيل و سعي هاجر أمّه عليه السلام بين الصفا و المروة و قول ابن عباس فلذلك سعى الناس بينهما فخبر صحيح و قصة مشهورة ينظر: رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس في الخبر الطويل الذي رواه البخاري و غيره في قصة هاجر: كتاب الأنبياء: باب (١١) باب قوله (يزفون) (ح ٣١٨٤) . ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٥/ ١٠٥) و غيره. وخبر علي رضي الله عنه عند الطبري في تفسيره: ٢/ ٥٦١ طبعة دار هجر و في طبعة دار الفكر: ١/ ٥٥١ والأزرقي في أخبار مكة: ١/ ٢٥٢ والمستدرك للحاكم: ٢/ ٥٥١ و خبر مجاهد عند الطبري في تاريخه: ١/ ١٥٤ وينظر: التاريخ للطبري : ١/ ١٥٤ و التفسير له : ١٣/ ٢٣٠ ، و تاريخ مكة للأزرقي: ١/ ٤٠ و ٥٥ والدرالمنثور: ١/ ٣٠٥.

(٣) في المصادر: (قوما يطوفون).

والسعي بين الصفا والمروة واجبٌ في قول الشافعي رحمه الله (١) وهو قول الحسن (٢) و عائشة ، وعن ابن عباس(٣): أنه تطوّع، وهو قول عطاء (٤)وأنس بن مالك (٥) ، ومن ذهب إليه من الفقهاء. فإنْ تركه لم يُجزِهِ دون أنْ يرجع إليها و يسعى بينهما في قول عائشة وهو مذهب الشافعي، ويجزيه دمٌ وإن عاد فهو حسن في قول الثوري و أبي يوسف ومحمد . وفي قول عطاء ومجاهد (٦) إنْ تركه يجزيه ولا يجب عليه شيء.

قوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾(٧) [الآية١٥٩]. قيل نزلت في

---

(١)مذهب عائشة وعروة ومالك والشافعي و أحمد و إسحاق و أبو ثور أنه ركن لا يتم الحج إلا به ويرجع من بلده إذا تركه ، و عن أحمد أنه سنة لا يجب بتركه دم وهو قول ابن مسعود و ابن عباس و أنس بن مالك وابن الزبير وابن سيرين ، وقال الثوري و أبو حنيفة و الحسن و قتادة : هو واجب إلا أنه ينوب عنه الدم و اختاره ابن قدامة: الأم للشافعي: ٢/ ٢١٠ وجامع البيان للطبري: ٢ / ٧٢٠ – ٧٢٧ و أحكام القرآن للطحاوي:٢/ ١٠١ والاستذكار لابن عبد البر: ٤/ ٢٢٠ – ٢٢٣ والتمهيد لابن عبد البر: ٢/ ٩٧ و شرح البخاري لابن بطال : ٤/ ٣٢٣ والوسيط: ١/ ٢٤٣ و المغني لابن قدامة: ٣/ ١٩٤ و القرطبي: ٢/ ١٨٣

(٢) روى ابن أبي شيبة: ٤/ ٣٣٦ عنه: في الرجل يترك الصفا و المروة عليه دمٌ فهو مثل مذهب الثوري و أبي حنيفة و هكذا عزاه أيضا ابن بطال في شرحه على البخاري: ٤/ ٣٢٣. و عن الحسن اختلاف ذكره ابن عبد البر في الاستذكار: ٤/ ٢٢٢

(٣) المصّنف لابن أبي شيبة: ٤/ ٣٣٦ و قراءة ابن عباس أيضا تدل على أنه لا يراه واجبا فإنه قرأ :(فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما) روى قراءته هذه : أبو عبيد في فضائل القرآن : صـ ١٦٣ والطبري: ٢/ ٧٢٣ و ابن أبي داود في المصاحف: صـ ٧٣ .

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٢٢ و الاستذكار: ٤/ ٢٢٢ .

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٧١٦ و ٧٣٢ و ٧٢٤ و أحكام القرآن للطحاوي: ٢/ ٩٩

(٦) جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٢٣ و المصادر المتقدمة عند ذكر الاختلاف.

(٧) في الأصل سقطت ﴿مَآ أَنزَلۡنَا﴾ من الآية .

أهل الكتاب (١) كتموا أمر النبي صلى الله عليه وسلم ونبوّته، وقيل كتموا أحكام الله في التوراة من الرّجم والحلال و الحرام و الفرائض، و الهدى من أمر محمد و نعتِهِ وأخفوا ذلك ، قال الله تعالى ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ قيل هم المسلمون، وقيل الملائكة عن قتادة (٢)والربيع (٣)،وقيل البهائم عند احتباس المطر يقولون أُصِبنا بذنوب بني آدم عن مجاهد (٤) وعكرمة. (٥)

وقيل ﴿ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ كلُّ شيء حتى الدوابّ و حتى الخنافس إلا الثَّقَلين ، وقيل إذا وُضِعَ الكافر في قبره فيأتيه الملك فيُجلِسه ويسأله من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري فيقولون لا دريتَ ثم يضربه الملك بمرزبَّةٍ معه ضربةً يسمعها الخلق غيرَ الثقلين فلا يسمعه أحدٌ إلا يلعنه فذلك قوله:﴿ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ عن السدي (٦) .

وقيل هو الرجل يلعنُ صاحبه فترتفع اللعنة في السماء ثم تنحدِرُ فلا تجد صاحبها الذي قيلت له أهْلاً فتقعُ إلى الذي تكلم بها فلا تجدهُ لها أهلاً فتنطلق فتقعُ على اليهود، وهو معنى قوله : ﴿ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴾ عن ابن مسعود (٧).

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٣٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٦٨ (١٤٣٩) و أسباب النزول للواحدي: صـ ٨١ و العجاب: صـ ٢٢٨ و الدر: ١/ ١٦١

(٢) تفسير عبد الرزاق: ١/ ٦٥ و جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٣٦

(٣) قول الربيع بن أنس عند الطبري: ٢/ ٧٣٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٦٩

(٤) رواه عن مجاهد : سعيد بن منصور في سننه (التفسير: ٢٣٧) و ابن أبي الدنيا في العقوبات: (٢٧١) وجامع البيان للطبري: ٢ / ٧٣٤ – ٧٣٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٧٠ (١٤٤٨)

(٥) جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٣٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٦٩ معلقا و الدر: ١/ ١٦٢

(٦) الأثر عن السدي في: جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٣٦ – ٧٣٧

(٧) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٣٠ و لم يسنده و أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: ٤/ ٣٠٣ من طريق محمد بن مروان أخبرني الكلبي عن أبي صالح عن ابن مسعود به . و عزاه في الدر إلى البيهقي في الشعب

واللَّعن الطّرد وهو من الله الإبعاد من رحمته وثوابه، ومن المؤمنين الدعاء عليهم بالعذاب وروى أبو هريرة عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [١]: (من كَتَم علماً عنده أُلجم بلجامٍ من نارٍ). وقيل الآية عامة في كلّ من كتم عِلماً ، والأول هو الصحيح أنّ هذا الوعيد لا يلحق إلا الكفار [٢].

قوله : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [الآية :١٦٠] ثم استثنى مؤمني أهل الكتاب فقال إلا الذين تابوا من اليهودية ومن ضلالتهم، و أصلحوا أعمالهم ، وبينوا ما كتموا من أمر محمد ومن

١/ ٢٩٢

(١) هذا الحديث مروي عن جماعة من الصحابة و له طرق كثيرة يشد بعضها بعضا كما قال ابن كثير في تفسيره: ١/ ٢٠١ و قد ضعفه ابن الجوزي في العلل المتناهية: ١/٩٦ و تقدم: صـ ٢٧١ والمقصود هنا تخريج حديث أبي هريرة رضي الله عنه خاصّة على وجه الإيجاز فقد أخرجه: عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٦٤ و الطيالسي في مسنده: ١/ ٣٣٠ و أحمد : ١٣ / ١٧ و ابن أبي شيبة في المصنف: ٥/ ٣١٥ و أبو داود في كتاب العلم، باب التوقي في الفتيا (ح ٣٦٥٨) و الترمذي : في كتاب العلم : باب ما جاء في كتمان العلم : ٥ / ٢٩ (ح ٢٦٤٩)و قال حديث حسن.و ابن حبان في صحيحه: ١/ ٢٩٧ (ح ٩٥) و الحاكم في المستدرك: ١/ ١٨١ و قال : (هذا حديث تداوله الناس بأسانيد كثيرة تجمع ويُذاكر بها وهذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)اهـ. جميعهم من حديث عطاء ابن أبي رباح عن أبي هريرة. و ينظر: المدخل إلى السنن الكبرى: ١/ ٣٤٦ والعلل المتناهية: ١/ ٩٦ و تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي: ١/ ٢٥٢ وكشف الخفاء: ٢/ ٣٥٩

(٢) يستفاد من الآية التحذير من كتمان العلم النافع، و أنه لا يجوز كتمان العلم النافع الذي لا بدّ للناس منه في دينهم قال الطبري: (وهذه الآية وإنْ كانتْ نزلتْ في خاصٍّ من النّاس فإنها معني بها كلّ كاتمٍ علما فرض الله تعالى بيانه للناس)اهـ. ثم ذكر الطبري استدلال أبي هريرة رضي الله عنه بها... و قال القرطبي: ٢/ ١٨٥ (وتحقيق الآية هو أنّ العالم إذا قصد كتمان العلم عصى وإذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ إذا عرف أنه مع غيره، وأما من سُئل فقد وجب عليه التبليغ لهذه الآية وللحديث)اهـ. و لأبي حيان كلام نفيس حول هذا ينظر في تفسيره البحر: ١/ ٤٥٩

أحكامـه المنزّلـة في كتـابهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾ أتجـاوز عـن ذنـبهم ، وقيـل ﴿أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾ أقبل توبتهم ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قد مضى معناه .

قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ ﴾ الآية [١٦١] ثم ذَكَرَ من مـات مـن أهـل الكتاب عـلى الكفـر فقـال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾. أيْ ولعنة الملائكة و لعنةُ الناس يريد بهم المؤمنين في قول قتادة (١)والربيع (٢) . وقيل أراد به الناسَ أجمعين يوم القيامـة يلعنـونهم كلَّهـم عـن أبي العالية (٣) .

وقيل أراد به أنّ النّاس يقولون في كلامهم لعن الله الظالمين كافرين كانوا أو مؤمنين لأنّه جـارٍ في كلامهم لَعَنَ الله الظالم عن السّدي (٤).

﴿ خَٰلِدِينَ ﴾ [١٦٢] مقيمين في العذابِ والّلعنةِ والنّار لا يموتون فيها ولا يُخرَجُونَ منها.

﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ أي لا يُكَفُّ عنهم عذاب ربِّهم.

﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴾ لرجعةٍ ولا لتوبةٍ ولا لمعذِرةٍ، و﴿ خَٰلِدِينَ ﴾ نصبٌ على الحال.

وقوله: ﴿فِيهَا﴾ في النار عن أبي العالية (٥)،وقيل في اللعنة عن الزجاج (١).

---

(١) جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٤١ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٧١ معلقا.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٤٣

(٣): جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٤٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٧١ (١٤٥٦) من طريـق الربيـع عـن أبي العالية .

(٤)جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٤٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٧١ (١٤٥٧)

(٥) الطبري: ٢/ ٧٤٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٧١ ولفظه عند الطبري: (خالدين في جهنم في اللعنة) و

وقرأ الحسن (٢) (أُوْلئك عليهم لعنة الله و الملائكةُ والناسُ أجمعون) رفعاً حملَـهُ عـلى المعنـى فعطف الكلام على موضع الإعراب تقـديره أُولئـك يلعـنهم الله ويلعـنهم الملائكـة والنـاس أجمعون ، قال الزجاج (٣): ويجوز على هذا عَجِبتُ من ضرب زيدٍ وعمـروٌ، والمعنـى مـن أنْ ضُرِبَ زيدٌ وعمروٌ ، وعجبتُ من قيامكَ و أخوك أي من أنْ قمتَ أنت و أخوك .

قـال أبـو عبيـدة (٤): ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ بـالواو و النّـون للخنـافس و العقـارب والدوابّ {وكلّ } (٥)اللاعنات.

قال الكسائي (٦):كلّ ما كان من هذا الجنس من سوى النّاس إذا وُصِفَ بكلامٍ وفعـلٍ يـشبه كـلام النـاس وفعلهـم فإنـه يخـرُج عـلى مـذهب بنـي آدم نحـو قولـه للنّمـل : ﴿ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ [النمــــل:١٨] ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ [يوســف:٤] و ﴿ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ﴾ [الأنبيــاء:٦٣] ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَا ﴾ [فصلت:٢١].

عند ابن أبي حاتم(خالدين فيها يعني في النار في اللعنة).

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٠٦ و فيه: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي في اللعنة و خلودهم فيهـا خلـود في العذاب)اهـ.

(٢) معاني القرآن للفـراء: ١/ ٧٧ و معـاني القـرآن للزّجـاج: ١ / ٢٠٥-٢٠٦ و إعـراب القـرآن لابـن النحاس: ١/ ٢٧٥ و المحتسب: ١/ ١١٦ و البحر: ١/ ٤٦٠

(٣) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٠٦ و ينظر في توجيهها المـصادر المتقدمـة و الطـبري: ٢/ ٧٤٣ و مـا ذكره أبو حيان في البحر من الاعترضات النحوية على هذا التوجيه.

(٤) لم أجده في مجاز القرآن ١/ ٦٢

(٥) في الأصل: و لم.

(٦) ينظر: تفسير الثّعلبي:٢ / ٣٠

قوله : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ الآية [١٦٣] ثمّ ذَكَر الله سبحانه وحدانيته فقال :

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ واحدٌ لا قَسِيم لـه في ذاتـه ولا شريـك لـه في ملكـه ولا شـبيه في حقيقته هذه الوجوه وجوه الوحدانية ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [1] فلما نَزَلتْ هـذه الآيـة طالبَـهُ المـشركون بالدَّلالـة عـلى صِـدقه فقـالوا إنْ كنـتَ صـادقاً تُـصَيِّر الـصّفا ذهباً [2] فأجابهم الله بقوله: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية :١٦٤] ردَّهم إلى التفكُّر في آياته، و النَّظر في مصنوعاته على ما عدَّها في الآية، وبيَّن أنّ فيما خلقـه دلالـة عـلى وحدانيته والذي طالبه به المشركون دلالةٌ على صدق رسـالته، ولا يـتمّ العِلـم بالرسـالة مـا لم يحصُل لهم العلم بالوحدانية و الطريق الموصِل إلى العِلم بوحدانيته النّظرُ والتفكر فيما خلقـه لا فيما طالبوه فلذلك أحالهم على النَّظَر في السموات عند مطالبتهم إياه أنْ يأتيهم بآية بـأنْ يُـصَيِّر الصفا ذهباً و غيره.

و فيما ذكره في هذه الآية من عجيب صنعه و إحكام أفعاله واتساق صنائعه دليلٌ على توحيده؛ قال هذه الأفعال لا تحصل في الوجود لو كان لها صانعان لأنَّ الاثنين لا يجري أمرهما على نظام لوجـوب التمانـع بيـنهما واسـتحالة تـساويهما في صـفة الكـمال، فقولـه: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ

---

(١) كان هنا في النسخة (ل): (لا إله إلا هو رحمن رحيم) .

(٢) هذا السبب في نزول الآية رواه الطبري: ٣/ ٨ عن السدي. و ذكر نحوه أيضا عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير: ٣/ ٧ و خبر سعيد بن جبير فيه طول و تفصيل و رواه ابن أبي حاتم أيضا : ١/ ٢٧٣ من هذه الطريق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. و ينظر في الطبري: ٣/ ٥ و ابن أبي حاتم و أسباب النزول للواحدي: صـ ٨١ و العجاب: صـ ٢٣١ قول عطاء في رواية ابن أبي نجيح :أنّها نزلت حين قال المشركون كيف يسَعُ النّاس إله واحد، و قول أبي الضحى أيضا في سبب نزول الآية و أنها نزلت بعد أن طلبوا آية و قول أبي الضحى قريب في حقيقته من قـول الـسدي و سـعيد بـن جبير.

ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾ (١)وهذه الأشياء آيات أمّا في السماء فخلقهُ إياها سَقفاً مرفوعاً بغير عمد وما خلق فيها من الشمس و القمر التي هي ضياءٌ {للخلق } (٢) ويعرف به الحساب ومجاريها و مشارقها ومغربها، و النجوم الزُّهر التي بها يهتدون واختلافها في الطلوع والغروب .

و الآيات في الأرض ما أثبتَ فيها من السهل و الجبل واختلاف المعادن واختلاف الثمار في الطُّعوم و الأراييح (٣) و المنافع و الألوانِ و الهيئاتِ وإدراكها في أوقاتٍ مختلفةٍ و الحرّ والبرد والرّبيع و الخريف و النّور و الظّلمة إلى غيرِ ذلك من اختلاف الأحوالِ واختلافِ الّليل والنهار في التّعاقب وأنْ يخلف أحدُهما صاحبه واختلافهما في النور و الظُّلمة و القِصَر والطُّول و الزّيادة والنّقصان.

﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من المكسب وغيره ووقوفها على رأس الماء في ثِقَلِها وكثرة وزنها و ما فيها، ولو وُضِع مثقال درهم على الماء لرَسَبَ فيه.

﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ ﴾ يعني المطر فيُحيِي به الأرض بعد موتها أي قحطها وينبتها﴿ وَبَثَّ فِيهَا ﴾ بسَطَ في الأرض وقيل خلق فيها من كل دابَّةٍ من صنوف الحيوانات ، وقيل فَرَّق فيها من كل دابة (٤). ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ﴾ عذاباً مرةً ورحمةً مرة وليِّنةً مرّة و عاصفةً مرَّة أخرى و حارّةً وباردةً إلى جميع أصناف الرياح من الجنوب والشمَّال و الصَّبا (٥)

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري: ٢ / ٧٤٥ – ٧٤٧ و أضواء البيان: ٧ / ٤٤٧

(٢) في النسخة : (ل) : للحق.

(٣) الأراييح جمع شاذّ لأرياح و أرياح جمع ريح ، وهي هنا بمعنى الرائحة يقال ريح و رائحة بمعنى واحد : ينظر: لسان العرب و القاموس مع شرحه تاج العروس: (روح) صـ ١٥٩٩ و المغرب للمطّرزي: ١/ ٣٥١

(٤) جامع البيان للطبري: ٢ / ١٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٢ و الوسيط: ١/ ٢٤٧ و المحرر: ١/ ٢٣٣

(٥) الصَّبا بفتح الصاد و الدّبور بفتح الدال أسماء رياح متقابلة فالدَّبور عندهم في مقابلة الصَّبا فالصبا و يقال لها أيضا القَبُول ريح مهبها المستوي أنْ تهبّ من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار (

و الدَّبُور (١)وغير ذلك (٢) . ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ الغيمُ المذلّل لبني آدم أنْ يـأتي في وقـت حاجتهم إليها .

ومعنى تصريف الرياح أي تصريفِه الرِّياح فحُـذِفَ كـما يقـال عجبـتُ مـن إكـرام أخيـك أي مـن إكرامِكَ أخاك (٣) .

أخبر أنّ في جميع هذه الأشياء آيات لقـوم يعقلـون فيتفكـرون وينظـرون فالآيـاتُ ثابتـة و الـدلائل واضحة فمن نظر واستدلَّ ظَفِرَ بها واهتدى بها ومن أعرض عنه ضلَّ وغوى .

و الفلـــك واحـــدٌ وجمـــعٌ قـــال الله تعـــالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ [يونس:٢٢] فهذا جمعٌ ، وقال سبحانه : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ [يس:٤١] فهذا واحد (٤) .

مختار الصحاح). و لسان العرب: (صبا) و غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمـود الكرمـاني: ١/ ١٨٨ و ينظر: الدَّبور فيما يأتي .

(١) الدَّبُور، بالفتـح، الريح التـي تقابل الصَّبَا وهي ريح تَهُبُّ من نـحو الـمغرب، والصبا تقابلها مـن ناحية الـمشرق (لسان العرب (دبر) و مختار الصحاح.

(٢)جامع البيان للطبري: ٢ / ١٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٢- ٣٣ و الوسـيط: ١/ ٢٤٧ و المحـرر: ١/ ٢٣٣

(٣)جامع البيان للطبري: ٢ / ١٢

(٤) ينظر مثلا: جامع البيان للطبري: ٢ / ١١ و الوسيط: ١/ ٢٤٧

وقُرِأ الفُلُك بضم اللام إتباعاً لضمّة الفاء [(١)]. و الفلك مؤنثة [(٢)] كالملح و الدُّود والقوس . وقوله :﴿ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ يحتمل أن يكون (ما) هو ما في السفينة من الأمتعة التي حملتها السفينة مما ينفع الناس ، و يحتملُ أنْ يكون ما صلةً أي والفلك التي تجري في البحر ينفع [(٣)]الناس، وجريانها تَزجيةُ الرياح إياها فعلى هذا قد تجري الفلك بما ينفع الناس وبما يضرهم لأن الريح قد {تُزجيها} [(٤)] مستويةً فتنجو فيكون فيها نفع الناس و قد تُزْجِيها [(٥)] غير مستوية فتغرق فيضرهم لكنه اختصَر في هذا الموضع فذكرَ جريانِها بما ينفع الناس، ولم يذكر الوجه الذي يضرّ بهم لأنّ المراد في هذا الموضع عَدُّ نعمه عليهم .

(١)قراءة شاذة تنظر في: مختصر في الشواذ: صـ ١١ و نسبها لعيسى بن عمر و المحرر الوجيز: ٤/ ٣٥٥ و الكشاف للزمخشري: ٣/ ٥١٠ و روح المعاني للآلوسي: ٢١ / ١٠٥

(٢) كذا قال المصنف ؟ و الصواب أن الفُلك يؤنث و يذكر: ينظر: المذكر و المؤنث للفراء: صـ ٩٨ ولسان العرب: (فلك) و مختار الصحاح (فلك) و جامع البيان للطبري: ٢ / ١١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٢ والوسيط: ١/ ٢٤٧ و البحر: ١/ ٤٥٣ و الدر المصون: ١/ ٤٢١ وغيرها. وفيها الاستشهاد بقوله تعالى : ﴿ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ على التذكير. فهي تذكّر و تؤنَّث، وقد قيل -كما في لسان العرب- (إذا جعلت الفلك واحداً فهو مذكّر لا غير، وإن جعلته جمعاً فهو مؤنّث لا غير) واختار ذلك أبو حيان في البحر: ١/ ٤٥٣ وقال إنما أنث لأنه استعمل جمعا ، فهو من تأنيث الجمع.

(٣) كونها صلة أي زائدة هنا فيه بعدٌ ، و قد اختلفوا فيها فقيل موصولة اسمية و قيل مصدرية حرفية وكونها موصولة هو ظاهرُ اختيار الزمخشري لأنه اقتصر على تقديرها بذلك بقوله : بالذي ينفع الناس. الكشاف: ١/ ٣٥٣ و البحر : ١/ ٤٦٥ و الدّر المصون: ١/ ٤٢٢ و في الطبري: ٣/ ١١: عند كلامه على معنى الآية: بنفع الناس و في بعض نسخه ينفع الناس.

(٤) في النسخة : (ل) : ما صورته: { تزيجها } .

(٥) في النسخة : (ل) : ما صورته: { تزيجها } .

ويُقرَأُ (الريح) مُوحّدةً عن حمزةَ و الكسائي (١) ، وقد تكون الريح واحدةً تدلّ على الجمع واحدتها ريحةٌ(٢) ويكون الرياح جمع الجمع ، ومن الناس من يُفرِّق بين الرحمة والعذاب فيها فيقرأ ما كان عذاباً موحَّدةً وما كان رحمةً مجموعة (٣)، واحتج أبو عبيدة (٤)لهذا بخبر عائشة أنّ النبي ﷺ كان يقول إذا هاجت الريح : (اللهمّ اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً). (٥)

---

(١)السبعة: صـ ١٧٣ و الكشف للثعلبي: ٢/ ٣٣ و التجريد في القراءات السبع لابن الفحام: (ت: ٥١٦هـ) صـ ١٩٤ وغاية الاختصار لأبي العلاء الهمذاني: ٢/ ٤١٩ و النشر: ٢/ ٢٢٣

(٢) ينظر: لسان العرب: (روح) وفيه: (وحكى بعضُهم ريح و ريحةٌ مع كوكب وكوكبة وأشعر أنهما لغتان)اهـ. و تاج العروس: (روح) وفيه: (وحكَى بعضُهم رِيحٌ ورِيحةٌ).

(٣) ينظر في هذه القاعدة و ما خرج عنها من الآيات: البرهان للزركشي: ٤/ ١٠

(٤) لم أجده في مجاز القرآن لابي عبيدة.

(٥)لم يذكروه من حديث عائشة بل من حديث ابن عباس رضي الله عنه و هو حديث ضعيف أخرجه الشافعي الأمّ: ١/ ٢٥٣ و هو في أحكام القرآن له –من جمع البيهقي من كلامه– ١/ ١٠٠ وأبو الشيخ في العظمة ٤/ ١٣٥٢ و البغوي في تفسيره: (٣/ ٤٧)كلهم من طريق الشافعي أخبرني من لا أتهم قال حدثنا العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس قال: (ما هبّت ريح قط إلا جثا النبي ﷺ على ركبتيه وقال اللهمّ اجعلها رحمةً ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس والله إنّ تفسير ذلك في كتاب الله ﴿ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا ﴾ (القمر الآية ١٩) ﴿ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴾ (الذاريات الآية ٤١) وقال: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ (الحجر الآية ٢٢) ﴿ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ ﴾ (الروم الآية ٤٦))اهـ. و له طريق أخرى فقد رواه أبو يعلى في مسنده: ٤/ ٣٤١ (ح ٢٤٥٦)و الطبراني في الكبير: ١١/ ٢١٣ و الخطابي في غريب الحديث: ١/ ٦٧٩ و الخطيب في تاريخ بغداد: ٧/ ٩٩ كلهم من طريق الحسين بن قيس عن عكرمة عن ابن عباس. ورواه ابن عدي في الكامل ٢/ ٣٥٣ من طريقه أعني الحسين بن قيس أبي علي الرَّحَبي و نقل عن أحمد قوله إنه متروك و نقل قول النسائي أيضا إنه متروك. قال ابن النّحاس: (ويحتجّ بعضهم بحديث ضعيف) وقال أيضا : (و لا أصل للحديث) معاني

وقيل الرِّياح ثمانٍ أربعٌ رحمةٌ و أربعٌ عذابٌ فأما الرّحمة فالناشرات و المبشرات و اللواقح والـذاريات و أما العذاب فالصَّرصَرُ و العقيم وهما في البر و العاصفُ و القاصفُ وهما في البحر.

قوله : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ [آية:١٦٥] قيل أصـناماً و أوثانـاً جعلوهـا أنـداداً لله في اسـتحقاق العبـادة و التعظـيم عـن قتـادة (١) و مجاهـد (٢) و الربيـع (٣) وابن زيد (٤)، وقيل أنداد أي رجالاً إذا أمروهم أطاعوهم و إذا نَهَوهُم انتهوا كما يطـاع الله تعـالى في أمره ونهيه عن السّدِّي (٥).

وقوله : ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ قيل يحبُّون طاعتهم كحبِّ المؤمنين طاعة الله (١١٢و) قال الفراء : يحبّونهم كحبِّ (المؤمنين الله) (٦) وأنشد (٧):

ولستُ مسلِّماً ما دمت حياً   على زيدٍ كتسليم الأمير

القرآن: ٥/ ٣٤-٣٥ قال الهيثمي: ١٠/ ١٣٦ (رواه الطبراني وفيه حسين بـن قـيس الملقـب بحـنش وهـو متروك وقد وثقه حصين بن نمير وبقية رجاله رجال الـصحيح)اهــ. و كـذلك ضـعفه الطحـاوي: كـما في معتصر المختصر:(وقال لا أصل له)اهـ. ٢/ ٢٧٦ ورواه أبو الشيخ في العظمـة: ٤/ ١٣٥٢ فقـال حـدثنا ابن أبي عاصم حدثنا محمد بن الحسين حدثنا شيخ سماه حدثنا الفرات بن خالد حدثنا عبد الحميد بن جعفـر بن عمر بن الحكم عن العلاء بن راشد عن أبي علي عن عكرمة به . و في سنده شيخ مجهول لم يسمّ. و ينظـر: تخريج الأحاديث و الآثار للزيلعي: ٣/ ٥٩ و تلخيص الحبير: ٢/ ٩٣

(١) تفسير الطبري: ٣/ ١٦ و الدر: / ١٦٦

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ١٧ و تفسير ابن أبي حاتم: ١ / ٢٧٦ (١٤٨٣).

(٣)تفسير الطبري: ٣/ ١٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٧٦

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ١٧ و الدر: ١ / ١٦٦

(٥) تفسير الطبري: ٣/ ١٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٧٦ (١٤٨١).

(٦) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل. وينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٧٨ و تفسيرالثّعلبي: ٢/ ٣٣

(٧) أنشده الفراء : ١/ ٧٩ عند قوله تعـالى ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ..﴾ الآيـة : ١٧١ مـن هذه السورة و الطبري:٣/ ١٨ و فيهما : بتسليم الأمير و تفسير الثّعلبي: ١/ ٣٣

أي كتسليمي على الأمير ، قال الزجاج (١): يسوّون بين هذه الأوثان وبين الله في المحبة قال: ولا يجوز أنْ يكون يحبُّونهم كحبّكم الله لأنّ الله تعالى قال عَقِبه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾. وقيل ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أي يحبونهم حبّاً لا يستحق مثل ذلك الحب إلا الله (٢)، وقيل يحبونهم كما ينبغي لهم أنْ يحبوا الله عن أبي روق (٣).

﴿وَٱلَّذِين ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ نصبَ حبّاً على التمييز و التفسير و إنّما قال إنّهم أشدُّ حبّاً لله منهم (٤) لآلهتهم لأنّ الكفار يُعرضون عن آلهتهم عند البلايا كما قال : ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ ﴾ [العنكبوت:٦٥]، ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٦٧] والمؤمن لا يُعرِض عن الله في حال البلاء ، ولأنّ الكفار عبدوا الأصنام تقرباً بعبادتها إلى غيرها وهو الله حيث قالوا : ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣] وقالوا : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨].

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٠٦

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣/ ١٨ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٣٣ و زاد المسير: ١/ ١٧٠ و التفسير الكبير للرازي: ٤/ ١٨٤ والبحر: ١/ ٤٧٠

(٣) لم أجده و عزاه الكرماني إلى بعضهم : غرائب التفسير : ١/ ١٨٨ و ذكره بنحوه نجم الدين عمرالنسفي الحنفي : التيسير في التفسير: (ورقة ١٤٩) . ولم يعزه أيضا

(٤) ينظر في هذا: تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٤ و الوسيط: ١/ ٢٤٩ و البغوي: ١/ ١٧٨ وتفسير نجم الدين عمر النسفي الحنفي ، التيسير في التفسير: (ورقة ١٤٩) و التفسير الكبير للرازي: ٤/ ١٨٥ والبحر: ١/ ٤٧٠ - ٤٧١

و المؤمنون عبدوا الله لا لِما سواه ، ولأنهم هم الذين ادَّعوا محبة الأصنام و المؤمنون أحبهم الله بقوله : ﴿ يُحِبُّهُمْ ﴾ [المائدة:٥٤] فلذلك صاروا أشدَّ حبّاً لأنّ محبتهم صدرت (١) عن محبّة معبودِهِم و لأنّ عبدة الأصنام يرونَ معبوديهم و المؤمنون يعبدونه ويحبّونه على الغيب.

وقيل إنّهم يستبدلون في حال النّعمة بمعبوديهم ، كانَ الرجل إذا استغنى رمى بصنمه من الخشب، و اتخذ آخر من حديد فإذا ازداد ماله ترك ذلك و اتخذ آخر من فضةٍ ثم من ذهب، والمؤمنون يعبدون معبوداً واحداً في حالتي السّراء و الضراء ومنها أنّهم يستكثرون من أصنامهم، و المؤمنون يحبون رباً واحداً ، ومنها أنهم يعبدون ما عملته أيديهم فمتى يُعظِّمون مصنوعهم و المؤمنون يعبدون صانعهم ويحبون خالقهم فهم أشدُّ تعظيماً و محبةً.

ومنها أنهم يتبرّءون من معبودهم غداً و المؤمنون لا يرتدون عن الله، ومنها أنّ شرط المحبة تعظيم المحب (٢) وهم صغَّرُوا محبوبهم حيث أحبّوا الأشكال و الأجناس و المؤمنون عبدوا و أحبُّوا من ليس كمثله شيء.

وروي عن سعيد بن جُبَير أنّه قال (٣): إنّ الله تعالى يأمرُ يوم القيامة من أحرق نفسه في الدنيا على رؤية الأصنامِ أنْ يدخلوا جهنّم مع أصنامهم فيأبون لعلمهم أنّ عذاب جهنم على الدّوام و أنهم لا يموتون ثم يقول للمؤمنين بين أيدي الكافرين ((إنْ كنتم أحبائي فادخلوا جهنم)) فيقتحم المؤمنون النّار، و نادى منادٍ من تحت العرش (والذين آمنوا أشدُّ حُباً لله).

وقوله : ﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ ﴾ قُرِئ(ولو ترى) وقُرئ (ولو يرى) بالياء (٤)، وقُرأ (إنّ القوة) بالكسر وقُرأ (أنَّ القوة) بالنصب (١)فمن قرأ بالياء فالذين ظلموا في محل الرفع بالرؤية لأنّ الفعل لهمْ (و إذ يرون العذاب)في محل النصب بالظرف.

---

(١) في النسخة (ل) : صدر.

(٢) في النسخة (ل) : المحبة.

(٣) تفسير الثّعلبي: ١/ ٣٥ بلا سند و تفسير البغوي: ١/ ١٧٩

(٤) قراءة (ولو ترى) بالتاء الفوقيّة خطابا هي قراءة: ابنِ عامر و نافع و يعقوب وأبي جعفر بخلف عنه

و الرؤية الأولى معرفة القلب و الثانية رؤية البصر ، وقوله : ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ منصوبة بوقوع رؤية القلب وهي قوله : ﴿ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ عليها ، وكذلك الثانية والجواب متروكٌ وتقديره: ولو يعلم الظالمون ما لهم من العقوبة عند رؤيتهم العذاب لانتهوا ولتعجبوا .

ويجوز أنْ يكون ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ﴾ منصوبة أيضاً على حذف اللام تقديره لأنّ القوة لله ، ويجوز أنْ يكون منصوباً على معنى لرأوا (أنّ القوة لله جميعاً) .

ويجوز كسر (إنّ القوة) على هذه القراءة بالياء في(يرى) على الاستئناف ، ويجوز كسره على الحكاية بما حُذِفَ من الجواب تقديره يقولون إنّ القوة لله ويجوز أنْ يكون كسرُهُ على الحكاية بما حُذِف من الحال بتقدير قائلين: إنَّ القوة لله .

ومن قرأ بالتاء فكلا الرؤيتين بالبصر. و﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ في محل النصب و الخطاب يكون للنبي ﷺ و المراد هو و أمته .

وقوله : ﴿ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ ﴾ يكون في محلّ النصب بإيقاع الجواب عليها وتقديرُهُ : و لو ترى الذين ظلموا عند رؤيتهم العذاب لرأيت وعلمتَ أنّ القوة لله جميعاً.(٢)

(السبعة: ١٧٤ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٥ وغاية الاختصار: ٢/ ٤٢٠ و الوسيط: ٢/ ٢٥٠ و النشر: ٢/ ٢٢٤). و سينسبها المصنف قريبا.

(١) كسرُ الهمزة قراءة أبي جعفر و يعقوب: الروضة لأبي علي المالكي: ٢/ ٥٥٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٥ و غاية الاختصار: ٢/ ٤٢٠ و الكشف لمكي: ١/ ٢٧٢ – ٢٧٣ و النشر: ٢/ ٢٢٤ .

(٢) ينظر في هذه التوجيهات و التي سترد : تفسير الطبري: ٣/ ١٩ – ٢٣ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٠٧ – ٢٠٨ و إيضاح الوقف و الابتداء لابن الأنباري: ١/ ٥٣٩ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٧٦ و القطع لابن النحاس:صـ ١٧٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٥ و المكتفى للداني: صـ ١٧٨ – ١٧٩ والوسيط: ١/ ٢٥٠ و الكشف لمكي: ١/ ٢٧٢ و زاد المسير: ١/ ١٧٠ والبحر: ١/

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي وعلمتَ أنّ الله شديد العذاب و قُرِئ (إذ يُـرونَ) (١) العذاب أي يُفعل ذلك بهم .

واختار الفرّاء (٢)أنّ يكون قوله : (إنّ القوة) مكسورة على الاستئناف : و معناه ولو تراهم يومئـذٍ لعلمتَ ما يصيرون إليه ثم تبتدىء وتقول (إنّ القـوة لله جميعـاً و أنّ الله شـديد العـذاب) هـذا مـع القراءة بالتاء في (يرى) فأما إذا قُرأ بالياء في (يرى) فاختيار الفرّاء بالفتح في (أنّ القوةّ لله).

ومن نَصَب ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ ﴾ فعلى وجهين أحدهما: ولو يرى الذين ظلموا الله أيْ ولو علموا شدّة عذابه ونفاذَ قدرته لعلِموا مضرّة اتخاذِهِم الأنداد فيكونُ الإضمار في آخره.

و الثاني: ولو رأى الذين كانوا مشركين في الدّنيا عذاب الآخرة لعلموا حين يرونها أنّ القوة لله جميعـاً ويجوز أنْ يكون نصباً على معنى لأنّ القوة لله فحذف اللام، ويجوز أن يكـون الجـواب في مثـل هـذه المواضع محذوفا يُستغنى بدلالة الكلام عليها كما تقول: لو رأيتَ فلانا و السياط تأخذه، فتستغني عن الجواب لأنّ المعنى مفهومٌ يجوز فتح (أنّ القوّة) مع ترى أيضاً معناه" لرأيتم أيها المخاطبون أنّ القـوّة لله جميعا أو لرأيتم أنّ الأنداد لم تنفع .

و ﴿جَمِيعًا﴾ منصوبٌ على الحال و المعنى أن القوة لله في حال اجتماعها.

قرأ نافع و ابن عامرٍ (ترى)بالتاء و قرأ الباقون بالياء و قرأ ابـن عـامر(إذ يُـرَون)بـضمّ اليـاء و قـرأ الباقون (يَرون) بفتحها (٣).

قولـه: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ ﴾ (١)[الآيـة: ١٦٦] أي تـبرأتِ الـسّادةُ المتبوعون من السَّفلة الأَتباع ، وقيل ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ هم الشياطين قاله السدي (٢).

---

٤٧١ - ٤٧٣

(١)بضم الياء تفرد بها ابن عامر و سينسبها المصنف قريبا: الروضة للمالكي: ٢/ ٥٥٢ و تفسير الثّعلبـي: ٢/ ٣٥ والكشف لمكي: ١/ ٢٧٣ و الوسيط: ١/ ٢٥٠ و النشر: ٢/ ٢٢٤

(٢) معاني القرآن : ١/ ٧٨

(٣) تقدّم قريبا تخريج هذه القراءات عند ذكر المصنف لها.

﴿وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ في الآخرة ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ السببُ كلُّ ما يُتوصّل به إلى شيء من ذريعة أو قرابةٍ و لذلك قيل للحَبْلِ سببٌ، و الأسباب ههنا المودّة والرَّحِم والحلف و العهد و المعاني الموجبة للوصلة بينهم. (٣)

وقيل الباء ههنا بمعنى عن (٤) أراد تقطّعَتْ عنهم الأرحام و المودّة، و قيل الأسبابُ أراد به أسبابَ المنازِلِ (٥).

و العامل في ﴿ إِذۡ﴾ قوله ﴿ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾ كأنه قال شديد العذاب حين تبرّأ بعضهم من بعضٍ (٦).

قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [آية:١٦٧] الأتباع و السّفلة ﴿لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعةً و عودة إلى الدنيا ، ومعناه لو صحّ لنا كرّة أو لو كان لنا كرّةٌ لأنّ لو تطلب فعلاً و لا يقع على الاسم إلا بتقديرِ الفعلِ ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ﴾ نصبٌ لأنه جواب التمنّي بالفاء(٧) .

﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ﴾ كما تبرّأ بعضهم من بعضٍ يريهم الله أعمالهم التي عملوها في الدنيا حسراتٍ عليهم بأنْ يُحبِطها و يبطلها و لا يثيبهم عليها.

---

(١) سقطت هنا من النسخة (ل) : (الذين).

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٢٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٧٨ (١٤٩١) و ينظر:ترجيح الطبري : ٣/ ٢٥ للقول الأول و بيانه أنّ ذلك عامٌّ في كل متبوع على الكفر و الضلال.

(٣)ينظر: تفسير الطبري: ٣/ ٢٦ – ٢٨ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٦ و الوسيط: ١/ ٢٥١ و البحر١/ ٤٧٣

(٤)تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٦ و الوسيط للواحدي: ١/ ٢٥١

(٥) أي المنازل التي كانت لهم من أهل الدنيا. تفسير الطبري: ٣/ ٢٨

(٦) ينظر في هذا القول و في الأقوال الأخرى: الفريد: ١/ ٤٠٣ و البحر١/ ٤٧٣

(٧) تفسير الطبري: ٣/ ٣١ والفريد: ١/ ٤٠٤ و البحر: ١/ ٤٧٤

و قال السّدّي [(١)]: ترفع لهم الجنة فتعجبهم فينظرون إليها فيقال لهم هذه مساكنكم لو أطعتم ثمّ تُقْسَّم بين المؤمنين و يورَّثُونُهم فذلك حين يندَمون.

و قيل كما أراهم العذاب كذلك يُريهم أعمالهم حسراتٍ عليهم و الحسرة أشدّ الندامة.

وقال ابن كيسان [(٢)]: إنّهم عبدوا الأصنام رجاءَ أن تُقرِّبهم إلى الله زلفى فلمّا عُذّبوا على عبادتها و على ما كانوا يرجون ثوابها تحسّروا وندموا.

و قال الربيع [(٣)]: كذلك يريهم الله أعمالهم الخبيثة، و معاصيهم حسرةً عليهم فيتحسّرون على كفرهم و معاصيهم.

و قوله: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ أي عذابُهُم مؤبّدٌ مخلّدٌ و في الآية ردٌّ على من قال بفناء جهنَّم [(٤)].

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلاً ﴾ [آية:١٦٨] يجوز أنْ يكون حلالا مفعولا أي كلوا حلالاً مما في الأرض و طيّبا نعتُه ، و يجوز أن يكون نُصِب حلالاً طيّبا أي في حال إحلاله لكم [(٥)]،و يكون الحلال الطيب نعتاً لما في الأرض على هذا الوجه.

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٣٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٧٩

(٢) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٧

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ٣٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٧٩

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ٣٦

(٥)إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٧٨ وقال : إنه نعت لمفعول أي شيئاً حلالا أو أكلا حلالا وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٧ و اقتصر على القول بأن(حلالا و طيبا) منصوبان على الحال و الفريد في إعراب القرآن : ١/ ٤٠٤ و فيه أنه مفعول ﴿ كُلُواْ ﴾ واقتصر عليه و البحر : ١/ ٤٧٨ و فيه تفصيل كاف مفيد.

و الطيب ما يُغتذى به من الطّعام سواء يُشتَهى أو لا يُشتهى، و قيل الطيِّب الطاهر و يُعلم ذلك بضدّ معناه في قوله : ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾ [المائدة:١٠٠].

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ جمع خُطْوة و هو ما بين قدمي الماشي و الخَطوَة بالفتح المرّة الواحدة (١).

قال الزجاج (٢): خطوات الشيطان طرائقه أي لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم إليه الشيطان وقيل دخل في هذا جميع المعاصي، وقيل أراد به نَزَغَاتِ الشيطان ووساوسه .

وقال ابن عباس (٣) : خطوات الشيطان أعماله . و قال مجاهدٌ (٤) و قتادة(٥): خطاياه .

و قال السّدي (٦): طاعتكم إياه . و قال الخليل (٧): آثاره، و قيل ما يتخطّى به إليكم بالإغواء، وقيل هي النّذور في المعاصي (٨).

---

(١)تفسير الطبري: ٣/ ٣٧ و الوسيط: ١/ ٢٥٣

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٠٩

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ٣٨و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٧١ (١٩٥١)

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ٣٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٨٠ (١٥٠٥)

(٥) تفسير عبد الرزاق: ١ / ٨٢ و الطبري: ٣/ ٣٨

(٦) تفسير الطبري: ٣/ ٣٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٧١ (١٩٥٢).

(٧) عزاه الثعلبي: ٢/ ٣٨ و أبو حيان: ١/ ٤٧٩ إلى : المؤرج. و ذكره البغوي: ١/ ١٨٠ بلا عزو.

(٨) كان في الأصل: (البدور) و هو خطأ : و هذا قول أبي مجلز : أخرجه عنه سعيد بن منصور في سننه(تفسير: ٢٤٢) وتفسير الطبري: ٣/ ٣٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٨١ (١٥٠٧) و الدر : ١ / ١٦٧ و ذكره الماوردي: ١/ ٢٢٠ و البغوي: ١/ ١٨٠ و غيرهما ووقع مصحفا تصحيفا شنيعا في المطبوع من تفسير الثعلبي: ٢/ ٣٨ ففيه: البذور؟!. لكنّ المطبوع من الثعلبي طافح بأنواع التحريف.

و قيل أراد به ما يُوسِوس إليهم الشيطان من تحريم ما أحلّ الله لهم من السائبة و البحيرة و الحـرث و الأنعام وغيرِه.

﴿ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ظاهر عداوتِهِ معكم أَخرج أباكم مـن الجنّـة، و يـدعوكم إلى المعـاصي التي توجب هلاكَكُم .

وقيل نَزَلتْ هذه الآية فيما حرّمُوها على أنفسهم من الحرث و الأَنعام.

قَرَأ (خُطُوات) بضم الطاء ابنُ عامرٍ و الكسائي و حفصٌ (١) و قرأ الباقونَ بسكونها .

قولـه: ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [الآيـة: ١٦٩] يعنـي بـه الإثـم والقبـيح مـن العمـل ، ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ المعاصي ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من تحريم ما أحلّ الله لكم.

(و السُّوء) مصدر ساءَه سُوءًا أو مَساءةً إذا حَزَنَهُ و سِيء الرجلُ إذا حَزِن يقال :

سُـؤتُهُ فـسِيءَ أي حَزَنْتُـه فحَـزِنَ قـال الله ﴿ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [الملـك:٢٧].

والفحشاء الخصلة الشّنعاء و هو مصدرٌ كالبأساءِ و الضَّرَّاء لما يُستقبحُ و يستفحشُ و يجوز أنْ يكـون نعتاً للمؤنّث لا نعتاً للمذكَّر منه على فَعَل كالعذراءِ و الحسْناءِ.

وزعم مقاتلٌ (٢): أنّ جميع ما في القرآن من الفحـشاء فهـو الزِّنـى إلا قولـه ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾ [البقرة:٢٦٨] فإنه منعُ الزَّكاة.

قولــه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [آيــة:١٧٠] أي اتَّبعــوا حكــم الله و لا تبتدِعوا على الله ﴿قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا ﴾ وجدنا عليه آبائنـا، ذمّهـم الله في هـذه الآيـة

---

(١) و بها قرأ أيضا قنبل في رواية عنه و أبو جعفر و يعقوب : المبسوط لابن مهران: ١٤٠ و الروضة لأبي علي المالكي: ٢/ ٥٥٣ و إرشاد المبتدي: ٢/ ٢٣٦ والنشر : ٢/ ٢١٦

(٢) نقله عن مقاتل الثّعلبي: ٢/ ٣٩ و القرطبي: ٢/ ١١٠ و هو فيما يظهر مأخوذ من كتابه في الوجوه و النظائر . لكنه في تفسيره فسّر(الفحشاء)هنا بالمعاصي. تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ٩١

على التقليد في الدّين قال الله تعالى : قل يـا محمـد﴿ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ أي لا يعقلون شيئاً من الدِّين و لا يهتدون لسنّةً.

والكناية في قوله: (١١٤و) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾ يعود إلى (مَنْ) في قولـه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ ﴾ [آية:١٦٥] ويحتمل أنْ يكون راجعـاً إلى النّـاس في قولـه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [آية:١٦٨] فيكون انصرافاً من الخِطاب إلى الخبر عن الغائب (١).

وروى ابن عبّاسٍ (٢): أنّ النبي صلى الله عليه وسـلم دعـا اليهـود إلى دينِـهِ فقـال رافـع بـن خارجة- وفي رواية أبو رافع بن خارجة- بل نتّبع ما وجدنا عليه آباءَنا وهم كانوا أعلم وخيراً منّا، فنزلت هذه الآية .

ويقال معناه: أفتتبعونهم وهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون فتُرِكَ الجواب لأنه عُرِف جوابه في قولهم ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا ﴾ فقال لهم أفتتبعونهم وهم لا يعقلون.

و الواو في قوله : ﴿ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ ﴾ واوُ عطف أُدخلت عليها ألف التقرير، وقيل تقديره و إنْ كان آباءهم ولـيس هـذا في الحقيقـة اسـتفهاماً في المعنـى و إنْ كـان الألـف ألـف استفهام ولكن معناه الإنكار و التوبيخ (٣).

---

(١) ذكر الطبري القولين: ٣/ ٤١ و رجح عود الضمير في (لهم) إلى (النـاس) مـن قولـه :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾. و كذلك رجحه الثعلبي: ٢/ ٤١ وينظر: زاد المسير: ١/ ١٧٣ وتفسير القرطبـي: ٢/ ١١ و البيضاوي: ١/ ٤٤٧ و البحر: ١/ ٤٨٠ والنسفي: ١/ ٨٤ و أبو السعود: ١/ ١٨٨

(٢) رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عبـاس رضي الله عنه : تفسير الطبري: ٣/ ٤٢ و فيه: الاختلاف في اسم رافع بن خارجة. و ابن أبي حـاتم: ١ / ٢٨١ (١٥١١) وابن كثير: ١/ ٢٠٥ وينظر: تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٩ و البغوي: ١/ ١٨١

(٣) معاني القرآن للزّجـاج: ١ / ٢١٠ وتفسـير الثّعلبـي: ٢/ ٤٠ و الوسـيط: ١/ ٢٥٤ و البحـر: ١/

قوله : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الآية [آية: ١٧١] يحتمل (١) أن يريد مَثَل الكافرين في قلّة فهمهم في عبادة الأصنامِ، و دعائِها كمَثَل الرُّعاة يكلِّمون البُهْمَ و البُهْمُ لا تعقلُ عنهم كذلك الكافر لا تعقِل عنه أصنامه.

وقيل في الكلام اختصارٌ ومعناه و تقديره: مَثَل وعظ الكافرين كمثل الراعي ينعِق الغنم فلا يفهم الغنم عنه شيئاً سوى الصّوت كذلك الواعظُ يعِظُ الكافرَ فلا يفهمُ عنه سوى صورته و صوته .

وقيل مثلُك معهم كمثل الرّاعي مع الغنم يدعو الرّاعي غَنَمهُ فترفعُ رؤوسَها إليه ثمّ لا تفهم منه شيئاً كذلك يسمعُ الكفّار دعوتَك ثم لا يعلمون منك شيئاً.

قال الفراء (٢): شبَّههم الله بالراعي يعني الكفار ولم يقل بالغنم، و المعنى ومثل الذين كفروا كالبهائم التي لا تفهم مما يقول الراعي أكثر من الصوت فأضيف التشبيه إلى الرَّاعِي والمعنى في المَرْعِيّ وهو ظاهرٌ في كلام العرب أنْ يقول فلان يخافك خوفَ الأسد يعني كخوفه الأسد (٣). قال: وفيه معنى آخر: تضيف المثل إلى الذين كفروا وأضافتُه في المعنى إلى الواعظ لهم

٤٨٠

(١) ينظر في تفصيل الأقوال في معنى هذا المثل: تفسير الطبري: ٣/ ٤٤- ٥٠ و تفسير السمرقندي: ١/ ١٣٩ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٤١ – ٤٢ و الوسيط: ١/ ٢٥٥ و السمعاني: ١/ ١٦٨ والبغوي: ١/ ١٨١ - ١٨٢ و المحرر:١/ ٢٣٨ و الكشاف: ١/ ٢٣٩ و زاد المسير: ١/ التفسير الكبير للرازي: ٥/ ٨ و القرطبي: ٢/ ٢١٤ و البحر: ١/ ٤٨٠ و البرهان للزركشي: ٣/ ١٣١ و ٤٢٩ و الأمثال في القرآن لابن القيم: صـ٤٨ والنسفي: ١/ ٨٤

(٢) معاني القرآن للفراء:١/ ٧٩ و عبارته: (أضاف المثل إلى الذين كفروا ، ثم شبههم بالراعي . و لم يقل كالغنم ... الخ).

(٣) وتمام عبارته: (لأنّ الأسد هو المعروف بأنه المخوف)اهـ.

كقولك: مثل واعظ الذين كفروا (١) وراعيهم كمَثَل النّاعق كما تقول إذا لقيتَ فلاناً فسلِّم عليه تسليم الأمير، و إنما تريد كما تُسلِّم على الأمير .

وقيل معناه: مَثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم من الأوثان كمثل الناعق في دعائه الـصَّدَى في الجبل لأنه لا يسمع إلا نداءً و دعاءً من غير تدبّرٍ معنى .

وقيل مثل دعاء الذين كفروا في دعائهم آلهتهم من الأصنام كمثل النّاعق في دعائه ما لا يسمع الكلام من البهائم التي لا تفهم الخطأ من الصواب.

قال أبو عبيدة (٢): و إنما الراعي ينعِقُ فوقعَ المعنى على المنعُوق به، وهو الغنم، فيكون المعنى كالغنم التي (٣)لا تسمع ينعِقُ بها راعِيها، وهذا من المقلوب كما قال : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ [القصص: من الآية٧٦] . وإنما العصبة تنوءُ بالمفاتيح، والعرب تقولُ اعرِض الناقة على الحوضِ وأرادوا (٤) به اعرض الحوضَ على النّاقة (٥) . و أنشدوا في معناه (٦)

كانت فريضةَ ما تقول   كما كان الزِّناء فريضة الرّجمِ

والمعنى: كما كان الرَّجم فريضة الزّنا ، وكذلك قول القائل (٧):

---

(١) في معاني القرآن للفراء: ١/ ٧٩ : (وأضافتُه في المعنى إلى الوعظ كقولك: مثل وعظ الذين كفروا وواعظهم)اهـ.

(٢) مجاز القرآن: ١/ ٦٣ - ٦٤

(٣) في النسخة (ل) : الذي.

(٤) في النسخة (ل) : أراد به.

(٥) إلى هنا انتهى كلام أبي عبيدة في مجاز القرآن.

(٦) البيت للنابغة الجعدي: شرح ديوانه: صـ ٢٣٥ و لسان العرب: (زنا) و من غير نسبة في تفسير الطبري: ٣/ ٤٨ و زاد المسير: ١/ ١٧٤ و تفسير القرطبي: ١٠ / ٢٣٥

(٧) قال الفراء :١/ ٧٩ أنشدني بعضهم فذكره. و هو غير معزو في تفسير الطبري: ٣/ ٤٨ و لسان العرب: (حلى) و (نوأ) و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٢.

إنّ سراجاً لكريمٌ مَفخرُهُ تُجلى (١) بها العينُ إذا ما تجهرهُ (٢)

و المعنى تجلى بالعين . وقيل: معناه مثل الذين كفروا كمثل النَّاعق و المنعوقِ به فحَذَفَ هذا الكلام .

وقوله : ﴿ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ كليهما بالمدّ يسمعون الصوت و النّداء ولا يعقلون معناه كالنَّعَم إذا سمعت صوتَ الراعي سمِعتْ وما علِمَتْ ﴿صُمٌّ بُكْمٌ ﴾ رُفِعَ وهو وجهُ الكلام لأنّه خبر مستأنف يدل عليه قوله :﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾، وهو كما تقولُ في الكلام هو أصمٌّ فلا يسمع وأخرسٌ فلا يتكلم (٣) . و لو نُصِب على الشّتمِ على ما قرأه عبد الله (٤)﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ ﴾ [البقرة:١٧، ١٨] لكان (٥)جائزاً.

ومعنى قوله : ﴿صُم ﴾ يعني عن سَماع الحقّ و﴿بُكم ﴾ عن قبول الحق .

---

(١) في معاني القرآن للفراء و الطبري و لسان العرب: (حلى) و (نوأ) : (تحلى به العين) بدلا من تجلى. قال الطبري: (والمعنى يحلى بالعين فجعله تحلى به العين)اهـ. وفي لسان العرب: (يقال حَلِي فلانٌ بعيني بالكسر وفي عيني وبصدري وفي صدري يحلى حلاوة إذا أعجبك)اهـ.

(٢) في لسان العرب (جَهَرتُ الرجل إذا رأَيت هيئته وحسن منظره . و جُهْرُ الرجل: هيئته وحسن منظره . و جَهَرَني الشيء و اجْتَهَرَني: راعني جماله . وقال اللحياني: كنتَ إذا رأَيتَ فلاناً جَهَرْتَه و اجْتَهَرْتَه أَي راعك)اهـ.

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ٥٢ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٧٨ و الفريد: ١/ ٤٠٧

(٤)يعني لو نصب فقيل (صُما) كقراءة عبد الله: مختصر في الشواذ: ٣ والمحرر: ١/ ١٠١ .

(٥) في النسخة (ل) : لو كان.

ونزلت الآية في عَبَدة الأوثان في قول ابن زيد (١) ، وفي اليهود في قول عطاء (٢) وقيل إنه عامٌّ في كل كافر . قوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ ﴾ الآية [١٧٢] هذا إباحةٌ للأكل وليس بوجوبٍ ولا ندبٍ. والطيبات ما يُغتذَى به لا ما يُشتهى وهو الحلال في هذا الموضع.

﴿ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ يعني أنّ الشكر من خِصال العابدين.

قوله : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ ﴾ الآية [١٧٣] قيلَ هذه الآية نَسخَ الكتابُ بعضها وخُصَّ بعضها بالسنة قال الله تعالى ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ [المائدة:٥] فأباح ذبائحهم و إنْ أهلُّوا بها لغير الله وخَصَّت السّنة من الدم الكبد و الطّحَال و من الميتة الحوت و الجراد (٣).

وقوله: ﴿ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ قيل أرادَ به كلَّ الخنزير فذَكَرَ اللحم لأنّ باللحم قَوام الحيوان(٤) .

وانتصب قوله : ﴿ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ بالتحريم، وبعضهم (٥) قرأه بالرفع (الميتةُ والدمُ) جُعِل (ما) بمعنى الذي منفصلةً عن (إنّ) (و١١٥) وكان محلُّ (ما) نصباً بإنّ وما بعدها

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٤٩ من غير تصريح و لكن في كلامه ما يدل على أن المراد بها عبدة الأوثان.

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٥١ و الدر: ١/ ١٦٨ و عزاه للطبري. و قد اختار الطبري قول عطاء أنها في اليهود لأجل سياق الآيات .

(٣) أحكام القرآن للجصاص: ١/ ١٣٢ و تفسير السمرقندي: ١/ ٣٩١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٤ والوسيط: ١/ ٢٥٧ و أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ٧٧ و تفسير القرطبي: ٢/٢١٧

(٤)تفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٤ و التفسير الكبير للرازي: ٥/ ١١ والقرطبي: ٢/ ٢٢٢ و البحر١/ : ٤٨٧ – ٤٨٨

(٥)قراءة : (حَرّمَ عليكم الميتةُ) من الشواذ و بها قرأ إبراهيم بن أبي عبلة : كما في تفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٣ و فيه التوجيه الذي ذكره المصنف بتمامه. و نسبت أيضا لإبراهيم بن أبي عبلة في: التفسير الكبير للرازي: ٥/ ١٠ والقرطبي : ٢/ ٢١٦ والبحر: ١/ ٤٨٦ و الدر المصون: ١/ ٤٤١ و ذكرها الطبري عن بعض القراء: ٣/ ٥٤ و بين وجهها أيضا . و توجيهها كما ذكر المصنف على جعل (ما) بمعنى الذي و التقدير: إن الذي حرمه الله الميتة فتكون الميتة خبر إنّ و ينظر: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٧٨

خبرُها كقولك: إنّما أخذتُ مالَك و إنّما ركبتُ دابتك، و في القرآن ﴿ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ﴾ [طه:٦٩] ولو قُرِأ نصبا[١] لكان صواباً كقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ ﴾ [العنكبوت:٢٥] و (مودةُ بينكم) [٢]فمن نصب جعل إنما حرفاً واحداً و جعل ما صلة ثمّ أعملَ الفعل في الاسم، ومن رفع جعل ما بمعنى الذي.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي [٣]: (إنما حَرُمَ عليكم الميتةُ و الدمُ) بالرفع كلّها على أنْ جعل الفعل للميتة و الدم وحَرُم خفيفةً الراء مضمومة.

و بعضهم [٤] قرأ : (حُرِّم عليكم الميتة) على الفعل المجهول . ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي ذُبِحَ لغير الله من الأصنام فلم يذكر اسم الله عليه ، و الإهلال رفع الصوت عند الذّبيحة كالإهلال بالحجّ و منه استهلال الصبيّ و هو صياحه عند سقوطه من بطن أمّه و استهلال المطرِ صوتُ وقوعه، و كانت عادتُهم أن يرفعوا أصواتهم عند الذبح بذكر آلهتهم فقيل لكلّ ذابحٍ مُهِلّ جهر به أو لم يجهر [٥].

---

(١) التفسير الكبير للرازي: ٥/ ١٠

(٢) ينظر: في توجيه هذه القراءات في (مودة بينكم) : إعراب القرآن لابن النحاس: ٣/ ٢٥٤ و مشكل إعراب القرآن لمكي: ٢/ ٥٥٢ والكشاف: ٣/ ٤٥٤ و القرطبي: ١٣/ ٣٨٣

(٣)تفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٣ و التفسير الكبير للرازي: ٥/ ١٠ والقرطبي : ٢/ ٢١٦ والبحر: ١/ ٤٨٦ و الدر المصون: ١/ ٤٤١

(٤) قراءة (حُرّم عليكم الميتة) بضم الحاء شاذة . تنسب لأبي جعفر ففي الثعلبي: وروي عن أبي جعفر فذكرها: ٢/ ٤٣ و كذلك نسبت لأبي جعفر في: التفسير الكبير للرازي: ٥/ ١٠ والقرطبي : ٢/ ٢١٦ والبحر: ١/ ٤٨٦ والدر المصون: ١/ ٤٤١ لكني لم أجدها عنه في كثير من كتب القراءات كالروضة للمالكي و النشر واتحاف فضلاء البشر و غيرها . فهي من طريق شاذة و لذا عبّر عنها الثعلبي بروي. و نسبها في مختصر الشواذ لابن خالويه إلى: ابن أبي الزناد: صـ ١١

(٥) تفسير الطبري: ٣/ ٥٥ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٤ و القرطبي: ٢/ ٢٢٤

وقال ابن عباس [١]و قتادة[٢] و مجاهد[٣] وعطاء[٤]﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾ أي ذُبح لغير الله . وقال الربيع[٥] و ابن زيد[٦]: هو ما ذكر عليه غير اسم الله. و الهاء في (به) يعود على ما.

و قوله: ﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ منهم من يكسِر النُّونَ من (فمن) لسكونها وسكون فاء الفعل فإنه إذا اجتمعَ السَّاكنان حُرِّك أحدُهما إلى الكسر، وبه قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة، و منهم من يضمُّها فيقول (فمنُ اضطر) ينقل إليها حَرَكةَ الهمزة المحذوفةَ في اللفظ وهي ألف اضطرّ وبه قرأ الباقون [٧].

و ﴿ ٱضۡطُرَ﴾ افتعل من الضَّرر و تأويل ﴿ ٱضۡطُرَ﴾ أُحوِجَ و أُلجأ من الضّرورة.

﴿غَيۡرَ بَاغٖ ﴾ فغيرُ نُصِب حالاً و استثناءً [٨]، و إذا رأيتَ (غير) يصلح في موضعها (لا) فهي حالٌ وإن كان يصلُح في موضعها إلّا فهو استثناءٌ فقِس عليه. [٩]

فأهلُ العراق حمَلُوه على الحالِ و أباحوا أكلَ الميتة للمضطرّ و إنْ كان عاصيا و تأوّلوا قولَهُ: ﴿غَيۡرَ بَاغٖ ﴾ على ما فسَّرَهُ السُّدِّي [١] قال: غيرَ باغ في أكله و لا عادٍ متجاوزٍ فوق حاجته.

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٥٦ و ٥٧ و الدر: ١ / ١٦٨

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٥٦ و تفسير عبد الرزاق:١/ ٦٥.

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ٥٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٨٣ (١٥١٩).

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ٥٧.

(٥) تفسير الطبري: ٣/ ٥٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٨٣.

(٦) تفسير الطبري: ٣/ ٥٧.

(٧)السبعة : ١٧٥ و المبسوط: ص١٤١ والروضة لأبي علي المالكي:٢/ ٥٥٣ – ٥٥٤ و النشر: ٢/ ٢٢٥

(٨) تفسير الطبري: ٣/ ٥٨ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٧٨

(٩) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٥ و ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٨١ – ٨٢ وتوجيه اللمع لابن الخباز: صـ ٢٢٢ و نظم الفرائد و حصر الشرائد للمهلبي: (ت: ٥٨٣هـ) صـ ١٧٤ و مغني اللبيب : ١/ ١٣٦ و التصريح شرح التوضيح: ١/ ٣٦٠ و همع الهوامع: ٢/ ٢٠٦

قالوا فإذا كان مضطرّاً إلى أكله فلا يأكلُ فوقَ كفايته فلهُ أكلهُ و إنْ كان عاصياً من وجـهٍ آخـر لعموم قوله: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ ﴾ والبغي و التعدّي إنّما هوَ حالٌ له أي في حين الأكل يجـب أنْ لا يكون باغيا ولا عادياً على تفسير ما ذكرتُ، و أهلُ الحجـازِ جعلـوه اسـتثناءً فأبـاحوا الميتـة لجميع المضطرّين إلا مضطرّاً يكون باغيا فكلّ من كان باغيا في شيء مّا و عاديا فحقُّ الاسـتثناء يوجب تحريمَ الميتة عليه و أنْ لا يكون ممن رُخِّص له في أكل الميتة.

ثمّ قالوا في ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ وجوها:

منها ما قاله مجاهدٌ (٢) : لا قاطعا للسبيل ولا مفارقا للأمّـة. قـال الكلبـي (٣): أمـا البـاغي فمن أخاف الطريق، و العادي من فارق الجماعة و عَدَا عليهم بسيفه فلا يحلّ له شيء ممـا حـرم الله إذا اضطرّ إليه.

و قيل من خرج يقطع الرحم و يقطع السبيل أو يُفسِد في الأرض.

و قيل (ولا باغٍ) ولا مبتدعٍ تارك للسنة. و من حمله على الحال قالوا : قوله ﴿غير بـاغٍ﴾ هـو الذي يأكل تلذُّذا (ولا عاد) و هو الذي يتجاوز ما يدفع به عن نفسه الجوع عن السّدي(٤) .

و قيل ﴿غَيْرَ بَاغٍ ﴾ غير مجاوز قدر حاجته و لا عاد و لا مقصّر عـما يقـيم حياتـه (١) حكـاه الزّجاج(٢). قال مسروق(٣): و بلغني أنّ من اضطرّ إلى الميتة فلم يأكلها حتـى مـات دخـل النار.

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٦٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٨٤ (١٥٢٨ ، ١٥٢٩) بأطول مما هنا.

(٢) سعيد بن منصور في سننه: (٢٤٣ – تفسير) و تفسير الطبري: ٣/ ٦٠ و ابن أبي حاتم: ٥/ ١٤٠٨ (٨٠٢١) و البيهقي في الكبرى: ٣/ ١٥٦ و الدر المنثور: ١/ ١٦٨

(٣) ذكره عبد الرزاق عن معمر قال: قال الكلبي : بنحوه مختصراً: ١/ ٣٠١ و هـو بمعنـى قـول مجاهـد المتقدم قريبا في قاطع السبيل.

(٤) تقدّم تخريج قول السدي قريبا . و ينظر: النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٢٢٣

و قيل ﴿ وَلَا عَادٍ ﴾ فيتعدّى الحلال إلى الحرام وهو يجد مندوحة عن قتادة (٤).

و قال الزهري (٥): لا يأكل إلا { ما } (٦) يُمْسِك نفسه و لا يشبَعُ.

و قيل ﴿غَيْرَ بَاغٍ ﴾ غير مستحِلٍّ لها دون الضَّرورة ولا متعدٍّ قدر الكفاية، و معنى البغي قصد الفساد يقال بَغَى الجرح يبغى بغيا إذا ترامى إلى الفساد، و بغى الرجل حاجته يبغي و خرج فلانٌ في بِغَاءٍ إبلٍ له أي في طلبها، و بغت المرأة تبغي بِغاء إذا زَنَت، و البغايا في اللغة الإماء و هنّ الفواجر (٧).

و قيل الميْتُ خفيفٌ الذي قد مات و الميّت بالتثقيل الذي يموتُ (٨) قال الله تعالى لنبيه ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر:٣٠] والأصحّ أنّ لا فصل بينهما و إنما هو كهَيْنٍ و هَيّن و لَيْنٍ و لَيّن .

---

(١) في النسخة (ل) : رسمت : حيوته.

(٢)معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢١١

(٣) قول مسروق في تفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٦ و الاستذكار لابن عبد البر: ٥/ ٣٠٧ والبغوي: ١/ ١٤١ و عزاه في الدر المنثور: ١/ ١٦٨: إلى وكيع و عبد بن حميد و أبي الشيخ.

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ٦١ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ (١٥٣٠) و الدر: ١/ ١٦٨ و عزاه لعبد بن حميد.

(٥) لم أعثر عليه و ينظر: البسيط للواحدي: ١/٥٤٨ ،و هذا القول قال به جمع من العلماء منهم الشافعي في أحد قوليه و مالك في إحدى الروايتين و أبو حنيفة : ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ١/ ١٦٠ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٦ والاستذكار: ٥/ ٣٠٧ – ٣٠٩ و أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ٨٣ وبداية المجتهد: ١/ ٣٤٩ والمغني: ٩ / ٣٣٠

(٦) ليست في النسخة (ل) .

(٧) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢١١ و لسان العرب (بغا) و تفسير نجم الدين عمر النسفي : التيسير في التفسير: (ورقة ١٥١) وتفسير القرطبي: ٢/ ٢٣٢ و التفسير الكبير للرازي: ٥/ ١٢

(٨) تفسير الطبري: ٣/ ٥٥ ورجح أنها لغتان لا اختلاف في معنييهما و إعراب القرآن لابن النحاس: ٣/ ٣٦٣ و لسان العرب: (موت) وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٣ و المحرر الوجيز: ١/ ٢٣٩ و القرطبي: ٢/ ٢١٦ والبحر:

و قيل الأصل في المَيْت بالتخفيف ميّت بالتشديد إلا أنّهم قالوا ميْتٌ طلبا للتخفيف (١). و أصل ميّت مَيْوِت كسيّد أصله سَيْوِد و كذلك جيّد أصله جَيْوِد (٢).

وقال الشاعر (٣): إنما المَيْت ميّت الأحياء

فجمع اللفظين في بيتٍ واحدٍ.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الآية [١٧٤] يعني علماء اليهود الذين كتموا أمر النبي صلى الله عليه و سلّم، و يشترون به ثمنا قليلا أي عَرَضا يسيراً أي كتَموه لأنّهم أخذوا على كتمانه الرُّشا. والهاء في به يحتمل أنْ يعود إلى الكتمان أي يشترون بالمكتوم مما أنزل الله (٤).

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ هذا على المجاز لمّا كانت عاقبة الحرام النار سمّاه ناراً في الحال (٥) كما قال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَـٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًا﴾ [النساء:١٠] .

١/ ٤٨٦

(١) المصادر المتقدمة، و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢١١

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٥٥ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٥

(٣) البيت لعدي بن الرّعلاء: و أوله: ليس من مات فاستراح بمَيْتٍ ... : الأصمعيات: صـ ١٥٢ وتفسير الطبري: ٣/ ٥٤ و لسان العرب: (موت) و معجم الشعراء: ص٨٦ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٤ و المحرر الوجيز: ١/ ٢٣٩ و القرطبي: ٢/ ٢١٦ و البحر: ١/ ٤٨٦

(٤)تفسير الطبري: ٣/ ٦٥ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٥ و المحرر لابن عطية: ١/ ٢٣٩ قال ابن عطية: (والضمير في به عائد على الكتاب ويحتمل أن يعود على ما وهو جزء من الكتاب فيه أمر محمد ﷺ وفيه وقع الكتم لا في جميع الكتاب ويحتمل أن يعود على الكتمان)اهـ. و التفسير الكبير للرازي: ٥/ ٢٣

(٥) قال الطبري: أيْ إلا ما يوردهم النار بأكلهم : تفسير الطبري: ٣/ ٦٧ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٧ والمحرر لابن عطية: ١/ ٢٣٩ و ينظر: البحر: ١/ ٤٩٢

وقال الحسن [(١)] : يأكلون في الآخرة النّار فأما الآن فقد أكلوا فُنون الأطعمة .

وذِكرُ البطن ههنا تأكيدا [(٢)](١١٦و) كقولهم: أَكَلَ ماله إذا أفسده و بذّره وكقولهم كَلَّمهُ من فيه لأنه قد يُكلّمه مراسلةً و مكاتبةً وناوَلهُ من يده لأنه قد يناوله من يد غيره .

﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ يعني يوم القيامة بكلامٍ يَسُرُّهم فأمّا التهديد و المناقشة فلا بدَّ.

وقيل لا يُسمِعهم كلامَه فأمّا على لسان السفرة [(٣)]فنعم، وقيل لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية وقيل يغضَب عليهم كما يقال فلانٌ لا يكلِّم فلاناً أي هو غضبانٌ عليه.

﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ لا يثني عليهم وقيل لا يطهّرهم وقيل لا يصلحهم ولا يُخرِجُهم من أعمالهم الخبيثة. ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ مؤلمٌ موجعٌ في الآخرة .

قوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ﴾ الآية [١٧٥] قال الكلبي [(٤)]: أُولئك الذين اشتروا اليهودية بالإيمان .

وقال مقاتل[(٥)] : باعوا الهدى الذي كانوا عليه من الإيمان [١] بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يُبْعَثَ بالضّلالة التي دخلوا فيها حين بُعِثَ واختاروا العذاب على المغفرة لعِلْمِهم بأنّ

---

(١) لم أعثر عليه.

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٦٦ و ٢/ ١٦٨ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٧ و التفسير الكبير للرازي: ٥/ ٢٣ والبحر: ١/ ٤٩٢

(٣) كان في الأصل: السفر. و صححته لأن المقصود الملائكة : و ينظر: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢١٢ والنُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٢٢٤ و التفسير الكبير: ٥/ ٢٤ و البحر: ١/ ٤٩٣

(٤) لم أقف عليه. و قد قاله غير واحد من المفسرين لأن الآية في اليهود: تفسير السمرقندي: ١/ ١٤٢ وتفسير العلامة نجم الدين عمر النسفي الحنفي :(ت: ٥٣٧هـ) التيسير في التفسير: (ورقة ١٥٢) . و التفسير الكبير للرازي: ٥/ ٢٥ و البحر: ١/ ٤٩٤

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ٩٣ إلى قوله : (واختاروا العذاب على المغفرة).

محمداً صلى الله عليه وسلم على الحقّ و أنّ مخالِفَه يستحقّ العذاب فاختاروا العذاب النازل بهم غداً على مغفرة ذنوبهم لو آمنوا به .

و قوله : ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ قيل معناه أي شيءٍ أصبرهم على النّار ، وقيل إنه على التعجب معناه: ما أعملهم بعمل أهل النار. قاله مجاهد (٢).

وقال المؤرّج (٣): ما أصبرهم على عمل يُؤدِيهم إلى النار؛ لأنهم كانوا عُلماءَ بأنّ من عانده كان من أهل النار (٤)، وقيل ما أجرأهم على النار .

و المعنى أيضاً على عملٍ يُوجِبُ لهم النار عن قتادة (٥)و الحسن (٦) و الربيع (٧)ومجاهد (١).وقيل إنه لغة لبعض أهل اليمن وأنّ قاضياً استحلف رجلاً على

---

(١) في النسخة : (ل) : و بمحمد.

(٢) تفسير مجاهد: صـ ٢١٩ وتفسير الطبري: ٣/ ٦٩ و ٧٠ و سيكرره المصنف.

(٣)أبو فيد مؤرِّجُ بن عمرو بن الحارث بن ثور بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة، السَّدُوسي النحوي البصري؛ أخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وروى الحديث عن شعبة بن الحجاج وأبي عمرو ابن العلاء وغيرهما، وكان يقول: قدمتُ من البادية ولا معرفةَ لي بالقياس في العربية، وإنما كانت معرفتي قريحة، وأولُ ما تعلّمتُ القياسِ في حلقةِ أبي زيد الأنصاري بالبصرة. وقيل: إنّ اسمه مرثد، ومؤرج لقب له.

وله عدة تصانيف: منها كتاب الأنواء قال ابن خلكان: (وهو كتاب حسن)، وكتاب " غريب القرآن " وكتاب جماهير القبائل وكتاب المعاني وغير ذلك. (ت: ١٩٥هـ).

ترجمته في: تاريخ بغداد ١٣: ٢٥٨ و إنباه الرواة ٣: ٣٢٧ (وفي حاشية الإنباه مصادر أخرى) والأعلام:٧/ ٣١٨.

(٤) الكفاية لاسماعيل الحيري: ١/ ١٠٩ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٨و البحر: ١/ ٤٩٤

(٥)تفسير عبد الرزاق: ١/ ٦٩ وتفسير الطبري: ٣/ ٦٨ بلفظ: يقربهم إلى النار.

(٦) تفسير الطبري: ٣/ ٦٨

(٧) تفسير الطبري: ٣/ ٦٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٨٦ بعد الأثر(١٥٣٧).

دعوى خصمه فقال له الخصم ما أصبرَكَ على الله {أي}[٢] ما أجرأك عليه، حكاه الفراء [٣]عن قاضٍ من أهل اليمن أنّه وقع له، وقيل ما أبقاهم في النار كما يقال ما أصبر فلاناً في الحبس أي ما أطول مُدة حبسه. وقال قطرب [٤]: ما أدومهم على عملِ أهلِ النّار. وقيل ما الذي حملهم على أنْ عَمِلوا أعمال أهل النار قال السُّدي: [٥] هذا على وجه الاستهانة بهم[٦]. قال (ما أصبرهم على النار).

وقوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [آية:١٧٦] قيلَ إنّه إشارة إلى العذاب الذي تقدَّم ذكرُه أي ذلك العذاب لهم بأنّ الله نزل الكتاب بالحقّ فاختلفوا فيه.

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٧٠ بلفظ: (ما أعملهم بأعمال أهل النار) اهـ. يعني أنه تعجّبٌ و هو نفس معنى قوله المتقدّم قريبا .

(٢) زدتها لأجل سياق الكلام و اتباعا للمصادر الآتية.

(٣) نقله الفراء في معاني القرآن له عن الكسائي : ١/ ٨٢ و هو في الثعلبي: ٢/ ٤٨ و السمعاني: ١/ ١٧١ وتفسير القرطبي: ٢/ ٢٣٦ و البحر: ١/ ٤٩٤ و فيها جميعا: أن الفراء قال أخبرني الكسائي قال أخبرني قاضي اليمن .. الخ .

(٤) هذا قول الكسائي و قطرب : تفسير الثّعلبي: ٢ / ٤٨ و تفسير القرطبي: ٢/ ٢٣٦ و البحر: ١/ ٤٩٤ .

(٥) تفسير الطبري: ٣/ ٦٩ و فيه : هذا على وجه الاستفهام، يقول: ما الذي أصبرهم على النار و هو الذي نقله الثعلبي: ٢/ ٤٨ و الواحدي في الوسيط : ١/ ٢٦٠ والبغوي: ١/ ١٤١ و غيرهم. فـ (ما) على هذا استفهامية لا تعجبية. وفي الثعلبي بعد نقله ما قدمت عن السدي و عطاء و غيرهما : فقيل هذا على وجه الاستهانة.

(٦) كان في الأصل: به.

وقيل ذلك الأمر أو ذلك العذاب الـذي يُنـزَلُ بهـم في الآخـرة لأنّ الله نـزل الكتـاب بـالحق فاختلفوا فيه (١)﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ﴾ (٢)خـلاف وعـداوة ﴿بَعِيد﴾ أي بعيد من الحق وقيل ﴿بَعِيد﴾ أي شديد وقيل يتباعد بعضهم في مشاقّة بعضٍ .

قوله: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ﴾[الآية ١٧٧] قيلَ زَعَمَتِ اليهود أنّ البِرَّ استقبال المغرب لأنّ قبلتهم المغرب ،وقالت النصارى البِرُّ استقبال المشرق لأنّ قبلتَهم ثـَمّ، فـأنزل الله ليس البِرّ ما قالت اليهود ولا ما قالت النصارى ولكنّ ا لبِرَّ هو الإيمان بالله وبمحمد صـلى الله عليه وسلم وما ذَكَرَهُ في الآية ، عن قتادة (٣)و الربيع (٤) .

وقيـــل لمّـــا نـــزل قولـــه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١١٥] كانوا يتحرَّون في الصلاة و يجتهدون فأخبر الله أنـه لـيس كـل الـبر في الـصلاة الصلاة خيرٌ وبِر ولكن كمال البِرِّ وتمامه فيما ذكـرَ الله وهـو قولـه : ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ الآية [البقرة:١٧٧] عن ابن عباس (٥) ومجاهد (١) و الضحاك (٢).

---

(١) ذكر الطبري: ٣/ ٧٣ الأقوال ثمّ رجح أن (ذلك) إشارة إلى جميع ما حـواه قولـه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [١٧٤] إلى قولـــــه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [١٧٦] من خبره عن أفعال أحبار اليهود و ذكرِهِ ما أعدّ لهم الخ.

(٢) في الأصل سقطت كلمة ﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ من الآية.

(٣)تفسير عبد الرزاق: ١/ ٦٦ وتفسير الطبري: ٣/ ٧٥- ٧٦

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ٧٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٨٧ بعد الأثر(١٥٤١)

(٥) هو من طريق محمد بن سعد العوفي بسنده عن آبائه عن ابن عباس: تفسير الطـبري: ٣/ ٧٤ و ابـن أبي حاتم: ١ / ٢٨٧ (١٥٤٠). و رواه الطبري أيضا من طريق ابن جريج عن ابن عباس بنحـوه:

﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ صدّق بالله ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ أي البعث ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي وصدّق بجميع ذلك ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قيل لم يُرِد به الزكاة المفروضة و إنما أراد أنْ يتنفّل فيتصدَّق على ذوي القرابة و اليتامى. و المسكين قيل: الطَّوّاف الذي يسألُ مالَكَ؛ وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(ليس المسكين بالطَّوّاف الذي يَرُدُّه الأكلة و الأكلتان و التمرة و التمرتان ولكنّ المسكين الذي لا يسأل الناس شيئاً ولا يُفطَنُ له فيتصدّق عليه) (٣).

﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قيل الضيف عن قتادة (٤).

و قال مجاهد (٥): هو المسافر، وقيل الغازي .

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ قيل هم المكاتبون (٦) ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي الصلوات المفروضة ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي الزكاة المفروضة ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْ﴾

٣/ ٧٥

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٧٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٨٧ (١٥٤٢) و الدر: ١/ ١٧٠ و زاد عزوه لعبد بن حميد.

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٧٥ و علقه ابن أبي حاتم: ١/ ٢٨٧ .

(٣) متفق عليه رواه البخاري في مواضع منها: كتاب التفسير: باب : ٤٨ لا يسألون الناس إلحافا. (ح ٤٥٣٩) و مسلم (ح ١٠٣٩) طبعة فؤاد عبد الباقي. كتاب الزكاة ، باب: ٣٤ و ينظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٣٢٦

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ٨٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٨٩ معلقا.

(٥) تفسير الطبري: ٣/ ٨٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٩٠ ، ٣/ ٩٥٠

(٦) لم يذكر الطبري غيره : ٣/ ٨٤ و قال الواحدي قال جميع المفسرين: يريد به المكاتبين : الوسيط: ١/ ٢٦٢ و نسبه الثعلبي لأكثر المفسرين: تفسير الثّعلبي: ٢/ ٥٢ قال :و قيل فداء الأسارى و قيل عتق النسمة وفكّ الرقبة. و ينظر: النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٢٢٧و زاد المسير: ١/ ١٧٩

فيما بينهم وبينَ النّاس من إنجاز المواعيد و تصديق القول بالعمل و العِـدَةِ بالوَفَـاء، وقيـل مـا عهد الله إليهم من عبادته وما عهد إليهم لبعضهم عـلى بعـضٍ ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ ﴾ يعني الفقر و البُؤْس ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ يعني البلاء من الزَّمانـة و المـرض و غـير ذلـك ﴿وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾ عند الحرب ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ في إيمانهم وجهادهم.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ قيل هذه الصفة خاصة بالأنبياء لأنّ غيرَهم لا يستكمل ذلك أجمعَ ،وقيل هو عام في جميع المؤمنين (١) وقُرأ (ليس البِرُّ) بالرفع وبه قـرأ الأكثـرون (ولـيس البِرَّ) بالنصب وبه قرأ حمزة و حفص عن عاصمٍ(٢)، و قُرِأ (ولكنَّ البِرَّ) بالتثقيل و قُرِىء (ولكنْ) بالتخفيف (٣) فمن قرأ (ليس البِرُّ) بالرفع جعل الخبرَ في (أنْ تولوا) وهـو الوجه أنْ يلي الاسم الفعل ومن نصب البِرَّ جعل الاسم مؤخراً في التولية كقوله :

﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَا ﴾ [الحشر:١٧] ومن ثقّـل لكـنَّ نـصب الاسم بعده، ومن خفف رفعه وكلاهما في معنى العطـف والتّـدارك (١١٧ و) إلا أنَّ الثقيلـة أبلغُ في التأكيد أراد؛ و لكنَّ البرَّ برُّ من آمن بالله كقولهم الجواد حاتمٌ و الشجاعة عنترة والشعر زهيرٌ يريدون الجود جود حاتم و الشعر شعر زهيرٍ .

---

(١) النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٢٢٧ و الراجح عمومه لعموم ألفاظ الآية و لأنه لا دليل على التخصيص و لم يذكر الطبري: ٣/ ٩٢ إمام المفسرين غير العموم أصلا. و كذلك جمع من المفسرين منهم :الثعلبي: ٢/ ٥٣ و ابن الجوزي: زاد المسير: ١/ ١٧٩ و القرطبي: ٢/ ٢٤٣

(٢) السبعة: صـ ١٧٦ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٤٩ و الوسيط: ١/ ٢٦١ و غاية الاختـصار: ٢/ ٤٢٢ و النـشر: ١/ ٢٢٦

(٣) قرأ نافع و ابن عامر: (لكن البرّ) بتخفيف لكن و قرأ الباقون بالتشديد: غاية الاختصار: ٢/ ٤٢٢ و النشر: ٢/ ٢٢٦ والدر المصون: ١/ ٤٤٧

قال أبو عبيدة [١]: و فيه قول آخر و هو أنْ يكون البر بمعنى البارّ لأنّ البر اسمٌ للفعل والبارّ اسمٌ للفاعل كقوله: (إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سحر) [طه:٦٩] أي كيد ساحرٍ، (وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى)(طه: من الآية١٣٢) للمتقين ،(وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ)،(الحج: من الآية٣٧) أي المتقون و المعنى ،و لكنَّ البارَّ من آمن بالله .

و قوله: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ يعود الهاء على المال أي و أنتم أصحّاء ترجون الحياة و تأملونها عن ابن مسعود [٢] و الشعبي [٣] و قيل يعودُ الهاءُ إلى الله أي على حبِّ الله وقيل على حبِّ الإيتاء [٤]. و كذلك قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [الإنسان:٨] أي على حب الإطعام .

و قوله : ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ قيل فكاك الأسرى وهذا إذا كان المراد بإيتاء المال غير الزكاة فإن كان المراد به الزّكاة المفروضة فالرّقاب المكاتبون لأنّه لا يجوز أن يشتري الرجل بزكاته عبدا يعتقه [٥].... [١]في النّساء ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [النساء: آية: ١٦٢] ، و في

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٦٥ و المصنِّف نقله بالمعنى، و ينظر: تفسير الطبري: ٣/ ٧٧ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٥٠ و البحر: ٢/ ٣

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٧٨ و ٧٩ و تفسير عبد الرزاق: ١/ ٦٦ و المصنف له : (١٦٣٢٤) و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٨٨ (١٥٤٦) و الحاكم: ٢/ ٢٧٢ و الدر: ١/ ١٧٠

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ٧٩

(٤) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٥١ و زاد المسير: ١/ ١٧٨

(٥) ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٥/ ٣٧ ففيه تفصيل مفيد نقلا عن القفال الشافعي في معنى هذه الآية يناسب ما ذكره المصنف . و اختلاف العلماء في هذه المسألة يذكر بالتفصيل عند الآية: (٦٠ من سورة التوبة) ففيها أصناف من تدفع إليهم الزكاة. و قد لخص الإمام القرطبي الخلاف الذي أشار إليه المصنف فقال: ٨ / ١٨٢ : ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ أي في فكّ الرّقاب قاله ابن عباس وابن عمر

المائدة: ﴿ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ [المائدة: آية: ٦٩] اختلفوا في ذلك فقال أبـو عبيـدة (٢): نـصبُها على تطاوُلِ الكلام. و الكوفيون يقولون إنه نصبٌ على المدحِ و أهلُ البصرة يقولون : إنه نصبٌ بإضمارِ أعني (٣) . وكان عاصمُ الجَحدري (٤) يكتُبُ هذه الحروفَ بالواوِ و يقرأُها بالياء كراهةَ مخالفة المصحف.

وهو مذهب مالك وغيره، فيجوز للإمام أن يشتري رقاباً من مال الـصدقة يعتقهـا عـن المـسلمين، ويكون ولاؤهم لجماعة المسلمين وإن اشتراهم صاحبُ الزَّكاة وأعتقهم جازَ هـذا تحـصيل مـذهب مالك وروي عن ابن عباس والحسن، وبه قال أحمد وإسحاق وأبو عبيد وقال أبو ثور لا يبتاع منهـا صاحب الزكاة نسمة يعتقها يجرُّ ولاءً وهو قـول الـشافعي وأصـحاب الـرأي وروايـة عـن مالـك والصحيح الأول)اهـ.

(١) هنا في النسخة (ل) : (لأنّ (مَنْ)) اهـ. كذا؟! . و لا يستقيم الكلام ففيه سـقط يـسير يـدل عـلى ذلـك سـياق الكـلام فـإن الكـلام هنـا عـن توجيـه النـصب في ﴿وَٱلصَّٰبِرِين﴾ فـإن مـا قبـل ﴿ٱلصَّٰبِرِين﴾ مرفوعٌ و هو قوله:(﴿ وَٱلۡمُوفُونَ ﴾. وقد ذكر الفراء توجيه النـصب في آيتـي النساء والمائدة اللتين ذكرهما المصنف في هذا الموضع من سورة البقرة : معـاني القـرآن للفـراء: ١/ ٨٣ - ٨٤

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٦٥ - ٦٦ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٥٢ و الكلام هنـا عـن توجيـه نـصب (الصابرين) .

(٣) ينظر: في توجيه نصب﴿ٱلصَّٰبِرِين﴾: معاني القرآن للفراء: ١/ ٨٣ – ٨٤ و مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٦٥ – ٦٦ وتفسير الطبري: ٣/ ٨٩ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢١٤ و تفسير الثّعلبـي: ٢/ ٥٢ والوسيط: ١/ ٢٦٢ و التفسير الكبير للرازي: ٥/ ٣٩ و الفريد: ١/ ٤١٠ و البحر: ٢/ ٧

(٤) لم أقف على هذا الخبر . وعاصم بن العجاج الجحدري البصري يكنى أبـا المُجـشّر مـن قـرآء القـرآن المشهورين، قرأ على نصر بن عاصم و على الحسن البصري و يحيى بن يعمر و غيرهم، وتوفي قبـل الثلاثين و مائة : ترجمته في :

الطبقات الكبرى لابن سعد : ٧ / ٢٣٥ و التاريخ الكبير: ٦ / ٤٨٦ و معرفة القراء الكبـار: ١/ ٢١٠ (

وقيل يجوز أنْ يكون في ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ مفعول تقـديره و آتـى المـال عـلى حبّـه ذوي القربـى واليتامى و الصابرين في البأساء (١) .

و قال الأخفش (٢): ﴿ وَٱلْمُوفُونَ ﴾ أراد به بِرّ الموفين فلمّا لم يذكر الـبرّ قـام (الموفـون) مقام البرّ .

و ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾ الفقر يقال بَئِسَ يبأَس بُؤْسا فهو بائسٌ ، و البأس الشدّة يقـال : بـؤُس يبـؤُس بأسا فهو بئيسٌ أي شجاع (٣).

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ [الآية: ١٧٨] يعني فُرِض علـيكم و القصاص فِعالٌ من المقاصّة و هو المماثلة في الجراح و أصل القصّ القطع يقال قصّ شعره أي قطعه ، وقيل أصله التّلو و قصصتُ أثره أي تلوته تَلْواً (٤).

و ليس معنى الآية أنّ القصاص واجبٌ علينا حتى لا ينبغـي تركـه و لكـن معنـاه : أنّ اعتبـار المماثلة بين القتلى فرضٌ علينا فالحرّ يقتل بالحرّ و العبد يقتل بالعبد، و لا يقتل بواحدٍ أكثـر مـن قاتله واحداً كان المقتولُ أو جماعةً، فالفريضة ترجِع إلى اعتبار المماثلـة بـين الـدّماء لا إلى نفـس

رقم ٣٩) و غاية النهاية: ١/ ٣٤٩.

(١)ذكره الباقلاني في كتابه الانتصارللقرآن: ٢/ ١٥٥، ثم قال : لأنّ البأساء: الفقرُ فكأنـه قـال: و آتـى المال الفقراء.

(٢) معاني القرآن للأخفش: صـ ١١٥

(٣) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢١٤ و تهذيب اللغة للأزهري: (بأس) ولسان العرب: (بأس) ومختار الصحاح (بأس) و فيه: (بَئِسَ الرجل بالكسر بُؤْسَا و بئيسا اشـتدت حاجتـه فهـو يـائِسُ) و في لسان العرب: (ورجلٌ بَئِسٌ: شجاع، بَئِسَ بَأْساً و بَؤُس بَأْسَةً . أَبو زيد: بَؤُسَ الرجل يَبْؤُسُ بَأْسـاً إِذا كان شديد البَأْسِ شجاعاً؛ حكاه أَبو زيد فـي كتاب الهمز، فهو بَئِيسٌ، علـى فَعِيل، أَي شجاع) اهـ.

(٤) لسان العرب: (قصص) و مفردات الراغب: (قصص)

القصاص حتى يلزم قتل القاتل حتماً، فمعنى الآية: كتب عليكم القصاص في القتلى أنْ يُقتصّ الحرّ بالحر، فحذف أنْ يقتصّ لدلالة الخِطاب عليه (١).

و القتلى جمع قتيلٍ مثل جريحٍ و جَرْحى و ما أشبه ذلك.

و قوله: ﴿ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾ قيل كان بين قريظة و النّضير دماءٌ و كان لأحدهما طَوْلٌ على الآخر فتحاكما إلى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم فنزلت الآية في التسوية بين الدّماء قاله مقاتلٌ (٢).

و قال سعيد بن جبير (٣): نزلت في الأوس و الخزرج جرى بينهم كلامٌ فقال بعضهم أما والله لو تأخَّر الإسلام قليلاً لقتلنا بالعبد منّا الحرَّ منكم و بالأنثى الذّكرَ، فنُهوا عن ذلك.

و عن ابن عبّاس (٤) و قتادة (٥) و الشَّعبي (٦) قال: كان بدأ ذلك في حيّينِ من أحياء العرب اقتتلوا قبل الإسلام بقليل ثمّ أسلموا و لبعضهم على بعضٍ خُماشات (٧) و قتلٌ فطلبوها ولأحدهما على الآخر فضلٌ، فأقسموا بالله ليقتلُنّ بالأنثى الذّكرَ منهم، وبالعبد الحرّ فلمّا نزلت هذه الآية، رضُوا و سلّموا.

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٩٣- ٩٤

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ٩٤ لكنه قال: إن ذلك كان بين حيين من العرب. و في الثعلبي: ٢/ ٥٣ عن ابن كيسان: أنه كان بين قريظة و النضير. وقول مقاتل و ابن كيسان لم يذكره الواحدي في أسباب النزول و لا الحافظ ابن حجر في العجاب: صـ ٢٣٩ - ٢٤٢.

(٣) رواه ابن أبي حاتم: ١ / ٢٩٣ – ٢٩٤ ونقله عنه الحافظ ابن حجر في العجاب: صـ ٢٤١ ينظر: تفسير الثّعلبي: ٢/ ٥٣ والدر: ١/ ١٧٢

(٤) الناسخ و المنسوخ لأبي عبيد: (رقم٢٥٢)و تفسير الطبري: ٣/ ١٠٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٩٤ (١٥٧٨) و البيهقي: ٨/ ٤٠

(٥)تفسير عبد الرزاق: ١/ ٦٦ و تفسير الطبري: ٣/ ٨٦ و البيهقي: ٨/ ٢٦ و الدر: ١/ ١٧٣

(٦) الناسخ و المنسوخ لأبي عبيد: (رقم٢٥١) و تفسير الطبري: ٣/ ٩٥ و الدر: ١/ ١٧٢ و زاد عزوه لعبد بن حميد

(٧) أي جنايات وجراحات واحدتها خُماشة. ينظر: النهاية (خمش) و لسان العرب: (خمش)

و قوله ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ﴾ يحتمل أنْ يكـون الهـاء في قولـه ﴿ لَه﴾ [(١)] و في قولـه ﴿أَخِيهِ﴾ يرجعان عـلى القاتـل يقـول: فمـن عفـي لـه مـن دمِ أخيـه الـذي قتلـه شيء ﴿فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ يأمر الوليّ برفق الطلب و ترك العنف و يأمر القاتل بأداء الدّية إليه بالإحسان مـن غير مطلٍ و لا سـوء معاملـةٍ. و الأخُ في هـذا التأويـل القتيـل عـن ابـن عبـاس [(٢)] و مجاهـد [(٣)] والحـسن [(٤)] و قتـادة [(٥)]، و يحتمـل أن يكـون الأخ هـو القاتـل و الهـاء في قولـه

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٣/ ١٠٤ – ١١٠ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢١٥ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٥٤ و السمعاني: ١/ ١٧٣ و البغوي: ١/ ١٤٥ والمحرر الوجيز: ١/ ٢٤٥ و الكشاف: ١/ ٢٤٦ و زاد المسير: ١/ ١٨٠ و البحر: ١/ ١٢

(٢) له طرق عن ابن عباس منها: ما عند عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٦٧ و مصنفه(١٨٤٥١) و سعيد بن منصور: في سننه (تفسير: ٢٤٦) و ابن أبي شيبة : ٩/ ٤٣٣ و البخاري في الصحيح : في كتاب التفسير باب رقم(٢٥) (٤٢٢٨) و (برقم: ٦٤٨٧) و النسائي: (٤٧٩٥) و تفسير الطبري: ٣/ ١٠٤ و ١١٢ و تهذيب الآثار له: ١/ ٣٤ والمنتقى لابن الجارود: (رقم: ٧٧٥) وابن أبي حاتم: ١ / ٢٩٤ و النحاس في ناسخه صـ ٨٦ و الدارقطني: ٣/ ١٩٩ و الحاكم ، والبيهقي: ٨/ ٥١ جميعهم من طرق عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن مجاهد عن ابن عباس: و لفظه عند الطبري: (﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ﴾: فالعفوُ أن يقبلَ الدِّية في العمد واتّباعٌ بالمعروفِ أن يطلبَ هذا بمعروفٍ ويؤدِّي هذا بإحسانٍ)اهـ. و رواه الطبري أيضا : ٣/ ١٠٥ و الحاكم : ٣/ ٢٧٣ و البيهقي: ٨/ ٥٢ من طريق حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس بمعناه. و رواه الطبري أيضا: ٣/ ١٠٥ و ابن حبان: (٦٠١٠) من طريق ابن المبارك عن محمد بن مسلم عن عمرو عن مجاهد عن ابن عباس بمعناه . ورواه الطبري أيضا: ٣/ ١٠٥ من طريق محمد بن سعد العوفي عن آباءه عن ابن عباس.

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ١٠٦ و ١٠٨

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ١٠٦ و ١٠٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٩٥ معلقا.

(٥) تفسير عبد الرزاق: ١/ ٦٧ و تفسير الطبري: ٣/ ١٠٧

﴿ لَهُۥ ﴾ تعود إلى ولي المقتول و معناه: فمن عُفي له من القاتـل شيء فاتبـاعٌ بـالمعروف أمـره بحسن المطالبة و أمر القاتل بحسن أداء الدّية و معنى هذا فعليه اتبـاعٌ بـالمعروف و عليـه أداءٌ بإحسان كقوله: ﴿ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾ [البقرة:١٩٦، المائدة:٨٩] وقولـه: ﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [النساء:٩٢، المجادلة:٣] و قيل معناه : فالأمر فيه اتباعٌ بالمعروف أو بالقصاص، وقيل الحكـم فيـه اتباعٌ بالمعروف. و قال السدي (١): ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ﴾ أي فمن بقـيَ لـه من ديةِ أخيه المقتول شيءٌ أو من أرْشِ جنايتهِ عند الجاني، فليتَّبـع بمعـروفٍ يعنـي بـه الـوليّ و المستحقّ لأخذ الدّية والأرْشِ ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ يعني فليؤدِّ الذي عليه الحقُّ ما عليه بالإحسان وتركِ المطْلِ . و قوله ﴿ عُفِيَ﴾ بمعنى بَقِيَ فإنما قالهُ لأنّ العفـوَ بمعنـى الفـضلِ و الكثرةِ من قوله ﴿ حَتَّىٰ عَفَواْ ﴾ [الأعراف:٩٥] أي كثُروا فكأنّه في المعنـى : فمـن كثُـر لـه قِبَل القاتل عن أخيه المقتول شيء (٢).

و قوله: ﴿ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ (١١٨ و) أي التّخيير بين العفو و القتل و أخـذ الديـة تخفيفٌ من قبل الله للمسلمين خاصةً، و ذلك أنه كان حكم أهل الكتاب القصاص أو العفو و كان حكم النّصارى العفو فقط فخيّر الله هذه الأمة بين الثلاث الخصال(٣).

و قال قتادة (٤): لم تحلّ الدية لأحد غير هذه الأمة.

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ١٠٩ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٩٥ (١٥٨٠).

(٢) في الطبري:٣/ ١٠٩ (فكأنّ معنى الكلام عندهم: فمن كثُر له قِبَل أخيه القاتل شيء)اهـ. وهـو في معرض تبيين الطبري لمعنى قول آخرين -ذَكَرَهم و لم يصرح بأسمائهم- قـالوا إنّ معنـى : ((فمـن عفي له من أخيه شيء)) أي فمن فضل له فضل ، وبَقِيت له بقيةٌ.

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ١١٢

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ١١٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٩٦ (١٥٨٦) و مختصر تفسير ابن سلام لابن أبي

و قيل إذا عفا عن القتل و رضي بالدية فقد نزل عن موجِبِ العمدِ إلى مُوجِبِ الخطأ الذي هو الدِّية و هو أخفّ لأنه أقلّ فذلك تخفيفٌ من الولي للقاتل فعلَهُ بأمر الله و بندْب الله إياه إليه.

ورحمة من ربكم وقيل أي و لتتراحموا بينكم ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ﴾ فقتل بالواحد أكثر من واحد و قيل : اعتدى بأنْ قتل بعد الرّضا بأخذ الدية و رجع عن العفو بعد أخذ الدية، و قيل كان و ليّ المقتول يرضي بأخذ الدِّية حتى يظهَرَ على القاتل، ثمّ يقتله بعده فتوعّد الله سبحانه على ذلك عن الحسن (١).

و قد يتّجه الوعيد على القاتل أيْ لا يتعدَّينّ إلى قتلِ غيره بعدما عُفِي عنه، ورضوا عنه بأخذ الدّية و لم يقتلوه فقال ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ على ما ذكرنا ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلمٌ قيل في الآخرة، و قيل في الدُّنيا بالقتل بأنْ قتل القاتل بعد أخذ الدية عن عكرمة (٢)وسعيد بن جبير (٣) و الضحاك (٤) .

قوله: ﴿ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ الآية [١٧٩] قيل حياة القاتل و المقتول لأنه إذا علم أنه إذا قَتَل قُتل انتهى عن القتل فيبقى هو و يبقى من يهمّ بقتله أيضاً (٥).

زمنين: ١/ ٢٤ و الدر: ١/ ١٧٣

(١)تفسير الطبري: ٣/ ١١٦ و الدر: ١/ ١٧٣ و لفظه عند الطبري: (قال كان الرجل إذا قَتَلَ قتيلاً في الجاهلية فرَّ إلى قومه، فيجيء قومه فيصالحون عنه بالدِّية، قال فيخرُج الفارّ وقد أمِنَ على نفسِهِ، قال فيُقتَلَ ثم يُرْمَى إليهِ بالدِّية فذلكَ الاعتداء)اهـ.

(٢)رواه ابن أبي شيبة: ٩/ ٤٦١ و الطبري: ٣/ ١١٦ و ١١٨ و ابن حزم في المحلى١٢/ ٢٦٥

(٣) تفسير الطبري: ٣/١١٧ - ١١٨ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٩٧ (١٥٩٢) .

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ١١٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٩٧ معلقا.

(٥)تفسير الطبري: ٣/ ١٢١ قول قتادة و غيره ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢١٥ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٥٦ ذكره كما هنا ثم قال : وهذا قول أكثر المفسرين و كذلك قال الواحدي في الوسيط: ١/ ٢٦٨.

وقال القتبي (١)إنّ سافك الدّم إذا أقيد منه ارتدع من كان يهمّ بالقتل اعتباراً به و خوفاً من أن يقتل كما قتل هذا القاتل و يُنشد في هذا:

أبلغ أبا مالكٍ عني مُغَلْغَلَةً   و في العِتاب حياة بين أقوامِ (٢)

يريد أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتابُ.

فكَفُّوا عن القتل فكان في ذلك حياة. و قال السدّي (٣): كانوا يقتلون بالواحد العشرة والمائة فلّما قصّروا على الواحد بالواحد كان في ذلك حياة للباقين.

{ و هذا} (٤) من فصيحات العرب في جزالة اللفظ و كمالِ المعنى في اختصار الكلامِ وأخَذَ العرب معناه فقالوا القتل أنفى للقتل (٥)فأوجَزُوا لكنهم كرَّوا الّلفظ في القتل فلفظُ القرآن أفصحُ و أجزل و أجمع.

---

(١) أي ابن قتيبة: و هو في غريب القرآن لابن قتيبة: صـ ٧٢

(٢) البيان و التبيين للجاحظ: ٢/ ٣١٦ و بعده ثلاثة أبيات و نسبه لهمّام الرقاشي و كرره في ٣/ ٣٠٢ و ٤/ ٨٥ و الحماسة لأبي تمام بشرح المرزوقي: صـ ١١٢٠و بعده ثلاثة أبيات و نسبها لعصام بن عبيد الله الزّمَّاني و عند التبريزي في شرحه : عصام بن عبيد بدل عبيد الله و لسان العرب: ١١/ ٥٠٥ (غلل) من غير نسبة و تاج العروس: (غلل) من غير نسبة و زاد المسير: ١/ ١٨١ . و المَغَلْغَلة بفتح الغينين الرِّسالة المحمولة من بلد إلى بلد وبكسر الغين الثانية المسرعة من الغلغلة سرعة السير. (لسان العرب) الموضع السابق. وفي شرح المرزوقي: ص١١٢٠ : أي رسالة يغلغِلها إلى صاحبها.

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٥٦ و الوسيط: ١/ ٢٦٨ . وفي تفسير الطبري: ٣/ ١٢٣ عن السدي قال: بقاءٌ، لا يقتل إلا القاتل بجنايته. ونقله في الدر: ١/ ١٧٤ و أشار إليه ابن أبي حاتم: ١ / ٢٩٨ و لم يذكر لفظه.

(٤)سقطت {و هذا } من الأصل وزدتها ليستقيم المعنى..

(٥) ينظر في مقارنة بعض العلماء لهذا المثل بالآية الكريمة من جهة الإيجاز و غيره وتفضيل ألفاظ الآية مطلقا: أحكام القرآن للجصاص: ١/ ١٩٧ والصناعتين لأبي هلال العسكري ص ١٨١ و ثمار القلوب للثعالبي: صـ ١٧٨ و البغوي: ١/ ١٤٦ والمحرر: ١/ ٢٤٧ و المثل السائر لابن الأثير: ٢/ ١١٧ وما

﴿ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ يا ذوي العقول و اللبّ خالص كلّ شيءٍ و أنفسه الذي يتركب عليه القشر ،و سمّي العقل لبّا تشبيها به لأنه أشرف الخصال في المرء، و ألبّ بالمكان إذا لزمه لزوم لبّ الشيء له و الملبّي يقول لبيك أي ملازمة لأمرك (١).

﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ الدّماء مخافة القصاص و قيل ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ ربكم باجتناب معاصيه.

و عن أبي الجوزاء (٢) أنه قرأ: (و لكم في القَصَص حياة) (٣)يريد به القرآن حياة القلبِ.

قوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ [الآية: ١٨٠]. قال الزجاج (٤):﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ المعنى وكتب عليكم إلا أنّ الكلام إذا طال استُغنِيَ عن

بعدها والتفسير الكبير للرازي: ٥/ ٤٩ والبرهان للزركشي: ٣/ ٢٢٢ و الإتقان: ٢/ ١٤٩ . مع العلم أنّ قول المصنف أخذه العرب يفيد أنهم أخذوه من الآية، ولا دليل على ذلك و معنى كلامِ العلماءِ أنه مثلٌ كان عند العرب.

(١) مختار الصحاح (لبب) و لسان العرب: (لبب) و تاج العروس: (لبب) صـ ٩٢٩ و الفائق للزمخشري(لبب): ٣/ ٢٩٥

(٢)أوس بن عبد الله الرَّبَعي بفتح الموحدة كنيته أبو الجوزاء بالجيم والزاي، روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص و أبي هريرة و عائشة رضي الله عنهم و غيرهم روى عنه: بديل بن ميسرة (م د ق)، وأبو الاشهب جعفر بن حيان العطاردي (خ) . روى له الجماعة. ثقة .مات سنة ثلاث وثمانين في وقعة الجماجم. ترجمته في: تهذيب الكمال : ٣/ ٣٩٢.

(٣)نسبها لأبي الجوزاء في مختصر شواذ القرآن :صـ١١ وقال قال ابن خالويه القصص ههنا القرآن. ونسبها له ابن عطية في المحرر: ١/ ٢٤٧ و أبو حيان في البحر المحيط: ١/ ١٥. و نسبها ابن النحاس في إعراب القرآن: ١/ ٢٨٢ إلى أُبيّ و أبي الجوزاء .

(٤) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢١٥ – ٢١٦

العطف بالواو و معناه معنى الواو لأنّ القصة الأولى قد استتمّت فالمعنى فرض عليكم القصاص و فرض عليكم الوصية .

و ليس معنى قولِهِ ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أنّه مكتوب عليه أن يُوصي إذا عاين الموتَ لأنّه في تلك الحالة في شُغل عن الوصيّة و لكنّ المعنى كتب عليكم أن توصوا و أنتم قادرون على الوصية .

و قوله: ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي مالا و كان هذا واجبا قبل آية الوصية في النّساء ، فكان الميراث للأولاد و الوصية للوالدين و الأقربين ثمّ نُسخت الآية.

فمن أجاز نسخ القرآن بالسنة فقوله: (لا وصية لوارث). بيانٌ و {لا} يجوز الوصية بكفرٍ أو رقّ و منهم من يقول الحكم في الوالدين منسوخ و في القراءة مُبْقىً و الوصية للأقارب و الميراث لأهله على بيان ما ذكر في سورة النساء بقوله: (يوصيكم الله في أولادكم) الآية وهذا ليس بصحيح لأنّ الميت بالخيار في الوصية للقرابة، ولا يجب عليه الإيصاء إنْ شاء أوصى و إن شاء تركَ، و الآية توجب الوصية فإذاً الآية منسوخة كلها (١) .

(١) اشتهر الاختلاف بين العلماء في آية الوصية هذه أمنسوخة هي أم باق حكمها فيمن لا يرث من قرابة الميت فقيل حكمها باق و هي غير منسوخة بل باقية فيمن لا يرث من قرابة الميت و به قال الضحاك وطاوس والحسن و هو اختيار الطبري و انتصر له في تفسيره ، و بالوجوب قال داود الظاهري. و جماهير العلماء لا يوجبون الوصية بل يستحبونها قال ابن عبد البر:

(قال الأكثر من العلماء ليستْ بواجبة لهم لأنّ أصلها الندب كما وصفنا وقالوا الوصية للأقربين إذا كانوا محتاجين أفضل)اهـ الاستذكار: ٧/ ٢٦٥ و التمهيد : ١٤/ ٢٩٢ و ذكر ابن عبد البر في هذا الموضع من التمهيد أنّ القول بإطلاق الوجوب شذوذ. ثمّ إنّ العلماء مجمعون على أنّ الوصية للوارث من قرابته غير جائزة. ينظر: الناسخ و المنسوخ لأبي عبيد: صـ ٢٣٠ و تفسير الطبري: ٣/ ١٢٣- ١٣٤ و الإقناع لابن المنذر: ٢/ ٤١٥ و أحكام القرآن للجصاص: ١/ ٢٠٤ و ما بعدها و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٥٧ و الاستذكار: ٧/ ٢٦٥ و التمهيد : ١٤/ ٢٩٢ المحلى: ٩/ ٣١٢ والمغني: ٦/ ٦ ومراتب الإجماع كتاب الوصايا : صـ ١٣٢ و تفسير القرطبي: ٢/ ٢٦٢ و البحر: ١/ ١٧ – ١٨ و ابن كثير: ١/ ٢١٣ و

وقال قتادة (١): (الخير) المال و المال ألفٌ فما فوق كأنهم كانوا لا يرون الوصية على من يقلّ مالهُ . وروي أن عليا رضي الله عنه دخل على مريض فقال أني أريد أوصي فقال عليٌ إن الله يقول : ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ و إنك إنما تدعُ شيئا يسيراً فدعه لعيالك فإنه أفضل لك (٢).

وروي أنّ رجلا قال لعائشة إني أريد أوصي قالت كم مالك؟ قال ثلاثة آلافٍ قالت كم عيالك؟ قال: أربعة قالت : إنما قال الله ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ و إنّ هذا لشيء يسيرٌ فاتركه لعيالِك (٣).

و مبلغ الوصية الثلثُ لخبرِ سعد بن أبي وقّاص (٤)و عليه حُمل قوله: ﴿ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ﴾ أي لا يجاوز الحدّ الذي جعل له في الوصية و هو الثلث.

و قوله: ﴿ ٱلۡوَصِيَّةُ﴾ ارتفع بقوله ﴿ كُتِبَ﴾ (٥).

أضواء البيان: ٢/ ١٠٦

(١) ابن أبي شيبة: ١١/ ٢٠٨ وتفسير الطبري: ٣/ ١٣٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ٢٩٩ (١٦٠٣)

(٢) رواه عروة عن علي رضي الله عنه: المصنف لعبد الرزاق: (١٦٣٥١ و ١٦٣٥٢) و تفسيره: ١/ ٦٨ و ابن أبي شيبة: ١١/ ٢٠٨ و الدارمي: ٢/ ٤٠٥ و تفسير الطبري: ٣/ ١٣٦، ١٣٧ و الحاكم: ٢/ ٢٧٣ ، ٢٧٤ و البيهقي: ٦/ ٢٧٠ و الدر: ١/ ١٧٤ و صححه الحاكم على شرطهما و تعقبه الذهبي بأنّ فيه انقطاعا . يعني أنّ عروة لم يسمع من علي رضي الله عنه.

(٣) المصنف لعبد الرزاق: (١٦٣٥٤ و ١٦٣٥٥) و سعيد بن منصور(٢٤٨ – تفسير) و ابن أبي شيبة: ١١/ ٢٠٨ و تفسير الطبري: ٣/ ١٣٧ و البيهقي: ٦/ ٢٧٠

(٤) حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي فيه: (أنّ النبي ﷺ عاده في مرضه فقال يا رسول الله أُوصِي بمالي كلِّه ؟ قال: لا قال: فالشطر قال: لا قال: فالثُّلث قال الثلث و الثلث كثير) متفق عليه وأخرجه أصحاب الكتب الستة. : البخاري في صحيحه: في كتاب الوصايا باب أن يترك روثته أغنياء خير من يتكففوا الناس ٣/ ١٨٦ و في كتاب المغازي باب قصة و فد طيء ٥/ ١٢٧ ، ١٢٨ و في أول كتاب النفقات: ٦/ ١٨٩ و مسلم: في الوصية باب الوصية بالثلث: ٣/ ١٢٥٠- ١٢٥٢ (١٦٢٨) و غيرهم.

(٥) يعني على أنه نائب فاعل .

و قيل إنّما ارتفع باللام (١) في قوله: ﴿لِلْوَالِدَيْنِ﴾ كما قال : ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١].

و قال الأخفش (٢): إنّما رفعُهُ على الاستئناف كأنه قال: إنْ ترك خيراً فالوصية للوالدين.

و قال قطربٌ (٣): إنّما ذَكَر الوصيةَ لأنها فعلٌ أي بمعنى الإيصاء ولذلك قال ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ [١٨١].

و قوله: ﴿ حَقًّا﴾ إن شئتَ نصبته على معنى جعل الوصية لهم حقّا و إن شئت نصبت حقّا على المصدر أي حقّ ذلك حقّاً (٤).

و قيل ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ ما يعرف ذوو التمييز أنه لا حيف فيهِ.

قوله: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ أي فمن بدّل و غيّر الوصيةَ بعدما سمعه من الميتِ فإنما إثم التبديل على المغيّرِ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لقول الموصي ﴿عَلِيمٌ ﴾ بفعل الموصِي والموصَى

---

(١)فالوصية على هذا مبتدأ و الوالدين الخبر. و هذان الوجهان اقتصر عليهما الزجاج: ١/ ٢١٦ و في إعراب الآية أقوال و تفاصيل تنظر في: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٨٣ والمحرر: ١/ ٢٤٨ والكشاف: ١/ ٤١٢ و التبيان للعكبري: ١/ ١٤٦ والفريد في إعراب القرآن: ١/ ٤١٤ و البحر:٢/ ١٩ –٢٠

(٢) معاني القرآن للأخفش: صـ١١٦

(٣) ينظر: تفسير الثّعلبي: ٢/ ٥٨ و الوسيط: ١/ ٢٧٠ و المحرر: ١/ ٢٤٩ الفريد/ ٤١٤ و البحر: ٢/ ٢٢

(٤)معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢١٧ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٨٣ والمحرر: ١/ ٢٤٩ الفريد/ ٤١٤ و البحر: ٢/ ٢٢

له ، و ذَكَر الكناية عن الضمير لأنّها في معنى الإيصاء لقوله: ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [البقرة:٢٧٥] أي وعظٌ.

و قيل: يعود الهاء على الكتاب من قوله ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾[آية:١٨٠] ويحتمل أن يكون المنهيّ عن التبديل الميّت نفسه عند وصيته فلا يغيرها عن المواضع (١) التي بيّن الله سبحانه له و قيل ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ ﴾ يعني الولي و قيل الوصي و قيل الشهود (٢).

والكناية في قوله ﴿ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ ﴾ يعود إلى ما بدّل، المعنى: فإنما إثـمُ التبديل على الذين يبدلونه.

و قيل كانوا ينَفّذون الوصية بعد نزول هذه الآية، و إنْ كانت مستغرِقةً للمال فأنزل الله ﴿ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا ﴾ [الآية: ١٨٢] (٣).

قوله: ﴿ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٍ ﴾ الآية قُرأ (موصٍ) بالتخفيف عن ابن كثير ونافع و أبي عمرو و ابن عامر و حفص عن عاصم و (موَصٍّ) بالتشديد عن الباقين (٤).

﴿ جَنَفًا ﴾ الجنف الميل و العدول و رجل أَجنفُ إذا كان فيه ميلٌ و قوسٌ جَنْفاءٌ إذا كان

---

(١) في النسخة (ل: الأصل) : الموضع.

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ١٣٩ وتفسير الثّعلبي:٢/ ٥٨ و الوسيط: ١/ ٢٧٠ و المحرر: ١/ ٢٤٩ الفريد/ ٤١٤ و التفسير الكبير للرازي: ٥/ ٥٢ و البحر: ٢/ ٢٢

(٣) نقله الثعلبي : ٢/ ٦٠ عن الكلبي و لفظه فيه: (كان الأولياءُ والأوصياء يمضُونَ وصيّة الميّت بعد نزول قوله تعالى (فمن بدله بعد ما سمعه) الآية وإن استغرق المال كله و يبقى الورثة بغير شيء، ثم نسخها قوله تعالى: ﴿ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا ﴾ [١٨٢] الآية)اهـ. و تبعه البغوي: ١/ ١٤٨

(٤) المبسوط: صـ ١٤٢ و الروضة للمالكي: صـ ٥٥٥ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٥٨ و غاية الاختصار: ٢/ ٤٢٢ و النشر: ٢/ ٢٢٦

فيها عِوَجٌ (١). و الجَنَفُ في الوصيّة أنْ يعدلها عن موضعِ الوصية، وقيل الجِنَفُ: الخطأ، و الإثم : العمدُ ، عن السّدّي (٢) و الربيع (٣) و عطية (٤) و قيل أن يجورُ في وصيته فيزيد على الثلث فهو الجَنَفُ و الإثم عن إبراهيم (٥).

وقيل هو أن يوصيَ و يعطي بعض ورثتِهِ دون بعضٍ عن عطاء(٦). و قيل أن يوصي لمن لا يرثه بما يعود إلى وارثه فإضرارُهُ إضرار بعض الورثة و تخصيص بعضٍ كالرجل يوصي لأولاد ابنته أو لزوجِ ابنته ليعود المال إلى ابنته فيخصّها بماله دون الورثة عن طاووس (٧) فرُخّص للولي و الوصي إذا لم يعدل الموصي في الوصية أنْ يردوا ذلك إلى الحقّ و رفع عنهم الجناح و الحرجَ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ بتغيير ذلك ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بهم حيث رخّص لهم في تغيير الوصية إذا كان بغير حقٍّ.

---

(١) مجاز القرآن : ١/ ٦٦ و تفسير الطبري: ٣/ ١٤٩ و تفسير الثّعلبي: ١/ ٥٩ و الوسيط: ١/ ٢٧١ و لسان العرب: (جنف).

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ١٤٦ ، ١٥٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٠٢

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ١٥١ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٠٢

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ١٥١

(٥) في الطبري عن إبراهيم: ٣/ ١٥١ تفسيره الجنف بالخطأ، و الإثم بالعمد، و فيه قبل ذلك : ٣/ ١٤٤ عنه أنه سُأل عن رجلٍ أوصى بأكثر من الثلث فقال اردده ثم تلا هذه الآية.

(٦) تفسير الطبري: ٣/ ١٤٥ . و ينظر: الطبري: ٣/ ١٥٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٠٢ (١٦١٤) وفيهما : أنه قال: ميلا.

(٧) تفسير عبد الرزاق: ١/ ٦٩ وسنن سعيد بن منصور: (٢٥٧ – تفسير) و تفسير الطبري: ٣/ ١٤٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٠١ (١٦١٣).

و قيل هو الرجل يُشرف على الموتِ فيوصي و لا يعدل في الوصيةِ فيُـذكَّرُ و ينبّـه عـلى موضـعِ الخطأ في و صيته عن مجاهدٍ (١).

و قيل ﴿ فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ﴾ بين الموصي أو بين الورثة بالعدل عن ابن عبّاسٍ(٢).

و قال الفراء(٣): لم يذكر الورثة و لا الموصَى إليه لأنه اكتفى بالمعنى لأنه علم أنّ هناك وصـيّة وورثةً و موصى لهم فقط . و بعضهم قال ﴿فَمَنۡ خَافَ﴾ أي فمن علِمَ لأنّ في العلـم طرفـا من الخشية (٤).

قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [الآية: ١٨٣] كتب عليكم أي فُرِض و أوجب. الصيام هو الصوم المعهود في الشريعة المعلوم عنـد النـاس و إن كـان أصـل الصوم في اللغة هو الإمساك عن الشيء.

﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ أي كـما فـرض ﴿ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍ﴾ [آية:١٨٤] نصبٌ على الظرف أي في أيام معدودات . و إن شئتَ أضـمرتَ ناصـبا أي كتـب عليكم أنْ تصوموا أياماً معدوداتٍ (٥)، و أجاز الفرّاء أنْ يكون خبراً لمَا (لم) (٦) يسمّ فاعله إذا كان فيه اسمان مختلفان أحدهما غير صاحبه رفعتَ واحداً، و نصبتَ الآخر كما تقول أُعطـي

---

(١) تفسير مجاهد: صـ ٢٢٠ و تفسير الطبري: ٣/ ١٤٢ و الدر: ١/ ١٧٥ و زاد عزوه لعبد بن حميد.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٣/ ١٤٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٠٣ (١٦١٩)

(٣) معاني القرآن للفراء: ١/ ٨٧ نقله المصنف بالمعنى.

(٤) الوسيط: ١/ ٢٧٠ و ينظر: تفسير الثّعلبي: ٢ / ٥٨

(٥)تفسير الطبري: ٣/ ١٥٦ ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢١٨ وفيه ما قاله المـصنف و إعـراب القـرآن لابن النحاس: ١/ ٢٨٤- ٢٨٥ و الوسيط: ١/ ٢٧٣ و إملاء ما من به الـرحمن: ١/ ٨٠ و تفـسير القرطبي: ٢/ ٢٧٦ و البحر: / ٣١

(٦) سقطت في الأصل (لم) سهواً من الناسخ.

عبدُ الله المالَ و لا تبالِ كان المنصوب معرفة أو نكرةً فإذا كان أحدهما نعتا للآخر وكانا ظاهرين رفعتهما فقلتَ ضُرِب عبد الله الظريفُ و إن كان أحدهما نكرةً نصبتَ و قلتَ ضُرِ ب عبدُ الله مظلوماً و راكباً و ماشياً (١) .

و قوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أي تتّقون الإفطارَ في وقت وُجُوب الصَّومِ عن السّدّي (٢) وقيل تتقون ترك حدود الله، و قيل لِتتقوا المعاصي فإنّ الصوم يُذهب شهوات المعصية.

واختلف أهل التأويل في معنى كاف التشبيه من قوله ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ كيف أشبه صومنا صومهم حتى شبّه بينهما فقال ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (٣) و قد أجمعوا على أنّ المراد بالصَّوم في هذه الآية المأمورِ به صومُ رمضان. فقال بعضهم كان قدْ أوجب الله سبحانه صومَ عاشوراء من حيثُ الوجوب في كلّ واحدٍ منهما، وقيل كان الواجب قبل رمضان صومَ ثلاثة أيامٍ من كلّ شهرٍ فنُسخ بهذه الآيةِ.

و قيل أوجبتُ عليكم الصوم كما أوجبتُه على من كان قبلكم فالتَّشبيه واقعٌ في وجوب الصوم لا على المساواة من كلّ الوجوهِ.

و قيل أراد بهذا صفة الصوم و ذلك أنّ صفة صوم النّصارى أنّه كان يحرم عليهم نواقض الصَّوم بعد النَّوم حتى كان الرّجل لو نام قبل أكل العِشاء حرم عليه الأكل إلى القابل وهكذا كان في ابتداء الإسلامِ لما قدم النبي صلَّى الله عليه وسلَّم المدينة وأوجب هذا الصوم أعني صوم

---

(١) معاني القرآن للفراء: ١/ ٨٨

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ١٥٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٠٥ (١٦٢٩). ولفظه عندهما: (يقول فتتّقون منَ الطّعام والشرب والنّساء مثل ما اتقوا يعني مثل الذي اتقى النصارى قبلكم)اهـ.

(٣) تفسير االطبري: ٣/ ١٥٣ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٦٢ و زاد المسير: ١/ ١٨٤ وتفسير القرطبي: ٢/ ٢٧٤ و البحر: / ٢٩ و تلخيص ذلك أن التشبيه إما في الصوم وصفته و إمّا في العدد.

رمضان و ذلك قبل بدرٍ بشهر و أيّامٍ ثمّ نسخ الله ذلك الحكم بقوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة:١٨٧] فوجهُ التشبيه إنّما هو من هذا الوجه كان صومُنا يشبه صومهم عن السُّدّي(١) والرّبيع (٢) . وقيل أراد به صومَ النصارى و ذلك لأنه أوجب عليهم ثلاثينَ يوما من رمضان وكان يختلف أوقاته فيهم فتارةً كان في الشتاء و تارة في القيظ يشتدُّ عليهم فاجتمعوا وأخّروه إلى وقتٌ معلوم في السنة لا يختلف في الشتاء والصيف وزادوا فيه لمكان التأخير عشرين يوما (٣).

فقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ التّشبيه في العددِ أي صومُكُم ثلاثون كما أوجبتُ عليهم ثلاثين فغيّروا هم ذلك ، وقيل كُتِبَ على النَّصارى ثلاثون يوما فأضاعوهُ فأصابهم مَوْتانٌ (٤) فماتوا فقالوا : زِيدُوا فيه عشراً عشراً فبلغَ خمسينَ (٥) .

وقيل كُتب عليهم ثلاثون فاحتاطوا لأنفسهم فصاموا يوماً قبله و يوماً بعده فما زالوا يزيدون يوماً يوماً حتى بلغ خمسين يوماً عن الشعبي (٦) . و قال قتادة(١) : ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ١٥٤ و الدر: ١/ ١٧٦

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ١٥٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٠٥ (بعد الأثر: ١٦٢٧)

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ١٥٤ خبر السدي المتقدّم قريبا و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٦٣

(٤) أي موتٌ: و في لسان العرب: (المُوتانُ و المَوْتانُ: كلُّه المَوْتُ، يقع في المال والماشية . الفراء: وَقَع في المال مَوْتانٌ ومُواتٌ، وهو الموتُ . وفي الحديث: يكونُ في الناس مُوتانٌ كقُعاصِ الغنم . المُوتانُ، بوزن البُطْلانِ: الموتُ الكثير الوقوع)اهـ.

(٥) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٦٣ و البغوي: ١/ ١٤٩

(٦) تفسير الطبري: ٣/ ١٥٣ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٦٣ و الدر: ١/ ١٧٦ مختصرا.

و لفظه عن الشعبي عند الإمام الطبري: (لو صُمتُ السنة كلها لأفطرت اليوم الذي يشك فيه فيقال: من شعبان، ويقال: من رمضان. وذلك أن النصارى فُرض عليهم شهر رَمضان كما فرض علينا فحوَّلوه إلى الفصل. وذلك أنهم كانوا ربما صاموه في القيظ يعدون ثلاثين يومًا. ثم جاء بعدهم قرن فأخذوا بالثقة من

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ يعني النّاس و ذلك أنّ شهر رمضان كان واجبا صومه في ملة إبراهيم و ملة من بعده فغيّروه .

وعن عطاء (٢) و ابن عبّاس في رواية (٣): أنه أراد به صوم ثلاثة أيام كان واجباً صومُهُ قبلَ رمضانَ فهو المعنيّ بقوله: ﴿أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍ﴾ (٤).

قوله ﴿أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍ﴾ يعني معلومات أي مُحْصَياتٍ يريد به شَهْرَ رمضان، و عن عطاء وابن عباس في رواية أنّه أراد به صوم ثلاثة أيام كان واجبا قبل رمضان (٥).

أنفسهم، فصاموا قبل الثلاثين يومًا وبعدها يومًا. ثم لم يزل الآخر يُستنّ سنّة القرن الذي قبله حَتى صارت إلى خمسين. فذلك قوله ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾)اهـ.

(١) تفسير عبد الرزاق: ١/ ٦٩ و تفسير الطبري: ٣/ ١٥٥ و الدر: ١/ ١٧٧

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ١٥٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٠٥، ٣٠٦ (١٦٣٠)

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ١٥٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٠٤ (١٦٢٣).

(٤) اختار الإمام الطبري أنّ المراد بمن قبلنا أهل الكتاب و رجح أنّ التشبيه واقعٌ على الوقت فقال: (وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى الآية:يا أيها الذين آمنوا فُرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم من أهل الكتاب،"أيامًا معدودات"، وهي شهر رمضان كله. لأن مَن بعدَ إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان مأمورًا باتباع إبراهيم، وذلك أن الله جل ثناؤه كان جَعله للناس إمامًا، وقد أخبرنا الله عز وجل أن دينه كان الحنيفيةَ المسلمةَ، فأمر نبينا صلى الله عليه وسلم بمثل الذي أمر به مَنْ قبله من الأنبياء. وأما التشبيه، فإنما وقع على الوقت. وذلك أن مَنْ كان قبلنا إنما كان فرِض عليهم شهر رمضان، مثل الذي فُرض علينا سواء)اهـ.

(٥)سبق نقله قريبا جدا.

قال الأخفش(١): كُتِبَ عليكم الصيام أياما لأنكَ شغلت الفعل بالصيام حتى صار هو يقـومُ مقـام الفاعل وصارت الأيّام مقام من فُعِل بها .

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ﴾ [البقرة:١٨٤] أي فأفطرَ فعليهِ صومُ عِدَّةِ مـا أفطـر فاختُـصر كقولـه: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾ (٢) [البقرة:١٩٦] أي فحلَقَ أو قصّرَ فعليه فديةٌ.

وقرئ في الشواذّ (٣)(فعِدّةً) نصباً أي فليصمْ ،و العِدّة العَدَدُ؛ و العُدَّة القوة.

﴿أُخَرَ﴾ لاينصرِفُ لأنّها فارقتْ بناء أخواتها وذلك أنّ الألف واللّام لا ينزعان من الـصفات عـلى الأفعل و الفُعلى كالأصغر والـصُّغرى فلـما نُزِعـتْ مـن أخـرى و آخـر مُنِعـتْ الـصّرف (٤).قـال الكسائيّ(٥): هي معدول عن الأسماء نحو عُمر وزُفَر.

(١) معاني القرآن للأخفش: صـ ١١٦

(٢) سقطت ﴿مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ من الأصل.

(٤)نسبها الثعلبي: ٢/ ٦٣ إلى: إبراهيم بن أبي عبلة. و ذكرها في البحر: ١/ ٣٢ و لم ينسبها.

(٤) ينظر: الكتاب لسيبويه: ٢/ ١٤ و إعراب القـرآن لابـن النحـاس: ١/ ٢٨٥ و شرح الكافيـة لابـن مالك: ٣/ ١٤٤٩ والتصريح شرح التوضيح: ٢/ ٢١٥ و المانع لقولهم : أُخَرَ من الصرف: هو الوصـفية و العدل .

(٥)إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٨٥ و فيه عن الكسائي: هي معدولةٌ عن آخَر كـما تقـول: حمـراء وحمر.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ﴾ أي على الذين يطيقون الصوم فأفطروا فديةٌ وهذا منسوخ بقوله: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [آية:١٨٥] وكان هذا في ابتداء الإسلام. و قُرِئ (فديةٌ طعامُ مسكينٍ) رُفِعَ الطعام بدلا من فدية (١). من أضاف الفدية إلى الطّعام وجَمَعَ المساكين أرادّ أيام الشهر كلَّها.

و الهاء في ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ يعود إلى الصوم و قيل يعود إلى الطعام والفداء (٢) .

و قُرِئ :(وعلى الذين يُطوّقونه) (٣)وهو اختيار ابن عباس أي من لم يُطِق إلا على جُهْدِ فله أن يُفطرَ و يطعم لكلّ يوم مسكينا يقوله للحامل و المرضِع و الشيخ الهرم ويقول إنه غير منسوخ ولا يوجب عليهم القضاء.

وقرأ عكرمة (٤)(يَطّوّقونه) والأصل يتطوّقونه أي يتكلفونه فأُدغم.

وعن ابن عباس شاذّا (يُطيَّقونه) (٥)الياء الأولى مضمومة و الطاء مخففة والياء الثنية مشدَّدةٌ و لا وجه له لأنه من الواو فلا وجه لردِّه إلى الياء بغير علّة .

---

(١) سيذكر المصنف القراءات فيها مع نسبتها قريبا.

(٢) الراجح عود الضمير على الصيام و قد قال الطبري عن القول بأنه عائد إلى الطعام : (إنه تأويل لتأويل أهل العلم مخالف)اهـ. تفسير الطبري: ٣/ ١٨٠ وينظر: القرطبي: ٢/ ٢٨٨

(٣) قول ابن عباس و قراءته رواهما: عبد الرزاق في مصنفه: (٧٥٧٤ ، ٧٥٧٥) و أبو عبيد في ناسخه: صـ ٤٧ و في فضائل القرآن له: صـ ١٦٣ وتفسير الطبري: ٣/ ١٧٢ و الدّارقطني: ٢ / ٢٠٧

(٤)عن عكرمة أنه قرأ:(يُطَوّقونه) كقراءة ابن عباس الماضية قريبا كما عند عبد الرزاق: (٧٥٧٣) وأبي عبيد في ناسخه(رقم: ٦٧ و ٦٩) و الطبري: ٣/ ١٧٣ و ذكرها ابن جني في المحتسب: ١/ ١١٨ والثعلبي: ٢/ ٦٤ وغيرهم وعنه: أنه قرأها : (يَطَّوّقونه): ذكرها ابن جني و الثعلبي أيضا. وينظر: مختصر في شواذ القراءات: ص ١١- ١٢ و المحرر: ١/ ٢٥٢ و تفسير القرطبي: ٢/ ٢٨٧

(٥)مختصر في شواذ القراءات: ص ١٢والمحتسب: ١/ ١١٨ والثعلبي: ٢/ ٦٤ والمحرر: ١/ ٢٥٢ و تفسير القرطبي: ٢/ ٢٨٧ و البحر: ٢/ ٣٧

و قيل خيَّرهم الله سبحانه في ابتداء الإسلام بين الصوم والفطر فكـان الغَنـيُّ يفطـر و الفقـير يـصوم فنُسخ ذلك بقوله: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ (١) .

وقوله﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾ [آية:١٨٤] قيل من تطـوّع في الفديـة فـأطعمَ مكـان مـسكينٍ واحد مسكينين فهو خير له عن ابن عبّاس (٢) وعطاء (٣)،و مجاهد (٤)،وقيل من صـامَ مـع

(١)في هذه الآية خلاف بين الصحابة و من بعدهم وفيها ترجيحات لأهل العلم مختلفة و أكثـر الـسلف على أنها منسوخة و ممن رجح القـول بالنـسخ: الطـبري: ٣/ ١٧٨ – ١٧٩ وأطـال و أطـاب كعادتـه في التدليل عليه و كذلك رجحه ابن النحاس في الناسخ و المنسوخ : ١/ ٩٤ والجصاص: ١/ ٢٢٠ .

و عبارة الطبري : (وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ﴾ ، منسوخٌ بقول الله تعالى ذكره: فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ

لأن"الهاء" التي في قوله:"وَعلى الذين يُطيقونه"، من ذكر"الصيام" ومعناه: وعلى الذين يطيقون الصيام فديةٌ طعامُ مسكين) اهـ. و قد قال القرطبي رحمه الله مبيِّنا اختياره: (ثبت بالأسانيد الصّحاح عن ابن عباس أنّ الآية ليست بمنسوخة وأنها محكمة في حق من ذُكِرَ، والقول الأوّل صحيح أيضا إلا أنه يحتمل أن يكون النسخ هناك بمعنى التخصيص فكثيرا ما يطلق المتقدّمون النسخ بمعناه)اهـ. و المقصود أنّ الراجح القول بأنها منسوخة بقوله تعالى : فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ

و يليه في القوة القول بأنها محكمةٌ في حقّ الشيخ الهرم.

و ينظـر: الناسـخ المنـسوخ لأبي عبيـد: صــ ٤٢ – ٦٨ وتفـسير الطـبري: ٣/ ١٦٠ – ١٨٠ و الناسـخ والمنسوخ لابن النحاس : ١/ ٩٤ وأحكام القرآن للجصاص: ١/ ٢٢٠ و تفسير السمرقندي: ١/ ١٤٧ و الثعلبي: ٢/ ٦٤ – ٦٥ و الاستذكار: ٣/ ٣٦١ و البغوي: ١/ ١٤٩ و أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ١١٣ والمحرر: ١/ ٢٥٢ و التفسير الكبير: ١/ ٦٧ : ١/ وتفسير القرطبي: ٢/ ٢٨٧ والبحر: ٢/ ٣٧

(٢) تفسير الطبري: ٣ / ١٧٤ أوله ثم أخرجه كما هنا ٣/ ١٨٣ – ١٨٤

(٣)تفسير الطبري: ٣/ ١٨٤ ، ١٨٥

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ١٨٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٠٩ (١٦٤٣)

الفِدية فهو خيرٌ له عن ابن شِهاب [(١)]. ﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾[البقرة:١٨٤] فلا تفطِرُون فهو خيرٌ لكم ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ذلكم. وقرأ نافع وابن عامر [(٢)](فديةُ طعام مساكينٍ) بإضافة الفدية و جمعِ المساكين و قرأ الباقون (فديةٌ) بالتنوين (طعام مسكين) على التوحيد .قوله: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[الآية: ١٨٥]، قوله ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾ رُفع من وجوهٍ أحدها: على إضمارٍ أي أتاكم شهر رمضان ، وإنْ شئتَ قلتَ هو مبتدأ وما بعده خبره ، وإن شئت جعلته بدلاً من الصيام وهو في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣][(٣)]. قال الفراء[(٤)]: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾ رفعٌ مستأنفٌ أي ذلكم شهر رمضان .قال الأخفش [(٥)]:﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾ على تفسير الأيام كأنه حين قال : ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ فسّرها فقال : هي شهرُ رمضان . وقرأ بعضهم (شهرَ رمضانَ) بالنصب [(٦)]قال أبو عبيدة[(١)]: نصبوه بالإغراء أي عليكم شهرُ رمضان . قال اليزيديّ [(٢)] : معناه وأنْ تصوموا شهر رمضانَ خير لكم .

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ١٨٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٠٩ (١٦٤٤)

(٢)السبعة: ١٧٦ و الروضة: ١/ ٥٥٦ و النشر: ٢/ ٢٢٦ و الاتحاف: ص١٥٤

(٣)معاني القرآن للفراء: ١/ ٨٨ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢١٩ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٨٧ و كشف المشكلات و إيضاح المعضلات لجامع العلوم الباقولي: ١/ ١٣٨ و البحر: ٢/ ٣٨

(٤) معاني القرآن للفراء: ١/ ٨٨

(٥) معاني القرآن للأخفش: صـ ١١٧

(٦) قراءة شاذة تروى عن مجاهد و الحسن وشهر بن حوشب و غيرهم : مختصر الشواذ : صــ ١٤٠ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٨٦ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٦٧ و زاد المسير: ١/ ١٨٧ وتفسير القرطبي: ٢/ ٢٩١ و البحر: ٢/ ٣٨و الدر المصون: ١/ ٤٦٥ و نسبها الأخفش في معاني القرآن: صــ ١١٧ إلى بعضهم

قال أبو حاتم: نصبُه على البيان والبدل . وتقديرُه كُتب عليكم أنْ تصوموا أياماً معدوداتٍ شهراً، ولا يجوز أنْ تنصبه على وأنْ تصوموا لأنك تُصَيّره في صفةِ أنْ الخفيفة و قد فصلتَ بينهما في الخبر وهو قوله: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ والصِّلاتُ لا ينفصِلنَ من الموصول بكلام فاصلٍ بينهما إلا أنْ يكون ذلك الكلام الصّفة. وقال الأخفش (٣): هو نصْبٌ على الظَّرْفِ أي كُتِبَ عليكم الصِّيام في شهر رمضانَ، ورمضان في موضع جرٍّ لأنّ الشهر أضيف إليه ولكنّه لا ينصرِف

قال الفرّاء (٤): والشّهر مأخوذٌ من الشُّهرة وهو البياضُ، ومنه قولهم شَهَرْتُ السّيف إذا سَلَلْتَهُ، وشَهَرَ الهلال إذا طَلَعَ، وسُمِّيَ رمضان في أول ما سُمِّيَ لِشِدّة حَرِّهِ يقالُ رَمَضَتِ الشّمس الشيء إذا أحرَقته والرّمْضاء الحِجارة المُحْماة (٥). ورُوِي عن النّبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذاتَ يوم لأصحابه: (أتدرون لم سمِّي شعبان قالوا الله ورسوله أعلم قال لأنه يتشعّبُ فيه خيرٌ كثير لرمضان

---

(١)لم أجده في مجاز القرآن و هو في تفسير الثّعلبي: ٢/ ٦٧ و ينظر: المصادر السابقة مع معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢١٩

(٢) لم أقف عليه

(٣) معاني القرآن للأخفش: صـ ١١٧

(٤)لم أعثر عليه في معاني القرآن له، ونقله عنه أيضا الثعلبي: ٢/ ٦٧ و ذكره الواحدي و لم ينسبه للفراء: البسيط: ٢/ ٦٠٠ . و في معاني القرآن للزجاج: ١/ ٢٢٤ سُمّي شهرا لشهرته و بيانه و نقله عن الزجاج الأزهري في تهذيب اللغة: ٦ / ٨٠(شهر) ثم عقب الأزهري فقال و قال غيره: (سمي شهراً باسم الهلال إذا أهلّ يسمى شهرا). وينظر: الطبري: ٣/ ١٨٧ ولسان العرب: (شهر) والمخصص لابن سيده: ٩ / ٢٦ وتفسير السمرقندي: ١/ ١٥٣ والتفسير الكبير: ٥/ ٧١

(٥) وقيل أخذ من قولهم :رمَضْتُ النصْلَ أرمِضُه رَمْضًا: إذا دقَقْتُه بين حجرين ليرقَّ، ونصل رَميض ومَرْمُوض، فسمي هذا الشهر رمضان لأنهم كانوا يرمُضُون فيه أسلحتهم، ليقضوا منها أوطارهم في شوالٍ قبل دخول الأشهر الحرم. ذكره الواحدي في البسيط: ٢/ ٦٠٢ و ذكر أقوالاً أخرى و ينظر في ذلك أيضاً: الطبري: ٣/ ١٨٧ و مجمل اللغة : (رمض) ١/ ٣٩٩ ولسان العرب: (رمض) و النهاية: (رمض) و تاج العروس: (رمض) و الثعلبي: ٢/ ٦٧ و القرطبي: ٢/ ٢٩١ والتفسير الكبير للرازي: ٥/ ٧١

أتدرون لم سُمِّيَ رمضانقالوا الله ورسوله أعلم قال: لأنه يُرَمِّضُ الذنوب) (١). وكان مجاهدٌ(٢): يكرهُ أن يقول رمضان وقال لعلّه اسمٌ من أسماءِ الله وكان يقولُ شَهْرُ رمضان.

---

(١) خبر موضوعٌ في إسنادِهِ زياد بن ميمون كذّابٌ: الفوائد المجموعة: صـ ٩١ وكنز العمال: ٨ / ٩٦٧ وتذكرة الموضوعات: ١/ ٤٩٧ و السلسلة الضعيفة: ٧ / ٢٢٤ وعزاه السيوطي إلى محمد بن منصور السمعاني وأبو زكريا يحيى بن منده في أماليهماعن أنس كما في كنز العمال : ٨ / ٩٦٧ .
وشطره الأخير وهو قوله: (أتدرون لم سُمِّيَ رمضان قالوا الله ورسوله أعلم قال لأنه يُرَمِّضُ الذنوب) عزاه السيوطي أيضا في الدّر إلى ابن مردويه والأصبهاني في الترغيب. الدر: ١/ ١٨٣ .
و قد ذكره أيضا ابن المصنف في تفسيره ، بصيغة التمريض قائلاً: (و في الخبر)اهـ: (التيسير في التفسير : ورقة: ٨٣).

(٢)الطبري: ٣/ ١٨٧ - ١٨٨ من طريق أبي نعيم عن سفيان -و هو الثوري- عن مجاهد و علّقه ابن أبي حاتم: ١/ ٣١٠ و عزاهُ في الدر: ١/ ١٨٣إلى وكيع و الطبري. و الثوري لم يسمع من مجاهد كما هو بيّن من ترجمته : (ت: الثوري : ١٦١هـ). (الجرح و التعديل: ٤ / ت : ٩٧٢ و تهذيب الكمال: ١١/ ١٥٤ و سير النبلاء : ٧ / ٢٢٩).

قال القرطبي: ٢ / ٢٩٢ (والصحيح جواز إطلاق رمضان من غيرِ إضافة كما ثبتَ في الصحاح وغيرها)اهـ.

وقوله : ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ وقد أُنزل القرآن في غير رمضان من الشهور ولكنّه لمّا ابتُدئ فيه الوحي في رمضان خصّ به (١).

وقال قتادة سُئل ابن عباس عن هذا فقال:

((أُنزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدّنيا ليلة القدر من شهر رمضان فنزل على محمد نُجُوماً في ثلاثٍ وعشرينَ سنة)).(٢)

وبه قال سعيد بن جُبير (٣)والسّدّي. (٤)

وقيل كان ينزل كلَّ سنة قَدْرَ ما ينزل على محمدٍ في تلك السنة في ليلة القدر من رمضان وهذا {وجهُ}(٥)تخصيصُ رمضان به .

وقيل كان يَعرضُ القرآن في كلِّ سنةٍ في رمضان على جبريل فيُحكِم الله ما يشاء وينسخُ ما يشاء فلمّا كان عامَ وَفاتِهِ عَرَضَ عليه مرّتين فذلك {وجهُ}(٦) تخصيصِ الشهر به .

وقيل نَزَلَ القرآن جُملة واحدةً في ليلة القَدْر إلى السّماء السادسة من الّلوح إلى بيتٍ يقال له بيت العزّة فحفِظَهُ (٧) جبريلُ كلّه وغُشِيَ على أهل السماوات من هيبة كلام الله فمرّ بهم جبريل

---

(١) و في الآية قولٌ آخر فقد قال سفيان بن عيينة : (﴿ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ معناه: أنزل في فضله القرآن)اهـ. ذكره الواحدي وقال: (وهذا اختيار الحسين بن الفضل، قال: ومثله: أن تقول: أُنزل في الصّديق كذا آية، تريد في فضله)اهـ.: البسيط: ٢/ ٦٠٣ و ينظر في الأقوال الأخرى: زاد المسير ١٦٢/١ ، و البحر المحيط ٣٩/٢

(٢) تقدّم تخريج خبر ابن عباس مفصلاً و بيان أنه صحيح عنه في مقدمة الكتاب عند كلام المصنف على نزول القرآن: صـ ٢١١.

(٣) رواه ابن الضريس في فضائله: (١١٩) و الطبري: ٣/ ١٨٩

(٤) الطبري: ٣/ ١٩٠ و الدر: ١/ ١٨٩ و عزاه للطبري.

(٥) سقطت من الأصل.

(٦) سقطت من الأصل.

(٧) كان في الأصل: فحفظ.

وقد أفاقوا فقالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحقّ يعني القرآن، والحقُّ اسم من أسماء القرآن وهو معنى قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ [سبأ: الآية ٢٣] فأتى به جبريلُ إلى بيتِ العِزّة فأملاهُ على السَّفَرةِ يعني الملائكة الكَتَبة(١) .وهو قوله : ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس:آية ١٥، ١٦] .

وقيل في الآية اختصارٌ ومعناه أُنزِل في فضله القرآن هدى للناس (٢) .

﴿وَبَيِّنَـٰتٍ﴾ نصبٌ أي أنزل القرآن هدىً و بيناتٍ لما شَغَلتَ الفعلَ بالقرآن نصبتَ كقولك وُجِدَ عبدُالله منطلقاً (٣) ﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾ جُرَّ على معنى و بيّناتٍ من الفرقان.

و قوله : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ قد أكثروا فيه ومعناه من أدرك الشهر وشَهِدَهُ شهود بلوغٍ و استطاعةٍ فعليه الصوم ما بقي على حالته و قيل إذا شهد أوله و جب

عليه الصوم في أول الشهر، و لا يكون مسافراً فليس له أنْ يُفطر و إن سافر بعده عن ابن عباس (٤) و عَبِيدة السَّلماني (١) والسّدّي (٢) و عليّ (٣) إلى غير هذا من التأويلات (٤) و الصحيح ما ذكرناه.

---

(١) نقله السيوطي في الإتقان:١/ ١٢٦ قال: (وفي تفسير علي بن سهل النيسابوري قال جماعة من العلماء). الخ .فساقه كما هنا. و علي بن سهل بن العباس أبو الحسن النيسابوري إمام زاهد عارف بالتفسير (ت: ٤٩١هـ) (الطبقات الكبرى للسبكي: ٥/ ٢٥٨ -٢٥٩ و طبقات الإسنوي :٢/ ٤١٥ و معجم المؤلفين لكحالة: ٢/ ٤٤٩) والمصنف أعني عبد الكريم القشيري أقدم منه.

(٢) التفسير الكبير للرازي: ٥/ ٧١

(٣) ﴿هُدًى﴾ منصوب على الحالية ﴿وَبَيِّنَـٰتٍ﴾ معطوف عليه. إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٨٧ و الفريد: ١/ ٤٢١ و البحر: ٢/ ٤٠

(٤)الطبري: ٣/ ١٩٣ و علقه ابن أبي حاتم: ١/ ٣١٢ و الدر: ١/ ١٩٠

و قوله ﴿ فَلْيَصُمْهُ ﴾ اللام مجزوم و كذلك كل لام في أمر الغائب إذا كان موصولا بحرفٍ فحقّه السكون و لك أنْ تكسرها على الأصل، و إنما أصل ذلك (٥) ثلاثة أحرفٍ بالواو و ثمّ و الفاء قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج:الآية ٢٩].

و أما اللام في قوله ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ ﴾ فهي مكسورة لأنّها ليست بلام الأمر، و أما الواو التي في قوله: ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ ﴾ فقال الفراء (٦) :هو لعطف جملة على جملة كأنه قال :و لتكملوا العدّة شرع ذلك أو أمر بذلك و مثله :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام:الآية ٧٥] أي و ليكون من الموقنين أريناه ذلك فهي لام كي ويضمرُ {لها} فعلٌ على ما ذكرنا .

---

(١) عبد الرزاق في مصنفه: (٧٧٥٩) و ابن أبي شيبة: ٣/ ١٨ و الطبري: ٣/ ١٩٣ ، ١٩٤ و ابن أبي حاتم: ١/ ٣١٢ (١٦٥٦).

(٢)الطبري: ٣/ ١٩٣ - ١٩٤ و ابن أبي حاتم: ١/ ٣١٢

(٣) عبد الرزاق في مصنف: (٧٧٦١) و ابن أبي شيبة: ٣/ ١٨ والطبري: ٣/ ١٩٤

(٤)ينظر: الطبري: ٣/ ١٩٢ – ٢٠١ و أحكام القرآن للجصّاص: ١/ ٢٢٨ و ما بعدها و الثعلبي: ٢/ ٧٠ والنكت و العيون للماوردي: ١/ ٢٤١ و المحرّر: ١/ ٢٥٤ والقرطبي : ٢/ ٢٩٩ و التفسير الكبير للرازي : ٥/ ٧٦ و ابنِ كثير: ١/ ٢١٧

(٥) يعني أنّ لام الأمر توصل بثلاثة أحرف . و ينظر: الثعلبي: ٢/ ٧٠

(٦) معاني القرآن للفراء : ١/ ٨٨ نقلوه بالمعنى عنه و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٨٨ نقلا عن الفراء.

و أما الزّجّاج (١) و البصريون فإنهم قالوا معناه على تأويل محذوف من الكلام كأنه قال : ليُسَهّل عليكم و لتكملوا العدة أي يريد الله بكم اليسر ليسهل عليكم و لتكملوا العدة وهو واو العطف على هذا التقدير.

﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أي فعليه عدة من أيام أخر قدر ما أفطر ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ أي بالرخصة للمسافر والمريضِ في الإفطار ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ في التشديد والتضييق عليكم في باب الصوم. ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ أي لتصوموا بدل كل يوم أفطرتم يوماً مكانه وقيل لتصوموا عدة شهر رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي لتعظموا الله على ما هداكم به من شرائع الدين. وقيل هو التكبير عند رؤية هلال شوال والتكبير المسنون يوم العيد عن زيد بن أسلم (٢) وابن زيد (٣) وابن عباس (٤). ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي ولكي تشكرون.

و قوله: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي بيان الحلال من الحرام والهدى من الضلالة. والفرقان المخرج في الدِّين من الشبهات والضلالات التي كانوا فيها قبل الإسلام.

وقيل ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ أراد الله أنْ يكون أمرُه بالصوم عليكم مُيسّراً ولم يرد أن يكون أمرُه بالصوم عليكم مُعسّراً.

---

(١) معاني القرآن للزجاج: ١/ ٢٢٠

(٢) الطبري: ٣/ ٢٢١ و ابن أبي حاتم: ١/ ٣١٤ (١٦٦٦) و الدر: ١/ ١٩٨

(٣) أي عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: رواه عنه الطبري: ٣/ ٢٢٢

(٤) الطبري: ٣/ ٢٢٢ و الدر: ١/ ١٩٤

قرأت العامة (اليُسْر) و (العُسْر) بالتخفيف فيهما وفي الشواذّ قُرأ :اليُسُر والعُسُر بضم السين فيهما (١) .

وقُرأ (ولتكمِلوا) بالتخفيف وقُرِأ (ولتكمِّلوا) بالتشديد عن عاصم برواية أبي بكر (٢)يقال أكمل وكمّل كما يقال أكرم وكرّم.

قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [الآية ١٨٦] قيل لمــَّا نزل قوله : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:الآية٦٠] قالوا للنبي ﷺ أقريب ربنا فنُنَاجيهِ أم بعيدٌ فنناديه فأنزل الله هذه الآيَةَ عن الحسن (٣) .

وقيل سألتِ اليهود فقالوا قد قلتَ بيننا وبين السماء الدّنيا مسيرة خمسمائة عام وغِلَظُ كل سماء مسيرة خمسمائة عام فكيف يسمع الله دعائنا فنزلت هذه الآية (٤) .

و قوله: (٥) ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ فيه اختصارٌ أيْ فقل إنّي قريب أُجِيبَ دعوة الدَّاعي إذا دعاني، وقيل فيه إضمارُ إنْ شئتُ ،وقيل أُجيب إنْ وافق دعاؤه قضائي (١).

---

(١) الضم في السِّين : قراءة أبي جعفر من العشرة وحده: الروضة: ٢/ ٥٥٧ و غاية الاختصار: ٢/ ٤٢٣ و النشر: ٢/ ٢٢٦

(٢)و بها قرأ أيضا يعقوب: المبسوط:ص١٤٣ و الروضة: ٢/ ٥٧٧ و النشر: ٢/ ٢٢٦

(٣)تفسير عبد الرزاق: ١/ ٧٣ و الطبري:٣/ ٢٢٣

(٤)نقله الثعلبي : ٢/ ٧٤ و البغوي : ١/ ٢٠٤ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. و ينظر في الأسباب الأخرى المذكورة لنزول الآية: تفسير الطبري: ٣/ ٢٢٥ و الثعلبي : ٢/ ٧٤ والنُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٢٤٢ و البغوي : ١/ ٢٠٤ والعجاب: صـ ٢٥٠

(٥) ذكر المصنف هنا سبب نزول الآية الآتية: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ الآية ثم كرره هناك فجعلته في موضعه المناسب الآتي قريبا. و لعله من الناسخ.

وقيل ما مِنْ مؤمنٍ يدعوا الله إلاّ استجاب له فإنْ سألَ رزقاً من الدّنيا أَعطاهُ وإنْ كان غير ذلك ادَّخِر له إلى يوم القيامة أو دفع عنه به مكروهاً عن السّدّي (٢).

﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى﴾ بالطّاعـة ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِى﴾ أي ليـصدقوا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ يهتدون. وروى أبو هريرة عن النّبي صلى الله عليه و سلّم : قـال: (يُـستجابُ لأحـدكم مـا لم يعجَل يقول قد دعوتُ فلمْ يُستجَب لي)(٣).

وقـال عليه السلام: إنّ أعجز النّاس من عَجِز عن الدُّعاء وإنّ أبخل الناس من بخِل

بالسلام (٤). وقال سفيان الثوري[١] : إنّ لله ريحا يقال لها الصيحة تهبُّ وقت الأسحار

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٢٢٨ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٧٥

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٢٢٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣١٤ (١٦٦٨).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الـدعوات: بـاب(٢١ بـاب يستجاب للعبد ما لم يعجل) (ح ٥٩٨١) و مسلم : كتاب الذِّكر والدّعاء والتوبـة والاسـتغفار (٢٥ بـاب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجَل فيقول دعوتُ فلم يستجَب لي). (ح ٢٧٣٥). وأبـو داود (١٤٨٤) والترمذي (٣٣٨٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه و أخرجه مالك في الموطأ (ح ٤٩٧) و غيرهم.

(٤) يُروى من حديث أبي هريرة موقوفا و مرفوعا و الصحيحُ أنه موقوف كما قال الدارقطني كـما سـيأتي .فالمرفوع رواه الطبراني في الدعاء: باب ما جاء في العجز في الدعاء : ٢/ ٨١١ – ٨١٢ (٦٠) و في الأوسط ، و قال لا يروى عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم إلا بهذا الإسناد : مجمـع البحـرين : ٥/ ٢٦٠ والبيهقي في شعب الإيمان٦/ ٤٢٩ (ح ٨٧٦٧ و ٨٧٦٨) و قال الهيثمي رجالـه رجـال الصحيح غير مسروق بن المرزبان وهو ثقة: مجمع الزوائد: ٨/ ٣١ و أمّا الموقـوف عـلى أبي هريـرة فأخرجه: أبو يعلى : في مسنده: ١٢/ ٥ و من طريقه ابن حبّان (كما في موارد الظمـآن: ح ١٩٣٩) ١/ ٤٧٧ ورواه البيهقي في شعب الإيمان:٦/ ٤٢٩ (٨٦٦٩). و سئل الدارقطني عنه فقال فقال : (يرويه عاصم -يعني الأحول- واختُلف عنه فرواه حفص بن غياث عن عاصم عن أبي عثمان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال مسروق بن المرزبان عنه مرفوعا ووقفه عنه مسهر وإسماعيل بن زكريـا

تحمل الدعاء والاستغفار إلى الملك الجبّار. قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [الآية : ١٨٧] أي مع نساءكم والرَّفَث في اللغة الفحش ولذلك سُمّي النكاح رفثاً. وقال الزّجاج (٢):كلُّ ما يريد الرجل من امرأته، وهو الجماع في هذا الموضع. ودخول إلى هاهنا لأنه بمعنى الإفضاء.

قيل لمّا واقع عمر أهله ليلة الصيام وكان ذلك مُحرَّماً وأكل صِرْمة بن قيس (٣) وقيل ابن إياسٍ وقيل صِرْمة بن مالك- بعد النَّوم وكانتْ أهله قد أبطأَتْ عليه عَشاءَه نَدِموا وجاءوا إلى النَّبـي صلى الله عليه و سلّم معتذرين مقرِّين على أنفسهم بما فعلوا وقالوا كيف نعتذِر إلى ربّنا فنَزَلَـتْ هذه الآية وأبيح لهم محظوراتُ الصيام إلى وقت طلـوع الفَجْـر بقولـه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ الآية. (٤)

ومحاضر بن المورّع عن عاصم والصحيح موقوف)اهـ. العلل لـه: ١١/ ٢١٦- ٢١٧ و رواه أيـضا محمد بن فضيل بن غزوان عن عاصم الأحول عن أبي عثمان موقوفا أيضا كما في كتاب الدعاء له (ح ٥٤) قلتُ و للموقوف طريقٌ أخرى ليستْ من طريق عاصم الأحول عن أبي عثمان عند البخاري في كتابه الأدب المفرد: (ح١٠١٥) قال حدثنا أحمد بن يونس قال حدثنا زهـير قـال حـدثنا كنانـة مولى صفية عن أبي هريرة قال: أبخل الناس من بخل بالسلام والمغبون من لم يردَّهُ وإنْ حالت بينك وبين أخيكَ شجرة فإن استطعت أنْ تبدأه بالسلام لا يبدأك فافعل)اهـ.

(١) لم أعثر عليه.

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٢١

(٣) صِرْمة بكسر الصاد المهملة ضبطه الحافظ أبو بكـر بـن نَقْطـة (تكملـة الإكـمال: ٣/ ٦٢٤) وقـد اختلفت الروايات في اسمه و قد فـصّل الحـافظ ابـن حجـر الاخـتلاف في اسـمه في فـتح البـاري والإصابة ينظر: الاستيعاب لابن عبـد الـبر: ٢/ ٧٣٧ و فـتح البـاري : ٤/ ١٣٠ والإصـابة: ٣/ ٤٢٢ – ٤٢٥، ٤٦٧، ٥ / ٤٧٨، ٥٠٠

(٤) هذا السبب كان مقدّما في غير موضعه في الأصل قبل آية (أحل لكم ليلة الصيام الرفث) فأعدته إلى موضعه المناسب و نبَّهت هناك على هذا .

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ يعني سكناً وستراً يتعفّف بعضكم ببعضٍ، وقيل يستعففن بكم، وقيل هنّ فراش لكم وأنتم لحافٌ لهنّ، وقيل يقال للمرأة لباس وإزار ويقال لها محل الإزار يقال هي لباسك وإزارُك ومحل إزارِك.

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ﴾ تفتعلون من الخيانة، وخيانتهم أنهم كانوا يباشرون ليالي الصيام بعد الإفطار والنوم نزلتْ في عمر رضي الله تعالى عنه وكان أناسٌ من الصحابة يفعلون ذلك خُفية (١).

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ بأنْ رخّص لكم في المباشرة ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ المباشرة الجماع وهي المفاعلة من إلصاق البَشَرة بالبشرة (٢) .

﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي ليلة القدر أمرهم وحثّهم على طلبها وقرأ ابن عباس (٣) (واتبعوا ما كتب الله لكم) من الإتباع. ومعنى ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ أي في الّلوح المحفوظ كُتِبَ أنّه مباح لهم إنْ كان المعنى الولد أو الرخصة أو ليلة القدر فجميعه مكتوب في اللوح.

وقد جمع المصنّف هنا أسباب نزولٍ من مجموع روايات مختلفة مذكورة في أسباب نزول الآية و في أسباب نزول الآية طول وتفصيل طرقها يطول و معناها هو ما لخصه المصنف رحمه الله و قد جمع الحافظ ابن كثير: ١/ ٢٢١ ثمّ الحافظ ابن حجر في العجاب: صـ٢٥٣ – ٢٦٢ عامة الروايات و ينظر: تفسير الطبري: ٣/ ٢٣٤- ٢٤٢ و الناسخ و المنسوخ لابن النحاس: صـ ٢٩ و الثعلبي: ٢/ ٧٦ و أسباب النزول للواحدي: صـ ١٥٨ – ١٦١ طبعة: د/ ماهر الفحل و الدر المنثور: ١/ ٩٧

(١) ينظر: ما تقدّم عند ذكر سبب نزول الآية.

(٢) الثعلبي: ٢/ ٧٨ و الوسيط: ١/ ٢٨٦ و التفسير الكبير : ٥/ ٩٢

(٣)اختلف عن ابن عباس في هذا الحرف فنُسِبتْ إليه القراءة بها: في مختصر الشواذّ لابن خالويه : صـ١٢ مع تحريف فيه و تفسير السمعاني: ١/ ١٨٧ و ثبت عنه التخيير بين القرائتين كما في تفسير عبد الرزاق: ١/ ٧١ من طريق شيخه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن ابن

﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ يريد به سواد الليل وبياضَ النهار، وقيل أراد بالخيط الأسود الفجر الكاذب وبالخيط الأبيض الفجر الصادق.

ونزلت في صِرمة ابن قيس أو صِرمة ابن ثابت وقيل ابن مالك (١) لمّا أكلَ بعدما أخذهُ ٱلنوم ليلة الصّوم حين أبطأتْ عليه زوجُه بعشائِه فأخبرَ النّبي صلّى الله عليه و سلّم فنزلتْ فيه الرّخصة (٢) .

وقيل لما نزلت الآيةُ وكانَ رجالٌ إذا أرادوا الصَّوم ربطَ أحدُهم في رجليه الخيطَ الأبيض والخيط الأسودَ فلا يزالُ يأكلُ ويشربُ حتى يتبيَّن لونُهما فأنزل الله بعد ذلك من الفَجْر فعلموا أنّه يريدُ سوادَ الّليل وبياضَ النّهار (٣).

عباس و من طريقه الطبري: ٣/ ٢٤٧ و نقل ذلك صاحب المحرّر الوجيز : ١/ ٢٥٨ و القرطبي: ٢/ ٣١٨

(١) ينظر ما سبق قريبا حول الاختلاف في اسمه.

(٢) تقدّم قريبا.

(٣) ثبت ذلك من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه في الصحيحين و غيرهما: رواه البخاري في كتاب الصّوم، باب (١٦) قول الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ حديث رقم (١٩١٧) ٤/ ١٣٢.

وفي كتاب التفسير باب (٢٨) ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ حديث رقم (٤٥١١) ٨/ ١٨٢-١٨٣.

ومسلم في كتاب الصوم، باب(٨) بيان أنَّ الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر، حديث رقم (١٠٩١) ٢/ ٧٦٧-٧٦٨. و الطبري: ٣/ ٢٥١. وابن أبي حاتم في تفسيره، برقم (١٦٨٧) ١/ ٣١٨ و الواحدي في أسباب النزول: صـ ٥٢- ٥٣

وعن عديّ ابن حاتم: لمّا نزلتْ هـذه الآيـة عَمـدتُ إلى عِقـالين عِقـال أبـيض وعِقـال أسـود فجعلتُهما تحت وسادتي فجعلت أقومُ من الّليل وأنظرُ فلا يتبـيّن لي فلـما أصـبحتُ غـدوتُ إلى النّبي ﷺ فأخبرته فضحِك وقـال: إنْ كـان وسـادك لعريـضاً(١). وفي روايـة أخـرى: إنّـك لعريضُ القفا إنّما ذلك بياضُ النّهار من سواد الليل(٢).

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ ولا تجـامعوهن. ﴿وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ﴾ نهـى عـن الجِماع في حالِ الاعتكاف .

﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ في الفرائض قيل أي موانع الله وشروطه عن السّدّي(٣)

وقيل معصية الله عن الضحاك (١). ﴿فَلَا تَقۡرَبُوهَا﴾ يعني الجماع، وقيل حدود الله في الفرائض؛ ومعنى الحدّ (٢)ما منع الله منه والحدّاد الحاجب لأنـه يمنـع النـاس عـن الـدُّخول، وأحَـدَّتِ المـرأةُ قَطَعَت الزينة، وحدُّ الدار ما يمنع غير صاحبها من دخولها.

---

(١) في النسخة (ل) :إن كان لوسادك عريضا. و هو خطأ.

(٢) حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه متفق عليه. رواه البخاري في كتاب الصّوم، باب(١٦) قول الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ.....) حديث رقم (١٩١٦) ٤/ ١٣٢. وفي كتاب التفسير بـاب (٢٨) (وكلوا واشربوا)،حديث رقم (٤٥٠٩-٤٥١٠) ٨/ ١٨٢. ومسلم في كتاب الصوم، باب(٨) بيـان أنَّ الدخول في الصيام يحصلُ بطُلوع الفجر، حـديث رقـم (١٠٩٠) ٢/ ٧٦٦-٧٦٧ وأبـو داود في كتاب الصوم، باب (١٧) وقت السّحور، حـديث رقـم (٢٣٤٩) ٢/ ٣٤٠. والترمـذي في كتـاب التفسير، باب (٣) من سورة البقرة، حديث رقم (٢٩٧٠- ٢٩٧١) ٥/ ٢١١. والنسائي في كتـاب الصيام، باب تأويل قول الله تعـالى: (وكلـوا واشربـوا...) ٤/ ١٤٨. وفي سـننه الكـبرى في كتـاب الصيام، باب(٢٩) تأويل قوله تعالى:(وكلوا واشربوا)، حديث رقم(٢٤٧٩) ٢/ ٨١. والدارمي في كتاب الصيام، باب (٧) متى يمسك المتسحر من الطعام والشراب؟،(ح ١٦٩٤) وأحمد ٤/ ٣٧٧. والطبري: ٣/ ٢٥٠-٢٥١ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣١٨ (١٦٨٦).

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ٢٧٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٢٠ (١٦٩٤) بلفظ : شروطه.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ أيْ مثل هذا البيان الذي ذَكَرَهُ ومعناه إنّما أمرهم به مبيَّنٌ لعلهم يتقون المعاصي.

وقيل نزل قوله ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلۡمَسَـٰجِدِ﴾ في عليّ وأبي عبيدة ابن الجراح وخبّاب كان أحدُهم إذا أراد أن يعتكفَ رجع من المسجد إلى أهله بالليل فيجامع أهله ثم يرجع إلى المسجد فأنزل الله هذه الآية(٣).(١٢٣و) قوله: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَـٰطِلِ﴾ [الآية:١٨٨] يعنِي أموالَ بعضِكم، فجعل أكلَ مال أخيه بالباطل كأكل مال نفسِه بالباطِلِ كقوله: ﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات:الآية ١١] أي لا يلمِزُ بعضُكم بعضاً .

﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [النساء:آية ٢٩] أي لا يقتل بعضُكم بعضا، و كذلك تقول العرب أخي وأخوك أيّنا أبطش يعني أنا و أنت نصطرع فيُنظَرَ أيُّنا أشدّ فيكني المتكلّم عن نفسه بأخيه (٤)، فمعنى الآية : لا يأكل بعضكم أموال بعضٍ بالباطل.

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٢٧٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٢٠ (١٦٩٥).

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٢٣ و الوسيط: ١ / ٢٨٨

(٣) قال الثعلبي: ٢/ ٨١ :(قال قتادةُ و مقاتلُ و الكلبيّ: نَزَلتْ في نفرٍ من أصحاب النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم .....) الخ . فذكر معناه بأطول ممّا هنا. و عن قتادة قال: (كان الرَّجل إذا خرج من المسجد وهو معتكفٌ ولقي امرأته باشرها إنْ شاء فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وأخبرهم أنّ ذلك لا يصلح حتى يقضي اعتكافه)اهـ. تفسير الطبري: ٣/ ٢٧٠ و الدر: ١/ ٢٠١ و قال مقاتل : نزلت في عليّ وأبي عبيدة ابن الجرّاح وخبّاب الخ بنحو ما هنا : تفسير مقاتل: ١/ ٩٩ و عنه الحافظ ابن حجر في العجاب: صـ ٢٦٤و عن الضّحاك بن مزاحم قال: (كانوا يجامعون وهم معتكفون حتى نزلت (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد))اهـ. رواه ابن أبي شيبة: ٣/ ٩٢ و الطبري: ٢٦٩ و ذكره ابن كثير: ١/ ٣٢٤

(٤)تفسير الطبري: ٣/ ٢٧٦

و نَزَل في الرجل يكون عليه مالٌ {ليس له }(١)فيه بيّنة فيجحد المالَ و يخاصِمُ صاحبَ الحقّ إلى الحُكّام و هو يعرِف أنّ الحقّ عليه و قد علِم أنّه آثمٌ.

و قيل نزلتْ الآية في امرئ القيس بن عابس (٢) الكنديّ خاصمه عِبدَّان (٣)بن ربيعة الحضرميّ في أرضٍ فاختصما إلى النبيّ ﷺ وأرادَ امرئ القيس أنْ يحلفَ فأنزل الله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَـٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ [آل عمران:الآية٧٧] فأبى أنْ يحلِف و حكَّمَ عِبدَّان في أرضه (٤).

و قوله: ﴿ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ﴾ يقال أدلى فلانٌ بحجَّته أرسلها، و أصله من أدليتُ الدَّلوَ إذا أرسلتَها لتملأها، و دلوتَها أذا أخرجتَها، فمعناه : تعملون على ما يوجِبُه الإدلاء بالحجَّة، و تخونون الأمانة (٥) و أنتم تعلمون أنّ الحجَّة عليكم في الباطل ، و إنْ ظهر

---

(١) في النسخة (ل) : (عليه) غير واضحة و التصحيح من : تفسير الطبري: ٣/ ٢٧٧ خبر علي بن أبي طلحة و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٨٤ عن ابن عباس و غيرهما.

(٢) في النسخة (ل) : عبّاس. و التصويب من المصادر .

(٣) هكذا هو في الأصل وفي كثير من نسخ أسباب النزول للواحدي " أساب النزول : صـ ١٦٠ و هو ضبط صحيح في اسمه، و قيل عِبْدان و قيل إنه عيْدَانُ بفتح المهملة بعدها ياء مثنّاة ينظر: المؤتلف للدارقطني: ٣/ ١٦٦٠ و المؤتلف لعبد الغني: (٩١) والإكمال للأمير ابن ماكولا : ٦/ ٩٨ واللباب: ٢/ ٣٦٨ و توضيح المشتبه: ٦/ ٩٥ و تبصير المنتبه: ٣/ ٩٠٤ وهنا تنبيه: في تفسير مقاتل: ١/ ٩٩ وأسباب النزول للواحدي: ابن أشوع بدل ابن ربيعة.

(٤) ذكره الثعلبي قائلا: قال ابن حيان و ابن السّائب فذكره ٢/ ٨٣ و هو في تفسير مقاتل بن سليمان : ١/ ٩٩ وأسباب النزول للواحدي " أسباب النزول : صـ ١٦٠ قال: قال مقاتل بن حيان فذكره و هو في تفسير السمرقندي: ١/ ١٥٢ والبغوي: ١/ ٢١٠ بلا عزو. وينظر: ابن أبي حاتم١/ ٣٢١ (١٧٠٢) خبر سعيد بن جبير بنحوه. ثم قال ابن أبي حاتم: (وروى عن السّدّى ومقاتل بن حيان نحو ذلك) اهـ. و العجاب: صـ ٢٦٦ و لباب النقول: ص٣٥ .

(5) في النسخة (ل) : بالأمانة.

خلافها، و قيل تخاصمون بأموالكم إلى الحُكَّام بالباطل، و قيل تمضون في أموال النّاس بالباطل من غير تثبّتٍ مضيّ الدلو في البئر (١).

و قيل نزل ذلك في الوديعة تكونُ في يد الرجل و لا يكونُ عليه بيّنة، عن ابن عبّاس (٢) والحسن (٣) و قتادة (٤) .

وقيل نزلت في مال اليتيم يكون في يد الوصيّ (٥) .قوله: وَتُدۡلُواْ بِهَآ نصبٌ (٦) كقولكَ لا تسرِق و تصدّق قال :لا تنهَ عن خلقٍ و تأتي مثله ، أي لا تجمعْ بينهما، و كذلك قوله: ﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ [البقرة:الآية٤٢] و ﴿ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ ﴾ [الأنفال:الآية٢٧] وفي مصحف أُبيٍّ (٧) : (و لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تدلوا بها) .

قال الأخفش (٨) : وَتُدۡلُواْ بِهَآ جزمٌ على العطف ، و نصبٌ إذا جعلته جوابا لقوله : ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم ﴾. و قوله: ﴿ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ يريد بغير طاعة الله و باليمينِ الكاذبة

---

(١) في النسخة (ل) : زيادة : (و غير تثبت) . و لا مكان لها. وينظر: معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٢٣ والطبري: ٣/ ٢٧٩ .

(٢) تفسير الطّبري: ٣/ ٢٧٧ و ابن أبي حاتم١/ ٣٢١ (١٧٠٤) من طريق علي بن أبي طلحة عنه و الدر: ١/ ٢٠٣ و زاد عزوه لابن المنذر.

(٣) علقه ابن أبي حاتم١/ ٣٢١ ولم يذكر لفظه. وذكره الثعلبي: ٢/ ٨٥

(٤) تفسير عبد الرزاق: ١/ ٧٢ و تفسير الطّبري: ٣/ ٢٧٧ – ٢٧٨ و الدر: ١/ ٢٠٣ بمعناه.

(٥) تفسير الماوردي: ١/ ٢٤٨ والتفسير الكبير للرازي: ٥/ ١٠١ و لم أجده في كتب أسباب النزول و لا عثرت على أثر عن السلف من التابعين يعضده.

(٦) تفسير الطّبري: ٣/ ٢٧٩ و معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٢٣ و الثعلبي: ٢/ ٨٤ و القرطبي: ٢/ ٣٤٠ والبحر: ٢/ ٥٦

(٧)تفسير الطّبري: ٣/ ٢٧٩ و الثعلبي: ٢/ ٨٤ و القرطبي: ٢/ ٣٤٠ و البحر: ٢/ ٥٦

(٨)معاني القرآن للأخفش: صـ ١١٨

يقتطعُ بها الرّجل مال أخيه المسلم .قوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية:١٨٩] أي لأجلِ الناس.

و جاء في التفسير عن ابن عباس (١) و قتادة (٢) و الربيع (٣) وغيرِهم أنّ معاذ بن جبل و غيره من الصحابة سألوا النبي صلَّى الله عليه وسلَّم فقالوا: ما بالُ الهلال[يبدو] (٤) دقيقاً لم يتكامل ثمّ يعودُ كما كان.

فبيّن الله وجه الحكمة فيه فقال: إنما فعلتُ ذلك ليكون مواقيتَ في آجالهم، به يُعرَفُ انقضاء الشهورِ،و الأعوامِ، و حلول الآجالِ، و صونُ المُدَد ، و الأَحكام المعلَّقة على الشهور و الأيّام كالعدّة و الحيض و غيره، لأنّ هذا أسهل من حفظ عدد الأيام ، و يستوي فيه الحاسبُ وغير الحاسب .

وهي مواقيت الحجّ، بها يُعلم أَوانُ الحجّ في كل سنةٍ.و الحَجّ و الحِجّ لغتان كرِطلٍ ورَطلٍ، وكَسْر البيتِ وكِسرِهِ (٥).

والميقات منتهى الوقت ، وهو مِفعالٌ من الوقتِ.

والأهِلةُ (٦) جمع هلال كقولك رداء وأرديه، وسُمي هلالاً لأنّ الناس يُهِلون بذكرِهِ عند رؤيته من قولهم استهلَّ الصبيّ إذا بكى حين يولد، وأهلّ القوم بالحج و العمرة إذا رفعوا

(١) تفسير الطّبري: ٣/ ٢٨٢ و ابن أبي حاتم١/ ٣٢٢ (١٧٠٧) من طريق محمد بن سعد العوفي. وفيها أنهم سألوه عن الأهلة . و ينظر: الثعلبي: ٢/ ٨٥ و أسباب النزول للواحدي: ١٦١- ١٦٢

(٢) تفسير الطّبري: ٣/ ٢٨٠، ٢٨١ و الدر : ١ / ٢٠٣

(٣)تفسير الطّبري: ٣/ ٢٨١ و ابن أبي حاتم١/ ٣٢٢

(٤) زيادة من الثعلبي و أسباب النزول للواحدي.

(٥) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٩٤.و ينظر: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٩١ و المفردات للراغب: (حج) و لسان العرب و تاج العروس(حجج). و سيكرر المصنف ذكر اللغات في الحجّ بزيادة فائدة.

(٦)تهذيب اللغة للأزهري: ٥ / ٣٦٥ مادة (هل) ومعاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٢٣ – ٢٢٤ وأحكام

أصواتهم بالتلبية،يقال أهلّ الهلال، واستُهِلّ وأهللنا الهلالَ رأيناهُ ، وأهلَلْنـا شـهرَ كـذا دخلنـا فيه.

وقيل يسُمَّي هلالاً لليلتين،وقيل لثلاثٍ ليال، وقيل إلى أنْ يبهر ضوءُه سواد الليل (١) ويكون ذلك في الليلة السابعة.

وسُمي قمراً لبياضه، واسم القمر الزِّبرقانُ لصُفرته، واسم دارته الهَاله، واسم ضوءِه الفخْتُ، واسمُ ضِلِّهِ السّمَر، ومنه قيل للمتحدثين ليلاً سمّارٌ (٢).

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ يعنـــــى ولكنَّ البر بِرُّ من اتقى، وقيل معناه ولكنَّ البار من اتَّقى، وَوَضَعَ المصدر موضع الاسم.

وذلك أنّهم (٣) كانوا إذا أحرموا بالحجِّ أو العُمرة لا يخرجون من بـاب بيـوتهم ولا يـدخلون من أبوابهم وكانوا يخرجون من الجدران أو ينقِبُون نقباً، وإنْ كانوا أهـل خِبـاء لم يخرجـوا مـن أبوابها وخرجوا ودخلوا من ظهور الخِباء، وكان ذلك دأبُه (٤) حتى يخرج مـن إحرامـه،وعلى

القرآن للجصاص: ١/ ٣١٦ و الثعلبـي: ٢/ ٨٥ و المخـصص لابـن سـيده: ٩ / ٢٦ والمحـرر: ١/ ٢٦١

(١)معاني القرآن للزَّجّـاج: ١/ ٢٢٣ – ٢٢٤ و أحكـام القـرآن للجـصاص: ١/ ٣١٦ و تهـذيب اللغـة للأزهري: ٥ / ٣٦٦ مادة (هل) و المخصص لابن سيده: ٩ / ٢٦

(٢)معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٢٤ و المخصص لابن سيده: ٩ / ٢٦-٢٧

(٣)ثبت في سبب نزول الآية بهذا المعنى : حديث البراء رضي الله عنه وهو متفق عليه (البخاري: كتـاب العمرة، باب (١٨) قول الله تعـالى: ﴿ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ (ح ١٨٠٣ و في كتـاب التفسير: في فاتحته (ح ٣٠٢٦) و برقم: (٤٥١٢) و الطبري: ٣/ ٢٨٣ و ٢٨٤ و ينظر: الدر: ١/ ٢٠٤ وورد أيضا من حديث جابر كما وردت مراسيل تشهد لهما: ينظر في تفـصيل تلـك الأخبـار: أسباب النزول للواحدي: ص١٦٢ -١٦٣ و العجاب:صـ٢٦٩ – ٢٧٨

(٤)كذا؟ وتركته على حاله. و المعنى دأب الواحد منهم الخ.

هذا كانوا في الجاهلية وابتداءِ الإسلام إلاّ أنْ يكـون الرجـل مـن الحُمْـس والحُمْـس (١) هـم قريش، وكنانة، وخزاعة، وثقيف، وجُشم، وبنو عامر ابن صعصعة، وبنو نَـصْر بـن معاويـة، شدَّدوا على أنفسهم فسموا الحُمْس وهو جمع الأحمس.

قال: والأحمسُ الشجاع ، والحماسة شدَّة الغضب والشجاعة (٢) وكانوا أيام حجِّهـم حرَّمـوا على أنفسهم ما حَلّ للناس في أشياء، كانوا لا يأقِطُون الإقِط (٣) ولا يبنـون الـوَبَر والـشَّعرَ، ولا يسكِنُون تحت سَقْفٍ إلى غير ذلك، فَرُويَ أنَّ رجلاً من غير الحُمْـسِ أبـصرُوا رسـولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم دخل من بابِ بستانٍ قد خَرِبَ فدخل هو أيضاً، فقال لـهُ النبـي صـلَّى الله عليه وسلَّم اجنُبني فإنك دخلتَ من باب بستانٍ و أنت محرمٌ من غير الحُمْس فقال يا رسـول ا لله و أنتَ قد دخلتَ فقال ﷺ :

(إنّي أحمسُ) فقال الرّجل: فإنْ كنتَ أحمسَ فإنّي أحمسُ قد رضيتُ بهديك و سمتك فأنزل الله هذه الآية (٤).

﴿لَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [الآيـة:١٨٩] ،(و ١٢٤) إذا أحـــرمتم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ يعني أطاع الله في الفريضة، و رسوله في السنة ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ محلّينَ و محرِمين.

---

(١) في الأصل: وقريش والحُمْس.

(٢)معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٢٧ و لسان العرب: (حمس).

(٣)فيه لغات : يقال :الأَقِطُ و الإِقْطُ و الأَقْطُ و الأُقْطُ: وهو شيء يتـخذ من اللبن الـمَخَيض يطـبخ ثـم يترك حتى يجف. لسان العرب: (أقط) و تاج العروس (أقـط) ومختـار الـصحاح. و المـراد أنهـم يتركون مظاهر التّرف.

(٤) تفسير الطّبري: ٣/ ٢٨٤ و ابن أبي حاتم١/ ٣٢٣ و الثعلبي: ٢/ ٨٥- ٨٦ و الحـاكم: ١/ ٤٨٣ و أسباب النزول للواحدي: ص١٦٣ و فتح الباري:٣/ ٦٢١ و العجاب: صـ ٢٧٠ .

قال الزجاج (١) : كان قومٌ من قريش و جماعة من العرب إذا خرجوا في حاجة فلم يَرْتَفِع مُرادُهم و لم تُقضَ الحاجة رجعوا فلم يدخلوا من باب البيوت تطيّراً إلى أن ترتفعَ حاجتهم فَنُهُوا عن ذلك.

وقال بعضهم (٢) : هذه الآية نَهْيٌ عن إتيان النساء في أعجازهنّ و يقال للمرأة بيتٌ لأنّها في قعر البيت و أنشد (٣) :

مالي إذا أتيتُهَا صَأيتُ (٤)   أَكِبَرٌ يمنعني أم بيتُ

و كان أبو عبيدة (٥) يقول: ليس البر بأنْ تطلبوا المعروفَ من غير أهله و أتوا البيوت من أبوابها : اطلبوا المعروفَ من أهلِهِ.

و قُرِأ: (البِيوت) (٦) بكسر الباء و إنّما هو لمكان الياء من بعده و منهم من أشمّ الياء كسرة ولم يكسِر، والأحسنُ ضمّ الباء لأنَّ فِعُول ليس في كلامهم .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٢٦

(٢)سبب غريب فيه نظرٌ: عزاه الماوردي لابن زيد : النكت و العيون: ١/ ٢٥٠ و قال ابن عطية: (وأمّا ما حكاه المهدوي ومكي عن ابن الأنباري من أنّ الآية مَثَلٌ في جماع النساء، فبعيدٌ مغيِّرٌ نمط الكلام)اهـ. و ينظر: القرطبي: ٢/ ٣٤٦ و البحر: ٢/ ٦٤

(٣) لسان العرب: (صأي)١٤/ ٤٤٩ و (بيت) . وروايته فيه:

ما لي إذا أنزِعُها صَأَيتُ ***** أكِبَرٌ غيَّرني أم بيتُ

(٤)يقال صاء يصِيء مثل صاع يصِيع و صأَى يصأَى مثل صعَى يصعَى بمعنى صاح. (لسان العرب: صأى)

(٥)مجاز القرآن :١/ ٦٨ و فيه أيضا: ١/ ٦٥ : و لكنّ البارّ من آمن بالله. و قد عزاه الماوردي أيضا لأبي عبيدة: ١/ ٢٥٠

(٦) ضمّ الباء و كسرها قراءتان سبعيتان فالضمّ هو الأصل لأنه على وزن فعول و الكسر لمكان الياء التي بعدها و ليس بقبيح هنا : وبضم الباء قرأ أهل البصرة و حفص وورش و كسرها الباقون: السبعة: ١٧٨ و الروضة للمالكي : صـ ٥٥٩ و النشر: ٢/ ٢٢٦ ينظر: الوسيط: ١/ ٢٩١ والكشف لمكي: ١/ ٢٥٨ وكشف المشكلات للباقولي: ١/ ١٩٥

قوله: ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية :١٩٠] قـال الربيع بن أنس (١) :هذه أول آيةُ نزلـت في القتال، و كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقاتل مَنْ قاتله، و يكفّ عمن يكفُّ عنـه حتـى نـزل: ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ (٢) [التوبـة:الآيـة ٥] ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾.

قال الكَلبي (٣) عن ابن عبّاس : إن رسول الله ﷺ لما خرج هو و أصحابه في العام الذي أراد فيه العمرةَ، و هو عام الحُدَيبية سار حتى نزل الحديبية -قيل كانوا ألفاً و أربعمائة- قال فصدّهم المشركون عن البيت الحرام ثمّ صالحه المشركون على أن يرجع عامه ذلك، على أن تُخَلّى له مكّـة عاما قابلاً ثلاثة أيام فيطوف بالبيت ويفعل ما يشاء ففعل رسول الله ذلـك فـصالحهم عليـه و نحر البُدْن بالحرم ثم رجع من فَورِه ذلك إلى المدينة، فلما كان العام المقبل تجهّز رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم و أصحابه للعمرة و خافوا ألا تفي لهم قريش بذلك وكـرِه أصـحاب رسـول الله صلَّى الله عليه وسـلَّم قتـالهم في الـشهر الحـرام لأنّ ذلـك كـان في ذي القَعْـدة، فـأنزل الله سبحانه: ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في طاعة الله في الحرم الذين (٤) ﴿يُقَـٰتِلُونَكُم﴾ فيـه في الحرم يعني قريشا ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ولا تظلموا فتقاتلوا في الحرم أي تبدؤونَ في القتال.

---

(١)تفسير الطّبري: ٣/ ٢٨٩ – ٢٩٠ و ابـن أبي حـاتم١/ ٣٢٥ (١٧١٩) و تفسير الثّعلبـي: ٢/ ٨٧ والبغوي : ١ / ١٤٣

(٢) في الأصل سقطت الفاء من الآية ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٨٧ -٨٨ و أسباب النزول للواحدي: صـ ١٦٤ و ينظر: العجاب: صـ ٢٧٨ و قد اقتصر الطبري على قول الربيع و عضده بقول عبد الرحمن بن زيد بمعناه. و لم يذكر قول الكلبي و اعترض الحافظ ابـن حجـر عـلى قـول الكلبـي قـائلا: (الكلبـي ضـعيف لـو انفـرد فكيـف إذا خالف)اهـ.

(٤) في النسخة (ل) : الذي.

﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ لا تفجأوا (١) بالقتال قبل تحريم الدّعوة، و قيل لا تقتلوا بالواحد أكثر من واحدٍ و قيل لا تمثّلوا بالقتلى و قيل الاعتداء ترك قتالهم ، وقيل ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ لا تقتلوا النساء و الصبيان و الشيخ الكبير و الأعمى و من ألقى إليكم السلام و كفّ يده عن ابن عبّاس (٢) .

و قال الحسن (٣) : لا تأتوا ما نُهيتم عنه .

و قال زيد بن وهبٍ : كتب إلينا عمر بن الخطّاب (٤) : أن لا تمثّلوا و لا تقتلوا الولدان واتقوا الله في الفلّاحين الذين لا ينصِبون لكم الحرب.

و اختلفوا في نسخ هذه الآية فقال الرّبيع (٥) و الحسن (٦) و ابن زيد (٧) نسخها آية القتال في براءة، و قال ابن عبّاس (٨) و مجاهد (٩) و عمر بن عبد العزيز (١٠) إنها غير منسوخة و النّهي عن الاعتداء باقٍ و هو قتل النساء و الذراري.

---

(١)فَجِئَه الأَمْرُ و فَجَأَه، يَفْجَؤُه فَجْأً و فُجَاءَةً، بالضم والمدّ، و فاجأَه يُفاجِئُه مُفَاجأَةً و فِجاءً: هَجَمَ عليه من غير أَن يَشْعُر به. لسان العرب: (فجأ).

(٢) تفسير الطّبري: ٣/ ٢٩١ و ابن أبي حاتم١/ ٣٢٥ (١٧٢١) و الدر: ١/ ٢٠٥ من طريق علي بن أبي طلحة.

(٣) رواه ابن أبي حاتم١/ ٣٢٥، ٣٢٦ (١٧٢٣و١٧٢٤)

(٤)رواه سعيد بن منصور في سننه: (ح٢٦٢٥) ٢/ ٢٨١ من طريق زيد بن وهب مع زيادات . وينظر: الاستذكار: ١٤/ ٦٣

(٥) تقدّم تخريج خبر الربيع قريبا.

(٦)لم أعثر عليه مسندا. و ينظر ما سبق نقله عنه.

(٧) تفسير الطّبري: ٣/ ٢٩٠ و نقله ابن كثير١/ ٣٢٧ عن ابن زيد.

(٨)تقدّم تخريج خبر ابن عباس قريبا.

(٩)تفسير الطّبري: ٣/ ٢٩١ و ابن أبي حاتم١/ ٣٢٥ (١٧٢٠)

(١٠)مصنف ابن أبي شيبة: ١٢/ ٣٨٥ و تفسير الطّبري: ٣/ ٢٩٠ و الدر: ١/ ٢٠٥

قوله: ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ [الآية ١٩١] ﴿ثَقِفۡتُمُوهُمۡ ﴾ أي أصبتموهم

في القتال يقال رجل ثقِفٌ لقِفٌ (١) إذا كان حذِرا في القتال بصيراً به و الثّقافة بالأمر الحِذق به و البَصَرُ و ثاقَفَهُ نازله و ثَقِفه أصاب منه أي حيث و جدتُّموهم في الحلّ و الحَرَمِ.

﴿وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡ ﴾ يعني مكة.

﴿ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ ﴾ يعني الشّرك بالله أعظم من القتل في الحَرَم و في أشهر الحرم لأنهم كانوا يكرهون ذلك و قيل لِعذابهم من يظفرون به حتى يرتدّ عن دينه أشدّ من قتالهم . (٢)

و قيل ارتدادُ المؤمن {إلى الوثن }(٣) أشدّ عليه من أن يقتل مع تمسُّكه بدينه عن مجاهد (٤) و قتادة (٥) و الربيع (٦) و قيل الارتداد عن الدين أشدُّ من القتل.

قال أبو عبيدة (٧) : يقال رجل مفتون في دينه أي كافر.

﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ ﴾ لا تبدؤهم بالقتال عند المسجد الحرام حتى يبدؤكم بالقتال و هذا تخصيصٌ لقوله تعالى:

---

(١) تفسير الطّبري: ٣/ ٢٩٣ و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٢٧

(٢) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٨٨ و التفسير الكبير: ٥/ ١١

(٣) كان في الأصل : (ارتداد المؤمن من الدين إلى الدين). و صححته من تفسير مجاهد فهو أقربها لفظا إليه.

(٤) تفسير الطّبري: ٣/ ٢٩٤ و الدر: ١/ ٢٠٥

(٥) تفسير عبد الرزاق: ١ / ٧٣ و تفسير الطّبري: ٣/ ٢٩٤

(٦) تفسير الطّبري: ٣/ ٢٩٤ و ابن أبي حاتم١/ ٣٢٦

(٧) مجاز القرآن:١/ ٦٨

﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ ﴾. ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ﴾ بدؤوكم بالقتال ﴿فَٱقۡتُلُوهُمۡ﴾ فيه.

﴿كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ يعني القتل في الحَرَم هكذا يؤمرُ بمجازاتهم .

قرأ أكثرهم : (و لا تقاتلوهم) (حتى يقاتلوكم) (فإن قاتلوكم) بالألف (فاقتلوهم) بغير ألف و قُرِأَ كلّهنّ بغير ألف (و لا تقتلوهم) (حتى يقتلوكم) (فإن قتلوكم) عن حمزة والكسائي (١) قال أبو حاتم(٢): هو جائز على معنى : لا تقتلوا بعضهم حتى تقتلوا بعضكم و هذا كما يقال قتلنا بني تميم و إن قتل بعضهم

و قال قطربٌ (٣) : الوجه فيه قول الناس قتلني فلانٌ إذا أَثْخَنَهُ بالجراح و إنْ كان حيّاً ، قال حسان (٤) :

و نحن قتلناكم ببدرٍ فأصبحت عساكركم في الهالكين تجولُ

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ [الآية١٩٢] عن قتالكم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ وقيل ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ عن الشّرك و آمنوا ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ والتأويل الأول ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ عن قتالكم فانتهيتم أنتم عن قتالهم فإن الله غفور لكم رحيم بكم.

---

(١) قراءة حمزة و الكسائي بها قرأ أيضاً الأعمش و خلَف في اختياره: تفسير الطّبري: ٣/ ٢٩٧ و السبعة: ١٧٩ و الروضة للمالكي: ٢/ ٥٦٠ -٥٦١ و النشر: ٢/ ٢٢٧

(٢) لم أعثر عليه و ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ١١٦ وتفسير الطّبري: ٣/ ٢٩٧ و معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٢٨ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٨٨ والقرطبي: ٢/ ٣٥١ و التفسير الكبير: ٥/ ١١٢ و البحر: ٢/ ٦٦ -٦٧

(٣) لم أعثر عليه وينظر المصادر السابقة مع إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٩١

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٣/ ١٠٨٧ قال: و قال حسان يفتخر بقتل عمرو بن ودّ . وروايته فيه: معاشركم بدل قوله: (عساكركم) وقال: بعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .و البيت كما هنا في :روح المعاني : ١/ ٢٥٣

قوله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ [الآية ١٩٣] وقاتلوا أهل مكة ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾ يعني الشرك بالله ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ ﴾ الإسلام عن مجاهد (١) و قتادة (٢) و السّدّي (٣) و غيرهم ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ عن قتالكم ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ﴾ (٤)أي لا حجة لكم عليهم في القتال في الحرم .

وقال سعيد بن جُبيرٍ (٥) : خرج علينا ابنُ عمر فبادرَ إليه رجلٌ وقال : يا أبا عبد الرحمن ما تقول في قول الله ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [١٢٥ و] فما تقول في القتال في الفتنة فقال ابن عمر : ((تدري ما الفتنة ثكلتك أمّك إنما كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول في دينهم فتنة و ليس بقتالكم على المُلك)).

و العدوان الحجّة و ليس هو من الاعتداء و الظلم و لكنه من الإقدام و العدو إليه بالانتصاف، وقيل العدوان ههنا ذُكر على التوبيخ فسُمّي جزاءُ ظلمِهم و عدوانِهم عدواناً على

---

(١)روى ابن أبي حاتم عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ قال : (ويخلص التوحيد لله ثم قال : ورُوِي عن أبي العالية وقتادة والربيع بن أنس قالوا حتى يقول لا إله الا الله وقال الحسن وزيد بن أسلم حتى لا يعبد إلا الله)اهـ. تفسير ابن أبي حاتم :١/ ٣٢٨ و ينظر: الطبري: ٢/ ٣٠١ و تفسير ابن كثير: ١/ ٥٢٩

(٢) ينظر: تفسير الطّبري: ٣/ ٣٠١ عن قتادة مطولا و الحاشية السابقة.

(٣) لم أعثر عليه. وينظر: الطبري: ٢/ ٣٠١ وتفسير ابن أبي حاتم :١/ ٣٢٨ و تفسير ابن كثير: ١/ ٥٢٩

(٤) في الأصل : (ولا عُدۡوَٰن).

(٥)صحيح البخاري: كتاب التفسير: باب ،(٣٠) باب (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة....) (ح ٤٥١٣ ، و مسند أحمد: (ح ٥٦٩٠) و ابن أبي حاتم١/ ٣٢٧ (١٧٣٠) و السنن الكبرى للبيهقي: ٨/ ١٩٢ و تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٠٩ .

سبيل المزاوجة (١)كما قال : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى:٤٠] معناه : إن انتهوا عن كفرهم و قتالهم ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ﴾ فلا سبيل بالقتال و الحدّ إلا على الظالمين وأراد بالظالمين ههنا المشركين في قول قتادة (٢) و الربيع (٣) و عكرمة (٤) و قال مجاهد (٥) و السّدّي (٦)الظالم هو : المبتدئ بالقتال ههنا ، وقيل هو من وَجَبَ عليه حدٌّ من غيرِ أهلِ الشّرك.

و إنما سمّي الشركُ فتنة لأنه يؤدّي إلى الهلاك كما أنّ الفتنة بالهرْج تؤدي إلى الهلاك ، و قيل لأنّ الكفر إظهار الفساد عند الابتلاء و الاختبار لأنّ الفتنة في الأصل هي الابتلاء والاختبار.

وقُرِأ (فلا عِدوان) بالكسر و هي لغة (٧).

و قوله: ﴿ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ قيل إنَّه منسوخٌ بقوله: ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة:الآية ٥] عن قتادة (١)و الربيع (٢) و منهم من يقول إنّه غير منسوخٍ عن مجاهد (٣).

---

(١)و يعبِّرون عن هذا أيضا بقولهم: سُمِّيَ جزاءُ الظالمين ظلما للمشاكَلة و للمجازاة ينظر:تفسير الطّبري: ٣/ ٣٠٢ و التفسير الكبير: ٥/ ١١٤ و القرطبي: ٢/ ٣٥٤ والنسفي : ١/ ٩٤ والبحر:٢/ ٦٨

(٢) تفسير الطّبري: ٣/ ٣٠٣

(٣) تفسير الطّبري: ٣/ ٣٠٣

(٤) تفسير الطّبري: ٣/ ٣٠٣ ، و الطبراني في الدعاء (١٥٥٦) ، و أبو نعيم في الحلية ٣/ ٣٣٤ قال: (هُمْ من أبى أنْ يقول لا إله إلا الله).

(٥) تفسير الطبري: ٣/ ٣٠٣ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٢٨ (١٧٣٦)

(٦) تفسير الطبري: ٣/ ٣٠٤ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٢٨ (١٧٣٧).

(٧) تنسب بالكسر إلى أبي حيوة: المحرر: ٤/ ٢٨٥ و القرطبي: ١٣/ ٢٧٩ والشوكاني في فتح القدير: ٤/ ١٦٩. و قد ذكروها في سورة القصص عند الآية: (٢٨) و ينظر: مختصر الشواذ لابن خالويه: ص١١٢ .

قوله: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الآية ١٩٤] وذلك أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أحرم بالعمرة و قصدَ مكّة في ذي القَعْدة فصدّه المشركون و افتخروا به وأظهروا السرور بمنعه بالحديبية ثم دخلها في العام القادم في ذي القعدة و هي عمرة القضاء فصار قضاؤه لفسخِهِ فقيل ذو القَعدة التي دخلتم فيها إلى مكة قصاص ذي القَعدة التي صدَّكم المشركون فيها(٤).

﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ يعني حُرْمَةَ الشهر و حُرْمَةَ البلد وحرمة الإحرام و فيه اختصار و تقديره : و الحرمات بالحرمات قصاصٌ، و القصاص المماثلة و المساواة و كانت بيعة الرّضوان سنة الحديبية .

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٧٣ وابن أبي شيبة في المصنف: ١٤/ ٣٥٢، ٣٥٣ و الطبري: ٣/ ٢٩٦ و ٢٩٨ و ابن النحاس في الناسخ و المنسوخ : صـ ٣٥ و الثعلبي معلقا: ٢/ ٨٨ والدر: ١/ ٢٠٥ و عزاه أيضا لعبد بن حميد و أبي داود

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٢٩٦ و الثعلبي معلقا: ٢/ ٨٨ .

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ٢٩٦ – ٢٩٧ و ابن النحاس في الناسخ و المنسوخ : صـ٣٤ معلقا و الثعلبي : ٢/ ٨٨ معلقا بلا سند. قال الثعلبي : (و هو قول أكثر المفسرين)اهـ يعني أنّ الآية محكمة غير منسوخة وعكس ابن النحاس فقال إن أكثر أهل النظر أنّ الآية منسوخة: صـ ٣٥ ورجح ابن الجوزي قول مجاهد أنّ الاية ليست بمنسوخة : زاد المسير: ١/ ١٠٠ .

و قال القرطبي: (قال مجاهد: الآية محكمة ولا يجوز قتالُ أحدٍ في المسجد الحرام إلا بعد أنْ يقاتل وبه قال طاوس وهو الذي يقتضيه نصُّ الآية وهو الصحيح من القولين وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه)اهـ. ٢/ ٣٥١ و ينظر: مع تفسير الطبري و الناسخ و المنسوخ لابن النحاس أحكام القرآن للجصاص: ١/ ٣٢٠ و ما بعدها و الثعلبي: ٢/ ٨٨ وأحكام القرآن لأبي بكر ابن العربي: ١/ ١٥١ و ما بعدها و زاد المسير: ١/ ١٩٩ – ١٠٠ .

(٤) ينظر مثلا: تفسير الطبري: ٣/ ٣٠٤ – ٣٠٩ و الناسخ و المنسوخ لابن النحاس: صـ ٣٦ و أحكام القرآن للجصاص: ١/ ٣٢٢ و الثعلبي: ٢/ ٩٠ وزاد المعاد:٣/ ٣٧٨ و الدر: ١/ ٢٠٦

﴿وَٱلْحُرُمَـٰتُ﴾ جمع حرْمةٍ كظلماتٍ جمع ظلمةٍ و حُجُرات جمع حُجرةٍ (١)وقيل الحرمات قصاصٌ أي إنْ قُوتلتم في الشهر الحرام و تركوا حرمته فقاتلوهم في الشهر الحرام .

و قوله: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ يقول جزاؤه بمِثلِه فالأوّل ظلمٌ، و الثاني جزاءٌ فسمَّي الثاني بمثلِ اسم الأوّل لأنّه في الصورة مثله و هذا كما يقال ظلمني فلانٌ فظلمته أي جازيته جزاءَ ظلمِهِ، قال عمرو بن كلثوم (٢): فنجْهَلَ فوق جهل الجاهلينا

و كذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ ﴾ (٣)، و قوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ قيل قاتلكم في الحرم فقاتلوهم في الحرم كما قاتلوكم ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ ولا تبدؤوهم فيه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ بالنّصر للقتال في الحرم .

قوله: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟﴾ [الآية ١٩٥] التَّهلُكة مصدر الهلاك قال الخارزنجي (٤): لا أعرف في كلام العرب مصدراً على تفعُلةٍ بضمّ العين إلا هذا و العرب

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٣٠٩ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٩٠

(٢) أوله : ألا لا يَجْهَلنْ أحدٌ علينا ...... و هو من معلقته المشهورة ينظر: شرح السبع لابن الأنباري: صـ ٤٢٠ وخزانة الأدب لابن حجة الحموي: ٢/ ٢٥١ .

(٣) تقدّم نحو هذا المعنى عند قوله تعالى قريباً (فلا عدوان إلا على الظالمين). آية: ١٩٣ وزاده العلماء بيانا أيضا هنا ينظر مع ما تقدّم: تفسير الطبري: ٣/ ٣١١ -٣١٢ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٢٨ و الثعلبي: ٢/ ٩٠ و القرطبي: ٢/ ٣٥٦ – ٣٥٧ و البحر: ١/ ٧٠.

(٤) أسنده الثعلبي عن أبي حامد الخارزنجي: ٢/ ٩٠ وكان في الأصل (الخازرنجي) بتقديم الزاي . و التصويب من مصادر الترجمة و منها اللباب .و الخارزنجي: هو أبو حامد أحمد بن محمد البُشّي الخارزنجي؛ منسوب إلى خارزنج قرية بنواحي نيسابور من ناحية بشت إمام أهل الأدب بخراسان في عصره. له كتاب يعرف بالتكملة في اللغة و (شرح أبيات أدب الكاتب). نسبته إلى بُشْتْ من نواحي نيسابور: (ت: ٣٤٨هـ). ترجمته في: مقدّمة تهذيب اللغة للأزهري : ١/ ٣٣ فإنه ذكره و

لا تقولُ ألقى بيده إلا في الشرّ (١).

و قال الأخفش (٢): الباء في أيديكم زائدةٌ كقوله ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ ﴾ [المؤمنون آية٢٠] أي الـدهن قـال المـبرِّد (٣):ولا تلقـوا أنفـسكم بالتهلكـة كـما قـال ﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ ﴾ [الحج:الآية١٠] و ﴿ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [الشورى:الآية٣٠].

وقيل نزَلتْ الآية في أصحاب النبي ﷺ لما أرادَ عمرة القضاء وكان بهم ضرٌّ فـأمرهم بالإنفـاق فقال : ﴿أَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ولا تحبسوا النفقة في سبيله فتهلكوا عن حذيفة (٤)وابـن عباس (٥) وعكرمة (٦)وغيرهم.

وقيل الإلقاء في التهلُكة الإقامة في الأهْل والمال وترْك الجهاد، وقيل التهلكة عذاب الله .

عرّف به ،و تكلّم على كتابه في اللغة ، و ذمّـه بكثـرة التـصحيف ، ثـم أورد أمثلـةً مـن تـصحيفه ، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير:١/ ٢٧٧ و معجـم الأدبـاء ليـاقوت: ٤/ ٢٠٣ – ٢٠٨ و إنباه الرواة: ١/ ١٠٧ و بغية الوعاة: صـ ١٦٩ و الأعلام: ١/ ٢٠٨ ومعجم المؤلفين: ١/ ٢٥٣

(١) نُقِل عن ثعلب ما يوافق قول الخارزنجي في نفيهِ نقله أبو حيان و اعترَض عليه بأنّ سيبويه حكا أنّ : التّضُرة لغة في التّضِرة بمعنى الضَّرر و التسُرّة مصدران و هما بضمّ العين . (البحر: ٢/ ٦٠ و الدر المصون: ١/ ٤٨٣ وينظر: لسان العرب: مادة: (كرر) ٥/ ١٣٤ و مادة: ضرر والقاموس المحيط (ضر) وتاج العروس. و الكشاف: ١/ ٢٦٤

(٢) معاني القرآن: صـ ١١٨و الطبري: ٣/ ٣٢٥

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٩١

(٤) سنن سعيد بن منصور: (٢٤٠٤ و في (٢٨٥ – تفسير) و تفسير الطبري: ٣/ ٣١٢ - ٣١٣ و ابـن أبي حاتم: ١ / ٣٣١ (١٧٤٤).

(٥) تفسير الطبري: ٣/ ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٣٠ (١٧٤٢) و الدّر: ١/ ٢٠٧ و عزاه لوكيع و عبد بن حميد.

(٦)تفسير الطبري: ٣/ ٣١٤ ، ٣١٦ و الواحدي في أسباب النزول: صــ ١٦٦ و الـدر: ١ / ٢٠٧ و زاد نسبته لعبد بن حميد.

وقال الحسن (١):التهلِكة البخلُ.

وقيل هو أنْ يعلمَ أنّه لا يقاوم قِرنه من العدو فيخرج إليه وحده (٢)، وقيل هو الـذي يقاتـل وليس له نفقة ولا قوة عن ابن زيد(٣).

وقيل هو الرجل يذنِب ثم يقول لا يغفر الله لي قاله البراء بـن عـازب (٤)، وقيـل هـو الـذي يذنب ولا يتوب، وقيل ولا تيمموا الخبيث منه فتنفقـون، وقيـل لا تظنـوا أنكـم تنفقـون مـن أموالكم إنـما تنفقـون مـن مـال الله ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ ﴾ الإنفـاق في سـبيل الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، وقيل وأحسنوا أعمالكم وقيل ظنونكم بربكم في الخلف عليكم عند الإنفاق عن عكرمة (٥).

قوله: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾ [الآية: ١٩٦] الحَجُّ والحِجُّ لغتان بمنزلة قال أبو معاذ كان أشياخنا من النحويين يقولـون (٦): الحِجُّ بكسر الحـاء الاسم والحَجُّ بالفتـح الفِعل (١)كما تقول عليك قَسم هذا المال أي عليك أنْ تقسمه وكم قِسْمُ زيدٍ من المـال أي كـم نصيبه.

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٣١٦ ، ٣١٧ بلفظ: نزلت في النفقة. و في اللفظ الآخر: و أخبرهم أنّ ترك النفقة في سبيل الله التهلكة. و ينظر: تفسير الثّعلبي: ٢/ ٩١

(٢) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٩٣ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٢٥٣

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ٣١٨ و بعده مباشرة : ٣١٨ - ٣١٩ خبر والده زيد بن أسلم بمعناه و خبر زيد عنـد ابن أبي حاتم: ١ / ٣٣١(١٧٤٥).

(٤) أحمـد في المسند: ٣٠ / ٤٢٧ و تفسير الطبري: ٣/ ٣١٩ – ٣٢٠ و ابـن أبي حـاتم: ١ / ٣٣٢ (١٧٤٨) والحاكم / ٢ / ٢٧٥ و البيهقي في الشعب: (٧٠٩٣) و ينظر: فتح الباري: ٨ / ١٨٥ و الدر: ١/ ٢٠٨

(٥) تفسير الطبري: ٣/ ٣٢٧ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٣٣ (١٧٥٢).

(٦) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٩٤ عن أبي معاذ النحوي .و ينظر: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٩١ والمفردات للراغب: (حج) و لسان العرب و تاج العروس(حجج). وقد تقدّم للمصنف ذكر اللغات في الحجّ عند الآية: ١٨٩ من هذه السورة.

والقراءة ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ﴾ بالنصب فيهما جميعاً على وقوع الإتمام عليهما بجعلهما واجبتين فريضتين.

وقُرأ في الشواذّ (والعمرةُ) بالرّفع عن الشعبي (٢)وكان لا يَرى وجوبَها (٣). وقال علي (٤)وا بن عبّاس (٥): ((إتمامُهما أن تُحرِم بهما من دُوَيرةِ أهلِك)). وقال الضحاك (٦): إتمامُهُما أنْ تكون النفقة حلالاً وينتهي عما نهى الله. وقيل أداؤهما على ما أُمِروا فيهما عن مجاهد (٧). وقال طاووس: إتمامها إفرادهما مؤتَنَفَتَين من أهلك (٨). وقال قتادة (٩) إتمامهما أن يعتمِر في غير أشهر الحج.

---

(١) أي مصدر الفعل.

(٢) رواها أبو عبيدة في مجاز القرآن: ١/ ٦٨ -٦٩ و سعيد بن منصور (٢٨٨ – تفسير) ، وتفسير الطبري: ٣/ ٣٣٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٣٥ (١٧٦٥) و أحكام القرآن للطحاوي: ٢/ ٢١١والبيهقي: ٤/ ٣٤٩ و الدر: ١/ ٢٠٩

(٣) قال الطبري: (وقد روي عن الشعبي خلاف هذا القول ، و إنْ كان المشهور عنه من القول هو هذا -أي أن العمر تطوعٌ- ...ثم أسند عنه أنّ العمرة واجبة)اهـ. ٣/ ٣٣٢

(٤)أخرجه ابن أبي شيبة: (ح١٢٦٨٩) ٣/ ١٢٥ والبغوي في الجعديات: (٦٤) و من طريقه الضياء في المختارة: ٢/ ٢٢١ و الطبري: ٣/ ٣٢٩ -٣٣٠ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٣٣ (١٧٥٥) والحاكم: ٢/ ٢٧٦ و البيهقي: ٥/ ٣٠ كلهم من طريق: شعبة عن عمرو بن مرَّة قال سمعت عبدالله بن سَلَمة يعني المرادي قال سأل رجل عليّا عليه السلام عن قوله ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ﴾ قال تحرم من دُوَيرة أهلك)اهـ.و ينظر: الاستذكار: ٤/ ٣٩ و الدر: ١/ ٢٠٨

(٥) علقه ابن أبي حاتم: ١/ ٣٣٣ و ذكره ابن كثير: ١/ ٢٣١

(٦)عزاه إليه الثّعلبي: ٢/ ٩٥ و البغوي: ١/ ١٦٥

(٧) تفسير الطبري: ٣/ ٣٢٩ و الدر: ١/ ٢٠٨

(٨) تفسير الطبري: ٣/ ٣٣٠ و الثعلبي: ٢/ ٩٥ و البغوي: ١/ ١٦٥

(٩) تفسير الطبري: ٣/ ٣٣١ و الثعلبي: ٢/ ٩٥ و البغوي: ١/ ١٦٥

قوله: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ يقال أَحصَرهُ العدوّ وحَصَرَهُ المَرَضُ معناه من أحرم بحجٍّ أو عمرةٍ ثم منعَهُ العدوّ عن البيت وعن إتمامِهِ فعليه ذبحُ ما استيْسرَ من الهدي شاةٌ فما فوقها وهو الصحيح وهو قول عليّ (١)وابن عباس (٢) والحسن (٣)وقتادة (٤) .

وقال :ابن عمر (٥)وعائشة (٦)الإبل والبقرُ. ووجه اليسر في قولهما يعني الناقة دون الناقة و البقرة دون البقرة .

﴿ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ﴾ إنْ أحرَمَ بالحجّ فمحلُّه يوم النّحر وإنْ أحرم بعمرة فمحلّ هديه إذا أتى البيت و حمله قومٌ على أنْ يُمنعَ بمرضٍ أو عذرٍ أو عدوٍّ و

---

(١) الموطأ: ١/ ٣٨٥ و سعيد بن منصور في سننه (٣٠١ – تفسير) و تفسير الطبري: ٣/ ٣٥٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٣٦ (١٧٦٩). قال: ما استيسر من الهدي: شاةٌ.

(٢)سعيد بن منصور: (٣٠٢ ، و ٣١٦ – تفسير) و الطبري: ٣/ ٣٤٨ ، ٣٥٢ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٣٦ (١٧٧٠) و أحكام القرآن للطحاوي: ٢/ ٢٣٤ و في لفظ: عن ابن عباس: جزور أو بقرة أو شاة . صحيح البخاري: كتاب الحج (١٠٢) (ح ١٦٨٨) و سعيد بن منصور: (٣١٩ – تفسير) و تفسير الطبري: ٣/ ٣٤٩ ، ٣٥١ و أحكام القرآن للطحاوي: ١/ ٢٣٤

(٣) سعيد بن منصور: (٣٠٥ – تفسير) و الطبري: ٣/ ٣٠٥.

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ٣٥٠ بلفظ: أعلاه بدنة و أوسطه بقرة و أخسه شاة. وينظر: التمهيد لابن عبد البر ١٥/ ١٩٠

(٥) الموطأ : ١/ ٣٨٦ (ح ١٦٠) و الاستذكار:١٢ / ٣١٤ و سعيد بن منصور: (٣١٦ ، ٢٩٩ – تفسير) و تفسير الطبري: ٣/ ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ و ابن أبي حاتم: ١ / ٣٣٦ (١٧٧٢) وأحكام القرآن للطحاوي: ١/ ٢٣٣ و البيهقي: ٥/ ٢٤

(٦) سعيد بن منصور: (٢٩٩ – تفسير) و تفسير الطبري: ٣/ ٣٥٥ وأحكام القرآن للطحاوي:٢/ ٢٣٣

رأوا الإحصارَ في الآية بهما، و عند ابن عبّاس (١)و ابن عمر (٢) و ابن الزبير (٣) و سعيّد بن المسيَّب (٤) و سعيد بن جبير (٥) و شَهْر بن حوشب (٦)أنّ الإحصارَ ههنا من العدوّ فقط.

و عن مجاهد (٧)وعطاء (٨)و قتادة (٩)و جماعة أَنّ قوله: ﴿ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ ﴾ أي بمرض أو عدوٍّ كليهما .قال أبو عبيدة (١٠): ما كان من عدوٍّ فإنه يُقال أُحصر بالألف و ما كان من سجن أو حبس قيل فيه قد حُصِر .

قال أبو عمرو (١١): واحد الهدْي هَدْيَة مثل جَدْيَة (١٢)السَّرج مخفّفة و لا أعرف في الكلام شيئا يشبهه .

---

(١)تفسير الطبري: ٣/ ٣٤٥ ، ٣٤٦وقد اختلف عنه. ينظر أحكام القرآن للطحاوي ٢/ ٢٤٨ وشرح ابن بطال على البخاري ٤/ ٤٦٠ و فيه أن الصحيح عنه أنه حَصْرُ العدو دون غيره.

(٢) الموطأ :الحج حديث ١٠٣ وأحكام القرآن للطحاوي ٢/ ٢٤٨ وشرح معاني الآثار له ٢/ ٢٥٢.

(٣)تفسير الثّعلبي: ٢/ ٩٩ وعلق ابن أبي حاتم ١/ ٣٣٥ عنه :(أنه يكون من عدوّ أو مرض أو كسر) و هو الموافق لما في مصنف ابن أبي شيبة: القسم الأول من الجزء الرابع ص ٢٠٦. وينظر: أحكام القرآن للجصاص ١/ ٣٣٤ و القرطبي ٢/ ٣٧٣.

(٤) الثعلبي ٢/ ٩٩ وعلق ابن أبي حاتم ١/ ٣٣٥ عنه :(أنه يكون من عدوّ أو مرض أو كسر). و القرطبي ٢/ ٣٧٣.

(٥) الثعلبي ٢/ ٩٩

(٦)الثعلبي ٢/ ٩٩

(٧) تفسير الطبري: ٣/ ٣٤٢ والدّر ١/ ٢١٣

(٨) ابن أبي شيبة القسم الأول من الجزء الرابع المفقود ص ٢٠٦.

(٩) تفسير الطبري: ٣/ ٣٤٣

(١٠) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٦٩ نقله المصنف بالمعنى. وينظر: معاني القرآن للأخفش: صـ ١١٩

(١١)مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٦٩ و تفسير الطبري: ٣/ ٣٥٨ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٠٠

(١٢)القطعة من الكساء المحشوّة تجعل تحت دَفَّتَي السرج و الرَّحْل. (لسان العرب: جدا) ١٤ / ١٣٤ و تاج العروس: (جدا) و النهاية: (جدا).

و أنكر المبرّد (١)ذلك و قال هو مطّرد في الأجناس مثل تمرة و تمر و شرْية و شريٍّ (٢).

و قوله: ﴿ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾ إن شئتَ رفعته على تأويل فعليه ما ستيسر و إنْ شئت نصبتَ على الأمر أي فاذبحوا ما استيسر (٣).

قال الكسائي (٤): الهَـدْي و الهَـدِيّ واحـد . قـال الفـراء (٥): أحـصر في المـرض و حُـصِر بالسلطان فلو نويتَ في قهر السلطان أنه علة مانعة و لم تذهب إلى فعل الفاعل جاز أنْ تقـول (أحصر).

قوله: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ﴾ يعني فإنْ أُحصِرتم فأردتُّم الإحلال من إحرامكم فعليكم ما استيسرَ من الهَدْي ولا تحلّو من إحرامكم حتى يبلـغ الهـدي الذي أوجبته عليكم لإحلالكم محله،ثم اختلفوا في محل الهدي الـذي متـى بلغَـه الهـدي كـان للمحصِر الإحلال، فقال ابن مسعود (٦)و ابن عبـاس (١) و الحـسن (٢)و عطـاء (٣) محلُّـه الحرم، وقال مالك محله (٤): حيث صُدّ فيه فأبيحَ له الإحلال إذا نُحِر في موضع الإحصار .

---

(١) لم أقف عليه. و الهدْي فيه قولان: أنه جمع هدية مخففة و القول الثاني: أنه مصدر واقع موقع المفعول أي المهدى. الدر المصون: ١/ ٤٨٥ و ينظر: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٩٣

(٢) هو الـحنظلُ، وقـيل: شجرُ الـحَنْظَلُ؛ وقـيل: ورقُه، واحدته شَرْيَةٌ (لسان العرب: شري).وينظـر في جمعه أيضا: الأصول لابن السراج: ٢/ ٤٤٢ و البسيط: ٢/ ٦٦٠

(٣)معاني القرآن للأخفش: صـ ١١٩ وتفسير الطبري: ٣/ ٣٥٧ و إعراب القـرآن لابـن النحـاس: ١/ ٢٩٣

(٤) لم أقف عليه عنه و هو صحيح عن غيره من أئمة اللغة ينظر مثلا: إصلاح المنطق لابـن الـسكيت: صـ ٢٧٥ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٩٣ والتفسير الكبير للرازي: ٥/ ١٢٦ .

(٥)معاني القـرآن:١/ ٩٢ و ينظـر: تفـسير الطـبري: ٣/ ٣٤٧ و التمهيـد لابـن عبـد الـبر: ١٥/ ١٩٤ والوسيط: ١/ ٢٩٧ و البحر: ١/ ٦٠.

(٦) ابن أبي شيبة: صـ ١٣٥ من القسم الأول من الجـزء الرابـع و تفـسير الطـبري: ٣/ ٣٦٤ و ٣٦٥ و شرح معاني الآثار: ٢/ ٢٥١.

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ نزلت في كعب بن عُجْرَة خاصّة ثمّ هي في أمثاله عامة و ذلك أنّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم رآه عام الحديبية و قد تناثر القمل من رأسه فقال: (أيؤذيك هوامّ رأسكَ فقال نعم ،و أمره أنْ يحلق و نزل قوله:

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ ﴾ (٥).

أي مريضا فتداوى أو به أذى من رأسه فعليه فديةٌ من صيام ثلاثة أيّام أو صدقة على ستةِ مساكينَ أو نسُكِ شاةٍ و إن شاءَ زاد عليها و هو فيها متخيّرٌ.

قراءة العامّة : (نسُك) وقرأ الحسن (٦) (نُسْك) بسكون السين وواحد النُّسك نسيكة وجمع النسيكة نسُكٍ و نسائك كصحيفة تجمع على صُحُف و صحائف.

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٣٦٦ و الدر: ١/ ٣٦٧

(٢) لم أجده و ينظر: شرح ابن بطال على البخاري: ٤/ ٤٥٨

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ٣٦٧

(٤)الموطأ برواية يحيى الليثي: ١/ ٣٦٠ و هو في رواية أبي مصعب : ١/ ٤٦٠ و من رواية ابن وهب عنه عند الطبري: ٣/ ٣٤٦ و ٣٦٠

(٥) متفق عليه من حديث كعب بن عجرة . أخرجه البخاري: في مواضع منها: كتاب المحصر، باب (٧) الإطعام في الفدية نصف صاع (ح ١٨١٦) وفي كتاب التفسير، سورة البقرة باب (٣٢) (فمن كان منكم مريضا.....) (ح ٤٥١٧) . ومسلم باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى (ح ٨٥-٨٦) ٢/ ٨٦١ و الترمذي كتاب التفسير باب سورة البقرة حديث (٢٩٧٣و٢٩٧٤) وأبو داود كتاب المناسك باب (٤٢) في الفدية ٢/ ١٧٢والنسائي كتاب المناسك باب في المحرم يؤذيه القمل (٥٩٤) وغيرهم وينظر: تفسير الطبري: ٣/ ٣٨١ - ٣٩١ والتمهيد ٢/ ٢٣٦ والفتح ٤/ ١٣ والعجاب ص ٢٩٨.

(٦) الثعلبي: ٢/ ١٠١ و ذكرها في مختصر الشواذ: صـ١٢ منسوبة للزهري و السلمي و في المحرر: نسبتها للزهري. ١/ ٢٦٨

قال ابن عباس (١) : ما كان في القرآن ﴿أَوْ﴾ فهو مخيّرٌ و ما كان ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ فهو الذي قال أولاً ثم الذي يليه.

﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ ﴾ أي من الإحصار ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ ﴾ والتمتع أنْ يعتمر في أشهر الحج و يحلّق من عمرته و يتمتّع بالنساء و غير ذلك من محظُورات الإحرام ثمّ يُحرم وقت الحجّ من جوف مكّة فعليه دمٌ.

قال ﴿ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ أي فعليه ذلك و الواجب شاة فما فوق ذلك ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾ ذلك فعليه صيام ثلاثة أيام في الحجِّ آخره لا يتجاوَز ولا يتأخر عن عرفة ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ من منى وقيل إذا رجعتم إلى أهلكم، و له أنْ يصوم قبل الرجوعِ و لكنْ يجوز له تأخير صوم الأيام السبعة إلى أنْ يرجع إلى أهله ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ أراد تأنيث العشرة فلذلك لم يقل أولئك عشرة كوامل و إنّما قال ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ ﴾ لأنه لو لم يجمعه بعد التفريق لسبق إلى وهم السامع أنَّ السبعة هي الكاملة دون الثلاثة المتقدمة فيرى الفرضَ في السبعة فنفى الله تعالى الشبهة بذكره العشرة (٢) . قال الأعشى (٣) :

ثلاث بالغداة فهنّ حسبي   و ستٌّ حينَ يدرِكني العِشاءُ
فذلك تسعـــة في اليوم ريّ   و شُرْبُ المرء فوق الرِّيّ داء

و معلوم أنّ ثلاثا و ستّا تسعٌ و لكنّه أجملَهُ لعلة الريّ .

---

(١)عبد الرزاق في المصنف: (٨١٩٢) و ابن أبي شيبة: القسم الأول من الجزء الرابع: ص٤٥ و تفسير الطّبري: ٣/ ٣٩٨ و ابن أبي حاتم١/ ٣٣٩ (١٧٨٦) و البيهقي: ٦/١٠

(٢) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٣٧ و معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٣١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٠٢- ١٠٣ و الوسيط: ١/ ٢٩٩ و السمعاني: ١/ ١٩٨ و المحرر١/ ٢٧٠ و القرطبي: ٢/ ٤٠٢

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٠٣ و القرطبي: ٢/ ٤٠٣ و لم أعثر عليهما في ديوانه.

قال الزجاج (١) : الواو تُذكر بمعنى أو كقوله: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [النساء:آية ٣].وقوله: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [النساء:آية١٣٦] و أو تذكر بمعنى الواو في قوله : ﴿ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات:آية ١٤٧] فلو لم يقل ﴿تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞ﴾ احتمل أنّهُ أراد ثلاثة في الحجّ أو سبعةٍ إذا رجَعَ فنفى هذا الاحتمالَ.

و قيل ذَكَرَهُ على وجهِ التّأكيد و قد يؤكّد الكلام بما يستغنى عنه كقوله : ﴿ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴾ [الحجر: آية٣٠] (٢) .

﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾ أي مِنْ أهل الحرم فأمّا أهل الحرم فلا تمتّع لهم. و سقطت النُّون من حاضرين للإضافة و ذهبت (٣) الياءُ في الّلفظ لسكونها و لسكون اللام و مثله ﴿ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:آية٢] و ﴿ مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾ [القصص:آية ٥٩] و ﴿ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ ﴾ [المائدة:الآية١] (٤) .

---

(١) لم أعثر عليه وينظر: معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٣١

(٢)معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٣١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٠٢- ١٠٣ و الوسيط: ١/ ٢٩٩ و السمعاني: ١/ ١٩٨ و المحرر١/ ٢٧٠ و القرطبي: ٢/ ٤٠٢ و البحر:٢/ ٧٩

(٣) في الأصل: ذهب.

(٤) إعراب القرآن لابن النحاس : ١/ ٢٩٤ ومختصر التبيينِ لهجاء التنزيل للإمام أبي داود سليمان بن نجاح (ت: ٤٩٦هـ)٢/ ٢٥٤ – ٢٥٥ و منار الهدى: ٤٦. فالياء ثابتة رسماً، و لفظا في الوقف وساقطةٌ عند الوصل لفظاً .

و قُرِأَ (وسبعةٍ إذا رجعتم) على الإضافة (و سبعةً) بالنَّصب على وقوع الفعل في الشواذّ (١) أي فليصم سبعة إذا رجع و إن شئتَ نصبتَ على محلّ الأول كما قال (٢) :

فلسنا بالجبال و لا الحديدا

أو كما يُقرأ (٣) : (و جاعلُ الليلِ سكنا و الشمس و القمر حسبانا).

على إراقة (٤) النون كما تقول : هو ضاربُ عبدِ الله و زيداً و زيدٍ كلاهما.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ ولا تتعدّوا حدود الله ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لمن خالف أمره و ارتكبَ معاصيهِ .

قوله: ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ [الآية ١٩٧] يعني وقت الإحرام بالحجّ هذه الأشهر و هي شوّالُ و ذو القَعْدة و عشر (٥) منْ ذي الحِجّة عن ابن عباس (١) و الشعبي (٢) و مجاهد (٣) و عطاء (٤) و الضحاك (٥) و ابن عمر (٦) و السّدّي (٧) .

---

(١) النصب قراءة شاذّة كما قال المصنف . و هي منسوبةٌ إلى زيد بن علي في : المحرر: ١/ ٢٧٠ والبحر: ١/ ٧٩ و زاد نسبتَها لابن أبي عبدة.

(٢) تقدّم البيت : ينظر:صـ٣٣٥.

(٣) في هذه الآية قراءات سبعية و شاذّة و قد لخصها ابن النحاس في إعراب القرآن: ٢/ ٨٤ مع توجيهها فرأيت نقل عبارته لما فيها من التوجيه و ذكر الشاذ:قال: (وقرأ الحسن وعيسى بن عمر وحمزة والكسائي ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام:٩٦] أي جعله يصلحُ أن يُسكَنَ فيه، وقرأ أهل المدينة (وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا) نصب الشمس والقمر عطفا على المعنى أيْ وجعل والخفض بعيد لضعف الخافض وأنّك قد فرقت وقد قرأ يزيد بن قطيب السكوني (وجاعلِ الليل سكنا والشمس والقمر) بالخفض عطفا على اللفظ)اهـ. و قراءة (جاعلُ الليلِ) التي عزاها لأهل المدينة هي قراءة الباقين من العشرة: ينظر: تفسير السمرقندي: ١/ ٤٨٨ والقرطبي: ٧/ ٤٥ و النشر: ٢/ ٢٦٠

(٤) كذا يعني حذف التنوين.

(٥) في النسخة (ل) : و عشرون. خطأ.

و عن ابن عمر أيضا في روايةٍ (٨) و الربيع (٩) و قتادة (١٠) أنَّ الأشهرُ المعلومات شوّال وذو القَعدة و جميع ذي الحِجَّة [١٢٧و] وأرادَ هؤلاءِ بهذا القول أنّ هذه الأشهرَ الثَّلاث ليستْ من شُهُورِ العمرة وإنّما العمرة فيما عداها (١١) والصحيح أنَّ الأشهرَ المعلومات شوّال وذو القَعْدة وعشر من الحجّة لأنّ أعمال الحج تنتَهِي إلى هذا الوقت ولا عمل للحجِّ بعده، والعرب تُسَمِّي خصوصاً في الأوقات باسمِ الجمع ما لم يَتِمُّ فيه معنى الجمع كما تقول أن اليوم يومانِ منذ لم أرَهُ وإنما قَضى بذلكَ يوماً وبعضَ يومٍ (١٢).

---

(١) ابن أبي شيبة: القسم الأول من الجزء الرابع: ص ٢١٨ و تفسير الطّبري: ٣/ ٤٤٤ و الدارقطني: ٢ / ٢٢٦ و البيهقي: ٤/ ٣٤٢

(٢) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٤٥

(٣) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٤٦

(٤) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٤٦

(٥)ابن أبي شيبة: القسم الأول من الجزء الرابع: ص٢١٩ و تفسير الطّبري: ٣/ ٤٤٧

(٦)مالك في الموطأ: ١ / ٣٤٤ (٦٢) و تفسير الطّبري: ٣/ ٤٤٦ و الدارقطني: ٢ / ٢٢٦

(٧) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٤٥ و ابن أبي حاتم١/ ٣٤٥ (١٨١٧)

(٨)ابن أبي شيبة: القسم الأول من الجزء الرابع: ص٢١٨ و سعيد بن منصور: (٣٢٩- تفسير) وتفسير الطّبري: ٣/ ٤٤٧ و ابن أبي حاتم١/ ٣٤٥ (١٨١٦).

(٩) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٤٨

(١٠) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٤٨

(١١) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٤٩

(١٢) معاني القرآن للفراء: ١/ ٩٣ وتفسير الطّبري: ٣/ ٤٥٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٠٤ و أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ١٨٦ و القرطبي: ٢/ ٤٠٥ والبحر :٢/ ٨٥

وقوله: ﴿مَّعۡلُومَـٰتٞ﴾ والشهر مُذَكَّر ذهبَ إلى الليالي لأنّ الشهور يُـؤرَّخ بهـا مـع أنّ الفـراء حكا أنّ العرب تقول (١) : صمنا عشراً يذهبون إلى الليالي والصَّوم لا يكون إلاّ بالنهار.

وقولـه ﴿مَّعۡلُومَـٰتٞ﴾ أي لا تنـازُعَ فيهـا ،﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ﴾ أي أحْـرم وأوجب (٢) والفرض إيجابُ الشيء وإلزَامُه على حَدٍّ مَعلومٍ وأصل الفرض القَطْع (٣) ومنه يقال فَرَضْتُ للأجير أَجْرَهُ ومنه فُرضة النهر (٤) وفُرضة السَّهم (٥) و فرض الله على العبـاد كذا أي قطع الحكم بإيجابها على تقدير معلوم.

و بماذا يُفرَضُ الحج ؟ فيه أقاويل: الصحيح أنّه يُفرَض بالإحرامِ وهـو قـول ابـن عبـاس (٦) والحسن (٧) وقتادة (٨) ، و قال ابن عمر (٩) و مجاهد (١٠) يُفرَض بالتّلبية و قيل بـالعزم على أفعال الحجِّ (١١) . ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ الرّفَث ههنا الجماع عـن ابـن عبـاس

---

(١) معاني القرآن للفراء: ١/ ٩٣

(٢) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٥٣ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٠٤

(٣) المحرر: ١/ ٢٧١ و البحر: ٢/ ٨٦ و(لسان العرب : فرض).

(٤)فرضة النّهر بضم الفاء ثلمته التي يستقى منها(مختار الصحاح : فرض) و (لسان العرب : فـرض).

(٥) الحزّ الذي فيه، و منه أيضا :فُرْضة القوس الحزّ يقع عليه الوتر. (لسان العرب : فرض).

(٦) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٥٥ من طريق علي بن أبي طلحة و الدر: ١ / ٢١٨ و عزاه للطبري.

(٧) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٥٥

(٨) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٥٦

(٩) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٥٣ ، ٤٥٤ و ابـن أبي حـاتم١/ ٣٤٦ (١٨٢٠) و سـنن الـدارقطني: ٢/ ٢٢٧ و البيهقي: ٤/ ٤٣٤

(١٠) تفسير عبد الرزاق: ١/ ٧٧ و تفسير الطّبري: ٣/ ٤٥٤

(١١) هو اختيار الطبري: ٣/ ٤٥٣ ، ٤٥٦- ٤٥٧

(١) في بعـض الروايـات، والحـسن (٢) ،و عمـرو بـن دينـار (٣) ، و مجاهـد (٤)

و عطاء (٥) و قتادة (٦) و ابن جبير (٧) و السّدّي (٨) و غـيرهم. وقيـل هـو الإفحـاش في المنطِق وقيل ما يُصاب من النّساء و يكلّمن به مـن حـديث الجـماع مثـل أنْ يقـال: إذا حللـتُ فعلتُ بكِ كذا و كذا و لا يكني عن ابن عباس (٩)

و عطاء (١٠) و ابن عمر (١١) و طاووس (١٢) و قال ابن عباس (١٣) :هو العَرَابـة (١٤) في كلام العرب و هو التعريض بذكر الجماع.

---

(١) سعيد بن منصور: (٣٣٩ – تفسير) وابن أبي شيبة: صـ ١٥٧ مـن القـسم الأول مـن الجـزء الرابـع وتفسير الطّبري: ٣/ ٤٦٣ ، ٤٦٤ و البيهقي ٥/ ٦٧ و ينظر: الدر: ١/ ٢١٩

(٢) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٦٥

(٣)تفسير الطّبري: ٣/ ٤٦٥

(٤) ابن أبي شيبة: صـ ١٥٧ من القسم الأول من الجزء الرابع و تفسير الطّبري: ٣/ ٤٦٥ ، ٤٦٦

(٥) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٦٧

(٦) تفسير عبد الرزاق: ١/ ٧٧ و تفسير الطّبري: ٣/ ٤٦٨

(٧)الأثر عن سعيد بن جبير: في تفسير الطّبري: ٣/ ٤٦٦

(٨) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٦٦ و ابن أبي حاتم١/ ٣٤٦

(٩) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٦٠، ٤٥٨ ، ٤٦٢ . و هو بمعنى قوله الآتي في العَرابة فينظر تخرجيه.

(١٠) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٦٠ و تفسير ابن كثير: ١/ ٣٤٥

(١١) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٥٩ و ابن أبي حاتم١/ ٣٤٦ (١٨٢٢)

(١٢)مصنف ابن أبي شيبة: صـ ٣٤٣ من القـسم الأول مـن الجـزء الرابـع و تفـسير الطّـبري: ٣/ ٤٦١

(١٣) تفـسير الطّـبري: ٣/ ٤٥٨ ، ٤٦١ و ابـن أبي حـاتم١/ ٣٤٦ (١٨٢٣) والبيهقـي: ٥/ ٦٧ والدر: ٢/ ٢١٩

(١٤) العَرَابة بالفتح والكسر ما قبُح من الكلام و أعرب الرجل تكلّم بالفحش (لسان العرب: عرب

{وقال طاووس في قوله : ﴿ فَلَا رَفَثَ﴾ لايحلّ للرجل الحَرامِ الإعرابُ و الإعراب: أنْ يقول للمرأة إذا حللتِ أصبتكِ}(١) .

﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ المعاصي عن ابن عباس (٢) و عطاء (٣) و طاووس (٤) و مجاهد (٥) و قتادة (٦) و سعيد بن جبير (٧) .

و قيل التّنابزُ بالألقاب عن الضّحاك (٨) و قيل السّباب عن ابن عمر (٩) و ابن عبّاس (١٠) و السّدّي (١١) و مجاهد (١٢) و قال ابن زيد (١٣) : الفسوق هو الذّبح للأصنامِ. و عن ابنِ عمرَ (١٤) أنّ الفسوق إتيان ما نُهي عنه في الإحرام ههنا.

و تاج العروس : عرب) و الفائق للزمخشري: ٢/ ٤١٩

(١) ما بين المعكوفتين من كلام طاووس أخّره المصنف أو الناسخ في غير موضعه كما سيأتي ، وقدّمته هنا مع التنبيه عليه هنا و هناك. و خبر طاووس هذا رواه : ابن أبي شيبة: ٣٤٣ من القسم الأول من الجزء الرابع و الطّبري: ٣/ ٤٦١ ، ٤٦٢

(٢) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٧٢ ، ٤٧٣ و ابن أبي حاتم١/ ٤٧٠ (١٨٢٧)

(٣) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٧٠ و أحكام القرآن للطحاوي : ٢ / ٣٤

(٤) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٧١ ، ٤٧٣

(٥) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٧٠ و ، ٤٧١

(٦) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٧٢

(٧) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٧١

(٨)تفسير الطّبري: ٣/ ٤٧٦ و ابن أبي حاتم١/ ٣٤٧ (٣٤٧)

(٩)مصنف ابن أبي شيبة: صـ ٣٤٣ من القسم الأول من الجزء الرابع وتفسير الطّبري: ٣/ ٤٧٤ .

(١٠) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٧٤ و البيهقي: ٥/ ٦٧

(١١) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٧٤ و ابن أبي حاتم١/ ٣٤٧

(١٢) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٧٥

(١٣) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٧٥

(١٤) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٧٣ و ابن أبي حاتم١/ ٣٤٧ (١٨٢٦).

﴿ وَلَا جِدَالَ ﴾ قيـل (١) لا مِـراء و لا سِـباب و لا يُغـضِب صـاحبه و يغـضَبُ، و قيل جدالهم ما قالوا للنّبي صلى الله عليه و سلّم لمّا قال لهم منْ لم يكنْ معـهُ هـديٌ فليجعـل إحرامَه عمرة فقالوا إنّا أهللنـا بـالحج (٢)، وقيـل ﴿ وَلَا جِدَالَ ﴾ أي لا شـكّ في الحـجّ فوقتُهُ قد تبيّن وذلك أنّهم كانوا يؤخّرون المحرّم إلى وقتٍ آخر فلمّا كان العامَ الذي حـجّ النّبـي صلى الله عليه وسلم وافقَ وقت حجّهِ سنة ذي الحِجة، فقال ألا إنّ الزمان قد اسـتدار كهيئتِـة يوم خلقَ الله السّموات و الأرضِ (٣) .

{.... } (٤) عـن تـأخير الـشهور بقولـه : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة:٣٧] فقوله : ﴿ وَلَا جِدَالَ ﴾ أي لا مراء و لا شك في وقت الحجّ (٥) .

---

(١)تفسير الطّبري: ٣/ ٤٧٨ – ٤٩٣

(٢) تفسير مقاتل : ١/ ٩٨ و عزاه إليه الثّعلبي: ٢/ ١٠٦ و البغوي: ١/ ١٧٣٤ ونقله في العجاب: صـ ٣٠٧ و نسبه الفخر الرازي إلى القفال: ٥/ ١٤١ و لفظه: (قال القفال رحمه الله تعالى يـدخل في هذا النهي ما جادلوا فيه رسول الله ﷺ حين أمرهم بفسخ الحج إلى العمـرة فـشقّ علـيهم ذلـك وقالوا نروحُ إلى منى ومذاكيرُنا تقطر منيًّا فقال عليه الصلاة والسلام: لو اسـتقبلتُ مـن أمـري مـا استدبرتُ ما سقتُ الهدي ولجعلتها عمرة وتركوا الجدال حينئذ)اهـ.

(٣) تفسير الطّبري: ٣/ ٤٨٧ و تفسير الماوردي: ١/ ٢٦٠ و تفسيرالفخر الرازي: ٥/ ١٤١

(٤) هنا وقع طمس في الأصل المخطوط بمقدار كلمة، و سياق الكلام معناه قريب كأن يكون : (و نهـى عن تأخير الشهور الخ). و ينظر حول هذا قول مجاهد في معنى الآية : قال لا شهر ينسأ و لا شـك في الحجّ قد بيّنَ .. الخ. تفسير الطبري: ٣/ ٤٨٤

(٥)القطع و الائتناف لابن النحاس: ١/ ٩٤ قال أبو بكر الجصّاص :(جميع ما ذُكر من هـذه المعـاني عـن المتقدِّمين جائزٌ أن يكون مراد الله تعالى فيكونُ المحرم منهيا عن السباب والمماراة في أشهر الحـج وفي غير ذلك وعن الفسوق وسائر المعاصي فتضمّنت الآية الأمرَ بحفظ اللسان والفرج عن كل ما هـو محظور من الفسوق والمعاصي، والمعاصي والفسوق وإنْ كانت محظورةً قبل الإحـرام فـإن الله نـصَّ على حظرها في الإحرام تعظيما لحرمة الإحرام ولأنّ المعاصي في حال الإحـرام أعظـم وأكـبر عقابـا

وقرأ الأكثرون ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ ﴾ بالنصب على التبرئة ، والمراد منه النّهـي ، وقرأ أبو عمرو وابن كثير (فلا رفثٌ ولا فسوقٌ) أي فلا يكن رفثٌ ولا فسوقٌ (ولا جـدالَ) بالنصب على النفي (١).

و إنما فرّق أبو عمرو وابن كثير بين الرَّفث و الفسوقِ والجدالِ فنصبَا الجدال عـلى الخـصوص ليدلَّ اختلاف الإعراب على اختلاف المعنـى لأنّ قولـه ﴿لَا جِدَالَ ﴾ خـبرٌ بـأنّ الحـج قـد استدار في ذي الحِجة فلا يجب أن يكون فيه جدالٌ بحال ، والنفي في الجدال عامٌّ و أما الرفث و الفسوق فمِمّا قد يقع من الخاطئ فالنفي فيه ليس بتلك المبالغة (٢).

﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ من الاجتـنابِ ممـا نهاكم الله عنه ، وقيـل من الحجّ و العمرة

﴿ يَعْلَمْه﴾ أي ما تفعلوا من خير يجازيكم به الله العالم بوقوع ذلك منكم، فأوقع العلم موقع يجازيكُم كما يقال فلانٌ يعرف حقَّ فلانٌ أي يجازيه عليه .

﴿ وَتَزَوَّدُوا﴾ قيل كان بعضُهم لا يحمل الزّاد فأُمروا بحمل الـزاد ، وقيـل كـان بعـض أهـل اليمن لا يحملون الزّاد وقالوا: خرجنا متوكّلين ثم كانوا يغصبون الناس و يظلمـونهم فـأُمِروا بحمل الزاد ، ثم قال: وخير الزّاد التقوى (٣) .

منها في غيرها)اهـ أحكام القرآن للجصاص: ج١/ ٣٨٤

(١) و الرفع مع التنوين في (جدال) انفرد به أبـو جعفـر:المبسوط: ١٤٥ و الروضـة: ٢/ ٥٦١ و غايـة الاختصار: ٢ / ٤٢٧ .

(٢)معاني القرآن للفراء: ١/ ٩٣ وتفسير الطبري: ٣/ ٤٩٤ و معاني القـرآن للزَّجّـاج: ١/ ٢٣٢- ٢٣٣ والحجة للفارسي: ١/ ٤٢٠ – ٤٢١ و الوسيط: ١ / ٣٠١

(٣)تفسير الطّبري: ٣/ ٤٩٤ و ما بعـدها و الثعلبـي: ٢/ ١٠٧ و أسـباب النـزول للواحـدي: صــ ٦٢ وتفسير ابن كثير: ١/ ٢٣٩ و العجاب: ٣٠٧ و فتح الباري: ٣/ ٢٩٩ و الدر: ١/ ٢٢٠

وقيل لمّا احتمل لفظه المطلق في التزود زاداً دون زادٍ أخبر في لفظ الخبر ما حقّق الأوّل فقال : ﴿ وَتَزَوَّدُوا﴾ يعني من الطَّعام ما تقطعون بِهِ سفركم ، ثم قال: وخير ما تـزودتُّم التقـوى فإنّـه زاد الآخرة فحضَّ على الزَّادين ، وقيل تزوّدوا من أعمال البرّ في الحج وغيره ثم أمرهم بالتقوى و أكّد الأمرَ به فقال: ﴿ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ يا ذوي العقول . (١)

قوله : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾[الآية ١٩٨] قال : كان النّاس لا يتبـايعون أيّـام الحـج فلا يعملون شيئاً ولا يتَّجِرون قبل الإسلام عن مجاهد (٢) ، وقيل كانت الجاهليـة تتَّجِـر أيـام الموسم ولكنَّ المسلمين في ابتـداءِ الإسـلام كـانوا لا يتبـايعون فـأنزل الله ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ أي حَرَج و إثمٌ أنْ تبتغوا فضلاً من ربِّكم أي تلتمسوا فضلاً ورزقاً ، قيل أنْ تتجروا في أيّام الحجّ وكان ابن عبّاس يقرأها (٣) : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً مـن ربكـم في مواسم الحجّ) .

﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ﴾ دفعتم من عرفـاتٍ بكثـرةٍ ولا يكـونُ الإفاضـة إلا عـن تفرُّقٍ عن كثرةٍ أو في معناه يقال: أفاضَ القوم في الحديث إذا انـدفَعُوا فيـه و أكثَـرُوا التـصرُّف

---

(١) وقع هنا في الأصل : (وقال طـاووس في قولـه : ﴿ فَلَا رَفَثَ﴾ لا يحـلّ للرجـل الحَـرامِ الإعـراب والإعراب أنْ يقول للمرأة إذا حللتِ أصبتكِ)اهـ. ولا موضع له هنا وقد قدَّمتـه إلى موضـعه مـع التنبيه عليه هنا و هناك.

(٢)مصنف ابن أبي شيبة: ص ١٧٧ و من القسم الأول مـن الجـزء الرابـع وتفـسير الطّـبري: ٣/ ٥٠٢ ، ٥٠٣

(٣)أخرجه البخاري:كتاب التفسير ، باب : ٣٦ (ليس عليكم جنـاح أن تبتغـوا فـضلاً مـن ربكـم) (ح ٤٢٤٧) و أبو داود(ح ١٧٣١) و أبو عبيد في فضائله: ص١٦٤ و سعيد بن منـصور (٣٥١ مـن التفسير) و تفسير الطّبري: ٣/ ٥٠٥ ، ٥٠٨ و ينظر: الرد: ١/ ٢٢٢

وأفاضَ الرَّجل [و١٢٨] ماءه إذا صبَّه و أفاضَ البعير جِرَّتـه (١) أي رمـى بهـا مفرَّقـة كثـيرةً وأفاض الرجل بالقِداح إذا ضرب بها لأنّها تقع متفرِّقة (٢) .

و قوله: ﴿ مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ القراءة بالكسرِ و التّنوين و عرفاتٌ (٣) اسم مكانٍ و لفظه لفظ جمعٍ و الوجه فيه الصَّرف عند جمهور النّحويين و إنّما صرفُوها و هي اسم مؤنَّـث معرفـةٌ لأنهـا اسم كان (٤) لجماعة مثل مسلماتٍ و مؤمناتٍ فسُمّيت بها بقعة واحدة و تُرِكت على مـا كانـتْ عليه في الأوّل لأنّ التاء فيه بمنزلة الياء و الواو في مسلمين و مـسلمون في المـذكَّر و لـو سـمّي شيء واحد مسلمين لترك على حالته كذلك لمّا سميت البقعة الواحدة بعرفات التـي هـي وزن مسلمات تُرِكت على أصل الصّرف، هذا على طريقة البصريِّين، فأمّـا عنـد الكـوفيين فقـد قـال بعضهم:

إنما صُرِفتْ ﴿ عَرَفَٰتٍ﴾ لأنها جمع مؤنث بالتاء ثمّ سَمّيتَ بـه رجـلاً أو مكانـا أو أرضـا أو امرأةً فإنك تصرِفُهُ. وقال بعضهم (٥) : ليس عرفاتٌ حكايـة و لا هـي اسـمٌ منقـول ولكـنّ الموضعَ و جوانبه سمّي بعرفاتٍ ثمّ سميت بها البقعة فهي اسمٌ للموضع و لا ينفرد واحـدها، و هذا على قول منْ قال (عرفاتَ) بالنّصب دون التنوين، و قيل : عرفاتٌ جمع عرفة و هـي مـا ارتفع من نُشُوز الأرض و كذلك الأعراف.

---

(١)الجِرَّة ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه . ينظر مثلا: (لسان العرب: جرر)

(٢) معـاني القـرآن للزَّجَّـاج: ١/ ٢٣٤ وتفـسير الثّعلبـي: ٢/ ١٠٩ و المحـرر: ١/ ٢٧٤ و لـسان العرب(فوض).

(٣)ينظر: حول ما ذكره المصنف في عرفات: الكتـاب لـسيبويه: ٣/ ٢٣٣ و الطـبري: ٣/ ٥١١ ومعـاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٣٤ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٠٩ و المحرر: ١/ ٢٧٤ و التفـسير الكبـير: ٥/ ١٤٨ والبحر: ٢/ ٨٣

(٤)في الأصل: كانت.

(٥) تفسير الطّبري: ٣/ ٥١٢ و المصادر السابقة.

و قرِئ (١)(عرفاتَ) في الشواذّ مفتوحة التاء جعلها اسماً واحداً غير مصروفٍ كالأسماءِ التي جاءت في لفظ الجموعِ مثل أرضٌ سباسبُ (٢) و بلدٌ بلاقع (٣) .

﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ والمَشْعر المَعْلَم من الشِّعَارِ وهي العلامة ومنه إشعار الهدي ، والمشعر الحرام مكانٌ معروف هناك .

﴿ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾ إلى الإسلام ﴿ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ أي وقد كنتم من قبله لمن الضالين عن الدين، وقيل (إنْ) بمعنى ما و الّلام بمعنى إلا أي وما كنتم من قبله إلا من الضالين ، ومثله قوله : ﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ ﴾ [الشعراء:آية ١٨٦] أي ما نظنك إلا من الكاذبين (٤)

قال الشاعر (٥):

ثكِلتْك أُمُّك إنْ قتلتَ لمسلِماً   حلَّتْ عليكَ عُقُوبةُ الرّحمن

---

(١) نسبها الواحدي إلى أشهب العُقَيلي: البسيط: ٢/ ٦٨٣ ؛ و ينظر توجيهها أيضا في : تفسير الطبري: ٣/ ٥١٢ وتفسير القرطبي: ٢/ ٤١٥ و التفسير الكبير للرازي: ٥/ ١٤٧

(٢) السَّباسبُ والبسابِسُ القِفَار : (لسان العرب: سبسب).

(٣)يقال مكان بلقع أي خالٍ (لسان العرب و تاج العروس : بلقع).

(٤) إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٩٦ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٩٨ وتفسير القرطبي: ٢/ ٤٢٧ والبحر: ١/ ٩٨ والدر المصون: ١/ ٤٩٦

(٥) البيت لعاتكة بنت زيد ترثي زوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه : الأغاني: ١٨ / ١١، وخزانة الأدب ١٠/ ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٧٨، وشرح التصريح ١/ ٣١١، ومغني اللبيب ١/ ٢٤، والمقرب ١/ ١١٢، والمنصف ٣/ ١٢٧ . و فيها كلها: عقوبة المتعمّدِ بدل (الرحمن) . و هي قافيته الصحيحة كما في المصادر ولأنّ القصيدة دالية القافية . و ما هنا موافق لما في تفسير القرطبي: ٢/ ٤٢٧ ؟.

يعني ما قتلتَ ، و الهاء في قوله: ﴿ مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ عائدة إلى الهُدى و إنْ شئت على الرّسول ، وقيل ما بين الجبلين مشعَر، وقيل الجبل الذي بجَمْع يقف عليه الناس حيث اجتمع بها آدم و حوّاء وهي المزدلفة ازدَلَف النّاس إليها .

﴿ وَٱذۡكُرُوهُ ﴾ واشكروه على ما هداكم لدينه الإسلام ، قال الزجاج (١) : ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ﴾ أي في أنْ تبتغوا. واختلفوا في عرفات لِمَ سُمّي هذا المكان بهذا الاسم ؟ وعرفة لِمَ سُمّي هذا اليوم بها ؟ فقال بعضهم: سُمّيت عَرَفاتٍ لأنّ جبريل كان يقول لإبراهيم هذا موضع كذا ، ثم قال هل عرفت ؟ قال نعم ، عن السّدّي (٢)و ابن عباس (٣)و عطاء (٤)، وقيل لأنّ آدم التقى بحوّاء بها أوَّل الِّلقاء في الدّنيا بعد الهبوط فسُمّي اليوم عرفة والمكان عرفات ، وقيل لأنّ الله يتعرَّف إلى أهلها بالمغفرة ، وقيل لأنّ الناس يتعارفون فيه ، وقيل لأن الناس يعترفون بذنوبهم على الموقف، وقيل رجلٌ عَارِف أي صبور كأنّ الله تعالى يقولُ للحاجّ قاسَيتم البلايا فاصبروا يومين ثم ارجعوا مغفورين ، وقيل سُمّي بذلك لأنّ إبراهيم تفكّر و روّى يوم التّروية في الرّؤيا التي رآها في ذبحِ الولد أحق هي أم باطلٌ فلمّا كان ليلة عرفة رأى مثلها فعَرَفَ يوم عرَفة أنّها رؤيا حق فسُمّي يوم عرفة (٥).

---

(١)معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٣٤

(٢)تفسير الطبري: ٣/ ٥١٣ و ٢/ ٥٦٨ مطولاً و البغوي: ١/ ١٧٤ .

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ٥١٤ من طريق أبي الطفيل عن ابن عباس و عزاه في الدر : ١/ ٢٢٢ إلى وكيع و ابن المنذر.

(٤) ابن أبي شيبة : ص ٢٩١ من (القسم الأول من الجزء الرابع) و تفسير الطبري: ٣/ ٥١٤ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١١٠

(٥)تفسير الطبري: ٣/ ٥١٢- ٥١٥ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٠٩ – ١١١ و البغوي: ١/ ١٧٤ وتفسير القرطبي: ٢/ ٤١٥ و لسان العرب: (عرف: ٩/ ٢٣٦).

قوله: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [الآية: ١٩٩]. قيل خاطب الحُمْس من قريش وكانوا لا يدفعون مع الناس من مِنى إلى عَرَفة ولا يحضرونها ويقولون: نحن أهل الله لا نخرج من حرمه فأمرهم الله أن يحضُروا عرفاتٍ عن ابن عبّاس (١) وعطاء (٢) وعائشة (٣) و مجاهد (٤) وقتادة (٥) والسّدّي (٦) و الربيع (٧) وغيرهم، وقيل خاطب النّاس بأنْ يحضروا جَمْعاً وهو موضع الحُمْسِ حتى يدفعوا فالنّاس هم الحُمْسُ على هذا التّأويل كأنه قال لهم بعدما حضرتم عرفاتٍ فادفعوا إلى المشعر الحرام موضعُ الحُمسِ و موقفهم وأفيضُوا معهم ، وعلى التّأويل الأوّل قيل أراد بالنّاس أهل اليمن (٨)، وقيل أراد بهِ إبراهيم عليه السّلام لأنّه كذلك فعلَ كأنّه خاطب جميع النّاس فقال أفيضوا أيها المؤمنون من حيث أفاض إبراهيم عن الضحاك (٩) .

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٥٢٦

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٥٢٦

(٣)صحيح البخاري: (كتاب التفسير: باب: ٣٧ ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ (ح ١٦٦٥ ، ٤٥٢٠) و مسلم : (ح١٢١٩) في كتاب الحج باب: ٢١ في الوقوف وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ وأبو داود (ح١٩١٠) وسنن الترمذي: كتاب الحجّ ، (٥٣ باب ما جاء في الوقوف بعرفات والدعاء بها) (٨٨٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح و النسائي (٣٠١٢) و ابن ماجة (٣٠١٨) و ابن خزيمة(٣٠٥٨) و تفسير الطبري: ٣/ ٥٢٥ ، ٥٢٩ والبيهقي: ٥/ ١١٣

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ٥٢٧ و الدر: ١ / ٢٢٧

(٥) تفسير الطبري: ٣/ ٥٢٧

(٦) تفسير الطبري: ٣/ ٥٢٨

(٧)تفسير الطبري: ٣/ ٥٢٨

(٨) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١١٢ و البغوي: ١/ ١٧٥ – ١٧٦ و التفسير الكبير للرازي: ٥/ ١٥٤ و ينظر: تفسير الطبري: ٣/ ٥٣٠

(٩) تفسير الطبري: ٣/ ٥٣٠ و البغوي: ١/ ١٧٥ – ١٧٦ و التفسير الكبير للرازي: ٥/ ١٥٤و تفسير

وقيل أراد به آدم عليه السلام لأنّه كذلك فعل (١) . والإفاضة الإيضاعُ (٢)في السَّير ، ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾ لذنوبكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ [الآية ٢٠٠] فإذا فرغتم من أمور حجكم .

والمناسك هاهنا المُتَعَبَّدَات التي أُمروا بها في الحجّ عن الحسن (٣)

وقال مجاهد (٤) : هي الذبح ، و الأول أحسن .

﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ ﴾ لأنّهم كانوا إذا فرَغُوا من الحجّ ذكروا مفاخر آبائهم فأمر الله المؤمنين أنْ يذكروا بعد الفراغ من الحجّ نِعم الله عليهم وإحسانه إليهم ، ﴿ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ لأنّ نعم الله عليكم أكثر من نِعم آبائكم وصفاته الحميدة أتمّ من محاسنِ أبائكم ، وقال عطاء (٥) : كالصّبي يلهَج بأبيه وأمه ويقول يا أباه .

و (أو) بمعنى الواو أي اذكروه أشدَّ ذكراً من ذكر الآباء (٦).

القرطبي: ٢/ ٤٢٧ – ٤٢٨

(١)قال الطبري: (والذي نراه صوابا من تأويل هذه الآية أنه عُنِيَ بهذه الآية قريشٌ ومن كان متحمِّسا معها من سائر العرب لإجماعِ الحجّة من أهل التأويل على أنّ ذلك تأويله ...)اهـ. الخ. و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١١٣ و البغوي: ١/ ١٧٥ – ١٧٦ و زاد السمير: ١/ ٢١٣– ٢١٤ وتفسير القرطبي: ٢/ ٤٢٧ – ٤٢٨ والتفسير الكبير للرازي: ٥/ ١٥٤

(٢) الإسراع: (مختار الصحاح: وضع) و لسان العرب: (وضع).

(٣) النُكت والعيون للماوردي: ١/ ٢٦٢ واختاره الواحدي في الوسيط :١/ ٣٠٦ فإنه قال: (فرغتم من عباداتكم التي أُمرتم بها)اهـ. و ابن عطية: المحرر: ١/ ٢٧٦ .

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ٥٣٥ و ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٥٥ (١٨٦٧).

(٥) تفسير الطبري: ٣/ ٥٣٨، ٥٣٩ و ابن أبي حاتم: ٢/ ٣٥٦ (١٨٧١) و النُكت والعيون للماوردي: ١/ ٢٦٢.

(٦) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١١٤ و تفسير القرطبي: ٢/ ٤٣٢

﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا ﴾ مُختصَرٌ لم يُذكَر ما سألوه وكانوا يسألون الخِصْب و الرِّيف وكثرةَ النِّعم في الدّنيا .

﴿ وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ (و١٢٩) من نصيبٍ فلـمّا جاء الإسلام أمـرَهُم أنْ يسألوا الأمور الدِّينية وغفران الزَّلّة و الأمور الدّنيوية ما لم يكن معصية ، وقيل كانوا يقولون عند فراغهم من الحجّ اللهمّ إنّك تعلم أنّ أبي فلان كان من حاله ومن قصّته فافعل به كذا وافعل بي مثلَ ما فعلتُه به عن السّدّي (١)وغيره ، فأمرَهم بأنْ يذكروا إحسان الله إليهم وإلى جميع من أنعم عليهم من عباده .

قوله : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا ﴾ [الآية: ٢٠١] قيل أوّلُ من دعا بهذا أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه عامَ أَمَّرَهُ النّبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فلما فرغ من الحج قال : ربنا آتنا في الدّنيا حسنةً و في الآخرة حسنةً ثم النّاس بعده (٢).

وقيل أرادبه عطيّةً حسنةٍ فحذفَ الاسم ، و أولى ما يُقال فيه : إنّ حسنةَ الدّنيا المعرفةُ وحسنة الآخرة المغفرة لأنّ لفظ حسنة منكّرٌ يقتضي شيئاً واحداً وبهذين الشيئين كمال النِّعمة في الدارين ، وقيل في الدّنيا حسنة التوفيق والعِصمة وفي الآخرة حسنة المغفرة والجنة .

وعن علي رضي الله عنه (٣) ﴿ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ امرأة صالحةٌ ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ المرأةُ السُّوء وقيل ﴿ فِي ٱلدُّنْيَا ﴾ رزقاً حلالاً ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ الجنة . وقال قتادة (٤) ﴿فِي ٱلدُّنْيَا ﴾ العافية ﴿ وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ العافية.

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٥٤٠، ٥٤٣ و ابن أبي حاتم: ٢/ ٣٥٦، ٣٥٧ (١٨٧٤).

(٢) ذكره الواحدي في البسيط: ٢/ ٦٩٤ **وأبو حيان البحر ١٠٥/٢.**

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١١٥ و الوسيط: ١/ ٣٠٧ و البغوي: ١/ ١٧٧ و البحر: ٢/ ١٠٥ كلهم عن علي رصي الله عنه و هو في المحرر ١/ ٢٧٧ غير معزو.

(٤) تفسير عبد الرزاق: ١/ ٨٠ وفي طبعة الدكتور محمود عبدة: ١/ ٣٢٧ و تفسير الطبري: ٣/ ٥٤٤ و

وروى أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ عاد رجلاً صار كالفَرْخ المنتُوف فقال ﷺ : هل كنت تدعُو الله بشيء أو تسأل الله شيئاً ؟ قال قلتُ : اللهمّ ما كنتَ معاقبي به في الآخرةِ فعاقبني بـه في الدّنيا ، قال سبحان الله هل يستطيع أحدٌ ذلك أو يطيقُهُ ؟ فهلّا قلـت: (اللهـمّ ربنـا آتنـا في الدّنيا حسنة و في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) (١) .

وقال الحسن (٢) : الحسنة في الدّنيا العلم و العبادة وفي الآخرة الجنة .

قال السّدّي (٣) : الحسنة في الدّنيا المال وفي الآخرة الجنة.

وقيل في الآخرة تيسير الحساب (٤)، وقيل في الدّنيا عبادةٌ خالصة .

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْ ﴾ [الآية ٢٠٢] من الخير ، وقيل حظٌّ مـنْ كـسبهم (٥) كقوله: ﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾ [الأنعام:آية ١٣٢].

﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ لا يشغلهُ شأنٌ عـن شـأنٍ لأنّـه لا يحتـاج في محاسـبتهم إلى فكـرٍ ورويّةٍ وعقد إصبعٍ وغيره (٦).

الثعلبي: ٢/ ١١٦ و البغوي: ١/ ١٧٧ والبحر: ٢/ ١٠٥ .

(١)أخرجه مسلم في- كتابّ الذكر والدعاء- باب كراهة الدعاء بتعجيـل العقوبـة في الـدّنيا (ح٢٦٨٨) والترمـذي: كتـاب الـدعوات بـاب مـا جـاء في عقـد التـسبيح باليـد (ح٣٤٨٧) وابـن أبي شـيبة ١٠/ ٢٦١، وأحمد ١٩/ ١٠٥(١٢٠٤٩) والنسائي في الكبرى (٧٥٠٦) وعبد بـن حميـد (١٣٩٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٢٨) والطبري: ٣/ ٥٤٥.

(٢)الترمذي: (ح٣٤٨٨) و ابن أبي شـيبة: ١٣/ ٥٢٩ و تفـسير الطـبري: ٣/ ٥٤٥ ، ٥٤٦ و ابـن أبي حاتم: ١ / ٣٥٨، ٣٥٩ (١٩٧٩، ١٨٨٤).

(٣) تفـسير الطـبري: ٣/ ٥٤٦ و النُّكـت والعيـون للـماوردي: ١/ ٢٦٣ والـدر: ١/ ٢٣٤ و عـزاه للطبري.

(٤) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١١٥

(٥) تفسير الطبري: ٣/ ٥٤٨

(٦) تفسير الطبري: ٣/ ٥٤٩

وفي الخبر أنّه يحاسب الخلائق في قدْر حلب شاةٍ(١).

وقيل معنى المحاسبة المجازاة (٢)، وقيل معناه: أي كأنّ حسابه قد أتاكم كقوله : ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ [سورة الأنبياء: ١]. قال الزجاج (٣) :معناه أنه عَلِمَ ما للمحاسب وما عليه قبل توقيفه على حسابه لأنّ الفائدة في الحساب عِلْمُ حقيقته .

قوله : ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [الآية: ٢٠٣] أي مُحصَياتٍ يعني أيام التشريق (٤) . والمعلومات أيام العشر (٥) .

---

(١) ذكره الثعلبي و لم يسنده: ٢/ ١١٧ و صاحب الكشاف:١/ ٤١٤ و لم يخرجه الزيلعي ولا ابن حجر في تخريجها لأحاديثه و ذكره القرطبي: ٢/ ٤٣٥ و النسفي: ١/ ٣٢٧ و البيضاوي: ٢/ ٤١٧

(٢) الوسيط: ١/ ٣٠٨ .

(٣) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٣٧

(٤) أيام التشريق هي الحادي عشر و الثّاني عشر و الثّالث عشر ويقال لها أيام منى والأيام المعدودات و في تسميتها بأيام التشريق تأويلات:

١- أنها سمّيت بذلك لإشراقها نهارا بنور الشمس و إشراقها ليلا بنور القمر. هذا قول أبي جعفر محمد بن علي و جماعة. وقريب منه قول من يقول سميت بذلك لأنهم كانوا يشرقون فيها من غير بيوت ولا أبنية للحج.

٢ – أنها سميت بذلك لأن الناس يُشرِّقُون اللحم فيها في الشمس أي يقدّدونه و يبسطونه. قال الأخطل:

وبالهدايا إذا احمرّت مدارعُهَا   في يوم ذبحٍ و تشريقٍ و تَنْحار

٣ – و قيل سميت بذلك لأن الهدايا لا تنحر حتى تُشرِق الشمس أي تطلع.

ينظر : (الاستذكار: ٤ / ٣٣٨ والحاوي للماوردي: ٤ / ١٩٤ و النهاية: ٢ / ٤٦٤ واللسان مادة (شرق) ١٠ / ١٧٦).

(٥) قال ابن عبد البرّ: (وأما الأيّام المعدودات فلا أعلم خلافا بين العلماء في أنها أيام التشريق وأيام مِنَى ثلاثة أيام بعد يوم النحر وليس النّحر منها. وما أعلم خلافا عن أحد من السلف والخلف في ذلك إلا رواية شاذة جاءت عن سعيد بن جبير أنه قال الأيام المعلومات والمعدودات هي أيّام التشريق ولم يقل أحدٌ علِمناهُ أنّ يوم النحر من أيام التشريق غيرَ سعيد بن جبير في هذه الرواية وهي رواية واهية لا أصل لها ..)اهـ. الاستذكار :٥ / ٢٤٣ و ينظر: تفسيرالطبري ٣/ ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١ و الطحاوي في أحكام

(١) يريدُ بالذكر استدامة الذِّكر خصوصاً في هذه الأيام و الأكثرون على أنّه يريد به التكبيرات المسنونةَ خلف الصلوات في هذه الأيام .

﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ بالنَّفر من مِنى ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ رُخصةً رَخَّصَ الله سبحانه لهم ،﴿ وَمَن تَأَخَّرَ ﴾ فلا يتعجّل ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ عن عطاء (٢) و الحسن (٣) وعكرمة (٤) و مجاهد (٥) والسّدّي (٦) وقتادة (٧) وغيرهم ، وقيل من تأخّر عن آخر أيام التشريق فلا ينفر مع النّاس بعذرٍ له ويبقى هناك فلا إثم عليه (٨) عن مجاهد. وقال أبو العالية (٩) و ابن زيد (١٠) وابن عباس (١١) ومن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخّر عن النّفر فلا إثم عليه بشرط أنْ يتّقِي المحارم.

القرآن : ٢ / ٢٠٢ و ابن المنذر في الأوسط: ٤/ ٢٩٨ و ابـن أبي حـاتم٢/ ٣٦٠ (١٨٩٢) والكشف و البيان للثعلبي : ٢ / ١١٧ والبيهقي: ٥/ ٢٢٨ والدر المنثور: ١/ ٢٣٤ .

(١) هنا في الأصل: وبهذا؟!

(٢) تفسير الطّبري: ٣/ ٥٥٧ و ابن أبي حاتم٢/ ٣٦٢ معلقا

(٣)سعيد بن منصور في سننه: (٣٥٦- تفسير) و ابن أبي شيبة: ٤/ ٦٠ و تفسير الطّبري: ٣/ ٥٥٧

(٤) تفسير الطّبري: ٣/ ٥٥٧

(٥) تفسير الطّبري: ٣/ ٥٥٧

(٦) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١١٨ و ينظر: ما رواه الطبري عنه : ٣/ ٥٦٤ . فقد قال: (لاجناح عليه لمن اتقى)اهـ. فهو كقول أبي العالية الآتي و من معه.

(٧) تفسير الطّبري: ٣/ ٥٥٨ و ابن أبي حاتم١/ ٣٦٢

(٨)تفسير الطبري: ٣ / ٥٥٧ – ٥٦٩ و تفسير الثعلبي : ٢ / ١١٨ و تفسير البغوي: ١ / ٢٣٥ وتفسير ابن عطية: ١ / ٢٧٨ و تفسير القرطبي: ٣ / ١٣

(٩)تفسير الطّبري: ٣/ ٥٦٣-٥٦٤ و ابن أبي حاتم٢/ ٣٦٣ (١٩٠٨)من طريق الربيع بن أنس عن أبي العالية.

(١٠) تفسير الطّبري: ٣/ ٥٦٤

(١١) تفسير الطّبري: ٣/ ٥٦٤ و ابن أبي حاتم٢/ ٣٦٣ (١٩٠٦).

فإنّما نفى عنهم الإثمَ بشرط التقوى فأمّا من لم يتق ذلك فعليه إثم ، وقيل فلا إثم عليه لمن اتّقى قَتْلَ الصَّيد إلى آخر أيام التشريق عن ابن عباس (١) ، وقيل فلا إثم عليه لمن اتّقى الله في حجته تلك فرفع عنه الإثم بشرط تقواه في حجِّه ذلك عن قتادة .

وكان قتادةُ يروي عن ابن مسعود أنه قال: من اتقى الله في حجِّه غُفِر له ما تقدّم من ذنبه(٢). فكلُّ من اتقى في حجِه غُفر له ولا إثم عليه تعجّل بالنفر أو تأخّر على هذا التأويل وهو اختيار ابن جرير لِما ورد به من الأخبار (٣).

وقيل ﴿ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ معناه :ذلك الأمر الذي ذكرته هو لمن اتقى المعاصي ، وقيل محظوراتِ الإحرامِ من الصّيدِ وغيرِهِ . ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ كقوله : ﴿ مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴾ [يس:الآية ٥١] . وقال عمر رضي الله تعالى عنه (٤) : خرج القوم من ذنوبهم وربّ الكعبة و رخّصَ الله لمن تعجّلَ وغفرَ لمن تأخّرَ و وفّاهُ أجرَهُ .

وقال سعيد بن المسيّب (٥) : تُوفي رجلٌ بمِنى في آخر أيام التشريق فقيل لعمر توفي فلان أفلا تشهدُ دفنه فقال عمر :وما يمنعني أنْ أدفن رجلاً لم يذنب مُذ غُفِرَ له.

---

(١) تفسير الطّبري: ٣/ ٥٦٥ من طريق محمد بن سعد العوفي.

(٢) تفسير الطّبري: ٣/ ٥٦٥ وفيه قول قتادة و ما ذكره عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) تفسير الطّبري: ٣/ ٥٦٥- ٥٦٦وينظر: معاني القرآن لابن النحاس :١ / ١٤٥

(٤)لم أعثر عليه.

(٥) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١١٩ و هو في مصنّف عبد الرازق من طريق أخرى فقد قال عبد الرزاق أخبرنا معمر قال سمعت رجلا يقال له – ابن أبي سلمة من ولد أمّ سلمة .. الخ فذكر مثله (ح ٨٨٢٩)٥/ ١٤ – ١٥ و ذكره في كنز العمال : ورمز له : (عب) يعني عبد الرزاق (ح ١٢٣٨١)١/ صـ٤٧٠ .

وروي عن النّبي ﷺ أنه قال (١) : (من حجّ هذا البيت فلم يرفُث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه) .

قوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ ﴾ [الآية ٢٠٤] قيل نزلت هذه الآية في الأخنس بن شَرِيق عَديدِ بني زهرة و حليفهم (٢) واسمُهُ أُبيّ وسُمّي الأخنس لأنه خَنَسَ يوم بدر بثلاث مائة عن قتال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم وذلك أنّه أقبل مع بني زُهْرة إلى بدرٍ يريدون قتال رسول الله ﷺ فنزلوا جُحْفَةَ فقال لهم يا بني زهرة إنّ محمداً ابن أختكم وابن عمِّكم فإنْ يكن صادقاً كنتم أسعد الناس بصدقه وإنْ يكُ كاذباً كفتكم إيّاه أوباشُ العرب قالوا نِعْمَ الرأيُ رأيتَ فسِر كما شئت نتبَّعكَ قال : إذا نودي في الناس بالرَّحيل فإني أَخنُسُ بكم (و١٣٠) فاتّبِعوني ففعلَ و فعلوا فسُمِّي الأخنس لذلك فلما قدِم المشركون بدراً سأل النّبي ﷺ عن بني زهرة فأخبروه بذلك فأعجبهُ قوله لهم.

وكان هذا رجلاً حلوَ الكلام يقول للنَّبي صلى الله عليه وسلم إنّي مؤمن ويحلف على ذلك ويتقرّب إليه ويقول إنّي أحبك وكان كافرا سّيء السّريرة حلّافاً مَهِيناً فكان النّبي صلى الله عليه

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري: في كتاب المحصر، باب : قول الله تعالى ﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾ (ح ١٨١٩) ، و أخرجه أيضاً في الكتاب نفسه ، باب : قول الله عز وجل ﴿ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ ﴾ (ح ١٨٢٠) . ،مسلم في كتاب الحج باب٧٩: في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة ، (ح ٣٢٧٨) ، وفي طبعة فؤاد عبد الباقي (١٣٥٠)، والترمذي في كتاب الحج ، باب: (ما جاء في ثواب الحج والعمرة (ح٨١١) ، والنسائي في كتاب مناسك الحج ، باب : فضل الحج (ح ٢٦٢٦) ، وابن ماجه في كتاب المناسك باب : فضل الحجّ و العمرة(ح ٢٨٨٩) و الطبري:٣/ ٤٨٩ .

(٢)في الأصل: جليسهم. و هو حليف بني زهرة كما في المصادر الآتية.

وسلم يعجبه قوله ويدنيه من مجلسه فأنزل الله سبحانه فيه هذه الآية ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ﴾ الآية عن السّدّي (١) ، وقال ابن عبّاس (٢) : نزلت الآية في بعضِ المنافقينَ .

وقال كعبٌ (٣) وقتادةُ (٤) الآية نزلت في جميع المنافقين .

قِراءة العامّه (ويُشهِدُ اللهَ) و قُرِأَ في الشواذّ (ويَشهدُ اللهُ) أي يعلمُ الله خلاف ذلك منهُ عن ابن مُحيصن (٥) .

﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ قيل شديدُ الخصومة ، قاله أبو عبيدة (٦) ، و الخصَامُ مصدر خَاصَمْتُهُ مُخَاصَمَةً و خِصَاماً، وقيل الخِصَام جمع خَصْم لأنْ فَعْلا إذا كان صفةً يُجمع على فِعال نحو صَعبٍ وصِعابٍ (١) . وقال الأخفش (٢) : يقال رجل أَلَدُّ وامرأةٌ لَدَّاءُ ونساء لُدٌّ. وقال الزّجّاج (٣) : الألدُّ الخصم الجَدِل واشتقاقه من لَدِيدَيْ العنُق (٤) و تأويله أنّه في أي وجه من يمين وشمال في أبواب الخصومة غَلَبَه (٥) في ذلك .

---

(١) تفسير الطّبري: ٣/ ٥٧٢ و ابن أبي حاتم٢/ ٣٦٤- ٣٦٧ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٢٠ و أسباب النزول للواحدي: صـ ١٧٧ عن السّدّي وينظر: الدر: ١/ ٢٣٨

(٢) تفسير الطّبري: ٣/ ٥٧٣ و ابن أبي حاتم٢/ ٣٦٣ – ٣٦٩ و الدر: ١/ ٢٣٨ و زاد عزوه لابن المنذر.

(٣) في تفسير الطبري : ٣ / ٥٧٤ محمد بن كعب و ساقه من طريق أبي معشر نجيح أنه سمع سعيد المقبري يذاكر محمد بن كعب فذكر خبرا طويلا. نقله منه ابن حجر رحمه الله في العجاب : ص٣٣٠ و هو في ابن أبي حاتم٢/ ٣٦٤ (١٩١٢)و البيهقي في الشعب: ٥/ ٣٦٢ .

(٤) تفسير عبد الرزاق: ١/ ٨١ و تفسير الطّبري: ٣/ ٥٧٥ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٣٦٤ (١٩١٥، ١٩١٦)

(٥) تفسير الطّبري: ٣/ ٥٧٧ و نسبها لابن محيصن و مختصر الشواذ: صـ ١٢- ١٣ و نسبها لابن محيصن وللحسن وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٢٢ والقرطبي: ٣/ ١٥ .

(٦) مجاز القرآن: ١/ ٧١

قال قطرب (٦) :يقال رجل أَلَدُّ و أَلندَدٌ و يَلَندَدٌ .

وحقيقة الخصومة التعمُّق في البحث عن الشّيء و المضايقة فيه ولـذلك قيـل لزوايـا الأوعيـة خُصُوم (٧) .

قوله : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [٢٠٥] نزَلت الآيـة في الأخـنس بـن شَرِيـق جاء إلى النّبي ﷺ وقال إنِّي مؤمن فإنّ قومي آمنوا فأعجبَ النبي ﷺ قوله فلما تولَّى عنه ورجـع مرَّ على ثقيف وكان بينه وبينهم جدال فبيّـتهم لـيلاً و أهلـك مواشـيهم و أحـرق زروعهـم و حروثهم (٨) .

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾ تقولُ أعرض و أدبرَ وقيل ﴿ إِذَا تَوَلَّىٰ ﴾ غـضِب عـن ابـن جـريج (٩) و معناه إذا تولى عنك غضبانَ ، وقيل إذا ولِي أمراً (١) .

---

(١) و هو قول الزجاج: ١/ ٢٣٨ و نسبه إليه الثّعلبي: ٢/ ١٢٣

(٢) معاني القرآن للأخفش: صـ ١٢١

(٣)معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٣٨

(٤)اللَّديدان: صفْحتا العُنُق دون الأُذنـين (لسان العرب: لدد و النهاية)

(٥)في الأصل : غلب . و التصويب من كتاب الزجاج. أي غلب خصمه و قـد اختـصر المـصنف بعـض كلام الزجاج. و قد نقلها في لسان العرب (لدد) أيضا كما صوبته.

(٦) لم أعثر عليه، و ما قاله صحيح لغة مـذكور كـما قالـه في المعـاجم و منهـا : تهـذيب اللغـة و اللـسان والقاموس و شرحه تاج العروس مادة(لدد). ويقولون: إن الأَلَنْدَدُ واليَلَنْدَد كالأَلَـدِّ أَي الـشديد الخصومة.

(٧) لسان العرب و تاج العروس مادة: (خصم). وعبارة اللسان: (و الـخُصْمُ، بالضم: جانـب العِـدْلِ وزاوِيَتُه؛ يقال للـمتاع إِذا وقع فـي جانب الوِعاء من خُرْج أَو جُوالِقٍ أَو عَيْبَةٍ: قد وقع فـي خُصْمِ الوعاءِ، وفـي زاوية الوعاء؛ و خُصْمُ كلِّ شيء: طرفُه من الـمَزادَة والفِراش وغيرهما)اهـ.

(٨) تقدّم تخريجه قريبا و ينظر: تفسير الطّبري: ٣/ ٥٨١

(٩) تفسير الطّبري: ٣/ ٥٨١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٢٣

وقُرأ (ويُهلِكَ) أي سعى في الأرض ليفسد ويُهلك ، و قُرِأ (ويُهْلِكُ) بضم الكـافِ (٢) ردَّه علـى قولـه مـن يُعجِبُـكَ ويُهلِـك . قـال الكسائي مـن رفـع (ويُهلِـكُ) ردّه عـلى تأويـل سعى (٣) .

﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ لا يـرضى بالعمـل بالمعـاصي ، وقيـل ﴿يُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾ قطعُ الرحم ، وقيل ﴿ٱلْحَرْثَ﴾ الرّجال و النّسل الصبيان ، وقيل إهلاك النسل الخِصاءُ ، وقيل قتلُ المواشي والنَّاس ، وقيل إنه أحرق صُبرة (٤) تمرٍ لواحدٍ وعَقَرَ فرساً له (٥) ، قال مجاهد (٦) : يعمل بالمعاصي فيحبِس الله المطر لمعصيته عقوبة له فيهلك الزرع من اليُبس و النَّسل من العطش وقرأ قوله : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ الآية [الروم:آية ٤١].

قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الآية٢٠٦] في صنيعِهِ ﴿ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ ﴾ يعني الحمية و الأنفة ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾.

---

(١)تفسير الطّبري: ٣/ ٥٨١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٢٣ و الوسيط: ١/ ٣١٠ و تفـسير الفخرالـرازي: ٥/ ١٧٠

(٢) الرفع قراءة شاذة قرأ بها: الحسن و ابن أبي إسحاق: كما في تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٢٣ و نسبت لغيرهما : المحرر ١/ ٢٨٠ .

(٣) القطع و الائتناف لابن النحاس: ١/ ٩٥ وإعـراب القـرآن لابـن النحـاس: ١/ ٢٩٩ والمحـرر ١/ ٢٨٠ وقد فصل ابن عطية القول في هذه القراءة توجيها و نسبة و البحر: ٢/ ١١٦

(٤) الصُّبْرة : الطعام المجتَمِع كالكُومةِ ، وجمعًها صُبَر (النهايـة لابـن الأثـير٣/ ٩ و مختـار الـصحاح: صبر).

(٥) ينظر: تفسير البغوي: ١/ ٢٣٦

(٦) الطبري: ٣ / ٥٨٣ و ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٧٦ (١٩٣١) و البغوي: ١ / ٢٣٦

﴿ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ يعني مصيره إليها ، ﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ الفراش وقيل منْ أكبر الكبائر أنْ يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسَك (١)

وقيل ﴿ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ حملتْهُ الحميّة على الفعل بالإثم ، وقيل ﴿ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ أي بالكفر .

قوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ﴾ [الآية٢٠٧] قال علي بن أبي طالب (٢) و عمر بن الخطاب (٣) رضي الله عنهما هذا فيمنْ أَمَرَ بالمعروف ونهى عن المنكر .

وقيل نَزَلتْ الآية فيمن يبيع نفسه في الجِهاد أي يبذِلها في سبيلِ الله تعالى قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ﴾ [التوبة:الآية:١١١] (٤) . وشريت من الأضداد بمعنى بعتُ واشتريتُ (٥) ، وقيل (يشري) يبتاعُ ،ونزَلَت الآية (٦) في صُهيب بن

---

(١) رُوي هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه : أسنده ابن النّحاس في معاني القرآن: ١/ ١٥١ وذكره الثّعلبي: ٢/ ١٢٤ و البغوي: ١/ ٢٣٦ و ينظر: الدّر: ١/ ٥٧٨ فقد عزاه إلى وكيع وابن المنذر والطبراني والبيهقي في الشعب.

(٢)الطبري: ٣/ ٥٩٤ و زاد المسير ١/ ٢٢٣

(٣) تفسير الطّبري: ٣/ ٥٩٤ و الدر: و عزاه أيضا لوكيع و عبد بن حميد.

(٤) تفسير الطّبري: ٣/ ٥٩٢و الثّعلبي: ٢/ ١٢٤ و البغوي: ١/٢٣٦ وزاد المسير ١/ ٢٢٣

(٥) تفسير الطّبري: ٢/ ٢٤٦، ٢٤٧ و ٣/ ٥٩ و الأضداد لابن الأنباري: صـ ٧٢ رقم: ٣٦

(٦) هذا قول آخر في سبب نزولها و قد عزاه عمر بن شبة في أخبار المدينة : ١/ ٢٦١ و الثعلبي : ٢/ ١٢٤ و البغوي: ١/ ٢٣٨ إلى أكثر المفسرين و عزاه الواحدي إلى المفسرين: أسباب النزول: صـ ١٧٨ وهو في الطبري:٣/ ٥٩١ – ٥٩٢ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٣٦٨، ٣٦٩ (١٩٣٩)

سِنانَ (١) مولى عبد الله بن جُدْعان وكانَ من العرب ومِن وَلَد النّمِر ابن قاسط فسُبِيَ صغيراً و وقع إلى الروم فتغيَّر لسانه ثم صار مملوكاً لابن جُدْعان فآمن بالله وصدّق رسوله فلما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم و أمر أصحابه بالهجرة أَخذَ المشركون بمكة عمّاراً وبِلالاً وخَبَّاباً وعامربن فُهيرة (٢) وصُهَيباً فافتدَوا أنفسَهم بأموالهم .

وقيل أقبل صُهيَب مهاجراً إلى المدينة فتبِعهُ ناسٌ من قريش فنزلَ عن راحلته ونثر ما في كنانته وقال لهم إنَّ في كنانتي كذا وكذا سهماً وقد عرفتم أني رامٍ والله لا أضعها إلا في قلْبِ رجل ثم أضربُ بسيفي ما بقيَ في يدي وإنْ شئتم دللتُكم على مالي و قُنْيتي بمكة وخلّيتم سبيلي فقالوا: نعم فلما قدِم إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: رَبِح البيع أبا يحي رَبِح البيع .

وقيل قال: صُهيب - لأهل مكّة لّما أخذوه مع الذين ذكرناهم - : إني شيخ كبير لا يضرُّكم منكم كنتُ أمْ من غيرِكم هل لكم إلى أن تأخذوا مالي و تذروني ففعلوا. وفيهم نزل قوله:

---

(١)صُهَيب بنُ سِنان الرُّومي يُعرف بذلك لأنّه أخذ لسان الروم إذ سبَوه وهو صغيرٌ، وهو عربي نَمَريٌّ من النّمِر بن قاسط قال ابن عبد البرّ: (لا يختلفون في ذلك).و لما بُعِثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمَ وكانَ من السَّابقين إلى الإسلام وقد قيلَ أسلم صُهيب وعمّار في يوم واحدٍ وكان من المستضعفين بمكة الذين عذِّبوا، و شهد صهيبٌ بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلَّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه محبَّاً له حسن الظن فيه حتى إنّه لما طعن أوصى أن يصلِّي عليه صُهيب وأنْ يصليَ بجماعة المسلمين ثلاثا حتى يتّفق أهلُ الشورى على من يستخلف، وتوفي صُهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في شوال وقيل : سنة تسع وثلاثين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وقيل : ابن سبعين سنة. (الطبقات الكبرى : ٣/ ٢٢٦ والاستيعاب:١/ ٢١٩ و أسد الغابة: ٢/ ٤١٨- ٤٢١ و سير أعلام النبلاء: ٢ / ١٧ و الإصابة: ٣/ ٤٤٩)

(٢)عامر بن فهيرة التّيمي مولى أبي بكر الصديق أحدُ السّابقين وكان رضي الله عنه ممن يعذّب في الله وكان للطُّفيل بن عبد الله بن سَخْبرة فاشتراه أبو بكر منه فأعتقه وكان مولّداً من الأزد واستشهد ببئر معونة . (أسد الغابة: ٣/ ٣٢ – ٣٣ و الإصابة: ٣/ ٥٩٤).

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ [النحل:آية٤١] وقوله: ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ﴾ [النحل:آية١١٠] وقوله: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ [النحل:آية١٠٦]. وقوله : ﴿ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ أي طلب رضا الله (١) .

ونُصب (ابتغاءَ) لأنّه مفعول له أي من أجل ابتغاءِ مرضاة الله ثم تُرِك من أجل وعمِل فيه الفعلُ، وقيل معناه يشري نفسه لابتغاء مرضاة الله فلما حُذِف اللام عمل فيه الفعل (٢).

و قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ أي رحيم بهم ، ذَكَرهُ ترغيباً لهم في الجهاد بما أخبر عن رحمته بهم .

قوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [الآية٢٠٨] قُرِأ بفتح السين وكسرِها ، قرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة و أبو بكر عن عاصم (٣)(السِّلْم) بالكسر (و١٣١) و قرأ الباقون بفتحهِ ، قيل في الإسلام عن مجاهد (٤)و قتادة (٥)

و السّدّي (٦)و ابن زيد (٧)و الضّحاك (٨)، وقيل في الصُّلْح وهو ضعيفٌ لأنهم لم يُؤمَروا بالصُّلح على الابتداء (١) و إنّما قال : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ [الأنفال:الآية٦١] اللهمَّ إلا

---

(١) ينظر مع المصادر السابقة في ترجمة صهيب : حلية الأولياء/ ١/ ١٥١ و تاريخ ابن عساكر: ٢٤/ ٢٢٨

(٢) إعراب القرآنِ لابن النحاس: ١/ ٢٩٩ و البحر: ٢/ ١١٩

(٣)كسر السين رواية حفص أيضا عن عاصم : السبعة: ١٨٠ و المبسوط: ١٤٥ و الروضة: ٢/ ٥٦٢ والاتحاف: صـ ١٥٦ . والمقصود أنّ فتح السين قراءة ابن كثير و نافع و الكسائي . و ينظر: تفسير الطبري: ٣/ ٥٩٧

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ٥٩٥و ٥٩٦

(٥) تفسير الطبري: ٣/ ٥٩٥

(٦) تفسير الطبري: ٣/ ٥٩٦ و ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٧٠ (١٩٤٧).

(٧) تفسير الطبري: ٣/ ٥٩٦

(٨) تفسير الطبري: ٣/ ٥٩٦ و ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٧٠ معلقا.

أن يُحمل على الثبات و الدّوام على مصالحة المسلمين كما قال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ ﴾ [النساء:الآية ١٣٦] فمعنى الآية إذاً يا أيها الذين آمنوا استديموا الدُّخول في سِلْمِ المؤمنين وصُلحِهم ولا تُخالِفوا مقتضى ذلك.

﴿كَآفَّةً﴾ جميعاً نُصِبَ على الحال و هي مُشتقَّةٌ من الكَفِّ يعني كلّهم حتى يكُفَّ آخرُهم أوَّلهم.

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ ﴾ مضى تفسيره فيما قبل، يعني لا تطيعُوا الشيطان ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ظاهرُ العداوة.

قيل نزلت الآية في عبد الله بن سَلَام و مؤمِنِي أهل الكتاب سألوا النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أنْ يقيموا على السّبت وتحريم ألبانِ الإبل وقراءةِ التّوراة في الصلاة آخر الليل وأشياءُ أُخَرُ من شرائعهم فنُهوا عنه و أُمروا بمتابعة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم و الأخذ بشريعته ورفض تلك الشرائع و أخبر أنّ المقام عليها بعد الإسلام من خُطُواتِ الشيطان (٢).

وقيل نَزَلتْ في المنافقين أمرهم أنْ يؤمنوا كما أظهروا الإيمان ظاهراً ، وقيل أمر المسلمين بالدوام والثبات على الإيمان كقوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ ﴾ [النساء:آية ١٣٦].

---

(١) قال الواحدي: (و يجوز أن يكون بالفتح و الكسر الصلح و المراد بالصلح : الإسلام ، لأنّ الإسلام صلحٌ ....)الخ اهـ. الوسيط: ١/ ٣١٣ و فيه جواب عن الوجه الذي ضعّف به المصنف هذا القول و مع هذا فما قاله المصنف وجيه و هو معنى ما رجحه الطبري. ينظر: تفسير الطبري: ٣/ ٥٩٧ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٢٧

(٢)تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٢٦ و لم يعزه لأحد و أسباب النزول للواحدي: ص١٧٩ بسنده عن الطبراني عن بكر بن سهل عن عبد الغني بن سعيد عن موسى بن عبد الرحمن الصنعاني عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس و الوسيط : ١/ ٣١٢ و عزاه للمفسرين و البغوي: ١/ ٢٦٧ و ذكر نحوه الطبري: ٣/ ٥٩٩ – ٦٠٠ عن عكرمة و عزى السيوطي خبر عكرمة في الدر إلى الطبري: ١ / ٢٤١ وذكر ابن كثير خبر عكرمة: ١/ ٣٦٢ و علّق عليه، بأنّ ذكر عبد الله بن سلام معهم فيه نظرٌ ...الخ.

قوله : ﴿ فَإِن زَلَلْتُم ﴾[الآية ٢٠٩] مِلتُم (١) ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ الآيات (٢)و المواعظ و البراهين و المعجزاتُ و تركتُم دين الإسلام ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ بالانتقام ممن ارتدّ عن دينه ﴿حَكِيمٌ﴾ في أمره ، وقيل حاكِم بالعذابِ الأليم في القيامة لمن ارتدّ عن دينه .

قوله : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ﴾ [الآية:٢١٠] قيل هل يرتقبون إلا أنْ يأتيهم الله قيل عند الموت عن قتادة (٣) ، وقيل في القيامة يأتيهم بها وعدهم من الثواب والعقاب كقول القائل : أتانا من حيثُ لا نحتسِب ، وأتانا فُلان بما كان يخوِّفنا ، وقيل ﴿ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾ قِطعٌ من السّحاب ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ ﴾ أي فُرِغَ منه و فَصْلُ القضاءِ العدلُ بينَ الخَلْقِ ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ أي مآلهم، وهو يتولّى القضاءَ بينَهم عندَ بُطْلانِ دعاوَى المخلوقين ولِيكونَ الحُكْمُ له ذلك اليوم على الخُصوصِ دون غيرِه ولا يتمكّن أحد من ظُلْم وحَيْفٍ .

وتأويل الآية ومعناها : قال بعضهم : بل ينظرون إلا أنْ يأتيهم الله بِظُلَلٍ من الغمام ففي بمعنى الباء ، وقال الحسن (٤): يأتيهم أمره ، وقيل يفعل فِعلاً (١) فيسميه إتياناً ، وقيل معناه

---

(١)منهم من يقول في معناها : ضللتم و منهم من يقول عصيتم و منهم من يقول مِلتم و المعنى متقارب .
تفسير الطبري: ٣/ ٦٠٤ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٢٧ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٢٦٨

(٢) في الأصل: الآية.

(٣) تفسير عبد الرزاق: ١/ ٨٢ و تفسير الطبري: ٣/ ٦٠٨ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٧٣ (١٩٦٥) و ينظر: ردّ الطبري عليه: ٣/ ٦١٣

(٤) لم أقف عليه عن الحسن مسنداً، و لم يذكره الطبري و لا ابن النّحاس و لا الواحدي في وسيطه و لا البغوي و لا ابن عطية و القرطبي و ابن كثير و صاحب الدر المنثور وجماعةٌ غيرهم يطولُ ذكرهم طالعت تفاسيرهم كالشوكاني و الآلوسي . و لكنْ نسبَ الثعلبي نحو ما ذكره المصنف إلى الحسن

يأتيهم ثوابه و عقابه (٢). قرأ حمزة و الكسائي وابن عامر(تَرْجِعُ) بفتح التاء وقرأ الباقون (تُرجَعُ) بضمها (٣) والقراءة بالرّفع في (الملائكة) أي وتأتيهم الملائكة ، وقُرِأ (الملائكةِ) خفضاً (٤) أي في ظلل والملائكةِ (٥)و القراءةُ (في ظُلل) جمعُ ظُلَّةٍ كحُلَّةٍ وحُلَلٍ وقُرأ (ظِلالٍ)(٦) كما يقال جُلَّةٌ و جِلالٌ ويحتمل أنْ يقال ظِلالٌ جمع ظِلٍّ.

و الظُلّةُ الطَّاقُ وظُلَلٌ طَاقَاتٌ وفي الخبر: أنّ من الغمام طاقات يأتي الله فيها محفوفاً (٧).ومعنى الإتيان بالغمام على جهة التّهويل في المنظر ، وقيل معناه تأتيهم الشدائد كالغمام فهو مَثَلٌ.

البصري مع بسط في العبارات و قال : (و هذا معنى قول الحسن البصري)اهـ. ٢ / ١٣٠ فيحتاج للنظر في سنده عنه . و ينظر: معاني القرآن للأخفش: صـ ١٢٤ و ما سيأتي قريبا من التعليق على آخر كلام المصنف رحمه الله على الآية.

(١)تكررت في الأصل: (فعلاً) .

(٢) الصحيح فيها الإيمان بها صفةً على ما يليق بجلال ربنا تعالى و عظمته إثباتاً وإيماناً مبنياً على التنزيه التام لله تعالى فلا تعطيل و لا تمثيل بل نقِرّ و نمرّ؛ قال الإمام أبو المظفر السمعاني: (والأولى في هذه الآية وما يشاكلها أنْ نؤمن بظاهره ونكِلِ عِلْمَهُ إلى الله ـ تعالى ـ وننزِّه الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن سِمَاتِ الحَدَث والنّقص)اهـ. تفسير السمعاني: ١/ ٢١١ و قال الإمام البغوي: ١/ ١٨٤ (والأولى في هذه الآية وفيما شاكلها أنْ يؤمِنَ الإنسان بظاهِرِها ويكِلَ عِلمها إلى الله تعالى و يعتقد أنّ الله عز اسمه منزَّهٌ عن سمات الحَدَث على ذلك مضت أئمة السَّلف وعلماء السنّة)اهـ. وينظر: تفسير الطبري: ٣/ ٦١٠ وا جة بيـان ا جة ١٢٣/٢ .

(٣)السبعة: ١٨١ و المبسوط: ١٢٧ و الروضة للمالكي : ٢/ ٥٦٢ و البدور الزاهرة: ١٣٢

(٤) تفرد بها أبو جعفر من العشرة: المبسوط: ١٤٥ والروضة لأبي علي المالكي: ٢/ ٥٦٢ و غاية الاختصار: ٢/ ٤٢٨ . وينظر: البحر: ٢ / ١٢٥

(٥) يعني مع الملائكة: تفسير الطبري: ٣/ ٦٠٥ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٢٩ و تفسير القرطبي: ٣/ ٢٥

(٦) هي قراءة قتادة و هي شاذة: تفسير الطبري: ٣/ ٦٠٦ و المحتسب: ١/ ١٢٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٢٨

(٧) تفسير الطبري: ٣/ ٦٠٦ و ٦١٠ و الديلمي في مسند الفردوس: (ح ٧٩٧) و الكامل في الضعفاء: ١/ ٢٥٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٢٨ و الدّر : ١/ ٢٤١ من حديث ابن عباس و عزاه السيوطي إلى الطبري و الديلمي. وهو ضعيف جدا ينظر الكامل لابن عدي الموضع السابق.

قوله : ﴿ سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [الآية: ٢١١]. قال قطرب (١) : يقال سَالَ يُسَالُ مثل زَارَ يُزار، سَأَلَ يَسأل مثل خَافَ يخاف فالأمرُ من المهموز اسأل ولا تسأل ، ومِنْ سال بغير همز سل ولا تَسَلْ.

وقال الفراء (٢): إنما تُرِك همز سل في الأمر خاصة لأنه كثير الدّور في الكلام قالوا : خُذ وكُل و مُرّ .

﴿ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم ﴾ أعطيناهم وجئناهم به ، ﴿ مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ ﴾ من علامةٍ ظاهرةٍ ومعجزةٍ بينةٍ وكم في محل النصب (بآتينا) وهو استفهام من عدد مُبْهمٍ، وفي الكلام اختصار وتقديره سلهم كم آتيناهم من آيةٍ بينةٍ فكفروا بها .

﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ ﴾ بترك الشّكر و مقابلتها بالكفران ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ له و إنما أراد بالآية ما أعطى موسى عليه السلام من العصا وظُلل الغمام إلى غيره من الآيات المعروفة المشهورة .

وقال مجاهد (٣)﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ ﴾ يعني حُجج الله وبُرهانه من بعد ما جاءتهم البينات .

قوله : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [الآية:٢١٢] ذُكِّر الفعل لتقدُّمه واعتراض الحائل بينه وبين الاسم (٤)، وقرأ كلُّهم بضم الزّاي وضمِّ الحياة على لفظ المجهول ، وقُرِأ في الشواذ (١)(زَيَّنَ) بفتح الزاي (و الحياة) بالنصب و المعنى زَيَّن الله .

---

(١) ذكره الواحدي في البسيط:٢/ ٧٢٥ ، وينظر مثلا(لسان العرب: سأل)١١/ ٣١٨ و البحر: ٢/ ١٢٦

(٢) معاني القرآن: ١/ ٩٧

(٣) في تفسير الطبري عنه ٣/ ٦١٨ : قال: (يكفر بها)اهـ.

(٤) معاني القرآن للفراء: ١/ ٩٦ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٠٣ تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٣١ و

وقيل نَزلت الآية في أبي جهل بن هشام و أمثاله ، وقيل في مشركي العرب الجاحدين لأمرِ المعاد ورَضُوا بالدّنيا ، وقيل نَزَلت في المنافقين لم يؤمنوا بالبعث ورضوا بالحياة الدّنيا واطمأنُّوا بها (٢).

وقيل زَيَّن أي إبليس زَيَّنَ الدّنيا في أعينهم فمنعهم بها عن الدّين و أمر الآخرة ، وقيل الله تعالى زَيَّنها في قلوبهم بأن بسطها لهم و وسعها عليهم فأعجِبوا بها، و سكنوا إليها ولم يعلموا غِيرَها ابتلاءً منه سبحانه لهم واختباراً (٣). ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نزلت في فقراء المؤمنين مثل عمّارٍ وخبابٍ وصُهيبٍ كانوا يستهزؤون و يسخرون منهم ويعيبونهم بقلّة ذاتِ اليد، (٤)قال الله في وصفهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ في الرِّفعة و الدّرَجات و النِّعمة ﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ أي يُوسِّع الرِّزق اليوم على من يشاء من الكفّار و المؤمنين لأنّه ليس معه شريك ولا فوقه أحد فيحتاج إلى الحساب معه بل يفعل ما يشاء لأنه لا يُسأل عما يفعل (٥).

وقيل﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ أي المؤمنين في الآخرة يرزقُهُم بلا حسابٍ أي لا عَدَدَ لثوابه وفضْله بهم ، وقيل ليس لمقدوراتِه غايةٌ فيكون إعطاءه عن شيء محسوبٍ معدودٍ لأنّ التّناهي دليل النقصان لإمكان الزّيادة عليه ، وقيل يرزقهم في الدّنيا البرّ والفاجر

الوسيط: ١/ ٣١٤ و سيفصّل المصنف في هذا قريباً و يذكر قول الفراء:صـ١٠٦٤.

(١) هي قراءة مجاهد و حميد بن قيس : إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٠٣ و مختصر الشواذ: ١٣ و البحر: ٢/ ١٢٩

(٢) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٣١ و البغوي: ٢/ ٢٤٢ و البحر: ٢/ ١٢٩

(٣) النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٢٧٠ و البحر: ٢/ ١٢٩

(٤) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٣١ و البغوي: ٢/ ٢٤٢ و البحر: ٢/ ١٢٩

(٥)تفسير الطبري: ٣/ ٦٢٠ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٣١ و الوسيط: ١/ ٣١٥

لا بِعملهم، و إنما يكون الرزق في الآخرة بقدر الأعمال في الدّنيا فأما رزق اليوم فهو ابتداء يرزق من يشاء كما يشاء (١) .

وقيل نزلت (٢)الآية في النّضير و قُريظة زُيّن لهم الحياة الدّنيا و النعمة وهم يسخرون من المؤمنين حيث أَجلوهم من ديارهم و صاروا فقراء .

﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ بتحويلِ أموال النّضير وقُريظة إلى المسلمين ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ على عمل استحقوه بل هو ابتداءُ فضلٍ ، وقيل ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ أي يرزق المؤمنين بغير عذابٍ من قول عائشة (٣) :(من نُوقشَ الحسابَ عُذِّب) .

وقيل ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ أي يُدخِلُهم الجنّة بغيرِ حسابٍ قال النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم:

(يدخل سبعون ألفاً من أُمّتي بغير حسابٍ(٤)) وقيل : والذين اتقوا فوق الكافرين بالحجّة والنِّعمة جميعاً ، ونظيرُ رضاهم بالدّنيا قوله : ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [النجم:الآية٢٩].

---

(١)تكررت كلمة: كما يشاء. في الأصل خطأً.

(٢) ينظر المصادر السابقة عند ذكر سبب نزول الآية و الوسيط: ١/ ٣١٥.

(٣) متفق عليه من حديث عائشة عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم . أخرجه البخاري في كتاب العلم (٣٦ باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه) (ح١٠٣) و في كتاب الرقاق : (٤٩ باب: من نوقش الحساب عذِّب ح ٦١٧١ ، ٦١٧٢). و غيره و ينظر: فتح الباري: ١١/ ٤٠١

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (في كتاب الرّقاق،باب، يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب) (ح: ٦٥٤٢) ومسلم في كتاب الإيمان: باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب. وثبت أيضا في الصّحيح من حديث ابن عباس وسهل بن سعد.

قال الفراء (١): ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ ولم يقل زُينت فذكَّر الفعل والاسمُ مؤنّث لأنه مشتق من فِعْل في مذهب مصدرٍ، فمن أنّث أخرج الكلامَ على الّلفظ ومن ذكَّر ذهب إلى المصدَرِ و تذكيرِهِ، ومثله ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [البقرة:الآية ٢٧٥] و﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأنعام:الآية ١٠٤]

﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ [هود:الآية٦٧]. فأمّا الأسماء الموضوعة فلا تكادُ العرب تذكِّر فعلَ مؤنّث إلا في الشِّعر لضرورته، وقد يكون اسمٌ غير مشتّق من فعل وفيه معنى التأنيث وهو مذكَّرٌ فيجوز فيه تأنيثُ الفعل وتذكيرُه على الّلفظ مرةً وعلى المعنى مرةً فمن ذلك قوله : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام:الآية٦٦] ولم يقُل وكذّبت ، وقال : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:الآية ١٠٥] ذهب إلى تأنيث الأُمّة و مثله في الشعر (٢):

و إنّ كلاباً هذه عشْرُ أبطنٍ   و أنت بريءٌ من قبائلِها العَشرِ

فكان ينبغي أنْ يقول عشرةُ أبطنٍ لأنّ البطنَ مذكَّرٌ، ولكنه في هذا الموضع قبيلةٌ فأُنِّث لتأنيث القبيلة في المعنى (٣).

---

(١) معاني القرآن: ١/ ٩٧ **و مع كلامه أنه : (يقل: (زينت)؛ لأنّ ا ياة مصدر، فذهب إ تذك ا صدر)**. و قد سبقت الإشارة من المصنف قريباً إلى قضية التذكير و التأنيث هنا عند أول الآية. ومن المعلوم أن الحياة ليس بمؤنث حقيقيّ، و ينظر: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٤٢ وفيه بيان جواز التذكير و التأنيث . مع ما تقدم من المصادر.

(٢) معاني القرآن للفراء: ١/ ٩٨ من غير نسبة و الأصول في النحو لابن السراج: ٣/ ٤٧٧ و الخصائص: ٢/ ٤١٧ والإنصاف: ٢/ ٧٦٩ و لسان العرب و تاج العروس (بطن).

(٣) لا زال الكلام متصلا عن الفراء: ١/ ٩٧ – ٩٨

قوله : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الآية: ٢١٣]، الأُمَّةُ في اللغة على وجوهٍ (١) منها الدِّين،و الأُمّةُ القامةُ فلان حَسنُ الأُمّةِ أي القامة ، و الأُمّةُ القَرْن من الناس ، و الأُمّة الرجل الذي لا نظير له قال : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحل:الآية١٢٠].

وفي هذا الموضع أراد به الدِّين أي كان الناس على دينٍ واحدٍ ، (واختلفوا) فمنهم من قال أرادَ به آدمَ و أولادَه كانوا على دينٍ واحد وهو الإسلام ،و التّوحيد فاختلفَ أولاده بعده حين قَتَلَ قابيلُ هابيلَ . وقال ابن عباس(٢): كان بين آدم ونوح عشرُ قرونٍ كلُّهم على شريعةٍ من الحقّ فاختلفوا بعد ذلك .

وقال مجاهد (٣) ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ يعني آدم كان أُمّةً بنفسهِ ثم بعث الله النبيين في ولده وسماهُ أُمّةً لاستكمال خصالِ الخير فيه كما قال : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾.

وقيل ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ في الكفر في زمان إبراهيم عن ابن عباس (٤) . وقيل كانوا على دينٍ واحدٍ في التوحيد زمان نوح عليه السّلام بعد أنْ أنجاهم من الغرق إلى أن اختلفوا في زمان صالح فبعث الله النبيين مبشِّرين بشروا بالجنة لمن أطاع، وأنذروا بالنّار لمن عصى وهم إبراهيمُ ولوطٌ و موسى وعيسى وغيرُهم . وقيل كان الناس يا محمّد في وقتك أي

---

(١) تقدّم التعليق على ما ذكره المصنف في معاني الأمّة في أول السورة عند الحروف المقطعة.صـ٣٧٦ وينظر: تفسير الطبري: ٣/ ٦٢٢

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٦٢٣ و الحاكم: ٢/ ٥٤٦ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٧٦ (١٩٨٣)و تفسير ابن كثير: ١/ ٢٥٢ و الدر: ١/ ٢٤٢

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ٦٢٣ بمعناه.

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ٦٢٥ من طريق العوفي و ابن كثير: ١/ ٢٥١ و قال: (القول الأول أصحّ إسنادا عن ابن عباس)اهـ. يعني القول المتقدّم قريبا عنه أنهم كانوا على الحقّ.

قومك أُمّةً واحدةً و اجتمعوا على تكذيبك فبعث الله النبيين مبشِّرين بالجنة لمنْ أطاع ومنـذِرِين بالنار لمن عصى وجحد .

﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي أنزل معهم أي مع إرسالهم ، ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أراد به الكتب المنزّلة مثلَ التوراة و الإنجيل و الزَّبور وصُحُف إبراهيم و القرآن ، وقيل ﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي عليهم فـ(مع) بمعنى على وذلك جائزٌ لتعاقب حروف الصِّفات بعضها بعضاً.

﴿ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾ أي ليحكم ذلك النّبي بين (١) الناس فيما اختلفوا فيه .

وقيل ليحكم الكِتابُ بينهم والكتاب لا يَحكُم و إنما يُحكَمُ به ، وفي الشواذِّ (٢)قُرِأ :(ليُحكَمَ بين النّاس) على المجهول.

وقوله: ﴿ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي بالعدل ، وقيل ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ أي لم يكن عليهم شرعٌ واجب فأمرهم الله ونهاهم بإرسال الرُّسل إليهم .

وقوله : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ﴾ أي في الكتاب ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ ﴾ أي الذين أُوتوا الكتاب ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ الدّلائل و الحُجَج والبيان في الكتب وعلى ألسنة الرُّسل ، وقيل وما اختلف الذين أُتوا الكتاب فيما أُوتوه إلا من بعد ما جاءتهم البيِّنات.

وفيه بيان أنّه ما أَخلَى زماناً من شرْعٍ و أنّ الحجة تتوجَّهُ عليهم من قبل الرسل ومجيئهم دون كمال العقل .

---

(١) في الأصل: مِن بدلا من (بين).

(٢) هي قراءة أبي جعفر من العشرة و تنسب إلى عاصم الجحدري أيضا: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٠٣ و نسبها للجحدري والروضة للمالكي: ٢/ ٥٦٣ و نسبها لأبي جعفر وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٣٣ و نسبها لأبي جعفر و الجحدري وغاية الاختصار: ٢/ ٤٢٨ .

و قولـه : ﴿ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ ﴾ أي للبغـي بيـنهم ، وقيـل حـسداً مـنهم واخـتلافهم يحتمـل وجهين(١) أحدهما: كُفرُ بعضِهم بكتابِ الآخر و تكفيرُ بعضِهم بعضاً .

و الثاني: في تبديلهم و تحريفهم كتبَهم كما حرّفت اليهودُ التوراة .

﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ ﴾ أي هـداهم للإسلام و للحقّ فيما اختلفوا فيه ، وقيلَ أراد به المسلمينَ في بعثِ نبينا صلَّى اللهُ عليـهِ وسـلَّم ، وقيل أراد به المسلمين هداهم إلى الجمعة لما ضلَّ عنها اليهود و النصارى ، وقيل لما اختلفوا فيه من القبلة (و١٣٣) ومعناهُ هداهُم لاختلافِهِم فيكونُ الاختلافُ شرطاً في الهداية، وقيل اللام في ﴿ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ﴾ بمعنى (إلى) أي هدى الذين آمنوا إلى مـا اختلفـوا فيـه مـن الحـق أي هداهم إلى الحق فيما اختلفوا فيه (٢). ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ بعلمه من قوله آذنتَنا بكذا أي أعلمتنا عن الزجاجّ (٣) وقيل بمشيئته. ﴿ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ الإسـلام و التَوحيد.

قوله : ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [الآية ٢١٤] قيلَ إنّه جوابٌ اكتُفِي به عن ذِكر ما تقدَّمه لأنك تقول أأنت رجلٌ لا تنصِف أم عندك سـلطان جـائرٌ (٤)، ولـو قلـتَ أم أنـت رجلٌ جائر ولم يتقدّمه استفهامٌ بالألف لم يحسُن فكأنّ ههنا ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ﴾ تقدّمـه اسـتفهام آخر في المعنى فاكتُفِيَ بذِكر هذا عن ذِكر المحذوف لأنّ هذا يدلّ عليه (٥).

---

(١) معاني القرآن للفراء: ١/ ١٠١ وينظر: تفسير الطبري: ٣/ ٦٢٨ و تفسير الثّعلبي: ٢ / ١٣٤

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٦٣٤ و غرائب التفسير للكرماني: ١/ ٢١١

(٣) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٤٥ و بذلك فسّره الطبري و غيره: تفسير الطبري: ٣/ ٦٣٣ و تفـسير الثّعلبي: ٢/ ١٣٤ و الواحدي في الوسيط: ١/ ٣١٧

(٤) معاني القرآن للفراء: ١/ ١٠٢

(٥) معاني القرآن للفراء: ١/ ١٠٢ و فيه المثال الذي ذكره المصنف و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٣٥ وكشف

وقيــل ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم﴾ أي ولم يــأتِكم ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ ﴾ أي صفتُهم وسيرَتُهم وما أصابَهم (١) يُخاطِبُ أصحابَ النبي ﷺ لمّا أصـابهم الـبلاء من تكذيبِ الكفار و الهجرة عن الأوطان و الحروب التي استقبلتْهم و البلايا التـي أصـابتْهم من الجُوعِ وعداوة الكفار ظاهراً و المنـافقين سرّاً طيـب الله قلـوبهم بـأنْ أخـبرهم أنّ الأنبيـاء والمؤمنين الذين تقدَّمُوهم قد ابتلوا بمثلِ ما ابتلوا بهِ فصبَروا فأتاهُم نصرُ الله (٢) و أنّ هذا سنّة الله في الأنبياء والمرسلين ومن تقدَّمهم من المؤمنين حتّى قيل مات بين مكّة و الطّـائف سـبعون نبياً سبب موتهم الجوعُ و القتلُ (٣) .

وقيل نزلت هذه الآية يوم الأحزاب ، وقيل يوم الخندق لما اشتدّت المخافة و حُوصر المسلمون عـن قَتـادة (٤) و الـسدي (٥)، ﴿مَّسَّتۡهُمُ﴾ أصـابتهم ﴿ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ ﴾ أي الـضُّرّ و الوجع ﴿ وَزُلۡزِلُوا﴾ أي حرِّكوا بالبلاء ، والزّلزلةُ التحريك ، وأصل الزّلزلة في اللغة مـن زال

المشكلات لجامع العلوم البـاقولي: ١/ ١٥٤ و البحـر: ٢/ ١٣٩ وينظـر : الكتـاب لـسيبويه : ١/ ٤٨٢ و المقتضب: ٣/ ٢٨٦ – ٣٠٠ و أمالي ابن الشجري: ٣/ ١٠٦– ١١٢ و شرح الكافيـة: ٢/ ٣٧٣

(١) كان في الأصل : و ما أصابها.

(٢) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٣٤ – ١٣٥ والوسيط: ١/ ٣١٧ و البغوي: ١/ ٢٤٥

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٣٥ و تفسير القرطبي: ٣/ ٣٤ عن وهب بن منبه.

(٤) تفـسير الطـبري: ٣/ ٦٣٧ و تفـسير الثّعلبـي: ٢/ ١٣٥ وأسـباب النـزول للواحـدي: صــ ١٨٠ والبغوي: ١/ ٢٤٤

(٥) تفسير الطبري: ٣/ ٦٣٧ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٨٠ (٢٠٠٤)و تفسير الثّعلبـي: ٢/ ١٣٥ وأسباب النزول للواحدي: صـ ١٨٠و البغوي: ١/ ٢٤٤

الشيء عن مكانه فإذا قلتَ زَلزلتُه أي كرّرت زَلـله عن مكانه وكلُّ ما فيه ترجيعٌ كُرِّرت فيه فاء الفعل يقال أقلَّ فلان الشيء إذا رفعهُ عن مكانه فإذا كرّر رفعَه قيل قلقَلهُ (١).

قوله : ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ ﴾ بالرفع و النّصب جميعاً قرأها نافعٌ بالرفع و قرأ الباقون بالنّصب على معنى كي يقولَ (٢) و الرّفع على الواجب من القول أيْ قال، فإذا قرأتَ بالنّصب فمعناه لم يقُل الرّسول ، و إذا كان بالرّفع فالمعنى أنّهم قالوا ذلك (٣).والمعنى فيه أنّهم استبطئوا نصرة الله سبحانه من شدَّة الابتلاءِ عليهم فقال الله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ من الصابرين حثّهم على انتظار النّصرة والفتح من قبل الله سبحانه عند المحنة كما انتظر المتقدِّمون.

وقيل قوله : ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ ﴾ أراد بهِ يوم الأحزاب حيث يقولُ ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب:الآية١٠] ، وقيل أراد به يوم أُحدٍ (٤) .

قوله : ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ [الآية ٢١٥] نزلت الآية في عمرو بن الجَمُوح الأنصاري من بني سلِمة بن جُشَم (١) قُتل يوم أُحدٍ وكان شيخاً كبيراً وعنده مالٌ سألَ

---

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٤٥

(٢) السبعة: ١٨١ – ١٨٢ و التيسير: ٨٠ و النشر: ٢/ ٢٢٧ و ينظر: تفسير الطبري: ٣/ ٦٣٨ والحجة للفارسي: ١/ ٤٢٩.

(٣) معاني القرآن للفراء: ١/ ١٠٢ – ١٠٥ وتفسير الطبري: ٣/ ٦٣٨ و الحجة للفارسي: ١/ ٤٢٩ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٣٥ و الوسيط: ١/ ٣١٧ و كشف المشكلات: ١/ ١٥٥

(٤)نسبه أبو حيان إلى بعض المفسّرين، وقال : ولا يدل سياق الكلام على هذا. وهو كما قال فهو قول غريب هو والذي قبله : ٢/ ١٤١

رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم كيف يُنفِقُ وهذا قبْل الزّكاة فأنزل الله ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ من الصدقة (٢) .

﴿ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ ﴾ قيل على الوالدين ، ﴿وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴾ جميع يتامى المسلمين فيهِ سواءٌ ، ﴿ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ ﴾ المارُّ بكَ المحتاج إلى الصّدَقة ، وقيل الضَّيف النازلُ بك ، فهؤلاء مواضعُ صدقةِ أموالهم ، ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ في أموالكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ ﴾ بما أنفقتم ﴿عَلِيمٌ﴾ . ونَزَل في قول عُمر رضي الله عنه كيف ننفق من أموالنا ؟ (٣) .

فقال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ [الآية ٢١٩] يعني فضلُ قوتِكَ ، فكان الرجل إذا كان من أصحاب الذّهب و الفضة أمسك الثلث ، وإن كان صاحبَ نخلٍ وزرعٍ أمسك فوقَ سنةٍ ، و

---

(١) عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلِمة الخزرجي الأنصاري سيد بني سلمة ، أسلم حين قدم مصعب بن عمير المدينة ، و كان أعرج و استشهد في غزوة أحد و هو والد معاذ و معوّذ ابني عفراء الذين قتلا أبا جهل: تاريخ خليفة: ٧٣ ، الاستبصار ١٥٣-١٥٤ ، الاستيعاب :٨/ ٢٩١ ، أسد الغابة ٣/ ٧٠٢ ، سير أعلام النبلاء ١/ ٢٥٢.

(٢) ذكره الثعلبي: ٢/ ١٣٤ و تلميذه الواحدي: في أسباب النزول: صـ ١٨٠ وعزاه لرواية أبي صالح عن ابن عباس يعني من رواية الكلبي الواحدي في الوسيط ١/ ٣١٨ و التفسير الكبير للرازي: ٦/ و٢٠العجاب: صـ ٣٨٥ و ينظر: الدر : ٢٤٣ ففيه نحوه و عزاه لابن المنذر. وينظر: ما ذكره الطبري ٣/ ٦٤١- ٦٤٣عن السدي : أنها نزلت قبل الزكاة ، و عن ابن جريج و مجاهد أنهم سألوا النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فأفتاهم.

(٣) غريبٌ عن عمر رضي الله عنه ،ولم أقف عليه في مكان آخر ، و قد تقدّم أن عمرو بن الجموح رضي الله عنه سأله مثل هذا السؤال.و ينظر: تفسير الماوردي: ١/ ٢٧٢.

إن كان ممّن يعمل بيده أمسك ما يكفيه يومه ذلكَ وتصدّق بسائره فشقّ عليهم ذلك فأنزل الله الزكاة المفروضة ، وأباح لهم إمساك الفَضل عن محَلِّ الحاجة بعد إخراج فرضِ الزكاة.

قال الزّجّاج (١) : و معنى ((ماذا)) في اللغة على ضربينِ أَحدُهما:

أن يكون ((ذا)) في معنى الذي ويكون ينفقون مِن صلته، المعنى: يسألونك أيّ شيء ينفقونَ و كأنَّه يريد أيَّ شيء وجه الذي ينفقون؟ لأنّهم كانوا يعلمون ما المُنفق ولكنّهم أرادوا علمَ وجهه، فتكون ما رَفعاً بالابتداء ويكون ذا خبرُها ، وجائزٌ أنْ يكونَ ما مع (ذا) بمنزلة اسمٍ واحدٍ، ويكون الموضعُ نصباً بـ (ينفقون) المعنى أيَّ شيء ينفقون.

وقوله: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [الآية: ٢١٦] كُتب أي فُرض عليكم، والجهاد فَرْضٌ على الكفاية عند الجميع (٢) .

و قوله : ﴿ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ أي وهو ذو كُرْه لكم و الكُرْه المشقة و الكَرْه المصدر ، وقال الأخفش (٣) : هما لغتان كُرْهٌ و كَرْهٌ مثل الغُسْل و الغَسْل و الضُّعْف و الضَّعْف .

قال أبو عبيدة (٤) : إذا قصدتَ قصدَ القهرِ و الغَضَب لم يكن إلا بالفتح مثل قولكَ أخذتُ منك الشيء كَرْهاً أي قهراً ، و إذا أردتَ الأمر المكروه فالضّمّ و الفتح لغتان و الضمّ هو الوجه .

---

(١) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٤٧و ينظر: الفراء: ١ / ١٠٦ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٣٦

(٢) الناسخ و المنسوخ لأبي عبيد: صـ ٢٠٢ -٢٠٦ وتفسير الطّبري: ٣/ ٦٤٤ و أحكام القرآن للجصاص: ٤/ ٣١٣ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٣٦ و التمهيد : ١٨ / ٣٠٣ و البيان للعمراني الشافعي: ١٢/ ٩٨ و أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ٢٠٥ و القرطبي: ٣/ ٣٨ والتفسير الكبير: ٦/ ٢٣ و في كونه فرضاً على الكفاية خلافٌ شاذّ .

(٣) معاني القرآن للأخفش: صـ ١٢٤

(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٧٧

وقال أبو عبيدة عن الكسائي (١) : كلّ ما في القرآن من (عسى) فإنه على وجه التّوحيد إذا كان خبراً كقوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ [الحجرات:الآية١١] و ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ ﴾ [الحجرات:الآية١١] و ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا ﴾ [البقرة:الآية ٢١٦] و إنما وُحِّد على معنى عسى الأمرُ أنْ يكون كذا وكذا.

وما كان استفهاماً فإنه (٢) كُتِب على الجميع نحو قوله: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾ [محمد:الآية٢٢].

قال ابن عباس (٣) : لَمَّا كتب الله الجهاد على المسلمين شقّ عليهم ذلك لِما فيه من المشقّة فنزلت ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾ أي شاقّ عليكم .

﴿ وَعَسَى ﴾ أي ولعل ﴿أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا ﴾ يعني الجهاد ﴿ وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ جعل الله عاقبته فتحاً وغنيمةً و أجراً (و١٣٤) في الآخرة إنْ نُصرتم وشهادةً و مغفرةً إنْ قُتِلتم ، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا ﴾ وهو القُعود عن الجهاد فيَجعل عاقبته شراً لكم لأنّكم لا تصِيبون فتحاً ولا غنيمةً، وربّما هجَموا عليكم إذا لم تدفعوهم عن أنفسكم فسبَوا رِقابكم و أخذوا أموالكم ثم في الآخرة فيه عذابٌ و عقوبةٌ والله يعلم أنّ الجهاد خيرٌ لكم ويعلم ما في عاقبته لكم من النّصر و الغنيمة و أنتم لا تعلمون ذلك حين قَعدتُّم عن الجهاد .

قوله : ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِ ﴾ [الآية ٢١٧]، قوله : ﴿ قِتَالٖ فِيهِ ﴾ بدلٌ من المعنى في الشهر الحرام لأنّ سؤالهم عن الشهر كان لأجل القتال لا لأجل الشهر ،

---

(١) نقله عن الكسائي ابن فارس في الصاحبي في فقه اللغة: ١٢٧ – ١٢٨ و الزركشي في البرهان: ٤/ ٢٥١ و السيوطي في الإتقان: ١/ ٤٨٠

(٢) يعني ما تقدّمه استفهام يجمع مثل ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾ ولم يقل فهل عسى إن توليتم .

(٣) لم أجده بهذا اللفظ وينظر: البسيط: ٢/ ٧٤٩ .

﴿ قُلۡ قِتَالٞ ﴾ يعني في الشهر الحرام ﴿كَبِيرٞ﴾ في العقوبة عند الله ، ﴿ وَصَد ﴾ أي وهو صدٌّ عن سبيل الله وكفر بالله وبالإسلام .

﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ بالخفض أي وصدٌّ عن المسجد الحرام (١) ، ويحتمل أنْ يكون مخفوضاً على معنى عن قتالٍ في الشهر الحرام، و عن المسجد الحرام وهو قول الفراء (٢)، ولا يجوز أن يكونَ مخفوضاً بأنْ يُحمل على الباء في قوله : ﴿وَكُفۡرُۢ بِهِۦ ﴾ لأنه لا يُعطف على المضمَرِ المجرورِ إلا بإعادةِ الجارّ .

﴿ وَٱلۡفِتۡنَةُ﴾ أي الشِّرك أعظم عند الله في العقوبة من القتلِ في الشَّهر الحرام، و إنما ارتفع قوله : ﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ ﴾ على الابتداء و ﴿ أَكۡبَرُ﴾ خبرُهُ عن الزجاج (٣) أي صدٌّ عن سبيل الله أكبرُ، وهو اختيار ابن جرير (٤) يقول : الصدُّ عن سبيل و الكفر به و إخراج أهل المسجد منه أكبر في الإثم عند الله من قتال المسلمين في الشهر الحرام على زعمكم ودعواكم؛ لأنّ الكفار ادّعوا أن ابن الحضرمي قُتِل في رجب و المسلمون قالوا قتل في آخر جمادى الآخر، قال (٥) : و إنما قلتُ إنّ الرافع لقوله: ﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

(١) معاني القرآن للفراء: ١/ ١٠٨ و تفسير الطّبري: ٣/ ٦٤٨ و البسيط: ٢/ ٧٥٨ والقرطبي: ٣/ ٤٥.و بيانه أن سبب جرّ قولـه: ﴿ والْمسجِدِ ﴾ أنه معطوف على (سبيل ا) وتقديره: وصد عن سبيل ا وعن ا سجدِ ا رام. و هو أحسن ما قيلَ في إعرابه و أوضحه.

(٢) معاني القرآن: ١/ ١٠٨ قال الواحدي: (وأُنكر عليه هذا، بأنهم لم يُسْأَلوا عن المسجد، وإنما السؤال عن القتال في الشهر الحرام)اهـ. البسيط: ٢/ ٧٥٧ و ينظر: الطبري : ٣/ ٦٤٩ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٠٦ و مشكل إعراب القرآن ١/ ١٢٨

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٤٨

(٤) تفسير الطّبري: ٣/ ٦٤٩

(٥) يعني الطبري. : ٣/ ٦٦٢

﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ معنى الابتداء لأنهم أجمعوا أنّ القتال في الأشهر الحرم ليس بكفرٍ ،و لإنه يؤدِّي إلى أنْ يكون إخراج أهل المسجد من المسجد إذاً أعظم من الكفر وأجمعوا أن لا شيئ أعظمَ من الكُفر في الذُّنوب. ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ قال الفرّاء (١) : ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ (لا) مصدرَ له و لا يتصرّف بجميع وجوهه كقوله ((عسى)) لا مصدر له ، و ... (٢) لا يتصرَّف تصرُّف الفعل .

و قوله : ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ﴾ عند الله يريدُ إخراجَ النبي ﷺ من مكة أكبر عند الله في الوِزر من القتال في الأشهر الحرم ، ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ أي ينقلِب على وَجهه في الكفر و أظهر التَّضعيفَ لسكون آخر الكلمة و هو الأجود ويجوز إدغامه على الأصل فيفتحُ آخر الّلفظ كقوله : ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٤](٣) .

وقوله: ﴿فَيَمُتْ﴾ جزم بالنّسق و لو كان جواباً لكان نصباً (٤) .

---

(١) لم أعثر عليه في كتابه معاني القرآن المطبوع. و قد ذكر نحوه في البسيط و لم يعزه لأحد: ٢/ ٧٥٩ ومن المعلوم عند النّحاة أنّ كان و أخواتها بما فيها (زال) تتصرَّف فيجيء منها المضارع و اسم الفاعل و الأمر إلا ليس و مادام فلا يتصرّفان، و لا يستعملان إلا بلفظ الماضي و أمّا (زال) فيستعمل منها المضارع، و لا مصدر لها. فهذا هو المقصود هنا أنّه لا يجيء من (زال) مصدرٌ و أن تصرفها ناقص كمثل : عسى و عسى من أفعال المقاربة و لا تتصرّف : ينظر: توجيه اللمع لابن الخباز: وهو شرحٌ على اللمع لابن جني: صـ ١٣٥ و صـ ٣٩٦ وشرح الكافية لابن مالك:١/ ٣٨٦ و همع الهوامع: ١/ ٣٦٤ – ٣٦٥

(٢) كلمة غير واضحة في المخطوط.

(٣)معاني القرآن للأخفش: صـ ١٢٤ و معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٤٩ وتفسير الطّبري: ٣/ ٦٦٦

(٤) تفسير البغوي: ١/ ١٩٠ والفريد في إعراب القرآن : ١/ ٤٥٥

قوله : ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَـٰلُهُمۡ﴾ (١) أي بطلت و ذهبت، و الحَبَطُ أنْ ينتفخ بطن البهيمة (٢) . وقيل (٣) بعث رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم عبد الله بن جحْش وهو ابن عمّة النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم في جمادى الآخرة قبل قتال بدرٍ بشهرين على رأس سبعة عشر شَهْراً من مَقدَمه المدينة ومعهُ ثمانية رَهْطٍ من المهاجرين وكَتَبَ له كِتاباً وقال:

سِرْ على اسم الله فإذا نَزَلت منزلين فافتح الكتاب، و اقرأه على أصحابك ثم امضِ لِما أمرتك ولا تستكرهنّ أحداً من أصحابك على السّير معك ففعل عبدُ الله و فتح الكتاب فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أمّا بعد

فسر على بركة الله بمن معك من أصحابك حتى تنزل ببطن نَخْلة فترصّد بها عِيرَ قريش لعلك أن تأتينا منه بخبرٍ فمضى وانطلق القوم فنزلوا ببطْن نَخْلة بين مكة و الطائف فبينا هم كذلك إذ مرّ بهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان و عثمان بن عبد الله فلمّا رأوا أصحاب رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم هابوهم فقال عبد الله بن جَحش:

---

(١) في الأصل سقطت الفاء من قولة ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ﴾.

(٢) الحَبَطُ بفتحتين أن تأكل الماشية فتُكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها. تهذيب اللغة: (حبط) ٤/ ٣٩٧ و لسان العرب: (حبط) و مختار الصحاح وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٤١ و القرطبي: ٣/ ٥٣

(٣) أطال المفسرون في سرد الروايات في سبب نزولها و ذكروا خبر عبد الله بن جحش مطولا قال الطبري: (و لا خلاف بين أهل التأويل جميعا أنّ هذه الآية نزلت على رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم في سبب قتل ابن الحضرمي و قاتله) اهـ. تفسير الطّبري: ٣/ ٦٥٠ و ينظر في هذه الأخبار عن هذه القصة: سيرة ابن هشام: ١/ ٦٠١ و تاريخ الطبري: ٢/ ٤١٠ – ٤١٣ و تفسيره: ٣/ ٦٥٠ – ٦٦٠ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٣٨٥، ٣٨٦ و الثعلبي: ٢/ ١٣٨ و البيهقي في الدلائل: ٣/ ١٨، ١٩ و أسباب النزول للواحدي: صـ ١٨١ – ١٨٥ وابن كثير: ١ / ٢٥٢ و العجاب: ص ٣٤٨-٣٥٤

إنّ القوم قد ذُعِروا منكم فاحلقوا رأسَ رجلٍ منكم فليتعرّض لهم فإذا رأوه محلوقاً أَمِنوا ، وقالوا قومٌ عُمّارٌ ، فحلقوا رأس عكّاشة بن محصن وتوهّم القوم من قريش أنَّ أصحاب النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قومٌ عُمَّارٌ و أمِنوهم، و كان آخرَ يوم من جمادى الآخرة.

فرمى بعضُ أصحاب رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم عمرو بن الحضرمي فقتله، و استأسر الحكمُ و عثمان، واستاقوا العير وفيها أَدَمٌ وزبيبٌ و أشياءُ من تجارةِ الطائف حتى قدموا به على رسول الله ﷺ فقالتْ قريش قد استحلَّ محمدٌ الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف فسفك فيه الدماء و أخذ فيه الجرائر [١] فأنزلَ الله سبحانه هذه الآية فأخذ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم العير و الغنيمة فكان أوّل مشرك قتل في الإسلام ابنُ الحضرمي و أولُ غنيمة وأول أسيرٍ هذا، فقيل فقال أهلُ تلك السّرية أنطمعُ من ربّنا أنْ يكون هذا لنا جهاداً في سبيله فأنزل [٢] الله سبحانه قوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾[الآية ٢١٨] . ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ صدَّقوا و ﴿ هَاجَرُوا﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ في طاعة الله يريد به قتالَ ابن الحضرمي و أصحابه .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾ يؤمِّلون مغفرة الله ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ وفادى رسول الله ﷺ الأسرى منهم و أسلم الحكم بن كيسان فقُتل يوم بئر معونة شهيداً وأمّا عثمان فرجع إلى مكة فمات بها كافراً [٣].

(١) الجَرِيرَةُ: الذّنب والجناية يجنيها الرجل. القاموس المحيط و اللسان (جرر) و في المطبوع من الثعلبي: ٢/ ١٣٩ الحرائر بالحاء المهملة ؟ و في أسباب النزول للواحدي: الحرائب: وهي (جمع حريبة) مال الرجل يسلبه (لسان العرب و تاج العروس: حرب). و أسباب النزول للواحدي صـ ١٠١ من طبعة سيد صقر، و صـ ١٨٤ من طبعة د/ ماهر الفحل .

(٢) تفسير الطّبري: ٣/ ٦٦٨ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٣٨٨ (٢٠٤٢) و الوسيط: ١/ ٣٢٢ ولمصادر السابقة عند ذكر نزول الآية.

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٤٠ والمصادر السابقة في تخريج خبر سرية عبد الله بن جحش.

وقيل كـان القتـالُ محرَّمـاً في الأشـهر الحُـرُم فَنُـسِخَ بقولـه : ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ [التوبة:آية ٥] (١).

قوله : ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ ﴾ [الآية: ٢١٩] اختلفـوا [و١٣٥] في الخمـر فمنهم من{ قال} (٢) هو نبيذ العِنب فقط(٣)، ومنهم من ألحقَ بهِ كلَّ مسكرٍ بالقياس وأَطلقَ اسمَ الخمر على كلِّ مسكِر حقيقةً، ومنهم من يقول الخمر هو نبيذُ العنب و ما عداه محرَّم قياساً عليه .

---

(١)الراجح القول بأنه منسوخ لما بينه الأئمة منهم أبو عبيد في الناسخ و المنسوخ: صــ ٢٠٦ فقـد رجّح القولَ بأنَّه منسوخٌ و أنه يجوز الابتداء بالقتال في الأشهر الحـرم وقـال: (إنّ النّـاس اليـوم بـالثغور جميعا على هذا القول، يرون الغزو مباحاً في الـشهور كلِّهـا حلالهـا و حرامِهـا، لا فـرقَ بـين ذلـك عندهم، ثم لم أرَ أحداً من علماء الشام و لا العراق ينكِره عليهم)اهـ. و كذلك رجّحه الطبري في تفسيره بعد أن أورد الأقوال و بين أنّ الـسنة دلـت عـلى ذلـك : ٣/ ٦٦٣ – ٦٦٥ و ينظـر أيـضا: أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ٢٠٦ والقرطبي: ٣/ ٤٣

(٢) سقطت قال من الأصل.

(٣) هذه المسألة فيها اختلاف مشهور بـين الجمهـور و أصـحاب الـرأي، فالمـذهب الأول الـذي ذكـره المصنف مذهب أبي حنيفة و أكثر أهل الرأي فقد فرقوا بين ماء العنب وغيره فلم يحرِّموا من غـيره إلا القدر المسكر خاصَّة لا ما دونه، وقالوا إنّ الخمر مـاء العنـب خاصـة. ينظـر مـثلا : الأشربـة للإمام أحمد: صـ٣٥ و ذم المسكر لابن أبي الدنيا: صـ٦٦ و مـا بعـدها و الناسـخ والمنسوخ لابـن النّحاس: صـ ٥٤ و ما بعدها وشرح معاني الآثار: ٤/ ٢١٣ و أحكام القـرآن للجـصاص: ٢/ ٧ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٤٤ و شرح ابن بطال على البخـاري:٦/ ٣٨ – ٤٨ و التمهيـد: ١/ ٢٤٥ و ما بعدها والاستذكار: ٨/ ٢٣ و المحلى:٧/ ٥٠٤ وأحكام القرآن لابن العربي: ١/ ٢٠٩ و الشافي في شرح مسند الشافعي لابـن الأثـير: ٥/ ٣١١ و تفـسير القرطبـي: ٦/ ٢٩٤ وجـامع العلـوم و الحكم: صـ ٤٢٢ و فتح الباري: ١٠/ ٣٥

و سُمِّي الخمرُ خمراً لأنّه يسترُ العَقْل و به سُمِّي خِمارُ المرأة خِماراً؛ و الخُمرة ما يسجد عليه الرَّجل يسترُ وجهه عن الأرض ، ودخل فلان في خُمَار الناس أي صار مستتراً فيهم (١) .

و الميسِر مَفعِل من يَسَرَ يَيْسِرُ يَسْراً يقال يَسَرَ لي هذا الشيءُ أيْ وجبَ، و الياسر الواجب بقِداحٍ أو غيره و اليَسَرُ المقامِر وكذلك الياسِر (٢) .

وقال مقاتل (٣) : سُمّي به لأنّهم كانوا يقولون يَسِّروا لنا ثمن الجَزور (٤) . وقيل كانوا يشترون الجَزور ويقسمُونها عشَرةَ أجزاء، و يكتبون أسمائهم على عشرة أسهم فمن خرج سهمه أخذ نصيبه من الجَزور ولا شيء عليه حتى يتعيَّن جميع الثمن على الأخير الذي يبقى فيلزمه ثمن الجَزور أجمعُ و لم يذق من اللحم شيئاً (٥) . وقال عطاء (٦) وطاووس (١) : كل شيء من قِمار فهو ميسِر حتى لعِبُ الصّبيان بالجَوز و الكِعَاب (٢) .

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٦٦٩ – ٦٧٠ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٥٠ و (تهذيب اللغة: ولسان العرب و تاج العروس: صـ ٢٨٣٧ مادة: (خمر) و الشافي في شرح مسند الشافعي لابن الأثير: ٥/ ٣١١

(٢) تفسير الطّبري: ٣/ ٦٧٠ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٥٠ و التفسير الكبير للرازي: ٦/ ٣٩ .

وفي لسان العرب: (يسر) :(الياسِرُ: الجازرُ لأَنه يُجَزِّىء لحم الجَزُور، وهذا الأَصل في الياسر، ثم يقال للضاربين بالقداح والمُتَقامِرينَ على الجَزُور: ياسِرُون، و الياسِرُ اللاَّعِبُ بالقداحِ، وقد يَسَر يَيْسِرُ، فهو ياسِرٌ و يَسَرٌ، والجمع أَيْسارٌ)اهـ. ببعض اختصار. و ينظر: تهذيب اللغة: (يسر) وتاج العروس: (يسر).

(٣) تفسير مقاتل: ١/ ١١٦ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٥٠

(٤) الجَزُورُ من الإبل يقع على الذكر والأنثى وهي تؤنث والجمع الجُزُر بضمتين : (مختار الصحاح: (جزر) وينظر: تاج العروس: (جزر).

(٥) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام : ٣/ ٤٦٩ في تفسير الياسر و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٤٤ و لسان العرب(عشر) ٤/ ٥٧٣ و صبح الأعشى: ١/ ٤٥٦

(٦) مصنف ابن أبي شيبة: ٨/ ٥٥٣ ، تفسير الطّبري: ٣/ ٦٧٣ ، و تفسير ابن أبي حاتم٤/ ١١٩٧ (٦٧٤٩) ،و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٥١ و ينظر: تحريم النرد و الملاهي للآجري: (٤٥) و ما في المصادر السابقة عن

و اختلفوا في هذه الآية ، هل تدلُّ على تحريمٍ أم لا ؟ (٣) فمنهم من يقولُ إنها تدلّ على تحـريم الخمر لأنَّه سبحانه أخبرَ أنّ فيهما إثماً و قد أمر باجتناب الإثم في غير هذا الموضـع ولا شـك في أنّ ما فيه إثم فتركه واجبٌ ، وهذا معنى الوجوب و الإثم . ومنهم مـن قـال: في الآيـة عَيـبُ الخَمِر وتحريمه في غير هذه الآية وذلك أنّ الله عَيَّبها (٤) بقوله :

﴿ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾ ويريدُ بالإثمُ ما فيه من زوال العقل و تكوُّن المعاصي (٥) بعده ، ﴿ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ في ثَمَن الخمر وفي القِمار وفي الميسِر، وقيل منـافع للنـاس في الّلـذة و الانتفاع بِـه ، ﴿ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا ﴾ لأنّ النّفـع في الـدنيا و الإثـم عقوبـةٌ في الآخرة ، وقيل إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما قبل التحريم ، وكأنّ النّفعَ فيه إنّما كان قبـلَ التحريم (٦) .

الصحابة و التابعين ففما ذكروه : قول محمد بن سيرين والحسن وابن عباس وابن المسيب وغيرهم كلُّ قِمار ميسِرٌ من نَرْد وشِطرنج ونحوه وينظر: المحرر: ١/ ٢٩٤.

(١) المصادر السابقة.

(٢) جمع كَعْب و كَعْبةٌ: يعني فصوص النَّرد (لسان العرب: كعب و تاج العروس)

(٣) تفسير الطّبري: ٣/ ٦٨١ و اختار الطبري القول بأنها لا تدلّ على التحريم لأنها نزلت قبـل تحـريم الخمر و جعله القرطبي: ٣/ ٦١ قول أكثر المفسرين .و ينظر: الناسـخ و المنسوخ لأبي عبيـد: صــ ٢٤٨ و الناسخ و المنسوخ لابن النحاس: صـ ٤٨ و أحكـام القـرآن للجـصاص: ٢/ ٣ و أحكـام القرآن لابن العربي: ١/ ٢١٠ ونواسخ القرآن لابن الجوزي: صــ ٨٢ و زاد المسير لـه: ١/ ٢٨١ والقرطبي: ٣/ ٦٠

(٤) عَيَّبَهُ تَعْيِيبا نسبه إلى العيب و عَيَّبَهُ أيضا جعله ذا عيب: (مختار الصحاح : عاب).

(٥) في الأصل : العاصي.

(٦) للعلماء كلام مفيد في بيان الحكمة في تأخر تحريم الخمر و منه ما ذكـره شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة في الفتاوى: ١٧/ ٢٠٢ و ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ٢١١

وقيل أوّل آية نَزَلتْ في شأنِ الخَمر هذه الآية (١) لَمَّا سألَ النبي ﷺ عنها حمزةُ بن عبد المطلب .

وقيل قال عمر رضي الله عنه (٢) : اللهمَّ بيِّن لنا في الخَمر فنَزَلتْ هذه الآيةُ فقال عمر : اللهمّ بيِّن لنا فنزل قوله : ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء:آية٤٣].

وقيل كانُوا يشرُبون بعد العِشاء الآخرةِ فيكونَ السُّكْر قد زالَ عند الصَّباح فقال عمر : اللهمَّ بين لنا بياناً شافياً فنزل تحريمُ الخَمر.

وقيل اتّخذ بعضُهم دعوةً دعا أصحابَ النَّبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم وفيهم سعد بن أبي وقّاص فشربوا فتفاخروا فأنشد سعدٌ قصيدةً يهجو بها الأنصار فأخذ بعض الأنصارِي لحْيَ بعيرٍ فضرب به رأس سعدٍ فَشَجَّه فشكاهُ إلى رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فنزل تحريمُ الخَمر (٣).

---

(١) تفسير الطّبري: ٣/ ٦٨١ و ٦٨٢ – ٦٨٤ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٣٨٩ (٢٠٤٦) و٤/ ١١٩٩ و ينظر المصادر السابقة.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر (٣٦٧٠)٣/ ٣٢٥ والترمذي في تفسير سورة المائدة (٣٠٤٩)٥/ ٢٥٣ والنسائي في كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر(٥٥٤٠)٨/ ٢٨٦ وأحمد في مسنده: ، في مسند عمر(٣٧٨)١/ ٥٣ و أبو عبيد في ناسخه: ٢٤٩ (ح ٤٥٢) وابن جرير الطبري في تفسيره، تفسير سورة المائدة (آية: ٩٠- ٩١)٧/ ٣٣ والدّارقطني في العلل ٢/ ١٨٦و أبو نعيم في الحلية: ٤/ ١٤٤ والبيهقي في سننه الكبرى في كتاب الأشربة والحدّ فيها ، باب ما جاء في تحريم الخمر:٨/ ٢٨٥ .

(٣)صحيح مسلم: في الفضائل، باب فضل سعد ٢/ ٣٦٤ - ٣٦٥ و في كتاب الجهاد و السير: باب الأنفال : (ح ١٧٤٨) و لكنّه هنا لم يسق لفظه كاملا والترمذي في سننه، في تفسير سورة العنكبوت وقال: حديث حسن صحيح ٤/ ١٥٩ – ١٦٠ و الطيالسي في مسنده، عن شعبة ص ٢٨ – ٢٩ (٢٠٨) وأحمد في مسنده، ١/ ١٨٥ – ١٨٦ و ١/ ١٨١ و الأدب المفرد للبخاري: باب برّ الوالد المشرك: صـ ٢٢والبزّار في مسنده: ٣/ ٣٤٧ (١١٤٩) وأبو يعلى في مسنده ٢/ ١١٦ – ١١٨ (٧٨٢) والطّبري: ٧/ ٣٣ في سورة المائدة آية: ٩٠ و ينظر: العلل للدارقطني: ٤/ ٣١١

وقِيلَ في قولِهِ تعالى ﴿ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة:آية٩١] أنّه حَثٌّ و تحريضٌ على الانتهاء لا تحريمَ فيه و صريحُ التّحريم في قوله :﴿ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة:الآية ٩٠].

قرأ حمزة و الكسائي: (إثم كثير) بالثاء (١) وقرأ الباقون (كبير)بالباء.

قوله : ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ بالنّصبِ و الرَّفع جميعاً النَّصب أي قُل أنفقوا العفوَ أو ينفقون العفو ، و الرَّفعُ على أنَّ الذي ينفقون هو العفوُ، وقرأ أبو عمرو (العفوُ) بالرَّفع و قرأ الباقون بالنّصب (٢).

و العفو ما يُغمِضُ الإنسان فيه فيعطيه سهلاً بلا تكلُّف (٣) ، وقيل العفوُ الفضْلُ (٤) أي ما عَفَا من أموالهم عن كفايتهم عن ابن عباس (٥) وقتادة (١) و عطاء (٢) و السدي (٣) والحسن (٤) وابنِ زيد (٥) .

و رواه أيضا السدّي : تفسير الطبري: ٣/ ٦٨٣- ٦٨٤ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٤٣ وتفسير ابن كثير: ١/ ٥٠١ في سورة المائدة آية: ٩٠ و زاد المسير: ٢/ ٤١٦.

(١) السبعة: صـ ١٨٢ و الروضة: ٢/ ٥٦٣ و النشر: ٢/ ٢٢٧ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٥١ والوسيط: ١/ ٣٢٣

(٢) السبعة: صـ ١٨٢ و الروضة: ٢/ ٥٦٤ و كشف المشكلات للباقولي: ١/ ١٦١ و البحر: ٢/ ١٥٩ و النشر: ٢/ ٢٢٧

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٥٢

(٤) قال السمعاني ١/ ٢٢٠ : (وقال أكثر المفسرين العفو الفضل)اهـ. و رجحه الطبري و بين أن الأحاديث تدلّ عليه : ٣/ ٦٩٠ و في الثعلبي : ٢/ ١٥٢ بعد حكايته الأقوال عن السلف : (و كلها متقاربة في المعنى)اهـ و ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ١/ ٣٩٩ مع المصادر الآتية.

(٥) هو من طريق الحكم عن مقسم عن ابن عباس : أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣٦٥ – تفسير) و الحارث المحاسبي في فهم القرآن: صـ٤٥٤ و الطّبري: ٣/ ٦٨٦ و ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٩٣ (٢٠٦٩) و ابن النحاس في ناسخه: صـ ١٨٩ و في معاني القرآن له:و البيهقي في الشعب: (ح

وقال الرَّبيع (٦) : العفوُ الطيِّب منه، يقول أفضلُ مالك.وعَفَا الشيء إذا كثُـر و منـه ﴿ حَتَّىٰ عَفَواْ ﴾ [الأعراف: الآية ٩٥] أي كثُروا ، وقيل العفوُ ما لا يتبيّن في أموالكم قاله ابن عباس (٧) ، وقال مجاهد (٨) :العفوُ الصَّدقة عن ظَهْرِ غِنى، وقيـل هو القصد في النّـفقة أراد بـين الإسراف و الإقتـار عن الحسن (٩)وعطـاء (١٠) .

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ في الأحكام مثل هذا البيانِ الذي في الخمـر والميـسِر يُبيِّن لكم الآيات في الأحكام.

قال الزجاج (١١) : قال ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ وهو يخاطبُ الجماعة لأنَّ الجماعة بمنزلـة القبيلـةِ ، فكأنّه قال : كذلك أيُّها القبيلة ، و جائز أنْ يكون الكاف للنبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أي كـذلك يا محمد يُبيِّنُ الله لكم الآيات.

٣٤١٥) .

(١)تفسير الطبري: ٣/ ٦٨٧

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣٦٤ – تفسير) و الطبري: ٣/ ٦٨٧

(٣)تفسير الطبري: ٣/ ٦٨٧ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٩٤ (٢٠٧٤)

(٤)تفسير الطبري: ٣/ ٦٨٧ و ذكره بغير إسناد ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٩٣ .

(٥) تفسير الطبري: ٣/ ٦٨٧

(٦) تفسير الطبري: ٣/ ٦٨٩ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٩٣ (٢٠٧١)

(٧) تفسير الطبري: ٣/ ٦٨٨ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٩٤(٢٠٧٣) من طريق علي بن أبي طلحـة عنه.

(٨) تفسير الطبري: ٣/ ٦٨٩

(٩) تفسير الطبري: ٣/ ٦٨٨ و ينظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٣٧٣

(١٠) تفسير الطبري: ٣/ ٦٨٨ و ينظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٣٧٣

(١١) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٥٢ نقله المصنف و ما بعده بالمعنى و كذلك صنع الثعلبـي: ٢/ ١٥٣ و لعـلّ

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ في الدنيا و الآخرة فتعلَموا أنَّ الدنيا دار بَلاءٍ و محنةٍ و أنَّ الآخرةَ دارَ جزاءٍ و نعمةٍ ، وقيل ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ في أمر الدنيا والآخرة ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ فتعتبرون. والآية منسوخة في قول ابن عباس (١) والسدي (٢) بإيجاب الزكاةِ المفروضة ، فأمّا مجاهدٌ فإنه يقول (٣):إنّ العفوَ هو الزّكاة المفروضة (٤).

و قوله : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ [الآية: ٢٢٠] نَزَلت في عبد الله بن رَواحة لَمَّا سأل النّبي ﷺ عن ذلك، وذلك أنه لَمَّا نزل قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾ [الآية النساء:آية١٠] عزلوا اليتامى وتحرّجوا في أمورهم غايةَ التحرُّج كانوا لا يشربون من ألبانِهم ولا يركبون دوابَّهم ،و رُبَّما كان يُنتِنُ اللحم ويفسُد اللبن و كانوا لا يستعملون خَدمَهم ولا يخالطونهم فاشتدَّ ذلك عليهم فسألوا النّبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم عن ذلك (٥) .

المصنف نقله من الثعلبي لأنه يوافق أكثرعباراته حتى بتقديمها و بتأخيرها.

(١) في رواية علي بن أبي طلحة عنه: تفسير الطبري: ٣/ ٣٩٤ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٩٤ (٢٠٧٣)

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٦٩٤ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٩٤(٢٠٧٤)

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ٦٩٠ ، ٦٩٤ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٩٣ (٢٠٧٢)

(٤) الراجح أنها غير منسوخة إذ لا دليل على النسخ و لا موجب للقول به. و ينظر: تفسير الطبري: ٣/ ٦٩٤- ٦٩٦ وفيه التدليل الواضح على أنها غير منسوخة .

(٥) روي هذا المعنى عن ابن عبّاس مع اختلاف في إسناده من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه و قيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير من كلامه ، و جاء أيضا عن عبد الرحمن بن أبي ليلى و قتادة. ينظر في تفصيل الروايات عمن ذكرتُ في :

المسند لأحمد: ٥/ ١٤٠ و تفسير الطبري: ٣/ ٦٩٨ – ٧٠٠ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٢٧٨، ٢٧٩ و الحاكم: ٢/ ٢٧٨ ، ٢٧٩ و البيهقي: ٥/ ٢٥٨ ، ٢٥٩ و الثعلبي: ٢/ ١٥٣ و أسباب النزول للواحدي: ١٨٦ والعجاب: صـ ٣٥٧ – ٣٦١ .

وقيل كانوا قبل الإسلام يتورَّعون عن مخالطة الأيتام و يتشاءمون بـه فـسألوا النبـي صـلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم عن ذلك فأباحَ لهم مخالطتهم على جهة المعروفِ و الإصلاحِ لأُمورهم عن السدي (١) و الشعبي (٢) . قال أبو عبيدة (٣) : هذا أصلُ مخالطتهم .

قرأ طاووس (قل إصلاح إليهم خيرٌ). [و١٣٦] ﴿ إِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ القـراءةُ بالرّفع و المعنى فهم إخوانُكم(٤) .

و قُرِأ في الشواذ (٥) (فإخوانَكم)بالنَّصب أي فخالطوهم إخوانَكم .

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ في مخالطـة الأيتـامِ فالمفـسِد الـذي قـصده في مخالطتهم الإضرارَ بهم و المصلِحُ الذي قصدُهُ الإصلاح .

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ ضيَّقَ عليكم وشدَّدَ عليكم في أموالِ اليتامى و مخالطتهم حتى لا يجوز لكم مخالطتهم بحالٍ ، وقيل أحْرجَكم، و العَنَتُ الشِّدَّة و عَقبةٌ عَنُوتٌ أي شاقّة كَـؤُودٌ (٦) . قال الزجاج (١) : أصلُ العَنَتِ أن يحدُث في رِجلِ البعير كسرٌ بعد جَبْرٍ فلا يمكنُه أنْ يمشي .

---

(١)تفسير الطبري: ٣/ ٧٠٣

(٢) هذا القول ذكروه عن ابن عباس في رواية عطية العوفي و الـضحاك و الـسدي: الطـبري: ٣/ ٧٠٤ و تفسير الثّعلبـي: ٢/ ١٥٣ و ينظـر في الطـبري قـول الـشعبي: ٣/ ٧٠١ و النُّكـت والعيـون للماوردي: ١/ ٢٨٠ .

(٣) لم أجده في مجاز القرآن: ١/ ٧٣ و في الكلام نقصٌ.

(٤) يعـ :والإخوان يعـ بعضهم بعضاً. البسيط: ٢/ ٧٧٤

(٥) قرأ بالنصب : أبو مجلز و هي قراءة شاذة: تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٥٤ و البحر: ٢/ ١٦٢ و ينظر في توجيهها أيضا : معاني القرآن للفراء: ١/ ١٠٩ وتفسير الطبري: ٣/ ٧٠٧ و إعراب القرآن لابـن النحّاس: ١/ ٣١٠ والتفسير الكبير للرازي: ٦/ ٤٥

(٦)غريب القرآن لابن قتيبة: صـ ٨٣ ومعـاني القـرآن للزّجـاج: ١ / ٢٥٢ و تفـسير الثّعلبـي:٢/ ١٥٤

و قوله : ﴿ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ أي تثميرُ أموالهم و التنزُّه عن أكلِها خيرٌ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ يعني به ما حَكَمَ في أموال اليتامى .

قوله : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ [الآية ٢٢١] نزلت في مَرْثد بن أبي مَرْثد الغَنَويّ (٢) وكان شُجاعاً بعَثَهُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم إلى مكة سِرّاً لِيُخرج أُناساً من المسلمين فلمّا قدِمها سمعت امرأةٌ يقال لها عَنَاقٌ و كانت خَليلةً في الجاهلية فأَتَتْهُ وقالتْ : ألا نخْلُوا فقال: إنّ الإسلام قد حالَ بيننا و بينَ ذلك و لكنْ إنْ شئتِ تزوَّجتِك إذا رجعتُ إلى رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فاستغاثت عليه فضربوهُ ضرْباً شديداً ثم خَلَّوه فانصرف إلى رسول الله ﷺ وقال أيحلُّ لي تزوُّجها ؟ فنزلتْ الآية (٣) .

والمحرر: ١/ ٢٩٦ و تفسير القرطبي: ٣/ ٦٦ و لسان العرب و تاج العروس: (عنت).

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٥٢- ٢٥٣ بمعناه. و ما هنا موافق للفظ الثعلبي: ٢/ ١٥٤ مما قد يدلُّ على نقل المصنف منه.

(٢) مَرْثد بن أبي مَرْثد واسمه كَنّازُ بن الحُصَين الغَنَويّ له ولأبيه صحبة وشهدا بدرا وأحداً وكانا حليفينِ لحمزة بن عبد المطلب وقُتِل مرثد في حياة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : تاريخ خليفة: صـ٨ والآحاد و المثاني لابن أبي عاصم : ١/ ٢٤٤ و المعجم الكبير للطبراني: ٢٠ / ٣٢٧ و الإكمال لابن ماكولا: ٧/ ١٣٩ و أسد الغابة: ٦/ ٢٨٢ وتهذيب الكمال: ٢٧ / ٣٥٩ و الإصابة: ٦/ ٧٠

(٣) هو بهذا السياق في الثعلبي: ٢/ ١٥٤ و ذكره الواحدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : أسباب النزول: صـ١٨٨ و أسنده ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٩٨(٢١٠٠) والواحدي عن مقاتل بن حيّان: ١٨٧ مختصرا و هو في تفسير مقاتل بن سليمان : ١/ ١١٧ و ينظر في الثعلبي الاختلاف في اسم من نزلت فيه .و ما ذكره مقاتل و الثعلبي والمصنف والواحدي عن الكلبي موافق في سرد القصة لقصةَ مرثد بن أبي مرثد الغنوي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه التي رواها أصحاب السنن و لكنّ فيها أنّ الآية التي نزلت فيه رضي الله عنه :

﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ من سورة النور لا هذه الآية. و قصة مرثد من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أخرجها أبو داود (٢/ ٢٢٠)

وقرأ بعضهم (ولا تُنكِحوا المشركات) بضمّ التاء في (تُنكحوا) (١) أي لا تزوّجوهن وفيه دلالة على {أن} (٢)النّكاح في القرآن بِوَلِي .

﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكَةٍ ﴾ نَزَلَت في أمَةٍ سوداءَ يقال لها خنساءُ لِحُذيفة بن اليمان اعتقها وتزوّج بها (٣) .

وقال السدي (٤) : نَزلت في عبد الله بن رَوَاحة و كان له أَمَةٌ سوداءُ فغضب عليها ولَطَمَها ثم فزِع فأتى النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فسأله فقال ما هي ؟ قال:هي تصلي وتصوم وتُحسن الوضوء و تشهد أنْ لا إله إلا الله و أنَّك رسول الله فقال : يا عبدَ الله هي مؤمنة فقال: والذي بعثك بالحقّ نبياً لأُعتقنَّها و لأتزوجنَّها ففعلَهُ فطعن عليه ناسٌ من المسلمين قالوا إنّه تزوّج بأمةٍ فنزلت هذه الآية .

﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّ ﴾ أي حتى يظهَرَ منهنّ علاماتُ الإيمان

كتاب النكاح : باب في قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ﴾ والترمذي: ٥/ ٣٢٨ في كتاب تفسير القرآن : باب ((ومن سورة النور)) (ح ٣١٧٧) وغيرهما : وينظر: تخريج أحاديث الكشاف: ١/ ١٣٦ للزيلعي و الكافي الشافي: ١/ ٢٦٤لابن حجر و الفتح السماوي: ١/ ٢٦٢ و الدر: ٥/ ٣٩، ٤٠.

قال الزَّيلعي : (فظهر أنّ هذا الحديث ليس في هذه الآية التي في البقرة وإنما هو في الآية التي في النور لكن ذَكَرهُ الواحديّ في أسباب النزول في هذه الآية التي في البقرة عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس)اهـ. تخريج أحاديث الكشاف: ١/ ١٣٦ .

(١) قراءة شاذة: المحرر : ١/ ٢٩٦ والكشاف: ١/ ٤٣١ و نسبها في البحر: ١/ ١٦٣ للأعمش.

(٢) سقطت من الأصل.

(٣) رواه ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٩٩(٢١٠٣) بسنده عن مقاتل بن حيان و ذكره الثّعلبي: ٢/ ١٥٥ وهو في الدر: ١/ ٢٥٧.

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ٧١٧ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٩٨ (٢١٠٢) و أسنده الواحدي في أسباب النزول : صـ ١٨٧عن السدي به لكنه قال عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس.

﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ ﴾ أيْ والتزوُّج بأمةٍ مؤمنةٍ خيرٌ من التزوُّج بأمةٍ مشركةٍ ولو أعجبكم حُسنها . ﴿ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ﴾ أي لا تزوِّجوا نسائكم و إمائكم من المشركين أيَّ مشركٍ كان حُـرّاً أو عبـداً و الآيـةُ تـدلّ عـلى أنَّ أوليـاء المـرأةِ أولى بتزويجهـا منهـا بنفـسِها لأنّ الله خاطـب الأوليـاء بـالنَّهي عـن تـزويجهنّ مـن المشركين (١) ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ أي أمةٌ مؤمنـة خـيرٌ مـن حُـرّةٍ مـشركةٍ وعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من حُرٍّ مشرك .

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الكفَّار ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ﴾ إلى عَمَـلٍ يوجـبُ الجنّة ﴿وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ بأمرِهِ أيْ بإعلامه إيّاكم ذلك بـأنْ أمـرَكُم بـه ، يقـال آذنـهُ أي أعلمهُ ﴿ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ ﴾ في الحلال و الحرام ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

وقُرِأَ و (المغفرةُ) (٢) بالضَّمّ أي والمغفرة تُوجَدُ بإذنِ الله و المغفرةُ خيرٌ من النّار.

و الآيةُ عامّة في جميع المشركات و الكتابيّات مخـصوصةٌ بقولِـهِ: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [المائدة:آية ٥](٣) .

---

(١)ينظر: تفسير الطبري: ٣/ ٧١٨ – ٧١٩ و أحكام القـرآن للجـصاص: ٢/ ٢٠٠ و الجـامع لأحكـام القرآن للقرطبي: ٣/ ٧٢

(٢)القراءة بالرفع شاذة : تنسب إلى الأعمش و الحسن: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣١٠ ومختصر الشواذ: صـ١٣ و البحر: ٢/ ١٦٦

(٣) يعني أنّ الآية هنا عامة تشمل المشركات و الكتابيات، لأنّ اسمَ الشرك قد يدخل فيه الكتابيـة أيـضا لأنها مشركة و لكنّ الكتابيات يجوز نكاحهنّ لأنهـن مخـصوصات بآيـة أخـرى هـي التـي ذكرهـا المصنف رحمه الله هذا تقرير مراد المصنف . و قد قيل إنّ هذه الآية هنا في البقرة يراد بهـا مـشركات العرب و الوثنيات لا غيرهنّ و لم ينسخ و لم يستثن منهـا شيء و هـو قـول قتـادة و اختيـار الإمـام الطّبري، و كلا القولين صحيح لأن اللفظ و المعنى يحتملها و مما يرجِّح اختيار الطبري أنّ فيه إبقاءً

قوله : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [الآية: ٢٢٢] المَحِيضُ مَفعِلٌ من الحَيضِ وهو مصدرٌ كالمصير و قيل المَحِيضُ الاسم من الحَيضِ لأنَّ فَعَلَ يَفعِلُ مصدرُهُ على مَفعَل بفتح العين و الاسم مَفعِلٌ بالكسر كالمَضْرَبُ و المضرِبِ (١) .

قُلْ هُوَ أَذَىً أي قذَرٌ (٢) ، وقيل دمٌ عن مجاهد (٣) . والدم مستقذرٌ .

نزلت (٤) في أبي الدَّحْداحِ (٥) صاحبِ الحديقة .

للآية على عمومها بلا ارتكاب نسخٍ و لا ذهاب إلى تخصيص.

ثم الجماهير على أن نكاح نساء أهل الكتاب جائزٌ و قد حُكِي عليه الإجماع، و هو الصَّحيح، و إنْ كان ينبغي للمسلم تفضيلُ من فضَّلها الله من المسلمات، و لأنّ في ذلك سدّا لباب مفسدة محتملة وهي إفسادها لأبنائها من المسلم أو تأثيرها في عقيدتهم . و لذا قال الشافعي: (أحبُّ إليّ لو لم ينكحهنّ مسلمٌ)اهـ. الأمّ: ٥/ ٧ و تفصيل ذلك كله يطول . فينظر في تفصيل ذلك: الأم للشافعي: ٥/ ٧ و تفسير الطبري: ٣/ ٧١٣ - ٧١٥ و الناسخ و المنسوخ لابن النحاس: صـ ٦٩ -٧١ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي: ١٠ / ١٢٠ التفسير الكبير للرازي:٦/ ٥٠ و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣/ ٦٨ و تفسير ابن كثير: ١/ ١٥٩ و البحر: ٢/ ١٦٤

(١)تفسير الطبري: ٣/ ٧٢٠ – ٧٢١ ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٥٤ و لسان العرب (حيض) وفيه : (و المَحِيض يكونُ اسماً ويكون مصدراً)اهـ.

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٧٢٣و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٥٧ و الوسيط: ١/ ٣٢٨

(٣) قول مجاهد رواه الدارمي: ١/ ٢٨٥ والطبري: ٣/ ٧٢٣ و ابن أبي حاتم: ٢ / ٤٠١(٢١١٢) وابن النحاس في الناسخ : ص٧٥.

(٤) سيذكر المصنف بعد أسطر سبب النزول معزواً.

(٥)أبو الدحداح كنية ثابت بن الدحداح ويقال ابن الدّحْداحة بن نُعيم بن غُنْم بن إياس حليف الأنصار من أصحاب النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ، وكان بلوياً حالف بني عمرو بن عوف يقال مات رضي الله عنه مرجع النبي صلَّى الله عليه وسلَّم من الحديبية سنة ستّ من الهجرة، وترجمته في الكتب مقتضبة : (الاستيعاب: ١/ ٢٠٣ و الإصابة: ١/ ٣٨٦).

﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾ ظاهرُ الآية يدلُّ على وجوبِ اعتزالهم من جميعِ الوجوهِ إلا ما خصَّه الدليلُ، ومنهم من قال:

كانت العربُ في الجاهلية تعتزل النساء لا تؤاكلُهنّ فنُهوا عن ذلك إلا في موضعِ الحيضِ وهو الوطءُ، فعلى هذا القول الآية تُبيحُ ما سوى القربانِ في محلِّ الحيضِ عن قتادة (١) والرّبيع (٢)، وعلى هذا قوله ﴿فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾ يعني في موضع الحيضِ .

وقال مجاهد (٣) : كانوا يجتنِبون النّساء في حالِ الحيضِ ويأتوهُنَّ في أدبارهنَّ فسألوا النبي ﷺ فنزلت الآية؛ و نهوا عن إتيانِهِنَّ في أدبارهنَّ وقال : ﴿فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ في الفَرْج لا تَعْدُوهُ .

قال السدي (٤) : كان السائل ثابت بن الدَّحْدَاحِ الأنصاري .

﴿ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ﴾ ينقطع الدَّم ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ ﴾ يعني بالماء ﴿ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ عن ابن عباس (١) ومجاهد (٢) وعكرمة (٣) والحسن (٤) .

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٧٢١ و الدر: ١/ ٢٥٨ و عزاه للطبري و عبد بن حميد. وفي مصنف عبد الرزاق: ١/ ٣٢٣ (ح ١٢٣٩) عن معمر سمعت قتادة: (يقول لك ما فوق الإزار)اهـ.

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٧٢١ و ٧٣٨ بلفظ: من حيث نُهيتم عنه في المحيض.

(٣)سنن الدارمي: ١/ ٢٧٧ (ح ١١٤٥) و تفسير الطبري: ٣/ ٧٢٢ وينظر: مصنف ابن أبي شيبة: ٥١٨/٣

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ٧٢٢ و الدر: ١/ ٢٥٨ و عزاه للطبري. و ذكر الحافظ ابن حجر نقلا عن كتاب البارودي في الصحابة مثل هذا الخبر من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس: الإصابة: ١/ ٣٨٦ و نقله السيوطي في لباب النقول: صـ٤٣ عن كتاب البارودي أيضا.

وقُرِأ (يَطَّهَّرْن) بتشديد الطّاء أرادَ يتطهَّرن قرأ بها الكسائي وحمزة (٥)، و قَرأ الباقون من السبعة (٦) بالتّخفيف.

﴿فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أمرُ تخيير، وقيل﴿ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي في حيث أمَرَكم كقوله : ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ [الجمعة:٩].

وقال الفراء (٧) : هو مثلُ ذلك أتيتُهُ من مأْتاهُ أي من الوجه الذي يؤتى منه.

وقال مجاهد (٨) وقتادة (٩) والربيع (١٠) : فأتوهنّ من حيث نهاكم الله قَبْلَ الطُّهر . كأنه أباح الله بعد الطَّهارة ما كان مُباحاً لهم قبله، وقيل أراد في موضع النَّسل .

---

(١) تفسير الطبري: ٣/ ٧٣٣ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٤٠٢(٢١١٩) و البيهقي: ١/ ٣٠٩ والدر: ١/ ٢٦٠ وزاد عزوه لابن المنذر.

(٢) مصنف عبد الرزاق: ١/ ٣٣٠ والدارمي: ١/ ٢٥٠ وتفسير الطبري: ٣/ ٧٣٤ و البيهقي: ١/ ٣١٠

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ٧٣٤

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ٧٣٤ و الدارمي: ١/ ٢٦٠ و البيهقي: ١/ ٣١٠

(٥) وافق حمزة و الكسائي أبو بكر عن عاصم و الباقون بالتخفيف: الروضة لأبي علي: ٢/ ٥٦٤ وغاية الاختصار: ٢/ ٤٢٩ و النشر: ٢/ ٢٢٧

(٦) في الأصل : السبع.

(٧) معاني القرآن للفراء: ١/ ١١٠ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٦٠ و ما هنا موافق لما في الثعلبي بنصه وفيهما إبهامٌ لكنّ عبارة الفراء أوضح فإنه قال: (و لم يقل في حيثُ ، و هو الفرج . و إنما قال:من حيثُ كما تقولُ للرّجل : إيتِ زيداً من مأتاه أي من الوجه الذي يُؤتى منهُ، فلو ظَهَر الفرج ولم يُكْنَ عنه قلتَ – في الكلام – إيتِ المرأة في فرجها)اهـ.

(٨)مصنف ابن أبي شيبة: ٤/ ٢٣٣ وتفسير الطبري: ٣/ ٧٣٦، ٧٣٧

(٩) تفسير الطبري: ٣/ ٧٣٧.

(١٠)تفسير الطبري: ٣/ ٧٣٨ بلفظ: من حيث نُهيتم عنه في المحيض.

وقال ابن عباس (١) : هو أنْ يأتيها طاهراً غيرَ حائض. وقال ابن الحنفيّة (٢) : من قِبَلِ التَّزويج دونَ الفُجور. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ من الذّنوب و الكفر ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ من المعاصي ومن الأحداث والنّجاسات.

وقال مجاهد (٣) : من أَتَى امرأةً في دُبرها فليس من المتطهرين.

قوله : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [الآية ٢٢٣] أراد نساءكم كحرْثٍ لكم فحذف الكاف ورفعَ الاسم كما قال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا ﴾ [الكهف:آية ٩٦] أي كنارٍ و أنشدَ (٤) :

النّشر مسْكٌ و الوجوهُ دنانيرٌ   و أَطرافُ الأكفِّ عَنَمْ

و المعنى نِساءكم مزرعةٌ للولد و فيه دلالة على تحريمِ الوَطْء في الموضعِ المكروهِ لأنه لم يقل لذَّةً لكم .

وقيل أراد بقوله : ﴿ حَرْثٌ ﴾ أي محترَثٌ و مزدَرَعٌ لكم، ولكنّهن لَمَّا كُنَّ منْ أسباب الحرث سمّاهن حرْثاً ، وقيل ذوات حرْثٍ لكم عن الزجاج (٥) .

---

(١)تفسير الطبري: ٣/ ٧٣٨ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٤٠٢ (٢١١٧) من طريق محمد بن سعد العوفي.

(٢) ابن أبي شيبة: ٣/ ٥١٨ وتفسير الطبري: ٣/ ٧٤٠ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٤٠٢ (٢١٢٢) .

(٣) المصنّف لعبد الرزاق: ١/ ٣٣٠ و تفسير الطبري: ٣/ ٧٤٣ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٤٠٣ (٢١٢٨) و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٦٠.

(٤) البيت للمرقِّش الأكبر من قصيدة في المفضليات: ٢٣٨ و هو في كثير من كتب الأدب منها الأغاني: ٦/ ١٣٤ و الجليس للمعافى : ١/ ٣١٦ و دلائل الإعجاز: ١/ ٣٨٨ ولسان العرب: ٢/ ٢٠٦ (نشر). والنشر الرِّيح الطيبة. و العَنَمُ بفتحتين شجرٌ ليّن الأَغصان تُشبَّه به بنان الجواري. (مختار الصحاح: عنم) و المعنى النشر كالمسك و أطراف الكف كالعَنَم.

(٥) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٥٧ بمعناه لا بلفظه.

فأتوا موضعَ حرْثكم[و١٣٧] ﴿أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾، وقيل الحرْثُ يطلَقُ و المراد به المرأةُ في اللغة قال الشاعر (١) :

إذا أَكَلَ الجرادُ حُرُوثَ قومٍ   فحَرْثي آكِلٌ ذاك الجرَادا

أي فامرأتي تأكل الجرادَ. ﴿ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ ﴾ أي كيفَ شِئتُم و يحتمَلُ هذا أنْ يكون راجعاً إلى المحلّ أيْ أيَّ محلٍّ منها شِئتم.

ويحتمل أنْ يكون راجعاً إلى الحالِ أيْ على أيِّ حالةٍ شئتم، و هي ترجع إلى الحال و الهيئةِ دون المحلِّ بدليل ما ذُكِرَ في سبب نزولِهِ، وذلك أنَّ اليهود قالوا (٢) : إنَّ النِّكاح لا يجوز إلا مستلقياتٍ ولو أتى في الفرْجِ من خلفِها كان الولدُ أحولَ فردَّ الله عليهم و أباح لهمُ المباشرةَ مُستلقيةً و جاثِيةً و على جنْبٍ و قائمةً، و كيف ما شاءوا. وبمثله ورد التَّفسير عن سعيد بن جبير (٣) وابن عباس (١) و عكرمة

(١) البيت غير منسوب في: ذيب اللغة ٤٧٨/٤ ولسان العرب: (حرث) وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٦٢ والوسيط للواحدي: ١/ ٣٢٩ و البحر: ٢/ ١٧٠ وروايته فيها : فحرثي همُّه أكلُ الجراد.

(٢) ثبت في الصحيحين و غيرهما من حديث جابر رضي الله عنه : رواه البخاري في كتاب التفسير: ٨/ ٣٧ من سورة البقرة ، باب(٣٩) ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٌ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ (ح ٤٥٢٨) و مسلم: (٢/ ١٠٥٨)كتاب النكاح: باب، (١٩) جواز جماعه امرأته في قبلها من قدّامها ... (ح ١١٧/ ١٤٣٥) ، و أبو داود: كتاب النكاح ، باب (٤٥) في جامع النكاح ، (ح ٢١٣٦) و الترمذي: (٥/ ٢١٥) : كتاب التفسير: باب و من سورة البقرة، (ح ٢٩٧٨) والنسائي (كبرى): كتاب عشرة النّساء: باب(٢٤) تأويل قوله : جل ثناؤه : ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٌ لَّكُمۡ... ﴾ (ح ٨٩٧٤، ٨٩٧٥، ٨٩٧٦) ٥/ ٣١٤ و في كتاب التفسير: من سورة البقرة باب (٣٩) نساؤكم حرثٌ ... (ح ١١٠٣٨ ، ١١٠٣٩) ٦/ ٣٠٢ و ابن ماجه: في كتاب النكاح، باب (٢٩) النهي عن إتيان النساء في أدبارهنّ، (ح ١٩٢٥) و عبد الرزاق في تفسيره/ ٨٩ والدارمي: (ح ١١٣٢) و ابن حبان:٩/ ٤٧٤ (ح ٤١٦٦) و الطبري: ٣/ ٧٥٦ و ينظر: العجاب: صـ ٣٦٧

(٣) مصنف ابن أبي شيبة: ٣/ ٥١٨ و رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس : سنن الدارمي: ١/ ٢٧٤ (

(٢) و السدي (٣) يأتيها كيف شاء ما لم يأتِها في دُبُرِها و في زمان الحيضِ . وقال الضحاك (٤) : كيف شئتم متى شئتم . وروى نافع عن ابن عمر أنه قال : ﴿أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ نزلت الآية في إتيان النّساء في أدبارهنَّ. (٥)

وتكلَّموا في نافعٍ وقالوا إنّهُ كَذَبَ على ابنِ عُمر (٦). وروى زيدُ بن أسلم عن عطاء بن يسار (١) : أنَّ رجلاً أصاب امرأته في دُبُرها فوَجَدَ في نفسه من ذلك فأنزل الله: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٌ

ح ١١٢٦) والطبري: ٣/ ٧٤٦.

(١) سنن الدارمي: ١/ ٢٧٤ (ح ١١٢٦) والطبري: ٣/ ٧٤٦ من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير و ورواه علي بن أبي طلحة أيضا عن ابن عباس: أخرجه الطبري: ٣/ ٧٤٦ والبيهقي: ٧/ ١٩٦

(٢) ابن أبي شيبة: ٤/ ٢٩٩ و الدارمي: ١/ ٢٧٥ (ح ١١٣٣) و تفسير الطبري: ٣/ ٧٤٦ بلفظ" كيف شاء ما لم يعمل عمل قوم لوط. و الخرائطي: في مساوئ الأخلاق: (٤٧١).

(٣) تفسير الطبري: ٣/ ٧٤٧

(٤) تفسير الطبري: ٣/ ٧٥٠

(٥) أخرجه البخاري: و لم يصرّح بلفظ الدُّبر بل قال في إحدى الروايات : نزلت في كذا و كذا؛ و في رواية: نزلت في .. (البخاري: كتاب التفسير من سورة البقرة ، باب (٣٩) ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٌ لَّكُمۡ....) (ح ٤٥٢٦، ثم علقه : ٤٥٢٧) ٨/ ١٩٠ و خبر ابن عمر مصرّح فيه بلفظ الدّبر و لكنّ البخاري في الصحيح أبهمه ينظر: أبو عبيد في فضائله: صـ ٩٧ و ابن أبي شيبة: في المصنف: (ح ١٦٦٦٣) ٣/ ٥١٧ و الطبري: ٣/ ٧٥١ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٤٠٥ (٢١٣١٦) و الطبراني في الكبير ١٢/ ١٢٥ والأوسط: (٣٨٢٧) و فتح الباري: ٨/ ١٩٠ والعجاب: صـ ٣٧٦ – ٣٧٧ .

(٦) ينظر في تخطئة سالم بن عبد الله بن عمر و بعض السلف لنافع في هذا و ما يتعلّق بذلك من الروايات : تفسير الطبري: ٣/ ٧٥٢ و شرح معاني الآثار: ٣/ ٤١ و ما بعدها وتاريخ دمشق: ٦١/ ٤٣٨ و

لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ ﴾. وروى زيد بن أسلم عن عطاء بن يَسار (٢) : أنَّ رجلاً أصاب امرأته في دُبُرِها على عهد رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فأنكر النَّاسُ ذلك فأنْزَلَ الله ﴿ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ ﴾. ورُوي عن ابن أبي مُليكة أنه كان يجوِّز ذلك (٣) ، كما قال مالكٌ (٤) .

التحقيق لابن الجوزي: ٢/ ٢٨٠ و تلخيص الحبير: ٣/ ١٨٤ وتفسير القرطبي: ٣/ ٩٣ – ٩٦ و حاشية ابن القيم على سنن أبي داود : ٦/ ١٤٠ وتفسير ابن كثير: ١/ ٢٦٢- ٢٦٣ و تنقيح التحقيق: ٣/ ١٩٢ و فتح الباري: ٨/ ١٩٠ والدر المنثور: ١/ ٢٦٦

(١) أخرجه النسائي في الكبرى: في كتاب عشرة النساء: باب (٢٥) ٥/ ٣١٣ (ح ٨٩٨١) والطبري:٣/ ٧٥٣ والطبراني في الأوسط: برقم: (٦٢٩٨). كلهم من طريق سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر. و ينظر: العجاب: صـ ٣٨٤ و الرواية التالية.

(٢) تفسير الطبري: ٣/ ٧٥٤ و ينظر: أبو يعلى: (ح ١١٠٣) و شرح المشكل للطحاوي: ١٥/ ١٠ .

(٣)رواه الطبري: ٣/ ٧٥٣ و عزاه في الدر المنثور: ١/ ٢٦٦ إلى الطبري. و ينظر: معمر في جامعه: (٢٠٩٥٧) في آخر المصنف لتلميذه عبد الرزاق و البيهقي في شعب الإيمان: (٥٣٧٩).

(٤) قال الطبري: (...فمعلومٌ أنّ معنى قول الله تعالى ذكره: ﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ إنما هو فأتوا حرثكم من حيثُ شئتم من وجوه المأتى، وأنّ ما عدا ذلكَ من التأويلاتِ فليس للآية بتأويلٍ .وإذ كان ذلك هو الصحيح، فبيِّنٌ خطأُ قولِ منْ زَعَمَ أنّ قولـه: ﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾ دليل على إباحةِ إتيانِ النِّساء في الأدبارِ لأنّ الدُّبُرَ لا مُحترَثَ فيه)اهـ. ٣/ ٧٦١ .و قال الطحاوي: (ثم جاءت الآثار متواترةً بالنهي عن إتيان النساء في أدبارهنَّ)اهـ. ثم روى طائفة منها. شرح معاني الآثار: ٣/ ٤٣ ثمّ قال : (فلمّا تواترت هذه الآثارُ عن رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بالنهي عن وطء المرأة في دبرها ثم جاءَ عن أصحابه وعن تابعِيهم ما يوافق ذلك وجب القول به وترْك ما يخالِفُه)اهـ. ٣/ ٤٦ و قال الإمام الواحدي: (والآية لا تدل على جواز الإتيان في الموضع المكروه؛ لأنها نزلت تكذيباً لليهود، ونسخاً لشرعهم- إنْ صدقوا فيما ادعوا- أو إباحة للإتيان في القبل من أي وجه كان، ولأن الله تعالى ذكر لفظ الحرث والقبل محل النسل

قوله : ﴿ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡ ﴾ أي ما يبقَى لكُمْ عند الله من طاعةٍ حسنة ، وقيل أنْ يقول: بسم الله عند الجِماع عن ابن عباس (١) ، وقيل ابتغاءَ الولد الصالحِ .

قوله : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ ﴾ أي مُلاقوا الله ، وقيل: مُلاقوا ما قدَّمتموه لأنفسكم

.

والحرث لا الدبر، فعلم أن المراد بالآية إباحة الجماع إذا كان في الفرج على كل جهة، والأخبار شائعة في تحريم أدبار النساء)اهـ. البسيط: ٢/ ٧٩٢ .

و قال الذهبي: (قلت وقد جاءت رواية أخرى عنه – عن نافع – بتحريم أدبارِ النّساء وما جاء عنه بالرُّخصة فلو صحَّ لما كان صريحا بل يحتملُ أنه أراد بدُبُرها من ورائها في القُبُلِ وقد أوضحنا المسألة في مصنَّفٍ مفيد لا يطالعه عالمٌ إلا ويقطع بتحريم ذلك)اهـ. سير النبلاء: ٥/ ١٠٠ .

و قال القرطبي : (و هذا هو الصحيح في المسألة و الحقّ المتبع)٣/ ٩٥ . وينظر في الأحاديث الواردة في النهي عن إتيان النساء في أدبارهنّ وتخريجها في المصادر الآتية: شرح معاني الآثار: ٣/ ٤٠ و ما بعدها و أحكام القرآن للجصاص: ٢/ ١٣٩ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٦٢ و أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ٢٣٨ وتاريخ دمشق: ٦١/ ٤٣٨ والتحقيق لابن الجوزي: ٢/ ٢٨٠ والمحلى: ١٠/ ٧٠ و المغني: ٧/ ٢٢٥ وتفسير القرطبي: ٣/ ٩٣ – ٩٦ و حاشية ابن القيم على سنن أبي داود : ٦/ ١٤٠ و فيه التطويل بالانتصار للقول بالتحريم وتفسير ابن كثير: ١/ ٢٦٢– ٢٦٣ و تنقيح التحقيق: ٣/ ١٩٢ و تلخيص الحبير: ٣/ ١٨٠ – ١٨٤ وفتح الباري: ٨/ ١٩٠ والعجاب: صـ ٣٧٦– ٣٨٦ والدر المنثور: ١/ ٢٦٦ و نيل الأوطار: ٦/ ٣٥٤ و أضواء البيان: ١/ ٩٢ و فيهما الانتصارُ للقولِ بالتحريم بإسهاب. ولا دليل في الآية على إباحة الإتيانِ في الموضع المكروه وأمّا المرويّ عن ابن عمر فتقدّم ذكر إنكار ابنه سالم أحد الفقهاء السبعة له و ثبت عن غيره القول بالنهي عنه و هو الصحيح، والمسألة طويلةٌ صنف في التدليل على حرمتها بعض العلماء تصانيف مفردة منهم ابن الجوزي– و قد ذكر هو كتابه في ذلك في التحقيق و ذكره القرطبي و أبو حيان. كما صنف فيها بعض شيوخ القرطبي ذكره القرطبي، و ذكر اسم كتابه .

(١)تفسير الطبري: ٣/ ٧٦٢ من طريق محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن عطاءٍ قال: أراه عن ابن عباس. و ذكره ابن كثير: ١/ ٣٨٩ نقلا عن الطبري.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقيل ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أراد به العزل عن ابن المسيّب (١) .

قال مِقسَمٌ (٢) : قلتُ لابن عباس كيف ترى في العَزْلِ فقال: إنْ كان النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قال فيه شيئاً فهو كما قال و إلّا فإني أقولُ فيه برأيي ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ...) الآية.

وروى قتادة عن أبي الدَّرداء (٣) : أنه سُئل عن إتيان النساء في أدبارهنَّ؟ فقال هل يفعلُ ذلك إلا كافرٌ. قوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ﴾ [الآية ٢٢٤] قيل ﴿لَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً﴾ يعني عِلَّةً و مانعاً عن البرِّ و الصِّلة إذا سُئل شيئاً أو طُلِب منه خيرٌ قال: عليَّ يمينٌ بالله أنْ لا أفعلَ ذلك فنهاهُم عن ذلك عن ابن عباس (٤) و ابن جُبير (٥) وقتادة (١) و طاوُوس (٢)

---

(١)أخرجه ابن أبي شيبة: ٤/ ٢٣٢ و الطبري: ٣/ ٧٥٤

(٢) لم أجده عن مِقسم و لا ذكره السيوطي في الدر: ١/ ٢٦٧ من رواية مقسم و لكني وجدته بلفظه من رواية أبي إسحاق السبيعي عن زائدة بن عمير قال قلت لابن عباس .. فذكره سواء. رواه ابن أبي شيبة: ٤/ ٢٩٩ و الطبري: ٣/ ٧٥٤ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٤٠٥(٢١٣٦) والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٣/ ٤١ و الطبراني في الكبير: ١٢/ ١٢٥ والأوسط: (١١٧١) و الضياء في المختارة: ١٠/ ١٣٥ .قال الهيثمي: (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح خلا زائدةَ بن عُمير وهو ثقة)اهـ : مجمع الزوائد: ٤/ ٢٩٧

(٣) معمر في جامعه:(٢٠٩٥٧) في آخر المصنف لتلميذه عبد الرزاق و الطبري: ٣/ ٧٥٣ والبيهقي في شعب الإيمان: (٥٣٧٩). ورواه قتادة عن عقبة بن وساج عن أبي الدرداء: أخرجه: أحمد: ١١/ ٥٥٤ و ابن أبي شيبة: ٤/ ٢٥٢ و البيهقي في الكبرى: ٧/ ١٩٩

(٤) تفسير الطبري: ٤/ ٦ و سنده فيه: السدّي عمن حدثه عن ابن عباس. و نسبه في الدر: ١/ ٢٦٨ للطبري و عبد بن حميد. و ينظر الروايات الآتية عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٥) تفسير الطبري: ٤/ ٦ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٤٠٩ (٢١٥٦).

وعطاء (٣) و الضحّاك (٤) . وقال الفراء (٥) : لا تجعلوا الله مُعترِضاً مانعاً لكم من البرّ و صِلَةِ الرَّحِم .

وقال أبو عبيدة (٦) : يعني أنّكم تعترضونها في كل شيءٍ فتحلِفُونَ به لتجعلوا ذلك حُجَّة لكم .و معناه لا تجعلني عِلَّةً بيمينك في ترْك الخيرِ ولكن {كفِّر} (٧) عن يمينك واصنعِ الخيرَ .

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهمْ في اليمينِ وغيره ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم في البرِّ و تركِهِ .

وقيل حلَفُوا على الأرْحام فقطعُوها وعلى حلال فحرَّمُوه على أنفسِهم فنزَلَت الآية (٨)

وقيل نزَلت الآية في أبي بكْر (٩) الصِّديق حين حلَفَ أنْ لا يصِلَ ابنَهُ عبدَ الرّحمن حتى يُسلِم (١٠) .

---

(١) تفسير الطبري: ٤/ ٦

(٢)تفسير عبد الرزاق: ١/ ٩٢ ومصنفه: (١٦٠٤٨) وتفسير الطبري: ٤/ ٥

(٣)تفسير الطبري: ٤/ ٧

(٤)تفسير الطبري: ٤/ ٧ و زاد في الدر: ١/ ٢٧٠ عزوه لابن المنذر.

(٥) معاني القرآن: ١/ ١١٠

(٦) لم أجدهُ في مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٧٣ و فيه ((عرضةً)): نصَباً. و ينظر: الغريبين لأبي عبيد الهروي: (عرض) ٤/ ١٢٥٢ و مما جاء فيه: أي تَحُولُون به بينكم و بين ما يقرِّبكم إلى الله أن تبرُّوا و تتّقوا. و البسيط: ٢/ ٧٩٤ و تاج العروس(عرض).

(٧) زدتها لأنّ السِّياق يقتضيها و ليست في الأصل.

(٨) لم أره بهذا اللفظ . لكن معناه صحيح تؤيِّده قصة الصديق الآتية.

(٩) في النسخة (الأصل) : ابنِ. و هو خطأ.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ١١٦ و عنه العجاب: صـ ٣٨٧ و ذكر الثعلبي مثله عن مقاتل بن حيان: ٢/ ١٦٣

و قيل نزلت فيه حين {حلف} (١) أنْ لا يُحسِن إلى مِسطَحِ في حديث الإفكِ عن ابن جُريج (٢) .

وقيل نزَلت في عبد الله ابن رَواحةَ الأنصاري تنهاه عن قطيعة خَتَنِهِ بِشير بن النّعمان الأنصاريّ ، وذلك أنَّ ابنَ رواحة حلَف أنْ لا يدخل عليه ولا يكلّمه ولا يصلح بينه وبين خصمِهِ وجعل يقولُ قد حلفتُ بالله أنْ لا أفعل فلا يحلُّ لي أنْ أصلهُ و أُحسِنَ إليه (٣) .

وقيل : العُرْضة في كلام العرب القوّة و الشدة يقال هذا الأمر عُرضة لك أي قوة على أسبابك (٤) . ومعنى الآية لا تجعلُوا الله قوّةً في أنْ لا تبرُّوا و لا تتّقوا و لكنْ إذا حلَفَ أحدُكم على شيء ثم رأى غيرَهُ خيراً منهُ فليأتِ الذي هو خيرٌ و يكفّر (٥) عن يمينه .

وقيل عُرضة أي عِلَّةً تحلفون به في كُلِّ حقٍّ و باطلٍ عن عائشة رضي الله عنها (٦) .

قال الزجاج (٧) : موضع أنْ تبرُّوا نصبٌ بمعنى عُرضةٌ المعنى: لا تعترضوا باليمين بالله في أنْ تبرُّوا فلما سقطت (في) أفضى معنى الاعتراض فنصبَ(أن تبروا).

قال الزجاج (٨) : وقال غير واحد من النحويين:(أنْ) بوضعها يجوزُ أن تكونُ خفضاً وإنْ سقطت في لأنَّ (أنْ) الحذفُ معها مستعْمَلٌ، تقول جئتَ لأنْ تضربَ زيداً ، { و جئت أنْ

---

(١) سقطت من (الأصل) .

(٢)تفسير الطبري: ٤/ ١٠ و الدر: ٢٦٨ و عزاه للطبري.

(٣) هذا قول الكلبي: ذكره بلا سند : الثّعلبي: ٢/ ١٦٣ و أسباب النزول للواحدي: ١/ ١٩٤والوسيط: ١/ ٣٣٠

(٤) تفسير الطبري: ٤/ ١١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٦٣ و الوسيط: ١/ ٣٣٠

(٥) في الأصل: كفر.

(٦) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٤٠٦ (٢١٤٢)والروايات الآتية عن عائشة رضي الله عنها.

(٧) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٥٦ مع اختلافٍ يسير.

(٨) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٥٦ مع اختلاف يسير .

تضربَ زيداً } (١) ، فتحذِفَ اللّام مع أنْ لأنّ (أنْ) إذا وُصِلت دلّ ما بعدها على الاستقبال و المُضيّ نحو جئتك أنْ ضَربتَ زيداً و جئتك أنْ تَضرِبَ زيداً فلذلك جاز حذف الَّلام (٢) .

و النصب في (أنْ) في هذا الموضع الاختيارُ عند جميع النّحويين (٣) ويجوز أ نْ يُجعَلَ موضع (أنْ) مرفوعاً بإضمار الكناية، ويكونُ المعنى: أنْ تبرُّوا و تتقوا وتُصلحوا أَولى أي: البرّ

---

(١) سقطت من الأصل. و استدركتها من كتاب الزجاج لأنّ المعنى لا يصحّ بدونها.

(٢) تتمّة الكلام في كتاب الزجاج: { و إذا قلتَ : جئتك ضرب زيدٍ لم يدلّ الضرب على معنى الاستقبال}اهـ. و مراد الزجاج من هذا كلّه أن يبيّن أنّ موضع (أن) المصدرية الإعرابي يجوز أن يكون مجرورا حتى و إن سقط حرف الجرّ قبلها ثم استرسل في بيان أنّ اللام قد تحذف . و عبارة غيره من النحاة أوضح من عبارته . و أن المصدرية الداخلة على الفعل تؤوّل مع ما بعدها بمصدر يكون في موضع نصب أو رفع أو خفضٍ سواء كان ماضيا أو مستقبلا أو أمراً . بيان ذلك بالأمثلة في محلّه من كتب النحو لا أطيل بذكره. و سيتعرَّض المصنف لاختلاف النحاة في إعراب (أن تبروا) و في بيانه للتقدير المختلف فيه بينهم ما يجلّي المراد . ينظر: الأزهية للهروي: صـ ٥١ والأمالي لابن الشجري: ٣/ ١٥٢ و مغني اللبيب: ١/ ٢٥ .

(٣) في قوله : (أن تبروا) أوجه من الإعراب و قد اشتهر الاختلاف عندهم في إعرابها و المصنف اقتصر على قول منها ذكره الزجاج:١/ ٢٥٦ و به قال التبريزي كما في البحر: ١/ ١٧٦ و الدر المصون: ١/ ٥٤٦ . وهي على هذا القول الذي جوّزه الزجاج مكونة من مبتدأ وخبرٍ محذوف.ويضعُف هذا القول لأنه -كما قالوا- يؤدي إلى انقطاع (أن تبروا) عمّا قبله . و لكن جوَّزه أيضا ابن النحاس في إعراب القرآن : ١/ ٣١٢ و أرجح الأقوال في إعرابها قول الجمهور أنها في محلّ نصب على أنها مفعولٌ لأجله ثمّ اختلفوا في التقدير: فقيل كراهة أن تبروا و قيل لئلا تبروا و قيل إرادة أن تبروا ؛و جوز ابن النحاس أن يكون: (أن تبروا) في محلّ رفع و نصبٍ وجرٍّ ثم بيّنها و أمّا الزجاج فعاد وبيّن أنه يختار قول النحويين في جعلهم (أن) في محلّ نصب و جرّ قال : (لأنه جيد و لأنّ الاتباع أحب و إن كان غيره جائزا)اهـ و به يعلم أن نسبة القول الأول بالرفع إلى الزجاج بلا تفصيل وهم تردد في البحر و الدر و غيرهما : إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣١١- ٣١٢ و ينظر : بقية الأوجه الإعرابية فيها في : معاني القرآن للأخفش: صـ ٢٩١ وكشف المشكلات: ١/ ١٦٢ تفسير

و التُّقى أولى فيكونُ أولى محذوفاً لأنّ في الكلام دليلاً عليه، و مثله في القرآن ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد:الآية٢١] أيْ طاعة وقول معروف أمثلُ .

وقيل كان الرجل منهم يريد الصّلْح بين اثنين فيُغضِبُهُ أحدهما فيحلفُ أنْ لا يُصلح بينهما فنهاهُم عن ذلك .

قوله : ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ [الآية: ٢٢٥] اللّغوُ الكلام و أكثرُ الفقهاء على أنه أنْ يحلف على يمين يُرى أنه كذلك وعليه أكبر رأيِهِ فإذا هو بخلافِهِ فهذا ما لا كفّارة { فيه } (١) ، و لا يؤاخذُ الله به ، عن أبي هريرة (٢) وابن عباس (٣) و الحسن (٤) و مجاهد (٥) و السدي (٦) و الربيع (٧). وبعضهم رأى ترك المؤاخذة به بإسقاطِ العقوبة، وقيل اللّغو قوله : لا والله ، بلى و الله عن ابن عباس (٨) وعائشة (٩) و الشعبي (١) . وقال عليٌّ رضي الله عنه (٢) : هو اليمين في الغضب .

القرطبي: ٣/ ٩٨ و التبيان للعكبري: ١/ ١٧٩ والبحر: ٢/ ١٧٧ و الدر المصون: ١/ ٥٤٧

(١)سقطت من الأصل.

(٢)تفسير الطبري: ٤/ ١٩ وعزاه السيوطي في الدر المنثور١/ ٢٦٩ إلى الطبري.

(٣) تفسير الطبري: ٤/ ٢٠ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٢٦٩ إلى الطبري.

(٤) تفسير الطبري: ٤/ ٢٠- ٢١ وأخرجه البيهقي في الكبرى ١٠/ ٥٠.

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ٩١، وفي مصنفه (١٥٩٥٣) والطبري: ٤/ ٢١-٢٢ وأخرجه البيهقي في الكبرى ١٠/ ٥٠.

(٦) تفسير الطبري: ٤/ ٢٤ وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٤٠٩ عقب الأثر (٢١٥٤).

(٧) تفسير الطبري: ٤/ ٢٤ وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٤٠٩ عقب الأثر (٢١٥٤).

(٨) أخرجه سعيد ابن منصور في سننه (٧٨٣- تفسير) والطبري: ٤/ ١٤.

(٩) له عن عائشه رضي الله عنها طرق كثيرة منها: ما أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٤٧٧ وعبد الرزاق في

وقيل اللَّغْوُ الإثمُ (٣) و تفسيرُهُ: لا يؤاخذكم الله بالإثم في الحلِفِ إذا كَفَّرتم ، و إنما قيل لـه لغوٌ لأنَّ الإثم يسقطُ فيه إذا وَقعَت الكفارةُ، ولكن يؤاخذكم بما كسَبت قلوبُكم بعزمكم أنْ لا تبرُّوا و لا تتقوا و أنْ تعتلُّوا في ذلك بأنكم حلَفتم .

يقال لَغَوتْ أَلْغُو و أَلغَ مثلُ مَحَوتُ أَمْحُو و أَمحَا (٤) .

وقيل اللّغو في اليمين مثلِ قولِ الرّجل أعمى الله بصري أو أنا مُشرِكٌ إنْ لمْ أفعل كذا.

قوله : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ﴾ [الآية: ٢٢٦] أي يحلِفُون يقال آلَيتُ أولِي إيلاءً وأَلِيَّةً و أَلْوَةً و أُلْوَّةً و إلْوَةً ،و هي بالكسرِ أَولَى الُّلغات قاله الزجّاج (٥) .

يقال آلَى من امرأته إذا حلفَ لا يقربَها و كان هذا طلاقاً في الجاهلية.

قال الزجاج (٦) كان الرجل لا يُريدُ المرأةَ ولا يُحبّ أن يتزوّجها غيره فَيُولي منها فيذرها مُعلقةً لا أيِّماً ولا ذاتَ زوجٍ يَقصِدُ الإضرار بها، فنهوا عنها، و جُعِلَ مُدَّة مكثها أربعة أشهر فإذا

تفسيره ١/ ٩٠، وفي مصنفه (١٥٩٥٢، ١٥٩٥١) والبخاري في صحيحه (ح٦٦٦٣) والنسائي في الكبرى (١١١٤٩) والطبري: ٤/ ١٤، ١٥، ١٦، ١٨ وابن أبي حاتم: ٢ / ٤٠٨، ٤٠٩(٢١٥٢، ٢١٥٥).

(١) سعيد بن منصور في سننه (٧٧٩، تفسير) والطبري في تفسيره : ٤/ ١٧ .

(٢) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٦٥ و الوسيط: ١/ ٣٣١ .و به قال ابن عباس في رواية و طاووس : الطبري: ٤/ ٢٦ و الثعلبي: ٢/ ١٦٥ و الوسيط: ١/ ٣٣١

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٥٦ و لسان العرب: (لغا).

(٤) لسان العرب و تاج العروس: (لغا). و تهذيب اللغة: (محا) و لسان العرب: (محا) وفي كتاب العين للخليل : ٣/ ٣١٤: (تقول : أَنا أَمْحُوه و أَمْحاه، وطيِّء تقول مَحَيْتُه مَحْياً ومَحْواً)اهـ. وعنه نقل صاحب تهذيب اللغة واللسان(محا).

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٥٨ مع نقص عما هنا. و ينظر: الطبري: ٤/ ٤٢ (ألا) من لسان العرب و الثعلبي: ٢/ ١٦٨ و البحر: ٢/ ١٧٥ و الدر المصون: ١/ ٥٥١

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٥٨

انقضى (فإن فَاءَ) أي رجع إلى الجماع و إلا أُجبر على الطلاق و عند قومٍ تطلق ويحملون قوله : ﴿ سَمِيعٌ ﴾ أي بحلفكم ، ومن قال يُجبرُ على الطَّلاق ولا تطلُق يقول ﴿ سَمِيعٌ ﴾ للطَّلاق فيجب أن يكون مسموعاً (١) . و التربُّصُ التمكُّثُ و التوقّفُ و التثبّتُ و زعم بعضهم أَنَّهُ من المقلوب و أَنَّهُ التصبُّرُ (٢) . ﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ ﴾ [الآية ٢٢٧] قيل حَقَّقوا الطّلاق ، قال الفراء (٣) : لو قيلَ تَرَبُّصُ أربعةَ أشهر لكان وجهاً كقوله : ﴿ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ (٤) [البلد:آية ١٤] ولو قيل تَرَبُّصٌ أربعةُ أشهر كان صواباً بأن تَجعل التربص هو الأربعة ومثله (فشهادة أحدهم أربعُ) (و أربعَ شهادات). يقال آلَيْتُ منها و آلَيْتُ عنها و آليت عليها واحدٌ.

قوله : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [الآية ٢٢٨] واحدها قَرْءٌ كما يقال فَرْعٌ (٥) .

وقد اختلفوا فيه (١) فمنهم من قال : القُرْءُ في الُّلغةِ الوقتُ بمجيء الشيء و ذهابِهِ يقال قارىء الريح لوقتِ هبوبها (٢) ، و أَقْرأتِ المرأة إذا جاء وقتُ طُهرها و حيضِها ومن ههنا اختلفوا في الأقراءِ وهل هي الأطْهار أو الحيض ؟ .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٥٨

(٢) لسان العرب: (ربص) وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٦٨ و فيه زعم بعضهم أنه من المقلوب...

(٣) يعني بالنصب في (أربعة) : معاني القرآن: ١/ ١١١

(٤) هكذا في الأصل ؟ و الشاهد نصب قوله: (يتيماً ذا مقربة) بـ(إطعام)و قد ذكر الفراء الآية التي بعدها و لا بدّ من ذكرها لأنّ الشاهد فيها.

(٥)معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٦٠ و في معاني القرآن للأخفش (قرعٌ)صـ ١٢٦ .و لا دخل للمعنى في ذلك و إنما هو مثال لبيان وزن القرء و توضيح صفة النطق به. قال في القاموس المحيط: (والقَرْءُ ويُضَمُّ يُطلَق على : الحَيْض والطُّهْر وهو ضِدٌّ)اهـ. و ينظر: مجمل اللغة لابن فارس ولسان العرب : (قرأ).

قال الأصمعي [٣] : القرءُ الحيض و أقرأتِ المرأة أي حاضت، وبه قال الكسائي و الفراء [٤]وهو قول علي [٥] وابن عباس [٦] وابن مسعود [٧] والحسن [٨] وبه قال الأخفش[٩] وعن عائشة

---

(١) الاختلاف بين علماء الأمة من لدن الصحابة في تفسِير القرْء هنا منتشر مشهور فمنهم من يقول هو الطُّهر و منهم من يقول هو الحيض، و هو من الأضداد ،قال الإمام ابن عبد البر(لم يختلف أهل اللغة و العلم بلسان العرب أنّ القرء يكون في اللسان العربي حيضة ، ويكون طهراً)اهـ. الاستذكار: ٦/ ١٤٥ . وكذلك حكى الإمام النّسفي صاحب التيسير في التفسير –مخطوط تقدّم النقل منه مراراً –أنّ أهل اللغة أجمعوا على أنّ اللفظ صالحٌ لهما (ج١/ صـ ١٧٥).و قد بسَطُوا الخلاف فيها في شروح الحديث، و في مطولات كتب التفسير، وفي كثير من كتب اللغة و غيرها. فينظر مع كلام المصنِّف : تفسير الطّبري: ٤/ ٨٧ – ١٠٤ و التمهيد لابن عبد البر: ١٥/ ٨٨ و الاستذكار: ٦/ ١٤٥ و ما ستأتي الإشارة إليه من المصادر.

(٢) قال الأزهري: (من جعل الأقراء حيضاً ذهبَ بها إلى الوقت يقال هبَّت الريح لقُرْئها وقارئها أيْ لوقت مهبِّها فجعل القرء حيضا لأنّه يجيء لوقته)اهـ. الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: صـ ٢٢٢ و ينظر: الطبري: ٤/ ١٠١ و معاني القرآن للزجاج: ١/ ٢٦١ و الأضداد لابن الأنباري: ص٢٨ مع ما سيرد من المصادر اللغوية قريبا.

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٦٠ و الأضداد: صـ ٢٧ رقم(٨) و لسان العرب: (قرأ).

(٤) قول الكسائي و الفراء في كثير من كتب اللغة كتهذيب اللغة و لسان العرب و قد حكاه عنهما الزجاج: ١/ ٢٦٠ و ابن الأنباري: الأضداد: صـ ٣٠

(٥) تفسير عبد الرزاق: (١٠٩٨٣، ١٠٩٨٤) ٦/ ٣١٥ و ابن أبي شيبة: ٥/ ١٩٣ وتفسير الطّبري: ٤/ ٩٤، ٩٥ و البيهقي: ٧/ ٤١٧

(٦) تفسير الطّبري: ٤/ ٨٨ و البيهقي: ٧/ ٤١٧

(٧) المصنف لعبد الرزاق: (ح ١٠٩٨٧ ، ١٠٩٨٨ ، ١٠٩٩٠) و ابن أبي شيبة: ٥/ ١٩٢ و تفسير الطّبري: ٤/ ٩٠ و ٩٢ و ٩٤ و البيهقي: ٧/ ٤١٧

(٨) رواه الحسن عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : مصنف عبد الرزاق: (١٠٩٩٤)٦/ ٣١٧ وتفسير الطّبري: ٤/ ٩٠ و البيهقي: ٧/ ٤١٧

(٩) معاني القرآن له: صـ ١٢٦

رضي الله تعالى عنها أنها قالت: الأقراءُ الأطهار (١) . و به قال زيد بن ثابت (٢) رضي الله عنه وابن عمر رضي الله عنهما (٣) و قول القائل :

لما ضاعَ فيها من قُروءِ نسائكا(٤)

يعني الأطهار لا الحيض ههنا. وقيل هو حبس الدّم و اجتماعها في الرّحم من قولهم قَريتُ الماء في الحوض ، والمِقراةُ و المِقرى الإناء (٥) الذي يُقرَى فيه الضيف، و قرأتَ القرآن لَفظتَ {به } (٦) مجموعاً ، ومنهم من يقول القُرْءُ من الأضداد يصلح للحيض و الطُّهر وقوله ﷺ (دعي الصلاة أيام أقرائك) (٧) صريحٌ في أنَّ المراد به حيضٌ ، وفي خبر آخر (١) (إذا أتى قُرؤكِ) فلا تُصلِّي يقول لفاطمة لما سألته يعني المستحاضة.

---

(١) الموطأ: ٢/ ٥٧٦، ٥٧٧ وسعيد بن منصور: في سننه(١٢٣١) و تفسير الطّبري: ٣/ ٩٥، ٩٦ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٤١٤

(٢) الموطأ: ٢/ ٥٧٧ والمصنف لعبد الرزاق: (١١٠٠٣ ، ١١٠٠٦، ١١٠٠٨) وابن أبي شيبة ٥/ ١٩٢ و تفسير الطّبري: ٤/ ٩٧ ، ٩٨

(٣)الموطأ: ٢/ ٥٧٨ و المصنف لعبد الرزاق: (١١٠٠٦) وابن أبي شيبة: ٥/ ١٩٢ و تفسير الطّبري: ٤/ ٩٨ و ٩٩ والبيهقي: ٧/ ٤١٥

(٤) شطر بيت للأعشى في ديوانه: صـ ٦٧ و هو في كثير من المصادر: منها: الأضداد: صـ ٣٠ لابن الأنباري و تفسير الطّبري: ٤/ ١٠٢ و معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٦٠. وأوله: مورِّثةٍ مالا و في الحي رفعةٍ. ويروى في الأصل رفعة و في الذكر رفعة.

(٥) تكرر في الأصل كلمة : الإناء. خطأ.

(٦) زدتها و ليست في الأصل ليستقيم الكلام.

(٧) أخرجه بهذا اللفظ الدار قطني : ١/ ٢١٧ : كتاب الحيض(حديث ٥٦) والطحاوي في شرح معاني الآثار(١/ ١٠٠ / ١٠١)عن فاطمة بنت أبي حُبَيش قالت يا رسول الله:(إني امرأةٌ أُستحاضُ فلا أطهرُ قال: دعي الصلاة أيام أقرائِكِ ثم اغتسلي وصلِّي). وينظر في تخريج ألفاظ هذه الأحاديث : خلاصة البدر المنير: ١/ ٨٢ وتخريج أحاديث الكشاف للزيلعي: ١/ ١٤١ وتلخيص الحبير: ١/ ٤٣٤ – ٤٣٧ و الفتح السماوي: ١/ ٢٧١ .

و قوله : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ أي يتوقَّفن في التزوُّج بزوجٍ آخر حتى يمضي بها ثلاثة قُروءٍ. ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾ قيل الولد يُلحِقْنَه (٢) بغير الأب ، وقيل يتزوَّجنَ في حال الحَبَل ، وقيل أراد به الحيض أي لا يكذِبْن في الحيض مثل أنْ يقصِدَ الرجل مُراجعتها فتقولُ قد حِضْتُ الثالثة (٣) .

و قوله : ﴿ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ تخويفٌ كما تقول إن كنتَ مؤمناً فلا تظلِم، و المعنى إنْ كنتَ مؤمناً فينبغي أن يزجُرك إيمانك عن هذا الظُّلم ، وقيل نهاهنَّ عن كتمان الولد والحيضِ لِما فيه من الإضرار بالزَّوج أمَّا الحيضُ فَلِأجلِ الرجعةِ و أمَّا الولد فَلِتحصينِ ماءِ الرَّجل .

﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ في الرَّجعةِ ظاهر الآية يقتضِي ثبوتَ الرَّجعة على جميع المطلقات حامِلاً كانت أو حائلاً إلا من خصَّ منه الدّليل . وقيل أراد به في المواضع التي ثبت له الرجعة .

والبُعُولةُ جمع بَعلٍ كالفحولةِ و الذُّكورة والخُؤولةِ، و الهاء فيه تأكيد لتأنيثِ الجمع ، وسُمِّي الزوج بَعلاً لقيامه بأمر زوجته، ولا يُقاس على هذا فيما لم يُسمع بإدخال الهاء فيه وإنما يُلحَق الهاء في هذه الجموع سماعاً (٤). وإنّما أباح الرَّجعة بشرط قصد الإصلاح في أمر النِّساء .

---

(١)ينظر الحاشية السابقة .

(٢) في الأصل: يلحقن.

(٣) الطبري: ٤/ ١٠٥ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٧١ و القرطبي: ٣/ ١١٨

(٤) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٦٢ والطبري: ٤/ ١١٥ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٧٢ و التفسير الكبير للرازي: ٦/ ٨٠ ولسان العرب: (بعل).

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي يشتركان في الَّلذة و يختصُّ الرجل بالفضيلة ،وقيل هذا في المعاشرة و الخلطةِ و حُسنِ الخُلق (١) .

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ في الفضل (٢) ، وقيل لِمَا ساق إليها من المهر و التزام النفقة و الدية والميراث و الإمارة و غير ذلك .

﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ مليك له الأمر و النّهي يأمرُ بما يشاء، ﴿حَكِيمٌ ﴾ حَكَمَ بما ذكرنا في أمرِ الطلاق.

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ قال الزجاج (٣) : يُقال طَلَقت المرأةُ و طَلُقَت، وفهِم بعضُ الناس أن تاء التأنيث حُذِفت من طالقة لأنه للمؤنَّث لا حظّ للمذكَّر فيه، وهذا القول ليس بشيء لأنَّ في الكلام أشياء كثيرة يشترِك فيه المذكر ولا يُثبتُ فيه الهاء في المؤنث نحو قولهم بعيرٌ ضامرٌ وناقةٌ

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٦٣ والطبري: ٤/ ١١٩ - ١٢٤ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٧٢ والمحرر: ١/ ٣٠٥

(٢) قال ابن عطية: (قال ابن عباس: تلك الدرجة إشارة إلى حضِّ الرجال على حسن العشرة والتوسع للنِّساء في المال والخلق أي إنَّ الأفضل ينبغي أنْ يتحامَلَ على نفسه وهذا قول حسنٌ بارع)اهـ. المحرر: ١/ ٣٠٦ قلت و لفظ الرواية عن ابن عباس: (ما أحبُّ أنْ أَستنظِفَ جميع حقِّي عليها لأنّ الله تعالى ذكره يقول (وللرجال عليهنّ درجة)اهـ. وأَستنظِفَ يعني أستوفي

(تاج العروس: (نظف) و في لسان العرب: (نظف): (استنظفت الشيء أَي أَخذته نظيفاً كلّه) و قد رجح قول ابن عباس الطبري أيضا: ٤/ ١٢٣- ١٢٤ فقال: (وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله ابن عباس وهو أنّ الدرجة التي ذَكَر الله تعالى ذِكْرُهُ في هذا الموضعُ الصَّفح من الرَّجل لامرأته عن بعضِ الواجب عليها وإغضاؤه لها عنه وأداءُ كلِّ الواجب لها عليه ...)اهـ.

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٥٨ . و في لسان العرب: (طلق): (عن ابن الأَعرابي: طَلُقت من الطلاق أَجود، و طَلَقَت بفتح اللام جائز، ومن الطَّلْق طُلِقَت، وكلهم يقول: امرأَة طالِق بغير هاء)اهـ..

ضامرٌ ، وزعم سيبويه و أصحابه أنَّ هذا واقع على لفظ التذكير و صيغتُهُ للمؤنث لأنَّ المعنى شيء طالق، وحقيقته عندهم أنه على جهة السبب نحو قولهم امرأةٌ مِذكارٌ و رجلٌ مِذكارٌ وامرأةٌ مئناثٌ و رجل مئناثٌ (١) ، و إنما معناه ذاتُ ذُكرانٍ وذاتُ إناثٍ،وكذلك مُطفِلٌ ذاتُ طِفلٍ فكذلك طالق معناه ذات طلاق، فإذا أجريته على الفعل قُلتَ طالقة (٢) . قال الأعشى (٣) : أجارتنا بيني فإنّك طالقةٌ

وقيل نزلت الآية في رجل من أهل الطائف يقال له مالك بن الأَشرَفِ (٤) طلَّقَ امرأته وهي حُبلى ولم يكن له عِلمٌ بحَبلها و لم تخبره المرأة بذلك، و كان طلّقها ثلاثاً فنزلت الآية (٥)

---

(١)المئْناثُ التي تَلِدُ الإناثَ كثيراً كالمِذْكارِ التي تَلِدُ الذكور ، و الرجل و المرأة يستويان في مِفْعال (لسان العرب و تاج العروس : أن ث).

(٢) الصفات المختصة بالإناث مستغنية عن التاء مثل : حائض و طامث و مرضع : ينظر مثلا: شرح الكافية: ٤/ ١٧٣٧ .و في هذه المسألة اختلاف، لخَّصه أبو البركات ابن الأنباري فقال : (ذهب الكوفيون إلى أنَّ علامة التأنيث إنما حُذِفت من نحو طالق وطامث وحائض وحامل لاختصاص المؤنَّث به، وذهب البصريون إلى أنه إنما حُذفت منه علامة التأنيث لأنهم قصدوا به النَّسب ولم يجروه على الفعل، وذهب بعضهم إلى أنهم إنما حذفوا علامة التأنيث منه لأنهم حملوه على المعنى كأنهم قالوا شيء حائض)اهـ. الإنصاف: ٢/ ٧٨٥ و ينظر: شرح الكافية لابن مالك: ٤/ ١٧٣٧ وشرح الرّضي على كافية ابن الحاجب: ٢/ ١٥٤

(٣) للأعشى يخاطب زوجته: و بعده: كَذَاكِ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وَ طَارِقَه. معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٥٩ و الأغاني: (٩/ ١٣٤) في أخبار الأعشى و لسان العرب: (جور).

(٤)في الثعلبي و العجاب –عن مقاتل أنه رجل من أهل الطائف وفي العجاب: صـ ٣٩٥مالك بن الأشتر. و في الثّعلبي: ٢/ ١٦٩ الأشدق .و التصحيف في هذا ممكن و لم أجد ترجمة لصاحبي من أهل الطائف يقال له هذا سواء قيل الأشتر أو الأشدق .

(٥) نقله الثعلبي : ٢/ ١٦٩ عن مقاتل و نقله عن الثعلبي الحافظ ابن حجر: العجاب: صـ ٣٩٥ وينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١/ ١١٨

وكان الرّجعة في ابتداء الإسلام على المطلقة ثلاثاً ثُم نُسخَت ، وقيل نُسِخَ من الآية المطلَّقة التي يَدخل بها الزوج و الحُبلى (١) . قوله : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ ﴾[الآية:٢٢٩] الطّلاق رفعٌ بالابتداء و مرَّتان الخبر، ومعناه الطّلاق الذي يملك فيه الرجعة مرتان (٢) يدل عليه قوله : ﴿ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ ﴾ المعنى فالواجبُ عليكم إمساك بمعروف ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ ﴾ ولو كان في الكلام فإمساكاً بمعروف بالنّصب لكانَ جائزاً على معناه أمسكوهنَّ إمساكاً (٣) ، و قوله : ﴿ بِمَعۡرُوفٍ ﴾ إنّما يُعرَف من إقامة الحقّ (٤) .

وروي أنَّ رجلاً قال: الطّلاق مرتان فأين الثالثة ؟ فقال رسول الله ﷺ فإمساكٌ بمعروف أو تسريح بإحسان (٥) الثالثة (٦) .

---

(١) الناسخ و المنسوخ لابن النحاس: صـ ٢٢٣ و الناسخ و المنسوخ لابن الجوزي: صـ ٨٧ والصحيح في مثل هذا أنه ليس بنسخٍ و إنما هو ابتداء شرعٍ لحكم كما بينه ابن الجوزي: صـ ٢٤ . في شروط النسخ.

(٢)معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٦٣ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٦٤ و كشف المشكلات: ١/ ١٦٥ و البيان: ١/ ٢٣٨ و البحر: ٢/ ١٩٢

(٣) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٦٣

(٤) في معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٦٣ : (بما يعرف من إقامة الحقّ في إمساك المرأة)اهـ. وينظر: الطبري: ٤/ ١٣٤ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٧٤

(٥) هنا كلمة غير واضحة في الأصل وسياق الحديث بين من الروايات ينظر تخريجه.

(٦)جاء مرسلا من حديث أبي رَزِين الأسدِيّ : قال: قال رجل: يا رسول الله أرأيتَ قول الله عز وجل ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ﴾ فأين الثالثة ؟ قال : التسريح بإحسان الثالثة) اهـ. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: (٦/ ٣٣٧ – ٣٣٨) و تفسيره : ١/ ٩٣ وسعيد بن منصور: (١٤٥٦ ، ١٤٥٧) و ابن أبي شيبة: ٥/ ٢٥٩ ، ٢٦٠ و الحارث بن أبي أسامة كما في بغية الباحث (٥٠٢) و الطبري:٤/ ١٣٠ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٤١٩ (٢٢١٠) و البيهقي: ٧/ ٣٤٠ و زاد عزوه في الدر: ١/ ٢٧٧ إلى وكيع وعبد بن حميد وأبو داود في ناسخه وابن المنذر والنحاس وابن مردويه و ينظر: سنن الدارقطني: ٤/ ٣ وتفسير ابن كثير: ١/ ٢٧٣ .

قولـه : ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ [الآيـة ٢٣٠] أي فإنْ طلّقها الطلقة الثالثة فلا تحلُّ إلا بعد زوج .

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا﴾ [الآية ٢٢٩] يعنـي بـالقَهر و الاسـترجاع دون رِضـاها ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ قيـل إلا أنْ يعلَـمَا لأنَّ العِلم فيه طَرَفٌ من الخوفِ (١) ، وقيل إلّا أنْ يكون غالب ظـنِّهما أنهـما لا يُقـيمان حُـدود الله فبيّن الله سبحـانه على كلٍّ واحدٍ منهما مِن حق صاحبه الرجل يتعدَّى عليها وهي تتعدَّى عليـه (٢) .

﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ ﴾ أي فلا حَرَجَ ، وقيل أراد عـلى الـزَّوج في أخذِ ما يبذلُهُ فجـاء عـلى لفـظ التَّثنيـة كقولـه : ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾ [الرحمن:الآية ٢٢] و إنما يخرجُ من الملحِ دون العَذْبِ (٣) .

و قد صححه ابن القطان : بـ الوهم والإيهام ٣١٦/٢ .

(١) الطبري: ٤/ ١٣٥ و معاني القـرآن لابـن النحـاس: ١/ ٢٠١ وأحكـام القـرآن لابـن العـربي: ١/ ٢٦٣ والكشاف: ١/ ٤٤٦ و زاد المسير: ١/ ٢٦٥ والقرطبي: ٣/ ٣٣٧ والبحر:٢/ ١٩٧

(٢) قال ابن العربي: (وفي ذلك تأويلاتٌ كلُّها أباطيل وإنَّما المرادُ به أن يظنَّ كلُّ واحدٍ منهما بنفسه ألا يُقيمَ حقَّ النّكاح لصاحبه حسبما يجبُ عليه فيه لكراهية يعتقِدُها فلا حَرَج على المرأة أنْ تفتـدي ولا عـلى الـزوج أنْ يأخذ)اهـ.أحكام القرآن:١/ ٢٦٣ و ينظر: الطبري: ٤/ ١٤٣

(٣) هذا قول مشهور في كتب التفسير و أصول الفقه ذكره كثير من العلماء و الفقهاء، و مـن أوائـل مـن ذكـره الفراء: ١/ ١١٣ و ذكره بعده كثيرون ينظر: مثلا: أحكـام القـرآن للجـصاص: ٥/ ٢٩٩ والبغـوي: ٢/ ١٣٢ و القرطبي: ٧/ ٨٦ و منهاج السنة : ٧/ ٢٥٠ و قد نازع فيه بعـض العلـماء مـنهم الطـبري : ٢٧/ ١٣٢و سأذكر كلامه ، وأمّا ما اشتمل عليه من قضية علمية في الطبيعة – وهي أنـه يخـرج مـن الملـح دون العذب– فالفيصل في مثل هذا هو الأخذ بما يثبته العلم الصحيح الواقعي المبني على التجربة وكـلام أهـل الاختصاص، و لا يلزم قبول قولٍ في مثل هذا ليس عن معصومٍ و بخاصة أنّ فيه خروجا عن ظاهر اللفظ

وقيل فلا جُنــاحَ على كلّ واحدٍ منهما على الرّجل في أخـذ الفدية و عـلى المـرأة في البـذْل لأنّ المرأةَ ممنوعةٌ من إتلافِ مالِها بغير حقٍ (١) .

و قوله: ﴿فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾ فيما شَرت به نفسها عن الـزّوج ، ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ مـا حدّه الله الذي لا يجوزُ مجاوزته إلى غيرِه.

وأصل الحدّ المنع وقد مضى ذلـك ﴿فَلَا تَعۡتَدُوهَا﴾ لا تجاوزوهـا، وقيـل لا تجاوِزوهـا في أخذ أكثر ممّا أعطيتموهنّ فإنّ أخذَ الزيـادة مـنهنّ عـلى مـا أعطاهـا الـزوجُ مكـروهٌ وإنْ كـان صحيحاً في الحـكم، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ يتجاوزُهـا ، ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ أنفسَهم حيثُ يكسبون ما يوجِب العقوبة لهم.

ونزلت الآية في جميلة بنت عبد الله بن أُبيٍّ رأسِ المنافقين وكانت تحت ثابت بن قيس بن شمّاسٍ فَنَشَزتْ عليه وكانت تبغِضه وثابتٌ يُحبها فشكَت إلى النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم فقـال ثابـت : أَمَا إني دفعتُ إليها حديقةً فلتَرُدَّ عليَّ حتى أُسرِّحَها فَرَدّتْ عليه واختَلعَتْ منه على ذالك (١) .

القرآني بمحتملٍ. وقد حمل أبو محمد ابن حزم على الإمام الطحاوي الحنفي لكونه قال ذلك حتى قـال : ((صدق الله و كذب الطحاوي و كذب مـن أخـبره بـما ذكـر .. الـخ) المحـلى: ٧/ ٤٩٣ و قـال الـسمعاني ٥/ ٣٢٧-بعد ذكره القول بأنه يخرج من الملح دون العذب - :

(وذكر القفَّال الشاشيّ في تفسيره أنّ اللؤلؤ والمرجان لا يكونُ إلا في ملتقى البحرين في أوّل ما يُخلَق ثـم حينئـذٍ موضعُ الأصداف هو البحرُ الملح دون العَذْبِ فصحّ قوله: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا﴾ لأنها في ابتداء عنـد ملتقـى البحرين وهذا قول حسن إنْ كان كذلك)اهـ. و قد رَدّ الطبري قول الفرّاء و مـن وافقـه جازمـا في سـورة البقرة: (٤/ ١٥٣ عند الآية (٢٢٩) ثمّ قال عند الآية من سورة الرحمن : (بل ذلك كما وصفت من قبلُ من أنَّ ذلك يخرج من أصدافِ البحر عن قطْر السماء فلذلك قيل يخرج منهما اللؤلؤُ يعني بهما البَحْرانِ)اهـ. يعني القول الذي رجَّحه من أنّ المراد بالبحرين هنا بحرَ السَّماء و هو المطر والأرض. وينظر: فتح الباري: ٨/ ٦٢٢

(١) الطـبري: ٤/ ١٣٥ و ١٤٧ وتفـسير الثّعلبـي: ٢/ ١٧٥ و الكـشاف: ١/ ٤٤٦ و زاد المـسير: ١/ ٢٦٥ والقرطبي: ٣/ ٣٣٧ والبحر:٢/ ١٩٦ - ١٩٨

وكان هذا أوّلُ خلْعٍ في الإسلام (٢) ، وقُرِأَ (إلا أن يُخافا ألاّ يقيما حدود الله) بضمِّ الياء والمعنى أنْ يعلم ذلك منهما قرأ به حمزة وحده (٣) .

قوله: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ [الآية ٢٣٠]، ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا ﴾ يُريدُ الطّلقة الثالثة لأنّ الاثنتين قد مضى ذكرُهما ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ غير الأوّل ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا ﴾ يعني الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ ﴾ أنْ تزَّوَّجَ بالزوج الأوَّل بعد تحلُّل الزَّوج الثاني (٤) ويكون معنى التّراجع على

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره: ٢/ ١٧٤فقال : جميلة بنت عبد الله بن أبيّ كما هنا. ونقله عنه في العجاب: صـ ٣٩٦ و روى الطبريّ عن ابن جريج : أن الآية نزلت في ثابت بن قيس و في حبيبة الخ... ٤/ ١٣٩ و قصة ثابت مع زوجته في طلبها الخلع منه مشهورة صحيحة لكن ليس في الروايات الصحيحة أنها كانت سبباً لنزول الآية؛ و قد اختلف في اسم زوجة ثابت التي طلبت الخلع منه فقيل حبيبة كما قال ابن جريج، و قيل جميل بنت أبي بن سلول، وقيل جميلة بنت عبد الله بن أبيّ كما ذكر الثعلبي و المصنف و يؤيده ما وقع في سنن النسائي من تسميتها بذلك: سنن النسائي: ٦/ ١٨٦ لكن قال الزيلعي : (و الأكثر على تسميتها حبيبة)اهـ. و عكس الحافظ فرجّح أن اسمها جميلة بنت عبد الله بن أُبي:ينظر: الطبري : ٤/ ١٣٨ ، ١٣٩، ١٤٠ و ابن عبد البر في الاستيعاب"٤/ ١٨٠٢و تخريج الأحاديث و الآثار للزيلعي: ١/ ١٤٤- ١٤٥ والعجاب: صـ ٣٩٧ و الإصابة: ٧/ ٥٥٦ و **الفتح ٣٩٩/٦**.

(٢) رواه الطبري من طريق عكرمة عن ابن عباس: ٤/ ١٣٧ و ينظر: ابن كثير: ١/ ٤٠٣ و تخريج أحاديث الكشاف: ١/ ١٤٥

(٣) الروضة: ٢/ ٥٦٥ والتجريد لابن الفحام : ١٩٧و النشر: ٢/ ٢٢٧

(٤) يعني بعد تحللها من الزوج الثاني.

هـذا التأويل استئْناف عقـدٍ جديدٍ معَ الأوّل وإنْ كـان بلفظِ التَّراجُعِ، وقيـل أراد بقولـه: ﴿ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ ﴾ في الطَّاعة الأولى والثانية (١) .

و قوله: ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ يريـدُ بـه القِيـامَ بحقـوقِ النِّكـاح، وهـذا غـير واجبٍ لأنّ النكاحَ يَصِحُّ وأنْ لم (٢)يَعلما من أنفسِهما حفظَ الحدود.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا﴾ يُظهِرُها ، و(نُبيّنها) (٣) بالنون عدل إلى الحكاية من الخبر.

نزلت الآية في عائشة بنت عبد الرحمن القُرَظِيّـة امـرأة رِفاعَـة طلَّقهـا رِفاعـةُ فتزوَّجـت بعبـد الرحمن بن الزَّبير فجاءتْ إلى النّبي صلَّى الله عليه وسلَّم وقالت: إنّي كنت تحت ابن عمي رفاعة فطلقني ثلاثاً فتزوَّجتُ بعبد الرحمن بن الزَّبير فما وَجَدتُ معه إلاّ مثل هُدْبة ثوبٍ أفـأرجِعُ إلى زَوجي الأوّل فقال ﷺ : لا حتى يذوق عُـسَيلَتَكِ وتـذُوقي عُـسَيلته فلبثـتْ مـا شـاء الله ثـم رجَعَتْ إلى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم فقالت: إنّ زوجي قد مسّني فقال النبـي صـلَّى الله عليـه وسلَّم : كذبتِ بقولكِ الأول فلنْ أصدِّقكِ في الآخر فلبِثتْ حتى قُبِضَ رسـول الله فأتـتْ أبـا بكر فقالت: أرجِعُ إلى زوجي الأوَّل فإنّ زوجي الآخر قد مسَّني فقال أبو بكـر: لقـد عهـدتُ رسول الله حين قال لكِ ما قال فلا ترجعي إليه فلمّا قُبض أبو بكر أتـتْ عمـرَ فقـال لهـا: لـئن

---

(١) قالوا الضمير في قوله ﴿ يَتَرَاجَعَآ﴾ عائد على الـزوج الأول و الزوجـة التـي طلقهـا الـزوج الثـاني :البحر:٢/ ٢٠٢ و ينظر: الطبري: ٤/ ١٧٥ و تفسير الثّعلبـي: ٢/ ١٧٥ وتفـسير الـسمعاني: ١/ ٢٣٤ و النسفي: ١/ ١١١

(٢) سقطت (لم)من الأصل.

(٣)يُرْوى عن عاصم في رواية شاذة (نبيِّنها) بالنون وهي نونُ التَّعظـيم عـلى طريقـة الالتفـات والبـاقون بالياء على أنه يرجعُ على اسم الله تعالى. التفسير الكبير للرازي: ٦/ ٩٢ و البحر: ١/ ٢٠٤

أتيتني بعد مرّتكِ هذه لأرجمنّكِ [١] . وقال مجاهـد [٢] : ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ إنْ لم يكنْ نكـاحُ الثاني دُلْسةً [٣] .

على طريقةِ من لا يَرى إباحةَ الرُّجوع إلى الزَّوج الأول إذا كان نِكاحُ الثاني لأجل التَّحليل والمدالسةِ قال عمر [٤] : لا أُوتى بِمُحلٍّ ولا مُحَلَّلٍ له إلاّ رجمتهم.

وموضع ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ نصبٌ المعنى: لا يأثِمان في أنْ يتراجعـا فلـما سَـقطت (في) وُصِـلَ معنـى الفعل فنصَبَ [٥] .

قوله: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ [الآية ٢٣١] أيْ قَرُب انقضاءُ عِدَّتِهنّ، وفي قوله ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [٦] [الآية ٢٣٢] يريد به اِنقضاء العدّة هنـاك و ههُنـا المقاربـة من انقـضاءِ العِـدّة لأنَّـه إذا انقـضتْ عـدَّتُها فـلا رجعـةَ لـهُ عليها. و قولـه: ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ

---

(١)ذكره بهذا السياق الثعلبي: ٢/ ١٧٦ وقال الحافظ ابن حجر : (أصل القصة في الصحيحين ، ولـيس في شيء من طرقه: أنّ الآية نزلت فيها)اهـ. صـ ٤٠٠ – ٤٠١ و ينظر: تفسير مقاتل: ١/ ١١٩

(٢) الطبري: ٤/ ١٧٦ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٤٢٣ (٢٢٣٥) و ينظر: الدر: ١/ ٢٥٨

(٣) الدُّلْسَةُ: الظُّلْـمة وفـلان لا يُـدالِسُ ولا يُـوالِسُ أَي لا يُخـادِعُ ولا يَغْـدُرُ: لـسان العـرب و تـاج العروس: (دلس).

(٤) رواه عبد الرزاق عن الثوري ومعمر عن الأعمش عن المسيَّب بن رافع عن قبيصة بـن جـابر الأسـدي قال: قال: عمر بن الخطاب فذكره : مصنف عبد الرزاق: ٦/ ٢٦٥ (١٠٧٧٧) و سعيد بن منصور ٢/ ٧٥ (ح ١٩٩٢، ١٩٩٣) و ينظر: تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي:١ /١٤٨ و عـزاه الـذهبي في الكبـائر إلى الأثرم و ابن المنذر. صـ ١٣٩. و قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ٣٣/ ٣٠ ثبت عن عمر ثم ذكـره. وصـححه ابن القيم: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ١/ ٢٧١

(٥)معاني القرآن للفراء: ١/ ١٣ و الطبري: ٤/ ١٧٧ و البحر: ٢/ ٢٠٣

(٦) في الأصل: سقطت الفاء من قولة: ﴿ بَلَغْنَ﴾.

﴿بِمَعۡرُوفٍ﴾ (١) راجعوهنّ بالمعروف دونَ قصدِ الإضرار بهنّ عن ابن عباس (٢) والحسن (٣) ومجاهد (٤) وقتادة (٥) .

﴿أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍۚ﴾ أُتركوهنّ حتى تنقضِي عدَّتُهنَّ فيكُنّ أملك لأمرهنّ .

والتسريح الإرسال فشبَّه إرسالهنّ بتركهنّ حتى يَبِنَّ بانقضاء العِدَّة بتسريح الرجل ماشيته يُقال سرّحتُ النَّعَم إذا أرسلتَه لتَرعى (٦) .

﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعۡتَدُواْۚ﴾ وكان الرجل يطلِّق امرأتَهُ تطليقةً ثمّ إذا قَرُبَ انقضاءُ عِدَّتِها يراجعُها ثم يطلِّقها أخرى ثم إذا قرُب انقضاءُ عِدَّتها يُراجِعُها ثم يطلِّقها الثّالثة يقصِدُ بذلك تطويلَ العدّة عليها حتى يلزمُها أنْ تعتدّ بتسعة أشهُر فنهاهم الله عن ذلك فقال ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ أي لا تُرَاجِعُوهنَّ قصداً إلى ضِرارهِنَّ بتطويل العِدَّة عليهنّ ﴿لِّتَعۡتَدُواْۚ﴾ أي لتظلِموهنّ بمجاوزتكم حدودي في أمري ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ يعني الإمسَاكَ للإضرارِ ﴿فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ بَخَسَ حقَّها؛ وقيل أَثِم فيما بينه وبين ربِّه، وقيل عرَّضها

---

(١) قال الطبري: (قوله ﴿بِمَعۡرُوفٍ﴾ فإنّه عَنَى بما أذِن به من الرَّجعة من الإشهادِ على الرَّجعة قبل انقضاء العِدّة دون الرجعة بالوطء والجماع، لأنّ ذلك إنما يجوزُ للرجل بعد الرجعة وعلى الصُّحبة مع ذلك والعِشرة بما أمرَ الله به وبيَّنه لكم أيُّها الناس)اهـ. ٤/ ١٧٨

(٢) الطبري: ٤/ ١٨٠ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٤٢٥ (٢٢٤٥)

(٣) الطبري: ٤/ ١٧٩ و البيهقي: ٧/ ٣٦٨ ولفظه عند الطّبري: (قال: كان الرجل يطلِّق المرأةَ ثم يراجِعُها ثم يطلِّقها ثم يُراجِعها يضارُّها فنهاهم الله عن ذلك).

(٤) الطبري: ٤/ ١٨٠ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٤٢٥ (٢٢٤٦)

(٥) تفسير عبد الرزاق: ١ / ٩٤ والطبري: ٤/ ١٨١

(٦) الطبري: ٤/ ١٨٢ ولسان العرب: (سرح). و لم يذكر المصنف معنى ﴿بِمَعۡرُوفٍ﴾ هنا قال الواحدي: (والمعروف: ما يتعارف الناس بينهم، مما تقبَلهُ النُّفوس ولا تنكِره العقول)اهـ.

لعقوبة الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ أي لا تتركوا ما حدّ الله فتكونوا لاعبينَ مقصِّرين كما تقولُ للرّجل الذي لا يقوم بما تُكلِّفه إنما أنتَ لاعبٌ .

وقيل كانوا يُطلِّقون ويُعتقون ويقولونَ: كنتُ لاعباً فأخبر الله أنّ الطَّلاق والعِتاق ينفُذانِ وإن كان صاحبُه هازِلا (١) .

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ قيل اشكرُوها، وقيل احفَظُوها بالشُّكر ، وجاء في التَّفسير (٢) : أنَّه أراد بالنِّعمة ههنا الإسلام.

﴿ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [آية:٢٣١] الحَلالِ والحَرامِ (٣)﴿ يَعِظُكُم بِهِۦ ﴾ ينهَاكُمْ عن مُجاوَزةِ حُدُودِهِ.

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ وقيلَ المعْروفُ في الإمساك: العملُ بما أمر الله ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا ﴾ أي لا تمنعوُهُنَّ عن الأزواجِ ولا حاجةَ لكم فيهنَّ.

قوله: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾ [الآية:٢٣٢] أي انقضاء عِدَّتهُنَّ وحلَّ لهُنَّ الزوجُ ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾ خِطابٌ للأولياءِ ينهاهم عن منعِها عن التَزَوُّجِ.

وفيه دليلٌ (٤)على أنَّ الأمر فيه إلى الأولياءِ حيث نهاهُمْ عن العَضْلِ.

---

(١)الطبري: ٤/ ١٨٤ و معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٦٦ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٧٨

(٢)زاد المسير: ١/ ٢٦٨ و ينظر: الطبري: ٤/ ١٨٦ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٧٨

(٣) الآية أَعمّ من ذلك، ينظر: الطبري: ٤/ ١٨٦ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٧٨

(٤) استنبط كثيرٌ من العلماء منهم الطَّبري و الزّجّاج و الثعلبي و الواحدي، و البغوي وغيرهم من الآية دليلاً على أنَّ المرأة لا تزوّج نفسها بلا وليٍّ و لا تلي عقدَ النّكاح إذ لو كانت تملِك ذلك لم يكن هناك عَضلٌ و لم يكن لنهي الوليِّ عن العضل معنىً لولا أنه يلي عقد النكاح و قد يمنعها من الأكفاء ، و قد بيّن الطبري وجه استنباطِ ذلكَ – مع وضوحه – بياناً شافيا و دلّل على ضعف قول الحنفية بأنه يجوز للمرأة أن تزوّج

وإنـما سـمّاهم ﴿ أَزۡوَٰجَهُنَّ ﴾ بعـد الفرقـة أي كـانوا أزواجهـنَّ، أو رضِـين بهـم أن يكونـوا أزواجهنّ (١).

والعَضْل المنعُ والحبسُ والتضييقُ يقال عَضَّلَتِ الشَّاة إذا أُنشِبَ ولدُها في بطنها وعَضّلَتْ الدّجاجـةُ فهي مُعْضِلٌ إذا احتبسَ البيضُ في جوفها(٢) ، وأعْضَلَ الأمرُ إذا اشتدَّ، وكلُّ مشكلٍ عند العرب فهو مُعْضِل ومنه قول الشافعي (١) :

نفسها بلا وليٍّ :الطبري: ٤/ ١٩٥ و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٦٦ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٠ و البغوي: ١/ ٢١٠ و المحرَّر: ١/ ٣١٠ و القرطبي: ٣/ ٧٣ قال الواحدي:

(وفي هذا ما يُقطع به على صحة قول من قال: لا نكاح إلا بوليٍّ؛ لإجماع المفسرين أن هذا الخطاب للأولياء ، ولو صح نكاح دون ولي لم يتصوَّر عضل ، ولم يكن لنهي الله عن العضل معنى)اهـ. البسيط: ٢/ ٨٣٧

و ينظر توجيه قول أبي حنيفة و أصحابه في أحكام القرآن لأبي بكر الرّازي الجصاص: ٢/ ١٠١ .

و قد قيل: إنّ الآية تخاطبُ الأزواجَ لمنعِهم من الإضرار لأنّ ابتداء الآية خطابٌ معهم. و لكن القول الأول هو الصحيح، قال الواحدي: (وهذا خلاف ما أجمع عليه المفسرون، ثم ما ذكروا مستفاد من الآية الأولى فلا تحمل هذه على ما وردت فيه الأولى ؛ثم في نفس هذه الآية ما يقطع بفساد ما قالوه، وهو أنه قال: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ ﴾ فقرن النهي عن العضل بشرط التراضي بالنكاح)اهـ. البسيط: ٢/ ٨٣٧ . وينظر التفاسير المتقدّمة.

(١) قال المصنف في تفسيره الآخر -المعروف بـ: لطائف الإشارات – عند الآية السابقة و هذه الآية ما نصُّه: (تضمنت الآية الأمر بحسن العِشْرة ، وتَرْكِ المغايظَة مع الزوجة ، والمحك على وجه اللجاج؛ فإمَّا تخلية سبيلٍ من غير جفاء أو قيامٌ بحق الصحبة على شرط الوفاء . تضمنت الآية نهي الأولياء عن مضارتهن ، وتركَ حمية الجاهلية ، والانقيادَ لحكم الله في تزويج النساء إنْ أردن النكاح من دون استشعار الأنفة والحمية .بل إذا رضيت بكفوٍ يخطبها فحرام عليكم ظلمها . والتذويبُ عن أوصاف البشرية بقهر النفس أشَدُّ مجاهدةً وأصدقُ معاملة لله)اهـ. لطائف الإشارت: ١/ ١٦٩ – ١٧٠

(٢) ويقال: (عَضَلَ الرَّجُلُ أَيِّمَه يَعْضُلها و يَعْضِلُها من باب نصَر و ضرب عَضْلاً و عضَّلها: مَنَعَها الزَّوْج ظُلْماً) ينظر: لسان العرب و القاموس: (عضل). و ينظر: الطبري: ٤/ ١٩٤ و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٦٦ و أحكام القرآن للجصّاص: ٢/ ١٠٠

إذا المعضِلاتُ تَصَدَّين لي   كَشَفْتُ حقائقَها بالنّظَر

و قولـه: ﴿إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ أي فـلا تعـضُلُوهنَّ أنْ يـنكِحْن أزواجهـنَّ بالمعروف إذا تراضوا بينهم، وقيل التَّراضي بينهم بالمعروف رِضاهم بمهرٍ جديد على ما يتفقـون عليه يعني الرجلُ والمرأةُ جميعاً. ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ أي ذلك أيّها القبيلُ (٢) يوعَظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر أو ذلك يا محمّد ثـم رجـع إلـيهم فقـال ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ﴾ (٣) ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ أيّها القوم ﴿أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُ﴾ للقلوب من الرّيبة ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ ما في قلبِ كلّ واحدٍ منهما لِصاحِبِهِ من المحبة والميلِ (٤).

﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك، وقد قيل والله يعلم مـا فيـه مـن الـصلاحِ لكـم وأنـتم لا تعلمون والأوَّلُ أصحُّ.

(١) البيت من ضمن سبعة أبيات رواها البيهقي للإمام الشافعي في مناقب الشافعي: ٢/ ٦١ و بعضها في تاريخ دمشق: ٥١/ ٣٧٧ وفيها : المشكلات بـدل المعـضلات، و في تفـسير القرطبـي: ٣/ ١٥٩: المعضلات . و ذُكِرتْ الأبيات أيضا في عددٍ من المصادر الأخرى منها : معجم الأدباء : ١٧/ ٣٠٩

(٢) قال الزجاج: (...حقيقة ذلك مخاطبة الجميع ، فالجميع لفظهُ لفظُ الواحدِ ، فالمعنى ذلك أيها القبيلُ ..)اهـ. ١/ ٢٦٦ و ينظر توجيههم لقوله (ذلك) بالتوحيد مع أنّ الخطاب للأولياء : الطبري: ٤/ ١٩٦ – ١٩٧ و معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٦٦وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٠

(٣) خصّ المؤمنين ، لأنهم أهل الانتفاع. ينظر مثلاً: البسيط: ٢/ ٨٣٩.

(٤) الآية تعمّ هذا و غيره ؛ قال الإمام ابن كثير: { وَاللهُ يَعْلَمُ } أي: من المصالح فيما يأمر به وينهى عنه { وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ } أي: الخيرة فيما تأتون ولا فيما تذرون)اهـ ١/ ٦٣١.

نزلت الآية في جُمْلٍ بنت يسارٍ (١) عن الحسَن (٢) ومجاهِد (٣) وقَتادَة (٤) قالوا طلَّقها زوجُها وتركها حتى انقضتْ عِدَّتُها ثم طلبَ (٥) مُراجعتها بعقدٍ جديدٍ، فمنعها أخوها مَعْقِل بن يَسار وقال: لئن فَعلتِ لا أُكلِّمكِ، وقال لزوجها أنكحتُكَ وأكرمتكَ على أختي فطلقتها ثم لم تراجِعْها وقد أمكنك ذلك حتى انقضتْ عدَّتُها، والله لا أُزَوِّجكُها أبداً فأنزل الله سبحانه الآية، فقال مَعْقِلٌ: فإني أُؤمِنُ بالله واليوم الآخر أُشهِدُك أني قد أنكحتُهُ. وقيل قال مَعْقِلٌ: رَغِم أنفي لأمرِ الله .

---

(١)اسمُ أخت مَعقِلِ بن يَسَار الذي نزلت فيه الآية اختلف فيه فذكر الطبري بسنده عن ابن جريج أنّ اسمها جُمْل ابنة يسار:٤/ ١٩٠ و نقله في العجاب: صـ٤٠٧ جُمْل و كذلك في المطبوع من الدر المنثور: ١/ ٢٨٧ و أمّا في الإصابة: ٧/ ٥٥٥ فقال : جُمَيل بالتصغير نقلا عن تفسير الطبري ؟ ولعلّه لاختلاف النُّسخ و مع هذا فأكثر نسخ الطبري التي وصلتنا فيها (جمل) كما يظهر من طبعة دار هجر بإشراف د/ عبد الله التركي، وجزم ابن ماكولا (٢/ ١٢٢) بأنها جُميل بالتصغير و جزم الحافظ ابن بشكوال : (الغوامض و المبهمات: (ح ٢٧٧) ١/ ٣٢٣ بأنّ اسمها جُمْل ثم ساق بسنده عن عبد الله بن وهب عن ابن جريج أنّ مجاهداً... فذكر قصّتها و اسمها، ثمّ نقل ابن جريج أيضاً عن ابنِ أخيها عبد الله بن معقل أنه أخبره. و ينظر: الأقوال الأخرى في اسمها: فتح الباري: ٩/ ١٨٦ .

وخبرُ نزول الآية في أختِ معقِلِ بن يسار رواه البخاري في كتاب التفسير باب (٤٠) ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ ﴾(البقرة: من الآية٢٣٢) (ح ٤٥٢٩) وفي كتاب النكاح: باب، (٣٦) من قال لا نكاح إلا بولي (ح ٥١٣٠) .ينظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٦٣٥ و العجاب:صـ ٤٠٥ و الدر/ ٢٨٦ .

(٢) الطبري: ٤/ ١٨٧ و ١٨٩ وينظر: الدر: ١/ ٢٨٦

(٣) الطبري: ٤/ ١٨٩

(٤) الطبري: ٤/ ١٨٨

(٥) في الأصل (طلبت).

وقال السّديّ (١) : نزَلت الآية في جابر بن عبد الله زَوَّجَ اِبنةَ عـمٍّ لـه مـن رَجُـل فطلَّقهـا طلقةً رجعيَّة ثم تركها حتى انقضت عدَّتها ثم طلب أنْ يتزوجها ثانية فأبى جابر.

قوله: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾ [الآية ٢٣٣] اللّفظ لفظُ الخبرِ ومعناه الأمْرُ كما تقول حسبُكَ دِرهمٌ، ومعناهُ اكتفِ بِدِرهم.

ومعنى الآية : لِتُرْضع الوالدات، يقال أَرضَعَتِ المرأةُ وَرَضِعَ الصبيُّ يرضَـعُ مثـل حَمِـدَ يحمَدُ ورضَع يرضِعُ مثل ضرَب يَضْرِبُ، والأول أفصحُ، وامرأةٌ مُرضِعٌ ذات رَضَاعٍ فـإنْ أردتَّ الفعل قلتَ: مُرّضِعَةٌ والرَّضَـاعةُ والرِّضَـاعةُ لغتـان كالوَلاَيَـةِ والوِلاَيـةِ والدِّلاَلَـةِ والدَّلالةِ (٢) قاله (٣) الخليل (٤) والفراء (٥) .

و قوله: ﴿حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ﴾ إنما قال: كامِلينِ لأنه يُطلَق لفظُ الحولين عـلى حـولٍ وشيءٍ فإذا قال حولين كاملين عُلِم أنه أراد به أربعةً وعشرين شهراً من يومِ وُلِدَ ألا ترى أنه يُقال أرْضَعَتهُ العامَ وعامَ أوَّل ويجوزُ أن يكون أرْضَعَتْهُ بعض السّنةِ (٦) .

﴿لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ وقُـرِئ : (تَـتِمّ الرَّضَـاعَةُ) فيجعـلُ الفعـل للرَّضاعةِ (١) .

---

(١)الطبري: ٤/ ١٩١ و الدر: ١/ ٢٨٧ و عزاه للطبري و ابن المنذر.

(٢) ينظر في هذا كله : تهذيب اللغة ٤٧٢/١-٤٧٣ و مختار الصحاح و لسان العرب وتاج العروس (رضع). وقد قال الفراء : ١/ ١١٩ و الزجاج: ١/ ٢٦٧ إن الفتح في الرَّضاعة أكثر و أفصح.

(٣) كان في الأصل: {قال} فصوبتها.

(٤)تهذيب اللغة مادة (رضع).

(٥) معاني القرآن للفراء: ١/ ١١٩

(٦)الطبري: ٤/ ٢٠٠ و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٦٧ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٠

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ وهـــو الوالـــد ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي رِزقُ الوالدة وكسوتها فأقام الواحدة مُقام الجماعة. وقَرأ بعضهم (٢) (وكُسْوَتُهُنَّ) بضم الكاف وهي لغة كالرُّشوة والرِّشوةِ (٣) أي على الزوج رِزق المطلقة وكسوتها إذا أرضعت الولدَ بالمعروف أي بما يعرفون أنه عدْلٌ على قدْرِ الوُسع والإمكان.

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾وانتصب الوُسْعُ خـبراً بمجهـول الفعـل في تُكلّـف، وارتفع النّفسُ لأنّه مفعول ما لمْ يسمَّ فاعلُه فأُقيم مقامَ الفاعِلِ (٤) .

والوسعُ ما يَسَعُ الإنسان فيطيقُه ولا يضيقُ عنه، وهو اسمٌ كالجُهدِ والوَجدِ (٥) .

﴿لَا تُضَآرَّ وَالِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ قرأ ابن كثير و أبـو عمـرو برفـع الـرّاء في (تُـضَارّ) وقـرأ الباقون بالنصب، (٦) فمن رَفَعَ الرّاء في (تضار) جعلها خـبراً منـسوقاً عـلى قولـه ﴿لَا تُكَلَّفُ﴾ ومن جعل الراء منصوباً جعلها نهياً وابتداءً للكلام (٧)وموضعُه (٨)فلمّا جـاء

---

(١) قراءة (تَتم) بتاء مفتوحة و رفع الرضاعة شاذة، تنـسب إلى عكرمـة و حميـد و عـون العقـيلي و ابـن محيصن و غيرهم : إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣١٦ و تفسير الثّعلبـي: ٢/ ١٨١ و المحـرر: ١/ ٣٠٧ والبحر: ٢/ ٢١٣

(٢) قراءة شاذة: مختصر الشواذ: صـ ١٤ و نسبها للسّلمي عن علي وتفـسير الثّعلبـي: ٢/ ١٨١ و نـسبها لطلحة بن مصرف.

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨١ و مختار الصحاح و لسان العرب(كسو).

(٤)تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٢ و الفاعل هو الله تعالى و حذف للعلم به: البحر: ٢/ ٢١٤

(٥) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٢ و ينظر: الطبري: ٤/ ٢١٣ و لسان العرب: (وسع).

(٦) السبعة: ١٨٣ و النشر: ٢/ ٢٢٧ – ٢٢٨ وينظر: المصادر الآتية.

(٧) الطبري: ٤/ ٢١٤ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣١٧ و تفـسير الثّعلبـي: ٢/ ١٨٢ وكـشف المشكلات: ١/ ١٦٨ و حجة القراءات: ص١٣٦ والبحر: ٢/ ٢١٤ – ٢١٥

(٨) هكذا في النسخة وبلا فاصل بين ما قبله ؟ و يتبيَّن من سياقةِ الكلام أنّ في هذا الموضع سقطا ويظهـر

للإدغام اِنجزمتْ الرّاءُ الأولى فلم يكن بُدٌّ من تحريك الثانية (١) فَحرِّك إلى أخفِّ الحركات وهي الفتحُ والدّليل عليه قراءةُ عمر (٢) : (لا تُضارَرْ) مجزومةً مُظْهَرةً. وقرأ الحسن (٣) : فيما يقال (لا تضارِّ) بكسر الراء جَرَّ الراء لِسكونها وسكون الألف ورَدّ إلى الرّاءِ حركةَ الراء المُدْغَمة.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ فنهى الوالدةَ أن تضارَّ بولدها فتقدِّمه إلى الزوج ضِراراً ونهى الوالد أنْ ينزِعَهُ عنها إذا كانت راضيةً أنْ تُرْضِعَهُ لأنها أولى بالولد ما دامتْ ترضى به.

﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ لا خلاف أنّ المراد بالوارث وارثُ الصبيّ أي أنَّ عليه ما على الوالدِ إذا لم يكن للصبيّ والدٌ ولا مالٌ.

واختلفوا في المعني بقوله ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ فذهب الشافعي (٤) إلى أنّ على الوارث مثل ذلك في ترك المُضارَّةِ والإنفاق من مال الصبيّ وقال لا يُجْبَرُ على نفقة الصبيّ إلاّ الوالدانِ،

أنه يسير . و ذلك أنّ هذا الكلام في توجيهِ قراءة جمهورِ العشرة (لا تضارَّ)بالنصب في الراء. و نظمُ كلام المصنف يشبه سياقة الثعلبي و هو كثير النقل منه . فيمكن أن يُقال تتميماً للسَّاقط: (و قرأ الباقون (لا تضارَّ) مشددة الراء منصوبة و أصله (لا تضارَرْ) لأنّ موضعه موضع جزمٍ على النّهي ...). ينظر: الطبري: ٤/ ٢١٤ و معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٦٨ وإعراب القرآنِ لابن النحاس: ١/ ٣١٧ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٢ وكشف المشكلات: ١/ ١٦٨ و حجة القراءات: ص١٣٦ والبحر: ٢/ ٢١٤ – ٢١٥

(١) يعني فتحت الراء لالتقاء الساكنين.

(٢)قراءة عمر رضي الله عنه براءين الأولى مفتوحة : مختصر الشواذ لابن خالويه :ص ١٤ تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٢ و المحرر: ١/ ٣١١ و القرطبي: ٣/ ١٦٧

(٣)تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٢ و القرطبي: ٣/ ١٦٨

(٤) الأمُّ للشّافعي: ٥/ ١٠٠ و اختلاف العلماء لمحمد بن نصر المروزي: صـ ١٥٦ ومعرفة السنن

وإليه ذهب جماعة من المفسّرين وهو قول الشعبي (١) وابن جريج (٢) وجماعة منهم (٣) ، ومنهم من قال: تُجبَرُ العَصَبة والوارثون على قَدْرِ مواريثهم من الصبيّ على الإنفاق عليه ومنهم من يقول: يَجِبُ على الوارثِ نفقةَ الصبيّ إذا كان ذا رَحِمٍ وإنْ كانوا جماعة فعلى قدْرِ مواريثِهْم (٤) .

للبيهقي:١١ / ٢٩٦ و الحاوي للماوردي: ١١ / ٤٧٩و البيان للعمراني: ١١/ ٢٤٥ وأحكام القرآن للكيا الهراسي: ١/ ١٨٨و الإقناع للخطيب الشربيني: ٢/ ١٨٦ . فعند مالك و الشافعي لا يجبر على نفقة الصبي الا الوالدان؛ وتحصيل مذهب الشافعي أنّ النفقة إذا مات الأب أو أعسر تجِب على الجدّ أبي الأب ثمّ آباؤه و إنْ علونَ دون الأمّ ثم تنتقل بعدهم إلى الأمّ. و ينظر ما سيرد قريبا.

(١) هذا أحد قولي الشّعبي: رواه عنه الطبري: ٤/ ٢٣٢ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٤٣٣ و ذكره البيهقي في معرفة السنن : ١١/ ٢٩٦ و القول الآخر عنه أنّ على الوراث أجر الرضاع: أخرجه ابن أبي شيبة: ٥/ ٢٤٤ والطبري: ٤/ ٢٢٩ . و في المحلى: ١٠/ ١٠١ قوله: (ما رأيتُ أحداً أجبرَ أحداً على أحد يعني على نفقته).

(٢) لم أقف عليه.

(٣)قال ابن عبّاس والشَّعبي و مجاهد في أحد قوليه والزُّهري والضحَّاك وجماعة من العلماء المراد بقوله: (مثل ذلك) أنْ لا يضارّ و هو قول مالك وأصحابه. (الأم للشافعي: ٥/ ١٠٠ ومصنّف ابن أبي شيبة: ٤/ ١٨٣ و اختلافُ العلماء لمحمّد بن نصر المروزي: صـ ١٥٦ والمدونة لابن القاسم: ٢/ ٢٩٨ والطبري: ٤/ ٢٣٢ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢/ ٤٣٣ والناسخ و المنسوخ لابن النحاس: صـ ٢٣٤ و أحكام القرآن للجصاص: ٢/ ١٠٩ ومعرفة السنن للبيهقي:١١ / ٢٩٦ والحاوي للماوردي: ١١ / ٤٧٩و المحرر: ١/ ٣١٢ و المغني لابن قدامة: ٨/ ١٧٣).

(٤) هذا قولُ أحمد في ظاهر مذهبِهِ و به قال الحسن ومجاهد والنّخعي وقتادة والحسن بن صالح وابن أبي ليلى وأبو ثور : ينظر : المغني٨/ ١٧٣ و المصادر السابقة.

وقال الضحاك (١) وقَبيْصَة بن ذُؤيـب (٢) ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ أي عـلى الصبيّ نفقة أُمّهِ المرضعةِ إذا كان له مالٌ ومات الأَبُ مثلُ ما كان عـلى الأَبِ [و١٤١] مـن نفقةِ المُرضِع فالوارث ههنا على قولهم: الصبيّ، وهذا اختيار ابن جرير (٣) ،ويحتمـلُ أنْ يكون معناه وعلى الوَلدِ نفقةُ الأبوين إذا أَعسَرا كـما كـان عليـهما نفقـةُ الولـد إذا أعْـسرَ، ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ يعنـي الوالـدين ﴿فِصَالًا﴾ فِطامـاً للـصبيّ قبـل الحـولينِ (٤) ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما فيما فيه مصلحةُ المولودِ، ولا يكـون فيـه إضرارٌ بالـصبيّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ﴾ إذا لم تُرضِع الوالدة واستأجرتم مُرضِعة أخـرى فلا حرج عليكم ﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾إلى المرضِعة ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ مقصوراً قـرأ بـه ابـن كثـير (٥) أي ما ضَمِنتم من أُجرَتها، وقرأ الباقون (ما آتيتم) ممدوداً أي ما أعطيتم بالمعروف. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ولا تعـصُوه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ في أمـرِ الولـد والنّـساء ومـا جرى ذِكره، وقيل إذا سلّمتم ما آتاه بعضُكم لبعضٍ من التّراضي في ذلك.

---

(١) الطبري: ٤/ ٢٢٧

(٢) الطبري: ٤/ ٢٢٦ و ابن النحاس في ناسخه: صـ ٢٣٥

(٣) الطبري: ٤/ ٣٣٣ – ٢٣٥ و قد بيّن أبو جعفر الطـبري إمـام المفـسرين -رحمـه الله وجـه اختيـاره مفصّلا.

(٤) ينظر: مثلا: الطبري: ٤/ ٢٣٦ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٤٣٤ .

(٥)قراءة ابن كثير من السبعة بالقصر من غير مدّ : السبعة : صـ ١٨٣ و الروضة:٢/ ٥٦٥

وكان ابن عباس يقول (١) : إذا أتمّت الرّضاع كان الولدُ لستة أشهرٍ، وإذا كان الحمل لتِسعةِ أشهر أرضعتهُ واحداً (٢) وعشرينَ شهراً، وتلا قوله ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف:١٥]

قوله:﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا ﴾ [الآية :٢٣٤] ناسخة للعدَّة باستكمالِ سنةٍ على ما كانت عليه في الجاهلية إذا كان المتوفّى عنها زوجُها حائلاً (٣) فعِدَّتها أربعة أشهر وعشرا. قيل العشرة زِيدت على أربعة أشهر لأنّ الروح تُنفَخُ في الجنينِ بعد أربعةِ أشهر (٤) .

وقرأ عليّ بن أبي طالب (٥) : (والذين يَتَوَفَّون) بفتح الياء أي يتوفّون أعمارَهم وآجالهم، وتَوَفّى واستَوْفَى واحدٌ (٦) .

قال الزجاج (٧) : وقال النّحويون في خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾ غيرَ قولٍ قالَ الأخفشُ (١) المعنى يتربَّصنَ بعدهم أو بعد موتهم.قال الزّجاج: وقال الكوفيون- وهذا قول الفراء

---

(١) أخرجه الطبري: ٤/ ٢٠١ و الطحاوي في المشكل: ٧/ ٢٩١ ، ٢٩٢ و الحاكم: ٢/ ١٨٠ والبيهقي: ٧/ ٤٤٢ ، ٤٦٢ و ينظر: الدر: ١/ ٢٨٨ فقد عزاه لسعيد بن منصور و ابن المنذر.

(٢) كان في الأصل أحداً وعشرين . و التصويب من تفسير الطبري.

(٣) يعني غير حامل. و العرب تقول : حَالَتِ الناقة تحول حُؤُولا بالضم و حِيَالا بالكسر ضربها الفحل فلم تحمل. (مختار الصحاح).وينظر: الآية الآتية (رقم : ٢٤٠) من هذه السورة.

(٤) أخرج الطبري : ٤/ ٢٥٨عن قتادة أنه سأل سعيد بن المسيب : ما بال العشر ؟ قال : ((فيه ينفخ الروح)). و ذكره في الدر وعزاه للطبري:١/ ٢٨٩ و أخرج الطبري أيضا و ابن أبي حاتم: ٢/ ٤٣٧(٢٣١٨)و البيهقي في الأسماء و الصفات: (٨٢٤) عن الربيع أنه سأل أبا العالية عن ذلك فأجاب أيضا بمثل ذلك.

(٥)مختصر كتاب ابن خالويه في الشواذ: صـ١٥ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٤ والمحرر: ١/ ٣١٣

(٦) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٤ و مختار الصحاح (و ف ي).

(٧)معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٦٩ وجملة (يتوفون منكم و يذرون أزواجا) صلة الموصول و قد

(٢) -وهو مذهبُهم أنّ الأسماء إذا كانتْ مضافةً إلى شيء وكان الاعتمادُ في الخبر على الثاني أُخبِرَ عن الثاني وتُرِك الأوّل وأغنى الإخبارُ عن الثّاني عن الإخبارِ عن الأوّل. قالوا والمعنى فأزواج الذين يُتوفون منكم يتربَّصن وأنشد الفراء (٣) :

لعلّيَ إنْ مالتْ بي الريح ميلةً على ابنِ أبي ذِبّان(٤) أنْ يتندَّما

قال المعنى: لعلّ ابن أبي ذِبّان يتندَّم إنْ مالت بي الريح ميلةً عليه. قال الزجاج : وهذا قولٌ غيرُ جائزٍ لا يجوز أن يُبدأ باسمٍ ولا يُحدّث عنه لأنَّ الكلام إنما وُضِعَ للفائدة فما لم يُفِدْ فليس بصحيح ؛وهذا أيضاً من قولهم محالٌ لأنَّ الاسم إنَّما يرفعُه اسمٌ إذا ابتُدئَ مثله أو ذُكِرَ عائدٌ عليه (٥) أنّ ذِكرَ ﴿ٱلَّذِين﴾ قد جرى اِبتداءً وذكر الأزواج متصلاً بِصِلةِ

اختلفوا في خبر (الذين). ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ١١٥ و معاني القرآن للأخفش:صـ ١٢٧ و الطبري: ٤/ ٢٤٧ و إعراب القرآن لابن النحّاس: ١/ ٣١٧– ٣١٨ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٤ والبحر: ٢/ ٢٢٢

(١) معاني القرآن للأخفش:صـ ١٢٧ وفيه: بعد موتهم .

(٢)معاني القرآن للفراء: ١/ ١١٥

(٣)معاني القرآن للفراء: ١/ ١١٥ والبيت لثابت بن قطنة يهجو عبد الملك بن مروان : وهو في كثير من المصادر أيضا منها: تاريخ الطبري: ٤/ ٢٤٧ و معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٦٩ و لسان العرب و تاج العروس (ذبب) ، والمخصص ١٣/ ١٧٥

(٤) في الأصل في الموضعين : {ريَّان} و صوبته {ذِبّان}. كما في المصادر المعتمدة وهي كنية قيلت لعبد الملك بن مروان زعموا أنه كان أبخر الفم و قد أنشدوا البيت وقالوا: (والعرب تَكْنُو الأَبْخَر أَبا ذُبابٍ وبعضهم يَكْنيه أَبا ذِبَّانٍ وقد غَلَبَ ذلك على عبدالملك بن مَرْوانَ لِفَسادٍ كان في فَمِه)اهـ. لسان العرب وتاج العروس (ذبب).

(٥)كذا؟! و يوضحه ما في كتاب الزجاج هنا ففيه :(و الذي هو الحقُّ في هذه السألة عندي أنّ ذكر ..) الخ.

﴿ٱلَّذِينَ﴾ فصار الضمير الذي في ﴿يَتَرَبَّصۡنَ﴾ (١) يعودُ على الأزواجِ مُضافاً إلى الذين كأنّك قلتَ: يتربّصُ أزواجهم، ومثل هذا من الكلام: الذي يموتُ ويُخلِّفُ ابنتينِ ترثان الثلثين، المعنى ترث إبنتاهُ الثلثين (٢) .

وقوله: ﴿وَعَشۡرًاۖ﴾ ولم يقل ((وعشرةً)) لأنّ العرب إذا أبهمت العِدّة من الليالي والأيّام غلّبوا عليهما الليالي فيقولون صُمْنا عَشْراً والصَّوم لا يكون إلاّ بالنَّهار (٣) .

﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ في غايةِ هذه الأربعة الأشهُرِ والعشر ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ في أنْ تتركوهُنّ إذا انقضَتْ هذه المُدّة ﴿فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ أنْ يتزوَّجن وإن يتزيّن زينةً لا ينكَر مثلُها وهذا معنى ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ﴾ (٤) ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾.

قوله : ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ﴾ [الآية :٢٣٥] أباحَ الله سبحانه التعريض بالنِّكاح والمرأة مُعتدّة وحرّم التّصريح به. والتعريضُ أن لا يقطعَ القول به فيقولُ إنْ رأيتِ أن لا تستبقيني بنفسك، وإنّك لجميلةٌ، وإن قضى الله أمراً كان، وما أشبه ذلك مما لا يكون قطعاً بالتزويج. والخِطْبَةُ مصدرٌ مثل الجِلْسَةِ والخَطْبَةُ المَرَّةُ والخُطْبَةُ الرِّسالَةُ (٥) . وكنَّ الشيء وأكنّهُ إذا سترهُ وجعله في كِنٍّ وقيل أكْنَنْتُ الشيء إذا أخفيتَه في

---

(١) كان في الأصل: يتربص.

(٢) يعني أنّ ألف التثنية في ((ترثان)) تعود على الابنتين و هي لا تنطبق على ((الذي)).

(٣)معاني القرآن للفراء: ١/ ١١٥ والطبري: ٤/ ٢٥٧ و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٧٠ والبحر: ٢/ ٢٢٣

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٧١ و ينظر:الطبري: ٤/ ٢٥٩ و البحر: ٢/ ٢٢٥

(٥) معاني القرآن للأخفش: صـ ١٢٧ و الطبري: ٤/ ٢٦٩ ومعاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٧١ و فيه : ((الخُطبة بالضم ما له أول و آخر نحو الرسالة)). و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٦ و لسان

نفسك وكننتَهُ إذا سترْتَهُ. والإكنان هو أنْ تستر في نفسك نِكاحَهَا ولا تُظهِرُه(١).
وبعضهم قال الإكنان : في حال العِدَّة والتعريضُ بعد انقضائها.

﴿وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ السِرّ الإفضاءُ بالنِّكاح قاله أبو عبيدة(٢)
وقال غيره السِرّ كنايةٌ عن الجِماع كما أنّ الغائط كناية عن الموضع (٣) .
وقال القُتيبي (٤) كُني بالسِرّ عن النكاح أي الجماع، لأنه يكون مستوراً والمعنى: لا تقولوا آتيك ليلةَ كذا وكذا فتقطع الوعد.
وقيل أراد به الزِّنا في هذا الموضع عن السدي (٥) وغيره، وقيل معناه أنْ يقول عاهديني أنْ تتزوجي بي وإن بذل فلانٌ كذا وكذا فأنا أبذُل كذا وكذا فهذا منهيٌّ عنه (٦) .

﴿إلا أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾ أي التعريضَ بالخِطبة؛ وقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ﴾ فـ﴿أَن﴾ في موضع النصب بدلاً من السِّرّ ، وقيل (إلا أن تقولوا معروفا) لا ينكِرُه المؤمنون. قوله: ﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ الآية أي لا تعزِموا على

العرب(خطب) وفيه تفصيل مفيد.
(١) الطبري: ٤/ ٢٦٩ ومعاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٧١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٦ .
(٢)مجاز القرآن: ١/ ٧٥ ونقله عنه الزجاج: ١/ ٢٧٢
(٣) معاني القرآن للفراء: ١/ ١١٧ ورواه الفراء بسنده عن الكلبي و للزَّجّاج: ١/ ٢٧٢ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٦ و به قال الشافعي: تفسير الماوردي : ١/ ٣٠٤ وينظر: زاد المسير: ١/ ٢٧٧
(٤) غريب القرآن لابن قتيبة: صـ ٩٠
(٥) وبه قال الحسن وجابر بن زيد و أبو مِجْلَز و إبراهيم و قتادة و الضحّاك (الطبري: ٤/ ٢٧٢- ٢٧٥) و رجح الطبري أنّ المراد بالسرّ الزنا و أطال في الاستدلال له بما هو وجيه: ٤/ ٢٧٨ -٢٨١ وينظر: تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٧ و تفسير الماوردي: ١/ ٣٠٤ وزاد المسير: ١/ ٢٧٧
(٦)الطبري: ٤/ ٢٧٥ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٧ و تفسير الماوردي: ١/ ٣٠٤ وزاد المسير: ١/ ٢٧٧

عُقْـدَةِ النّكـاح فحُـذف (عـلى)كـما يقـال ضُرِب زيـدٌ الظهـرَ والـبطنَ أيْ عـلى الظّهـر والبطن (١) .وأنشد (٢) :

ولقد أبيتُ على الطّوَى وأَظَلّه ❊❊❊ ....

أي أظَلُّ عليه.

قوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ أي حتى يبلُغَ فرض الكتابِ أجله، ويجوز أنْ يكـون الكتاب ههنا نفسُ الفرضِ فيكون المعنى: حتى يبلغ الفرض أجَله كما قال ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ﴾ [البقرة:١٨٣] أي فرض وإنما يريد به أنْ يبلُغ أجله أيّام عِـدّة المُعتَـدَّة (٣) .

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ أيْ فاحذروا الله، وقيل الهاء عائدةٌ على النهي (٤) . ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ الحَلِيم الرَّزينُ في الّلغة تقول العـرب:

---

(١) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٧٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٨ و القرطبي: ٣/ ١٩٢

(٢) شطر بيت لعنترة و بعده: حتى أنالَ به كريم المأكلِ . و هو في ديوانـه: صــ٣٨٨ (ضـمن الـدواوين الموجودة في مختارات الشعر الجاهلي تحقيق السقا) و هو في كثير من المصادر منها: الجليس الصالح: ٣/ ١٨٩ و لسان العرب(ظلل). و نسبه الثعلبي: ٢/ ١٨٨ لعنترة وذكره كما في اللسان إلا أنه قال : المطعم بدل المأكل. ورواية المطعم ذكرها أبو زيد القرشي في جمهرة أشـعار العـرب ضـمن معلقـة عنترة.

(٣)نقل المصنف هذا كله من معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٧٢ و هـو في تفـسير المـاوردي ملخـصا: ١/ ٣٠٤

(٤) عودها على الله تعالى هو الصحيح لأنه أقرب مذكور و لأنّ المعنى يدلّ عليه و إليه يتبادر الـذهن ولا موجب للخروج عن الظاهر هنا. و عليه اقتصر الطـبري و الثعلبـي و البغـوي و ابـن الجـوزي و القرطبي . و ينظر: البحر:٢/ ٢٣٠

ضَعِ الهودجَ على أَحْلَمِ الجمال (١) ، وفي وصفه سبحانه: أنْ يريد تأخيرَ العقوبة أو يريـدَ تـرك العقوبة أصلاً (٢).

قوله: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الآية :٢٣٦] قيلَ لما قـال رسـول الله صـلَّى الله عليه وسلَّم: ((إنّ الله لا يحبّ الذَوّاقين والذوّاقات (٣))) (٤) .

وقيل: إنّ أبغض الحلال إلى الله الطَّلاقُ، وما أشبه ذلك ظنّوا أنهم يأثمونَ في ذلك فـأخبرَ الله أنَّه لا جناح في تطليق النِّساء إذا كانَ (و١٤٢) على الوجهِ المؤذونِ فيه (٥) ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ

---

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٨

(٢) قال الإمام الطبري: (حليم) (يعني أنّهُ ذو أناةٍ لا يعجَلُ على عبادِهِ بعقوبتهم عـلى ذنـوبهم)اهــ. ٤/ ٢٨٦ . وقال الثعلبي: ٢/ ١٨٨ و البغوي : ١/ ٢١٧ :(لا يعجل بالعقوبة)اهـ. وصفات البـاري تعالى لا تكييفٌ فيها و لا تمثيل و لا تشبيهَ ،سبحانه خالق كل شيء .

(٣)فسّره في النهاية: ٢/ ١٧٢ و عنه في لسان العرب(ذوق): بالسّريعي النّكـاح الـسريعي الطّـلاق. وفي الفائق للزمخشري: ٢/ ١٩ هو استطراف النّكاحِ وقتاً بعد وقتٍ. وقال الخطّابي في غريب الحديث: ١/ ٤٥٥: (هذا في النّكاح كَرِه أنْ يكون الرجل كثيرَ النّكاح سريعَ الطَّلاق بمنزلة الـذائقِ للطَّعـام غيرِ الآكل منه)اهـ.

(٤)في أسانيده ضعفٌ؛ يروى من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنـه عـن النبـي صـلَّى اللهُ عليـهِ وسلَّم قال: (لا تطلَّق النِّساء إلا عن ريبةٍ إنَّ الله لا يحبّ الذّوّاقين ولا الـذوَّاقات)). رواه البـزار : ٨/ ٧٠ (ح ٣٠٦٤– ٣٠٦٦) و الطبراني في الأوسط: (٧٨٤٨) و في مسند الشّاميين(٣/ ٢٦٨) والجصاص في أحكام القرآن: ٣/ ٧٤ قال الهيثمي: (وأحد أسانيدِ البزّار فيه عِمرانُ القطَّان وثَّقه أحمد وابن حبان وضعَّفه يحيى بن سعيد وغيره)اهـ. و في الباب عـن شَـهْر بـن حَوْشـب مرسـلا : مصنف ابن أبي شيبة: ٥/ ٢٥٣ و مسندا أيضا عن أبي هريرة و رجح الدارقطني المرسل في العلـل: ١١ / ٢٩ و عن عباد بن الصامت أيضا ينظر: المقاصد الحسنة: ١٢٨١ و كشف الخفاء(٢/ ٤٦٤) و عن أبي أمامة عند أبي يعلى كما في المطالب العالية: ٨/ ٤٥٥.

(٥) ذكر هذا كله بزيادة إيضاح الثعلبي: ٢/ ١٨٨ – ١٨٩ و ذكره أكثره الطبري: ٤/ ٣٠٩– ٣١٠

﴾ على نِسبة الفعل إلى الرِّجـال. وقـرأ حمـزة والكـسائي (١)(تُماسُّـوهنّ) بمعنـى إشراك (٢) الفعل بين الرّجال والنِّساء. والمسّ هو المعاشرة ههنا (٣) .

وقوله: ﴿أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ﴾ يعني تقدِّروا لهنّ مهراً فأخبر الله في هذه الآيـة جـواز النّكـاح وصِحّة عقده خالياً عن المهر. ورفعَ الجُناح عمَّن طلقها قبل التَّسمية كما رَفَعه عمّن طلقها بعد تسمية المَهر وأَمرَ أنْ تُمَتَّعُ المطلَّقةِ بغير مهرٍ إذا طُلِّقَت قبل الـدخول فقـال: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ﴾ أي على ذي السَّعَةِ، أَوْسَعَ الرجل صار ذا سَعَةٍ .

قَدْرُه، وقَدَرُهُ كليهما (٤) ﴿وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ أمرَهُ أن يُمتّعها على قدْر عُـسْرِهِ ويُـسْرِهِ فأعلاهُ يكـون خَادِمـاً وأيـسرُهُ كِـسْوَةٌ أو دراهِـم. ﴿مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ بـما تعرفـون أنّـه الفَضْل.

ونصب متاعاً (٥) على قوله (ومتعوهنّ متاعاً) ويجوز أن يكون ﴿عَلَى﴾ الخـروج مـن قولـه (على الموسع قدره متاعا) أيْ ممتَّعا متاعاً .

﴿حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ منصوبٌ على حقَّ ذلك عليهم حقّاً كما يقال: حَقَقْـتُ عليـه القضاءَ، وأحْقَقْتُ أي أَوْجَبْتُ (٦) .

---

(١) و بها قرأ خلف في اختياره و الأعمـش : الروضـة: ٥٦٥ و غايـة الاختـصار: ٢/ ٤٣٠ و الإتحـاف: صـ١٥٩

(٢) تكررّت في الأصل. خطأ.

(٣) الطبري: ٤/ ٢٨٧ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٨

(٤) هما لغتان وقراءتان سبعيتان . و سيذكرها المصنف فيما بعد.

(٥) إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣١٩ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٨٩ و المحرر: ١/ ٣١٩ والقرطبـي: ٣/ ٢٠٣ و البحر: ٢/ ٢٣٤

(٦) هذا أحد وجوهه الإعرابية و يجوز إعرابه صفة لمتاعـا أو حـالا. :البحـر: ٢/ ٢٣٤ و ينظـر: تفـسير

قال الكلبي (١) : نزَلت في رجلٍ من الأنصار تزوَّج امرأة من بني حَنِيفة ولم يُسمّ لها مهراً ثم طلّقها قبل أن يمسّها فقال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: متّعها ولو بِقَلَنسُوتك أَمَا إنها لا تساوي شيئاً ولكني أحببتُ أنْ أُحيِيَ السُّنَّة.

قرأ ابن عامر و الكسائي وحمزة ﴿قَدَرُهُۥ﴾ بفتح الدال في الموضعين وقرأ الباقون بسكُونها (٢) .

قوله: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ الآية [٢٣٧] أيْ من قبل أنْ تجامعوهُنَّ ﴿وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ سَمّيتُم لهنَّ صداقاً ﴿فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ﴾ أي فعليكم نصفُ ما سَمّيتم، ولو قُرِأ (فنِصفَ) بالنّصب (٣) لكان جائزاً أي فأدّوا نِصفَ ما فرضتم. ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾ يريد به النِّساء المُطلقات وعَفْوهنَّ أن يعفونَ عن النِّصف الواجبِ لهنّ.

الثّعلبي: ٢/ ١٨٩ و كشف المشكلات للباقولي : ١/ ١٧١

(١) ذكر ابن المصنف في تفسيره مثله و لكن لم يعزه للكلبي: (ورقة ١١٠ أ)،و ذكر مثله مقاتل بن سليمان: ١/ ١٢٥ و نقله عنه ابن الجوزي: ١/ ٢٧٩ و ذكره الثعل ١١٧٤/٢ غ معزو و نقله القرطبي: ٣/ ٢٠٢ عن الثعلبي و ينظر: العجاب : ٤١٢ فقد نقل مثله عن مجاهد و لم يعزُه؟. وقال المحقق: إنه في ابن أبي حاتم بنحوه ؟و ليس كذلك ؟. وقال الحافظ كما في الكشاف ١/ ٢٨٥ : لم أجده ، وقال الولي العراقي كما في الفتح السماوي ١/ ٢٩٣ : لم أقف عليه . و قد استفدنا من كلام المصنف أنه قول الكلبي. و هي فائدة مهمة لم يذكرها الحافظ ابن حجر و غيره.

(٢) قرأ أبو جعفر وأهل الكوفة إلا أبا بكر و اسمه شعبة، بفتح الدَّال و الباقون بسكونها: المبسوط: ١٤٧ والروضة: ٥٦٦ و النشر: ٢/ ٢٢٨

(٣) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٧٣ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٢٠

﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ قيل الزوج، وقيل الوَلِيّ ؛فعَفْوُا الـزوجِ أنْ يعفوا عن النصف الراجع إليه فَيُعْطيها الكُلّ، وعَفْوُ الوَلِي أن لا يُطَالِبَ الزّوجَ بمهرها .

وموضـع ﴿يَعْفُونَ﴾ نـصبٌ بــ ﴿أن﴾ إلاّ أنّ جماعـة المؤنـثِ في الفعـل المـضارع يستوي في الرفع والنَّصب والجزم (١) .

وقوله:﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ظاهرُ الخِطاب أنـه للرجـال دون النِّـساء وهو محتمِلٌ أنْ يكون في الفريقين لأنّ الخطـاب إذا وقـع عـلى مـذكَّرِين و مـؤنَّثِين غُلِّـبَ التّذكير على التأنيث (٢) . ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ بضم الواو ويجوزُ كسرها (٣) . وقال سيبويه (٤) : ﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ ﴾ مرفوعةٌ بالابتـداء بمعنـى (إلى) كأنّـه قـال (وعفوكم أقرب إلى التقوى). وقرأ الحسن (٥) : (أو يعفوْا الـذي بيـده) بـسكون الـواو واستثقلَ حركتَها.

وقُرِأ (وأن يعْفوا) (٦) بالياء جعلهُ خبراً عن ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾.

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٧٣ و ينظر:إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٢٠ و البحر: ٢/ ٢٣٥

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٧٣

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٧٣ و البحر: ٢٣٨

(٤) كشف المشكلات: ١/ ١٧٢

(٥)مختصر الشواذ: صـ١٥ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٩٢ و البحـر: ٢/ ٢٣٦ فـإذا وصـل سـقطت لأجـل التقاء الساكنين و إذا وقف أثبتها ساكنة.

(٦) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٩٤ عن الشعبي و مختصر الشواذ :ص١٥ عن أبي نهيك و القرطبـي: ٣/ ٢٠٨ والبحر: ٢/ ٢٣٨ عن الشعبي و أبي نهيك.

وقـرأ عـليّ (١) (ولا تناسـوا الفـضل بيـنكم) كقولـه: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحجرات:١١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

قوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [آية:٢٣٨] أي داوِموا عليها وواظِبوا على إقامتها ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ كرّرِ ذكرها تشريفاً لها وتأكيداً للمواظبة عليها كما قال ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة:٩٨] وغير ذلك (٢)، وقيل خُصّت هذه الصلاة بها لِضِيق وقتِها. وقرأت عائشة (٣) (والصلاةَ الوسطى) بالنَّصب على الإغراء.

و (الوسطى) تأنيثُ الأوسط وأوسطُ الشّيء أعْدَلُهُ وأمثَلُهُ واختلفوا في المعني بهذه الصلاة فأكثرهم على أنها صلاةُ العصرِ وكذلك هو في مصحف حفصة (٤) و عبد الله (٥) وهو قول عائشة (٦) وأبي هريرة (٧) وابنِ عباس (١) وابنِ عمر (٢) وعليّ

---

(١)مختصر الشواذ :ص١٥ و القرطبي: ٣/ ٢٠٨ والبحر: ٢/ ٢٣٨

(٢) يعني و غير ذلك من الآيات .

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٩٤ و ينظر: مختصر الشواذ: صـ ١٥ و إعراب القرآن: ١/ ٣٢١ و المحرر: ١/ ٣٢٢

(٤)أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: (٢٢٠٢) و أبو عبيد في فضائل القرآن: صـ ١٦٥ و ابن أبي شيبة: ٢/ ٥٠٣والطبري: ٤/ ٣٤٨ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ و ابن أبي داوود في المصاحف: ١/ ٣٧١ – ٣٧٢ و ابن عبد البر في التمهيد: ٤/ ٢٨٢ و البيهقي: ١/ ٤٦٢ و ينظر: الدر: ١/ ٣٠٥

(٥) يعني ابن عباس : ابن أبي شيبة: ٢/ ٥٠٤، ٥٠٥ و الطبري: ٤/ ٣٦٦ و المصاحف: ١/ ٣٥٢ (رقم: ٢١٠) والبيهقي: ١/ ٤٦٣ .

(٦) ابن أبي شيبة: ٢/ ٥٠٤ و الطبري: ٤/ ٣٤٦ و الطحاوي في شرح المعاني: ١/ ١٧٢ .

(٧) سعيد بن منصور (٣٩٥ – تفسير) و ابن أبي شيبة: ٢/ ٥٠٦ و البخاري في الكبير: ٥/ ٣٥٧، ٣٥٨ و الطبري:٢/ ٣٤٤ ، ٣٤٥

(٣) وغيرِهم، ومنهم من قال صلاة المغرب لأنها وِترُ النّهار، وقيل هي صلاةُ الفجر لأنها لا يُجمَعُ بينها وبين غيرها، ولأنها تُكْتَبُ في ديوانِ ملائكة الليل وملائكةِ النهار؛ قال الله سبحانه ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء:٨٧] تشهدُهُ ملائكة الليل وملائكة النهار، وقيل إنَّ الله لم يُعَيّنها لِيُواظِبَ العبدُ على جميعِ الصلوات كما لم يُعَيّن ليلة القدر وأخفاها بين الليالي لِيَسْتكثِر العبدُ الخيراتِ في جميعِ الليالي.

وسأل رجلٌ الرَّبيع بن خثُيم (٤) عنها فقال (٥) : أرأيتَ إنْ عرفتَها أكنتَ مُحافِظاً عليها ومُضَيّعاً سائرَها ؟ قال لا بل أُحافظُ عليها كلَّها، قال فإنّك إذا حافظتَ عليهنّ فقد حافظتَ عليها.

وكذلك قال صلَّى الله عليه وسلَّم: ((إنّ في الجمعة ساعةً لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ فيسأَلُ الله فيها خيراً إلاّ أعطاهُ)) (٦) . ولم يعيِّنها لِيكون العبد مسبِّحاً (٧) يوم الجمعة من الصَّباح إلى الرّواح، وقيل أراد به الظّهر ذكره الزجاج (١) .

---

(١)البخاري في التاريخ الكبير: ٣/ ٣٢٤ والطبري: ٤/ ٣٥٠ و الطحاوي في شرح المعاني: ١/ ١٧٢ و قد تقدّم أنه قرأ بذلك.

(٢)عبد الرزاق في مصنفه(٢١٩١) و الطبري:٢/ ٣٤٤ و الطحاوي: ١/ ١٧٠

(٣)ابن أبي شيبة: ٢/ ٥٠٤ و ٥٠٥ و سعيد بن منصور: (٣٩٤ ، ٤٠٣ في التفسير) والطبري: ٤/ ٣٤٢ – ٣٤٤ و ابن حزم: ٤/ ٣٧٠ و ٣٧١

(٤) كان في الأصل (خيثم) و الصحيح (خُثيم) : وهو الربيع بن خثيم بن عائذ بن عبد الله التوزي أبو يزيد الكوفي ، ثقة جليل ،عابد، مخضرم ، من أئمة التابعين ،قال له ابن مسعود : "لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك" ، توفي سنة ٦١هـ وقيل ٦٣هـ . ينظر : تهذيب الكمال: ٩/ ٧٠ وتقريب التهذيب **ص٢٠٦**.

(٥) أخرجه الطبري: ٤/ ٣٧٢ و ذكره الثّعلبي: ٢/ ١٩٧ – ١٩٨

(٦) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري: في كتاب الجمعة : (٣٥ باب الساعة التي في يوم الجمعة) (ح٨٩٣) و مسلم في كتاب الجمعة ، (٤ باب في الساعة التي في يوم الجمعة) (ح ٨٥٢) ومالك ١/ ٩٨ .

(٧)ليست بواضحة في الأصل و هكذا قرأتها. يعني مصليا و ذاكراً.

وفي الخبر أنه قال (٢) : -في حرب الخندق - شغَلُونا عن الوُسطى ملأ الله قبورهم وأجوافهم ناراً وكان ذلك صلاةُ العصر.

وقال : إنها الصلاة التي شُغِلَ عنها سليمان بن داود (٣) . وفي الخبر (٤) : من فاتتهُ صلاةُ العصر فكأنما وُتِرَ أهله وماله.

وقال: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر:١ - ٢] قيل أَقسَمَ بصلاة العصر لِفضلها، وقال مجاهد (٥) وابن عمر (٦) إنها صلاةُ الفجر، وإليه ذهب الشافعي رضي الله عنه (١) .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٧٤ و قد ذكر ابن أبي شيبة: ٢/ ٥٠٤ والطبري: ٤/ ٣٥٩ - ٣٦٣ والطحاوي في شرح المعاني: ١/ ١٦٧ من قال به من السلف ، و ممن قال به زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٢)ثبت ذلك في صحيح البخاري و مسلم و غيره من حديث علي كما ثبت من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما؛ وحديث علي رواه البخاري في الجهاد ، باب : الدعاء على المشركين بالهزيمة ٣/ ٣٠٧ رقم ٢٩٣١، ومسلم في المساجد ، باب : الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ١/ ٤٣٧ برقم ٦٥٧. ينظر في تفصيل تخريج الأحاديث : الطبري٤/ - ٣٥١ – ٣٥٥ و التمهيد : ٤/ ٢٨٨ و ٢٣ / ١٣٢ وتنقيح التحقيق: ١/ ٢٦٦ و تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي: ١/ ١٥٢ وتفسير ابن كثير: ١/ ٢٩٢ وفتح الباري: ٨/ ١٩٥

(٣) جاء موقوفاً عن علي رضي الله عنه و مرفوعاً والمرفوع لم يثبت؛ فرواه عبد الرزاق: ٣/ ١٦٥ قال: أنا الثَّوري عن أبي إسحاق عن الحارث عن عِلِي موقوفا عليه، وابن أبي شيبة: ١/ ٢٤٥ عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق به موقوفا . وهو في الكامل لابن عدي ٥/ ٥٤٣ مرفوعا من طريق: مقاتل بن سليمان عن أبي إسحاق عن الحرث عن علي مرفوعاً. و أعله ابن عدي به و ينظر: تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي: ١/ ١٥٣

(٤) متفق عليه من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه : أخرجه مالك في الموطأ : التمهيد: ١٤/ ١١٦و البخاري: في كتاب مواقيت الصلاة ، باب: (١٣ إثم من فاتتهُ العصر) (ح٥٢٧) و مسلم : في مواقيت الصلاة،(٣٥ باب التغليظ في تفويتِ صلاة العَصْر).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ٢/ ٥٠٥ و الطبري: ٤/ ٣٧٠

(٦)مصنف ابن أبي شيبة: ٢/ ٢٤٦ و ذكره في الاستذكار: من رواية اسماعيل بن إسحاق القاضي: ٢/

وعن ابن عباس (٢) أنها الفجر وسطَت فكانت بين الليل والنهار.

و قوله: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ فأصلُ القنوت الدُّعاء في حالِ القيام ثم يُستعمَل في جميع الطاعاتِ (٣)لأن العبدَ يقوم فيها بالنّية والقانِتُ الذّاكِر في قوله: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ ﴾ [الزمر:٩]، والقانت العابد في قوله: ﴿ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم:١٢] العابدين.

وعن الخدري (٤) : كلّ قنوت في القرآنِ فهو الطّاعة.

---

١٩١. قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم: ٢/ ٤٤٨ (وهو أحدُ قولي ابنِ عبَّاس وأحد قولي ابن عمر وأنس بن مالك وأبي العالية وعبيد بن عُمَير وعطاء ومجاهد وجابرُ بن زيد وعكرمة والربيع بن أنس) اهـ. و ينظر: الطبري: ٤/ ٣٧٠ و الأوسط: ٢/ ٣٦٧ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٩٥

(١)اختلاف الحديث للشافعي: صـ ٥٢٢ و الحاوي للماوردي:٢ / ٧ ومغني المحتاج : ١/ ١٢٤ لكن قال الماوردي: (وقد وَرَدَت الأخبار نقلا صحيحاً بأنها صلاةُ العصر فصار مذهبَ الشافعي لأنّ مذهبه اتّباع الحديث ..ولا يقال فيه قولان كما توهَّم فيه بعض أصحابنا)اهـ. باختصار: ٢/ ٨ .قال ابن كثير : ١/ ٦٥٨ : (وقد وافقه على هذه الطريقة جماعة من محدثي المذهب)اهـ.

و ذكره في مغني المحتاج مقرّاً، و الاختلاف بين أئمة الفقه الشافعي فيما قاله الماوردي مفصّل في أمهات كتبهم، و الإنصاف يقتضي نسبة ما قاله الشافعي نصّاً إليه لأنّ هذه الأحاديث مشهورة ويبعدُ أن تخفى صحّتها على مثل الإمام الشافعي ثمّ ينظر في الترجيح بالأدلة؛ و الراجح أنه العصر لثبوت الأحاديث في ذلك و هو اختيار أكثر أهل الحديث كالطبري و غيره. ينظر مع المصادر السابقة: ابن كثير: ١/ ٦٥٨

(٢) الطبري: ٤/ ٣٦٩ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٩٥

(٣) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس : ١/ ٦٨ (٣٦) و النهاية: ٤/ ١١١ وتهذيب اللغة ولسان العرب و مختار الصحاح : (قنت).

(٤) رواه أحمد: ٣/ ٧٥ (١١٧٢٩) و أبو يعلى : ٢/ ٥٢٢ والطبري :٤ / ٣٧٩ و ٥/ ٤٠٠ و الطبراني في الأوسط: ٢/ ٢٢٤ (ح ١٨٠٨) و ٥/ ٢٣٤ و ابن حبان: ٢/ ٧ مرفوعا من طريق عمرو بن

وقال عكرمة (١) : كانوا يتكلَّمون في الصَّلاة فَنُهُوا عن ذلك، وأشار إلى أنّ في هذه الآية نهياً عن الكلام وأمراً بالسُّكوت. والقنوت هو القيام والسكوتُ والدُّعاء بالخشوع.

قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا﴾ [الآية :٢٣٩] .

(فإنْ خفتم) سَبُعاً أوعدوّاً (فرِجالاً)أي فَصَلُّوا رجالاً أو ركباناً، رجالاً جمع راجِلٍ مثل صاحب وصِحابٍ، وقيل واحد الرِّجَالِ راجِلٍ ورَجْلٌ ورَجُلٌ ورَجْلانٌ (٢) وأنشد (٣):

حلفتُ لئن لاقيتُ ليلى بخلوةٍ أنْ ازدارَ بيتَ الله رَجْلانَ حافياً

يعني أن أحُجّ ماشياً. قال مجاهد (٤) : مشاة أو ركباناً على الخيل [و١٤٣] فليصلِّ كيف ما أمكنه.

ولو قُرأ: (رُجَّالاً) (٥) مثقَّلة لكان جائزاً مثل كافرٍ وكُفَّارٍ وفاسِقٍ وفُسَّاقٍ ويكون جمع

الحارث عن درّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النّبي ﷺقال: كل قنوت في القرآن فهو طاعة) . قلت: و سندُهُ ضعيف. قال الحافظ ابن كثير: ١/ ١٦١ (ولكنّ في هذا الإسناد ضعفاً لا يُعتمد عليه ورفعُ هذا الحديث منكر وقد يكون من كلام الصحابي أو من دونه -والله أعلم-وكثير ما يأتي بهذا الإسناد تفاسيرُ فيها نكارةٌ فلا يغترَّ بها فإنَّ السندَ ضعيف)اهـ. وذكره الثعلبي عن أبي سعيد الخدري مرفوعا : ٢/ ١٩٩ .

(١) الطبري: ٤/ ٣٨١ و الدر: ١ / ٣٠٦ .و قد قال به جماعة غير عكرمة: الطبري:٤ / ٣٧٩- ٣٨١

(٢) الطبري: ٤/ ٣٨٥ و المحرر: ١/ ٣٢٢ والبحر: ٢/ ٢٤٣ و ينظر: لسان العرب و تاج العروس: (رجل).

(٣) نسبه الطبري لبعضِ بني عُقيل: ٤/ ٣٨٥ و هو في ديوان مجنون ليلى قيس بن الملوِّح : ٣١٠ ولسان العرب وتاج العروس مادة: (رجل)و أوضح المسالك: باب الحال: ٢ / ٣٣٥ و التصريح : ١ / ٣٨٥ .

(٤) الطبري: ٤/ ٣٨٧ بأطول ممّا هنا. و عزاه في الدر: ١/ ٣٠٨ إلى الطبري و عبد بن حميد و ابن المنذر.

(٥) قراءة شاذّة : ذكرها الطبري: ٤/ ٣٨٥ و صاحب المحرر١/ ٣٢٤ و البحر: ٢/ ٢٤٣

الرِّجال: رُجُلٌ جمعَ الجَمعِ كثِمارٍ وثُمُر وكتاب وكُتُبٍ (١) ، ويقال قوم رَجْلٌ قال الله تعالى (بخيلِك ورَجْلِك) (٢) .

قوله: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾ ذلك الخوفَ واطمأننتُم ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾فصلّوا لله ﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ كيفيّتها في حال الأمنِ (٣) ﴿مَّا لَمۡ تَكُونُواْ﴾ مِن قبل تعليمه إيّاكم عالمينَ به يُنبِّههم على عظيم مِنّته عليهم من حيث علّمهم من أحكامِ الشريعة ما ذهبَ علمُه على الكفار.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم﴾ [آية:٢٤٠] قُرأ (وصيّةً) بالنَصب والرّفع جميعاً قرأ نافع وابن كثير والكسائي وأبو بكر عن عاصم (وصيّةٌ) بالرّفع، وقرأ الباقون بالنّصب (٤) فمن رَفَعَ أراد: فَعَليْهم وصيّة لأزواجهم، وقيل معناه :كُتِبَ عليهم وصيّةٌ لأزواجهم.

وقال قُطْرُب : الرفع على الابتداء أي وَصيّة واجبةٌ لأزواجهم، ومن نَصَبَ أراد: فليُوصُوا وصيّة لأزواجهم (٥) .

---

(١) الثّمُر جمعٌ، و يجوز في الحرف الثاني من (ثمر و كتب) التسكين و الضمّ. ينظر مثلا: لسان العرب و مختار الصحاح : (ثمر). و التسكين جائز في ما كان من الجموع على (فُعُل) بضمَّتين إن لم يكن ثانيه واواً و لم يضاعف مثل : (سرر) فمثل سرر لا يسكن ثانيه : همع الهوامع:٣/ ٣١٣

(٢) جموع راجِل أوصلها صاحب تاج العروس إلى عشرين و في بعضها -كما قال- نظرٌ (تاج العروس: رجل). و ذُكر في اللسان و القاموس المحيط والبحر: ٢/ ٢٤٣ ثم في الدر المصون: ١/ ١٩٥ طائفة من جموعه.و قد تلتبس جموع راجل بجموع رجل و المصنف رحمه الله و غيره من المفسرين ممن ذكر هذا لو كانوا اقتصروا على المشهور منها لكان أولى إذ تفصيل مثل هذا محلّه الأليق به كتب اللغة لا التفسير.

(٣)ينظر: الطبري: ٤/ ٣٩٥ والوسيط: ١/ ٣٥٣

(٤) المبسوط: ١٤٧ و الروضة:٢/ ٥٦٦ و النشر: ٢/ ٢٢٨

(٥) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٧٥ وإعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٢٣ و كشف المشكلات: ١/

وقال ابن جرير (١) : إن الوصيّة كانت واجبة للمُتوفّى عنها زوجُها أوصى بها الزّوج أو لم يُوصِ، وَوَجْهُ النصب فيه أنْ يُقال معناه: كَتَب الله لأزواجهم، وعليكم أنْ لا تخرجوهنّ من بيوت أزواجهنّ حولاً وصيّة من الله سبحانه لهم بذلك.

قال ونَصْبُ قوله ﴿مَّتَـٰعًا﴾بمعنى جَعل ذلك لهنّ متاعا، قال: ونصبُ قوله ﴿غَيْرَ﴾ على النعتِ للمتاع، كقولك هذا قيامٌ غير قعودٍ.

و قوله: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي أنّ القعود حولاً كان حقّاً للمرأةِ غيرَ واجبٍ عليها في بيتِ الزَّوج، ولا تطلب النَّفقة ، وكان على الورثة أنْ لا يُخرجوهنّ فإن اختارت المرأةُ أن تخرجَ من بيتِ الزّوج ولا تطلُبَ النّفقة فليس على الورثة جُناحٌ، ولا يجبُ عليهم منعُها ولا كان عليها أيضاً جناحٌ في ذلك لو تركتْ حقَّها، وهذا معنى قوله ﴿فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ أي التزويج لِزوجٍ آخر والتزوّج بزوجٍ آخَر على ما هو معروف في الشرع بالإذن فيه (٢) .

وأجمعوا على أنّ حُكم السّنَةِ منسوخٌ بالأربعةِ الأشهر والعشر إلاّ مجاهداً (٣) فإنه قالَ إنها بالخيارِ إنْ شاءت قعدتْ في بيتِ الزّوج وإنْ شاءت خَرَجت عن بيته لكنّ العِدّة واجبةٌ

---

١٧٢ والبحر: ٢/ ٢٤٥

(١) لخّص المصنف مراد الطبري فقد أطال و أطاب رحمه الله في هذا:٤/ ٣٩٧ – ٤٠٠

(٢) ينظر: الناسخ و المنسوخ لأبي عبيد : صـ ١٢٩ والطبري: ٤/ ٤٠٠ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٠١ و الوسيط: ١ / ٣٥٣ و التفسير الكبير: ١/ ١٣٤ و البحر: ٢/ ٢٤٥ و في أحكام القرآن للجصاص: (واتفق أهل العلم على أنّ عدة الحول منسوخة بعِدّة الشهور .. وأنّ وصية النفقة والسكنى للمتوفّى عنها زوجها منسوخةٌ إذا لم تكن حاملا واختلفوا في نفقة الحامل المتوفى عنها زوجها أيضا –وسنذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى –ولا خلاف بين أهل العلمِ أيضا في أنّ هذه الآية خاصةٌ في غير الحامل)اهـ: ١/ ١١٩ و ينظر: القرطبي: ٣ / ٢٢٦

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير:(ح ٤٥٣١) و فتح الباري: ٨/ ١٩٤ والطبري: ٤/ ٤٠٥

عليها. فعنده اِبتداء الوجوب في المتوفى عنها زوجها أربعة أشهرٍ وعشر ثم أكمل الوجوبَ عليها حولاً كاملاً كذلك روى عنه ابن جرير بإسناده (١) .

﴿مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ﴾ أي مَتِّعُوهُنَّ متاعاً، ويحتمل أنْ يكون نصباً بالمفعول للوصيّةِ كقوله ﴿ أَوۡ إِطۡعَـٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ﴾ [البلد: ١٤ -١٥] وقرأ (متاعٌ) أي لِيَكُن متاعٌ (٢) .

﴿غَيۡرَ إِخۡرَاجٖ﴾ نصبٌ على الحال ويحتمَلُ أنه لفقدانِ الخافض أي من غير إخراج.

وكان هذا في أوّل الإسلام قبل نزول آية المواريث عِدَّةُ المرأة المُتوفى عنها زوجها -إنْ لم تكن حبلى- قُعودُ سنة في بيت الرجل يُنفَق عليها من ماله فَنُسِخَ قعودُ السنة بأربعة أشهر وعشرا، والنفقة بالربع أو الثمن لهُنّ. والمعني بالمتاع ههنا نفقةُ سنة فإنْ خرجَتْ من بيت الزوج باختيارها لم يكن لها نفقة قال تعالى: متعوهن (متاعا)ولا تخرجوهن (إخراجاً) .

﴿فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ﴾ يعني بالمعروف وذلك التزيّنُ للأزواج، وقيل التزوُّج بعد انقضاء العدّة بِزوجٍ آخر. ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٞ﴾ في أمره.

فمجاهدٌ يرى أنها ليست منسوخةً وإنما خُصَّ من الحول بعضه وبقي البعض وصية لها إنْ شاءت أقامت. قال القاضي أبو محمد ابن عطية : (وألفاظُ مجاهد -رحمه الله -التي حكى عنه الطّبري لا يلزمُ منها أن الآية محكمةٌ ولا نصَ مجاهدٌ ذلك بل يمكن أنه أراد ثم نُسخ ذلك بعدُ بالميراث)اهـ. والمحرر: ١/ ٣٢٦ ونقله عنه أبو حيان: ٢/ ٢٤٥ وينظر: تعقُّب القرطبي له: ٣/ ٢٢٧ .

(١) المصدر السابق.

(٢) معاني القرآن للأخفش: ص١٢٨ والطبري: ٤/ ٤٠٧ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٠٠ و البحر: ٢/ ٢٤٥

قوله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية :٢٤١] أراد به التي لم يُسَمّ لها فرضٌ فطُلِّقت قبل الدّخول بها يمتَّع لهنّ ﴿مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي حَقَّ عليهم حقّاً أنْ يرغبوا فيما رَغَّبهم الله.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [آية:٢٤٢] أيْ مثلَ هذا البيان ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ ما هو فارضٌ عليكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي تستعملون ما أمركم به، وليس يريد به عقل التكليف إنما يريد به العقل الذي هو استعمال الأشياء المستقيمة ، وهذا كقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء:١٧] ليس يريد أنهم كانوا جاهلين بالذّنب ولكن أراد به (١) أنهم غَلَبَ عليهم أهواءهم فركِبوا الذّنوب فسمّاهم جاهلين قاله الزجاج. (٢)

واختلفوا في المعنية بقوله ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ﴾ في هذه الآية فقال مجاهد (٣) : هي الثيّب إذا طُلقت بعد الدَّخول لأنّ الله ذكر حُكْم غيرِ المدخول بها فيما قبلُ.

وقال سعيد بن جبير (٤) : ذلك عامٌّ في كلِّ مطلقة. وقال ابنُ زيد (٥) : لما نزل قوله ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[آية: ٢٣٦ من البقرة] قال رجلٌ إنْ أحسنتُ فعليّ ذلك وإن لم أُرِدِ الإحسان

---

(١)تكررت : أراد به . خطأ في الأصل.

(٢) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٧٥

(٣) الطبري: ٤/ ٤١٠

(٤) سنن سعيد بن منصور: (١٧٨٤) الطبري: ٤/ ٢٩٥ و ٤١١ و هو قول الحسن و أبي العالية واختاره الطبري: ٤/ ٤١٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١٩٠ و القرطبي: ٣/ ٢٨

(٥) الطبري: ٤/ ٤١٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٠١ و الدر: ١/ ٣١٠ و عزاه للطبري.

فـلا عـليّ شيء فأكّـد الله الأمـر بقولـه ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ﴾ثـم قـال ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾. وقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي لتعقِلوا بتبيُّن الآيات أحكامَ الشّريعة.

قولـه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [الآيـة :٢٤٣] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلَـم ومعناه ألم ينتهِ عِلمُك إلى خَبَرِ هؤلاء، وهذه الألفُ ألفُ التَّوقيفِ(١)؛وهـذا تعجيـبٌ وتعظيـمٌ للأمر يريدُ هل رأيتَ مثلَهُم و ﴿تَرَ﴾ متروكُ الهمزة إجماعاً من أهل اللغة والأصل : ترأى (٢) .

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسـلم (٣) : كانوا مؤتلِفةً قلوبهم، جعله جمعُ آلِفٍ (٤) مثل جالِسٍ وجلوسٍ وقاعِدٍ وقعودٍ.

ومنهم من حَمَلَهُ على العدد أي كانوا أُلوفاً جمعُ الألِفِ أي أعداداً كثيرين فمنهم من قـال: كانوا أربعة آلاف ومنهم من قال كانوا عشرة آلاف عن أبي رَوْقٍ (٥) .

ومنهم من قال أربعون ألفاً، ومنهم من قال: ثلاثة آلاف عـن عطـاء (٦) ، ومـنهم مـن قال: ثمانية آلاف عن ابن عباس (١).

---

(١)هذه عبارة الزجاج: ١/ ٢٧٥ و التوقيف يعني التقرير. و ينظر: الكشاف١/ ٤٧٠ والبحـر٢/ ٢٤٩

(٢) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٧٥ و في لسان العـرب : (اجتمعـتْ العـربُ، الـذين يهمـزون والـذين لا يهمزون، علـى ترك الهمز في قولك يَرَى و تَرَى و نَرَى و أَرَى...إلا تَـيْمَ الرِّباب فإنهم يهمزون مـع حـروف الـمضارعة فتقول هو يَرْأَى و تَرْأَى، و نَرْأَى و أَرْأَى، وهو الأَصل)اهـ. باختصارٍ.(رأي)

(٣) الطبري: ٤/ ٤٢٠ و هو قول غريبٌ. و جعله الزمخشري :(من بدع التفاسير): ١/ ٤٧٠ قـال أبـو حيان: (و هو كما قال)اهـ. ٢/ ٢٥٠

(٤)أي مؤتلفة قلوبهم من الألفة يقال ألف فهو آلف.

(٥) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٠٣

(٦) رواه عن عطاء الخراساني الطبري: ٤/ ٤١٨ و حكاه الثعلبي: ٢/ ٢٠٣ و البغوي: ١/ ٢٩٣

وقال ابن جرير (٢) : وأولى الأقاويل فيه قولُ من قال كانوا عشرة آلاف فصاعداً لأنَّ الألوف عبارة عما زاد على عشَرةِ آلافٍ وما دون عشرة آلافٍ يقال فيه آلاف فإذا زادَ على عشرة آلاف يقال هم أُلُوفٌ.

وقوله ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ نصبٌ على المصدَر أي حذِروا الموتَ حذَراً، وجائز أن يكون منصوباً لأنّه مفعولٌ له أي خرجوا لحذر الموت فلمّا حُذِف اللام نصبَه (٣) .

واختلفوا في هذه القصة فقال السدي (٤) : إنهم فِرقةٌ من بني إسرائيل خرجوا من بلدٍ فِراراً من الطاعون فأماتهم الله، ومرّت عليهم السِّنُون حتى عَرِيت عِظامهم فمرّ بهم نبيٌّ يقال له حِزقِيل فأوحى الله إليه نادِ فيهم أنْ قوموا (٥) بإذنِ الله فنظَرَ إليهم قياماً يقولونَ: سبحانك اللهمّ وبحمدك لا إله إلا أنت.

---

(١) روى الطبري٤/ ٤١٨ عن ابن جُريج قال قال ابن عباس : (كانوا أربعين ألفا أو ثمانية آلاف). وذكر الثعلبي ٢/ ٢٠٣ عن ابن عباس ووهب : أربعة آلاف. وروى الطبري عن ابن عباس أيضا: أربعة آلاف. ٤/ ٤١٤

و معرفة عددهم تحديداً لا ينبني عليه فائدة تُذكَر، ولكنّ ذِكْرَه في التفاسير من باب إيضاح القصص المتعلق بالآية لا يضرّ و لذا فعله العلماء .

(٢)الطبري: ٤/ ٤٢٣ - ٤٢٤

(٣) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٧٦ و البحر٢/ ٢٥٠

(٤)الطبري: ٤/ ٤١٧ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٤٥٨ و خبره طويل و ليس فيه أنهم قالوا: سبحانك اللهمّ وبحمدك لا إله إلا أنت. و إنّما أسند الطبري بعده هذا في خبر مجاهد: ٤/ ٤١٨ وكذلك ذكر الثعلبي: ٢/ ٢٠٤ خبر السدي و ليس فيه هذا و ذكره هو و الطبري و ابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٥)في الأصل: قاموا.

وقيل نزل (١) : في بعض بني إسرائيل أمرهم نبيٌّ لهم بمجاهدةِ عدوٍّ لهم فكرِهـوا وثَقُـلَ عليهم وقالوا: البلد الذي تأمُرُنا بالخروج إليه بها الطاعون، وإنما نخاف المـوتَ، فأمـاتهم الله عن آخرهم ثمانية أيّامٍ ،و تروَّحتْ أجسادهم رائحةَ الموتى، ثم بعثهم الله وبَقِيت تلـك الرائحة في نسْل بعضهم إلى يومنا هذا.

وقيل النبيّ الذي بُعِثوا بدعوته حزقيل وهو ذو الكِفْل وسمّي ذا الكفل لأنّه تكفّـلَ بِبَـدنِ سبعين نبياً من بني إسرائيل وخلّى سبيلهم، وقال لأنْ أُقتل أنا وحدي خيرٌ مـن أن يُقْتلَـوا جميعاً ثمّ إن الله عصمه من اليهود ونجاه فسُمّي ذا الكِفْل (٢) . وقيـل دعـا لهـم حِزقيـل وتشفّع فيهم، وقيل قال: إلهـي كنـتُ بـين قـومٍ يـدعونُك ويـسبحونك فبقيـتُ وحـدي فأحياهم.

وقيل في قوله: ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آية:٢٤٤] عقيب هـذه الآيـة أنـه خطـاب لأولئك القوم بعد أنْ أحياهم أخبر الله سبحانه عن ذلك، وقيل بل هو خطابٌ لأمة محمد (٣) .

وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بأنْ أحياهم وأراهم البيـانَ والبرهـانَ الذي لاشكَّ بعده ويوجِبُ لهم علمَ اليقين.

---

(١) الطبري: ٤/ ٤١٥ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٠٢ – ٢٠٣

(٢)الطبري: ٤/ ٤١٤، ٤١٩ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٠٣

(٣)هذا الأخير هو الراجح و هو قول الجمهور: المحرر: ١/ ٣٢٩ و القرطبي: ٣/ ٢٣٦ و عزاه العلامـة النكزاوي في الاقتداء في الوقف و الابتداء لأكثر أهل العلم : ١/ ٤٠٧ .والقول الأول بيّن الطبري أنه لا وجه له : ٤/ ٤٢٧ – ٤٢٨ و رجّح كون الآية خطابا لأمة محمد صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ورجحه أيضا أبو حيان: ٢/ ٢٥١ ، و قد عكس الثعلبي فعزا القول بأنّ الآية خطاب للذين أُحيُوا إلى أكثـر المفسرين : ٢/ ٢٠٥ و تبعه البغوي: ١/ ٢٢٥

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله عليهم، وقيل في هـذه الآيـة دليلٌ على صحة النبوة حيث أخبر عمّا وجدوا تصديقَهُ في كتبهم ولم يُعلَم منه تلاوةُ كتـابٍ ولا شعرٍ يوجب له ذلك فكان فيه حجّـةً عـلى أهـل الكتـاب و مـشركي العـربِ جميعـاً ومعجزةً للنبي صلَّى الله عليه وسلَّم قاطعة (١) .

قولـه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [الآيـة: ٢٤٥] قيـل في الكـلام اختصارٌ وحذفٌ والمعنى: من ذا الذي يقرض عبادي والمحتاجينَ من خلقي، وأضافه إلى نفسه للتفضيل والتعطّف(٢) كما جاء في الخبرِ (٣) : استطعمتُك فلم تطْعمني .

وقرأ (فَيُضاعِفُهُ)و (فَيُضَعِفُهُ)و (فَيُضَعِّفُهُ) وقرأ ابن عامر وعاصم بالنـصب وقـرأ البـاقون بالرفع وقرأ ابن عامر وابن كثـير بالتـشديد والبـاقون بـالتخفيف (٤) . والمعنـى في يُـضَعِّفُ ويضاعِف واحد وهو أن يُعطِي أضعاف ما أقرض فمن نصبَ (٥) فلأنـه جـوابُ الاسـتفهام بالفاء ومن رفع عطف على يُقرِضُ برَدِّ آخر الكلام على أوّله فيرفعُ آخره كما رفع أوّله على التَبعِ

---

(١) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٧٦

(٢)تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٠٥ و البغوي: ١/ ٢٢٥ و ينظر: السمعاني/ ١/ ٢٤٧

(٣) أخرجه مسلم من حديثِ أبي هريرة قال: قال: رسولُ الله ﷺ (إنَّ الله عزَّ وجل يقولُ يوم القيامـة يـا ابنَ آدم مرضتُ فلم تعُدْني قال يا ربِّ كيف أعودُكَ وأنتَ ربُّ العالمين، قال: أَمَا عَلِمْتَ أنَّ عبـدي فلاناً مرِضَ فلم تعُدْهُ أما عَلِمْتَ أنك لو عدتَهُ لوجدتَني عنده يا ابنَ آدم استطعمتُكَ فلم تطعِمنـي قال يا ربِّ وكيف أُطعِمك -وأنت ربّ العالمين- قال أما علمتَ أنّه استطعمكَ عبـدي فـلانٌ فلـم تطعِمْهُ أما علمتَ أنك لو أطعمتَهُ، لوجدتَ ذلك عندي ...) الخ. في كتاب البر باب (١٣)فضل عيادة المريض)(٢٥٦٩). و ابن حبان: ١/ ٥٠٣ (٢٦٩) و ٣/ ٢٢٤ (٩٤٤).

(٤) السبعة: ١٨٤ و الروضة: ٢/ ٥٦٧ و النشر: ٢/ ٢٢٨

(٥) ينظر في توجيه القراءات فيهـا : تفـسير الطـبري: ٤/ ٤٣١ و معـاني القـرآن للزّجـاج: ١ / ٢٧٧ ومعاني القراءات للإمام أبي منصور الأزهري: صـ ٨١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٠٦ و الوسيط: ١/ ٣٥٥

كقولــه ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ (١) فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات:٣٦] وكقولــه: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء:٨٩] وقولـه : ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [النساء:١٠٢].والقرضُ القطعُ وسُمّي الدَّينُ قرضاً لأنّ المُقرِض يقطعُه عن ماله، كذلك عند من جعله بمعنى الصدقة يقول المراد به الصدقةُ سمّاه قرضاً لأن المتصدِّق يقطعه عن ماله،(٢) ويحسُنُ أن يقال لأنّه يُقرِضُ حُبَّهُ عن قلبه فيتصدق به. وقال بعضهم (٣) : القرض أن يعطي الرجل شيئاً ليرجع إليه في مثلِهِ فشبّه الله عمل المؤمنين لله على ما يرجون من ثوابه بالقرض.

وقال الكسائي (٤) : القرضُ ما أسلفتَ من صالحٍ أو حسنٍ.

وقال الزجاج (٥) : القرض في اللغة البلاء الحسن والبلاء السيئ يقول لكَ عندي قرضٌ حسنٌ وقرضٌ سيئ ،ولهذا قال ههنا ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ لأن القرض منقسم إلى حسنٍ وسيئٍ عندهم. وأصله ما يفعله الرجل على ما بيّنا.

قال الزجاج (٦) : فمعنى القرض كلُّ ما تُعطيه لتأخذَ جزاءه قال: ولو كان قرضاً ههنا مصدراً لكان إقْراضاً فدلّ أنّه اسم لما يعطيه الرجلُ على ما ذكرنا.

---

(١) سقطت ﴿لَهُم﴾ من الأصل.

(٢) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٧٧ و لطائف الإشارات للمصنف: ١/ ١٧٥ و البحر: ٢/ ٢٤٨ ولسان العرب : (قرض) ٧/ ٢١٦ و تاج العروس (قرض).

(٣) تفسير الطبري: ٤/ ٤٢٨ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٧٧ و الثعلبي: ٢/ ٢٠٥

(٤)تفسير الثعلبي ١٣١٢/٢و القرطبي: ٣/ ٢٣٩ و هو قول الأخفش أيضا: معاني القرآن: صـ ١٢٩

(٥) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٧٧

(٦) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٧٧ و مقصوده : أنّه اسم لا مصدرٌ ولو كان مصدراً لكان إقراضا وينظر: التفسير الكبير للرازي: ٦/ ١٤٣ والبحر: ٢/ ٢٥٢

وقوله ﴿حَسَنًا﴾ قيل طيبةً بها نفسُه، وقيل أنْ يكون المالُ من حلالٍ وقيل لا يَمُـنّنَّ ولا يؤذِي وقيل لا تَدَّعي مِلكا لنفسك تُعطي من مال الله (١) .

﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ قُرأ (ويبصُطُ) بالصاد وهي لغة، قـرأ أبـو عمـرو وحمـزة بالسين وقرأ الباقون بالصّاد. (٢) وقيل يُوَسِّعُ على الغَنِيّ نظراً منه ويُقتّر على الفقير رحمةً له، وقيل يبسطُ عليه بالخَلَف في الدنيا وفي الآخرة جميعـاً؛ وقيـل ﴿يَقْبِضُ﴾ يُقـتِّر عـلى الفقير في الدُّنيا و يبسط عليه في الآخرة. (٣)

وقيل يقبض بعض القلوب لئلا ينشَط لفعلِ الخير ويبسُط بعـضَ القلـوب حتـى ينـشَط لأعمال الخير، وقيل يسلب قوماً ما أعطاهم ويعطي آخرين وقيل يقبض يقتّر عليهم النعم ويبسط قلوبهم بُحسُن الرّضى، وقيل يقبضُ القلوب عـن الاعـتراضِ ويبـسُطها بجميـلِ القناعة (٤).

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قيل إلى الله المصير يعني إلى حكمـه، وقيـل أراد بـه إلى الـتُّراب ترجعون عن قتادة (٥) .

---

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٠٦ و الوسيط: ١/ ٣٥٥ و زاد المسير: ١/ ٢٩٠ .

(٢) معاني القراءات للأزهري: صـ ٨١ و الروضة: ٥٦٨ – ٥٧١ و غاية الاختصار: ٢/ ٤٣١ و النـشر: ٢/ ٢٢٨ واتحاف فضلاء البشر: صـ ١٦٠ . و عن حمزة و أبي عمـرو البـصري و حفـص وغـيرهم اختلافٌ في الروايات والطرق مبيّن في المصادر المشار إليها. و قد نصُّوا لحفص على الوجهين.

(٣) تفسير الطبري: ٤/ ٤٣٣ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٧٧ – ٢٧٨ وتفـسير الثّعلبـي: ٢/ ٢٠٧ و البحر: ٢/ ٢٥٣

(٤) معـاني القـرآن للزّجـاج: ١ / ٢٧٧ - ٢٧٨ ،وتفـسير الثّعلبـي: ٢/ ٢٠٧ ولطـائف الإشـارات للمصنف: ١/ ١٧٦ وفيه عبارات كثيرة ، و البحر: ٢/ ٢٥٣ و روح المعاني: ٢/ ١٦٣.

(٥) تفسير الطبري: ٤/ ٤٣٥ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٤٦٢ (٢٤٣٩)

وقيل لمّا نزلت هذه الآية جاءَ أبو الدَّحداح (١) إلى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وقال : إنْ تصدَّقتُ بحديقتي فليَ مثلها في الجنة قال نعم. قال: وأمُّ دَحْداحٍ معي قال: نعم قال: والصِّبية معي قال نعم، فقال: إني قد تصدَّقتُ بحديقتيَّ فقال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم تصدّق بأحدِهما واترك الأخرى لِمعيشتك فرجعَ أبو الدحداح فوجد أم الدحداح والصبية في الحديقة التي تصدق بها فتحرّج أن يدخلها فنادى أُخرِجي فإني جعلتُ حديقتي صدقة واشترطتُ مثلها في الجنة وأمُّ الدحداح والصبية معي فقالت بارك الله لك فيما شريتَ وفيما اشتريتَ فخرجوا منها وسلَّموا الحديقة إلى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم فقال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم كم من نخلة مدلّاةٍ عُذُوقُها لأبي الدحداح في الجنّة (٢) .

---

(١)أبو الدَّحْداح كنية ثابت بن الدَّحداحِ رضي الله عنه وقد تقدمت ترجمته. عند قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة:٢٢٢].صـ ١٠٩١.

(٢) تفسير مقاتل: ١/ ١٢٦ و قد ساق المصنف بعض الروايات مجموعة في قصة أبي الدحداح رضي الله عنه كما صنع الثعلبي قبله فإنه قال: (و عن ابن مسعود و أبي أمامة و زيد بن أسلم – دخل حديث بعضهم في بعضٍ – ...) الخ. تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٠٧ . و من طرق القصة رواية حُمَيْد الأعرج الكوفي القاص عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود مختصرة: ولفظها : (قال لمّا نزلت (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) قال أبو الدحداح يا رسول الله وإنّ الله يريد منا القرضَ قال نعم يا أبا الدحداح قال فإني قد أقرضتُ ربي حائطي حائطا فيه ست مائة نخلةٍ ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وفيه أمُّ الدحداح في عيالها فناداها يا أمَّ الدحداح قالتْ: لبّيك قال أُخرجي فإني أقرضتُ ربي حائطاً فيه ست مائة نخلة)اهـ. أخرجها سعيد بن منصور(٤١٧ – تفسير) و البزار ٥/ ٤٠٢ (٢٠٣٣) و أبو يعلى (٤٩٨٦) و الطبري: ٤/ ٤٣٠ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٤٦٠(٢٤٣٠) و الطبراني في الكبير : ٢٢/ ٣١٠ (٧٦٤) و البيهقي في الشعب: (٣٤٥٢).

قال البزار: (وهذا الكلامُ لا نعلمُهُ يُرْوَى عن عبدِ الله إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد ولا نعلم رواه عن حُمَيْد إلا خَلَف بن خليفة) اهـ.

وقال الهيثمي: (رواه أبو يعلى والطبراني ورجالهما ثقاتٌ ورجالُ أبي يعلى رجالُ الصّحيح)اهـ. مجمع الزوائد: ٩/ ٣٢٤ قلت: سنده ضعيف حُمَيْد هو الأعرج الكوفي القاصّ يقال هو حُمَيْد بن عَطاء و يقال

وقيل لمّا نزل قوله ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾ [الأنعام:١٦٠] قال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: ربِّ زِدْ أمَّتي فنزلت﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾ قال ربِّ زِدْ أمتي [١٤٥و] فنزلت ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠](١) قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾الآيةُ [٢٤٦]. ألم تُخْبَرْ وقيل ألم تَعلم.

والملأ الأشراف ولا واحدَ له من لفظه كالإبلِ والقوم وجمعهُ أملاءٌ (٢) قال الشاعر:

سَطِ الأملاءَ وافتتحِ الدّعاءَ لعلّ الله يكشِفُ ذا البلايا (٣)

قال الزجاج (٤) : والملأ الخُلُق (٥) قال الشاعر (١) :

ابن عَلِي و يقال : ابن عبُيَد قال البخاري و الترمذي : منكر الحديث و ضعفه أحمد أبو حاتم و النسائي و ابن عدي(تاريخ البخاري الكبير: ٢/ (٢٧٢٤) و الجرح و التعديل: ٣ / (٩٩٦) وتهذيب الكمال: ٧ / ٤٠٩ – ٤١٢) .

و يشهد لبعضه : مرسل عن زيد بن أسلم عند عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٩٨ والطبري: ٤/ ٤٣٠ وقتادة: عند الطبري: ٤/ ٤٣٠ و ينظر: الدر: ١/ ٣١٢ .فهذا ما يتعلّق بالآية من قصته رضي الله عنه.

(١) يُروى هذا من حديث ابن عمر رضي الله عنه و سنده ضعيفٌ ينظر: صحيح ابن حبان: ١٠ / ٥٠٥ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٤٦١ (٢٤٣٥) و العجاب: ٤٢٣ و قد فصل القول في سنده و الدر: ١/ ٣١٢

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٧٨ و الغريبن لأبي عبيد الهروي: ٦/ ١٧٦٩ (ملأ) ولسان العرب وتاج العروس: (ملأ) و النهاية٤/ ٣٥١ مادة(ملأ).

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٠٨ ولم أعثر عليه في غيره،و لا تبيّن لي معنى (سط) لكن رسمتها كما في المخطوط.

(٤)معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٧٨ و ما سيذكره المصنف فيما بعد في معنى الملأ فمنقول منه.

(٥) بضمّ الخاء واللام .

فقُلنا أحسِني ملأً جهينا

ويُقال أحسني ممالاةً أي معاونةً، ويُقال رجلٌ مَلِيء (٢) مهموز بيِّن المَلاءِ. وأصله في اللغة في الجميع من شيء واحد (٣) ، والملأ الرُّؤساءُ إنما سُمّوا بذلك لأنّهم مُلاءٌ بما يحتاج إليه منهم، و الملأُ الذي إنما هو الخُلُق المَلِئُ بما يحتاج إليه، والمَلا (٤) المُتَّسَعُ من الأرض غير مهموز يُكتَب بالألف والياء وهو عند البصريين يكتب بالألف وأنشد (٥) :

ألا غنِّياني وارفعَا الصَّوت بالمَلَا فإنَّ المَلَا عندي يزيد المَدَى بُعْدا

و قوله: ﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآيةُ [٢٤٦] قيل اسمُ ذلك النبيّ أُشماويل قاله مجاهد (٦) وقال قتادة (١) : يُوشع بن النّون وقال السُدّيّ (٢) :هو شَمْعُون والله أعلم.

---

(١)هو شطر بيت لعبد الشارق بن عبد العُزَّى الجهني: من قصيدة له في الحماسة لأبي تمام : شرح الحماسة للمرزوقي: ١/ ٤٤٢ و أوله : تَنادَوا يا لَبُهْثَةَ إذْ رَأَوْنا و البيت في إصلاح المنطق: ١/ ٣٨٣ منسوبا للجهني وغريب الحديث للحربي بلا نسبة: ١/ ٣٣٩ ، و تاج العروس : (بهث) ١٢١٨ منسوبا لعبد الشارق، و لسان العرب و نسبه للجهني في مواضع منها (ملأ و بهث). و نُسب في حماسة البحتري: صـ ٤٧ لسلمة بن الحجاج الجهني.

(٢) يعني ذو يَسَار.

(٣) في كتاب الزجاج: (و أصلُ هذا كلِّه في اللغة مِن شيء واحدٍ)اهـ.

(٤)في المطبوع من كتاب الزجاج (الملأ) بالهمز و هو خطأ فهو بلا همز كما نص عليه أئمة اللغة كالزجاج و الأزهري و غيرهم ونقله صاحب اللسان و تاج العروس وغيرهما.

(٥) البيت في غريب الحديث للخطابي: ١/ ٦٦٨ و لسان العرب وتاج العروس(ملا) ومعجم البلدان : ٥/ ١٨٨

(٦) الطبري: ٤/ ٤٣٦ و الدر: ١/ ٣١٥ و في طبعة دار هجر تحـ. د/ عبد الله التركي: شمؤل. وينظر: تفسير مقاتل: ١/ ١٣٠ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٠٨

وقـرأ الجميـع(نُقاتِـل) بـالنُّون جزمـاً عـلى الجـزاء وجـواب الأمـرِ، وبعـضهم قـرأ في الشواذّ (٣) (يقاتل) بالياء جزماً ،ولو قُرأ بالياء رفعاً لجاز ذلك على أنْ يُجعَل (يقاتل) من صلة الملك كأنه نعتٌ والجزمُ على الجواب (٤) . قال أبو معاذ النحوي (٥) : وفي بعـض المصاحف: (ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ به فِي سَبِيلِ الله).

ويكون في الرفع الجَزْم للهـاءِ الرَّاجعـة عـلى المَلِـك تقـولُ في الكـلام اِبعـث إليَّ مـن (٦) يَخْدُمُني ويَخْدُمْني رفعاً وجزماً ، الجزم على الجوابِ (٧) والرّفع على معنى اِبعث إليّ رجلاً خادِماً، ويكون حينئذٍ يخدمني في موضع النّعت للرجل (٨) ، ويقال اِبعث إليّ ثوباً أَخرُجْ إلى السوق جزماً لا غيرُ لأنَّ الخروج ليس من نَعـتِ الثّـوب، فـإنْ زِدْتَ الهـاء كـان لـكَ الوجهان الرفعُ والجزمُ تقول: ابعث إليَّ ثوباً أخرجْ فيه إلى السوق و أخرجُ فيه إلى الـسّوق (٩) ، فإذا قلتَ اِبعث إليَّ غُلامَك يَخْدُمْني فالجزم أحـسنُ لأنَّ غلامَـك معرفـةٌ (١٠) لا يحتاجُ إلى النَّعتِ كما تحتاجُ النَّكِرةُ ألا ترى أنَّك تقولُ ضَرَبْتُ رجلاً يقول ذلـكَ وشـتمتُ

---

(١)تفسير عبد الرزاق: ١/ ٩٧ و الطبري: ٤/ ٤٣٦ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٤٦٣ .

(٢) الطبري: ٤/ ٤٣٦

(٣) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٧٨ و لم ينسبها، وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٠٩ و نسبها إلى أبي عبد الـرحمن السلمي. و المحرر: ١/ ٣٣٠ و نسبها إلى الضحاك وابن أبي عبلة.

(٤) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٧٨ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٠٩

(٥) أبو معاذ النّحوي هو الفضلُ بن خالد المروزي مولى باهلة، وقد تقدّم أنّ له كتاباً في القراءات عند ترجمته. وكلامه هذا لم أعثر عليه.

(٦) سقطت (مَنْ) مِن الأصل.

(٧) يعني مجزوم في جواب الطلب.

(٨) قوله: ابعث إليّ من يخدمُني. بالرفع: يكون قوله { يخدمني} نعتاً لـ (لمن). على هذا التأويل.

(٩) برفع الجيم: نعت و بسكونها يكون مجزوما في جواب الأمر.

(١٠) غلام نكرة و لكنه تعرف بالإضافة إلى الضمير

رجلاً (١) يقول ذاك وأنتَ لا تقولُ شتمتُ غلامَك (٢) يقولُ ذلك ولا ضربتُ غلامك يقـــول ذاك، وقـــال الله: ﴿ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا ﴾ [المائدة:١١٤] على معنى أنزل علينا مائدةً كائنةً عيداً، ولو كـان جواباً عـلى تكـنْ لكـان صـواباً، وقـال الله ﴿ فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءًا يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ [القـصص:٣٤] جَزمـاً عـلى الجواب وقد يُرفَع على معنى النّعْت (٣) .

و قوله: ﴿قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ أي لعلَّكم أنْ تجبُنُوا عن القتال وقرأ نافع (٤) (عسِيتم) بالكسر.

قال أبو عبيد (٥) : القراءَةُ بالفتح ولو جازَ بالكَسْر لجازَ أن يُقال (عَسِي ربكم) بالكَسْر. ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يُقال في الكلام: مَالَكَ تَفعَلُ كذا وكـذا،

---

(١) لأنّ رجلا نكرة.

(٢) يعني لأنّ غلامك معرفة ليس مثل قولك : غلاماً يقول ذلـك. و إذا أردتَ أن تنعـتَ بمثـل ذلـك فلتجعله في صلة الموصول تقول مثلا: ضربتُ غلامك الذي يقول ذلـك. فتـدخل الـذي و تجعلـه صلةً لها. (شرح جمل الزجاجي لابن عصفورك ١/ ١٤٢ باب النعت). وهذه من المسائل النّحوية التي تفصّل في محلّها و لو لم يطل المـصنف في تفـصيلها لكـان أولى و أليـق. و مـا فـصله المـصنف موجود متفرّقا في باب النعت من مطولا كتب النحو و لو تصفّح الناظر البحـر لأبي حيـان و الـدر المصون و قبلهما إعراب القرآن لابن النحاس مثلا لم يجدهم أطالوا في ها الموضع كما أطالَ المـصنف رحمه الله، هذا و كلامه مع هذا مفيد. و قد آثرتُ أن لا أطيل في مثل هذا الموضع لئلا يتشتَّت ذهـن القارئ الكريم لهذا الكتاب النفيس عما فيه من مهمَّات التفسير.

(٣) ينظر في ما ذكره المصنف هنا بأجمعه: معاني القرآن للفراء١/ ١٢٠ – ١٢٣ .

(٤)قراءة نافع وحده بكسر السين : السبعة: ١٨٦ ، و الروضة: ٥٧١ و النشر: ٢/ ٢٣٠

(٥) في الأصل أبو عبيدة . و هو خطأ، وليس هذا في مجاز القـرآن: ١/ ٧٧ و الـصواب كـما في البحـر ٢/

ولا يقالُ مالَكَ أنْ تفعلَ كذا وكذا، وقد اختلفوا في دخـولِ (أنْ) في قولـه (ومالنـا أنْ لا نقاتل) قال الأخفش (١) :(أن) ههنا زائدةٌ، وقال بعضُهمْ دخلتْ أنْ لأَنّ معنى الكلامِ ههنا ما يمنعُنا أيْ ما يمنعُنا أنْ لا نُقاتِلَ، قال الزّجاج (٢) : والـصحيح أنَّ (أنْ) لا تُلْغَـى ههنا وأنّ المعنى وأيُّ شيء لنا في أنْ لا نقاتل أيْ أيُّ شيءٍ لنا في تَرْكِ القتالِ (٣) .

﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ أيْ وقد سُبِيَتْ ذَرارِينا، قال:ويجوز مـع (أنْ) حذفُ حرْفِ الجرِّ كما تقولُ :هديتُ (٤) أنْ أقول لك كذا وكذا تُريد هديتُ مِن أنْ أقول ولا تقول هديتُ لك القولَ كذا.

---

٢٥٥ أبو عبيد يعني القاسم بن سلّام الإمام المشهور صاحب غريب الحديث و القراءات والناسخ و فضائل القرآن و غيرها . و في المطبوع من تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٠٩ أبو عبد الرحمن وقد ردّ أبـو حيان على أبي عبيد فينظر رده فيه.قال الإمام الأزهري(ت:٣٧٠هـ): (و اتفق أهل اللغة أن كـسر السين ليس بجيد ، وأنا أحسبها لغة لبعض العرب و إن كرهها الفصحاء)اهـ. معاني القراءات: صـ ٨١ و الكشف لمكي: ١/ ٣٠٣ . و في الوسيط: ١/ ٣٥٦ و غرائب الكرماني ١/ ٢٢١ أنها لغـة. و أنكر ذلك أبو حيان و غيره: الكشف لمكي: ١/ ٣٠٣ و البحر: ٢/ ٢٥٥ والدر المصون: ١/ ٥٩٨ . لكنّ قراءة نافع متواترة و لا شك لا يقرأ بها لم يثبت عنده وهو إمام أهل المدينة و قراءته حجّة ،و قد بين الأزهري أنه يرى أنها لغة و كذلك قال الواحدي. و قد قال ابن النحاس في إعراب القرآن: ١/ ٣٢٥: (حَكَى يعقوب بن السِّكِّيت وغيره أنَّ عَسِيتَ لغـة ولكنّهـا لغـة رديئـة)اهــ. و ينظـر: التفسير الكبير: ٦/ ١٤٤.

(١) معاني القرآن للأخفش : صـ ١٢٩ .

(٢)معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٧٩

(٣)ينظر مع ما في الزجـاج: معـاني القـرآن للفـراء: ١/ ١٢٤ و الطـبري: ٤/ ٤٤٣ – ٤٤٥ و البـسيط: ٢/ ٨٩٩ والبحر: ٢/ ٢٥٦ و الدر المصون: ١/ ٥٩٩

(٤) في المطبوع من معاني القرآن للزجاج: هربت في الموضعين بالراء . و المثال لا يتغيَّر بذلك.

وزعم بعضُهُم أنَّ قوله ﴿أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ من المقلوبِ ومعناهُ أُخـرِجَ منّا أبناؤنا بالأسْرِ، وقيل إنَّما أُخْرِج بعـضُهم مـن ديـارِهم فأضـافُوا إخـراج إخـوانِهم إلى أنفـــسِهم لأنَّ القـــوم الـــذين ســـألوا ذلـــك نَبِـــيّهم كـــانوا في ديارِهم (١) .

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ فرضاً وأوجـب علـيهم القتـال .﴿ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنۡهُمۡ﴾ منصوبٌ على الاستثناءِ لأنّـه إذا كـان أوَّلُ الكـلام إيجابـاً لم يكـن المـستثنى إلاّ منصوباً تقول جاءني القومُ إلاّ زيداً؛ ورُوِيَ في الشواذّ (٢) (إلاّ قليلٌ منهم) وهـذا خطـأٌ لا وجْهَ له إلاّ على التكلُّفِ، قال بعضُهم: يكـون محمـولاً عـلى المعنـى ﴿تَوَلَّوۡاْ﴾ أي لم يُطيعوا فكأنَّه قال لم يُطِيعُوا إلا قليلٌ منهم. والقليل هم الذين قاتلوا ،وهم الـثلاثُ مئـةٍ وثلاثةَ عشر عددُ أهلِ بدرٍ الـذين لم يـشربوا إلاّ غَرْفَـةً ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ الذين كرِهوا القتال وهم العُصاةُ الذين بادروا إلى النَّهر فشرِبوا ووقعوا في النهر فرجعـوا وقال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم لِأصـحابه يـوم بـدر (٣) : وأنـتمْ عـلى عَـدَد أصـحاب طالوت.

---

(١) قال الطبري: ٤/ ٤٤٦ و الثعلبي: ٢/ ٢١٠ و البغوي: ١/ ٢٢٧ إنّ المعنى: أُخرِجَ من غُلِبَ عليهم من ديارهم، ظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص.

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٧٩ و هي شاذة وأنكرها الزجاج و ينظـر: معـاني القـرآن للفـراء:١/ ١٢٦ و البحر٢/ ٣٥٧.

(٣) ينظر: حديث البراء رضي الله عنه في صحيح البخاري في كتاب المغازي، (باب عدة أصحاب بدر) (ح ٣٧٤٠ – ٣٧٤٢) قال: (كنّا نتحدث أنّ أصحاب بدر ثلاثُ مائة وبضعةَ عشر بعِدّة أصحابِ طالوتَ الذين جاوزُوا معه النّهر وما جـاوَزَ معـه إلا مـؤمنٌ). ورواه ابـن ماجـة (ح ٢٨٢٨) ٢/ ٩٤٤ وغيره. وينظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٣٠٣ و اللفظ الذي ذكره المصنف ذكـره مقاتـل : ١/ ١٣٠ و الثعلبي: ٢/ ٢١٦ . و ينظر تخريجه في: مجمع الزوائد: ٦/ ٧٤ و ٦/ ٩٣ وهو في تاريخ ابن

﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ﴾[آيـــة:٢٤٧] أي قد أجابكم إلى ما سألتُمُوه من بَعثِ مِلِكٍ يقاتل في سبيل الله وتُقاتلون معه.

وطالوت وجالوت وداود لا تنصِرف لأنها أسماءٌ أعجمية ومعارف لا تنصرف (١) ، وقيل سُمّي طالوت لِطوله وكان يحاذي رؤوس الناس بمنكبيه (٢) ، وقيل كان دبَّاغاً (٣) وقيل كان سقَّاءً (٤) ، وقيل كان ...(٥) .

و قوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا﴾ أيْ من أيِّ جهة يكونُ لهُ الملك؟

قيل (٦)كان الملك في بيوتاتٍ من بني إسرائيل والنبوة في بيوتاتٍ منهم والمال في بيوتاتٍ منهم ولم يكن طالوت من واحد منهم، وكانوا قد أمّلوا أن يكون المَلِكُ (٧)غيرَ طالوت فلما كان طالوتُ ثَقُلَ عليهم فقالوا ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا﴾ أي لم يؤتَ ما يتملّك به الملوكُ ،فأعلمهم الله أنَّه اصطفاه عليهم أي اِختاره وهو اِفْتَعَلَ من الصّفوة (٨).

عساكر: ٢٤/ ٤٤٣.

(١)معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٨٠ و الكشاف: ٤/ ٧٠٢ و الدر المصون: ١/ ٦٠٠

(٢) الطبري: ٤/ ٤٥٥ عن وهب بن منبه و السدي وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢١١

(٣) الطبري: ٤/ ٤٤٨ عن وهب بن منبه و الثعلبي: ٢/ ٢١١

(٤) الطبري: ٤/ ٤٥٠ و الثعلبي٢/ ٢١١ كلاهما عن عكرمة و السدي.و تاريخ ابن عساكر: ٢٤/ ٤٤٠

(٥) كلمة واحدة غير واضحة في المخطوط. و ينظر: غرائب التفسير للكرماني: ١/ ٢٢ قول ابن حبيب: (خربندجا).؟ .

(٦) الطبري: ٤/ ٤٥٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢١١ و الوسيط: ١/ ٣٥٧

(٧) في الأصل هما: (من).

(٨) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٨٠

﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ﴾ و لأنّ { في } (١) الزِّيادة ما يهيِّبُ العدُوَّ فأبوا الإذعانَ له بالطّاعة، وقيل زَادَ فضيلة في العِلم والجِسم فلا ترجع الزيادة إلى الأجزاءِ، ولكن ترجعُ إلى المعاني أي هو أعلمُ وأقوى من غيرِهِ ومعانيه التي هي خصالُ الخير أَتَمُّ وأَكْمَلُ من معاني غيره، وقيل زاده في العلمِ بأن أوحى الله إليه فكان طالوتُ على هذا القول نَبيّاً عن وهبٍ (٢) .

﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ يُوَسِّع على من يشاء وهو يعلم لِمَنْ ينبغي أنْ يكون له السَّعَةِ.

قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ﴾ [آية:٢٤٨] أي علامةُ تمليكِ الله إِيَّاه ﴿ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ وموضع ﴿أَن يَأۡتِيَكُمُ﴾ رفعٌ معناه علامة مُلْكِهِ إتيان التابوت إيَّاكم (٣) .

قوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ فَعِيلَةٌ من السُّكُونِ (٤) وكذلك البَقِيَّةُ من البقاء والهاء فيها للمبالغة (٥)، وقيل السَكينةُ رأسٌ كرأسِ الهِرَّةِ من زَبَرْجَدٍ أو ياقوتٍ ولها جَنَاحَانِ (٦) . والبَقِيَّةُ قيلَ رُضَاضُ الألواحِ، وأنَّ التّوراةَ كان فيه وعَصَى موسى

(١) سقطت من الأصل.

(٢) الطبري: ٤/ ٤٤٩

(٣) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٨١

(٤) الطبري: ٤/ ٤٧٢ و المحرر: ١/ ٣٣٣ والبحر: ٢/ ٢٦٠

(٥) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢١٣

(٦) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٨١، و القول بأنّ السكينة لها رأس كرأس الهرّة و جناحان رواه الطبري : ٤/ ٤٦٩ و ابن أبي حاتم٢/ ٤٦٩ (٢٤٧٦) و البيهقي في دلائل النبوة:٤/ ١٦٨ عن مجاهد.و الله أعلم بصحة ذلك و قد اختلف فيها قول مفسري السلف.و قد اختار الطبري قول عطاء بن أبي رباح: أنّ السكينة ما يعرفُون من الآياتِ فيسكنُونَ إليهَا.٤/ ٤٧٢ و روى ابن النحاس نحوه عن

(١) وجائزٌ أنه كان فيه بقية من علاماتِ الأنبياء أو بقية من العلم (٢) ، وسنذكر الفائدة في رَدِّ التابُوت إذا انتهينا إلى شرح هذه القصة إنْ شاء الله تعالى.

وقوله: ﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ منهم منْ حمله على ظَاهِرِهِ وأنَّ الملائكة نقَلَتْ التابُوتَ إليهم بإذن الله وحملته إليهم.

وقيل كانت الملائكة تَسُوقُ الثَّورينِ فَنُسِبَ الحمل إليهم (٣) . ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمۡ﴾ أي في رُجُوع التابوتِ إليكم عَلاَمَةٌ أنَّ الله قد مَلَّكَ طالوتَ عليكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ أي مُصَدِّقينَ لله فيما أنْبأكُم به من أنَّهُ يَرُدُّ إليكم التابُوتَ فكان كما أَخْبَرَ سبحانه، فلمّا رَدَّ عليهم التَابُوتَ صَدَّقُوهُ وأَذْعَنُوا لطالوتَ بالطَّاعة وَعَلِمُوا أنَّهُ مَلِكٌ منْ قِبَلِ الله تعالى.

وقال الله: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم﴾[آية :٢٤٩] أي مُخْتَبِرُكُمْ و مُمْتَحِنُكُمْ ﴿بِنَهَرٖ﴾ وهذا إخبارٌ عنْ الغيب دَلَّ ذلك على صِدْقِهِ وكانت دِلاَلَةً عليهم لأنَّ مثله لا يوجد مع الكذّابينَ وإنَّما اِخْتَبَرَهُمْ الله بالنَّهر لِيَعْلَمَ طالوت منْ لهُ نِيَّةٌ في القِتَال ومنْ ليس لهُ نِيَّة لِيَعْلم الْمُخْلِصَ له منْ غيره. والنَّهْرُ والنَّهَرُ لغتانِ (٤) .

مجاهد و اختاره: معاني القرآن: ١/ ٢٥١ . و ينظر: ما سيأتي: صـ١١٧٧

(١) يعـ مع عصى موسى.

(٢) الطـ ي: ٤/ ٤٧٧ و تفسـ الثّعلـ : ٢/ ٢١٣

(٣) قيل حمل الملائكة إياه هو سَوقُها الثَّورين أو البقرتينِ الَّلتين جَرَّتا العَجَلة به: الطبري: ٤/ ٤٧٩ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢١٤ والمحرر: ١/ ٣٢٤

(٤) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢١٦ و لسان العرب (نهر).

﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّى﴾ قيل فليس معي وقيل فليس من أصْحَابي ولا مِمَّنْ يَتَّبِعُني (١) ﴿وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ وإنَّما قال ﴿وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ﴾ولم يقل ومن لم يشْرَبهُ لأنَّ عادة العربِ إذا كرَّرُوا شيئاً أنْ يُكَرِّرُوهُ بِلَفظٍ آخَرَ (٢) ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ أي معي وقيل من أصحابي و مُتَابِعيّ. والطُّعْمُ بالضمِّ الطَّعام والطَّعم بالفتح ما يُؤدِّيهِ الذَّوْقُ (٣) .

﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ﴾ و﴿غَرْفَةً﴾ قُرِءَ بِهِما جميعاً، قرأ ابن عامرٍ وعاصم وحمزة والكسائي ﴿غُرۡفَة﴾ بالضمّ وقرأ الباقون بالنَّصبِ (٤) فالنّصب على معنى مَرَّةٍ واحدةٍ (والغُرْفَةُ) بالضم مِقْدارُ ملْء اليَدِ وقيل (الغُرْفَةُ) بالضمِّ الشيءُ القليلُ الذي يَغْتَرِفُهُ ومِثْلُهُ (أُكْلَةٌ) و (أَكْلَةٌ) و جُزَّةٌ من اللَّحم و جَزَّةٌ. (٥) ﴿فَشَرِبُواْ مِنۡهُ﴾ أي لم يُطِيعُوهُ ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ﴾ نصبٌ على الاستثناء بعد إيجاب الكلام. وقيل الذين لم يشربوا هم ثلاثُ مائة وثلاثةَ عشر رجلاً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾ أي جاوَزَ النَّهر ﴿هُوَ

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٨٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢١٦ و المحرر: ١/ ٣٣٥ و البحر: ٢/ ٢٦٤

(٢)القرطبي: ٣/ ٢٥٢

(٣) في مختار الصحاح:(الطَّعْمُ بالفتح ما يُؤدِّيه الذوق يقال طعمه مر والطعم أيضا ما يُشتهى منه يقال ليس له طعم وما فلان بذي طعم إذا كان غثا و الطُّعْمُ بالضم الطعام)اهـ. (طعم) و ينظر لسان العرب (طعم).

(٤) أي بفتح الغين: الروضة: صـ ٥٧٢ و غاية الاختصار: ٢/ ٤٣٤ و النشر: ٢/ ٢٣٠

(٥) الطبري: ٤/ ٤٨٦ و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٨٢ و معاني القراءات للأزهري: ص٨٢ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢١٦ والبحر: ٢/ ٢٦٥

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ يقال جَازَهُ وأَجَازَهُ و جَاوَزَهُ ﴿قَالُوا﴾ لَمَّا رأوا قِلَّتَهُمْ أي قال بعضهم لبعضٍ ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ أي لا قُوَّةَ لنا يُقال أَطَقْتُ الشيءَ إطَاقَةً و طَاقَةً وطوْقاً مثل أَطَعْتُ إطَاعَةً و طَاعَةً و طوْعاً (١) .

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ قيل الظَّنُّ هو اليقين أيْ قال الذين يعلمون أنَّهُم مُلاقُوا الله، وقيل معناه كانوا يَتَوَهَّمون أنهم في هذه الوقعة يُقْتَلُونَ في سبيل الله لِقِلَّةِ عددهم وكَثْرَةِ عَدَدِ عَدُوِّهم (٢) .

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ الفِئة الفِرقَة وبعضهم ترك همزها كالدِّيَةِ، وقيل لهم فِيَةٌ من فَأوتُ رأسه بالعصا وفَأَيْتُ إذا أشقَقْتَهُ (٣) ، و الفئة فرقة من هذا ومعناه: كم من فِرْقةٍ قليلةً غلبَتْ فِرْقَةً كثيرة بإذن الله ومشيئته ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الذين يحبسُون أنفسهم على الجهاد وعلى حدود الأمر فإنَّ الله معهم بالنَّصْر والظَّفَر.

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [آية:٢٥٠] خرجوا لهم ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ معناه اُصْبُب علينا صبراً كما يقال أَفْرَغْتُ الإناء إذا صَبَبْتَ ما فيه، ومعناه: أنزل الصبر علينا إنْزالاً عامَّاً ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ الآية.

قوله ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آية:٢٥١] معناهُ كَسَروهم وَرَدُّوهم. وأصل الهَزْمِ في اللغة كَسْرُ الشيء وَثَنْيُ بعضِهِ على بعضٍ يقال سِقَاءٌ مُنْهزِمٌ إذا كان بعضه قد ثُنِيَ على

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٨٢ و لسان العرب (طوق).

(٢) الطبري: ٤/ ٤٩٥ و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٨٣ و السمعاني: ١/ ٢٥١ و القرطبي: ٣/ ٢٥٥ والبحر: ٢/ ٢٦٧

(٣)معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٨٣ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢١٧ و تهذيب اللغة (فأي) و لسان العرب(فأي).

بعضٍ وإنَّما يكون الهَزْم كَسْرُ الشيء الذي له صوت كالقَصَبِ والجوز وغيره وهَزْمَةُ الرعدِ الصوتُ الذي قد تشقَّق، (١) معناه فَكَسَرُوهم بإذن الله ومشيئته.

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ يعني ما آتاهُ من مُلْكِ طَالوتَ والحكمة النُّبوةَ وعَلَّمَهُ مما يشاء من صنْعَة اللَّبُوسِ وغيره من مَنْطِقِ الطَّيرِ وفصلَ الخِطابِ.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ وقرأ نافع: (دِفَاعُ الله النَّاس) (٢) والمعنى فيهما واحدٌ وهما لغتانِ قاله الكسائي وغيره (٣) يُقَال دَفَعَ الله عنك السُوء ودَافَعَ الله عنك السُوءَ بمعنى واحدِ ونَصَبَ قوله ﴿بَعْضَهُم﴾ بدلاً من ﴿ٱلنَّاس﴾ المعنى: ولولا دِفاعُ الله بَعْضَ النَّاسِ بِبَعْضٍ (ودفع) مَرْفُوعٌ بالإبتِدَاء (٤).

وقيل ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي لَخَرِبَتْ ،وقيل في معنى ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ قيل دَفَعَ بِأَهْلِ الطَّاعاتِ عن العَاصِينَ وبِأَهْلِ القُوَّة عن المُستَضْعَفِينَ وقيل يَدْفَعُ الله بالنَّبيين عن المؤمنينَ وبالمُجاهدين عن القاعِدينَ ولولا ذلك لَغَلَبَ المشركون على أرضِ المسلمين.

وفي خبر عن النبي ﷺ: (يَدْفَعُ الله بِمن يُصلِّي مِن أُمَّتي عَمَّنْ لا يُصَلِّي ويَدْفَعُ بِمَنْ يَصُوم ولو اجتمعوا على تَرْكِ الصّلاة والصّيام ما نَاظَرَهم (٥) الله طرفة عينٍ (١٤٧و) ويدفع الله

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٨٤ و تهذيب اللغة و القاموس المحيط:(هزم). وفي لسان العرب(الهَزِيمُ السّحاب المُتشقّق بالمطر).

(٢) وبها قرأ يعقوب و الباقون : (دفع): المبسوط: ١٤٩ والروضة:٥٧٢ و النشر: ٢٢٣٠

(٣) الطبري: ٤/ ٥١٧ و معاني القراءات: صـ ٨٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٢٤

(٤) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٨٤ و البحر: ٢ / ٢٦٩ -٢٧٠ و الدر المصون: ١/ ٦٠٩

(٥) معناه: أنظَرهم وفي تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٢٤ و البسيط للواحدي:٢/ ٩١٩ (ناظرهم)كما في الأصل

بمن يُزَكِّي من أُمَّتي عمَّنْ لا يُزَكِّي ولو اجتمعوا على تَرْكٍ ما أَنظَرَهم الله طَرْفَةَ عينٍ ويَدْفَعُ الله بمن يَحُجُّ من أُمَّتي عمَّن لا يَحُجّ، ويدفع الله بمن يُجاهد من أُمَّتي عمَّن لا يُجاهِد، ويدفع الله بِمن يُجَمِّعُ من أُمَّتِي عمَّن لا يُجَمِّع، ولو اجتمعوا على تركِ الحَجِّ والجِهادِ والجُمُعةِ ما ناظَرَهُم الله طرفة عين ثُمَّ تلا ﷺ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ الآية . (١)

قوله ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آية:٢٥٢] أي هذه الآيات التي أَنْبأتُ بها آياتُ الله أي أعلامُه التي تدُلُّ على توحيدِهِ، وصدق رسالةِ رُسُله (٢) .

﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لِأَنَّك قد أُعْطِيتَ من الآيات مثلَ الذي أُعطوا وزِدْت على ما أُعطوا.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [آية:٢٥٣] الرُّسُل صِفَةٌ لِتلك وخبَرُ الابتداءِ (٣) ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

في المواضع الثلاثة، و في القرطبي نقلا عن الثعلبي: أنظَرهم.

(١) **ذكره** الثّعلبي: ٢/ ٢٢٤ و نقله عنه القرطبي: ٣/ ٢٤٥ . و ذكره **الديلمي** **فردوس الأخبار ٣٦٤/٥ ، من حديث ابن عباس**.و قد وجدته موقوفاً فقد أخرج ابن أبي حاتم: ٢/ ٤٨٠ (٢٥٣٧) والبيهقي في شعب الإيمان: ٦/ ٩٧ عن ابن عبّاس في قوله : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ قال : (يدفَعُ الله بمَنْ يصلِّي عمَّن لا يُصلِّي وبمن يحُجّ عمَّن لا يحج وبمن يُزكِّي عمَّن لا يزكِّي)اهـ. وعزاه في الدر: ١/ ٣٢٠ لابن أبي حاتمٍ و البيهقي في الشعب.

(٢)معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٧٠

(٣) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٨٤ و يجوز في الإعراب غير هذا الوجه ينظر: البحر: ٢/ ٢٧٢

﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ يُريدُ به موسى ﷺ ومعناه كَلَّمَهُ الله فَأُسْقِطَ من الصِّلَةُ لِطُولِ الإسم (١) . ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزاتُ التي خُصَّ بها ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ قَوّيناهُ بجبريل عليه السَّلام وقيل ﴿ٱلْقُدُس﴾ الله أُضِيف الرُّوحُ إليه و {هو }(٢) جبريل، وقيل ﴿ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ﴾ اِسم الله الأعظم وقيل هو الإنجيل جعله روحاً له يحْيي به قومَه كما جعل القرآن رُوحاً لُمحمد ﷺ وقيل أراد به روحَ عيسى عليه السلام وًوَصفها بِالطَّهارة لأنَّها لم تَتَضَّمنها (٣) أَصْلابُ الفُحُولَة وأَرْحَام الطَّوَامث.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ قيل أَرادَ به محمَّداً ﷺ أُرْسِلَ إلى الكَافَّةِ ولم يُعْطَ أحدٌ من الأنبياء مُعْجِزَةً إلاَّ وقد أُعْطِيَ محمدٌ مثله من جِنسِهِ أو ما هو أعلى منه في بابه (٤) .

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ يعني مِنْ بعد الرُّسُل ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ أي من بعد ما وَضَحَتْ لهم البَرَاهِينُ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ بِأنْ يجمَعهم على الهُدى فلا يكفُرُونَ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

قوله ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ اِختلَفوا لِأَنَّهُ سبحانه شَاءَ أنْ يختلِفُوا ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ لِأنَّ الله تعالى كذلك أَرَادَ ولو أرادَ خلافَهُ لكانَ كما أرادَ (٥) . فأمَّا سببُ نزول هذه الآية (٦) والقِصَّة فيها فهو ما قيلَ :

---

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٨٥ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٢٥

(٢) سقطت { هو } من الأصل. ينظر: تفسير الطبري: ٤/ ٥٢١ و النُّكت والعيون للماوردي: ١/ ٣٢٢

(٣) في الأصل : تتضمَّنه.

(٤) تفسير الطبري: ٤/ ٥٢٠ ومعاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٨٥ و عبارات المصنف منقولة منه هنا.

(٥) تفسير الطبري: ٤/ ٥٢٣ .

(٦) يقصد المصنف الآيات التي قبل هذه الآية في قصة طالوت و جالوت و لو أنّ المصنف -رحمه الله

إنَّ بني إسرائيل مكثُوا زَمَاناً مِنَ الدَّهْرِ ليس لهم مِلِكٌ يقاتِل في سبيل الله فَبَطَرُوا العافِيَةَ وأَدْرَكَهم الطُّغْيانُ وكان الله قد وَضَع عنهم القِتالَ، وعَهِدَ إلى نبيهم من بعدِ موسى أنْ لا يُقاتلوا إلاَّ مَنْ قَاتَلَهُمْ وكان بنُو إسرائيلَ قد لَقُوا مِنْ عَدوِّهم بلاءً شَديداً حتى غَلَبوهم على كثيرٍ من أراضيهم وسَبَوا كثيراً من ذَرَارِيهم فقالوا لنبيهم: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ فقال نبيُّهم : لعلَّكم إن كُتِبَ عليكُمُ القتال ألاَّ تقاتلوا قالوا : ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ﴾ وقد أصابنا ما أصابَنا فبعثَ الله لهم طَالوتَ ملكاً ولم يكونوا يحتسِبونه فنكصُوا على أعقابهم.

وقالوا لنبيِّهم إنَّ الله لم يَبْعثهُ ولكنَّك أَنْتَ نَصَّبْتَهُ لِمَكانِ سُؤالنا عنك المَلِكَ فقال لهم نَبِيُّهم لا بل بَعَثه لكم مَلِكاً وعلامةُ ملكه أنْ يأتيكم التَّابُوتُ وكان ذلك تابُوتاً فيه كَرَأْسِ هرّةٍ لها جناحانِ يخرج منهُ صوتٌ و هو السّكينةٌ كما قيل .

و فيه رُضاضُ الألواحِ و قفيزٌ من المَنِّ في طَشْتٍ من ذَهَبٍ وعَصا موسى وعِمَامَته وبُرْدُ آدم (١).

-ذكرها عند تفسيره للآية كما هو صنيع المفسرين قبله و كما هو اللائق لكان أوفقَ غير أنه لا لبس في صنيعه لأنه بيِّن من القصة أنها متعلقة بالآية التي قبل هذه . ثمّ قول المصنف (سبب نزول الآية) فيه تسامحٌ لا يخفى.

(١) يظهر من سياق المصنف للقصة أنه نقل و لخص من تفسير الثعلبي : ٢/ ٢١٣ – ٢١٥ و ينظر: تفسير مقاتل: ١/ ١٣١ و الطبري: ٤/ ٤٣٨ – ٤٨٤ و تاريخ الطبري: ١/ ٤٦٩ والسمرقندي: ١/ ١٨٨ و البغوي: ١/ ٢٣٠ و قد ساق الطبري مطولات من طريق ابن إسحاق من كلام وهب بن منبه و أيضا من كلام السدي و غيرهم؛ و في تفاصيل القصة بينهم اختلاف. و قصة التابوت روى الطبري و ابن أبي حاتم فيها أخباراً أيضا من طريق ابن عباس رضي الله عنه و ابن زيد .و

وكان التَّابوتُ يكونُ مع الأنبياءِ إذا حَضَرَ القِتالُ قَدَّمُوهُ بين أيديهم يَستفتِحُونَ على عَدُّوهم، فلمَّا تفرَّقَتْ بنوا إسرائيل وعَصَوُا الأنبياء سَلَّطَ الله عَدُّوهم فقتَلُوهُم وغَلَبُوهُم على التَّابوتِ فدفنُوهُ في مَخْرأةٍ (١) لهمْ فابتلاهم الله فكان الرَّجل منهم إذا تَبرَّزَ عند التابوتِ أخذه البَاسُورُ (٢) فَفَشَى ذلك فيهم، فقالوا ما ابتُلينا إلاَّ بفعلِنا في التَّابوت فاستخرجوهُ فَوَجَّهُوه إلى بني إسرائيل على بَقَرةٍ ذاتِ لَبَنٍ، وبعث الله الملائكةَ فساقُوا البقرةَ فإذا التّابوت بينَ أَظهُرِهم فذلك قوله ﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُۚ﴾ [آية:٢٤٨].

وقيل لَمَّا كذَّبُوا نبيَّهم في أنَّ طالوتَ بَعَثَهُ الله قال: عَلامَةُ مُلْكِهِ إتيانُ التَّابوتِ فرَضُوا بِذلك فدَعَا الله سبحانه فوجَدُوا التَّابوتَ بين أظهُرِهم يَأتيهم وهم ينظُرون إليه.

وقال وَهْبٌ (٣) : (٤) الذين سَبَوا التّابوتَ حتى وضَعُوهُ في بيتِ آلهتِهم ولهم صَنَمٌ يعبُدُونه فوضعوه (٥) تحت صَنَمِهم فأصبحُوا وهو فوقَ صَنَمهم فأخذُوه وَشَدُّوهُ إلى رِجْلِهِ فأصبحُوا وقد قُطِعَتْ يَدُ الصَّنم ورِجلاه وأُلقِيتْ تحت التابوت فأخرجوه فوضعُوه في ناحيةٍ منْ قَريتهم فأخذَ أهل تلك النَّاحِية وَجَعٌ في أعناقهم فقالوا ما هذا ؟ فقالتْ لهم جاريةٌ كانتْ عندهم من بني إسرائيل لا تزالون ترونَ ما تكرهون ما كان هذا التَّابُوتُ فيكُم فأَخْرِجُوهُ من قريتكم، وآيةُ ذلك أنْ تأتوا بِبقرتينِ لهما أولادٌ ثمَّ يُوضَعُ عليها نِيرٌ (٦)

ينظر: في تفاصيل القصص – لمن أرادها – المصادرَ المحال عليها.

(١) الـمَخْرَأَةُ و الـمَخْرُؤَةُ: موضع الخِراءة (لسان العرب: خرأ) و هو في تفسير مقاتل: ١/ ١٣١ والسمرقندي: ١/ ١٨٨ و تفسير الثعلبي : ٢/ ٢١٤ و البغوي: ١/ ٢٣٠

(٢)البَاسُورُ واحد البَوَاسير وهي علة تحدُث في المقعدة: (مختار الصحاح و لسان العرب: (بسر).

(٣) الطبري: ٤/ ٤٥٩ – ٤٦٢ و تاريخ الطبري: ١/ ٤٦٩

(٤) تقدّم في نفْس الخبر كلام طويل و بعده : (وذهب الذين سبوا التابوت ... الخ).

(٥) في الأصل: فوضعوهم. وهو تحريف.

(٦)نِيرُ الفدَّان الخشبة المُعرَّضة في عُنُق الثورين والجمع النِّيرَانُ و الأَنْيَارُ : (مختار الصحاح: ن ي ر) ولسان العرب.

ثم تضعُوا وراءهما العَجَلَةَ ثُمَّ تضعُوا التابوتَ على العَجَلَةِ فَتَسِيروا بِهِا وتَحبِسوا أولادَهما فإنَّهما تنطلِقانِ مُذْعِنتينِ، حتّى إذا وَقَعتا في أرضِ بني إسرائيل كَسَرَتا النِّيْرَ وأقبلَتَا إلى أولادهما، ففعلوا ذلك فذهبتا ورجَعَتا.

وقيل كانَ التابوتُ من عُودِ شُمْشَاد (١) وكان نَحواً من ثلاثة أَذْرُعٍ في ذِراعين قاله وَهْبٌ (٢) . وكانوا إذا اختلفوا في شيء تَكَلَّم به رأسُ الهِرّة الهَفَّافةِ فيعلَمون ذلكَ وكان إذا صَرَخَ أيقَنوا بالنَّصرِ (٣) .

ولَمَّا بعث الله طَّالوتَ مَلِكاً أَوْحَى إلى نبيِّ ذلكَ الوقْتِ الذِي سألوه المُلكَ أَن ادْعُ أبا داوُد عليه السلام وَسَلْهُ أنْ يُعْرِضَ عليك بَنِيه، فكان يَعْرِضُ عليه بنيه، وفي كلٍّ يُنادِي ليس هذا فقال هلْ لك وَلَدٌ غيرُهم قال: بُنَيٌّ لي غُلامٌ يَرْعَى الأغنامَ، فقالَ أَرْسِلْ إليهِ فلَمَّا جاءَ

---

(١) تفسير مقاتل: ١/ ١٣١ و فيه : (عود الشمشار الذي تتخذ منه الأمشاط الصفر مموه بالذهب)اهـ.و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢١٢ و البغوي: ١/ ٢٢٨ و الكشاف: ١/ ٣٢١ و زاد المسير: ١/ ٢٩٤ و المحرر: ١/ ١٧٠ على اختلاف فيها بين رسمها بالراء و بالدال. و في تاج العروس : (الشمشَاذ مُعَرَّب شمْشادَ وهو شَجَرُ السَّرْوِ ويُسَمَّى أَزَادْد رَخْت) اهـ. مادة (شمذ) في آخرها فيما استدركه صاحب تاج العَرُوس على صاحب القاموس. و في مادة (بقس)منه و من القاموس (أو هو شجرُ الشِّمشاذ مَنابِتُه بلادُ الرُّوم تُتَّخَذُ منه المَغالِقُ والأبوابُ لَمَتانَتِه وصَلابَتِه)اهـ.

(٢) تفسير عبد الرزاق: ١/ ١٠٠ و تفسير الطبري: ٤/ ٤٦٧ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٤٦٧(٢٤٦٨)

(٣) ركّب المصنف قولا من قولين أو قد وقع سقطٌ . ففي الطبري: ٤/ ٤٦٩ و الثعلبي٢/ ٢١٣ وغيرهما : (عن وهب بن منبّه عن بعضِ أهل العلم من بني إسرائيل قال السكينة: رأس هِرَّة ميتة كانت إذا صَرَخَتْ في التابوت بصراخِ هرٍّ أيقنوا بالنّصر وجاءهم الفتح)اهـ. و عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (السكينة ريح هفَّافةٌ لها وجهٌ كوجهِ الإنسان)اهـ. رواه الطبري: ٤/ ٤٦٧ – ٤٦٨ و الحاكم في مستدركه: ٢/ ٤٦٠ و الثعلبي: ٢/ ٢١٣ والبيهقي في الدلائل: ٤/ ١٦٧ و ينظر : تفسير الماوردي: ١/ ٣١٥ . و ينظر: ما تقدّم من ترجيح الطبري في معنى السكينة عند تفسير المصنف للآيات:١١٦٧ .

داوُد وكان يُحاذِي رأسَ كُلِّ واحدٍ مِنْ إخْوَتِهِ بِقَرنٍ فلا يَخرُجُ شيء [و١٤٨] فحاذَى رَأْسَ داودَ بالقرن فخرج منه دهن له رائِحة مِثْلَ المِسْكِ فَمَلأَ القرن فأوحى الله إليه أنَّ هذا الذي يَقْتُلُ جالوتَ.

قال كعبٌ: ولمّا قَصَدَ داودُ النَّبيَّ ﷺ ناداه في طريقِهِ حَجَرٌ اِحْمِلْني يا داودُ فإنَّكَ تُدْعَى لِقِتال جالوتَ وإنَّما تَقْتُلُه بي فَحَمَلَهُ ووضعهُ في مِخْلاتِهِ ثُمَّ ناداهُ حَجرٌ آخَر فحملهُ ثمَّ ناداه حجرٌ ثالثٌ فَحَمَلَهُ فَصِرْنَ في مِخْلاتِهِ واحداً ، وقيل بل لَمَّا بَلَغَ خَبَرُ القِتَالِ داود جَاءَ لِيَنْظُرَ كيفَ حال تلك الحرب فقال له الحَجرُ اِحْمِلني .... الحكاية. (١)

وقيل أَوحَى الله إلى نبِي طالُوتَ أَنْ قُلْ لِطالوتَ إنَّ الله سَيَبْعَثُ رَجُلاً من أصْحابِك يَقْتُل جالوت وأعطاهُ دِرعاً فقالَ من صَلَحَتْ عليه هذه الدِّرْع فلم يَطُل عليه ولم يَقْصُرْ فَهُوَ يَلي قتلَ جالوتَ فاجعل لهُ نصفَ مِلكِكَ ونصفَ مالِكَ، ولَمَّا أَتَى داودُ طالوت وقال:

أَنا أَقْتُل جالوتَ اِستَصْغَرَهُ طالوتُ لأنَّ داود كان رَبْعَة في هيئةٍ دُوْنٍ (٢) فَأخبَرَهُ بِأمْرِ الحجر وقال: إنْ قَتَلتُ جالوت فَلِيَ نِصْفُ مِلكك قال: نعمْ وأُزَوِّجك اِبنتي فَالبَسْ هذِهِ الدِّرعَ فلبسها فطالتْ عليه فانتفضَ بها فَقَلُصَ منها حتى رجَعَ إلى قَدْرِهِ، فَسَارَ طالوتُ بالجنودِ وهم سبعون ألفاً فقال إنَّ الله مُبْتَلِيكم بِنَهَرٍ وكانوا في حَرٍّ شَديدٍ.

وقيل هم الذين سَأَلوا النَّهْرَ فامتحنهم بِذلك، وهو نَهْرٌ بين الأُرْدُن وفلسطين فأَمَرَهُم بأنْ لا يتبادروا ولا يشْربوا منه إلاَّ قَدْرَ غرْفَةٍ فَلَمَّا رأوه اِبتَدَرُوه وشَرِبوا منه إلاَّ قليلاً منهم وهم ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً فلمّا جاوَزوا النهرَ قالت العُصَاة الذين شَرِبُوا وَوَقَعُوا {في} (٣) النّهر ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [٢٤٩] وقيل صَرَفَ طالوتُ

---

(١) في تفاصيل قصة الحجر اختلاف ينظر في : تفسير الطبري: ٤/ ٥١٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢١٨

(٢)الدُّونُ هنا بمعنى : الحقير . (مختار الصحاح و لسان العرب: دون).

(٣) سقطت من الأصل.

العُصَاةَ واستصحبَ الذين لم يشربُوا، وقيل من تَتَابَعَ منهُم في النهرِ لمْ يَرْوَ من عطشٍ، ومن شَرِبِ كما أُمِرَ رَوِيَ واكتفى.

فلمَّا التَقَى الجَمعان خرج داودُ لجَالوتَ فَسَخِرَ منهُ لأنَّه كانَ مِنْ قومِ عَادٍ وكان ظلَّهُ مِيلاً وعلى رأسِهِ بَيْضةٌ فيها ثلاثُ مائة رَطْلٍ (١) فَقَصَدَ جالوتُ أنْ يأخُذَ داود بيدِهِ اِسْتِصغاراً له واستِخفافاً به بعد ما قال له اِنْصَرِف فلا تظلِم نفسَك فَوَضع داودُ الحَجَرَ في مِقْلاعِهِ (٢) وَرَمَى به فصارَ ثلاثةً: واحدٌ أَصابَ رأسَهُ و واحِدٌ أصاب صَدْرَهُ وواحد أصاب خَصْرَهُ- فَنَفَذَتْ فيه الأحجارُ وألقت الرِّيح البيضة من رأسِهِ فأصاب الحجَرُ رأسَهُ فنَفَذَ فيه ومات جالوتُ وانهَزَمَ العسكر.

وقيل قُتِلَ مع جالوت ثلاثون ألفاً بذلك الحجر (٣) كأنَّه تَكَسَّرَ فأصاب كلّ واحِدٍ مِنْهُ.

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ١/ ١٣٣ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ١١٩ .و هذه من أساطير بني إسرائيل نقلها من نقلها من المفسرين عن بعض من أسلم من علماء اليهود. و ينظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٣٠٣ و البحر: ٢/ ٢٦٨ . و في تفسير الطبري : ٤/ ٥٠٨ عن السدّي : (و كان جالوت من أجسم النّاس و أشدّهم)اهـ. فهذا التعبير لا غرابة فيه و هو أحسن من تلك الغرائب و العجائب التي لا برهان على صحتها. وقد قال الدكتور:محمد بن محمد أبو شهبة رحمه الله : ((البيضة ما يلبسه المحارب على رأسه، و هذا من أكاذيبهم ، و تخريفاتهم ، ولا أدري و لا أيّ عاقلٍ يدري كيف يمكن لجالوتَ أنْ يحاربَ و على رأسه هذا القدر من الحديد؟. أي نحو مائة وخمسين كيلو جراماً من الحديد ... و مما ذكروه أن ظله كان ميلاً ، وهذا ولا شكّ خرافة)اهـ. الإسرائيليات في كتب التفسير: صـ ١٧٦.

(٢)المِقْلاعُ بالكسر الذي يُرمى به الحجر: ((مختار الصحاح : قلع و القاموس المحيط)).

(٣) في الثعلبي: ٢/ ٢١٩ (و قتلَ من ورائه ثلاثين رجلاً)اهـو لعل ما هنا محرف عنه.

وهذا أيضا من الخرافات التي يتعجّب من نقل المصنف لها ؟ مع سكوته عليها و لكن قد كان فاشيا في عصرهم الاستكثار من ذكر القصص لشغف الناس بها في تلك العصور ؛و لا يعني ذلك أنّ المصنف أو غيره من العلماء يقبلونها لكنهم يذكرونها و يدعون للناظر التعجّب منها و الحكم عليها ...و قد ذكرها المصنّف بصيغة التمريض : قيل. و مع هذا فكان ينبغي التنبيه على وهائها.

فَنَدِمَ طالوتُ على ما وَعَدَ داودَ فأحَسَّ به داودُ وخَافَ أنْ يَقْتُلَه فَهَرَبَ منهُ فَنَـدِمَ طـالوتُ على صنيعهِ فسأل اِمرأةً أعْبَدَ مَنْ كان في وقته عن دِينه فَطَرَدتْهُ وقالتْ بعد ما فعلتَ بِداود النبي ما فعلتَ فسألها عن توبته فقالت أنْ تُقاتل العَـدُّو الفُـلاني فَـذَهب وقـاتلهم فَقُتِـلَ طالوت فأخذ داودُ الملك وكان محبوبـاً في بنـي إسرائيـل فـاجتمعوا عليـه، ولم يكـن بنـو إسرائيل قَبلَهُ اِجتمعوا كلُّهم على مَلِكٍ واحدٍ إذ كان {لِكلّ}(١) سِـبطٍ أبـداً مَلِـكٌ عـلى حِدَةٍ فاجتمعوا كُلُّهم على داود.

وقيل قُتِلَ طالوت بعد جالوتَ بِسبع سنين وأُعطِيَ داودُ الملكَ بعد سبعِ سنينَ.

وقيل إنَّما حَسَدَ طالوت داودَ بعد مـا مَكَّنَـهُ مـن اِبنتـهِ ومَلَّكَـهُ لأنَّ بنـي إسرائيـل كـانوا يُعَظِّمون داودَ أكثر ممَّا يُعَظِمون طالوتَ فاعتقد في نفسه أنْ يَقْتُلَهُ، وكانت اِبنتُهُ من أعقَـلِ النِّساء فاتخذت زِقّاً وَمَلأتْهُ وطيبته بالرِّياحين، وجعلته بمنزلةِ النّائم فقال لها طالوت أيـن زوجُكِ فقالت هو نائمٌ فلمّا ضَرَبَهُ اِنْفجر منه الخمر، فقال يا داودُ طِبْتَ حَيَّاً وَمَيِّتاً وأدرَكَتْهُ النَّدامة فقام ينوحُ عليهِ ويبكي فلمّا نَظَرَتْ الجارية إلى جَزَعِهِ أَخْبَرَتْه بِالحـال فَفَـرِح بـذلكَ وأعطاه المُلك، وقيل لَمَّا ضَرَبَ الزِّقَّ طالوتُ أصبح وهو لا يَدْري أنَّه لم يَقْتُـلْ داودَ فقـال للنَّاس إنّه اُغتيل داودُ، وقَصَدَ في تجهيزهِ فلمّا رأى أنَّه لم يصنع شيئاً قـال إنَّـه يَطْلُـبُ الـتِّرَة فاتّخذ حُجَّاباً كثيرين وتحفَّظَ مِنْ داود، فَلَمَّا أَمْسَى أتاهُ داود وأوقع الله الغفلةَ على الحُـرَّاسِ فَوَضَعَ عند رأسِهِ سَهْماً وفي بطنِهِ سَهْماً فلمّا استيقظ، قال إنَّه لو شاء جعـل هـذا في حَلْقـي فاستبدلَ بالحجَّابِ والحُرَّاسِ وزاد فيهم فلمَّا نامَ أَتاهُ داودُ ثانِياً بإذن الله ووضع على صَدْرِهِ سَيْفاً فلمّا اِنتبه أَمَر بطلب داودَ فأُخْبِرَ أنَّه عند المُتَعبِّدين في جَبَلٍ كذا فَقَـصَدَهُم فلـمْ يَجِـدْهُ وقَتَلَهم عن آخرهم بعدما طالبهم به إلاَّ واحداً اِستبقاهُ واتخذهُ أنيساً فلمَّا أمسى قال له كم مَضى من الَّليل وهل صاح الدِّيك فقال له العَابِد وهل تركتَ دِيْكاً يـصِيحُ فقـال كيـف؟ فقال إنَّما يعلَم قدرَ الليل وما مَضَى وما بَقِيَ العُبَّادُ القائمون بالليل؛ فبكى طـالوتُ ونَـدِمَ

(١) في الأصل: كان{ لسبطٍ}. فصوَّبتها.

على ما فعلَ فقال له هل لي من حيلةٍ فقال إنْ أعطيتني المِيثاقَ قُلْتُ فأعطاه المِيثاقَ، فَدَلَّه على اِمْرأَةٍ مُتَعَبِّدَةٍ في بني إسرائيل فقالت المرأةُ ليس عندي حِيلةٌ ولكنِّي أدُلُّك على قبر أَشْمُويل فَدَعَتْ هناك وصَلَّتْ فخرج أَشمويل مِن قَبرِهِ بإذن الله فقال له: أنتَ طالوتُ فقال نعم فقال وما عَمِلْتَ بعدي قال كلَّ شَرٍّ وقد جئتُ أطلُبُ التَّوبة فقال أَلَكَ ولدٌ فقال نعم عَشَرةٌ فقال لا تُقْبَلُ توبتك إلاَّ أنْ تُقاتل العَدُوُّ وتُقَدِّمَ أولادَكَ حتى يُقْتَلوا كلُّهم بين يديك وتُقْتَل بعدهم [و١٤٩] وعاد إلى القبر فَرَجَع وقال لأولادِهِ أرَأيتم لو رأيتمُوني أُدْفَعُ إلى النَّارِ هل كنتم تَفْدُونِي قالوا سنَفْدِيك بما قَدَرْنا عليه فَذَكَرَ لهم الأمْرَ فأطاعُوهُ وقُتِلوا جميعاً فجاء قاتِلُهُم داود يُبَشِّرهُ بقتلِهِم فقال داود: وما أنت بالذي تَحيَا بعدهم فَضَرَبَ عُنُقَهُ وَوَرِثَ الملكَ في بني إسرائيل على ما ذكرنا (١) وبالله التوفيق.

وقال السديّ (٢) ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ طستٌ (٣) من ذهبٍ تُغْسَلُ فيه قُلوبُ الأنبياء.

وقال ابن جريج (٤) : السكينة: ما كانوا يعْرفون من الآيات يسْكُنُونَ إليها.

ولغة الأنصارِ : التَّابُوهُ بالهاء، وعن زيد بن ثابت أنَّه قال(٥): اُكْتُبُوا التَّابُوه.

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ١/ ١٣٤ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٢٠ – ٢٢٢ و البغوي: ١/ ٢٣٤

(٢) تفسير الطبري: ٤/ ٤٧٠

(٣)الطَّسْتُ: من آنية الصُّفْر . (لسان العرب: طست: ٢/ ٥٨).

(٤) تفسير الطبري: ٤/ ٤٧١ من طريق ابن جريج عن عطاء . و قد تقدّم تفسير معنى السكينة قبل سرد المصنف للقصة و ذلك في موضعها من ترتيب الآيات.

(٥) في حديث الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قدم على عثمان وكان يُغازِي أهلَ الشّام ...رواه البخاري : صحيح البخاري: مع فتح الباري: ٨/ ٦٢٥ : كتاب فضائل القرآن ، باب نزول القرآن بلسان قريش . وفيه ذِكْرُ قصة كتابة المصحف، و فيها اختلافهم مع زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه في كتابة التابوت بالهاء أو بالتاء، وقول زيدٍ: التابوهُ . قال الزهري :فرُفِعَ اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوا التابوت فإنه بلسان قريش أُنزِلَ . وينظر: المحتسب لابن جني: ١/ ١٢٩ والوسيلة إلى كشف العقيلة للسخاوي: صـ ٦٦– ٦٧

وقيل لَّما رأوا التابوتَ قد جاءهم أيقَنوا بالنَّصرِ فَتبَايَعُوا إلى الخروج فقال طالوتُ: لا أُريدُ كلَّ هؤلاءِ، لا أريدُ صاحِبَ تجارةٍ مُشْتَغِلاً بها ولا رجـلاً عليـه دَيْـنٌ ولا صـاحِبَ بِنَـاءٍ لم يفرَغ منه ولا أُريدُ إلاَّ الشَّابَّ النَّشيط الفَارِغ فاجتمع على شَرْطِهِ ثمانون ألفاً (١) .

وقيل أوحى الله تعالى إلى نبيِّهم أنْ أُنظُر إلى القَرنِ الذي في بيتـك وفيـه دُهْـنٌ فـإذا دَخَـلَ عليك رَجَلٌ فَنَشَّ الدُّهْنُ الذي في القرن فهو مَلِـكُ بنـي إسرائيـل فَـدَهِّنْ رأسَـهُ وَمَلِّكـهُ عليهم وكان طالوتُ دَبَّاغاً فَضَلَّ له دَابَّةٌ فَدَخَلَ على نَبِيِّهم لِيَـدْعُوَ لـه حتـى يجِـدَها فَـنَشَّ الدُّهْنُ فَمَلَّكهُ ، ثمَّ أخْبَرَهُمْ بأنَّ الله قَدْ بَعَثَهُ ملكاً فقالوا له: ما كنتَ قَطُّ أكذَبَ مِنْ هذا أنَّى يكون له المُلك علينا (٢) .

قولـه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ﴾ [آيـة:٢٥٤] أي تـصَدّقوا ﴿مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ أيْ يومَ القيامة، وقيل يومَ الموتِ نظيرُهُ : ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [المنافقون:١٠] وإنْ حُمِـل عـلى القيامـة فالآيـة في الكُفَّار خاصَّة لِأنَّه لا شفاعة لهم، ولا خُلَّةٌ تَنْفَعُهُم وإن حُمِلَ عـلى يـوم المـوتِ فالآيـة عامَّـةٌ في الكُلِّ لأنَّه لا مَحِيصَ عن الموتِ ولا شفاعَةَ فيه (٣) .

وقُـرِأ ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ﴾ بـالرَّفع عـلى جهـة الخَـبَرِ أي لـيس فيـه وبالنَّصب على التَّبرية والنَّفي (٤) ، قرأ ابن كثير وأبـو عمـرو بالنـصب، وقـرأ البـاقون

و البرهان: ١/ ٣٧٦ في النوع الخامس و العشرون.

(١) ينظر: خبرَ السدّي عند الطبري: ٤/ ٤٨٢ ، ٤/ ٤٨٨

(٢) ساقه الطبري من طريق ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه مطولاً: ٤/ ٤٨

(٣) تفسير الطبري: ٤/ ٥٢٥ و الوسيط: ١/ ٣٦٥ و تفسير السمعاني: ١/ ٢٥٦ و البحر: ٢/ ٢٧٦

(٤) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٨٦ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٢٩ ومعاني القراءات للأزهري: صـ ٨٢

بـالرَّفع (١) أي لا تَنفـعُ الـصَّداقةُ والـشَّفاعةُ غـداً إلاَّ بـإذنِ الله والـصَّداقة في الله ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ الذين وَضَعُوا الشيء في غيرِ موضِعه.

قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [الآية: ٢٥٥] ؛﴿ٱلله﴾ اِبتداءٌ رُفِعَ به (٢) و ﴿لَآ إِلَـٰهَ﴾ نصبٌ على التَّبرئة، وقوله ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في موضـع الرَّفـع لأنَّـه خـبرُ الابتداء .

وقوله ﴿هُوَ﴾ في موضع الرفع على الاسـتثناءِ بعـد النَّفـي (٣) . و﴿ٱلْحَىُّ﴾وزنُـه مـن الأفعال (فَعِلٌ) مثل (حَذِرٍ) و(طَمِعٍ) فَسُكِّنَتِ اليـاء فأُدغِمَـتْ(٤) . ومعنـى ﴿ٱلْحَىُّ﴾ من له حياةٌ و ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ على وزن (فَيْعُول)(٥) .

وقُرأ (قَيَّامٌ) (٦) على وزن (فَيعَال) . وهو المبالغة في صِـفَةِ القِيـامِ ومعنـاه القـائم بـأمور عباده وتدبيرهم.

---

(١)ابن كثير وأبو عمرو بالنصب من غير تنوين و الباقون بالرفع مع التنوين : معاني القراءات للأزهري: صـ ٨٢ و المبسوط: ١٥٠ والروضة: ص٥٧٢ و النشر: ٢/ ٢١١

(٢) يعني : رفع بالابتداء أي لكونه مبتدأ.

(٣)ينظر في الأوجه الإعرابية هنا : إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٣٠ وإملاء ما من به الـرحمن: ١/ ١٠٦

(٤) هذا ذكره الثّعلبي: ٢/ ٢٣٠ و في وزن ((حيّ)) اختلافٌ ينظر: البحر: ٢/ ٢٧٧ والدر المصون:١/ ٦١٢

(٥) معاني القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٦٠ وإعراب القرآن لابـن النحـاس: ١/ ٣٥٤ في أول سـورة آل عمران و شأن الدعاء للخطابي:صـ ٨٠ و المخصص لابن سيده: ١٧ / ١٥٣ والمحرر الوجيز: ١/ ٢٤٣ و التسهيل لابن جزي ١/ ٢٥ .وهو بناءُ مبالغة من القِيام على الأمور وسيذكر المصنف ذلك.

(٦) قراءة شاذة تروى عن عمر رضي الله عنه كما في معاني القـرآن لابـن النحـاس: ١/ ٢٦٠ و تـروى أيضا عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن أبي عبلة والأعمش كما في : تفسير الثعلبي: ٢/ ٢٣٠ وفيه

﴿ تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ السنَةُ النُّعاس والنوم أثْقَل منه ومعناه أنَّه لا يغفل عن أمور خلقه ولا يجوز عليه الآفَةُ التي تُضادُّ عِلمَه (١) .

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ على طريق المُلْك والخلقِ والدَّلالة له بالوحدانيةِ.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾ ﴿مَن﴾ للاستفهام وهو في معنى التّوبيخ ههنا.

و ﴿ذَا﴾ مع ﴿ٱلَّذِى﴾ اسمٌ والمعنى من ذا الذي يقدِرُ أنْ يشفَع لِأحدٍ﴿ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ رَدّاً على اليهود والنَّصارى حيثُ عَبَدوا المسيحَ و عُزَيراً أَو الأصنام وقالوا: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨] وقالوا ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣] فنَفَى الله سبحانه أن تثبت لأحدٍ الشفاعة غداً إلاَّ بِإذنه أراد به ما أخبر من شفاعة الرسول وشفاعةِ المؤمنين بعضهم لِبعض.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ قيل يعلَمُ الغيب فلم يعلم ذلك أحدٌ غيره، وقيل﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ عاقبة خلقه ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ سابقتهم ، وقيل ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الآخرةُ ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الدُّنيا لأنهم يُخَلِّفونها وراء ظُهُورهم.

نسبتها لعمر أيضا وزاد المسير: ١ / ٣٠٢ والمحرر الوجيز: ١/ ٢٤٣ و عن المطوعي كما في اتحاف فضلاء البشر: صـ ١٦١

(١) الطبري: ٤/ ٥٣٠

وقال عطاء (١) : ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الدُّنيا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الآخِرةُ، وقيل ﴿مَا بَيْنَ﴾ما مضى أمامهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما يكون بعدهم يعني ما فعَلُوهُ من خيرٍ وشرٍّ وما هم فاعِلُوهُ.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ يريدُ أنَّه لا يعلمُ ما يكونُ أحدٌ غيرُهُ إلاَّ بقدرِ ما يخبر به أنبياءَهُ ليكون حُجَّةً لهم ومُعْجزةً على خلقهِ فمعنى ﴿لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ أي بشيء من عِلمِ الله أي معلوماتهِ وقيل بشيء من علمه ما بين أيديهم وما خلفهم. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قيل كرسيه عِلمُهُ (٢) وقيل

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٣١ و البغوي : ١/ ٢٣٩ وهو قول مجاهد و السُّدي و الحَكَم بن عُتيبة ، ورواه الطبري عن الحكم: ٤/ ٥٣٥

(٢) هذا قول ابن عباس في روايةٍ عنه: رواه الطبري :٤/ ٥٣٧ و ابن أبي حاتم٢/ ٤٩٠ (٢٥٩٩) و اللالكائي في اعتقاد أهل السنة: ٣/ ٤٠٥ والبيهقي في الأسماء والصفات: ص٢٣٣ و في سند هذا القول ضعف قال ابن منده: (وهذا حديث مشهور عن مطرِّف عن جعفر بن أبي المغيرة لم يتابعْ عليه)اهـ. وقال أيضا: (ورواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الكرسيُّ علمه ولم يتابَع عليه جعفرٌ وليس هو بالقويّ في سعيد بن جُبير)اهـ. الردّ على الجهمية:١/ ٢١ وينظر: ميزان الاعتدال: ١/ ٤١٧ ترجمة جعفر بن أبي المغيرة . وينظر: السنة لعبد الله بن أحمد:٢/ ٥٠٠ و به قال مجاهد و سعيد بن جبير : وهو في تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٤٩٠ عن سعيد بن جبير وتفسير الثعلبي: ٢/ ٢٣٢ عن ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبير وقد رجّحه الطبري و قال : إنه الذي يدلّ على صحته ظاهر القرآن : ٤/ ٥٤٠ لكن ليس معنى هذا أنّ الطبري لا يثبتُ الكرسيّ إذا ثبت عنده من طريق آخر؛ وإنّما رجّح رحمه الله ما يراه أصحّ هنا بحسب سياق الكلام و استدلّ على ذلك .وعن ابن عباس رواية أخرى أصحّ وهي : الكرسي موضع القدمين والعَرْش لا يقدِرُ قَدْرَهُ إلا الله. مروية في : السنة لعبد الله بن أحمد ٢/ ٤٥٤ وتفسير ابن أبي حاتم٢/ ٤٩١ (٢٦٠١) و الدارمي في الرد على بشر لمريسي:ص٦٧ والإبانة لابن بطة: ٣/ ٣٣٩

الكرسيُّ هو العرش قاله الحسن (١) والضَّحاك (٢) وغيرهما.

قالوا: وتحمله أربعةٌ من الأملاكِ واحدُهم على صورة إنسانٍ وآخر على صورة نَسْرٍ وآخر على صورة ثورٍ وأخر على صورة أَسَدٍ (٣) .

وقيل الكرسيُّ شيءٌ خَلَقَهُ الله عز وجل. وفي التفسير أنَّ السماوات والأَرَضين في جنب الكُرسيِّ كحلقةٍ في أرض فلاةٍ.

وقيل كرسيه قَدْرَتَهُ التي بها يُمسك السماوات والأرض، من قولهم: اِجْعَلْ لهذا الحائطِ كرسياً أي اِجعَلْ له ما يعمِدُه ليمسكه حكاه الزجاج (٤) .

وقيل كرسيه سَرِيرُهُ (١) . وحُكِيَ عن ابن جرير الطبريَّ (٢) أنَّه قال الكرسي: الأهْلُ أي وَسِعَ عبادهُ السماوات والأرض. وسُمِّيت الكُرَّاسَةُ كُرَّاسةً لِتَضَمُّنِها العلم الذي فيها (٣) .

و الصفات للدارقطني: صـ ٣٠ والحاكم ٢/ ٢٨٢ وهذا القول رواه الطبري عن أبي موسى والسدي والضحّاك ومسلم البطين . وقال الزجاج:١/ ٢٨٨ عن هذا القول : (وهذا القول بيِّنٌ لأن الذي نَعرِفه من الكرسيّ في اللغة الشيءُ الذي يُعتمَد عليه ويُجلَس عليه)اهـ. **وقد رجحها ابن الأنباري فقال : (الذي نذهب إليه و تاره : القول الأول ؛ وافقته الآثار ، ومذاهب العرب ، والذي كى عن ابن عباس : أنه عِلْمه ، إ ا يروى بإسناد مطعون ، والبيتان يقال : إ ما من صنعةِ النحوي ، لا يعرف ما قائل، فلا تج ثلهما تفس كتاب ا عز وجل)اهـ ـ. البسيط: ٩٣٢/٢ و رجحه الواحدي البسيط** وينظر: تهذيب اللغة و لسان العرب: (كرس) و القرطبي:٣/ ٢٧٧ و مجموع الفتاوى: ٦/ ٥٨٤ والعلو للذهبي: ص١١٧ و عمدة القاري:١٨/ ١٢٦ .

(١) الطبري: ٤/ ٥٣٩ من طريق جويبر عن الحسن البصري. و نقله عنه ابن كثير: ١/ ٣١٨

(٢) في الطبري عن الضحاك: ٤/ ٥٣٨ أنه قال : إنه الذي يجعل الملوك عليه أقدامهم.و الدر: ١/ ٣٢٨

(٣) رواه السُّدِّي عن أبي مالك السنة لعبد الله بن أحمد : ١/ ٣٠٣ و العظمة: ٢/ ٥٥١

(٤)معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٨٨ وقال : (وهذا قريب من قول ابن عباس)اهـ . يعني قوله:علمه. و الانتصار للباقلاني ١/ ٢١٨ و غرائب الكرماني:١/ ٢٢٥

﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا ﴾ أي لا يُثْقِلُه يقال(آدَهُ) الشّيء (يؤُدُهُ) إذا بَهَظَهُ (٤) وأثقله. ويجوز أنْ يرجع الهاء في قوله ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ ﴾ إلى الله، ويجوز أن يرجِعَ إلى الكُرسي فكأنّ السماوات والأرض -على هذا التأويل- على الكرسي (٥) .

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ وهو من العُلوِّ في الصّفة والعظمة في الصّفة.

قوله ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [آية:٢٥٦] قيل منسوخٌ بآية القِتال (٦) وقيل محمولٌ على أهلِ الكتاب إذا أَعطَوا الجِزْيَةَ، وقيل لا تقولوا [و١٥٠] لِمَنْ أسلَم أنتَ مُكرَهٌ كقوله: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٣٢ مع تصحيف في المطبوع. و الماوردي: ١/ ٣٢٥

(٢) تقدّم أن الطبري اختار أن المراد بالكرسي : علم الله تعالى. وينظر: تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٣٢

(٣)الطبري: ٤/ ٥٤١ وتهذيب اللغة و لسان العرب: (كرس)

(٤)يقال : بَهَظَنِي: الأَمْرُ والحِمْل يَبْهَظُني بَهْظاً: أَثقلني وعجزت عنه (لسان العرب:بهظ).

(٥) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٨٨ و الماوردي: ١/ ٣٢٦ و القرطبي: ٣/ ٢٧٨ . قال الزجّاج: (فجائزٌ أنْ تكونَ الهاء لله عز وجلّ، وجائزٌ أنْ تكونَ للكُرسيّ وإذا كانت للكُرسي فهو من أمرِ الله تعالى)اهـ.

(٦) رواه الطبري عن زيد بن أسلم: ٤/ ٥٥٣ ، وروى أبوعبيد في الناسخ: صـ ٢٨١ عن سليمان بن موسى نَسخَها: (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ) (سورة التحريم – آية-٩ وسورة التوبة: آية:٧٣) وروى ابن أبي حاتم : ٢/ ٤٩٤ (٢٦١٥) عن عكرمة أنها منسوخة، و ذكره ابن النحاس في ناسخه عن زيد بن أسلم : ٢٥٨ وعزاه الثعلبي ٢/ ٢٣٤ لابن مسعود و ابن زيد وعزاه ابن الجوزي: ١/ ٣٠٦ إلى الضحّاك والسُّدي وابنِ زيد. وقول السدي علّقه ابن أبي حاتم: ٢/ ٤٩٤ و الراجح أنها غير منسوخة كما هو قول كثيرين منهم ابن عباس و مجاهد وقتادة و الطبري لأنّه يمكن حملُ الآية على أهلِ الكتابين والمجوسِ وكلِّ مَنْ جازَ إقرارُهُ على دِينِهِ المخالِف دينَ الإسلامِ وأخذِ الجزية منهُ كما بينه الطبري:٤/ ٥٥٣ و رجحه ابن النحاس: صـ ٢٥٨ و ورجحه قبلهم أبو عبيد في ناسخه: صـ ٢٨٢ وينظر: القرطبي: ٣/ ٢٨٠

﴿لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء:٩٤] . يُقال أكرهَهُ إذا دَعَاهُ مُكرَهاً كما يُقال أكفَرَهُ إذا دَعَاهُ كَافراً (١) ، وأنشدَ (٢) :

فطائفةٌ قد أكفَرُوني بحبِّكم .

وقيل ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ أي المسلمونَ غير مُكرهينَ في إسلامهم لأنَّـهُ قـد ظهَـرت الحُجَج و صحّت المُعجِزة ، و إنَّما يكونون مُكرَهين أنْ لو لم تَقُم المُعجِزة بِصِدق الإسلام.

قوله : ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ يعني الإيمانَ مِنَ الُكفر و الهداية من الغواية وقُرأ : الرُّشْدُ و الرَّشَدُ بفتح الرَّاءِ و الشّينِ وهما لُغتان كالبُخْلِ و البَخَـلِ ، و العُـدْمِ والعَـدَمِ و السُّقْمِ و السَّقَمِ (٣) .

وقيل نزلت في أولادِ المسلمين كانوا عند يهودِ النَّضِير فلمَّا أجلاهم النبـي صـلَّى اللهُ عليـهِ وسلَّم أكرههم المسلمون على الإسلام فأبوا فنزلت الآية (٤) .

---

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٣٦ ولسان العرب: مادة: كره و خبث أيضا.

(٢) شطر بيت للكميـت : و بعـده: وطائفـةٌ قـالوا مـسيءٌ ومـذنبُ . وهـو مـن قـصيدة طويلـة:شرح هاشميات الكميت لابن زيد الأسدي: صـ٥٣ وروايته فيه :أكفرتني بحـبهم؛ و تفـسير الثّعلبـي: ٢/ ٢٣٦ و لسان العرب: مادة: خبث.

(٣) الطبري: ٤/ ٥٥٥ ومختار الصحاح: (رشد) ١/ ١٠٣ و لـسان العـرب: (رشـد) و الثعلبـي: ٢/ ٢٣٦ والمحرر: ١/ ٤٤٤

(٤) هذا قول ابن عباس رضي الله عنه وجماعة ، وحديث ابن عباس رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الأسير يكره على الإسلام /ح (٢٦٨٢) والنسائي في التفسير مـن الكـبرى بـاب(٤٤) قولـه تعـالى(لا إكـراه في الـدين) ح (١١٠٤٨) وبـاب (٤٥) ح (١١٠٤٩) ٦/ ٣٠٤ – ٣٠٥ والطبري٤/ ٥٤٦ وابن حبـان: (ح١٤٠) ١/ ٣٥٢ والبيهقـي: ٩: ١٨٦ و ينظـر: الطـبري: ٤/ ٥٤٦- ٥٥٣ و الثعلبي: ٢/ ٢٣٤ – ٢٣٥ والعجاب: صـ٤٢٨ – ٤٣٣

﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ شرطٌ جوابُــــه قولــــه : ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾. الطّاغُوت فَاعُولٌ من الطُّغيان زِيدت التَّاء فيه لِمكـان ذهابِ لامِ الفعل ونظيرهُ حَانُوتٌ و تَابُوتٌ (١) .

و معنى الطاغوت ما يُطغِي الإنـسانَ و يَطغَـى بـه الإنـسانُ . وقيـل الطَـاغوت ثلاثـة : الشّيطان والصّنمُ و الكاهِنُ،وقيل هم مَرَدَةُ أهلِ الكتاب (٢) .

وجُملَتُهُ أنَّ مَنْ يَكفر بما خَالفَ أمرَ الله و يُصدِّقُ بِما أمَرَ الله فقد استمسكَ بالعُروة الوُثقى . قالَ الخليل (٣) : العُرْوةُ ما يُعتَصَمُ به و يُتَعَلَّقُ به مِن كُلِّ شيء ، ومنهُ عُروةُ الإناء وعُروة الجَوالق .

وعن الأزهريّ قال (٤) : العروة شجرةٌ في البادية خـضراء في كُـلِّ وقـت فـإذا تَنَـاثرت الأوراقُ مِنَ الأشجَارِ لجَأوا إليها لِأنَّها تَكون أبداً خضراءَ .

فالمعنى على هذا التأويل أيْ كما أنَّ الأعرابَ إذا بَقُـوا و عَجَـزُوا عـن الخُـضرِ و الأوراقِ كانت هذه الشَّجَرةُ غِياثُهم و مُعتَمَدُهُم كـذلكَ المؤمنـون إذا بقُـوا عـن الطّاعـاتِ كـان مُعتَمَدُهُم لا إلهَ إلا الله ، ويكون هذا ضَربُ مَثَلٍ .

---

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٣٦ وينظر:الطبري: ٤/ ٥٥٨ و لـسان العـرب(طغـي)١٥/ ٧ والبحـر: ٢/ ٢٧٢

(٢) رجّح الطبري ٤/ ٥٥٨ :أن معنى الطّاغوت: (كلُّ ذي طُغيانٍ على الله فعُبِدَ من دونه) اهــ. ويؤيـده المعنى اللغوي فكلّ مجاوزٍ حدَّه في العِصيان طَاغٍ. مختار الصحاح(طغو) ولسان العرب(طغي).

(٣)لم أجده في كتاب العين للخليل: في (عري) و فيه :عروة الدَّلو وعُروة المَزادة وعروة الكُوز والجمـع : عُـرَى. و في كتاب العين أيضاً: (٢/ ١٥٦) (أذن):والأُذُنُ العُرْوة أي عُروة الكُوزِ ونحوِه، والأكوابُ: كِيـزان لا أُذُنَ لهـا. و ينظر: تهذيب اللغة: (عرا) ٣/ ١٦٠ ولسان العرب: (عرا).

(٤)تهذيب اللغة: ٣/ ١٦٠ (عرا) وعبارته: (و العُرْوة من دِقِّ الشجر ما له أَصلٌ باقٍ فـي الأَرض مثـل العَـرْفَج والنَّصِيِّ وأَجناسِ الـخُـلَّةِ والـحَمْضِ، فإِذا أَمْـحَلَ الناس عَصَمت العُرْوةُ الـماشيةَ فتبلَّغَت بها، ضربها اللهُ مثلاً لـما يُعْتَصَم به من الدِّين فـي قوله تعالـى: ﴿فقد اسْتَمْسَك بالعُرْوة الوُثْقـى ﴾)اهـ.

و ﴿ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ تأنيث الأوثق . ومعنى ﴿ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ لا انقطاعَ لها و لا زَوال و الفَصْمُ الكسر البَائنُ الذي لا يتبين من خَفَائِهِ (١) ، و الوَصْمُ الكسرُ البيّنُ ، والقَصْمُ الكسرُ (٢) .

﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ يَسمعُ ما يَعقِدهُ الإنسانُ على نَفسِهِ مِنْ أمرِ الإيمانِ و يَعلَمُ نِيّةَ قلبهِ في ذلك.

وقيل نزلَ قولهُ : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ﴾ في رَجُلٍ مِنَ الأنصارِ و كانَ لهُ غُلامٌ أسودُ أكرهَهُ على الإسلام و أَبى الغُلامُ فنزلتْ الآية (٣) .

وفي الخبر (٤) أنَّ النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قال : (أعظم سُورة في القرآن البقرةُ وأعظمُ آية فيها آيةُ الكُرسي ولن يستطيعها البَطَلَةُ) (٥) . قالَ ابن عباس: يعني السَّحَرَة. وعن

---

(١) الطبري: ٤/ ٥٦١ ولسان العرب: (ف ص م).

(٢)في النهاية لابن الأثير٤/ ٧٤ (قصم): القَصْم كَسْر الشيء وإبانَتُه وبالفاء كسْره من غير إبانة . وينظر: لسان العرب(قصم).

(٣) نقله ابن الجوزي عن مجاهد : ١/ ٣٠٥ و لم أقف عليه مسنداً.

(٤) سيذكر المصنف بعض الأحاديث في فضل آية الكرسي و كان ذكرها قبل تفسير الآية التي بعد آية الكرسي هو المناسب.

(٥) هذا الحديث بهذا اللفظ غريبٌ و هو مأخوذ من أحاديث متفرقة ففي مسلم من حديث أبي أُمامةَ الباهليّ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه .....و فيه ..اقرؤوا سورةَ البقرة فإنّ أخذها بركةٌ وتركُها حسرةٌ ولا يستطيعها البَطَلَةُ)اهـ. صحيح مسلم كتاب فضائل القرآن، باب فضل قراءةِ القرآن وسورةِ البقرة (٤٢) ح (٨٠٤) و أحمد: ٥/ ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ و ابن حبان: ١/ ٣٢٢ (ح١١٦) و غيرهم. وينظر ما سيرد في آخر سورة البقرة في تخريج حديث (فإنَّ في تَعَلُّمِها بَرَكَةً وتركُها حَسرة ولن يستطيعها البَطَلَةُ).

و أمّا حديثُ (أعظمُ آية فيها آيةُ الكُرسي) فثبت في معناه حديث أبي بن كعب في الصحيحين و غيرهما.

علي بن أبي طالب عن النّبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم (١) : أنَّ آية الكُرسيّ خمسونَ كلِمةً في كُلِّ كلِمةٍ منها خمسونَ بَرَكةً .

وروى الحسن أنَّ جبريل أتى النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فقال: إنَّ عِفرِتاً مِنَ الجِنِّ يكِيدُكَ فإذا أَويتَ إلى فِراشكَ فأقرأ(الله لا إله) (٢) .

و جاء في التفسير في قوله : ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء:٥١] حُيَيْ بن أخطب و الطَاغُوت : كعب بن الأشرف (٣) .

ينظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٣٠٦ قال السيوطي في الإتقان : ٢/ ٤٠٩ أخرج الحارث بن أبي أسامة عن الحسن مرسلا: (أفضلُ القرآنِ سورةُ البقَرة وأعظمُ آيةٍ فيها آية الكرسي).

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٢٩ في حديث طويل هذا منه و فيه: (سيد القرآن البقرة ، و سيد البقرة آية الكرسيّ) و قد ذكر كثيرا منه الزمخشري: ١/ ٤٨٦ وقال الزيلعي : (ذكره أبو شجاع الديلمي في مسند الفردوس من حديث عليّ مرفوعا)١/ ١٦١ و تبعه الحافظ في الشافي في تخريج الكشاف: ١/ ٤٨٦ و قال إنه لم يجدهُ و قد ذكره صاحب الفردوس و لم يخرجه ابنه اهـ. و لكن الذي في الثعلبي و لم يذكروه قال في أوله الثعلبي : عن نافع عن ابن عمر قال بينا عمر جالس في مسجد المدينة في جماعة من أصحاب النبي صلَّى الله عليه وسلَّم و هم يتذاكرون فضائل القرآن ... الخ . و عزاه في كنز العمال إلى منصورِ بنِ أحمدَ الهروي في حديثه والديلمي قال ورواه (ابن عساكر) مختصرا . كنز العمال: ٢/ ٤١٤ و ينظر: فيض القدير للمناوي: ٤/ ١٢٣ و حكم عليه الشيخ الألباني بالوضع: السلسلة الضعيفة(ح٣٧٢٨)٨/ ٢٣٠

(٢) رواه ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث عن الحسن مرسلا: صـ١٨٢ وعزاه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء إلى ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان مرسلا: ٣/ ١٨ وعزاه في الدر المنثور :٢/ ١٤إلى ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان و الدِّينوري في المجالسة.

(٣)هذا القول ذَكَرَه مقاتلُ بن سليمانَ : ١/ ٢٣٤ في سورة النساء: آية: ٥١ و ذكر أيضا عند قوله تعالى في الآية التالية: (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ..) ١/ ١٣٧ أنه يعني كعب الأشرف ولم يزد ونقله عنه الثعلبي: ٢/ ٢٣٨ فقال كما قال المصنف و نقله ابن الجوزي : ١/ ٣٠٦ فقال كعب الأشرف و لم يزد.

قوله :﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية :٢٥٧] الوليّ الناصِر المُعِين وهو المُحبُّ يُقال تَوَلَّيتُ فُلاناً وَلَايةً فالله عَزَّ وجَلَّ وليُّ المؤمنين في هِدايتهم و إظهار الحجَّةِ لَهُم وصَرْفِ الكُفرِ عن قلوبهم ، وليُّهُم بالنُّصْرةِ لهم على عَدُوِّهم و إظهارِ دِينِهم على دِين مُخالِفيهم ، و وليُّهم بإدامة التّوفيقِ للطاعَاتِ لهم ، و وليُّهم يتولّى ثوابهم و مُجازاتهم بحُسنِ أَعمالِهم .

﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ قيل مِن ظُلمة الكُفر إلى نور الإيمان .

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ وقد مَضى تفسيرُه .

﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ وهو الإيمان بالنّبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قبلَ أن يُبعَث ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ وهو الكُفر بِمحمّدٍ ﷺ.

وقيل يُخرجهم ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ وهو الكُفر إلى النور وهو الإيمان بِمحمد صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم يُريدُ بِهِ جَماعَةً مِن النصارى آمنوا بالنبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم (١) .

و﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ مِن دِينِ عيسى إلى الكُفرِ بمحمّد عليهما السلام .

وقيلَ أرادَ بالطّاغُوتِ مَرَدَةَ اليهودِ دَعوا أصحَابهُم إلى الكُفر بِمحمد صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بعدما آمنوا بِهِ قبلَ بَعْثِه (٢).

وقالَ بعضهم: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي يَحكُم بإسلامهم و إيمانِهم لا أَنّهم كانوا كُفّاراً فآمنوا بل مَن عَلِمَ الله بإيمانهِ لم يكن قطُّ كافراً في عِلمِه ، وكذلكَ ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ هم الذين حَكَمَ الله بِكُفرِهم ولم يكونوا بِمؤمنينَ قَطُّ في عِلمِه ، قال فهذا كقوله تعالى خبراً عن يوسف : ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا

---

(١) الطبري: ٤/ ٥٦٤

(٢) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٣٨

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [يوسف:٣٧] ولم يكن مُتَلبِّساً بِضدِّ الإيمان حتى يَتْرُكَهُ ، كذلك يجوز أن يُوصَفَ بالخروجِ عن الكفر بمعنى الدخول في الإيمان وإنْ لم يكن قَطُّ داخلاً في الكُفر. (١) وهذا قولٌ حَسنٌ على مذهب القائلينَ بالموافاة (٢) .

و الطّاغوت يَجوز أن يكونَ جمعاً ويجوز أن يُجعلَ واحداً فقد ذُكِر واحداً و مؤنّثاً و مُذكَّراً قالَ في البقرة : ﴿يُخْرِجُونَهُم﴾، وقال في النساء : ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ

(١) الطبري: ٤/ ٥٦٦ و معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٩٠ و معاني القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٧٥ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٣٨ و الماردي: ١/ ٣٢٩ وزاد المسير: ١/ ٣٠٧ و البحر: ٢/ ٢٨٣

(٢)مسألة الموافاة من المسائل المشكِلة، و تعريفها في قولِ ابن حزم:(اختلفَ المتكلِّمون في معنى عبَّروا عنه بلفظ الموافاة وهم أنهم قالوا في إنسانٍ مؤمنٍ صالحٍ مجتهدٍ في العبادة ثم ماتَ مرتدَّاً كافراً وآخرَ كافرٍ متمرد وفاسق ثم مات مسلما تائباً كيف كان حكمُ كل واحدٍ منهما قبل أنْ ينتقِلَ إلى ما ماتَ عليه عند الله تعالى فذهب هشام بن عمرو والفُوطي وجميع الأشعرية إلى أنّ الله عز وجل لم يزلْ راضياً عن الذي ماتَ مسلما تائبا ولم يزل ساخطا على الذي مات كافراً أو فاسقاً ... وذهب سائر المسلمينَ إلى أن الله عز وجل كان ساخطاً على الكافِر والفاسق ثم رضي الله عنهما إذا أسلمَ الكافر وتابَ الفاسقُ وأنّه كان تعالى راضيا عن المسلمِ وعن الصالح ثم سخِطَ عليهما إذا كفرَ المسلِمُ وفسَقَ الصّالح)٤/ ٤٨ و عزى شيخ الإسلام القول بالموافاة إلى اختيار الأشعري و طائفة من أصحاب أحمد و غيرهم ثم قال: (و أكثرُ الطَّوائفِ يخالفونه في هذا فيقولونَ بل قد يكونَ الرَّجل عدوّاً لله ثم يصير و ليّاً لله و يكون الله يبغِضُه ثم يحبُّه، و هذا مذهبُ الفقهاء و العامَّة و هو قول المعتزلة و الكَرَّامية و الحنفيَّة قاطبةً و قدماءِ المالكية و الشافعية والحنبلية و على هذا يدل القرآن)اهـ. الفتاوى:١٦/ ٥٨٢ وهذا الأخير وهو مذهب عامة الفقهاء هو المذهب الصحيحُ ولا يلزم منه قدحٌ في علم الله تعالى.

تنبيه: ليس معنى قولِ القائلين بالموافاة أنهم يقولون إنّ الله يحبُّ الكفر والفسوق ولكنَّ معناه أنه يكرَهُ ما عليه العبدُ من الكفر والفسوق و يحبُّه مع هذا لما ستئولُ إليه حالُه إذ كان في علمِهِ تعالى أنّه سيؤمن ويتوبُ وسيموتُ على الحقّ، فهو تعالى يبغض عمله من كفر أو فسق و يحبُّه لأنه سيوافي مؤمناً، فعندهم ما أحبّ الله عبداً فأبغضه و لا أبغضه فأحبَّه. وينظر: مقالات الإسلاميين: ١/ ١٠٠ و الملل والنحل للشهرستاني: ١/ ١٢٧ و التفسير الكبير للرازي: ٦/ ٣١ وشرح العقيدة الطحاوية: صـ ٣٥١

وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ ﴾ [٦٠]، وقـال في [الزُّمـر : ١٧]﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا ﴾ قالهُ أبو حاتم (١) .

قوله : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴾ [الآية:٢٥٨] هـذه كَلِمة تعجِيب ومعناهُ هل رأيتَ مِثله و العربُ تقول : ألم ترَ إلى فُلانٍ صَنَعَ كذا وكذا تُعجِّبُ مِنه ، و لفظهُ لفظُ الاستفهام. (٢)

وهذا مما أعلمَ الله نبيَّه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم حُجَّةً لهُ على قومِهِ لأنَّهم عَرَفوا أنَّهُ لم يَقرأ كِتاباً فإذا أخبرَ عن مِثله عُلِمَ أنَّهُ مُعجزةٌ له .

قوله ﴿ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾ أي خاصمَهُ و لاجَّهُ، وهو نُمْرُود (٣) بن كنعان قيل لما كَسَرَ الأصنام حَبسهُ نُمرود، وهو الجبّار في وقته ثم أخرجهُ فقال لهُ مَن ربُّك ؟ قال : الذي يُحْيِي و يميت .

وقيل كان الناس يحملون الطَّعام من عند نُمْرُود فذهب إليه إبراهيم لأجلِ الطّعام فجرى بينه وبينه هذه المُنَاظَرَةُ فَمنع عنه الطَّعام فَمَلأَ إبراهيمُ وِعَاءَهُ من الرَّمل في الطريق تَطييباً لِقلبِ أهلهِ فَصَيَّرَهُ الله طعاماً أجودَ ما يكون (٤) .

---

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٣٧ وكذلك قال غيره ينظر: الطبري: ٤/ ٥٦٦ و معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٩٠ .

(٢) الطبري: ٤/ ٥٦٧ و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٩٠

(٣) نُمْرُوذ ونمرود :فيه وجهان بإعجام الذال و إهمالها ففي لسان العرب: (نمرد): نُمْرُود اسم مَلِك معروف، وكأَنّ ثعلباً ذهب إلى اشْتقاقه من التَمَرَّد فهو على هذا ثلاثي . و ذكره أيضا في : نمرذ قال : نُمْرُوذ بالمعجمة و أشار إلى أنه سبق في الدال في (نمرد). وينظر: التاج : (نمرد) وتفسير الطبري: ٤/ ٥٦٨

(٤) تفسير عبد الرزاق: ١/ ١٠٥ و الطبري: ٤/ ٥٧٢ عن زيد بن أسلم و رواه الطبري عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ٤/ ٥٧٤ و أبو الشيخ في العظمة:(٩٩٦، ٩٩٧)

وقيل في قوله ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ قولان (١) أحدهما: أنَّ الكناية تعود إلى نُمرود والمعنى: آتى الله نمرود الملكَ اِمتحاناً له و اختباراً .

والثاني: آتى إبراهيم الملك لأنَّ الملك ما فيه الأمرُ والنَّهيُ وإنما كان ذلك لإبراهيم.

وقيل ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ هذا سؤالٌ جوابه محذوفٌ كأنَّه قال له من ربك ؟ فقال ربي الذي يحي ويميت، فقال الكافر : أنا أُحيي وأُميتُ فقال إبراهيم كيف ذلك ؟ فَأْتِني بِبَيَانٍ فَأَطْلَقَ رجلاً من حبسه وقتل رجلاً، فعلِم إبراهيم بَلادَتَهُ وقِلَّةَ فَهْمِهِ، فانتقل إلى الحجَّة الأوضحِ والدليل الأشهَر فقال:

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ فانقطعَ الكافر كما قال ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ أي دُهِش وتحيَّر وانقطعَ. ويقال بُهِتَ الرَّجل وبَهَتَ بفتح الهاءِ والتَّاءِ من البُهتَانِ، و بَهُتَ بفتح الباء وضمِّ الهاء، والأجود بُهِتَ على المجهول (٢) .

والأصل في قوله ﴿أَنَا﴾ أنْ بالفتحِ ثم أدخلوا الألف في حال الوقف فَوَصَلُوه بها فقالوا (أنا) وقرأ نافع (أنـآ أحي وأميت) بمدِّ الألف فجعلَها موصولةً كأنَّها أصلية (٣).

---

(١) القول الأول هو الصَّحيح قال الزّجاج :(هو الذي عليه أهل التفسير ، وعليه يصحّ المعنى)اهـ. ١/ ٢٩٠ واقتصر عليه الثعلبي: ٢/ ٢٣٩ و الواحدي في الوسيط: ١/ ٣٧١ وذكر بعضهم القولين منهم الماوردي:١/ ٣٢٩ ، والرازي:٧/ ٢٠ و البحر: ٢/ ٢٨٧

(٢) الطبري: ٤/ ٥٧١ و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٩١ و مختار الصحاح ولسان العرب تاج العروس : (بهت).

(٣) قرأ نافع بإثبات الألف بعد النُّون في حال الوصل و ذلك إنما يجوز في الوقف لكنّه أَجرى الوصل مجرى الوقف فأثبت الألف: الروضة: صـ٥٧٣ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤١ والوسيط: ١/ ٣٧١ و

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي لا يُرْشِدُ إلى الدِّين من سَبَقَ عِلمُهُ بِأَنَّـهُ مـن الكفار وقيل لَمَّا طلب المحاربة مع الله عَزَّ و جَلَّ فَتَحَ الله عليه باباً مـن البَعُـوض فـستروا عين الشَّمس وأكلوا عسكره لم يتركوا إلاَّ العَظْمَ ودَخَلَ واحدٌ منهم في دِماغِهِ يأكُلُهُ حتـى صار مثل الفأرة (١)، وكان أَعَزَّ النَّاس إليه عنده (٢) من يضربُ دِماغه بِمطرَقَةٍ فبقي في ذلك البلاء أربعَ مائة سنةٍ مُدَّةَ ملكه وقيل أربعينَ سنة وقيل أربعينَ يوماً (٣) .

قوله ﴿كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ﴾ [الآية :٢٥٩] هذا (٤) منسوقٌ عـلى المعنـى في الأوَّل تقديره: هل رأيتَ كالذي حَاجَّ إبراهيم في رَبِّهِ أو رأيت كالذي مَرَّ على قرية (٥) .

وقيل إنَّ الكافَ صِلة (٦) و ﴿أَوۡ﴾ بمعنى الواو كأنَّه قال: ألم تر إلى الذي حَاجَّ إبراهيم في ربه والذي مَرَّ على قرية .

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ ، يعني ساقطةً على سُقُوفِها، وذلك بأن تكون السُقوف لَمَّا خَرِبَتْ تَسَاقطتْ فوقع الحيطان عليها. يقال خَوِيَ البيت بكسر الواوِ خَوىً إذا سـقط وخَـوَىَ البيت بالفتح إذا خَلاَ خَوَاءً ممدودٌ (٧) .

النشر:٢/ ٢٣١

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤٠ .

(٢) في الأصل: بعده.

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤٠ وينظر: تفسير مقاتل: ١/ ١٣٨

(٤) في الأصل: هذه منسوق. فصوبتها

(٥) يعني أنّ هذا الكلام معطوف على معنى الكلام الأول: معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٩١ والطبري: ٤/ ٥٧٧ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤٢

(٦)الطبري: ٤/ ٥٧٨ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤٢ و ضعفه الطبري.

(٧) الطبري: ٤/ ٥٨٤ و فيه : (خَوَت الدّار تَخْوِي خَواء وخُوِيّا. وقد يُقال للقرية خَوِيَتْ والأوّل أعرَبُ وأفصَحُ)اهـ. و مثله في الزجاج: ١/ ٢٩٢ و ينظر: لسان العرب: (خوى).

وقد يكون ﴿عَلَى﴾ ههنا بمعنى (مع) أي خاويةً مع عُرُوشها (١) .

والعرش كُلُّ ما عَلا فَأَظَلَّ، ومنه قيل لظَهر القَدَمِ عرشٌ ولِسقفِ البيتِ عَرْش (٢) .

وقيل إنَّ القرية أراد بها بيتَ المقدس (٣) وسُمِّيت القرية قريةً لِاجتماع النَّاس فيها من قولهم قَرَيْتُ الماء في الحوضِ. واختلفوا في المعنِيِّ في هذه الآية بقوله:﴿أَو كَٱلَّذِى مَرَّ﴾ فقيل كان كافِراً شَكَّ في البعثِ فَأماته الله ثمَّ أحياه، وقيل كان إرْمِيَا (٤) ، والأكثرونَ (٥) على أنَّه عُزيرٌ النَّبي عليه السَّلام مَرَّ على بيتِ المقدِسِ، وكان بعد أنْ خَرَّبَهُ بُخْتُنَصَّر فقال ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ قيل كيف يُعمُرها الله بعد خرابها، وقيل كيف يحي أهلها بعد موتهم لم يَشُكَّ في جواز البعثِ لكنَّه طلب العَيَانَ والزِّيادة في اليقين، ومُشاهدةِ ما عَلِمَه بإدراك البصرِ فقال هذا القول ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ بِأنْ أحياهُ وخَلَقَ الحياة أوَّلاً في عينيه ورأسِهِ فَجَعَلَ ينظُرُ بعينيه إلى عِظَامِهِ وإلى أجزاءِ حِمَارِهِ كيف تتركَّبُ وكيف تتألَّفُ وكيف تكتسِي لحماً ويصِيرُ حيَّاً.

قيل أمَاتَهُ ضَحْوَةً وبعثهُ بعد مِائةِ سنةٍ قبل أنْ تَغْرُبَ الشَّمس فقيل لهُ:

﴿كَمۡ لَبِثۡتَ﴾قيلَ قالَ جبريلُ وقيل هَتَفَ هاتِفٌ من السَّماءِ قال ﴿ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٍۖ﴾ حِينَ رأى الشمس لم تَغْرُبْ حَسِبَ أَنَّهُ في يومه الذي أُمِيتَ فيه.

---

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤٢ و البحر: ٢/ ٢٩١

(٢) لسان العرب: (عرش)والمفردات للراغب: ١/ ٣٢٩

(٣)الطبري: ٤/ ٥٨٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤٢ و الوسيط: ١/ ٣٧٢

(٤) هو اسم لنبيٍّ من أنبياء بني إسرائيل على قول وهب بن منبه : الطبري: ٤/ ٥٨٧ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤٢

(٥) الطبري: ٤/ ٥٩٥ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤٢

وقوله ﴿لَبِثْتَ﴾ إنْ شِئتَ أَدغمتَ لِقُربِ الحرفينِ في المخرجين وإنْ شِئتَ أَبْرزتَ لِزيادةِ الثاءِ على التَّاءِ في التَّفَشِّي وكلاهما جائِز (١) . ومنهم من أمَال قوله ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ﴾ (٢) .

وقيل لَمَّا قال عُزيرٌ: لبثَ يوماً أو بعضَ يومٍ قال له جبريل : إنَّ الله يُقرأك السّلام ويقول من لا يُفَرِّقُ بين مِائةِ عامٍ وبين سَاعَةٍ فَمالَهُ وَلقُدْرَتِي .

وقوله ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾ قالوا كان عنده سَلَّتانِ مِنْ التِّين والعِنبِ وشيءٍ من العصير ، وقيل كان اللَّبنُ والعصير لم يتغيَّر عن حالهما فأراه كمال قدرتهِ حيثُ أبْلَى عِظامَهُ وفَرَّقَ أجزاءَ حِمارِهِ ولم يتغيَّر طعامه.

وقوله ﴿لَمۡ يَتَسَنَّهۡ﴾ منهم من يقولُ الهاءُ فيه أصليه من السَّنَه وهو التَغَيُّر مِنْ مُرورِ السَّنَةِ في قول من زَعَمَ أنَّ السَّنَةَ سَنْهَةٌ وتصغيرها سُنَيْهَةٌ (٣) ، ومن قال السَّنَةُ سَنَوٌ يقول أصله لم يَتَسنَّ وكان أصله لم يَتَسَنَّوْ فَقُلِبَتْ الواو ياءً ثمَّ حُذِفَت الياءُ لمكان الجزْم فصار لم يَتَسَنّ فألحقت بها

(١)أدغم ثاء ﴿لبِثتَ﴾ في تائِها أبو عَمرو وابنُ عامِرٍ وحمزةُ والكِسائي وأبو جعفر وأظهرها الباقون. ينظر: غاية الاختصار:١/ ١٧٣ و إبرازُالمعاني لأبي شَامَة: ١/ ١٩٩ واتحافُ فضْلاءِ البشر: صـ٢٠٨ وينظر توجيهها في :معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٩٢ و الحجة للفارسي: ١/ ٤٦٤ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤٦ و الحجّة لابن خالويه: ١/ ١٠٠

(٢)أمال قوله (أنى): حمزة والكسائي. الكشف لمكي: ١/ ١٨٥ واتحاف فضلاء البشر: صـ٢٠٣

(٣) قرأ حمزة و الكسائي -كما سيذكر المصنف -بحذف الهاء و صلاً، و غيرهم بإثباتها وصلاً وجميعهم يثبتها في حال الوقف فمن أثبت الهاء في الوصل و الوقف وهم جمهور القراء عدا حمزة و الكسائي فالهاء على هذا من أصل الكلمة و سكنت للجزم ،و لهذا يقال في تصغيرها سنيهة و يقال سنة سنهاء و أَسْنهتُ عندكم أُسنِهُ ، ومن حذفها في الوصل فهي عنده هاء سكنت زائدة فتُثبتُ وقفا وتحذفُ وصلاً ، و لأنه يقال : سنة و سنوات و أسنتوا . والأرجح أنها أصلية ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ١٣١ والطبري: ٤/ ٥٩٩ – ٦٠٢ و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٩٢ و الحجة للفارسي: ١/ ٤٦٧ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤٦ و كشف المشكلات: ١/ ١٨٤–١٨٥ و إعراب القرآن : ١/ ٢٧٦ و البحر: ٢/ ٢٩٢ و النشر: ٢/ ٢٣١

الهاء في الوقف كما قال ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠] وقوله ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴾ ﴿القارعة:١٠] وغيره (١) .

وقال بعضهم (٢) : إنَّه من التَسَنُّنِ قيل لم يَتَسَنَّنْ أي لم يَتَسَنَّ كما قالوا

تَظَنّى (٣) في تَظَنّن وتَقَضّى البازي في تَقَضَّض البازي .

وإنَّما قال ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ ولم يقل لم يَتَسَنَّها كأنَّه اكتفى بذِكرِ أحد المذكورين عنِ الآخر كما قال الشاعر (٤) :

عُقَابٌ عَبَنقاةٌ (٥) كأنَّ وَظِيفَهُ وخُرْطُومَهُ الأَعلى سِنانٌ مُلَوّحُ

ولم يقل سِنانِ مُلَوّحَانِ.

وتقول في الكلام: لقيتُ زيداً وعمرواً يقول ذلك ويقولان ذلك كليهما جميعاً، ويقال إنَّ زيداً وعمرواً قائمٌ وقائمان (٦) .

---

(١)الطبري: ٤/ ٥٩٩ و معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٩٢ و الحجة للفارسي: ١/ ٤٦٧

(٢)معاني القرآن للفراء: ١/ ١٣١ و للزَّجّاج: ١/ ٢٩٣ و الثّعلبي: ٢/ ٢٤٧ وكشف المشكلات: ١/ ١٨٤-١٨٥

(٣) في الأصل: تظنن. و هو تحريف.

(٤) نسبهُ في كتاب العين إلى الطرمَّاح : ٢/ ٣٤٧ في (عبنقاة) و هو في تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤٧ مع تصحيفات في المطبوع وتحريفات و هو على الصواب في مخطوطة عندي مصورة من مخطوطات الأزهر: ورقة:١٤٢ و فيها: كأنّ و ظيفها و خرطومها. كما في كتاب العين. و في العين : بنار بدل سنان.

(٥)عُقاب عَقَنْباة و عَبَنْقاة وقَعَنْباةٌ وبَعَنْقاة: حديدةُ المخالب، وقيل هي السريعة الخطف المُنْكرة: (لسان العرب: عبنق).

(٦) يعني يجوز أن يعود الضمير بالإفراد و أنْ يعود بالتثنية.

قرأ حمزة و الكسائي (يَتَسَنَّ) بحذفِ الهاء في الوصل وقرأ الباقون بإثبات الهاء في الوصل والوقف (١) . (و١٥٢) وقوله ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً﴾ حيثُ بُعِثَ بعد موتِهِ مائةَ سَنَةٍ ، وقيل الواو مُقْحَمَةٌ ومعناه: أُنظُر إلى طعامك لم يَتَسَنَّه وانظُر إلى حِمارِك ولنجعلك آيةً للنَّاس (٢) .

ويحتمل أنْ يكون فيه إضمارٌ (٣)ومعناه: أُنظُر إلى {طعامِك} (٤) وشرابك لِتتيقّن أنّي قادرٌ ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أو أُنظُر لِيَحْصُل لك اليقين ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾

﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ عِظَامَ نفسه و عظامِ حِمارِهِ ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ {بالزاء والإنشازُ تركيبُ العِظَام بعضُها فوق بعضٍ والنَّشَزُ ما ارتفع من الأرضِ} (٥) ﴿ونُنشِرُها ﴾بالراء وضمِّ النُّون والمعنى نُحييها.

---

(١) تقدّم قريبا في التعليق على معنى الكلمة.

(٢) هذا المذهب فيه نظرٌ لأنّ معناه أنّ الواو هنا زائدة و لا ضرورةَ توجبه، و لأنّ النحاة لا يجيز كثير منهم زيادة الواو قال ابن جنّي : (وزيادة الواو أمرٌ لا يثبته البصريون)اهـ. الخصائص: ٢/ ٤٦٢ و ينظر: الإنصاف: المسألة: ٦٤ و الفصول المفيدة في الواوِ المزيدة: ص١٤٦ للحافظ صلاح الدين العلائي. و الأحسن ما اختاره الفراء و الطبري من أنّ الواو أُدخِلت لنيَّة فعلٍ بعدها مضمَرٍ تقديرُه: و لنجعلكَ آية فعلنا ذلك. وسيذكر المصنف هذا القول. و ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ١٣١ و الطبري: ٤/ ٦١٣ – ٦١٤ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤٩ وكشف المشكلات: ١/ ١٨٥ – ١٨٦ و أمالي ابن الشجري: ١/ ٣٥٧ و البحر: ٢/ ٢٩٣

(٣) معاني القرآن للفراء: ١/ ١٣١ والطبري: ٤/ ٦١٤ و المصادر السابقة.

(٤) سقطت من الأصل.

(٥) ما بين المعكوفتين ساقط و ألحقهُ الناسخ بالهامش.

يقال أَنْشَرَ الله الميِّت قال الله تعالى ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ [عبس:٢٢]. قرأ الكسائي وحمزة وعاصم وابن عامر (نُنْشزها) بالزاء المعجَمه وقرأ الباقون بالرّاء (١) ،

وقرأ الحسن (٢) (نَنْشُرُها) يقال أنشر الله الميتَ ونَشَرَهُ ، قال أبو حاتم (٣) :وليس هذا بالمعروف وإنَّما يُنشَر المَطويُّ ويقال نَشَرَ الميِّتُ فهو ناشرٌ وأَنْشَرَهُ الله. ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ ﴾ بقطعِ الألفِ وهو خبرٌ عَن عُزيرٍ.

وقال ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ عِلمَ ضَرُورةٍ ومُعَايَنَةٍ لِما شَاهَدَهُ.

وقرأ (قال اَعلَمْ) على الأمرِ كأنَّه خاطبَ نفسَه فقال: أيُّها الإنسانُ اِعلَم . مجزوماً على الأمْر. (٤) وقرأ (أَعلمُ) على الخبرِ .

وفي مصحف عبد الله بن مسعود (٥) (قيل اِعلمْ أنَّ الله على كل شيء قدير) على الأمرِ كأنَّ الله قال له: اعلم أنَّ الله على كل شيء قدير.

---

(١) السبعة: ١٨٩ ، و الروضة: ص٥٧٤ و التيسير: ٨٢ ، والنشر: ٢/ ٢٣١

(٢)(نَنْشُرُها) بفتح النون و بالراء المهملة : معاني القرآن للفراء: ١/ ١٣١ و الطبري : ٤/ ٦١٧ و لم ينسبها الطبري و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤٨ و البحر: ٢/ ٢٩٣ و اتحاف فضلاء البشر: صـ٩٨ .

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤٨ عن أبي حاتم وكذلك ضعفها لغة الطبري: ٤/ ٦١٨ . و ينظر: الفراء: ١/ ١٣١ و الزجاج: ١/ ٢٩٣ ففيهما إثباتها لغة قليلة. و لسان العرب: (نشر).

(٤)قراءة (قال اَعلَمْ) بوصل الألف و الجزم في الميم قرأ بها من العشرة حمزة والكسائي فقط و قرأ بها أيضا ابن عباس :معاني القرآن للفراء: ١/ ١٣١ و السبعة: ١٨٩ والطبري : ٤/ ٦٢٠ و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٩٣ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٥١ و الروضة : ص٥٧٥ و البحر: ٢/ ٢٩٦

(٥)معاني القرآن للفراء: ١/ ١٣١ والطبري : ٤/ ٦٢٠و المصاحف: صـ٥٨

وقيل (١) لَمَّا بعث الله عُزيراً ذهب إلى قومِهِ وكان شابّاً حين مات فوجد أولاده وأحفادَه شُيُوخاً وعَجَائز فقال: أنا عُزيرٌ فلم يُصدِّقُوه فطلب التوراة فقيل إنَّ بُخْتَنَصَّر أحْرَقَهُ فأمْلَى عليهم التوراة من ظَهرِ قلبه، فجاء آخر وقال إنَّ جدِّي دَفَنَ نُسخَةً من التوراة في كَـوْمٍ لـه فاستخرجوه فقابَلُوهُ بما أَمْلَى فكان كما أمْلاهُ لم يُخالِفهُ حَرْفٌ.

ولم يحفَظِ التوراة أحدٌ على الوجه بعد موسى غيرُه، فعند ذلك قالوا عُزيرٌ ابن الله.

ولا يقول اليهود الآن إنَّ عُزيراً ابنٌ وإنَّما هذا كان من مَذْهَب قوم دَرَجُوا (٢) .

قوله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [آية:٢٦٠] موضع (إذ) نصبٌ ، المعنى: أُذكر هذه القصّة. وموضع (كيف) نَصْبٌ (٣)بِـ(تُحيي الموتى) بِـأيِّ حالٍ تُحْيي الموتى.

واختلفوا في هذه الآية من وجُوه: فقال بعضهم إنَّ إبراهيم ﷺ مَـرَّ عـلى شَـاطِئِ البحـر فَرَأَى جِيفَةً تأكلُ حيتانُ البحر منها، وتَفْتَرِسُ السِّباعُ منها وتَنتِـفُ الطُّيـور منهـا فَتفـترِقَ أجزاؤهـا في هـذه البِقـاع فقـال إبـراهيم ﷺ -وقـد وقـف مُتَعجِّبـاً- أَرِني كيـف تُحـي الموتى ؟ (٤) .

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٤٩ -٢٥٠ و ينظر: تفسير مقاتل: ١/ ١٤٠

(٢) يعني : ماتوا و انقرضوا. (القاموس المحيط و مختار الصحاح: درج). و قد اختُلِفَ فيمن قال هذا من اليهود أهو بعضهم أم كان هذا المذهب فاشيا فيهم ثم انقطع. ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٤/ ٢٩٩ وزاد المسير: ٣ / ٤٢٤ و التفسير الكبير للرازي: ١٦/ ٢٨ و الثعالبي: ٢/ ١٢٥

(٣) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٩٤ . وقال العكبري: (الجملة في موضـع نـصبٍ بــ﴿أرني﴾ أي أرِني كيفيَّة إحياءِ الموتى. فكيف في موضعِ نصبٍ بـ(تحيي))اهـ. ١/ ١١٠

(٤)تفسير الطبري: ٤/ ٦٢٥ و وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٥١ والدر: ١/ ٣٣٤

كيف تَجْمَعُ أجزاءَ هذه الجيفةِ بعد تَفرُّقِها ؟ فمنهم من حَمَلَ هذا على الشَّكِّ وأنـه كـان في حال نَظَرِهِ واستِدلاله قبل النُّبوة . والصحيحُ أنَّه ليس كذلك بل كان إبـراهيمُ عالمـاً بأنّـه يحي الموتى ولكنَّهُ طلب العِيان مع ما كان له مع العِلم فاستَزادَ العلم واليقين(١).

ويجوزُ مثل هذا أنْ يعلَمَ الإنسانُ شيئاً نَظَراً فيطلبَ أنْ تصير مَعْرِفَتِهِ أقوى وأجلى.

وفي بعض الأخبار أنَّ النَّبي ﷺ قال (٢) : (نحن أولى بالشَّك من إبراهيم).

وعن ابن عبّاس أنَّه قال (٣) : هذه أرجَى آية لهذه الأُمَّه.

---

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي: ٢/ ٦٩٨ وتفسير الطبري: ٤/ ٦٢٦ ورجّح الطـبري أنـه سـأل ربـه تعالى لعارض عرض في قلبه .. الخ ، و معاني القرآن لابن النحاس: ١/ ٢٨٣ و الـسمرقندي: ١/ ١٩٩ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٥١ -٢٥٣ و المحرر: ١/ ٣٥٢ و قد أطال في مناقشة ترجيح الطـبري و نقل القرطبي كلامه بطوله و استحسنه قلتُ: و هو مفيدٌ و شرح النووي عـلى مـسلم:٢/ ١٨٣ و القرطبي: ٣/ ٢٩٩ و مجموع الفتـاوى: ١٥/ ١٧٧ وابـن كثـير: ١/ ٣١٦ وحاشـية الطيبـي عـلى الكشاف:١/ ٤٩٢ و فيها تخريج غريب وهو أنه سؤال عن كيفية الإحياء والبحر: ٢/ ٢٩٧ و فـتح الباري: ٦/ ٤١٣

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة أنّ رسولَ الله ﷺ قال : (نحنُ أحقُّ بالشكّ مِن إبراهيم ﷺ إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ قال: ويرحمُ الله لوطاً لقد كانَ يأويْ إلى ركنٍ شديدٍ، ولـو لبثـتُ في الـسِّجن طـولَ لبـثِ يوسـف لأجبتُ الدَّاعي)اهـ. صحيح البخاري في مواضع منها : في كتاب التفسير: ٤٨ باب ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (ح ٤٢٦٤) و مسلم في كتاب الإيمان ، (٦٩ باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة) (ح ١٥١) و ينظر: الطـبري: ٤/ ٦٢٩ – ٦٣٠ و تفسير ابن كثير/ ١/ ٣١٦ و الدر: ١/ ٣٣٥

(٣) تفسير عبد الرزاق: ١/ ١٠٦ و أبو عبيد في فضائل القرآن: صـ ١٤٩ وتفـسير الطـبري: ٤/ ٦٢٨ – ٦٢٩ و الدر: ١/ ٣٣٥

وقيل إنَّه لَمَّا قال (١) إبراهيم للنُّمرود رَبِّي الذي يحي ويُمِيت، وعَمَدَ نُمرود إلى رَجُلين قتل أحدهما وأَطْلَقَ الآخر قال إبراهيم ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ﴾ لِيَظْهَرَ للعَدُوِّ ذلك وأنَّ مُرَادي من ذلك غير ما أُظْهِرُهُ فَيُطَمئن قلبي بإنجاز ما سألتُك (٢) .

وقيل توعَّدَ نُمرود إبراهيم وقال: اِئتني بما ذكرتَ منْ أنَّ رَبك يُحي ويُميت وإلاَّ قَتَلتُكَ فعند ذلك قال: أرِنِي كيف تحي الموتى ليطمئنَّ قلبي بأنَّ العَدُوَّ لا يقتلني ويُؤمِّنُني بما يتوعَّدُني .

وقيل إنَّ جبريل عليه السلام أخبره بأنَّ الله يَتَّخِذه خليلاً وعلامة ذلك أنْ يحي الموتى على يَدِهِ فقال أرِني كيف تحي الموتى لِيطْمئنَّ قلبي بما وعدتني أنَّك تتّخذني خليلاً (٣) .

وقرأ (أرِني) بكسر الراء و(أَرْنِي) بِتَسكين الرّاء (٤).

وقوله ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بضم الصَّاد يعني: أَمِلْهُنَّ إليك، يقال: صُرْ وجهَك إليَّ أي أقبل عَلَيَّ، منه رَجُل أَصْوَرُ والصَّوْرُ في العُنُقَ مَيلٌ فيه (٥) .

---

(١) في الأصل: قام. و هو تحريف.

(٢) تفسير الطبري: ٤/ ٦٢٦

(٣) تفسير الطبري: ٤/ ٦٢٧ – ٦٢٨ و ابن أبي حاتم: ٢ / ٥٠٧ (٢٦٨٩) . عن السدي و عن سعيد بن جبير. قلتُ: هو قول غريبٌ فيه تكلُّف ولا دليل عليه، و سنده عن سعيد بن جبير ضعيف جداً. ينظر في نقد سنده عن سعيد بن جبير تفسير الطبري. تحـ: أحمد شاكر: ٥/ ٥٨٩.

(٤) إسكان الراء قراءة أبي عمرو بخُلْفٍ عنه و ابنُ كثير و يعقوبُ و الوجهُ الثاني لأبي عمرو الاختلاس ، والباقون بكسر الرّاء: السبعة: ١٧٠ والنشر: ٢/ ٢٢٢ و اتحاف فضلاء البشر: صـ ١٦٢

(٥) و يقال قطّعهنّ أيضا . ينظر في معناهما و توجيههما: مجاز القرآن: ١/ ٨٠ ومعاني القرآن للفراء: ١/ ١٣٢ و تفسير الطبري: ٤/ ٦٣٤ –٦٤٣ و معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٩٤ و معاني القرآن للنحاس : ١/ ٢٨٧ الحجة للفارسي: ١/ ٤٧٥ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٥٤ و الماوردي: ١/ ٣٣٤ وكشف المشكلات: ١/ ١٨٧ و لسان العرب: (صور) و البحر: ٢/ ٣٠٠

وقرأ حمزة (فَصِرْهُنَّ) بكسر الصَّاد قيل معناه قَطِّعْهُنَّ وقرأ الباقون بالضمِّ (١) .

وقيل (صِرْهُنَّ) لُغةٌ في (صُرْهنَّ). (٢) ومن قرأ (صِرهنَّ) أي قَطِّعهنَّ، قيل فيه تقديمٌ وتأخير معناه: فخذ أربعة إليك فَصِرْهنَّ .

﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾. وقُرِأ (٣) (جُزُؤاً) وهما لغتان مثل كُفُؤٍ وكُفْؤٍ.

وقوله ﴿كُلِّ جَبَلٍ﴾ أراد به بعضَ الجبل كقوله: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل:٢٣] وليس يريد به العموم كقوله ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [الأحقاف:٢٥] (٤) .

﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ قيل يَسْعَيْنَ إليك سعْياً، وقيل يأتينك بالسَّعي وفائدته أنَّه لو أَتتهُ طَيراناً رُبَّما اِلتبس على النَّاظر أنها غيرُ تلك الطُّيُور فإذا أَتَيْنَهُ سَعْياً كان أبعد من الّلبس. وعن الخليل (١) : يأتينك وأنت تَسْعَى سَعْياً .

---

(١)قرأ حمزة و أبو جعفر و خلف في اختياره و الأعمش ورويس عن يعقوب(فَصِرْهُنَّ) بكسر الصَّاد والباقون و هم جمهور العشرة بالضمّ : الروضة: ٢/ ص٥٧٤ و غاية الختصار: ٢/ ٤٣٦ والنشر: ٢/ ٢٣٢

(٢) اختاره الطبريّ و نسبه إلى نحاة البصرة وقال هما لغتان: إحداهما من صار يصُور و الأخرى من صار يصير . واختاره أيضا ابن النحاس: معاني القرآن: ١/ ٢٨٧ وقال أبو علي الفارسي: ١/ ٤٧٧ : ثبت أنّ الميل و القطع يُقال في كلّ واحدٍ منهما : صار يصير. و ينظر: معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٩٤ والأضداد: صـ ٣٧ و لسان العرب و تاج العروس : (صور) والحجة للفارسي: ١/ ٤٧٥ – ٤٧٧ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٥٤ و المحرر: ١/ ٣٥٥

(٣) هي قراءة أبي بكر شعبة عن عاصم و بها قرأ الأعمش . الروضة: ٢/ ٥٧٥ و غاية الاختصار: ٢/ ٤٣٦ و الاتحاف: ص١٦٣ .

(٤) تفسير الثّعلبي ٢/ ٢٥٦

﴿وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ عزيزٌ منيعٌ في سلطانه حكيم حَكَمَ على خَلْقِهِ بالبعثِ كما بعث هذه الطُّيورَ، وقيل حكيم أفعاله مُحْكَمَةٌ كإحياء هذه الطيور، وقيل عالم بِكيفية البعثِ عزيز قادر على البعثِ.

واختلفوا في الطُّيور الأربعة فقال ابن عباس (٢) : أَخَذَ طاوُوساً ونسراً وغُراباً ودِيكاً وقيل أخذَ حماماً وديكاً وغراباً وبَطَّةً.

وقال مجاهد (٣) : أخَذَ طاووساً وديكاً وحَمَامَةً وغراباً.

وقيل فائدة خَصِّهِ بأربعةٍ (٤) أَنّهَ عند قومٍ أنَّ الطبائِعَ أربعةٌ وأنَّ الموت يَتَعَادَى هذه الطبائِع فأُمِر بأخذِ أربعةٍ من الطُّيور الغالب على كلِّ واحدٍ منها طَبْعٌ آخَر، فأمَرَهُ بقتل الجميع وخَلْطِ لُحومِ بعضهِ ببعضٍ وكذلك خَلَطَ دِمَاءَ بعضِهم ببعضٍ وريشَ بعضِهم ببعض ثمَّ دعَاهُنَّ [١٥٣و] بعد أنْ فَرَّقَ أجزاءَهنَّ على رؤوس الجبال، وقيل أَمْسَكَ الرّؤوسَ عِندهُ فاجتمعت الأجزاءُ وأتينَ سَعياً إلى رُؤوسِهِنَّ وأحياهُنَّ الله كما شَاء.

وقيل كانت الطُّيور إوَزَّةً خَضْراء وغُراباً أَسْوَدَ وحمامةً بيضاءَ ودِيكاً أحمر.

وقيل نُودِيَ من السَّماء أَيُّتها العِظَام المتفرِّقة اِجْتَمِعِي يَردُّ الله رُوحَكِ فيك فاجْتَمَعَتِ الأجزاء بإذنِ الله. وإنما خُصَّ الطُّيور دون غيرها من الحيوانات لما فيها مِمَّا في الحيوانات من كلِّ وَجهٍ واختِصَاصِها من بينها بالطَّيَرانِ (٥) .

---

(١)تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٥٧ و ينظر: البحر: ٢/ ٣٠٠

(٢) الكشف و البيان للثّعلبي: ٢/ ٢٥٣ و ينظر: تفسير الطبري: ٤/ ٦٣٤ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٥١٠ و الدر: ١/ ٣٣٥

(٣) تفسير الطبري: ٤/ ٦٣٤ و تفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٥١٠ (٢٧٠٣).

(٤) ينظر: تفسير نجم الدين عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ١٩٧) و البحر: ٢/ ٢٩٩

(٥) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٥٣ و تفسير عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ١٩٥). و نسبه إلى أبي القاسم بن حبيب: (ت: ٤٠٦هـ). و غرائب الكرماني: ١/ ٢٢٩

وقال الأخفش (١) :قوله ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِن﴾ يقولُ أَلَسْتَ قَدْ صَدَّقْتَ أيْ أنت كـذلك كـما قال جرير (٢) :

أَلَسْتُم خير من ركب المَطايا   وأَنْدَى العَالمينَ بطونَ راحِ

أي أنتم كذلك.

وقيـل كـان بالـشَّام قبـل نـزول الـوَحي عليـه، وكـان ابـنَ خمـسة وسـبعين سـنةً يومئذٍ (٣) .

ثمَّ لَّما بَيَّنَ الله سبحانه دلائلَ توحِيدِهِ وقدرَتِهِ في هذه الآية كأنَّه قَوَّى عُلوْمَ القَومِ فَـأَمَرَهُم بعده بالجهاد والإِنفَاقِ في سبيله (٤)فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ الآية [

(١) معاني القرآن للأخفش: صـ ١٣١ و ينظر: تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٥٣

(٢) تقدّم تخريجه: صـ ٥٤٩.

(٣) تفسير مقاتل: ١/ ١٤١ . و لم يُسنِدْهُ مقاتلٌ و لم يعزه . و هذا من الأساطير التي لا تثبُت ولـيس عليهـا دليل، و يبعدُ جدّا أنْ يشِيخَ إبراهيم و لم يأته الوحي ؟! . بل مجموع قصّته وأخبـاره في القـرآن تكـذّب هـذا الزَّعم. و ليتَ المصنّف لم ينقل هذا فقد أعرض عنه كثيرٌ مـن المفـسّرين فأحـسنوا . و إنـما نقـل مقاتـل بـن سليمان في تفسيره ما يلي: (وكان أمرُ الطّير قبل أنْ يكون له ولدٌ ، وقبل أن تنزل عليـه الـصّحف ، وهـو ابـن خمس وسبعين سنة)اهـ . (٣)، و لم يسنده مقاتل لأحد. و يظهر أنّه لم يرد بذلك مـا فهمـه المـصنف مـن أنّ ذلك قبل نزول الوحي بل قصد قبل نزول الصّحف عليه فالمعنى : يصلح فيه أنْ يقال نزل الوحي عليه ثـم لبث زماناً و نزلت عليه الصّحف.و على كلٍّ فالخبرُ باطلٌ.

(٤) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٢٩٥ و ينظر: الطبري: ٤/ ٦٥٠ ففيه تفصيل طويـل مفيـدٌ لمناسـبة هـذه الآية يكفي عـن غـيرِهِ قـال رحمـه الله تعـالى : في قولـه ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ...﴾ وهـذه الآيـةُ مـــردودةٌ إلى قولِـــه: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [البقـرة:٢٤٥]. والآيـاتُ التـي بعـدَها إلى قولـِهِ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مِن قَصَصِ بني إِسرائيلَ وخبرِهم مع طالوتَ وجالوتَ ، وما بعدَ ذلـك

آية:٢٦١]، في الآية إضمارٌ فإنْ شئت أضمرتَ في الأوَّل، وإنْ شئتَ أضمرتَ في الثاني، فإنْ أضمرتَ في الأوَّل قُلْتَ :مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حَبَّةٍ أنبتت سبعَ سنابل.

وإنْ أضمرتَ في الثَّاني قلتَ:مثل الذين يُنْفِقُونَ أموالهم في سبيلِ الله كمثلِ زارعٍ حَبَّةً أنبتت سبعَ سنابل. حتَّى يستقيم التَّشبيه في المُنفق والزَّارِع (١) .

وقوله ﴿أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ يجوزُ الإِدغام لِأَنَّ التَّاء والسِّينَ مَهْمُوسَتانِ (٢) ويجوزُ الإبراز لأنَّهما من كَلِمَتين (٣) .

مِن نبأ الذي حاجَّ إبراهيمَ مع إبراهيمَ، وأمْرِ الذي مرَّ على القَريةِ الخاوِيةِ على عُروشِها، وقِصّةِ إبراهيمَ ومسألتِه ربَّه ما سأل، مما قد ذكَرْناه قبلُ- اعتراضٌ مِن الله تعالى ذِكْرُه بما اعترَض به مِن قَصصِهم بينَ ذلك- احتجاجاً منه ببعضِه على المشركين الذين كانوا يُكَذِّبون بالبعثِ وقيامِ الساعةِ، وحضًّا منه ببعضِه للمؤمنين على الجهادِ في سبيله، الذي أمرَهم به في قوله﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[البقرة:٢٤٤] يُعرِّفُهم فيه أنه ناصرُهم وإن قلَّ عددُهم، وكثُر عددُ عدوِّهم ...) الخ. و ينظر:تفسير عمر النسفي التيسير في التفسير: (ورقة ١٩٥). و التفسير الكبير: ٧/ ٤٠ والبحر:٢/ ٣٠٣

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٥٨ و القرطبي: ٣/ ٣٠٣ والبحر: ٢/ ٣٠٣ وينظر: زاد المسير١/ ١٦

(٢) سر صناعة الإعراب: ٦٨ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٥٨ و الرعاية لمكي: صـ١١٦ والكشف لمكّي: ١/ ١٥١ و القرطبي: ٣/ ٣٠٤

(٣)أدغمها هنا أبو عمرو و حمزة و الكسائي و خلف . السبعة:١/ ١٢٠ و١٢٤ و الروضة: ١/ ٢٦٠ و غاية الاختصار: ١:/ ١٦٨- ١٦٩ و النشر: ٢/ ٥ والبدور الزاهرة: صـ٥٣ .

وهذا من باب الإدغام الصغير وهو إدغام تاءُ التأنيث المتصلة بالفعل كما في (أنبتتْ) فقد اختلف القراء في إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف قاربتها في المخرج وهي : هي الثاء ، والظاء والجيم و حروف الصفير: س، ص، ز . و قد أجمعوا على إدغامها إذا وليها تاء أو دالٌ. ينظر: المصادر السابقة. والتاء و السين اتفقتا في أنّ مخرجهما من الفم و أنهما جميعا من أحرف الهمس : الكشف لمكّي: ١/ ١٥١

وقال الكلبي (١) نَزَلَت الآية قبل فرْضِ الزَّكَاة حَثَّ الله بِها على الإنْفاقِ في سبيلِه.

ثــم قــال مثــلُ المُنفــق مالَــه في ســبيل الله ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ أي أخرجتْ سبعَ سنابل ﴿فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ والله يـضاعِف لِـصَاحب الـصَّدَقة بالواحدِ سبعمائة إلى ما شَاء الله ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ غَنِيٌّ لا يُنْقَصُ مُلكُه مـن ذلـك الإعطـاء ﴿عَلِيمٌ﴾حيثُ يضَعُ الصدَقَةَ.

قوله ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية :٢٦٢] أيْ الذين يتـصدّقون بِأموالهم وينفقون أموالهم في ما أَمَـرَ الله سـبحانه ﴿ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾ المَنُّ أنْ يَمُنَّ عليهِم بإعطائه (٢) ، والأذى أنْ يُعَيِّرهم. وأصل المِنَّةِ النِّعمَـةُ ومَـنَّ عليهِ إذا أَنْعَمَ عليه، والله سبحانه حظَرَ على العباد أنْ يمُنَّ بعـضُهم عـلى بعـضٍ بالـصَّدقة لأنَّ المِنَّةَ تَخْلُصُ لله سبحَانه (٣) .

وقِيل نزَلت الآية في عثمان حِينَ جَهَّزَ جيشَ العُسْرةِ في غَزْوةِ تبوك، وفي عبـد الـرّحمن بـن عوفٍ فإنَّه جاء إلى النَّبي ﷺ بِأربعةِ آلاف درهمٍ صَدَقَةً قال: كان عندي ثمانيةُ آلاف درهمٍ فَأمْسَكْتُ منها لِنفسي أربعةَ آلاف فقال: بارك الله لكَ فيما أمْسكتَ وفيما أعْطَيْتَ. ونَزلتْ فيهِما هذه الآية (٤) .

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في الأصل: إعفائِهِ. و هو تحريف . ينظر مثلا: تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٥٩ و القرطبي: ٣/ ٣٠٧ .

(٣)المنة تخلُص لله وذلك لأنّ الفضل كلّهُ من الله تعالى فالمنّة على الحقيقة له سبحانه وما بالعباد من نعمـة فمنه و له و العبد مستخلفٌ مختبرٌ بمواهب الله تعالى له مـالاً أو جاهـا أو علـماً فلكـلٍّ زكاتـه. والله الموفق. وينظر: الطبري: ٤/ ٦٥٦ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٥٩- ٢٦٠

(٤) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٥٨ نقلا عن الكلبي و العجاب: صـ ٤٤٢ نقلا عن الثعلبي. و قد ذكـره أيـضا مقاتل بن سليمان مختصراً: ١/ ١٤٢

﴿لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ فيما يستقبلون من العذاب ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ على ما خَلَّفُوا.

قوله ﴿قَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌ﴾ [الآية :٢٦٣] قولٌ معروف كلامٌ حَسَنٌ يدعوا الرَّجل لِأخيهِ بِظَهْرِ الغَيبِ، وقيل عِدَةٌ جميلةٌ ﴿وَمَغۡفِرَةٌ﴾تَجَاوُزٌ عمَّن ظَلَمَهُ وعمَّنْ يستطِيلُ عليهِ مثل زَوْجَتِهِ وأَمَتِهِ وعَبْدِهِ خيرٌ ثواباً عند الله مِنْ صَدقة يُعْطِيها ثُمَّ يُتْبِعُهَا أَذىً يعني المَنَّ،وقيل التَّعيير (١) .

﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عنْ صَدقةِ العِبَاد ﴿ حَلِيمٌ ﴾حيْنَ لمْ يَعْجَل بالعُقوبة على مَنْ مَنَّ بِصَدَقَتِهِ وقال رسول الله ﷺ : سَبَقَ درهمانِ مائتي أَلْفٍ، قالوا يا رسولَ الله كيف ذلك؟ فقال : ﷺ رجلٌ لم يكنْ لهُ إلا درهمانِ أنفقهما في سبيل الله و آخر كان له مالٌ كثيرٌ فأنفقَ مائتي ألفٍ فسبقَ الدِّرهَمَانِ لِقِلَّتِهما عند الأجر. (٢)

(١) في الأصل : التّعبير. و هو تحريفٌ.

(٢)يظهر أنّ المصنف رواه بالمعنى من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه ففيه قالَ قال: رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : (سَبَقَ درهمٌ مائةَ ألف قالوا يا رسولَ الله وكيفَ ؟ قال: رجلٌ لهُ دِرهمانِ فأخذَ أحدَهما فتصدّق به ورجلٌ له مالٌ كثيرٌ فأخذَ من عُرْضِ مالِهِ مائةَ ألفٍ فتصدَّق بها)اهـ. واللفظ للنسائي .رواه النَّسائي: ٥/ ٦٢-٦٣ (٢٥٢٦ و ٢٥٢٧) و مسند أحمد: ٢/ ٣٧٩ وصحيح ابن خزيمة:٤/ ٩٩ وا بن حبان: ٨/ ١٣٥ و حسنه الشيخ الألباني في تعليقه على ابن خزيمة و كذلك الشيخ الشيخ الأرنؤوط في تعليقه على ابن حبان. و هو كذلك. و قد رواه ابن المبارك في الزهد:١/ ٢٣ من طريق شيخه داود بن قيس عن زيد بن أسلم قال قال: أبو هريرة موقوفاً. وكلهم ثقاتٌ و دواد بن قيس الدباغ ثقة، روى له مسلم والأربعة و علّق له البخاري و قد وثّقوه ولم يذكروا فيه جرحاً وروى عنه ابن المبارك و غيره وروى هو عن زيد بن أسلم (الجرح و التعديل: ٣/ ت: ١٩٢٤ وتهذيب الكمال: ٨/ ٤٣٩). و لكن ليس هذا بعلّة للرواية المرفوعة فلها طريق أخرى لا تمر بزيد بن أسلم.

قوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم﴾ [٢٦٤] يعني ثوابَ صدقاتكم وهو أنْ يَعْتَدَّ به على الفقير، ﴿وَٱلۡأَذَىٰ﴾ التعييرُ بالفقر.

﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كَإبطالِ المُنْفِقِ ماله رِئاءَ النَّاس، وقيل هو المنافق وقيل هو الكافر. فَضَرَبَ مثلاً لِمَنْ مَنَّ أو آذَى في صَدَقَتِهِ بالمُرائي في صَدَقَتِهِ ثمَّ ضَرَبَ لهذا الكافر مثلاً فقال ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ﴾ (١) وهو الحجر الأمْلَسُ الذي لا يُنْبِتُ، والواحد صَفْوانةٌ وقيل الصَّفوانُ واحدٌ وجمعٌ (٢) .

﴿ عَلَيۡهِ تُرَابٌ﴾ يُوهِمُ أنَّه ليس تحته حَجَرٌ ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ وهذا المطر الشَّديد ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلۡدًا﴾ أيْ ترك القَطرُ هذا الصَّفوانَ صَلْداً نقيّاً من التُّرابِ، والصَّلْدُ الأمْلَسُ الصُّلْبُ من الحجارة (٣) ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ﴾ أي هؤلاء الكُفَّار لا يحصُلون (٤) على ثواب شيءٍ مِمَّا أنفقوا ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ﴾ قيل لا يُثِيبُهُم وقيل لا يهديهم غداً إلى الجنَّةِ وقيل لا يجعل جزاءَ كفرهم أنْ يهديهم .

يُقالَ: وَبَلَتِ السَّماءَ و أَوْبَلَتْ مثل مَطَرَتْ وأَمْطَرَتْ (٥) .

---

(١) في الأصل (مثله).

(٢) الطبري: ٤/ ٦٦٠ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٦١ و النهاية و لسان العرب: (صفا).

(٣)الطبري: ٤/ ٦٦١ و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٩٥

(٤)في الأصل : {لا يخلُصُونَ } و إنما يمكن أن تصحّ هنا لو كان بعدها : { إلى ثواب }بدلا من قوله : على ثواب.

(٥) لم أجد : أَوْبَلَتْ. في شيء من المعاجمِ التي وقفت عليها و أكبرها لسانُ العرب و تاج العروس وتهذيب اللغة:١٥/٣٨٦-٣٩٠ وجمهرة اللغة لابن دريد: ١/ ٣٨٠ (وبل). ولكنْ قد ذَكَر هذا من يُوثق بنقله من أئمة العربية فذكره الأخفش في معاني القرآن : صـ ١٣٢ وابن النحاس قائلاً: (حكى أهلُ الُّلغة وَبَلتْ وأَوْبَلَتْ)اهـ. إعراب القرآن: ١/ ٣٣٦ و نقله عنه القرطبي: ٣/ ٣١٧ و

قوله ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ﴾ [الآية :٢٦٥] ثمَّ ضَرَبَ مثلاً لمنْ يُخْلِصُ في إنْفَاقِ مالِهِ يبتغي بِه وجهَ الله فقال ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ﴾ يَتَصَدَّقُون ﴿ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ طَلَباً لِرَضا الله﴿وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ قيل يقيناً وتصديقاً واحْتِسَاباً وتَحْقيقاً، وقيل يعلمون حينَ يُنفِقُونَ أنَّ ذلك مِمَّا يثيبُ الله عليه.

وقال بعضهم (١) : هو الذي يَتَثَبَّت في صَدَقَتِهِ فيضعُهَا في أهل الصَّلاحِ والعَفَافِ.

وقال ابن كيسان (٢) : توطِيناً لِأنفسهم على طاعة الله في نفقاتهم.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةِۭ﴾ أي بستانٍ وكلِّ نَبْتٍ حتى يُكَثِّرَ بعضُهُ بعضاً فهُوَ جَنَّةٌ .

﴿بِرَبۡوَةٍ﴾ فيه لغاتٌ رَبْوَةٌ وَرِبْوَةٌ ورُبْوَةٌ و رُباوةٌ و رَبَاوَةٌ و رِبَاوَة (٣) .

وقيل الرُّبْوَة النَّشَزُ من الأرض وهو ما ارتفع مِنْهَا، وقيل ما كان مُستَوِياً تجري فيه الأنْهار ، وقيل إنَّ النبَات إذا كان بموضع مُرتَفِعٍ ويَصِلُ إليه الماء فهو أكثر في الرَّيْعِ.

ذكره الإمام ابن القطّاع في كتاب الأفعال: ٣/ ٢٩١ فهذا مما يضافُ لما يستدرَك على بعض معاجمِ العربية.

(١)رواه الطبري:٤/ ٦٧٠ عن مجاهد و الحسن . ثم ضعّفه و استبعدهُ لأنه جل و علا لم يقل في الآية : تثبُّتاً و إنما قال : ﴿تَثۡبِيتٗا﴾ و ذلك مصدرٌ غيرُ مصدرِ تثبّتَ تثبُّتاً . و ما قاله إمام المفسرين الطبري وجيهٌ و قد وافقهُ على هذا الاعتراض أو تبعه ابن النحاس في معاني القرآن: ١/ ٢٩٢ ونقل قوله القرطبي: ٣/ ٣١٥

(٢) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٦٤

(٣) يعني بتثليث الرّاء في جميعها : القاموس المحيط و لسان العرب والبحر: ٢/ ٣٠٢ .ولكن في جواز ضمّ راء رباوة اختلافٌ يعلم مما في تاج العروس (ربا) . و لم يذكر الأخفش في راء رباوة غير الكسر و الفتح :معاني القرآن: صـ ١٣١

قرأ ابن عامر وعاصم (رَبْوَة) بفتح الرَّاء وقرأ الباقون (رُبْوَة) بالضَّم (١) .

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ مطرٌ شديدٌ ﴿فَـَٔاتَت﴾ أي أَعْطَت ﴿أُكُلَهَا﴾ وأُكُلَها بالتثقيل أي ثمَرها وهما لغتان. قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع (أُكْلها) و (أَكْلُه) بالتّخفيف (٢) في كلّ القرآن، وقرأ الباقون بالتثقيل (٣) .

﴿ضِعْفَيْنِ﴾ قيل في السَّنةِ الواحدة مَرَّتين وقيل تحملُ في سنة واحدة ما تحمِل غيرُها في سنتين ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾؛ وهو الرَّذَاذُ (٤) وقيل المطرُ المُتَتابع القطرِ الذي لا تَسِيلُ منه المَثاعِبُ (٥) .

وقيل إنَّه أَرْضَ مِصْرَ خاصَّةً (٦) إنْ لم يُصِبها فإنَّها تُثْمِر بالطَّل وإنْ أصابها الوابلُ أضعَفَتْ في الثّمر والمعنى: فإن لم يصبها وابل فالذي أَصَابُه الطَّلُّ يُثْمِرُ بالطَّلِّ كما يُثْمِرُ بالوَابِلِ.

---

(١) الروضة: ص٥٧٥ و الاتحاف: ١٦٣

(٢) يعين تسكين الكاف.

(٣) يعني بضمتين: الروضة: المبسوط: ١٥١ و الروضة: ٥٧٦ و النشر: ٢/ ٢٣٢

(٤) قال الأَصمعي: أَخفُّ المطر وأَضعفه الطّل ثم الرَّذاذُ (لسان العرب: رذذ). و الطّل أيضا هو الندى كما قال كثير من السلف: الطبري: ٤/ ٦٧٦ و ابن أبي حاتم: ٢/ ٢٥١

(٥) في الأصل:المتاعب. وهو تحريفٌ. و المثعب الجدول الصغير والثَّعْبُ مَسِيلُ الوادي و المَثْعَبُ، بالفتح، واحد مَثاعِبِ الحِياضِ . وانْثَعَبَ الماءُ: جَرى في المَثْعَبِ (القاموس و لسان العرب وتاج العروس: ثعب). و ينظر: معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٩٦ .

(٦) عن زيد بن أسلَم أنه قال في قول الله : ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ قال: تلك أرضُ مصرَ إنْ أصابها طلٌّ زَكَتْ وإن أصابها وابلٌ أَضعَفَتْ (رواه ابن أبي حاتم: ٢/ ٥٢١(٢٧٦٥) وعزاه في الدر له و لعبد بن حميد: ٢/ ٤٨). و ذكَره الثعلبي: ٢/ ٢٦٥

كذلك المؤمِنُ المُخلِصُ سواءً أكثر في الإنفاق أو قَلَّلَ صَدَقَتَه فإنَّه يُثَابُ عليه، كما أنَّ هذه الأرضَ سواءٌ أَصَابها الوابل أو الطَّلُّ فإنَّها تُثْمِرُ وتُؤتِي الأُكُلَ (١) .

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من الخيرات والطَّاعات ﴿بَصِيرٌ﴾.

قوله ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ﴾ [الآية: ٢٦٦] هذا مثل ضَرَبَهُ الله عَزَّ وجلَّ لهم لِلآخرةِ وأَعْلَمَهُمْ أنَّ حَاجَتَهم إلى الأعمال الصَّالحة كحاجةِ هذا الكبير الذي له﴿ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ فإنْ اِحْتَرقت جَنَّته وهو كبير وله ﴿ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ اِنْقَطَعَ به كذلِك مَن لم يكن لهُ في الآخرة عمل صالح يُوصِلُه إلى الجنَّةِ فَحَسْرَتُهُ في الآخرة كحسْرةِ هذا الكبير عن مجاهد (٢) .

وقيل ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ﴾ مَثَلٌ لمنْ أُعْطِيَ في الدُّنيا المَال والقُوَّةَ والشباب فلم يعمل حتى انزَوَت عنه، وقيل إنَّه مثَلٌ للمُنافِقِ حينَ أَبْطَلَ عمله بالرِّياء فلا يجدُ عند الله شيئاً كهذا الكبير عن السدي (٣) .

وقيل إنَّه مثلٌ لمن عمِل في اِبتِدَاءِ أَمرِهِ بطاعة الله ثمَّ عمل في العِصيَان والإسَاءَةِ في آخرِ عُمُره فكما أنَّ عاقبةَ هذه الجنَّة الهلاكُ فكذلك عاقبةُ أَمْرِه الخَسَار عن ابن عباس (٤) .

---

(١) الطبري: ٤/ ٦٧٦

(٢) ابن المبارك في الزهد: ١/ (١٥٦٧) والطبري: ٤/ ٦٨٢ و٦٨٥ و ابن أبي حاتم - مختصراً-: ٢/ ٥٢٢

(٣) الطبري: ٤/ ٦٨١- ٦٨٢ و ابن أبي حَاتم: ٢/ ٥٢٣ (٢٧٧٥).

(٤) البخاري في كتاب التفسير: باب قوله : ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب (إلى قوله) لعلكم تتفكرون ﴾ (ح٤٦٤ ٢) و ابن المبارك في الزهد: (١٥٦٨) و الطبري: ٤/ ٦٨٢ ، ٦٨٣،٦٨٤ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٥٢٢ (٢٧٧٣) و الحاكم: ٢/ ٢٨٣ مطولا في قصة سؤال عمر لأصحاب النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم و جواب ابن عباس رضي الله عنه .

وقيل كما إنَّ هذا الكبير إذا أَصَابَ جَنَّتَهُ هذه الآفةَ ويكون شيخاً ضَعِيفاً لا يجيء منه شيء وذُرِّيتُه ضُعَفاءُ لا يُمْكِنهم إعانته، كذلك الكافر إذا قدِم على الله لا يجدُ طريقاً إلى الرُّجوع فَيَعْمَل لنفسه ولا في أعماله ما يَنْفَعه وليس في ذُرِّيتِهِ من يُعِينُه.

وقيل كما أنَّ الذُرِّيَةَ الضِّعَاف كَلٌّ (١) عليه في حالِ ذهاب مالِهِ كذلك أعمال المنافق والكافر وبالٌ عليه عند قُدُومِهِ على ربّه.

وقيل شَبَّهَ الميِّتَ بالكبير كما أنَّ الكبير لا يجيء منهُ شيءٍ كذلك الميّت بعد ما قدِم على رَبِّه مُفلساً (٢) .والإعصار الرِّيح الشديدة قال الزّجاج (٣): هو الذي يَهُبّ من الأرض كالعَمُودِ إلى نحو السَّماء وهو الذي يُسَمِّيهِ النَّاسُ الزَّوْبَعَةَ وهي ريحٌ شديدةٌ ولا يقال لها إعصارٌ حتى تَهُبَّ بشدةٍ.

وقوله ﴿فِيهِ نَارٌ﴾ قيل السَّمُوم الحَارَّة التي تَقْتُلُ، وقيل إنَّه مثَلٌ لِلمانِّ بِصِدَقَتِهِ في بُطلانِ ثوابها فَيَبْقَى نادِماً كندِم الشّيخ ذي العيال والأطفال في احتياج ضَيعته المُعَدَّةِ ثمرُها لِوَلَدِهِ، وقيل كما أنَّ هذا الشيخ أحوجُ ما يكون إلى المال عند كِبَرِه وكثرةِ عياله ذهب مالُه ، كذلك هذا الكافر والمنافق والمُرائي أحوج ما كانوا إلى أعمالهم يوم القيامة حَبِطَت أعمالهم .

---

(١)الكَلُّ العيال والثقل . مختار الصحاح و غيره (كلل)

(٢) رجح الطبري: ٤/ ٦٨٩ قول السدّي أنه مثَلٌ للمُنافِقِ حينَ أَبْطَلَ عمله بالرِّياء.و ينظر: تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٦٦ و قال ابن عطية: (وأما بالمعنى في غيرِ هذا السِّياق فتُشبهُ حالُ كلِّ منافقٍ أو كافرٍ عمِل -وهو يحسَبُ أنه يحسِن صُنعا -فلما جاء إلى وقتِ الحاجة لم يجد شيئا...الخ)اهـ. المحرر: ١/ ٣٦٠ و القرطبي:٣/ ٣١٩

(٣) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٢٩٧ و ينظر: الطبري: ٤/ ٦٩٠ ولسان العرب و القاموس : (عصر) و القرطبي: ٣/ ٣١٩

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي هكذا البيان الذي يُبَيِّنُ لكم في الصَّدقات والجهادِ وقصة إبراهيم عليه السلام يُبَيِّنُ لكم الآيات التي تحتاجُونَ إليها ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فتستبصِرونَ.

قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [آية:٢٦٧] أي أنفقوا من جَيِّدِهِ.

وظاهر الآية يوجِبُ الزكاة في التِّجارة وفي جميع ما تُنْبِته الأرضُ (١)إلاَّ ما خَصَّهُ الدليل ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾ أي لا تقصِدُوا الخبيث، قيل الحرام وقيل الرَّدِيء يقال تَيَمَّمْتُه وتَأَمَّمْتُهُ و أَمَّمْتُهُ إذا قَصَدتَّهُ (٢) .وقوله ﴿مِنْهُ﴾ الهاءُ يعودُ إلى المالِ المُكْتَسَبِ. قرأ ابن كثير (ولا تَيمَّمُوا) مشدّدة التّاء وقرأ الباقون بالتَّخفِيف (٣) .

و﴿تُنفِقُونَ﴾ حال للفعل أي مُنْفِقِينَ له ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ فيه إضمارٌ ومعناه ولو كان الحقُّ لكم على آخرَ فدفع إليكم مثل هذا الخبيث فإنكم لستم بآخذيه ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ أي تَتَرَخَّصُونَ فيه وتَتَجَوَّزون وتَتَساهَلُونَ ولا تَسْتَقْصُونَ فيه بعد

---

(١) أحكام القرآن للجصاص: ٢/ ١٤٧ و لابن العربي: ١/ ٣١٢ و لإلكيا الهراسي: ١/ ٢٢٦ و الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي: ١/ ٤٤٣ و ينظر: تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٦٧ و القرطبي: ٣/ ٣٢٠

(٢) غريب الحديث لابن سلام: ٢/ ١٢٥ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٦٨ و لسان العرب و النهاية : (أمّ).

(٣) قرأ البزّي عن ابن كثير وصلا بتشديد التاء مع المد لالتقاء السّاكنين، وضبط هذا يعرف أكثر بالتلقّي. التيسير: ٨٣ و إبراز المعاني: ١/ ٣٦٨ و اتحاف فضلاء البشر: ٢١٠ والبدور الزاهرة: صـ ٥٣ وينظر: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٣٦

علمِكم بِرَدَاءتِهِ؛ يقول إذا لم تَأْخُذوا أنتم الخبيث في حَقِّكم فلا ترضَوْا إلّا ما تَرْضَونَ لِأنفسكم (١) .

أو قيل أنتم لا تأخذون الرَّدِيء إلاَّ بعد الإغماضِ فيه فأنا أيضاً لا أقبل الرَّديء ولا آخُذُهُ إلاَّ بأن أَتَغَمَّده بِرَحْمَتِي.

وقيل نزلت الآية في رجلٍ، وذلك أنَّ الرسول ﷺ لَمَّا حَثَّهم على الصَّدَقةِ جاء شيخٌ بِحَشَفٍ من تمر فَوَضَعَهُ في المسجد فأمرَ به رسول الله ﷺ حتّى عُلِّقَ فجعل كلُّ من يَنْظُر إليه يقول بئسَ ما فعلَ هذا الرَّجل و نزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ (٢) .

وقال بعضهم: يقولُ لو كان لكم حَقٌّ عندَ آخرَ ما كنتم ترْضَونَ عنه بدون حَقِّكم إلاَّ على إغماضٍ وتجويزٍ كذلك الزَّكاة حَقٌّ لله عليكم فلا تبخَسوا حَقَّه ولا تَنْقُصُوا.

و﴿ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن صَدَقَاتكم وقيل عنكُم، وقيل عن أموالكم الخَبيثه ﴿حَمِيد﴾ في أوصافِهِ ويقال: غَنِيَ فلانٌ يَغنَى غِنىً مقصور، إذا استَغْنَى وقد غَنِيَ القوم إذا نَزَلوا في مكانٍ يُقِيمُهم، والمكان الذي يَنزِلُون فيه مَغْنىً، وقيل غَنَّى فلانٌ إذا بالغ في النَّظر في

---

(١) الطبري: ٤/ ٧٠٩ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٦٩ و الوسيط: ١/ ٣٨١ و الماوردي: ١/ ٣٤٣ وزاد المسير: ١/ ٣٢٢ و القرطبي: ٣/ ٣٤٠ و التفسير الكبير: ٧/ ٥٦

(٢)أخرجه الطبري عن ابن جريج عن عطاء : ٤/ ٧٠٢ و ذكره مقاتل بن سليمان: ١/ ١٤٥ بمعناه وروى الثعلبي: ورقة: ١٥٩ عن محمد بن مروان السدي الصغير الكلبيّ عن باذانَ عن ابنِ عبّاس نحوَه و سقط من المطبوع سنده : ٢/ ٢٦٨ طبعة دار إحياء التراث العربي .و للأسف فقد رأيتهم أسقطوا أسانيد كثيرة ؟! و ذكره في العجاب: صـ٤٤٨ ونقل سنده من الثعلبي و ينظر: الأسباب الأُخرى التي قيلت في نزولِ الآية في الطبري: ٤/ ٦٩٩ – ٧٠٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٦٨ و الماوردي: ١/ ٣٤٣ و القرطبي: ٣/ ٣٤٠ و ابن كثير: ١/ ٣٢١ و العجاب: ٤٤٤- ٤٤٩ والدر:١/ ٣٤٦

الإنشاد حتى يستغني الشعر عَنْ أن يُزَادَ في نَغْمَتِهِ (١) .والغَـوانِي النِّـساءُ سُـمِّينَ غَـوَانِي لِأنَّهنَّ غَنِينَ بجمالِهِنَّ وقيل بِأَزْوَاجِهِنَّ قاله الزجاج (٢) .

قولـه ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ [الآيـة: ٢٦٨] الفَقْـرُ والفُقْـرُ لغتـان كالـضَّعْفِ والضُّعْفِ (٣) ومعناه: يَحْمِلُكم أنْ تُؤَدُّوا الرَّدِيء في الزَّكاة يُخَوِّفكم الفقرَ بإعطاء الجَيِّـدِ و قوله ﴿يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ أي بالفقرِ فَحُذِفَ الباء وأفضى الفعلُ فَنَصَبَ كما قَال الشّاعِر (٤):

أَمَرْتُكَ الخيرَ فَافْعَلْ ما أُمِرْتَ بِه

﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ وهو منعُ الزَّكاة. وزعمَ مُقاتِـلٌ (٥) : أنَّ كـلَّ فحـشاءٍ في القرآن فهو بمعنى الزِّنا إلاَّ هذا فإنَّه منعُ الزَّكاة. والفحْشاء مـصدرٌ مـن الفُحْـشِ ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ أي يُجازِيكم على صدقتكم بالمغفرة ﴿وَفَضۡلاً﴾ أي ويعِدكُم أنْ يُخْلِفَ عليكم

---

(١) في الأصل: نعمته. وهو تحريفٌ.

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٩٨ وكلّ ما ذكره المصنف في معنـى : (غنـي) منقـول عنـه كـما صرّح وينظر: الغريبين للهروي: ٤/ ١٣٩١(غنا) ومختار الصحاح: (غني) و لسان العرب: غنا.

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧٠ ومختار الصَّحاح و القاموس و لسان العرب: (فقر).

(٤) شَطْرُ بيت من شواهد النّحو المشهورة : و بعده :فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذا مالٍ وَذا نَشَبِ.

و النشَب مِن أسماء المالِ عندهم. و البيت مختلَفٌ في نسبتِهِ اختلافا كثيراً وهو في: الكتاب: ١/ ١٧ ومعاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٩٩ و شَرحُ شواهدِ الكِتاب لابن النَّحاس: صـ ٤٦ وإعـراب القـرآن لابـن النحاس: ١/ ٣٣٧ ومعاني القرآن لـه:١/ ٢٧٠ و غريـب الحـديث للخطّـابي: ١/ ٢٤٣ و تفـسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧٠ و خزانة الأدب: ١/ ٦٦٤

(٥) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧٠ و في تفسير مقاتل: ١/ ١٤٥ قال :(الفحشاءُ المعاصي يعني بالإمساك عـن الصدقة)اهـ .

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ غنيٌّ يُعْطِي عن سَعَةٍ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِمنْ يُحِبُّ أنْ يُثَاب عليه (١) وبمن يَتَصَدَّق .

وقيل وعدُ الله بالمغفرة والفضلِ ما بَلَّغَهُ الرَّسول ﷺ وَدَلَّ عليه الكِتاب، ووعَدُه من التحقيق لِكلامِهِ. وقيل هو الإلهام بإعطاء الصَّدَقَةِ ووعد الشَّيطان هو الوَسواسُ الذي يمنعُ عن إعطاء الصَّدَقة.

قوله ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[آية :٢٦٩] من يؤتَ جزمٌ بالشرط، والحكمة منصوبةٌ لأنها خبرُ ما لم يُسَمَّ فاعِله و ﴿مَن﴾ في موضع الرَّفع لأنَّه مفعول ما لم يُسَمَّ فاعله.

واختلفوا في الحِكمة فقيل النُّبُوّة عن السدي (٢) ، وقيل العلمُ بأحكام القرآن والإجابة فيه والفهم لِمعانِيه عن ابن عباس (٣) وقتادة (٤) وأبي العالية (٥) ومجاهد (٦) وعن مُجَاهِد أنَّها الإصابة في القولِ والفعل (٧) .

---

(١) كذا كتبت هذه الجملة في المخطوط واضحةً؟. و فيها قلق واضطرابٌ. و معنى الآية بيّن. ينظر مثلا : تفسير الطبري: ٥/ ٨ و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٩٩ و فيه: يعلم حيث يضع ذلك ، و يعلمُ الغيب و الشّهادة.

(٢) تفسير الطبري: ٥/ ١٢ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٥٣٢ (٢٨٢٨).

(٣) تفسير الطبري: ٥/ ٩ و ابن أبي حاتم٢/ ٥٣١ (٢٨٢٢) و ابن النحاس في ناسخه: صـ ٥٠ و الدر: ١/ ٣٤٨

(٤)تفسير عبد الرزاق: ١/ ١٠٩ والطبري: ٥/ ٩ و الدر: ١/ ٣٤٨ وزاد عزوه لعبد بن حميد.

(٥) تفسير الطبري: ٥/ ٩ و الدر: ١/ ٣٤٨ وعزاه للطبري.

(٦) ابن أبي شيبة: ٤/ ٥٤١و تفسير الطبري: ٥/ ٩ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٥٣١ (٢٨٢٣) وأبونعيم في الحلية: ٣/ ٢٩٢

(٧) سنن الدارمي: ٢/ ٥٢٨ و تفسير الطبري: ٥/ ١٠ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٥٣٢ (٢٨٢٥). وفي لفظٍ عنه عند الدرامي و الطبري: الكتابُ يُؤتي إصابتَهُ مَن يشاء.

وقال ابن وهب (١) : هي العلم بالدِّين. وقال الربيع (٢) :هي الخَشية.

وأصل الحكمة هو من حَكَمة اللِّجامِ (٣) يقال أَحْكَمْتُ فلاناً أي مَنَعْتُهُ من الفسادَ.

والحكمة العِصْمَة التي بها يَمْتَنِعُ العبد عن المعاصي، وقيل هو العِلم بِوَسْوَسةِ الشَّيطان في عِدَةِ الفقرِ والأمرِ بالفحشاءِ.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ أي ما يُفَكِّرُ في هذا الكتاب فيتذكّر ويَسْتَبصِرُ به إلا أولوا الباب ذوي العُقول. وواحد الألباب لبٌّ . قال الزجاج (٤) :يقال لَبِبْتَ (٥) تَلَبُّ لَبَابَةً ولُبًّاً، وقرأت على محمد بن يزيد عن يونس لَبُبْتَ (٦)، وليس في المضاعف حَرْفٌ على فَعُلتُ إلاَّ هذا ولم يَعْرِفْهُ غير يونس.

قوله ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ الآية [٢٧٠] قيل تَصَدَّقْتُم يريد الزَّكاةِ المفروضة ﴿أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ﴾ تَطَوَّعْتُم به في النُّذُور ، وقيل هذا شرطٌ وجوابُه في قوله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾ وقيل ﴿أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ﴾ فوَفَيتُم به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ﴾ لا يخفى عليه فيُجازيكم به ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾ جمعُ نَصِير مثل خَبِيثٍ وأَخْبَاثٍ وشريف وأشرافٍ.

---

(١) رواه ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد: تفسير الطبري: ٥/ ١٠ و الماوردي: ١/ ٣٤٤ وينظر: تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧١

(٢) تفسير الطبري: ٥/ ١١ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٥٣١(٢٨٢٤) و الماوردي: ١/ ٣٤٤

(٣)الحَكَمَةُ: حديدة في اللِّجام تكون على أَنف الفرس وحَنَكِهِ تمنعه عن مخالفة راكبه، ويقال حَكَمَةُ اللجام: ما أَحاط بحَنَكَي الدابة: (ينظر مثلاً:لسان العرب: ١٢/ ١٤٤ حكم).

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٢٩٩ و ينظر: لسان العرب : لبب و تاج العروس: لبب: صـ٩٣٢ والصحاح : لبب.

(٥) في الأصل: لَبَّبْتَ. و هو خطأ.

(٦) بعده في الزجاج: .. لبابةً على وزن: فعُلت بضمّ العين.

قولـه ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[الآيـة: ٢٧١] تُبْـدُوا تُظْهِـرُوا يقـال أبـديتُ الـشيء أَظْهَرْتُه. وتُبْدُوا جزم بـ(إنْ).

وقوله ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أي فَنِعْمَ الشيءُ هي. قُرأ (نِعِمَّا) بكسر النُّون والعين و(نَعِمَّا) بفتح النُّون وكسر العين و(نِعْما) بسكون العين، قرأ نافع وأبو عمرو بسكون العـين، وقـرأ ابـن كثير وعاصم وَوَرْش بكسر النُّون وقرأ الباقون بفتح النون وكسر العينِ (١) .

(١)(نِعِمَّا) بكسر النُّون والعين قراءة: ابن كثير وحفص عن عاصم وَوَرْش عن نافع، و(نَعِمَّا) بفتح النُّـون وكسر العين قراءة ابن عامر و حمزة و الكسائي و(نِعْما) بكسر النون وسكون العين قراءة أبي جعفـر و اختلف عن قالون و أبي عمرو و شعبة فروي عـنهم وجهـان الأول: كـأبي جعفـر بكـسر النـون وسكون العين ، و الثاني: كسر النون و اختلاس كسرة العين: البدور الزاهرة: الروضة : صــ ٥٧٦ و النشر : ٢/ ٢٣٥ و البدور الزاهرة: صـ ٥٣. و ينظر: معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٣٠١ و إعراب القرآن لابن النحاس:١/ ٣٣٨ والحجة للفارسي: ١/ ٤٧٩ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧٣ و الكشف لمكي: ١/ ٣١٦ و فيه : (ورُوي الإسكان للعين ، و ليس بشيء ولا قرأتُ بـه ، لأنّ فيـه جمعـاً بـين ساكنين، ليس الأول حرفَ مدٍّ و لينٍ وذلك غير جائز عند أحد من النحويين)اهـ.و رواية المغاربـة الاختلاس كذلك رووها قاطبةً وروى المشرقيُّون الإسكانَ عنهُم قال ابن الجَزريّ : (ولا يبالون في الجمع بين الساكنين لصحته روايـة وروده لغـةً)اهــ. النـشر: ٢/ ٢٣٦ و عـلى كـلٍّ فهـي لغـاتٌ صحيحة كما قال الثعلبي فلا إنكارَ، وأمّا عند النحاة فالأقيس اختلاس كسرة العين كما تقدّم بل هو الصحيح عندهم : البحر: ٢/ ٣٢٤ . و بعد أن ذكر أبو حيان إنكار الزجاج و الفـارسي و غـيرهم الإسكان كما ذكرته عن مكي قال :(و إنكار هؤلاء فيه نظرٌ لأنّ أئمة القراءة لم يقرؤا إلا بنقلٍ عـن رسول الله ﷺ)اهـ.. وإسكان العين إنّما احتُمل لأنه عارضٌ ضروري كما في قولهم: دابّـةٌ. التيـسير

﴿وَإِن تُخۡفُوهَا﴾ تَسْتُروها جَزْمٌ بأنْ ﴿وَتُؤۡتُوهَا﴾ تُعطُوها ﴿ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ قيل كان في أوَّل الإسلام إخفاء الصَّدقة المفروضة (١) أفضل من إبدائها فأمَّا الآن فإبداءُ الصَّدَقة المفروضة (٢) أفضلُ من إخفائِها كالصَّلاة المفروضة في الجماعة أفضل من قَضَائِها في غير جماعة .

وقيل ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ﴾ وإنْ تخفوا النَّافلة ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ وقيل هو مُبقىً على ظاهِرِهِ فَصَدَقَةُ السِّرِّ تَفْضُلُ علانيتها سبعينَ ضِعْفاً سواءً كان فرضاً أو نفلاً (٣) . وقيل الآية في النَّفل (٤) .

وقيل ﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ ليس على المبالَغَة وإنما هو على {الخير }(١) ، وقيل إنَّ آية

لنجم الدين النسفي الحنفي: مخطوط ورقة: ١٩٩ .

(١) في الأصل: المفرضة. و تكرّرت قريباً.

(٢)في الأصل: المفرضة.

(٣)روى الطبري وغيره نحو ذلكَ عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، تفسير الطبري: ٥/ ١٥ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٥٣٦ (٢٨٤٧) و الدّر: ١/ ٣٥٣ و ينظر: تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧٣ و الوسيط: ١/ ٣٨٥

(٤) تفسير الطبري: ٥/ ١٥ و ١٦ واختارَهُ الطّبري وقال ما معناه: هيَ على العموم في كلّ صدقةٍ إلا الزكاة الواجبة فحكمها إعلانها كسائر الفرائض . وقال الواحدي: ((وجمهور المفسرين على أنّ المراد بـ ((الصدقات)) في هذه الآية : التطوّع لا الفرض لأنّ الفرض إظهاره أفضل من كتمانه، و التطوع كتمانه أفضل))اهـ. الوسيط:١/ ٣٨٥ وكذلك عزاه القرطبي للجمهور: ٣/ ٣٣٢ . وبيَّن الثَّعلبي ٢/ ٢٧٣ وجهَ كونَ الأفضلِ في الزّكاة إعلانها فذكر وجهين: الأول : ليقتدى به . والثاني لإزالة التهمة: لئلا يُساءُ به الظنّ وقال ابن الجوزي:((واتفق العلماء على أنّ إخفاء الصدقة النافلة أفضل من إظهارها))اهـ.زاد المسير: ١/ ٣٢٥ و ينظر: معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٣٠١ و أحكام القرآن للجصاص: ٢/ ١٧٧ والسمعاني: ١/ ٢٧٥ و التفسير الكبير للرازي: ٧/ ٦٤ و فيه تفصيلٌ طويل في وجوه تفضيل صدقة السرّ .

الصَّدقة التي أُنْزِلَتْ في براءة نَسَخَت آيَةَ الصَّدقة كلَّها (٢) .

وقوله ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ قرأ ابن عباس (٣) (وتُكَفِّر) بالتَّاء يريد الصَّدقة تُكَفِّرُ عنكم سيئاتكم، وقُرِأ (و يُكَفِّرُ) بالياء رَفْعاً يُرَدّ إلى الله أي والله يُكَفِّر عنكم سيئاتِكم ، وقُرأ (نُكَفِّرْ) بالنُّون جزماً واختاره أبو عبيد (٤) قال:

هو أَحَبُّ إليَّ بالنَّسَقِ على الجزاءِ ليكونَ تكفيرُ الذُّنوب داخلاً في ثواب الصَّدَقَة (٥) . وقرأ عِكرمة (وتكَفَّرَ) بالنَّصب (٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم بالنُّون رفعاً

وقرأ ابنُ عامر وحفصٌ (يُكفر) بالياء (١) وقرأ الباقون بالنُّون جزماً (٢) .

---

(١) كذا في الأصل ؟و المعنى على هذا القول أنّ قوله: ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ليس على التفضيل ولكنه خبرٌ و المراد أنه في نفسه خير من الخيرات. ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٧/ ٦٦. ويحتمل أنّ المقصود (و إنما هو على الخبر) بالباء الموحدة. يعني لا تفضيل فيه.

(٢)الناسخ و المنسوخ لابن النحاس: صـ ٥٠٧ بسنده عن عكرمة. و روى ابن المنذر عن ابن عباس: في قوله: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾قالَ: (هذا منسوخٌ نسخَ كلَّ صدقة في القرآن الآية التي في التوبة)اهـ. الدر المنثور: ٢/ ٧٨ . وهذا مذهبٌ مرجوحٌ إذ لا يلزم القول بالنسخ هنا كما في آيات كثيرة و ذلك بيّنٌ في هذه الآية.

(٣) بالتاء و كسر الفاء و جزم الراء ،كذلك ضبطها ابن النّحاس و ابن عطية و القرطبي و غيرهم .و هي قراءةٌ شاذّة ذكرها الطبري: ٥/ ١٧ و ابن النحاس في إعراب القرآن: ١/ ٣٣٩ و القرطبي: ٣/ ٣٢٥ والبحر: ٢/ ٣٢٥ ويروى عن ابن عباس أيضا بالياء و الرفع: تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧٣

(٤) في الأصل أبو عبيدة و لم أعثر عليه في مجاز القرآن لأبي عبيدة، و عندي أنه تصحيفٌ و أنّ المراد الإمام أبا عبيد القاسم بن سلاّم : (٢٢٤هـ.). فإنهم ينقلون من كتابٍ له في القراءات لم يصلنا وفيه اختيارات له في القراءات. ينظر مثلا: ما نقله السخاوي منه في الوسيلة كشف العقيلة: ١/ ٨٢ و معرفة القراء: ١/ ٣٦٠

(٥)سيعزو المصنّف القراءات حالاً. و قراءة ((نكفرْ)) بالنون و الجزم. اختارها أيضا الطبري: ٥/ ١٧ و ينظر المصادر الآتية.

(٦)إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٣٩

فمنْ قرأ بالتَّاء جعلَهُ خبراً عن الصّدقة ومن قرأ بالنون والياء جعله خبراً عن الله ومن رَفَعَ جعله ابتداءً (٣) ، ومن جَزَمَ جعله عطفاً على ما قبله (٤) و { من } (٥) نَصَبَ (٦) صرفَهُ عن أوَّل الكلام لأنَّه لم يَعْطِفْهُ {على }(٧) أوَّل الكلام ولا على الفاء تقول: إنْ تَأتيني فَأُكْرِمَك وأَهْلَكَ بالنَّصبِ والرفع في وأَهلُكَ (٨) .

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾من الطَّاعات ﴿خَبِيرٞ﴾عليم.

---

(١) مع رفع الراء و ليس في السبعة من قرأ بالياء مع النّصب. ينظر: السبعة: ١٩١ و الروضة: ٥٧٧ و النشر: ٢/ ٢٣٦

(٢) هي قراءة نافع و حمزة والكسائي و أبي جعفر وخلف في اختياره و الأعمش : السبعة: ١٩١ و تفسير الطبري: ٥/ ١٧ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٣٩ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧٣ والروضة: صـ٥٧٧ و غاية الاختصار: ٢/ ٤٣٨ والنشر: ٢/ ٢٣٦

(٣) أي تكون مستأنفةً و قيل التقدير: نحن نكفر أو وهو يكفّر. ينظر : الدر المصون: ١/ ٦٥٠ والمصادر الآتية.

(٤) وجه الجزم أن يكون عطفاً على قوله : (فهو خير لكم) فإنّها في موضع جزمٌ لكونها جواب الشرط. ينظر : المصادر الآتية.

(٥) سقطت من الأصل.

(٦) قراءة النصب شاذة. و يضعفونها من جهة النحو أيضاً. قال الزجاج: النصب ضعيفٌ جداً: ١/ ٣٠٣ وقال ابن النحاس : ضعيفٌ. ووجهوها أنها على إضمار ((أنْ)).: إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٣٩ و البحر: ٢/ ٣٢٥ و ينظر المصادر الآتية.

(٧) في الأصل: عن.

(٨)ينظر في توجيه القراءات: تفسير الطبري: ٥/ ١٧ ومعاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٣٠٢ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٣٩ و معاني القراءات للأزهري: صـ ٨٩ و الحجة للفارسي: ١/ ٤٨١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧٣ والكشف: ٢/ ٣١٧ و كشف المشكلات للباقولي : ١/ ١٩٣ و الكشاف: ١/ ٣٤٣ و القرطبي: ٣/ ٣٢٥ والبحر: ٢/ ٣٢٥ .

قوله ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [الآية: ٢٧٢] أي ليس عليك إرشادهم لأنَّه ليس في وُسْعك ذلك بل عليك أنْ تَدْعُوَهم والتوفيق بيدِ الله، وهذا كما قال ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦] قال ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ يرشِدُه ويخلُق هِدايته (١) . ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ قوله ﴿تُنفِقُواْ﴾ جَزْمٌ على الشَّرْط والجزاء (٢) . ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ جَحدٌ (٣) فلذلك رَفَعَهُ ونَصَبَ ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ﴾ بإسقاط حرفِ الصِّلةِ أي : وما تنفقون إلاَّ لابتغاءِ وجهِ الله ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ شَرطٌ فلذلك جَزَمَهُ ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثوابه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ لا يُصِيبكم ضَرَرٌ ونُقْصَانُ ثوابٍ.

قال الزجاج (٤) ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ خاصٌّ للمؤمنين أعلَمهم أنَّه علِم أنَّهم يُريدون بنفَقَتِهم ما عند الله وإذا أعلمهم ذلك فقد عَلِمُوا أنَّهم مُثابون عليه.

---

(١)قال الطبري: ((ليس عليكَ يا محمدُ هدى المشركين إلى الإسلام فتمنعَهم صدقةَ التطوُّع، ولا تعطيهم منه، ليدخلوا في الإسلام حاجةً منهم إليها، ولكنَّ الله هو يَهْدي من يشاء من خلقه إلى الإسلام، فيوفِّقهم لهُ فلا تمنعْهم الصّدقة ثم روى قولَ ابن عبّاس من طرقٍ : ((كانوا لا يرضَخُون لأنسبائهم من المشركين فنزَلت فرخِّص لهم)) وقول ابن عباس رضي الله عنه، رواه أيضا البزار- كشف الأستار٢١٩٣ – و الحاكم: ٤/ ١٥٦ وجاء معناه عن جماعة من السلف من أئمة التفسير. ينظر: الطبري: ٥/ ٢٠ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٥٣٧ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧٤ وتفسير ابن كثير: ١/ ٣٢٤ و الدّر: ١/ ٣٥٧

(٢) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧٥

(٣) أي نفي فلا تعمل فيما بعدها هنا.

(٤) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٣٠٢

وقال بعضُهم :قوله:﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ قيلَ اعتمرَ رسول الله ﷺ عُمرةَ القَضَاء وكانت معه في تلك العُمرة أسماءُ بنت أبي بكر فجاءتها أمُّها وجَدَّتُها يسألونَها فقالت: لا أُعطيكم شيئاً حتى أَستأَمِرَ رسولَ الله ﷺ فإنَّكم لستُم على دِيني فأنزلَ الله تعالى ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ الثوابُ. فأمرها رسول الله ﷺ أن تتَصَدَّقَ عليهم (١) .

وقال الكلبي (٢) : إنَّ ناساً كانت لهم أَصْهارٌ في اليهود ورَضَاعٌ وقد كانوا يُنفقونهم (٣) قبل الإسلام فلمَّا أَسْلَمُوا كَرِهُوا أنْ ينفقوهم فاستأمَرُوا رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية في ذلك فكانوا يَتَصَدَّقون عليهم بعد ذلك .ثمَّ دَلَّهمُ الله على ما هو خيرٌ لهم فقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ﴾[الآية :٢٧٣] قيل همْ أصحاب الصُّفَّة، وفيه قولان (٤) :

أحدُهما : أنْ يكون الخبرُ محذوفاً يقول :للفقراء الذين أُحصِروا في سبيل الله حَقٌّ واجبٌ.

والثاني: أنْ يُنْوَى واوُ النَّسَق وإنْ لم تكن ثابِتَةً في الخطِّ وتقديره :وإنْ تُخفوها وتؤتوها الفقراء فهوَ خيرٌ لكم و﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

---

(١)هذا قول الكلبي: تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧٤ و الواحدي في أسباب النزول: صـ ٢٠٧ و في الوسيط: ١/ ٣٨٧ و ذكر نحوه مقاتل بن سليمان: ١/ ١٤٦ لكنه جعلها في نزول قوله : ﴿ ليس عليك هداهم ﴾ وهي آية واحدة.

(٢) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧٤ و أسباب النزول للواحدي: ٢٠٧

(٣)كذا ؟ في الموضعين و هو موافق للمطبوع من الثعلبي: ٢/ ٢٧٤ و أمّا أسباب النزول للواحدي ففيها ينفعونهم بدل ينفقونهم. و ينفقوهم موجود أيضا في الكشاف في حكاية هذا السبب: ١/ ٥٠٢ و في حاشيته : لعله على تضمين الفعل معنى الإعطاء أو لعله محرفٌ عن ينفعوهم.

(٤) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧٥ و مشكل إعراب القرآن لمكي ١/ ١٤٢ و جعلها متعلقة بمحذوف تقديره: أعطوا و كشف المشكلات: ١/ ١٩٣ والتفسير الكبير للرازي: ٧/ ٦٩ و القرطبي : ٣/ ٣٣٩ و التبيان للعكبري: ١/ ٢٢٢ والبحر: ٢/ ٣٢٨

قيل أَحْصَرَهم الضَّعفُ والفقرِ في مسجدِ رسول الله ﷺ ولم يكن لهم منازِلُ، وكانوا قريباً من أربع مائة رجلٍ يَتعَلَّمُون القرآن باللَّيل ويَرضخونَ (١) النَّوَى بالنَّهار ويجاهدون في سبيل الله كُلَّما بَعَثَ رسول الله ﷺ سَرِيّة وجَّهَهُم مَعَهُم (٢) .

﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ﴾ بأمرِهم ﴿أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾.يُقال عَفَّ عن الشّيء إذا كَفَّ عنه وتَعَفَّفَ إذا تَكَلَّفَ المُؤنة في الإمساكِ (٣) .

وقال الزجاج (٤) : قالوا في ﴿أُحۡصِرُواْ﴾ قولين أحدهما: أَحْصَرَهم فرضُ الجِهَادِ فمنعهم من التَّصَرُّفِ ، وقالوا : أحْصَرَهم عَدوُّهم لأنَّه شَغَلَهُم بجهادِهم (٥) .

﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي قد أَلزمُوا أنفسهم أمرَ الجهادِ فَمَنَعهم ذلك من التَّصرف ليس أنَّهم لا يقدِرُون على أنْ يَتَصَرَّفوا.

ويقال ضَربْتُ في الأرض ضَرْباً ومَضْرِباً أي سِرْتُ فيها، وضَرَبَ الجُرْحُ إذا آلَمَ ضَرَباناً وضَرَبَ الفَحْلُ النَّاقَةَ إذا حملَ عليها ضِرَاباً . والضَريبُ الجليدُ الذي يَسْقُطُ على الأرض يقال ضُرِبَتِ الأرض وجُلِدَتْ (٦) .

وقوله: ﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا﴾ قيل إلحاحاً في المسألة وهو مَأخُوذٌ من لَحْفِ الجَبَلِ وهي خُشُونَتُهُ كأنَّه اِستعْمَلَ الخشونة في الطَّلَب (١) .

---

(١)رَضَخَ النّوى والحصى والعظم وغيرها من اليابس يَرْضَخُه رَضْخاً: كسره . ينظر: لسان العرب.-رضخ-.

(٢)تفسير مقاتل: ١/ ١٤٧ و الثّعلبي: ٢/ ٢٧٥ و البغوي: ١/ ٣٣٧ و الكشاف: ١/ ٥٠٢ وينظر: الطبري: ٥/ ٢٣

(٣) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧٧ و تاج العروس: - عفف-

(٤) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٣٠٣

(٥) في كتاب الزجاج: ((بجهاده)). و هي أوضح.

(٦) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٣٠٣ و مفرادت الراغب ولسان العرب و تاج العروس ((ضرب)).

قال الزجاج (٢) : بلغنا عن النَّبـي ﷺ أنَّـه قـال(٣) ((مـن سَـأَلَ ولـه أربعـون درهمـاً فَقَـدْ أَلْحَفَ)). ومعنى أَلْحَفَ شَمِلَ بِالمسألَةِ وهو مُسْتَغْنٍ عنها. واللِّحَـاف منـهُ لأَنَّـه يـشتمِل عـلى الإنسانِ في التَّغْطِية . وقيل إذا كان لهم غَدَاءٌ لا يَسْأَلُون العَشاء وإذا كان لهم عَشاءٌ لا يسألون الغَدَاء.
وفي الآية جواز السُّؤال إذا لم يَكُنْ إلحافاً.

وقيل معناه أنَّهم لا يسألونَ البتة لا ما فيه إلحافٌ ولا غيرُهُ، ومعنى الآية على هذا أيْ لا يكـونُ مـنهم سؤال فَيَقَعُ إلحافاً أو يكونَ منهم إلحافٌ قاله الزجاج (٤) .

---

(١) نقله المصنف -فيما يظهر- من تفسير الثّعلبـي: ٢/ ٢٧٨ فهـو فيـه بنصّه .و في القـاموس و لـسان العرب وغيرهما : اللِّحْفُ بالكسرِ : أَصْلُ الجَبَلِ. ((لحف)).

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٣٠٤

(٣)أخرج أحمد: ٣/ ٧ وأبو داود : ١/ ٥١٢ ((١٦٢٨)) في كتاب الزكاة: باب من يُعطى من الصدقة وحدُّ الغَنيّ والنسائي: ٥/ ١٠٣ ((ح ٢٥٩٤))كتاب الزكاة ، باب((٨٩)) من الملحِف و في الكبرى: ٢/ ٥٢ والدارقطني: ٢/ ٢١٨ والطبراني عن أبي سعيد الخدري " أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : مَن استغْنى أغناهُ الله ومَن استعفَّ أعفَّهُ الله ومن استكْفَى كفاهُ الله ومن سأل وله قيمةُ أُوقيَّةٍ فقدْ أَلحَفَ)) قال الراوي: وكانت الأوقيَّة على عهدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعينَ دِرْهماً. و حسّنه الشيخ الألباني في صحيح أبي داوود. و من شواهده : حديث أبي ذرّ في المعجم الكبير للطبراني: ٢/ ١٥٠ وحلية الأولياء: ١/ ١٦٠ ومجمع الزوائد: ٩/ ٥٥١ .وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من سأل وله أربعون درهما فهو الملحِفُ)). رواه النسائي / ١٠٣ ((ح ٢٥٩٣))كتاب الزكاة ، باب((٨٩)) من الملحِف. وينظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٤٣٢ وفتح الباري: ٣/ ٣٤١

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٣٠٤ و هو قـول الفـراء: ١/ ١٣٧ و الطـبري: ٥/ ٣٠ و الجـصاص: أحكـام القرآن للجصاص: ٢/ ١٨١ و غيرهم: قال الثّعلبي: ٢/ ٢٧٧ : قـال أهـل المعـاني: ((لا يـسألونَ النّـاس إلحافا و لا غير إلحافٍ لأنه قال من التعفُّف ، و التعفُّف ترك السؤالِ أصلاً ...))اهـ. و الكشاف: ١/ ٥٠٤ و المحرر: ١/ ٣٦٩ و القرطبي: ٣/ ٣٤٢ و عزاه ابن عطيـة و القرطبـي لجمهـور المفـسرين. وينظـر: زاد المسير: ١/ ٣٢٩ و التفسير الكبير:٧/ ٧١- ٧٢ والبرهان:٣/ ٣٩٧

وقوله:﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمۡ﴾ قيل هو التخَشُّع عن مجاهد (١) . وقيل رثاثة الثيابِ عن ابـن زيـد (٢)، وقيل بالفِراسة لشهادةِ القَلْب (٣) . والسِّيما العَلامَة يُقال سِمَةٌ و سِـيمَة وسـيما وسِـيمَيَاء (٤) وقيل ﴿ بِسِيمَـٰهُمۡ ﴾ بالنُّحول والسَكينَة والسَّمْتِ الحَسَنِ (٥) .

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ يجازيكم عليه.

قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة (يَحْسَبُ) بالفتح في كلِّ القرآن وقرأ الباقون بالكسرِ (٦) .

قال أبو مُعاذ النحويُ في ﴿يَحۡسَبُهُمُ﴾ لُغَتانِ(٧): النَّصب والخفـض (يحسِبهم ويحسَبُهم)، قال فإنْ قيل كيف يجوز حَسِبَ يَحسِبُ قال: يحتمل أنْ يكون فيه لُغتانِ حَسِبَ يحسَب مثل عَلِم

(١)تفسير عبد الرزاق: ١/ ١٠٩ وتفسير الطبري: ٥/ ٢٨ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٥٤١ (٢٨٧٢)

(٢) تفسير الطبري: ٥/ ٢٩ و الدر: ١/ ٣٥٨

(٣) قولٌ غريبٌ و قد طالعت تفاسير جماعة كثيرين فلم أجـد هـذا القـول ولم يـذكره الطـبري و لا الثعلبـي ولا الماوردي و لا الواحدي في بسيطه: ٢/ ١٠٠٩ولا البغوي ولا ابن الجوزي و لا ابن عطية و لا الكرماني في غرائب التفسير و لا القرطبي و لا الرازي في تفاسيرهم . و ينظر: لطائف الإشارات للمصنف: ١/ ١٩٥ .

(٤) أدب الكاتب لابن قتيبة: صـ٤٦٣ و القاموس و شرحه تاج العروس: (سوم) ومختار الصحاح: ((سوم)). وفي القاموس أيضا: سُومةٌ بالضمّ.

(٥) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧٧ و ينظر: الطبري: ٥/ ٢٩ و فيه: (وأولى الأقوالِ في ذلك بالصواب أنْ يقال : إنّ الله عزَّ وجل أخبر نبيه ﷺ أنه يعرفهم بعلاماتهم وآثار الحاجة فيهم ... وقد يجوز أنْ تكون تلـك الـسِّيما كانت تخشُّعا منهم وأن تكونَ كانت أثر الحاجة والضرّ وأنْ تكون كانت رثَاثَةَ الثيـاب، وأن تكـون كانـت جميعَ ذلك)اهـ. باختصار

(٦) المبسوط: ١٥٤، والروضة: ٢/ ٥٧٧ و النشر:٢/ ٢٣٦

(٧) كلام أبي معاذ النحوي لم أقف عليه . و هما لغتان مشهورتان و يحسَب بفـتح الـسين أقـيس عنـدهم واختارها الفراء و أبو عبيد و أبو حـاتم و الفـارسي و غـيرهم و يحسِب بالكـسر صـحيحة أيـضا مسموعة و هي قبل ذلك قراءة سبعية مشهورةٌ . قـال ابـن القطـاع: الأفعـال: ١/ ١٢ ((وجـاءت أفعالٌ بالفتح والكسرِ وهي حَسِب يحسَب ويحسِب وبِئِس ويبئِس يبأَس ونِعم يـنَعَم ويـنعِم ويـئِس

يعلَم وحَسَب يَحسِب مثل ضرَب يضرِب، فيأخذ بعضُهم حسِب من لغةِ من قال يحسَب بالفتح ويأخذ يحسِب بالكسرِ من لغة مَن { قال } (١) حَسَبَ بالفتح فيجتمِع في لغتِهِ حسِب يحسِب بالكسر منها ومثلهُ كثيرٌ .

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم﴾ الآية [٢٧٤] ﴿يُنفِقُونَ﴾ رفعٌ بالإبتداءِ وإنما حسُن دخولُ الفاءِ في قوله: ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ لأنَّ في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ معنى الشَّرط كأنَّه قال: مَنْ يُنفِق مالَه فله أجْره ونَظِيرُه قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [محمد:٣٤] ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد:٤].

قيل نزلتْ الآيةُ في عَلَفِ الدَّواب للمجاهِدِينَ عن ابن عباس (٢) وأبي أُمَامَةَ (٣) وأبي ذَرّ (٤) ، وأكثرُهم على أنّها نَزَلتْ في عليّ بنِ أبي طالب (١) كان له أربعةُ دراهمَ لا غيرُ فَأنْفَق درهماً بالَّليل ودرهماً بالنَّهار ودرهماً في السِّر ودِرهماً في العلانية فنزَلتْ فيه الآية.

ييأَس وييئِسَ))اهـ.ينظر: تهذيب اللغة: حسب: ٤/ ٣٣١ والأصول في النحو: ٣/ ٨٧ و الحجة لأبي علي الفارسي: ١/ ٤٨٢ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٧٦ ولسان العرب و تاج العروس : ٢/ ٢٦٧: ((حسب)).

(١) سقطت من الأصل.

(٢) تفسير الطبري: ٥/ ٣٤ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٥٤٣ (٢٨٨١) و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٨٠ و أسباب النزول للواحدي: ٢٠٩

(٣)تفسير الطبري: ٥/ ٣٤ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٨٠و أسباب النزول للواحدي: ٢١٠ و تاريخ ابن عساكر: ٤٠/ ٤٥

(٤) تفسير الطبري: ٥/ ٣٤

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [آية:٢٧٥] في الدُّنيا ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ في القيامَةِ ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ وذلك أنَّ جميع النَّاس يُسرِعون في القيامة يومَ القيامةِ كما قيلَ ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج:٤٣] إلاَّ أَكَلَةُ الرِّبا اِستحلالا فإنَّهم يقومُون ويسقُطُون وذلك علامة لهم في الموقِفِ بها يُعْرَفُون (٢) .

ومعنى ﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾ يعني يضربه ويَصْدَعُهُ من الجُنُون. والخَبْطُ الضَّرب من حيث لا يُعلَم. والمَسُّ الجُنون ورجلٌ ممسوسٌ أي مجنونٌ (٣) .

والرِّبا الزيادة يقال أَرْبَى الشيءُ إذا زَادَ وانتفخ، وأربى عليه في الحساب إذا زَادَ (٤) .

وفيه لغة أُخرى ((الرَّماء))(٥) بالميم ومنه حديث عمر ((لا تَبِيعُوا الذَّهبَ إلاَّ مثلا بمثل إلى أنْ قال: فإنِّي أخاف عليكم الرَّمَاء)) (١) يعني الرِّبا.

---

(١) تفسير عبد الرزاق: ١/ ١٠٨ و تفسير الطبري: ٥/ ٣٣ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٥٤٣ (٢٨٨٣) و الطبراني في الكبير: (١١١٦٤) و الواحدي في أسباب النزول: صـ ٢١٠ و الوسيط: ١/ ٣٩٢. وهو من طريق عبد الوهّاب بن مجاهد بن جبر عن أبيه عن ابن عباس . و عبد الوهّاب روى له ابن ماجة و هو متروكٌ و قيل لم يسمع من أبيه – تهذيب الكمال: ١٨/ ٥١٦ .وروى الطبري:٥/ ٣٤ عن ابن جُريج أنها نزلت في رجلٍ فذكر مثل ذلك ، لكنه لم يسمّه.

(٢) تفسير الطبري: ٥/ ٣٨ – ٤١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٨٢

(٣)تفسير الطبري: ٥/ ٣٨ – ٤١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٨٢

(٤) تفسير الطبري: ٥/ ٣٧ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٨٠ و لسان العرب: (ربا) و النهاية: ربا و مختار الصحاح : (ربو) و تهذيب الأسماء و اللغات للنووي: ٣/ ١١١ ((ربو)).

(٥)نصُّوا على أنه بالمدّ على وزن السماء و على وزن هاء: غريب الحديث لأبي عبيد: ٣/ ٣٧٥ و غريب الحديث للحربي: ١/ ٧١ و غريب الحديث لابن الجوزي: ١/ ٤١٧ و لسان العرب:١٤/ ٣٣٥ (رمى) والقاموس و شرحه تاج العروس:(رمى) و المغرب: ٢/ ٣٧٦

يقال أَرْبَى على الشّيء وأَرمَى عليهِ إذا زادَ ذلك أي ذلك العذاب.

﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ كانوا (٢) يَزيدُونَ في الأجل عند مَحِلِّه يزيدُ المدْيون في المال ويقولونَ هذا مثلُ البيع لأنَّ الزيادة في أوّل البيع كالزِّيادة عند محَلّ المالِ (٣)، فَرَدَّ الله عليهم، وقال ليس كذلك بل ﴿أَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ﴾ وجازَ تذكيرُهُ لأنَّه بِمعنى الوَعْظِ (٤) ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾أي أَتَاهُ النَّهيُ من الله ﴿فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ ما فاتَ ﴿وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فيما يأمُرُهُ وَيَنْهَاهُ ويُحِلّ له ويحرِّم عليه، وليس إليه من أَمرِه شيءٌ ﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ إلى الرِّبا بعد النَّهي ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لِأَنَّه يعود إليه إِستحلالاً ؛و استحلالُ ما حَرَّمَهُ الله كُفْرٌ (٥) .

---

(١) حديث عمر الموقوف عليه رواه مالك في الموطأ : ٢/ ٦٣٣ ،٦٣٤ قال :((لا تَبايَعُوا الذّهب بالذّهب ولا الوَرِق بالوَرِق إلا مثلاً بمثلٍ سواءً بسواءٍ ولا تُشِفُّوا بعضَه على بعضٍ إني أخافُ عليكم الرَّماء قال قلتُ لنافع وما الرَّماء قال الرِّبا))اهـ. و اللفظ للبيهقي: ٥/ ١٧٩و رواه أيضا أحمد: ٣/ ٤ و غريب الحديث للحربي: ١/ ٦٧ وشرح معاني الآثار: ٤/ ٧٠ و ينظر في طرق الحديث و اختلاف رواته : الفصل للوصل المدرج في النقل للخطيب: ١/ ١٨٤- ١٩٤ ففيه ما تقرّ به العينُ من جمع طرقه؛ ومجمع الزوائد: ٤/ ٢٠٤ .

(٢)قال ابن عطيّة : ((معناه عند جميع المتأوِّلين في الكفار وأنه قولٌ تكذيبٌ للشريعة وردٌّ عليها)اهـ. المحرر: ١/ ٣٧٢ و ينظر: الطبري: ٥/ ٤٣

(٣) يعني عند حلول الأجل.

(٤) الزجاج: ١/ ٣٠٥ و الثعلبي: ٢/ ٢٨٣

(٥)الزجاج: ١/ ٣٠٥ وينظر: تفسير الطبري: ٥/ ٤٤

قوله: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [٢٧٦] يُهلِكُهُ ويُذهِبَ بَرَكَتَهُ حتَّى يَضْمَحِلَّ الرِّبا ﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يَقْبَلُها (١) قبولا ويُضَاعِفُها ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحريم الرِّبا ﴿أَثِيمٍ﴾ بِأكْلِهِ.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [آية:٢٧٧] الطَّاعات فيما بينهم وبينَ ربِّهم ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في مواقيتِها وأَعْطَوا زكاةَ أموالهم ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ جزاؤهم ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ ﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ فيما استَقْبَلُوا ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ على ما خلَّفُوا.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية :٢٧٨] .

﴿ءَامَنُوا﴾ أي صَدَّقُوا ، خَافُوا اللهَ واعمَلوا بِطاعَتِهِ واتركوا طَلَبَ ما بقي لَكم (٢) من فضلٍ على رؤوس أموالكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ أي ينبغي لِلمؤمِنِ أنْ يَتْرُك ذلك ويُصَدِّق اللهَ فيما أَخْبَرَ أنَّ الرِّبا حَرَامٌ.

نزلت الآية في العبّاس بن عبد المطلب وخالد بن الوليد وعثمان بن عفَّان وكانوا قَدْ أَسْلَفُوا فَأُمِرُوا بِرَفْضِهَا عن السدي (٣) .

---

(١)في الأصل: يقبله.

(٢)في الأصل : ((لهم)). خطأ. و العبارة عند الطبري: ٥/ ٤٩

(٣) الطبري: ٥/ ٤٩- ٥٠ و ابن أبي حاتم: ٢/ ٥٤٨ (٢٩١٣). ولفظ المصنف أقرب لما في الثعلبي: ٢/ ٢٨٤ و الواحدي: في أسباب النزول: صـ ٢١٢ والبغوي: ١/ ٢٦٤ وزاد المسير: ١/ ٣٣٢ ولفظ الطبري و ابن أبي حاتم: ((نزلت في العباس بن عبد المطلب ورجل من بني المغيرة))اهـ. ومعلومٌ أنّ خالد بن الوليد من بني المغيرة و ليس في جميع الكتب السابقة ذكر عثمان رضي الله عنه في خبر السّدي هذا ، و هو مذكور مع العباس في خبر عن عطاء و عكرمة عند الثعلبي والواحدي في سبب نزول الآية.

وقيل نزلت في بني ثَقِيف قومٍ منهم كانوا يُدَايِنُون بني المُغِيرة فَلَمَّا ظَهر النَّبي ﷺ على الطائِف اِشْتَرَطت ثقيفٌ أنَّ كلَّ رِباً لهم على النَّاس فهو لهم وكلّ رِباً للنَّاسِ عليهم فهو مَوضُوعٌ عنهم فطلبوا رِباهم إلى بني المغيرة فاختَصَمُوا إلى عَتَّاب بن أَسِيدٍ وكان النَّبي ﷺ اِسْتَعْمَلَهُ على مكة فقال بنو المغيرة ((ما جَعَلنَا أَشْقَى النَّاس بالرِّبا وقد وَضَعَهُ الله عن النَّاس)) فكتب عَتَّاب بذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية عن ابن جريج عن عكرمة (١) .

وقوله: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آية:٢٧٩] قُرِئ (فَأذنوا) وقُرِئ (فَآذِنُوا) قرأ أبوبكر عن عاصم وحمزة (فَآذِنوا) بالمدّ وكسر الذالِ وقرأ الباقون (فَأْذَنُوا) ساكنة الألف مفتوحة الذّال. (٢) (آذِنُوا) اعلموا (٣) يقال آذَنتهُ أَعْلَمْتهُ بمعنى أَوْقَعته في أُذُنِهِ، و أَذِن يَأذَنُ أي عَلِمَ اِسْتَمع بِأُذْنِهِ فَعَلِمَ .

وحربُ الله: النار وحربُ رسوله : السَّيفُ أي فَأَخبِرُوهم بالنَّار في الآخرة ،والسَّيف في الدُّنيا (٤) . وقيل ﴿فَأۡذَنُواْ﴾ فاعلموا أنَّهم حَرْبٌ لله وحَرْب لرسوله.

---

(١) أوله عن ابن جريج نفسه و آخره عن ابن جريج عن عكرمة: الطبري: ٥/ ٥٠ و الوسيط للواحدي: ١/ ٣٩٧ و الدر: ١/ ٣٦٦ و نسبه للطبري.و ذكره مفصّلا بأطول مما هنا مقاتل بن سليمان في تفسيره: ١ / ١٤٩ – ١٥٠ و روى ابن أبي حاتم عن بكير عن مقاتل – وهو ابن حيّان– نحوه. ٢/ ٥٤٨ (٢٩١٥). و قال الثعلبي قال : مقاتلان: الح فساقه بطوله.٢/ ٢٨٤

(٢)السبعة: ١٩٢ والمبسوط : ١٥٤ والروضة: ٢/ ٥٧٨ و النشر: ٢/ ٢٣٦

(٣) قراءة ﴿آذنوا﴾بالمدّ على وزن آمِنوا يعني أعلموا كلّ من لم يترك الربا . و أمّا ﴿ فأذنوا﴾ فمعناه اعلموا و استيقنوا : مجاز القرآن: ١/ ٨٣ و الطبري: ٥/ ٥١ و معاني القرآن للزجاج: ١/ ٣٠٥ و الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢/ ٤ –٥ و اللسان والثعلبي: ٢/ ٢٨٥ و الوسيط: ١/ ٣٩٧ والبحر: ٢/ ٣٣٨ و لسان العرب و التاج: (أذن).

(٤) تفسير الثعلبي: ٢/ ٢٨٥ و البغوي: ١/ ٢٦٥

﴿وَإِن تُبۡتُمۡ﴾ عن الرِّبا ﴿فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ﴾ النَّاس فتأخذون أكثر من رأس المال ﴿وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ فتُنقَصُونَ من رؤوسِ أموالكم ثـمَّ قـال ﴿وَإِن كَانَ﴾ [آيـة:٢٨٠] أي المـدْيُون ﴿ذُو عُسۡرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٍ﴾ الآية.قوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٍ﴾ معناه وإنْ وقع ذو عُسرة وفي قراءة أُبي ابن كعب (١) ﴿وإن كان ذا عُسرة﴾ على إضْمار الاسمِ (٢) .

﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٍ﴾ الفاء فيه لجواب الشرط. وقيل إنَّه أَمـرٌ في صِيغةِ الخـبرِ وقيـل معناه فعليه نظرة أي على صاحب الحقّ. وقيل فلهُ نظِرةٌ أي للمـديون. وقيـل ﴿فَنَظِرَة﴾ أي فللـذي يُعَامِـل بـه نظِـرة أي إنْظَـارٌ إلى ميـسرة أي فعليـه تـأخيره إلى وقـت اليَـسَارِ والسَّعَةِ (٣) .

نزلت في ثقيف (٤) لَّما تركوا الرِّبا ورَضُوا بِرَدِّ رؤوسِ أموالهم قال بنو المغيرة : نحن أهـل عُسرة فَأَخِّرونا إلى أنْ تدرك الثَّمرةُ، فَـأبوا أنْ يُـؤخِّرُوهم، فـأنزل الله ﴿وَإِن كَانَ ذُو

---

(١)الطبري: ٥/ ٥٦ ومختصر ابن خالويه: ١٧ و الثعلبي: ٢/ ٢٨٦ والقرطبي: ٣/ ٣٥٣ و البحـر: ٢/ ٣٤٠

(٢)إذا كانت (كان) تامّة بمعنى وقع وحـدَث فـلا تطلـب اسـماً و خـبراً . ينظـر: إعـراب القـرآن لابـن النحاس: ١/ ٣٤٢ و الثعلبي: ٢/ ٢٨٦ والوسيط: ١/ ٣٩٩ و القرطبي: ٣/ ٣٥٣ و إملاء ما منّ به الرحمن: ١/ ١١٧ و البحر: ٢/ ٣٤٠

(٣) الطبري: ٥/ ٥٧ و الثعلبـي: ٢/ ٢٨٦ والوسـيط: ١/ ٣٩٩ و القرطبـي: ٣/ ٣٥٣ و البحـر: ٢/ ٣٤٠

(٤)ينظر السبب المتقدّم و أسباب النزول للواحدي: صـ٢١٣ و زاد المسير ١/ ٣٣٤ . و ينظر: الطبري: ٥/ ٥٧ و ابن أبي حاتم: ٢/ ٥٥٢ ففيهما قول ابن عباس: نزلـت في الربـا و العجـاب: صـ ٤٦٤ .

عُسۡرَةٍ﴾ بِرَأسِ المالِ ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ من بني ثقيف لهم ﴿إِلَىٰ مَيۡسَرَةٍ﴾ إلى أنْ تدرِكَ الثمرة أو إلى أنْ يجدوا المال. ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ يعني ثقيفاً لا يأخذون رؤوس أموالهم فهو ﴿خَيۡرٌ لَّكُمۡ﴾ مِنْ أخذِه ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ تصدِّقون بثواب الله في الآخرة.

وقُرِأ (١) (فناظرة) مصدر على فاعِلةٍ وكالخاطِئة والعافية والعاقبة وهو بمعنى النَّظِرة. وقرأ –فَنَظْرَةٌ– ساكنة الظّاءِ وهو بمعنى الِانتظار أيضاً ، ولو قُرأ: (فنظرةً)بالنَّصب لكان جائزاً على معنى فَلْيُنظَر نَظِرة(٢) .

وقرأ ﴿مَيسَرة﴾ بفتح السين وهو الأَجْوَدُ و﴿ميسُرَة﴾ بضمّ السين والتنوين وهما لغتان مثل مَشْرَقَةٍ ومَشْرُقَةٍ. فأمَّا ((مَيسُرِهِ)) بضمٍّ السين (٣) والهاء فيه هاء الإضافة فَخَطَأٌ عند البصريين لأنَّ عندهم ليس في الكلام مفْعُلٌ بضمِّ العين.

قرأ نافع مَيْسُرةٍ وقرأ الباقون بفتح السِّين (٤) .

---

(١)تنسب إلى عطاء :إعراب القرآن: ١/ ٣٤٢ و معانيه لابن النحاس أيضا: ١/ ٣١١ و المحتسب : ١/ ١٤٣ و الثعلبي: ٢/ ٢٨٦ و المحرر: ١/ ٣٧٦ و القرطبي: ٣/ ٣٧٤ و البحر: ٢/ ٣٤٠وذكرها الزجاج بلا نسبةٍ : ١/ ٣٠٦

(٢)قراءة(فنظرةً) بالنصب قرأ بها أبو رجاء و الحسن بخلافٍ عنه و قتادة: المصادر السابقة .

(٣) في الأصل ((التنوين)) وهو تحريفٌ . فهي بضم السين و الهاء على جهة الإضافة إلى الهاء و ليست من الكلمة. و هي قراءة شاذّة تنسب إلى عطاء و قد ضعفها الزجاج: ١/ ٣٣٠٦ و ابن النحاس في إعراب القرآن : ١/ ٣٤٣ و ابن جني: ١/ ١٤٤ و قالوا ليس في الكلام مصدرٌ على ((مفعُلِ)) و إنما يوجد في المصادر: مفعُلةٌ مثل مكرمة و مقدُرةٌ. و ينظر أيضا: الثعلبي: ٢/ ٢٨٦ و المحرر: ١/ ٣٧٦ و القرطبي: ٣/ ٣٧٤ و البحر: ٢/ ٣٤٠

(٤)نافع وحده بضمّ السين :المبسوط : ١٥٤، و الحجة للفارسي ١/ ٤٨٩ والروضة: ٢/ ٥٧٨ والنشر: ٢/ ٢٣٦ و الإتحاف: ١٦٦

وقُرِأ (وأن تصَّدقوا) بتشديد الصّادِ على الإدغام، وقرأ و (وأن تَصَدَّقوا) بتخفيف الصَّاد عن عاصم وحده (١) أَرَادَ :(تَتَصَدَّقوا) بحذف التَّاء الأولى (٢) .

وعن عمر أَنَّه قال (٣) : ((كان آخر ما نزل من القرآن آية الرّبا و إنّ نبيَّ الله قُبِضَ قبل أنْ يفسِّرها فدعوا الرِّبا و الرِّيبة)).

و مثلُهُ عن ابن عباس (٤) :أنّه من أَواخرِ ما نزل من القرآن .

قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[الآية: ٢٨١] أراد واتَّقوا عذابَ يومٍ ترجعون فيه إلى الله. ﴿تَرْجَعُون﴾ أي تَصِيرُون و ﴿تُرْجَعُونَ﴾ تُرَدُّونَ.

قيل عَاشَ رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية تسعَ ليال عن ابن جُرَيج (٥) . وقيل إنَّها آخر آية نَزَلت من القرآن عن ابن عباس (٦) وعطيَّة (٧) والسدي (٨) .

---

(١)الروضة: ٢/ ٥٧٩ و النشر: ٢/ ٢٣٦ و الإتحاف: ١٦٦

(٢) البحر: ٢/ ٣٤١

(٣) رواه أحمد : ١/ ٣٦ و ابن ماجة : ((٢٢٧٦)) والطبري: ٥/ ٦٦ من طريق قتادة عن سعيد بن المسيب أن عمر الخ. و يشهد له خبر الشعبي عن عمر بنحوه : في مصنف ابن أبي شيبة : ((٢٢٠٠٩)) والدارمي: ١/ ٦٤ ((١٢٩)) و الطبري:٥/ ٦٧.

(٤) أبو عبيد في فضائل القرآن: صـ٣٦٩ و البخاري في صحيحه: ((٤٥٤٤)) باب ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِّ ﴾(البقرة: من الآية٢٨١) والطبري: ٥/ ٦٧ و البيهقي في الكبرى: ٥/ ٢٧٥ و الدلائل: ٧/ ١٣٨ جميعهم من طريق الشعبي عنه.

(٥) أبو عبيد في فضائل القرآن : صـ ٣٧٠ وتفسير الطبري: ٥/ ٦٨ ،و الثعلبي: ٢/ ٢٩٠ ، و الوسيط: ١/ ٤٠٠

(٦) أخرجه النسائي (١١٠٥٧، ١١٠٥٨ – كبرى) ، والطبري ٥/ ٦٧ ، ٦٨ والطبراني (١٢٠٤٠ ، ١٢٣٥٧) ،والبيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٣٧ من طرق عن ابن عباس.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٥٤١ ، ١٤/ ١٠٥) والطبري ٥/ ٦٨

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠/ ٥٤٠ ، ١٤/ ١٠٤) والطبري ٥/ ٦٨.

وقيل عاش بعدها أحداً وعشرين يوماً (١) . قال الكلبي (٢) : نزلت بمنى وبينها وبينَ مَوتِ رسول الله ﷺ أَحدٌ وثمانون يوماً.

﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ يعني ثواب عملها خيراً بخيرٍ شرّاً بِشَرٍ.

وقال عطاء (٣) : نزلت {قبل }وفاتِهِ بِثلاثِ ساعاتٍ.

قرأ أبو عمرو (تَرْجِعُون) بفتح التّاءِ وقرأ الباقون بضمِّها (٤) .

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ ﴾[الآية: ٢٨٢] يقال دَايَنْتُ الرَّجلَ إذا عاملتَه بدين أخذتَ منه أو أعطيتَه و تداينتُ تَفَاعَلتُ مِن دَايَنْته، والمعنى: إذا كان لبعضِكُم على بعضٍ دينٌ إلى أَجَل مسمَّى.

وذُكِرَ الدَّين في قوله ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ ﴾ تأكيداً لِأنَّ المُداينة تكونُ من المُجازاة أيضاً يقول العرب: تُدَاينُنَا تجازينا (٥) .

---

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٩٠ و التيسير في التفسير لابن المصنف أبي نصر : ورقة: (١٢٩ب) ، والبحر: ٢/ ٣٤١ و ينظر: فتح الباري: ٨/ ٧٤٣

(٢) البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٣٧ من طريق سفيان – الثوري- عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس و ينظر: الدر المنثور: ١/ ٣٧٠ ورواه الفراء: ١/ ١٣٧ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فقال : آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ؛ ونقله الثعلبي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: ٢/ ٢٨٩ .

(٣)القرطبي: ٣/ ٣٥٧ والبحر: ٢/ ٣٤١ و ينظر: فتح الباري: ٨/ ٧٤٣و الإتقان: ١/ ٧٧ .
وروى أبو عبيد في فضائل القرآن :صـ ٣٧٠ عن عطاء بن أبي رباح : أنها آخر آية أُنزِلت .

(٤) قرأ أبو عمرو البصري و يعقوب بفتح التاء و الباقون بضمها و فتح الجيم :المبسوط:ص١٥٥ والتذكرة لابن غلبون :٢/ ٣٤٣ والروضة:٢/ ٥٧٩ والبدور الزاهرة:صـ ١٤٥ .

(٥) تفسير الطبري: ٥/ ٧١ و معاني القرآن لابن النحاس: ١/ ٣١٤ والثعلبي: ٢/ ٢٩١ و المحرر: ١/ ٣٧٨ والتفسير الكبير للرازي: ٧/ ٩٣ وأبو حيان: ٢/ ٣٤٣ .وقيل أيضا هو بمعنى التأكيد حكاه الثعلبي و القرطبي: ٣/ ٣٧٧ و غيرهم و لم يضعِّفوه .و ضعَّفه الطبري وقال : لا معنى له في هذا

وقوله: ﴿ فَٱكۡتُبُوهُ﴾ قال بعضُهم كان الإشهادُ والكتابُ فَرْضاً فَنَسَخَهُ (١) قولـه ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ [الآية: ٢٨٣] وإنَّما أُمر بالكتاب والإشهاد لئلا يطمَعَ مَنْ عليه الدَّين بإذهابه وقيل هذا أمر إرشادٍ وإباحةٍ (٢) .

﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ هـذه لامُ الأمـرِ الغائـبِ؛ وكـان الحَسن يُحرِّكهـا إلى الكسر في جميع القـرآن (٣)وهـو الأصـل ، والقُـرَّاء عـلى تـسكينِها إذا اتّـصلَ بهـا الفـاء أو الـواو اِسْتِخفافاً ومعناه: ليكتب من البـائع والمـشتري ﴿كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ أي يَعـدِلُ بيـنهما في كتابه.

الموضع، و قيل ذكر ليعود الضمير على قوله: ﴿ فاكتبوه﴾ ذكره الزمخشري: ١/ ٣٥٢ و عنـه الرازي: ٧/ ٩٣ وأبوحيان: ٢/ ٣٤٣ و قيل ليشمل أيَّ دينٍ صغيرا كان أوكبـيراً : التفـسير الكبـير للرازي: ٧/ ٩٣ وأبوحيان: ٢/ ٣٤٣

(١) تفسير الطبري: ٥/ ٧٣ ٧٦ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٩١ و الناسخ و المنسوخ لابن النحاس: صـ٢٦٦ و أحكـام القـرآن للجـصاص: ٢/ ٢٠٥ وناسـخ القـرآن و منـسوخه لا بـن الجـوزي: صــ٩٥ والقرطبي: ٣/ ٤٠٣

(٢) اختار الفراء في معاني القرآن أنه أمر ندبٍ و تخيير و قـال هـو أدب و رحمـة : ١/ ١٣٨و حكـاه عنـه الثعلبي: ٢/ ٢٩١ و به قال أكثـر أهـل العلـم و اختـاره الجـصاص : ٢/ ٢٠٦ . وقـد خطّـأ ابـن النحاس الفراءَ فيما احتجّ به، فينظر في : إعراب القرآن: ١/ ٣٤٧ و ينظـر أقـوال أهـل العلـم في : الناسخ و المنسوخ لابن النحاس: صـ٢٦٦ و أحكام القرآن للجصاص: ٢/ ٢٠٥ وناسخ القـرآن و منسوخه لا بن الجوزي: صـ٩٥ و المحرر: ١/ ٣٧٩ والقرطبي: ٣/ ٤٠٣ .

و قال الطبري: بل هو واجبٌ و لا دليل على نسخه و إنما أذن الله تعالى في ترك الكتابة حيـث لا سـبيل إلى الكتاب و الكاتب: ٥/ ٧٩ و به قال الربيع و ابن جـريج: الطـبري: ٥/ ٧٣ و عـزاهُ المـاوردي إلى الربيع و كعب : تفسير الماوردي: ١/ ٣٥٥ و به يقول أهلُ الظاهر: البحر: ٢/ ٣٤٣

(٣)تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٩١ و البحر: ٢/ ٣٤٤

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ وذلك أنَّ الكُتَّابَ كانوا قليلاً على عهد رسول الله ﷺ (١) فأمرهم بالكتابة.

﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ الكتاب ﴿ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ يعني المطلوبَ ثمَّ خَوَّفَه وقال ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ يقول لا يَنقص منه شيئاً مِمَّا عليه من الحَقِّ (٢) ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾ جاهِلاً بالإملاء (٣) ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ عاجزاً لا يَعْقِلُ الإملاء أو كان مجنوناً ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ﴾ بِعيّ أو خَرَسٍ.

وقوله: ﴿أَن يُمِلَّ﴾ يعني يُملي يقال أَمَلَّ وأَمْلَى لغتان (٤) ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ قيل وليّه الذي يلي أَمْرَهُ. وقيل أراد وليَّ الحق أي صاحبَ الحقّ، والأوَّل أولى لأنَّ صاحِبَ الحقّ مُدَّعٍ وليس القولُ قولُهُ (٥) . ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾ أي لا يزيد ولا ينقص.

﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ السِّين سينُ طَلَبٍ واستِدعاء.

---

(١) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٩١

(٢) عبارة الثعلبي أوضح: ٢/ ٢٩٢ قال: ((لا ينقص من الحق الذي عليه شيئاً)). و في الزجاج: ١/ ٣٠٨: ((لا يَنقُص منه شيئاً))اهـ. و ينظر: الطبري: ٥/ ٨١ و المعنى واضحٌ.

(٣) تفسير الطبري: ٥/ ٨٢ و الثعلبي: ٢/ ٢٩٣

(٤) فيقال: أملّ إملالاً و أملى إملاء: معاني القرآن للفراء: ١/ ١٣٨ وإعراب القرآن لابن النحاس: ٣/ ١٥٢ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٩٢ و الوسيط: ١/ ٤٠٣ والقرطبي: ٣/ ٣٨٥ وفي لسان العرب ((ملا))و غيره: ((أَمْلَيْتُ الكتاب أُمْلي وأَمْلَلْتُه أُمِلُّه لغتان جَيِّدتان))

(٥) معاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٣٠٩ و ينظر: الطبري: ٥/ ٨٥ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٩٢ و تفسير الماوردي: ١/ ٣٥٦ و المحرر: ١/ ٣٨٠ و فيهما جميعا: ((وهو الصَّحيحُ وما روي عن ابن عباسٍ لا يصحُّ وكيف تشهَدُ البيِّنة على شيءٍ وتُدخِلُ مالاً في ذمّة السفيه بإملاء الذي له الدَّين! هذا شيء ليس في الشّريعة..))اهـ.والعبارة في القرطبي: ٣/ ٣٥٨ و البحر: ٢/ ٣٤٥

وقولـه ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ يـدُلُّ أنَّ شـهادة الكـافر لا تُقْبَـلُ وكـذلك الـصَّبي والمَمْلوك (١) .

﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾ فالـذي يَجِـبُ أنْ يَسْتَـشهِدوهم رجـلٌ وامرأتـان ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ دَلَّ أنَّ العَدالة من شرْط الشهادة لِأنَّ الرِّضى بها يَحْصُلُ لِأنَّ النَّفس إنَّما تسكُن إلى قول العدل.

﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ يعنـي أنْ تنـسى أَحـدُ المـرأتين ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ التي نَسِيت تذكِّرها الأُخرى. ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ يقول إذا دُعِيَ ليشهد على حَقِّ أخيه فلا يأب إذا كان فَارِغـاً. ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾ لا تَمَلُّـوا ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ يعنـي الـدَّين ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾ وإنْ شـئتَ نـصبتَ ﴿صَغِيرًا أَوْ

(١) الطبري: ٥/ ٨٦ و الثعلبي: ٢/ ٢٩٣ و الوسيط: ١/ ٤٠٤ . و في قبول شهادة العبد المسلم اختلاف مشهور فمنعها الجمهور و منهم ابن عباس و أبو حنيفة و الثوري و الأوزاعي و مالك و الـشافعي وأجازها أنس رضي الله عنه و شُرَيح القاضي وعثمان البتِّي وأحمد وإسحاق وأبو ثور و أهل الظاهر وقيل تُقبَلُ في الشّيء اليسيرِ، وهو قول الشَّعبي وشُريح والنّخَعي والحسن: ينظـر: مـسائل أحمـد و إسحاق لإسحاق بن منصور الكوسج: ٢/ ٣٨٨ و المدونة الكبرى: ٤/ ٨٠ وأدب القـاضي لابـن القـاص الطـبري(ت: ٣٣٥هــ) : ١/ ٣٠٦ وشرح ابـن بطـال: ٨/ ٦٣ والمحـلى: ٩/ ٤١٢ و القرطبي: ٣/ ٣٨٩- ٣٩٠ و الطرق الحكمية في السياسة الـشرعية لابـن القـيم: صــ٢٤٨ وفـتح الباري: ٥/ ٢٦٧ و الراجح قبولُ شهادتهم إذا كانوا عدولاً إذ لا دليل على عدم إجازتها مع كونهم داخلين في عموم قوله ﴿ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾ . فنقبل كلّ عدلٍ مسلم لأنا أُمرنا بقبـول شهادة العُدُول وهم منهم.

﴿كَبِيرًا﴾ على أنْ تجعله حالاً لِلـدَّين (١) . ﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ﴾ أنْ تكتبـوه إلى أَجَلِـه لأنَّ الكِتابَ أَحْصَرُ للأجل والمال(٢).

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يعني الكتاب ﴿أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يعني أَعْدلُ عند الله في حكمه ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ وأصوبَ للشهادة وهو أَفْعلُ من القويم وهو المستقيم.

﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ أي وأجدرُ أنْ لا تَشُكّوا في الحقِّ، والأجَل في الـشهادة إذا كـان الحقُّ مكتوباً، ثمَّ رَخَّصَ واستثنى فقـال ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾ بـالرَّفع والنَّصب، والرَّفـع عـلى أنْ يُجعَـل ﴿تَكُونَ﴾ بمعنـى الوقـوع أي إلاَّ أنْ تَقَـعَ تجـارة حَاضِرَةٌ (٣) ، أو يكون الخـبرُ في قولـه ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ ومعنـاه: إلاَّ أنْ تكـون تجارةً حاضِرةً دائِرةً بينكم، والنَّصب عـلى إضـمار اِسـمٍ أي إلاَّ أنْ يكـون المـالُ ﴿تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾ (٤) .

---

(١)انتصابه على الحال من ﴿ تكتبوه﴾ وهي عائدة على ﴿الدّين﴾ كما يشير المصنف. إعراب القـرآن: ١/ ٣٤٦ و الثعلبي: ٢/ ٢٩٥ والبحر: ٢/ ٣٥١ و قيل يجوز نصبه على إضمار (كان) ذَكَرَهُ الثعلبـي: ٢/ ٢٩٥ و حكاه أبو حيّان عن السجاوندي، وردّه بأنه ليس موضع إضمار لـ(كـان) ؛يعنـي لـيس من المواضع التي يجوز فيها إضمار كان.

(٢) يعني أوعب و أحفظ :يقال حَصَرَ الشيءَ يَحْصُرُه حَصْراً: استوعبه((لسان العرب: حصر)) ويمكـن أن يكون من الحَصْر الذي بمعنى المنع يعني أمنع للأجل و المال من التبديل و النسيان.

(٣) أي فتكون كان تامّة لا ناقصة.

(٤) معاني القرآن للفراء: ١/ ١٣٩ و الطبري: ٥/ ١٠٦- ١٠٩ و فيـه تفـصيلٌ حـسنٌ و معـاني القـرآن للزَّجّاج: ١/ ٣١١ و إعراب القرآن لابن النحـاس: ١/ ٣٤٦ و الثعلبـي: ٢/ ٢٩٦ والبحـر: ٢/ ٣٥٣

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ حَرَجٌ ﴿أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ يعني التِّجارة إذا لم يكن فيها أَجَلٌ ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ﴾ علـى حقّكـم ﴿إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾. ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾

قيل فيه قولان (١) : أحدهما:

ولا يُضَارِرْه كاتبٌ ولا شَهيد ثمَّ أدغم ومعناه: لا يكتب الكاتب إلاَّ الحقَّ ولا يشهد الشَاهد إلاَّ بالحقّ فيُدغَم إحدى الرَّائين في الأُخرى ويفتح الثانِية لِالتِقاء السَّاكنين.

---

(١)معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٣١١ . -و منه نَقَل المصنف-. و إيضاح ذلك أنه يجوز أن يكون التقدير: ((لا يضارَرْ)) بفتح الرّاء الأولى مبنيا للمفعول و القول الثاني : أن يكون ((لا يضارِرْ)) مبنيّا للفاعل و يكون الفعل للكاتب و الشهيد والقولان مشهوران عند المفسرين؛ و قد بين المصنف المعنى عليهما و تلخيصه: على ((لا يضارَرْ بفتح الراء الأولى مبنيا للمفعول)) أي لا يُدْعَى الكاتِبُ والشَّاهد وهما مشغولان كما قال المصنف فهو نهيٌ عن الإضرار بهما ، و على : ((لا يضارِرْ)) بالبناء للفاعل: فالنهي متوجِّه إلى الكاتب و الشاهد، المعنى: لا يكتب الكاتب إلاَّ الحقَّ ولا يشهد الشَاهد إلاَّ بالحقّ فلا يضارُّ الكاتبُ و الشاهدُ فيكتب الكاتب ما لم يملَ عليه أو يزيدَ أو ينقُص و لا يكتُم الشاهد الشهادة أو يُغيّرها، و هذا اختيار الزجاج، و أمّا الطبري فاختار القول الأول: -((لا يضارَرْ)) بفتح الراء الأولى مبنيا للمفعول -و المعنى عنده : ولا يضارُّهما من استكتَب هذا أو استشهد هذا بأنْ يأبى على هذا إلا أنْ يكتب له وهو مشغولٌ بأمر نفسه ويأبى على هذا إلا أن يجيب إلى الشهادة وهو غير فارغٍ قال : ((لأنَّ الخطاب من الله عز وجل في هذه الآية من مبتدَئِها إلى انقضائها على وجهِ افعلوا أو لا تفعَلوا. إنما هو خطابٌ لأهل الحقُوق، والمكتوبُ بينهم الكتابُ والمشهودُ لهم أو عليهم بالذي تداينوه بينهم من الديون...))الخ: ٥ / ١١٧. و ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ١٤١ واختار أن المعنى: لا يدعى الكاتب و هو مشغولٌ و تفسير الطبري: ٥/ ١١١ و إعراب القرآن : ١/ ٣٤٧ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٩٧ و الماوردي: ١/ ٣٥٨ و كشف المشكلات: ١/ ٢٠١ و المحرر: ١/ ٣٨٤ والكشاف: ١/ ٣٥٤ و القرطبي: ٣/ ٤٠٥ والبحر: ٢/ ٣٥٣ و سيذكر المصنف القراءات فيها فيما بعد.

والقول الثَّاني: لا يُضَارَّ كاتب أي لا يُدْعَى الكاتِبُ والشَّاهد وهما مشغولان يَلحَقُهما ضَررٌ بترك شغلهما، ومعناه: لا يُلحَقُ الضّرر بالكاتب والشهيدِ ﴿وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡ﴾ على التَّأويلين أي وإنْ كتب الكاتب غيرَ الحق أو شَهِدَ الشَّاهد إلاَّ بالحق ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ﴾ وعلى التَّأويل الثَّاني مُضَارَّة الكاتبِ والشَّاهد فِسْقٌ، ثمَّ خَوَّفهم فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

وقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ مَنْ كسَر ((أنْ)) (١) رَفَعَ قوله ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ لأنَّه يكون بمعنى الجزاء اِرتفعَ ما بعده ومعناه: إنْ تنسَ إحداهما تُذَكِّرها الأُخرى (٢) ومَنْ نَصَبَ ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ فمعناه اِستشهدوا اِمرأتين لأنْ تذكِّر أَحدُهما الأُخرى، ومن أَجْلِ أنْ تُذكِّرَ الأُخرى ﴿أَن تَضِلَّ﴾ أي أنْ تنسَى قالوا لَمَّا تَقَدَّم الجزاءُ اِتّصلَ بأوّلِ الكلام وفُتِحَتْ ﴿أَن﴾ وصار جوابه مَردوداً عليه (٣).

قال الفرَّاء (٤) : وكان حَقُّه أنْ يكون مكسوراً لكنَّه لَمَّا فَارَقَ مكانه فُتِح.

---

(١) قرأ حمزة و حده من العشرة ((إن)) بكسر الهمزة وبها قرأ الأعمش و الباقون : بفتح الهمزة، ورَفَعَا قوله: ﴿فَتذكّر﴾: السبعة: ١٩٣ و الروضة:٢/ ٥٧٩ و في الروضة ذكر قراءة الأعمش والنشر:٢/ ٢٣٦ و ينظر: المصادر الآتية.

(٢) و تكون ﴿تضل﴾ على قراءة الأعمش وحمزة في موضعِ جزمٍ لأنها فعل الشرط، و إنّما حركت اللام في (تضلَّ) بالفتحِ مع كونها مجزومة لالتقاء الساكنين كما هو معلوم ينظر مثلاً: الوسيط: ١/ ٤٠٤ .

(٣) ينظر:تفسير الطبري: ٥/ ٨٧- ٩٣ ومعاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٣٠٩ و إعراب القرآن : ١/ ٣٤٥ و معاني القراءات للأزهري: صـ ٩١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٩٤ و الماوردي: ١/ ٣٥٦ و كشف المشكلات: ١/ ١٩٩ و المحرر: ١/ ٣٨١ والكشاف: ١/ ٣٥٣ و القرطبي: ٣/ ٣٩٧ والبحر: ٢/ ٣٤٨-٣٥٠

(٤) معاني القرآن: ١/ ١٣٨ - ١٣٩ و المصنف نقله بالمعنى.

قال الزجاج (١) : ولست أَعْرِفُ لِمَ صَار الجزاء إذا تَقَدَّم وجبَ أَنْ يفتحَ (أَنْ) الجزاء.
وقرأ (فَتُذْكِر) بالتخفيف وقرأ (فتذكِّر) بالتشديد. (٢) قيل ذَكَّر وأَذْكَرَ بمعنى كقولهم كرَّم وأَكْرَمَ (٣) .

وبعضهم قال: ﴿ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ أي تصَيِّرُهُ في حكم الذَّكَر من حيثُ أنَّ شَهادة اِمرأتين بمنزله شهادة رجلٍ واحد، وهذا لا يَصِحُّ لأنَّ قوله: ﴿أَن تَضِلَّ ﴾ أراد تَنْسَى والذِّكر بعد النِّسيان (٤) لا يكون بمعنى ما قاله (١) .

---

(١) معاني القرآن للزّجاج: ١ / ٣٠٩ وبعده: (و ذكر سيبويه و الخليل و جميع النحويين الموثوق بعلمهم أنّ المعنى : استشهدوا امرأتين لأن تذكِّر إحداهما الأخرى ، و من أجل أنْ تذكّر إحداهما الأخرى الخ .. ثم قال فهذا هو البيّن إن شاء الله)اهـ . و معنى مذهب الفرّاء أنّ من قرأ ﴿ أن تضلّ ﴾ بفتحٍ فهو أيضا على سبيل الجزاء إلا أنه على نية أن يكون فيه تقديم و تأخير ، و التقدير عند الفراء: استشهدوا امرأتين مكان الرجل كيما تذكّر الذاكرة الناسية إنْ نسيتْ فلمّا تقدّم الجزاء اتصل بما قبله ففُتِحتْ ((أنْ)) وصار جوابُه مردوداً عليه. فأنكره الزجاج و قال :ما نقله المصنف و نقلتُ بعضه ثم تابعه ابن النحاس فقال: ((و هذا خطأ عند البصريين لأن ((إنْ)) المجازاة – أي الشرطية – لو فتحت انقلب المعنى)) اهـ. إعراب القرآن: ١/ ٣٤٥ و كذلك ردّه أبو علي الفارسي و طوّل الكلام عليها : الحجة: ١/ ٤٩٨ . و قد وافق الإمام الطبري: ٥/ ٨٨ الفرّاءَ .و ينظر أيضا: الكتاب: ١/ ٤٣٠ و المقتضَب: ٣/ ٢١٤ و معاني القراءات للأزهري: صـ ٩١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٩٤ والمفصل لابن يعيش: ٢/ ٩٩ و الكشف لمكي: ١/ ٣٢٠

(٢) سيعزوها المصنف قريباً .

(٣)تفسير الطبري: ٥/ ٨٨ و إعراب القرآن : ١/ ٣٤٥ و معاني القراءات للأزهري: صـ ٩١ و الحجة للفارسي: ١/ ٤٩٧ وتفسير السمرقندي: ١/ ٢١١ والثّعلبي: ٢/ ٢٩٤ و الكشف لمكي: ١/ ٣٢٠و الوسيط: ١/ ٤٠٤ و الماوردي: ١/ ٣٥٦ و المحرر: ١/ ٣٨٢ والكشاف: ١/ ٣٥٣ وزاد المسير ١/ ٣٣٨ والبحر: ٢/ ٣٤٩.

(٤) تكرّر في الأصل قوله: والذِّكر بعد النِّسيان.

وقرأ الحَسَنُ (٢) (ولا يُضارِّ كاتب) بكسر الرَّاء لَمَّا أُدغِم كُسِرَ لِالتقاء السَّاكنين.

وقرأ عُمر (٣) (ولا يُضَارِرْ كاتبٌ ولا شهيد) مجزوماً مكسورة الرَّاء مع التَّضْعيف على الأصلِ والكاتبُ والشهيدُ مرفوعانِ بِفِعلِهما.

---

(١) هذا القول ذكره الطبري عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال حدّثت عن سفيان بن عيينة ،قال: ليس من الذّكر بعد النّسيان ، إنما هو من الذّكَر – بفتح الكاف- يعني صارت شهادتها كشهادة ذَكَرٍ.٥/ ٨٩ والثعلبي: ٢/ ٢٩٥ و الماوردي: ١/ ٣٥٦ و السمعاني: ١/ ٢٨٥ وغيرهم ممن سيأتي، ورواه الخطابي في غريب الحديث: ٢/ ٩٨ بسنده عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء و لفظه: (مَنْ قَرأ (فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا) بالتّشديد فهو من طريقِ التذكِيرِ بعد النِّسيان، تقولُ لها تذكُرين يوم شهِدنا في موضعِ كذا الْأُخْرَى) وبحضرتِنا فلانٌ أو فلانةٌ حتى تَذْكُر الشّهادة،ومن قرأ (فتذْكِرَ) قال إذا شهدت المرأةُ ثم جاءت الأخرى فشهِدت معها أَذْكَرَتها لأنها يقومان مقامَ رجلٍ)اهـ. و كذلك رواه الجصاص عن الأصمعي عن أبي عمرو: ٢/ ٢٤٤ و من طريق الأصمعي رواه الواحدي: البسيط: ٢/ ١٠٤٧ و عزاه في المحرر: ١/ ٣٨٢ أيضا إلى أبي عمرو بن العلاء، قال ابن الجوزي: ((وحكى الأصمعي عن أبي عمرو نحوه واختاره القاضي أبو يعلى))اهـ. ١/ ٣٣٨. فهذا من جهة عزو القول؛ و أمّا من جهة صحته معنى فهو قول خطأ عند أكثر أهل التفسير فجزم الطبري بأنه خطأ لا معنى له لوجوه شتى ثمّ ذَكَر بعض الوجوه، و كذلك خطّأه فيه ابن النحاس في معاني القرآن: ١/ ٣١٨ و قال الثعلبي: ٢/ ٢٩٥ : هذا القول لا يعجبني لأنه معطوفٌ على النّسيان. و جعله الزمخشري : ١/ ٣٥٣ من بدع التفاسير و كذلك ضعفه ابن عطية و وافقهم أبو حيان: ٢/ ٣٤٩. و لا يبلغ الأمر أن يكون من بدع التفاسير ما دام قائله إماماً في العلم و عارفا بالعربية و لكنه قولٌ ضعيفٌ هنا.

(٢) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٩٧ و تروى أيضا عن الأعمش: إعراب القرآن : ١/ ٣٤٧ و عن عكرمة: البحر: ٢/ ٣٥٤ و ينظر: المحرر: ١/ ٣٨٥.

(٣)إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٤٨ و الثعلبي: ٢/ ٢٩٧ و المحرر: ١/ ٣٨٥ والبحر: ٢/ ٣٥٤ و حكي عن عمر أيضا أنها مفتوحة : تفسير عبد الرزاق: ١/ ١١١ و البيهقي: ١٠ / ١٦١ و الطبري: ٥/ ١١٤ و بين هذا الاختلاف ابن عطية : ١/ ٣٨٥ وهي مفكوكة الإدغام على الروايتين.

وقرأ ابن عباس (١) (ولا يُضَارَرْ) مجهولاً مجزوماً بفتح الرَّاءِ الأولى وبِرفع الكاتب والشهيد لِأَنَّه اِسمُ ما لم يُسمّ فاعلُه. قرأ حمزة وحده (إِن تضل) بكسرِ الألف (فتذكِّر) بالرَّفع وقرأ الباقون بالفتح (٢) .

وقرأ أبو عمرو وابن كثير (فَتُذْكِرَ) بالتخفيف وقرأ الباقون بالتَّشديد (٣) .

وقرأ عاصم وحده (تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً) بالنَّصب وقرأ الباقون بالرَّفْع (٤) .

قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [الآية :٢٨٣]أي في سفرٍ ﴿وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا﴾.

وقرأ ابن عباس (٥) (كتاباً) قال أرأيتَ إنْ وَجَدْتَ كاتِباً ولم تجد القِرطاس والدِّواة قال: وإذا قُلتَ كتاباً دَخَلَ فيه كُلُّ هذا.

وقال أبو معاذٍ (٦) : الكاتِب ههنا الكِتاب كقوله ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة:٨] يعني من بَقَاءٍ. وكما قال ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة:٢] أي كذِبٌ .

---

(١) التفسير الكبير للرازي: ٧/ ١٠٣ ونسب إليه ابن النحاس: ١/ ٣٤٨أنه قرأ: (لا يضارِرْ) بكسر الراء كالقراءة المروية عن عمر سابقاً و ينظر : المحرر: ١/ ٣٨٥ والبحر: ٢/ ٣٥٤ و الدر المنثور: ١/ ٣٧٢ مع ما تقدّم عند تفسيرها.

(٢) تقدّم عزوها عند كلام المصنف على معناها.

(٣) السبعة: ١٩٤ و الروضة: ٢/ ٥٨٠ و العنوان ص٨٦ وغاية الاختصار: ٢/ ٤٤٢ و النشر: ٢/ ٢٣٦

(٤)﴿تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً﴾ بالنصب فيهما و الباقون بالرفع فيهما: السبعة: ١٩٤ و الروضة: ٢/ ٥٨٠ والعنوان: ص٨٦ و الإقناع: ٢/ ٦١٦ وغاية الاختصار: ٢/ ٤٤٢ و النشر: ٢/ ٢٣٦ .

(٥)قراءة شاذة تروى أيضا عن جماعة غيره منهم أبيّ رضي الله عنه و مجاهد: الفراء: ١/ ١٤٢ و فيه قراءة ابن عباس و قوله هذا ،و فضائل القرآن لأبي عبيد: ص١٦٧ و فيه قراءة ابن عباس وكلامه هذا ورواه الطبري: ٥/ ١٢٠ – ١٢٢ و فيه قراءة ابن عباس و كلامه و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٤٨ و الثعلبي: ٢١/ ٢٩٧ و المحرر: ١/ ٣٨٦ و البحر: ٢/ ٢٥٥ .

(٦) لم أجده . و الراجح أنّ يكون على المعنى المتبادر منه: فـ (كاتب) بمعنى رجلٍ يكتب **لكم**:

﴿فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ وَ﴿فَرُهُنٌ﴾؛ ومَنْ قال رِهان جمع رَهْنٍ مثل كِباشٍ جمع كَبْشٍ وبِغالٍ جمع بَغْلٍ وفِعال جمع فُعُل ورُهُنٌ أيضاً جمع رَهْن مثل سَقْفٍ وسُقُفٍ ، وفَعْلٌ يجمعُ على فُعُلٍ في الصِّفات كثيراً (١) ويَقِلُّ في الأسماء، تقولُ في الصِّفات فَرَسٌ وَرْدٌ (٢) وخيل وُرْدٌ وَ وِرَادٌ. قال الفرّاء (٣) والكِسائي (٤) : رِهَانٌ جمع رَهْنٍ ورُهُنٌ جمعُ الجَمْعِ كقوله: ثَمَرٌ وثِمارٌ وثُمُرٌ جمع الثِّمار كذلك الرُّهُنُ جمعُ الرِّهانِ. وأبو عمرو اختار القِراءة بالرُّهُنِ لئلا يَشبِهَ رِهان الخيل (٥) وبه قرأ ابن كثير ، وقرأ الباقون (٦) ﴿فَرِهَـٰنٌ﴾.

ومعنى الآية: إنْ كنتم على سَفَرٍ ولم تجدوا الكاتبَ والصَّحيفة والدَّواةَ فليرتهِن الذي له الحقُّ من المطلوبِ.

ينظر على سبيل المثال: الطبري: ٥/ ١٢١ والمحرر: ١/ ٣٨٦ و ينظر: المحرر: ٥/ ٣٥٧ ولسان العرب: (كذب) ١/ ٧٠٦ .

(١)معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٣١١- ٣١٢ و ينظر: الكتاب: ٢/ ٢٠٠ ، ٢٠٤ و المقتضب: ٢/ ٢٠٢ و شرح الشافية: ٢/ ٩١ ، ١١٧ -١١٨

(٢)الورْدُ لونٌ أحمر يميل إلى صفرةٍ: (لسان العرب: ورد).

(٣) معاني القرآن للفراء: ١/ ١٤١ .

(٤) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٩٨ و البحر: ٢/ ٣٥٥ و الفرّاء و الكسائي يريان أنّ ((رُهُن)) جمع رِهان فهي جمع الجمع عندهما، و غيرهم يرى أنه جمع ((رَهْن)) فيقال: رُهُن ثم تخفف ضمة الهاء فتسكّن كما يقال : رُسُل و رُسْلٌ . ينظر: معاني القرآن للأخفش: ص١٣٥ والطّبري: ٥/ ١٢٣ ومعاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٣١١ و إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٤٩ و الحجة للفارسي: ٢/ ٥٠٦ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٩٨ و البحر: ٢/ ٣٥٥

(٥) معاني القرآن للأخفش: ص١٣٥ وتفسير الطبري: ٥/ ١٢٤ ومعاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٣١١

(٦)السبعة: ١٩٤ و المبسوط: ١٥٦ والروضة: ٢/ ٥٨٠ و العنوان: ص٨٦ وغاية الاختصار: ٢/ ٤٤٢ و النشر: ٢/ ٢٣٧

﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضًا﴾ يكون الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق ﴿فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤۡتُمِنَ﴾ أُفْتُعِلَ من الأمْنِ وكُتِبَتْ هَمْزَتُه واواً لِانضمام ما قبلها (١).

﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ خَوَّفَ الذي عليه :الدَّين ،وأمره بأن يُؤدِّي أمانَتَهُ إلى صاحبه فقال : فإنْ كان المَدِينُ أَميناً عند صاحب المال فائتمنَهُ ولم يأخذْ منه رَهْناً فليؤدِّ الذي عليه الدَّينُ إلى صاحب الدَّين حَقَّهُ الذي اِئتمنه عليه، وليخفِ الله أنْ يجحَدَ حَقَّه.

والحكم لا يختصّ في الرَّهن بالسَّفر بل هو جائزٌ في الحضَرِ، بدليلِ ما وَرَدَ في الخبر ثُمَّ رجع إلى الشُّهودِ فقال ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ يعني عند الحُكَّام ﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا﴾ أي الشَّهادة ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾ فاجِرٌ قلبه ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ عن إقامة الشُّهود وكِتمانِها ﴿عَلِيم﴾.

قُرِأَ: (بِمَا تَعۡمَلُونَ) بالتَّاءِ، رَدّاً على قوله ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾. وقُرِأ: (يعملون) بالياء (٢)رَدّاً على قوله: ﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا﴾.

قوله ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [آية:٢٨٤] من طريق المِلْك ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ تُظْهِروا لِمَا فيها من المعاصي والطَّاعات ﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ تستروه ﴿يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ فَيُثِيبكم على الطَّاعاتِ، ويُعاقِبكم على السَّيئات ﴿فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ

---

(١) معاني القرآن للأخفش: صـ ١٣٥ و إعراب القرآن : ١/ ٣٤٩ و الحجة للفارسي: ١/ ٥٠٧ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٩٩ وكشف المشكلات: ١/ ٢٠٢

(٢) قراءة ((يعملون)) بالياء شاذة قرأ بها السلمي. البحر: ٢/ ٣٥٨

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ يتجاوزُ عَمَّن يشاء ويعذِّب على ذَنبه من يشاء ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ من المغفرةِ والعذابِ ﴿قَدِيرٌ﴾.

قُرِأ ﴿فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ على الِابتداء أيْ فهو يغفر لمن يشاءُ. وقُرِأ (فيغفرْ لمن يشاء) بالجزم يَرَدُّه على أوَّل الكلامِ على جهةِ الجَزاءِ. وقُرِأ بالنَّصب (فَيَغْفِرَ) رُوِيَ ذلك عن الحَسَن (١) نَصَبَه على الاستِغناء كأنَّ الجزاء قديمٌ دُونه (٢) .

قَرَأَ ابن عامر وعاصم (فَيَغْفِرُ) بالرَّفع، وقرأ الباقون بالجزم (٣) .

واختلفوا في حُكْمِ هذه الآية فمنهم من قال إنَّه منسُوخٌ بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [آية:٢٨٦] لِأنَّه لَمَّا نَزَلَتْ اِشتَدَّ على المؤمنينَ فقالوا إنَّه يَخْطُرُ بقلوبِنا أشياءُ لا نقولها ولا نَعمَلُها وإنَّه لَيَشتدُّ علينا ذلك، فنزل قولُه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ عن أبي هريرة (٤) وابن عباس (٥) والشعبي (١) وابن جُبير (٢) والحَسن (٣) وابن مسعُود (٤) قالوا: وحَسُنَ النَّسْخَ في هذا وإنْ كان خبراً لِأنَّه

---

(١) تُروى أيضا عن ابن عباس و الأعرج: إعراب القرآن لابن النحاس : ١/ ٣٥٠ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٣و المحرر: ١/ ٣٩٠ والبحر: ٢/ ٣٦٠

(٢) وجه النصب : أن يكون معطوفا على المعنى بإضمارِ((أنْ)) و العطف على اللّفظ أرجح . ينظر: إعراب القرآن لابن النحاس : ١/ ٣٥٠ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٣و كشف المشكلات : ١/ ٢٠٥ و المحرّر: ١/ ٣٩٠ و القرطبي: ٣/ ٤٢٤ والبحر: ٢/ ٣٦٠ و الدر المصون: ١/ ٦٩٠ قال العكبري: ١/ ١٢١ والمنتجب الهمداني في الفريد: ١/ ٥٣٢: و هذا يسمّى عند النحويين الصّرف .

(٣)المبسوط: ١٥٦ والروضة: ٢/ ٥٨١ و العنوان: ص٨٧ وغاية الاختصار: ٢/ ٤٤٣ و النشر: ٢/ ٢٣٧

(٤) أخرجه مسلم: في كتاب الإيمان، باب :بيان أنّه سبحانه وتعالى لم يكلِّف إلا ما يطاق(ح١٢٥)، وأحمد: ١٥/ ١٩٨ (٩٣٤٤) و أبو عوانة: ١/ ٧٦- ٧٧ و الطبري: ٥/ ١٣١ و ابن أبي حاتم:٢/ ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٩ ، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢ و الطحاوي في المشكل: (١٦٢٩) و ابن حبان(١٣٩) جميعهم من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة في حديث طويل.

(٥)أخرجه مسلم: في كتاب الإيمان، باب :بيان أنّه سبحانه وتعالى لم يكلِّف إلا ما يطاق(ح١٢٦)، وأحمد:٣/

بمعنى الشَّرط، وفيه معنى النَّهي عن السيئات حَيثُ حَذَّرَهُم بالمحاسَبَةِ عليها [٥] .

---

٤٩٧ (٢٠٧٠) و الترمذي: في كتاب التفسير باب سورة البقرة(ح ٢٩٩٢) ٥/ ٢٢١ و النسائي في الكبرى(١١٠٥٩) و الطبري: ٥/ ١٣١ و أبو عوانة: ١/ ٧٥ وابن حبان:

(٥٠٦٩) والحاكم في المستدرك: ٢/ ٢٨٦ من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بطوله.

(١)سعيد بن منصور (٤٨٠- تفسير) و تفسير الطبري: ٥/ ١٣٤، ١٣٥ و ابن النحاس في ناسخه: صـ ٢٨٦.

(٢) تفسير الطبري: ٥/ ١٣٤

(٣) تفسير الطبري: ٥/ ١٣٧

(٤)سعيد بن منصور: (٤٨٢ – تفسير) و الطبري: ٥/ ١٣٥، ١٣٦ من طريق الضحاك عن ابن مسعود و ينظر: الطبري: ٥/ ١٣٨، و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٥٧٨ (٣٠٨٩) و أحكام القرآن للجصاص: ٢/ ٢٧٦.

(٥)رجح الطبري: ٥/ ١٤٣ أنّ الآيةَ محكمة غير منسوخةٍ و هو قول ابن الأنباري كما في نواسخ القرآن لابن الجوزي: صـ ١٠٣ . وقال الواحدي: (والمحققون يختارون أن تكون الآية محكمة غير منسوخة)اهـ. البسيط: ٢/ ١٠٦٥، و قال أبو محمد ابن عطية: ((وهذا هو الصواب ..ثم قال: فلمّا كان الّلفظ مما يُمْكِن أن تدخُلَ فيه الخواطرُ أشفقَ الصّحابة والنّبي ﷺ فبيّنَ الله تعالى لهم ما أراد بالآية الأولى وخصَّصها، ونصَّ على حكمةُ أنه لا يكلِّف نفسا إلا وسعها، والخواطرُ ليستْ هيَ ولا دفعُهَا في الوُسْع بل هو أمرٌ غالبٌ وليست مما يكسب ولا يكتسب وكان في هذا البيان فرحهم وكشف كربهم وباقي الآية محكمةٌ لا نسخَ فيها))اهـ. المحرر: ١/ ٣٩٠ و كلام ابن عطية حسنٌ و الكلام على ترجيحاتِ الأئمة في الآية يطول. و فيما ذكره المصنف كفاية. فينظر: فهم القرآن للمحاسبي: صـ٤٣٥ و الطبري:٥/ ١٢٩- ١٤٧ ومعاني القرآن للزَّجّاج: ١/ ٣١٣ و معاني القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٢٥ و الناسخ و المنسوخ له: صـ٣٧٣ وأحكام القرآن للجصاص: ٢/ ٢٧٦ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٢٩٩ والماوردي: ١/ ٣٦١ و السمعاني: ١/ ٢٨٧ والبغوي: ١/ ٢٧١ و تفسير نجم الدين النسفي ورقة: ٢٠٤- ٢٠٥ و زاد المسير: ١/ ٣٤٢ ونواسخ القرآن لابن الجوزي: صـ ٩٧ و المسوّدة : ١٧٧

ومنهم من قال إنَّـه لفـظٌ مجمَـلٌ مـن حيـث قـال: ﴿فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وقولـه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ بيـان للآيـة. ومـنهم مـن قـال: المحاسـبة الإخباريـة والتّعريف لهم بما فَعَلُوا دون المؤاخذة به والعذابِ عليه فكأنَّه يُخْبِر الكلَّ بما فَعَلُوا ثُمَّ يغفرُ ما يشاء لمن يشاء (١) .

ولعلَّ الصحيح أنَّ قوله ﴿مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ إنَّما أراد به ما يدخلُ تحت قُدْرتِهم مِمَّا هو كَسْبٌ لهم، فأمَّا ما يَخطُر ببالهم مِمَّا ليس بِكَسْبٍ لهم فلا يُؤاخَذُون به، والذي هو كَسْبٌ لهم يُؤاخَذون به ثُمَّ يغفرُ لمن يشاء فلا يُؤاخِذُهُ به ويعذِّب من يشاء كما نقول في سائر المعـاصي أنَّه محسوبٌ على العبد جميعُ ذلك ثمَّ مَنْ شاء غَفَرَ له ومَنْ شاء عَاقَبَهُ.

وهكذا رُوِيَ عن الضَّحاك (٢) وقَيس ابنِ أبي حَازم (٣) وابن عباس (٤) أنَّ الله سبحانه يقول يوم القيامة ((إنَّ كُتَّابي لم يكتبوا إلاَّ ما ظَهَرَ من أعمالِكُم فأمَّا ما أَسْرَرْتُم في أنفـسكم فأنَا أُحَاسِبكُم به اليوم وأغفر لِمن شئتُ وأُعَذِّبُ من شئتُ)).

وقالت عائشة رضي الله عنها (٥) :((كلُّ مَنْ هَمَّ بِسُوءٍ ولَمْ يَعْمله فـإنَّ الله يُحاسِـبُهُ بـه في الدُّنيا، يَخاف ويَحْزَن ويَشْتَدُّ هَمُّه لا يَنالَهُ من ذلك شيءٌ (١) كما هَمَّ بالـسُّوء (٢) ولم يَعمـل شيئاً)).

---

(١)الطبري:٥/ ١٣٨ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٠ و البغوي:١/ ٢٧٢

(٢) تفسير الطبري: ٥/ ١٤٠ عن الضحاك عن ابن عباس.

(٣) تفسير الطبري: ٥/ ١٤٠

(٤) تفسير الطبري: ٥/ ١٤٠ وينظر: تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٥٧٤ قـول الربيـع وتفـسير الثّعلبـي: ٢/ ٣٠٠

(٥) تفسير الطبري: ٥/ ١٤٣ و اللفظ له من هذه الرواية ورواه بألفاظ أخرى قريبة من هذا: سـعيد بـن منصور: (٤٨١ – تفسير) و الطبري: ٥/ ١٤٣ و قد ورد معناهُ مرفوعاً عن عائشة ينظـر: تفـسير

وفي رواية عن ابن عباس (٣): إنْ تُبدوا ما في أنفسِكم أو تخفُوه مـن أمْـر الـشهادة التـي ذَكَرها في أوَّل هذه الآية. وبه قال عكرمة (٤).

قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ﴾ [الآية: ٢٨٥] قيـل لَّمـا ذكـر الله (٥)فـرضَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ والطَّلاقِ والحيضِ و الإيلاءِ والجهاد وأقاصيصَ الأنبياءِ والدَّينَ والرِّبـا، خَتَمَ السُّورة بِذِكرِ تعظيمه، وذِكْرِ تـصديق نَبِيِّـه فقـال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ أي صَـدَّقَ الرسول ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ مِمَّا جرَى في هذه الـسُّورة ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ .

وجاز القَولُ بتوحيدِ الفِعلِ في قوله ﴿كُلٌّ ءَامَنَ﴾ ولو قـال (كـل آمنـوا) لكـانَ جـائزاً لِأنَّ((كُلّ)) في لفظ الواحدِ ومعنى الجمع مثلُ ((مَا)) و ((مَنْ)) (٦) .

الطبري: ٥/ ١٤٣ و الدرّ: ١/ ٣٧٥ .

(١) يعني في الآخرة لكونه يكفّر عنه بالهمّ و الحزن و غيره.

(٢) في الأصل: السواء

(٣) سعيد بن منصور (٤٧٣- تفسير) وتفسير الطبري: ٥/ ١٢٩ ، ١٣٠ و تفـسير ابـن أبي حـاتم٢/ ٥٧٢(٣٠٥٦) والطّحاوي في المشكل: ٤/ ٣١٥ ، و هو من طريق يزيد بن أبي زياد مرّة يرويه عن مقسم عن ابن عباس؛ و مرة يرويه عن مجاهد عن ابن عباس، وزاد في الدرّ عزوه إلى ابن المنذر: ١/ ٣٧٣

(٤) أبو عبيد في ناسخه: ٣٩٤ و الطبري: ٥/ ١٢٩ .قلت:و حملُ الآية على العموم أولى.

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٣١٣ و المصنف ناقل فيما يظهر عنه و الوسيط: ١/ ٤٠٩ عن الزجـاج، و تفـسير البسيط: للواحدي: ٢/ ١٠٦٧.

(٦) إعراب القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٥١ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٤ و ينظر:البرهان: ٤/ ٣٢٢

وقرأ الجميع (١) (وَكُتُبِه) وقرأ ابن عباس (٢) وحمزة والكسائي (٣) (وكِتابِهِ) أراد به الجِنس (٤) كما يقال: كثُر الدِّرهم في أيدِي النَّاس يُرَادُ به الجِنْس، وفِعال يُجمع على فُعُل مثلُ مِثَال ومُثُل (٥) وحِمارٍ و حُمُرٍ (٦) .

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾القراءة بالنُّون أي قالوا (٧) ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ كقوله: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤] يعني يقولون سلام عليكم وقوله ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا ﴾ [السجدة:١٢] معناه يقولون ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ [السجدة:١٢] وكقوله ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء:٧٩] معناه يقول هؤلاء ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ الآيه.

(١)لو قال المصنف : قرأ الجمهور لكان أصحّ.

(٢) سعيد بن منصور في سننه : (٤٧٧- تفسير) من طريق عكرمة عنه و الطبري:٥/ ١٤٩ و لم يسندها و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٣١٣ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٤

(٣) المبسوط: ١٥٦ و الروضة: ٢/ ٥٨١ و غاية الاختصار: ٢/ ٤٤٣ و النشر: ٢/ ٢٣٧

(٤)الطبري:٥/ ١٤٩ و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٣١٣ و معاني القراءات للأزهري: صـ٩٣ وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٤

(٥) المِثَالُ الفراش والجمع مُثُلٌ بضم الثاء وسكونها ،و المِثَالُ أيضا معروف والجمع أَمْثِلةٌ و مُثُلٌ: (مختار الصحاح: مثل و القاموس المحيط).

(٦) في الأصل: جمار و جمر بالجيم و هو تصحيفٌ ينظر: معاني القرآن للزجاج: ١/ ٣١٣ ومعاني القراءات للأزهري: صـ٩٣

(٧)ينظر: مثلا: تفسير الطبري: ٥/ ١٥١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٥

وقُرِأ (لا يُفَرِّقُ بينَ أَحدٍ) بالياء ، ومعناه: كُلُّ آمن بالله وكُلٌّ لا يُفَرِّقُ بين أَحدٍ من رُسلِه. قرأ {ذلك } (١)جماعةٌ من المُتقدِّمين (٢) . وقُرِأ (رُسُلِه وكُتُبِه) و (رُسْلِه وكُتْبِه) بالتسكين لِتَتَابُع الحركات وتواليها (٣) .وقوله: ﴿بَيْنَ أَحَدٍ﴾ يقتضي شيئين فَصَاعداً بِتَوَسطِهما (٤) .

والأَحَدُ ههنا بمعنى الآحادِ كقوله ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة:٤٧] ولو أُجرِيَ على لفظه لقيل: (حَاجِزاً) (٥) .

﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا﴾ سمعَ قَبولٍ ﴿وَأَطَعْنَا﴾ قَبلنا ما سَمِعنا ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ أي اِغفر ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ والغُفْران مصدرٌ كالكُفران والسُّلْوان (٦) .

---

(١) سقطت من الأصل و السياق يقتضيها وهي مثل عبارة الطبري في تفسيره:٥/ ١٥٠

(٢) قرأ بها يعقوب و حدهُ من العشرة: معاني القراءات للأزهري: صـ ٩٤ و المبسوط: ١٥٦ والروضة: ٢/ ٥٨٢ و غاية الاختصار: ٢/ ٤٤٤ والاتحاف: ص٢١٤ و رويت عن جماعة من السلف: ينظر: الطبري: ٥/ ١٥٠ و معاني القرآن لابن النحاس: ١/ ٣٣٠ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٤ والبحر: ٢/ ٣٦٥

(٣) قراءة التسكين شاذة تروى عن الحسن و أبي عمرو : ينظر: تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٤ و المحرر: ١/ ٣٩٢ و القرطبي: ٣/ ٤٢٠ و البحر: ٢/ ٣٦٥

(٤)يعني أنّ لفظ ((بين)) يقتضي شيئين فَصَاعداً . ينظر: الكشاف: ١ / ١٧٧ و الفائق للزمخشري : ١/ ٣٤٩ والنسفي: ١/ ٤٩ .

(٥)تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٤ و القرطبي: ٣/ ٤٢٩ والبحر: ٢/ ٣٦٥ و إيضاح ذلك كما بينه العلماء : أنه تعالى قال ﴿بينَ أَحدٍ ﴾على الإفرادِ ولم يقلْ آحاد ، لأنّ الأحدَ يتناول الواحد و الجمع كما في الآية التي ذكرها المصنف، و هي قوله تعالى: ﴿ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴾ فحاجزين صفةٌ لأحدٍ لأنّ معناه الجمعُ.

(٦) في الأصل: السّكران. و هوخطأ. و التصويب من كتاب الزجاج: ١/ ٣١٥ و العبارة كلها فيه.

﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ المَرجِعُ والمُنْقَلَبُ. وقيل ﴿غُفۡرَانَكَ﴾ سبحانَك ومعناه: نُسَبِّحُكَ تَسْبِيحَكَ فيكون نصباً على المصدر، ومعناه: نسألُكَ غفرانك أو اِغْفِر غُفرانَكَ (١). وقيل لَمَّا نزلت هذه الآية قال جبريل: ((إنَّ الله قدْ أَحْسنَ عليك وعلى أُمتك الثنَاءَ فَاسأل رَبَّك)) (٢).

قوله ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [آية:٢٨٦] الوُسْعُ في اللغة اِسمٌ لما يَسَعُ الإنسان ولا يَضِيقُ عليه ومثله الوُجْدُ والجُهْدُ (٣).

وقرأ في الشَوَاذِّ (٤) (إلا وَسِعَهَا) بفتح الواو وكسر السين يُرِيدُ إلاَّ وَسِعَهَا أَمْرُهُ وأرادَ إلاَّ ما وَسِعَهَا فَحَذَفَ الاِسمَ (٥).

وقوله ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾ أي لا يُؤاخَذُ بِذَنبِ غيرِه كقوله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤] وقيل الاِكتِسَاب ما يَفْعَلُهُ الإنسانُ لِنَفسِهِ خَاصَّة،والكسب

---

(١)﴿ غفرانك ﴾ : فيه وجهان: فإمّا أن يكون منصوبا على المصدر و ذلك بإضمار فعله أي اغفر لنا غفرانك، و إمّا أن يكون منصوبا بغير فعله أي نسألُك غفرانك : معاني القرآن للفراء: ١/ ١٤١ و الطبري: ٥/ ١٥٢ و معاني القرآن للزَّجَّاج: ١/ ٣١٤ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٥ و البيان: ١/ ١٨٨ و الفريد: ١/ ٥٣٤ و المحرر: ١/ ٣٩٠ .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور (٤٧٨ –تفسير) و ابن أبي شيبة: ١١/ ٥٠١ و الطبري: ٥/١٥٣ وتفسير ابن أبي حاتم٢/ ٥٧٥ (٣٠٧٠) جميعهم من طريق بيان عن حكيم بن جبير مرسلاً . وذكره الكواشي في: تبصرة المتذكر : ص٣٢٤ .وحكيم بن جُبَير الأَسدي، وقيل مولى ثقيف الكوفي قال في التقريب : (ضعيف رُمِي بالتشيع من الخامسة)اهـ.١/ ١٧٦ و قد قال فيه الدارقطني متروك. ينظر: تهذيب الكمال: ٧/ ١٦٥ وتهذيب التهذيب: ٢/ ٣٨٣ .

(٣)معاني القرآن للفراء: ١/ ١٤٢ وقال أيضا و يجوز فيه : الوَسع بفتح الواو مثل الوَجد و تفسير الطبري: ٥/ ١٥٣ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٥ و لسان العرب والقاموس المحيط ((وسع)).

(٤) قرأ بها إبراهيمُ بن أبي عَبلة : تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٥ و المحرر: ١/ ٣٩٣ و البحر: ٢/ ٣٦٦

(٥) في الثعلبي : ٢/ ٣٠٦ فحذف ((ما)) . قلتُ: وهو أوضح. و ينظر: البحر: ٢/ ٣٦٦

فِعْلُهُ له ولِغَيرِهِ فَوَصَفَ [و١٦٠] المُسِيءَ بالاكتِسَابِ، لِأنَّ مَعْصِيَته لا تَعْدُوهُ ولا يَضُرُّ غيره وَوَصَفَ المُحْسِنَ بالكسب لأنَّ غَيرَهُ قَدْ يُشَارِكه في ثوابِهِ بالهِدَايَةِ والشَّفاعة (١) ثمَّ عَلَّمَهم الدُّعاءَ فقال قولوا ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ قيل فيه قولان: أحدهما ما قال النَّبي ﷺ ((رُفِعَ عن أُمتي الخطأ والنِّسيان)) (٢) .

---

(١) لسان العرب: (كسب) والمفردات للراغب: (كسب) والمحرر: ٣/ ٣٩٣ و الكشاف ١/ ٥٢٠ والتفسير الكبير للرازي: ٧/ ١٢٣ و البحر: ٢/ ٣٦٧. وقال الواحدي في الوسيط: ١/ ٤٠٩ :الكسب والاكتساب و احدٌ. و كذلك قال أبو حيان: البحر: ٢/ ٣٦٧ وقال : إنه الصحيح عند أهل اللغة. و ينظر في المصادر السابقة لمَ خصّ الخير بالكسب و الشرّ بالاكتساب مع البرهان: ٣/ ٣٤

(٢) أخرج ابن ماجه: في كتاب الطلاق،(١٦ باب طلاق المُكرَه والنّاسي) وابن حبان: ١٦/ ٢٠٢ والطبراني: في الأوسط: ٨/ ١٦١ و الصغير: ٢/ ٥٢ و الطّحاوي في شرح معاني الآثار: ٣/ ٩٥ والحاكم : ٢/ ٢١٦ وقال : على شرط الشيخين، والبيهقي في سننه: ٧/ ٣٥٦ عن ابن عباس " أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنّ الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنِّسيان وما استكرِهوا عليه) . و هذا الحديث له طرق كثيرة وبعضها بلفظٍ مقارب لهذا اللفظ. و أمّا اللفظ الذي ذكره المصنف فقال غير واحد من الحفاظ إنهم لم يجدوه بهذا اللفظ منهم : الزيلعي: في نصب الراية: ٢/ ٣٨ و قال: (وهذا لا يوجد بهذا اللفظ وإنْ كان الفقهاءُ كلُّهم لا يذكرونه إلا بهذا اللفظ)اهـ. وكذلك قال السيوطي كما في كشف الخفاء: ٢/ ٣٧٦ و لكنّي وجدتُه بهذا اللفظ: عند الثعلبي في تفسيره بسنده من حديث ابن عمر :٢/ ٣٠٧ و ينظر: طبقات الشافعية للسبكي:٢/ ٢٥ كلامه عن هذا اللفظ. و طرقُ الحديث كثيرة و قال الزيلعي: (أصحها – يعني طرقه- حديث ابن عباس : رواه ابن حبان وابن ماجه والحاكم في " المستدرك ") اهـ. نصب الراية:٣/ ٢١٨ و قد حسنه النووي في الروضة (٨ / ١٩٣) و في الأربعين : الحديث التاسع والثلاثون، وسكت عليه الحافظ في الفتح (٩ / ٣٠٢) و أشار إلى تقويته في : ٥/ ١٦١ من فتح الباري وصحّحه الشيخ الألباني: إرواء الغليل: ١/ ١٢٣ ، و الحق أنه ضعيفٌ لكن معناه صحيح لشواهده، و لذا استنكره الإمام أحمد وأبو حاتم وقال أبو حاتم: ((ولا يصح هذا الحديث ولا يثبت اسناده)) العلل: ١/ ٤٣١ .قال البوصيري: (هذا إسناد صحيحٌ إنْ سلم من الانقطاع والظاهرُ أنه منقطعٌ)اهـ. ٢/ ١٢٦ وهذه

وقيل إنَّما هو سؤالٌ لِرَفعِ النِّسيَانُ الذي هو التَّرك والخطأُ الذي هو العمـدُ والقـصدُ كـما قـال: ((عِبَادُك يُخطِئونَ وأنتَ رَبٌّ)). يقال أخطأَ الرَّجُل إذا سَهَا، وخَطِئ يَخطَأُ خَطَأً إذا تَعَمَّدَ (١) وإنَّما خرج قوله ﴿لَا تُؤَاخِذۡنَآ﴾ على لفظ المفاعلة، وهو فِعلٌ واحدٌ لِأنَّ المُسِيء قد مَكَّنَ مـن نفسه وطرَّقَ السَبِيلَ إليها بِفعْلِه فكأنَّه شَارَكَ من يأخُذُهُ بِذَنبه في أَخذِهِ (٢) .

العلة بينها الحافظ ابن رجب في جامع العلـوم و الحكـم: صــ٣٧١ (ح٣٩) ؛ ورجَّـح ضـعفه كـما هوظاهرٌ، وينظر فيه تفصيل تخريجه، و الكامل في الضعفاء: ٢/ ٣٤٦.

(١) كثيرٌ من أهل اللغة يخصّون أخطأ بما لم يكن عن عمد و خَطِأَ إذا تعمّد.قال الحريـري في درّة الغـوّاص في أوهام الخواص ص ١١٣: (لا يقال أخطأ لمن تعمّد و إنّما يقـال لمـن تعمّـد خَطِـئَ فهـو خـاطئٌ والمصدرُ منه الخِطْأُ)اهـ. وفي تهذيب اللغة : ٧ / ٤٩٧ :خطئ: ما صنعه عمدًا ، وهو الذنب ، وأخطـأ : ما صنعه غير عمد، وتفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٧ و الماوردي: ١/ ٣٦٤ و تهذيب درة الغواص: صــ ٦٨ و عقد الخلاص في نقد كلام الخواص: لابنِ الحنبلي: ص٣٠٨ و قد قيل هما بمعنـى واحـد : الوسيط: ١/ ٤١٠ وينظر تفصيل ذلك في لسان العرب و تاج العروس: (خطأ).

(٢) تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٦ و التفسير الكبير:٧/ ١٢٥

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ أي عهداً تُعَذِّبنا بِنَقضِهِ عن ابن عباس [١] ومجاهد [٢] وقتادة [٣] والسدي [٤] وابن جريج [٥] والضَّحاك [٦] وغيرهم. وقيل الإصْر الثِّقل عن ابن وَهْبٍ [٧] والرّبيع [٨] ، ويُريدُ ما كانَ من تحريم الطَّيبات عليهم بِذنوبهم، والقتلِ عند التَّوبة وكِتْبَةِ الذُّنوب على باب دارهم وغيرَ ذلك.

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ اللَّفظُ على ظاهره عند مَن يُجَوِّز تكليف ما لا يُطَاق[٩]، ومن لم يُجوِّزه لِاستِحالَتِهِ، لا لِقُبْحِهِ يقول:﴿لَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ يعني ما يَضِيقُ وُسعُنَا عنه، وَيَلحَقُنا فيه مشقَّةٌ عظيمة، وإنْ كان ذلك في قدرتِنا وطاقَتِنا كما يقولُ

---

(١)تفسير الطبري: ٥/ ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦٠و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٦٩٥ (٣٧٦٥)و ٢/ ٥٨٠ .

(٢) تفسير الطبري: ٥/ ١٥٩ و الثعلبي: ٢/ ٣٠٧

(٣)تفسير عبد الرزاق: ١/ ١١٢ والطبري: ٥/ ١٥٨ و ١٥٩

(٤) تفسير الطبري: ٥/ ١٥٩ و تفسير ابن أبي حاتم٢/ ٥٨٠ .

(٥) تفسير الطبري: ٥/ ١٥٩ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٧ والدر: ١/ ٣٧٧ وعزاه للطبري

(٦) تفسير الطبري: ٥/ ١٥٩ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٧

(٧)رواه ابن وهب عن مالك: الطبري: ٥/ ١٦١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٨

(٨) تفسير الطبري: ٥/ ١٦١ و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣٠٨و الماوردي: ١/ ٣٦٤

(٩) ينظر كلام الطبري في تكليف ما لا يُطاق فهو نفيس: ٥/ ١٦ .و تكليف ما لا يُطاق ليس واقعاً الآن في الشَّرع باتفاقهم . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إطلاقُ القول بتكليفِ ما لا يُطَاق من البَدَعِ الحادثةِ في الإسلام كإطلاقِ القول بأنَّ الناسَ مجبورون على أفعالهم)اهـ. ٣/ ٣٢٢ .

و ينظر تفصيل مسألة تكليف ما لا يطاق في : تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: للباقلاني: صـ ٣٣٣ والملل للشهرستاني: ١/ ٩٣ وأعلام النبوة للماوردي: ص٢٧ و الفصل لابن حزم: ٣/ ٦١، ٧٨ والمحرر: ١/ ٣٩٣ و المستصفى: ١/ ٦٩ و زاد المسير: ١/ ٣٤٦ والقرطبي: ٣/ ٤٠٥ والتفسير الكبير للرازي: ٧/ ١٢٨ و المواقف للإيجي: ٣/ ٢٩٠ و الفتاوى لابن تيمية: ٣/ ٣١٨ وفيها تفصيل مفيد و ١/ ١٤١ و درء التعارض: ١/ ٣٢- ٣٧ ومنهاج السنة: ٣/ ١٠٤ و شرح العقيدة الطحاوية: صـ ٤٤٤

القائل: لا طاقة لي بهذا الأمْرِ، وهو مُطِيق له لكنَّه يَشُقُّ عليه وَيَتَعَذَّر (١) وقوله ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآ﴾ قَريبٌ بَعضُهُ من بعضٍ في المعنى، فالعَفوُ التجاوُز والمغفرة السَّتر والرَّحمة إرادةُ الخير والنِّعْمَةِ (٢) .

وقيل ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا﴾ بتركِ المُؤاخذةِ والنِّسيان ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ بترك العَهد الذي نَفْتَضِحُ بِنَقْضِهِ ﴿وارحمنا﴾ بأنْ لا تُحمِّلنا ما لا طاقة لنا به. وقيل ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا﴾ عن مثل تشديدِ بني إسرائيل في شَرائِعِهم ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ عن مِثل مَسْخِ أصحاب السَّبْتِ ﴿وَٱرۡحَمۡنَا﴾ عن مثل خَسْفِ قارون ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾ حافِظُنَا (٣) ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بالسَّيف والقهرِ كما نَصَرْتَنا عليهم بالحجَّةِ والدَّليل (٤). وقيل لمَّا أُسْرِيَ بالنَّبي ﷺ (٥) قال الله له ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ فقال نبيُّ الله يُعَبِّرُ عن أُمَّته ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ ثُمَّ

---

(١)ذكره الزجاج في معاني القرآن: ١/ ٣١٥ و مثّل له الزجاج بتكليفِ الله لبني إسرائيلَ قتلَ أنفسِهم فهو مما يثقل .و ينظر المصادر السابقة و تفسير الثّعلبي: ٢/ ٣١٠

(٢) هذا تأويل غير صحيح ، و قد تقدّم في تفسير البسملة الكلام عليه:صـ٣٢٠ ، والله تعالى يرحم عباده بلا كيف ولا مثل، و الرحمة من صفاته نثبتها على ما يليق به تعالى مع التنزيه التام لله تعالى عن مشابهة المخلوقين.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٦/ ١٤٢ ، و تفسير نجم الدين عمر النسفي: ورقة: (٢٠٦ أ) و البغوي: ١/ ٣٥٨.

(٤) معاني القرآن للزّجّاج: ١/ ٣١٥ و البسيط: ٢/ ١٠٨٢

(٥) لم أعثُر عليه بهذا اللفظ و يشهد لبعضِ معناه ، حديثُ مسلمٍ عن ابنِ مسعُودٍ رضِي الله عنه وفيه أنّهُ : (لما أُسرِيَ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم انتُهِي به إلى سِدرَةِ المنتهى و فيه ..وأُعطِيَ ثلاثاً: أُعطِيَ الصَّلواتِ الخمس وأُعطي خواتيم سورة البقرة وغُفِر لمنْ لا يُشرِك بالله شيئاً من أمّته المُقحِماتُ)اهـ. صحيح مسلم كتاب الإيمان باب في ذكر سدرة المنتهى ، برقم(١٧٣) ١/ ١٥٧ و عزاه إليه في الدر المنثور: ١/ ٣٧٨ ومن طريق مسلم رواه البغوي: ١/ ٣٥٩.

دَعَا بهذه الدَّعَوَات فَأُجِيبَ فيها وقال: ((قَدْ أعْطَيْتُك يا محمَّدُ ما تُرِيد)) .وقيل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ والوُسْع دُونَ الطَّاقَةِ وهو السَّعَة ولم يُكَلِّفُ الله العَبدَ ما يَسْتَغْرِق جميع طَاقَتِهِ (١) بَلَّ كَلَّفَه دونَ طاقَتِهِ التي هي معنى التَّخْلِيَةِ والإطلاق ولو أراد أنْ يكلِّفه لكان بحيث يُطِيقُهُ ويَقْدِرُ عليه، ولذلك قال ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨] . وقال علي ابن أبي طالب رضي الله تبارك وتعالى عنه: ((خواتِيمُ سورةِ البقرة من كنْزٍ تحت العَرْشِ)) (٢) .

وروى أبو ذرٍ عن النَّبي ﷺ أنَّه قال ((أُوتيتُ خواتيمَ سورةِ البقرةِ من كَنْزٍ تحتَ العَرش؛ لم يؤتهُنَّ نبيٌّ قبلي)) (٣).

وقيل للنَّبي ﷺ إنَّ منزل ثَابِت ابن قيس بن شَمَّاسٍ : زَهَر الليلة مَصَابِيحَ قال فَلَعَلَّه قرأ سورة البقرة فَسُئِلَ ثابِتٌ فقال قرأتُ سورة البقرة (٤) .

---

(١) ينظر: ما تقدّم قريبا في تكليف ما لا يطاق عند تفسير الآية و لو كان المصنف ذكر هذا هناك لكان أنسب ليكون الكلام على الآية مجتمعاً لا متفرّقا.

(٢)أخرجه الدارمي: (ح ٣٤٢٧) في كتابِ فضائلِ القرآنِ ، باب فضلِ أوّل سورة البقرة، وابن الضُّرَيس في فضائل القرآن: (ح ١٧٦) عن علي رضي الله عنه قال : (ما كنتُ أَرى أنَّ أحداً يعقِلُ ينامُ حتى يقرأَ هؤلاء الآياتِ الثَّلاثِ من آخرِ سورة البقرة .. ...).الخ. و عزاه ابن كثير: ١/ ٧٣٩ لوكيع و خرَّجه من تفسير ابن مردويه و عزاه في الدُّر : ١/ ٣٧٨ للدّارمي و محمد بن نصر، و ابن مردويه. و يشهد لصحّته أحاديث كثيرة بعضُها سيرِدُ قريباً و بعضُها في صحيح مسلم وغيره: ينظر: تفسير ابن كثير الموضع السابق و تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي: ١/ ١٧١ والدّر: ١/ ٣٧٨

(٣) أخرجه أحمد: ٥/ ١٥١، ١٨٠ و البيهقي في الشعب: (ح ٢٤٠٤) و زاد الزيلعي عزوه لإسحاق بن راهويه(تخريج أحاديث الكشاف(١/ ١٧١). قلت وفي سنده اختلافٌ بيّنه الدارقطني في العلل: ٢٣٩/٦

(٤)حديث قيل للنّبي صلى الله عليه وسلم: (ألم ترَ ثابتَ بن قيس لمْ تزلْ دارُهُ البارحة تَزْهرُ مصابيحَ ...الخ). أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن: صـ ٦٦ من طريق جرير بن حازم عن عمه جرير بن زيد أنّ أشياخ المدينة حدّثوه فذكَره. قال ابن كثير: (وهذا إسنادٌ جيد إلا أنّ فيه إبهاماً ثم هو مرسل)اهـ. ١/ ١٥٢

وروى الخُدري أنَّ النَّبي ﷺ قال(١): ((السورةُ التي تُذْكَرُ فيها البقرةُ فُسْطَاطُ القرآن فَتَعلَّموها فإنَّ في تَعَلُّمِها بَرَكَةً، وتركُها حَسرةٌ، ولن يستطيعها البَطَلَةُ؛ قيل وما البَطَلَةُ قال السَّحَرة)). ورُوِيَ أنَّه لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآية فتلاها رسول الله ﷺ إستجاب الله له ذلك فقال ((قد أَعْطَيتُك ذلك كُلَّه)) (٢).

(١) ذكره بهذا اللفظ الزمخشري: ١/ ٤٢٤ و قال الزيلعي في تخريج أحاديثه : (غريب بهذا اللفظ)اهـ. ١/ ١٧٣ ثم ذكر الزيلعي ما في صحيح مسلم من حديث أبي أُمامةَ الباهليّ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه .....و فيه ..اقرؤوا سورةَ البقرة فإنّ أخذها بركةٌ وتركُها حسرةٌ ولا يستطيعها البَطَلةُ)اهـ. و قد تقدّم تخريجه عند ذكر المصنف لبعضه في فضائل آية الكرسي : صـ ١١٩١.

(٢) لم أره بهذا اللفظ. و لكنّ معناه صحيحٌ فقد ورد ما يدل على أنّ الله تعالى استجاب هذا الدّعاء ينظر: حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم: في كتاب الإيمان، باب :بيان أنّه سبحانه وتعالى لم يكلّف إلا ما يُطاق(ح١٢٥)، وأحمد: ١٥/ ١٩٨ (٩٣٤٤) و أبو عوانة: ١/ ٧٦- ٧٧ و الطبري: ٥/ ١٣١ و ابن أبي حاتم:٢/ ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٩ ، ٥٨٠، ٥٨١ ،٥٨٢ و الطحاوي في المشكل: (١٦٢٩) و ابن حبان(١٣٩) جميعهم من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة: .. و فيه .. فأنزل الله ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾(البقرة: من الآية٢٨٦) إلى قوله : آخر الآية قال أبو هريرة قال رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : ((قال الله : نعم)). وتقدّم تخريجه، وورد معناه من أنّ الله قال عند كلّ آية قد فعلتُ عن ابن عبّاس رضي الله عنه، و سعيد بن جبير وغيرهما. ينظر: الطبري: ٥/ ١٣٠ – ١٣٤ والدُّر: ١/ ٣٧٤

فهرس المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته و بتيسيره تتحققُ الأمنياتُ، و بتوفيقهِ و رحمته تتمّ الصالحات، كلّ فضلٍ فمنه ابتدأ و كل إحسان فبهِ نشأ، أحمدُه تعالى و أستهديه و أستعينُهُ و أصلِّي على حبيبه و خاتمِ رسله نبينا محمدٍ ﷺ و على آله و صحبه، و من تبعهم بالإحسان إلى يوم الدّين

وبعد

فقد انتهى – بحمد الله – تحقيق هذا القسم من هذا السِّفر النفيس، ليحطّ القلم رحالَه عند هذه الخاتمة التي تقتضي مني أنْ أُعيد الحمد لله كما بدأته. و تستلزِمُ مني و قفة اعتبارٍ بيني و بين نفسي ألحظُ فيها يومي و أرمقُ من بوابة الذاكرة أمسي لآخذ عِبرة بعد خبرة عسى أن تزيد التجربة في العلم و العمل قبل أنْ يتطاول على الهمّة المنهكة بِهموم الزّمن الوقت، فيفتّ في عضدها ما تراه من تغير الأحوال و تفاقُم الأهوال.

وإذا كان قطار الزمن قد ولى بجزءٍ من العمر الفاني في مدّة اختيارِ هذه الرسالة ثمّ في مدة كتابتها فأحمد الله تعالى أنْ هداني لوضعِ جهدي في موضوعٍ يتعلّق بكلامه ، وعسى أن تُدرِكنا نعمته ورحمته فنعِي حقّ كتابِه و نعْمَلَ بما دلنا عليه و أرشدنا إليه.

و قد استفدتُ في هذه الرِّحلة مع الكتاب فوائد غزيرة و ازدادتْ عندي بعض النتائج رسوخاً فلعلي أن أوفّق لذكر بعضٍ منها يليقُ بهذا الموضع بإيجاز مع بعض التوصيات :

١ – أنه لا بدّ من الجد في تحقيق ما لم يحقّق من كتب التفسير للطبقة المتقدِّمة من العلماء فإنها ومع أهميتها لعلوم التفسير لن تضيف جديداً لعلوم التفسير المتشعبة فقط بل أيضاً لعلوم الحديث والفقه وعلوم اللغة.

ومن هذه الكتب تفسير الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) المحقّق كاملا في هذه الجامعة الطيبة، وتفسير البسيط للواحدي: (ت: ٤٦٨هـ) و تفسير التيسير في التفسير للنسفي نجم الدين عمر (ت: ٥٣٧هـ) وغيرها من التفاسير فتبنّي المؤسسات العلمية، و منها الجامعات لهذه المشاريع حقٌّ ينبغي الوفاء بما يُستطاع منه .

٢ – أرى أنّ الحاجة تشتدّ إلى تصنيفِ كتابٍ جامع ملخّصٍ يضيف فوائد مهمة تتعلق بالآياتِ من النواحي العلمية الحديثة ؛و تكمن قيمة هذا الكتاب في جمعه المهمّ من كلام المتقدمين وتلخيصه والتّدقيقِ فيه لكثرتهِ و تنوُّعِهِ، و إضافة ما يتعلّق بالآيات المفسرة مما جدّ من النوازل و بعض ما يتعلق بالإعجاز العلمي الصحيح غير المبالغ فيه على وجه الإيجاز والاعتدال. و كتب التفسير المتقدّمة تُعنى أحياناً بذكر بعض الفوائد العِلمية المتعلقة بالآيات كمثلِ ما يذكرونهُ عند فوائد العسل فيذكرون بعض كلام أهل الطبّ و التجربة، و الاعتماد على كلامهم في ذلك، و ترك الأخذ بما ذكرتهُ بعض الموسوعات أو الكتب الحديثة المعتبرة فيه نقصٌ، و كمثل ما يذكره بعضهم في كروية الأرض وكمثل ما يذكرونه في مراحل خلق الإنسان ... والأمثلة كثيرة.

وقد أَضْحت حاجة المفسّر والباحث إلى كتاب من هذا النوع – يمس واقع الحياة المعاش ويكون فيه من العمق والقوة ما يلج غمار دقائق التفاسير القديمة اختلافا واستنباطاً أحكاما و حِكَماً –حاجةً ملحّة.

و بعضُ ما صنِّف في هذا الجانب –مع فائدته الكبيرة – لا يرقى على حدِّ علمي المتواضِع لتلك التحدِّيات، و على الأغلب لا يوجد مرجع معتبرٌ حتى الساعة يجمع هذه المزايا.

٣- ازددتُ معرفةً بأنّ القرآن العظيم لا تنقضي عجائبه ولا تنفد فوائده، فقد رأيت المصنف ينقل عن بعض المفسرين المتقدمين لطائف و استنباطات حول بعض الآيات أعياني أن أجدها بما يقارب ألفاظها و جودة معانيها في كثير من الكتب المطبوعة.

٤ – ثبت عندي صحة ثناءَ العلماء الذين أثنوا على تفسير أبي القاسم القشيري هذا وازددت رغبة في الوصول إلى نسخه التي ليست عندي.

٥ – أصبح لدينا كتابٌ آخر مهمّ يجمع أقوال المفسرين وكثير من علماء المعاني والنحو وسيكون رافداً يضاف لما سبقه.

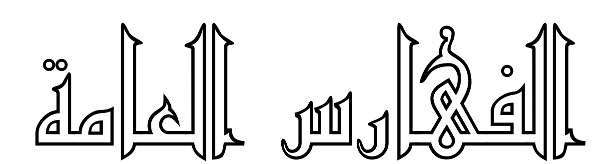
٦ – اطلعتُ على جملةٍ من أقوال و اختيارات بعض العلماء المشهورين في التفسير لم أجدها مسبقاً كمثل أقوال الحسين بن الفضل البجلي (ت: ٢٨٢هـ).

٧ – اشتمل هذا الكتاب المحقَّق على ذكر المختلف فيه و المتفق عليه بين علماء عدّ الآي مما سوف يضيف مصدراً آخر للكتب المتعلقة ببيان عدّ الآيات .و قد تكلم المصنف على جميع سور القرآن في مقدّمة الكتاب.

٨ – اشتملتْ مقدِّمة الكتاب على فوائدَ في علوم القرآن كالكلام على إعجازه، وعلى المعرَّب في القرآن، و على شروط المفسّر و غيرِ ذلك .

٩ – إن كتب التفسير على كثرتها و تنوعها لا يغني بعضها عن بعضٍ، و كلما كثرت مصادر التفسير كلما رحب المجال للتحقيق الدّقيق، و زادت الفوائد و الاستنباطات واتسع مجال الترجيح والاختيار.

و ختاماً فأسأل الله تعالى أن يوفقني للعثور على باقي الكتاب و أن يسهّل الحصول على نسخه المخطوطة، وأرجو ممن يتمكّن من الحصول على نسخة من هذا الكتاب لم أستطع العثور عليها أن يتكرّم مأجوراً مشكوراً بإبلاغي أو إبلاغ قسم الكتاب و السنة .


الفهارس العامة

(١)الرقم انب كل آية هو رقمها من السورة.

الأعراف

فصلت

الشورى

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس أسباب النزول

قافية الألف

قافية الباء

قافية التاء

قافية الجيم

قافية الحاء

قافية الدال

قافية الراء

إذا المعضِلاتُ تَصَدَّين لي كَشَفْتُ حقائقَها بالنّظَر	(الشافعي)	١٤٢، ١١٢٢
إذا بلغَ الظلُّ العشيَّ رأيتَهُ حنيفاً وفي قَرْنِ الضّحى يتنصّرُ	(ذو الرمّة)	٨٨١
إذا ساعدتْك الحالُ فارقبْ زوالها فما هيَ إلا مثلُ حَلْبةِ أشطُرِ	(أبو القاسم القشيري)	١٠٣
أقول لمـــا جاءني فخرُه سبحانَ من علقمةَ الفاخرِ	(الأعشى)	٥٤٤
إلى الحولِ ثم اسمُ السلام عليكما ومن يبكِ حولاً كاملا فقد اِعتذر	(لبيد)	٣٠٢
إنّ الـذي فيه تـــدار أتما بيِّن للسّامع و الآثِـــــرِ	(الأعشى)	٧٢٨
أنا بان دارة َمعروفا لها نَسبي و هل بدارةَ يا للناس من عَارِ	(لسالم بن دارة)	٧٧٩
آيةٌ في الجَمالِ ليس لهُ في الحُسْنِ ثانٍ وماله من نظيرِ	ـ	٢٠٦
فبانت وقد أَسأرتْ في الفؤاد صَدْعاً على نأيها مستطيراً	(الأعشى)	٢٠٥
فقد أُخرِج الكاعِبَ {المشتراة} من خِدرها و أشيع القِمارا	(الأعشى)	٤٥٦
فلمّا التقت فرساننا و رجالهم دَعَوا يا لَكعبٍ و اعتزَينا بعامرِ	(الراعي النّميري)	٤٩٨
كسا اللؤمَ تيماً خُضرةً في جُلُودِها فويلٌ لِتيمٍ مِن سرابيلِها الخُضرِ	(جرير)	٧٤٥
لاهَ ربي عن الخلائق طُـــراً خالق الخلق لا يُرى ويَرَى	-	٣١٤
فما ألوم البيض أن لا تَسخَرا لمّا رأينَ الشَّمَطَ القَفَنْدَرا	(أبو النجم)	٣٦١
لقاؤكَ مخلوقاً عصى الله للغِنَى و لم ترَ مخلوقا عَصى الله للفقرِ	(على ابن أبي طالب)	١٤٢، ٦٢٣
ما سُمِّىَ القَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلُّبِه و الرأي يُصرَف و الإنسانُ أطوارُ	-	٤٢٣
ما كان يُرضِي رسولَ الله دينَهمُ والطَّيِّبان أبو بكرٍ ولا عُمَرا	(جرير)	٣٦٢
من مُبْلِغٍ عمرو بن هند آيةً ومن النصيحة كثرة الإنذار	(النابغة الذبياني)	٢٠٦
نال الخلافة أو كانت له قَدَرا كما أتى ربَّه موسى على قَدَر	(جرير)	٤٧٠
و إنّ كلاباً هذه عشْرُ أبطنٍ و أنت بريءٌ من قبائلِها العَشرِ	-	١٠٦٥
ولستُ مسلِّماً ما دمت حياً على زيدٍ كتسليم الأمير	-	٩٤٠

قافية السين

تَراهُ إذا دَارَ العَـشِيُ مُحَنِّـفاً ويُضحِي لَدَيهِ وهو نَصْرانُ شَامسِ	-	٦٩٩

قافية الصاد

كلوا في نصف بطنكم تعيشوا	فإن زمانكم زمنٌ خميصُ		-	٤٢٤

قافية الضاد

يارِبَّ ذي ضِغنٍ	وضبٍّ فارض		-	٧١٩

قافية الطاء

لما رأيت أمرها في حِطِّي	أخذت منها بقُرُونٍ شُمْطِ		-	٣٧٥

قافية العين

....	أصمّ عما جاءه سميعُ	-	٤٦٧
....	وهل يأْثَمَنْ ذو أُمّة وهو طائع	(النابغة)	٨٧٨
ألم ترى ما لاقيت والدهر أعصُرٌ	ومن يَتملَّ العيش يَرْأى ويسمَعُ	(الأَعْلَـم السَّعْدِي)	٦٦٧
أَمِنْ ريحانة الداعي السميعُ	يؤرّقني و أصحابي هجوعُ	(عمرو بن معد يكرب)	٨٦٦
توهَّمتُ آياتٍ لها فعرفتها	لستة أعوامٍ و ذا العام سابعُ	(النابغة الذبياني)	٤٦٨
لما أتى خبرُ الزبيرِ تواضَعتْ	سورُ المدينة و الجبال الخُشَّعُ	(جرير)	٧٣٥

قافية الفاء

تخط رجلاي بخطٍّ مختلف	و تكتبان في الطريق لامَ أَلِفْ	(أبي النجم)	٣٨٣
علَّفتُها تبناً و ماءً بارداً	ومعلوم أن الماءَ يُشرَبُ ولا يُعلَفُ	-	٤٢٧
فقلت لها قفي فقالت قافْ	لا تحسبي أنّا نَسِينا الإيجافْ	-	٣٧٧
نادوهم أن ألجِموا ألا تا	قالوا جميعا كلُّهم ألا فا	-	٣٧٨
نحن بما عندنا و أنت بمـــا	عندك راضٍ و الرأي مختلفُ	(قيس بن الخطيم)	٦٢١

قافية القاف

فلو كـــان يردُّ شيــــــئا	بكيت على جُبيرٍ أو عَقاقِ	(متمم بن نويرة)	٤٧١
و قلتُم لنا كفّوا الحروب لعــلَّنا	نكفُّ ووثّقتم لنا كلَّ موثِقِ	-	٤٨٧
البـــدر من وجهك مخلوقُ	والسِّحر من طرفك مسروقُ	(أبو القاسم القشيري)	١٠٢

قافية الكاف

قافية اللام

قافية الميم

قافية النون

قافية الهاء

قافية الياء

فهرس الأعلام المترجم لهم

اسم العلم رقم الصفحة

الكلمة الغريبة رقم الصفحة

الكلمة الغريبة رقم الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته و بتيسيره تتحققُ الأمنياتُ، و بتوفيقهِ و رحمته تتمّ الصالحات، كلّ فضلٍ فمنه ابتدأ و كل إحسان فبهِ نشأَ، أحمدُه تعالى و أستهديه و أستعينُهُ و أصلِّي على حبيبه و خاتمِ رسله نبينا محمدٍ ﷺ و على آله و صحبه، و من تبعهم بالإحسان إلى يوم الدّين

وبعد

فقد انتهى – بحمد الله – تحقيق هذا القسم من هذا السِّفر النفيس، ليحطّ القلم رحالَه عند هذه الخاتمة التي تقتضي مني أنْ أُعيد الحمد لله كما بدأته. و تستلزِمُ مني و قفة اعتبارٍ بيني و بين نفسي ألحظُ فيها يومي و أرمقُ من بوابة الذاكرة أمسي لآخذ عِبرة بعد خبرة عسى أن تزيد التجربة في العلم و العمل قبل أنْ يتطاول على الهمّة المنهكة بِهموم الزّمن الوقت، فيفتّ في عضدها ما تراه من تغير الأحوال و تفاقُم الأهوال.

وإذا كان قطار الزمن قد ولى بجزءٍ من العمر الفاني في مدّة اختيارِ هذه الرسالة ثمّ في مدة كتابتها فأحمد الله تعالى أنْ هداني لوضعِ جهدي في موضوعٍ يتعلّق بكلامه ، وعسى أن تُدرِكنا نعمته ورحمته فنعِي حقّ كتابِه و نعْمَلَ بما دلنا عليه و أرشدنا إليه.

و قد استفدتُ في هذه الرِّحلة مع الكتاب فوائد غزيرة و ازدادتْ عندي بعض النتائج رسوخاً فلعلي أن أوفّق لذكر بعضٍ منها يليقُ بهذا الموضع بإيجاز مع بعض التوصيات :

١ – أنه لا بدّ من الجد في تحقيق ما لم يحقّق من كتب التفسير للطبقة المتقدِّمة من العلماء فإنها ومع أهميتها لعلوم التفسير لن تضيف جديداً لعلوم التفسير المتشعبة فقط بل أيضاً لعلوم الحديث والفقه وعلوم اللغة.

ومن هذه الكتب تفسير الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) المحقّق كاملا في هذه الجامعة الطيبة، وتفسير البسيط للواحدي: (ت: ٤٦٨هـ) و تفسير التيسير في التفسير للنسفي نحم الدين عمر (ت: ٥٣٧هـ) وغيرها من التفاسير فتبنّي المؤسسات العلمية، و منها الجامعات لهذه المشاريع حقٌّ ينبغي الوفاء بما يُستطاع منه .

٢ – أرى أنّ الحاجة تشتدّ إلى تصنيفِ كتابٍ جامع ملخّصٍ يضيف فوائد مهمة تتعلـق بالآيـاتِ مـن النواحي العلمية الحديثة ؛و تكمن قيمة هذا الكتاب في جمعـه المهـمّ مـن كـلام المتقـدمين وتلخيـصه والتّدقيقِ فيه لكثرتهِ و تنوُّعِهِ، و إضافة ما يتعلّق بالآيات المفسرة مما جدّ من النوازل و بعض ما يتعلق بالإعجاز العلمي الصحيح غير المبالغ فيه على وجه الإيجاز والاعتدال. و كتب التفسير المتقدّمة تُعنى أحياناً بذكر بعض الفوائد العِلمية المتعلقة بالآيات كمثلِ ما يذكرونهُ عنـد فوائـد العـسل فيـذكرون بعض كلام أهل الطبّ و التجربة، و الاعتماد على كلامهم في ذلك، و ترك الأخـذ بـما ذكرتـهُ بعـض الموسوعات أو الكتب الحديثة المعتبرة فيه نقصٌ، و كمثل ما يذكره بعضهم في كروية الأرض وكمثل ما يذكرونه في مراحل خلق الإنسان ... والأمثلة كثيرة.

وقد أَضْحت حاجة المفسّر والباحث إلى كتاب من هذا النوع – يمس واقع الحيـاة المعـاش ويكـون فيه من العمق والقوة ما يلج غمار دقائق التفاسير القديمة اختلافا واستنباطاً أحكاما و حِكَماً –حاجةً ملحّة.

و بعضُ ما صنِّف في هذا الجانب –مع فائدته الكبيرة – لا يرقـى عـلى حـدٍّ علمـي المتواضِـع لتلـك التحدِّيات، و على الأغلب لا يوجد مرجع معتبرٌ حتى الساعة يجمع هذه المزايا.

٣– ازددتُ معرفةً بأنّ القرآن العظيم لا تنقضي عجائبه ولا تنفد فوائده، فقد رأيت المصنف ينقل عن بعض المفسرين المتقدمين لطائف و استنباطات حول بعـض الآيـات أعيـاني أن أجـدها بـما يقـارب ألفاظها و جودة معانيها في كثير من الكتب المطبوعة.

٤ – ثبت عندي صحة ثناءَ العلماء الذين أثنوا على تفسير أبي القاسم القشيري هذا وازددت رغبـة في الوصول إلى نسخه التي ليست عندي.

٥ – أصبح لدينا كتابٌ آخر مهمّ يجمع أقوال المفسرين وكثير مـن علـماء المعـاني والنحـو وسـيكون رافداً يضاف لما سبقه.

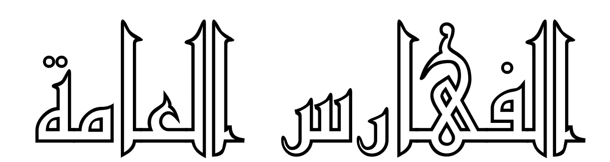
٦ – اطلعتُ على جملةٍ من أقوال و اختيارات بعض العلماء المـشهورين في التفـسير لم أجـدها مـسبقاً كمثل أقوال الحسين بن الفضل البجلي (ت: ٢٨٢هـ).

٧ – اشتمل هذا الكتاب المحقَّق على ذكر المختلف فيه و المتفق عليه بين علماء عدّ الآي مما سوف يضيف مصدراً آخر للكتب المتعلقة ببيان عدّ الآيات .و قد تكلم المصنف على جميع سور القرآن في مقدّمة الكتاب.

٨ – اشتملتْ مقدِّمة الكتاب على فوائدَ في علوم القرآن كالكلام على إعجازه، وعلى المعرَّب في القرآن، و على شروط المفسّر و غيرِ ذلك .

٩ – إن كتب التفسير على كثرتها و تنوعها لا يغني بعضها عن بعضٍ، و كلما كثرت مصادر التفسير كلما رحب المجال للتحقيق الدّقيق، و زادت الفوائد و الاستنباطات واتسع مجال الترجيح والاختيار.

و ختاماً فأسأل الله تعالى أن يوفقني للعثور على باقي الكتاب و أن يسهّل الحصول على نسخه المخطوطة، وأرجو ممن يتمكّن من الحصول على نسخة من هذا الكتاب لم أستطع العثور عليها أن يتكرّم مأجوراً مشكوراً بإبلاغي أو إبلاغ قسم الكتاب و السنة .



- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الآثار
- فهرس أسباب النزول
- فهرس الأشعار
- فهرس الأعلام
- فهرس الكلمات الغريبة المفسّرة
- فهرس المصادر و المراجع
- فهرس المحتويات

(١)الرقم انب كل آية هو رقمها من السورة.

الرعد

إبراهيم

الحجر

النحل

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس أسباب النزول

فهرس الأحاديث

فهرس الأشعار

قافية الألف

قافية الباء

قافية التاء

قافية الجيم

قافية الحاء

قافية الدال

قافية الراء

إذا المعضِلاتُ تَصَدَّين لي	كَشَفْتُ حقائقَها بالنّظَر		(الشافعي)	١٤٢، ١١٢٢
إذا بلغَ الظلُّ العشيَّ رأيتَهُ حنيفاً	وفي قَرْنِ الضّحى يتنصّرُ		(ذو الرمّة)	٨٨١
إذا ساعدتْك الحالُ فارقبْ زوالها	فما هيَ إلا مثلُ حَلْبةِ أشطُرِ		(أبو القاسم القشيري)	١٠٣
أقول لمـــا جاءني فخرُه	سبحانَ من علقمةَ الفاخرِ		(الأعشى)	٥٤٤
إلى الحولِ ثم اسمُ السلام عليكما	ومن يبكِ حولاً كاملا فقد اِعتذر		(لبيد)	٣٠٢
إنّ الـذي فيه تـــدار أنما	بيّن للسّامع و الآثِـــــرِ		(الأعشى)	٧٢٨
أنا بان دارةَ معروفا لها نَسبي	و هل بدارةَ يا للناس من عَارِ		(لسالم بن دارة)	٧٧٩
آيةٌ في الجَمالِ ليس لهُ في	الحُسْنِ ثانٍ وماله من نظيرِ		ــ	٢٠٦
فبانت وقد أَسأرتْ في الفؤاد	صَدْعاً على نأيها مستطيراً		(الأعشى)	٢٠٥
فقد أُخرِج الكاعِبَ {المشتراة}	من خِدرها و أشيع القِمارا		(الأعشى)	٤٥٦
فلمّا التقت فرساننا و رجالهم	دَعَوا يا لَكعبٍ و اعتزَينا بعامرِ		(الراعي النّميري)	٤٩٨
كسا اللؤمَ تيماً خُضرةً في جُلُودِها	فويلٌ لِتيمٍ مِن سرابيلِها الخُضرِ		(جرير)	٧٤٥
لاهَ ربي عن الخلائق طُـــراً	خالق الخلق لا يُرى ويَرَى		-	٣١٤
فما ألوم البيض أن لا تَسخَرا	لمّا رأينَ الشَّمَطَ القَفَنْدَرا		(أبو النجم)	٣٦١
لقاؤكَ مخلوقاً عصى الله للغِنَى	و لم ترَ مخلوقا عَصى الله للفقرِ		(على ابن أبي طالب)	١٤٢، ٦٢٣
ما سُمِّيَ القَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلُّبِه	و الرأي يُصرَف و الإنسانُ أطوارُ		-	٤٢٣
ما كان يُرضِي رسولَ الله دينَهمُ	والطَّيِّبان أبو بكرٍ ولا عُمَرا		(جرير)	٣٦٢
من مُبْلِغٍ عمرو بن هند آيةً	ومن النصيحة كثرة الإنذار		(النابغة الذبياني)	٢٠٦
نال الخلافة أو كانت له قَدَرا	كما أتى ربَّه موسى على قَدَر		(جرير)	٤٧٠
و إنّ كلاباً هذه عشْرُ أبطنٍ	و أنت بريءٌ من قبائلِها العَشرِ		-	١٠٦٥
ولستُ مسلِّماً ما دمت حياً	على زيدٍ كتسليم الأمير		-	٩٤٠

قافية السين

تَراهُ إذا دَارَ العَـشِيُ مُحَنِّـفاً	ويُضحِي لَدَيهِ وهو نَصْرانُ شَامسِ		-	٦٩٩

قافية الصاد

كلوا في نصف بطنكم تعيشوا	فإن زمانكم زمنٌ خميصُ	-	٤٢٤

قافية الضاد

يارُبّ ذي ضِغنٍ	وضبٍّ فارض	-	٧١٩

قافية الطاء

لما رأيت أمرها في حِطِّي	أخذت منها بقُرُونٍ شُمْطِ	-	٣٧٥

قافية العين

....	أصمّ عما جاءه سميعُ	-	٤٦٧
....	وهل يأثَمَنْ ذو أُمّة وهو طائع	(النابغة)	٨٧٨
ألم ترى ما لاقيت والدهر أعصُرُ	ومن يَتملَّ العيش يَرْأى ويسمَعُ	(الأَعْلَـم السَّعْدِي)	٦٦٧
أَمِنْ ريحانة الداعي السميعُ	يؤرّقني و أصحابي هجوعُ	(عمرو بن معد يكرب)	٨٦٦
توهَّمتُ آياتٍ لها فعرفتها	لستة أعوامٍ و ذا العام سابعُ	(النابغة الذبياني)	٤٦٨
لما أتى خبرُ الزبيرِ تواضَعتْ	سورُ المدينة و الجبال الخُشَّعُ	(جرير)	٧٣٥

قافية الفاء

تخط رجلاي بخطٍّ مختلف	و تكتبان في الطريق لامَ أَلِفْ	(أبي النجم)	٣٨٣
علَّفتُها تبناً و ماءً بارداً	ومعلوم أن الماءَ يُشرَبُ ولا يُعلَفُ	-	٤٢٧
فقلت لها قفي فقالت قافْ	لا تحسبي أنّا نَسِينا الإيجافْ	-	٣٧٧
نادوهم أن ألجِموا ألا تا	قالوا جميعا كلُّهم ألا فا	-	٣٧٨
نحن بما عندنا و أنت بمـــا	عندك راضٍ و الرأي مختلفُ	(قيس بن الخطيم)	٦٢١

قافية القاف

فلو كـــان يردُّ شيـــــــئا	بكيت على جُبيرٍ أو عَقاقِ	(متمم بن نويرة)	٤٧١
و قلتُم لنا كفّوا الحروب لعـــلَّنا	نكفُّ ووثّقتم لنا كلَّ موثِقِ	-	٤٨٧
البــــدر من وجهك مخلوقُ	والسِّحر من طرفك مسروقُ	(أبو القاسم القشيري)	١٠٢

قافية الكاف

قافية اللام

قافية الميم

قافية النون

قافية الهاء

قافية الياء

فهرس الأعلام المترجم لهم

اسم العلم رقم الصفحة

الكلمة الغريبة رقم الصفحة الكلمة الغريبة رقم الصفحة

فهرس المصادر و المراجع :

فهرس الرسائل الجامعية :

١- ابن ظفر الصقلي و منهجه في التفسير من خلال كتابه ينبوع الحياة – رسالة ما جستير ،إعداد: صالح الفايز، إشراف: د/ عبد العزيز القاري : ١٤١٠هـ. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢- أحكام القرآن لابن الفَرَس عبد المنعم بن محمد (: ت: ٥٩٧هـ) رسالة ماجستير من الفاتحة إلى الآية: ٢١٠ من البقرة تحـ الطالب: عبد الله عبد الحميد ، إشراف د/ عبد العزيز الدّرديريّ : ١٤٠٤هـ. الجامعة الإسلامية.

٣- الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء : للنكزاوي رسالة دكتوراه –تحـ : مسعود إلياس – إشراف الشيخ محمد

سالم محيسن في الجامعة الإسلامية –كلية القرآن– سنة (١٤١٣هـ) . مج ٤ .

٤- تبصرة المتذكر و تذكرة المتبصِّر. تفسير أبي العباس أحمد الكواشي رسالة دكتوراه : تحـ : عبد الله العمري الجامعة الإسلامية: إشراف: د/ عبد العزيز محمد عثمان .

٥- تفسير أحمد بن أحمد الهكَّاري . رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية: تحـ:عبد الزراق حسين. ١٤٢٣هـ.إشراف : د/ عبد الله الأمين ١٤٢٣هـ.

٦- تفسير البسيط : لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، من آية ٧٥ إلى آخر البقرة ، رسالة دكتوراه ، تحـ : محمد بن عبد العزيز الخضيري ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، كلية أصول الدين ، إشراف الدكتور محمود مهنى إسماعيل.

٧- الجامع في القراءات العشر : أبو معشر الطبري – رسالة دكتوراه – تحـ : د/ محمد سيدي الأمين : ١٤٠٧هـ بالجامعة الإسلامية–

٨- الكشف و البيان تفسير الثّعلبيّ–رسالة دكتوراه– بجامعة أم القرى– كلية الدعوة – قسم الكتاب و السنة– تحـ: خالد بن عون العنزي. إشراف د/ محمد أحمد القاسم. ١٤٢١هـ.

٩- الكفاية في التفسير– إسماعيل بن أحمد الحيري – الجامعة الإسلامية – بالمدينة المنورة – السعودية ١٤١٤هـ – تحقيق:علي غازي الحربي (رسالة دكتوراه) و تحقيق:علي التويجري (رسالة دكتوراه)

١٠- وجوه القرآن لأبي عبد الرحمن اسماعيل بن أحمد الضرير النيسابوري: (ت: ٤٣١هـ) رسالة ماجستير: تحـ. فضل الرّحمن الأفغاني: إشراف: د/ محمد القاسم . بالجامعة الإسلامية: ١٤٠٤هـ .

فهرس المخطوطات

١- التيسير في التفسير : لأبي نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري. نسخة مصورة عن الأصل المحفوظ في مكتبة فيض الله أفندي.

٢- التيسير في التفسير :تفسير نجم الدين عمر النسفي :(ت: ٥٣٧هـ) . نسخة مصورة من مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة . مكتوبة سنة. ٨٩٧هـ. تفسير (١٠١).

٣- كتاب الموضِحُ في الفتح و الإمالة . لأبي عمرو الداني .و هو مخطوط في عارف حكمت : قراءات (١٣) و منه مصورة في جامعة الإمام – ف٢٦٣ .

٤- مخطوطة السياق في تاريخ نيسابور: نسخة مصورة من مكتبة الشيخ حماد الأنصاري الخاصة، بالمدينة المنورة. و هي نسخة ناقصة من آخرها تقع في (٩٧) لوحة.

فهرس المصادر و المراجع المطبوعة :

١- آثار الحنابلة في علوم القرآن : للدكتور سعود الفنيسان . لم يذكر اسم الدار الناشرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

٢- الآحاد والمثاني أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني، ط . دار الراية الرياض – ١٤١١هـ – ط١ ، تحـ : د/ باسم فيصل أحمد الجوابرة.

٣- الإبانة . و اسمه: الشرح و الإبانة على أصول السنة و الدّيانة : لعبيد الله بن محمد ابن بطّة العكبريّ (ت: ٣٨٧هـ) . تحـ: د/ رضا نعسان : ١٤٠٤هـ. نشر المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة. مج١.

٤- الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن الأشعريّ،ط . دار الأنصار، القاهرة.

٥- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم: للقنّوجي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت -١٩٧٨ م – تحـ: عبد الجبار زكار.

٦- إبراز المعاني من حرز الأماني – شرح الشاطبية – :للإمام أبي شامة عبد الرحمن بن اسماعيل الشافعي ،تحـ : إبراهيم عطوة، ط . مطبعة الحلبي بمصر . مج ١.

٧- اتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة : للحافظ ابن حجر أحمد بن علي (ت : ٨٥٢هـ) – تحـ : زهير الناصر وآخرين مركز السنة بالجامعة الإسلامية الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

٨- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للشيخ أحمد بن محمد الدمياطي الشافعي الشهير بالبناء، تصحيح الشيخ علي الضباع ، ط . مكتبة المشهد الحسيني - ١٣٥٩ هـ في : مج١ .

٩- الإتقان في علوم القرآن : للسيوطي ، ط . عالم الكتب - بيروت ، بدون تاريخ. و طبعة أخرى :الإتقان في علوم القرآن : للسيوطي: تحـ : د/ مصطفى ديب البغا، ط١، دار ابن كثير، في ٢ مجلد.

١٠- الإحسان بترتيب ابن حبان = صحيح ابن حبان .

١١- الأحرف السبعة : للداني ، تحـ - د / عبد المهيمن طحان - ط - مكتبة المنارة - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

١٢- أحكام القرآن : لأبي بكر بن العربي محمد بن عبد الله بن محمد (ت : ٥٤٣ هـ) - تحـ : علي محمد البجاوي - ط - الثالثة- - ط - دار الفكر بيروت ١٣٩٢ هـ . مج٤ .

١٣- أحكام القرآن الكريم للطحاوي ، مَن منشورات مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي ، إستانبول ، الطبعة الأولى -١٤١٨هـ - تحـ : د / سعد الدين أونال. ٢مج.

١٤- أحكام القرآن لعماد الدين الطبري المعروف بالكيا الهرّاسي الشافعي ، ط . دار الكتب العلمية، بيروت - بدون تاريخ- في مجلدين.

١٥- أحكام القرآن لأحمد بن علي الجصاص ، دار أحياء التراث العربي، بيروت، تحـ: محمد الصادق قمحاوي، ١٤٠٥هـ.

١٦- الإحكام في أصول الأحكام : لابن حزم (ت: ٤٥٦هـ) ، ط. دار الحديث القاهرة، ١٤٠٤هـ. ٨مج.

١٧- أحوال الرجال: إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني أبو إسحاق(ت: ٢٥٩هـ). تحـ : صبحي السامرائي: بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

١٨- أخبار أبي تمام: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي. تحـ : خليل عساكرو محمد عزام و نظير اُسلام: الهندي، القاهرة، لجنة التأليف و الترجمة: ط١، ١٣٩٦هـ.

١٩- أخبار المدينة : عمر بن شبة (ت: ٢٦٢هـ). دار الكتب العلمية بيروت- ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م. تحـ: علي دندل و ياسين بيان.

٢٠- أخبار النحويين عبد الواحد بن عمر النحوي، ط . دار الصحابة بطنطا - مصر- ١٤١٠هـ.تحـ : مجدي فتحي السيد.

٢١- أخبار النحويين البصريين و مراتبهم ، ط . دار الاعتصام ، ط ١ - ١٤٠٥هـ ، تحـ : د/ محمد إبراهيم البنَّا .

٢٢- أَخبار مكّة في قديم الدهر وحديثه: للفاكهي، ط . دار خضر، بيروت -١٤١٤هـ الطبعة الثانية، تحـ : د/ عبد الملك عبد الله دهيش .

٢٣- أخبار مكة: للأزرقي . تحـ : رشدي الصالح، مكة المكرمة، الطبعة الثامنة - ١٤١٦هـ.

٢٤- اختلاف الحديث للشافعي: (ت: ٢٠٤هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ، ط ١، تحـ: عامر حيدر.

٢٥- اختلاف العلماء : لمحمد بن نصر المروزي الحافظ (ت : ٢٩٢هـ) ، ط . عالم الكتب ، بيروت ، تحـ : السيد صبحي السامرائي، الطبعة الثانية- ١٤٠٦هـ . مج١ .

٢٦- أدب الدّين و الدّنيا : أبو الحسن الماوردِيّ، (ت: ٤٥٠هـ)، تحـ: محمد شريف سكّر، دار إحياء العلوم ، بيروت- ١٤٠٨هـ.

٢٧- أدب القاضي: لأبي العباس الطبري الشافعي المعروف بابن القاص (ت :٣٣٥هـ) تحـ : د/ حسين الجبوري مكتبة الصديق ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ، ٢ج .

٢٨- أدب الكاتب :لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(ت: ٢٧٢هـ) ط. مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٠٢ هـ. تحـ: محمد الدالي .

٢٩- أدب الكتّاب: لأبي بكر محمد بن يحي الصولي: (ت: ٣٣٦هـ). تحـ: محمد بهجة الأثري: نشر : دار الباز.

٣٠- الأدب المفرد للبخاري، ط. دار البشائر الإسلامية ، بيروت- ١٤٠٩هـ الطبعة الثالثة.

٣١- الأرجوزة المنبّهة للحافظ الإمام أبي عمرو عثمان الدّاني (ت: ٤٤٤هـ). ط. دار المغني ، الرياض، تحـ: محمد مجقان الجزائري.ط١، ١٤٢٠هـ.

٣٢- إرشاد المبتدي و تذكرة المنتهي في القراءات العشر: أبو العز القلانسي محمد بن الحسن بن بندار (ت: ٥٢١هـ). تحـ. عمر الكبيسي ط١، مكة ، ١٤٠٤هـ.

٣٣- الإرشاد إلى سبيل الرشاد (في فقه الإمام أحمد) : للشريف محمد بن أحمد بن أبي موسى الهاشمي الحنبلي ،(ت ٤٢٨هـ) تحـ : د/ عبد الله التركي ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ١٤١٩هـ ، مج١ .

٣٤- الإرشاد في معرفة علماء الحديث : الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني أبو يعلى (ت: ٤٤٤هـ) ، ط، مكتبة الرشد، الأولى: ١٤٠٩هـ . تحـ : د/ محمد سعيد عمر إدريس.

٣٥- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: ناصر الدين الألباني. بيروت: المكتب الإسلامي،ط٢، ١٤٠٥هـ.

٣٦- الأزهية في علم الحروف: للهرويّ، تحـ: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق: ١٩٧٢م.

٣٧- أسباب نزولِ القرآن: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، اعتمدت على طبعةِ: السيد أحمد صقر، في مج١ . ط٣، دار القبلة بجدة، ١٤٠٧هـ. و على طبعة دار الميمانِ للنّشر و التوزيع ، الرّياض ، ط ١- ١٤٢٦هـ تحـ د. ماهر ياسين الفحل.

٣٨- الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار : لابن قدامة المقدسي ، ط . دار الفكر ، بيروت - بدون تاريخ .

٣٩- الاستذكار في مذاهبِ علماءِ الأمصار : لابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ) ط . دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى -١٤٢١هـ . كما اعتمدتُ على طبعة د/ قلعجي.

٤٠- الاستيعاب في معرفةِ الأصحاب: لابن عبد البر: تحـ. علي محمد معوض ، و عادل عبد الموجـود. بـيروت: دار الكتب العلمية. ط١، ١٤١٥هـ.

٤١- أسد الغابة في معرفة الصّحابة: عز الـدين بـن الأثـير أبـو الحـسن الجـزري : (ت: ٦٣٠هــ) ط. دار الفكـر ، بيروت، بدون تاريخ.

٤٢- الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير للـدكتور : محمـد محمـد أبـو شـهبة ، ط. مكتبـة الـسنة، ط ٤ ١٤٠٨هـ.

٤٣- أسرار العربية: لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، ط . المجمع العلمي العربي بدمشق -١٣٧٧هــ تحـ: محمد بهجة البيطار .

٤٤- الأسماء و الصفات: أحمـد بـن الحـسين البيهقـي (ت: ٤٥٨هــ) ط. مكتبـة الـسوادي بجـدة، تحــ: عبـد الله الحاشدي.

٤٥- الأشربة للإمامِ أحمد بن حنبل، ط . مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، - ١٤٠٥هـ. تحـ : عبد الله حجاج .

٤٦- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط . دار الجيل، بيروت -١٤١٢هــ - الطبعـة الأولى ، تحــ علي محمد البجاوي. كما اعتمدت على مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لطبعة مطبعة السعادة: ١٣٢٨هـ. في: ٤مج.

٤٧- إصلاح المنطِق .لابن السكّيت . تحقيق: أحمد شاكر و عبد السلام هارون. ط٥، مصر دار المعارف، ١٩٨٧م.

٤٨- إصلاح الوجوه و النظائر : للدامغاني الحـسين بـن محمـد . تحــ:عبـد العزيـز سـيد الأهـدل. ط، دار العلـم للملايين. ط٤ ١٩٨٣م

٤٩- إصلاح غلط المحدثين : حمد بن محمد بـن إبـراهيم الخطـابي البـستي . دار المـأمون للـتراث، ط ١، دمـشق، ١٤٠٧هـ.

٥٠- الأصمعيّات: قصائد جمعها الأصمعي عبد الملك بن قُريب (ت: ٢١٦هـ). تحـ : أحمد شاكرو عبـد الـسلام هارون.

٥١- أصول الدين: لعبد القاهر البغداديّ ، دار الكتب العلمية، بيروت : ط٢: ١٤٠٠هـ. كما اعتمدت على طبعة دار المدينة للطباعة، بيروت ، عن طبعة الدولة . باستانبول. ١٣٤٦هـ.

٥٢- أصول السرخسي : محمـد بـن أحمـد بـن أبي سـهل السرخـسي أبـو بكـر (٤٩٠هــ)، دار المعرفـة، بـيروت ، ١٣٧٢هـ.تحـ : أبو الوفاء الأفغاني.

٥٣- الأصول في النحو ، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحـوي البغـدادي،(ت : ٣١٦هــ)، نـشر ، مؤسـسة الرسالة، ١٩٨٨،الطبعة ، الثالثة، تحـ : د.عبد الحسين الفتلي.

٥٤- الأضداد : لمحمد بن القاسم الأنباري ، ط . المكتبة العصرية ، صيدا – ١٤٠٧هـ – تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم .

٥٥- أضواء البيانِ في إيضاحِ القرآن بالقرآن : للشّيخ محمّد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٥هـ.

٥٦- أطراف الغرائب و الأفراد من حديث رسول الله : للدارقطني ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت – ١٩٩٨م ، تحـ : محمود نصار و السيد يوسف أحمد .

٥٧- إظهار الحق للعلامة رحمة الله الهندي ، ط . الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، الرياض –١٤١٠هـ – تحـ : الدكتور محمد أحمد ملكاوي.

٥٨- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: للبيهقي(ت: ٤٥٨هـ)، تحـ : أحمد عصام الكاتب . دار الآفاق الجديدة، بيروت. مج١. و طبعة أخرى: طبعة دار الفضيلة، الرياض- ١٤٢٠هـ. تحـ: أحمد أبو العينين. ١مج.

٥٩- إعجاز القرآن : للباقلاني ، ط . دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، تحـ: السيد أحمد صقر .

٦٠- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية : للرافعي ، ط . دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة التاسعة – ١٣٩٣هـ.

٦١- إعراب القراءات السبع لابن خالويه ، ط . مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الأولى –١٤١٣هـ- تحـ: الدكتور عبد الرحمن العثيمين .

٦٢- إعراب القرآن لابي جعفر أحمد بن محمد النحاس ، ط . عالم الكتب بيروت الطبعة الثالثة –١٤٠٩هـ- تحـ: الدكتور زهير غازي زاهد .

٦٣- أعلام الحديث شرح صحيح البخاري: للخطابي حمد بن محمد (ت: ٣٨٨هـ) ، تحـ: د/ محمد بن سعد آل سعود. ط. معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى.

٦٤- إعلام الموقِّعين عن ربّ العالمين لابن القيم الجوزية ، ط . دار الجيل بيروت – بدون تاريخ ، تحـ : طه عبد الرؤوف سعد .

٦٥- أعلام النبوة: للماوردي أبي الحسن ، تحـ: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٨٧م.

٦٦- الأعلام لخير الدّين الزركلي ط. دار العلم للملايين، بيروت – الطبعة الثامنة- ١٩٨٩م.

٦٧- إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان لابن القيم الجوزية ، ط . المكتب الإسلامي ،بيروت ، الطبعة الثانية – ١٤٠٩هـ ، تحـ : محمد عفيفي.

٦٨- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ط . دار احياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ.

٦٩- اقتضاء العلم العمل. للخطيب البغدادي، تحـ : ناصر الألباني: ط٤ – ١٣٩٧ هـ.

٧٠- الاقتضاب شرح أدب الكتاب: لابن السِّيد البطْليوسيّ ، طبعة مصورة، دار الجيل ، بيروت، ١٩٧٣م .

٧١- الإقناع في القراءاتِ السّبع : لابن الباذِش أحمد بن عليّ ، (ت: ٥٤٠هـ)، تحـ: د/ عبد المجيد قطـامش، ط١، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ.

٧٢- الإقناع : للإمام أبي بكر محمد بن المنذر(ت : ٣١٨هـ)، تحـ : د / عبد الله الجبرين ، ط الأولى ١٤٠٨ هـ .

٧٣- الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع : للشيخ محمد الشربيني الخطيـب ، ط . دار احيـاء الكتـب العربيـة بمـصر – بدون تاريخ .

٧٤- الإكليل في استنباط التنزيل: للسيوطي (ت:٩١١هـ). تحـ: د/ عـامر العـرابي، ط. دار الأنـدلس الخـضراء، جدة، ط١. ١٤٢٢هـ.

٧٥- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم : للقاضي عياض السبتي: (ت٥٤٤هـ)، ط. دار الوفـاء، المنـصورة، ط١ ، ١٤١٩هـ . تحـ: د/ يحيى اسماعيل.

٧٦- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال : لعلاء الدين مغلطاي بن قليج الحنفـي (ت: ٧٦٢هــ). تحــ: عـادل محمد و أسامة إبراهيم ، نشر الفاروق الحديثة للطباعة ،١٤٢٢هـ.

٧٧- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف. الحافظ ابن مـاكولا (ت: ٤٧٥ هــ)، دار الكتـب العلميـة ، بيروت، ١٤١١هـ.

٧٨- الأم. للشافعي، ط . دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية – ١٣٩٣هـ.

٧٩- أمالي ابن الشجري لهبـة الله بـن عـلي الحـسني العلـوي ، نـشر مكتبـة الخـانجي بالقـاهرة ، الطبعـة الأولى – ١٤١٣هـ- تحـ : د/ محمود محمد الطناحي.

٨٠- أمالي المرتضى: للمرتضى علي بن الحسين. تحـ: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ، ١٩٥٤م.

٨١- الأمالي: لأبي علي القالي ، ط. دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان، بدون تاريخ. و معه، ذيل الأمالي للبكري.

٨٢- الأمثال في القرآن: لابن القيم : (٧٥١هـ)، طنطا ، مصر- ١٤٠٦هـ. ج١.

٨٣- إملاء ما منّ به الرحمن: للعكبري ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى – ١٣٩٩هـ .

٨٤- الأموال : أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ)، دار الفكر ، بيروت، ١٤٠٨هـ. تحـ : خليل محمد هراس.

٨٥- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للوزير أبي الحسن علي القفطـي ، تحــ : محمـد أبـو الفـضل إبـراهيم ، ط : دار الكتب المصرية ١٣٨٧ هـ ، و طبعة دار الفكر العربي ، القاهرة، سنة ١٤٠٦ هـ ، مج٤

٨٦- الانتصار للقرآن : للقاضي أبي بكر بن الباقلاني : (ت: ٤٠٣هـ)، ط، مؤسسة الرسالة، بـيروت ، تحــ : عمـر القيام. ط١ -١٤٢٥هـ.

٨٧- الأنساب : للسّمعاني عبد الكريم محمد (ت: ٥٦٢هـ)، تحـ: عبد الـرحمن المعلمـي الـيماني ، ط١، حيـدر آبـاد ١٣٨٣هـ.

٨٨- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين: لابن الأنباري أبو البركات كمال الدين (ت: ٥٧٧هـ). تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة، ط . مطبعة الاستقامة، ١٣٦٤هـ. ٢مج.

٨٩- أنوار التنزيل و أسرار التأويل للبيضاوي أو تفسير البيضاوي ، ط . دار الجيل – بدون تاريخ . و طبعة دار الفكر ، بيروت. ٥مج.

٩٠- الأوائل : لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ – ١٤٠٧هـ

٩١- الأوسط :لابن المنذر (ت: ٣١٨هـ) تحـ: د/ صغير أحمد حنيف ، ط . دار طيبة، ط ٢ - ١٤٢٤هـ ، و لم يكتمل.

٩٢- أوضح المسالك = التصريح شرح التوضيح (شرح لأوضح المسالك على ألفية ابن مالك لابن هشام.

٩٣- الإيضاح في الوقف و الابتداء : للإمام ابن الأنباري محمد بن القاسم ، (ت : ٣٢٨هـ) – تحـ – محي الدين رمضان مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٠م ، مج٢ .

٩٤- الإيمان الكبير: لشيخ الإسلام ابن تيمية. ط، دار الكتب العلمية، ١٤-٣هـ. و هو أيضا مطبوعٌ ضمن الفتاوى .

٩٥- الإيمان: محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده. مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٦هـ. ط ٢ ، تحـ. د: علي محمد فقيهي.

٩٦- بحر العلوم للسمرقندي وهو تفسير السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد. ط،دار الفكر ، بيروت، تحـ: د/ محمود مطرجي.

٩٧- البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان ، (ت : ٧٤٥هـ) ، مصورة دار الفكر عن طبعة السلطان عبد الحفيظ سلطان المغرب – ١٣٢٨هـ . مج٨ .

٩٨- البحرالزخّار المعروف بمسند البزار: أبو بكر أحمد بن عمر الحافظ . تحـ. محفوظ الرحمن . المدينة المنورة. مكتبة العلوم و الحكم. ط١. ١٤٠٩هـ. و صدرت أجزاؤه في سنوات متفرقة.

٩٩- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع : للكاساني علاء الدين أبي بكر بن مسعود الحنفي الملقب بملك العلماء (ت : ٥٨٧هـ) ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ .

١٠٠- بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية: (ت: ٧٥١هـ)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت.

١٠١- بداية المجتهد و نهاية المقتصد: للإمام محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي الشهير(بابن رشد الحفيد) ، ط . دار التوفيق النموذجية بمصر -١٤٠٣هـ ، الطبعة الثانية، راجع أصوله وعلق عليه عبد الحليم محمد عبد الحليم .

١٠٢- البداية والنهاية: : لابن كثير عماد الدين سماعيل بن كثير ، (ت : ٧٧٤هـ) ،ط، مكتبة المعارف بيروت – بدون تاريخ -. وطبعة أخرى هي– ط – دار الريان للتراث ١٤٠٨هـ – تحـ – د – أحمد أبو ملحم و آخرين مج١٤.

١٠٣- البدور الزاهرة :للشيخ عبد الفتاح القاضي: (ت: ١٤٠٣هـ). ط١، مكتبة الدار المدينة المنورة، ١٤٠٤هـ.

١٠٤- البدور السافرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة: للسيوطي، ط، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١١هـ. ط١.

١٠٥- البرهان في أصول الفقه: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي (ت: ٤٧٨هـ)، د. عبد العظيم محمود الديب ،ط ٤، المنصورة، مصر.

١٠٦- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة و البيان لأبي القاسم محمود الكرماني ، ط . مركز الكتاب للنشر، القاهرة ، تحـ : د / السيد الجميلي .

١٠٧- البرهان في علوم القرآن : للزركشي ، ط . دار المعرفة –بيروت– ١٤١٥هـ تحـ د. يوسف المرعشلي و جمال حمدي و إبراهيم الكردي .

١٠٨- بصائر ذوي بصائر ذوي التمييز : للفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: (ت: ٨١٧هـ).تحـ محمد النجار. بيروت: المكتبة العلمية. بدون تاريخ.

١٠٩- البعث و النشور: للبيهقي أحمد بن الحسين: (ت: ٤٥٨هـ). تحـ: عامر حيدر. بيروت، مركز الخدمات و الأبحاث الثقافية، ط١، ١٤٠٦هـ.

١١٠- بغية الباحث في زوائد مسند الحارث: للهيثمي، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، ١٤١٣هـ. ط ١.

١١١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة : للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، (ت : ٩١١هـ) –تحـ– محمد أبو الفضل إبراهيم – نشر المكتبة العصرية – بيروت . مج٢ .

١١٢- البيان في مذهب الأمام الشافعي للعمراني ، ط ، دار المنهاج ، تحـ قاسم محمد النوري.

١١٣- بيان تلبيس الجهمية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحـ: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. مطبعة الحكومة.

١١٤- البيان في عد آي القرآن : للإمام الداني أبي عمرو عثمان بن سعيد ، (ت : ٤٤٤هـ) – تحـ – د – غانم قدوري الحمد منشورات مركز المخطوطات والتراث الكويت – ط – الأولى ١٤١٤هـ .

١١٥- البيان في غريب إعراب القرآن : لأبي البركات ابن الأنباري ، عبد الرحمن بن محمد ، (ت : ٥٧٧هـ) تحـ :د- طه عبد الحميد ومصطفى السقا ، ط . الهيئة المصرية العامة ١٤٠٠هـ ، مج٢

١١٦- البيان و التبيين: للجاحظ. في ٤مج. تحقيق: عبد السلام هارون، ط٥، مكتبة الخانجي بالقاهرة: ١٤٠٥هـ.

١١٧- تاج العروس شرح القاموس : للزبيدي محمد بن محمد الملقب بالمرتضى أبو الفيض اللغوي المحدث ، (١٢٠٥هـ) - تصوير دار مكتبة الحياة - ١٠مج ضخام .

١١٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : الحافظ شمس الدين الذّهبي، تحـ: الدكتور: عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١١٩- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : الحافظ شمس الدين الذّهبي. تحـ: د/ بشار عواد، ط. دار الغرب الإسلامي.

١٢٠- التاريخ الأوسط: محمد بن اسماعيل البخاري، تحـ: محمود إبراهيم زايد ،ط، دار الوعي ، حلب ، سورية. ١٩٩٧هـ.

١٢١- تاريخ ابن خلدون = العبر وديوان المبتدأ و الخبر .

١٢٢- تاريخ ابن معين (رواية الدوري): يحيى بن معين أبو زكريا: (ت: ٢٣٣ هـ).ط، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة ١٣٩٩ - ١٩٧٩.ط: الأولى، عدد الأجزاء : ٤، تحـ: د. أحمد محمد نور سيف. تاريخ ابن الوردي (تتمة المختصر في أخبار البشر) : لزين الدين عمر بن الوردي الشافعي ، (ت : ٧٤٩هـ) - ط- الثانية ١٣٨٩ هـ المطبعة الحيدرية بالنجف ، مج٢ .

١٢٣- تاريخ أبي زرعة الدمشقي للإمام عبد الرحمن بن صفوان النصري، ط . دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى . -١٤١٧هـ- تحـ خليل المنصور .

١٢٤- تاريخ البخاري الكبير: محمد بن اسماعيل البخاري إمام الحفاظ ، (ت : ٢٥٦هـ) - تصوير دار الكتب العلمية - لطبعة حيدر آباد الهندية - مج٨ .

١٢٥- تاريخ بغداد أو مدينة السلام للخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي ، (ت : ٤٦٣هـ) - نشر -دار الكتب العلمية -بيروت ، مج١٤ و طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، تحـ ، عبد القادر مصطفى عطا ١٤١٧ هـ ، مج٢٤ مع ذيوله .

١٢٦- تاريخ خليفة بن خياط : لخليفة بن خياط ، (ت : ٢٤٠ هـ)ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، - تحـ - د / أكرم ضياء العمري - ط - الثالثة - ١٤٠٥هـ ، مج١ .

١٢٧- تاريخ الطبري : محمد بن جرير الطبري أبـو جعفـر(٣١٠هــ) ط، دار الكتـب العلميـة بـيروت: ١٤٠٧هـ. ط١. ٥مج.

١٢٨- تاريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن بن عساكر (٥٧١هـ) .ط، دار الفكر . بيروت، تحـ: عمـر بـن غرامة

العمروي. ١٤١٥هـ.

١٢٩- تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحـ: السيد أحمد صـقر. القـاهرة : دار التراث، ط٢، ١٣٩٣هـ.

١٣٠- التبصرة في أصول الفقه: لأبي إسحاق الشيرازي (ت: ٤٧٦هـ). تحـ : د. محمـد حـسن هيتـو.ط. دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ. ط١.

١٣١- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه : للحافظ أحمد بن علي ابن حجر ، (ت : ٨٥٢هـ) تحـ : علي محمد البجاوي ، الدار العلمية دلهي- ١٤٠٦ هـ الطبعة الثانية . مج٤ .

١٣٢- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين:طاهر بن محمد الإسفراييني. تحــ : كـمال يوسـف الحوت، عالم الكتب ، بيروت، ١٩٨٣، ط ،الأولى.

١٣٣- التبيان في إعراب القرآن: و يسمّى أيضا إملاء ما منّ به الرحمن: لأبي البقاء محب الدين عبد الله العكبري : (ت: ٦١٦ هـ). دار إحياء الكتب العربية ،تحـ: علي محمد البجاوى .

١٣٤- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن: للزملكاني تحـ: خديجة الحديثي و أحمد مطلـوب. ط، مطبعة العاني، بغداد- ١٣٨٣هـ. / ١٩٦٤م.

١٣٥- تبيين كذب المفتري : علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (٥٧١هـ)، ط. دار الكتـاب العربي، بيروت- ١٤٠٤هـ .

١٣٦- التجريد لبغية المريد في القراءات السبع: لابن الفحام الصقلي (ت: ٥١٦هــ.) تحــ: د/ ضـاري الدوري. مج١. ط. دار عمار، الأردن ، ط١ . ١٤٢٢هـ.

١٣٧- تحبير التيسير : للإمام محمد بن محمد ابـن الجـزري (ت: ٨٣٣هــ). علـق عليـه: محمـد الـصادق قمحاوي و عبد الفتاح القاضي.ط. دار الوعي بحلب. ١٣٩٢هـ.

١٣٨- التّحبير شرح التحرير في أصول الفقه: لأبي الحسن علاء الدِّين علي بن سليمان المرداوي الحنـبلي ، ط، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ. – ٢٠٠٠م.

١٣٩- التحبير في التذكير شرح أسماء الله الحسنى : لعبد الكريم بن هوازن القشيري (أبو القاسم) ، ط . دار الكتب العلمية، بيروت – ١٩٩٩م ، وضع حواشيه عبد الوارث محمد علي .

١٤٠- التحبير في المعجم الكبير: أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور السمعاني: (ت: ٥٦٢ هـ) ج١. تحـ: منيرة ناجي سالم.

١٤١- التحرير و التنوير : للشيخ العلامة محمد الطاهر بن عاشور. الدار التونسية للنشر و الدار الجماهيرة للنشر. بدون تاريخ.

١٤٢- تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي : لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري ، (ت : ١٣٥٣هـ) – ط – حجرية – أربع مجلدات ضخام ، نشر دار الكتاب العربي لبنان . مصورة عن الطبعة الهندية الحجرية. و طبعة دار الكتب العلمية – بيروت- ١٠مج.

١٤٣- تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج : لابن الملقن (ت : ٨٠٤هـ) ، ط . دار حراء ، ط١ – ١٤٠٦ هـ تحـ : د / عبد الله بن سعاف اللحياني .

١٤٤- التحقيق في أحاديث الخلاف : لجمال الدين عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي ، (ت : ٥٩٧هـ) – ط – دار الكتب العلمية بيروت – تحـ – مسعد السعدني وآخر ١٤١٥هـ . مج٢ .

١٤٥- تخريج الأحاديث و الآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري للحافظ جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي. اعتنى به: سلطان الطبيشي. الرياض: دار ابن خزيمة، ط١، ١٤١٤هـ.

١٤٦- التدوين في أخبار قزوين للرافعي ، ط دار الكتب العلمية بيروت – ١٩٨٧م – تحـ عزيز الله العطاردي.

١٤٧- التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة : للقرطبي. ط. المكتبة التفيقية، مصر.بدون تاريخ. ١مج.

١٤٨- التذكرة في القراءات لأبي الحسن طاهر بن غلبون ، ط، الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة الطبعة الثانية -١٤١١هـ- تحـ :الدكتور: عبد الفتاح بحري إبراهيم.

١٤٩- تذكرة الموضوعات : للفتني الهندي ، ط . دار إحياء التراث العربي ، بيروت – ١٣٩٩هـ .

١٥٠- الترغيب و الترهيب: للمنذري ، ط . دار ابن كثير ، بيروت ، ط١ – ١٤١٤هـ ، تحـ : محيي الدين ديب مستو و آخرون .

١٥١- التسهيل لعلوم التنزيل : لابن جزي محمد بن أحمد الكلبي ، ط . دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٤ – ١٤٠٣هـ .

١٥٢- التصريح شرح التوضيح (شرح لأوضح المسالك على ألفية ابن مالك لابن هشام) : للشيخ خالد بن عبد الله بن أبي بكر الجرجاوي الأزهري (ت ٩٠٥هـ) ، ط ، دار الفكر ، بيروت . مج٢.

١٥٣- التّصرِيف لأبي عثمان المازني= المنصف شرح التصريف لابن جني

١٥٤- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، ط دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى -١٤٠٥هـ - تحـ : إبراهيم الأنباري.

١٥٥- تعظيم قدر الصلاة: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله . ط، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ. ط١. تحـ: د: عبد الرحمن الفريوائي.

١٥٦- تغليق التعليق : لابن حجر العسقلاني، تحـ: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي. ط١، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ. بيروت.

١٥٧- تفسير ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي (ت: ٣٢٧هـ). تحـ: أسعد محمد الطيب، مكة، نشر مكتبة نزار الباز: ط١: ١٤١٧هـ.

١٥٨- تفسير ابن الجوزي= زاد المسير

١٥٩- تفسير ابن عباس ، المسمى (تنوير المقابس) : محمد يعقوب الفيروز آبادي ، ط . مكتبة البابي الحلبي ، مصر – ١٣٧٠هـ ، ط ٢ .

١٦٠- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز

١٦١- تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السليم

١٦٢- تفسير الآلوسي = روح المعاني

١٦٣- تفسير البحر المحيط = البحر المحيط لأبي حيان

١٦٤- تفسير البغوي = معالم التنزيل

١٦٥- تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل و أسرار التأويل

١٦٧- تفسير الثعلبي = الكشف و البيان

١٦٨- تفسير الراغب الأصفهاني من أول سورة آل عمران و حتى نهاية الآية: ١١٣: رسالة دكتوراه: تحـ: الدكتور: عادل الشدي. ط. مدار الوطن.١٤٢٤هـ. ٢مج.ط١.

١٦٩- تفسير الزمخشري = الكشّاف

١٧٠- تفسير السمرقندي = بحر العلوم

١٧١- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن

١٧٢- تفسير العز بن عبد السلام: العزّ بن عبد السلام وهو مختصر من تفسير أبي الحسن الماوردي.

١٧٣- تفسير القرآن العزيز لابن أبي زَمَنِين ، ط، دارالفاروق الحديثة للطباعة و النشر بالقاهرة الطبعة الأولى -١٤٢٣هـ- تحـ: أبي عبد الله حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى الكنز .

١٧٤- تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ، ط دار المعرفة -بيروت- الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ . ٤مج. و أيضا اعتمدت على: ط ، دار طيبة ، الرياض، الطبعة الأولى -١٤٢٢هـ - تحـ :سامي محمد السلامة.

١٧٥- تفسير القرآن: لأبي المظفر السمعاني ، ط، دار الوطن للنشر الرياض الطبعة الأولى -١٤١٨هـ - تحـ: أبي تميم ياسر بن إبراهيم و أبي بلال غُنيم بن عباس.٥مج.

١٧٦- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن

١٧٧- تفسير القشيري = لطائف الإشارات

١٧٨- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: للرازي ، ط . دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى- ١٤٢١هـ- ٣٢مجلد+ فهارس.

١٧٩- تفسير الماوردي = النكت و العيون

١٨٠- تفسير عبد الرزاق للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، ط. دار الكتب العلمية الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ- تحـ : د. محمود محمد عبده .

١٨١- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، ط ،دار الكتب العلمية، بيروت – ١٣٩٨هـ - تحـ: السيد أحمد صقر .

١٨٢- تفسير مجاهد بن جبر: تحـ: د/ محمد أبو النيل . مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة. ط١، ١٤١٠هـ.

١٨٣- تفسير مقاتل : مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي : (ت: ١٥٠هـ)، ط. دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى -١٤٢٤هـ - تحـ : أحمد فريد.

١٨٤- تقريب التهذيب: للحافظ ابن حجر العسقلاني(٨٥٢هـ) ، تحـ ، محمد عوامة ، ط ، دار ابن حزم ١٤٢٠هـ.

١٨٥- التقييد: أبو بكر محمد بن عبد الغنيّ ابن نقطة ، ط. دار الحديث ، بيروت،١٤٠٧هـ. ٢مج.

١٨٦- تكملة الإكمال لابن نقطة ، ط . جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية و إحياء التراث ، مكة المكرمة، الطبعة الأولى –١٤١٠هـ - تحـ : د / عبد القيوم عبد رب النبي .

١٨٧- تلبيس إبليس: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (٥٩٧هـ). تحـ: السيد الجميلي ط. دار الكتاب العربي . بيروت : الأولى :١٤٠٥ هـ.

١٨٨- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير : للحافظ أحمد بن علي ابن حجر ، (ت : ٨٥٢هـ) – تحـ – عبد الله هاشم يماني – ١٣٨٤هـ . مج٢ ، ج٤ .

١٨٩- تلخيص المتشابه في الرسم و حماية ما أشكل منه : الخطيب البغدادي. تحـ: محمد حسن اسماعيل. ط. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. ٢٠٠٣م. ١مج.

١٩٠- التلخيص للذهبي على المستدرك = المستدرك للحاكم

١٩١- التمثيل و المحاضرة: للثعالبي ، مج١ . ط. دار مكتبة الهلال - بدون تاريخ ، تحـ : قصي الحسين .

١٩٢- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم أبو بكر الباقلاني: (ت:٤٠٣ هـ).دار النشر ، مؤسسة الكتب الثقافية، مدينة النشر : بيروت، ١٩٨٧ ط١، تحـ: عماد الدين أحمد حيدر.

١٩٣- التمهيد في أصول الفقه : لأبي الخطاب الكلوذاني الحنبلي . تحـ: د/ مفيد عميشة و محمد علي إبراهيم. ط١، ١٤٠٦هـ. نشر جامعة أمّ القرى.

١٩٤- التمهيد في علم التجويد: لابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، ط، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى -١٤٠٥هـ- تحـ: الدكتور/ علي حسين البواب.

١٩٥- التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الهمذاني ، ط ، دار عمار ، تحـ: د / غانم قدوري، ١٤٢٠هـ

. ١٩٦- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : لحافظ المغرب يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البر ،

(ت :٤٦٣هـ) ، ط . بالرباط ١٣٨٧ هـ تحـ: - مصطفى علوي وسعيد أحمد أعراب وآخرين.

١٩٧- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين: للصفاقسي علي بن محمد (ت : ١١١٨هـ) ،ط . مؤسسة الكتب الثقافيه ، ط ١- ١٤٠٧هـ ، مج١ .

١٩٨- تنبيه الغبي إلى كفر ابن عربي: برهان الدين البقاعي . مكتبة المؤيد. الرياض.تحـ: عبد الرحمن الوكيل.

١٩٩- تنقيح التحقيق: لشمس الدين محمدبن أحمد ابن عبد الهادي الحنبلي ، (ت : ٧٤٤هـ) - ط - المكتبة الحديثة الإمارات العربية ١٤٠٩ هـ - تحـ - د / عامر صبري . مج٢ .

٢٠٠- تنوير الحوالك على موطأ الإمام مالك: للسيوطي ، ط،المكتبة التجارية الكبرى. مصر: ١٣٩٨هـ. ٢مج.

٢٠١- تهذيب اللغة : لأبي منصور الأزهري محمد بن أحمد ، (ت : ٣٧٠هـ) - تحـ - عبد السلام هارون ومحمد النجار و غيرهما ، ط. المؤسسة المصرية العامة للتأليف ١٣٨٤هـ ، مج ١٧ بالمستدرك والفهارس .

٢٠٢- تهذيب الآثار: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) تحـ : محمود شاكر . ط. مطبعة المدني . ١٩٨٢م

٢٠٣- تهذيب الأسماء واللغات : للإمام النووي يحي بـن شرف الـدين ، (ت: ٦٧٦ هـ) ، ط .دار الكتب العلمية ، بيروت . مج٣ .

٢٠٤- تهذيب التهذيب : للحافظ أحمد بن علي ابن حجـر ، (ت : ٨٥٢هـ) -ط-دائـرة المعـارف بالهند – ١٣٢٥هـ . مج١٢ .

٢٠٥- تهذيب الخواص من درّة الغواص لمحمد بن المكرم بن منظور الأنصاري ، ط . نادي مكة الأدبي ، الطبعة الأولى .

٢٠٦- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: الحافظ أبو الحجاج يوسف المزّي ، ط مؤسـسة الرسـالة بـيروت الطبعة الأولى -١٤١٣هـ- تحـ : د.بشار عواد معروف. مج ٣٥ .

٢٠٧- توجيه اللمع: أحمد بن الحسين ابن الخباز شرح على كتاب اللمع لابن جنّي . تح: د/ فايز دياب ، ط. دار السلام . القاهرة ، ط١، ١٤٢٣هـ. ١مج.

٢٠٨- التوحيد: لابن خزيمة محمد بـن إسـحاق (ت: ٣١١هـ) ، ط. مكتبـة الرشـد ، الريـاض، ط٦: ١٤١٨هـ ، ٢مج.

٢٠٩- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة و أنسابهم و ألقـابهم و كنـاهم : لابـن نـاصر الـدين ، ط . مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الأولى – ١٤١٤هـ - تحـ: محمد نعيم العرقسوسي

٢١٠- التوقيف على مهمات التعاريف: لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، ط . دار الفكر المعاصر ، بيروت ، و طبعـة دار الفكر دمشق ، الطبعة الأولى – ١٤١٠هـ - تحـ : الدكتور محمد رضوان الداية .

٢١١-تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد الشيخ: سليمان بـن عبـد الله بـن محمـد بـن عبـد الوهـاب : (ت: ١٢٣٣هـ) . ط"مكتبة الرياض الحديثة ، ج١ .

٢١٢- التيسير في القراءات السبع : للداني ، عني بتصحيحه : أوتو رتزل، استانبول، ١٩٣٠م.

٢١٣- الثقات : لمحمد بن حبان البستي ، (ت : ٣٥٤هـ) ، ط . مجلس دائرة المعـارف العثمانيـة - ١٣٩٣هــ تصوير مؤسسة الكتب الثقافية ، ٨ج + ١ج فهارس .

٢١٤- ثلاث رسائل للقـشيري: تحــ: د/ د: محمـود سـعد الطـبلاوي . طبعـت بمطبعـة الأمانـة ط١ .بالقـاهرة : ١٤٠٩هـ. في : ٧٩صفحة.

٢١٥- ثِمار القلوب في المضاف و المنسوب : للثّعالبي أبي منصور عبد الملك بن محمد (٤٢٩هـ) . تحــ: محمـد أبـو الفضل إبراهيم ، ط. دار المعارف. مصر.

٢١٦- جامع بيان العلم لابن عبد البر ، ط . المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، ط ٢ –١٣٨٨هــ تحــ : عبـد الـرحمن محمد عثمان.

٢١٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ط دار هجر الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ- تحـ : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر . وطبعة مكتبة البابي الحلبي بمصر الطبعة الثالثة -١٣٨٨هـ- .

٢١٨- جامع التحصيل في أحكام المراسيل: للعلائي، ط . مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ تحـ: حمدي عبد المجيد السلفي

٢١٩- جامع العلوم و الحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلِم لابن رجب ، ط ،مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية -١٤١٢هـ - تحـ: شعيب الأرناؤوط، و إبراهيم باجس.

٢٢٠- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ط دار الفكر بيروت الطبعة الأولى –١٤٠٧هـ.

٢٢١- الجامع لأخلاق الراوي و آداب السامع : الخطيب البغداديّ. تح: د/ محود الطحان. ط. مكتبة المعارف . الرياض. ١٤٠٣هـ.

٢٢٢- الجامع لمعمر = مصنف عبد الرزاق

٢٢٣- الجرح والتعديل : لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، (ت : ٣٢٧ هـ)–ط- دائرة المعارف العثمانية ١٣٧٢هـ الأولى . مج ٩ ،ج٩.

٢٢٤- الجعديات حديث علي بن الجعد الجوهريّ (ت: ٢٣٠هـ) تأليف : عبد الله بن محمد البغوي: (ت:٣١٧هـ). ط. مكتبة الخانجي ، القاهرة- ١٤١٥هـ. تحـ: د/ رفعت فوزي .

٢٢٥- الجليس الصالح الكافي للمعافى النهرواني ، ط . عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى – ١٤٠٧هـ - تحـ الدكتور إحسان عباس.

٢٢٦- جمال القرّاء وكمال الإِقراء للسّخاوي ، ط ،مكتبة التّراث مكة المكرمة الطبعة الأولى -١٤٠٨هـ - تحـ: . د. علي حسين البوّاب.

٢٢٧- الجمع بين رجال الصحيحين : محمد بن طاهر القيسراني . مصورة. دار الكتب العلمية ، بيروت.٢مج.

٢٢٨- جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحـ: علي محمد البجاوي، ط الأولى: دار نهضة مصر- القاهرة. بدون تاريخ.

٢٢٩- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ، ط . دار الجيل ، بيروت ، ط ٢ –١٤٠٨هـ ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش .

٢٣٠- جمهرة أنساب العرب : لابن حزم ، تحقيق، عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط، ١، ١٩٦٧م.

٢٣١- جمهرة اللغة ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، (ت : ٣٢١ هـ) –تحـ–د–رمزي البعلبكي –ط–دار العلم للملايين الأولى ١٩٨٧م ، مج٣ .

٢٣٢- جمهرة النسب: للكلبي أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت: ٢٠٤هـ) .ط، عالم الكتب.بيروت. ط١ ، ١٤١٣هـ. تحـ: د/ ناجي حسن.

٢٣٣- الجنى الداني في حروف المعاني: للمرادي ، تحقيق د/ فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية بحلب، ١٩٧٣م.

٢٣٤- الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح: لشيخ الإسلام بن تيمية الحراني. ط، دار العاصمة، الرياض، تحـ: د.علي حسن ناصر،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر ،د. حمدان محمد. ٦ج.

٢٣٥- جواهر الأدب: و اسمه: جمع الجواهر في الملح و النوادر : للقيراوني الحصري. ط. دار الجيل. بيروت. ط٢. تحـ : علي البجاوي. بدون تاريخ.

٢٣٦- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ، ط . دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٠٥هـ - تحـ د. السيد الجميلي

٢٣٧- حاشية الإمام ابن القيم على سنن أبي داود: و اسمه الصحيح تهذيب سنن أبي داود : لابن القيم، تح: أحمد شاكر و محمد حامد الفقي. ط. دار المعرفة ، بيروت. بدون تاريخ.

٢٣٨- حاشية الطيبي على الكشاف = الكشاف

٢٣٩- الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي : لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت : ٤٥٠هـ) –تحـ–علي معوض وعادل عبد المجيد –ط–دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٤ هـ . ١٨ مج + ٢مج المقدمة والفهارس.

٢٤٠- حجة القراءات: لابن زنجلة أبو زرعة ، تحـ: سعيد الأفغاني. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٢٤١- الحجة في القراءات السبع :لابن خالويه، تحـ، د. عبد العال سالم مكرم. ط، دار الشروق. ١٤٠١هـ. ط٤.

٢٤٢- الحجة في بيان المحجة: للإمام اسماعيل التيمي الحنبلي(٥٣٥هـ) . ط، دار الراية للنشر والتوزيع، تحـ: د/ محمد بن ربيع مدخلي. ٢مج.

٢٤٣- الحجة للقراء السبعة : لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي . ط. دار الكتب العلمية ، بيروت. ط١- ١٤٢١هـ. ٢مج.

٢٤٤- الحدود في الأصول (الحدود و المواضعات): للأستاذ أبي بكر محمد بن الحسن ابن فورك الأصبهاني ، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت – بدون تاريخ ، قدم له وعلق عليه :محمد السليماني . ج١ .

٢٤٥- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للإمام أبي نعيم الأصبهاني(ت: ٤٣٠هـ)، ط ،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى -١٤٠٩هـ- .

٢٤٦- الحماسة البصرية : للبصري، مصورة عن طبعة: بتحقيق: مختار الدين أحمد ، حيدر آباد ١٩٦٤م.

٢٤٧- الحماسة لأبي تمام بشرح المرزوقي = شرح الحماسة للمرزوقي

٢٤٨- حياة الحيوان: كمال الدين محمد بن موسى للدّمِيريّ (ت: ٨٠٨هـ). ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢مج.

٢٤٩- الحيوان : للجاحظ، تحـ: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى الحلبي.، ط٢، ١٩٥٦م.

٢٥٠- خزانة الأدب و لب لباب لسان العرب : لعبد القادر البغدادي ، ط . مكتبة الخانجي القاهرة ،ط ٢- ١٤٠٩هـ .

٢٥١- الخصائص : لابن جني أبي الفتح عثمان بن جني (ت : ٣٩٢هـ) - تحـ - علي النجار - نشر دار الكتاب العربي ، بيروت . ٣مج .

٢٥٢- خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي: لابن الملقن عمر بن علي. ط، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ. تحـ: حمدي عبد المجيد السلفي.

٢٥٣- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال : للخزرجي ، أحمد بن عبد الله . ، (ت : بعد ٩٢٣هـ) ، اعتنى به ، عبد الفتاح أبو غدة ، ط ٤ ، دار البشائر الإسلامية بيروت ، ١٤١١هـ ، مج١ .

٢٥٤- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي شهاب الدين . تحـ: على محمد معوض و آخرين. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٥٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور : للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت : ٩١١هـ) تصوير - دار المعرفة . عن الطبعة الميمنية الأولى ١٣١٤ هـ ، مج٦

٢٥٦- درء تعارض العقل والنقل : لشيخ الإسلام بن تيمية ، تحـ : د / محمد رشا سالم ، ، ط ، الأولى ، ١٤١٠هـ. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٥٧- درة الغواص في أوهام الخواص: للحريري، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، ١٩٧٥م.

٢٥٨- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، ط . مطبعة المدني جدة ،ط ٣ - ١٤١٣هـ - تحـ محمود محمد شاكر .

٢٥٩- دلائل النبوة : للبيهقي أحمد بن الحسين ، (ت : ٤٥٨هـ)، تحـ : د / عبد المعطي قلعجي -دار الريان للتراث مصر - ط ١ - ١٤٠٨ هـ ، ٧مج ، ٧ج .

٢٦٠- دمية القصر و عصرة أهل العصر : للباخرزي، تحـ: محمد التونجي، حلب ،١٣٤٩هـ.

٢٦١- دول الإسلام: للذهبي. تحـ: فهيم شلتوت : القاهرة، ١٩٧٤م.

٢٦٢- ديوان الراعي النّميري، منشورات المعهد الألماني ببيروت - ١٩٨٠م - تحـ راينهرت فايبرت .

٢٦٣- ديوان جرير ، بشرح محمد بن حبيب ، ط . دار المعارف بمصر - ١٩٦٩م- تحـ د . نعمان محمد أمين.

٢٦٤- ديوان الأحوص ، ط . الهيئة المصرية للتأليف و النشر -١٩٧٠م- تحـ : عادل سليمان جمال .

٢٦٥- ديوان الأخطل ، ط . دار الآفاق الجديدة بيروت ، الطبعة الثانية -١٩٧٩م- تحـ : د/ فخر الدين قباوة .

٢٦٦- ديوان الإسلام : للغزي شمس الدين محمد ، ط، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ. ٤مج.

٢٦٧- ديوان النابغة الذبياني: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط، دار المعارف، مصر. بدون تاريخ.

٢٦٨- ديوان الهذليين : الدار القومية للنشر و الطباعة . مصر . طبعة مصورة. ١٩٦٥م.

٢٦٩- ديوان بشار بن برد ، ط دار الكتب العلمية بيروت،ط١ - ١٤١٣هـ - تحـ: مهدي محمد ناصر الدين.

٢٧٠- ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه: تحـ: د/ سيد حنفي ، ط، القاهرة ١٩٧٤م.

٢٧١- ديوان رؤبة ، جمع وتحقيق وليم بن الورد ، ليبسك ١٩٠٣، طبعة مصورة عنها ، ط. دار الآفاق الجديدة بيروت -١٩٧٩م .

٢٧٢- ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعة أبي العباس أحمد بن يحي الشيباني(ثعلب) ، ط . دار الكتب المصرية، القاهرة -١٣٦٣هـ .

٢٧٣- ديوان طرفة بن العبد، بشرح الأعلم الشنتمري ، ط . مجمع اللغة العربية بدمشق -١٩٧٥م – تحـ درية الخطيب و لطفي الصقال .

٢٧٤- ديوان علقمة الفحل ، ضمن مختارات الشعر الجاهلي = مختار الشعر الجاهلي .

٢٧٥- ديوان عمر بن أبي ربيعة (شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة) ، طبعة مصورة ، ط . دار الأندلس ، بيروت ، تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد .

٢٧٦- ديوان عنترة ضمن مختار الشعر الجاهلي = مختار الشعر الجاهلي

٢٧٧- ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، ط . دار صادر ببيروت – ١٣٨٦هـ -

٢٧٨- ديوان مجنون ليلى قيس بن الملوِّح ، ط . مكتبة مصر بالقاهرة ، تحـ عبد الستار فراج .

٢٧٩- ذمّ المسكر: لابن أبي الدنيا،ط، دار الراية ، الرياض، تحـ: د. نجم عبد الرحمن خلف.

٢٨٠- ذيل الأمالي = الأمالي لأبي علي القالي

٢٨١- رؤوس المسائل في الخلاف: لأبي جعفر عبد الخالق بن عيسى الهاشمي الحنبلي :(٤٧٠هـ) تحـ: د/ عبد الملك بن دهيش ،ط، داخضر بيروت، ١٤٢٢هـ. ٢مج.

٢٨٢- الردُّ على الجهمية: عثمان بن سعيد الدارميّ. تحـ: بدر البدر، ط، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٥هـ.

٢٨٣- الرسائل القشيرية: لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن تحـ: الدكتور: فير محمد حسن. نشر المعهد المركزي

٢٨٤- للأبحاث الإسلامية. باكستان.١ج. و يشتمل على: شكاية أهل السنة ،و كتاب السماع ،و كتاب ترتيب السلوك.

٢٨٥- الرسالة القشيري: عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحـ: عبد الحليم محمود و محمود ابن الشريف بدار الكتب الحديثة في القاهرة عام: ١٣٨٨ هـ، ١٩٦٦ م. و طبعة دار الخير ، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ. تحـ: معروف رزيق و علي عبد الحميد .

٢٨٦- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة: محمد بن جعفر الكتاني. ط، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٢٨٧- رسالة إلى أهل زبيد طبعت بتحقيق: محمد باكريم سنة: ١٤١٣هـ . و هي من مطبوعات الجامعة الإسلامية.

٢٨٨- رسالة في إعجاز القرآن لعبد القاهر الجرجاني = ثلاث رسائل في إعجاز القرآن

٢٨٩- رسالة في إعجاز القرآن للخطابي = ثلاث رسائل في إعجاز القرآن

٢٩٠- رسالة في الصفات للدارقطني – تحـ – الشيخ: عبد الله الغنيمان. ط، مكتبة الدار ،المدينة : ١٤٠٢هـ.

٢٩١- الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة: لمكي بن أبي طالب . تحـ: د/ أحمد حسن فرحات.ط، دار عمار، الأردن -١٤٠٤هـ.

٢٩٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت ،ط ٤- ١٤٠٥هـ.

٢٩٣- الروض الأنف ومعه سيرة ابن هشام لعبد الرحمن السهيلي ، ط . دار الكتب الحديثة بمصر ،ط ١-١٣٨٧هـ.

٢٩٤- روضة الناظر وجنة المناظر : لابن قدامة أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد ، (ت : ٦٢٠) – نشر مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ، ومعه حاشية ابن بدران .٢مج .

٢٩٥- الروضة في القراءات الإحدى عشرة : لأبي علي الحسن بن محمد البغدادي المالكي (ت: ٤٣٨هـ). تحـ: د/ مصطفى عدنان ، نشر، مكتبة العلوم و الحكم بالمدينة المنورة. ١٤٢٤هـ، ط١.

٢٩٦- زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج الجوزي القرشي البغدادي ، ط، المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الرابعة -١٤٠٧هـ .

٢٩٧- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : لأبي منصور الأزهري محمد بن أحمد ، (ت : ٣٧٠هـ) ، تحـ: شهاب الدين أبو عمرو ، ط . دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ . مج١

٢٩٨- الزاهر في معاني كلمات النّاس: للإمام ابن الأنباري(٣٢٨هـ) ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ. تحـ : د/ حاتم الضامن وعز الدين النجار.٢مج.

٢٩٩- الزهد: عبد الله بن المبارك . تحـ: حبيب الرحمن الأعظمي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠٠- الزهد: لأحمد بن حنبل. ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٣٠١- سؤلات أبي عبيد الآجري لأبي داود السجستاني:ط، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، ط١، ١٣٩٩هـ.تحـ: محمد علي قاسم العمري .

٣٠٢- السبعة (في القراءات السبع): لابن مجاهد: تحـ: د/ شوقي ضيف. ط٢، القاهرة ،ط . دار المعارف، بدون تاريخ.

٣٠٣- سر صناعة الإعراب: عثمان ابن جني . تحـ: أحمد فريد. ط، المكتبة التوفيقية، مصر. بدون تاريخ. ٢مج.

٣٠٤- سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي : شرح علي بن عثمان ابن القاصح على الشاطبية ، ط . شركة مصطفى الحلبي ، ط ٣ - ١٣٧٣هـ ، ١مج ، ٢ج (وبهامشه غيث النفع في القراءات السبع للصفاقسي علي بن محمد ١١١٨).

٣٠٥- السلسلة الصحيحة: للشيخ الألباني، ط، مكتبة المعرف، الرياض، ١٤١٢هـ.

٣٠٦- السلسلة الضعيفة : الألباني، ط، مكتبة المعرف، الرياض، ١٤١٢هـ.

٣٠٧- السنة : لأبي بكر لخلال أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد ، تحـ : د/ عطية الزهراني، ط . دار الراية الرياض، الطبعة الأولى - ١٤١١هـ.

٣٠٨- السنة: للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه رحمه الله ، ط. دار الكتب العلمية، ط ١ - ١٤٠٥هـ - تحـ: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول .

٣٠٩- سنن الترمذي (أو الجامع الصحيح) : للإمام الترمذي محمد بن عيسى بن سورة (ت : ٢٧٩ هـ) ، تحـ : أحمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت -١٤١٨هـ ، ج٥ .

٣١٠- سنن ابن ماجه : لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، (ت : ٢٧٥ هـ) ، تحـ : محمد فؤاد عبد الباقي.

٣١١- سنن أبي داود : لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، (ت : ٢٧٥ هـ) ، ط . دار الحديث ،دمشق ،

تعليق : عزت الدعاس وعادل السيد . مج ٥ ، ج٥ .

٣١٢- سنن الدارقطني: للدارقطني ، أبي الحسن علي بن عمر (ت : ٣٨٥ هـ) ، ط . فالكن ،لاهور ، مج٢ (ومعه التعليق المغني على سنن الدارقطني) .

٣١٣- سنن الدارمي: وتسمى أيضا بـ مسند الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي.ط، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ. تحـ: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي.

٣١٤- السنن الكبرى للبيهقي : أحمد بن الحسين (ت : ٤٥٨ هـ) ، ط . حيدر آباد الهند – دائرة المعارف العثمانية ط ١ - ١٣٥٥ هـ ، مج ١٠ .

٣١٥- السنن الكبرى للنسائي : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي.ط، دار الكتب العلمية، ط١، تحـ:د/ عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن .

٣١٦- سنن النسائي (المجتبى) : للنسائي أحمد بن علي بن شعيب (ت : ٣٠٣هـ هـ). ط ، دار المعرفة، بيروت، تحـ : مكتب التراث الإسلامي- ١٤١٢هـ ، ط ٢ .

٣١٧- سنن سعيد بن منصور: تحـ: د/ سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، ط. دار العصيمي ، الرياض، ط١،- ١٤١٤هـ.

٣١٨- سير أعلام النُّبلاء : للذهبي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨ هـ)، ط . مؤسسة الرسالة ، تحـ : شعيب الأرنؤوط وآخرين ، ط ٧ - ١٤١٠هـ، ٢٣ ج + ٢ ج فهارس .

٣١٩- السيرة لابن هشام : تحـ: طه عبد الرءوف سعد ، ط. دار الجيل ، بيروت- ١٤١١هـ.

٣٢٠- الشّافي في شرح مسندِ الشافعي: لابن الأثير مجد الدين أبو السعادات. تحـ: أحمد بن سليمان و أبي تميم ياسر إبراهيم. ط. مكتبة الرشد. الرياض.ط١.

٣٢١- شأن الدعاء : للخطابي حمد بن محمد . تحـ : أحمد يوسف الدقاق ، ط. دار الثقافة العربية، دمشق ، ط ٢ ، - ١٤١٢هـ.

٣٢٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العماد الحنبلي ، ط . دار إحياء التراث العربي ، بيروت – بدون تاريخ .

٣٢٣- شرح ابن عقيل على الألفية ، ط . سنة ١٣٢٦هـ . تحـ محمد محيي الدين عبد الحميد . ٢ مج .

٣٢٤- شرح ابن غازي على ألفية ابن مالك = و اسمه اتحاف ذوي الاستحقاق ببعض مراد المرادي وزوائد أبي إسحاق. : لابن غازي محمد بن أحمد : تحـ: حسين عبد المنعم ، ط. مكتبة الرشد، ط١، الرياض- ١٤٢٠هـ.

٣٢٥- شرح أبيات الكتاب (لسيبويه): لابن النّحاس. تحـ: زهير زاهد.بيروت. عالم الكتب . ط١. ١٤٠٦هـ.

٣٢٦- شرح أدب الكاتب لأبي منصور الجواليقي ، ط . دار الكتاب العربي ، بيروت – بدون تاريخ .

٣٢٧- شرح أدب الكاتب لأبي منصور الجواليقي ، ط . دار الكتاب العربي ، بيروت – بدون تاريخ .

٣٢٨- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم(ت: ٤١٨هـ).ط. دار طيبة ، الرياض- ١٤٠٢. تحـ: د/ أحمد سعد حمدان

٣٢٩- شرح الألفية للأشموني، ط . مطبعة الحلبي ، القاهرة ، -١٣٦٦هـ .

٣٣٠- شرح الحماسة : للمرزوقي أحمد بن محمد ، نشره : أحمد أمين و عبد السلام هارون. ط. لجنة التأليف والنشر و الترجمة، بالقاهرة.

٣٣١- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك : لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت – ١٤١١هـ .

٣٣٢- شرح الزركشي على مختصر الخرقي للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، ط: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى -١٤١٣هـ- تحـ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.

٣٣٣- شرح الشافية للعلامة الجاربردي: ضمن مجموعة الشافية.

٣٣٤- شرح السنة للبغوي ، ط . المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية – ١٤٠٣هـ - تحـ : زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط .

٣٣٥- شرح العقيدة الأصفهانية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، ط . مكتبة الرشد ، الرياض، ط ١ – ١٤١٥هـ ، تحقيق : إبراهيم سعيداي .

٣٣٦- شرح العقيدة الطحاوية : ابن أبي العز الحنفي. ط. المكتب الإسلامي.بيروت. ط٥. ١٣٩٩هـ. مع تخريج أحديثه للشيخ الألباني.

٣٣٧- شرح العقيدة الواسطيه : للشيخ محمد بن عثيمين ، ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت – بدون تاريخ .

٣٣٨- شرح القصائد السبع الطوال: لأبي بكر محمد الأنباري ، ط . المطبعة العصرية ، صيدا -١٤٢٤هـ - تحـ : بركات يوسف هبود

٣٣٩- شرح القصائد العشر: للتبريزي، ط . دار الأصمعي بحلب ، ط ٥ -١٩٧٣م – تحـ: د/ فخر الدين قباوة.

٣٤٠- شرح القصيدة النونية :لابن قيم الجوزية ، شرحها : د/ محمد خليل هراس ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت – ٢٠٠٣م .

٣٤١- شرح الكافية الشافية : لابن مالك ، ط. دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى -١٤٠٢هـ- تحـ: د / عبد المنعم أحمد هريدي .

٣٤٢- شرح الكوكب المنير : لابن النجار الفتوحي الحنبلي ، ط. جامعة أم القرى ، الطبعة الثانية – ١٤١٣هـ - تحـ : الدكتور محمد الزحيلي و الدكتور نزيه حماد .

٣٤٣- شرح المفصل في صنعة الإعراب أو (التخمير) لابن يعيش ، ط . دار الغرب الإسلامي ، بيروت -١٩٩٠م – تحـ: د / عبد الرحمن العثيمين .

٣٤٤- شرح المفضليات للتبريزي ، ط دار نهضة مصر للطبع و النشر – بدون تاريخ - تحـ علي محمد البجاوي

٣٤٥- شرح جمل الزّجّاجي : لابن عصفور علي بن مؤمن (ت: ٦٦٩هـ). تحـ: فواز الشعار. إشراف د/ إميل بديع. ط. دار الكتب العلمية. ١٤١٩هـ.

٣٤٦- شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الأستراباذي ، ط . دار الفكر العربي ، بيروت – ١٣٩٥هـ، تحـ : محمد نور الحسن و زميلة .

٣٤٧- شرح شواهد شرح الشافية للبغدادي، ط . حجازي بالقاهرة ، تحـ : محمد نور الحسن و آخرين .

٣٤٨- شرح صحيح البخاري: لابن بطال علي بن خلف . تحـ : ياسر إبراهيم، ط . مكتبة الرشد ، الرياض، ط١، - ١٤٢٠هـ.

٣٤٩- شرح صحيح مسلم: للنووي المسمى(المنهاج) ، ط. دار المعرفة ، بيروت، ط١ -١٤١٤هـ- تحـ: الشيخ خليل مأمون شيحا .

٣٥٠- شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح سيدنا رسول الله ﷺ لجمال الدين محمد بن هشام الأنصاري ، ط . مؤسسة علوم القرآن بدمشق ، الطبعة الثانية – ١٤٠٢هـ - تحـ د. محمود حسن أبو ناجي .

٣٥١- شرح ما يقع فيه التصحيف و التحريف للإمام أبي أحمد العسكري ، ط . مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٨١م، تحـ : د/ محمد يوسف .

٣٥٢- شرح مختصر الروضة : لسليمان الطوفي ، ط . مؤسسة الرسالة بيروت ،ط١ - ١٤١٠هـ - تحـ: د / عبد الله بن عبد المحسن التركي .

٣٥٣- شرح مقامات الحريري : لأبي العباس الشريشي : ط . المكتبة الشعبية ، ط ٢ - ١٣٩٩ هـ ، تحـ : محمد عبد المنعم .

٣٥٤- شرح معاني الآثار : للطحاوي أحمد بن محمد بن سلامة ، (ت : ٣٢١ هـ) تحـ : محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق ، ط . دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٣٩٩هـ . ٤مج ، ٤ج .

٣٥٥- شرح هاشميات الكميت لأبي رياش ، ط . عالم الكتب ، ومكتبة النهضة العربية ببيروت - ١٩٨٤م - تحـ الدكتور داود سلوم ،و الدكتور نوري حمودي القيسي .

٣٥٦- الشريعة للآجرّي ، ط . دار الكتب العلمية ، ببيروت ، الطبعة الأولى -١٤٠٣هـ- تحـ: محمد الفقي .

٣٥٧- شعب الإيمان : للإمام البيهقي أحمد بن الحسين، (ت : ٤٥٨ هـ) ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٤١٠ هـ -تحـ : محمد زغلول . ٧مج + ٢ فهارس.

٣٥٨- الشعر و الشعراء لابن قتيبة ، ط . عالم الكتب، بيروت ، مصورة عن طبعة بالقسطنطينية ١٢٩٢هـ - بدون تاريخ .

٣٥٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض ، ط . دار الوفاء بدمشق ، تحـ : محمد أمين قرة علي و آخرون .

٣٦٠- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للخفاجي ، ط.دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ -١٤١٨هـ- تحـ :د/ محمد كشاش .

٣٦١- شكاية أهلِ السنة بحكاية ما نالهم من المحنة = الرسائل القشيرية .

٣٦٢- الصاحبي في فقه اللغة وسر العربية : لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت : ٣٩٥ هـ) ، ط. مكتبة المعارف ، بيروت ، تحـ : عمر الطباع - ١٤١٤هـ . ١مج .

٣٦٣- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء لأحمد بن علي القلقشندي ، ط . دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ - ١٤٠٧هـ - تحـ : يوسف علي طويل .

٣٦٤- الصحاح: للجوهري ، ط . دار الكتاب العربي ، بيروت ، تحـ : أحمد عبد الغفور .

٣٦٥- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، ط . مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط١- ١٤١٣هـ ، تحـ: شعيب الأرناؤوط .

٣٦٦- صحيح ابن خزيمة : لمحمد بن إسحاق بن خزيمة (ت : ٣١١ هـ) تحـ: د/ مصطفى الأعظمي ، ط. المكتب الإسلامي- ١٣٩٥هـ ،٤مج ، (وهو ناقص ..) .

٣٦٧- صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري = فتح الباري

٣٦٨- صحيح مسلم للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري ، ط . دار الحديث بالقاهرة ، الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ - تحـ : محمد فؤاد عبد الباقي

٣٦٩- الصفات للدارقطني = رسالة في الصفات

٣٧٠- صفة الجنة: لأبي نعيم الأصبهاني. تحقيق: علي رضا ، ط، دار المأمون للتراث، دمشق. ١٤١٥هـ. ط٢.

٣٧١- الصفدية: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ط . شركة مطابع حنيفة ، الرياض – ١٣٩٦هـ .

٣٧٢- الصَّمْتِ وآداب اللسان : لابن أبي الدنيا ، ط . دار الكتاب العربي ،بيروت –١٤١٠هـ ، تحـ : أبي إسحاق الحويني .

٣٧٣- الضعفاء الصغير : للبخاري ، ط. دار المعرفة بيروت ،ط ١- ١٤٠٦هـ - تحـ : محمد إبراهيم زايد .

٣٧٤- الضعفاء الكبير، لأبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي ، ط . دار المكتبة العلمية ،بيروت ، الطبعة الأولى -١٤٠٤هـ - تحـ عبد المعطي أمين قلعجي.

٣٧٥- ضعيف الجامع للألباني :ط. دار المعرفة. بيروت. بدون تاريخ.

٣٧٦- طبقات الفقهاء الشافعية : لابن الصلاح ، ط . دار البشائر الإسلامية ، بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٣هـ، تحـ :محي الدين علي نجيب

٣٧٧- طبقات الشافعية لابن كثير. ط. دار الوفاء . مج٢.

٣٧٨- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ، ط. دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة – بدون تاريخ، تحـ: عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي .

٣٧٩- طبقات الشافعية لأبي بكر أحمد بن محمد بن قاضي شهبه الدمشقي ، ط . عالم الكتب بيروت ، الطبعة الأولى -١٤٠٧هـ ، تحـ: د/ الحافظ عبد العليم خان .

٣٨٠- طبقات الشافعية لجمال الدين عبد الرحيم الإسنوي ، ط . دار العلوم للطباعة و النشر ، الرياض - ١٤٠١هـ، تحـ : د/ عبد الله الجبوري .

٣٨١- طبقات الفقهاء : لأبي إسحاق الشيرازي الفيروز أبادي ، ط . دار الرائد العربي، بيروت – ١٩٧٠م ، تحـ: إحسان عباس .

٣٨٢- الطبقات الكبرى : لابن سعد ، ط . دار صادر ، بيروت- ١٤٠٥هـ.

٣٨٣- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها: لأبي محمد عبد الله بن محمد بن حيان المعروف بأبي الشيخ ، ط . دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى -١٤٠٩هـ - تحـ : د/ عبد الغفار البنداري و سيد كسروي .

٣٨٤- طبقات المفسرين لجلال الدين السيوطي ، ط . مكتبة وهبة القاهرة ، الطبعة الأولى - ١٣٩٦هـ - تحـ : علي محمد عمر .

٣٨٥- طبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن علي الداوودي ، ط . دار الكتب العلمية بيروت – بدون تاريخ .

٣٨٦- طبقات المفسرين : لأحمد بن محمد الأدنه وي ، ط . دار البشير ، عمان – بدون تاريخ ، تحـ : سليمان الخزي .

٣٨٧- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى - ١٤٠٢هـ- تحـ : طه إبراهيم .

٣٨٨- الطراز المتضمن لعلوم البلاغة وحقائق الإعجاز : ليحيى بن حمزة العلوي . دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ . ٣مج .

٣٨٩- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم الجوزية ، ط . مطبعة المدني ، القاهرة ، تحقيق : د/ محمد جميل غازي .

٣٩٠- العبر في خبر من غبر : للذهبي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت : ٧٤٨ هـ) ، تحـ : محمد زغلول ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت –١٤٠٥هـ ، ط ١ ، ٤مج ، ٤ج .

٣٩١- العبر وديوان المبتدأ و الخبر: لابن خلدون ، ط . بولاق ، مصورة ، مؤسسة جمال للطباعة و النشر ، بيروت.

٣٩٢- العجاب في بيان الأسباب :لابن حجر العسقلاني ، ط. دار ابن حزم ،بيروت– ١٤٢٢هـ ، ط ١ ،تحـ : أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي .

٣٩٣- العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى محمد بن الفراء البغدادي الحنبلي ،ط ٢، – ١٤١٠هـ ، تحـ :د/ أحمد بن علي سير المباركي .

٣٩٤- العزلة للخطابي ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت – بدون تاريخ- تحـ : د/ عبد الغفار سليمان البنداري .

٣٩٥- العظمة : لعبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ ، ط . دار العاصمة الرياض ، ط ، -١٤٠٨هـ - تحـ: رضا الله بن محمد المباركفوري

٣٩٦- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين : محمد بن أحمد الفاسي ، ط . مؤسسة الرسالة ، ط ٢ – ١٤٠٦ هـ ، تحـ : محمد حامد الفقي .

٣٩٧- عقد الخلاص في نقد كلام الخواص و معه جهود ابن الحنبلي اللغوية : لابن الحنبلي ، ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت- ١٤٠٧هـ ، تحـ : نهاد حسوبي صالح .

٣٩٨- العقد الفريد :لابن عبد ربه الأندلسي ، ط . دار الكتاب العربي ، بيروت – ١٣٨٤هـ ، ط ١، تحـ: أحمد أمين و أحمد الزين و إبراهيم الابياري .

٣٩٩- العقيدة الواسطية بشرح الفوزان ، ط . مكتبة المعارف الرياض ، الطبعة الرابعة -١٤٠٧هـ .

٤٠٠- علل الحديث: لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن مهران الرازي (ابن أبي حاتم) ، ط . دار المعرفة ، بيروت -١٤٠٥هـ ، لاتحـ : محب الدين الخطيب .

٤٠١- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، ط . دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٣هـ-

٤٠٢- العلل الواردة في الأحاديث النبوية : للدارقطني ، ط . دار طيبة الرياض- ١٤٠٥هـ - تحـ: د/ محفوظ الرحمن زين الله السلفي .

٤٠٣- علل الوقوف : للسجاوندي ، ط. مكتبة الرشد الرياض، ط١ - ١٤١٥هـ ، تحـ: د / محمد بن عبد الله العيدي

٤٠٤- العلل و معرفة الرجال: لأحمد بن حنبل ، ط . المكتب الإسلامي، بيروت ، و دار الخاني ، الرياض ، -١٤٠٨هـ، تحـ: وصي الله بن محمد عباس .

٤٠٥- العلو للعلي الغفار : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، ط . مكتبة أضواء السلف ، الرياض ، الطبعة الأولى- ١٩٩٥م - تحـ : أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود .

٤٠٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لبدر الدين محمود بن أحمد العيني ، ط . المطبعة المنيرية بالقاهرة - بدون تاريخ.

٤٠٧- عمل اليوم و الليلة للنسائي ، ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط ٢- ١٤٠٦هـ- تحـ : فاروق حمادة .

٤٠٨- عون المعبود شرح سنن أبي داود : لمحمد شمس الحق العظيم آبادي ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت - ١٤١٥هـ-

٤٠٩- العين : للخليل بن أحمد الفراهيدي ، ط . مؤسسة الأعلمي ، بيروت ،ط ١ -١٤٠٨هـ - تحـ: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي .

٤١٠- عيون الأخبار: لابن قتيبة الدينوري ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت -١٩٨٥م - تحـ يوسف علي طويل .

٤١١- عيون التواريخ : ابن شاكر الكتبي ، نشر وزارة الثقافة و الإعلام في الجمهورية العراقية - ١٩٨٤م، تحـ / فيصل السامر و نبيلة عبد المنعم محمود .

٤١٢- غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار: للإمام أبي العلاء الهمذاني العطار ، ط. الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ط ١ - ١٤١٤هـ ، تحـ : الدكتور أشرف محمد فواد طلعت .

٤١٣- غاية النهاية في طبقات القراء : لابن الجزري محمد بن محمد أبي الخير ، نشر ، ج براجستر، ط ١-١٣٥١هـ .

٤١٤- الغاية في القراءات العشر: لأبن مهران أحمد بن الحسين ،ط . مكتبة العبيكان ، الرياض ،ط١ - ١٤٠٥هـ ،

تحـ : محمد غياث الجنباز .

٤١٥- غرائب التفسير و عجائب التأويل للكرماني ، ط . دار القبلة ، جدة و مؤسسة علوم القرآن ، بيروت، ط ١ - ١٤٠٨هـ تحـ : د/ شمران سركال العجلي .

٤١٦- غرائب القرآن و رغائب الفرقان : نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري. ضبط، زكريا عميرات. بيروت. دار الكتب العلمية. ط١ -١٤١٦ -هـ.

٤١٧- غريب الحديث : لابن الجوزي ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت – ٢٠٠٤م ، تحـ : د/ عبد المعطي أمين قلعجي .

٤١٨- غريب الحديث لابن قتيبة ، ط . مطبعة العاني ،بغداد ، ط ١ – ١٣٩٧هـ ، تحـ : عبد الله الجبوري، نشر وزارة الأوقاف العراقية .

٤١٩- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم ابن سلام الهروي ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ -١٤٠٦هـ .

٤٢٠- غريب الحديث للإمام إبراهيم بن إسحاق الحربي ، ط . مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة، ط ١ – ١٤٠٥هـ - تحـ: د / سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد .

٤٢١- غريب الحديث للخطّابي ، ط . مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة -١٤٠٢هـ - تحـ : عبد الكريم الغرباوي .

٤٢٢- غريب القرآن لابن قتيبة = تفسير غريب القرآن لابن قتيبة .

٤٢٣- الغريبين : لأبي عبيد الهروي ، ط . المكتبة العصرية ، صيدا ، ط١ –١٤١٩هـ - تحـ : أحمد فريد المزيدي .

٤٢٤- الغوامض و المبهمات : لأبي القسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، ط . دار الأندلس الخضراء ، جدة ،ط١ – ١٤١٥هـ، تحـ: محمود مغراوي

٤٢٥- الغيث الهامع شرح جمع الجوامع لأبي زرعة العراقي ، ط . الفاروق الحديثة للطباعة و النشر ، القاهرة ، ط١ -١٤٢٠هـ ، تحـ : مكتب قرطبة للبحث العلمي و إحياء التراث .

٤٢٦- الفائق في غريب الحديث للزمخشري ، ط . دار المعرفة ، لبنان ،ط٢ – بدون تاريخ – تحـ : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم .

٤٢٧- الفتاوى :لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ، تحـ : عامر الجزار وأنور الباز، ط . مكتبة العبيكان، الرياض ، ط ١- ١٤١٨هـ .

٤٢٨- فتاوى السبكي: للإمام أبي الحسن تقي الدين السبكي ، ط . دار الجيل ، بيروت ،ط١ – ١٤١٢هـ، تحـ : حسام الدين القدسي .

٤٢٩- الفتاوى الكبرى لابن تيمية ، ط. دار الريان للتراث بمصر –١٤٠٨هـ – ط ١ ، تحـ : محمد و مصطفى عبد القادر عطا .

٤٣٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري : للحافظ ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) ٠ مصورة دار المعرفة ، بيروت ، تحـ : محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب . (١٤مج / مقدمة + ١٣مج) .
٤٣١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: للشوكاني محمد بن علي ،(ت : ١٢٥٠هـ) ، ط . دار الفكر ، بيروت ، ط ٣- ١٣٩٣هـ . ٥مج .
٤٣٢- فتح القدير لابن الهمام = شرح فتح القدير .
٤٣٣- الفتوى الحموية: لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموعة الفتاوى .
٤٣٤- الفرائد الحسان: شرح للشيخ عبد الفتاح القاضي على منظومته نفائس البيان في نظم عدّ آي القرآن. ط. مكتبة الدار ، المدينة المنورة – ١٤٠٤هـ .
٤٣٥- الفردوس بمأثور الخطاب: أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني . (ت: ٥٠٩هـ)، ط.دار الكتب العلمية. تحـ: السعيد بن بسيوني زغلول. ٥مج.
٤٣٦- الفرق : لثابت بن أبي ثابت اللغوي . تحقيق : د/ حاتم الضامن . ١ج.
٤٣٧- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، ط . دار الآفاق الجديدة، بيروت ، ط ٢ -١٩٧٧م.
٤٣٨- الفروع لابن مفلح : ط . عالم الكتب ، بيروت ، ط ٣ – ١٤٠٢هـ ، مراجعة الشيخ عبد اللطيف السبكي .
٤٣٩- الفروق اللغوية: لأبي هلال العسكري . علق عليه. د/ أحمد سليم الحمصي. طرابلس. ط١. ١٤١٥هـ.
٤٤٠- الفريد في إعراب القرآن المجيد : للمنتجب حسين بن أبي العز الهمذاني (ت : ٦٤٣ هـ) تحـ : فؤاد علي مخيمر وآخر ، ط . دار الثقافة ، الدوحة ، قطر – ١٤١١هـ ، ٤مج .
٤٤١- الفصل في الملل والأهواء والنحل: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري ، ط . مكتبة الخانجي، القاهرة .
٤٤٢- الفصول المفيد في الواوِ المزيدة : صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيلكلدي بن عبد الله العلائي. ط. دار البشير.١٩٩٠م. عمان. د. حسن موسى الشاعر.
٤٤٣- الفصول في الأصول : للجصاص أحمد بن علي . تحـ: الدكتور محمد تارم. ط. دار الكتب العلمية، بيروت، - ١٤٢٠هـ. ٢مج.
٤٤٤- فصيح ثعلب:لأبي العباس ثعلب . تحـ : د/ محمد خفاجي . نشر مكتبة التوحيد. ١٣٦٨هـ. ١ج.
٤٤٥- فضائل الصحابة: لأحمدبن حنبل . تحـ: د. وصي الله محمد عباس . ط ١. ١٤٠٣هـ. ٢مج.
٤٤٦- فضائل القرآن : للفريابي جعفر بن محمد (ت ٣٠١هـ) ، تحـ: يوسف عثمان ، ط . دار الرشد بالرياض - ١٤٠٩هـ ، ط١ .
٤٤٧- فضائل القرآن :لابن الضُّريس محمد بن أيوب (ت: ٢٩٥هـ). تحـ: د/ مسفر سعيد الغامدي. ط١.

- ١٤٠٨هـ.

٤٤٨- فضائل القرآن :لابن كثير. تحـ: أبي إسحاق الحويني الأثري. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.ط١. ١٤١٦هـ

٤٤٩- فضائل القرآن: لأبي عبيد القاسم بن سلام. ط. دار ابن كثير. دمشق. ط. الأولى . ١٤١٥هـ. تحـ: مروان العطية و آخَرَينِ. ١مج.

٤٥٠- الفقيه و المتفقه للخطيب البغدادي : ت : ٤٦٣هـ ، نشر دار الكتب العلمية - ١٤٠٠ هـ .

٤٥١- فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي ، ط . مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد -١٤٠٨هـ ، تحـ : د/ رشيد عبد الرحمن العبيدي .

٤٥٢- فهرس الرسائل الجامعية بالمملكة العربية السعودية : إصدار مركز الملك فيصل للبحوث ، إلى عام ١٤١٥هـ ، ١مج .

٤٥٣- الفهرس الشامل للتراث العربي والإسلامي (علوم القرآن - التجويد) و (التفسير) و (الحديث) إصدار المجمع الملكي الأردني لبحوث الحضارة الإسلامية ٠

٤٥٤- الفهرست : لابن النديم محمد بن إسحاق (ت بعد ٣٧٧هـ) ، نشر دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

٤٥٥- فهرسة ما رواه ابن خير عن شيوخه: محمد بن خير الإشبيلي. نشر دار الآفاق الجديدة. بيروت.بدون تاريخ.

٤٥٦- فهم القرآن ومعانيه: الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي أبو عبد الله. (ت: ٢٤٣هـ) دار الكندي ، دار الفكر، بيروت. ١٣٩٨هـ. ط٢. تحقيق: حسين القوتلي.١ج.

٤٥٧- الفوائد : تمام الرازي. تحقيق: حمدي السلفي. الرياض.مكتبة الرشد.ط١. ١٤١٢هـ.

٤٥٨- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة. محمد علي الشوكاني، تحـ: عبد الرحمن بن يحيى اليماني ، دار الكتب العلمية ، بيروت - ١٤١٦هـ.

٤٥٩- فواتُ الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي . تحقيق: علي معوض و عادل عبد الموجود. ط. دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١- ١٤٢١هـ.

٤٦٠- فيض القدير شرح الجامع الصغير (الجامع لأحاديث البشير النذير للسيوطي) : للمناوي محمد المعروف بعبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ) ، نشر ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ . ٦مج .

٤٦١- قاعدة جليلة في التوسل و الوسيلة لابن تيمية، ط . المكتب الإسلامي ، بيروت - ١٣٩٠هـ .

٤٦٢- قاموس الفارسية : فارسي ، عربي : لعبد المنعم محمد حسنين ، ط . دار الكتاب المصري - بدون تاريخ .

٤٦٣- القاموس المحيط : للفيروز آبادي ، تصوير دار الفكر -بيروت- ١٤٠٣هـ

٤٦٤- قانون التأويل: أبو بكر ابن العربي المالكي. تحـ: محمد السليماني. مؤسسة علوم القرآن. بيروت.ط١.
- ١٤٠٦هـ.

٤٦٥- القرطين : لابن مطرّف الكناني، أو كتابي مشكل القرآن و غريبة لابـن قتيبـة ، ط . دار المعرفـة ، بـيروت – بدون تاريخ .

٤٦٦- القطع والائتناف : لابن النحاس ، تحـ : الدكتور عبد الرحمن بن إبراهيم المطـرودي – ١٤١٣هــ. و طبعـة أخرى ، تحـ : د/ أحمد خطاب العمر ، ط . مطبعة العاني ، بغداد ، ط ١ – ١٣٩٨هـ .

٤٦٧- قطفُ الأزهارِ في كَشْف الأسرار : للسيوطي ، ط . وزارة الأوقاف بدولة قطر -١٤١٤هـ تحــ: د/ أحمـد الحمادي .

٤٦٨- الكافي : لابن قدامة عبد الله بن قدامة المقدسي أبو محمد ،ط. دار الكتب العلمية – بيروت -١٤٠٧هـ.

٤٦٩- الكافي الشافي :لابن حجر، مطبوع مع الكشاف للزمخشري= الكشاف

٤٧٠- الكامل في التاريخ :لابن الأثير ، ط. دار الفكر، بيروت -١٣٩٨هـ .

٤٧١- الكامل في اللغة و الأدب : للمبرد ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ -١٤٠٧هـ، تحـ: نعيم زرزور وتغاريد بيضون .

٤٧٢- الكامل في ضعفاء الرجال : لابن عدي الحافظ ٠أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ) ط ، دار الفكر ، بير وت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ، ٨مج .

٤٧٣- الكبائر: للذهبي محمد بن أحمد الحافظ (ت: ٧٤٨هـ). تحـ: بشير محمد عيون. ط. مكتبة المؤيد، الطائف. - ١٤١١هـ .

٤٧٤- كتاب سيبويه (الكتاب) لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحـ: عبد الـسلام هـارون ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة . ٥مج ، ٤ج + ١ فهارس .

٤٧٥- كشاف اصطلاح الفنون : محمد علي التهانوي. بيروت. دار صادر. بدون تاريخ.

٤٧٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : للزمخشري محمود بن عمر(ت:٥٣٨هــ) .ط.مكتبـة العبيكـان. تحــ عادل عبد الموجود و علي معوّض.ط١ . ١٤١٨هـ. ٦مج. و بهامشه حاشية الطيبي.

٤٧٧- كشف الأستار عن زوائد البزار : للهيثمي. تحـ: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: مؤسـسة الرسـالة ، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٤٧٨- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزودي لعلاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري ، ط . مطبعة در سعات استنبول .

٤٧٩- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: اسماعيل بن محمـد العجلـوني. ط. مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٤٠٥هـ. تحـ: أحمد القلاش. ط٤.

٤٨٠- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة ٠مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي ، (ت١٠٦٧ هـ) تصوير ، دار الفكر بيروت ١٤١٠هـ . ٢مج ، ٢ج .

٤٨١- كشف المحجوب: لعثمان الغزنوي الهجويري الصوفي ، ط . دار النهضة العربية ، بيروت – ١٩٨٠م – ترجمة / إسعاد عبد الهادي قنديل .

٤٨٢- كشف المشكلات و إيضاح المعضلات :لجامع العلوم علي بن الحسين الباقولي (ت: ٥٤٣هـ) . تحـ:د/ محمد أحمد الدالي.ط. مجمع اللغة العربية بدمشق- ١٤١٥هـ. - ١٩٩٥م.٣مج.

٤٨٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع : لأبي محمد مكي بن أبي طالب ٠ القيسي ، (٤٣٧هـ) ، تحـ : محيي الدين رمضان ٠ط ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤ هـ . ٢مج.

٤٨٤- الكشف و البيان المعروف: تفسير الثعلبي للإمام أبي إسحاق الثعلبي ، ط :دار إحياء التراث العربي بيروت -١٤٢٢هـ - تحـ :أبي محمد بن عاشور ومراجعة الأستاذ نظير الساعدي .

٤٨٥- الكفاية في علم الرواية: للخطيب البغدادي. المكتبة العلمية. المدينة المنورة . بدون تاريخ.١مج.

٤٨٦- الكليات : أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي ، ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت – ١٤١٣هـ ، ط ٢ ، باعتناء عدنان درويش و محمد المصري .

٤٨٧- كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، ط. بيت الأفكار الدولية – بدون تاريخ- اعتنى به إسحاق الطيبي .

٤٨٨- الكنى و الأسماء: لمسلم بن الحجاج القشيري. ط. الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة، ١٤٠٤هـ. ط١، تحـ : عبد الرحيم محمد القشقري .

٤٨٩- اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت – ١٤٢٠هـ ، ط ١ تحـ : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن .

٤٩٠- لباب النقول في أسباب النزول : للسيوطي، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحـ : أحمد عبد الشافي .

٤٩١- اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء محب الدين عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري. تحـ. غازي مختار طليمات. ط. دار الفكر. دمشق. ١٩٩٥م .ط١ .

٤٩٢- لسان العرب لابن منظور ٠ تصحيح أمين محمد عبد الوهاب و محمد صادق العبيدي، ط . دار إحياء التراث العربي الأولى ١٤١٦هـ .

٤٩٣- لسان الميزان : للحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، منشورات دار الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٣٩٠هـ . و طبعة أخرى هي طبعة:دار الفاروق . مصر. القاهرة. نشر دار المؤيد. تحـ: غنيم عباس غنيم ٨مج.

٤٩٤- لطائف الإشارات : للإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري، تفسير صوفي كامل، للقرآن ،ط . المكتبة التوفيقية – بدون تاريخ- تحـ سعيد قطيفة. ٣مج.وطبعة أخرى: تحقيق: د/ إبراهيم بسيوني. القاهرة .دار الكتاب العربي. طبعة ١٣٩٠هـ.

٤٩٥- لوامع الأنوار البهية و سواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيّة في عقيدة الفرق المرضية: للعلامة محمد السفّاريني الحنبلي ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت ، ط٣ -١٤١١هـ-

٤٩٦- المؤتلف و المختلف: للدارقطني، ط . دار الغرب الإسلامي، بيروت -١٤٠٦هـ ،تحـ: موفق عبد القادر .

٤٩٧- المؤتلف و المختلف للحافظ عبد الغني ، ط . الهند ، عني بطبعه محمد محيي الدين الجفري .

٤٩٨- المبسوط في القراءات العشر : لأبي بكر بن مهران ، ط . مجمع اللغة العربية بدمشق – بدون تاريخ – تحـ: سبيع حمزة حاكمي .

٤٩٩- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر لابن الأثير الجزري ، ط . مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ط ١ .

٥٠٠- مجاز القرآن : لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت : ٢١٠هـ)، ط ٠ مكتبة الخانجي- ١٣٩٠ هـ، ط٢، تحـ : فؤاد سزكين.

٥٠١- مجالس العلماء: لأبي القاسم عبد الرحمن الزجاجي، تحـ: عبد السلام هارون، ط. مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١. ط، الثانية- ١٤٠٢هـ.

٥٠٢- مجالس ثعلب : لأحمد بن يحي ثعلب ، ط. دار المعرفة بمصر ، ط٤ -١٤٠٠هـ ، تحـ: عبد السلام هارون.

٥٠٣- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين : لابن حبان ، محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) ، تحـ: محمود إبراهيم زايد ، نشر ، دار المعرفة ، بيروت ، ٣ج .

٥٠٤- مجمع الأمثال : لأحمد بن محمد الميداني ، ط. شركة أبناء شريف الأنصاري ، بيروت – ١٤١٢هـ ، تحـ : محمد محيي الدين عبد الحميد .

٥٠٥- مجمع الزوائد ، و منبع الفوائد : للحافظ نور الدين الهيثمي (ت ، ٨٠٧هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت - ١٤١٢ هـ ، ط ٣ .

٥٠٦- مجمل اللغة : لابن فارس (أحمد بن فارس) (ت : ٣٩٥هـ) تحـ : زهير عبد المحسن سلطان ٠ مؤسسة الرسالة بيروت – ١٤٠٤هـ ، ط ١ .

٥٠٧- مجموع الرسائل الكبرى : لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط. دار إحياء التراث العربي. ٢مج.

٥٠٨- مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ط . مكتبة العبيكان – ط ١ – ١٤١٨هـ ، تحـ : عامر الجزار وأحمد البَاز .

٥٠٩- مجموعة الرسائل الكمالية: نشرته سنة – ١٤٠٧هـ ، مكتبة المعارف بالطائف، لمحمد سعيد كمال .

٥١٠- محاسن التأويل: للإمام محمد جمال الدين القاسمي، ط . دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ – ١٤١٨هـ،

تحـ : محمد باسل عيون السود .

٥١١- محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء و البلغاء: للراغب الأصفهاني ، ط . مكتبة الحياة، بيروت – بدون تاريخ.

٥١٢- محاضرات في النصرانية: للشيخ محمد أبو زهرة ، ط دار الفكر العربي القاهرة ،ط ٣ – ١٣٨١هـ .

٥١٣- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: لأبي الفتح عثمان ابن جنّي، ط . دار سزكين للطباعة و النشر ، ط ٢ - ١٤٠٦هـ ، تحـ: علي النجدي الناصف و آخرين.

٥١٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية) : لابن عطية أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحـ : عبد السلام عبد الشافي ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ - ١٤١٣هـ.

٥١٥- المحصول في أصول الفقه : لأبي بكر العربي ، ط . دار البيارق ، بيروت – ١٩٩٩م ، تحـ : أبو زاهد البكري .

٥١٦-المحكم في نقط المصاحف : عثمان بن سعيد الداني أبو عمرو (٤٤٤هـ)، دار الفكر، دمشق- ١٤٠٧هـ. ط٢. تحـ: د/ عزة حسن.

٥١٧- المحلى: لابن حزم الظاهري أبي محمد علي بن أحمد ، تحـ : أحمد شاكر ، نشر مكتبة دار التراث ، القاهرة.

٥١٨- مختار الشعر الجاهلي: تحـ: مصطفى السقا، ط. مكتبة الحلبي.مصر ، الطبعة الرابعة - ١٣٩١هـ.

٥١٩- مختار الصحاح : للرازي محمد بن أبي بكر ٠ (ت بعد ٦٩١هـ) ، ط ، مكتبة النوري – دمشق ، ١مج .

٥٢٠- مختصر اتحاف السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة : للبوصيري شهاب الدين أحمد بن أبي بكر ، تحـ :

سيد كسروي ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت . ط١ -١٤١٧ هـ ، نشر مكتبة عباس الباز ، مكة المكرمة .

٥٢١- مختصر التبيين لهجاء التنزيل: للإمام أبي داود سليمان بن نجاح(ت: ٤٩٦هـ). تحـ: د/ أحمد شرشال، ط . مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة بالتعاون مع مركز الملك فيصل للبحوث بالرياض- ١٤٢١هـ.

٥٢٢- مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ، اختصره محمد بن الموصلي ، مصورة عن الطبعة الأولى بتصحيح محمد عبد الرزاق حمزة ، توزيع رئاسة البحوث العلمية و الإفتاء في الرياض .

٥٢٣- مختصر تفسير الطبري : لأبي يحي التجيبي ، ط. دار القلم ، بيروت ،ط١ – بدون تاريخ – تحـ: محمد حسن أبو العزم و د/ جودة عبد الرحمن هلال .

٥٢٤- مختصر تفسير يحيى بن سلام لا بن أبي زمنين = تفسير ابن أبي زمنين

٥٢٥- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع : لابن خالويه . مصورة عالم الكتب، بيروت ، بدون تاريخ.

٥٢٦- المخصص: لابن سيده علي بن اسماعيل. تصوير دار الكتب العلمية. بيروت. بدون تاريخ.

٥٢٧- مداخل إعجاز القرآن: لشيخ محمود محمد شاكر. مطبعة المدني ، مصر، ط١ - ٢٠٠٢م - ١ج.

٥٢٨- المدخل إلى السنن الكبرى: للبيهقي . ط. دار الخلفاء للكتاب الإسلامي. الكويت- ١٤٠٤هـ. تحـ: د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي. ١مج.

٥٢٩- المدخل لدراسة القرآن الكريم : لمحمد بن محمد بن أبي شهبة ، ط . مطبعة دار اللواء بالرياض ، ط ٣ – ١٤٠٧هـ ،

٥٣٠- المدونة في مذهب مالك : لعبد الرحمن بن القاسم ، ط. دار الفكر ، بيروت - ١٣٩٨هـ. ٤مج.

٥٣١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في ما يعتبر من حوادث الزمان : لعبد الله اليافعي ، ط . مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط٢ – ١٣٩٠هـ -

٥٣٢- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات : لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٣٣- مراتب النّحويين لعبد الواحد بن علي (أبو الطيب اللغوي) ، ط . دار نهضة مصر ، القاهرة ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم .

٥٣٤- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع: عبد المؤمن البغدادي . تحـ: علي البجاوي. ط. دار المعرفة. بيروت.ط١ - ١٣٧٣هـ.

٥٣٥- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: لأبي شامة المقدسي ، ط. دار وقف الديانة التركي، أنقرة ، ط ٢ – ١٤٠٦هـ- تحـ: د/ طيار آلتي قولاج .

٥٣٦- مسائل أحمد و إسحاق : لإسحاق بن منصور الكوسج. تحـ: خالد الرباط و آخرين . ط. دار الهجرة. ط١- ١٤٢٥هـ. ٢مج.

٥٣٧- المسائل الحلبيات: لأبي علي الفارسي ، ط . دار القلم، دمشق ط ١ - ١٤٠٧هـ . تحـ :حسن هنداوي.

٥٣٨- مسالك الأبصار في مسالك الأمصار لابن فضل الله العمري ، ط . المركز الإسلامي للبحوث ، بيروت ، ط١ – ١٤٠٦هـ - تحـ دورتيا كرافولسكي (قطعة من الكتاب) .

٥٣٩- مساوئ الأخلاق : للخرائطي ، ط . مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط ١ – ١٤١٣هـ، تحـ : مصطفى عطا .

٥٤٠- المستدرك للحاكم النيسابوري، دار المعرفة بيروت ، و طبعة أخرى بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط. دار الكتب العلمية بيروت – ١٩٩٠م .

٥٤١- المستطرف في كل فن مستظرف: لشهاب الدين محمد بن أبي الفتح الأبشيهي ، ط . دار الكتب العلمية بيروت –١٩٨٦م ، تحـ: د/ مفيد محمد قميحة .

٥٤٢- مسند أحمد : أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ٠ تحـ / أحمد محمد شاكر ٠ط : دار المعارف

بمصر ١٣٩٢هـ . ومصورة دار الفكر بيروت ٠ نشر المكتب الإسلامي عن الطبعة الميمنية ، ط١ ، ١٣١٣هـ .

٥٤٣- مسند أبي داود الطيالسي ، ط . مجلس دائرة المعارف النظامية الهند ، الطبعة الأولى- ١٣٢١هـ

٥٤٤- مسند الحميدي : تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. بيروت. عالم الكتب. ط. ١. ١٤٠٩هـ.

٥٤٥- مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي. ط. دار المأمون للتراث. دمشق- ١٤٠٤هـ، ط١ ١٣ج. تحـ: حسين سليم أسد.

٥٤٦- مسند أبي عوانة: أبوعوانة يعقوب بن إسحاق. ط.دار المعرفة. ط١. ١٩٩٨م. بيروت. تحـ : أيمن بن عارف الدمشقي.

٥٤٧- مسند إسحاق بن راهويه (ت: ٢٣٨هـ). مكتبة الإيمان . المدينة المنورة. ١٩٩٥م. ط١ ،تحـ : د/ عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي.

٥٤٨- مسند البزار = البحر الزخار

٥٤٩- مسند الربيع بن حبيب: ط. دار الحكمة ،. بيروت. مكتبة الاستقامة. سلطنة عمان. تحـ: محمد إدريس، عاشور بن يوسف. ط١. ١٤١٥هـ.

٥٥٠- مسند الروياني و بذيله المستدرك من النصوص الساقطة ، ط . مؤسسة قرطبة ، الطبعة الأولى – ١٤١٦هـ تحـ: أيمن علي أبو يماني .

٥٥١- مسند الشاميين: للطبراني. تحـ: حمدي السلفي. بيروت. مؤسسة الرسالة. ط٢. ١٤١٧هـ.

٥٥٢- مسند الفردوس = الفردوس بمأثور الخطاب .

٥٥٣- المسودة في أصول الفقه لـ: آل تيمية ، ط .مطبعة المدني، القاهرة – بدون تاريخ، تحـ : محمد محيى الدين عبد الحميد.

٥٥٤- مشارق الأنوار على صحاح الآثار: للقاضي عياض السبتي ، ط . وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بالمغرب -١٤٠٢هـ - تحـ : البلعمشي أحمد يكن .

٥٥٥- مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد، ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ - ١٤٠٥هـ. تحـ : د/ حاتم الضامن.

٥٥٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : تأليف أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، ط . المكتبة العلمية، بيروت ، ١مج .

٥٥٧- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه : لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني ، ط . دار العربية ، بيروت ، ط ٢ -١٤٠٣هـ - تحـ : محمد المنتقى الكشناوي .

٥٥٨- المصنف : لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ) تحـ : حبيب الرحمن الأعظمي ، ط ٢ - ١٤٠٣هـ،

توزيع المكتب الإسلامي ، ١١مج ، ١١ج وفي آخره الجامع .

٥٥٩- المصنف في الأحاديث و الآثار لابن أبي شيبة ، ط: دار الفكر – ١٤٠٩هـ ط١، تحـ : سعيد اللحام. وطبعة مكتبة الرشد. تحـ: كمال يوسف الحوت.ط١. ١٤٠٩هـ.

٥٦٠- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية –النسخة المسندة – : للحافظ أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ) تحـ: غنيم عباس وياسر إبراهيم محمد ، ط . دار الوطن ، الرياض ، ط ١ – ١٤١٨هـ .

٥٦١- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: حافظ بن أحمد حكمي ، ط . دار ابن القيم، الدمام، ط ١ – ١٤١٠هـ - تحـ : عمر بن محمود .

٥٦٢- المعارف : لابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) ٠ تحـ : د/ ثروت عكاشة ، ط . دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٤ هـ .

٥٦٣- معالم التنزيل: للبغوي محيي السنة الحسين بن مسعود،(ت : ٥١٦هـ) ، ط – دار طيبة ، ط ٢- ١٤١٤هـ ،تحـ : محمد النمر وعثمان جمعه وسليمان الحرش . وطبعة دار المعرفة – ١٤٠٧هـ .

٥٦٤- معالم السنن شرح سنن أبي داود : للخطابي حمد بن محمد (٣٨١هـ) ، مطبوع مع تهذيب السنن شرح مختصر سنن أبي داود لابن قيم الجوزية ، ط .دار المعرفة ، بيروت ، تحـ : أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي .

٥٦٥- معالم اليسر شرح ناظمة الزهر : للشيخ عبد الفتاح القاضي ، ط . مطبعة الأزهر – ١٩٤٩م .

٥٦٦- معاني القرآن للزجاج إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ) تحـ : عبد الجليل عبده شلبي، ط .دار الحديث، القاهرة – ١٤٢٤هـ. ٥مج.

٥٦٧- معاني الحروف: علي بن عيسى الرماني، تحـ: عبد الفتاح شلبي، ط٣ ، دار الشروق، جدة- ١٤٠٤هـ.

٥٦٨- معاني القراءات : للأزهري ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ - ١٤٢٠هـ ، تحـ : أحمد فريد المزيدي .

٥٦٩- معاني القرآن : لابن النحاس ، ط. جامعة أم القرى، ط١ - ١٤٠٩هـ. تحـ: محمد علي الصابوني.

٥٧٠- معاني القرآن : للفراء يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ) ، ط ، عالم الكتب ، بيروت. ط. ٣ ، ١٤٠٣هـ .

٥٧١- معاني القرآن: للأخفش ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١ - ١٤٢٣هـ. تحـ: إبراهيم شمس الدين.

٥٧٢- المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج و المختصر: لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، ط . دار الأرقم ، الكويت ، ط ١ - ١٤٠٤هـ تحـ : حمدي عبد المجيد السلقي .

٥٧٣- معترك الأقران في إعجاز القرآن : للسيوطي ، ط . دار الفكر العربي ، القاهرة ، تحـ : علي محمد البجاوي .

٥٧٤- المعتصر من المختصر من مشكل الآثار : ليوسف بن موسى الحنفي أبو المحاسن، ط . عالم الكتب، بيروت ، ومكتبة المتنبي ، القاهرة .

٥٧٥- المعجزة الكبرى القرآن الكريم : الشيخ محمد أبو زهرة ، ط. دار الفكر العربي- ١٤١٨هـ .

٥٧٦- معجم الأدباء = إرشاد الأريب

٥٧٧- المعجم الأوسط: الطبراني. تحـ: د/ محمود الطحان، ط. مكتبة المعارف. الرياض. ط١ - ١٤١٥هـ.

٥٧٨- معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي ، ط . دار الفكر، بيروت – بدون تاريخ .

٥٧٩- المعجم الذهبي فارسي عربي: تأليف: د/ محمد التونجي.ط. دار العلم للملايين، ط٣ - ١٩٩٢م.

٥٨٠- معجم الشعراء للإمام أبي عبيد الله محمد المرزباني ، ط . مكتبة القدسي، القاهرة -١٣٥٤هـ ، تصحيح
وتعليق ف. كرانكو .

٥٨١- معجم الصحابة لأبي الحسين ابنُ قانع ، ط . مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة، الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ - تحـ: صلاح المصراتي .

٥٨٢- المعجم الصغير: الطبراني ، ط . ، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط١- ١٤٠٥ تحـ : محمود شكور.

٥٨٣- المعجم الكبير : للطبراني ، ط ، وزارة الأوقاف ، بالجمهورية العراقية ، ط٢. تحـ: حمدي السلفي.

٥٨٤- معجم المؤلفين : لعمر رضا كحالة ، ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت - ١٤١٤ هـ . ٤مج .

٥٨٥- معجم المطبوعات العربية والمعربة : لسركيس يوسف إليان (ت ١٣٥١هـ) ، ط . مطبعة سركيس بمصر

- ١٣٤٦هـ ، نشر عالم الكتب ، بيروت ، ١مج .

٥٨٦- المعجم الوسيط ، ط . مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ط٢ ، عن دار الدعوة تركيا ، تحـ: إبراهيم مصطفى وآخرون.

٥٨٧- معجم ما استعجم: للبكري . تحـ: مصطفى السقا ، ط .عالم الكتب، بيروت، ٢مج - بدون تاريخ.

٥٨٨- معجم مقاييس اللغة : لابن فارس أحمد زكريا (ت ٣٩٥هـ) تحـ : عبد السلام هارون ، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة - ١٤٠٢ هـ ، الطبعة الثالثة .

٥٨٩- معرفة السنن والآثار: للبيهقي أحمد بن الحسين، ط . جامعة الدّراسات الإسلامية ، كراتشي ، دار الوعي بحلب ١٤١١هـ الطبعة الأولى تحـ: د/ عبد المعطي أمين قلعجي ، ١٥مج مع الفهارس.

٥٩٠- معرفة القراء الكبار : للذهبي، ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ - ١٤٠٨هـ ، تحـ : شعيب الأرنؤوط

وآخرين . وعلى طبعة: د: طيار قولاج. استانبول. ط١ - ١٤١٦هـ في ٢مج.و هي أصح الطبعتين.

٥٩١- المعرفة والتاريخ لأبي يوسف يعقوب الفسوي ، ط . مطبعة الرشاد ، بغداد - ١٣٩٤هـ - تحـ : أكرم ضياء العمري.

٥٩٢- المعونة في فقه مالك : للقاضي عبد الوهاب (ت : ٤٢٢هـ) نشر مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة ، تحـ : حميش عبد الحق ، ٣مج .(هي في الأصل رسالة دكتوراة) .

٥٩٣- المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب : لأحمد بن يحي الونشريسي، ط . دار الغرب الإسلامي، بيروت ، خرجه جماعة بإشراف محمد حجي .

٥٩٤- المغرب في ترتيب المعرب: لأبي الفتح المطرزي ، ط . دار الكتاب العربي ، بيروت - بدون تاريخ.

٥٩٥- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : لابن هشام جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري ٠ (ت ٧٦١هـ)، ط . دار إحياء التراث العربي ، لعيسى الحلبي وشركاه ، مصر ،مطبوع مع حاشية الشيخ محمد الأمير ،٢ج .

٥٩٦- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، ط . مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة - ١٣٧٧هـ ، تحـ : محمد الخطيب الشربيني .

٥٩٧- المغني شرح مختصر الخرقي: لعبد الله بن احمد بن قدامه المقدسي، ط. دار الفكر ، بيروت- ١٤٠٥هـ .

٥٩٨- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار : للعراقي أبي الفضل عبد

الرحيم بن الحسين (ت ٨٠٦هـ) ، اعتنى به أبو محمد أشرف بن عبد المقصود ، فأخرجه مفردا عن الإحياء – مكتبة دار طبرية، الرياض – ط ١ – ١٤١٥هـ .

٥٩٩- مفتاح دار السعادة : لابن القيم. مصورة دار الرياض الحديثة - بدون تاريخ ، ١مج.

٦٠٠- مفتاح السعادة و مصباح السيادة في موضوعات العلوم : لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت – بدون تاريخ .

٦٠١- مفتاح العلوم : للسكاكي ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى- ١٤٠٣هـ تحـ : نعيم زرزور .

٦٠٢- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن : للسيوطي، ط . دار علوم القرآن، دمشق - ١٤٠٣ هـ ، تحـ : د / مصطفى البغا ، ١ج .

٦٠٣- المفردات في غريب القرآن : للراغب الأصفهاني الحسين بن محمد ، ط . دار المعرفة ، بيروت ، تحـ : محمد سيد كيلاني .

٦٠٤- المفصل للزمخشري. تصحيح السيد محمد النعساني . القاهرة. ١٣٢٣ هـ.

٦٠٥- المفضّليات :للمفضل الضّبي ، ط . دار المعارف، مصر- ١٩٧٦م. تحـ : أحمد شاكر و عبد السلام هارون.

٦٠٦- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة : للسخاوي ، ط دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى -١٣٩٩هـ - تحـ : عبد الله الصديق و عبد الوهاب عبد اللطيف .

٦٠٧- المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي : لأبي بكر الهيثمي ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت – ١٩٩٣م ، تحـ : سيد كسروي حسن .

٦٠٨- مقالات الإسلاميين للأشعري : ط . مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية- ١٣٨٩هـ تحـ : محمد محيي الدين .

٦٠٩- المقتصد شرح الإيضاح (الإيضاح لأبي علي الفارسي في النحو) : لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني

(ت : ٤٧ هـ) ٠ تحـ : د/ كاظم المرجاني ، نشر وزارة الثقافة والإعلام العراقية ١٩٨٦ م ، ٢مج.

٦١٠- المقتضب لمحمد بن يزيد المبرد ، ط . عالم الكتب ، بيروت – بدون تاريخ، تحـ محمد عبد الخالق عضيمة .

٦١١- المقرب : لابن عصفور ، ط مطبعة العاني ، بغداد ، الطبعة الأولى -١٣٩٢هـ، تحـ أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري .

٦١٢- المقصد لتلخيص ما في المرشد (المرشد للعماني): لأبي يحيى زكريا الأنصاري الشافعي (ت٩٢٥هـ

)، ط . دار المصحف دمشق - ١٤٠٥ هـ ، ١ج .

٦١٣- المكتفى في الوقف والابتداء : للداني أبي عمرو عثمان بن سعيد (ت : ٤٤٤ هـ) تحـ : د/ يوسف المرعشلي ، ط. دار المعرفة بيروت – ط ١ - ١٤١٥هـ ، ١مج ، ج١ .

٦١٤- الملل و النحل للشهرستاني ، ط . دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الرابعة -١٩٩٥م- تحـ : أمير علي .

٦١٥- منار الهدى في الوقف الابتداء : للأشموني أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني الشافعي ، تصوير دار المصحف ، دمشق ، بدون تاريخ ، ١مج ، ١ج .

٦١٦- مناقب الإمام أحمد : لابن الجوزي ، ط . مكتبة الخانجي بمصر ، ط ١ – ١٣٩٩هـ ، تحـ : د/ عبد الله التركي وعلي محمد عمر.

٦١٧- مناقب الشافعي: للبيهقي . تحـ: السيد أحمد صقر. ط. مكتبة دار التراث ، القاهرة، ط١ - ١٣٩٠هـ.

٦١٨- مناهل العرفان في علوم القرآن : للزرقاني ، ط. عيسى البابي الحلبي ، مصر ، ١مج.

٦١٩- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور : لإبراهيم بن محمد الصريفيني الحافظ (ت : ٦٤١ هـ) – انتخبه من السياق لتاريخ نيسابور للحافظ عبد الغفار الفارسي (ت : ٥٢٩ هـ) ، تحـ : محمد أحمد عبد العزيز ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى- ١٤٠٩هـ ، ١مج ، ١ج .

٦٢٠- المنتخب من مسند عبد بن حميد لعبد بن حميد بن نصر أبو محمد ، ط . مكتبة السنة، القاهرة ، الطبعة الأولى – ١٤٠٨هـ - تحـ صبحي السامرائي ، محمود الصعيدي .

٦٢١- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ، ط . دار صادر ، بيروت، الطبعة الأولى - ١٣٥٨هـ ، ج٦.

٦٢٢- المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ : لابن الجارود ، ط . دار الجنان، بيروت ، ط ١ – ١٤٠٨هـ ،

فهرسة عبد الله بن عمر البارودي .

٦٢٣- المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية : للشيخ سلطان القاري الحنفي ، تحـ :عبد القوي عبد المجيد ، مكتبة الدار بالمدينة - ١٤١٩هـ .

٦٢٤- المنصف شرح كتاب التصريف للإمام المازني: لابن جني، ط. مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الأولى - ١٣٧٣هـ- تحـ : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين .

٦٢٥- منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ط . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،ط١ - ١٤٠٦هـ، تحـ: د/ محمد رشاد سالم

٦٢٦- المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب : لجلال الدين السيوطي ، ط . صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية و الإمارات العربية المتحدة - بدون تاريخ ، تحـ : د/ التهامي الراجي الهاشمي .

٦٢٧- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان :لأبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت - تحـ محمد عبد الرزاق حمزة .

٦٢٨- الموافقات : للإمام أبي إسحاق اللخمي الشاطبي ، ط . دار ابن عفان ، المملكة العربية السعودية، ط ١-١٤١٧هـ تحـ : مشهور بن حسن آل سلمان .

٦٢٩- موافقة الخُبْرِ الخَبَرَ في تخريج أحاديث المختصر -لابن الحاجب: للحافظ ابن حجر.تحـ: حمدي السلفي. و صبحي السامرائي. نشر مكتبة الرشد. الرياض.ط٣- ١٤١٩هـ.

٦٣٠- المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، ط . دار الجيل ، بيروت، تحـ: د/ عبد الرحمن عميرة

- ١٩٩٧م.

٦٣١- الموشح للمرزباني ، طبعة القاهرة - ١٩٦٥م ، تحـ : علي محمد البجوي .

٦٣٢- موضح أوهام الجمع والتفريق: للخطيب البغدادي. ط.دار المعرفة . بيروت. ط١ - ١٤٠٧هـ.

٦٣٣- الموضوعات: لابن الجوزي. ضبط. عبد الرحمن محمد عثمان. بيروت. دار الفكر. ط٢ - ١٤٠٣هـ.

٦٣٤- الموطأ : للإمام مالك : رواية يحي ، صححه و رقمه محمد فؤاد عبد الباقي، ط . دار إحياء الكتب العربية ، مصر، ١٣٧٠هـ .

٦٣٥- موقف ابن تيمية من الأشاعرة: للدكتور: عبد الرحمن المحمود. ط. مكتبة الرشد. الرياض. ط٢- ١٤١٦هـ.

٦٣٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد ،(ت : ٧٤٨ هـ) ، تحـ : علي محمد البجاوي ، القاهرة ، ط ، عيسى البابي الحلبي ، ط١ - ١٣٨٣هـ ، ٤ج .

٦٣٧- الناسخ و المنسوخ: لأبي جعفر النحاس ، ط مكتبة عالم الفكر ، القاهرة ، الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ -

٦٣٨- الناسخ و المنسوخ: لأبي عبيد القاسم بن سلام .ط. مكتبة الرشد. الرياض. ط ٢ - ١٤١٨هـ. تحـ: محمد صالح المديفر.

٦٣٩- النّاسخ و المنسوخ: لمرعي الكرمي الحنبلي ، ط . دار القرآن الكريم ، الكويت - ١٤٠٠هـ .

٦٤٠- الناسخ و المنسوخ: لهبة الله بن سلامة المقرىء ، ط . المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ – ١٤٠٤هـ ،

تحـ : زهير الشاويش و محمد كنعان .

٦٤١- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة :لابن تغري بردي أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي ، (ت : ٨٧٤ هـ) ط . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩١هـ ، ٩مج ، ١٦ج

٦٤٢- نزهة الألباء في طبقات الأدباء :لأبي البركات ابن الأنباري كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ، ط. مكتبة المنار، دمشق – ١٤٠٥هـ ، ط ٢ ، تحـ: إبراهيم السامرائي ،١مج .

٦٤٣- نسب قريش لأبي عبد الله مصعب الزبيري، ط . دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ – بدون تاريخ، تحـ : ليفي بروفنسال .

٦٤٤- النشر في القراءات العشر: لمحمد بن محمد ابن الجزري (ت : ٨٣٣ هـ) أشرف على مراجعته علي بن محمد الضباع ، مكتبة الرياض الحديثة ، بدون تاريخ ، ٢مج.

٦٤٥- نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية : للزيلعي جمال الدين أبي يوسف عبد الله بن محمد ، ط. المجلس العلمي ، الهند ، مصورة دار المأمون، القاهرة – ١٣٥٧هـ ، ٤مج.

٦٤٦- نظم الفرائد و حصر الشرائد: للإمام مهذب الدين مهلب بن حسن المهلّبي ، ط . مكتبة الخانجي ، القاهرة ، و مكتبة التراث ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى -١٤٠٦هـ- تحـ: د / عبد الرحمن العثيمين .

٦٤٧- نفائس البيان للقاضي عبد الفتاح مع شرحه الفرائد الحسان. ط. مكتبة الدار . المدينة المنورة. ١٤٠٤هـ .

٦٤٧- النكت على مقدمة ابن الصلاح لابن حجر العسقلاني ، ط . دار الراية ، الرياض ، ط٤ – ١٤١٧هـ - تحـ: د / ربيع بن هادي عمير .

٦٤٨- النكت و العيون للماوردي ، ط . دار الكتب العلمية و مؤسسة الكتب الثقافية–بدون تاريخ- تحـ: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم . ٦ مج.

٦٤٩ – نكت الهِمْيان في نُكَت العميان: لصلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد زكي باشا. المطبعة الجمالية بمصر. ١٣٢٩هـ.

٦٥٠- نهاية الأرب في فنون الأدب: للنويري ، ط . دار الكتب المصرية – ١٣٤٧هـ .

٦٥١- النهاية في غريب الحديث : لابن الأثير أبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد ، ط . المكتبة العلمية ،

بيروت ، تحـ : محمود الطناحي وطاهر الزواوي ، ٥ج .

٦٥٢- النوادر : لأبي زيد الأنصاريّ . تحـ: سعيد الخوري. ط ٢، بيروت – ١٩٦٧م.

٦٥٣- نوادر الأصول في أحاديث الرسول: لأبي عبد الله الحكيم الترمذي ، ط . دار الجيل ، بيروت – ١٩٩٢م تحـ : د/ عبد الرحمن عميرة .

٦٥٤- نواسخ القرآن لابن الجوزي ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى -١٤٠٥هـ .

٦٥٥- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار : للشوكاني محمد بن علي ، نشر مكتبة دار التراث ، القاهرة .

٦٥٦- الهدى و البيان في أسماء القرآن: للشيخ صالح البليهي، ط . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٦٥٧- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : لإسماعيل باشا بن محمد (ت : ١٣٣٩ هـ) ، مصورة دار الفكر ، بيروت ، مطبوع مع كشف الظنون ، ٢مج .

٦٥٨- همع الهوامع شرح جمع الجوامع : للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، (ت : ٩١١هـ) تحـ : أحمد شمس الدين ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١ – ١٤١٨هـ ، ٤ج.

٦٥٩- الواضح في أصول الفقه: لابن عقيل ، ط . مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الأولى – ١٤٢٠هـ – تحـ : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي .

٦٦٠- الوافي بالوفيات:لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، ط . فرانز شتاينر بفيسبادن ، ألمانيا – ١٤٠٤هـ.

٦٦١- الوساطة بين المتنبي و خصومه : للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، ط . مطبعة عيسى البابي الحلبي – بدون تاريخ ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ،

٦٦٢- الوسيط في تفسير القرآن : للواحدي أبي الحسن علي بن أحمد ، تحـ : عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض و آخران، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ - ١٤١٥هـ ، ٤ج .

٦٦٣- الوسيلة إلى كشف العقيلة: للسخاوي، ط. مكتبة الرشد، الرياض، تحـ : د/ مولاي الحسين. ١مج.

٦٦٤-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد (ت : ٦٨١ هـ) ، تحـ : د/ إحسان عباس ، ط. دار الثقافة بيروت – بدون تاريخ ، ٨ج .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات